ابو السعود

المجلد الاول من تفسير ابي السعود

نسخ ١٣١

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان
السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتلى
حرره الفقير اكرمه الله تعالى بالرفق والحسنى
احمد شيخ زاده المفتش باوقاف الحرمين الشريفين
غفر لهما

سبحان من أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وبين له من شعائر الشرائع كل جليل ودقيق انزل عليه اظهر بينة وابهر حجج قرآنا
عربيا غير ذي عوج مصدقا لما بين يديه من الكتب ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب ناطقا بكل امر رشيد
هاديا الى صراط العزيز الحميد آمرا بعبادة الصمد المعبود كتابا متشابها مثاني تقشعر منه الجلود تكاد الرواسي الراسية
تمور ويذوب منه الحديد ويميع صم الصخور حقيقا بان سيرت به الجبال ويسير به كل صعب محال معجزا لخيم كل مصقع من
مهرة قحطان ويبكت كل مفلق من سحرة البيان بحيث لو اجتمعت الانس والجن على معارضته ومبارزته لعجزوا
عن الاتيان بمثل آية من آياته نزل عليه على فترة من الرسل ليرشد الامة الى اقوم السبل فهداهم الى الحق وهم في ضلال
فاضمحل دجى الباطل وسطع نور اليقين فمن اتبع هداه فقد فاز بمناه ومن اعرض عنه وعصاه واتخذ الهه هواه
فقد هام في مهاوي الردى وتردى في مهاوي الهوى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور صلى الله عليه وعلى
آله الاخيار وصحبه الابرار ما تناوبت الانواء وتعاقبت الظلم والاضواء وعلى من تبعهم باحسان مدى الدهور
والازمان فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه الهادي ابو السعود بن محمد العمادي آتاه الله العناية
القصوى ان من خلق نسخة العالم وما كان من حروفها مسطورا والحكمة الكبرى في تخمير طينة آدم ولم يكن شيئا مذكورا
ليست الا معرفة الصانع المجيد وعبادة البارئ المبدئ المعيد ولا سبيل الى ذلك المطلب الجليل سوى الوقوف على
مواقف التنزيل فانه عز سلطانه وبرهانه وان سطر آيات قدرته في صحائف الاكوان ونصب آيات وحدته في صفائح
الاعراض والاعيان وجعل كل ذرة من ذرات العالم وكل قطرة من قطرات العيلم وكل نقطة جرى عليها قلم الابداع
وكل حرف رقم في لوح الاختراع مرآة لمشاهدة جماله حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون
بيانا جليا لا ريب فيه ومنهاجا سويا لا يضل من ينتحيه بل ناطقا يتلو آيات ربه فيهدي من سامع وعى
ونجيا صادقا فيدل له من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويدعوهم بحسب عقولهم يحاورهم بواضح
عبارة ويلوح اخرى بلطف اشارة لكن الاستدلال بتلك الآيات والدلائل والاستشهاد بتلك الامارات
والمخايل والتنبه لتلك الاشارات السرية والتفطن لمعاني تلك العبارات العبقرية وما في تضاعيفها من مكنون
اسرار القضاء والقدر وكنوز آثار العجائب والعبر مما لا يطيق به عقول البشر الا بتوفيق خلاق القوى
والقدر فاذن مدار الرشاد ليس الا كلام رب العباد اذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينية
والمفسر لمشكلات الآيات التكوينية والكاشف عن خفايا خطاير القدس والمطلع على خبايا سرائر الانس وبه يكتسب
الملكة الفاخرة وبه يتوصل الى سعادة الدنيا والآخرة خلا انه ايضا من علو الشان وسمو المكان في نهاية
الغموض والاعضال وصعوبة المأخذ وعزة المنال في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية
اعز من بيض الانوق وابعد من مناط العيوق لا يتسنى العروج الى معارجه الرفيعة ولا يتأتى الرقي

الرقي الى مدارجه المنيعة كيف لا وانه مع كونه متضمنا لدقائق العلوم النظرية والعملية ومنطويا
على دقائق الفنون الخفية والجلية حاويا لتفاصيل الاحكام الشرعية ومحيطا بمناط الدلائل الاصلية
والفرعية منبئا عن اسرار الحقائق والنعوت مخبرا باطوار الملك والملكوت عليه يدور فلك الاوامر والنواهي
واليه يستند معرفة الاشياء كما هي قد نسج على اغرب منوال وابدع طراز واحتجبت طلعته بسبحات الاعجاز
لوشحت حقائقه الآبية عن العقول وتوشت دقائقه الخفية عن اذهان الفحول ترتد عيون العقول بسحابته
ويختطف ابصار البصائر بريقه ولمعانه ولقد تصدى لتفسير غوامض مشكلاته اساطين ائمة التفسير في كل
عصر من الاعصار وتولى لتيسير عويصات معضلاته سلاطين اسرة التقرير والتحرير في كل قطر من الاقطار
فغاصوا في لججه وخاضوا في ثبجه فنظموا فرائده في سلك التحرير وابرزوا فوائده في معرض التقرير
وصنفوا كتبا جليلة الاقدار والفوا زبرا جميلة الآثار اما المتقدمون من المحققين فاقتصروا على تمهيد المعاني
وتشييد المباني وتبيين المرام من ترتيب الاحكام حسبما بلغهم من سيد الانام عليه شرائف التحية والسلام
واما المتأخرون من المتقنين فمع ذلك اظهروا مزاياه الرائقة وابدوا خباياه الفائقة ليعاين الناس
دلائل اعجازه ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه عن سائر الكتب الكريمة الربانية والزبر العظيمة
السبحانية فدونوا اسفارا بارعة جامعة لفنون المحاسن الرائعة يتضمن كل منها فوائد شريفة
تقر بها عيون الاعيان وعوائد لطيفة تتشنف بها آذان الاذهان لا سيما الكشاف وانوار التنزيل
المنفردان بالشان الجليل والنعت الجميل فان كلا منهما قد احرز قصب السبق اي احراز كأنه مرآة لاجتلاء
وجه الاعجاز صحائفهما مرايا المزايا الحسان مسطورهما عقود الجمان وقلائد العقيان ولقد كانت
في سوابق الايام وسوالف الدهور والاعوام اوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما وزمان انتصابي
لمفاوضتهما ومدارستهما يدور في خلدي على استمرار آناء الليل واطراف النهار ان انظم درر فوائدهما في
سمط دقيق وارتب غرر فرائدهما على ترتيب انيق واضيف اليهما ما الفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من
جواهر الحقائق وصادفته في اصداف العيالم الزاخرة من زواهر الدقائق واسلك خلالها بطريق الترصيع
على نسق انيق واسلوب بديع حسبما يقتضيه جلالة شأن التنزيل ويستدعيه جزالة نظمه الجليل مما سمح
به الفكر العليل بالعناية الربانية وسمح به النظر الكليل بالهداية السبحانية من عوارف معارف تمتد اليها
اعناق الهمم من كل ماهر لبيب وغرائب رغائب ترنو اليها احداق الامم من كل نحرير اريب وتحقيقات رصينة
تقيل عثرات الافهام في مداحض الاقدام وتدقيقات متينة تزيل خطرات الاوهام من خواطر
الانام في معارك افكار يشتبه فيها الشؤون ومدارك انظار يختلط فيها الظنون وابرز من وراء
استار الكمون من دقائق السر المخزون في خزائن الكتاب المكنون ما تطمئن اليه النفوس وتقر به العيون
من خفايا الرموز وخبايا الكنوز واهديه الى الخزانة العامرة العامرة بالبحار الزاخرة لجناب من
خصه الله تعالى بخلافة الارض واصطفاه لسلطنتها في الطول والعرض الا وهو السلطان الاسعد الاعظم
والخاقان الامجد الافخم مالك الامامة العظمى والسلطان الباهر وارث الخلافة الكبرى كابرا عن كابر
رافع رايات الدين الازهر موضح آيات الشرع الانور مرغم انوف الفراعنة والجبابرة معفر جباه القياصرة
والاكاسرة فاتح بلاد المشارق والمغارب بنصرة الله العزيز وجنده الغالب الهمام الذي في عزمه الحديد

فانتهى الى المشرق الاسنى وغرب حتى بلغ مغرب الشمس ودانيا بجميع عرمرم متزاحم الافواج وعسكر
يختطم مثل تلاطم الامواج فاصبح ما بين افقي الطلوع والغروب وما بين نقطتي الشمال والجنوب منتظما
في سلك ولاياته الواسعة ومقيما تحت ظلال راياته المرتفعة فاصبحت منابر الربع المسكون مزينة
بذكر اسمه الميمون فيا له من ملك استوعب مملكة البر البسيط واستغرق فلكة البحر المحيط فكانه فضاء
ضربت فيه خيامه او نصبت عليه الويته واعلامه مالك ممالك العالم ظل الله الظليل على كافة
الامم قاصم القياصرة وقاهر القروم سلطان العرب والعجم والروم سلطان المشرقين وخاقان الخافقين
الامام المقتدر بالقدرة الربانية والخليفة المعتز بالعزة السبحانية المفتخر بخدمة الحرمين الجليلين العظيمين
وحماية المقامين الجليلين الفخيمين ناشر الوية الخواقين السلطانية وعاشر الخواقين العثمانية السلطان ابن السلطان
السلطان سليمان خان ابن السلطان المظفر المنصور والخاقان الموقر المشهور صاحب المغازي المشهورة
في اقطار الامصار والفتوحات المذكورة في صحايف الاسفار السلطان سليم خان ابن السلطان السعيد
والخاقان المجيد السلطان بايزيد خان لازالت سلسلة سلطنته متسلسلة الى انتهاء سلسلة الزمان
وارواح اسلافه العظام متنزهة في روضة الرضوان وكنت اتردد في ذلك بين اقدام واحجام
لقصور شاني وعزة المرام اين الحضيض من الذرى شتان بين الثريا والثرى وههنا اصطياد العنقاء
بالشباك واقتناص الجوزاء من بروج الافلاك فمضت عليه الدهور والسنون وتغيرت الاطوار وتبدلت
الشئون فابتليت بتدبير مصالح العباد برهة في قضاء البلاد واخرى في قضاء العساكر والاجناد
فحال بيني وبين ما كنت احاول تراكم المهمات وتزاحم الاشغال وتجدد العوارض والعلائق وهجوم الصوارف
والعوائق والتردد الى المغازي والاسفار والتنقل من دار الى دار وكنت في تضاعيف هاتيك الامور
اقدر في نفسي ان انتهز نهزة من الدهور ويتيسر لي القرار وتطمئن بي الدار واظفر حينئذ بوقت خال
ابتل فيه الى جناب ذي العظمة والجلال واوجه اليه وجهي واسلم له سري وعلانيتي وانظر الى كل شيء بعين
الشهود واعرف الحق في كل موجود تلافيا لما فرطت واستدراكا لما فات واقصد لتحصيل ما عزمت
عليه واتوجه لتكميل ما توجهت اليه برفاهية واطمينان وحضور قلب وفراغ جنان فبينما انا في
هذا الخيال اذ بدا لي ما لم يخطر بالبال تحولت الاحوال والدهر حول فوقعت في امر اشق من الاول
امرت بحل مشكلات الانام فيما شجر بينهم من النزاع والخصام فلقيت معضلة طويلة الذيول وصرت
كالهارب من المطر الى السيول فبلغ السيل الزبى وعمرني اي غمر غوارب جرى بين زيد وعمرو فاضحيت
في ضيق المجال وسعة الاشغال اشهر ممن يضرب بها الامثال فجعلت اتمثل بقول من قال لقد كنت
اشكو الحوادث برهة واستمرض الايام وهي صحائح الى ان تغشتني وقيت حوادث تحقق ان السالفات
منائح فلما انصرمت عرى الامال عن الفوز بفراغ البال ورايت ان الفرصة على جناح الفوات
وتمثل الاسنان في شرف الشتات وقد مسني الكبر وتضاءلت القوى والقدر ودنا الاجل من الحلول
واشرفت شمس الحياة على الافول عزمت على انشاء ما كنت انويه وتوجهت الى املاء ما طالما ابتغيه ناويا
ان اسميه عند تمامه بتوفيق الله تعالى وانعامه ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم فشرعت
فيه مع تفاقم المكاره علي وتزاحم الشدائد بين يدي متضرعا الى رب العظمة والجبروت خلاق عالم الملك والملكوت

والملكوت في ان يعصمني عن الزيغ والزلل ويقيني مصارع السوء في القول والعمل ويوفقني لتحصيل
ما ارومه وارجوه ويهديني الى تكميله على احسن الوجوه ويجعله ذخيرة ومعاد استمتع به يوم التناد
فيا من توجهت وجوه الذل والابتهال تلقاء بابه المنيع ومدت ايدي الضراعة والسؤال الى جنابه الرفيع
افض علينا شوارق انوار التوفيق واطلعنا على دقايق اسرار التحقيق وثبت اقدامنا على مناهج هداك
وانطقنا بما فيه امرك ورضاك ولا تكلنا الى انفسنا في لحظة ولا آن وخذ بناصيتنا الى الخير حيث كان
جنابك ملجا لاستكانة ضارعين ولابواب فضلك قبلة راغبين انت الملاذ في كل امر مهم وانت المعاذ
في كل خطب ملم لا رب غيرك ولا خير الا خيرك بيدك مقاليد الامور لك الخلق والامر واليك النشور

الفاتحة في الاصل اول ما من شانه ان يفتح كالكتاب والثوب اطلقت عليه لكونه واسطة في فتح الكل ثم
اطلقت على اول كل شيء فيه تدرج بوجه من الوجوه كالكلام التدريجي حصوله والسطور والاوراق التدريجي
قراءة وعدا والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية او هي مصدر بمعنى الفتح اطلقت عليه تسمية للمفعول
باسم المصدر اشعارا باصالته كانه نفس الفتح فان تعلقه به بالذات وبالباقي بواسطته لكن لا على معنى
انه واسطة في تعلقه بالباقي ثانيا حتى يرد انه لا يتسنى في الخاتمة لما ان ختم الشيء عبارة عن بلوغ آخره
وذلك انما يتحقق بعد انقطاع الملابسة عن اجزائه الاول بل على معنى ان الفتح المتعلق بالاول فتح له
اولا وبالذات وهو بعينه فتح للمجموع بواسطته لكونه جزءا منه وكذا الكلام في الخاتمة فان بلوغ آخر الشيء
يعرض للآخر اولا وبالذات وللكل بواسطته على الوجه الذي تحققته والمراد بالاول ما يعم الاضافي فلا حاجة
الى الاعتذار بان اطلاق الفاتحة على السورة الكريمة بتمامها باعتبار جزئها الاول والمراد بالكتاب هو المجموع
الشخصي لا القدر المشترك بينه وبين اجزائه على ما عليه اصطلاح اهل الاصول ولا ضير في اشتهار السورة
الكريمة بهذا الاسم في اوائل عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما ان التسمية من جهة الله عز اسمه
او من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاذن فيكفي فيها تحصله باعتبار تحققه في علمه عز وجل او في اللوح
او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي
صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة كما هو المشهور والاضافة بمعنى اللام كما في جزء الشيء لا
بمعنى من كما في خاتم فضة لما ان المضاف جزء من المضاف اليه لا جزئي له ومدار التسمية كونها مبدأ
للكتاب على الترتيب المعهود لا في القراءة في الصلوة ولا في التعليم ولا في النزول كما قيل اما الاول فبين لان
المراد بالكتاب القدر المشترك الصادق على ما يقرأ في الصلاة حتى يعتبر في التسمية مبدأيتها له واما الاخيران
فلان اعتبار المبدأية من حيث التعليم او من حيث النزول يستدعي مراعاة الترتيب في بقية اجزاء الكتاب
من تينك الحيثيتين ولا ريب في ان الترتيب التعليمي والترتيب النزولي ليسا على نسق الترتيب المعهود وتسمى
ام القرآن لكونها اصلا ومنشأ له اما لمبدئيتها له واما لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله عز وجل
والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية
التي هي سلوك الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الاشقياء والمراد بالقرآن

هو المراد بالكتاب وتسمى أم الكتاب أيضا كما يسمى بها اللوح المحفوظ لكونه أصلا لكل الكائنات والآيات
الواضحة الدالة على معانيها لكونها مبينة يحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية ما ذكر في أم القرآن لا ما
أورده الإمام البخاري في صحيحه من أنه يبدأ بقراءتها في الصلاة فإنه مما لا تعلق له بالتسمية كما أشير إليه
وتسمى سورة الكنز لقوله صلى الله عليه وسلم إنها أنزلت من كنز تحت العرش ولما ذكر في أم القرآن كما أنه
الوجه في تسميتها الأساس والكافية والوافية وتسمى سورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها
عليها وسورة الصلاة لوجوب قراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية لقوله صلى الله عليه وسلم هي شفاء
من كل داء والسبع المثاني لأنها سبع آيات تثنى في الصلاة أو لتكرر نزولها على ما روي أنها نزلت مرة
بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة أخرى حين حولت القبلة وقد صح أنها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك
سبعا من المثاني وهو مكي بالنص اختلفت الأئمة
في شأن التسمية في أوائل السور الكريمة فقيل إنها ليست من القرآن أصلا وهو قول ابن مسعود رضي الله
عنه ومذهب مالك والمشهور من مذهب قدماء الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها
وقيل إنها آية فذة من القرآن أنزلت للفصل والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب الحنفية وقيل هي آية تامة
من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس وقد نسب إلى ابن عمر أيضا رضي الله عنهم وعليه يحمل إطلاق
عبارة ابن الجوزي في زاد المسير حيث قال روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنها أنزلت مع كل سورة وهو
أيضا مذهب سعيد بن جبير والزهري وعطاء وعبد الله بن المبارك وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما
وهو القول الجديد للشافعي رحمه الله ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة بما نقل عن الجصاص من أن هذا
القول من الشافعي لم يسبقه إليه أحد وقيل إنها آية من الفاتحة مع كونها قرآنا في سائر السور أيضا
من غير تعرض لكونها جزءا منها أولا ولا لكونها آية تامة أولا وهو أحد قولي الشافعي على ما ذكره
القرطبي ونقل عن الخطابي أنه قول ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم وقيل إنها آية تامة في
الفاتحة وبعض في البواقي وقيل بعض آية في الفاتحة وآية تامة في البواقي وقيل إنها بعض آية في
الكل وقيل إنها آيات من القرآن متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير أن تكون جزءا منها وهذا
القول غير معزي في الكتب إلى أحد وهناك قول آخر ذكره بعض المتأخرين ولم ينسبه إلى أحد وهو أنها
آية تامة في الفاتحة وليست بقرآن في سائر السور ولولا اعتبار كونها آية تامة لكان ذلك أحد
محملي تردد الشافعي رحمه الله فإنه قد نقل عنه أنها بعض آية في الفاتحة وأما في غيرها فقوله فيها
متردد فقيل بين أن تكون قرآنا أو لا وقيل بين أن تكون آية تامة أو لا قال الإمام الغزالي والصحيح
من الشافعي هو التردد الثاني وعن أحمد بن حنبل رحمه الله في كونها آية كاملة وفي كونها من الفاتحة
روايتان ذكرهما ابن الجوزي ونقل أنه مع مالك وغيره ممن يقول إنها ليست من القرآن هذا
والمشهور من هذه الأقاويل هي الثلاثة الأول والاتفاق على إثباتها في المصاحف مع الإجماع
على أن ما بين الدفتين كلام الله عز وجل يقضي بنفي القول الأول وثبوت القدر المشترك بين الأخيرين
من غير دلالة على خصوصية أحدهما فإن كونها جزءا من القرآن لا يستدعي كونها جزءا من كل سورة
منه كما لا يستدعي كونها آية منفردة منه وأما ما روي عن ابن عباس رضي من أن من تركها فقد ترك مائة

وأربع عشرة آية من كتاب الله تعالى وما روي عن أبي هريرة من أنه صلى الله عليه وسلم قال فاتحة
الكتاب سبع آيات أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وما روي عن أم سلمة من أنه صلى الله عليه وسلم
قرأ سورة الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية فإن دل كل واحد منها
على نفي القول الثاني فليس شيء منها نصا في إثبات القول الثالث أما الأول فلأنه لا يدل إلا على
كونها آيات من كتاب الله تعالى متعددة بعدد السور المصدرة بها لا على ما هو المطلوب من كونها آية تامة من كل
واحدة منها إلا أن يلتجأ إلى أن يقال إن كونها آيا متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير أن تكون جزءا منها
قول لم يقل به أحد وأما الثاني فساكت عن التعرض لحالها في بقية السور وأما الثالث فناطق بخلافه مع مشاركته
للثاني في السكوت المذكور والباء فيها متعلقة بمضمر ينبئ عنه الفعل المصدر بها كما أنها كذلك في تسمية
المسافر عند الحلول والارتحال وتسمية كل فاعل عند مباشرة الأفعال ومعناها الاستعانة أو الملابسة
تبركا أي بسم الله أقرأ أو أتلو وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد إلى التخصيص كما في إياك نعبد وتقدير أبدأ
لاقتضائه اقتصار التبرك على البداية مخل بما هو المقصود أعني شمول البركة للكل وادعاء أن فيه امتثال الحديث
الشريف من جهة اللفظ والمعنى معا وفي تقدير أقرأ من جهة المعنى فقط ليس بشيء فإن مدار الامتثال هو
البدء بالتسمية لا تقديم فعلها إذ لم يقل في الحديث الكريم كل أمر ذي بال لم يقل فيه أو لم يضمر فيه أبدأ وهذا
إلى آخر السورة الكريمة مقول على ألسنة العباد تلقينا لهم وإرشادا إلى كيفية التبرك باسمه تعالى وهداية
إلى منهاج الحمد وسؤال الفضل ولذلك سميت السورة الكريمة بما ذكر من تعليم المسألة وإنما كسرت
ومن حق الحروف المفردة أن تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الأمر ولام الإضافة داخلة
على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند البصريين من الأسماء المحذوفة الأعجاز المبنية الأوائل
على السكون قد أدخلت عليها عند الابتداء همزة لأن من دأبهم البدء بالمتحرك والوقف على الساكن ويشهد له
تصريفهم على أسماء وسمي وسميت وسمى كهدى لغة فيه قال والله أسماك سمى مباركا آثرك الله به إيثاركا
والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لأنه تنويه بالمسمى وتنويه له وعند الكوفيين من السمة وأصله وسم
حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل إعلالها ورد عليه بأن الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف
صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال بسم الذي في كل سورة سمه وإنما لم يقل بالله للفرق بين
اليمين والتيمن ولتحقيق ما هو المقصود بالاستعانة ههنا فإنها تكون تارة بذاته تعالى وحقيقتها طلب المعونة
على إيقاع الفعل وإحداثه أي إفاضة القدرة المفسرة عند الأصوليين من أصحابنا بما يتمكن به العبد من أداء
ما لزمه المنقسمة إلى ممكنة وميسرة وهي المطلوبة بإياك نستعين وتارة أخرى باسمه عز وعلا وحقيقتها
طلب المعونة في كون الفعل معتدا به شرعا فإنه ما لم يصدر باسمه تعالى يكون بمنزلة المعدوم ولما كانت كل واحدة
من الاستعانتين واقعة وجب تعيين المراد بذكر الاسم وإلا فالمتبادر من قولنا بالقلم عند الإطلاق لا سيما
عند الوصف بالرحمن الرحيم هي الاستعانة الأولى إن قيل فليحمل الباء على التبرك وليستغن عن ذكر الاسم لما
أن التبرك لا يكون إلا به قلنا ذاك فرع كون المراد بالله هو الاسم وهل التشاجر إلا فيه فلا بد من ذكر الاسم
ليقطع احتمال إرادة المسمى ويتعين حمل الباء على الاستعانة الثانية أو التبرك وإنما لم يكتب الألف لكثرة
الاستعمال قالوا وطولت الباء عوضا عنها والله أصله الإله فحذفت همزته على غير قياس كما ينبئ عنه

وجوب الادغام وتعويض الالف واللام عنها حيث لزما وجردا عن معنى التعريف ولذلك قيل
يا الله بالقطع فان المحذوف القياسي في حكم الثابت فلا يحتاج الى التدارك بما ذكر من الادغام والتعويض وقيل
على قياس تخفيف الهمزة فيكون الادغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه امتياز مسماه عما
لا يوجد فيه من نعوت الكمال والاله في الاصل اسم جنس يقع على كل معبود بحق او باطل اي مع قطع النظر عن
وصف الحقية والبطلان لا مع اعتبار احدهما لا بعينه ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصعق واما الله بحذف
الهمزة فعلم مختص بالمعبود الحق لم يطلق على غيره اصلا واشتقاقه من الالاهة والالوهة والالوهية بمعنى
العبادة حسبما نص عليه الجوهري على انه اسم منها بمعنى المألوه كالكتاب بمعنى المكتوب لا على انه صفة منها
بدليل انه يوصف ولا يوصف به حيث يقال اله واحد ولا يقال شيء اله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال شيء
كتاب والفرق بينهما ان الموضوع له في الاول انما هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين وقيامه بها فمدلوله
مركب من ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصية اصلا ومن معنى معين قائم بها على ان ملاك الامر تلك الخصوصية
فبأي ذات يقوم ذلك المعنى صح اطلاق الصفة عليها كما في الافعال ولذلك تعمل عملها كاسمي الفاعل والمفعول
والموضوع له في الاسم المذكور هو الذات المعينة والمعنى الخاص فمدلوله مركب من ذينك المعنيين من غير رجحان
للمعنى على الذات كما في الصفة ولذلك لم يعمل عملها وقيل اشتقاقه من اله بمعنى تحير لانه سبحانه يحار في شأنه
العقول والافهام واما اله كعبد فهو ما معنى مشتق من الاله المشتق من اله بالكسر وكذا تأله واستأله اشتقاق
استنوق واستحجر من الناقة والحجر وقيل من اله الى فلان اي سكن اليه لاطمئنان القلوب بذكره تعالى وسكون الارواح
الى معرفته وقيل من اله اذا فزع من امر نزل به والهه غيره اذا اجاره اذ العائذ به تعالى يفزع اليه وهو يجيره
حقيقة او في زعمه وقيل اصله لاه على انه مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع اطلق على الفاعل مبالغة وقيل
هو اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه مدار امر التوحيد في قولنا لا اله الا الله ولا يخفى ان اختصاص الاسم
الجليل بذاته سبحانه بحيث لا يمكن اطلاقه على غيره اصلا كاف في ذلك ولا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص
بطريق الغلبة بعد ان كان اسم جنس في الاصل لكنه لما غلب عليه بحيث لا يطلق على غيره اصلا صار كالعلم

وقيل هو وصف في الاصل

ويرده امتناع الوصف به اعلم ان المراد بالمنكر في كلمة التوحيد هو المعبود بالحق فمعناها لا فرد من افراد
المعبود بالحق الا ذلك المعبود بالحق وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الثانية وادخال
الالف واللام عليه وتفخيم لامه اذا لم ينكسر ما قبله سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا
ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر في قوله ٭ الا لا بارك الله في سهيل ٭ اذا ما الله بارك في الرجال
والرحمن الرحيم صفتان مبنيتان من رحم بعد جعله لازما بمنزلة الغرائز بنقله الى رحم بالضم كما هو المشهور
وقد قيل ان الرحيم ليس بصفة مشبهة بل هي صيغة مبالغة نص عليه سيبويه في قولهم هو رحيم فلانا والرحمة
رقة القلب في اللغة والانعطاف ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها والمراد بها هاهنا التفضل والاحسان
او ارادتهما بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه البعيد او القريب فان اسماءه تعالى تؤخذ
باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي هي انفعالات والاول من الصفات الغالبة حيث لم يطلق
على غيره تعالى وانما امتنع صرفه الحاقا له بالاغلب في بابه من غير نظر الى الاختصاص العارض فانه كما حظر
وجود فعلى حظر وجود فعلانة فاعتباره يوجب اجتماع الصرف وعدمه فلزم الرجوع الى اصل هذه

الكلمة

الكلمة قبل الاختصاص بان تقاس الى نظائرها من باب فعل يفعل فاذا كان كلها ممنوعة من الصرف لتحقق
وجود فعلى فيها علم ان هذه الكلمة ايضا في اصلها مما يحقق فيها وجود فعلى فيمتنع من الصرف وفيه من المبالغة
ما ليس في الرحيم ولذلك قيل رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا وتقديمه مع كون القياس تأخيره رعاية
لاسلوب الترقي الى الاعلى كما في قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض لانه باختصاصه به عز وجل
صار حقيقا بان يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به تعالى ولان ما يدل على جلائل النعم وعظائمها احق بالتقديم
مما يدل على دقائقها وفروعها وافراد الوصفين الشريفين بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة الحمد لله الحمد هو النعت
بالجميل على الجميل الاختياري كان او مبدأ له على وجه يشعر بتوجيهه الى المنعوت وبهذه الحيثية يمتاز عن المدح فانه
خال عنها يرشدك الى ذلك ما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول في قولك حمدته ومدحته فان
تعلق الثاني بمفعوله على منهاج تعلق عامة الافعال بمفعولاتها واما الاول فتعلقه بمفعوله منبئ عن معنى الانهاء
كما في قولك كلمته فانه معرب عما يفيده لام التبليغ في قولك قلت له ونظيره شكرته وعبدته وخدمته فان تعلق
كل منها منبئ عن المعنى المذكور وتحقيقه ان مفعول كل فعل في الحقيقة هو الحدث الصادر عن فاعله ولا يتصور
في كيفية تعلق الفعل به اي فعل كان اختلاف اصلا واما المفعول به الذي هو محله وموقعه فلما كان تعلقه به
ووقوعه عليه على انحاء مختلفة حسبما يقتضيه خصوصيات الافعال بحسب معانيها المختلفة فان بعضها يقتضي
ان يلابسه ملابسة تامة مؤثرة فيه كعامة الافعال وبعضها يقتضي ان يلابسه ادنى ملابسة اما
بالانتهاء اليه كالاغاثة مثلا او بالابتداء منه كالاستغاثة مثلا اعتبر في كل نحو من انحاء تعلقه به كيفية لائقة
بذلك النحو مغايرة لما اعتبر في النحوين الاخيرين فنظم القسم الاول من التعلق في سلك التعلق بالمفعول الحقيقي
مراعاة لقوة الملابسة وجعل كل واحد من القسمين الاخيرين من قبيل التعلق بواسطة الجار المناسب له فان
قولك اغثته مشعر بانتهاء الاغاثة اليه وقولك استغثته بابتدائها منه وقد يكون لفعل واحد مفعولان
يتعلق باحدهما على الكيفية الاولى وبالآخر على الثانية او الثالثة كما في قولك صدقني الحديث وسألني
المال فان التحديث مع كونه فعلا واحدا قد تعلق بك على الكيفية الثالثة وبالحديث على الاولى وكذا
السؤال فانه فعل واحد وقد تعلق بك على الكيفية الثالثة وبالمال على الاولى ولا ريب في ان اختلاف
هذه الكيفيات الثلث وتباينها واختصاص كل من المفاعيل المذكورة بما نسب اليه منها مما لا يتصور فيه
تردد ولا نكير وان كان لا يتضح حق الاتضاح الا عند الترجمة وان مدار ذلك الاختلاف ليس الا

والتفسير ٣

اختلاف الفعل او اختلاف المفعول واذ لا اختلاف في مفعول الحمد والمدح تعين ان اختلافهما في كيفية
التعلق لاختلافهما في المعنى قطعا هذا وقد قيل المدح مطلق عن قيد الاختيار يقال مدحت زيدا
على حسنه ورشاقة قده واياما كان فليس بينهما ترادف بل اخوة من جهة الاشتقاق الكبير وتناسب
تام في المعنى كالنصر والتاييد فانهما متناسبان معنى من غير ترادف لما نرى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق
بالمفعول وانما المرادف للنصر الاعانة وللتاييد التقوية فتدبر ثم ان ما ذكر من التفسير هو المشهور
من معنى الحمد والانوق بالمراد في مقام التعظيم واما ما ذكر في كتب اللغة من معنى الرضى مطلقا كما في
قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وفي قولك هذا الامر عاقبته حميدة وفي قول الاطباء بحران محمود

مما لا يختص بالفاعل فضلاً عن الاختيار بمعزل عن استحقاقه لذلك فالمراد ههنا استقلالاً واستتباعاً فحمل الحمد
على ما يعم المعنيين ليس في اثباته له عز وجل فإن تعتد بها وأما الشكر فهو مقابلة النعمة بالثناء وآداب
الجوارح وعقد القلب على وصف المنعم بنعوت الكمال كما قال من قال . أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني
والضمير المحجبا . فهو أعم منهما من جهة وأخص من أخرى ونقيضه الكفران ولما كان الحمد من شعب الشكر
أدخل في إشاعة النعمة وأدل على مكانها لما في عمل القلب من الخفاء وفي عمل الجوارح
من الاحتمال جعل الحمد رأس الشكر وملاك الأمر في قوله صلى الله عليه وسلم الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد
لم يحمده وارتفاعه بالابتداء وخبره الظرف وأصله النصب كما هو شأن المصادر المنصوبة بأفعالها المضمرة
التي لا تكاد تستعمل معها نحو شكراً وعجباً كأنه قيل نحمد الله حمداً بنون الحكاية ليوافق ما في قوله تعالى
إياك نعبد وإياك نستعين لاتحاد الفاعل في الكل وأما ما قيل من أنه بيان لحمدهم له تعالى كأنه قيل كيف
تحمدون فقيل إياك نعبد فمع أنه لا حاجة إليه مما لا صحة له في نفسه فإن السؤال المقدر لا بد أن يكون
بحيث يقتضيه انتظام الكلام وينساق إليه الأذهان والأفهام ولا ريب في أن الحامد بعدما ساق حمده تعالى
على تلك الكيفية اللائقة لا يخطر ببال أحد أن يسأل عن كيفيته على أن ما قدره من السؤال غير مطابق للجواب
فإنه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة حتى يتوهم كونه بياناً لحمدهم والاعتذار بأن المعنى نخصك
بالعبادة وبه يتبين كيفية الحمد تعكيس للأمر وتمحل لتوفيق المنزل المقرر بالموهوم المقدر وبعد اللتيا والتي
إن فرض السؤال من جهته عز وجل فات نكتة الالتفات التي أجمع عليها السلف والخلف وإن فرض من جهة الغير
يختل النظام لابتناء الجواب على خطابه تعالى وبهذا يتضح فساد ما قيل إنه استئناف جواباً لسؤال يقتضيه
إجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بها فكأنه قيل ما شأنكم معه وكيف توجهكم إليه فأجيب بحصر
العبادة والاستعانة فيه فإن ذلك بجانب السداد بالكلية ومبنى الجواب على خطابه عز وعلا مما يجب
تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله والحق الذي لا محيد عنه أنه استئناف صادر عن الحامد بمحض ملاحظة اتصافه
تعالى بما ذكر من النعوت الجليلة الموجبة للإقبال الكلي عليه من غير أن يتوسط هناك شيء آخر كما ستحيط به
خبراً وإيثار الرفع على النصب الذي هو الأصل للإيذان بأن ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لإثبات مثبت
فإن ذلك أمر دائم مستمر لا حادث متجدد كما تفيده قراءة النصب وهو السر في كون تحية الخليل للملائكة
عليهم السلام بالتحية والسلام أحسن من تحيتهم له في قوله تعالى قالوا سلاماً قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه
الإشارة إلى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السامع والمراد تخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعي لتخصيص
جميع أفرادها به سبحانه على الطريق البرهاني لكن لا بناء على أن أفعال العباد مخلوقة له تعالى فيكون
الأفراد الواقعة بمقابلة ما صدر عنهم من الأفعال الجميلة راجعة إليه تعالى بل بناء على تنزيل تلك الأفراد
ودواعيها في المقام الخطابي منزلة العدم كيفاً وكماً وقد قيل للاستغراق الحاصل بالقصد إلى الحقيقة
من حيث تحققها في ضمن جميع أفرادها حسبما يقتضيه المقام وقرئ الحمدِ لله بكسر الدال إتباعاً لها باللام وبضم اللام
إتباعاً لها بالدال بناء على تنزيلهما لكثرة استعمالهما مقترنين منزلة كلمة واحدة مثل المغيرة ومنحدر الجبل
رب العالمين بالجر على أنه صفة لله فإن إضافته حقيقية مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة تعين
إرادة الاستمرار وقرئ منصوباً على المدح أو بما دل عليه الجملة السابقة كأنه قيل نحمد الله رب العالمين

ولا مساغ لنصبه بالحمد لقلة إعمال المصدر المحلى باللام وللزوم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب
في الأصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً وصف به الفاعل مبالغة كالعدل
وقيل صفة مشبهة من ربه يربه مثل نمه ينمه بعد جعله لازماً بنقله إلى فعُل بالضم كما هو المشهور سمي به
المالك لأنه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى إلا مقيداً كرب الدار ورب الدابة ومنه قوله
تعالى فيسقي ربه خمراً وقوله تعالى ارجع إلى ربك وما في الصحيح من أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يقل
أحدكم أطعم ربك وضئ ربك ولا يقل أحدكم ربي وليقل سيدي ومولاي فقد قيل إن النهي فيه للتنزيه
وأما الأرباب فحيث لم يكن إطلاقه على الله تعالى جاز فيه الإطلاق والتقييد كما في قوله تعالى أأرباب
متفرقون خير الآية والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع تعالى من المصنوعات
أي في القدر المشترك بين أجناسها وبين مجموعها فإنه كما يطلق على كل جنس منها في قولهم عالم الأفلاك
وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان إلى غير ذلك يطلق على المجموع أيضاً كما في قولنا العالم بجميع أجزائه
محدث وقيل هو اسم لأولي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لما سواهم بطريق الاستتباع وقيل
أريد به الناس فقط فإن كل واحد منهم من حيث اشتماله على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والأعراض
يعلم بها الصانع كما يعلم بما فيه عالم على حياله ولذلك أمر بالنظر في الأنفس كالنظر في الآفاق فقيل
وفي أنفسكم أفلا تبصرون والأول هو الأحق الأظهر وإيثار صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع الأجناس
والتعريف لاستغراق أفراد كل منها بأسرها إذ لو أفرد لربما توهم أن المقصود بالتعريف هو الحقيقة
من حيث هي أو استغراق أفراد جنس واحد على الوجه الذي أشير إليه في تعريف الحمد وحيث صح ذلك
بمساعدة التعريف نزل العالم وإن لم يطلق على آحاد مدلوله منزلة الجمع حتى قيل إنه جمع لا واحد له
من لفظه فكما أن الجمع المعرف يستغرق آحاد مفرده وإن لم يصدق عليها كما في مثل قوله تعالى والله يحب
المحسنين أي كل محسن كذلك العالم يشمل أفراد الجنس المسمى به وإن لم يطلق عليها كأنها آحاد مفرده
التقديري ومن قضية هذا التنزيل تنزيل جمعه منزلة جمع الجمع فكما أن الأقاويل يتناول كل واحد
من آحاد الأقوال يتناول لفظ العالمين كل واحد من آحاد الأجناس التي لا تكاد تحصى روي
عن وهب بن منبه أنه قال لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم والدنيا عالم منها وإنما جمع بالواو والنون
مع اختصاص ذلك بصفات العقلاء وما في حكمها من الأعلام لدلالته على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء
على غيرهم واعلم أن عدم انتظام اسم العالم لكل واحد من تلك الآحاد ليس إلا باعتبار الغلبة والاصطلاح
وأما باعتبار الأصل فلا ريب في صحة الإطلاق قطعاً لتحقق المصداق حتماً فإنه كما يستدل على الله سبحانه
بمجموع ما سواه وبكل جنس من أجناسه يستدل عليه تعالى بكل جزء من أجزاء ذلك المجموع وبكل فرد من أفراد
تلك الأجناس لتحقق الحاجة إلى المؤثر الواجب لذاته في الكل فإن كل ما ظهر في الظاهر مما عز وهان
وحضر في هذه المحاضر كائناً ما كان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح إلى عالم التوحيد
وأما شمول ربوبيته عز وجل للكل فمما لا حاجة إلى بيانه إذ لا شيء مما أحدق به نطاق الإمكان
والوجود من العلويات والسفليات والمجردات والماديات والروحانيات والجسمانيات إلا وهو في حد
ذاته بحيث لو فرض انقطاع آثار التربية عنه آناً واحداً لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار

الا في مطمورة العدم وهاوية البوار لكن يفيض عليها من الجناب الاقدس تعالى شانه وتقدس
في كل زمان مضى وكل آن مر وينقضي من فنون الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وصفاته وكمالاته
ما لا يحيط به فلك التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير ضرورة انه كما لا يستحق شيء من الممكنات بذاته
الوجود ابتداء لا يستحق بقاء وانما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وعلا فكما لا يتصور وجوده
ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلة
ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الطارئ لما ان الدوام من خصائص الوجود الواجبي وظاهر ان
ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه وان كانت متناهية لوجوب
تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده وهي المعبر عنها بارتفاع
الموانع ليست كذلك لجواز استحالة ان يكون لشيء واحد موانع غير متناهية يتوقف وجوده
او بقاؤه على ارتفاعها اي بقائها على العدم مع امكان وجودها في نفسها فابقاء تلك الموانع
التي لا تتناهى على العدم تربية لذلك الشيء من وجوه غير متناهية وبالجملة فاثار تربيته عز وجل
الفائضة على كل فرد من افراد الموجودات في كل آن من آنات الوجود غير متناهية فسبحانه
ما اعظم سلطانه لا تلاحظه العيون بانظارها ولا تطالعه العقول بافكارها شانه لا يضاهى
واحسانه لا يتناهى ونحن في معرفته حائرون وفي اقامة مراسم شكره قاصرون نسألك اللهم الهداية
الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت نستغفرك
ونتوب اليك ﴿الرحمن الرحيم﴾ صفتان لله فان اريد بما فيهما من الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين
او ما يفيض على الكل بعد الخروج الى طور الوجود من النعم فوجه تاخيرهما عن وصف الربوبية ظاهر
وان اريد ما يعم الكل في الاطوار كلها حسبما في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فوجه الترتيب ان التربية
لا تقتضي المقارنة للرحمة فايرادهما في عقبها للايذان بانه تعالى متفضل فيها فاعل بقضية رحمته
السابقة من غير وجوب عليه وبانها واقعة على احسن ما يكون والاقتصار على نعته تعالى بهما في التسمية
لما انه الانسب بحال المتبرك المستعين باسمه الجليل والادوفق لمقاصده ﴿مالك يوم الدين﴾ صفة
رابعة له تعالى وتاخيرها عن الصفات الاول مما لا حاجة الى بيان وجهه وقرأ اهل الحرمين المحترمين
ملك من الملك الذي هو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على
التصرف الكلي في امور العامة بالامر والنهي وهو الانسب بمقام الاضافة الى يوم الدين كما في
قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الماضي ومالكا بالنصب
على المدح او الحال وبالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع
والنصب واليوم في العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفي الشرع عما بين طلوع
الفجر الثاني وغروب الشمس والمراد هنا مطلق الوقت والدين الجزاء خيرا كان او شرا ومنه المثل
في المثل السائر كما تدين تدان والاول في بيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا
واما الاول في الاول والثاني في الثاني فليس بجزاء حقيقة وانما سمي به مشاكلة او تسمية للشيء
باسم مسببه كما سميت ارادة القيام والقراءة باسمهما في قوله عز اسمه اذا قمتم الى الصلوة وقوله

تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولعله هو السر في بناء المفاعلة من الافعال التي تقوم اسبابها بمفعولاتها
نحو عاقبت اللص ونظائره فان قيام السرقة التي هي سبب للعقوبة باللص نزل منزلة قيام ما تسبب به وهو
العقوبة فصارت كانها قامت بالجانبين وصدرت عنهما فبنيت صيغة المفاعلة الدالة على المشاركة بين
الاثنين واضافة اليوم اليه لادنى ملابسة كاضافة سائر الظروف الزمانية الى ما وقع فيها من الحوادث
كيوم الاحزاب وعام الفتح وتخصيصه من بين سائر ما يقع فيه من القيامة والحساب لكونه ادخل في الترغيب
والترهيب فان ما ذكر من القيامة وغيرها من مبادي الجزاء ومقدماته واضافة مالك الى اليوم اضافة اسم
الفاعل الى الظرف على نهج الاتساع المبني على اجرائه مجرى المفعول به مع بقاء على حاله كقولهم يا سارق الليلة
اهل الدار اي مالك الامور العالمين كلها في يوم الدين وخلو الاضافة عن افادة التعريف المسوغ لوقوعه صفة
للمعرفة انما هو اذا اريد به الحال او الاستقبال واما عند ارادة الاستمرار الثبوتي كما هو اللائق بالمقام
فلا ريب في كونها اضافة حقيقية كاضافة الصفة المشبهة الى غير معمولها في قراءة ملك يوم الدين ويوم
الدين وان لم يكن مستمرا في جميع الازمنة الا انه لتحقق وقوعه وبقائه ابدا اجري مجرى المتحقق المستمر
ويجوز ان يراد به الماضي بهذا الاعتبار كما يشهد به القراءة على صيغة الماضي وما ذكر من اجراء الظرف
مجرى المفعول به انما هو من حيث المعنى لا من حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة لفظية الا ترى انك
تقول في مالك عبده امس انه مضاف الى المفعول به على معنى انه كذلك معنى لا انه منصوب محلا وتخصيصه
بالاضافة اما لتعظيمه وتهويله او لبيان تفرده تعالى باجراء الامر فيه وانقطاع العلائق المجازية بين الملاك
والاملاك حينئذ بالكلية واجراء هاتيك الصفات الجليلة عليه سبحانه تعليل لما سبق من اختصاص الحمد به تعالى
المستلزم لاختصاص استحقاقه به تعالى وتمهيد لما لحق من اقتصار العبادة والاستعانة عليه فان كل واحدة
منها مفصحة عن وجوب ثبوت كل واحد منها له تعالى وامتناع ثبوتها لما سواه اما الاولى والرابعة فظاهر
لانهما معرضتان صريحتان لكونه تعالى ربا مالكا وما سواه مربوبا مملوكا له تعالى واما الثانية والثالثة
فلان اتصافه تعالى بهما ليس الا بالنسبة الى ما سواه من العالمين وذلك يستدعي ان يكون الكل منعما عليهم فظهر
ان كل واحدة من تلك الصفات كما دلت على وجوب ثبوت الامور المذكورة له تعالى دلت على امتناع
ثبوتها لما عداه على الاطلاق وهو المعني بالاختصاص ﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾ التفات من الغيبة
الى الخطاب وتلوين للنظم من باب الى باب جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام ومسلك البراعة حسبما
يقتضي المقام لما ان التنقل من اسلوب الى اسلوب ادخل في استجلاب النفوس واستمالة القلوب يقع من
كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة الى كل واحد من الاخرين كما في قوله عز وجل الله الذي ارسل الرياح
فتثير سحابا الآية وقوله تعالى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الى غير ذلك من الالتفات الواردة في التنزيل
لاسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها ومما استأثر به هذا المقام الجليل من النكت الرائعة الدالة على ان
تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما اجري عليه من النعوت الجليلة التي اوجبت له تعالى اكمل تميز واتم
ظهور بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور فاستدعى استعمال الصيغة الخطاب والايذان بان حق التالي
بعدما تامل فيما سلف من تفرده تعالى بذاته الاقدس المستوجب للمعبودية وامتيازه بذاته عما سواه بالكلية
واستبداده بجلائل الصفات واحكام الربوبية المميزة له عن جميع افراد العالمين وافتقار الكل اليه في الذات والوجود

ابتداء مبنيا على التفصيل الذي مر تنبيه الاشارة ان ترقى من رتبة البرهان الى طبقة العيان ومنتقل
من عالم الغيبة الى معالم الشهود وملاحظ نفسه في خطاب بقدس حاضر في محاضر الانس كانه واقف
لدى مولاه ماثل بين يديه وهو يدعو بالخضوع والاخبات ويقرع بالضراعة باب المناجاة قائلا يا من هذه
شؤون ذاته وصفاته نخصك بالعبادة والاستعانة فان كل ما سواك كائنا ما كان بمعزل من استحقاق الوجود
فضلا عن استحقاق ان يعبد او يستعان ولعل هذا هو السر في اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة
في كل ركعة من الصلاة التي هي مناجاة العبد لمولاه ومظنة للتبتل اليه بالكلية واياك ضمير منفصل منصوب
وما يلحقه من الكاف والياء والهاء حروف زيدت لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف
في ارايتك وما ادعاه الخليل من الاضافة محتجا عليه بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه
واياي الشواب فمما لا يعول عليه وقيل هي الضمائر واياك وصلة لها لتصيرها منفصلة وقيل الضمير هو المجموع
وقرئ اياك بالتخفيف وبفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء والعبادة اقصى غاية التذلل والخضوع
ومنه طريق معبد اي مذلل والعبودية ادنى منها وقيل العبادة فعل ما يرضى به الله والعبودية الرضى بما فعل
الله تعالى والاستعانة طلب المعونة على الوجه الذي مر بيانه وتقديم المفعول فيهما لما ذكر من القصر والتخصيص كما في قوله تعالى
واياي فارهبون مع ما فيه من التعظيم والاهتمام به قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد
غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحد من العبادة والاستعانة ولابراز الاستلذاذ
بالمناجاة والخطاب وتقديم العبادة لما انها من مقتضيات مدلول الاسم الجليل وان ساعده الصفات
الجارية عليه ايضا واما الاستعانة فمن الاحكام المبنية على الصفات المذكورة ولان العبادة من حقوق
الله تعالى والاستعانة من حقوق المستعين ولان العبادة واجبة حتما والاستعانة تابعة للمستعان فيه
في الوجوب وعدمه وقيل لان تقديم الوسيلة على المسؤول ادعى الى الاجابة والقبول هذا على تقدير
كون اطلاق الاستعانة عن المفعول فيه ليتناول كل مستعان فيه كما قالوا وقد قيل انه لما كان المسؤول
هو المعونة في العبادة والتوفيق لاقامة مراسمها على ما ينبغي وهو اللائق بشأن التنزيل والمناسب لحال
الحامد فان استعانته مسبوقة بملاحظة فعل من افعاله ليستعينه تعالى في ايقاعه ومن ضرورته عند
استغراقه في ملاحظة شؤونه تعالى واشتغاله باداء ما يوجبه تلك الملاحظة من الحمد والثناء لا يكاد يخطر
بباله من افعاله واحواله الا الاقبال الكلي عليه والتوجه التام اليه ولقد فعل ذلك بتخصيص العبادة به
تعالى اولا وباستدعاء الهداية الى ما يوصل اليه آخرا فكيف يتصور ان يشتغل فيما بينهما بما لا يعنيه من امور
دنياه او بما يعمها وغيرها كانه قيل واياك نستعين في ذلك فانا عن اداء حق الحمد على الحمد له بمعونة منك عاجز غاية
منك فوجه الترتيب حينئذ واضح وفيه من الاشعار بعلو رتبة عبادته تعالى وعزة منالها وبكونها عند العبد
اشرف المباغي والمقاصد وبكونها من مواهبه تعالى لا من افعال نفسه ومن الاعلام بما يعقبه من الابتغاء ما لا يخفى
وقيل الواو للحال اي اياك نعبد مستعينين بك وايثار صيغة التكلم مع الغير في الفعلين للايذان بقصور نفسه
وعدم لياقته بالوقوف في مواقف الكبرياء منفردا وعرض العبادة واستدعاء المعونة والهداية مستقلا
وان ذلك انما يتصور من عصابة هو من جملتهم وجماعة هو من زمرتهم كما هو ديدن الملوك او للاشعار
باشتراك سائر الموحدين له في الحالة العارضة له على تعاضد الادلة الملجئة الى ذلك وقرئ نستعين

بكسر النون على لغة بني تميم اهدنا الصراط المستقيم افراد لمعظم افراد المعونة المسؤولة
بالذكر وتعيين لما هو الاهم او بيان لها كانه قيل كيف اعينكم فقيل اهدنا والهداية دلالة بلطف
على ما يوصل الى البغية ولذلك اختصت بالخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على التهكم
والاصل تعديته بالى واللام كما في قوله عز وجل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق
فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وعليه قوله تعالى لنهدينهم سبلنا وهداية الله
تعالى مع تنوعها الى انواع لا تكاد تحصر منحصرة في اجناس مترتبة منها انفسية كافاضة القوى
الطبيعية الحيوانية التي بها يصدر عن المرء افاعيله الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة
والباطنة التي بها يتمكن من اقامة مصالحه المعاشية والمعادية ومنها آفاقية فاما تكوينية
معربة عن الحق بلسان الحال وهي نصب الادلة المودعة في كل فرد من افراد العالم حسبما لوح به
فيما سلف واما تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الاحكام النظرية والعملية بلسان المقال بارسال الرسل
وانزال الكتب المنطوية على فنون الهدايات التي من جملتها الارشاد الى مسالك الاستدلال بتلك الادلة
التكوينية الآفاقية والانفسية والتنبيه على مكانها كما اشير اليه مجملا في قوله تعالى وفي الارض
آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي قوله عز وعلا ان في اختلاف الليل والنهار وما
خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ومنها الهداية الخاصة وهي كشف الاسرار
على قلب المهدي بالوحي او بالالهام ولكل مرتبة من هذه المراتب صاحب ينتحيها وطالب يستدعيها
والمطلوب اما زيادتها كما في قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى واما الثبات عليها كما روي
عن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا ولفظ الهداية على الوجه الاخير مجاز قطعا واما على الاول
فان اعتبر مفهوم الزيادة داخلا في المعنى المستعمل فيه كان مجازا ايضا وان اعتبر خارجا عنه مدلولا
عليه بالقرائن كان حقيقة لان الهداية الزائدة هداية كما ان العبادة الزائدة عبادة فلا يلزم
الجمع بين الحقيقة والمجاز وقرئ ارشدنا والصراط الجادة واصله السين قلبت صادا لمكان الطاء
كمصيطر في مسيطر من سرط الشيء اذا ابتلعه سميت به لانها تسترط السابلة اذا سلكوها كما سميت
لقما لانها تلتقمهم وقد تشم الصاد صوت الزاي تحريا للقرب من المبدل منه وقد قرئ بهن جميعا
وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام وجمعه صرط ككتاب وكتب
وهو كالطريق والسبيل في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وهي الملة
الحنيفية السمحة المتوسطة بين الافراط والتفريط صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول
بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التاكيد والتنصيص
على ان طريق الذين انعم الله عليهم وهم المسلمون هو العلم في الاستقامة والمشهود له بالاستواء
بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم الا اليه واطلاق الانعام لقصد الشمول فان نعمة
الاسلام عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد حاز بحذافيرها وقيل المراد بهم الانبياء عليهم
السلام ولعل الاظهر انهم المذكورون في قوله عز وعلا فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين بشهادة ما قبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطا مستقيما وقيل

هم أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل النسخ والتحريف وقرئ صراط من أنعمت عليهم والإنعام إيصال
النعمة وهي في الأصل الحالة التي يستلذها الإنسان من النعمة وهي اللين ثم أطلقت على ما يستلذ من
من طيبات الدنيا ونعم الله تعالى مع استحالة إحصائها ينحصر أصولها في دنيوي وأخروي والأول قسمان
موهبي وكسبي والموهبي أيضا قسمان روحاني كنفخ الروح فيه وإمداده بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة
فإنها مع كونها من قبيل الهدايات نعم جليلة في أنفسها وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات
العارضة له من الصحة وسلامة الأعضاء والكسبي تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالأخلاق السنية
والملكات البهية وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المرضية وحصول الجاه والمال والثاني مغفرة ما فرط منه
والرضى عنه وتبوئته في أعلى عليين مع الملائكة المقربين والمطلوب هو القسم الأخير وما هو ذريعة إلى نيله من القسم الأول
اللهم ارزقنا ذلك بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة غير المغضوب عليهم ولا الضالين صفة للموصول على أنه
عبارة عن إحدى الطوائف المذكورة المشهورة بالإنعام عليهم وباستقامة المسلك ومن ضرورة هذه الشهرة شهرتهم
بالمغايرة لما أضيف إليه كلمة غير من المتصفين بضدي الوصفين المذكورين أعني مطلق المغضوب عليهم والضالين فاكتسب
بذلك تعرفا مصححا لوقوعها صفة للمعرفة كما في قولك عليك بالحركة غير السكون وصفوا بذلك تكملة لما قبله
وإيذانا بأن السلامة مما ابتلي به أولئك نعمة جليلة في نفسها أي الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي نعمة
الإيمان ونعمة السلامة من الغضب والضلال وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين لا بأعيانهم فيكون
بمعنى النكرة كذي اللام إذا أريد به الجنس في ضمن بعض الأفراد لا بعينه وهو المسمى بالمعهود الذهني وبالمغضوب
عليهم والضالين اليهود والنصارى كما ورد في مسند أحمد والترمذي فيبقى لفظ غير على إبهامه نكرة مثل موصوفه
وأنت خبير بأن جعل الموصول عبارة عما ذكر من طائفة غير معينة مخل ببدليته مما أضيف إليه مما قبله فإن
مدارها كون صراط المؤمنين علما في الاستقامة مشهودا له بالاستواء على الوجه الذي تحققته فيما سلف من
أن ذلك من حيث إضافته وانتسابه إلى كلهم لا إلى بعض مبهم منهم وبهذا تبين أن لا سبيل إلى جعل غير المغضوب
عليهم بدلا من الموصول لما عرفت من أن شأن البدل أن يفيد متبوعه مزيد تأكيد وتقرير وفضل إيضاح وتفسير
ولا ريب في أن قصارى أمر ما نحن فيه أن يكتسب مما أضيف إليه نوع تعرف مصحح لوقوعه صفة للموصول
وأما استحقاق أن يكون مقصودا بالنسبة مفيدا لما ذكر من الفوائد فكلا وقرئ بالنصب على الحال والعامل أنعمت
أو على المدح أو على الاستثناء إن فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب هيجان النفس لإرادة الانتقام وعند إسناده
إلى الله سبحانه يراد به غايته بطريق إطلاق اسم السبب بالنسبة إلينا على مسببه القريب إن أريد به إرادة الانتقام
وعلى مسببه البعيد إن أريد به نفس الانتقام ويجوز حمل الكلام على التمثيل بأن يشبه الهيئة المنتزعة من سخطه
تعالى للعصاة وإرادة الانتقام منهم لمعاصيهم بما ينتزع من حال الملك إذا غضب على الذين عصوه وأراد
أن ينتقم منهم ويعاقبهم وعليهم مرتفع بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن إسناد الغضب إليه تعالى
كالإنعام جرى على منهاج الآداب التنزيلية في نسبة النعم والخير إليه عز وجل دون أضدادها كما في قوله
تعالى الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين وقوله تعالى وإنا لا ندري
أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا ولا مزيدة لتأكيد ما أفاده غير من معنى النفي كأنه قيل
لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز أنا زيدا غير ضارب جواز أنا زيدا لا ضارب وإن امتنع

امتنع أنا زيدا مثل ضارب والضلال هو العدول عن الصراط السوي وقرئ وغير الضالين وقرئ ولا الضألين
بالهمزة على لغة من جد في الهرب عن التقاء الساكنين آمين اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل بني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وفيه لغتان
مد ألفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال أمين فزاد الله ما بيننا بعدا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال إنه كالختم على الكتاب وليس من القرآن وفاقا لكن
يسن ختم السورة الكريمة بها والمشهور عن أبي حنيفة رحمه الله أن المصلي يأتي بها مخافتة وعنه أنه لا يأتي بها
الإمام لأنه الداعي وعن الحسن رحمه الله مثله ويروي الإخفاء عبد الله بن مغفل وأنس بن مالك عن النبي صلى الله
عليه وسلم وعند الشافعي يجهر بها لما روي عن وائل بن حجر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ ولا الضالين
قال آمين ورفع بها صوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي بن كعب ألا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة
والإنجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته
وعن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي
من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة

سورة البقرة . بسم الله الرحمن الرحيم

الم الألفاظ التي يعبر بها عن حروف المعجم التي من جملتها المقطعات المروية في فواتح السور الكريمة أسماء لها
لاندراجها تحت حد الاسم ويشهد به ما يعتريها من التعريف والتنكير والجمع والتصغير وغير ذلك من خصائص الاسم
وقد نص على ذلك أساطين أئمة العربية وما وقع في عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة
وأما ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة
والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف وفي رواية الترمذي والدارمي
لا أقول الم حرف ذلك الكتاب حرف ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف والذال حرف والكاف حرف
فلا تعلق له بما نحن فيه قطعا فإن إطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف جديد اخترعه أئمة الصناعة
وإنما الحرف عند الأوائل ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة تجوزا فأريد بالجواب الشريف
دفع توهم التجوز وزيادة تعيين إرادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك أن الحسنة الموعودة ليست بعدد الكلمات
القرآنية بل بعدد حروفها المكتوبة في المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب الله دون كلام الله أو القرآن وليس هذا
من تسمية الشيء باسم مدلوله في شيء كما قيل كيف لا والمحكوم عليه بالحرفية واستتباع الحسنة إنما هي المسميات البسيطة
الواقعة في كتاب الله عز وجل سواء عبر عنها بأسمائها أو بأنفسها كما في قولك السين مهملة والشين معجمة مثلثة
وغير ذلك مما لا يصدق المحمول إلا على ذات الموضوع لا أسماؤها المؤلفة كما إذا قلت الألف مؤلف من ثلاثة أحرف
فكما أن الحسنات في قراءة قوله تعالى ذلك الكتاب بمقابلة حروفه البسيطة وموافقة لعددها كذلك في قراءة قوله تعالى الم
بمقابلة حروفه الثلاثة المكتوبة وموافقة لعددها لا بمقابلة أسمائها الملفوظة وأن الألفاظ الموافقة في العدد لكن الحكم
بأن كلا منها حرف واحد مستلزم للحكم بأنه مستتبع لحسنة واحدة فالعبرة في ذلك بالمعبر عنه دون المعبر به ولعل السر فيه
أن استتباع الحسنة منوط بإفادة المعنى المراد بالكلمات القرآنية فحيث أن أسماء الكلمات الشريفة لا تفيد معانيها إلا بتلفظ

حروفها بانفسها كذلك الفواتح المكتوبة لا تفيد المعاني المقصودة بها الا بالتعبير عنها باسمائها فجعل ذلك تلفظا
بالمسميات كالقسم الاول من غير فرق بينهما الا ما يرى الحال في الرواية الاخيرة من قوله عليه السلام والذال حرف والكاف
حرف كيف عبر عن طرفي ذلك باسميهما مع كونهما ملفوظين بانفسهما ولقد روعيت في هذه التسمية نكتة رائعة حيث جعل
كل مسمى لكونه من قبيل الالفاظ صدرا لاسمه ليكون هو المفهوم منه اولا تتأدى به خلا الالف حيث تعذر الابتداء
بها استعيرت مكانها الهمزة وهي معربة اذ لا مناسبة بينها وبين مبني الاصل لكنها ما لم تلها العوامل ساكنة الاعجاز
على الوقف كاسماء الاعداد وغيرها حيث خلت عن العوامل ولذلك قيل صاد وقاف مجموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل
معاملة اين وكيف وهؤلاء ولو وليها عامل مسها الاعراب وقصر ما آخره الف عند التهجي لابتغاء الخفة لا لان
وزانه وزان لا تقصر تارة فتكون حرفا وتمد اخرى فتكون اسما لها كما في قول حسان رضي الله عنه ما قال لا قط الا في تشهده
لولا التشهد لم تسمع له لاء • هذا وقد تكلموا في شأن هذه الفواتح الكريمة وما اريد بها فقيل انها من العلوم المستورة
والاسرار المحجوبة روي عن الصديق رضي الله تعالى عنه انه قال في كل كتاب سر وسر القرآن اوائل السور وعن علي رضي الله
تعالى عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال عجزت العلماء
عن ادراكها وسئل الشعبي عنها فقال سر الله عز وجل فلا تطلبوه وقيل انها اسماء الله تعالى وقيل كل حرف منها
اشارة الى اسم من اسمائه تعالى او صفة من صفاته تعالى وقيل انها صفات الافعال الالف الاؤه واللام لطفه والميم مجده
وملكه قاله محمد بن كعب القرظي وقيل انها من قبيل الحساب وقيل الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي انزل
الله الكتاب بواسطة جبريل على محمد وقيل هي اقسام من الله تعالى بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها اصول اللغات
ومبادي كتبه المنزلة ومباني اسمائه الكريمة وقيل اشارة الى انتهاء كلام وابتداء كلام آخر وقيل وقيل والذي
عليه التعويل اما كونها اسماء للسور المصدرة بها وعليه الاكثر واليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا سميت بها ايذانا
بانها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ فلولا انه وحي من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته
ويقرب منه ما قاله الكلبي والسدي وقتادة من انها اسماء للقرآن والتسمية بثلاثة اسماء فصاعدا انما تستنكر
في لغة العرب اذا ركبت وجعلت اسما واحدا كما في حضرموت فاما اذا كانت منثورة فلا استنكار فيها والمسمى هو
المجموع لا الفاتحة فقط حتى يلزم اتحاد الاسم والمسمى غاية الامر دخول الاسم في المسمى ولا محذور فيه كما لا محذور
في عكسه حسبما حققته آنفا وانما كتبت في المصاحف صور المسميات دون صور الاسماء لانه ادل على كيفية التلفظ بها
وهو ان يكون على نهج التهجي دون التركيب ولان فيه سلامة عن التطويل لا سيما في الفواتح الخماسية على ان خط المصحف
مما لا يناقش فيه بمخالفة القياس واما كونها مسرودة على نمط التعديد واليه جنح اهل التحقيق قالوا انما وردت
هكذا ليكون ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها لهم على انه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه خارج
عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لما تضاءلت قوتهم ولا تساقطت قدرتهم وهم فرسان
حلبة الحوار وامراء الكلام في نادي الفخار دون الاتيان بما يدانيه فضلا عن المعارضة بما يساويه مع تظاهرهم
في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة او ليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب من الغرابة
انموذجا لما في الباقي من فنون الاعجاز فان النطق بانفس الحروف في تضاعيف الكلام وان كان على طرف الثمام
يتناوله الخواص والعوام من الاعراب والاعجام لكن التلفظ باسمائها انما يتأتى ممن درس وخط واما ممن
لم يحم حول ذلك قط فاعز من بيض الانوق وابعد من مناط العيوق لا سيما اذا كان على نمط عجيب

واسلوب غريب منبئ عن سر سري مبني على نهج عبقري بحيث يحار في فهمه ارباب العقول ويعجز عن
ادراكه الباب الفحول كيف لا وقد روعيت تلك الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على
نصفها تقريبا بحيث ينطوي على انصاف اصنافها تحقيقا او تقريبا كما يتضح عند الفحص والتنقير حسبما فصله
بعض افاضل ائمة التفسير فسبحان من دقت حكمته عن ان تطالعها الانظار وجلت قدرته عن ان ينالها
ايدي الافكار وايراد بعضها فرادى وبعضها ثنائية الى الخماسية جرى على عادة الافتنان مع مراعاة ابنية الكلم
وتفريقها على السور دون ايراد كلها مرة لذلك ولما في التكرير والاعادة من زيادة افادة وتخصيص كل منها
بسورة انما لاسباب لها مطالبة بوجهه وعد بعضها آية دون بعض مبني على التوقيف البحت اما الم فآية حيثما وقعت
وقيل في آل عمران ليست بآية والمص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في شيء من سورها الخمس وطسم آية في
سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وكهيعص آية وحمعسق آيتان
وص وق ون لم تعد واحدة منها آية هذا على رأي الكوفيين وقد قيل ان جميع الفواتح آيات عند بعضهم في
السور كلها بلا فرق بينها واما من عداهم فلم يعدوا شيئا منها آية ثم انها على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد
لا تشم رائحة الاعراب ويوقف عليها وقف التمام وعلى تقدير كونها اسماء للسور او للقرآن كان لها حظ منه
اما الرفع على الابتداء او على الخبرية واما النصب بفعل مضمر كاذكر او بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن
واما الجر بتقدير حرفه حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه النظام ولا وقف فيما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ
بالكل على وجه الحكاية ساكنة الاعجاز الا ان ما كانت منها مفردة مثل ص وق ون يتأتى فيها الاعراب
اللفظي ايضا وقد قرئت بالنصب على اضمار فعل اي اذكر او اقرأ صاد وقاف ونون وانما لم تنون لامتناع
الصرف وكذا ما كانت منها موازنة لمفرد نحو حم ويس وطس الموازنة لقابيل وهابيل حيث اجاز سيبويه
فيها مثل ذلك قال في باب اسماء السور من كتابه وقد قرأ بعضهم ياسين والقرآن وقاف والقرآن فكأنه جعله
اسما اعجميا ثم قال اذكر ياسين انتهى وحكى السيرافي ايضا عن بعضهم قراءة ياسين ويجوز ان يكون ذلك في
الكل تحريكا لالتقاء الساكنين ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعدها من القرآن والقلم محلوف بهما
وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد قبل انقضاء الاول وهو السر في جعل ما عدا الواو الاولى
في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى عاطفة لا مجال للعطف ههنا للمخالفة
بين الاول والثاني في الاعراب نعم يجوز ذلك بجعل الاول مجرورا باضمار الباء القسمية مفتوحا لكونه غير منصرف
وقرئ صاد وقاف بالكسر على التحريك لالتقاء الساكنين ويجوز في طاسين ميم ان تفتح نونها وتجعل من قبيل
دارابجرد ذكره سيبويه في كتابه واما ما عدا ذلك من الفواتح فليس فيها الا الحكاية وسيجيء تفاصيل
سائر احكامها كل منها مشروحة في موقعها بإذن الله عز سلطانه اما هذه الفاتحة الشريفة فان جعلت اسما للسورة
او للقرآن فمحلها الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا الم اي مسمى به وانما صحت الاشارة اليه
بعضا او كلا مع عدم سبق ذكره لانه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا
ما اشترى فلان واما على انه مبتدأ اي المسمى به والاول هو الاظهر لان ما يجعل عنوان الموضوع حقه ان يكون
قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها وادعاء شهرتها
يأباه التردد في ان المسمى هي السورة او كل القرآن ذلك ذا اسم اشارة واللام عماد جيء به للدلالة على بعد المشار اليه

والكاف للخطاب والمشار اليه هو المسمى فانه منزل منزلة المشاهد بالحس البصري وما فيه من معنى البعد مع قرب
العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه وكونه في الغاية القاصية من الفضل والشرف اثر تنويهه بذكر اسمه وما قيل
من انه بالحساب المنقضي او باعتبار الوصول من المرسل الى المرسل اليه في حكم المتباعد وان كان صحيحا الا ان ايراده لكنه بمعزل
من ترجيحه على ايراد ما وضع للاشارة الى القريب وتذكيره على تقدير كون المسمى هي السورة لان المشار اليه هو المسمى
بالاسم المذكور من حيث هو مسمى به لا من حيث هو مسمى بالسورة وان لم يرجع على اعتبار الحيثية الثانية في لا وبناء
على ان التسمية لتمييز السور بعضها من بعض فذلك لتذكير ما بعده وهو على الوجه الاول مبتدأ على حدة وعلى الوجه الثاني
مبتدأ ثان وقوله عز وعلا الكتاب اما خبره او صفته اما اذا كان خبرا له فالجملة على الوجه الاول مستانفة
مؤكدة لما افادته الجملة الاولى من نباهة شان المسمى لا محل لها من الاعراب وعلى الوجه الثاني في محل الرفع على انها خبر للمبتدأ
الاول واسم الاشارة مغن عن الضمير الرابط والكتاب اما مصدر سمي به المفعول مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق
والمصور واما فعال بني للمفعول كاللباس من الكتب الذي هو ضم الحروف بعضها الى بعض واصله الجمع والضم في الامور
البادية للحس البصري ومنه الكتيبة للعسكر كما ان اصل القراءة الجمع والضم في الاشياء الخافية عليه ثم اطلق الكتاب
على المنظوم عبارة لما انه من الكتابة والمراد به على تقدير كون المسمى هي السورة جميع القرآن الكريم وان لم يتم تنزيله
عند نزول السورة اما باعتبار تحققه في علم الله عز وجل او باعتبار ثبوته في اللوح او باعتبار نزوله جملة الى السماء
الدنيا حسبما ذكر في فاتحة الفاتحة واللام للعهد والمعنى ان هذه السورة هو الكتاب اي الكامل القصوى منه
كانه في احراز الفضل كل الكتاب المعهود الغني عن الوصف بالكمال لاشتهاره فيما بين الكتب على طريقة قوله عليه السلام
الحج عرفة وعلى تقدير كون المسمى كل القرآن فالمراد بالكتاب الجنس واللام للحقيقة والمعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل
الحقيق بان يخص باسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كان ما عداه من الكتب السماوية
خارج منه بالنسبة اليه كما يقال هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضي الخصال
وعليه قول من قال "هم القوم كل القوم يا ام خالد" فالمدح كما ترى من جهة حصر كمال الجنس في فرد من افراده وفي
الصورة الاولى من جهة حصر كمال الكل في الجزء ولا مساغ هنا لحمل الكتاب على الجنس لما ان فرده المعهود هو مجموع
القرآن المقابل لسائر افراده من الكتب السماوية لا بعضه الذي يطلق عليه اسم الكتاب باعتبار كونه جزءا
لهذا الفرد لا باعتبار كونه جزئيا للجنس على حياله ولا ان حصر الكمال في السورة مشعر بنقصان سائر السور والمراد
الحصر بالنسبة اليها بتحقق المغايرة بينهما هذا على تقدير كون الكتاب خبرا لذلك واما اذا كان صفة له فذلك الكتاب
على تقدير كون الم خبر مبتدأ محذوف اما خبر ثان او بدل من الخبر الاول ومبتدأ مستقل خبره ما بعده وعلى تقدير
كونه مبتدأ اما خبر له ومبتدأ ثان خبره ما بعده والجملة خبر للمبتدأ الاول والمشار اليه على كلا التقديرين هو المسمى
سواء كان هي السورة او القرآن ومعنى البعد ما ذكر من الاشعار بعلو شانه والمعنى ذلك الكتاب العجيب الشان
البالغ اقصى مراتب الكمال وقيل المشار اليه هو الكتاب الموعود فمعنى البعد حينئذ ظاهر خلا انه ان كان المسمى هي السورة
ينبغي ان يراد بالموعود ما في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا كما قيل وان كان هو القرآن فهو ما في التوراة
والانجيل هذا على تقدير كون الم اسما للسورة او للقرآن واما على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد فذلك
مبتدأ والكتاب اما خبره او صفته والخبر ما بعده على نحو ما سلف او يقدر مبتدأ اي المؤلف من هذه الحروف ذلك
الكتاب وقرئ الم تنزيل الكتاب وقوله تعالى لا ريب فيه اما في محل الرفع على انه خبر لذلك الكتاب على الصورة

المذكورة او على انه خبر ثان لالم او لذلك على تقدير كون الكتاب خبره او للمبتدأ المقدر آخرا على راي من يجوز
كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى واما في محل النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل
معنى الاشارة واما جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مؤكدة لما قبلها وكلمة لا نافية للجنس مفيدة للاستغراق عاملة
عمل ان لحملها عليها لكونها نقيضا لها ولازمة للاسماء لزومها واسمها مبني على الفتح لكونه مفردا نكرة لا مضافا
ولا شبيها به واما ما ذكره الزجاج من انه معرب وانما حذف التنوين للتخفيف فمما لا تعويل عليه وسبب بنائه تضمنه
لمعنى من الاستغراقية لا انه مركب معها تركيب خمسة عشر كما توهم وخبرها محذوف اي لا ريب موجود ونحوه
كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله والظرف صفة لاسمها ومعناه نفي الكون المطلق وسلبه عن الريب
المفروض في الكتاب او الخبر هو الظرف ومعناه سلب الكون فيه عن الريب المطلق وقد جعل الخبر المحذوف ظرفا لغوا وجعل
المذكور خبرا لما بعده وقرئ لا ريب فيه على ان لا بمعنى ليس والفرق بينه وبين الاول ان ذلك موجب للاستغراق
وهذا مجوز له والريب في الاصل مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقتها قلق النفس واضطرابها ثم استعمل
في معنى الشك مطلقا او مع تهمة لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك
ومعنى نفيه عن الكتاب انه في علو الشان وسطوع البرهان بحيث ليس فيه مظنة ان يرتاب في حقيته وكونه وحيا
منزلا من عند الله تعالى لا انه لا يرتاب فيه احد اصلا الا يرى كيف جوز ذلك في قوله تعالى وان كنتم في ريب مما
نزلنا الاية فانه في قوة ان يقال وان كان لكم ريب فيما نزلنا او ان ارتبتم فيما نزلنا الاية الا انه خولف في الاسلوب
حيث فرض كونهم في الريب لا كون الريب فيه لزيادة تنزيه ساحة التنزيل عنه مع نوع اشعار بان ذلك من جهتهم لا
من جهته العالية ولم يقصد هنا ذلك الاشعار كما لم يقصد الاشعار بثبوت الريب في سائر الكتب ليقتضي المقام
تقديم الظرف كما في قوله تعالى لا فيها غول هدى مصدر من هداه كالسرى والبكى وهو الدلالة بلطف
على ما يوصل الى البغية اي ما من شانه ذلك وقيل هي الدلالة الموصلة اليها بدليل وقوع الضلالة في
مقابلته في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
ولا شك في ان عدم الوصول معتبر في مفهوم الضلال فيعتبر الوصول في مفهوم مقابله ومن ضرورة اعتباره فيه
اعتباره في مفهوم الهدى المتعدي اذ لا فرق بينهما الا من حيث التاثير والتاثر ومحصله ان الهدى المتعدي هو
التوجيه الموصل لان اللازم هو التوجه الموصل بدليل ان مقابله الذي هو الضلال توجه غير موصل قطعا
وهذا كما ترى مبني على امرين اعتبار الوصول وجوبا في مفهوم اللازم واعتبار وجود اللازم وجوبا في
مفهوم المتعدي وكلا الامرين بمعزل من الثبوت اما الاول فلان مدار التقابل بين الهدى والضلال
ليس هو الوصول وعدمه على الاطلاق بل هما معتبران في مفهوميهما على وجه مخصوص به يتحقق التقابل بينهما
وتوضيحه ان الهدى لا بد فيه من اعتبار توجه عن علم الى ما من شانه الايصال الى البغية كما ان الضلال
لا بد فيه من اعتبار الجور عن القصد الى ما ليس من شانه الايصال قطعا وهذه المرتبة من الاعتبار مسلمة بين الفريقين
محققة للتقابل بينهما وانما النزاع في ان امكان الوصول الى البغية هل هو كاف في تحصيل مفهوم الهدى
او لا بد فيه من خروج الوصول من القوة الى الفعل كما ان عدم الوصول بالفعل معتبر في مفهوم الضلال قطعا
اذا تقرر هذا فنقول ان اريد باعتبار الوصول بالفعل في مفهوم الهدى اعتباره مقارنا له في الوجود زمانا
حسب اعتبار عدمه في مفهوم مقابله فذلك بين البطلان لان الوصول غاية للتوجه المذكور فيمتنع تحققه قطعا

لاستحالة التوجه الى تحصيل الحاصل وما يبقى بعد ذلك فهو اما توجه الى الثبات عليه واما توجه الى زيادته
ولان التوجه الى المقصد تدريجي والوصول اليه دفعي يستحيل اجتماعهما في الوجود ضرورة واما عدم الوصول
فحيث كان امرا مستمرا مشتملا لما يقتضيه من الضلال وجب مقارنته له في جميع ازمنة وجوده اذ لو فارقه في آن من
آنات تلك الازمنة لفارقه في ذلك الآن مقابله الذي هو الوصول فما فرضناه ضلالا لا يكون ضلالا
وان اريد اعتباره من حيث انه غاية له واجبة الترتب عليه فلزم ان يكون التوجه المقارن لغاية الجد في السلوك
الى ما من شانه الوصول عند تخلفه عنه لمانع خارجي كاخترام المنية مثلا من غير تقصير ولا تجوز من قبل المتوجه
ولا خلل من جهة المسالك ضلالا اذ لا واسطة بينهما مع انه لا تجوز فيه عن القصد اصلا فبطل اعتبار وجود
الوصول في مفهوم اللازم قطعا وتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدي حتما واما اعتبار وجود اللازم
فيه وجوبيا وهو الذي كنا في بيانه فنقول على تمهيد اصل وهو ان الفاعل حقيقة هو الذي يصدر عنه
ويتم من قبله بحيث لا يكون له في تحققه بنفسه بعد من تعلقه بمفعوله اعتبر ذلك في مدلول اسمه قطعا ثم لما
كان له باعتبار كيفية صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله وغير ذلك آثار شتى مترتبة عليه متمايزة
في انفسها مستقلة باحكام مقتضية لافرادها باسماء خاصة وعرض له بالقياس الى كل اثر من تلك الآثار
اضافة خاصة ممتازة عما عداها من الاضافات العارضة له بالقياس الى سائرها وكانت تلك الآثار تابعة
له في التحقق غير منفكة عنه اصلا اذ لا مؤثر لها سوى فاعله عدت من متمماته واعتبرت الاضافة العارضة له
بحسبها داخلة في مدلوله كالاعتماد المتعلق بالجسم مثلا وضع له باعتبار الاضافة العارضة له من انكسار
ذلك الجسم الذي هو اثر خاص له ذلك الاعتماد اسم الكسر وباعتبار الاضافة العارضة له من انقطاعه الذي
هو اثر آخر له اسم القطع الى غير ذلك من الاضافات العارضة له بالقياس الى آثاره اللازمة له وهذا امر مطرد
في آثاره الطبيعية واما الآثار التي له مدخل في وجودها في الجملة من غير ايجابها تترتب عليه تارة وتفارقه اخرى
بحسب وجود اسبابها الموجبة لها وعدمها كالآثار الاختيارية الصادرة عن مؤثراتها بواسطة كونه داعيا
اليها فحيث كانت مستقلة في انفسها مستندة الى مؤثراتها غير لازمة له لزوم الآثار الطبيعية التامة لم تعد
من متمماته ولم تعتبر الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله كالاضافة العارضة للامر بحسب امتثال
المامور والاضافة العارضة للدعوة بحسب اجابة المدعو فان الامتثال والاجابة وان عدا من آثار الامر
والدعوة باعتبار ترتبهما عليهما غالبا لكنهما حيث كانا فعلين اختياريين للمامور والمدعو مستقلين في انفسهما
غير لازمين للامر والدعوة لم يعدا من متمماتهما ولم يعتبر الاضافة العارضة لهما بحسبهما داخلة في مدلول
اسمي الامر والدعوة اسميهما بل جعلا عبارة عن نفس الطلب المتعلق بالمامور والمدعو سواء وجد الامتثال
والاجابة او لا اذا تمهد هذا فنقول كما ان الامتثال والاجابة فعلان مستقلان في انفسهما صادران عن المامور
والمدعو باختيارهما غير لازمين للامر والدعوة لزوم الآثار الطبيعية التابعة للافعال الموجبة لها وان كانا
مترتبين عليهما في الجملة كذلك الهدى المتعدي اي توجه المهتدي الى ما ذكر من المسالك فعل مستقل له صادر عنه باختياره
غير لازم للهداية اعني التوجيه المذكور وما ذكر من الآثار الطبيعية وان كان مترتبا عليها في الجملة فلما لم يعد
من متممات الامر والدعوة ولم يعتبر الاضافة العارضة لهما بحسبهما داخلة في مدلولهما علم انه لم يعد الهدى من
متممات الهداية ولم يعتبر الاضافة العارضة لها بحسبه داخلة في مدلولها ان قيل ليس الهدى بالنسبة الى الهداية

الامتثال والاجابة

الهداية كالامتثال والاجابة بالقياس الى اصليهما فان تعلق الامر والدعوة بالمامور والمدعو لا يقتضي
الا اتصافهما بكونهما مامورا ومدعوا او يصح ضرورة اتصافهما بالامتثال والاجابة لذلك لا تلازم بينهما
وبين الاولين اصلا بخلاف الهدى بالنسبة الى الهداية فان تعلقها بالمهتدي يقتضي اتصافه به لان تعلق الفعل
المتعدي المبني للفاعل بمفعوله يدل على اتصافه بمصدره المأخوذ من المبني للمفعول قطعا وهو مستلزم لاتصافه
بمصدر الفعل اللازم وهل هو الا اعتبار وجود اللازم في مدلول المتعدي حتما قلنا كما ان تعلق الامر والدعوة
بالمامور والمدعو لا يستدعي الا اتصافهما بما ذكر من غير تعرض للامتثال والاجابة ايجابا وسلبا كذلك
تعلق الهداية التي هي عبارة عن الدلالة المذكورة بالمهدي لا يستدعي الا اتصافه بالمدلولية التي هي عبارة
عن المصدر المأخوذ من المبني للمفعول من غير تعرض لقبوله لتلك الدلالة كما هو معنى الهدى اللازم ولا لعدم
قبوله بل الهداية غير الدعوة الى طريق الحق والاهتداء غير الاجابة فكيف يدخل في مدلولها واستلزام
الاتصاف بمصدر الفعل المتعدي المبني للمفعول للاتصاف بمصدر الفعل اللازم مطلقا انما هو في الافعال
الطبيعية كالمكسورية والانكسار والمقطوعية والانقطاع واما الافعال الاختيارية فليست كذلك
كما حققته فيما سلف ان قيل التعلم من قبيل الافعال الاختيارية مع انه معتبر في مدلول التعليم قطعا فليكن
الهدى مع الهداية كذلك قلنا ليس ذلك لكونه فعلا اختياريا على الاطلاق ولا لكون التعليم عبارة عن
تحصيل العلم للمتعلم كما قيل فان العلم ليس بمستقل في ذلك ففي اسناده اليه ضرب تجوز بل لان كلا منهما مفتقر في
تحققه وتحصله الى الآخر فان التعليم عبارة عن القاء المبادي العلمية على المتعلم وسوقها الى ذهنه شيئا فشيئا
على ترتيب تقتضيه الحال بحيث لا يساق اليه بعض منها الا بعد تلقيه لبعض آخر فكل منهما متمم للآخر معتبر في
مدلوله واما الهدى الذي هو عبارة عن التوجه المذكور ففعل اختياري مستقل به فاعله لا دخل للهداية فيه
سوى كونها داعية الى ايجاده باختياره فلم يعد من متمماتها ولا معتبرا في مدلولها ان قيل التعليم نوع من انواع
الهداية والتعلم نوع من انواع الاهتداء فيكون اعتباره في مدلول التعليم اعتبارا للهدى في مدلول الهداية
قلنا اطلاق الهداية على التعليم انما هو عند وضوح المسالك واستبداد المتعلم بسلوكه من غير دخل للتعليم فيه
سوى كونه داعيا اليه وقد عرفت جلية الامر على ذلك التقدير ان قيل ليس تخلف الهدى عن الهداية كتخلف
التعلم عن التعليم بحيث لا يكون ذلك تعليما في الحقيقة فليكن الهداية ايضا كذلك ولهذا لم يسمها الا ينتج
الهدى على النجح قلنا شتان بين التخلفين فان تخلف التعلم عن التعليم يكون لقصور فيه كما ان تخلف الانكسار
عن الضرب الضعيف لذلك واما تخلف الهدى عن الهداية فليس لشائبة قصور من جهتها بل انما هو لفقد سببه
الموجب له من جهة المهتدي بعد تكامل ما يتم من قبل الهادي وبهذا التحرير اتضح طريق الهداية وتبين انها عبارة
عن مطلق الدلالة على ما من شانه الايصال الى البغية بتعريف معالمه وتبيين مسالكه من غير ان يشترط في
الوصول والقبول ولا ان يراد الدلالة المقارنة لهما او لاحدهما والمفارقة عنهما كل ذلك مع قطع النظر عن
قيد المقارنة وعدمها افراد حقيقية لها واما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت وقوله تعالى ولو شئنا
لهديكم ونحو ذلك مما اعتبر فيه الوصول من قبيل المجاز والاكتفاء من الدلالة التكوينية المنصوبة في الانفس
والآفاق والبيانات التشريعية الواردة في الكتب السماوية على الاطلاق بالنسبة الى كافة البرية
برها وفاجرها هدايات حقيقية فائضة من عند الله سبحانه والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي

لولا أن هدانا الله للمتقين أي الصائرين إلى التقوى حالاً أو مآلاً وتخصيص الهدى بهم لما أنهم المقتبسون من أنواره
المنتفعون بآثاره وإن كان ذلك شاملاً لكل ناظر من مؤمن وكافر وبذلك الاعتبار قال تعالى هدى للناس
والمتقي اسم فاعل من وقى فالاتقاء افتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة والتقوى في عرف الشرع عبارة عن كمال
التوقي عما يضره في الآخرة قال صلى الله عليه وسلم جماع التقوى في قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان
الآية وعن عمر بن عبد العزيز أنه ترك ما حرم الله وأداء ما فرض الله وعن شهر بن حوشب المتقي من يترك ما لا
بأس به حذراً من الوقوع فيما فيه بأس وعن أبي يزيد أن التقوى هو التورع عن كل ما فيه شبهة وعن محمد بن
حنيف أنه مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى وعن سهل المتقي من تبرأ عن حوله وقوته وقيل التقوى أن
لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك وعن ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقياً حتى يكون أشد محاسبة
لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر وعن أبي تراب بين يدي التقوى خمس عقبات لا ينالها من لا يجاوزهن
إيثار الشدة على النعمة وإيثار الضعف على القوة وإيثار الذل على العزة وإيثار الجهد على الراحة وإيثار
الموت على الحياة وعن بعض الحكماء أنه لا يبلغ الرجل سنام التقوى إلا أن يكون بحيث لو جعل ما في قلبه في
طبق فطيف به في السوق لم يستحي ممن ينظر إليه وقيل التقوى أن تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق
والتحقيق أن للتقوى ثلاث مراتب الأولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الكفر وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى
والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعني
بقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة أن يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل إليه بكليته
وهو التقوى الحقيقي المأمور به في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولهذه المرتبة عرض عريض
يتفاوت فيه طبقات أصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة الإلهية المبنية على
الحكم الأبية أقصاها ما انتهى إليه همم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث جمعوا بذلك بين رياستي النبوة
والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الأشباح عن العروج إلى معالم الأرواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح
الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية وهداية الكتاب
المبين شاملة لأرباب هذه المراتب أجمعين فإن أريد بكونه هدى للمتقين إرشاده إياهم إلى تحصيل المرتبة الأولى
فالمراد بهم المشارفون للتقوى مجازاً لاستحالة تحصيل الحاصل وإيثاره على العبارة المعربة عن ذلك للإيجاز
وتصدير السورة الكريمة بذكر أولياء الله تعالى وتفخيم شأنهم وإن أريد به إرشاده إلى تحصيل إحدى المرتبتين
الأخيرتين فإن عني بالمتقين أصحاب الطبقة الأولى تعينت الحقيقة وإن عني بهم أصحاب إحدى الطبقتين الأخيرتين
تعين المجاز لأن الوصول إليهما إنما يتحقق بهذا الهدى وكذا الحال فيما بين المرتبة الثانية والثالثة فإنه إن
أريد بالهدى الإرشاد إلى تحصيل المرتبة الثالثة فإن عني بالمتقين أصحاب المرتبة الثانية تعينت الحقيقة وإن عني
بهم أصحاب المرتبة الثالثة تعين المجاز ولفظ الهداية حقيقة في جميع الصور وأما إن أريد بكونه هدى لهم تثبيتهم
على ما هم عليه أو إرشادهم إلى الزيادة فيه على أن يكون مفهومها داخلاً في المعنى المستعمل فيه فهو مجاز لا محالة ولفظ
المتقين حقيقة على كل حال واللام متعلقة بهدى أو بمحذوف وقع صفة له أو حالاً منه ومحل هدى الرفع على
أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هو هدى أو خبر مع لا ريب فيه لذلك الكتاب أو مبتدأ خبره الظرف المقدم كما أشير إليه
أو النصب على الحالية من ذلك أو من الكتاب والعامل معنى الإشارة أو من الضمير في فيه والعامل ما في الجار والمجرور من

معنى الفعل المنفي كأنه قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه هادياً على أنه قيد للنفي لا للمنفي وحاصله انتفى
الريب فيه حال كونه هادياً وتنكيره للتفخيم وحمله على الكتاب إما للمبالغة كأنه نفس الهدى أو لجعل المصدر بمعنى
الفاعل هذا والذي يستدعيه جزالة التنزيل في شأن ترتيب هذه الجمل أن تكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة
ولذلك لم يتخلل بينها عاطف فالم جملة برأسها على أنه خبر لمبتدأ مضمر أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها
دالة على أن المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يؤلفون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي
لما دلت عليه من كونه منعوتاً بالكمال الفائق ثم تسجل على غاية فضله بنفي الريب فيه إذ لا فضل أعلى مما للحق واليقين
وهدى للمتقين مع ما يقدر له من المبتدأ جملة مؤكدة لكونه حقاً لا يحوم حوله شائبة شك ما ودالة على تكميله
بعد كماله أو يستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول فإنه لما نبه أولاً على إعجاز المتحدى
به من حيث إنه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته بالمرة ظهر أنه الكتاب البالغ أقصى مراتب الكمال وذلك
مستلزم لكونه في غاية النزاهة عن مظنة الريب إذ لا أنقص مما يعتريه الشك وما كان كذلك كان لا محالة
هدى للمتقين وفي كل منها من النكت الرائقة والمزايا الفائقة ما لا يخفى جلالة شأنه حسبما تحققته الذين
يؤمنون بالغيب إما موصول بالمتقين محله الجر على أنه صفة مقيدة له إن فسر التقوى بترك المعاصي فقط مترتبة
عليه ترتب التحلية على التخلية وموضحة إن فسر بما هو المتعارف شرعاً والمتبادر عرفاً من فعل الطاعات وترك
السيئات معاً لأنها حينئذ تكون تفصيلاً لما انطوى عليه اسم الموصوف إجمالاً وذلك لأنها مشتملة على ما هو عماد
الأعمال وأساس الحسنات من الإيمان والصلاة والصدقة فإنها أمهات الأعمال النفسانية والعبادات البدنية
والمالية المستتبعة لسائر القرب الداعية إلى التجنب عن المعاصي غالباً ألا يرى إلى قوله تعالى إن الصلاة تنهى عن
الفحشاء والمنكر وقوله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الإسلام أو مادحة للموصوفين بالتقوى
المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ما ذكر من الخصال الثلاث بالذكر لإظهار شرفها وإنافتها
على سائر ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات أو النصب على المدح بتقدير أعني أو الرفع عليه بتقدير هم وإما مفصول
عنه مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة باسم الإشارة كما سيأتي بيانه فالوقف على المتقين حينئذ وقف تام
لأنه وقف على مستقل ما بعده أيضاً مستقل وأما على الوجوه الأول فحسن لاستقلال الموقوف عليه غير تام
لتعلق ما بعده به وتبعيته له أما على تقدير الجر على الوصفية فظاهر وأما على تقدير النصب أو الرفع على المدح
فلما تقرر من أن المنصوب والمرفوع مدحاً وإن خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الإعراب
وبذلك سميا قطعاً لكنهما تابعان له حقيقة ألا يرى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع
روماً لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيهاً على شدة الاتصال بينهما قال أبو علي إذا ذكرت
صفات للمدح وخولف في بعضها الإعراب فقد خولف للافتنان أي التفنن الموجب لإيقاظ السامع وتحريكه إلى الجد
في الإصغاء فإن تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من
المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب إن قيل لا ريب في أن حال الموصول عند كونه خبراً لمبتدأ محذوف
كحاله عند كونه مبتدأ خبره أولئك على هدى في أنه يتسبك به جملة اسمية مفيدة لاتصاف المتقين بالصفات
الفاضلة ضرورة أن كلاً من الضمير المحذوف والموصول عبارة عن المتقين وأن كلاً من اتصافهم بالإيمان
وفروعه وإحرازهم للهدى والفلاح من النعوت الجليلة فما السر في أنه جعل ذلك في الصورة الأولى من توابع

المتقين وعند الوقف عليه تامة وفي الثانية مقتطعاً عنه وعند الوقف تاماً قلنا السر في ذلك أن المبتدأ في
الصورة تبين وإن كان عبارة عن المتقين لكون الخبر في الأولى لما كان تفصيلاً لما تضمنه المبتدأ إجمالاً حسبما تحققه معلوم
الثبوت له بلا اشتباه غير مفيد للسامع سوى فائدة التفصيل والتوضيح نظم ذلك في سلك الصفات مراعاة لجانب
المعنى وإن سمي قطعاً مراعاة لجانب اللفظ كيف لا وقد اشتهر في الفن أن الخبر إذا كان معلوم الانتساب إلى المخبر عنه
حقه أن يكون وصفاً له كما أن الوصف إذا لم يكن معلوم الانتساب إلى الموصوف حقه أن يكون خبراً له حتى قالوا إن
الصفات قبل العلم بها أخبار والأخبار بعد العلم بها صفات وأما الخبر في الثانية فحيث لم يكن كذلك بل كان
مشتملاً على ما لا ينبئ عنه المبتدأ من الكمالات اللائقة كما ستحيط به خبراً مفيداً للمخاطب فوائد رائقة جعل ذلك
مقتطعاً عما قبله محافظة على الصورة والمعنى جميعاً والإيمان إفعال من الأمن المتعدي إلى واحد يقال أمنته
وبالنقل يتعدى إلى اثنين يقال آمنتنيه ثم استعمل في التصديق لأن المصدق يؤمن المصدَّق أي يجعله
أميناً من التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء لتضمينه معنى الاعتراف وقد يطلقون على الوثوق فإن الواثق يصير
ذا أمن وطمأنينة ومنه ما حكي عن العرب ما آمنت أن أجد صحابة أي ما صرت ذا أمن وسكون وكلا الوجهين حسن ههنا
وهو في الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة أنه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة
والبعث والجزاء ونظائرها فهل هو كاف في ذلك أو لا بد من انضمام الإقرار إليه للتمكن منه والأول
رأي الشيخ الأشعري ومن تابعه فإن الإقرار عنده منشأ لإجراء الأحكام والثاني مذهب أبي حنيفة رحمه الله
ومن تابعه وهو الحق فإنه جعلهما جزئين له خلا أن الإقرار ركن محتمل للسقوط بعذر كما عند الإكراه وهو
مجموع ثلاثة أمور اعتقاد الحق والإقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن أخل
بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل بالإقرار فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق اتفاقاً وكافر عند الخوارج
وخارج عن الإيمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة وقرئ يومنون بغير همزة والغيب إما مصدر وصف به الغائب
مبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة أو فيعل خفف كقيل في قيّل وهين في هيّن وميت في ميّت
لكن لم يستعمل فيه الأصل كما استعمل في نظائره وأيّاً ما كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك
بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذي أريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح
الغيب لا يعلمها إلا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الأحكام والشرائع
واليوم الآخر وأحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا فالباء صلة للإيمان إما بتضمينه
معنى الاعتراف أو بجعله مجازاً عن الوثوق وهو واقع موقع المفعول به وإما مصدر على حاله كالغيبة فالباء
متعلقة بمحذوف وقع حالاً من الفاعل كما في قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله تعالى ليعلم أني لم أخنه بالغيب
أي يؤمنون متلبسين بالغيبة إما عن المؤمن به أي غائبين عن النبي صلى الله عليه وسلم غير مشاهدين لما فيه من
شواهد النبوة لما روي أن أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه ذكروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانهم
فقال رضي الله عنه إن أمر محمد كان بيّناً لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب ثم تلا
هذه الآية وإما عن الناس أي غائبين عن المؤمنين لا كالمنافقين الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا
خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم وقيل المراد بالغيب القلب لأنه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون
بأفواههم ما ليس في قلوبهم فالباء حينئذ للآلة وترك ذكر المؤمن به على التقادير المذكورة إما للقصد إلى إحداث

نفس الفعل كما في قولهم فلان يعطي ويمنع أي يفعلون الإيمان وإما للاكتفاء بما سيجيء فإن الكتب الإلهية ناطقة
بتفاصيل ما يجب الإيمان به ويقيمون الصلاة أي يعدلون أركانها ويحفظونها من أن يقع في شيء من فرائضها
وسننها وآدابها زيغ من أقام العود إذا قومه وعدله وقيل عن المواظبة عليها مأخوذ من قامت السوق إذا
نفقت وأقمتها إذا جعلتها نافقة فإنها إذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه وقيل عن التشمر
لأدائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالأمر وأقامه إذا جد فيه واجتهد وقيل عن أدائها عبر عنه بالإقامة
لاشتماله على القيام كما عبر عنها بالقنوت الذي هو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح والأول هو الأظهر لأنه أشهر
وإلى الحقيقة أقرب والصلاة فعلة من صلى إذا دعا كالزكاة من زكى وإنما كتبتا بالواو مراعاة للفظ المفخم
وإنما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل أصل صلى حرك الصلوين وهما العظمان الناتئان
في أعلى الفخذين لأن المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار اللفظ في المعنى الثاني دون الأول لا يقدح في
نقله عنه وإنما سمي الداعي مصلياً تشبيهاً له في تخشعه بالراكع الساجد ومما رزقناهم ينفقون الرزق في اللغة
العطاء ويطلق على الحظ المعطى نحو ذبح ورعي للمذبوح والمرعي وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفي
العرف ما ينتفع به الحيوان والمعتزلة لما أحالوا تمكين الله تعالى من الحرام لأنه منع من الانتفاع به وأمر بالزجر عنه
قالوا الرزق لا يتناول الحرام ألا يرى أنه تعالى أسند الرزق ههنا إلى ذاته إيذاناً بأنهم ينفقون من الحلال الطلق
فإن إنفاق الحرام بمعزل عن إيجاب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله قل أرأيتم ما
أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً وأصحابنا جعلوا الإسناد المذكور للتعظيم والتحريض على الإنفاق
والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقنا بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق لهما بما روي عنه
صلى الله عليه وسلم في حديث عمرو بن قرة حين أتاه فقال يا رسول الله إن الله كتب علي الشقوة فلا أراني أرزق
إلا من دفي بكفي فأذن لي في الغناء من غير فاحشة فقال صلى الله عليه وسلم لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة
كذبت أي عدو الله والله لقد رزقك الله حلالاً طيباً فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله
لك من حلاله وبأنه لو لم يكن الحرام رزقاً لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقاً وقد قال تعالى وما من دابة
في الأرض إلا على الله رزقها والإنفاق والإنفاد أخوان خلا أن في الثاني معنى الإذهاب بالكلية دون الأول
والمراد بهذا الإنفاق الصرف إلى سبيل الخير فرضاً كان أو نفلاً ومن فسره بالزكاة ذكر أفضل أنواعه
والأصل فيه أو خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها والجملة معطوفة على ما قبلها من الصلة وتقديم المفعول
للاهتمام والمحافظة على رؤوس الآي وإدخال من التبعيضية عليه للكف عن التبذير هذا وقد جوز أن
يراد به الإنفاق من جميع المعاون التي منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام
إن علماً لا ينال به ككنز لا ينفق منه وإليه ذهب من قال ومما خصصناهم من أنوار المعرفة يفيضون والذين
يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك معطوف على الموصول الأول على تقدير وصله بما قبله وفصله عنه
مندرج معه في زمرة المتقين من حيث الصورة والمعنى معاً أو من حيث المعنى فقط اندراج خاصين تحت عام إذ المراد
بالأولين الذين آمنوا بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرائع كما يؤذن به التعبير عن المؤمن به بالغيب وبالآخرين
الذين آمنوا بالقرآن بعد الإيمان بالكتب المنزلة كعبد الله بن سلام وأضرابه أو على المتقين على أن يراد بالأولين
الأولون خاصة ويكون تخصيصهم بوصف الاتقاء للإيذان بتنزههم عن حالتهم الأولى بالكلية لمنافاتها لكل

على تقدير الفصل على أن يكون كلا منهما عبارة عن المتقين على تقدير الوصل أيضاً

القبائح المباينة للشرائع كلها الموجبة للاتقاء عنها بخلاف الآخرين فإنهم غير تاركين لما كانوا عليه بالمرة بل متمسكين
بأصول الشرائع التي لا تكاد تختلف باختلاف الأعصار ويجوز أن يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجا
تحت المتقين ولا يكون توسط العاطف بينهما لاختلاف الذوات بل لاختلاف الصفات كما في قوله إلى الملك القرم
وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب للإيذان بأن
كل واحد من الإيمان بما أشير إليه من الأمور الغائبة والإيمان بما يستشهد بثبوتها من الكتب السماوية نعت جليل
على حياله له شأن خطير مستتبع لأحكام جمة حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل أحدهما تتمة للآخر
وقد شفع الأول بأداء الصلاة والصدقة اللتين هما من جملة الشرائع المندرجة تحت تلك الأمور الجوهرية تكملة
له فإن كمال العلم بالعمل وقرن الثاني بالإيقان بالآخرة مع كونه منطويا تحت الأول تنبيها على كمال صحته وتعريضا
بما في اعتقاد أهل الكتابين من الخلل كما [ستعرفه] هذا على تقدير تعلق الباء بالإيمان وقس عليه الحال عند تعلقها
بالمحذوف فإن كلا من الإيمان الغيبي المتفرع بما يصدقه من العبادتين مع قطع النظر عن المخبر به والإيمان
بالكتب المنزلة الشارحة لتفاصيل الأمور التي يجب الإيمان بها مقرونا بما قرن به فضيلة باهرة مستدعية
لما ذكر والله تعالى أعلم وقد حمل ذلك على معنى أنهم الجامعون بين الإيمان بما يدركه العقل جملة والإتيان
بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الإيمان بما لا طريق إليه غير السمع وتكرير الموصول للتنبيه على تغاير
القبيلين وتباين السبيلين فليتأمل وأن يراد بالموصول الثاني فقط من آمن من أهل الكتاب فهو خاص بهم وهم
مؤمنو أهل الكتاب بأن خصوا بالذكر تخصيص جبريل وميكائيل إثر جريان ذكر الملائكة عليهم السلام تعظيما
لشأنهم وترغيبا لأمثالهم وأقرانهم في تحصيل ما هم من الكمال والإنزال النقل من الأعلى إلى الأسفل وتعلقه
بالمعاني إنما هو بتوسط تعلقه بالأعيان المستتبعة لها فنزول ما عدا الصحف من الكتب الإلهية إلى الرسل عليهم السلام
والله تعالى أعلم بأن يتلقاها الملك من جنابه عز وجل تلقيا روحانيا أو يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها
إلى الرسل فيلقيها عليهم عليهم السلام والمراد بما أنزل إليك هو القرآن بأسره والشريعة عن آخرها والتعبير عن إنزاله
بالماضي مع كون بعضه مترقبا لتغليب المحقق على المقدر أو لتنزيل ما في شرف الوقوع لتحققه منزلة الواقع
كما في قوله تعالى إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مع أن الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعا ولا كان الجميع إذ ذاك
نازلا وبما أنزل من قبلك التوراة والإنجيل وسائر الكتب السالفة وعدم التعرض لذكر من أنزل إليه من الأنبياء
عليهم السلام لقصد الإيجاز مع عدم تعلق الغرض بالتفصيل حسب تعلقه به في قوله تعالى قولوا آمنا بالله
وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسمعيل الآية والإيمان بالكل جملة فرض وبالقرآن تفصيلا من حيث
إنا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فإن في وجوبه على الكل عينا حرجا بينا وإخلالا بأمر المعاش وبناء الفعلين
للمفعول للإيذان بتعين الفاعل وقد جرى على سنن الكبرياء وقد قرئا على البناء للفاعل وبالآخرة هم يوقنون
الإيقان إتقان العلم بالشيء بنفي الشك والشبهة عنه ولذلك لا يسمى علمه تعالى يقينا أي يعلمون علما قطعيا مزيحا
لما كان أهل الكتاب عليه من الشكوك والأوهام التي من جملتها زعمهم أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا أو
نصارى وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة واختلافهم في أن نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا
أو لا وهل هو دائم أو لا وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من أهل الكتاب فإن
اعتقادهم في أمور الآخرة بمعزل من الصحة فضلا عن الوصول إلى مرتبة اليقين والآخرة تأنيث الآخر كما أن الدنيا

تأنيث الأدنى غلبتا على الدارين فجريا مجرى الأسماء وقرئ بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام
وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة إجراء لضمة ما قبلها مجرى ضمتها في وجوه ووقتت ونظيره ما في قوله لحب المؤقدان
إلي مؤسى وجعدة إذ أضاءهما الوقود وقوله تعالى أولئك إشارة إلى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث
اتصافهم بها وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك أكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى
البعد للإشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله عز وعلا على هدى خبره وما فيه
من الإبهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كأنه قيل على أي هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وإيراد كلمة الاستعلاء
بناء على تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال من يعتلي الشيء ويستولي عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد أو على استعارتها
لتمسكهم بالهدى استعارة تبعية متفرعة على تشبيهه باعتلاء الراكب واستوائه على مركوبه أو على جعلها قرينة
للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب للإيذان بقوة تمكنهم منه وكمال رسوخهم فيه وقوله تعالى من ربهم
متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الإضافية إثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها أي على هدى
كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع أنواع هدايته وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة
إلى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف إليهم وتشريفهما ولزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقريره ببيان ما يوجبه
ويقتضيه وقد أدغمت النون في الراء بغنة وبغيرها والجملة على تقدير كون الموصولين موصولين بالمتقين مستقلة
لا محل لها من الإعراب مقررة لمضمون قوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة تأكيد له وتحقيق كيف لا وكون الكتاب هدى
لهم فن من فنون ما منحوه واستقروا عليه من الهدى حسبما تحققته لا سيما مع ملاحظة ما يستتبعه من الفوز
والفلاح وقيل واقعة موقع الجواب عن سؤال ينساق إليه ما سبق كأنه قيل ما للمتقين المنعوتين بما ذكر من النعوت
اختصوا بهداية ذلك الكتاب العظيم الشأن وهل هم أحقاء بتلك الأثرة فأجيب بأنهم بسبب اتصافهم بتلك
ما الكون لم لا و[...] أصل هدى الجامع لفنونه المستتبع للفوز والفلاح فأي ريب في استحقاقهم لما هو فرع من
فروعه ولقد جار عن سنن الصواب من قال في تقرير الجواب أن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا
دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا وأما على تقدير كونهما مفصولين عنه فهي في محل الرفع على أنها
خبر المبتدأ الذي هو الموصول الأول والثاني معطوف عليه وهذه الجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق
إليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين قبل بيان مبادي استحقاقهم لذلك كأنه قيل ما بال المتقين مخصوصين بذلك
فأجيب بشرح ما انطوى عليه اسمهم إجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستدعيه من النتيجة أي الذين هذه
شؤونهم أحقاء بما هو أعظم من ذلك كقولك أحب الأنصار الذين قارعوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبذلوا مهجهم في سبيل الله أولئك سواد عيني وسويداء قلبي واعلم أن هذا المسلك يسلك تارة بإعادة
اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك أحسنت إلى زيد زيد حقيق بالإحسان وأخرى بإعادة صفته كقولك
أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك ولا ريب في أن هذا أبلغ من الأول لما فيه من بيان الموجب للحكم
وإيراد اسم الإشارة بمنزلة إعادة الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه من الإشعار بكمال تميزهم بها وانتظامهم
بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة والإيماء إلى بعد منزلتهم كما مر فهذا أبلغ من كليهما وقد جوز أن يكون الموصول الأول
مجرى على المتقين حسبما فصل والثاني مبتدأ وأولئك خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا [...] المؤمنين
من أهل الكتاب حيث كانوا يزعمون أنهم على الهدى ويطمعون في نيل الفلاح وأولئك هم المفلحون تكرير اسم الإشارة

لاظهار مزيد العناية بشأن إنذارهم والتنبيه على أن اتصافهم بتلك الصفات يقتضي نيل كل واحد من تينك
الأثرتين وأن كلا منهما كاف في تميزهم بها عمن عداهم ويؤيده توسيط العاطف بين الجملتين بخلاف ما في قوله
تعالى أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون فإن التسجيل عليهم بكمال الغفلة عبارة عما يفيده
تشبيههم بالبهائم فيكون الجملة الثانية مقررة للأولى وأما الإفلاح الذي هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما
كان مغايرا للهدى نتيجة له وكان كل منهما في نفسه أعز مرام يتنافس فيه المتنافسون فعل ما فعل وهم ضمير فصل
يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه أو مبتدأ خبره المفلحون والجملة
خبر أولئك وتعريف المفلحين للدلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم المفلحون في الآخرة أو إشارة إلى ما يعرفه
كل واحد من حقيقة المفلحين وخصائصهم هذا وفي بيان اختصاص المتقين بنيل هذه المراتب الفائقة
على فنون من الاعتبارات الرائعة اللائقة بما أشير إليه في تضاعيف تفسير الآية الكريمة من الترغيب في اقتفاء
آثارهم والإرشاد إلى اقتداء سيرهم ما لا يخفى مكانه والله ولي الهداية والتوفيق. إن الذين كفروا كلام
مستأنف سيق لشرح أحوال الكفرة الغواة المردة العتاة إثر بيان أحوال أضدادهم المتصفين بنعوت الكمال
الفائزين ببغيتهم في الحال والمآل وإنما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى إن الأبرار لفي نعيم
وإن الفجار لفي جحيم لما بينهما من التنافي في الأسلوب والتباين في الغرض فإن الأولى مسوقة لبيان رفعة شأن الكتاب
في باب الهداية والإرشاد وأما التعرض لأحوال المهتدين به فإنما هو بطريق الاستطراد سواء جعل الموصول
موصولا بما قبله أو مفصولا عنه فإن الاستئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام المتقدم فهو من مستتبعاته
لا محالة وأما الثانية فمسوقة لبيان أحوال الكفرة أصالة وترامي أمرهم في الغواية والضلال إلى حيث لم يجدهم
الإنذار والتبشير ولم يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم لا يكونون في تيه الغي والفساد عن منهاج العقول
فما يكونون في مسلك المكابرة والعناد منزكين عن صعب وذلول وإنما أوثر هذه الطريقة ولم يؤسس الكلام
على بيان أن الكتاب هاد للأولين وغير مجد للآخرين لأن العنوان الأخير ليس مما يورثه كمالا حتى يتعرض له في
أثناء تعداد كمالاته وإن من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الأسماء
ودخول نون الوقاية عليها كأنني ولعلني ونظائرهما وإعطاء معانيه والمتعدي خاصة في الدخول على اسمين
ولذلك أعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الأول ورفع الثاني إيذانا بكونه فرعا في العمل دخيلا فيه وعند الكوفيين
لا عمل له في الخبر بل هو باق على حاله بقضية الاستصحاب وأجيب بأن ارتفاع الخبر مشروطا بالتجرد عن العوامل
وإلا لما انتصب خبر كان وقد زال بدخولها فلا بد من إعمال الحرف وإن شأنها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك
يتلقى بها القسم ويصدر بها الأجوبة ويؤتى بها في مواقع الشك والإنكار لدفعه ورده قال المبرد قولك
عبد الله قائم إخبار عن قيامه وإن عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه شاك فيه وإن عبد الله لقائم جواب منكر
لقيامه وتعريف الموصول إما للعهد والمراد به ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم
وأحبار اليهود أو للجنس وقد خص منه غير المصرين بما أسند إليهم من قوله تعالى سواء عليهم الخ والكفر في اللغة
ستر النعمة وأصله الكفر بالفتح أي الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر قال تعالى كمثل غيث أعجب الكفار نباته وقال
لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها ومنه المتكفر بسلاحه وهو الشاكي الذي غطى السلاح بدنه وفي الشريعة إنكار
ما علم بالضرورة مجيء الرسول عليه السلام به وإنما عد لبس الغيار وشد الزنار بغير اضطرار ونظائرهما كفرا

كفرا لدلالته على التكذيب فإن من صدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يكاد يجترئ على أمثال ذلك إذ لا
داعي إليه كالزنا وشرب الخمر واحتجت المعتزلة على حدوث القرآن بما جاء فيه بلفظ الماضي على وجه الإخبار
فإنه يستدعي سابقة المخبر عنه لا محالة وأجيب بأنه من مقتضيات التعلق وحدوثه لا يستدعي حدوث الكلام
كما أن حدوث تعلق العلم بالمعلوم لا يستدعي حدوث العلم سواء هو اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت
بالمصادر مبالغة قال تعالى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم وقوله تعالى عليهم متعلق به ومعناه عندهم
وارتفاعه على أنه خبر لإن وقوله تعالى أأنذرتهم أم لم تنذرهم مرتفع به على الفاعلية لأن الهمزة وأم
مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الأمر والنهي لذلك عن معنييهما في
قوله عز وجل استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا أيتها العصابة عن معنى
الطلب لمجرد التخصيص كأنه قيل إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه كقولك إن زيدا مختصم أخوه
وابن عمه أو مبتدأ وسواء عليهم خبر قدم عليه اعتناء بشأنه والجملة خبر لإن والفعل إنما يمتنع الإخبار عنه
عند بقائه على حقيقته أما لو أريد به اللفظ أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على طريقة الاتساع
فهو كالاسم في الإضافة والإسناد إليه كما في قوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقوله تعالى
وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض وقولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه كأنه قيل إنذارك وعدمه سيان عليهم
والعدول إلى الفعل لما فيه من إيهام التجدد والتوسل إلى إدخال الهمزة ومعادلها عليه لإفادة تقرير معنى
الاستواء وتأكيده كما أشير إليه وقيل سواء مبتدأ وما بعده خبره وليس بذاك لأن مقتضى المقام بيان
كون الإنذار وعدمه سواء لا بيان كون المستوي الإنذار وعدمه والإنذار إعلام المخوف للاحتراز
إفعال من نذر بالشيء إذا علمه فحذره والمراد هنا التخويف من عذاب الله تعالى وعقابه على المعاصي
والاقتصار عليه لما أنهم ليسوا بأهل للبشارة أصلا ولأن الإنذار أوقع في القلوب وأشد تأثيرا
في النفوس فإن دفع المضار أهم من جلب المنافع فحيث لم يتأثروا به فلأن لا يرفعوا للبشارة رأسا
أولى وقرئ بتوسيط ألف بين الهمزتين مع تحقيقهما وبتوسيطها والثانية بين بين وبتخفيف الثانية
بين بين بلا توسيط وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد أفلح
وقرئ بقلب الثانية ألفا وقد نسب ذلك إلى اللحن لا يؤمنون جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها مبينة
لما فيه من إجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الإعراب أو حال مؤكدة له أو بدل منه أو خبر لإن وما قبلها
اعتراض بما هو علة للحكم أو خبر ثان على رأي من يجوزه عند كونه جملة والآية الكريمة مما استدل به
على جواز التكليف بما لا يطاق فإنه تعالى قد أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون فظهر استحالة إيمانهم لاستلزامه
المستحيل الذي هو عدم مطابقة إخبار الله تعالى للواقع مع كونهم مأمورين بالإيمان باقين على التكليف
ولأن من جملة ما كلفوه الإيمان بعدم إيمانهم المستمر والحق أن التكليف بالممتنع لذاته وإن جاز عقلا
من حيث إن الأحكام لا تستدعي أغراضا لا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والإخبار
بوقوع الشيء أو بعدمه لا ينفي القدرة عليه كإخباره تعالى عما يفعله هو أو العبد باختياره وليس ما كلفوه
الإيمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم أن يكلفوا الإيمان بعدم إيمانهم المستمر بل هو الإيمان
بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم إجمالا على أن كون الموصول عبارة عنهم ليس معلوما لهم

وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا يفيد الزام الحجة واحراز الرسول صلى الله عليه وسلم فضل الابلاغ
ولذلك قيل سواء عليهم ولم يقل عليك كما قيل لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي
الآية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات الباهرة ختم الله
على قلوبهم استيناف تعليلي لما سبق من الحكم وبيان لما يقتضيه او بيان وتاكيد له والمراد بالقلب محل القوة
العاقلة من الفواد والختم على الشيء الاستيثاق منه بضرب الخاتم عليه صيانة له او لما فيه عن التعرض له
كما في ختم البيت الفارغ والكيس الملآن والاول هو الانسب بالمقام اذ ليس المراد به صيانتها في قلوبهم بل
احداث حالة تجعلها بسبب تماديهم في الغي وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن منهاج النظر الصحيح بحيث
لا يوثر فيها الانذار ولا ينفذ فيها الحق اصلا اما على طريقة الاستعارة التبعية بان يشبه ذلك
بضرب الخاتم على نحو ابواب المنازل الخالية المبنية للسكنى تشبيه معقول بمحسوس بجامع عقلي هو الاشتمال
على منع القابل عما من شانه وحقه ان يقبله ويستعار له الختم ثم يشتق منه صيغة الماضي واما على طريقة
التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من احداث تلك الحالة المانعة من ان يصل
اليها ما خلقت هي لاجله من الامور الدينية النافعة وحيل بينها وبينه بالمرة بهيئة منتزعة من محال معدة
لحلول ما يحلها حلولا مستتبعا لمصالح مهمة وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها وبين ما اعدت له
بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبه بها فيكون كل من طرفي التشبيه مركبا من امور عدة قد اقتصر
من جانب المشبه به على ما عليه يدور الامر في تصوير تلك الهيئة وانتزاعها وهو الختم والباقي منوي مراد قصدا
بالفاظ متخيلة بها يتحقق التركيب وتلك الالفاظ وان كان لها مدخل في تحقيق وجه الشبه الذي هو امر
عقلي منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بما اعد له بسبب مانع قوي لكن ليس في شيء منها على الانفراد تجوز
باعتبار هذا المجاز بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة او مجازا او كناية وانما التجوز في المجموع
وحيث كان معنى المجموع مجموع معاني تلك الالفاظ التي ليس فيها التجوز المعهود ولم تكن الهيئة المنتزعة
منها مدلولا وضعيا لها ليكون ما دل على الهيئة المشبه بها عند استعماله في الهيئة المشبهة مستعملا في غير ما
وضع له فيندرج تحت الاستعارة التي هي قسم من المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة
في غير ما وضع له ذهب قدوة المحققين الشيخ عبد القاهر واضرابه الى جعل التمثيل قسما برأسه ومن
رام تقليل الاقسام عد تلك الهيئة المشبه بها من قبيل المدلولات الوضعية وجعل الكلام المفيد لها عند
استعماله فيما يشبه بها من هيئة اخرى منتزعة من امور اخر من قبيل الاستعارة وسماه استعارة تمثيلية
واسناد احداث تلك الحالة في قلوبهم الى الله تعالى لاستناد جميع الحوادث من حيث الخلق اليه سبحانه وتعالى
وورود الآية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون افعالهم من حيث الكسب مستندة
اليهم فان خلقها منه سبحانه ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقترفوه من القبائح كما يعرب
عنه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم ونحو ذلك واما المعتزلة فقد سلكوا مسلك التاويل وذكروا
في ذلك عدة من الاقاويل منها ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة
لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه ومنها ان المراد به تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله
تعالى خالية عن الفطن او بقلوب قدر ختم الله تعالى عليها كما في سال به الوادي اذا هلك وطارت به

العنقاء اذا طالت غيبته ومنها ان ذلك فعل الشيطان او الكافر واسناده اليه سبحانه باعتبار كونه
باقداره تعالى وتمكينه ومنها ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق الى تحصيل ايمانهم طريق
سوى الالجاء والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف عبر عن ذلك بالختم لانه سد لطريق
ايمانهم بالكلية وفيه اشعار بترامي امرهم في الغي والعناد وتناهي انهماكهم في الشر والفساد ومنها ان ذلك حكاية لما
كانت الكفرة يقولونه مثل قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما بهم ومنها
ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه ويعضده قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
عميا وبكما ومنها ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة يعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى سمعهم
عطف على ما قبله داخل في حكم الختم لقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه لا على قلوبهم
ولاشتراكهما في الادراك من جميع الجوانب واعادة الجار للتاكيد والاشعار بتغاير الختمين وتقديم ختم قلوبهم
للايذان بانها الاصل في عدم الايمان وللاشعار بان ختمها ليس بطريق التبعية لختم سمعهم بناء على انه طريقها
فالختم عليه ختم عليها بل هي مختومة بختم على حدة لو فرض عدم الختم على سمعهم فهو باق على حالة حسبما يفصح عنه
قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون والسمع ادراك القوة السامعة وقد يطلق
عليها وعلى العضو الحامل لها وهو المراد هاهنا اذ هو المختوم عليه اصالة وتقديم حاله على حال ابصارهم للاشتراك
بينه وبين قلوبهم في تلك الحال ولان جنايتهم من حيث السمع الذي به يتلقى الاحكام الشرعية وبه يتحقق الانذار
اعظم منها من حيث البصر الذي به يشاهد الاحوال الدالة على التوحيد فبيانها احق بالتقديم وانسب بالمقام
قالوا السمع افضل من البصر لانه عز وجل حيث ذكرهما قدم السمع على البصر ولان السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث
الله تعالى رسولا اصم ولان السمع وسيلة الى استكمال العقل بالمعارف التي تتلقف من اصحابها وتوحيده للامن
عن اللبس واعتبار الاصل او لتقدير المضاف اي وعلى حواس سمعهم والكلام في امالة الختم على ذلك كما مر من قبل
وعلى ابصارهم غشاوة الابصار جمع بصر والكلام فيه كما مر في السمع والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه
بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة وتنكيرها للتفخيم والتهويل وهي على راي سيبويه مبتدا خبره الظرف
المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للايذان بدوام مضمونها فان ما يدرك بالقوة الباصرة
من الآيات المنصوبة في الآفاق والانفس حيث كانت مستمرة كان تعاميهم عن ذلك ايضا كذلك واما الآيات التي
تتلقى بالقوة السامعة فلما كان وصولها اليها حينا فحينا اوثر في بيان الختم عليها وعلى ما هي احد طريقيه
اعني القلب الجملة الفعلية وعلى راي الاخفش مرتفع على الفاعلية مما تعلق به الجار وقرئ بالنصب على تقدير
فعل ناصب اي وجعل على ابصارهم غشاوة وقيل على حذف الجار وايصال الختم اليه والمعنى وختم على ابصارهم
بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة
ومنصوبة وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه في الآخرة والعذاب
كالنكال بناء ومعنى يقال اعذب عن الشيء اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه
ولذلك سمي نقاخا فانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فاطلق على كل
الم فادح وان لم يكن عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب
كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما ان الحقير دون الصغير كذلك العظيم

فوق الكبير ويستعملان في الجثث والأحداث تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ووصف العذاب به لتأكيد ما
يفيده التنكير من التفخيم والتهويل والمبالغة في ذلك والمعنى أن على أبصارهم ضرباً من الغشاوة خارجاً مما يتعارفه
الناس وهي غشاوة التعامي عن الآيات ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته اللهم إنا نعوذ
بك من ذلك كله يا أرحم الراحمين ومن الناس شروع في بيان أن بعضاً ممن حكيت أحوالهم السالفة ليسوا بمقتصرين على
ما ذكر من محض الإصرار على الكفر والعناد بل يضمون إليه فنوناً أخر من الشر والفساد وتعديد لجناياتهم الشنيعة
المستتبعة لأحوالهم الهائلة عاجلة وآجلة وأصل ناس أناس كما يشهد به إنسان وأناسي وإنس حذفت همزته
تخفيفاً كما قيل لوقة في الوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وأما في قوله إن المنايا
يطّلعن على الأناس الآمنينا فشاذ سموا بذلك لظهورهم وتعلق الإيناس بهم كما سمي الجن جناً لاجتنانهم وذهب
بعض إلى أن أصله النوس وهو الحركة قلبت واوه ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها وبعضهم إلى أنه مأخوذ
من نسي نقلت لامه إلى موضع العين فصار نيساً ثم قلبت ألفاً سموا بذلك لنسيانهم وروي عن ابن عباس رضي
الله عنه سمي الإنسان إنساناً لأنه عهد إليه فنسي واللام فيه إما للعهد أو للجنس المقصور على المصرين حسبما ذكر
في الموصول كأنه قيل ومنهم أو من أولئك والعدول إلى الناس للإيذان بكثرتهم كما ينبئ عنه التبعيض ومحل
الظرف الرفع على أنه مبتدأ باعتبار مضمونه أو بتقدير الموصوف هو المبتدأ كما في قوله عز وجل ومنا دون ذلك أي
وجمع منا الخ ومن في قوله تعالى من يقول موصولة أو موصوفة ومحلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس
أو وبعض من الناس الذي يقول كقوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي الخ أو فريق يقول كقوله تعالى من المؤمنين
رجال الخ على أن يكون مناط الإفادة والمقصود بالأصالة اتصافهم بما في حيز الصلة أو الصفة وما يتعلق به
من الصفات جميعاً لا كونهم ذوات أولئك المذكورين وأما جعل الظرف خبراً كما هو الشائع في موارد الاستعمال فيأباه
جزالة المعنى لا لأن كونهم من الناس ظاهر فالإخبار به عار عن الفائدة كما قيل فإن مبناه توهم كون المراد بالناس
الجنس مطلقاً وكذا مدار الجواب عنه بأن الفائدة هو التنبيه على أن الصفات المذكورة تنافي الإنسانية فحق من
يتصف بها أن لا يعلم كونه من الناس فيخبر به ويتعجب منه وأنت خبير بأن الناس عبارة عن المعهودين أو عن الجنس
المقصور على المصرين وأيا ما كان فالفائدة ظاهرة بل لأن خبرية الظرف تستدعي أن يكون اتصاف هؤلاء
بتلك الصفات القبيحة المفصلة في ثلاث عشرة آية عنواناً للموضوع مفروغاً عنه غير مقصود بالذات وأن يكون
مناط الإفادة كونهم من أولئك المذكورين ولا ريب لأحد في أنه يجب حمل النظم الجليل على أجزل المعاني وأكملها
وتوحيد الضمير في يقول باعتبار لفظة من وجمعه في قوله تعالى آمنا بالله وباليوم الآخر وما بعده باعتبار معناها
والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر إلى ما لا يتناهى أو إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار إذ لا حد
وراءه وتخصيصهم للإيمان بهما بالذكر مع تكرير الباء لادعائهم أنهم قد حازوا الإيمان من قطريه وأحاطوا به
من طرفيه وأنهم قد آمنوا بكل منهما على الأصالة والاستحكام وقد دسوا تحته ما هم عليه من العقائد الفاسدة
حيث لم يكن إيمانهم بواحد منهما إيماناً في الحقيقة إذ كانوا مشركين بالله بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم الآخر
بقولهم لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة ونحو ذلك وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبثهم ودعارتهم فإن
ما قالوا لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم هي هي لم يكن ذلك إيماناً فكيف وهم يقولونه تمويهاً
على المسلمين واستهزاء بهم وما هم بمؤمنين رد لما ادعوه ونفي لما انتحلوه وما حجازية فإن جواز دخول الباء

إنما في خبرها لتأكيد النفي إنما هي بخلاف التميمية وإيثار الجملة الاسمية على الفعلية الموافقة لدعواهم المردودة
للمبالغة في الرد بإفادة انتفاء الإيمان عنهم في جميع الأزمنة لا في الماضي فقط كما يفيده الفعلية ولا يتوهم
أن الجملة الاسمية الإيجابية تفيد دوام الثبوت فعند دخول النفي عليها تفيد الدلالة على نفي الدوام فإنها
بمعونة المقام تدل على دوام النفي قطعاً كما أن المضارع الخالي عن حرف الامتناع يدل على استمرار الوجود
وعند دخول حرف الامتناع عليه يدل على استمرار الامتناع لا على امتناع الاستمرار كما في قوله عز وجل
ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم فإن عدم قضاء الأجل لاستمرار عدم التعجيل لا لعدم
استمرار التعجيل وإطلاق الإيمان عما قيدوه به للإيذان بأنهم ليسوا من جنس الإيمان في شيء أصلاً فضلاً عن الإيمان
بما ذكروه وقد جوز أن يكون المراد ذلك ويكون الإطلاق للظهور وعدم دلالة الآية الكريمة على أن من أظهر الإيمان
واعتقد بخلافه لا يكون مؤمناً فلا حجة فيها على الكرامية القائلين بأن من تفوه بكلمتي الشهادة فارغ القلب
عما يوافقهما فهو مؤمن يخادعون الله والذين آمنوا بيان ليقول وتوضيح لما هو غرضهم مما يقولون أو استئناف
وقع جواباً عن سؤال ينساق إليه الذهن كأنه قيل ما بالهم يقولون ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الخ
أي يخدعون وقد قرئ كذلك وإيثار صيغة المفاعلة لإفادة المبالغة في الكيفية فإن الفعل متى غولب فيه
بولغ فيه قطعاً أو في الكمية كما في الممارسة والمزاولة فإنهم كانوا مداومين على الخدع والخدع أن يوهم
صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب أو يوهمه المساعدة على ما يريد هو به ليغتر بذلك
فينجو منه بسهولة من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذي إذا أمر الحارش يده على باب جحره يوهمه الإقبال عليه
فيخرج من باب آخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فإنهم كانوا يريدون بما صنعوا أن يطلعوا على أسرار المؤمنين
فيذيعوها إلى المنابذين وأن يدفعوا عن أنفسهم ما يصيب سائر الكفرة وأيا ما كان فنسبته إلى الله سبحانه
إما على طريقة الاستعارة والتمثيل للإفادة بكمال شناعة جنايتهم أي يعاملون معاملة المخادعين وإما على طريقة
المجاز العقلي بأن ينسب إليه تعالى ما حقه أن ينسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم إبانة لمكانته عنده تعالى كما ينبئ عنه
قوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم وقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله
مع إفادة كمال الشناعة كما مر وأما أن يجرد التوطئة والتمهيد لما بعده من نسبته إلى الذين آمنوا والإيذان بقوة
اختصاصهم به تعالى كما في قوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقوله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله
وإيقاع صيغة المخادعة على معناها الحقيقي بناء على زعمهم الفاسد وترجمة عن اعتقادهم الباطل كأنه قيل
يزعمون أنهم يخدعون الله والله يخدعهم أو على جعلها استعارة تبعية أو تمثيلاً لما أن صورة صنعهم مع الله تعالى
والمؤمنين وصنعه تعالى معهم بإجراء أحكام الإسلام عليهم مع عدهم عنده أخبث الكفرة وأهل الدرك الأسفل من النار
استدراجاً لهم وامتثال الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بأمر الله تعالى في ذلك مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع
المتخادعين كما قيل مما لا يرتضيه الطبع السليم أما الأول فلأن المنافقين لم يعتقدوا أن الله تعالى يخدعهم بل لم
يخطر ببالهم تصور معنى التصدي للخدع وأما الثاني فلأن مقتضى المقام إيراد حالهم خاصة وتصويرها بما يليق بها
من الصورة المستهجنة وبيان أن غائلتها آيلة إليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله عز قائلاً وما يخدعون
إلا أنفسهم فالتعرض لحال الجانب الآخر مما يخل بتوفية المقام حقه وهو حال من ضمير يخادعون أي يفعلون ما يفعلون
والحال أنهم ما يضرون بذلك إلا أنفسهم فإن دائرة فعلهم مقصورة عليهم أو ما يخدعون حقيقة إلا أنفسهم حيث

يغرونها بالاكاذيب فيلقونها في مهاوي الردى وقرئ وما يخادعون والمعنى هو المعنى وعن حافظ على الصيغة
فيما قيل قال وما يعاملون تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة المخادع عبر الا انفسهم لان ضررها لا يحيق الا بهم او
فما يخادعون حقيقة الا انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وهي ايضا تغرهم وتمنيهم الاماني الفارغة وقرئ
وما يخدعون من التخديع وما يخدعون اي يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم
بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته وقد يقال للروح لان نفس الحي به وللقلب ايضا لانه محل الروح او متعلقه
وللدم ايضا لان قوامها به وللماء ايضا لشدة حاجتها اليه والمراد هنا هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر
مخادعتهم راجع اليهم لا يتخطاهم الى غيرهم وقوله تعالى وما يشعرون حال من ضمير ما يخدعون اي يقتصرون على خداع
انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي ما يحسون بذلك لتماديهم في الغواية وحذف المفعول اما لظهوره او لعمومه اي ما يشعرون
بشيء اصلا جعل لحوق وبال ما صنعوا بهم في الظهور بمنزلة الامر المحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس مختل
المشاعر في قلوبهم مرض المرض عبارة عما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب الخلل في افاعيله
ويؤدي الى الموت استعير هنا لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك
من فنون الكفر المؤدي الى الهلاك الروحاني والتنكير للدلالة على كونه نوعا مبهما غير ما يتعارفه الناس من الامراض
والجملة مقررة لما يفيده قوله تعالى وما هم بمؤمنين من استمرار عدم ايمانهم او تعليل له كانه قيل ما لهم لا يؤمنون
فقيل في قلوبهم مرض يمنعه فزادهم الله مرضا بان طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بانه لا يؤثر فيها التذكير والانذار
والجملة معطوفة على ما قبلها والفاء للدلالة على ترتب مضمونها عليه وبه اتضح كون من الكفرة المختوم على قلوبهم
مع زيادة بيان السبب وقيل زادهم كفرا بزيادة التكاليف الشرعية لانهم كانوا كلما ازداد التكاليف بنزول
الوحي يزدادون كفرا ويجوز ان يكون المرض مستعارا لما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور عند مشاهدة
لعزة المسلمين فزيادته تعالى اياهم مرضا ما فعل بهم من القاء الروع وقذف الرعب في قلوبهم عند اعزاز النبي بامداد
النبي صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة وتاييده بفنون النصر والتمكين فقوله تعالى في قلوبهم مرض حينئذ
استيناف تعليلي لقوله تعالى يخادعون الله الخ كانه قيل ما لهم يخادعون ويداهنون ولا يجاهرون فقيل في
قلوبهم من الكفر فقيل في قلوبهم ضعف مضاعف هذا حالهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب اليم اي مؤلم يقال
الم وهو اليم كوجع وهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة جد
جده فان الالم والوجع حقيقة للمؤلم والمضروب كما ان الجد للجاد وقيل هو بمعنى المؤلم كالسميع بمعنى المسمع
وليس ذلك بثبت كما سيجيء في قوله تعالى بديع السموات والارض بما كانوا يكذبون الباء للسببية او للمقابلة
وما مصدرية داخلة في الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا مقحمة لافادة دوام كذبهم وتجدده اي بسبب كذبهم
او بمقابلة كذبهم المتجدد المستمر الذي هو قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهم غير مؤمنين فانه اخبار لاحداثهم
الايمان فيما مضى لا انشاء للايمان وكونه منتظما للاخبار بصدوره عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبي
بمعنى الاذعان والقبول قطعا ويجوز ان يكون محمولا على الظاهر بناء على انه يجوز ان يكون لكل ان الخافضة مصدر
كما صرح به في قول الشاعر يبذل وحلم ساد في قومه الفتى وكونك اياه عليك يسير اي لهم عذاب اليم بسبب كونهم
يكذبون على الاستمرار وترتيب العذاب عليه من بين سائر موجباته القوية اما لان المراد بيان العذاب الخاص بالمنافقين
بناء على ظهور كونهم للمجاهرين فيما ذكر من العذاب العظيم حسب اشتراكهم فيما يوجبه من الاصرار على الكفر

كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن الناس الخ واما للايذان بان لهم بمقابلة سائر جناياتهم العظيمة من العذاب ما لا يوصف
واما للرمز الى كمال سماجة الكذب نظرا الى ظاهر العبارة المخيلة لانفراده بالسببية مع احاطة علم السامع
بان لحوق العذاب بهم من جهات شتى وان الاقتصار عليه للاشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه عن الصديق رضي الله تعالى
عنه ويروى مرفوعا ايضا الى النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وما روي ان ابراهيم كذب
ثلث كذبات فالمراد به التعريض وانما سمي به لما شابهه صورة وقيل ما موصولة والعائد محذوف اي بالذي يكذبونه
وقرئ يكذبون والمفعول محذوف وهو اما النبي صلى الله عليه وسلم او القرآن وما مصدرية اي بسبب تكذيبهم اياه
او القرآن او موصولة اي بالذي يكذبونه على ان العائد محذوف ويجوز ان يكون صيغة التفعيل للمبالغة كما في بين
في بان وقلص في قلص او للتكثير كما في موتت البهائم وبركت الابل وان يكون من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا
ثم وقف لينظر ما وراءه فان المنافق متوقف في امره متردد في رأيه ولذلك قيل له مذبذب واذا قيل لهم لا تفسدوا
في الارض شروع في تعديد بعض من قبائحهم المتفرعة على ما حكى عنهم من الكفر والنفاق واذا ظرف زمان مستقبل
ويلزمها معنى الشرط غالبا ولا يدخل الا في الامر المحقق او المرجح وقوعه والكلام متعلقة بفعل معناها الانتهاء
والتبليغ والقائم مقام فاعله جملة لا تفسدوا على ان المراد بها اللفظ وقيل هو مضمر يفسره المذكور والفساد
خروج الشيء عن الحالة اللائقة به والصلاح مقابله والفساد في الارض هيج الحروب والفتن المستتبعة لزوال
الاستقامة عن احوال العباد واختلال امر المعاش والمعاد بما نهوا عنها ما يؤدي الى ذلك من افشاء اسرار المؤمنين
الى الكفار واغرائهم عليهم وغير ذلك من فنون الشرور كما يقال للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار
اذا اقدم على ما تلك عاقبته وهو اما معطوف على يقول فان جعلت كلمة من موصولة فلا محل له من الاعراب لانها
بمحل البيان او الاستيناف وما يتعلق بهما من اجزاء الصلة فان ذلك ليس بمحيط بالاجنبي وان جعلت موصوفة
فمحله الرفع والعطف عن الناس من اذا نهوا من جهة المؤمنين عما هم عليه من الافساد في الارض قالوا اراءة للناس
ان ذلك غير صادر عنهم مع ان مقصودهم الاصلي انكار كون ذلك افسادا وادعاء كونه اصلاحا محضا
كما سيأتي توضيحه انما نحن مصلحون اي مقصورون على الاصلاح المحض بحيث لا يتعلق به شائبة الافساد
والفساد مشيرين بكلمة انما الى ذلك من الوضوح بحيث لا ينبغي ان يرتاب فيه واما كلام مستانف سيق لتعديد شنائعهم
واما عطف على يكذبون بمعنى ولهم عذاب اليم بكذبهم وبقولهم حين نهوا عن الافساد انما نحن مصلحون كما قيل
فيأباه ان هذا النحو من التعليل حقه ان يكون باوصاف ظاهرة العلية مسلمة الثبوت للموصوف غنية عن البيان
لشهرة الاتصاف بها عند السامع او لسبق ذكره صريحا كما في قوله تعالى بما كانوا يكذبون فان مضمونه عبارة
عما حكى عنهم من قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر ولذكره يستلزمه استلزاما ظاهرا كما في قوله عز وجل ان الذين
يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فان ما ذكر من الضلال عن سبيل الله مما يوجب ضمنا
نسيان جانب الآخرة التي من جملتها يوم الحساب وما لم يكن كذلك فحقه ان يخبر بعليته قصدا كما في قوله تعالى
ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الآية وقوله تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق الآية الى غير ذلك ولا ريب
في ان هذه الشرطية وما بعدها من الشرطيتين المعطوفتين عليها ليس مضمون شيء منها معلوم الانتساب اليهم
عند السامعين بوجه من الوجوه المذكورة حتى يستحق الانتظام في سلك التعليل المذكور فاذن حقها ان تكون
مسوقة على سنن تعديد قبائحهم على الحد الوجيز مفيدة لاتصافهم بكل واحد من تلك الاوصاف قصدا

واستقلالا كيف لا وقوله عز وجل ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ينادي بذلك نداء جليا فإنه رد من جهته تعالى لدعواهم
المحكية أبلغ رد وأدله على سخط عظيم حيث سلك فيه مسلك الاستئناف المؤدي إلى مزيد تمكن الحكم في ذهن
السامع وصدرت الجملة بحرفي التأكيد ألا المنبهة على تحقق ما بعدها فإن الهمزة الإنكارية الداخلة على النفي
تفيد تحقيق الإثبات قطعا كما في قوله تعالى أليس الله بكاف عبده ولذلك لا يكاد يقع ما بعدها من الجملة إلا مصدرة
بما يتلقى به القسم وأختها التي هي أما من طلائع القسم وقيل هما حرفان بسيطان موضوعان للتنبيه والاستفتاح
وإن المقررة للنسبة وعرف الخبر ووسط ضمير الفصل لرد ما في قصر أنفسهم على الإصلاح من التعريض
بالمؤمنين ثم استدرك بقوله تعالى ولكن لا يشعرون للإيذان بأن كونهم مفسدين من الأمور المحسوسة
لكن لا حس لهم حتى يدركوه وهكذا الكلام في الشرطيتين الآتيتين وما بعدهما من رد مضمونهما ولولا أن
المراد تفصيل جناياتهم وتعديدها ثم الرد عليها وهنا تم إظهار فسادها وإبانة بطلانها لما فتح هذا الباب
والله أعلم بالصواب وإذا قيل لهم من قبل المؤمنين بطريق الأمر بالمعروف إثر نهيهم عن المنكر إتماما للنصح وإكمالا
للإرشاد آمنوا حذف المؤمن به لظهوره أو أريد افعلوا الإيمان كما آمن الناس الكاف في محل النصب
على أنه نعت لمصدر مؤكد محذوف أي آمنوا إيمانا مماثلا لإيمانهم فما مصدرية أو كافة كما في ربما فإنها
تكف الحرف عن العمل وتصحح دخولها على الجملة ويكون للتشبيه بين مضموني الجملتين أي حققوا إيمانكم كما تحقق
إيمانهم واللام للجنس والمراد بالناس الكاملون في الإنسانية العاملون بقضية العقل فإن اسم الجنس كما
يستعمل فيما يكون جامعا للمعاني الخاصة به المقصودة منه ولذلك يسلب عما ليس كذلك فيقال هو ليس بإنسان
وقد جمعهما من قال إذ الناس ناس والزمان زمان أو للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه
أو من آمن من أهل جلدتهم كابن سلام وأضرابه والمعنى آمنوا إيمانا مقرونا بالإخلاص متمحضا عن شوائب النفاق
مماثلا لإيمانهم قالوا مقابلين للأمر بالمعروف بالإنكار المنكر واصفين للمراجيح الرزان بضد أوصافهم
الحسان أنؤمن كما آمن السفهاء مشيرين باللام إلى من أشير إليهم في الناس من الكاملين أو المعهودين أو إلى
الجنس بأسره وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة وسخافة رأي يورثهما قصور العقل
ويقابله الحلم والأناة وإنما نسبوهم إليه مع أنهم في الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال
انهماكهم في السفاهة وتماديهم في الغواية وكونهم ممن زين له سوء عمله فرآه حسنا فمن حسب الضلال
هدى يسمي الهدى لا محالة ضلالا أو لتحقير شأنهم فإن كثيرا من المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال
أو للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وأمثاله وأيا ما كان
فالذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل أن يكون صدور هذا القول عنهم بمحضر
من المؤمنين الناصحين لهم جوابا عن نصيحتهم وحيث كان فحواه تسفيه أولئك المشاهير الأعلام والقدح في
إيمانهم لزم كونهم مجاهرين لا منافقين وذلك مما لا يكاد يساعده السباق والسياق وعن هذا قالوا
ينبغي أن يكون ذلك فيما بينهم لا على وجه المؤمنين قال الإمام الواحدي إنهم كانوا يظهرون هذا القول فيما
بينهم لا عند المؤمنين فأخبر الله تعالى نبيه والمؤمنين بذلك عنهم وأنت خبير بأن إيراد ما صدر عنهم من التجاوز
في الخلا في معرض ما جرى بينهم في مقام المحاورة مما لا عهد به في الكلام فضلا عما هو في منصب الإعجاز من
التنزيل المجيد عنه أن قولهم هذا وإن صدر عنهم بمحضر من الناصحين لا يقتضي كونهم مجاهرين فإنه ضرب من

من الكفر أنيق وفن في النفاق عريق مصنوع على شاكلة قولهم واسمع غير مسمع فإنه كلام ذو وجهين
محتمل للشر بأن يحمل على معنى اسمع منا غير مسمع كلاما ترضاه ونحوه وللخير بأن يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروها
كانوا يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين إرادة المعنى الأخير وهم مضمرون في أنفسهم
المعنى الأول مطمئنون به ولذلك نهوا عنه كذلك هذا الكلام محتمل للشر كما ذكر في تفسيره وللخير بأن يحمل على ادعاء
الإيمان كإيمان الناس وإنكار ما اتهموا به من النفاق على معنى أنؤمن كما آمن السفهاء والمجانين الذين لا اعتداد بإيمانهم
لو آمنوا ولا نؤمن كإيمان الناس حتى تأمرونا بذلك قد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم مرائين لإرادة
المعنى الأخير وهم معولون على الأول فرد عليهم ذلك بقوله عز وجل ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون
أبلغ رد وجهلوا أشنع تجهيل حيث صدرت الجملة بحرفي التأكيد حسبما أشير إليه فيما سلف وجعلت السفاهة
مقصورة عليهم وبالغة إلى حيث لا يدرون أنهم سفهاء وعن هذا اتضح لك سر ما مر في تفسير قوله تعالى
إنما نحن مصلحون فإن حمله على المعنى الأخير كما هو رأي الجمهور مناف لحالهم ضرورة أن مشافهتهم للناصحين
بادعاء كون ما نهوا عنه من الإفساد إصلاحا كما مر إظهار منهم للشقاق وبروز بأشخاصهم من نفق النفاق
وكذا عند إرادة أن المراد بما نهوا عنه مداراة المشركين كما ذكر في بعض التفاسير وبالإصلاح الذي يدعونه
إصلاح ما بينهم وبين المؤمنين وأن معنى قوله تعالى ألا إنهم هم المفسدون أنهم في تلك المداراة مفسدون لمصالح
المؤمنين لإشعارها بإعطاء الدنية وإنبائها عن ضعفهم الملجئ إلى توسيط من يتصدى لإصلاح ذات البين
فضلا عن كونهم مصلحين مما لا سبيل إليه قطعا فإن قوله تعالى ولكن لا يشعرون ناطق بفساده كيف لا وأنه يقتضي أن يكون
المنافقون في تلك الدعوى صادقين قاصدين للإصلاح ويأتيهم الإفساد من حيث لا يشعرون ولا ريب في أنهم فيها كانوا
لا يقصدون إلا مضارة المؤمنين وخيانة للمؤمنين ومن ههنا يتضح أن الإشكال ليس إلا ما أشير إليه فإن قولهم إنما نحن مصلحون
محتمل للحمل على الكذب ولكن صدوره لإفساد المنسوب إليهم عنهم على معنى إنما نحن مصلحون لا يصدر عنا ما نهيتمونا عنه
من الإفساد وقد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم وإراءة لإرادة هذا المعنى وهم معرجون على المعنى الأول
فرد عليهم بقوله تعالى ألا إنهم هم المفسدون الآية والله سبحانه أعلم بما أودعه في تضاعيف كتابه المكنون
من السر المخزون نسأله العصمة والتوفيق والهداية إلى سواء الطريق وتفصيل هذه الآية الكريمة بلا يعلمون
لما أنه أكثر طباقا لذكر السفه الذي هو فن من فنون الجهل ولأن الوقوف على أن المؤمنين ثابتون على الحق وهم على
الباطل منوط بالتمييز بين الحق والباطل وذلك مما لا يتسنى إلا بالنظر والاستدلال وأما النفاق وما فيه من الفتنة
والفساد وما يترتب عليه من كون المتصف به مفسدا فأمر بديهي يقف عليه من له شعور ولذلك فصلت الآية الكريمة
السابقة بلا يشعرون وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لتباين أحوالهم وتناقض أقوالهم في أثناء المعاملة
والمخاطبة حسب تباين المخاطبين وما صدرت به قصتهم لتحرير مذهبهم والترجمة عن نفاقهم ولذلك لم يتعرض ههنا
لمتعلق الإيمان فليس فيه شائبة التكرير روي أن عبد الله بن أبي وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من
الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فقال ابن أبي انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فلما دنوا منهم أخذ
بيد أبي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله عليه السلام ثم أخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق
القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم

رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل قال
له علي رضي الله عنه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر خلق الله تعالى فقال له مهلا يا ابا الحسن أبي تقول
هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن ابي لاصحابه كيف رأيتموني فعلت
فاذا رأيتموهم فافعلوا مثل ما فعلت فاثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروه بذلك فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اي صادفته
واستقبلته وقرئ اذا لاقوا واذا خلوا من خلوت بفلان والى فلان اذا انفردت معه وقد يستعمل بالباء او من خلا بمعنى
مضى ومنه القرون الخالية وقولهم خلاك ذم اي جاوزك ومضى عنك وقد جوز كونه من خلوت به اذا سخرت منه
على ان تعديته بالى في قوله تعالى الى شياطينهم لتضمنه معنى الانهاء اي واذا انهوا اليهم السخرية واستخبر بان بتعقيل
قولهم المحكي بذلك الانهاء ثم وجه لانهم ذو شياطينهم الماثلون منهم للشيطان في التمرد والعناد المظهرون
لكفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر وكبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نون الشيطان
تارة اصلية فيقال على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الخير والرحمة ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة
فوزنه فعلان على انه من شاط اي هلك او بطل ومن اسمائه الباطل وقيل معناه هاج واحترق قالوا انا معكم
اي في الدين والاعتقاد لا نفارقكم في حال من الاحوال وانما خاطبوهم بالجملة الاسمية المؤكدة لان مدعاهم
عندهم تحقيق الثبات على ما كانوا عليه من الدين والتاكيد للانباء عن صدق رغبتهم ووفور نشاطهم لا لانكار
الشياطين بخلاف معاملتهم مع المؤمنين فانهم لا يدعون عندهم الا احداث الايمان لخبثهم وبعدهم عن رواج ادعاء
الكمال فيه والثبات عليه انما نحن مستهزئون اي في اظهار الايمان عند المؤمنين مستهزئون بهم غير خاطرين بالنا الايمان
حقيقة فهو استئناف مبني على سؤال ناشئ من ادعاء المعية كانه قيل لهم عند قولهم انا معكم فما بالكم توافقون
المؤمنين في الاتيان بكلمة الايمان فقالوا انما نحن مستهزئون بهم فلا يقدح ذلك في كوننا معكم بل يؤكده او
قد ضمنوا اجوبتهم انهم يستهزئون المؤمنين ويعدون ذلك نصرة لدينهم او تاكيد لما قبله فان المستهزئ بالشيء مصر
على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر والاستهزاء بالشيء السخرية منه يقال هزئت واستهزأت
بمعنى واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على مكانه وتهزأ به ناقته اي تسرع به وتخف
الله يستهزئ بهم اي يجازيهم على استهزائهم سمي جزاؤه باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما للمشاكلة في اللفظ
او للمشابهة في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل عليهم الحقارة والهوان الذي هو
لازم الاستهزاء او يعاملهم معاملة المستهزئ بهم اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال
والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الآخرة فبما يروى انه يفتح لهم باب الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا
اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف للايذان بانهم
قد بلغوا في المبالغة في استهزاء المؤمنين الى غاية ظهرت شناعته عند السامعين وتعاظم عليهم ذلك حتى اضطرهم
الى ان يقولوا ما مصير امر هؤلاء وما عاقبة حالهم وفيه انه تعالى هو الذي يتولى امرهم ولا يحوجهم الى المعارضة بالمثل
ويستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم عنده من باب الاستهزاء حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم
من الذل والهوان ما لا يوصف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار كما يعرب عنه قوله عز وعلا
او لا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا خالين في اكثر الاوقات من تهتك استار وتكشف اسرار

اسرارهم ونزول في شأنهم واستشعار حذر من ذلك كما ينبئ عنه قوله عز وجل يحذر المنافقون ان تنزل عليهم
سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤوا ان الله مخرج ما تحذرون ويمدهم يزيدهم ويقويهم من مد الجيش
وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت الدواة والسراج اذا اصلحتهما بالحبر والزيت وايثاره على يزيدهم للدلالة على
ان ذلك منوط بسوء اختيارهم لما انه انما يتحقق عند الاستمداد وما يجري مجراه من الحاجة الداعية اليه كما في الآية
المذكورة وقرئ ويمدهم من الامداد وهو صريح في ان القراءة المشهورة ليست من المد في العمر على انه يستعمل باللام كما
قال الله تعالى ونمد له من العذاب مدا او حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير خلاف الاصل لا يصار اليه الا بدليل
في طغيانهم متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد في كل امر والمراد افراطهم في العتو وغلوهم في الكفر وقرئ
بكسر الطاء وهي لغة فيه كلقيان لغة في لقيان وفي اضافته اليهم ايذان باختصاصه بهم وتأييد لما اشير اليه من ترتب
المد على سوء اختيارهم يعمهون حال من الضمير المنصوب او المجرور لكون المضاف مصدرا فهو مرفوع حكما والعمه في البصيرة
كالعمى في البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدري اين يتوجه واسناد هذا المد الى الله تعالى مع اسناده في قوله تعالى
واخوانهم يمدونهم في الغي يحقق لقاعدة اهل الحق من ان جميع الاشياء مستندة من حيث الخلق اليه تعالى وان كانت افعال العباد
من حيث الكسب مستندة اليهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء النظم الكريم على مسلكهم سلكوا الى تعالى التأويل فقالوا
اولا بانهم لما اصروا على كفرهم خذلهم الله تعالى ومنعهم الطافه فتزايد الرين في قلوبهم فسمي ذلك مددا في الطغيان
فاسند ذلك اليه تعالى ففي المسند مجاز لغوي وفي الاسناد عقلي لانه اسناد للفعل الى المسبب وفاعله الحقيقي
هم الكفرة وثانيا بانه اريد بالمد في الطغيان ترك القسر والالجاء الى الايمان كما في قوله تعالى ونذرهم في طغيانهم
يعمهون فالمجاز في المسند فقط وثالثا بان المراد به معناه الحقيقي وهو فعل الشيطان لكنه اسند اليه سبحانه مجازا
لتمكينه تعالى واقداره اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عمن عداهم
اكمل تمييز بحيث صاروا كأنهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر
وسوء الحال ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى الذين اشتروا الضلالة بالهدى والجملة مسوقة لتقرير
ما قبلها وبيان لكمال جهالتهم فيما حكي عنهم من الاقوال والافعال باظهار غاية سماجتها وتصويرها بصورة ما لا يكاد
يتعاطاه من له ادنى تمييز فضلا عن العقلاء والضلالة الجور عن القصد والهدى التوجه اليه وقد استعير الاول
للعدول عن الصواب في الدين والثاني للاستقامة عليه والاشتراء استبدال السلعة بالثمن اي اخذها به لا بذله لتحصيلها
كما قيل فان كلا من بذل ... فان العبرة في عقد الشراء ومعناه هو الجلب دون السلب المعتبر في عقد البيع ثم استعير للاخذ
شيء باعطاء ما في يده عينا كان كل منهما او معنى ثم للاعراض عما في يده محصلا به غيره كما قيل وان ارسلت منه
ومنه قوله اخذت بالجمة رأسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى
المسلم اذ تنصرا فاشتراء الضلالة بالهدى مستعار لاخذها بدلا منه اخذا منوطا بالرغبة فيها والاعراض عنه
ولما اقتضى ذلك ان يكون ما يجري مجرى الثمن حاصلا للكفرة قبل العقد وما يجري مجرى المبيع غير حاصل لهم حينئذ
ولا شبهة في انهم بمعزل من الهدى ثم فرعوا على الضلالة استدعى المقام تحقيق ما جرى مجرى العوضين
فنقول وبالله التوفيق ليس المراد بما تعلق به الاشتراء ههنا جنس الضلالة الشاملة لجميع اصناف الكفرة حتى يكون
حاصلا لهم من قبل بل هو فردها الكامل الخاص بهؤلاء على ان اللام للعهد وهو عمههم المقرون بالمد في الطغيان
المترتب على ما حكي عنهم من القبائح وذلك انما يحصل لهم عند اليأس من اهتدائهم والختم على قلوبهم وكذا ليس

بما في حيز التمرن على الهدى بل هو التمكن التام منه بمشاهدة الآيات وتأخذ المقدمات المستتبعة له بطريق الاستعارة كأنه
نفس الهدى بجامع المشاركة في استتباع الجدوى ولا مرية في أن هؤلاء قد بلغوا في التمكن كان حاصلا لهم بما شاهدوه من
الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وبما سمعوه من نصائح المؤمنين التي من جملتها ما حكي من النهي
عن الإفساد في الأرض والأمر بالإيمان الصحيح وقد نبذوها وراء ظهورهم وأخذوا بدلها الضلالة الهائلة التي
هي العمه في تيه الطغيان ومن حمل الهدى على الفطرة الأصلية الحاصلة لكل أحد بأن إضاعتها غير مختصة بهؤلاء ولئن
حملت على الإضاعة التامة الواصلة إلى حد الختم على القلوب المختصة بهم فليس في إضاعتها فقط من الشناعة ما في
إضاعتها مع ما يؤيدها من المؤيدات العقلية والنقلية على أن ذلك يفضي إلى كون ما ذكر من فصل من أول السورة الكريمة
إلى هنا ضائعا وما بعد منه حمل اشتراء الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه في أيديهم بناء
على أنه يستعمل اتساعا في إيثار أحد الشيئين الكائنين في شرف الوقوع على الآخر فإنه مع خلوه عن المزايا المذكورة بالمرة
مخل برونق الترشيح الآتي هذا على تقدير جعل الاشتراء المذكور عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية وهو الأوفق
لتجاذب أطراف النظم الكريم وأما إذا جعل ترجمة عن جناية أخرى من جناياتهم فالمراد بالهدى ما كانوا عليه من معرفة
صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وحقية دينه بما كانوا يشاهدونه في التوراة من نعوته صلى الله عليه وسلم فقد كانوا
على يقين منه حتى كانوا يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد
نعته في التوراة ويقولون لهم قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به كما سيأتي ولا مساغ لحمل الهدى على ما كانوا يظهرونه عند لقاء المؤمنين فإنها ضلالة محضة
فما ربحت تجارتهم عطف على الصلة داخل في حيزها والفاء للدلالة على ترتب مضمونه عليها والتجارة صناعة التجار
وهو التصدي للبيع والشراء لتحصيل الربح وهو الفضل على رأس المال يقال ربح فلان في تجارته أي استشف فيها
وأصاب الربح وإسناد عدمه الذي هو عبارة عن الخسران إليها وهو لأربابها بناء على التوسع المبني على ما بينهما من
الملابسة وفائدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الإشعار بكثرة الخسار وعمومه المستتبع لسرايته إلى ما يلابسهم
وإيرادهما إثر الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاستعارة وتصوير لما فاتهم من فوائد الهدى بصورة
خسار التجارة الذي يتحاشى عنه كل أحد للإشباع في التخسير والتحسير ولا يقدح في ذلك أن التجارة في نفسها استعارة
لانهماكهم فيما هم عليه من إيثار الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعة لهم راسخة إذ ليس من
ضرورة الترشيح أن يكون باقيا على الحقيقة تابعا للاستعارة لا يقصد بها إلا تقويتها كما في قولك رأيت أسدا وافي
البراثن فإنك لا تريد به إلا زيادة تصوير للشجاع وأنه أسد كامل من غير أن تريد بلفظ البراثن معنى آخر بل قد يكون
مستعارا من ملائم المستعار منه لملائم المستعار له ومع ذلك يكون ترشيحا لأصل الاستعارة كما في قوله فلما رأيت
النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري فإن لفظ الوكرين مع كونه مستعارا من معناه الحقيقي الذي
هو موضع يتخذه الطائر للتفريخ للرأس واللحية أو للفودين أعني جانبي الرأس ترشيح باعتبار معناه الأصلي
لاستعارة لفظ النسر للشيب ولفظ ابن داية للشعر الأسود وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعارا للحلول والنزول
المستمر ترشيح لتينك الاستعارتين باعتبار ما ذكر وقرئ تجاراتهم وتعددها لتعدد المضاف إليهم وما كانوا
مهتدين إلى طرق التجارة فإن المقصود منها سلامة رأس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح في صفقة
فربما يتدارك في صفقة أخرى لبقاء الأصل وأما إتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعا فهؤلاء الذين كان

كان رأس مالهم الهدى فقد استبدلوا بها الضلالة فأضاعوا كلتا الطلبتين فبقوا خائبين خاسرين نائين عن طريق
التجارة بألف منزل فالجملة راجعة إلى الترشيح معطوفة على ما قبلها مشاركة له في الترتب على الاشتراء المذكور إلا أنه
عطفها على انتفاء الربح مثلهم زيادة كشف لحالهم وتصوير لها عقيب تصويرها بصورة ما يؤدي إلى الخسار بحسب المآل
بصورة ما يفضي إلى الخسار من حيث النفس هو يلائمها وإبانة لفظاعتها فإن التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل
واستنزاله عن مقام الاستعصاء عليه وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي وقمع سورة الجامح الآبي كيف لا وهو
كشف للحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وإبراز لها في معرض المحسوسات الجلية وإبداء للمنكر في صورة المعروف
وإظهار للوحشي في هيئة المألوف والمثل في الأصل بمعنى المثل والنظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه
ثم أطلق على القول السائر الذي يمثل مضربه بمورده وحيث لم يكن ذلك إلا قولا بديعا فيه غرابة صيرته جديرا
بالتسيير في البلاد وخليقا بالقبول فيما بين كل حاضر وباد استعير لكل حال أو صفة أو قصة لها شأن عجيب وخطر
غريب من غير أن يلاحظ بينها وبين شيء آخر تشبيه ومنه قوله عز وجل ولله المثل الأعلى أي الوصف الذي له شأن
عظيم وخطر جليل وقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون أي قصتها العجيبة الشأن كمثل الذي أي الذين كما في
قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا خلا أنه وحد الضمير في قوله تعالى استوقد نارا نظرا إلى الصورة وإنما جاز
ذلك مع عدم جواز وضع القائم مقام القائمين لأن المقصود بالوصف هي الجملة الواقعة صلة له دون نفسه بل
إنما هو وصلة لوصف المعارف بها ولأنه حقيق بالتخفيف لاستطالته بصلته ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه
ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في أسماء الفاعلين والمفعولين ولأنه ليس باسم تام بل هو كجزئه فحقه أن لا يجمع ويستوي فيه الواحد
والمتعدد كما هو شأن أخواته وليس الذين جمعه المصحح بل النون فيه مزيدة للدلالة على زيادة المعنى ولذلك جاء
بالياء أبدا على اللغة الفصيحة أو قصد به جنس المستوقد أو الفوج أو الفريق المستوقد والنار جوهر لطيف مضيء
حار محرق واشتقاقها من نار ينور إذا نفر لأن فيها حركة واضطرابا واستيقادها طلب وقودها أي سطوعها
وارتفاع لهبها وتنكيرها للتفخيم فلما أضاءت ما حوله الإضاءة فرط الإنارة كما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي
جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي متعدية ولازمة والفاء للدلالة على ترتبها على الاستيقاد أي فلما أضاءت
النار ما حول المستوقد أو فلما استضاء ما حوله والتأنيث لكونه عبارة عن الأماكن والأشياء أو أضاءت النار نفسها
فيما حوله على أن ذلك ظرف لإشراق النار المنزل منزلتها لا لنفسها أو ما مزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول
للدوران وقيل للعام حول لأنه يدور ذهب الله بنورهم النور ضوء كل نير واشتقاقه من النار والضمير للذي
والجمع باعتبار المعنى أي أطفأ الله نارهم التي هي مدار نورهم وإنما علق الإذهاب بالنور دون نفس النار لأنه المقصود
بالاستيقاد لا الاستدفاء ونحوه كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما أضاءت حيث لم يقل فلما شب ضرامها أو نحو ذلك وهو جواب
لما أجيب به عن سؤال سائل يقول ما بالهم أشبهت حالهم حال مستوقد انطفأت ناره أو بدل من جملة التمثيل على وجه البيان
والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للإيجاز وأمن الإلباس كأنه قيل فلما أضاءت
ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات خابطين متحيرين خائبين بعد الكدح في إحيائها وإسناد الإذهاب إلى الله تعالى إما لأن
الكل بخلقه تعالى وإما لأن الانطفاء حصل بسبب خفي أو أمر سماوي كريح أو مطر وإما للمبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل
بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والإمساك يقال ذهب السلطان بماله إذا أخذه وما أخذه الله عز وجل
فأمسكه فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر إلى النور لأن ذهاب الضوء قد يجامع

بقاء النور في الجملة لان عدم القوي لا يستلزم عدم الضعيف فالمراد ازالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى
وتركهم في ظلمات لا يبصرون فان الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالمرة لاسيما اذا كانت متضاعفة متراكمة متراكبا
بعضها على بعض كما يفيده الجمع والتنكير التفخيمي وما بعدها من قوله تعالى لا يبصرون لا يتحقق الا بعد ان لا يبقى من النور عين
ولا اثر واما ان المراد بالنار ما اريد بما في قوله تعالى من النار المجازية التي هي نار الفتنة والفساد كما في قوله تعالى كلما اوقدوا
نارا للحرب اطفأها الله ووصفها باضاءة ما حول المستوقد من باب الترشيح او النار الحقيقية التي يوقدها الغواة
ليتوصلوا بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العيث والفساد فاطفأها الله تعالى وخيب آمالهم ومن ان يخالا
بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجرى مجرى افعال القلوب قال فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن
حسن بنانه والمعصم والظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنعه من الرؤية
وقرئ في ظلمات بسكون اللام وفي ظلمة بالتوحيد ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح كأن الفعل غير متعد والمعنى
ان حالهم العجيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة التي هي عبارة عن ظلمتي الكفر والنفاق المستتبعتين لظلمة سخط الله تعالى
وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وظلمة العقاب السرمدي بالهدى الذي
هو النور الفطري المؤيد بما شاهدوه من دلائل الحق او بالهدى الذي كانوا حصلوه من ايمانهم حيثما ذكر كحال من استوقد
نارا عظيمة حتى كاد ينتفع بها فاطفأها الله تعالى وتركه في ظلمات هائلة لا يتسنى فيها الابصار صم بكم عمي اخبار
لمبتدأ محذوف هو ضمير المنافقين او خبر واحد بالتأويل المشهور كما في قولهم هذا حلو حامض والصمم آفة مانعة من السماع
واصله الصلابة واكتناز الاجزاء ومنه الحجر الاصم والقناة الصماء وصمام القارورة سدادها سمي به فقدان حاسة
السمع لما ان سببه اكتناز باطن الصماخ وانسداد منافذه بحيث لا يكاد يدخلها هواء يحصل الصوت بتموجه والبكم
الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما انهم حيث سدوا مسامعهم
عن الاصاخة لما يتلى عليهم من الآيات والذكر الحكيم وابوا ان يتلقوها بالقبول وينطقوا بها السنتهم ولم يجتلوا ما شاهدوا
من المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظروا الى آيات التوحيد المنصوبة في الآفاق والانفس بعين التدبر
واصروا على ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه صاروا كفاقدي تلك المشاعر بالكلية وهذا عند مفلقي سحرة
البيان من باب التمثيل البليغ المؤسس على تناسي التشبيه كما في قول من قال ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء
لما ان المقدر في النظم في حكم الملفوظ لا من قبيل الاستعارة التي يطوى فيها ذكر المستعار له بالكلية حتى لو لم يكن هناك قرينة
لحمل على المعنى الحقيقي كما في قول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم فهم لا يرجعون الفاء للدلالة
على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لا يعودون الى الهدى الذي تركوه وضيعوه او عن الضلالة
التي اخذوها والآية نتيجة للتمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتفظيع فان قصارى امر التمثيل بقاؤهم في ظلمات هائلة
من غير تعرض لتعري السمع والنطق من الاختلال مع اختلال مشعر الابصار وقيل الضمير المقدر وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضمائر
المتقدمة فالآية الكريمة تتمة للتمثيل وتكميل له بان ما اصابهم ليس مجرد انطفاء نارهم وبقائهم في ظلمات كثيفة هائلة
مع بقاء حاسة البصر بحالها بل اختلت مشاعرهم جميعا واتصفوا بتلك الصفات على طريقة التشبيه او الحقيقة فبقوا جامدين
في مكاناتهم لا يرجعون ولا يدرون ايتقدمون ام يتأخرون وكيف يرجعون الى ما ابتدأوا منه والعدول الى الجملة الاسمية
للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم وقرئ صما بكما عميا اما على الذم كما في قوله تعالى حمالة الحطب والمخصوص بالذم
من المنافقين او المستوقدين واما على الحالية من الضمير المنصوب في تركهم او المرفوع في لا يبصرون واما على المفعولية لتركهم

لتركهم فالضمير للمستوقدين او كصيب تمثيل لحالهم اثر تمثيل ليعم البيان منها كل دقيق وجليل ويوفي حقها من التفظيع
والتهويل فان تفننهم في فنون الكفر والضلال وتنقلهم فيها من حال الى حال حقيق بان يضرب في شانه الامثال ويرخى
في حلبته اعنة المقال ويمد لشرحه اطناب الاطناب ويعقد لاجله فصول وابواب لما ان كل كلام له حظ من البلاغة
وقسط من الجزالة والبراعة لابد ان يوفى فيه حق كل من مقامي الاطناب والايجاز فما ظنك بما في ذروة الاعجاز
من التنزيل الجليل ولقد نعي عليهم في هذا التمثيل تفاصيل جناياتهم وهو عطف على الاول على حذف المضاف لما في
من الضمائر المستدعية لذلك اي كمثل ذوي صيب وكلمة او للايذان بتساوي القصتين في الاستقلال بوجه التشبيه وبصحة التمثيل
بكل واحدة منهما وبهما معا والصيب فيعل من الصوب وهو النزول الذي له وقع وتأثير يطلق على المطر وعلى السحاب قال الشماخ
عفا آية نسج الجنوب مع الصبا واسحم دان صادق الرعد صيب ولعل الاول هو المراد ههنا لاستلزامه الثاني وتنكيره لانه
اريد نوع منه شديد هائل كالنار في التمثيل الاول وامد به ما فيه من المبالغات من جهة مادته الاصلية التي هي الصاد المستعلية
والياء المشددة والباء الشديدة ومن جهة هيئته الثانية اعني الصوت المنبئ عن شدة الانسكاب ومن جهة بنائه الدال على الثبات
وقرئ او كصايب من السماء متعلق بصيب او بمحذوف وقع صفة له والمراد بالسماء هذه المظلة وهي في الاصل كل
ما علاك من سقف ونحوه وعن الحسن انها موج مكفوف اي ممنوع بقدرة الله تعالى من السيلان وتعريفها للايذان بان
انشاء الصيب ليس من افق واحد فان كل افق من آفاقها اي كل ما يحيط به كل افق منها سماء على حدة قال ومن بعد
ارض بيننا وسماء كما ان كل طبقة من طباقها سماء قال تعالى واوحى في كل سماء امرها والمعنى انه صيب عام نازل من غمام
مطبق آخذ بالآفاق وقيل المراد بالسماء السحاب واللام لتعريف الحقيقة فيه ظلمات اي انواع منها وهي ظلمة تكاثفه
وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلاله مع ما يلزمه من الغمام الاسحم المطبق الآخذ بالآفاق مع ظلمة الليل وجعله
محلا لها مع ان بعضها لغيره كظلمتي الغمام والليل لما انهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة في شدته وتهويلا لامره
وايذانا بانه من الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام وهو السر في عدم جعل الظلمات هو الاصل المستتبع
للبواقي مع ظهور ظرفيتها للكل اذ لو قيل او كظلمات فيها صيب لما افاد ان للصيب ظلمة خاصة به فضلا عن كونها
غالبة على غيرها ورعد وهو صوت يسمع من السحاب والمشهور انه يحدث من اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض او من
انقلاع بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح اياه سوقا عنيفا وبرق وهو ما يلمع من السحاب من برق الشيء
بريقا اي لمع وكلاهما في الاصل مصدر ولذلك لم يجمعا وكونهما في الصيب باعتبار كونهما في اعلاه ومصبه ووصول
اثرهما اليه وكونهما في الظلمات الكائنة فيه والتنوين في الكل للتفخيم والتهويل كأنه قيل فيه ظلمات شديدة داجية
ورعد قاصف وبرق خاطف وارتفاع الجميع بالظرف على الفاعلية لتحقق شرط العمل بالاتفاق وقيل بالابتداء
والجملة اما صفة لصيب او حال منه لتخصصه بالصفة او بالعمل فيما بعده من الجار او من المستكن في الظرف الاول
على تقدير كونه صفة لصيب والضمائر في قوله عز وجل يجعلون اصابعهم في آذانهم للمضاف الذي اقيم مقام
المضاف اليه فان معناه باق وان حذف لفظه تعويلا على الدليل كما في قوله عز وعلا وكم من قرية اهلكناها
فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فان الضمير للاهل المدلول عليه بما قام مقامه من القرية قال حسان يسقون
من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل فان تذكير الضمير المستكن في يصفق لرجوعه الى الماء
المضاف الى بردى ولولا ذلك لانث حتما وايثار الجعل المنبئ عن دوام الابتداء واستمرار الاستقرار على الادخال المفيد لمجرد
الانتقال من الخارج الى الداخل للمبالغة في بيان سد المسامع باعتبار الزمان كما ان ايراد الاصابع بدل الانامل كذلك

في بيان سدتها باعتبار الكذا كانهم ستروها بجعلها لا بانالها فحسب كما هو المعتاد فيجوز ان يكون هذا ايماء الى كمال
حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم الحد الذي لا يهتدون معه الى استعمال الجوارح على الوجه المعهود وكذا الحال في عدم
تعيين الاصبع المعتادة اعني السبابة وقيل ذلك رعاية للادب والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب مبني على سؤال نشأ
من الكلام كانه قيل عند بيان احوالهم الهائلة فماذا يصنعون في تضاعيف تلك الشدة فقيل يجعلون الخ وقوله عز
وعلا من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق المقارنة للرعد من قولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة
رعد هائل تنقض معها شقة نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وبناؤها اما ان يكون
صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدرا كالعافية وقد تطلق على كل هائل مسموع
او مشاهد يقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او بشدة الصوت وسد الآذان انما يفيد على التقدير الثاني
دون الاول وقرئ من الصواقع وليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف يقال صقع الديك
وخطيب مصقع اي مجهر بخطبته حذر الموت منصوب بيجعلون على العلة وان كان معرفة بالاضافة كقوله واغفر
عوراء الكريم ادخاره واصفح عن شتم اللئيم تكرما ولا ضير في تعدد المفعول له فان الفعل يعلل بعلل شتى وقيل هو
نصب على المصدر اي يحذرون حذرا مثل حذر الموت والحذر والحذار هو شدة الخوف وقرئ حذار الموت
والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام
مقدرة والله محيط بالكافرين اي لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط شبه شمول قدرته تعالى اياهم وانطواء ملكوته
عليهم باحاطة المحيط بما احاط به في استحالة الفوت او شبه الهيئة المنتزعة من شؤونه تعالى معهم بالهيئة المنتزعة من
احوال المحيط مع المحاط فالاستعارة المبنية على التشبيه الاول استعارة تبعية في الصفة متفرعة على ما في مصدرها
من الاستعارة والمبنية على الثاني تمثيلية قد اقتصر من طرفي المشبه به على ما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها اعني
الاحاطة والبواقي منوية بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما حرر في قوله عز وجل ختم الله
على قلوبهم والجملة اعتراضية منبهة على ان ما صنعوا من سد الآذان بالاصابع لا يغني عنهم شيئا فان القدر لا يدفعه
الحذر والحيل لا ترد بأس الله عز وجل وفائدة وضع الكافرين موضع الضمير الراجع الى اصحاب الصيب الايذان
بان ما دهمهم من الامور الهائلة المحكية بسبب كفرهم على منهاج قوله تعالى كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم
ظلموا انفسهم فاهلكته فان الاهلاك الناشئ من السخط اشد وقيل هذا الاعتراض من جملة احوال المشبه على ان
المراد بالكافرين المنافقون قد دل به على انه لا مدفع لهم من عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة وانما وسط بين
احوال المشبه به مع ان القياس تقديمها او تأخيرها لاظهار كمال العناية وفرط الاهتمام ببيان المشبه يكاد البرق
استئناف آخر وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك يخطف ابصارهم
اي يختلسها ويستلبها بسرعة وكاد من افعال المقاربة وضع لمقاربة الخبر من الوجود لتأخذ اسبابه وتعاضد
مباديه لكنه لم يوجد بعد لفقد شرط او لعروض مانع ولا يكون خبرها الا مضارعا عاريا عن كلمة ان وشذ
مجيئه اسما صريحا كما في قوله فابت الى فهم وما كدت آئبا وكذا مجيئه معها حملا لها على عسى كما في مثل قول رؤبة
قد كاد من طول البلى ان يمصحا كما تحمل هي عليها بالحذف لما بينهما من المقارنة في اصل المقاربة وليس فيها
شائبة الانشائية كما في عسى وقرئ يخطف بكسر الطاء ويختطف ويخطف بفتح الياء والخاء بنقل فتحة التاء
الى الخاء وادغامها في الطاء ويخطف بكسرهما على اتباع الياء للخاء ويخطف من صيغة التفعيل ويتخطف من قوله

تعالى ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم كلما ظرف وما مصدرية والزمان محذوف اي كل زمان اضاءة
وقيل ما نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف اي كل وقت اضاء لهم فيه والعامل في كلما جوابها وهو
ثالث كانه قيل ما يفعلون في اثناء هذا الحال ايفعلون بل يفعلون باذانهم فقيل كلما نور البرق
لهم ممشى ومسلكا على ان اضاء متعد فالمفعول محذوف او كلما لمع لهم على انه لازم ويؤيده قراءة كلما ضاء مشوا فيه
اي في ذلك المسلك او في مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف ان يخطف ابصارهم وايثار المشي على ما فوقه من السعي
والعدو للاشعار بعدم استطاعتهم لهما واذا اظلم عليهم اي خفي البرق واستتر والمظلم وان كان غيره
لكن لما كان الاظلام دائرا على استتاره اسند اليه مجازا تحقيقا لما اريد من المبالغة في موجبات تخطيهم وقد جوز
ان يكون متعديا بالنقل من ظلم الليل ومنه ما جاء في قول ابي تمام هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه
امرد اشيب ويعضده قراءة اظلم على البناء للمفعول قاموا اي وقفوا في اماكنهم على ما كانوا عليه من الهيئة
متحيرين مترصدين لخفقة اخرى عسى يتسنى لهم الوصول الى المقصد او الالتجاء الى ملجأ يعصمهم وايراد كلما مع الاضاءة
واذا مع الاظلام للايذان بانهم حراص على المشي مترقبون لما يصححه فكلما وجدوا فرصة انتهزوها ولا كذلك
التوقف وفيه من الدلالة على كمال التحير وتطاير اللب ما لا يوصف ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم
كلمة لو لتعليق حصول امر ماض هو الجزاء بحصول امر مفروض فيه هو الشرط لما بينهما من الدوران حقيقة او ادعاء
ومن قضية مفروضية الشرط دلالتها على انتفائه قطعا والمنازع فيه مكابر واما دلالتها على انتفاء الجزاء فقد قيل
وقيل والحق الذي لا محيد عنه انه ان كان ما بينهما من الدوران كليا او جزئيا قد بني الحكم على اعتباره فهي دالة
عليه بواسطة مدلولها الوضعي لا محالة ضرورة استلزام انتفاء العلة لانتفاء المعلول اما في مادة الدوران
الكلي كما في قوله عز وجل ولو شاء لهديكم اجمعين وقولك لو جئتني لاكرمتك فظاهر لان وجود المشيئة علة
لوجود الهداية حقيقة ووجود المجيء علة لوجود الاكرام ادعاء وقد انتفيا بحكم المفروضية فانتفى معلولهما
حتما واما انه قد يساق الكلام لتعليل انتفاء الجزاء بانتفاء الشرط كما في المثالين المذكورين وهو الاستعمال
الشائع لكلمة لو ولذلك قيل هي لامتناع الثاني لامتناع الاول فقد يساق للاستدلال بانتفاء الثاني لكونه
ظاهرا او مسلما على انتفاء الاول لكونه خفيا او متنازعا فيه كما في قوله سبحانه لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا وفي قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه فان فسادهما لازم لتعدد الآلهة حقيقة وعدم سبق المؤمنين
الى الايمان لازم لخيريته في زعم الكفرة ولا ريب في انتفاء اللازم فيتعين انتفاء الملزوم حقيقة في
الاول وادعاء في الثاني ضرورة استلزام انتفاء اللازم لانتفاء الملزوم لكن لا بطريق السببية الخارجية
كما في المثالين الاولين بل بطريق الدلالة العقلية الراجعة الى سببية العلم بانتفاء الثاني للعلم بانتفاء الاول
ومن لم يتنبه له زعم انه لانتفاء الاول لانتفاء الثاني واما في مادة الدوران الجزئي كما في قولك لو طلعت
الشمس لوجد الضوء فان الجزاء المنوط بالشرط الذي هو طلوعها ليس وجود اي ضوء كان كضوء القمر مع
عدم الطلوع مثلا بل انما هو وجود الضوء الخاص الناشئ من الطلوع فلا ريب في انتفائه بانتفاء الطلوع
هذا اذا بني الحكم على اعتبار الدوران واما اذا بني على عدمه فاما ان يعتبر هناك تحقق مدار آخر له او لا
فان اعتبر فالدلالة تابعة لحال ذلك المدار فان كان بينه وبين انتفاء الاول منافاة تعين الدلالة كما
اذا قلت لو لم تطلع لوجد الضوء فان وجود الضوء وان علق صورة بعدم الطلوع لكنه في الحقيقة

معلق بسبب آخر لما أن عدم الطلوع من حيث هو هو ليس مداراً لوجود الضوء حقيقة وإنما وضع موضع المدار
لكونه كاشفاً عن تحقق مداره الآخر فكأنه قيل لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء بسبب آخر كالقمر مثلاً ولا شبهة في أن هذا
الجزاء منتفٍ عند انتفاء الشرط لاستحالة وجود الضوء القمري عند طلوع الشمس وإن لم يكن بينهما منافاة تعين
عدم الدلالة كما في قوله صلى الله عليه وسلم في بنت أبي سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي إنها لابنة أخي من
الرضاعة فإن المدار المعتبر في ضمن الشرط أعني كونها ابنة لأخيه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة غير منافٍ لانتفائه
الذي كونها ربيبته صلى الله عليه وسلم بل يجامعه ومن ضرورته مجامعة أثريهما أعني الحرمة الناشئة من كونها
ربيبته صلى الله عليه وسلم والحرمة الناشئة من كونها ابنة لأخيه من الرضاعة وإن لم يعتبر هنالك تحقق مدار آخر
بل بني الحكم على اعتبار عدمه فلا دلالة لها على ذلك أصلاً كيف لا وما في الكلام حينئذ لبيان ثبوت الجزاء
على كل حال بتعليقه بما ينافيه ليعلم ثبوته عند عدم ما لا ينافيه بالطريق الأولى كما في قوله عز وجل قل لو كنتم تملكون
خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم وقوله صلى الله عليه وسلم لو كان الإيمان في الثريا لناله رجال من فارس
وقول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً فإن الأجزية المذكورة قد نيطت بما ينافيها ويستدعي
نقائضها إيذاناً بأنها في أنفسها بحيث يجب ثبوتها مع فرض انتفاء أسبابها أو تحقق أسباب انتفائها فكيف
إذا لم يكن كذلك على طريقة لو الوصلية في مثل قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وحيث انفصل
ونعم ما يتبع تحقيقها في تفسير قوله تعالى أو لو كنا كارهين وقول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف
الله لم يعصه إن حمل على تعليق عدم العصيان في ضمن عدم الخوف بمدار آخر نحو الحياء والإجلال وغيرهما
مما يجامع الخوف كان من قبيل حديث ابنة أبي سلمة وإن حمل على بيان استحالة عصيانه مبالغة كان من هذا
القبيل والآية الكريمة واردة على الاستعمال الشائع مفيدة لكمال فظاعة حالهم وغاية هول ما دهمهم من
المشاق وأنها بلغت من الشدة إلى حيث لو تعلقت مشيئة الله تعالى بإزالة مشاعرهم لزالت لتحقق ما يقتضيه
اقتضاءً تاماً وقيل كلمة لو فيها لربط جزائها بشرطها مجردة عن الدلالة على انتفاء أحدهما لانتفاء الآخر
بمنزلة كلمة إن ومفعول المشيئة محذوف جرياً على القاعدة المستمرة فإنها إذا وقعت شرطاً وكان
مفعولها مضمون الجزاء فلا يكاد يذكر إلا أن يكون شيئاً مستغرباً كما في قوله فلو شئت أن أبكي دماً لبكيته
عليه ولكن ساحة الصبر أوسع أي لو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لفعل ولكن لم يشأ لما
يقتضيه من الحكم والمصالح وقرئ لأذهب بأسماعهم على زيادة الباء كما في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم
إلى التهلكة والإفراد في المشهور لأن السمع مصدر في الأصل والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها
من الجمل الاستئنافية وقيل على كلما أضاء الخ وقوله عز وجل إن الله على كل شيء قدير تعليل للشرطية وتقرير
لمضمونها الناطق بقدرته تعالى على إزالة مشاعرهم بالطريق البرهاني والشيء بحسب مفهومه اللغوي يقع على
كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه كائناً ما كان على أنه في الأصل مصدر شاء أطلق على المفعول واكتفى في ذلك
باعتبار تعلق المشيئة به من حيث العلم والإخبار عنه فقط وقد خص هاهنا بالممكن موجوداً كان أو معدوماً
بقضية اختصاص تعلق القدرة به لما أنها عبارة عن التمكن من الإيجاد والإعدام الخاصين به وقيل هي
صفة تقتضي ذلك التمكن والقادر هو الذي إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل والقدير هو الفعال لكل ما
يشاء كما يشاء ولذلك لم يوصف به غير الباري جل جلاله ومعنى قدرته تعالى على الممكن الموجود حال

وجوده أنه إن شاء إبقاءه على الوجود أبقاه عليه فإن علة الوجود هي علة البقاء وقد مر تحقيقه في تفسير
قوله تعالى رب العالمين وإن شاء إعدامه أعدمه ومعنى قدرته على المعدوم حال عدمه أنه إن شاء إيجاده
أوجده وإن لم يشأ لم يوجده وقيل قدرة الإنسان هيئة بها يتمكن من الفعل والترك وقدرة الله تعالى
عبارة عن نفي العجز عنه واشتقاق القدرة من القدر لأن القادر يوقع الفعل بقدر ما تقتضيه إرادته أو بقدر
قوته وفيه دليل على أن مقدور العبد مقدور لله تعالى حقيقة لأنه شيء وكل شيء مقدور له تعالى واعلم
أن كل واحد من التمثيلين وإن احتمل أن يكون من قبيل التمثيل المفرق كما في قوله كأن قلوب الطير رطباً ويابساً
لدى وكرها العناب والحشف البالي بأن يشبه المنافقون في التمثيل الأول بالمستوقدين وهداهم الفطري
بالنار وتأييدهم إياه بما شاهدوه من الدلائل باستيقادها وتمكنهم التام من الانتفاع به بإضاءتها ما
حولهم وإزالته بإذهاب النور الباصري وإحداث الضلالة لنعمائهم بعدم انتفاعهم بالظلمات الكثيفة وبقائهم
فيها متحيرين وفي التمثيل الثاني بالسائلين والقرآن وما فيه من العلوم والمعارف التي هي مدار الحياة الأبدية
بالصيب الذي هو سبب الحياة الأرضية وما عرض لهم بنزوله من الغموم والأحزان وانكسار البال
بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وتصامّهم عما يقرع أسماعهم من الوعيد بحال من يهوله
الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيسد أذنه عنها ولا خلاص لهم منها واهتزازهم بما يلمع لهم من رشد
يدركونه أو رفد يحرزونه بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم وتحيرهم في أمرهم حين عنّ لهم مصيبة
بوقوفهم إذا أظلم عليهم لكن الحمل على التمثيل المركب الذي لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد من المفردات الواقعة
في أحد الجانبين بواحد من المفردات الواقعة في الجانب الآخر على وجه التفصيل بل ينتزع فيه من المفردات الواقعة
في جانب المشبه هيئة فتشبه بهيئة أخرى منتزعة من المفردات الواقعة في جانب المشبه به بأن ينتزع من المنافقين
وأحوالهم المفصلة في كل واحد من التمثيلين هيئة على حدة فينتزع من كل واحد من المستوقدين وأصحاب الصيب
وأحوالهم المحكية هيئة بحيالها فتشبه كل واحدة من الأوليين بما يضاهيها من الأخريين هو الذي يقتضيه جزالة
التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل لاشتماله على التشبيه الأول إجمالاً مع أمر زائد هو تشبيه الهيئة
بالهيئة وإيذانه بأن اجتماع تلك المفردات مستتبع لهيئة عجيبة حقيقة بأن تكون مثلاً في الغرابة يا أيها
الناس اعبدوا ربكم إثر ما ذكر الله تعالى علو طبقة كتابه الكريم وتحزب الناس في شأنه إلى ثلاث فرق مؤمنة
به محافظة على ما فيه من الشرائع والأحكام وكافرة قد نبذته وراء ظهرها بالمجاهرة والشقاق وأخرى
مذبذبة بينهما بالمخادعة والنفاق ونعت كل فرقة منها بما لها من النعوت والأحوال وبين ما لهم
من المصير والمآل أقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزاً لهم إلى الإصغاء وتوجيهاً لقلوبهم نحو التلقي
وجبراً لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فأمرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الإشراك به ويا
حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلاً له منزلة البعيد إما إجلالاً كما في قول الداعي
يا الله ويا رب وهو أقرب إليه من حبل الوريد استقصاراً لنفسه واستبعاداً لها من محافل الزلفى
ومنازل المقربين وإما تنبيهاً على غفلته وسوء فهمه وقد يقصد به التنبيه على أن ما يعقبه أمر خطير
يعتنى بشأنه وأي اسم مبهم جعل وصلة إلى نداء المعرف باللام لا على أنه المنادى أصالة بل على أنه
صفة موضحة له مزيلة لإبهامه والتزم رفعه مع انتصاب موصوفه محلاً إشعاراً بأنه المقصود بالنداء

وأُقحمت بينهما كلمة التنبيه تأكيداً لمعنى النداء وتعويضاً عما يستحقه أي من المضاف إليه وكثر النداء على هذه
الطريقة لاستقلاله بأوجه من أسباب المبالغة والتأكيد كثر سلوكها في التنزيل المجيد كيف لا وكل ما ورد في تضاعيفه على العباد
من الأحكام والشرائع وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بأن تستشعر منها الجلود وتطمئن بها القلوب الأبية ويتلقونها
بآذان واعية وأكثرهم عنها غافلون فاقتضى الحال المبالغة والتأكيد في الإيقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة
المكلفين الموجودين في ذلك العصر لما أن الجموع وأسماءها المحلاة باللام للعموم بدليل صحة الاستثناء منها
والتأكيد بما يفيد العموم كما في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون واستدلال الصحابة رضوان الله تعالى
عليهم أجمعين بعمومها شائعاً ذائعاً وأما من عداهم ممن سيوجد منهم فغير داخلين في خطاب المشافهة وإنما دخولهم
تحت حكمه لما تواتر من دينه صلى الله عليه وسلم ضرورة أن مقتضى خطابه وأحكامه شامل للموجودين من المكلفين
ولمن سيوجد منهم إلى قيام الساعة ولا يقدح في العموم ما روي عن علقمة والحسن البصري من أن كل ما نزل
فيه يا أيها الناس فمكي إذ ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله تعالى اختصاص حكمه بأهلها ولا من قضية
اختصاصه بهم اختصاصه بالكفار إذ لم يكن كل أهلها حينئذ كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في بعض المكلفين
قبل ورود هذا الأمر لما أن المأمور به القدر المشترك الشامل لإنشاء العبادة والثبات عليها والزيادة فيها مع أنها
متكررة حسب تكرر أسبابها ولا في انتفاء شرطها في البعض منهم أعني الإيمان لأن الأمر بها منتظم للأمر بالإيمان
لا بد منه فقد علم من الدين ضرورة اشتراطها به فإن أمر المحدث بالصلاة مستتبع للأمر بالتوضي لا محالة وقد قيل
المراد بالعبادة ما يعم أفعال القلب أيضاً لما أنها عبارة عن غاية التذلل والخضوع ومروي عن ابن عباس رضي الله عنه
أن كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا وأطيعوا ولا في كون بعض
من الكفرة ممن أخبر تعالى بأنه لا يجري فيهم الإنذار بموجب النص القاطع لما أن الأمر لقطع الأعذار وليس فيه
تكليفهم بما ليس في وسعهم من الإيمان بعدم إيمانهم أصلاً إذ لا قطع لأحد منهم بدخوله في حكم النص قطعاً ودخوله في حكم
النص بذلك لكونهم في أنفسهم بسوء اختيارهم كذلك لا أن كونهم كذلك لورود النص بذلك فلا جبر أصلاً نعم
تخصيص الخطاب بالمشركين وجه لطيف ستقف عليه عند قوله تعالى وأنتم تعلمون وإيراده تعالى بعنوان الربوبية مع الإضافة
إلى ضمير المخاطبين لتأكيد موجب الأمر بالإشعار بعليتها للعبادة الذي خلقكم صفة جرت عليه سبحانه للتبجيل
والتعليل إثر التعليل وقد جوز أن يكون للتقييد والتوضيح بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل الرب على ما
يعم الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها أرباباً والخلق إيجاد الشيء على تقدير واستواء وأصله التقدير يقال
خلق النعل إذا قدرها وسواها بالمقياس وقرئ خلقكم بإدغام القاف في الكاف والذين من قبلكم عطف على
الضمير المنصوب ومنتظم لما قصد من التعظيم والتعليل فإن خلق أصولهم من موجبات العبادة كخلق أنفسهم ومن ابتدائية
متعلقة بمحذوف أي كائنين من قبل زمانكم وقيل خلقهم من قبل خلقكم فحذف الخلق وأقيم الضمير مقامه
والمراد بهم من تقدمهم من الأمم السالفة كافة ومن ضرورة عموم الخطاب بأن شمول خلقه تعالى للكل وتخصيصه
بالمشركين يؤدي إلى عدم التعرض لخلق من عداهم من معاصريهم وإخراج الجملة مخرج الصلة التي حقها أن تكون
معلومة الانتساب إلى الموصول عندهم أيضاً مع أنهم غير معترفين بغاية الخلق وإن اعترفوا بنفسه كما ينطق به
قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله للإيذان بأن خلقهم للتقوى من الظهور بحيث لا يتأتى لأحد
إنكاره وقرئ وخلق من قبلكم وقرئ والذين من قبلكم بإقحام الموصول الثاني بين الأول وصلته توكيداً كما

كإقحام اللام بين المضافين في لا أبا لك أو بجعله موصوفاً بالظرف خبراً لمبتدأ محذوف أي الذين هم أناس كائنون قبلكم
لعلكم تتقون المعنى الوضعي لكلمة لعل هو إنشاء توقع أمر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الأول إما محبوب
فيسمى ترجياً أو مكروه فيسمى إشفاقاً وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل إما من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله
يرحمني وهو الأصل الشائع في الاستعمال لأن معاني الإنشاءات قائمة به وإما من جهة المخاطب تنزيلاً له منزلة
المتكلم في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله سبحانه فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى وقد يعتبر
تحققه بالقوة بضرب من التجوز إيذاناً بأن ذلك الأمر في نفسه مئنة للتوقع متصف بحيثية مصححة له من غير
أن يعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع أصلاً فإن روعيت في الآية الكريمة جهة المتكلم يستحيل إرادة ذلك المعنى
لامتناع التوقع من علام الغيوب عز وجل فيصار إما إلى الاستعارة بأن يشبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع
كونهم مئنة لها لتعاضد أسبابها برجاء الراجي من المرجو منه أمراً هين الحصول في كون متعلق كل منهما متردداً بين
الوقوع وعدمه مع رجحان الأول فيستعار له كلمة لعل استعارة تبعية حرفية للمبالغة في الدلالة على قوة
الطلب وقرب المطلوب من الوقوع وإما إلى التمثيل بأن يلاحظ خلقه تعالى إياهم مستعدين للتقوى وطلبه إياها منهم وهم متمكنون
منها جامعون لأسبابها وينتزع من ذلك هيئة فتشبه بهيئة منتزعة من الراجي ورجائه من المرجو منه شيئاً سهل المنال
فيستعمل في الهيئة الأولى ما حقه أن يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية قد صرح من ألفاظها بما هو العمدة
في انتزاع الهيئة المشبه بها أعني كلمة الترجي والباقي منوي بألفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل
كما مر مراراً وأما جعل المشبه إرادته تعالى في الاستعارة والتمثيل فأمر مؤسس على قاعدة الاعتزال القائلة
بجواز تخلف المراد عن إرادته تعالى فالجملة إما حال من فاعل خلقكم أي طالباً منكم التقوى أو من مفعوله وما عطف
عليه بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين لأنهم المأمورون بالعبادة أي خلقكم وإياهم مطلوباً منكم التقوى
أو علة له فإن خلقهم على تلك الحال في معنى خلقهم لأجل التقوى كأنه قيل خلقكم لتتقوا أو كي تتقوا إما بناء على
تجويز تعليل أفعاله تعالى بأغراض راجعة إلى العباد كما ذهب إليه كثير من أهل السنة وإما تنزيلاً لترتب الغاية
على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فإن استتباع أفعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة جليلة
من غير أن يكون هي علة غائية لها بحيث لولاها لما أقدم عليها مما لا نزاع فيه وتقييد خلقهم بما ذكر من الحال
أو العلة لتكميل عليته للمأمور به وتأكيدها فإن إتيانهم بما خلقوا له أدخل في الوجوب وإيثار تتقون على
تعبدون مع موافقته لقوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون للمبالغة في إيجاب العبادة والتشديد
في إلزامها لما أن التقوى قصارى أمر العابد ومنتهى جهده فإذا لزمتهم كان ما هو أدنى منه ألزم والإتيان
بما هو أولى وإن روعيت جهة المخاطب فلعل في معناها الحقيقي والجملة حال من ضمير اعبدوا كأنه قيل اعبدوا ربكم
راجين للانتظام في زمرة المتقين الفائزين بالهدى والفلاح على أن المراد بالتقوى مرتبتها الثالثة التي هي
التبتل إلى الله عز وجل بالكلية والتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق وهي أقصى غايات العبادة التي يتنافس
فيها المتنافسون وبالانتظام في زمرة المتقين انتظامه والثبات عليه ليرجحهم أرباب هذه المرتبة وما دونها من
مرتبتي التوقي عن العذاب المخلد والتجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك كما مر في تفسير المتقين فيعلل
توسيط الحال من الفاعل بين وصفي المفعول لما في التقدير من فوت الإشعار بكون الوصف الأول معظم أحكام الربوبية
وكونه عريقاً في إيجاب العبادة وفي التأخير من زيادة طول الكلام هذا على تقدير اعتبار تحقق التوقع بالفعل

تاماً إن اعتبر تحققه بالقوة فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه على الطريقة المذكورة أي خلقكم وإياهم
حال كونكم جميعاً بحيث يرجو منكم كل راج أن تتقوا فإنه سبحانه وتعالى لما برأهم مستعدين للتقوى جامعين لمباديها
الآفاقية والأنفسية كان حالهم بحيث يرجو منهم كل راج أن يتقوا لا محالة وهذه الحالة مقارنة لخلقهم وإن
لم يتحقق الرجاء قطعاً واعلم أن الآية الكريمة مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم عبادته على كافة
الناس مرشدة لهم بإشارتها إلى أن مطالعة الآيات التكوينية المنصوبة في الأنفس والآفاق مما يقضي بذلك قضاءً
متقناً وقد بين فيها أولاً من تلك الآيات ما يتعلق بأنفسهم من خلقهم وخلق أسلافهم لما أنه أقوى شهادة وأظهر دلالة
ثم عقب بما يتعلق بمعاشهم فقيل الذي جعل لكم الأرض فراشاً وهو في حيز النصب على أنه صفة ثانية لربكم موضحة
أو مادحة أو على تقدير أخص أو أمدح أو في حيز الرفع على المدح والتعظيم بتقدير المبتدأ قال ابن مالك التزم
في الفعل في المنصوب على المدح استغناءً بأنه للإنشاء كما في المنادى وحذف المبتدأ في المرفوع إجراء للوجهين على سنن
واحد وأما كونه مبتدأ خبره فلا تجعلوا كما قيل فيستدعي أن يكون مناط النهي ما في حيز الصلة فقط من غير أن يكون
لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل في ذلك مع كونه أعظم شأناً وجعل بمعنى صيّر والمنصوبان بعده مفعولاه
وقيل هو بمعنى خلق وانتصاب الثاني على الحالية والظرف متعلق به على التقديرين وتقديمه على المفعول الصريح
لتعجيل المسرة ببيان كونه من منافع المخاطبين وللتشويق إليه لأن النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما
بعد الإشعار بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن ولما في المؤخر وما عطف عليه
من نوع طول لو قدم لفات تجاوب أطراف النظم الكريم ومعنى جعلها فراشاً جعل بعضها بارزاً من الماء مع اقتضاء
طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للقعود عليها والنوم فيها كالبساط المفروش
وليس من ضرورة ذلك كونها سطحاً حقيقياً فإن كرية شكلها مع عظم جرمها مصححة لافتراشها وقرئ بساطاً
ومهاداً والسماء بناءً عطف على المفعولين الأولين وتقديم حال الأرض لما أن احتياجهم إليها وانتفاعهم بها أكثر
وأظهر أي جعلها قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد أو جمع سماءة أو سماوة والبناء
في الأصل مصدر سمي به المبني بيتاً كان أو قبة أو خباءً ومنه قولهم بنى على امرأته لما أنهم كانوا إذا تزوجوا امرأة
ضربوا عليها خباءً جديداً وأنزل من السماء ماءً عطف على جعل أي أنزل من جهتها أو منها إلى السحاب ومن السحاب إلى الأرض
كما روي ذلك عنه صلى الله عليه وسلم أو المراد بالسماء جهة العلو كما ينبئ عنه الإظهار في موقع الإضمار وهو
على الأولين لزيادة التقرير ومن لابتداء الغاية متعلقة بأنزل أو بمحذوف وقع حالاً من المفعول إذ لو كان متأخراً
قدم عليه لكونه نكرة وأما تقديم الظرف على الوجه الأول مع أن حقه التأخير عن المفعول الصريح فلما أن السماء
أصله ومبدؤه ولما مر من التشويق إليه مع ما فيه من مزيد انتظام بينه وبين قوله تعالى فأخرج به أي بسببه
من الثمرات رزقاً لكم وذلك بأن أودع في الماء قوة فاعلة وفي الأرض قوة منفعلة فتولد من تفاعلهما أصناف
الثمار أو بأن أجرى عادته بإفاضة صور الثمار وكيفياتها المتخالفة على المادة الممتزجة منهما وإن كان المؤثر
في الحقيقة قدرته تعالى ومشيئته فإنه تعالى قادر على أن يوجد جميع الأشياء بلا أسباب ومواد كما أبدع نفوس الأسباب والمواد
لكن له عز وجل في إنشائها متقلبة في الأحوال ومتبدلة في الأطوار من بدائع حكم باهرة تجدد لأولي الأبصار عبراً
ومزيد طمأنينة إلى عظيم قدرته ولطيف حكمته ما ليس في إبداعها بغتة ومن للتبعيض لقوله فأخرجنا به ثمرات ولوقوع
بين منكرين أعني ماءً ورزقاً كأنه قيل وأنزل من السماء بعض الماء فأخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا

الواقع إذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا أخرج من الأرض كل الثمرات ولا جعل المرزوق كل الثمار أو للتبيين ورزقاً
مفعول بمعنى المرزوق ومن الثمرات بيان له أو حال منه كقولك أنفقت من الدراهم ألفاً ويجوز أن يكون من الثمرات مفعولاً
ورزقاً حالاً منه أو مصدراً من أخرج لأنه بمعنى رزق وإنما ساغ ورود الثمرات دون الثمار مع أن الموضع موضع كثرة
لأنه أريد بالثمرات جماعة الثمرة في قولك أدركت ثمرة بستانه ويؤيده القراءة على التوحيد أو لأن الجموع يقع بعضها
موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله تعالى ثلاثة قروء أو لأنها محلاة باللام خارجة عن حد القلة
واللام متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقاً على تقدير كونه بمعنى المرزوق أي رزقاً كائناً لكم أو دعامة لتقوية عمل
رزقاً على تقدير كونه مصدراً كأنه قيل رزقاً إياكم فلا تجعلوا لله أنداداً إما متعلق بالأمر السابق مترتب عليه
كأنه قيل إذا أمرتم بعبادة من هذا شأنه من التفرد بهذه النعوت الجليلة والأفعال الجميلة فلا تجعلوا له شريكاً وإنما
قيل أنداداً باعتبار الواقع لا لأن مدار النهي هو الجمعية وقرئ نداً وإيقاع الاسم الجليل موقع الضمير لتعيين
المعبود بالذات بعد تعيينه بالصفات وتعليل الحكم بوصف الألوهية التي عليها يدور أمر الوحدانية واستحالة الشركة
والإيذان باستتباعها لسائر الصفات وإما معطوف عليه كما في قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً والفاء للإيذان
بعلية ما قبلها من الصفات الجارية عليه تعالى للنهي أو للانتهاء أو لأن مآل النهي هو الأمر بتخصيص العبادة به تعالى المترتب على
أصلها كأنه قيل اعبدوه وخصوها به والإظهار في موضع الإضمار لما مر آنفاً وقيل هو نفي منصوب بإضمار أن جواباً
للأمر ويأباه أن ذلك فيما يكون الأول سبباً للثاني ولا ريب في أن العبادة لا تكون سبباً للتوحيد الذي هو أصلها
ومبناها وقيل هو منصوب بلعل نصب فأطلع في قوله تعالى لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى
أي خلقكم لتتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه وحيث كان مدار هذا النصب تشبيه لعل في بعد المرجو بليت كان
فيه تنبيه على تقصيرهم بجعلهم المرجو القريب بمنزلة المتمنى البعيد وقيل هو متعلق بقوله تعالى الذي جعل لكم على
تقدير رفعه على المدح أي هو الذي حفظكم بهذه الآيات العظام والدلائل النيرة فلا تتخذوا له شركاء وفيه ما مر من
لزوم كون خلقهم وخلق أسلافهم بمعزل من مناط النهي مع عراقتهما فيها وقيل هو خبر للموصول بتأويل مقول
في حقه وقد عرفت ما فيه مع لزوم المصير إلى رأي الأخفش في تنزيل الاسم الظاهر منزلة الضمير كما في قول من قال
أبو عبد الله لذا كان ذلك كنيته والند المثل المناوئ من ند ندوداً إذا نفر وناددته خالفته خص بالمخالف
المماثل بالذات كما خص المساوي بالمماثل في القدر وتسميتها ما يعبده المشركون من دون الله أنداداً والحال أنهم ما زعموا
أنها تماثله تعالى في صفاته ولا أنها تخالفه في أفعاله لما أنهم تركوا عبادته تعالى إلى عبادتها وسموها آلهة شابهت
حالهم حال من يعتقد أنها ذوات واجبة بالذات قادرة على أن تدفع عنهم بأس الله عز وجل وتمنحهم ما لم يرد الله تعالى
بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بأن جعلوا أنداداً لمن يستحيل أن يكون له ند واحد وفي ذلك قال موحد الجاهلية
زيد بن عمرو بن نفيل: أرباً واحداً أم ألف رب ... أدين إذا تقسمت الأمور ... تركت اللات والعزى جميعاً ... كذلك
يفعل الرجل البصير. وقوله تعالى وأنتم تعلمون حال من ضمير لا تجعلوا بصرف التقييد إلى ما أفاده النهي من قبح المنهي
عنه ومن وجوب الاجتناب عنه ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كأنه قيل لا تجعلوا ذلك فإنه قبيح واجب الاجتناب عنه
والحال أنكم من أهل العلم والمعرفة بدقائق الأمور وإصابة الرأي أو مقدر حسبما يقتضيه المقام نحو وأنتم تعلمون بطلان
ذلك أو تعلمون أنها لا تماثله شيئاً أو تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت أو تعلمون أنها لا تفعل مثل أفعاله كما في قوله تعالى
هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء أو غير ذلك وحاصله تنشيط المخاطبين وحثهم على الانتهاء عما نهوا عنه هذا

هو الذي يقتضيه عموم الخطاب في النهي بجعل المنهي عنه القدر المشترك المنتظم لانشاء الانداد كما هو شأن الكفرة
والثبات عليها كما هو شأن المؤمنين جميعا ومثله في الامر وما حرر من التقييد الى نفس النهي فيستدعي تخصيص الخطاب بالكفرة
لاستحالة ... لا يتسنى ذلك بطريق قصر النهي على حالة العلم ضرورة شمول التكليف للعالم والجاهل المتمكن من العلم
بل انما يتأتى بطريق المبالغة في النهي والتقريع بناء على ان تعاطي القبائح من العالمين بقبحها اقبح وذلك انما
يتصور في حق الكفرة فمن صرف التقييد الى نفس النهي مع تعميم الخطاب للمؤمنين ايضا فقد نأى عن التحقيق ان قلت
أليس في تخصيصه بالكفرة في الامر والنهي خلاص من امثال ما مر من التكلفات وحسن النظام بين السباق والسياق اذ ذاك
في آية التحدي من تجريد الخطاب وتخصيصه بالكفرة لا محالة فيه من زيادة تحمل المؤمنين ونحو شأنهم عن حيز الانتظام
في سلك الكفرة والايذان بانهم مستمرون على الطاعة والعبادة حسبما مر تفصيله من السورة الكريمة مستغنون في ذلك
عن الامر والنهي قلت بلى انه وجه سري ونهج سوي لا يضل من ذهب اليه ولا بد من ذلك فدعه علينا فتأمل
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا شروع في تحقيق ان الكتاب الكريم الذي من جملته ما تلي من الآيتين الكريمتين
الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم كما ان ما ذكر فيهما
من الآيات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى لتوضيح اتصافه بما ذكر في مطلع السورة الشريفة من النعوت
الجليلة التي من جملتها انه هدى عن ان يعتريه ريب ما والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع انهم جازمون بكونه
من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى ان كنتم صادقين اما للايذان بان اقصى ما يمكن صدوره عنهم وان كانوا في غاية
ما يكون من المكابرة والعناد هو الارتياب في شأنه واما الجزم المذكور فخارج عن دائرة الاحتمال كما ان تنكيره
وتصديره بكلمة الشك للاشعار بان حقه ان يكون ضعيفا مشكوك الوقوع واما للتنبيه على ان جزمهم ذلك
بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الاعجاز ونهاية قوتها وانما لم يقل وان ارتبتم فيما نزلنا الخ لما ابتنى
فيما سلف من المبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله تعالى لا ريب فيه والاشعار
بان ذلك ان وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية واعتبار استقرارهم فيه واحاطته بهم لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته
لما ان ما يقتضيه ذلك هو دوامه لا قوته وكثرته ومن في مما ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة للريب
وحملها على التبعيض مما يوهم كونه محلا للريب في الجملة وحاشاه ذلك وما موصولة كانت او موصوفة عبارة
عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين ابعاضه وليس معنى كونهم في ريب منه ارتيابهم في استقامة
معانيه وصحة احكامه بل في نفس كونه وحيا منزلا من عند الله عز وعلا وايثار التنزيل المنبئ عن التدريج على
مطلق الانزال لتذكير منشأ ارتيابهم وبناء التحدي عليه ارخاء للعنان وتوسيعا للميدان فانهم كانوا
اتخذوا نزوله منجما وسيلة الى انكاره فجعل ذلك من مبادي الاعتراف به كأنه قيل ان ارتبتم في شأن
ما نزلناه على مهل وتدريج فهاتوا انتم مثل نوبة فذة من نوبه ونجم فرد من نجومه فانه ايسر عليكم من ان ينزل
جملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى غاية ما يكون من التبكيت وازاحة العلل وفي ذكره صلى الله عليه وسلم
بعنوان العبودية مع الاضافة الى ضمير الجلالة من التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عز وجل وانقياده
لاوامره تعالى ما لا يخفى وقرئ على عبادنا والمراد هو عليه السلام وامته او جميع الانبياء عليهم السلام ففيه ايذان
بان الارتياب فيما انزل عليه ارتياب فيما انزل من قبله لكونه مصدقا له ومهيمنا عليه والامر في قوله تعالى فأتوا بسورة
من باب التعجيز والالقام الحجر كما في قوله تعالى فأت بها من المغرب والفاء للجواب وسببية الارتياب للامر والاتيان بالمأمور به ظاهرة

لما اشير اليه من انه عبارة عن جزمهم المذكور فانه سبب للاول مطلقا وللثاني على تقدير الصدق كأنه قيل ان كان الامر
كما زعمتم من كونه كلام البشر فأتوا بمثله لانكم تقدرون على ما يقدر عليه سائر ابناء جنسكم والسورة الطائفة من القرآن العظيم
المترجمة واقلها ثلاث آيات وواوها اصلية منقولة من سور البلد لانها محيطة بطائفة من القرآن محوزة مفرزة
على حيالها او محتوية على فنون رائعة من العلوم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال
ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان سور القرآن مع كونها في انفسها رتبا من حيث الفضل والشرف
او من حيث الطول والقصر فهي من حيث انتظامها مع اخواتها في المصحف مراتب يرتقي اليها القارئ شيئا فشيئا
وقيل واوها مبدلة من الهمزة فمعناها البقية من الشيء ولا يخفى ما فيه ومن في قوله تعالى من مثله بيانية متعلقة بمحذوف
وقع صفة لسورة والضمير لما نزلنا اي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة والنظم الرائق والبيان
البديع وحيازة سائر نعوت الاعجاز وجعلها تبعيضية يوهم ان له مثلا محققا قد اريد تعجيزهم عن الاتيان ببعضه
كأنه قيل فأتوا ببعض ما هو مثل له فلا يفهم منه كون المماثلة من تتمة المعجز عنه فضلا عن كونها مدار التعجيز مع
انهم ادرى بناء الامر على المجاراة معهم بحسب زعمهم حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا او على التهكم
بهم بايهام ما سبق من تنزيله منزلة الريب فان مبنى التهكم على تسليم ذلك منهم وتسويغه ولو تقديرا وقيل
بيانية ايضا كما هي في قوله تعالى فأتوا بسورة مثله وبعشر سور مثله وقيل هي ابتدائية فالضمير
حينئذ للمنزل عليه حتما لما ان رجوعه الى المنزل يوهم ان له مثلا محققا قد ورد الامر التعجيزي بالاتيان بشيء منه
وقد عرفت ما فيه بخلاف رجوعه الى المنزل عليه فان تحقق مثله صلى الله عليه وسلم في البشرية والعربية والامية
بمعزل من الخطر في الجملة خلا ان تخصيص التحدي بعدم بيان كونه صلى الله عليه وسلم فيما ذكر من الصفات المنافية للاتيان
بالمأمور به لا يدل على عجزهم ليس كذلك من زعمهم بل مما يعتمد به على ذلك في الجملة من اجرى مجرى جمعهم مع
انه يستدعي عن المنزل عليه ما قدمنا من النعوت الموجبة لاستحالة وجود مثله فاين هذا من تحدي امة جمة وامرهم
بان يجتمعوا في طلبة المعارضة بخيلهم ورجلهم حسبما ينطق به قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون [illegible]
على الاتيان بقدر يسير مما اتى به من اتصف بصفات الكمال الذي في مجلسه واحد من ابناء جنسهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر
او القائم بالشهادة او الناصر ومعنى دون ادنى مكان من الشيء يقال هذا دون ذاك اذا كان انحط منه قليلا
ثم استعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الفضل والرتبة ثم اتسع فاستعمل في كل تجاوز
حد الى حد وتخطي حكم الى حكم من غير ملاحظة انحطاط احدهما عن الآخر فجرى مجرى اداة الاستثناء وكلمة من
اما متعلقة بادعوا فتكون لابتداء الغاية والظرف مستقر والمعنى ادعوا متجاوزين الله تعالى للاستظهار
من حضركم كائنا من كان او الحاضرين في محاضركم ومشاهدكم من رؤسائكم واشرافكم الذين تفزعون اليهم
في الملمات وتعولون عليهم في المهمات او القائمين بالشهادة الجارية فيما بينكم من امنائكم المتولين لاستخلاص الحقوق
بتنفيذ القول عند الولاة او القائمين بنصرتكم حقيقة او زعما من الانس والجن ليعينوكم واخراجه سبحانه وتعالى
من حكم الدعاء في الاول مع انه اجل في الحضور للتأكيد تناول الجمع ما عداه لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة
على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه واما في سائر الوجوه فللتصريح من اول الامر
ببراءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المحادة والمشاقة له قاصرين استظهارهم على ما سواه والالتفات لتربية
المهابة وادخال الروعة وقيل المعنى ادعوا من دون اولياء الله شهداءكم الذين هم وجوه الناس وفرسان

المقاولة والمناقلة ليشهدوا لكم أن ما أتيتم به مثله إيذاناً بأنهم لا يرضون لأنفسهم الشهادة
بصحة ما هو بين الفساد وجلي الاستحالة وفيه أنه يؤذن بتوهم سماع التحدي لأولئك الرؤساء وقيل
المعنى ادعوا شهداءكم فصحاءكم يحضروا دعواكم ولا تستشهدوا بالله تعالى قائلين الله يشهد أن ما عندنا حق فإن
ذلك ديدن المحجوج وفيه أنه إن أريد بما يدعون حقية ما هم عليه من الدين الباطل فلا مساس له بمقام التحدي
وإن أريد به مثلية ما أتوا به للمتحدى به فمع عدم ملاءمته لابتداء التحدي يوهم أنهم قد تصدوا للمعارضة
وأتوا بشيء يشتبه الحال في كونه مثله فعندها ادعوها مستشهدين في ذلك بالله سبحانه
لا عند ذلك تمس الحاجة إلى الأمر بالاستشهاد بالناس والنهي عن الاستشهاد به تعالى وأن لهم ذلك فوق ما نبض
لهم عرق ولا نبسوا ببنت شفة وأما متعلقة بشهداءكم والمراد بهم الأصنام فدون بمعنى التجاوز على أنها
ظرف مستقر وقع حالاً من ضمير المخاطبين والعامل ما دل عليه شهداءكم أي ادعوا أصنامكم الذين اتخذتموهم
آلهة متجاوزين الله سبحانه في اتخاذها كذلك وكلمة من ابتدائية فإن الاتخاذ ابتداء من التجاوز والتعبير
عن الأصنام بالشهداء لتعيين مدار الاستظهار بها بتذكير ما يزعمون أن أجزاءها يكون من الله تعالى وأنها تنفعهم بشهادتها
لهم أنهم على الحق فإن ما هذا شأنه يجب أن يكون ملاذهم في كل أمر مهم وملجأهم في كل خطب ملم
كأنه قيل أولئك عدتكم فادعوهم لهذه الداهية التي دهمتكم فوجه الالتفات الإيذان بكمال سخافة عقولهم
حيث آثروا على عبادة من له الألوهية الجامعة لجميع صفات الكمال عبادة ما لا أحقر منه وقيل لفظة دون
مستعارة من معناها الحقيقي الذي هو أدنى مكان من الشيء لقدامه كما في قول الأعشى تريك القذى من
دونها وهي دونه أي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى فيكون ظرفاً لغواً معمولاً لشهداءكم لكفاية
رائحة الفعل فيه من غير حاجة إلى اعتماد والمعنى ادعوا الذين يشهدون لكم الذين يشهدون لكم
بين يدي الله تعالى بتصديقكم في المعارضة وإيرادها بهذا العنوان لما مر من الإشعار بمناط الاستعانة بها
ووجه الالتفات تربية المهابة ومن شيع ذلك المعنى فإن ما يفهم من هذا الأمر في ذلك المقام الخطير
حقه أن يستعان به في كل مرام وفي أمرهم على الوجهين بأن يستظهروا في معارضة القرآن الذي أخرس
كل منطيق بالجماد من التهكم بهم ما لا يوصف وكلمة من ههنا تبعيضية لما أنه يقال جلس بين يديه
وخلفه بمعنى في لأنهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لأن الفعل إنما يقع في بعض تينك الجهتين
كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وقد يقال كلمة من الداخلة على دون في جميع المواقع بمعنى في
كما في سائر الظروف التي لا تتصرف وتكون منصوبة على الظرفية أبداً أو لا تنجر إلا بمن خاصة وقيل المراد
بالشهداء مدارة القوم ووجوه المحافل والمحاضر ومن ظرف مستقر وكلمة من ابتدائية أي ادعوا الذين
يشهدون لكم أن ما أتيتم به مثله متجاوزين في ذلك أولياء الله ومحصله شهداء مغايرين لهم إيذاناً
بأنهم أيضاً لا يشهدون لكم وإنما قيل من دون الله تعالى بطريق المقابلة فإن أولياء الله تعالى يقابلون
أولياء الأصنام كما أن ذكره تعالى يقابل ذكر الأصنام ومن المقصود بهذا الأمر إرخاء العنان والاستدراج
إلى غاية التبكيت كأنه قيل تركنا إلزامكم بشهداء لا يميل هواهم إلى أحد الجانبين كما هو المعتاد واكتفينا بشهداء لكم
المعروفين بالذب عنكم فإنهم أيضاً لا يشهدون لكم حذاراً من اللائمة وأنفة من الشهادة البينة البطلان كيف
لا وأمر الإعجاز قد بلغ من الظهور إلى حيث لم يبق في إنكاره سبيل قطعاً وفيه ما مر من عدم ملاءمته لابتداء التحدي

التحدي وعدم ههنا وله لا وكذا الشهداء وإيهام أنهم تصدوا للمعارضة وأتوا بشيء احتاجوا في إثبات مثليته
للمتحدى به إلى الشهادة وشتان ما بينهم وبين ذلك إن كنتم صادقين أي في زعمكم أنه من كلامه صلى الله عليه وسلم
وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه أي إن كنتم صادقين فأتوا بسورة من مثله الخ واستلزام المقدم
للتالي من حيث إن صدقهم في ذلك الزعم يستدعي قدرتهم على الإتيان بمثله بقضية مشاركتهم له صلى الله عليه وسلم
في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والأشعار وكثرة المزاولة لأساليب النظم والنثر
والمبالغة في حفظ الوقائع والأيام لا سيما عند المظاهرة والتعاون ولا ريب في أن القدرة على الشيء
من موجبات الإتيان به ودواعي الأمر به فإن لم تفعلوا أي ما أمرتم به من الإتيان بالمثل بعدما بذلتم في
السعي غاية المجهود وجاوزتم في الجد كل حد معهود متشبثين بالذيول راكبين متن كل صعب وذلول
وإنما لم يصرح به إيذاناً بعدم الحاجة إليه بناء على كمال ظهوره لكم على ذلك وإنما أورد في حيز
الشرط مطلق الفعل وجعل مصدر الفعل المأمور به مفعولاً له للإيجاز البديع المغني عن التطويل و
التكرير مع سر سري استقل به المقام وهو الإيذان بأن المقصود بالتكليف هو إيقاع نفس الفعل المأمور
لإظهار عجزهم عنه لا تحصيل المفعول أي المأتي به ضرورة استحالته وأن مناط الجزاء في الشرطية أعني الأمر باتقاء
النار هو عجزهم عن إيقاعه لا فوت حصول المفعول فإن مدلول لفظ الفعل هو نفس الأفعال الخاصة من حيث
كانت ومتعدية من غير اعتبار تعلقاتها بمفعولاتها الخاصة فإذا علق بفعل خاص متعد فإنما يقصد به إيقاع
نفس ذلك الفعل وإخراجه من القوة إلى الفعل أما تعلقه بمفعوله المخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل المطلق
وإنما يستفاد ذلك من الفعل الخاص ولذلك تراهم يتوسلون بذلك إلى تجريد الأفعال المتعدية عن مفعولاتها
وتنزيلها منزلة الأفعال اللازمة فيقولون مثلاً معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الإعطاء والمنع ويرشد
إلى هذا قوله تعالى فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون بعد قوله تعالى ائتوني بأخ لكم من
أبيكم فإنه لما كان مقصود يوسف عليه السلام بالأمر وما هو عرضه بالتكليف هنا استحضار بنيامين
لم يكتف في الشرطية الداعية لهم إلى الجد في الامتثال والسعي في تحقيق المأمور به بالإشارة الإجمالية
إلى الفعل الذي ورد به الأمر بأن يقول فإن لم تفعلوا بل أعاده بعينه متعلقاً بمفعوله تحقيقاً لمطلبه
وإعراباً عن مقصده هذا وقد قيل أطلق الفعل وأريد به الإتيان مع ما يتعلق به إما على طريقة التعبير
عن الأسماء الظاهرة بالضمائر الراجعة إليها حذراً من التكرار وإما على طريقة ذكر الملزوم وإرادة
اللازم لما بينهما من التلازم المصحح للانتقال بمعونة قرائن الحال فتدبر وإيثار كلمة إن المفيدة للشك
على إذا مع تحقق الجزم بعدم فعلهم بمجاراة معهم بحسب حسبانهم قبل التجربة أو تهكم بهم ولن تفعلوا
كلمة لن لنفي المستقبل كلا خلا أن في لن زيادة تأكيد وتشديد وأصلها عند الخليل لا أن وعند الفراء
لا أبدلت ألفها نوناً وعند سيبويه حرف مقتضب للمعنى المذكور وهي إحدى النواصب خلافاً للخليل
والجملة اعتراض بين جزأي الشرطية مقرر لمضمون مقدمها ومؤكد لإيجاب العمل بتاليها وهاتان معجزتان
باهرتان حيث أخبر بالغيب الخاص علمه به تعالى وقد وقع الأمر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشيء يداني في
الجملة لتناقله الرواة خلفاً عن سلف فاتقوا النار جواب للشرط على أن اتقاء النار كناية عن الاحتراز
من العناد إذ بذلك يتحقق تسببه عنه وترتبه عليه كأنه قيل فإذا عجزتم عن الإتيان بمثله كما هو المقرر

فاحترزوا من الكفر كي تنجوا من عذاب الله سبحانه فانه مستوجب للعقاب بالنار لكن أوثر عليه الكناية المذكورة
المبنية على تصوير العناد بصورة النار وجعل الاتصاف به عين الملابسة بها للمبالغة في تهويل شأنه وتفظيع
أمره وإظهار كمال العناية بتحذير المخاطبين منه وتنفيرهم عنه وحثهم على الجد في تحقيق المكنى عنه وفيه من الإيجاز
البديع ما لا يخفى حيث كان الأصل فإن لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم وإذا صح ذلك كان لزومكم العناد وترككم
الإيمان سببا لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا منه فاتقوا النار وقوله تعالى التي وقودها الناس والحجارة
صفة للنار مقررة لها زيادة هول وفظاعة أعاذنا الله من ذلك والوقود ما يوقد به النار ويرتفع من الحطب
وقرئ بضم الواو وهو مصدر سمي به المفعول مبالغة كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده والمعنى أنها من الشدة
بحيث لا تمس شيئا من رطب ويابس إلا أحرقته لا كنيران الدنيا تفتقر في التهابها إلى وقود من حطب ونحوه واستعمال
هذا الوصف صلة للموصول مقتضية لكون انتسابها إلى ما نسبت هي إليه معلوما للمخاطبين على أنهم سمعوه من أهل
الكتاب قبل ذلك أو من الرسول صلى الله عليه وسلم أو سمعوا قبل هذه الآية المدنية قوله تعالى نارا وقودها الناس
والحجارة فأشير هاهنا إلى ما سمعوه أولا وكون سورة التحريم مدنية لا يستلزم كون جميع آياتها كذلك كما هو المشهور
وأما أن الصفة أيضا يجب أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصوف عند المخاطب في الخطاب فيستفيد أن المخاطب هنالك
المؤمنون وظاهر أنهم سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالحجارة الأصنام وبالناس عبدتها حيثما قرن
في قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية أعدت للكافرين هيئت للذين كفروا بما نزلناه
وجعلت عدة لعذابهم والمراد إما جنس الكفار والمخاطبون داخلون فيهم دخولا أوليا وإما هم خاصة ووضع
الكافرين موضع ضميرهم لذمهم وتعليل الحكم بكفرهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة على أن النار
مخلوقة موجودة الآن والجملة استئناف لا محل لها من الإعراب تقرير لمضمون ما قبلها ومؤكدة لإيجاب العمل به ومبينة
لمن أريد بالناس دافعة لاحتمال العموم وقيل حال بإضمار قد من النار لا من ضميرها في وقودها لما في ذلك من الفصل
بينهما بالخبر وقيل صلة بعد صلة أو عطف على الصلة بترك العاطف وبشر الذين آمنوا أي بأنهم مستحقون عند الله
عز وجل وهو عطف على الجملة السابقة لكن لا على أن المقصود عطف نفس الأمر حتى يطلب له مشاكل يصح عطفه
بل على أنه عطف قصة المؤمنين بالقرآن ووصف ثوابهم على قصة الكافرين به وكيفية عقابهم جريا على السنة
الإلهية من شفع الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين حالي الفريقين وقرئ
وبشر على صيغة الفعل مبنيا للمفعول عطفا على أعدت فيكون استئنافا وتعليق التبشير بالموصول للإشعار بأنه
معلل بما في حيز الصلة من الإيمان والعمل الصالح لكن لا لذاتهما فإنهما لا يكافئان النعم السابقة فضلا من أن
يقتضيا ثوابا فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده وجعل صلته فعلا مفيدا للحدوث بعد إيراد الكفار
بصيغة الفاعل لحث المخاطبين بالاتقاء على إحداث الإيمان وتحذيرهم من الاستمرار على الكفر والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وقيل لكل من يتأتى منه التبشير كما في قوله صلى الله عليه وسلم بشر المشائين إلى المساجد في ظلم الليالي بالنور التام يوم القيامة
فإنه صلى الله عليه وسلم لم يأمر بذلك واحدا بعينه بل كل أحد ممن يتأتى منه ذلك وفيه تنبيه على أن الأمر لعظمه وفخامة
شأنه حقيق بأن يتولى التبشير به كل من يقدر عليه والبشارة الخبر السار الذي يظهر به أثر السرور في البشرة وتباشير
الصبح أوائل ضوئه وعملوا الصالحات الصالحة كالحسنة في الجريان مجرى الاسم وهي كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل
والنقل واللام للجنس والجمع لإفادة أن المراد بها جملة من الأعمال الصالحة التي أشير إلى أمهاتها في مطلع السورة

الكريمة وطائفة منها متفاوتة حسب تفاوت أحوال المكلفين في مواجب التكليف وفي عطف العمل على الإيمان دلالة
على تغايرهما وإشعار بأن مدار استحقاق البشارة مجموع الأمرين فإن الإيمان أساس والعمل الصالح كالبناء عليه
ولا غناء بأس لا بناء به أن لهم جنات منصوب بنزع الخافض وإفضاء الفعل إليه أو مجرور بإضماره مثل الله لأفعلن
والجنة هي المرة من مصدر جنه إذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثفة المظللة بالتفاف أغصانه قال زهير
كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا أي نخلا طوالا لأنها لفرط تكاثفها والتفافها وتغطيتها
لما تحتها بالمرة نفس السترة وعلى الأرض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم فحق
المصدر حينئذ أن يكون مأخوذا من الفعل المبني للمفعول وإنما سميت دار الثواب بها مع أن فيها من الغرف والقصور
ما لا يكاد يوصف لما أنها مناط نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لأنها سبع على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما
جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل
منها مراتب ودرجات متفاوتة حسب تفاوت الأعمال وأصحابها تجري من تحتها الأنهار في حيز النصب على أنه صفة جنات
فإن أريد بها الأشجار فجريان الأنهار من تحتها ظاهر وإن أريد بها الأرض المشتملة عليها فلا بد من تقدير مضاف
أي من تحت أشجارها وإن أريد بها مجموع الأرض والأشجار فاعتبار التحتية بالنظر إلى الجزء الظاهر المصحح لإطلاق
اسم الجنة على الكل عن مسروق أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود واللام في الأنهار للجنس كما في قولك لفلان بستان
فيه الماء الجاري والتين والعنب أو عوض عن المضاف إليه كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا أو للعهد والإشارة إلى
ما في قوله عز وجل فيها أنهار من ماء غير آسن الآية والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر
كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الإضمار أو على المجاز اللغوي أو المجاري أنفسها وقد أسند
إليها الجريان مجازا عقليا كما في سال الميزاب كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل صفة
أخرى لجنات أخرت عن الأولى لأن جريان الأنهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها وهذا وصف لها باعتبار أهلها
المتنعمين بها أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة كأنه حين وصفت الجنات بما ذكر من الصفة وقع في ذهن
السامع أن ثمارها كثمار جنات الدنيا أو لا فبين حالها وكلما نصب على الظرفية ورزقا مفعول به ومن الأولى والثانية
للابتداء وهما في موقع الحال كأنه قيل كل وقت رزقوا رزقا مبتدئا من ثمرة على أن الرزق قد قيد بكونه
مبتدئا من الجنات وابتداؤه منها مقيد بكونه مبتدئا من ثمرة فصاحب الحال الأولى رزقا وصاحب الثانية ضميره المستكن
في الحال ويجوز كون من ثمرة بيانا قدم على المبين كما في قولك رأيت منك أسدا وهذا إشارة إلى ما رزقوا والمراد نوعه
على فرد معين منه كقولك مشيرا إلى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فإنك وإن أشرت إلى ما تعاينه بحسب الظاهر لكنك إنما تعني
بذلك النوع المعلوم المستمر فالمعنى هذا مثل الذي رزقنا من قبل أي من قبل هذا في الدنيا ولكن لما استحكم
الشبه بينهما جعل ذاته ذاته وإنما جعل ثمر الجنة كثمار الدنيا لتميل النفس إليه حين تراه فإن الطباع مائلة
إلى المألوف متنفرة عن غير المعروف وليتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه إذ لو كان جنسا غير معهود لظن أنه لا
يكون إلا كذلك أو مثل الذي رزقنا من قبل في الجنة لأن طعامها متشابه الصور كما يحكى عن الحسن رضي الله عنه أن أحدهم
يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الأولى فيقول ذلك فيقول الملائكة كل فاللون واحد
والطعم مختلف وكما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة
ليأكلها فما هي واصلة إلى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها ولعل الأول أنسب لمحافظة عموم كلما فإنه يدل

على ترديد بين هذه المقالة كل مرة رزقوا لا فيما عدا المرة الأولى يظهر عن ذلك التبجح وفرط الاستغراب
لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما في الشكل واللون كأنهم قالوا هذا عين ما رزقناه في الدنيا
فمن أين لهذه الرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ليس في الجنة من أطعمة الدنيا إلا
أسماؤها فإن ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة والحسن والهيئة لا لبيان أن لا تشابه بينهما أصلا كيف لا
وإطلاق الأسماء منوط بالاتحاد النوعي قطعا هذا وقد فسرت الآية الكريمة بأن مستلذات أهل الجنة بمقابلة
ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة الحال فيجوز أن يريدوا هذا ثواب الذي رزقناه في الدنيا من
الطاعات ولا يساعده تخصيص ذلك بالثمرات فإن الجنة وما فيها من فنون الكرامات من قبيل ثواب الطاعات وأتوا به
متشابها اعتراض مقرر لما قبله والضمير المجرور على الأول لما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا في الدارين كما في قوله تعالى
إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما أي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني للرزق ولهم فيها أزواج مطهرة أي مما في
نساء الدنيا من الأحوال المستقذرة كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فإن التطهير يستعمل في الأجسام والأخلاق
والأفعال وقرئ مطهرة وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال وإذا
العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والإفراد على تأويل الجماعة وقرئ
مطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة أبلغ من طاهرة ومتطهرة للإشعار بأن مطهرا طهرهن
وما هو إلا الله سبحانه وتعالى وأما التطهر فيحتمل أن يكون من قبل أنفسهن كاغتسالهن والزوج يطلق على الذكر
والأنثى وهو في الأصل اسم لما له قرين من جنسه فليس في مفهومه اعتبار التوالد الذي هو مدار بقاء النوع حتى لا يصح
إطلاقه على أزواج أهل الجنة لخلودهم فيها واستغنائهم عن الأولاد كما أن المذاهب لبقاء الفرد ليست بمعتبرة في
مفهوم اسم الرزق حتى يخل ذلك بإطلاقه على ثمار الجنة وهم فيها خالدون أي دائمون والخلود في الأصل الثبات المديد
دام أو لم يدم ولذلك قيل للأثافي والأحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الإنسان على حاله خلد ولو كان وضعه
للدوام لما قيد بالتأبيد في قوله عز وجل خالدين فيها أبدا ولما استعمل حيث لا دوام لكن المراد ههنا الدوام
قطعا لما يقتضيه من الآيات والسنن وما قيل من أن الأبدان مؤلفة من الأجزاء المتضادة في الكيفية معرضة للاستحالات
المؤدية إلى الانحلال والانفكاك مداره قياس ذلك العالم الكامل بما يشاهد في عالم الكون والفساد على أنه يجوز
أن يعيدها الخالق تعالى بحيث لا يعتورها الاستحالة ولا يعتريها الانحلال قطعا بأن يجعل أجزاءها متفاوتة
في الكيفيات متعادلة في القوى بحيث لا يقوى شيء منها عند التفاعل على إحالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك
بعضها عن بعض ويبقى هذه النسبة محفوظة فيما بينها أبدا لا يعتريها التغير بالأكل والشرب والحركات وغير ذلك واعلم
أن معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقضي به الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك
الدوام والثبات إذ كل نعمة وإن جلت حيث كانت في شرف الزوال ومعرض الاضمحلال فإنها منغصة غير صافية من
شوائب الألم بشر المؤمنين بها وبدوامها تكميلا للبهجة والسرور اللهم وفقنا لمراضيك وثبتنا على ما يؤدي إليها
من العقد والعمل إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب خاص
اعتراهم من جهة ما وقع فيه من ضرب الأمثال وبيان لحكمته وتحقيق للحق إثر تنزيهها عما اعتراهم من مطلق الريب
بالتحدي وإلقام الحجر وإفحام كافة البلغاء من أهل المدر والوبر روى أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المنافقين
طعنوا في ضرب الأمثال بالنار والظلمات والرعد والبرق وقالوا الله أجل وأعلى من ضرب الأمثال وروى عطاء عنه

رضي الله عنه أن هذا الطعن كان من المشركين وروي عنه أيضا أنه لما نزل قوله تعالى يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا
له الآية وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء الآية قالت اليهود أي قدر للذباب والعنكبوت حتى
يضرب الله تعالى بهما المثل وجعلوا ذلك ذريعة إلى إنكار كونه من عند الله مع أنه لا يخفى على أحد ممن له تمييز أنه ليس
مما يتصور فيه التردد فضلا عن النكير بل هو من أوضح أدلة كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى
والقدر كيف لا وأن التمثيل كما مر ليس إلا إبراز المعنى المقصود في معرض الأمر المشهود وتحلية المعقول بحلية المحسوس
وتصوير أوابد المعاني بهيئة المأنوس لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضته للعقل واستعصائه عليه في إدراك
الحقائق الخفية وفهم الدقائق الأبية كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه إلى ما لا يرتضيه ولذلك شاعت الأمثال
في الكتب الإلهية والكلمات النبوية وذاعت في عبارات البلغاء وإشارات الحكماء ومن قضية وجوب التماثل بين
الممثل والممثل به في مناط التمثيل تمثيل العظيم بالعظيم والحقير بالحقير وقد مثل في الإنجيل غل الصدور بالنخالة ومعاداة
السفهاء بإثارة الزنابير وجاء في عبارات البلغاء أجمع من ذرة وأجرأ من الذباب وأسمع من قراد وأضعف من بعوضة إلى
ذلك مما لا يكاد يحصر والحياء تغير النفس وانقباضها عما يعاب به ويذم عليه يقال حيي الرجل وهو حيي واشتقاقه من
الحياة اشتقاق نسي وخشي وحشي من النسا والخشا والحشا يقال نسي الفرس وخشي وحشي إذا اعتلت منه تلك الأعضاء
كأن من يعتريه الحياء يعتل قوته الحيوانية وتنتقص واستحيى بمعناه خلا أنه يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال استحييته
واستحييت منه والأول لا يتعدى إلا بحرف الجر وقد يحذف منه إحدى الياءين ومنه قوله ألا تستحي منا الملوك
وتتقي محارمنا لا يبوء الدم بالدم وقوله إذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في إناء من الورد ثم
إنه إذا أسند إليه سبحانه بطريق الإيجاب كما في مثل قوله صلى الله عليه وسلم إن الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم أن يعذبه
وقوله صلى الله عليه وسلم إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع إليه العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما
خيرا يراد به الترك اللازم للانقباض على طريقة التمثيل حيث مثل في الحديثين الكريمين تركه تعذيب ذي الشيبة وتخييب
العبد من عطائه بترك من يترك ذلك حياء وكذلك إذا نفي عنه تعالى في المواد الخاصة كما في هذه الآية الشريفة وفي
قوله تعالى والله لا يستحيي من الحق يراد به سلب ذلك الترك الخاص المشابه لترك المستحيي عنه لا سلب وصف الحياء
عنه تعالى رأسا كما في قولك إن الله لا يوصف بالحياء لأن تخصيص السلب ببعض المواد يوهم كون الإيجاب سائغا
في الجملة فالمراد ههنا عدم ترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي من ضربه وفيه رمز إلى تعاضد الدواعي
إلى ضربه فإن أخذ البواعث إليه إذ الاستحياء إنما يتصور في الأفعال المقبولة للنفس المرضية عندها ويجوز
أن يكون وروده على طريقة المشاكلة فإنهم كانوا يقولون أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلا بالأشياء المحقرة
كما في قول من قال من مبلغ أفناء يعرب كلها أني بنيت الجار قبل المنزل وضرب المثل استعماله في مضربه وتطبيقه
لا صنعه وإنشاؤه في نفسه ولا إنكار إنشاء الأمثال السائرة في مواردها ضرورة ابتدائها دون استعمالها بعد ذلك
في مضاربها لفقدان الإنشاء هناك والأمثال الواردة في التنزيل وإن كان استعمالها في مضاربها عين إنشائها
في أنفسها لكن التعبير عنه بالضرب ليس بهذا الاعتبار بل بالاعتبار الأول قطعا وهو مأخوذ إما من ضرب الخاتم
بجامع التطبيق فكما أن ضربه تطبيقه بقالبه كذلك استعمال الأمثال في مضاربها تطبيقها بها كأن المضارب
قوالب تضرب الأمثال على شاكلتها لكن لا بمعنى أنها تنشأ بحسبها بعد أن لم تكن كذلك بل بمعنى أنها تورد
منطبقة عليها سواء كان إنشاؤها ههنا كعامة الأمثال التنزيلية أو قبل ذلك كسائر الأمثال السائرة فإنها

وان كانت مصنوعة من قبل الله ان تطبيقها اي ايرادها منطبقة على مضاربها انما يحصل عند المحصلين واما
فرض وبالطين على الجدار ليلتزق به بجامع الالصاق فكان من يستعملها يلصقها بمضاربها ويجعلها ضربة لازب
لا تنفك عنها لشدة تعلقها بها ومحل ان يضرب على تقدير تعدية يستحيي بنفسه النصب على المفعولية واما على تقدير
تعديته بحرف الجر فعند الخليل الخفض باضمار من وعند سيبويه النصب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها ومثلا
مفعول ليضرب وما اسمية ابهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر ابهاما وشياعا كما في قولك اعطني كتابا ما كانه
قيل مثلا تاما من الامثال اي مثل كان فهي صفة لما قبلها او حرفية مزيدة لتقوية النسبة وتوكيدها كما في قوله تعالى
فبما رحمة من الله فبعوضة بدل من مثلا او عطف بيان عند من يجوزه في النكرات او مفعول ليضرب ومثلا
تقدمت عليها لكونها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل والتصيير وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
اي هو بعوضة والجملة على تقدير كون ما موصولة صلة لها محذوفة الصدر كما في قوله تعالى تماما على الذي احسن
على قراءة الرفع وعلى تقدير كونها موصوفة صفة لها كذلك ومحلها على الوجهين النصب على البدلية من مثلا
او على المفعولية ليضرب وعلى تقدير كونها ابهامية صفة لمثلا كذلك واما على تقدير كونها استفهامية فهي خبر
لها كانه لما رد استبعادهم ضرب المثل قيل ما بعوضة واي مانع فيها حتى لا يضرب بها المثل بل له تعالى ان يمثل
بما هو اصغر منها واحقر كجناحها كما وقع في قوله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة
ما سقى الكافر منها شربة ماء والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع
كالخموش في لغة هذيل من الخمش وهو الخدش فما فوقها عطف على بعوضة على تقدير نصبها على الوجوه
المذكورة وما موصولة او موصوفة صلتها او صفتها الظرف واما على تقدير رفعها فهو عطف على ما الاولى
على تقدير كونها موصولة او موصوفة واما على تقدير كونها استفهامية فهو عطف على خبرها اعني بعوضة
لا على نفسها كما قيل والمعنى ما بعوضة فالذي فوقها او فشيء فوقها حتى لا يضرب بها المثل وهكذا على تقدير
كونها صفة للنكرة او زائدة وبعوضة خبر للمضمر وذكر البعوضة فما فوقها من بين افراد المثل انما هو بطريق
التمثيل دون التعيين او التخصيص فلا يخل بالشمول بل يقرره ويؤكده بطريق الاولوية والمراد بالفوقية
اما الزيادة في المعنى الذي اريد بالتمثيل من الصغر والحقارة او الزيادة في الحجم والجثة لكن لا بالغا ما بلغ
بل في الجملة كالذباب والعنكبوت وعلى التقدير الاول يجوز ان يكون ما الثانية خاصة استفهامية انكارية والمعنى
ان الله تعالى لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فاي شيء فوقها في الصغر والحقارة فلله تعالى ان يمثل
بكل ما يريد ونظيره في احتمال الامرين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها
حين ذكرها ذلك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له
بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في القلة كنخبة النملة لقوله صلى الله عليه وسلم
ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وما تجاوزها في الالم كالمثال الذي حكي
من الخرور فاما الذين آمنوا شروع في تفصيل ما يترتب على ضرب المثل من الحكم اثر تحقيق حقية صدوره عنه
تعالى والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما يدل عليه ما قبلها كانه قيل فيضربه فاما الذين الخ وتقديم
بيان حال المؤمنين على ما يحكى عن الكفرة مما لا يفتقر الى بيان السبب وفي تصدير الجملتين باما من احماد امر المؤمنين
وذم الكفرة ما لا يخفى وهو حرف متضمن بمعنى اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن من شيء ولذلك يجاب بالفاء

بالفاء وفائدته توكيد ما صدر به وتفصيله في نفس المتكلم من الاقسام فقد تذكر جميعا وقد يقتصر على واحد منها
كما في قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ الخ قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب لا محالة
وانه منه عزيمة وكان من الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها
الخبر وعوض المبتدا عن الشرط لفظا والمراد بالموصول فريق المؤمنين المعهودين كما ان المراد بالموصول الاتي
فريق الكفرة لا من يعم مخصصيهم بالمثل ومن كفر بها لاختلال المعنى اي فاما المؤمنون فيعلمون انه الحق
من ربهم كناية او صدر منه تعالى والحق هو الثابت الذي يحق ان يثبت لا محالة اما لذاته كحقيته تعالى واما لما يقتضيه
لحقية افعاله تعالى واحكامه وسيجيء نبذ من ذلك في قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق الآية واللام للدلالة
على انه مشهود له بالحقية وان له حكما ومصالح ومن لابتداء الغاية المجازية وعاملها محذوف وقع حالا
من الضمير المستكن في الحق او من الضمير العائد الى المثل او الى ضربه اي كائنا وصادرا من ربهم والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم والايذان بان ضرب المثل تربية لهم وارشاد الى ما يوصلهم الى كمالهم
اللائق بهم والجملة سادة مسد مفعولي يعلمون عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثاني محذوف عند
الاخفش اي فيعلمون حقيته ثابتة ولعل الاكتفاء بحكاية علمهم المذكور عن حكاية اعترافهم به وجريهم كما في
قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا للايذان بغاية ما بينهما من التلازم وظهوره
المغني عن الذكر واما الذين كفروا ممن حكيت اقاويلهم واحوالهم فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا اوثر
يقولون على لا يعلمون حسبما يقتضيه ظاهر قرينة دلالة على كمال غلوهم في الكفر وتمادي امرهم في العتو فان
مجرد عدم العلم بحقيته ليس مظنة انكارها والاستهزاء به صريحا وتمهيدا لتعداد ما نعي عليهم في تضاعيف
الجواب من الضلال والفسق ونقض العهد وغير ذلك من شنائعهم تنبيه على قولهم المذكور على ان عدم العلم
بحقيته لا يعم جميعهم فان منهم من يعلمها وانما يقول ما يقول مكابرة وعنادا وحمله على عدم الاذعان
والقبول الشامل للجهل والعناد تعسف ظاهر هذا وقد قيل كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون
ليطابق قرينة ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية
ليكون كالبرهان عليه فتامل وكن على الحق المبين وماذا اما مؤلفة من كلمة استفهام وقعت مبتدا خبره ذا
بمعنى الذي وصلته ما بعده والعائد محذوف فالاحسن ان يجيء جوابه مرفوعا واما منزلة منزلة اسم واحد
بمعنى اي شيء فالاحسن في جوابه النصب والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها اليه والقوة
التي هي مبدا له والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين مما لا يتصور في حقه تعالى ولذلك اختلفوا في ارادته
عز وجل فقيل ارادته لافعاله كونه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فلا يكون المعاصي بارادته تعالى
وقيل هي علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه
عبارة عن ترجيح احد طرفي المقدور على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه ومعنى يوجبه وهي اعم من
الاختيار فانه ترجيح مع تفضيل وفي كلمة هذا تحقير للمشار اليه واسترذال له ومثلا نصب على التمييز
او على الحال كما في قوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية وليس مرادهم بهذه العظيمة استفهام الحكمة في ضرب المثل
بل القدح في اشتماله على الفائدة مع اعتراف منهم بصدوره عنه جل وعلا بل غرضهم البينة بانه على انه
من الدناءة والحقارة بحيث لا يليق بان يتعلق به امر من الامور الداخلة تحت ارادته تعالى على استحالة ان يكون

ضرب المثل به من عنده سبحانه فقوله عز من قائل يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب عن تلك المقالة الباطلة
وردّ لها ببيان أنه مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة هي كونه ذريعة إلى هداية المستعدين للهداية
وإضلال المنهمكين في الغواية فوضع الفعلين موضع الفعل الواقع في الاستفهام مبالغة في الدلالة على
تحققهما فإن إرادتهما دون وقوعهما بالفعل وتجافيا عن نظم الإضلال مع الهداية في سلك الإرادة
لإيهامه تساويهما في التعلق وليس كذلك فإن المراد بالذات من ضرب المثل هو التذكر والاتعاظ كما ينبئ
عنه قوله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ونظائره وأما الإضلال فعنوان عارض مترتب
على سوء اختيارهم وإيثار صيغة الاستقبال إيذانا بالتجدد والاستمرار وقيل وضع الفعلين موضع مصدريهما
كأنه قيل إرادة إضلال كثير وهداية كثير وتقديم الإضلال على الهداية مع تقدم حال المهتدين على حال
الضالين فيما قبله ليكون أول ما يقرع أسماعهم من الجواب أمرا فظيعا يسوؤهم ويفت في أعضادهم وهو السر
في تخصيص هذه الفائدة بالذكر وقيل هو بيان للجملتين المصدرتين بأما وتسجيل بأن العلم بكونه حقا هدى
وأن الجهل بوجه إيراده والإنكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل فريق إنما هي بالنظر إلى أنفسهم
لا بالقياس إلى مقابليهم فلا يقدح في ذلك أقلية أهل الهدى بالنسبة إلى أهل الضلال حسبما نطق به قوله
تعالى وقليل من عبادي الشكور ونحوه واعتبار كثرتهم الذاتية دون قلتهم الإضافية لتكميل فائدة ضرب
المثل وتكثيرها ويجوز أن يراد في الأولين الكثرة من حيث العدد وفي الآخرين من حيث الفضل والشرف كما في
قول من قال إن الكرام كثير في البلاد وإن قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا وإسناد الإضلال أي خلق الضلال
إليه سبحانه مبني على أن جميع الأشياء مخلوقة له تعالى وإن كانت أفعال العباد من حيث الكسب مستندة إليهم
وجعله من قبيل إسناد الفعل إلى سببه يأباه التصريح بالسبب وقرئ يضل به كثير ويهدى به كثير على البناء
للمفعول وتكريره مع جواز الاكتفاء بالأول لزيادة تقرير السببية وتأكيدها وما يضل به أي بالمثل أو بضربه
إلا الفاسقين عطف على ما قبله وتكملة للجواب والرد وزيادة تعيين لمن أريد إضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة
المستتبعة له وإشارة إلى أن ذلك ليس إضلالا ابتدائيا بل هو تثبيت على ما كانوا عليه من فنون الضلال
وزيادة فيه وقرئ وما يضل به إلا الفاسقون على البناء للمفعول والفسق في اللغة الخروج يقال فسقت
الرطبة عن قشرها والفأرة من جحرها أي خرجت قال رؤبة يهوين في نجد وغورا غائرا فواسقا عن قصدها
جوائرا وفي الشريعة الخروج عن طاعة الله عز وجل بارتكاب الكبيرة التي من جملتها الإصرار على الصغيرة وله
طبقات ثلاث الأولى التغابي وهو ارتكابها أحيانا مستقبحا إياها والثانية الانهماك في تعاطيها
والثالثة المثابرة عليها مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه
اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي عليه يدور الإيمان ولقوله تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
والمعتزلة لما ذهبوا إلى أن الإيمان عبارة عن مجموع التصديق والإقرار والعمل والكفر عن تكذيب الحق وجحوده
لم يتسن لهم إدخال الفاسق في أحدهما فجعلوه قسما بين قسمي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض
أحكامه والمراد بالفاسقين ههنا العاتون المارقون في الكفر الخارجون عن حدوده ممن حكي عنهم ما حكي
من إنكار كلام الله تعالى والاستهزاء به وتخصيص الإضلال بهم مرتبا على صفة الفسق وما أجري عليهم من القبائح
للإيذان بأن ذلك هو الذي أعدهم للإضلال وأدى بهم إلى الضلال فإن كفرهم وعدولهم عن الحق

وإصرارهم على الباطل صرفت وجوه أنظارهم عن التدبر في حكمة المثل إلى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم
وازدادت ضلالتهم فأنكروه وقالوا فيه ما قالوا الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير لما
هم عليه من الفسق والنقض فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل والغزل ونحوهما واستعماله في إبطال العهد
من حيث إن العهد يستعار له الحبل لما فيه من ارتباط أحد المتعاهدين بالآخر فإن شفع بالحبل وأريد به العهد
كان ترشيحا للمجاز وإن قرن بالعهد كان رمزا إلى ما هو من روادفه وتنبيها على مكانه وأن المذكور قد استعير له
كما يقال شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس تنبيها على أنه أسد في شجاعته وبحر في إفاضته والعهد
الموثق يقال عهد إليه كذا إذا وصاه ووثقه عليه والمراد ههنا إما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة
القائمة على عباده الدالة على وجوده ووحدته وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وبه أول قوله تعالى
وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى أو المعنى الظاهر منه وإما المأخوذ من جهة الرسل على الأمم بأنه
إذا بعث إليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا أمره وذكره في الكتب المتقدمة ولم يخالفوا
حكمه كما ينبئ عنه قوله عز وجل وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلاثة الأول ما أخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بأن يقروا بربوبيته
والثاني ما أخذه على الأنبياء عليهم السلام بأن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث ما أخذه على العلماء
بأن يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه والميثاق إما اسم لما يقع به الوثاقة والإحكام وإما مصدر
بمعنى التوثقة كالميعاد بمعنى الوعد فعلى الأول إن رجع الضمير إلى العهد كان المراد بالميثاق ما وثقوا
به من القبول والالتزام وإن رجع إلى لفظ الجلالة يراد به آياته وكتبه وإنذار رسله عليهم السلام والمضاف
محذوف على الوجهين أي من بعد تحقق ميثاقه وعلى الثاني إن رجع الضمير إلى العهد والميثاق مصدر مبني للفاعل
فالمعنى من بعد أن وثقوه بالقبول والالتزام أو من بعد أن وثقه الله تعالى بإنزال الكتب وإنذار الرسل
وإن كان مصدرا من المبني للمفعول فالمعنى من بعد كونه موثقا إما بتوثيقهم إياه بالقبول وإما بتوثيقه
تعالى إياه بإنزال الكتب وإنذار الرسل ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله
سبحانه وتعالى كقطع الرحم وموالاة المؤمنين والتفرقة بين الأنبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك
الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير أو تعاطي شر فإنه يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد من الوصلة
التي هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والأمر هو القول الطالب للفعل مع العلو وقيل مع الاستعلاء
وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور تسمية للمفعول به بالمصدر فإنه مما يؤمر به كما يقال له شأن وهو
القصد والطلب لما أنه أثر للشأن وكذا يقال له شيء وهو مصدر شاء لما أنه أثر للمشيئة ومحل أن يوصل
إما النصب على أنه بدل من الموصول أو من ضميره والثاني أولى لفظا ومعنى ويفسدون في الأرض بالمنع
عن الإيمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي عليها يدور فلك نظام العالم وصلاحه أولئك
إشارة إلى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات القبيحة وفيه إيذان بأنهم متميزون بها أكمل تميز
ومنتظمون بسبب ذلك في سلك الأمور المحسوسة وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في
الفساد هم الخاسرون الذين خسروا بإهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الأبدية واستبدال
الإنكار والطعن في الآيات بالإيمان بها والتأمل في حقائقها والاقتباس من أنوارها واشتراء النقض بالوفاء

والفساد بالصلاح والقطيعة بالصلة والعقاب بالثواب. كيف تكفرون بالله. التفات الى الخطاب المذكور مبني على
ايثار ما عدد من قبائحهم السابقة لتزايد السخط الموجب للمشافهة بالتوبيخ والتقريع وما للاستفهام انكاري لا بمعنى انكار
الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله بل بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه
وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الكفر بان يقال اتكفرون لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال
من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني وقوله تعالى وكنتم امواتا الى
الآية حال من ضمير المخاطبين في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما عدد فيها من الشؤون العظيمة الداعية الى الايمان
الرادعة من الكفر من حيث كونها نعمة عامة ومن حيث دلالتها على قدرة تامة كقوله تعالى وقد خلقكم اطوارا
وكيف منصوبة على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش اي في اي حال او على اي حال تكفرون به
تعالى والحال انكم امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة والاموات
جمع ميت كالاقوال جمع قيل واطلاقها على تلك الاجسام باعتبار عدم الحيوة مطلقا كما في قوله تعالى بلدة ميتا
وقوله تعالى وآية لهم الارض الميتة. فاحياكم بنفخ الارواح فيكم والفاء للدلالة على التعقيب فان الاحياء حاصل اثر
كونهم امواتا وان توارد عليهم في تلك الحالة اطوار مترتبة بعضها متراخ عن بعض كما اشير اليه انفا. ثم يميتكم
اي عند انقضاء آجالكم وكون الاماتة من دلائل القدرة ظاهر واما كونها من النعم فلكونها وسيلة الى الحيوة الثانية
التي هي الحيوان والنعمة العظمى والتراخي المستفاد من كلمة ثم بالنسبة الى زمان الاحياء دون زمان الحيوة فان زمان الاماتة
غير متراخ عنه. ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور وايا ما كان فهو متراخ عن زمان الاماتة
وان كان زمانها ممتدا. ثم اليه ترجعون بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر
او تنشرون من قبوركم اليه للحساب وهذه الافعال وان كان بعضها ماضيا وبعضها مستقبلا لا يتسنى مقارنة شيء منها
لما هو حال منه في الزمان لكن الحال في الحقيقة هو العلم المتعلق بها كانه قيل كيف تكفرون بالله وانتم عالمون بهذه
الاحوال المانعة منه ومآله التعجيب من وقوعه مع تحقق ما ينفيه وانما نظم ما ينكرونه من الاحياء الاخير والرجع في
سلك ما يعترفون به من الاحياء الاول والاماتة تنزيلا لتمكنهم من العلم بما نصب من الدلائل القاطعة منزلة العلم
بذلك بالفعل في ازاحة العلل والاعذار والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان
حيوانا مجاز في القوة النامية لكونها من طلائعها وكذا فيما يحصل للانسان من العقل والعلم والايمان من حيث
انه كمالها وغايتها والموت بازائها يطلق على ما يقابلها في كل مرتبة من تلك المراتب قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم
وقال تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به
في الناس واذا وصف به تعالى اريد بها صحة اتصافه تعالى بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى
قائم بذاته تعالى مقتض لذلك وقرئ ترجعون بفتح التاء والاول هو الاوفق بالمقام. هو الذي خلق لكم
ما في الارض جميعا. تقرير للانكار وتاكيد له من جهة ... ذكر من غير سبكه في سبك ما قبله مع اتحادهما في
المقصود ابانة لما بينهما من التفاوت فان ما يتعلق بذواتهم من الاحياء والاماتة والحشر ادخل في الحث على الايمان
والكف عن الكفر مما يتعلق بمعايشهم وما يجري مجراها وفي جعل الضمير مبتدا والموصول خبرا من الدلالة على الجلالة
ما لا يخفى وتقديم الظرف على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين وللتشويق اليه كما سلف
اي خلق لاجلكم جميع ما في الارض من الموجودات لتنتفعوا بها في امور دنياكم بالذات او بالواسطة وامور دينكم بالاستدلال

بالاستدلال بها على شؤون الصانع تعالى شانه والاستشهاد بكل واحد منها على ما يلائمه من لذات الآخرة وآلامها وما يعم
جميع ما في الارض لا نفسها الا ان يراد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو نعم يعم كل جزء من اجزائها فانه من جملة
ما فيها ضرورة وجود الجزء في الكل وجميعا حال من الموصول الثاني مؤكدة لما فيه من العموم فان كل فرد من افراد ما في
الارض بل كل جزء من اجزاء العالم له مدخل في استمراره على ما هو عليه من النظام اللائق الذي عليه يدور انتظام مصالح
الناس اما من جهة المعاش فظاهر واما من جهة الدين فلما انه ليس في العالم شيء مما يتعلق به النظر وما لا يتعلق به الا وهو دليل
على القادر الحكيم جل جلاله كما مر في تفسير قوله تعالى رب العالمين وان لم يستدل به احد بالفعل. ثم استوى الى السماء. اي قصد
اليها بارادته ومشيئته قصدا سويا بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه من ارادة خلق شيء آخر في تضاعيف خلقها
او غير ذلك ماخوذ من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر ههنا اما لعدم تحققه في خلق السفليات لما روي
من تخلل خلق السموات بين خلق الارض ودحوها عن الحسن رضي الله عنه خلق الله تعالى الارض في موضع بيت المقدس
كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض
وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما واما لاظهار كمال العناية بابداع العلويات وقيل استوى استولى وملك وقيل والاول
هو الظاهر وكلمة ثم للايذان بما بينهما من التفاوت في الرتبة والفضل على خلق السفليات لا للتراخي في الزمان فان تقدمه على خلق ما في
الارض المتاخر عن دحوها مما لا مرية فيه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روي عن الحسن والمراد
بالسماء اما الاجرام العلوية فان القصد اليها بالارادة لا يستدعي سابقة الوجود واما جهات العلو فسواهن
اي اتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء مصونة عن العوج والفطور لا انه تعالى سواهن بعد ان لم يكن كذلك ولا يخفى
ما في مقارنة التسوية والاستواء من حسن الموقع وفيه اشارة الى ان لا تغير فيهن بالنمو والذبول كما في السفليات
والضمير على الوجه الاول للسماء فانها في معنى الجنس وقيل هي جمع سماءة او سماوة وعلى الوجه الثاني مبهم يفسره
قوله تعالى سبع سموات كما في قولهم ربه رجلا وهو على الوجه الاول بدل من الضمير وتاخير ذكر هذا الصنع البديع عن
ذكر خلق ما في الارض مع كونه اقوى منه في الدلالة على كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه لما ان المنافع المنوطة بما
في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر وان كان في ابداع العلويات ايضا من المنافع الدينية والدنيوية
ما لا يخفى هذا ما قالوا وسيأتي في حم السجدة مزيد تحقيق وتفصيل باذن الله سبحانه. وهو بكل شيء عليم. اعتراض
تذييلي مقرر لما قبله من خلق السموات والارض وما فيهما من هذا النمط البديع المنطوي على الحكم الفائقة والمصالح
اللائقة فان علمه عز وجل بجميع الاشياء ظاهرها وباطنها بارزها وكامنها وما يليق بكل واحد منها يستدعي ان
يخلق كل ما يخلقه على الوجه الرائق وقرئ وهو بسكون الهاء تشبيها له بعضد. واذ قال ربك. بيان لامر آخر
من جنس الامور المتقدمة المؤكدة للانكار والاستبعاد فان خلق آدم عليه السلام وما خصه به من الكرامات السنية المحكية
من اجل النعم الداعية لذريته الى الشكر والايمان الناهية عن الكفر والعصيان وتقرير لما قبله من قوله تعالى
خلق لكم ما في الارض جميعا وتوضيح لكيفية التصرف والانتفاع بما فيها وتلوين الخطاب بتوجيهه الى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة
للايذان بان فحوى الكلام ليس مما يهتدى اليه بادلة العقل كالامور المشاهدة التي نبه عليها الكفرة بطريق
الخطاب بل انما طريقه الوحي الخاص به صلى الله عليه وسلم وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال
مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم من الانباء عن تشريفه ما لا يخفى واذ ظرف موضوع لزمان نسبة ماضية
وقع فيه نسبة اخرى مثلها كما ان اذا موضوع لزمان نسبة مستقبلة تقع فيه اخرى مثلها ولذلك يجب اضافتهما

الى الجمل وانتصابه بمضمر صرح بمثله في قوله عز وجل واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وفي قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا وقيل ليس انتصابه على المفعولية بل على الظرفية باذكر الجاري فيه بحذف المظروف واقامة الظرف مقامه واياما كان فهو معطوف على مضمر آخر ينسحب عليه الكلام كانه قيل له عليه السلام غبما اوحي اليه ما خوطب به الكفرة من الوحي الناطق بتفاصيل الامور السابقة الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكرهم بذلك واذكر لهم هذه النعمة ليتنبهوا بذلك لبطلان ما هم فيه وينتهوا عنه واما ما قيل من ان المعنى هو شكر النعمة في خلق السموات والارض وتدبير ذلك فغير سديد لما صرح من ان مقتضى المقام تذكير المخلوقين بموجب الشكر وتنبيههم على ما يقتضيه وايراد ذكرهم مقام الجليل صلى الله عليه وسلم وقيل انتصابه بقوله تعالى قالوا ويأباه انه يقتضي ان يكون هو المقصود بالذات دون سائر القصة وقيل بما سبق من قوله تعالى وبشر الذين آمنوا ولا يخفى بعده وقيل بمضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال الخ ولا ريب في انه لا فائدة في تقييد بدء الخلق بذلك الوقت وقيل بخلقكم او باحياكم مضمرا او فيه ما فيه وقيل اذ زائدة ونسب ذلك الى ابي عبيدة ومعمر وقيل انه بمعنى قد واللام في قوله عز قائلا للملائكة للتبليغ وتقديم الجار والمجرور في هذا الباب مطرد لما في المقول من الطول غالبا مع ما فيه من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر كما مر مرارا والملائكة جمع ملأك باعتبار اصله الذي هو ملأك على ان الهمزة مزيدة كالشمائل في جمع شمال والتاء لتأكيد تأنيث الجماعة واشتقاقه من ملك لما فيه من معنى القوة والشدة وقيل على انه مقلوب من مألك من الألوكة وهي الرسالة اي موضع الرسالة او مرسل على انه مصدر بمعنى المفعول فانهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس فهم رسله عز وجل او بمنزلة رسله عليهم السلام واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المتكلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك عليهم السلام وذهب الحكماء الى انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وانها اكمل منها قوة واكثر علما تجري منها مجرى الشمس من الاضواء منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما نعتهم الله عز وجل بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون وقسم يدبر الامر وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان ونقل في شرح كتبهم انه صلى الله عليه وسلم قال اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع وروي ان بني آدم عشر الجن والجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الارض الموكلين وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة ثم كل اولئك في مقابلة ملائكة الكرسي نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيهما وما بينهما لا يكون لها قدر محسوس وما منه من مقدار شبر الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل والملائكة الذين هم جنود جبرائيل لا يحصي اجناسهم ولا مدة اعمارهم ولا كيفيات عباداتهم الا باريهم العليم

العليم الخبير على ما قال وما يعلم جنود ربك الا هو وروي انه عليه السلام حين عرج به الى السماء رأى ملائكة في موضع بمنزلة شرف يمشي بعضهم تجاه بعض فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اين يذهبون فقال جبريل عليه السلام لا ادري الا اني اراهم منذ خلقت ولا ارى واحدا منهم قد رأيته قبل ذلك ثم سألوا واحدا منهم منذ كم خلقت فقال لا ادري غير ان الله عز وجل يخلق في كل اربعمائة الف سنة كوكبا وقد خلق منذ خلقني اربعمائة الف كوكب فسبحانه من اله ما اعظم قدرته وما اوسع ملكوته واختلف في الملائكة الذين قيل لهم ما قيل فقيل هم ملائكة الارض وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم المختارون مع ابليس حين بعثه الله تعالى لمحاربة الجن حيث كانوا سكان الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فقتلوهم الا قليلا فاخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحار وقلال الجبال وسكنوا الارض وخفف الله تعالى عنهم العبادة واعطى ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة فكان يعبد الله تارة في الارض وتارة في السماء واخرى في الجنة فاخذه العجب فكان من امره ما كان وقال اكثر الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين انهم كل الملائكة لعموم اللفظ وعدم المخصص وقوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة في حيز النصب على انه مفعول قال وصيغة الفاعل بمعنى المستقبل ولذلك عملت عمله وفيها ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه فاعل ذلك لا محالة وهي من الجعل بمعنى التصيير المتعدي الى مفعولين فقيل اولهما خليفة وثانيهما الظرف المقدم على ما هو مقتضى الصناعة فان مفعولي التصيير في الحقيقة اسم صار وخبره فهما الاول والثاني وهما مبتدأ وخبر والاصل في الارض خليفة ثم قيل صار في الارض خليفة ثم مصير في الارض خليفة فمعناه بعدما للنبأ والتي اني جاعل خليفة من الخلائف او خليفة بعينه كائنا في الارض فان خبر صار في الحقيقة هو الكون المقدر العامل في الظرف ولا ريب في ان ذلك ليس مما يقتضيه المقام اصلا وانما الذي يقتضيه هو الاخبار بجعل آدم خليفة فيها كما يعرب عنه جواب الملائكة عليهم السلام فالحق ان قوله تعالى خليفة مفعول ثان والظرف متعلق بجاعل قدم على المفعول الصريح لما مر من التشويق الى ما اخر او بمحذوف وقع حالا مما بعده لكونه نكرة واما المفعول الاول فمحذوف تعويلا على القرينة الدالة عليه كما في قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما حذف فيه المفعول الاول وهو ضمير الاموال لدلالة الحال عليه وكذا في قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم حيث حذف فيه المفعول الاول لدلالة يبخلون عليه اي لا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم ولا ريب في تحقق القرينة ههنا اما ان حمل على الحذف عند وقوع المحكي فهي واضحة لوقوعه في اثناء ذكره صلى الله عليه وسلم على طريق متصل كانه قيل اني خالق بشرا من طين وجاعل في الارض خليفة واما ان حمل على انه محذوف هناك بل قيل مثلا وجاعل اياه خليفة في الارض لكنه حذف عند الحكاية فالقرينة ما ذكر من حكاية الكلام قال العلامة الزمخشري في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين ان قلت كيف صح ان يقول لهم بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قلت وجهه ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى فحيث جاز الاكتفاء عند الحكاية بغير ذلك التفصيل مجردا عن الاسم من غير قرينة تدل عليه فما ظنك بما نحن فيه ومعه قرينة ظاهرة ويجوز ان يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو خليفة وحال الظرف في التعلق والتقديم كما مر وحيث لم يكن ما سيأتي من كلام الملائكة مترتبا عليه بالذات بل بالواسطة فانه روي انه تعالى لما قال لهم اني جاعل في الارض

خليفة قالوا وما يكون ذلك الخليفة قال تعالى يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم
بعضا فعند ذلك قالوا ما قالوا والله تعالى أعلم والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه فعيل بمعنى الفاعل والتاء
للمبالغة والمراد به إما آدم وحده وإنما اقتصر عليه استغناء بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى عن ذكر القبيلة بذكر
أبيها كمضر وهاشم ومنه الخلافة في قريش وإما من يخلف أو خلق يخلف فيعمه صلى الله عليه وسلم وغيره من
خلفاء ذريته والمراد بالخلافة إما الخلافة من جهته سبحانه في إجراء أحكامه وتنفيذ أوامره بين الناس وسياسة
الخلق لكن لا لحاجة به تعالى إلى ذلك بل لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم لقبول الفيض بالذات
فيختص بالخواص من بنيه وإما الخلافة ممن كان في الأرض قبل ذلك فيعم حينئذ الجميع. قالوا استئناف وقع جوابا
عما ينساق إليه الأذهان كأنه قيل فماذا قالت الملائكة حينئذ فقيل قالوا. أتجعل فيها من يفسد فيها. وهو إما
من الجعل المتعدي إلى اثنين فقيل فيها ما قيل في الأول أو الظاهر أن الأول كلمة من والثاني محذوف ثقة بما ذكر
في الكلام السابق كما حذف الأول ثمة تعويلا على ما ذكرها هنا كما في قولهم لا تخلنا على غرائك إنا طالما قد وشى
بنا الأعداء بحذف المفعول الثاني أي لا تخلنا على غرائك والمعنى أتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الأول
متعلق بتجعل وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا والثاني بيفسد وفائدته تأكيد الاستبعاد لما أن في استخلاف المفسد في محل إفساده
من البعد ما ليس في استخلافه في غيره هذا وقد جوز كونه من الجعل بمعنى الخلق المتعدي إلى مفعول واحد وهو كلمة
من وأنت خبير بأن مدار تعجبهم ليس خلق من يفسد في الأرض كيف لا وأن ما يعقبه من الجملة الحالية الناطقة
بدعوى أحقيتهم منه يقضي ببطلانه حتما إذ لا صحة لدعوى الأحقية منه بالخلق وهم مخلوقون بل المراد
أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها بإجراء أحكام الله تعالى وأوامره أو يستخلف مكان المطيعين على الطاعة
من هو شأن بني نوعه الإفساد وسفك الدماء وهو عليه السلام وإن كان منزها عن ذلك إلا أن استخلافه
مستتبع لاستخلاف ذريته التي لا تخلو عنه غالبا وإنما أظهروا تعجبهم استكشافا عما خفي عليهم من الحكم التي بذت
على تلك المفاسد وألغتها واستخبارا عما يزيح شبهتهم ويرشدهم إلى معرفة ما فيه عليه السلام من الفضائل التي جعلته أهلا
لذلك كسؤال المتعلم عما ينقدح في ذهنه لا اعتراضا على فعل الله سبحانه ولا شكا في اشتماله على الحكمة والمصلحة
إجمالا ولا طعنا فيه عليه السلام ولا في ذريته على وجه الغيبة فإن منصبهم أجل من أن يظن بهم أمثال ذلك قال تعالى
بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وإنما عرفوا ما قالوا إما بإخبار من الله تعالى حسبما نقل من
قبل أو بتلق من اللوح أو باستنباط عما ارتكز في عقولهم من اختصاص العصمة بهم أو بقياس أحد الثقلين على الآخر
ويسفك الدماء. السفك والسفح والشن والسكب أنواع من الصب فالأولان مختصان بالدم بل لا يستعمل
أولهما إلا في الدم المحرم أي يقتل النفوس المحرمة بغير حق وعبر عنه بسفك الدماء لما أنه أقبح أنواع القتل
وأفظعه وقرئ يسفك بضم الفاء ويسفك ويسفّك من أسفك وسفّك وقرئ يسفك على البناء للمفعول
وحينئذ الراجع إلى من موصولة أو موصوفة محذوف أي يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك
جملة حالية مقررة للتعجب السابق ومؤكدة له على طريقة قول من يجد في خدمة مولاه وهو يأمر بها غيره
أتستخدم العصاة وأنا مجتهد فيها كأنه قيل أتستخلف من من شأن ذريته الفساد مع وجود من ليس من شأنه
ذلك أصلا والمقصود عرض أحقيتهم منه بالخلافة واستفسار عما رجحه عليهم مع ما هو متوقع منهم من الموانع
لا العجب والتفاخر فكأنهم شعروا بما فيه من القوة الشهوية التي رذيلتها الإفراط الفساد في الأرض والقوة

جاز عين م

القوة الغضبية التي رذيلتها الإفراط سفك الدماء فقالوا ما قالوا وذهلوا عما إذا تخزنتهما القوة العقلية
مرتبتهما على الخير يحصل بذلك من علو الدرجة ما يقصر عن بلوغ رتبة القوة العقلية عند انفرادها في أفاعيلها
كالإحاطة بتفاصيل أحوال الجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة إلى الفعل وغير ذلك
مما نيط بأمر الخلافة والتسبيح تنزيه الله تعالى وتبعيده اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من
سبح في الأرض والماء إذا أبعد فيهما وأمعن ومنه فرس سبوح أي واسع الجري وكذلك التقديس تفعيل من
قدس في الأرض إذا ذهب فيها وأبعد ويقال قدسه أي طهره فإن مطهر الشيء مبعده عن الأقذار والباء
في بحمدك متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير أي ننزهك عن كل ما لا يليق بشأنك ملتبسين بحمدك على ما أنعمت
به علينا من فنون النعم التي من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لإظهار صفات الجلال والحمد لتذكير
صفات الإنعام واللام في لك إما مزيدة والمعنى نقدسك وإما صلة للفعل كما في سجدت لله وإما للبيان كما في
سقيا لك فيكون متعلقة بمحذوف أي نقدس تقديسا لك أي نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك
عما لا يليق بك وقيل المعنى نطهر نفوسنا عن الذنوب لأجلك كأنهم قابلوا الفساد الذي أعظمه الإشراك
بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو تلويث النفس بأقبح الجرائم بتطهير النفس عن الآثام لا تمدحا بذلك
ولا إظهارا للمنة بل بيانا للواقع. قال استئناف كما سبق. إني أعلم ما لا تعلمون ليس المراد به بيان
أنه تعالى يعلم ما لا يعلمونه من الأشياء كائنا ما كان فإن ذلك مما لا شبهة لهم فيه حتى يفتقروا إلى التنبيه عليه
لا سيما بطريق التوكيد بل بيان أن فيه عليه السلام معاني مستدعية لاستخلافه إذ هو الذي خفي عليهم وبنوا
عليه ما بنوا من التعجب والاستبعاد فما موصولة كانت أو موصوفة عبارة عن تلك المعاني والمعنى إني أعلم
ما لا تعلمونه من دواعي الخلافة فيه وإنما لم يقتصر على بيان تحققها فيه عليه السلام بأن قيل مثلا إن فيه ما يقتضيه
من غير تعرض لإحاطته تعالى به وغفلتهم عنه تفخيما لشأنه وإيذانا بابتناء أمره تعالى على العلم الرصين والحكمة
المتقنة وصدوره عن الغفلة وقيل معناه إني أعلم من المصالح في استخلافه ما هو خفي عليكم وأن هذا
إرشاد للملائكة إلى العلم بأن أفعاله تعالى كلها حسنة وحكمة وإن خفي عليهم وجه الحسن والحكمة وأنت
خبير بأنه مشعر بكونهم غير عالمين بذلك من قبل وبكون تعجبهم مبنيا على ترددهم في اشتمال هذا الفعل للحكمة
وذلك مما لا يليق بشأنهم فإنهم عالمون بأن ذلك متضمن لحكمة ما ولكنهم مترددون في أنها ماذا أهي
أمر راجع إلى محض حكم الله عز وجل أو إلى فضيلة من جهة المستخلف فبين سبحانه وتعالى لهم أولا على وجه الإجمال
والإبهام أن فيه فضائل غائبة عنهم ليستشرفوا إليها ثم أبرز لهم طرفا منها ليعاينوا جهرة ويظهر لهم
بديع صنعه وحكمته وينزاح شبهتهم بالكلية. وعلم آدم الأسماء كلها شروع في تفصيل ما جرى بعد الجواب
الإجمالي تحقيقا لمضمونه وتفسيرا لإبهامه وهو عطف على قال والابتداء بحكاية التعليم يدل بظاهره
على أن ما مر من المقاولة المحكية إنما جرت بعد خلقه عليه السلام بمحضر منه وهو الأنسب بوقوف الملائكة على
أحواله عليه السلام بأن قيل إثر نفخ الروح فيه إني جاعل إياه خليفة فقيل ما قيل كما أشير إليه وإيراده
باسمه العلمي لزيادة تعيين المراد بالخليفة ولأن ذكره بعنوان الخلافة لائق بمقام تمهيد مبادئها
وهو اسم أعجمي والأقرب أن وزنه فاعل كشالخ وعابر وفالغ لا أفعل والتصدي لاشتقاقه
من الأدمة أو الأدمة بالفتح بمعنى الأسوة أو من أديم الأرض بناء على ما روي عنه صلى الله عليه وسلم

من أنه تعالى قبض قبضة من جميع الأرض سهلها وحزنها فخلق منها آدم ولذلك اختلفت ألوان ذريته
أو من الأدمة أو الأدمة بمعنى الألفة تعسف كاشتقاق إدريس من الدرس ويعقوب من العقب وإبليس من الإبلاس
والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه إلى الذهن من الألفاظ والصفات
والأفعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى مفردا كان أو مركبا مخبرا عنه أو خبرا أو رابطة
بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بالزمان والمراد ههنا الأول أو الثاني وهو
مستلزم للأول إذ العلم بالألفاظ من حيث الدلالة على المعاني مسبوق بالعلم بها والتعليم حقيقة عبارة
عن فعل يترتب عليه العلم بلا تخلف عنه ولا يحصل ذلك بمجرد إفاضة المعلم بل يتوقف على استعداد المتعلم
لقبول الفيض وتلقيه من جهته كما مر في تفسير الهدى وهو السر في إيثاره على الإعلام والإنباء فإنهما يتوقفان
على سماع الخبر الذي يشترك فيه البشر والملك وبه يظهر أحقيته بالخلافة منهم عليهم السلام لأن جبلتهم
غير مستعدة للإحاطة بتفاصيل أحوال الجزئيات الجسمانية خبرا فمعنى تعليمه تعالى إياه أن يخلق فيه إذ ذاك
بموجب استعداده علما ضروريا تفصيليا بأسماء جميع المسميات وأحوالها وخواصها اللائقة بكل منها أو يلقي
في روعه تفصيلا أن هذا فرس وشأنه كيت وكيت وذاك بعير وحاله ذيت وذيت إلى غير ذلك من
أحوال الموجودات فيتلقاها حسبما يقتضيه استعداده ويستدعيه قابليته المتفرعة على فطرته المنطوية
على طبائع متباينة وقوى متخالفة وعناصر متغايرة قال ابن عباس رض وعكرمة وقتادة ومجاهد
وابن جبير رحمهم الله علمه أسماء جميع الأشياء حتى القصعة والقصيعة وحتى الجفنة والمحلب وأنحى منفعة كل شيء
إلى جنسه وقيل أسماء ما كان وما سيكون إلى يوم القيمة وقيل معنى قوله تعالى وعلم آدم الأسماء خلقه
من أجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لإدراك أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات
وألهمه معرفة ذوات الأشياء وأسمائها وخواصها ومعارفها وأصول العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل آلاتها
وكيفيات استعمالاتها فيكون ما مر من المقاولة قبل خلقه عم وقيل التعليم على ظاهره ولكن هناك جمل مطوية
عطف عليها المذكور أي فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح وعلمه الخ ثم عرضهم على الملائكة الضمير للمسميات
المدلول عليها بالأسماء كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا والتذكير لتغليب العقلاء على غيرهم وقرئ عرضهن
وعرضها أي عرض مسمياتهن أو مسمياتها في الحديث أنه تعالى عرضهم أمثال الذر ولعله عز وجل عرض عليهم من
أفراد كل نوع ما يصلح أن يكون أنموذجا يتعرف منه أحوال البقية وأحكامها فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء
تبكيتا لهم وإظهارا لعجزهم عن إقامة ما علقوا به رجاءهم من أمر الخلافة فإن التصرف والتدبير وإقامة
المعدلة بغير وقوف على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق مما لا يكاد يمكن والإنباء إخبار فيه إعلام
ولذلك يجري مجرى كل منهما والمراد ههنا ما خلا عنه وإيثاره على الإخبار للإيذان برفعة شأن الأسماء
وعظم خطرها فإن النبأ إنما يطلق على الخبر الخطير والأمر العظيم إن كنتم صادقين أي في زعمكم أنكم
أحقاء بالخلافة ممن استخلفته كما ينبئ عنه مقالكم والتصديق كما يتطرق إلى الكلام باعتبار منطوقه
قد يتطرق إليه باعتبار ما يلزم مدلوله من الأخبار فإن أدنى مراتب الاستحقاق هو الوقوف على أسماء ما في
الأرض وأما ما قيل من أن المعنى في زعمكم أني أستخلف في الأرض مفسدين سفاكين للدماء فليس مما يقتضيه
المقام وإن أول بأن يقال في زعمكم أني أستخلف من غالب أمره الإفساد وسفك الدماء من غير أن يكون له

مزية من جهة أخرى إذ لا يتعلق له بأمر الإنباء وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه قالوا
استئناف واقع موقع الجواب كأنه قيل فماذا قالوا هل خرجوا عن عهدة ما كلفوه أو لا فقيل قالوا سبحانك
قيل هو علم للتسبيح ولا يكاد يستعمل إلا مضافا وقد جاء غير مضاف على الشذوذ وغير منصرف للتعريف
والألف والنون المزيدتين كما في قوله سبحان من علقمة الفاخر وأما ما في قوله سبحانه ثم سبحانا نعوذ له
وقيل صرفه للضرورة وقيل لأنه مصدر منكر كغفران لا اسم مصدر ومعناه على الأول نسبح عما لا يليق
بشأنك الأقدس من الأمور التي من جملتها خلو أفعالك من الحكم والمصالح وعملوا بذلك تسبيحا ناشئا عن كمال
طمأنينة النفس عند الإيقان باشتمال استخلافه لآدم عم على الحكم البالغة وعلى الثاني ننزهك تنزيها
ناشئا عن ذلك وأرادوا به أنهم قالوه عن إذعان لما علموا إجمالا إثر ما كلفوه وأنه تمهيد على
ما عجزوا عنه مما يتوقف عليه الخلافة وقوله عز وعلا لا علم لنا إلا ما علمتنا اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه
إذ معناه لا علم لنا إلا ما علمتناه بحسب قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة بنا على ما هو خارج عن دائرة
استعدادنا حتى لو كنا مستعدين لذلك لأفضته علينا وما في علمتنا موصولة حذف من صلتها عائدها
أو مصدرية وقد نفوا عنهم العلم بالأسماء على وجه المبالغة حيث لم يقتصروا على بيان عدمه بأن قالوا
مثلا لا علم لنا بها بل جعلوها من جملة ما لا يعلمونه وأشعروا بأن كونه من تلك الجملة غني عن البيان إنك أنت العليم
الذي لا يخفى عليه خافية ومن ذلك هذا أشار إلى التحقيقية لقوله تعالى إني أعلم ما لا تعلمون الحكيم أي المحكم لمصنوعاته
الفاعل لها حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة وهو خبر بعد خبر أو صفة للأول وأنت ضمير الفصل لا محل له من
الإعراب أو له محل مما قبله كما قاله الفراء أو مما بعده كما قاله الكسائي وقيل تأكيد للكاف كما في قولك
مررت بك أنت وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر إن وتلك الجملة تعليل لما سبق من قصر علمهم على ما علمه الله تعالى وما فيهم
من ذلك علم آدم عم ما خفي عليهم فكأنهم قالوا إنك العالم بكل المعلومات التي من جملتها استعداد آدم عم
لما خفي علينا من الاستعداد لما له من العلوم الخفية المتعلقة بما في الأرض من أنواع المخلوقات التي عليها يدور
فلك الخلافة الحكيم الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة ومن جملته تعليم آدم عليه السلام ما هو قابل له من العلوم
الكلية والمعارف الجزئية المتعلقة بالأحكام الواردة على ما في الأرض وبناء أمر الخلافة عليها قال
استئناف كما سلف يا آدم أنبئهم أي أعلمهم أوثر على أنبئني كما وقع في أمر الملائكة عم مع حصول المراد
معه أيضا وهو ظهور فضل آدم عليه عم إبانة لما بين الأمرين من التفاوت الجلي وإيذانا بأن علمه عم بها
أمر واضح غير محتاج إلى ما يجري مجرى الامتحان وأنه عم حقيق بأن يعلمها غيره وقرئ بقلب الهمزة ياء وبحذفها
أيضا والهاء مكسورة فيهما بأسمائهم التي عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبتها فلما أنبأهم
بأسمائهم الفاء فصيحة عاطفة للجملة الشرطية على محذوف يقتضيه المقام وينسحب عليه الكلام للإيذان
بتقرره وغناه عن الذكر وللإشعار بتحققه في أسرع ما يكون كما في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله
سبحانه أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك وإظهار الأسماء في موقع الإضمار لإظهار كمال العناية بشأنها
وللإيذان بأنه عم أنبأهم بها على وجه التفصيل دون الإجمال والمعنى فأنبأهم بأسمائهم مفصلة وبين
لهم أحوال كل منهم وخواصه وأحكامه المتعلقة بالمعاش والمعاد فعلموا ذلك لما رأوا أنه عم لم يتلعثم في
شيء من التفاصيل التي ذكرها مع مساعدة ما بين الأسماء والمسميات من المناسبات والمشاكلات وغير ذلك من القرائن

سبحان اسم مصدر والتسبيح [illegible]
وقيل بل مصدر [illegible]

ثم مأخذه إلى القول لأن الحسن [illegible]
[illegible]

الموجبة لصدق مقالاته عم فلما انبأهم بذلك قال عز وجل تقريرا لما مر من الجواب الاجمالي واستحضارا له ألم
اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض لكن لا لتقرير نفسه كما في قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا ونظايره بل
لتقرير ما يفيده من تحقق دواعي الخلافة في آدم عم بظهور مصداقه وايراد ما لا تعلمون بعنوان الغيب مضافا الى
السموات والارض للمبالغة في بيان كمال شمول علمه المحيط وغاية سعته مع الايذان بان ما ظهر من عجزهم وعلم آدم عم
من الامور المتعلقة باهل السموات واهل الارض وهذا دليل واضح على ان المراد بما لا تعلمون فيما سبق ما اشير اليه
هنالك كانه قيل الم اقل لكم اني اعلم فيه من دواعي الخلافة ما لا تعلمونه فها هو هذا الذي عاينتموه وقوله تعالى
واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون عطف على جملة الم اقل لكم لا على اعلم اذ هو غير داخل تحت القول وما في الموضعين
موصولة حذف عائدها اي اعلم ما تبدونه وما تكتمونه وتغيير الاسلوب للايذان باستمرار كتمهم قيل المراد بما تبدون
قولهم اتجعل الخ وبما يكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وروي انه تعالى
لما خلق آدم عم رأت الملائكة فطرته العجيبة وقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا اكرم عليه منه
وقيل هو ما اسره ابليس في نفسه من الكبر وترك السجود فاسناد الكتمان ح الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان
قتلوا فلانا والقاتل واحد من بينهم قالوا في الآية الكريمة دلالة على شرف الانسان ومزية العلم وفضله
على العبادة وان ذلك هو المناط للخلافة وان التعليم يصح اطلاقه على الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه
لاختصاصه عادة بمن يحترف به وان اللغات توقيفية لدلالة الاسماء على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها
ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع وما هو الا من الله تعالى وان مفهوم
الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لزم التكرار وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك
في الطبقة العليا منهم وحملوا على ذلك قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم عم افضل من هؤلاء
الملائكة لانه اعلم منهم وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة عطف على الظرف الاول
منصوب بما نصبه من المضمر او بناصب مستقل معطوف على ناصبه عطف القصة على القصة اي واذكر وقت قولنا
لهم وقيل بفعل دل عليه الكلام اي اطاعوا وقت قولنا الخ وقد عرفت ما في امثاله وتخصيص هذا القول
بالذكر مع كون مقتضى الظاهر ايراده على منهاج ما قبله من الاقوال المحكية المتصلة به للايذان بان ما في حيزه
نعمة جليلة مستقلة حقيقة بالذكر والتذكير على حيالها والالتفات الى التكلم لاظهار الجلالة وتربية المهابة
مع ما فيه من تاكيد الاستقلال وكذا اظهار الملائكة في موقع الاضمار واللام للتبليغ وتقديم الجار والمجرور
على المفعول لما مر وقرئ بضم تاء الملائكة اتباعا لضم الجيم في قوله تعالى اسجدوا لآدم كما قرئ بكسر الدال
في قوله تعالى الحمد لله اتباعا لكسر اللام وهي لغة ضعيفة والسجود في اللغة الخضوع والتطامن وفي الشرع وضع
الجبهة على الارض على قصد العبادة فقيل امروا بالسجود له عليه السلام على وجه التحية والتكرمة تعظيما له
واعترافا بفضله واداء لحق التعليم واعتذارا عما وقع منهم في شانه وقيل امروا بالسجود له تعالى وانما كان
آدم قبلة لسجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه فكانه تعالى لما براه انموذجا للمبدعات كلها ونسخة منطوية
على تعلق العالم الروحاني بالعالم الجسماني وامتزاجهما على نمط بديع امرهم بالسجود له تعالى لما عاينوا من عظيم
قدرته فاللام فيه كما في قول حسان رضي الله عنه اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن او في
قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس والاول هو الاظهر وقوله عز وجل فسجدوا عطف على قلنا والفاء لافادة

مسارعتهم الى الامتثال وعدم تلعثمهم في ذلك روي عن وهب ان اول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم
اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة عليهم السلام وقوله تعالى الا ابليس استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا
مغمورا بالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من
الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما روي عن ابن عباس رض وهو منهم او لان الجن ايضا كانوا مامورين
بالسجود له لكن استغني بذكر الملائكة عن ذكرهم او منقطع وهو اسم اعجمي ولذلك لم ينصرف ومن جعله
مشتقا من الابلاس وهو الياس قال انه شبيه بالعجمة حيث لم يسم به احد فكان كالاسم الاعجمي واعلم
ان الذي يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة الاعراف من قوله تعالى ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الآية والتي في سورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا فسجدوا
الآية ان سجود الملائكة انما ترتب على الامر التنجيزي الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه البتة كما
يلوح به حكاية امتثالهم بعبارة السجود دون الوقوع الذي به ورد الامر التعليقي ولكن ما في سورة الحجر
من قوله عز وعلا واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من
روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون وما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة اني
خالق بشرا من طين الآية يستدعيان بظاهرهما ترتبه على ما فيهما من الامر التعليقي من غير ان يتوسط بينهما شيء
غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه عم وقد روي عن وهب انه كان السجود
كما نفخ فيه الروح بلا تاخير وحمل الآيات السابقة على ما فيهما من الامر على حكاية الامر التعليقي بعد تحقق المعلق
به اجمالا فانه ح يكون في حكم التنجيز يأباه ما في سورة الاعراف من كلمة ثم المنادية بتاخر ورود الامر عن التصوير
المتاخر عن الخلق المتاخر عن الامر التعليقي ولا اعتداد بحمل التراخي على الرتبي والتراخي في الاخبار او بان الامر
التعليقي قبل تحقق المعلق به لما كان في عدم ايجاب المامور به بمنزلة العدم جعل كانه انما حدث بعد تحققه
فحكي على صورة التنجيز ثم ان ما حكي بعد الآية التي الى ما جرى بينه وبينهم عليهم السلام في شان الخلافة وما قالوا
فيه وما سمعوا انما جرى بعد السجود المسبوق بمعرفة جلالة منزلته عم وخروج ابليس من البين باللعن المؤبد
لعناده وبعد مشاهدتهم لذلك كله عيانا وهل هو الا خرق لقضية العقل والنقل والالتجاء في التفصي
عنه الى تاويل نفخ الروح بحمله على ما يعم افاضة ما به حيوة النفوس التي من جملتها تعليم الاسماء تعسف ينبي عن
ضيق المجال فالذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الانيق بعد التصفح في مستودعات الكتاب المكنون والتفحص
عما فيه من السر المخزون ان سجودهم له عم انما ترتب على الامر التنجيزي المتفرع على ظهور فضله عم المبني على المحاورة
المسبوقة بالاخبار بخلافته المنتظم جميع ذلك في سلك ما نيط به الامر التعليقي من التسوية ونفخ الروح اذ ليس
من قضية وجوب السجود عقيب نفخ الروح فيه فان الفاء الجزائية ليست بنص في وجوب وقوع مضمون الجزاء عقيب
وجود الشرط من غير تراخ لتقضي بعدم وجوب السعي عقيب النداء لقوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا
الآية وبعدم وجوب اقامة الصلوة عقيب الاطمئنان لقوله تعالى فاذا اطمانتم فاقيموا الصلوة بل انما الوجوب
عند دخول الوقت كيف لا والحكمة الداعية الى ورود ما حكي فيه من الامر التعليقي انما هي حمل الملائكة
عليهم السلام على التامل في شانه عم ليتدبروا في احواله ويحيطوا بما لديه خبرا ويستفهموا ما عسى يشتبه
عليهم في امره عم لابتنائه على حكم ابية واسرار خفية طويت عن علومهم ويقفوا على جلية الحال قبل ورود الامر

التنجيزي ومحتم الامتثال فقد فعلوا بحسب ذلك ما قالوا وعاينوا ما عاينوا وعدم ظهور الامر التنجيزي في
تلك الامور المذكورة في السورة عند الحكاية لا يستلزم عدم انتظامه فيها عند وقوع المحكي كما ان عدم
ذكر الامر التعليقي عند حكاية الامر التنجيزي في السورة الكريمة المذكورة لا يوجب عدم مسبوقيته به فان حكاية
كلام واحد على اساليب مختلفة حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام ليست بعزيزة في الكتاب
العزيز وناهيك بما نقل في توجيه قوله تعالى بشرا مع عدم سبق معرفة الملائكة عم بذلك وحيث صح
السمع انه لم يرد به نقل فالظن بانه قد وقع التصريح به في مواضع عديدة فلعله قد القي اليهم ابتداء جميع ما
يتوقف عليه الامر التنجيزي اجمالا بان قيل مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح فقالوا عند ذلك
ما قالوا او القي اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المعدودة بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل هذا خليفة في الارض
فقالوا ما ذكروا في حقه عم ما ذكروا فايده الله عز وجل بتعليم الاسماء فشاهدوا منه ما شاهدوا فعند ذلك ورد
الامر التنجيزي اعتناء بشان المأمور به وتعيينا لوقته وقد حكي بعض الامور في بعض المواطن وبعضها في بعضها
اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي يحسم مادة الاشتباه ان ما في سورة ص من قوله تعالى
اذ قال ربك للملائكة الى آخر الآيات بدل من قوله تعالى اذ يختصمون فيما قبله من قوله تعالى ما كان لي من علم بالملا الاعلى
اذ يختصمون اي بكلامهم عند اختصامهم ولا ريب في ان المراد بالملا الاعلى الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس حسبما
اطبق عليه جمهور الائمة وباختصامهم ما جرى بينهم في شأن الخلافة آدم عم من التقاول الذي من جملته ما صدر عنهم
من الانباء بالاسماء فعن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه تفصيلا من الامر التعليقي
وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة عليهم السلام وعناد ابليس وما تبعه
من لعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة
ومكابرة ابليس الشنيعة لطرده من بينهم لما عرفت من انه لاحد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة استحالة
الانباء بالاسماء ح فهو اذن بعد نفخ الروح وقبل السجود حتما باحد الطريقين والله سبحانه اعلم بحقيقة الامر
ابى واستكبر استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء وانه لم يكن للتردد او للتأمل والاباء
الامتناع بالاختيار والتكبر ان يرى نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع اي امتنع عما امر به
واستكبر من ان يعظمه او يتخذه وصلة في عبادة ربه وتقديم الاباء على الاستكبار مع كونه مسببا عنه لظهوره
ووضوح اثره واقتصر في سورة ص على ذكر الاستكبار اكتفاء به وفي سورة الحجر على ذكر الاباء حيث قيل ابى
ان يكون مع الساجدين وكان من الكافرين اي في علم الله تعالى او كان اصله من كفرة الجن فلذلك ارتكب ما ارتكبه
على ما افصح عنه قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه فالجملة اعتراضية مقررة لما سبق من الاباء والاستكبار
او صار منهم باستقباح امره تعالى اياه بالسجود لآدم عليه السلام زعما منه انه افضل منه والافضل لا يحسن
ان يؤمر بالخضوع للمفضول كما يفصح عنه قوله انا خير منه جوابا لقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت
ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده فالجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الواو على الفاء للدلالة على ان مجموع
الاباء والاستكبار كفر لا انهما سبب له كما يفيده الفاء وقلنا شروع في حكاية ما جرى بينه تعالى وبين آدم عم بعد
تمام ما جرى بينه تعالى وبين الملائكة وابليس من الافعال والاقوال وقد تركت حكاية توبيخ ابليس وجوابه ولعنه

ولعنه واستنظاره وانظاره اجتزاء بما فصل في سائر السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملائكة ولا يقدح
في ذلك اختلاف وقتيهما فان المراد بالزمان المدلول عليه بكلمة اذ زمان ممتد واسع للقولين وقيل هو عطف
على اذ قلنا باضمار اذ وهذا تذكير بنعمة اخرى موجبة للشكر مانعة من الكفر وتصدير الكلام بالنداء
في قوله تعالى يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة للتنبيه على الاهتمام بتلقي المأمور به وتخصيص الخطاب
به عم للايذان باصالته في مباشرة المأمور به واسكن من السكنى وهو اللبث والاقامة والاستقرار دون
السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن ليصح العطف عليه واختلف في وقت خلق زوجه
فذكر السدي عن ابن مسعود رض وابن عباس رض وناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ان الله تعالى
لما اخرج ابليس من الجنة واسكنها آدم بقي فيها وحده وما كان معه من يستأنس به فالقى الله تعالى عليه
النوم ثم اخذ ضلعا من جانبه الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجدها عند رأسه
قاعدة فسألها ما انت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقال الملائكة تجربة لعلمه من
هذه قال امرأة قالوا لم سميت امرأة قال لانها من المرء اخذت فقالوا ما اسمها قال حواء قالوا لم سميت
حواء قال لانها خلقت من شيء حي وروي عن ابن عباس رض قال بعث الله جندا من الملائكة فحملوا آدم
وحواء على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور حتى ادخلوهما الجنة وهذا كما ترى يدل على خلقهما
قبل دخول الجنة والمراد بها دار الثواب لانها المعهودة وقيل هي جنة بارض فلسطين او بين فارس وكرمان
خلقها الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الاهباط على النقل منها الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا
مصرا لما ان خلقه عم كان في الارض بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة رفعه الى السماء ولو وقع ذلك
لكان اولى بالذكر والتذكير لما انه من اعظم النعم ولانها لو كانت دار الخلد لما دخلها ابليس وقيل انها
كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم ان الاهباط الاول كان منها الى السماء الدنيا والثاني منها
الى الارض وقيل الكل ممكن والادلة النقلية متعارضة فوجب التوقف وترك القطع وكلا منها
اي من ثمارها وانما وجه الخطاب اليهما تعميما للتشريف والتزيين فيه ومبالغة في ازالة العلل والاعذار
والايذان بتساويهما في مباشرة المأمور به فان حواء اسوة له عم في الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له
فيه رغدا صفة للمصدر المؤكد اي اكلا واسعا رافها حيث شئتما اي اي مكان اردتما منها وهذا
كما ترى اطلاق كلي حيث ابيح لهما الاكل منها على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلل ولم يحظر عليهما بعض
الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للمأكولات حتى لا يبقى لهما عذر في تناول ما منعا منه بقوله تعالى ولا تقربا
بفتح الراء من قربت الشيء بالكسر اقربه بالفتح اذا التبست به وتعرضت له وقال الجوهري قرب بالضم
يقرب قربا اي دنا وقربته بالكسر قربانا اي دنوت منه هذه الشجرة نصب على انه بدل من اسم الاشارة او نعت
له بتأويلها بمشتق اي هذه الحاضرة من الشجر اي لا تأكلا منها وانما علق النهي بالقربان منها مبالغة في تحريم
الاكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد بها الحنطة او العنبة او التينة وقيل هي شجرة من اكل منها احدث والاولى
عدم تعيينها من غير قاطع وقرئ هذي بالياء وبكسر شين الشجرة وتاء تقربا وقرئ الشيرة بكسر الشين وفتح الياء
فتكونا من الظالمين مجزوم على انه معطوف على تقربا او منصوب على انه جواب للنهي وايا ما كان فالقرب اي الاكل
منها سبب لكونهما من الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية او نقصوا حظوظهم بمباشرة ما يخل بالكرامة

والنعيم او تعدو او اصدود الله تعالى . فازلهما الشيطان عنها . اي اصدر زلتهما اي زلقهما وحملهما على الزلة بسببها
ونظيره عن هذه ما في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازالهما عن الجنة بمعنى اذهبهما وابعدهما عنها يقال
زل عني كذا اذا ذهب عنك ويعضده قراءة ازالهما وهما متقاربان في المعنى فان الازلال اي الازلاق
يقتضي زوال الزال عن موضعه البتة وازلاله قوله لهما هل ادلكما على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله
ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته لهما اني لكما لمن الناصحين
وهذه الآية مشعرة بانه عليه السلام يوم قيل له اسكن الجنة على وجه الخلود دال على وجه التكرمة والتشريف لما قدمه
من خلافة الارض الى حين البعث اليها واختلف في كيفية توصله اليهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم
فقيل انه انما منع من الدخول على وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة عليهم السلام ولم يمنع من الدخول للوسوسة
ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة
وقيل دخل في فم الحية فدخلت معها وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله سبحانه . فاخرجهما
مما كانا فيه اي من الجنة ان كان ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للايذان بفخامتها وجلالتها
وملابستهما له اي من المكان العظيم الذي كانا مستقرين فيه او من الكرامة والنعيم ان كان الضمير للجنة . وقلنا
اهبطوا الخطاب لآدم وحواء بدليل قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصل الجنس فكانهما
الجنس كلهم وقيل لهما وللحية وابليس على انه اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة او يدخلها مسارقة
او اهبط من السماء وقرئ بضم الباء . بعضكم لبعض عدو حال استغني فيها عن الواو بالضمير اي متعادين
يبغي بعضكم على بعض بتضليله او استئناف لا محل له من الاعراب وافراد العدو اما للنظر الى لفظ البعض
واما لان وزانه وزان المصدر كالقبول . ولكم في الارض التي هي محل الاهباط والظرف متعلق بما تعلق به
الخبر اعني لكم من الاستقرار . مستقر اي استقرار او موضع استقرار . ومتاع اي تمتع بالعيش وانتفاع به
الى حين هو حين الموت على ان المغيا تمتع كل فرد من المخاطبين او القيامة على انه تمتع الجنس في ضمن بعض الافراد
والجملة كما قبلها في كونها حالا اي مستحقين للاستقرار والتمتع او استئنافا . فتلقى آدم من ربه كلمات اي
استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها ووفق لها وقرئ بنصب آدم ورفع كلمات على انها استقبلته
وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك
وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا رب الم تخلقني
بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال
الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم والفاء للدلالة على
التوبة حصلت عقيب الامر بالهبوط قبل تحقق المأمور به والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليه عليه السلام
للتشريف والايذان بعلية التربية لتلقي الكلمات المدلول عليه بتلقيها . فتاب عليه . اي رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة
والفاء للدلالة على ترتبه على تلقي الكلمات المتضمن لمعنى التوبة التي هي عبارة عن الاعتراف بالذنب والندم عليه
والعزم على عدم العود اليه واكتفي بذكر توبة آدم عليه السلام لان حواء تبع له في الحكم ولذلك طوي ذكر
النساء في اكثر مواقع الكتاب والسنة . انه هو التواب . اي الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة
واصل التوب الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف به الباري عز وعلا اريد به الرجوع عن

العقاب الى المغفرة . الرحيم . المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالاحسان مع العفو
والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى فتاب عليه . قلنا . استئناف مبني على سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فماذا
وقع بعد قبول توبته فقيل قلنا . اهبطوا منها جميعا كرر الامر بالهبوط ايذانا بتحتم مقتضاه وتحققه لا محالة
ودفعا لما عسى يقع في امنيته من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك ولاظهار نوع رأفة به عليه السلام
لما بين الامرين من الفرق النير كيف لا والاول مشوب بضرب سخط مذيل ببيان ان مهبطهم دار بلية
وتعاد لا يخلدون فيها والثاني مقرون بوعد ايتاء الهدى المؤدي الى النجاة والنجاح واما ما فيه من وعيد
العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا اوليا بل انما هو دائر على سوء اختيار المكلفين وقيل فيه تنبيه على ان
الحازم يكفيه في الردع عن مخالفة حكم الله تعالى مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين فكيف
بالمقترن بهما فتأمل وقيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض ويأباه التعرض لاستقرارهم
في الارض في الاول ورجوع الضمير الى الجنة في الثاني وجميعا حال في اللفظ وتأكيد في المعنى كأنه قيل
اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي الاجتماع على الهبوط في زمان واحد كما في قولك جاؤوا جميعا
بخلاف قولك جاؤوا معا . فاما يأتينكم مني هدى . الفاء لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم من الامر به
واما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة المؤكدة لمعناها والفعل في محل الجزم بالشرط لانه مبني لاتصاله
بنون التأكيد وقيل معرب مطلقا وقيل مبني مطلقا والصحيح التفصيل ان باشرته النون بني والا اعرب
نحو هل يقومان وتقديم الظرف على الفاعل لما مر غير مرة والمعنى ان يأتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم
وكتاب انزله عليكم وجواب الشرط قوله تعالى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما في قولك
ان جئتني فان قدرت احسنت اليك وايراد كلمة الشك مع تحقق الاتيان لا محالة للايذان بان الايمان
بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب بل يكفي في وجوبه افاضة العقل ونصب
الادلة الآفاقية والانفسية والتمكين من النظر والاستدلال او التحري على سنن العقلاء في ان ادى
وتعد في مواقع القطع والجزم والمعنى ان من تبع هداي منكم فلا خوف عليهم في الدارين من لحوق
مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون
ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن اصلا بل يستمرون على السرور والنشاط كيف لا
واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصارا للجد والسعي في اقامة
حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما
كما يتوهم من كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه ان النفي وان دخل على نفس المضارع
يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واظهار الهدى مضافا الى ضمير الجلالة لتعظيمه وتأكيد وجوب
اتباعه او لان المراد بالثاني ما هو اعم من الهداية الشرعية وما ذكر من افاضة العقل ونصب الادلة الآفاقية
والانفسية كما قيل وقرئ هدي على لغة هذيل وفلا خوف بالفتح . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
عطف على من تبع الى آخره قسيم له كأنه قيل ومن لم يتبعه وانما اوثر عليه ما ذكر تفظيعا لحال الضلالة واظهارا
لكمال قبحها وايراد الموصول بصيغة الجمع للاشعار بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر والتكذيب للايذان بتنوع
الهدى الى ما ذكر من النوعين وايراد نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة واضافتها اليها لاظهار كمال

فيح التكذيب بها اي والذين كفروا برسلنا المرسلة اليهم وكذبوا باياتنا المنزلة عليهم وقيل المعنى كفروا
بالله وكذبوا باياته التي انزلها على الانبياء او اظهرها بايديهم من المعجزات وقيل كفروا بالايات جنانا وكذبوا
بها لسانا فيكون كلا الفعلين متوجها الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة قال النابغة
توهمت آيات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع ويقال للمصنوعات من حيث دلالتها على الصانع
تعالى وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل لانها علامة لانفصال ما قبلها مما
بعدها وقيل لانها تجمع كلمات منه فيكون من قولهم خرج بنو فلان بآيتهم اي بجماعتهم قال خرجنا من النقبين لا
حي مثلنا بآيتنا نزجي اللقاح المطافلا واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي او من اوى اليه اي
رجع واصلها اوية او ايية فابدلت عينها الفا على غير قياس او اوية او ايية كرمكة فاعلت
او آئية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة
من الكفر والتكذيب وفيه اشعار بتميزهم بذلك الوصف تميزا مصححا للاشارة الحسية وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلتهم في الشر وهو مبتدا وقوله عز وجل اصحاب النار اي ملازموها وملابسوها
بحيث لا يفارقونها خبره والجملة خبر للموصول او اسم الاشارة بدل من الموصول او عطف بيان له
واصحاب النار خبر له وقوله تعالى هم فيها خالدون في حيز النصب على الحالية لورود التصريح به
في قوله تعالى اصحاب النار خالدين فيها وقد جوز كونه حالا من النار لاشتماله على ضميرها والعامل
معنى الاضافة او اللام المقدرة او في محل الرفع على انه خبر آخر لاولئك على رأي من جوز وقوع
الجملة خبرا ثانيا وفيها متعلق بخالدون والخلود في الاصل المكث الطويل وقد انعقد الاجماع
على ان المراد به الدوام يا بني اسرائيل تلوين للخطاب وتوجيه له الى طائفة خاصة من الكفرة المعاصرين
للنبي صلى الله عليه وسلم لتذكيرهم بفنون النعم الفائضة عليهم بعد توجيهه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وامره بتذكيرهم بالنعمة العامة لبني آدم قاطبة بقوله تعالى واذ قال ربك الخ واذ قلنا
للملائكة الخ لان المعنى كما اشير اليه بلغهم كلامي واذكر لهم اذ جعلنا اباهم خليفة في الارض ومسجودا
للملائكة عليهم السلام وشرفناه بتعليم الاسماء وقبلنا توبته والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك
ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه
بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة
ياء واسرأل بهمزة مفتوحة واسرئل بهمزة مكسورة بين الراء واللام وتخصيص هذه الطائفة
بالذكر والتذكير لما انهم اوفر الناس نعمة واكثرهم كفرا بها اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
بالتفكر فيها والقيام بشكرها وفيه اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لا انهم
اهملوا شكرها فقط واضافة النعمة الى ضمير الجلالة لتشريفها وايجاب تخصيص شكرها به تعالى وتقييد
النعمة بهم لما ان الانسان مجبول على حب النعمة فاذا نظر الى ما فاض عليه من النعم حمله ذلك على الرضا
والشكر وقيل اريد بها ما انعم به على آبائهم من النعم التي سيجيء تفصيلها وعليهم من فنون النعم التي
اجلها ادراك عصر النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ اذكروا من الافتعال ونعمتي باسكان الياء واسقاطها
في الدرج وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة اوف

اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى كل واحد ممن يتولى طرفيه ولعل الاول مضاف الى
الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وارسال الرسل
وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان
بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدماء والاموال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث نغفل عن انفسنا فضلا
عن غيرنا ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم واما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه اوفوا بعهدي في اتباع محمد صلى الله عليه
وسلم اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة
والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما
مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة
وتفصيل العهدين في قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات الخ وقرئ اوفّ بالتشديد
للمبالغة والتاكيد واياي فارهبون فيما تاتون وما تذرون خصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص
من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم
راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد ودالة على وجوب الشكر والوفاء
بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله تعالى وآمنوا بما انزلت افرد الايمان بالقرآن بالامر به لما انه العمدة
القصوى في شأن الوفاء بالعهود مصدقا لما معكم من التوراة والتعبير عنها بذلك للايذان بعلمهم بتصديقه لها
فان المعية مئنة لتكرر المراجعة اليها والوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها ومعنى تصديقه
للتوراة انه نازل حسبما نعت فيها او من حيث انه موافق لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل
بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته لها في بعض جزئيات الاحكام المتفاوتة بسبب تفاوت
الاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره متضمن
للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع وليس في التوراة دلالة على ابدية احكامها المنسوخة حتى يخالفها ما ينسخها
وانما تدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هي ناطقة بنسخ تلك الاحكام فان نطقها
بصحة القرآن الناسخ لها نطق بنسخها فان مناط المخالفة في الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف العصر حتى لو تأخر
نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي وتقييد المنزل بكونه مصدقا لما معهم لتأكيد وجوب الامتثال بالامر
فان ايمانهم بما معهم مما يقتضي الايمان بما يصدقه قطعا ولا تكونوا اول كافر به اي لا تسارعوا الى الكفر به
فان وظيفتكم ان تكونوا اول من آمن به لما انكم تعرفون شأنه وحقيته بطريق التلقي مما معكم من الكتب الالهية
كما تعرفون ابناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه كما سيجيء فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم
ما لا يتوهم صدوره عنكم من كونكم اول كافر به ووقوع اول كافر به خبرا عن ضمير الجمع بتأويل اول فريق او فوج
او بتأويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة ونهيهم عن التقدم في الكفر به مع ان مشركي
العرب اقدم منهم لما ان المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او لان
المراد نهيهم عن كونهم اول كافر به من اهل الكتاب او ممن كفر بما عنده فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل
من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل اذا نجا وخلص فابدلت همزته

وأوّل تخفيفاً غير قياسي أو أَدْوَل من آل فقلبت همزته واواً وادغمت. ولا تشتروا بآياتي أي لا تأخذوا لأنفسكم
بدلاً منها ثمناً قليلاً من الحظوظ الدنيوية فإنها وإن جلّت قليلة مسترذلة بالنسبة إلى ما فات عنهم من حظوظ الآخرة
بترك الإيمان قيل كانت لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاختاروها على الإيمان وإنما عبّر عن المشترى الذي هو العمدة في عقود المعاوضة المقصودة فيها بالثمن الذي شأنه
أن يكون وسيلة فيها وقرنت الآيات التي حقها أن يتنافس فيها المتنافسون بالباء التي تصحب الوسائل إيذاناً بتعكيسهم
حيث جعلوا ما هو المقصد الأصلي وسيلة والوسيلة مقصداً. وإياي فاتقون بالإيمان واتباع الحق والإعراض
عن حطام الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة
التقوى ولأن الخطاب بها لما عمّ العالم والمقلد أمرهما بالرهبة المتناولة للفريقين وأما الخطاب بالثانية
فحيث خصّ بالعلماء أمرهم بالتقوى الذي هو المنتهى. ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط
وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى يشتبه
أحدهما بالآخر أو لا تجعلوا الحق ملتبساً بسبب الباطل الذي تكتبونه في تضاعيفه وتذكرونه في تأويله وتكفوا
الحق مجزوم داخل تحت حكم النهي كأنهم أمروا بالإيمان وترك الضلال ونهوا عن الإضلال بالتلبيس على من
سمع الحق والإخفاء عمن لم يسمعه أو منصوب بإضمار أن على أن الواو للجمع أي لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمانه
ويعضده أنه في مصحف ابن مسعود رض وتكتمون أي وأنتم تكتمون أي كاتمين وفيه إشعار بأن استقباح اللبس
لما يصحبه من كتمان الحق وتكرير الحق إما لأن المراد بالأخير ليس عين الأول بل هو نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي
كتموه وكتبوا مكانه غيره كما سيجيء في قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم وإما لزيادة تقبيح المنهي إذ في
التصريح باسم الحق ما ليس في ضميره. وأنتم تعلمون أي حال كونكم عالمين بأنكم لابسون كاتمون أو وأنتم تعلمون أنه حق
أو وأنتم من أهل العلم وليس إيراد الحال لتقييد النهي به كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى بل
لزيادة تقبيح حالهم إذ الجاهل عسى يعذر. وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة أي صلوة المسلمين وزكاتهم فإن
غيرهما بمعزل عن كونه صلوة وزكوة أمرهم الله تعالى بفروع الإسلام بعد الأمر بأصوله. واركعوا مع الراكعين
أي في جماعتهم فإن صلوة الجماعة تفضل على صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس في
المناجاة وعبّر عن الصلوة بالركوع احترازاً عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشرع
قال الأضبط بن قريع السعدي. لا تحقرن الضعيف علّك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه. أتأمرون الناس بالبر
تجريد للخطاب وتوجيه له إلى بعضهم بعد توجيهه إلى الكل والهمزة فيه للتقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير
من البرّ الذي هو الفضاء الواسع يتناول جميع أصناف الخير ولذلك قيل البرّ ثلاثة برّ في عبادة الله تعالى وبرّ
في مراعاة الأقارب وبرّ في معاملة الأجانب. وتنسون أنفسكم أي تتركونها من البر كالمنسيات عن ابن عباس رض
أنها نزلت في أحبار المدينة كانوا يأمرون سراً من نصحوه باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه طمعاً
في الهدايا والصلات التي كانت تصل إليهم من أتباعهم وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدي
إنهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله تعالى وينهونهم عن معصيته وهم يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية
وقال ابن جريج كانوا يأمرون الناس بالصلوة والزكوة وهم يتركونهما ومدار الإنكار والتوبيخ هي الجملة المعطوفة
دون ما عطفت هي عليه. وأنتم تتلون الكتاب تبكيت لهم وتقريع كقوله وأنتم تعلمون أي والحال أنكم تتلون التورية

التورية الناطقة بنعوته صلى الله عليه وسلم الآمرة بالإيمان به أو بالوعد بفعل الخير والوعيد على الفساد والعناد
وترك البر ومخالفة القول العمل. أفلا تعقلون أي أتتلونه فلا تعقلون ما فيه أو قبح ما تصنعون حتى ترتدعوا
عنه فالإنكار متوجه إلى عدم العقل بعد تحقق ما يوجبه فالمبالغة من حيث الكيفية أو ألا تتأملون فلا تعقلون
فالإنكار متوجه إلى كلا الأمرين والمبالغة حينئذ من حيث الكمية والعقل في الأصل المنع والإمساك ومنه العقال
الذي يشد به وظيف البعير إلى ذراعه لحبسه عن الحراك سمي به النور الروحاني الذي به تدرك النفس العلوم
الضرورية والنظرية لأنه يحبسه عن تعاطي ما يقبح ويعقله على ما يحسن والآية كما ترى ناعية على كل من يعظ غيره
ولا يتعظ بسوء صنيعه وعدم تأثره وأن فعله فعل الجاهل بالشرع أو الأحمق الخالي عن العقل والمراد بها كما أشير
إليه حثه على تزكية النفس والإقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق فتقيم غيرها لا منع الفاسق عن الوعظ روي
أنه كان عالم من العلماء الواعظين مؤثر الكلام قوي التصرف في القلوب وكان كثيراً ما يموت من أهل مجلسه واحد واثنان
من شدة تأثير وعظه وكان في بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحترز عليه وتمنعه
من حضور مجلس الواعظ فحضره يوماً على حين غفلة منها فوقع من أمر الله تعالى ما وقع ثم إن العجوز لقيت الواعظ
يوماً في الطريق فقالت أتهدي الأنام ولا تهتدي ألا إن ذلك لا ينفع فيا حجر الشحذ حتى متى تسن الحديد
ولا تقطع. فلما سمعه الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه مغشياً عليه فحملوه إلى بيته فتوفي إلى رحمة الله سبحانه
واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كأنهم لما كلفوا ما فيه مشقة من ترك الرياسة والإعراض عن المال
عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلاً على الله تعالى أو بالصوم الذي هو الصبر
عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء إليها فإنها جامعة لأنواع
العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه إلى الكعبة والعكوف على
العبادة وإظهار الخشوع بالجوارح وإخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن
والتكلم بالشهادة وكف النفس عن الأطيبين حتى تجابوا إلى تحصيل المآرب وجبر المصائب روي أنه صلى الله عليه
وسلم كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلوة ويجوز أن يراد بها الدعاء. وإنها أي الاستعانة بهما أو الصلوة
وتخصيصها برد الضمير إليها لعظم شأنها واشتمالها على ضروب من الصبر كما في قوله تعالى وإذا رأوا تجارة أو لهواً
انفضوا إليها أو جملة ما أمروا بها ونهوا عنها. لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم إليه
إلا على الخاشعين الخشوع الإخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك
يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب وإنما لم تثقل عليهم لأنهم يتوقعون ما أعد لهم بمقابلتها فتهون عليهم
ولأنهم يستغرقون في مناجاة ربهم فلا يدركون ما يجري عليهم من المشاق والمتاعب ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة والجملة حالية أو اعتراض تذييلي. الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم
وأنهم إليه راجعون أي يتوقعون لقاءه تعالى ونيل ما عنده من المثوبات والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة
إليهم للإيذان بفيضان إحسانه إليهم أو يتيقنون أنهم يحشرون إليه للجزاء فيعملون على حسب ذلك رغبة ورهبة
وأما الذين لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل
عليهم كالمنافقين والمرائين والتعرض للعنوان المذكور للإشعار بعلية الربوبية والمالكية للحكم ويؤيده
أن في مصحف ابن مسعود رض يعلمون وكأن الظن لما شابه العلم في الرجحان أطلق عليه لتضمين معنى التوقع

فان قال رسلته مستقر النطق انه يخالط ما بين اكثر اسفه جانف وجعل خبر ان في الموضعين اسمًا للدلالة على تحقق
اللقاء والرجوع وتقررهما عنده ما لا يخفى. يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرر التذكير للتأكيد ولربط ما بعده
من الوعيد الشديد به. واني فضلتكم عطف على نعمتي عطف الخاص على العام لكماله اي فضلت آباءكم على العالمين
اي عالمي زمانهم بما منحتهم من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلتهم انبياء وملوكا مقسطين وهم آباؤهم الذين كانوا
في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا. واتقوا يومًا اي حساب يوم او عذاب يوم. لا تجزي نفس عن نفس شيئًا
اي لا تقضي عنها شيئًا من الحقوق فانتصاب شيئًا على المفعولية او شيئًا من الجزاء فيكون نصبه على المصدرية وقرئ لا تجزئ
اي لا تغني عنها فيتعين النصب على المصدرية وايراده منكرًا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلي والجملة
صفة يومًا والعائد منها محذوف اي لا تجزي فيه ومن لم يجوز الحذف قال اتسع فيه فحذف الجار واجري مجرى
المفعول به ثم حذف كما حذف في قول من قال فما ادري اغيرهم تناء وطول العهد ام مال اصابوا اي اصابوه
ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى والشفاعة من الشفع كأن المشفوع له
كان فردًا فجعله الشفيع شفعًا والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها تساوي المفدى
وتجزي مجزاه. ولا هم ينصرون اي يمنعون من عذاب الله عز وجل والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة
في سياق النفي من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة عن العباد او الاناسي والنصرة ههنا اخص من المعونة
لاختصاصها بدفع الضرر وكانه اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون
قهرًا او لا والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانًا او لا والاول الشفاعة والثاني اما ان يكون باداء ما
كان عليه وهو ان يجزي عنه او باداء غيره وهو ان يعطي عنه عدلا وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة
لاهل الكبائر والجواب انها خاصة بالكفار للآيات الواردة في الشفاعة والاحاديث المروية فيها ويؤيده ان
الخطاب معهم ولرد ما كانوا عليه من اعتقاد ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم. واذ نجيناكم من آل فرعون
تذكير لتفاصيل ما اجمل في قوله تعالى نعمتي التي انعمت عليكم من فنون النعماء وصنوف الآلاء اي واذكروا وقت
تنجيتنا اياكم اي آباءكم فان تنجيتهم تنجية لاعقابهم وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل خص
بالاضافة الى اولي الاخطار كالانبياء عليهم السلام والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى لمن ملك
الفرس وقيصر لمن ملك الروم وخاقان لمن ملك الترك ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد وكان فرعون
موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وقيل انه كان عطارا اصفهانيا ركبته الديون
فافلس فاضطر الى الخروج فلحق بالشام فلم يتسن له المقام به فدخل مصر فرأى في ظاهرها حملا من البطيخ بدرهم
وفي نفسه بطيخا بدرهم فقال في نفسه ان تيسر لي اداء الديون فهذا طريقه فخرج الى السواد فاشترى حملا بدرهم
فتوجه به الى السوق فكل من لقيه من المكاسين اخذوا منه بطيخا فدخل البلد وما معه الا بطيخة فباعها بدرهم
ومضى لوجهه فرأى اهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى احد سياستهم وكان قد وقع بهم وباء عظيم فتوجه
نحو المقابر فرأى ميتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال انا امين المقابر فلا ادعكم تدفنونه حتى تعطوني خمسة دراهم
فدفعوها اليه ومضى لآخر وآخر حتى جمع في مقدار ثلاثة اشهر مالا عظيما ولم يتعرض له احد قط الى ان تعرض يوما
لاولياء ميت فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فابوا ذلك فقالوا من نصبك لهذا المنصب فذهبوا به الى فرعون
فقال من انت ومن اقامك بهذا المقام قال لم يقمني احد وانما فعلت ما فعلت ليحضرني احد الى مجلسك فانبهك على

على اختلال احوال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من المال فاحضره ودفعه الى فرعون فقال ولني
امورك ترني امينا كافيا فولاه اياها فسار بهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت احوال
الرعية ولبث فيهم دهرا طويلا وترامى امره في العدل والصلاح فلما مات فرعون اقاموه مقامه فكان من امره
ما كان وكان فرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة. يسومونكم اي يبغونكم
من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصله الذهاب في طلب الشيء. سوء العذاب اي افظعه وافحشه بالنسبة الى سائره
والسوء مصدر من ساء يسوء ونصبه على المفعولية ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون
او منهما جميعا لاشتمالها على ضميريهما. يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك ترك العاطف
بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ما فعلوا لما ان فرعون رأى في المنام او اخبره الكهنة انه سيولد
منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قضاء الله عز وجل شيئا قيل قتلوا بتلك الطريقة تسعمائة الف مولود
او تسعين الفا وقد اعطى الله عز وجل نفس موسى عليه السلام من القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا
احياء ولذلك كانت معجزاته ظاهرة قاهرة. وفي ذلكم اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحياء او الى الانجاء
وجمع الضمير للمخاطبين فعلى الاول معنى قوله تعالى بلاء محنة وبلية وكون استحياء نسائهم اي استبقائهن
على الحياة محنة مع انه عفو وعدم تعذيب لما ان ذلك كان للاستعمال في الاعمال الشاقة وعلى الثاني نعمة واصل
البلاء الاختبار ولكن لما كان ذلك في حقه سبحانه محالا وكان ما يجري مجرى الاختبار عبادة تارة بالمحنة
وتارة بالمنحة اطلق عليهما وقيل يجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد بالبلاء القدر المشترك الشامل لهما. من ربكم
من جهته تعالى بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عليه السلام وبتوفيقه لتخليصكم منهم او بهما معا. عظيم صفة لبلاء
وتنكيرهما للتفخيم وفي الآية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد من الخير والشر من قبيل الاختبار فعليه الشكر
في المسار والصبر على المضار. واذ فرقنا بكم البحر بيان لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها اثر تذكيرها وبيان
عظمها وهولها وقد بين في تضاعيف ذلك نعمة جليلة اخرى هي الانجاء من الغرق اي واذكروا اذ فلقناه
بسلوككم او ملتبسا بكم كقوله تعالى تنبت بالدهن وبسبب انجائكم وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت مسالك
وقرئ بالتشديد للتكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط. فانجيناكم اي من الغرق باخراجكم
الى الساحل كما يلوح به العدول الى صيغة الافعال بعد ايراد التخليص عن فرعون بصيغة التفعيل وكذا قوله تعالى
واغرقنا آل فرعون اريد به فرعون وقومه وانما اقتصر على ذكرهم للعلم بانه اولى به منهم وقيل شخصه كما روي
ان الحسن رضي كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى بذكرهم عن ذكر قومهم. وانتم تنظرون ذلك اي غرقهم
واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم
بعضا روي انه تعالى امر موسى عليه السلام ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ
البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه بها فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا
نخاف ان يغرق بعض اصحابنا فلا نعلم به ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر فلما
وصل اليه فرعون فرآه منفلقا اقتحمه هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم واعلم ان هذه الواقعة كما انها لموسى عم
معجزة عظيمة تخر لها صم الجبال ونعمة عظيمة لاوائل بني اسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها على ما
هي عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة جليلة تطمئن بها القلوب الابية وتنقاد لها النفوس الغبية

موجبة لاعقابهم ان يتلقوها بالاذعان فلا تأثرت وانتم تشاهدونها ومرئيتها ولا تذكرت اواخرهم بتذكيرها
ومروايتها فيا لها من عصابة ما اعصاها وطائفة ما اطغاها. واذ واعدنا موسى اربعين ليلة. لما عادوا الى مصر
بعد هلاك فرعون وعد الله تعالى موسى ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل
وعد عليه السلام بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله تعالى فيه بيان ما يأتون وما
يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى عليه السلام ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة ثم زاد عشرا
من ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثي وقيل على اصلها تنزيلا لقبول
موسى عليه السلام منزلة الوعد واربعين ليلة مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف اي تمام اربعين ليلة وقرئ وعدنا
ثم اتخذتم العجل بتسويل السامري الها ومعبودا وثم للتراخي الرتبي من بعده اي من بعد مضيه الى الميقات
على حذف المضاف. وانتم ظالمون باشراككم ووضعكم الشيء في غير موضعه وهو حال من ضمير اتخذتم او اعتراض
تذييلي اي وانتم قوم عادتكم الظلم. ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفاه درسه وقيل
لانها كما عرفت المنزل الخالي عفا من بعد احوال عفاه كل حنان كثير الوبل هطال وقوله تعالى من بعد ذلك
اي من بعد الاتخاذ الذي هو متناه في القبح للايذان بكمال بعد العفو بعد تلك المرتبة من الظلم لعلكم تشكرون
لكي تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان اي التوراة
الجامعة بين كونها كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اريد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل
في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه
كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما يحويه واذ قال
موسى لقومه بيان لكيفية وقوع العفو المذكور يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل اي معبودا
فتوبوا اي فاعزموا على التوبة الى بارئكم اي الى من خلقكم بريئا من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم
من بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما بطريق التفصي كما في برئ المريض وبطريق
الانشاء كما في برأ الله آدم من الطين والتعرض لعنوان البارئية للاشعار بانهم بلغوا من الجهالة اقصاها
ومن الغباوة منتهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذي خلقهم بلطيف حكمته بريئا من التفاوت والتنافر الى
عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة وان من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بان يسترد هي منه ولذلك امروا بالقتل
وفك التركيب فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او بقطع الشهوات وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل
امر من لم يعبد العجل بقتل من عبده روي ان الرجل كان يرى قريبه فلم يقدر على المضي لامر الله تعالى فارسل ضبابة
وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهارون عليهما السلام
فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم
اشارة الى ما ذكر من التوبة والقتل خير لكم عند بارئكم لما انه طهرة عن الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة
السرمدية فتاب عليكم عطف على محذوف على انه خطاب منه سبحانه على نهج الالتفات من التكلم الذي يقتضيه
سباق النظم الكريم وسياقه فان مبنى الجميع التكلم الى الغيبة ليكون ذريعة الى اسناد الفعل الى ضمير بارئكم
المستتبع للايذان بعلية عنوان البارئية والخلق والاحياء لقبول التوبة التي هي عبارة عن العفو عن
القتل تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وانما لم يقل فتاب عليهم على ان الضمير للقوم لما

ان ذلك نعمة اريد التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم هذا وقد جوز ان يكون فتاب عليكم متعلقا
بمحذوف على انه من كلام موسى عليه السلام لقومه تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم ولا يخفى انه بمعزل
من اللياقة بجلالة شأن التنزيل كيف لا وهو حينئذ حكاية لوعد موسى عليه السلام قومه بقبول التوبة منه تعالى
لا لقبوله تعالى حتما وقد عرفت ان الآية الكريمة تفصيل لكيفية القبول المحكي فيما قبل وان المراد تذكير
المخاطبين بتلك النعمة انه هو التواب الرحيم تعليل لما قبله اي الذي يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ
في قبولها منهم وفي الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك تذكير لنعمة اخرى عليهم بعد ما صدر
عنهم ما صدر من الجناية العظيمة التي اتخاذ العجل اي لن نؤمن لاجل قولك ودعوتك او لن نقر لك
والمؤمن به اعطاء الله اياه التوراة او تكليمه اياه او انه نبي او انه تعالى جعل توبتهم بقتلهم انفسهم حتى
نرى الله جهرة اي عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة لما بينهما
من الاتحاد في الوضوح والانكشاف ونصبها على المصدر او الحال من الفاعل او المفعول وقرئ بفتح الهاء على انها مصدر
كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا من الفاعل لا غير والقائلون هم السبعون المختارون من ميقات التوبة
عن عبادة العجل روي انهم لما ندموا على ما فعلوا وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين
امر الله تعالى موسى عليه السلام ان يجمع سبعين رجلا ويحضر معهم الطور يظهرون فيه تلك التوبة فلما خرجوا الى الطور
وقع عليه عمود من الغمام وتغشاه كله فكلم الله موسى يأمره وينهاه وكان كلما كلمه تعالى اوقع على جبهته
نورا ساطعا لا يستطيع احد من السبعين النظر اليه وسمعوا كلامه تعالى مع موسى افعل ولا تفعل فعند ذلك
طمعوا في الرؤية فقالوا ما قالوا كما سيأتي في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وقيل عشرة آلاف من قومه
فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه سبحانه وتعالى مما يشبه الاجسام
فيتعلق به الرؤية تعلقها بها على طريقة المقابلة في الجهات والاحياز ولا ريب في استحالته انما الممكن
في شأنه تعالى الرؤية المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين في الآخرة وللافراد من الانبياء
الذين بلغوا من صفاء الجوهر الى حيث تراهم كأنهم وهم في جلابيب من ابدانهم قد نضوها وتجردوا عنها
الى عالم القدس في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود
سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وعن وهب انهم لم يموتوا بل لما رأوا تلك الهيئة الهائلة
اخذتهم الرعدة فرجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم واشرفوا على الهلاك فعند ذلك
بكى موسى عليه السلام ودعا ربه فكشف الله عز وجل عنهم ذلك فرجعت اليهم عقولهم ومشاعرهم ولما كانت صعقة
موسى موتا بل غشية لقوله تعالى فلما افاق وانتم تنظرون اي ما اصابكم بنفسه او باثاره ثم بعثناكم
من بعد موتكم بتلك الصاعقة قيد البعث بها لانه قد يكون من الاغماء وقد يكون من النوم كما في قوله
تعالى ثم بعثناهم لعلكم تشكرون اي نعمة البعث او ما كفرتموه لما رأيتم من بأس الله تعالى وظللنا عليكم
الغمام اي جعلناها بحيث تلقي عليكم ظلها وذلك انه تعالى سخر لهم السحاب يسير بسيرهم وهم في التيه يظلهم من
الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا عليكم المن
والسلوى اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع
وتبعث عليهم الجنوب السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا على ارادة القول اي قائلين لهم او قيل لهم

الاول ان الاول رفع الجمع على انه في جهرة ونصبها على المصدرية والثاني نصب على الحال م

كلوا من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى وما
ظلمونا كلام عدل به عن نهج الخطاب السابق للايذان باقتضاء جنايات المخاطبين للاعراض عنهم وتعداد
قبائحهم عند غيرهم على طريق المباثة معطوف على مضمر قد حذف للايجاز وللاشعار بانه امر محقق
غني عن التصريح به اي فظلموا بان كفروا تلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم
يظلمون بالكفران اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذي يقتضيه النفي السابق
وفيه ضرب تهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم على
الكفر واذ قلنا تذكير لنعمة اخرى عقيب ما بين نعمة وكفرة اخرى لاسلافهم اي واذكروا وقت قولنا
لآبائكم اثر ما انقذناهم من التيه ادخلوا هذه القرية منصوبة على الظرفية عند سيبويه وعلى المفعولية
عند الاخفش وهي بيت المقدس وقيل اريحا فكلوا منها حيث شئتم رغدا اي واسعا هنيئا
ونصبه على المصدرية او الحالية من ضمير المخاطبين وفيه دلالة على ان المامور به الدخول على وجه الاقامة
والسكنى فيؤول الى ما في سورة الاعراف من قوله تعالى اسكنوا هذه القرية وادخلوا الباب اي باب القرية
على ما روي من انهم دخلوا اريحا في زمن موسى عم كما سيجيء في سورة المائدة او باب القبة التي كانوا
يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عم سجدا اي متطامنين مخبتين او ساجدين
لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي مسألتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة
وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انها مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة
وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط رحالنا في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم لما تفعلون
من السجود والدعاء وقرئ بالياء والتاء على البناء للمفعول واصل خطايا خطايئ كخطايع فعند سيبويه
ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان وابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا
وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد
المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسببا لزيادة الثواب للمحسن واخرج ذلك عن صورة الجواب
الى الوعد ايذانا بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة فبدل الذين
ظلموا بما امروا به من التوبة والاستغفار بان اعرضوا عنه واوردوا مكانه قولا اخر مما لا خير فيه
روي انهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا
بامر الله عز وجل غير الذي قيل لهم نعت لقولا وانما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا
لمخالفتهم وتنصيصا على المغايرة من كل وجه فانزلنا اي عقيب ذلك على الذين ظلموا بما ذكر من
التبديل وانما وضع الموصول موضع الضمير العائد الى الموصول الاول للتعليل والمبالغة في الذم
والتقريع والتصريح بانهم بما فعلوا قد ظلموا انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى رجزا من السماء اي
عذابا مقدرا منها والتنوين للتهويل والتفخيم بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر حسبما يفيده
الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وتعليل انزال الرجز به بعد الاشعار بتعليله بظلمهم للايذان
بان ذلك فسق وخروج عن الطاعة وغلو في الظلم وان تعذيبهم بجميع ما ارتكبوا من القبائح
لا بعدم توبتهم فقط كما يشعر به ترتيبه على ذلك بالفاء والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك

الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا
واذ استسقى موسى لقومه تذكير لنعمة اخرى كفروها وكان ذلك في التيه حين استولى عليهم العطش الشديد
وتغيير الترتيب لما اشير اليه مرارا من قصد ابراز كل من الامور المعدودة في معرض امر مستقل واجب التذكير والتذكر
ولو روعي الترتيب الوقوعي لفهم ان الكل امر واحد امر بذكره واللام متعلقة بالفعل اي استسقى لاجل قومه
فقلنا اضرب بعصاك الحجر روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه منه ثلاث اعين
يسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة العسكر اثنى عشر ميلا او كان حجرا اهبطه الله تعالى
مع آدم عم من الجنة ووقع الى شعيب عم فاعطاه موسى عم مع العصا او كان هو الحجر الذي فر بثوبه حين وضعه
عليه ليغتسل وبرأه الله تعالى به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل عم ان يحمله او كان حجرا من الحجارة وهو
الاظهر في الحجة قيل لم يؤمر عم بضرب حجر بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا
في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه
متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرع الحجر وكلمه يطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام حجمه ذراع
في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى عم من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت عطف
على مقدر يستدعيه الكلام وقد حذف للدلالة على كمال سرعة تحقق الانفجار كأنه حصل عقيب الامر بالضرب
اي فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا واما تعلق الفاء بمحذوف اي فان ضربت فقد انفجرت فغير حقيق
بجلالة شان النظم الكريم كما لا يخفى على احد وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما ايضا لغتان قد علم كل اناس
كل سبط مشربهم عينهم الخاصة بهم كلوا واشربوا على ارادة القول من رزق الله هو ما رزقهم من المن والسلوى
والماء وقيل هو الماء وحده لانه يؤكل ما ينبت به من الزروع والثمار ويأباه ان المامور به اكل النعم العتيدة
لا ما سيطلبونه واضافته اليه تعالى مع استناد الكل اليه خلقا وملكا اما للتشريف واما لظهوره بغير سبب
عادي وانما لم يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا ايذانا بان الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق
الخطاب بل بواسطة موسى عم ولا تعثوا في الارض العثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد حال
كونكم مفسدين وقيل انما قيد به لان العثي في الاصل مطلق التعدي وان غلب في الفساد وقد يكون
في غير الفساد كما في مقابلة الظالم المعتدي بفعله وقد يكون فيه صلاح راجح كقتل الخضر عم للغلام
وخرقه للسفينة ونظيره العيث خلا انه غالب فيما يدرك حسا واذ قلتم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم
وكفرانهم لنعمة الله عز وجل واخلادهم الى ما كانوا فيه من الدناءة والخساسة واسناد القول المحكي اليهم
اخلافهم وتوجيه التوبيخ اليهم لما بينهم من الاتحاد يا موسى لن نصبر على طعام واحد لعلهم لم يريدوا
بذلك جميع ما طلبوا مع ما كان لهم من النعمة ولا زوالها وحصول ما طلبوا مكانها اذ يأباه التعرض للوحدة
بل ارادوا ان يكون هذا تارة وذاك اخرى روي انهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجموا ما كانوا
فيه من النعمة العتيدة لوحدتها النوعية واطرادها وتاقت انفسهم الى الشقاء فادع لنا ربك اي سله
لاجلنا بدعائك اياه والفاء لسببية عدم الصبر للدعاء والتعرض لعنوان الربوبية لتمهيد مبادي الاجابة
يخرج لنا اي يظهر لنا ويوجد والجزم لجواب الامر مما تنبت الارض اسناد مجازي باقامة القابل مقام
الفاعل ومن تبعيضية والتي في قوله تعالى من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها بيانية واقعة

موقع الحال اي كائنا من بقلها الى آخره وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما تنبته الارض من الخضر والمراد به
اطايبه التي تؤكل كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها والفوم الحنطة وقيل الثوم وقرئ قثائها
بضم القاف وهو لغة فيه قال اي الله تعالى او موسى عليه السلام انكارا عليهم وهو استئناف وقع جوابا عن سؤال
مقدر كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال اتستبدلون اي اتأخذون لانفسكم وتختارون الذي هو ادنى اي
اقرب منزلة وادون قدرا واسهل منالا واهون حصولا لعدم كونه مرغوبا فيه وكونه تافها مرذولا قليل القيمة
واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل وبعيد الهمة
وقرئ ادنأ من الدناءة وقد حملت المشهورة على ان الفها مبدلة من الهمزة بالذي هو خير اي بمقابلة
ما هو خير فان الباء تصحب الذاهب الزائل دون الآتي الحاصل كما في التبدل والتبديل في مثل قوله عز وجل
ومن يتبدل الكفر بالايمان وقوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط وليس فيه ما يدل قطعا على انهم
ارادوا زوال المن والسلوى بالمرة وحصول ما طلبوا مكانه لتحقق الاستبدال فيما مر من صورة المناوبة
اهبطوا مصرا امروا به بيانا لدناءة مطلبهم واسعافا لمرامهم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي
وقرئ بضم الباء والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اريد به العلم وانما صرف لسكون وسطه
او لتأويله بالبلد دون المدينة ويؤيده انه في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه غير منون وقيل اصله مصرايم فعرب
فان لكم ما سألتم تعليل للامر بالهبوط فان لكم فيها ما سألتم ولعل التعبير عن الاشياء المسؤلة بما [illegible]
[illegible] بذكرها كانه قيل فانه كثير فيه مبتذل يناله كل احد بغير مشقة وضربت عليهم الذلة والمسكنة اي جعلتا
محيطتين بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقتا بهم وجعلتا ضربة لازب لا تنفكان عنهم مجازاة
لهم على كفرانهم من ضرب الطين على الحائط بطريق الاستعارة بالكناية واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين
اما على الحقيقة او لخوف ان تضاعف جزيتهم وباؤا اي رجعوا بغضب عظيم وقوله تعالى من الله متعلق
بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي بغضب كائن
من الله تعالى او صاروا احقاء به من قولهم باء فلان بفلان اذا صار حقيقا بان يقتل بمقابلته ومنه قول
من قال بؤ بشسع نعل كليب واصل البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سلف من ضرب الذلة والمسكنة والبوء
بالغضب العظيم بانهم بسبب انهم كانوا يكفرون على الاستمرار بآيات الله الباهرة التي هي المعجزات الساطعة
الظاهرة على يدي موسى عليه السلام مما عد وما لم يعد ويقتلون النبيين بغير الحق كشعيا وزكريا
ويحيى عليهم السلام وفائدة التقييد مع ان قتل الانبياء يستحيل ان يكون بحق الايذان بان ذلك
عندهم ايضا بغير الحق اذ لم يكن احد معتقدا بحقية قتل احد منهم عليهم السلام وانما حملهم على ذلك
حب الدنيا واتباع الهوى والغلو في العصيان والاعتداء كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي في العدوان الى ما ذكر من الكفر وقتل الانبياء عليهم السلام
فان صغار الذنوب اذا دووم عليها ادت الى كبارها كما ان مداومة صغار الطاعات مؤدية الى تحري
كبارها وقيل كررت الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما انه بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي
واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع ويجوز الاشارة الى المتعدد
بالمفرد بتأويل ما ذكر او تقدم كما في قول رؤبة بن العجاج فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع

توليع البهق اي كان ما ذكر والذي حسن ذلك في المضمر والمبهم ان تثنيتهما وجمعهما ليسا على الحقيقة
ولذلك جاء الذي بمعنى الذين ان الذين آمنوا اي بالسنتهم فقط وهم المنافقون بقرينة انتظامهم في
سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بان تلك المرتبة وان عبر عنها بالايمان
لا تجديهم نفعا اصلا ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعا والذين هادوا اي تهودوا من هاد اذا دخل
في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم
توبة هائلة واما معرب يهوذا كانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام والنصارى جمع نصران
كندامى جمع ندمان يقال رجل نصران وامرأة نصرانة والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك
لانهم نصروا المسيح عليه السلام او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران فسموا باسمها او نسبوا اليها
والياء للنسبة وقال الخليل واحد النصارى نصري كمهري ومهارى والصابئين هم قوم بين النصارى
والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب فهو ان كان
عربيا فمن صبأ اذا خرج من دين الى آخر وقرئ بالياء اما بالتخفيف واما لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا
من سائر الاديان الى ما هم فيه او من الحق الى الباطل من آمن بالله واليوم الآخر اي من احدث من هذه الطوائف
ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد على الوجه اللائق وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بما ذكر فلهم بمقابلة
ذلك اجرهم الموعود لهم عند ربهم اي مالك امرهم ومبلغهم الى كمالهم اللائق فمن اما في محل الرفع على الابتداء
خبره جملة فلهم اجرهم والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط كما في قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين الآية وجمع الضمائر
الثلاثة باعتبار معنى الموصول كما ان افرادها في الصلة باعتبار لفظه والجملة كما هي خبر ان والعائد الى اسمها
محذوف اي من آمن منهم واما في محل النصب على البدلية من اسم ان وما عطف عليه وخبرها فلهم اجرهم وعند متعلق بما
تعلق به لهم من معنى الثبوت وفي اضافته الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد لطف بهم وايذان بان اجرهم متيقن الثبوت
مأمون عن الفوات ولا خوف عليهم عطف على جملة فلهم اجرهم اي لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون
حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه
كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب
المقام هذا وقد قيل المراد بالذين آمنوا المتدينون بدين الاسلام المخلصون منهم والمنافقون فحينئذ لا بد من تفسير
من آمن بمن اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدأ والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه
كايمان المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كايمان من عدا المخلصين من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين
مزيد ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تأخرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين في استحقاق
الاجر وما يتبعه من الامن الدائم واما ما قيل في تفسيره من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد
عاملا بمقتضى شرعه مما لا سبيل اليه اصلا لان مقتضى المقام هو الترغيب في دين الاسلام واما بيان حال من مضى على
دين آخر قبل انتساخه فلا ملابسة له بالمقام قطعا بل ربما يخل بمقتضاه من حيث دلالته على حقيته في زمانه
في الجملة على ان المنافقين والصابئين لا يتسنى في حقهم ما ذكر لان المنافقين ان كانوا من اهل الشرك فالامر بين
وان كانوا من اهل الكتاب فمن مضى منهم قبل النسخ ليسوا بمنافقين واما الصابئون فليس لهم دين يجوز رعايته في
وقت من الاوقات ولو سلم انه كان لهم دين سماوي ثم خرجوا عنه فمن مضى من اهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا

من الصابئين فكيف يمكن ارجاع الضمير الرابط بين اسم ان وخبرها اليهم او الى المنافقين وان حمل ارجاعه الى
مجموع الطوائف من حيث هو مجموع لا الى كل واحد منها قصدا الى ادراج الفريق المذكور فيه ضرورة انه ان كان
من اهل الكتاب عاملا بمقتضى شرعه وقبل نسخه من مجموع الطوائف بحكم اشتماله على اليهود والنصارى وان لم يكن من
المنافقين والصابئين لم يجب نفي تنزيهه ساحة التنزيل عن امثاله على ان المخلصين مع الله اجرهم في حيز اسم ان ليس لهم
في حيز خبرها عين ولا اثر فتامل ولعل على الحق المبين واذ اخذنا ميثاقكم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم اي
اذكروا وقت اخذنا ميثاقكم بالمحافظة على ما في التورية ورفعنا فوقكم الطور عطف على اخذنا او حال اي
وقد رفعنا فوقكم الطور كانه ظلة روي ان موسى عم لما جاءهم بالتورية فراوا ما فيها من التكاليف الشاقة
كبرت عليهم فابوا قبولها فامر جبريل عم فقلع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم
من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه اي احفظوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا
به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او تنجوا من هلاك الدارين او رجاء منكم ان تنتظموا في سلك المتقين
او طلبا لذلك وقد مر تحقيقه ثم توليتم اي اعرضتم عن الوفاء بالميثاق من بعد ذلك من بعد اخذ ذلك
الميثاق المؤكد فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم حيث يدعوكم
الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين اي المغبونين بالانهماك في المعاصي والخبط فيها وفي الضلال
عند الفترة وقيل لولا فضل الله تعالى عليكم بالامهال وتاخير العذاب لكنتم من الهالكين وهو الانسب لما بعده
وكلمة لولا اما بسيطة او مركبة من لو الامتناعية وحرف النفي ومعناها امتناع الشيء لوجود غيره كما ان
لو لامتناعه لامتناع غيره والاسم الواقع بعدها عند سيبويه مبتدا خبره محذوف وجوبا لدلالة الحال
عليه وسد الجواب مسده والتقدير لولا فضل الله حاصل وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف اي لولا ثبت
فضل الله تعالى عليكم ولقد علمتم اي عرفتم الذين اعتدوا منكم في السبت روي انهم امروا بان يتمحضوا
يوم السبت للعبادة ويتجردوا لها ويتركوا الصيد فاعتدى فيه اناس منهم في زمن داود عم فاشتغلوا
بالصيد وكانوا يسكنون قرية بساحل البحر يقال لها ايلة فاذا كان يوم السبت لم يبق في البحر حوت الا
برز واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها
يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فالمعنى وبالله لقد علمتموهم حين فعلوا من قبل جناياتهم ما فعلوا
فلم نمهلهم ولم نؤخر عقوبتهم بل عجلناها فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اي جامعين بين صورة القردة
والخسوء وهو الطرد والصغار على ان خاسئين نعت لقردة وقيل حال من اسم كونوا عند من يجوز عمل كان
في الظروف والحال وقيل من الضمير المستكن في قردة لانه في معنى ممسوخين وقال مجاهد ما مسخت صورهم
ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا والمراد بالامر بيان سرعة التكوين
وانهم صاروا كذلك كما اراده عز وجل وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز فجعلناها اي المسخة
والعقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه وتردعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها
وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصصهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما
بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر منها
وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه توبيخ آخر لخلاف بني اسرائيل بتذكير بعض

جناياتهم صدرت عن اسلافهم اي اذكروا وقت قول موسى عم لاجدادكم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة
وسببه انه كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو عمه طمعا في ميراثه فطرحوه على باب المدينة ثم جاءوا يطالبون
بديته فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيى فيخبرهم بقاتله قالوا استيناف وقع جوابا
عما ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا هل سارعوا الى الامتثال او لا فقيل قالوا اتتخذنا هزوا بضم
الزاء وقلب الهمزة واوا وقرئ بالهمزة مع الضم والسكون اي اتجعلنا مكان هزء او اهل هزء او مهزوا بنا او
او الهزء نفسه استبعادا لما قاله واستخفافا به قال استيناف كما سبق اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزء
في اثناء تبليغ امر الله سبحانه جهل وسفه نفى عنه عليه السلام ما توهموه من قبله على ابلغ وجه واكده باخراجه
مخرج ما لا مكروه وراءه بالاستعاذة منه استفظاعا له واستعظاما لما اقدموا عليه من العظيمة التي شافهوه
بها قالوا استيناف كما مر كانه قيل فماذا قالوا بعد ذلك فقيل توجهوا نحو الامتثال وقالوا ادع لنا
اي لاجلنا ربك يبين لنا ما هي ما مبتدا وهي خبره والجملة في حيز النصب بيبين اي يبين لنا جواب هذا السؤال
وقد سالوا عن حالها وصفتها لما قرع اسماعهم ما لم يعهدوه من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فان ما
وان شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة كما في ما الشارحة والحقيقية لكنها قد يطلب بها الصفة والحال
تقول ما زيد فيقال طبيب او عالم وقيل كان حقه ان يستفهموا باي لكنهم لما راوا ما امروا به على حالة
مغايرة لما عليه الجنس اخرجوه عن الحقيقة فجعلوه جنسا على حياله قال اي موسى عم بعد ما دعا ربه عز وجل بالبيان
واتاه الوحي انه تعالى يقول انها اي البقرة المامور بذبحها بقرة لا فارض ولا بكر اي لا مسنة ولا فتية
يقال فرضت البقرة فروضا اي اسنت من الفرض بمعنى القطع كانها قطعت سنها وبلغت آخرها [illegible] البكر
للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان اي نصف لا قحمة ولا ضرع قال [illegible]
نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اشارة الى ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين لاختصاصه
بالاضافة الى المتعدد فافعلوا امر من جهة موسى عم متفرع على ما قبله من بيان صفة المامور به ما تؤمرون
اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به فان حذف الجار قد شاع في هذا
الفعل حتى لحق بالافعال المتعدية الى مفعولين وهذا الامر منه عليه السلام لحثهم على الامتثال وزجرهم
عن المراجعة ومع ذلك لم يقتنعوا به وقوله تعالى قالوا استيناف كما مر كانه قيل فماذا صنعوا بعد هذا البيان
التام والامر الاكيد فقيل قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها حتى يتبين لنا البقرة المامور بها قال اي موسى
بعد المناجاة الى الله تعالى ومجيء البيان انه تعالى يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها اسناد البيان في كل مرة
الى الله عز وجل لاظهار كمال المساعدة في اجابة سؤالهم بقولهم يبين لنا وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة
والفقوع نصوع الصفرة وخلوصها ولذلك يؤكد به ويقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك واحمر قانئ
وفي اسناده الى اللون مع كونه من احوال الملون لملابسته به ما لا يخفى من فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديدة
الصفرة صفرتها كما في جد جده وعن الحسن رض سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالة صفر
ويأباه وصفها بقوله تعالى تسر الناظرين كما يأباه وصفها بفقوع اللون والسرور لذة في القلب عند حصول
نفع او توقعه من السرور وعن علي رض من لبس نعلا صفراء قل همه قالوا استيناف كنظائره ادع لنا ربك
يبين لنا ما هي تبديل استكشاف عن حالها كانهم سالوا بيان حقيقتها بحيث تمتاز عن جميع ما عداها

تمام تشابهها في الأوصاف المذكورة والأحوال المشروحة في أثناء البيان ولذلك عللوه بقولهم إن البقر تشابه علينا
يعنون أن الأوصاف المعدودة يشترك فيها كثير من البقر ولا نهتدي بها إلى تشخيص ما هو المأمور بها ولذلك
لم يقولوا إن البقر تشابهت إيذانا بأن النعوت المعدودة ليست بمشخصة للمأمور بها بل صادقة على
أفراد الجنس وقرئ إن الباقر وهو اسم لجماعة البقر والأباقر والبواقر ويشابه بالياء والتاء وتشابه
بطرح التاء والإدغام على التذكير والتأنيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه وتشبه بالتذكير ومتشابه
ومتشابهة ومتشبه ومتشبهة وفيه دلالة على أن مرادهم تمييزها عن بعض ما عداها في الجملة وإنما بقي اشتباه
بعرضية الزوال كما ينبئ عنه قولهم وإنا إن شاء الله لمهتدون مؤكدا بوجوه من التوكيد أي لمهتدون بما سألنا
من البيان إلى المأمور بذبحها وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد قال إنه يقول إنها بقرة
لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث أي لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير
ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الأولى والفعلان صفتا ذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول
بالفتح أي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان أي حيث هو وقرئ تسقي من أسقى مسلمة أي سلمها الله
تعالى من العيوب أو أهلها من العمل أو خلص لونها من سلم له كذا إذا خلص له ويؤيده قوله تعالى لا شية فيها
أي لا لون فيها يخالف لون جلدها حتى قرنها وظلفها وهي في الأصل مصدر وشاه وشيا وشية إذا
خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق أي بحقيقة وصف البقرة بحيث
ميزتها عن جميع ما عداها ولم يبق لنا في شأنها اشتباه أصلا بخلاف المرتين الأوليين فإن ما جئت به فيهما
لم يكن في التعيين بهذه المرتبة ولعلهم كانوا قبل ذلك قد رأوها ووجدوها جامعة لجميع ما فصل من
الأوصاف المشروحة في المرات الثلاث من غير مشارك لها فيما عد في المرة الأخيرة وإلا فمن أين عرفوا اختصاص
النعوت الأخيرة بها دون غيرها وقرئ آلآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام
فذبحوها الفاء فصيحة كما في فانفجرت أي فحصلوا البقرة فذبحوها وما كادوا يفعلون كاد من أفعال المقاربة
وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير ذبحوا أي فذبحوها والحال أنهم كانوا قبل ذلك بمعزل منه أو اعتراض
تذييلي ومآله استثقال استقصائهم واستبطاء لهم وأنهم لفرط تطويلهم وكثرة مراجعاتهم ما كاد ينتهي خيط
إسهابهم فيها قيل مضى من أول الأمر إلى الامتثال أربعون سنة وقيل وما كادوا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها
روي أنه كان في بني إسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم إني أستودعكها لابني حتى
يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من أحسن البقر وأسمنها فساوموها اليتيم وأمه
حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا لما كانت وحيدة بالصفات المذكورة وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير
واعلم أنه لا خلاف في أن مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة مبهمة وأن الامتثال في آخر الأمر إنما وقع بذبح
بقرة معينة حتى لو ذبحوا غيرها ما خرجوا عن عهدة الأمر لكن اختلف في أن المراد بالمأمور به أي ذي اثنين
هل هو المعينة وقد أخر البيان عن وقت الخطاب أو المبهمة ثم لحقها التغيير إلى المعينة بسبب تثاقلهم في الامتثال
وتماديهم في التعمق والاستكشاف فذهب بعضهم إلى الأول تمسكا بأن الضمائر في الأجوبة أعني إنها بقرة
إلى المعينة قطعا ومن قضيته أن يكون في السؤال أيضا كذلك ولا ريب في أن السؤال إنما هو عن البقرة المأمور بذبحها
فتكون هي المعينة وهو مدفوع بأنهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى ظنوها معينة خارجة عما

عما عليه الجنس من الصفات والخواص فسألوا عنها فرجعت الضمائر إلى المعينة في زعمهم واعتقادهم فعينها الله تعالى
تشديدا عليهم وإن لم يكن المراد من الأمر هي المعينة ولا أنها كانت في أول الأمر مبهمة بحيث لو ذبحوا أية بقرة
كانت لحصل الامتثال بدلالة ظاهر النظم الكريم وتكرير الأمر قبل بيان النوع وبعد تركهم ما أمروا به إلى وقت
قال صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا وهو مسند عن رئيس المفسرين عبد الله بن عباس
ثم نسخ الحكم الأول منسوخا بالثاني والثاني بالثالث تشديدا عليهم لكن لا على وجه ارتفاع حكم المطلق
بالكلية وانتقاله إلى المعين بل على طريقة تقييده وتخصيصه به شيئا فشيئا كيف لا ولو لم يكن كذلك لما عدت
مراجعاتهم المحكية من قبيل الجنايات بل من قبيل العبادات فإن الامتثال بالأمر بدون الوقوف على المأمور به مما
لا يكاد يتسنى فيكون سؤالهم من باب الاهتمام بالامتثال وإذ قتلتم نفسا منصوب بمضمر كما مر في نظائره
والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإسناد القتل والتدارؤ إليهم كما مر من نسبة جنايات
الأسلاف إلى الأخلاف توبيخا وتقريعا وتخصيصهما بالإسناد دون ما مر من هناتهم لظهور قبح القتل
وإسناده إلى الغير أي اذكروا وقت قتلكم نفسا محرمة فادارأتم فيها أي تخاصمتم في شأنها إذ كل واحد
من الخصماء يدافع الآخر أو تدافعتم بأن طرح كل واحد قتلها إلى الآخر وأصله تدارأتم فأدغمت التاء في
الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون أي مظهره لا محالة والجمع بين صيغتي
الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار وإنما أعمل مخرج لأنه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على
فادارأتم وما بينهما اعتراض والالتفات لتربية المهابة والضمير للنفس والتذكير باعتبار أنها عبارة عن رجل
أو بتأويل الشخص والقتيل ببعضها أي ببعض البقرة أي بعض كان وقيل بأصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها
اليمنى وقيل بأذنها وقيل بعجبها وقيل بالعظم الذي يلي الغضروف وهذا أول القصة كما ينبئ عنه الضمير الراجع
إلى البقرة كأنه قيل وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها وإنما غير الترتيب
عند الحكاية لتكرير التوبيخ وتثنية التقريع فإن كل واحد من قتل النفس المحرمة والاستهزاء برسول الله عليه السلام
والافتيات على أمره وترك المسارعة إلى الامتثال به جناية عظيمة حقيقة بأن ينعى عليهم بحيالها ولو حكيت
القصة على ترتيب الوقوع لما علم استقلال كل منها بما يخصها من التوبيخ وإنما حكي الأمر بالذبح عن موسى عليه السلام
مع أنه من الله عز وجل كالأمر بالضرب لما أن جناياتهم كانت بمراجعتهم إليه عليه السلام والافتيات على رأيه
كذلك يحيي الله الموتى على إرادة قول معطوف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي فضربوه فحيي وقلنا كذلك
الخ فحذفت الفاء الفصيحة في فحيي مع ما عطفت عليه وما عطف عليها لدلالة كذلك على ذلك فالخطاب في كذلك
للحاضرين عند حياة القتيل ويجوز أن يكون ذلك للحاضرين عند نزول الآية الكريمة فلا حاجة حينئذ إلى
تقدير القول بل ينتهي الحكاية عند قوله تعالى ببعضها مع ما قدر بعده فالجملة معترضة أي مثل ذلك الإحياء
العجيب يحيي الله الموتى يوم القيامة ويريكم آياته ودلائله الدالة على أنه تعالى على كل شيء قدير ويجوز أن يراد
بالآيات هذا الإحياء والتعبير عنه بالجمع لاشتماله على أمور بديعة من ترتب الحياة على عضو ميت وإخباره
بقاتله وما يلابسه من الأمور الخارقة للعادات لعلكم تعقلون أي لكي يكمل عقولكم وتعلموا أن من قدر
على إحياء نفس قدر على إحياء الأنفس كلها أو تعقلوا على قضية عقولكم ولعل الحكمة في اشتراط ما اشترط في الإحياء
مع ظهور كمال القدرة على إحيائه ابتداء بلا واسطة أصلا اشتماله على التقرب إلى الله تعالى وأداء الواجب ونفع اليتيم

والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى والشفقة على الاولاد ونفع بر الوالدين وان من حق الطالب ان يقدم
قربة وعن حق المتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة اشتراها
بثلثمائة دينار وان المؤثر هو الله تعالى وانما الاسباب امارات لا تاثير لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه
الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي قوته الشهوية حين زال عنها شره الصبي
ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية بها
من قبائحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى بها حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل
من التدارؤ والجدال ثم قست قلوبكم الخطاب لمعاصري النبي صلى الله عليه وسلم والقسوة عبارة عن الغلظ
والجفاء والصلابة كما في الحجر استعيرت لنبو قلوبهم عن التاثر بالعظات والقوارع التي تميع منها الجبال وتلين
بها الصخور وايراد الفعل المفيد لحدوث القساوة مع ان قلوبهم لم تكن قط لينة لما ان المراد بيان بلوغهم
الى مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثة واما الدلالة على الاستمرار على شيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه
امر جديد وصنع حادث وثم لاستبعاد القسوة بعد مشاهدة ما يزيلها كقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
من بعد ذلك اشارة الى ما ذكر من احياء القتيل اما الى جميع ما عدد من الآيات الموجبة للين القلوب وتوجهها
نحو الحق اي من بعد سماع ذلك وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته وعلو طبقته وتوحيد حرف الخطاب
مع تعدد المخاطبين اما لتاويل القبيل او الفريق او لان المراد مجرد الخطاب لا تعيين المخاطب كما هو المشهور فهي كالحجارة في
القساوة او اشد منها قسوة اي هي في القسوة مثل الحجارة او زائدة عليها فيها او انها مثلها او مثل ما هو اشد
منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده القراءة بالجر عطفا على الحجارة وايراد
الجملة اسمية مع كون ما سبق فعلية للدلالة على استمرار قساوة قلوبهم والفاء اما للتفريع مشابهتها لها
على ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه على بيان وجه الشبه في قولك احمر خده فهو كالورد واما للتعليل كما في قولك
اعبد ربك فالعبادة حق له وانما لم يقل اقسى منها لما في التصريح بالشدة من زيادة مبالغة ودلالة بينة
ظاهرة على اشتراك القسوتين في الشدة واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف
حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة ومن لا يضير المفضل
عليه للاعتراض التذييلي وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار بيان لاشدية قلوبهم من الحجارة في القساوة وعدم
التاثر واستحالة صدور الخير منها يعني ان الحجارة ربما تتاثر حيث يكون منها ما يتفجر منه المياه العظيمة وان
منها لما يشقق اي يتشقق فيخرج منه الماء اي العيون وان منها لما يهبط من خشية الله اي يتردى من الاعلى الى
الاسفل بمقتضى ما اودعه الله تعالى فيها من الثقل الداعي الى المركز وهو مجاز عن الانقياد لامره والمعنى ان
الحجارة ليس منها فرد الا وهو منقاد لامره عز وعلا آت بما خلق له من غير استعصاء وقلوبهم ليست
كذلك فتكون اشد منها قسوة لا محالة واللام في لما لام الابتداء دخلت على اسم ان لتقدم الخبر وقرئ ان
على انها المخففة من الثقيلة واللام فارقة وقرئ يهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون عن متعلقة بغافل
وما موصولة والعائد محذوف او مصدرية وهو وعيد شديد على ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتب
عليها من الاعمال السيئة وقرئ بالياء على الالتفات قوله تعالى افتطمعون تلوين للخطاب وصرف له عن اليهود
اثر ما عددت هناتهم ونعيت عليهم جناياتهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين والهمزة لانكار الواقع

الواقع او استبعاده كما في قولك اتضرب اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله اأضرب ابي والفاء للعطف على
مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه نظام الكلام لكن لا على قصد توجيه الانكار الى المعطوفين معا كما في قوله افلا
يبصرون على تقدير المعطوف عليه منفيا اي الا ينظرون فلا يبصرون فالمنكر كلا الامرين بل الى ترتب الثاني على الاول
مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه كما اذا قدر الاول مثبتا اي اينظرون فلا يبصرون فالمنكر ترتب الثاني
على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه اي اتسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم فتطمعون ومآل المعنى بعد
ان علمتم تفاصيل شؤونهم المؤيسة عنهم تطمعون ان يؤمنوا فانهم متمادون في شدة الشكيمة والاخلاق
الذميمة لا يتأتى من اخلافهم الا مثل ما اوتي من اسلافهم وان مصدرية حذف عنها الجار والاصل في
ان يؤمنوا فهي مع ما في حيزها في محل النصب او الجر على الخلاف المعروف واللام في لكم لتضمين معنى
الاستجابة كما في قوله عز وجل فآمن له لوط اي في ايمانهم مستجيبين لكم او للتعليل اي في ان يحدثوا
الايمان لاجل دعوتكم وصلة الايمان محذوفة لظهور ان المراد به معناه الشرعي ويشفق على ما فيه من التهيئة
بالله تعالى وقد كان فريق منهم الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم والجار والمجرور في
محل الرفع اي فريق كائن منهم وقوله تعالى يسمعون كلام الله خبر كان وقرئ كلم الله والجملة حالية مؤكدة
للانكار حاسمة لمادة الطمع مثل احوالهم الشنيعة المحكية فيما سلف على منهاج قوله تعالى وهم لكم عدو
بعد قوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني والحال ان طائفة منهم قال ابن عباس رضي
هم قوم من السبعين المختارين للميقات كانوا يسمعون كلامه تعالى حين كلم موسى عليه السلام بالطور وما
امر به ونهي عنه ثم يحرفونه عن مواضعه لا لقصور فهمهم عن الاحاطة بتفاصيله على ما ينبغي لاستيلاء الدهشة
والمهابة بحسبما يقتضيه مقام الكبرياء بل من بعد ما عقلوه اي فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم في مضمونه
ولا في كونه كلام رب العزة ريبة اصلا فلما رجعوا الى قومهم اداه الصادقون اليهم كما سمعوا وهؤلاء
قالوا سمعنا الله تعالى يقول في آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا
فلا باس فتم للزائغين نائا اورثنه وقال القفال رحمه الله سمعوا كلام الله تعالى وعقلوا مراده تعالى منه فاولوه
تأويلا فاسدا وقيل هم رؤساء اسلافهم الذين تولوا تحريف التوراة بعد ما احاطوا بما فيها علما وقيل
هم الذين غيروا نعت النبي صلى الله عليه وسلم في عصره وبدلوا آية الرجم ويأباه الجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل الدال على وقوع السماع والتحريف فيما سلف الا ان يحمل ذلك على تقدمه على نزول
الآية الكريمة لا على تقدمه على عهده صلى الله عليه وسلم هذا والاول هو الانسب بالسماع والكلام
اذ التوراة وان كانت كلام الله عز وجل لكنها باسم الكتاب اشهر وان التحريف فيها ظهر في وصف الرسول
بلاوتها اكثر لا سيما رؤساؤهم وهم المباشرون للتحريف فان وظيفتهم التلاوة دون السماع فكان
الانسب حينئذ ان يقال يتلون كتاب الله تعالى والمعنى افتطمعون في ان يؤمن هؤلاء بواسطتكم ويستجيبوا
لكم والحال ان اسلافهم الموافقين لهم في خلال الكفر كانوا يسمعون كلام الله بلا واسطة ثم يحرفونه
من بعد ما عقلوه يقينا ولم يستحيوا لم يعيبها ومن هنا ظهر ان في ابائهم لكم على بالله من التحامة والجراءة
وقوله عز وجل وهم يعلمون جملة حالية من فاعل يحرفونه مفيدة لكمال قباحة حالهم مؤذنة بان تحريفهم
ذلك لم يكن بناء على نسيان ما عقلوه او على الخطاء في بعض مقدماته بل كان ذلك حال كونهم عالمين

مستخفين له او وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون واذا لقوا جملة مستانفة سيقت اثر بيان ما صدر عن
اشباههم لبيان ما صدر عنهم من الشنائع المؤسسة عن ايمانهم من نفاق بعض وعتاب آخرين عليهم او
معطوفة على ما سبق من الجملة الحالية والضمير لليهود لما ستقف على سره لا لمنافقيهم خاصة كما قيل تحاشيا
لاتحاد الفاعل فى فعلى الشرط والجزاء حقيقة الذين آمنوا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا اى
اللاقون لكن لا بطريق تصدى الكل للقول حقيقة بل بمباشرة منافقيهم وسكوت الباقين كما يقال
بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وهذا ادخل فى تقبيح حال الساكتين اولا العاتبين ثانيا
لما فيه من الدلالة على نفاقهم واختلاف احوالهم وتناقض آرائهم من اسناد القول الى المباشرين خاصة
بتقدير المضاف اى قال منافقوهم آمنا لم يقتصروا على ذلك بل عللوه بانهم وجدوا نعت النبى عم
فى التورية وعلموا انه النبى المبشر به فانما لم يصرح به تعويلا على شهادة التوبيخ الاتى واذا خلا بعضهم
الى بعض المذكورين وهم الساكتون منهم اى اذا فرغوا عن الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين الى
بعض آخر منهم وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم غيرهم وهذا على اشتراك الساكتين فى لقاء المؤمنين
كما اشير اليه آنفا اذ الخلو انما يكون بعد الاشتغال ولان عتابهم معلق بمحض الخلو ولولا انهم حاضرون
عند المقاولة لوجب ان يجعل سماعهم لها من تمام الشرط ولان فيه زيادة تشنيع لهم على ما اتوا من السكوت
ثم العتاب قالوا اى الساكتون موبخين لمنافقيهم على ما صنعوا اتحدثونهم يعنون المؤمنين بما فتح
الله عليكم ما موصولة والعائد محذوف اى بينه لكم خاصة فى التورية من نعت النبى صلى الله عليه وسلم
والتعبير عنه بالفتح للايذان بانه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه احد وتجويز كون هذا التوبيخ
من جهة المنافقين لاعقابهم اراءة للتصلب فى دينهم كما ذهب اليه عصابة مما لا يليق بشان التنزيل
الجليل واللام فى قوله عز وجل ليحاجوكم به متعلقة بالتحديث دون الفتح والمراد تاكيد النكير
وتشديد التوبيخ فان التحديث بذلك وان كان منكرا فى نفسه لكن التحديث به لاجل هذا الغرض مما لا يكاد
يصدر عن العاقل اى اتحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم به فيبكتوكم والمحدثون به وان لم يحوموا حول
ذلك الغرض لكن فعلهم ذلك لما كان مستتبعا له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور اظهارا لكمال سخافة عقولهم
وركاكة آرائهم عند ربكم اى فى حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله كذا اى فى كتابه وشرعه وقيل عند
ربكم يوم القيمة ورد عليه بان الاخفاء لا يدفعه اذ هم عالمون بانهم محجوجون يومئذ حدثوا به او
لم يحدثوا والاعتذار بان الزام المؤمنين اياهم وتبكيتهم بان يقولوا لهم الم تحدثونا بما فى كتابكم
فى الدنيا من حقية ديننا وصدق نبينا انما يحصل ان يكون الحجد وعند هم هذا الالزام راجع
الضمير فيما الى التحديث دون المحدث به ولا ريب فى انه مدفوع بالاخفاء لا يساعده الآية الكريمة
الآتية كما ستقف عليه باذن الله عز وجل افلا تعقلون من تمام التوبيخ والعتاب والفاء للعطف على
مقدر ينسحب عليه الكلام اى الا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطاء الفاحش او شيئا من الاشياء التى
من جملتها هذا فالمنكر عدم التعقل ابتداء او تفعلون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى
تحتاجون الى التنبيه عليه فالمنكر عدم التعقل بعد الفعل هذا واما ما قيل من انه خطاب من جهة الله تعالى
للمؤمنين متصل بقوله تعالى افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم فى ايمانهم فيأباه قوله

قوله تعالى اولا يعلمون فانه للآخر بتجهيل لهم من جهته تعالى فيما حكى عنهم فيكون توسيط خطاب المؤمنين
فى اثنائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه على ان فى تخصيص الخطاب بالمؤمنين من التعسف وفى تعميمه للنبى
ايضا صلى الله عليه وسلم كما فى افتطمعون من سوء الادب ما لا يخفى والهمزة للانكار والتوبيخ كما قبلها والواو
للعطف على مقدر ينساق اليه الذهن والضمير للموبخين اى ايلومونهم على التحديث المذكور مخافة المحاجة
ولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون اى يخفونه فيما بينهم من الموبخين او ما يضمرونه فى قلوبهم فيثبت الحكم
فى ذلك بالطريق الاولى وما يعلنون اى يظهرونه للمؤمنين او لاصحابهم حسبما سبق فحينئذ يظهر الله تعالى للمؤمنين
ما ارادوا اخفاءه بواسطة الوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم فيحصل المحاجة ويقع التبكيت كما وقع فى آية الرجم
وتحريم بعض المحرمات عليهم فاى فائدة فى اللوم والعتاب ومن هنا تبين ان المحذور عندهم هو المحاجة بما فتح الله عليهم
وهى حاصلة فى الدنيا من حيث انها بما فى الكتاب لا بالتحديث بحيث يندفع بالاخفاء وقيل الضمير للمنافقين فقط او لهم
وللموبخين او لآبائهم المحرفين اى ايفعلون ما يفعلون ولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن جملته
اسرارهم الكفر واظهارهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وكتمان امر الله واظهار ما اظهروه افتراء
وانما قدم الاسرار على الاعلان للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة فى بيان شمول
علمه المحيط لجميع المعلومات كان علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع كونهما فى الحقيقة على السوية فان علمه تعالى
بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شئ فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفى هذا المعنى لا يختلف الحال
بين الاشياء البارزة والكامنة ونظيره قوله عز وجل قل ان تخفوا ما فى انفسكم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه
الاخفاء على الابداء لما ذكر من السر على عكس ما وقع فى قوله تعالى وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله
فان الاصل فى تعلق المحاسبة به هو الامور البادية دون الخافية ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة
على مرتبة العلن اذ ما من شئ يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر فى القلب فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى
متقدم على تعلقه بحالته الثانية ومنهم اميون وقرئ بتخفيف الياء جمع امى وهو من لا يقدر على الكتابة والقراءة
واختلف فى نسبته فقيل الى الام بمعنى انه شبيهها فى الجهل بالكتابة والقراءة فانها ليستا من شؤون النساء بل من خلال
الرجال او بمعنى انه على الحالة التى ولدته امه فى الخلو عن العلم والكتابة وقيل الى الامة بمعنى انه باق على
سذاجتها خال عن معرفة الاشياء كقولهم عامى اى على عادة العامة وروى عن عكرمة والضحاك ان المراد بهم
نصارى العرب وقيل هم قوم من اهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا اميين وعن على رضى الله عنه
هم المجوس والحق الذى لا محيد عنه انهم جهلة اليهود والجملة مستانفة مسوقة لبيان قبائحهم اثر بيان شنائع
الطوائف السالفة وقيل هى معطوفة على الجملة الحالية فان مضمونها مناف لرجاء الخير منهم وان لم يكن فيهما تحسم
مادة الطمع عن ايمانهم كما فى مضمون الجملة الحالية وما بعدها فان الجهل بالكتاب فى منافاة الايمان ليس بمثابة
تحريف كلام الله بعد سماعه والعلم بمعانيه كما وقع من الاولين والنفاق والنهى عن اظهار ما فى التورية كما وقع
من الفريقين الاخيرين اى ومنهم طائفة جهلة غير قادرين على الكتابة او التلاوة لا يعلمون الكتاب اى لا يعرفون
التورية ليطالعوها ويتحققوا ما فى تضاعيفها من دلائل النبوة فيؤمنوا وحمل الكتاب على الكتابة يأباه سباق
النظم الكريم وسياقه الا امانى بالتشديد وقرئ بالتخفيف جمع امنية اصلها امنوية افعولة من منى بمعنى قدر
او بمعنى تلا كمنى فى قوله تمنى كتاب الله اول ليلة فاعلن اعلالا سيد وميت ومعناها على الاول ما يقدره

الانسان في نفسه ويتمناه وعلى الثاني ما يتلوه وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع اذ ليس ما يتمنى وما يتلى من جنس
علم الكتاب اي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اماني حسبما منتهم احبارهم من ان الله سبحانه يعفو عنهم وان آباءهم الانبياء
يشفعون لهم وغير ذلك من امانيهم الفارغة المستندة الى الكتاب على زعم رؤسائهم او لا يعلمون الكتاب لكن يتلقونه
قدر ما يتلى عليهم فيقبلونه من غير ان يتمكنوا من التدبر فيه واما حمل الاماني على الاكاذيب المختلقة على الاطلاق
من غير ان يكون لها ملابسة بالكتاب فلا يساعده النظم الكريم وان هم الا يظنون ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن
والتقليد من غير ان يصلوا الى رتبة العلم فانى يرجى منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين ولما بين حال الفرق
في تمسكهم بحبال الاماني واتباع الظن عقب ببيان حال الذين اوقعوهم في تلك الورطة وبكشف كيفية اضلالهم
لهم وتعيين مرجع الكل بالآخرة فقيل على وجه الدعاء عليهم فويل هو واخواته من ويح وويس وويب
وويه وويك وعول من المصادر المنصوبة بافعال من غير لفظها لا يجوز اظهارها البتة فان اضيف نصب
نحو ويلك وويحك واذا فصل عن الاضافة رفع نحو ويل له ومعنى الويل شدة الشر قاله الخليل وقال
الاصمعي الويل التفجع والويح الترحم وقال سيبويه ويل لمن وقع في الهلكة وويح زجر لمن اشرف على الهلاك
وقيل الويل الحزن وهل ويح وويس بذلك المعنى او بينه وبينها فرق وقيل ويل في الدعاء عليه وويح
وما بعده في الترحم عليه وقال ابن عباس رضي الله عنه الويل العذاب الاليم وعن سفيان الثوري انه
صديد اهل جهنم وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الويل واد
في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال سعيد بن المسيب انه واد في جهنم لو سيرت فيه
جبال الدنيا لماعت من شدة حره وقال ابن بريدة جبل قيح ودم وقيل صهريج في جهنم وحكى الزهراوي انه
باب من ابواب جهنم وعلى كل حال هو مبتدأ خبره قوله عز وعلا للذين يكتبون الكتاب اي المحرف او ما كتبوه من
التأويلات الزائغة بايديهم تأكيد لدفع توهم المجاز كقولك كتبته بيميني ثم يقولون هذا اي جميعا على
الاول وخصوصا على الثاني من عند الله روي ان احبار اليهود خافوا ذهاب مأكلهم وزوال رياستهم حين
قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق اسافل اليهود عن الايمان فعمدوا الى صفة النبي
صلى الله عليه وسلم في التوراة وكانت هي فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها
طوال ازرق سبط الشعر فاذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرأوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته صلى الله
عليه وسلم فيكذبونه وثم للتراخي الرتبي فان نسبة المحرف والتأويل الزائغ الى الله سبحانه صريحا اشد
شناعة من نفس التحريف والتأويل ليشتروا به اي يأخذوا لانفسهم بمقابلته ثمنا هو ما اخذوه من
الرشى بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتأويل وانما عبر بالمشترى الذي هو المقصود بالذات في عقد المعاوضة بالثمن
الذي هو وسيلة فيه ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا المقصود بالذات وسيلة والوسيلة مقصودا قليلا
لا يعبأ به فان ذلك وان جل في نفسه فهو اقل قليل عندما استوجبوا به من العذاب الخالد فويل لهم تكرير
للتأكيد فتصريح بتعليله بما قدمت ايديهم بعد الاشعار به فيما سلف بايراد بعضه في حيز الصلة وبعضه
في معرض الغرض والفاء للايذان بترتبه عليه ومن في قوله عز وجل مما كتبت ايديهم تعليلية متعلقة بويل او
بالاستقرار في الخبر وما موصولة اسمية والعائد محذوف اي كتبته او مصدرية والاول ادخل في الزجر
عن تعاطي المحرف والثاني في الزجر عن التحريف وويل لهم مما يكسبون الكلام فيه كالذي فيما قبله والتكرير لما

من التأكيد والتشديد وللقصد الى التعليل بكل من الجنايتين وعدم الغرض لقولهم هذا من عند الله لما انه من
مبادي ترويج ما كتبت ايديهم فهو داخل في التعليل به وقالوا بيان لبعض آخر من جناياتهم وفصله عما قبله مشعر بكونه
من الاكاذيب التي اختلقوها ولم يكتبوها في الكتاب لن تمسنا النار في الآخرة الا اياما معدودة قليلة محصورة
عدد ايام عبادتهم العجل اربعين يوما مدة غيبة موسى عليه السلام عنهم وحكى الاصم عن بعض اليهود انهم قالوا عمر
الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة يوما واحدا فروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه ان اليهود
زعموا انهم وجدوا في التوراة ان ما بين طرفي جهنم مسيرة اربعين سنة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم وانهم يقطعون
في كل يوم مسيرة سنة فيكملونها قل تبكيتا لهم وتوبيخا اتخذتم باسقاط الهمزة المجتلبة لوقوعها في الدرج
وباظهار الذال وقرئ بادغامها في التاء عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون فان ما تدعون لا يكون الا
بناء على وعد قوي ولذلك عبر عنه بالعهد فلن يخلف الله عهده الفاء فصيحة معربة عن شرط محذوف كما في
قوله قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا اي ان كان الامر كذلك فلن يخلفه والجملة
اعتراضية واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان عدم الاخلاف من قضية الالوهية واظهار العهد مضافا
الى ضميره عز وجل لما ذكر او لان المراد به جميع عهوده لعمومه بالاضافة فيدخل فيه العهد المعهود دخولا اوليا
وفيه تجاوز عن التصريح بتحقيق مضمون كلامهم وان كان معلقا بما لم يكد يشم رائحة الوجود قطعا اعني اتخاذ العهد
ام تقولون على الله ما لا تعلمون وقوعه وانما علق التوبيخ باسناد ما ذكر اليه سبحانه لا بعدم علمهم بوقوعه
مع ان ما اسندوه اليه تعالى من قبيل ما يعلمون عدمه وقوعه للمبالغة في التوبيخ والتنكير فان التوبيخ على الادنى
مستلزم للتوبيخ على الاعلى بالطريق الاولى وفيه من التحكي وان لم يكن تصريحا بالافتراء عليه سبحانه لكنه مستلزم
له لان ذلك الخبر لا يكون الا باسناد سببه اليه تعالى وام اما متصلة والاستفهام للتقرير المؤدي الى التبكيت
لتحقق العلم بالشق الاخير كانه قيل أم لم تتخذوه بل تتقولون عليه تعالى واما منقطعة والاستفهام لانكار الاتخاذ
ونفيه ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من التوبيخ بالانكار على اتخاذ العهد الى ما تفيده همزتها من التوبيخ على
التقول على الله سبحانه كما في قوله تعالى قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون بلى الى آخره جواب عن قولهم
المحكي وابطال له من جهته تعالى وبيان لحقيقة الحال تفصيلا في ضمن تشريع كلي شامل لهم ولسائر الكفرة بعد
اظهار كذبهم اجمالا وتفويض ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم لما ان المحاجة والالزام من وظائفه عليه السلام مع ما فيه
من الاشعار بانه امر هين لا يتوقف على التوقيف وبلى حرف ايجاب مختص بجواب النفي خبرا او استفهاما من كسب سيئة فاحشة
من السيئات الكبيرة من الكبائر كدأب هؤلاء الكفرة والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب
اليم واحاطت به من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب من قلبه ولسانه وجوارحه الا وقد اشتملت واستولت
عليه خطيئته التي كسبها وصارت خاصة من خواصه كما ينبئ عنه الاضافة اليه وهذا انما يتحقق في الكافر ولذلك
فسرها السلف بالكفر حسبما اخرجه ابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه وابن جرير عن ابي وائل ومجاهد وقتادة وعطاء
والربيع وقيل السيئة الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق بينهما ان الاولى قد تطلق على ما يقصد
بالذات والثانية تغلب على ما يقصد بالعرض لانها من الخطأ وقرئ خطيئة وخطيئاته على القلب والادغام فيهما
وخطيئاته وخطاياه ففي ذلك ايذان بكثرة فنون كفرهم فاولئك مبتدأ اصحاب النار خبره والجملة خبر للمبتدأ
والفاء لتضمنه معنى الشرط وايراد اسم الاشارة المنبئ عن استحضار المشار اليهم بما لهم من الاوصاف للاشعار بعليتها لصا

ط أن عدد ايام عبادتهم العجل
سبعة وروي عن ابن عباس
ومجاهد ان اليهود م

النار وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والخطايا وانما اشير اليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب
المعنى في كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ في الضمائر الثلثة لما ان ذلك هو المناسب لما اسند اليهم في تينك الحالتين
فان كسب السيئة واحاطة خطيئته به في حالة الانفراد وصاحبية النار في حالة الاجتماع اى اولئك الموصوفون
بما ذكر من كسب السيئات واحاطة خطاياهم بهم اصحاب النار اى ملازموها في الآخرة حسب ملازمتهم في الدنيا لما يستوجبها
من الاسباب التى من جملتها ما هم عليه من تكذيب آيات الله تعالى وتحريف كلامه والافتراء عليه وغير ذلك وانما المخصص الجواب
بخلافهم بان يقال مثلا بلى انهم اصحاب النار لما في التعميم من التهويل وبيان حالهم بالبرهان والدليل مع ما من
قصد الاشعار بالتعليل هم فيها خالدون دائما ابدا فانى لهم التقصي عنها بعد سبعة ايام او اربعين كما زعموا فلا حجة
في الآية الكريمة على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكافر ولا حاجة الى حمل الخلود على اللبث الطويل
على ان فيه تهوين الخطب في مقام التهويل والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
جرت السنة الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما يقتضيه الحكمة في ارشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب اخرى
والتبشير مرة والانذار اخرى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل شروع في تعداد بعض آخر من قبائح اسلاف اليهود
مما ينادي بعدم ايمان اخلافهم وكلمة اذ نصب باضمار فعل خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ليؤيسهم
في اخلافهم الحقيقي لقطع الطمع في ايمانهم او اليهود الموجودين في عهد النبوة توبيخا لهم بسوء صنيع اسلافهم اى اذكروا اذ
اخذنا ميثاقهم لا تعبدون الا الله على ارادة القول اى وقلنا او قائلين لا تعبدون الخ وهو اخبار في معنى النهي كقوله
تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد كما تقول تذهب الى فلان وتقول له كيت وكيت وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه
من ايهام ان المنهي حقه ان يسارع الى الانتهاء عما نهى عنه فكأنه انتهى عنه فيخبر به الناهي ويؤيده قراءة لا تعبدوا
وعطف قولوا عليه وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف الناصب ارتفع الفعل كما في قوله الا ايهذا الزاجري
احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ويعضده قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف
الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قيل وحلفناهم لا تعبدون الا الله وقرئ بالياء لانهم غيب وبالوالدين
احسانا متعلق بمضمر اى وتحسنون او احسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم
كنداما جمع نديم وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه من الحراك واثخنه عن التقلب وقولوا
للناس حسنا اى قولا حسنا سماه حسنا مبالغة وقرئ كذلك وحسنا بضمتين وهي لغة اهل الحجاز وحسنى كبشرى
والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة بما فرض عليهم في شريعتهم ثم توليتم ان جعل
ناصب الظرف خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فهو التفات الى خطاب بني اسرائيل جميعا بتغليب اخلافهم على اسلافهم
لجريان ذكرهم كلهم حينئذ على نهج الغيبة فان الخطابات السابقة لاسلافهم محكية داخلة في حيز القول المقدر قبل لا تعبدون
كانهم استحضروا عند ذكر جناياتهم فنعيت هي عليهم وان جعل خطابا لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فهذا تعميم للخطاب بتنزيل الاسلاف منزلة الاخلاف كما انه تعميم للتولي بتنزيل الاخلاف منزلة الاسلاف للتشديد في التوبيخ
اى اعرضتم عن المضي على مقتضى الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم وهم من الاسلاف من اقام اليهودية على وجهها
قبل النسخ ومن الاخلاف من اسلم كعبد الله بن سلام واضرابه وانتم معرضون جملة تذييلية اى وانتم قوم عادتكم
الاعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة والاقبال الى جانب العرض واذ
اخذنا ميثاقكم خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر من التغليب ونعي عليهم اخلالهم بموجب الميثاق المأخوذ منهم في

في حقوق العباد على طريقة النهي اثر بيان ما تعلق بالميثاق المأخوذ منهم في حقوق الله سبحانه وما يجري مجراها
على سبيل الامر فان المقصود الاصلي من النهي عن عبادة غير الله تعالى هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى منصوب
بفعل مضمر اى اذكروا وقت اخذنا ميثاقكم في التورية وقولنا لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم
من دياركم كما قبله اخبار في معنى النهي غير الشك اليها اذكر من نكتة المبالغة والمراد به النهي الشديد عن
تعرض بعض بني اسرائيل لبعض بالقتل والاجلاء والتعبير عن ذلك بسفك دماء انفسهم واخراجها من ديارهم
بناء على جريان كل واحد منهم مجرى انفسهم لما بينهم من الاتصال القوي نسبا ودينا للمبالغة في الحمل على مراعاة
حقوق الميثاق بتصوير المنهي عنه بصورة تكرهها كل نفس وتنفر عنها كل طبيعة فضمير انفسكم للمخاطبين حتما
اذ به يتحقق تنزيل المخرجين منزلتهم كما ان ضمير دياركم للمخرجين قطعا اذ المحذور انما هو اخراجهم من ديارهم لا من
ديار المخاطبين من حيث انهم مخاطبون كما يفصح عنه ما سيأتي من قوله تعالى من ديارهم وانما الخطاب هنا باعتبار تنزيل
ديارهم منزلة ديار المخاطبين بناء على تنزيل انفسهم منزلتهم لتأكيد المبالغة وتشديد التشنيع واما ضمير دمائكم
فيحتمل الوجهين مفاد الاول كون المسفوك دماء ادعائية للمخاطبين حقيقة ومفاد الثاني كونه دماء حقيقية للمخاطبين
ادعاء وهما متقاربان في افادة المبالغة فتدبر واما ما قيل من ان المعنى لا تباشروا ما يؤدي الى قتل انفسكم
قصاصا او ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه
القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تحرمون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي فمما لا يساعده سياق النظم
الكريم بل هو نص فيما قلناه كما ستقف عليه ثم اقررتم اى بالميثاق وبوجوب المحافظة عليه وانتم تشهدون
توكيد للاقرار كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الحاضرون تشهدون اليوم على اقرار اسلافكم
بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ شديد واستبعاد قوي لما ارتكبوه بعد ما كان
من الميثاق والاقرار به والشهادة عليه فانتم مبتدأ وهؤلاء خبره ومناط الافادة اختلاف الصفات المنزل منزلة
اختلاف الذات والمعنى انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون الناقضون المتناقضون حسبما يعرب عنه الجمل الآتية
فان قوله عز وجل تقتلون انفسكم بيان له وتفصيل لاحوالهم المنكرة المندرجة تحت الاشارة ضمنا كأنهم قالوا
كيف نحن فقيل تقتلون انفسكم اى الجارين مجرى انفسكم كما اشير اليه وقرئ تقتلون بالتشديد للتكثير وتخرجون
فريقا منكم من ديارهم الضمير اما للمخاطبين والمضاف محذوف اى من انفسكم واما للمقتولين والخطاب باعتبار انهم جعلوا انفس المخاطبين
والا فلا يتحقق التكافؤ بين المقتولين والمخرجين في ذلك العنوان الذي عليه يدور فلك المبالغة في تأكيد الميثاق
حسبما نص عليه ولا يظهر كمال قباحة جنايتهم في نقضه عن ديارهم الضمير للفريق ومراعاة الغيبة مع جواز الخطاب
ايضا بناء على اعتبار العنوان المذكور كما مر في الميثاق للاحتراز عن توهم كون المراد اخراجهم من ديار المخاطبين من
حيث هي ديارهم لا من حيث هي ديار المخرجين وقيل هؤلاء موصول والجملتان في حيز الصلة والمجموع هو الخبر
لانتم تظاهرون عليهم بحذف احدى التائين وقرئ باثباتهما وبالادغام وتظهرون بطرح احدى التائين
من تتظهرون ومعنى الكل تتعاونون وهو حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او منهما جميعا مبينة لكيفية الاخراج
دافعة لتوهم اختصاص الحرمة بالاخراج بطريق الاصالة والاستقلال دون المظاهرة والمعاونة بالاثم
متعلق بتظاهرون حال من فاعله اى متلبسين بالاثم وهو الفعل الذي يستحق فاعله الذم واللوم وقيل هو
ما ينفر عنه النفس ولا يطمئن اليه القلب والعدوان وهو التجاوز في الظلم وان يأتوكم اسارى جمع اسير

حيث فعل دون يخرجون ... انتهى سعدي

وجملة حال الاسم على الفعلين او الفعل الاول ... انتهى سعدي

وهو من بوخة فعيل بمعنى مفعول من الاسر اي الشد او جمع اسرى وهو جمع اسير كجرحى وجريح وقد قرئ
اسرى ومحله النصب على الحالية تفادوهم اي تخرجوهم من الاسر باعطاء الفداء وقرئ تفدوهم قال السدي
ان الله تعالى اخذ على بني اسرائيل في التورية ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما
عبد وامة وجدتموه من بني اسرائيل فاشتروه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج
حين كان بينهما ما كان من العداوة والشنآن فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم
منها ثم اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا فيفدونه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون
امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة وهو محرم
عليكم اخراجهم هو ضمير الشان وقع مبتدأ ومحرم خبره وفيه ضمير قائم مقام الفاعل وقع خبرا عن اخراجهم والجملة
خبر لضمير الشان وقيل محرم خبر لضمير الشان واخراجهم مرفوع على انه مفعول ما لم يسم فاعله وقيل الضمير مبهم تفسيره
اخراجهم او راجع الى ما يدل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيد او بيان والجملة حال من الضمير في تخرجون او من فريقا
او منهما كما مر بعد اعتبار التقييد بالحال السابقة وتخصيص بيان الحرمة ههنا بالاخراج مع كونه قرينا للقتل
عند اخذ الميثاق لكونه مظنة للمساهلة في امره بسبب قلة خطره بالنسبة الى القتل ولان مساق الكلام
لذمهم وتوبيخهم على جناياتهم وتناقض افعالهم معا وذلك مختص بصورة الاخراج حيث لم ينقل عنهم تدارك
القتلى بشيء من دية او قصاص وهو السر في تخصيص التظاهر به فيما سبق واما تأخيره عن الشرطية المعترضة مع
حقه التقديم كما ذكره الواحدي فلان نظم افاعيلهم المتناقضة في سمط واحد من الذكر ادخل في اظهار بطلانها
افتؤمنون ببعض الكتاب اي التورية التي اخذ فيها الميثاق المذكور والهمزة للانكار التوبيخي والفاء للعطف
على مقدر يستدعيه المقام اي اتفعلون ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب وهو المفاداة وتكفرون ببعض وهو حرمة
القتال والاخراج مع ان من قضية الايمان ببعضه الايمان بالباقي لكون الكل من عند الله تعالى داخلا في الميثاق
فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض مع ايمانهم بالبعض حسبما يفيده ترتيب النظم الكريم فان التقديم يستدعي في
المقام الخطابي اصالة المقدم وتقدمه بوجه من الوجوه حتما اذ ليس ذلك ههنا باعتبار الانكار والتوبيخ عليه
فهو باعتبار الوقوع قطعا لا ايمانهم بالبعض مع كفرهم بالبعض كما هو المفهوم لو قيل افتكفرون ببعض الكتاب
وتؤمنون ببعض ولا مجرد كفرهم بالبعض وايمانهم بالبعض كما يفيده ان يقال افتجمعون بين الايمان ببعض الكتاب
والكفر ببعض او بالعكس فما جزاء من يفعل ذلك منكم ما نافية ومن ان جعلت موصولة فلا محل ليفعل من الاعراب
وان جعلت موصوفة فمحله الجر على انه صفتها وذلك اشارة الى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان ببعض او الى ما فعلوا
من القتل والاجلاء مع مفاداة الاسارى ومنكم حال من فاعل يفعل الا خزي استثناء مفرغ وقع خبرا للمبتدأ
والخزي الذل والهوان مع الفضيحة والتنكير للتفخيم وهو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير الى اذرعات
واريحا من الشام وقيل الجزية في الحيوة الدنيا في حيز الرفع على انه صفة خزي اي خزي كائن في الحيوة الدنيا
او في حيز النصب على انه ظرف لنفس الخزي ولعل بيان جزائهم بطريق القصر على ما ذكر لقطع اطماعهم الفارغة
من ثمرات ايمانهم ببعض الكتاب واظهار انه لا اثر له اصلا مع الكفر ببعض ويوم القيمة يردون وقرئ
بالتاء وفي صيغة الجمع نظرا الى معنى من بعد ما وقع الافراد نظرا الى لفظها لما ان الرد انما يكون بالاجتماع
الى اشد العذاب لما ان معصيتهم اشد المعاصي وقيل اشد العذاب بالنسبة الى ما لهم في الدنيا من الخزي والصغار

والصغار وانما غير سبك النظم الكريم حيث لم يقل مثلا واشد العذاب يوم القيامة للايذان بكمال التنافي
بين جزائي النشأتين وتقديم يوم القيامة على ذكر ما يقع فيه لتهويل الخطب وتفظيع الحال من اول الامر
وما الله بغافل عما تعملون من القبائح التي من جملتها هذا المنكر وقرئ بالياء على نهج يردون وهو تاكيد
للوعيد اولئك الموصوفون بما ذكر من الاوصاف القبيحة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين اشتروا اي اختاروا
الحيوة الدنيا واستبدلوها بالآخرة واعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فان ما ذكر من الكفر ببعض احكام
الكتاب انما كان لمراعاة جانب حلفائهم لما يعود اليهم منهم من بعض المنافع الدنيوية فلا يخفف عنهم العذاب
دنيويا كان او اخرويا ولا هم ينصرون بدفعه عنهم بشفاعة او جبر والجملة معطوفة على ما قبلها عطف
الاسمية على الفعلية او ينصرون مفسر لمحذوف وقع خبر الضمير فيكون من عطف الفعلية على مثلها ولقد اتينا
موسى الكتاب شروع في بعض آخر من جناياتهم وتصديره بالجملة القسمية لاظهار كمال الاعتناء به والمراد
بالكتاب التورية عن ابن عباس رض ان التورية لما نزلت جملة واحدة امر الله عز وجل موسى عم بحملها فلم يطق
بذلك فبعث بكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا بحملها فخففها الله تعالى لموسى عم فحملها وقفينا من بعده بالرسل
يقال قفاه به اذا اتبعه اياه اي ارسلنا على اثره كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل
وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم
عليهم السلام واتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار
بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالسريانية ايشوع ومعناه المبارك ومريم بمعنى الخادم وهو بالعبرية
من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ضليل اهواء الصبا تندمه
ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه اي قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس بضم الدال
وقرئ بسكونها اي بالروح المقدسة وهي روح عيسى عم كقولك حاتم الجود ورجل صدق وانما وصفت
بالقدس للكرامة او لانه عم لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبريل عم وقيل بالانجيل كما
قيل في القرآن روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره وتخصيصه من بين الرسل
عليهم السلام بالذكر ووصفه بما ذكر من ايتاء البينات والتاييد بروح القدس لما ان بعثتهم كانت لتنفيذ
احكام التورية وتقريرها واما عيسى عم فقد نسخ بشرعه كثير من احكامها ولحسم مادة اعتقادهم الباطل
في حقه عم ببيان حقيقته واظهار كمال قبح ما فعلوا به عم افكلما جاءكم رسول من اولئك الرسل بما لا تهوى
انفسكم من الحق الذي لا محيد عنه اي لا تحبه من هوى كفرح اذا احب والتعبير عنه بذلك للايذان بان مدار
الرد والقبول عندهم هو المخالفة لاهواء انفسهم والموافقة لها لا شيء آخر وتوسيط الهمزة بين الفاء وما
تعلقت به من الافعال السابقة لتوبيخهم على تعقيبهم ذلك بهذا والتعجيب من شانهم ويجوز كون الفاء
للعطف على مقدر يناسب المقام اي الم تطيعوهم فكلما جاءكم رسول منهم بما لا تهوى انفسكم استكبرتم
عن الاتباع له والايمان بما جاء به من عند الله تعالى ففريقا منهم كذبتم من غير ان تتعرضوا لهم بشيء آخر
من المضار والفاء للسببية او للتعقيب وفريقا آخر منهم تقتلون غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى
وغيرهما عليهم السلام وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر
واتيان صيغة الاستقبال في القتل لاستحضار صورته الهائلة او للايماء الى انهم بعد على تلك النية حيث

هموا بما لم ينالوا من قتله عليه السلام وسحروه وسموا له الشاة حتى قال صلى الله عليه وسلم ما زالت اكلة خيبر تعاودني
فهذا اوان قطعت ابهري. وقالوا بيان لفن آخر من قبائحهم على طريقة الالتفات الى الغيبة اشعارا بابعادهم
عن رتبة الخطاب لما فصل من مخازيهم الموجبة للاعراض عنهم وحكاية نظائرها لكل من يفهم بطلانها
وقباحتها من اهل الحق والقائلون هم الموجودون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم قلوبنا غلف جمع اغلف
مستعار من الاغلف الذي لم يختن اي هي مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد صلى الله
عليه وسلم ولا تفقهه كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف ويؤيده
ما روي عن ابي عمرو من القراءة بضمتين يعنون ان قلوبنا اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن
غيره قاله ابن عباس رض وعطاء وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان
في حديثك خير لوعته ايضا بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوه وتكذيب لهم في ذلك والمعنى على الاول
بل ابعدهم الله سبحانه عن رحمته باخذلهم وخلاهم وشانهم بسبب كفرهم العارض وابطالهم لاستعدادهم
بسوء اختيارهم بالمرة وكونهم بحيث لا ينفعهم الالطاف اصلا بعدما ان خلقهم على الفطرة والتمكن من قبول الحق
وعلى الثاني بل ابعدهم من رحمته فاني لهم ادعاء العلم الذي هو اجل آثارها وعلى الثالث بل ابعدهم من رحمته
فلذلك لا يعقلون الحق المؤدي اليها. فقليلا ما يؤمنون ما مزيدة للمبالغة اي فايمانا قليلا يؤمنون
وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل فزمانا قليلا يؤمنون وهو ما قالوا آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه
النهار واكفروا آخره وكلاهما ليس بايمان حقيقة وقيل اريد بالقلة العدم والفاء لسببية اللعن
لعدم الايمان. ولما جاءهم كتاب هو القرآن وتنكيره للتفخيم ووصفه بقوله عز وجل من عند الله
اي كائن من عنده للتشريف. مصدق لما معهم من التوراة عبر عنها بذلك لما ان المعية من موجبات
الوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها وقرئ مصدقا على انه حال من كتاب
لتخصصه بالوصف. وكانوا من قبل اي من قبل مجيئه يستفتحون على الذين كفروا اي وقد كانوا قبل
يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة
ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم قال ابن عباس رض
وقتادة والسدي نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل مبعثه وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم بان نبيا يبعث منهم قد قرب
اوانه والسين للمبالغة كما في استعجب اي يسألون من انفسهم الفتح عليهم او يسأل بعضهم بعضا ان يفتح
عليهم وعلى التقديرين فالجملة حالية مفيدة لكمال مكابرتهم وعنادهم وقوله عز وعلا فلما جاءهم
تكرير للاول لطول العهد بتوسط الجملة الحالية وقوله تعالى ما عرفوا عبارة عما سلف من الكتاب
لان معرفة من انزل هو عليه معرفة له والاستفتاح به استفتاح به وايراد الموصول دون الاكتفاء
بالاضمار لبيان كمال مكابرتهم فان معرفة ما جاءهم من مبادئ الايمان به ودواعيه لا محالة والفاء
للدلالة على تعقيب مجيئه للاستفتاح به من غير ان يتخلل بينهما مدة منسية له وقوله تعالى كفروا به
جواب لما الاولى كما هو رأي المبرد او جوابهما معا كما قاله ابو البقاء وقيل جواب الاولى محذوف لدلالة
المذكور عليه فيكون قوله تعالى وكانوا الخ جملة معطوفة على الشرطية عطف القصة على القصة والمراد

والمراد بما عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم كما هو المراد بما كانوا يستفتحون به فالمعنى ولما جاءهم كتاب
مصدق لكتابهم كذبوه وكانوا من قبل مجيئه يستفتحون بمن انزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم النبي صلى الله
عليه وسلم عرفوه كفروا به. فلعنة الله على الكافرين اللام للعهد اي عليهم ووضع المظهر موضع المضمر
للاشعار بان حلول اللعنة عليهم بسبب كفرهم كما ان الفاء للايذان بترتبها عليه او للجنس وهم داخلون
في الحكم دخولا اوليا اذ الكلام فيهم واياما كان فهو تحقيق لمضمون قوله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم بئس ما
اشتروا به انفسهم ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس واشتروا صفته اي بئس شيئا باعوا به انفسهم
وقيل اشتروها به في زعمهم حيث يعتقدون انهم بما فعلوا اخلصوها من العقاب وياباه انه لا بد ان يكون
المذموم ما كان حاصلا لهم لا ما كان زائلا عنهم والمخصوص بالذم قوله تعالى ان يكفروا بما انزل الله اي بالكتاب
المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيته وتبديل الانزال بالمجيء للايذان بعلو شانه الموجب للايمان به بغيا
حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة لان يكفروا دون اشتروا للفصل بما هو اجنبي بالنسبة اليه
وان لم يكن اجنبيا بالنسبة الى فعل الذم وفاعله ولان البغي مما لا تعلق له بعنوان البيع قطعا لا سيما
وهو معلل بما ياتي من تنزيل الله تعالى من فضله على من يشاء وانما الذي بينه وبينه علاقة هو كفرهم بما
انزل الله والمعنى بئس شيئا باعوا به انفسهم كفرهم المعلل بالبغي الكائن لاجل ان ينزل الله من فضله الذي
هو الوحي على من يشاء اي يشاؤه ويصطفيه من عباده المستاهلين لتحمل اعباء الرسالة وماله تعليل
كفرهم بالمنزل بحسدهم للمنزل عليه وايثار صيغة التفعيل ههنا للايذان بتجدد بغيهم حسب تجدد الانزال
وتكرره حسب تكثره. فباءوا بغضب على غضب اي رجعوا ملتبسين بغضب كائن على غضب مستحقين له حسب
ما اقترفوا من كفر على كفر فانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد
عيسى عم وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم. وللكافرين
اي لهم والاظهار في موقع الاضمار للاشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم عذاب مهين يراد به اهانتهم
واذلالهم لما ان كفرهم بما انزل الله تعالى كان مبنيا على الحسد المبني على طمع النزول عليهم وادعاء
الفضل على الناس والاستهانة بمن انزل عليه عليه الصلوة والسلام. واذا قيل لهم من جانب المؤمنين
هم اي لليهود وتقديم الجار والمجرور قد مر وجهه لا سيما في الامر بالتبليغ آمنوا بما انزل الله من الكتب
الالهية جميعا والمراد به الامر بالايمان بالقرآن لكن سلك مسلك التعميم ايذانا بتحتم الامتثال من حيث
اشتراكه لما آمنوا به فيما في حيز الصلة وموافقته له في المضمون وتنبيها على ان الايمان بما عداه من غير
ايمان به ليس بايمان بما انزل الله. قالوا نؤمن اي نستمر على الايمان بما انزل علينا يعنون به التوراة
وما انزل على انبياء بني اسرائيل عليهم السلام لتقرير حكمها ويدسون فيه ان ما عدا ذلك غير منزل عليهم ومرادهم
بضمير المتكلم اما انفسهم فمعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الاحكام واما انبياء بني اسرائيل عليهم السلام
وهو الظاهر لاشتماله على مزية الايذان بان عدم ايمانهم بالفرقان لما مر من بغيهم وحسدهم على نزوله
على من ليس منهم ولان مرادهم بالموصول وان كان هو التوراة وما في حكمها خاصة لكن ايرادها بعنوان
الانزال عليهم وذكر تكليفهم يلزم من مغايرة القرآن لما انزل عليهم حسبما يعرب عنه قوله عز وجل
ويكفرون بما وراءه عدم كونهم مكلفين بما فيه كما يلزم عدم كونه نازلا على واحد من بني اسرائيل على الوجه

مبني على ادعاء ان ما عداها ليس
كذلك على وجه التعريض كما اشير اليه
فلو اريد بالانزال عليهم م

الاخير وبحرف المصدر الموصول عند الاضمار عما عرضوا به تعسف لا يخفى على الوراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف
الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو امامه والجملة حال من ضمير قالوا
بتقدير مبتدا اي قالوا ما قالوا وهم يكفرون على عادة وليس المراد مجرد بيان افرادهم بما انزل عليهم بالذكر
لنفي ايمانهم بما وراءه بل بيان ان ما يدعون من الايمان ليس بايمان بما انزل عليهم حقيقة فان قوله عز اسمه
وهو الحق اي المعروف بالحقية الحقيق بان يخص به اسم الحق على الاطلاق حال من فاعل يكفرون وقوله تعالى مصدقا
حال مؤكدة لمضمون الجملة صاحبها اما ضمير الحق وعاملها ما فيه من معنى الفعل قاله ابو البقاء واما ضمير دل عليه الكلام
وعاملها فعل مضمر اي احقه مصدقا لما معهم من التوراة والمعنى قالوا نؤمن بما انزل علينا وهم يكفرون بالقرآن
والحال انه حق مصدق لما آمنوا به فيلزمهم الكفر بما آمنوا به ومآله انهم ادعوا الايمان بالتوراة والحال انهم
يكفرون بما يلزم من الكفر به الكفر بها قل تبكيتا لهم من جهة الله عز وجل ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم بعد
بيان التناقض في اقوالهم فلم اصله لما حذفت عنه الالف فرقا بين الاستفهامية والخبرية تقتلون انبياء الله
من قبل الخطاب للحاضرين من اليهود والماضين على طريق التغليب وحيث كانوا مشاركين في العقد والعمل كان الاعتراض
على اسلافهم اعتراضا على اخلافهم وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط محذوف اي قل لهم
ان كنتم مؤمنين بالتوراة كما تزعمون فلاي شيء كنتم تقتلون انبياء الله من قبل وهو فيها حرام وقرئ انبياء الله
مهموزا وقوله تعالى ان كنتم مؤمنين تكرير للاعتراض لتأكيد الالزام وتشديد التهديد اي ان كنتم مؤمنين
فلم تقتلون وقد حذف من كل واحدة من الشرطيتين ما حذف ثقة بما اثبت في الاخرى وقيل لا حذف فيه بل تقديم
الجواب على الشرط وذلك لا يتأتى الا على رأي الكوفيين وابي زيد وقيل ان نافية اي ما كنتم مؤمنين والا لما قتلتموهم
ولقد جاءكم موسى بالبينات من تمام التبكيت والتوبيخ داخل تحت الامر لا تكرير لما قص في تضاعيف تعداد
النعم التي من جملتها العفو عن عبادة العجل واللام للقسم اي وبالله لقد جاءكم موسى ملتبسا بالمعجزات الظاهرة التي
هي العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقد عد
منها التوراة وليس بواضح فان المجيء بها بعد قصة العجل ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده اي من بعد مجيئه بها
وقيل من بعد ذهابه الى الطور فيكون التوراة حينئذ من جملة البينات وثم للتراخي في الرتبة والدلالة على نهاية قبح
ما صنعوا وانتم ظالمون حال من ضمير اتخذتم بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته واضعين لها في غير موضعها
او بالاخلال بحقوق آيات الله تعالى واعتراض اي وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم توبيخ من جهة الله تعالى
وتكذيب لهم في ادعائهم الايمان بما انزل عليهم بتذكير جناياتهم الناطقة بتكذيبهم اي واذكروا حين اخذنا ميثاقكم
ورفعنا فوقكم الطور قائلين خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي خذوا ما امرتم به في التوراة واسمعوا ما فيها
سمع طاعة وقبول قالوا استئناف مبني على سؤال سائل كأنه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا سمعنا قولك وعصينا
امرك فاذا قابل الاسلاف مثل ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم مثل تلك المعجزة الباهرة بمثل هذه العظيمة الشنعاء
وكفروا بما في تضاعيف التوراة فكيف يتصور من اخلافهم الايمان بما فيها واشربوا في قلوبهم العجل على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للمبالغة اي تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به وحرصهم
على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كما في قوله تعالى انما
يأكلون في بطونهم نارا والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير قد بكفرهم بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا مجسمة

مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل توبيخا لحاضري اليهود
اثر ما بين احوال رؤسائهم الذين بهم يقتدون في كل ما يأتون وما يذرون بئسما يأمركم به ايمانكم بما انزل عليكم
من التوراة حسبما تدعون والمخصوص بالذم محذوف اي ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفي اسناد الامر
الى الايمان تهكم بهم واضافة الايمان اليهم للايذان بانه ليس بايمان حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ان كنتم
مؤمنين فانه قدح في دعواهم الايمان بما انزل عليهم من التوراة وابطال لها وتقريره ان كنتم مؤمنين بها عاملين
بما ذكر من القول والعمل بما فيها فبئسما يأمركم به ايمانكم بها واذ لا يسوغ الايمان بها مثل تلك القبائح فلستم
بمؤمنين بها قطعا وجواب الشرط كما ترى محذوف لدلالة ما سبق عليه قل كرر الامر مع قرب العهد بالامر السابق
لما انه امر بتبكيتهم واظهار كذبهم في فن آخر من اباطيلهم لكنه لم يحك عنهم قبل الامر بابطاله بل اكتفى بالاشارة اليه
في تضاعيف الكلام حيث قيل ان كانت لكم الدار الآخرة اي الجنة او نعيم الدار الآخرة عند الله خالصة اي سالمة
لكم خاصة بكم كما تدعون اعني لكم وقوله تعالى من دون الناس في محل النصب على الصفة لخالصة يقال خلص لي كذا من كذا واللام
للجنس اي الناس كافة او للعهد اي المسلمين فتمنوا الموت فان من ايقن بدخول الجنة اشتاق الى التخلص اليها من دار
البوار وقرارة الاكدار لا سيما اذا كانت خالصة له كما قال علي كرم الله وجهه لا ابالي اسقطت على الموت او سقط الموت
علي وقال عمار بن ياسر بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة بن اليمان حين احتضر وقد كان
يتمنى الموت قبل جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني وقوله تعالى ان كنتم صادقين تكرير للكلام
لتشديد الالزام والتنبيه على ان ترتب الجواب ليس على تحقق الشرط في نفس الامر فقط بل في اعتقادهم ايضا
وانهم قد ادعوا ذلك والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي ان كنتم صادقين فتمنوه وقوله تعالى
ولن يتمنوه ابدا كلام مستأنف غير داخل تحت الامر سيق من جهته سبحانه لبيان ما يكون منهم من الاحجام عما دعوا
اليه الدال على كذبهم في دعواهم بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي
صلى الله عليه وسلم والقرآن وتحريف التوراة ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة صنائعه
ومدار اكثر منافعه عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين اي بهم وايثار الاظهار على
الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في جميع الامور التي من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه عن غيرهم
والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية الى افانين العذاب
وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد اذ لو وقع ذلك
لنقل واشتهر وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي
على وجه الارض ولتجدنهم احرص الناس من وجد العقلي وهو جار مجرى العلم خلا انه مختص بما يقع بعد
التجربة ونحوها ومفعولاه الضمير واحرص والتنكير في قوله تعالى على حياة للايذان بان مرادهم نوع خاص
منها وهي الحياة المتطاولة وقرئ بالتعريف ومن الذين اشركوا عطف على ما قبله بحسب المعنى كأنه قيل احرص
من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر مع دخولهم في الناس للايذان بامتيازهم عن غيرهم بشدة الحرص
للمبالغة في توبيخ اليهود فان حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما كان ازيد من حرص المشركين المنكرين له دل ذلك
على جزمهم بمصيرهم الى النار ويجوز ان يحمل على حذف المعطوف ثقة بانباء المعطوف عليه عنه اي واحرص من
الذين اشركوا فقوله تعالى يود احدهم بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستئناف ويجوز ان يكون في حيز

الرفع صفة لمبتدأ محذوف وهو خبر الظرف المتقدم على أن يكون المراد بالمشركين اليهود لقولهم عزير ابن الله
اي ومنهم طائفة يود أحدهم اي كل واحد منهم لو يعمر ألف سنة وهو حكاية لودادتهم كأنه قيل
ليتني أعمر وإنما أجري على الغيبة لقوله تعالى يود كما تقول حلف بالله ليفعلن ومحله النصب على أنه مفعول
يود إجراء له مجرى القول لأنه فعل قلبي وما هو بمزحزحه من العذاب ما حجازية والضمير العائد الى أحدهم
اسمها وبمزحزحه خبرها والباء زائدة وأن يعمر فاعل مزحزحه اي وما أحدهم بمن يزحزحه اي يبعده وينجيه
من العذاب تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وأن يعمر بدل منه وقيل هو مبهم وأن يعمر مفسره والجملة
حال من ضمير يود لا يعمر على أنها حال من ضميره لفساد المعنى او اعتراض وأصل سنة سنوة لقولهم
سنوات وسنية وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وسنيهة وتسنهت النخلة إذا أتت عليها السنون والله
بصير بما يعملون البصير في كلام العرب العالم بكنه الشيء الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه اي عليم بخفيات
أعمالهم فهو مجازيهم بها لا محالة وقرئ بالتاء على الالتفات وفيه تشديد للوعيد قل من كان عدوا لجبريل
نزل في عبد الله بن صوريا من أحبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن ينزل عليه
بالوحي فقال صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام فقال هو عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وفي بعض
الروايات ورسولنا ميكائيل فلو كان هو الذي يأتيك لآمنا بك وقد عادانا مرارا وأشدها أنه أنزل
على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل
عليه السلام وقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فإنه لا يسلطكم عليه وإلا فبأي حق تقتلونه وقيل أمره
الله تعالى أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي أنه كان لعمر رض أرض بأعلى المدينة وكان ممره على
مدارس اليهود فكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد أحببناك وإنا لنطمع فيك فقال والله
ما أجيئكم لحبكم ولا أسألكم لشك في ديني وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه
وسلم وأرى آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبريل عليه السلام فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا
وهو صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما عند الله تعالى قالوا
جبريل أقرب منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما متعاديان فقال عمر رضي الله عنه إن كانا كما
تقولون فما هما بعدوين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدوا لأحدهما فهو عدو للآخر ومن كان عدوا
لهما كان عدوا لله سبحانه ثم رجع عمر فوجد جبريل ع م قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر رض لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر وقرئ جبرئيل كسلسبيل
وجبرئل كجحمرش وجبريل وجبرئل وجبرال وجبرائيل كجبراعيل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه
عبد الله فإنه نزله تعليل لجواب الشرط قائم مقامه والبارز الأول لجبريل عليه السلام والثاني للقرآن أضمر
من غير ذكر إيذانا بفخامة شأنه واستغنائه عن الذكر لكمال شهرته ونباهته لا سيما عند ذكر شيء من
صفاته على قلبك زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحي فإنه القابل الأول له ومدار الفهم والحفظ
وإيثار الخطاب على التكلم المبني على حكاية كلام الله تعالى بعينه كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا
على أنفسهم لما في النقل بالعبارة من زيادة تقرير لمضمون المقالة بإذن الله بأمره وتيسيره مستعار من
تسهيل الحجاب وفيه تلويح بكمال توجه جبريل ع م الى تنزيله وصدق عزيمته عليه وهو حال من فاعل نزله وقوله

وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه اي من الكتب الإلهية التي معظمها التوراة حال من مفعوله وكذا قوله
تعالى وهدى وبشرى للمؤمنين والعامل في الكل نزله والمعنى من عادى جبريل من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته
بل يجب عليه محبته فإنه نزل عليك كتابا مصدقا لكتبهم او فالسبب في عداوته تنزيله لكتاب مصدق لكتابهم
موافق له وهم له كارهون ولذلك حرفوا كتابهم وجحدوا موافقته له لأن الاعتراف بها يوجب الإيمان به
وذلك يستدعي انتكاس أحوالهم وزوال رئاستهم وقيل إن الجواب فقد خلع ربقة الإنصاف او فقد كفر بما معه
من الكتاب او فليمت غيظا او فهو عدو لي وأنا عدو له من كان عدوا لله أريد بعداوته تعالى مخالفة أمره
عنادا والخروج عن طاعته مكابرة او عداوة خواصه ومقربيه لكن صدر الكلام بذكره الجليل تفخيما لشأنهم
وإيذانا بأن عداوتهم عداوته عز وعلا كما في قوله عز وجل والله ورسوله أحق أن يرضوه ثم صرح بالمرام
فقيل وملائكته ورسله وجبريل وميكال وإنما أفردا بالذكر مع أنهما أول من يشمله عنوان الملكية والرسالة
لإظهار فضلهما كأنهما عليهما السلام من جنس آخر أشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير
في الجنس وللتنبيه على أن عداوة أحدهما عداوة للآخر حسما لمادة اعتقادهم الباطل في حقهما حيث زعموا
أنهما متعاديان وللإشارة إلى أن معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستتباع العداوة من جهة الله تعالى
وأن من عادى أحدهم فكأنما عادى الجميع وقوله تعالى فإن الله عدو للكافرين اي لهم جواب الشرط والمعنى
من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشد العقاب وإيثار الاسمية للدلالة على التحقق والثبات ووضع الكافرين
موضع المضمر للإيذان بأن عداوة المذكورين كفر وأن ذلك بين لا يحتاج إلى الإخبار به وأن مدار عداوته
تعالى لهم وسخطه المستوجب لشدة العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور وقرئ ميكائل كميكاعل وميكائيل
كميكاعيل وميكئل كميكعل ولقد أنزلنا إليك آيات بينات واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها
من عند الله عز وجل وما يكفر بها إلا الفاسقون اي المتمردون في الكفر الخارجون عن حدوده فإن من
ليس على تلك الصفة من الكفرة لا يجترئ على الكفر بمثل هاتيك البينات قال الحسن إذا استعمل الفسق في نوع
من المعاصي وقع على أعظم أفراد ذلك النوع من كفر او غيره وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال
ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت
واللام للعهد اي الفاسقون المعهودون وهم أهل الكتاب المحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم او للجنس
وهم داخلون فيه دخولا أوليا أوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اي أكفروا بها وهي في غاية الوضوح وكلما عاهدوا عهدا ومن جملة ذلك ما أشير إليه
في قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا من قولهم للمشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق
ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم وقرئ بسكون الواو على أن التقدير النظم الكريم وما يكفر بها إلا
الذين فسقوا او نقضوا عهودهم مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا وقوله تعالى عهدا إما مصدر
مؤكد لعاهدوا من غير لفظه او مفعول له على أنه بمعنى أعطوا العهد نبذه فريق منهم اي نقضوه
ورفضوه وقرئ نقضه ما سلف الشيء الى فريق منهم لأن منهم من لم ينبذه بل أكثرهم لا يؤمنون
اي بالتوراة وهذا دفع لما يتوهم من أن الناقضين هم الأقلون وأن من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون بها
سرا ولما جاءهم رسول هو النبي صلى الله عليه وسلم والتنكير للتفخيم من عند الله متعلق بجاء او بمحذوف

وقع صفة لرسول لافادة مزيد تعظيمه بتأكيد ما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية
مصدق لما معهم من التوراة من حيث انه صلى الله عليه وسلم مقرر لصحتها ومحقق حقية نبوة موسى عليه السلام
بما انزل عليه او من حيث انه صلى الله عليه وسلم جاء على وفق ما نعت فيها نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب
اي التوراة وهم اليهود الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من كانوا يستفتحون به قبل ذلك
لا الذين كانوا في عهد سليمان عليه السلام كما قيل لان النبذ عند مجيء النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصور منهم
وافراد هذا النبذ بالذكر مع اندراجه تحت قوله عز وجل او كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم لانه معظم
جناياتهم ولانه تمهيد لذكر اتباعهم لما تتلوا الشياطين وايثارهم له عليه والمراد بايتائها اما ايتاء علمها
بالدراسة والحفظ والوقوف على ما فيها فالموصول عبارة عن علمائهم واما مجرد انزالها عليهم فهو عبارة
عن الكل وعلى التقديرين فوضعه موضع الضمير للايذان بكمال التنافي بين ما اثبت لهم في حيز الصلة وبين
ما صدر عنهم من النبذ كتاب الله اي الذي اوتوه قال السدي لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه
بالتوراة فاتفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت
فلم يوافق القرآن فهذا قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الخ وانما عبر عنها بكتاب الله تشريفا
لها وتعظيما لحقها عليهم وتهويلا لما اجترؤوا عليه من الكفر بها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعدما
لزمهم تلقيه بالقبول لا سيما بعدما كانوا يستفتحون به من قبل فان ذلك قبول له وتمسك به فيكون
الكفر به عند مجيئه نبذا له كانه قيل كتاب الله الذي جاء به فان مجيء الرسول معرب عن مجيء الكتاب
وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه بالكلية مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة
التفات اليه كانهم لا يعلمون جملة حالية اي نبذوه وراء ظهورهم متشبهين بمن لا يعلم فان اريد بهم احبارهم
فالمعنى كانهم لا يعلمونه على وجه الايقان ولا يعرفون ما فيه من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ففيه
ايذان بان علمهم به رصين لكنهم يتجاهلون او كانهم لا يعلمون انه كتاب الله او لا يعلمونه اصلا كما اذا اريد بهم
الكل وفي هذين الوجهين زيادة مبالغة في اعراضهم عما في التوراة من دلائل النبوة هذا وان اريد بما نبذوه
من كتاب الله القرآن فالمراد بالعلم المنفي في قوله تعالى كانهم لا يعلمون هو العلم بانه كتاب الله ففيه ما في الوجه
الاول من الاشعار بانهم متيقنون في ذلك وانما يكفرون به مكابرة وعنادا قيل ان جيل اليهود اربع فرق
ففرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم بقوله عز وجل بل
اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ العهود وتعدي الحدود تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله تعالى
نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوها لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة
تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على جواب لما اي نبذوا
كتاب الله واتبعوا كتب السحرة التي كانت تقرؤها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلو حكاية حال ماضية والمراد
بالاتباع التوغل والتمحض فيه والاقبال عليه بالكلية والا فاصل الاتباع كان حاصلا قبل مجيء الرسول
صلى الله عليه وسلم فلا يتسنى عطفه على جواب لما ولذلك قيل هو معطوف على الجملة وقيل على اشربوا
على ملك سليمان اي في عهد ملكه قيل كانت الشياطين يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها
ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل

ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الانس والجن والطير
والريح التي تجري بامره وقيل ان سليمان عليه السلام كان قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله بها تحت سرير
ملكه فلما مضت على ذلك مدة توصل اليه قوم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك اشياء من فنون السحر تناسب
تلك الاشياء المدفونة من بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموهم انه من عمل سليمان عليه السلام وانه ما بلغ
هذا المبلغ الا بسبب هذه الاشياء وما كفر سليمان تنزيه لساحته عليه السلام عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بانه كان
يعتقده ويعمل به والتعرض لكونه كفرا للمبالغة في اظهار نزاهته عليه السلام وكذب باهتيه بذلك ولكن الشياطين وقرئ
بتخفيف لكن ورفع الشياطين والواو عاطفة للجملة الاستدراكية على ما قبلها وكون المخففة عند الجمهور للعطف انما هو عند
عدم الواو وكون ما بعدها مفردا كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة في محل
النصب على الحالية من ضمير كفروا او من الشياطين فان ما في لكن من رائحة الفعل كاف في العمل في الحال او في محل الرفع على انه
خبر ثان للكن او بدل من الخبر الاول وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار التعليم وتجدده او جملة مستأنفة على
تقدير كون الضمير للشياطين واما على تقدير رجوعه الى فاعل اتبعوا فهي اما حالية منه واما استئنافية فحسب واعلم ان السحر
انواع منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها هي المدبرة لهذا العالم
ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية
وهم الذين بعث الله تعالى ابراهيم عليه السلام لابطال مقالتهم وهم ثلث فرق ففرقة منهم يزعمون ان الافلاك والنجوم واجبة الوجود
لذواتها وهم الصابئة وفرقة يقولون بالهية الافلاك ويتخذون لكل واحد منها هيكلا ويشتغلون بخدمتها
وهم عبدة الاوثان وفرقة اثبتوا للافلاك والكواكب فاعلا مختارا لكنهم قالوا انه اعطاها قوة عالية نافذة في
هذا العالم وفوض تدبيره اليها ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية فانهم يزعمون ان الانسان يبلغ روحه
بالتصفية في القوة والتاثير بحيث يقدر على الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وتغيير البنية والشكل
ومنها سحر من يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخيلات الآخذة بالعيون وتسمى
الشعوذة ولا خلاف بين الامة في ان من اعتقد الاول فقد كفر وكذا من اعتقد الثاني وهو سحر اصحاب الاوهام والنفوس
القوية واما من اعتقد ان الانسان يبلغ بالتصفية وقراءة العزائم والرقى الى حيث يخلق سبحانه وتعالى عقيب ذلك
على سبيل جريان العادة بعض الخوارق فالمعتزلة اتفقوا على انه كافر لانه لا يمكنه بهذا الاعتقاد معرفة صدق
الانبياء والرسل بخلاف غيرهم ولعل التحقيق ان ذلك الانسان ان كان خيرا متشرعا في كل ما يأتي ويذر وكان من
يستعين به من الارواح الخيرة وكانت عزائمه ورقاه غير مخالفة للاحكام الشرعية ولم يكن فيما ظهر في يده من الخوارق
ضرر شرعي لاحد فليس ذلك من قبيل السحر وان كان شريرا غير متمسك بالشريعة الشريفة فظاهر ان من يستعين به من
الارواح الخبيثة الشريرة لا محالة ضرورة امتناع تحقق التضام والتعاون بينهما من غير اشتراك في الخبث
والشرارة فيكون كافرا قطعا واما الشعوذة وما يجري مجراها من اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتيب الآلات
الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الادوية والاحجار فاطلاق السحر عليها بطريق التجوز ولما
فيها من الدقة لانه في الاصل عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفي سببه او من الصرف عن الجهة المعتادة لما انه في
اصل اللغة الصرف على ما حكاه الازهري عن الفراء ويونس وما انزل على الملكين عطف على السحر اي ويعلمونهم
ما انزل عليهما والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او هو نوع اقوى منه او على ما تتلوا وما بينهما اعتراض

أي واتبعوا ما أنزل على الملكين وهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس كما ابتلي قوم طالوت بالنهر أو تمييزا بينه
وبين المعجزة لئلا يغتر به الناس أو لأن السحر كثر في ذلك الزمان واستنبطت أبواب غريبة من السحر وكانوا يدعون
النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة أولئك الكذابين وإظهار أمرهم على الناس
وأما ما يحكى من أن الملائكة عليهم السلام لما رأوا ما يصعد من ذنوب بني آدم عيروهم وقالوا لله سبحانه هؤلاء الذين اخترتهم
لخلافة الأرض يعصونك فيها فقال عز وجل لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لعصيتموني قالوا سبحانك ما ينبغي لنا أن نعصيك
قال تعالى فاختاروا من خياركم ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلحهم وأعبدهم فأهبطا إلى الأرض بعدما
ركب فيهما ما ركب في البشر من الشهوة وغيرها من القوى ليقضيا بين الناس نهارا ويعرجا إلى السماء مساء وقد نهيا عن
الإشراك والقتل بغير الحق وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهم نهارا فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم فصعدا
إلى السماء فاختصمت إليهما ذات يوم امرأة من أجمل النساء تسمى زهرة وكانت من لخم وقيل كانت من أهل فارس ملكة في
بلدها وكانت خصومتها مع زوجها فلما رأياها افتتنا بها فراوداها عن نفسها فأبت فألحا عليها فقالت لا إلا
أن تقضيا لي على خصمي ففعلا ثم سألاها ما سألا فقالت لا إلا أن تقتلاه ففعلا ثم سألاها ما سألا فقالت لا
إلا أن تشربا الخمر وتسجدا للصنم ففعلا كلا من ذلك بعدما تمنيا ثم سألاها ما سألا فقالت لا إلا أن تعلماني
ما تصعدان به إلى السماء فعلماها الاسم الأعظم فدعت به وصعدت إلى السماء فمسخها الله سبحانه كوكبا فهما
بالعروج حسب عادتهما فلم تطعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما وكان في عهد إدريس عليه السلام فالتجآ إليه ليشفع لهما
ففعل فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا الأول لانقطاعه عما قليل فهما معذبان ببابل قيل
معلقان بشعورهما وقيل منكوسان يضربان بسياط الحديد إلى قيام الساعة فمما لا تعويل عليه لما أن مداره
رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لأدلة العقل والنقل ولعله من مقولة الأمثال والرموز التي قصد بها إرشاد
اللبيب الأديب بالترغيب والترهيب وقيل هما رجلان سميا ملكين لصلاحهما ويعضده قراءة الملكين بالكسر ببابل
الباء بمعنى في وهي متعلقة بأنزل أو بمحذوف وقع حالا من الملكين أو من الضمير في أنزل وهي بابل العراق وقال ابن مسعود
رضي الله عنه بابل أرض الكوفة وقيل جبل دماوند ومنع الصرف للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت
بمعنى الكسر لانصرفا وأما من قرأ الملكين بكسر اللام أو قال كانا رجلين صالحين فقال هما اسما رجلين وقيل هما اسما قبيلتين
من الجن هما البدل من الملكين والكسر وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من أحد من مزيدة في المفعول به لإفادة
تأكيد الاستغراق الذي يفيده أحد لا لإفادة نفس الاستغراق كما في قولك ما جاءني من رجل وقرئ يعلمان من الإعلام
حتى يقولا إنما نحن فتنة الفتنة الاختبار والامتحان وإفرادها مع تعددهما لكونها مصدرا وحملها عليهما
مواطأة للمبالغة كأنهما نفس الفتنة والقصر لبيان أنه ليس لهما فيما يتعاطيانه شأن سواها لينصرف الناس
عن تعلمه أي وما يعلمان ما أنزل عليهما من السحر أحدا من طالبيه حتى ينصحاه قبل التعليم ويقولا له إنما نحن فتنة
وابتلاء من الله عز وجل فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته كفر ومن توقى عن العمل به أو اتخذه ذريعة للاتقاء
عن الاغترار بمثله بقي على الإيمان فلا تكفر باعتقاد حقيته وجواز العمل به والظاهر أن غاية النفي ليست
هذه المقالة فقط بل من جملتها التزام المخاطب بموجب النهي لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام في بيان اعتناء
الملكين بشأن النصح والإرشاد والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير يعلمان أو معطوفة عليه كما قيل
أي ولكن الشياطين يعلمون الناس ما أنزل على الملكين ويحملونهم على العمل به إغواء وإضلالا والحال أنهما ما يعلمان

ما يعلمان من أحد حتى ينهياه عن العمل به والكفر بسببه وأما ما قيل من أن ما في قوله تعالى وما أنزل نافية والجملة معطوفة
على قوله تعالى وما كفر سليمان جيء بها لتكذيب اليهود في القصة أي لم ينزل على الملكين إباحة السحر وأن هاروت
وماروت بدل من الشياطين على أنهما قبيلتان من الجن خصا بالذكر لأصالتهما وكونهما في الشياطين أتباعهما أو أن
المعنى ما يعلمان أحدا حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيكون من قبيل فيأباه أن مقام وصف الشياطين بالكفر
وإضلال الناس جهة الابتلاء غير وصفهم وشأنهم بأن ذكر من النهي عن الكفر مع ما فيه من الإخلال بنظام الكلام
فإن الإبدال في حكم تنحية المبدل منه فيتعلمون منهما عطف على الجملة المنفية فإنها في قوة المثبتة كأنه قيل يعلمانهم
بعد قولهما إنما نحن فتنة والضمير لما دل عليه أحد حملا على المعنى كما في قوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين ما يفرقون به
أي بسببه وباستعماله بين المرء وزوجه قرئ بضم الميم وكسرها مع الهمزة وبتشديد الراء بلا همزة من زوجه بأن يحدث الله
بينهما التباغض والفرك والنشوز عندما فعلوا ما فعلوا من السحر على حسب جري العادة الإلهية من خلق المسببات
عقيب حصول الأسباب العادية ابتلاء لأن السحر هو المؤثر في ذلك وقيل فيتعلمون منهما ما يعلمون به فراق الناس
فيعتقدون أنه حق فيكفرون فتبين أزواجهم وما هم بضارين به أي بما تعلموه واستعملوه من السحر من أحد أي أحدا من
حيث لما ذكر في قوله تعالى وما يعلمان من أحد والمعهود وإن كان زيادتها في معمول فعل منفي إلا أنه حملت الاسمية
في ذلك على الفعلية كأنه قيل وما يضرون به من أحد إلا بإذن الله لأنه وغيره من الأسباب بمعزل من التأثير
بالذات وإنما هو بأمره تعالى أي إذا استعملهم السحر فعلا من أفعاله ابتلاء وقد لا يحدثه والاستثناء مفرغ والباء متعلقة
بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين أو من مفعوله وإن كان نكرة لاعتمادها على النفي أو الضمير المجرور في به أي وما
يضرون به أحدا إلا مقرونا بإذن الله تعالى وقرئ بضاري على الإضافة بجعل الجار جزءا من المجرور والفصل
ما بين المضافين بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لأنهم يقصدون به العمل أو لأن العلم يجر إلى العمل غالبا ولا ينفعهم
صرح بذلك إيذانا بأنه ليس من الأمور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر بحت وضرر محض لأنهم لا يقصدون
به التخلص عن الاغترار بأكاذيب من يدعي النبوة مثلا من السحرة أو تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع في الجملة
وفيه أن الاجتناب عما لا يؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن أن تجر إلى الغواية وإن قال من قال
عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولقد علموا أي اليهود الذين حكيت جناياتهم
لمن اشتراه أي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام الأولى جواب قسم محذوف والثانية لام الابتداء
علق به علموا عن العمل ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتها وقوله تعالى ما له في الآخرة
من خلاق أي من نصيب جملة من مبتدأ وخبر ومن مزيدة في المبتدأ وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا منه
ولو أخر عنه لكان صفة له والتقدير من خلاق في الآخرة وهذه الجملة في محل الرفع على أنها خبر للموصول
والجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا إن جعل متعديا إلى اثنين أو مفعوله الواحد إن جعل متعديا
إلى واحد فجملة ولقد علموا لا محل لها مقسم عليها دون جملة لمن اشتراه هذا ما عليه الجمهور وهو مذهب سيبويه
وقال الفراء وتبعه أبو البقاء إن اللام الأخيرة موطئة للقسم ومن شرطية مرفوعة بالابتداء واشتراه
خبرها وما له في الآخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط محذوف اكتفاء عنه بجواب القسم لأنه إذا اجتمع
الشرط والقسم يجاب سابقهما غالبا فحينئذ يكون الجملتان مقسما عليهما ولبئس ما شروا به أنفسهم أي باعوها واللام
جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف أي وبالله لبئس ما باعوا به أنفسهم السحر أو الكفر وفيه إيذان

نفذ يحدث عند م

بانهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد عرضوا انفسهم للهلكة وباعوها بما لا يزيدهم الا تبارا وتجويز
كون الشراء بمعنى الاشتراء مما لا سبيل اليه لان المشترى متعين وهو ما تتلوا الشياطين ولان متعلق الذم هو الاخذ
لا المنبوذ كما اشير اليه في تفسير قوله تعالى بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله لو كانوا يعلمون اى يعملون
بعلمهم جعلوا غير عالمين لعدم عملهم بموجب علمهم او لو كانوا يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على التعيين وحقيقة
ما يتبعه من العذاب على ان المثبت لهم اولا على التوكيد القسمى العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل
او ترتب العقاب من غير تحقيق وجواب لو محذوف اى لما فعلوا ما فعلوا ولو انهم آمنوا اى بالرسول الموحى اليه في
قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الخ او بما انزل اليهم من الآيات المذكورة في قوله تعالى لقد انزلنا اليك
آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون او بالتوراة التى اريدت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب
كتاب الله وراء ظهورهم فان الكفر بالقرآن والرسول عليه السلام كفر بها واتقوا المعاصي المحكية عنهم لمثوبة
من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا انفسهم فحذف الفعل وغير السبك
الى ما عليه النظم الكريم دلالة على ثبات المثوبة لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان
ينسب اليه وتنكير المثوبة للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة تشريفية لمثوبة اى لشيء ما من المثوبة
كائنة من عنده تعالى خير وقيل جواب لو محذوف اى لاثيبوا وما بعده جملة مستانفة فان وقوع الجملة الاسمية
جوابا للو غير معهود في كلام العرب وقيل لو للتمنى ومعناه انهم من فظاعة الحال بحيث يتمنى العارف
ايمانهم واتقاءهم تلهفا عليهم وقرئ لمثوبة وانما سمى الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا
يعلمون ان ثواب الله خير نسبوا الى الجهل لعدم العمل بموجب العلم يا ايها الذين آمنوا خطاب للمؤمنين فيه
ارشادهم الى الخير واشارة الى بعض آخر من جنايات اليهود لا تقولوا راعنا المراعاة المبالغة في الرعى
وهو حفظ الغير وتدبير اموره وتدارك مصالحه وكان المسلمون اذا القى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئا من العلم يقولون راعنا يا رسول الله اى راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه وكانت
لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها فيما بينهم وهى راعينا قيل معناها اسمع لا سمعت فلما سمعوا بقول المؤمنين
ذلك افترصوه واتخذوه ذريعة الى مقصدهم فجعلوا يخاطبون به النبى صلى الله عليه وسلم يعنون به تلك المسبة
او نسبته عليه الصلاة والسلام الى الرعن وهو الحمق والهوج روى ان سعد بن عبادة رضى الله عنه سمعها منهم فقال
يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذى نفسى بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن
عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت الآية ونهى فيها المؤمنون عن ذلك قطعا لالسنة اليهود عن التدليس وامروا
بما في معناه ولا يقبل التلبيس فقيل وقولوا انظرنا اى انظر الينا بالحذف والايصال او انتظرنا على انه من نظره اذا
انتظره وقرئ انظرنا من النظرة اى امهلنا حتى نحفظ وقرئ راعونا على صيغة الجمع للتوقير وراعنا على صيغة الفاعل
اى قولا ذا رعن كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا للسب اتصف بالرعن واسمعوا واحسنوا سماع
ما يكلمكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقى عليكم من المسائل بآذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى
الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا ما كلفتموه من النهى والامر بجد واعتناء حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه
او واسمعوا سماع طاعة وقبول ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا وللكافرين
اى اليهود الذين توسلوا بقولكم المذكور الى الكفر بآياتهم وجعلوه سببا للتهاون برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا

وقالوا له ما قالوا عذاب اليم لما اجترؤوا عليه من العظيمة وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع تحذير
للمخاطبين عما نهوا عنه ما يود الذين كفروا الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما وفيه كناية عن الكراهة
ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لعدم ودهم ولعل تعلقه بما قبله من حيث ان
القول المنهى عنه كثيرا ما كان يقع عند تنزيل الوحى المعبر عنه في هذه الآية بالخير فكانها اشير الى ان سبب تحريفهم
له الى ما حكى عنهم لوقوعه في اثناء حصول ما يكرهونه من تنزيل الخير وقيل كان فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين
محبة ويزعمون انهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم في ذلك ومن في قوله تعالى من اهل الكتاب ولا المشركين
للتبيين كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لتاكيد النفى ان ينزل عليكم في محل النصب
على انه مفعول يود وبناء الفعل للمفعول للثقة بتعين الفاعل والتصريح به في الآتى وقوله تعالى من خير هو القائم مقام
فاعله ومن مزيدة للاستغراق والنفى وان لم يباشره ظاهرا لكنه منسحب عليه معنى والخير الوحى وحمله على ما يعم غيره
من العلم والنصرة كما قيل يأباه وصفه فيما سيأتى بالاختصاص وتقديم الظرف عليه مع ان حقه التأخر عنه لاظهار
كمال العناية به لانه المدار لعدم ودهم ومن في قوله تعالى من ربكم ابتدائية والتعرض لعنوان الربوبية للاشعار بعلية
لتنزيل الخير والاضافة الى ضمير المخاطبين لتشريفهم وليست كراهتهم لتنزيله على المخاطبين من حيث تعبدهم بما فيه
وتشرفهم بذلك لسعادة الدارين كيف لا وهم من تلك الحيثية من جملة من نزل عليهم الخير بل من حيث وقوع ذلك
التنزيل على النبى صلى الله عليه وسلم وصيغة الجمع للايذان بان مدار كراهتهم ليس معنى خاصا بالنبى صلى الله عليه
وسلم بل وصف مشترك بين الكل وهو الخلو عن الدراسة عند اليهود وعن الرياسة عند المشركين والمعنى انهم يرون
انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم ويكرهون ان ينزل عليكم شيء من الوحى اما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب
وابناء الانبياء الناشئون في مهابط الوحى وانتم اميون واما المشركون فادلالا بما كان لهم من الجاه والمال زعما منهم
ان رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذلك قالوا لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم ولما كان اليهود بهذا الدأب استمر ابتلائهم في اثناء ذكر ابتلائهم بما يلوح من نفى ودادتهم
لما ذكر نفى وداده المشركين ايضا من بين كلمة لا لتاكيد النفى والله يختص برحمته جملة ابتدائية سيقت لتقرير
ما سبق من تنزيل الخير والتنبيه على حكمته وارغام الكارهين له والمراد برحمته الوحى كما في قوله سبحانه اهم يقسمون رحمة
ربك عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين بالخير وباعتبار اضافته اليه تعالى بالرحمة قال على رضى الله عنه بنبوته
خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم فالفعل متعد وصيغة الافتعال للانباء عن الاصطفاء وايثاره على التنزيل المناسب
للسباق الموافق لقوله تعالى ان ينزل الله من فضله على من يشاء لزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم واقناطهم مما علقوا
اطماعهم الفارغة والباء داخلة على المقصور اى يؤتى رحمته من يشاء من عباده ويجعلها مقصورة عليه لاستحقاقه
الذاتى الفائض عليه بحسب ارادته عز وعلا تفضلا لا يتعداه الى غيره وقيل الفعل لازم ومن يشاء فاعله والضمير
العائد الى من محذوف على التقديرين وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه ايذان
بان ايتاء النبوة من فضله العظيم كقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا وان حرمان بعض من ذلك ليس لضيق ساحة فضله
بل لمشيئته الجارية على سنن الحكمة البالغة وتصدير الجملتين بالاسم الجليل للايذان بفخامة مضمونهما وكون كل منهما
مستقلة بشأنها فان الاضمار في الثانية منبئ عن توقفها على الاولى ما ننسخ من آية او ننسها كلام مستانف مسوق
لبيان سر النسخ الذى هو فرد من افراد تنزيل الوحى وابطال مقالة الطاعنين فيه اثر تحقيق حقية الوحى ورد كلام الكارهين

لهم أيضاً قيل نزلت حين قال المشركون أو اليهود ألا ترون إلى محمد عليه السلام يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر
بخلافه والنسخ في اللغة الإزالة والنقل يقال نسخت الريح الأثر أي أزالته ونسخت الكتاب أي نقلته ونسخ الآية
بيان انتهاء التعبد بقراءتها أو بالحكم المستفاد منها أو بهما جميعاً وإنساؤها إذهابها من القلوب وما شرطية جازمة
لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرئ ننسخ من أنسخ أي نأمرك أو جبريل بنسخها أو نجدها منسوخة وننسأها
من النسء أي نؤخرها وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم مبنياً للفاعل وللمفعول
وقرئ ما ننسخ من آية أو ننسكها وقرئ ما ننسك من آية أو ننسخها والمعنى أن كل آية نذهب بها على ما تقتضيه
الحكمة والمصلحة من إزالة لفظها أو حكمها أو كليهما معاً إلى بدل أو إلى غير بدل نأت بخير منها أي نوع آخر هو
خير للعباد بحسب الحال في النفع والثواب من الذاهبة وقرئ بقلب الهمزة ألفاً أو مثلها أي فيما ذكر من النفع والثواب وهذا
الحكم غير مختص بنسخ الآية التامة فما فوقها بل جار فيما دونها أيضاً وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب والنص
كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتنزيل الآيات التي عليها يدور فلك الأحكام الشرعية إنما هو بحسب ما يقتضيه
من الحكم والمصالح وذلك يختلف باختلاف الأحوال ويتبدل حسب تبدل الأشخاص والأعصار كأحوال المعاش فرب
حكم يقتضيه الحكمة في حال تقتضي في حال أخرى نقيضه فلو لم يجز النسخ لاختل ما بين الحكمة والأحكام من النظام
ألم تعلم الهمزة للتقرير كما في قوله سبحانه أليس الله بكاف عبده وقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك والخطاب للنبي عم
وقوله تعالى أن الله على كل شيء قدير ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور ومسد مفعوله الأول والثاني محذوف
عند الأخفش والمراد بهذا التقرير الاستشهاد بعلمه بما ذكر على قدرته تعالى على النسخ وعلى الإتيان بما هو خير من
المنسوخ وبما هو مثله لأن ذلك من جملة الأشياء المقهورة تحت قدرته سبحانه فمن علم شمول قدرته تعالى لجميع
الأشياء علم قدرته على ذلك قطعاً والالتفات بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة والإشعار بمناط
الحكم فإن شمول القدرة لجميع الأشياء من أحكام الألوهية وكذا الحال في قوله عز سلطانه ألم تعلم أن الله
له ملك السموات والأرض فإن عنوان الألوهية مدار أحكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك
السموات والأرض مبتدأ والجملة خبر لأن وإيثاره على أن يقال أن لله ملك السموات والأرض لقصد التقوي الحكم
بتكرير الإسناد وهو إما تكرير للتقرير وإعادة للاستشهاد على ما ذكر وإنما لم يعطف على ما في حيزها على ما سبق
من مثلها روماً لزيادة التأكيد وإشعاراً باستقلال العلم بكل منهما وكفايته في الوقوف على ما هو المقصود وإما
تقرير مستقل للاستشهاد على قدرته تعالى على جميع الأشياء أي ألم تعلم أن الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر
المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما إيجاداً وإعداماً وأمراً ونهياً حسبما تقتضيه مشيئته لا معارض
لأمره ولا معقب لحكمه فمن هذا شأنه كيف يخرج عن قدرته شيء من الأشياء وقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي
ولا نصير معطوف على الجملة الواقعة خبراً لأن داخل معها تحت تعلق العلم المقرر وفيه إشارة إلى تعلق الخطاب
السابق بالأمة أيضاً وإنما أفرده صلى الله عليه وسلم بهما لما أن علومهم مستندة إلى علمه عليه الصلاة والسلام
ووضع الاسم الجليل موضع الضمير الراجع إلى اسم أن لتربية المهابة والإيذان بمقارنة الولاية والنصرة للقوة والعزة
والمراد به الاستشهاد بما تعلق به من العلم على تعلق إرادته تعالى بما ذكر من الإتيان بما هو خير من المنسوخ أو بمثله
فإن مجرد قدرته تعالى على ذلك لا يستدعي حصوله البتة وإنما الذي يستدعيه كونه تعالى مع ذلك ولياً ونصيراً لهم
فمن علم أنه تعالى وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعاً أنه لا يفعل به إلا ما هو خير له فيفوض أمره إليه تعالى

تعالى ولا يخطر بباله ريبة في أمر النسخ وغيره أصلاً والفرق بين الولي والنصير أن الولي قد يضعف عن النصرة
والنصير قد يكون أجنبياً من المنصور فبينهما عموم من وجه وما إما تميمية لا عمل لها ولكم خبر مقدم ومن ولي مبتدأ مؤخر زيدت فيه كلمة
من للاستغراق وإما حجازية ولكم خبرها المنصوب عند من يجيز تقديمه واسمها من ولي ومن مزيدة لما ذكر ومن دون
الله في حيز النصب على الحالية من اسمها لأنه في الأصل صفة له فلما قدم انتصب حالاً ومعناه سوى الله والمعنى
أن قضية العلم بما ذكر من الأمور الثلاثة هو الجزم والإيقان بأنه تعالى لا يفعل بهم في أمر من أمور دينهم أو دنياهم
إلا ما هو خير لهم والعمل بموجبه من الثقة به والتوكل عليه وتفويض الأمر إليه من غير إصغاء إلى أقاويل الكفرة و
تشكيكاتهم التي من جملتها ما قالوا في أمر النسخ وقوله تعالى أم تريدون تجريد للخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم
وتخصيص له بالمؤمنين وأم منقطعة ومعنى بل فيها الإضراب والانتقال عن حملهم على العمل بموجب علمهم بما ذكر عند ظهور
بعض مخايل المساهلة منهم في ذلك وأمارات التأثر من أقاويل الكفرة إلى التحذير من ذلك ومعنى الهمزة إنكار وقوع الإرادة
منهم واستبعاده لما أن قضية الإيمان وازعة عنها وتوجيه الإنكار إلى الإرادة دون متعلقها للمبالغة في إنكاره
واستبعاده ببيان أنه مما لا يصدر عن العاقل إرادته فضلاً عن صدوره نفسه والمعنى بل أتريدون أن تسألوا
وأنتم مؤمنون رسولكم وهو في تلك الرتبة من علو الشأن وتقترحوا عليه ما تشتهون غير واثقين في أموركم
بفضل الله تعالى حسبما يوجبه قضية علمكم بشؤونه سبحانه قيل لعلهم كانوا يطلبون منه عليه السلام بيان تفاصيل
الحكم الداعية إلى النسخ وقيل سأله عليه السلام قوم من المسلمين أن يجعل لهم ذات أنواط كما كانت للمشركين وهي شجرة
كانوا يعبدونها ويعلقون عليها المأكول والمشروب عن قوله تعالى كما سئل موسى مصدر تشبيهي أي نعت لمصدر
مؤكد محذوف وما مصدرية أي سؤالاً مشبهاً بسؤال موسى حين قيل له اجعل لنا إلهاً وأرنا الله جهرة وغير ذلك
ومقتضى الظاهر أن يقال كما سأل قوم موسى لأن المشبه هو المصدر من المبني للفاعل أعني سائلية المخاطبين لا من المبني
للمفعول أعني مسؤولية الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تشبه بمسؤولية موسى عم فلعله أريد التشبيه فيهما معاً لكنه
أوجز النظم فذكر في جانب المشبه السائلية وفي جانب المشبه به المسؤولية واكتفي بما ذكر في كل موضع عما ترك في الموضع
الآخر كما ذكر في قوله تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله وقد جوز
أن يكون ما موصولة على أن العائد محذوف أي كالسؤال الذي سئله موسى عم وقوله تعالى من قبل متعلق بسئل
جيء به للتأكيد وقرئ سيل بالياء وكسر السين وتسهيل الهمزة بين بين ومن يتبدل الكفر أي يختره ويأخذ لنفسه
بالإيمان بمقابلته بدلاً منه وقرئ ومن يبدل من أبدل وكان مقتضى الظاهر أن يقال ومن يفعل ذلك أي السؤال
المذكور وإرادته وحاصله ومن يترك الثقة بالآيات البينة المنزلة بحسب المصالح التي من جملتها الآيات الناسخة
التي هي خير محض وحق بحت واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل أي عدل وجار من حيث لا يدري عن الطريق
المستقيم الموصل إلى معالم الحق والهدى وتاه في تيه الهوى وتردى في مهاوي الردى وإنما أوثر على ذلك
ما عليه النظم الكريم للتصريح من أول الأمر بأنه كفر وارتداد وأن كونه كذلك أمر واضح غني عن الإخبار به
بأن يقال ومن يفعل ذلك يكفر حقيق بأن يعد من المسلمات ويجعل مقدماً للشرطية روماً للمبالغة في الزجر والإفراط
في الردع وسواء السبيل من باب إضافة الوصف إلى الموصوف لقصد المبالغة في بيان قوة الاتصاف كأنه نفس
السواء على منهاج حصول الصورة في الصورة الحاصلة وقيل الخطاب لليهود حين سألوا أن ينزل الله عليهم
كتاباً من السماء وقيل للمشركين حين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً إلى [illegible]

اليهم على القولين باعتبار انهم من امة الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالايمان وهو بجعل من الايمان تركه صرف قدرتهم
اليه مع تمكنهم من ذلك وايثارهم الكفر عليه . ود كثير من اهل الكتاب . هم رهط من احبار اليهود روي ان فنحاص
بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم
ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض
العهد فيكم قالوا شديد فقال فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود اما هذا
فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة
وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت . لو يردونكم
حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وصيغة الغيبة كما في قوله حلف ليفعلن وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون
لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لود والتقدير ودوا ردكم وقيل هي على حقيقتها وجوابها
محذوف تقديره لو يردونكم كفارا لسروا بذلك . من بعد ايمانكم . متعلق بيردونكم وقوله تعالى . كفارا . مفعول
ثان له على تضمين الرد معنى التصيير اي يصيرونكم كفارا كما في قوله . رمى الحدثان نسوة آل سعد . بمقدار سمدن له
سمودا . فرد شعورهن السود بيضا . ورد وجوههن البيض سودا . وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة
كون المخاطبين مؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال
شناعة ما ارادوه وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته واما لممانعة الايمان
له كانه قيل من بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى . حسدا . علة لود او حال اريد به نعت الجمع
اي حاسدين لكم والحسد الاسف على الخير عند الغير . من عند انفسهم . متعلق بود اي ودوا ذلك من قبل شهوتهم
وحظوظ انفسهم لا من قبل التدين والميل مع الحق ولو على زعمهم او بحسدا اي حسدا منبعثا من اصل نفوسهم بالغا اقصى
مراتبه . من بعد ما تبين لهم الحق . بالمعجزات الساطعة وبما عاينوا في التوراة من الدلائل وعلموا انكم متمسكون به وهم منهمكون
في الباطل . فاعفوا واصفحوا . العفو ترك المواخذة والعقوبة والصفح ترك التثريب والتانيب . حتى ياتي الله بامره
الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم او الاذن في القتال وعن ابن عباس رضي
انه منسوخ باية السيف ولا يقدح في ذلك ضرب الغاية لانها لا تعلم الا شرعا ولا يخرج الوارد بذلك من
ان يكون ناسخا كانه قيل فاعفوا واصفحوا الى ورود الناسخ . ان الله على كل شيء قدير . فينتقم منهم اذا حان
وان اوانه فهو تعليل لما دل عليه ما قبله . واقيموا الصلوة واتوا الزكوة . عطف على فاعفوا امروا بالصبر
والمداراة واللجا الى الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية . وما تقدموا لانفسكم من خير . كصلوة او صدقة
او غير ذلك اي اي شيء من الخير تقدموه لمصلحة انفسكم . تجدوه عند الله . اي تجدوا ثوابه وقرئ تقدموا من
اقدم . ان الله بما تعملون بصير . فلا يضيع عنده عمل فهو وعد للمؤمنين وقرئ بالياء فهو وعيد للكافرين
وقالوا . عطف على ود والضمير لاهل الكتابين جميعا . لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى . اي قالت
اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة
بان السامع يرد كلا منهما الى قائله ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا وليس المراد بهم اولئك
من اقام اليهودية والنصرانية قبل النسخ والتحريف على وجهها بل نفسهم على ما هم عليه لانهم انما يقولونه لاضلال
المؤمنين وردهم الى الكفر والهود جمع هائد كعوذ جمع عائذ وبزل جمع بازل والافراد في كان باعتبار لفظ

لفظ من والجمع في خبره باعتبار معناه وقرئ الا من كان يهوديا او نصرانيا . تلك امانيهم . جملة معترضة مبينة
لبطلان ما قالوا وتلك اشارة اليه والاماني جمع امنية وهي ما يتمنى كالاعجوبة والاضحوكة والجمع باعتبار صدوره
عن الجميع وقيل فيه حذف مضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم وقيل تلك اشارة اليه والى ما قبله من ان لا ينزل
على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا فيكون قوله تعالى . قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . فانهما
ليسا مما يطلب له البرهان ولا مما يحتمل الصدق والكذب قيل هاتوا اصله آتوا قلبت الهمزة هاء اي احضروا
حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم هذا ما يقتضيه المقام بحسب النظم الجليل والذي
يستدعيه اعجاز التنزيل ان يحمل الامر التبكيتي على طلب البرهان على اصل الدخول الذي يتضمنه دعوى الاختصاص
به فان قوله تعالى . بلى . اثبات من جهته تعالى لما نفوه مستلزم لنفي ما اثبتوه واذ ليس لنا بثبيته مجرد دخول غيرهم الجنة
ولو معهم ليكون النفي مجرد اختصاصهم به مع بقاء اصل الدخول على حاله بل هو اختصاص غيرهم بالدخول كما ستعرفه
باذن الله تعالى ظهر ان المنفي اصل دخولهم وعرض فرضه ان يكون هو الذي كلفوا اقامة البرهان عليه لا اختصاصهم
ليحصل مورد الاثبات والنفي وانما عدل عن ابطال صريح ما ادعوه وسلك هذا المسلك ابانة لغاية حرمانهم مما علقوا به
اطماعهم واظهارا لكمال عجزهم عن اثبات مدعاهم لان حرمانهم من الاختصاص بالدخول وعجزهم عن اقامة البرهان
عليه لا يقتضيان حرمانهم من اصل الدخول وعجزهم عن اثباته واما نفي الدخول فحيث ثبت حرمانهم منه وعجزهم
عن اثباته فهم من الاختصاص به ابعد وعن اثباته اعجز وانما الفاني به من انتظمه قوله سبحانه . بلى من اسلم وجهه
لله . اي اخلص نفسه له تعالى لا يشرك به شيئا عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء ومجمع المشاعر وموضع السجود
ومظهر آثار الخضوع الذي هو من اخص خصائص الاخلاص او توجهه وقصده بحيث لا يلوي عزيمته الى شيء غيره
وهو محسن . حال من ضمير اسلم اي والحال انه محسن في جميع اعماله التي من جملتها الاسلام المذكور وحقيقة الاحسان
الاتيان بالعمل على الوجه اللائق وهو حسنه الوصفي التابع لحسنه الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . فله اجره . الذي وعد له على عمله وهو عبارة عن دخول
الجنة او عما يدخل هو فيه دخولا اوليا واياما كان ففي تصويره بصورة الاجر للايذان بقوة ارتباطه بالعمل
واستحالة نيله بدونه وقوله تعالى . عند ربه . حال من اجره والعامل فيه معنى الاستقرار في الظرف والعندية
للتشريف ووضع اسم الرب مضافا الى ضمير من اسلم موضع ضمير الجلالة لاظهار مزيد اللطف به وتقرير مضمون
الجملة اي فله اجره عند مالكه ومبلغه الى كماله والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة
والفاء لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله تعالى بلى وحده ويجوز ان يكون من فاعلا لفعل مقدر اي بلى يدخلها
من اسلم وقوله فله اجره معطوف على ذلك المقدر وايا ما كان ففيه تعليق ثبوت الاجر بما ذكر من الاسلام والاحسان
المختصين باهل الايمان فاصح بان اولئك المدعين من دخول الجنة بمعزل وعن الاختصاص به بالف منزل . ولا خوف
عليهم . في الدارين من لحوق مكروه . ولا هم يحزنون . من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم
لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والجمع في الضماير الثلثة باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضماير الاول باعتبار اللفظ
وقالت اليهود ليست النصارى على شيء . بيان لتضليل كل فريق صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليله كل من عداه على وجه
العموم نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا فارتفعت
اصواتهم فقالوا لهم لستم على شيء اي امر يعتد به من الدين او على شيء ما اصلا مبالغة في ذلك كما قالوا اقل من لا شيء

وكفروا بعيسى والانجيل. وقالت النصارى ليست اليهود على شيء. على الوجه الذي ذكر وكفروا بموسى والتوراة
لا انهم قالوا ذلك بناء للامر على منسوخية التوراة. وهم يتلون الكتاب. الواو للحال واللام للجنس اي قالوا ما قالوا
والحال ان كل فريق منهم من اهل العلم والكتاب اي كان حق كل منهم ان يعترف بحقية دين صاحبه حسبما ينطق به كتابه
فان كتب الله تعالى متصادقة كذلك. اي مثل ذلك الذي سمعت به والكاف في محل النصب اما على انها نعت
لمصدر محذوف قدم على عامله لافادة القصر اي قولا مثل ذلك القول بعينه لا قولا مغايرا له. قال الذين
لا يعلمون من عبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم من الجهلة اي قالوا لاهل كل دين ليسوا على شيء واما على انها
حال من المصدر المضمر المعرف الدال عليه قال اي قال القول الذين لا يعلمون حال كونه مثل ذلك القول الذي سمعت به.
مثل قولهم اما بدل من محل الكاف واما مفعول للفعل المنفي قبله اي مثل ذلك القول قال الجاهلون بمثل مقالة اليهود
والنصارى وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم اصلا. فالله يحكم بينهم. اي بين
اليهود والنصارى فان سياق النظم لبيان حالهم وانما التعرض لمقالة غيرهم لاظهار كمال بطلان مقالتهم لان
المحاجة المحوجة الى الحكم انما وقعت بينهم. يوم القيامة. متعلق بيحكم وكذا ما قبله وما بعده ولا ضير في ذلك لاختلاف
المعنى. فيما كانوا فيه يختلفون. بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار
والظرف الاخير متعلق بيختلفون قدم عليه للمحافظة على رؤوس الآي لا بكانوا. ومن اظلم ممن منع مساجد الله
انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار
المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان
فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا الحكم عام لكل من فعل ذلك في اي مسجد كان
وان كان سبب النزول فعل طائفة معينة في مسجد مخصوص روي ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس
الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا
وقد نقل عن ابن عباس رضي الله عنه ان طيطوس الرومي ملك النصارى واصحابه غزوا بني اسرائيل
وقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم واحرقوا التوراة وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا
فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في عهد عمر رضي الله عنه على المساجد وان كان الممنوع هو الناس
لما ان فعلهم من طرح الاذى والتخريب ونحوهما متعلق بالمسجد لا بالناس مع كونه على حاله وتعلق الآية
الكريمة بما قبلها من حيث انها مبطلة لدعوى النصارى اختصاصهم بدخول الجنة. وقيل هو منع المشركين
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فتعلقها بما تقدمها من جهة ان المشركين
من جملة الجهلة القائلين لكل من عداهم ليسوا على شيء. ان يذكر فيها اسمه. ثاني مفعولي منع كقوله تعالى وما
منع الناس ان يؤمنوا. وقوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون ويجوز
ان يكون ذلك بحذف الجار معه وان يكون من ذلك مفعولا له اي كراهة ان يذكر فيها اسمه. وسعى
في خرابها. بالهدم والتعطيل بانقطاع الذكر. اولئك المانعون الظالمون الساعون في خرابها. ما كان
لهم ان يدخلوها الا خائفين. اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا عن الاجتراء على
تخريبها او تعطيلها او ما كان الحق ان يدخلوها الا حال التهيب وارتعاد الفرائص من جهة المؤمنين ان
يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها او ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه الا

بالآخرة الا ذلك فيكون وعدا للمؤمنين بالنصر واستخلاص ما استولوا عليه منهم وقد انجز الوعد ولله الحمد
روي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول
في المسجد واختلف الائمة في ذلك فجوزه ابو حنيفة رحمه الله مطلقا ومنعه مالك مطلقا وفرق الشافعي بين
المسجد الحرام وغيره. لهم. اي لاولئك المذكورين. في الدنيا خزي. اي خزي فظيع لا يوصف بالقتل والسبي
والاذلال بضرب الجزية عليهم. ولهم في الآخرة عذاب عظيم. وهو عذاب النار لما ان سببه ايضا وهو
ما حكي من ظلمهم كذلك في العظم وتقديم الظرف في الموضعين للتشويق الى ما يذكر بعده من الخزي والعذاب لما ان تأخير ما
حقه التقديم موجب لتوجه النفس اليه فيتمكن فيها عند وروده فضل تمكن كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك
وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج الى غير ذلك. ولله المشرق والمغرب. اي له كل الارض التي هي عبارة عن ناحيتي
المشرق والمغرب لا يختص به من حيث الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته مكان منها دون مكان فان منعتم من
اقامة العبادة في المسجد الاقصى والمسجد الحرام فاينما تولوا. اي ففي اي مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة
فثم وجه الله. ثم اسم اشارة للمكان البعيد خاصة مبني على الفتح ولا يتصرف سوى الجر بمن وهو خبر مقدم
ووجه الله مبتدأ والجملة في محل الجزم على انها جواب الشرط اي هناك جهته التي امر بها فان امكان التولية غير مختص بمسجد
دون مسجد او مكان دون آخر او فثم ذاته بمعنى الحضور العلمي اي فهو عالم بما يفعل فيه ومثيبكم على ذلك وقرئ
بفتح التاء. والكلام اي فاينما توجهوا القبلة. ان الله واسع. باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده
عليم. بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها والجملة تعليل لمضمون الشرطية وعن ابن عمر رضي الله عنه نزلت في صلوة المسافر
على الراحلة اينما توجهوا وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم وعلى
هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن ان يكون
في جهة. وقالوا اتخذ الله ولدا. حكاية لطرف آخر من مقالاتهم الباطلة المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها
من قوله تعالى وقالت لا على صلة من لما بينهما من الجمل الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود والنصارى ومن شاركهم فيما
قالوا من الذين لا يعلمون وقرئ بغير واو وعلى الاستئناف نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح
ابن الله ومشركوا العرب الملائكة بنات الله. ولدا اتخذ اما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى الا الى واحد واما بمعنى
التصيير والمفعول الاول محذوف اي صير بعض مخلوقاته ولدا. سبحانه. تنزيه وتبرئة له تعالى عما قالوا وسبحان علم
للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي انزهه تنزيها
لائقا به وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل
الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة
في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه اي تنزه
بذاته تنزها حقيقا به ففيه مبالغة من حيث اسناد البراءة الى الذات المقدسة وان كان التنزيه اعتقاد نزاهته
تعالى عما لا يليق به لا اثباتها له تعالى. وقوله تعالى. بل له ما في السموات والارض. رد لما زعموا وتنبيه على بطلانه
وكلمة بل للاضراب عما يقتضيه مقالتهم الباطلة من مجانسته سبحانه وتعالى لشيء من المخلوقات ومن سرعة فنائه
المحوجة الى اتخاذ ما يقوم مقامه فان مجرد الامكان والفناء لا يوجب ذلك الا يرى ان الاجرام الفلكية
مع امكانها وفنائها بالآخرة مستغنية بدوامها وطول بقائها عما يجري مجرى الولد من الحيوان لدى الامر

كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات التي من جملتها عزير والمسيح والملائكة كل له قانتون عوض عن المضاف
اي كل ما فيهما كائنا ما كان من اولي العلم وغيرهم له قانتون منقادون لا يستعصي شيء منهم على تكوينه وتقديره
ومشيئته ومن كان هذا شانه لم يتصور مجانسته لشيء ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد وانما جيء بما المختصة
بغير اولي العلم تحقيرا لشانهم وايذانا بكمال بعدهم عما نسبوا اليه بعض منهم وصيغة جمع العقلاء في قانتون
للتغليب وكل من جعلوه لله ولدا له قانتون اي مطيعون عابدون فيلزم معبودهم لربوبيته تعالى كقوله تعالى
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة. بديع السموات والارض اي مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه
ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبدع نص عليه اساطين اهل اللغة وقد جاء
بدعه كمنعه بمعنى انشاه كابتدعه كما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله امن ريحانة
الداعي السميع وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها للتخفيف بعد نصبه على تشبيهها باسم الفاعل كما
هو المشهور اي بديع سمواته من بدع اذا كان على شكل فائق وحسن رائق وهو حجة اخرى لابطال مقالتهم
الشنعاء تقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها
على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا ورفعه على انه خبر لمبتدا محذوف اي هو بديع الخ وقرئ بالنصب
على المدح وبالجر على انه بدل من الضمير في له على راي من يجوز الابدال من الضمير المجرور كما في قوله على جوده لضن
بالماء حاتم. واذا قضى امرا اي اراد شيئا كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا واصل القضاء الاحكام اطلق
على الارادة الالهية المتعلقة بوجود الشيء لايجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك الآية
فانما يقول له كن فيكون كلاهما من الكون التام اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة الامر والامتثال وانما
هو تمثيل لسهولة تاتي المقدورات بحسب تعلق مشيئته تعالى وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في الباب من طاعة
المامور المطيع للامر القوي المطاع وفيه تقرير لمعنى الابداع وتلويح بحجة اخرى لابطال ما زعموا بان اتخاذ
الولد شان من يفتقر في تحصيل مراده الى مبادي يستدعي ترتيبها مرور زمان وتبدل اطوار وفعله تعالى متعال
عن ذلك. وقال الذين لا يعلمون حكاية لنوع آخر من قبائحهم وهو قدحهم في امر النبوة بعد حكاية قدحهم
في شان التوحيد بنسبة الولد اليه سبحانه وتعالى واختلف في هؤلاء القائلين فقال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود
وقال مجاهد هم النصارى ووصفهم بعدم العلم لعدم علمهم بالتوحيد والنبوة كما ينبغي او لعدم عملهم بموجب
علمهم اولا لان ما يحكى عنهم لا يصدر عمن له شائبة علم اصلا وقال قتادة واكثر اهل التفسير هم مشركو
العرب لقوله تعالى فليأتنا باية كما ارسل الاولون وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا. لولا يكلمنا
الله اي هلا يكلمنا بلا واسطة امرا ونهيا كما يكلم الملائكة او هلا يكلمنا تنصيصا على نبوتك. او تاتينا
آية حجة تدل على صدقك بلغوا من العتو والاستكبار الى حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير
توسط الرسول والملك ومن العناد والمكابرة الى حيث لم يعدوا ما آتاهم من البينات الباهرة التي تخر لها صم الجبال
من قبيل الآيات قاتلهم الله انى يؤفكون. كذلك مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد والفساد
قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم هذا الباطل الشنيع فقالوا ارنا الله جهرة وقالوا
لن نصبر على طعام واحد الآية وقالوا هل يستطيع ربك الخ وقالوا اجعل لنا الها الخ. تشابهت قلوبهم
اي قلوب هؤلاء واولئك في العمى والعناد والا لما تشابهت اقاويلهم الباطلة. قد بينا الآيات اي نزلناها

اي نزلناها بينة بان جعلناها كذلك في انفسها كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل لا انا
بيناها بعد ان لم تكن بينة. لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين ويوقنون بالحقائق لا يعتريهم شبهة ولا ريبة
وهذا رد لطلبهم الآية وفي تعريف الآيات وجمعها وايراد التبيين المفصح عن كمال التوضيح مكان الاتيان الذي
طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى انهم اقترحوا آية فذة ونحن قد بينا الآيات العظام لقوم يطلبون الحق
واليقين وانما لم يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله ايذانا بانه من ظهور البطلان بحيث لا حاجة له الى الرد والجواب
انا ارسلناك بالحق اي متلبسا بالقرآن كما في قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم او بالصدق كما في قوله
تعالى احق هو وقوله تعالى. بشيرا ونذيرا حال من المفعول باعتبار تقييده بالحال الاولى اي ارسلناك متلبسا بالقرآن
حال كونك بشيرا لمن آمن بما انزل عليك وعمل به ونذيرا لمن كفر به او ارسلناك صادقا حال كونك بشيرا
لمن صدقك بالثواب ونذيرا لمن كذبك بالعذاب ليختاروا لانفسهم ما احبوا لا لتقسرهم على الايمان
فلا عليك ان اصروا وكابروا. ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعدما بلغت ما ارسلت به
وقرئ لن تسأل وما تسأل وقرئ لا تسأل على صيغة النهي ايذانا بكمال شدة عقوبة الكفار وتهويلها
كانها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على اجرائها على لسانه ولا يستطيع السامع ان يسمع خبرها
وحمله على نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال ابويه مما لا يساعده النظم الكريم والجحيم المتاجج
من النار وفي التعبير عنهم بصاحبية الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما وعيد شديد لهم وايذان بانهم
مطبوع عليهم لا يرجى منهم الايمان قطعا وقوله تعالى. ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع
ملتهم بيان لكمال شدة شكيمة هاتين الطائفتين خاصة اثر بيان ما يعمهما والمشركين من الاصرار على ما
هم عليه الى الموت وايراد لا النافية بين المعطوفين لتاكيد النفي لما مر من ان تصلب اليهود في امثال هذه
العظائم اشد من النصارى والاشعار بان رضى كل منهما مباين لرضى الاخرى اي لن ترضى عنك اليهود
ولو خليتهم وشانهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم فاوجز النظم ثقة بظهور
المراد وفيه من المبالغة في اقناطه صلى الله عليه وسلم من اسلامهم ما لا غاية وراءه فانهم حيث لم يرضوا عنه
صلى الله عليه وسلم ولو خلاهم يفعلون ما يفعلون بل املوا منه صلى الله عليه وسلم ما لا يكاد يدخل تحت الامكان
من اتباعه صلى الله عليه وسلم ملتهم فكيف يتوهم اتباعهم لملته صلى الله عليه وسلم وهذه حالتهم في انفسهم
ومقالتهم فيما بينهم واما انهم اظهروها للنبي صلى الله عليه وسلم وشافهوه بذلك وقالوا لن نرضى عنك
وان ابلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل على خلافه فان
قوله عز وجل. قل ان هدى الله هو الهدى صريح في انه ما وقع هذا جوابا عنه ليس عين تلك العبارة
بل ما يستلزم مضمونها او يلزم منه من الدعوة الى اليهودية والنصرانية وادعاء ان الاهتداء فيهما كقوله
عز وعلا حكاية عنهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا اي قل ردا عليهم ان هدى الله الذي هو الاسلام
هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون اليه ليس بهدى
بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى. ولئن اتبعت اهواءهم اي آراءهم الزائغة الصادرة عنهم بقضية
شهوات انفسهم وهي التي عبر عنها فيما قبل بملتهم اذ هي التي ينتمون اليها واما ما شرعه الله تعالى لهم من الشريعة
على لسان الانبياء وهو المعنى الحقيقي للملة فقد غيروها تغييرا. بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي او

العلو وصحته «مالكم من دون الله من ولي» يلي امركم عموماً «ولا نصير» يدفع عنكم عقابه وحيث لم يستلزم
نفي الولي نفي النصير وسّط لا بين المعطوفين لتأكيد النفي وهذا من باب التهييج والالهاب والا فاني يتوهم امكان اتباعه
صلى الله عليه وسلم ملتهم وهو جواب للقسم الذي وطأه اللام واكتفي به عن جواب الشرط «الذين آتيناهم الكتاب» هم مؤمنو
اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه «يتلونه حق تلاوته» بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر في معانيه والعمل بما فيه
وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر وما بعده مقرر له «اولئك» اشارة الى الموصوفين بايتاء الكتاب وتلاوته كما هو
حقه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل «يؤمنون به» اي بكتابهم دون المحرفين فانهم بمعزل من الايمان
به فانه لا يجامع الكفر ببعض منه «ومن يكفر به» بالتحريف والكفر بما يصدقه «فاولئك هم الخاسرون» حيث اشتروا
الكفر بالايمان «يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم» ومن جملتها التوراة وذكر النعمة انما يكون بشكرها
وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن جملته نعت النبي صلى الله عليه وسلم ومن ضرورة الايمان بها الايمان به صلى الله
عليه وسلم «واني فضلتكم على العالمين» افردت هذه النعمة بالذكر مع كونها مندرجة تحت النعمة السالفة لانافتها
فيما بين فنون النعم «واتقوا» ان لم تؤمنوا «يوماً لا تجزي» فيه ذلك اليوم «نفس» من النفوس «عن نفس اخرى شيئاً»
من الاشياء او شيئاً من الجزاء «ولا يقبل منها عدل» اي فدية «ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون» وتخصيصهم بتكرير
التذكير واعادة التحذير للمبالغة في النصح وللايذان بان ذلك فذلكة القضية والمقصود من القصة لما ان
نعم الله عز وجل عليهم اعظم وكفرهم بها اشد واقبح «واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات» شروع في تحقيق ان هدى الله
هو ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم من التوحيد والاسلام الذي هو ملة ابراهيم عليه السلام وان ما عليه اهل الكتابين
اهواء زائغة وان ما يدعونه من انهم على ملته عليه السلام فرية بلا مرية ببيان ما صدر عن ابراهيم وابنائه الانبياء
عليهم السلام من الافاعيل والاقاويل الناطقة بحقية التوحيد والاسلام وبطلان الشرك وصحة نبوة النبي
صلى الله عليه وسلم وبكونه ذلك النبي الذي استدعاه ابراهيم واسماعيل عليهما السلام بقولهما ربنا وابعث فيهم
رسولاً منهم الآية واذ منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اي
اذكر لهم وقت ابتلائه عم ليتذكروا بما وقع فيه من الامور الداعية الى التوحيد الوازعة عن الشرك فيقبلوا الحق ويتركوا
ما هم فيه من الباطل وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات قد مر وجهه في
تفسير قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وقيل على الظرفية بمضمر مؤخر اي واذ ابتلاه
كان كيت وكيت وقيل بما سيجيء من قوله تعالى قال الخ والاول هو اللائق بجزالة التنزيل ولا يبعد ان ينتصب بمضمر
معطوف على اذكروا خوطب به بنو اسرائيل ليتأملوا فيما يحكى عمن ينتمون الى ملته من ابراهيم وابنائه عليهم السلام من
الافعال والاقوال فيقتدوا بهم ويسيروا بسيرتهم والابتلاء في الاصل الاختبار اي تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه
لامر يشق عليه غالبا فعله او تركه وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من العليم الخبير
فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين قبل ان يرتب عليه شيئا هو من مباديه العادية كمن يختبر عبده
ليتعرف حاله من الكياسة فيأمره بما يليق بحاله من مصالحه وابراهيم اسم اعجمي قال السهيلي كثيرا ما يقع الاتفاق والتقارب
بين السرياني والعربي الا ترى ان ابراهيم تفسيره اب راحم ولذلك جعل هو وزوجته سارة كافلين لاطفال المؤمنين الذين يموتون
صغارا الى يوم القيامة على ما روى البخاري في حديث الرؤيا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى في الروضة ابراهيم عم
وحوله اولاد الناس وهو مفعول مقدم لاضافة فاعله الى ضميره والتعرض لعنوان الربوبية تشريف له عليه السلام

وايذان بان ذلك الابتلاء تربية له وترشيح لامر خطير والمعنى عامله سبحانه معاملة المختبر حيث كلفه اوامر ونواهي يظهر
بحسن قيامه بحقوقها قدرته على الخروج عن عهدة الامامة العظمى وتحمل اعباء الرسالة وهذه المعاملة وتذكيرها للناس
ليرشدهم الى طريق اتقان الامور ببنائها على التجربة وللايذان بان بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ايضا مبنية على تلك
القاعدة الرصينة واقعة بعد ظهور استحقاقه عليه السلام للنبوة العامة كيف لا وهي التي اجيب بها دعوة ابراهيم عم
كما سيجيء واختلف في الكلمات فقال مجاهد هي المذكورة بعدها فرد بانه يأباه الفاء في فاتمهن ثم الاستئناف وقال طاوس
عن ابن عباس رضي الله عنهما هي عشر خصال كانت فرضا في شرعه وهي سنة في شرعنا خمس في الرأس المضمضة والاستنشاق وفرق
الرأس وقص الشارب والسواك وخمس في البدن الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء
وفي الخبر ان ابراهيم عم اول من قص الشارب واول من اختتن واول من قلم الاظفار وقال عكرمة عن ابن عباس رضي لم يبتل احد
بهذا الدين فاقامه كله الا ابراهيم ابتلاه الله تعالى بثلاثين خصلة من خصال الاسلام عشر منها في سورة براءة التائبون الخ
وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الخ وعشر في المؤمنين وسأل سائل الى قوله عز وجل والذين هم على صلواتهم يحافظون وقيل
ابتلاه الله سبحانه بسبعة اشياء بالشمس والقمر والنجوم والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وقيل
هي محاجته قومه والصلوة والزكوة والصوم والضيافة والصبر عليها وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام
والتعريف وغيرهن وقيل هي قوله عم الذي خلقني فهو يهدين الآيات وقيل انما وقع هذا الابتلاء قبل النبوة وهو الظاهر
وقيل بعدها لانه يقتضي سابقة الوحي واجيب بان مطلق الوحي لا يستلزم البعثة الى الخلق وقرئ برفع ابراهيم ونصب ربه
اي دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن او لا «فأتمهن» اي فقام بهن حق القيام واداهن احسن التأدية من غير
تفريط وتوان كما في قوله تعالى وابراهيم الذي وفى وعلى القراءة الاخيرة فاعطاه الله تعالى ما سأله من غير نقص ويعضده ما
روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سأل ابراهيم ربه بقوله رب اجعل الآيات وقوله عز وجل «قال» على تقدير انتصاب اذ
بمضمر جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الكلام فان الابتلاء تمهيد لامر معظم وظهور فضيلة المبتلى من دواعي
الاحسان اليه فبعد حكايتهما يترقب السامع لما وقع بعدهما كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل «قال اني جاعلك
للناس اماماً» او بيان لقوله تعالى ابتلى على ان المراد بالكلمات عبارة عما ذكر من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده وغير ذلك
وعلى تقدير نصبه بالمضمر المؤخر يكون المجموع جملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة والواو في المعنى داخلة على قال اي
اذ ابتلى الخ والجعل بمعنى التصيير المتعدي الى مفعولين ثانيهما اماما واسم الفاعل بمعنى المضارع واوكد منه لدلالته على انه
جاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وللناس متعلق بجاعل اي لاجل الناس او بمحذوف وقع حالا من اماما اذ
لو تأخر عنه لكان صفة له والامام اسم لمن يؤتم به وكل نبي امام لامته وامامته عم عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان
من ذريته مأموراً باتباع ملته «قال» استئناف مبني على سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال ابراهيم عم عنده فقيل قال «ومن
ذريتي» عطف على الكاف ومن تبعيضية متعلقة بجاعل اي وجاعل بعض ذريتي كما تقول لمن يقول ساكرمك وزيدا او بمحذوف
اي واجعل فريقا من ذريتي اماما وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق وقيل التقدير
وماذا يكون من ذريتي والذرية نسل الرجل فعولة من ذرأ او فعلية من الذر او فعيلة منه والاصل ذريوة او ذريرة فاجتمع في الاولى
واو زائدة واصلية فقلبت الاصلية ياء فصارت كالثانية فاجتمعت واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو
ياء وادغمت الياء في الياء فصارت ذرية او فعلية منهما والاصل في الاولى ذريوة فقلبت الواو ياء لما سبق من اجتماعهما
وسبق احداهما بالسكون فصارت ذريية فادغمت الياء في الياء فصارت ذرية او فعلية من الذرء بمعنى الخلق والاصل ذريئة

تخفيف الهمزة بابدالها ياء كهمزة خطيئة ثم ادغمت الياء الزائدة في المبدلة او فعلية من الذر بمعنى التفريق والاصل ذريرة
قلبت الراء الاخيرة ياء لتوالي الامثال كما في تسري وتقضي وتظني فادغمت الياء في الياء كما مر او فعولة منه والاصل ذرورة
فقلبت الراء الاخيرة ياء فجاء الادغام وقرئ بكسر الذال وهي لغة فيها وقرأ ابو جعفر المدني بالفتح وهي ايضا لغة فيها
قال استئناف مبني [على سؤال] ينساق اليه الذهن كما سبق لا ينال عهدي الظالمين لتحقيق هذا ردا لدعوته عم بل اجابة خفية
لها وعدة اجمالية منه تعالى بتشريف بعض ذريته عم بنيل عهد الامامة حتما وقع في استدعائه عم من غير تعيين لهم بوصف
يميزهم عن جميع من عداهم فان التنصيص على حرمان الظالمين منه بمعزل من ذلك التمييز اذ ليس معناه انه ينال كل من ليس
بظالم منهم ضرورة استحالة ذلك كما اشير اليه ولعل ايثار هذه الطريقة على تعيين الجامعين لمبادي الامامة من ذريته اجمالا
او تفصيلا وارسال الباقين سدى لئلا ينتظم المقتدون بالائمة من الامة في سلك المحرومين وفي تفصيل كل فرقة من الاطناب ما لا يخفى
مع ما في هذه الطريقة من تخييب الكفرة الذين كانوا يتمنون النبوة وقطع اطماعهم الفارغة من نيلها وانما اوثر النيل على الجعل
ايماء الى ان امامة الانبياء من ذريته عم كاسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وايوب
ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وسيدنا محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا ليست بجعل مستقل بل هي حاصلة في
ضمن امامة ابراهيم عم تنال كلا منهم في وقت قدره الله عز وجل وقرئ الظالمون على ان عهدي مفعول قدم على الفاعل
اهتماما ورعاية للفواصل وفيه دليل على عصمة الانبياء عليهم السلام من الكبائر على الاطلاق وعدم صلاحية الظالم
للامامة وقوله تعالى واذ جعلنا البيت اي الكعبة المعظمة غلب عليها غلبة النجم على الثريا معطوف على اذ ابتلى على ان
العامل فيه هو العامل فيه او مضمر مستقل معطوف على المضمر الاول والجعل اما بمعنى التصيير فقوله عز وجل مثابة اي مرجعا
يثوب اليه الزوار بعدما تفرقوا عنه او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره مفعوله الثاني واما بمعنى الابداع
فهو حال من مفعوله واللام في قوله تعالى للناس متعلقة بمحذوف وقع صفة لمثابة اي مثابة كائنة للناس او
بجعلنا اي جعلناه لاجل الناس وقرئ مثابات باعتبار تعدد الثائبين عليه وامنا اي امنا كما في قوله تعالى حرما امنا على ايقاع
المصدر موقع اسم الفاعل للمبالغة او على تقدير المضاف اي ذا امن او على الاسناد المجازي اي امنا من حجه من عذاب الاخرة
من حيث ان الحج يجب ما قبله او من دخله من التعرض له بالعقوبة وان كان جانيا حتى يخرج على ما هو رأي ابي حنيفة ويجوز
ان يعتبر الامن بالقياس الى كل شيء كائنا ما كان ويدخل فيه من الناس دخولا اوليا وقد اعتيد فيه من الصيد حتى ان
الكلب كان يهم بالصيد خارج الحرم فيفر منه وهو يتبعه فاذا دخل الصيد الحرم لم يتبعه الكلب واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلى على ارادة قول هو عطف على جعلنا او حال من فاعله اي وقلنا او قائلين لهم اتخذوا الخ وقيل هو بنفسه معطوف
على الامر الذي يتضمنه قوله عز وجل مثابة للناس كانه قيل ثوبوا اليه واتخذوا الخ وقيل على المضمر العامل في اذ وقيل
هي جملة مستأنفة والخطاب على الوجوه الاخيرة لنبينا عم ولامته والاول هو الاليق بجزالة النظم الكريم والامر محكيا
كان او مفهوما من الحكاية للاستحباب ومن تبعيضية والمقام اسم مكان وهو الحجر الذي عليه اثر قدميه عم والموضع الذي كان
عليه حين قام ودعا الناس الى الحج او حين رفع قواعد البيت وهو موضعه اليوم والمراد بالمصلى اما موضع الصلاة او
موضع الدعاء روي انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عمر رض فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر رض افلا نتخذه مصلى
فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر رض انه صلى الله عليه وسلم
لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان
وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج عرفة والمزدلفة والجمار واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله

الى الله عز وجل وقرئ واتخذوا على صيغة الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم
به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل اي امرناهما امرا موكدا
ان طهرا بيتي بان طهرا على ان ان مصدرية حذف عنها الجار حذفا مطردا لكون صلتها امرا او نهيا كما في
قوله عز وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار كونها فعلا انما هو دلالتها على المصدر وهي متحققة فيهما
ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا يوصف بها الا
اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء
ساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة
الفعلية عن معنى المضي والاستقبال او اي طهرا على ان ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول واضافة البيت
الى ضمير الجلالة للتشريف وتوجيه الامر بالتطهير هاهنا اليهما عليهما السلام لا ينافي ما في سورة الحج من تخصيصه
بابراهيم عم فان ذلك واقع قبل بناء البيت كما يفصح عنه قوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت وكان
اسمعيل عم بمعزل من مثابة الخطاب وظاهر ان هذا بعد بلوغه مبلغ الامر والنهي وتمام البناء بمباشرته كما ينبئ عنه
ايراده اثر حكاية جعله مثابة للناس الخ والمراد تطهيره من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض وغير ذلك
مما لا يليق به للطائفين حوله والعاكفين المجاورين المقيمين عنده او المعتكفين او القائمين في الصلوة كما في
قوله عز وجل للطائفين والقائمين والركع السجود جمع راكع وساجد اي للطائفين والمصلين لان القيام
والركوع والسجود من هيئات المصلي ولتقارب الاخيرين ذاتا وزمانا ترك العاطف بين موصوفيهما اي لاجل
هؤلاء لئلا يغشاه غيرهم وفيه ايماء الى ان ملابسة غيرهم به وان كان مع مقارنة امر مباح من قبيل تلويثه وقد
واذ قال ابراهيم عطف على ما قبله من قوله واذ جعلنا الخ اما بالذات او بعامله المضمر كما مر رب اجعل هذا بلدا امنا
ذا امن كعيشة راضية او امنا اهله كليلة نائم اي اجعل هذا الوادي من البلاد الامنة وكان ذلك اول ما قدم عم مكة
كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عم لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام
تبعته هاجر فجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله امرك بهذا فقال نعم قالت
اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت الاية
وتعريف البلد مع جعله صفة هذا في سورة ابراهيم ان حمل على تعدد السؤال لما انه عم سأل اولا كلا من
البلدية والامن فاستجيب له في احدهما وتأخر الاخر الى وقته المقدر له لما تقتضيه الحكمة الباهرة ثم كرر السؤال
حسبما هو المعتاد في الدعاء والابتهال او كان المسؤول اولا البلدية فقط والامن المصحح للتكوين كما في سائر البلاد
وقد اجيب الى ذلك وثانيا الامن المعهود او كان هو المسؤول اولا ايضا وقد اجيب اليه لكن السؤال الثاني
لاستدامته والاقتصار على سؤال الامن مع جعل البلد صفة هذا لانه المقصد الاصلي او لان المعتاد في البلدية
الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر من ظاهر النظم
فالامر نكرة قد حكى ذلك هاهنا واقتصر هناك على حكاية سؤال الامن اكتفاء عن حكاية سؤال البلدية بحكاية
سؤال جعل افئدة الناس تهوي اليه كما سيأتي تفصيله هناك باذن الله عز وجل وارزق اهله من الثمرات
من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى
انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رض ان الطائف كانت

من أرض فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى فوضعها حيث وضعها من قال الحرم وعن
الزهري انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم عليه السلام من آمن منهم بالله واليوم الآخر
بدل من أهله بدل البعض خصهم بالدعاء اظهارا لشرف الايمان وابانة لخطره واهتماما بشأن أهله ومراعاة
لحسن الأدب وفيه ترغيب لقومه في الايمان وزجر عن الكفر كما أن في حكايته ترغيبا وترهيبا لقريش وغيرهم
من أهل الكتاب قال استئناف مبني على السؤال كما مر مرارا وقوله تعالى ومن كفر عطف على مفعول فعل محذوف
تقديره ارزق من آمن ومن كفر وقوله تعالى فأمتعه معطوف على ذلك الفعل أو في محل رفع بالابتداء وقوله تعالى
فأمتعه خبره أي فأنا أمتعه وانما دخلته الفاء تشبيها له بالشرط والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع المطلق لكنه
يصلح سببا لتقليله وكونه موصولا بعذاب النار وقيل هو عطف على من آمن عطف تلقين كأنه قيل قل وارزق
من كفر فانها أيضا مجابة كأنه عليه السلام قاس الرزق على الامامة فنبهه تعالى على أنه رحمة دنيوية شاملة للبر والفاجر
بخلاف الامامة الخاصة بالخواص وقرئ فأمتعه من أمتع وقرئ فنمتعه قليلا تمتيعا قليلا أو زمانا قليلا ثم اضطره
الى عذاب النار أي ألزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقرئ ثم نضطره على وفق قراءة
فنمتعه وقرئ فأمتعه قليلا ثم اضطره بلفظ الأمر فيهما على أنهما من دعاء ابراهيم عليه السلام وفي قال ضميره وانما فصله عما
قبله لكونه دعاء على الكفرة وتغيير سبكه للايذان بأن الكفر سبب لاضطرارهم الى عذاب النار واما رزق من آمن فانما هو
على طريقة التفضل والاحسان وقرئ بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد في الطاء
وهي لغة مرذولة فان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها بلا عكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف
أي بئس المصير النار أو عذابها واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت عطف على ما قبله من قوله عز وعلا واذ قال
ابراهيم على أحد الطريقين المذكورين في واذ جعلنا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها
العجيبة المنبئة عن المعجزة الباهرة والقواعد جمع قاعدة وهي الأساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله
مجاز من مقابل القيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها لانه ينقلها من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع
والمرتفع حقيقة وان كان هو الذي بني عليها لكنهما لما التأما صارا شيئا واحدا فكأنها نمت وارتفعت وقيل
المراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة لما يبنى عليه ورفعها بناء بعضها على بعض وقيل المراد برفعها رفع
مكانة البيت واظهار شرفه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهامها أولا ثم تبيينها من تفخيم شأنها ما لا يخفى وقيل
المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت واستوطأ يعني يجعل هيئة القاعدة المستوطأة مرتفعة عالية بالبناء
روي أن الله عز وجل أنزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت
لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من أرض الهند اليها ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم
لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام وحج آدم عليه السلام أربعين حجة من أرض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك
الى أن رفعه الله أيام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور وكان موضعه خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام فأمره
سبحانه ببنائه وعرفه جبريل عليه السلام مكانه وقيل بعث الله السكينة لتدله عليه فتبعها ابراهيم عليه السلام حتى أتيا مكة المعظمة
وقيل بعث الله تعالى سحابة على قدر البيت فسار ابراهيم في ظلها الى أن وافت مكة المعظمة فوقفت على موضع البيت
فنودي أن ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة أجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي وأسسه
من حراء وجاءه جبريل عليه السلام بالحجر الأسود من السماء وقيل تمخض أبو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في أيام

الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقال الفاسي في
شفاء الغرام في تاريخ البلد الحرام والذي يتحصل من جملة ما قيل في عدد بناء الكعبة أنها بنيت عشر مرات منها بناء
الملائكة عليهم السلام ذكره النووي في تهذيب الأسماء واللغات والأزرقي في تاريخه وذكر أنه كان قبل خلق آدم
عليه السلام ومنها بناء آدم عليه السلام ذكره البيهقي في دلائل النبوة وروى فيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال بعث الله عز وجل جبريل الى آدم عليهما السلام فقال له ولحواء ابنيا لي بيتا فخط لهما جبريل
فجعل آدم عليه السلام يحفر وحواء تنقل التراب حتى لحقه الماء نودي من تحته حسبك يا آدم فلما بنياه أوحى اليه أن
يطوف به فقيل له أنت أول الناس وهذا أول بيت وهكذا ذكر الأزرقي في تاريخه وعبد الرزاق في مصنفه
ومنها بناء بني آدم عليه السلام بعد ما رفعت الخيمة التي عزى الله تعالى بها آدم وكانت ضربت في موضع البيت فبنى بنوه
مكانها بيتا من الطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم الى أن غرق في عهد نوح عليه السلام ذكره
الأزرقي في سنده الى وهب بن منبه ومنها بناء الخليل عليه السلام وهو منصوص عليه في القرآن مشهور فيما بين قاص وداني
ومنها بناء العمالقة ومنها بناء جرهم ذكرهما الأزرقي في سنده الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومنها بناء قصي بن كلاب
ذكره الزبير بن بكار في كتاب النسب ومنها بناء قريش وهو مشهور ومنها بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما
ومنها بناء الحجاج بن يوسف وما كان من ذلك بناء لكلها بل للجدار من جهة الحجر وقال الحافظ السهيلي ان بناءها
لم يكن في الدهر الا خمس مرات الأولى حين بناها شيث عليه السلام انتهى والله سبحانه أعلم واسمعيل عطف
على ابراهيم ولعل تأخيره عن المفعول للايذان بأن الأصل في الرفع هو ابراهيم واسمعيل تبع له قيل انه كان يناوله
الحجارة وهو يبنيها وقيل كانا يبنيانه من طرفين ربنا تقبل منا على ارادة القول أي يقولان وقد قرئ به على أنه
حال منهما عليهما السلام وقيل على أنه هو العامل في اذ والجملة معطوفة على ما قبلها والتقدير ويقولان
ربنا تقبل منا اذ يرفعان أي وقت رفعهما وقيل واسمعيل مبتدأ خبره قول محذوف وهو العامل في ربنا
تقبل منا فيكون ابراهيم هو الرافع واسمعيل هو الداعي والجملة في محل النصب على الحالية أي واذ يرفع ابراهيم
القواعد والحال أن اسمعيل يقول ربنا تقبل منا والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح
المربوب مع الاضافة الى ضميرهما عليهما السلام لتحريك سلسلة الاجابة وترك المفعول لتعميم مع ذكره في
قوله تعالى ربنا وتقبل دعاء ليعم الدعاء وغيره من القرب والطاعات التي من جملتها ما هما بصدده من البناء كما
يعرب عنه جعل الجملة الدعائية حالية انك أنت السميع لجميع المسموعات التي من جملتها دعاؤنا العليم بكل المعلومات
التي من زمرتها نياتنا في جميع أعمالنا والجملة تعليل لاستدعاء التقبل لا من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائهما عليما
بنياتهما مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نياتهما واخلاصهما في أعمالهما مستدع له بموجب الوعد
تفضلا وتأكيد الجملة لغرض كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر صفتي السمع والعلم عليه تعالى لاظهار اختصاص دعائهما
به تعالى وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية واعلم أن الظاهر أن أول ما جرى من الأمور المحكية هو الابتلاء
وما يتبعه من دعاء البلدية والأمن وما يتعلق به ثم رفع قواعد البيت وما يتلوه ثم جعله مثابة للناس
والأمر بتطهيره ولعل تغيير الترتيب الوقوعي في الحكاية لنظم الشؤون الصادرة عن جنابه تعالى في سلك مستقل ونظم
الأمور الواقعة من جهة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام من الأفعال والأقوال في سلك آخر وأما قوله تعالى ومن كفر
فانما وقع في تضاعيف الأحوال المتعلقة بابراهيم لاقتضاء المقام واستيجاب ما سبق من الكلام ذلك بحيث لم يكن

بد منه أصلاً كما ان وقوع قوله عم ومن ذريتي في خلال كلامه سبحانه كذلك. ربنا واجعلنا مسلمين لك
مخلصين لك او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد وايا ما كان فالمطلوب الزيادة والثبات على ما كان عليه من
الاخلاص والاذعان وقرئ مسلمين على صيغة الجمع بادخال هاجر معهما في الدعاء او لان التثنية من مراتب الجمع
ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصا بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا
صلحوا صلح الاتباع وانما خصا بعضهم لما اعلما ان منهم ظلمة وان الحكمة الالهية لا تقتضي اتفاق الكل على
الاخلاص والاقبال الكلي على الله عز وجل فان ذلك مما يخل امر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا
وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد جوز ان يكون من للتبيين قدمت على المبين وفصل
لها بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى ومن الارض مثلهن والاصل وامة مسلمة كائنة من ذريتنا. وارنا من
الرؤية بمعنى الابصار او بمعنى المعرفة اي بصرنا او عرفنا. مناسكنا اي متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك
في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرئ وارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه
اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرئ بالاختلاس. وتب علينا استتابة لذريتهما
وحكايتها عنهما لترغيب الكفرة في التوبة والايمان او تقويتهما عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما
وارشادا لذريتهما. انك انت التواب الرحيم وهو تعليل للدعاء ومزيد استدعاء للاجابة قيل اذا اراد العبد
ان يستجاب له فليدع الله عز وجل بما يناسبه من اسمائه وصفاته. ربنا وابعث فيهم اي في الامة المسلمة رسولا
منهم اي من انفسهم فان البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبي صلى الله عليه وسلم فهو
الذي اجيب به دعوتهما عليهما السلام روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان فقال عم انا دعوة ابي ابراهيم
وبشرى عيسى ورؤيا امي وتخصيص ابراهيم عليه السلام بالاستجابة لما انه الاصل في الدعاء واسمعيل تبع له
عليهما السلام. يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من البينات. ويعلمهم بحسب قوتهم النظرية الكتاب
اي القرآن والحكمة وما يكمل به نفوسهم من احكام الشريعة والمعارف الحقة. ويزكيهم بحسب قوتهم العملية
اي يطهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصي. انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم الذي لا يفعل
الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل للدعاء واجابة السؤال فان وصف الحكمة مقتض لافاضة ما تقتضيه
الحكمة من الامور التي من جملتها بعث الرسول ووصف العزة مستدع لامتناع وجود المانع بالمرة. ومن يرغب
عن ملة ابراهيم انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن ملته التي هي الحق الصريح والدين الصحيح
اي لا يرغب عن ملته الواضحة الغراء. الا من سفه نفسه اي اذلها واستمهنها واستخف بها وقيل خسر نفسه
وقيل اوبق او اهلك او جهل نفسه قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد في
الخبر الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل معناه ضل من قبل نفسه وقيل اصله سفه نفسه بالرفع فنصب
على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه ونحو قوله ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام وقوله
وما قومي بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا وذلك لانه لما رغب عما لا يرغب عنه احد من العقلاء فقد بالغ
في اذلال نفسه واذلالها واهانتها حيث خالف بها كل نفس عاقلة روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه
سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد
فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر فنزلت. ولقد اصطفيناه

في الدنيا اي اخترناه بالنبوة والحكمة من بين سائر الخلق واصله اتخاذ صفوة الشيء كما ان اصل الاختيار اتخاذ
خيره والكلام جواب قسم محذوف والواو اعتراضية والجملة مقررة لمضمون ما قبلها اي والله لقد اصطفيناه
وقوله تعالى وانه في الآخرة لمن الصالحين اي من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير والصلاح معطوف عليها
داخل في حيز القسم مؤكد لمضمونها مقرر لما تقرره ولا حاجة الى جعله اعتراضا آخر او حالا مقدرة فان من كان
صفوة للعباد في الدنيا مشهودا له بالصلاح في الآخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه او متسفه
اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر والتأمل وايثار الاسمية لما ان انتظامه في زمرة صالحي اهل الآخرة
امر مستمر في الدارين لا انه يحدث في الآخرة والتأكيد بان واللام لما ان الامور الاخروية خفية عند المخاطبين
فحاجتها الى التأكيد اشد من الامور التي تشاهد آثارها وكلمة في متعلقة بالصالحين على ان اللام للتعريف وليست
بموصولة حتى يلزم تقديم بعض الصلة عليها على انه قد يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته حتى
اذا تمعددا كان جزائي بالعصا ان اجلدا او بمحذوف من لفظها اي وانه لصالح في الآخرة لمن الصالحين او من
غير لفظها اي اعني في الآخرة نحو لك بعد رعيا وقيل هي متعلقة باصطفيناه على ان في النظم الكريم تقديما
وتأخيرا تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وانه لمن الصالحين. اذ قال له ربه اسلم ظرف لاصطفيناه لما ان
المتوسط ليس باجنبي بل هو مقرر له لان اصطفاءه في الدنيا انما هو للنبوة وما يتعلق بصلاح الآخرة او تعليل
له او منصوب باذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتقف على انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه
ما نال ما نال الا بالمبادرة الى الاذعان والانقياد لما امر به واخلاص سره على احسن ما يكون حين قال له ربه اسلم
اي لربك. قال اسلمت لرب العالمين وليس الامر على حقيقته بل هو تمثيل والمعنى اخطر بباله دلائل التوحيد المؤدية
الى المعرفة الداعية الى الاسلام من الكواكب والقمر والشمس وقيل اسلم اي اذعن واطع وقيل اثبت على ما انت عليه
من الاسلام والاخلاص واستقم وفوض امورك الى الله تعالى فالامر على حقيقته والالتفات مع التعرض لعنوان الربوبية
والاضافة اليه عم لاظهار مزيد اللطف به والاعتناء بتربيته واضافة الرب في جوابه عم الى العالمين للايذان
بكمال قوة اسلامه عم حيث ايقن حين النظر بشمول ربوبيته للعالمين قاطبة لا لنفسه وحده كما هو المأمور به. ووصى
بها ابراهيم بنيه شروع في بيان تكميله عم لغيره اثر بيان كماله في نفسه وفيه توكيد لوجوب الرغبة في ملته عم والتوصية
التقدم الى الغير بما فيه خير وصلاح للمسلمين من فعل او قول واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا
فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت لرب العالمين بتأويل الكلمة كما عبر بها
عن قوله تعالى انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني في قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه وقرئ اوصى
والاول ابلغ. ويعقوب عطف على ابراهيم اي وصاها هو ايضا بنيه وقرئ بالنصب عطفا على بنيه. يا بني
على اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى عند الكوفيين لانه في معنى القول كما في قوله رجلان من ضبة
اخبرانا انا راينا رجلا عريانا فهو عند الاولين بتقدير القول وعند الآخرين متعلق بالاخبار الذي هو في معنى
القول وقرئ ان يا بني وبنو ابراهيم عم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل
اربعة وعشرين وكان بنو يعقوب اثني عشر روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخور وزبولون
ودان ونفتوني وكودا واوشير وبنيامين ويوسف عليه السلام. ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام
الذي هو صفوة الاديان ولا دين غيره عنده تعالى. فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف

خلاف الإسلام والمقصود الأمر بالثبات على الإسلام إلى حين الموت أي فاثبتوا عليه ولا تفارقوه أبداً كقولك لا تصل إلا
وأنت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على أن موتهم لا على الإسلام موت لا خير فيه وأن حقه أن لا يحل بهم وأنه يجب
أن يحذر غاية الحذر ونظيره مت وأنت شهيد روي أن اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تعلم
أن يعقوب أوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت أم منقطعة مقدرة ببل
والهمزة والخطاب لأهل الكتاب الراغبين عن ملة إبراهيم عليه السلام وشهداء جمع شهيد أو شاهد بمعنى الحاضر وإذ ظرف لشهداء
والمراد بحضور الموت حضور أسبابه وتقديم يعقوب عليه السلام للاهتمام به إذ المراد بيان كيفية وصيته لبنيه بعد ما بين
ذلك إجمالا ومعنى بل الإضراب والانتقال عن توبيخهم على رغبتهم عن ملة إبراهيم عليه السلام إلى توبيخهم على افترائهم على
يعقوب عليه السلام باليهودية حسبما حكي عنهم وأما تعميم الافتراء هاهنا لسائر الأنبياء عليهم السلام كما قيل فيأباه تخصيص
يعقوب عليه السلام بالذكر وما سيأتي من قوله عز وجل أم تقولون إن إبراهيم الخ ومعنى الهمزة إنكار وقوع الشهود عند
احتضاره عليه السلام وتبكيتهم وقوله تعالى إذ قال لبنيه بدل من إذ حضر أي ما كنتم حاضرين عند احتضاره عليه السلام وقوله
لبنيه ما تعبدون من بعدي أي أي شيء تعبدونه بعد موتي فمن أين لكم أن تدعوا عليه عليه السلام ما تدعون رجماً بالغيب
ومعنى هذا تمام التوبيخ والإنكار والتبكيت من تبيين أن الأمر قد جرى حينئذ على خلاف ما زعموا وأنه عليه السلام أراد
بسؤاله ذلك تقرير بنيه على التوحيد والإسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما إذ به يتم وصيته بقوله فلا تموتن
إلا وأنتم مسلمون وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فإذا عرف خص العقلاء بمن إذا سئل عن شيء بعينه وإن سئل عن وصفه
قيل ما زيد أفقيه أم طبيب فقوله تعالى قالوا استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ عن حكاية سؤال يعقوب عليه السلام
كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق حسبما كان من آبائهم
بالسؤال أي نعبد الإله المتفق على وجوده وإلهيته ووجوب عبادته وعد إسماعيل من آبائه تغليباً للأب والجد
لقوله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو أبيه وقوله صلى الله عليه وسلم في العباس هذا بقية آبائي وقرئ أبيك على
أنه جمع بالواو والنون كما في قوله فلما تبين أصواتنا بكين وفديننا بالأبينا وقد سقطت النون بالإضافة أو مفرد
وإبراهيم عطف بيان له وإسماعيل وإسحق معطوفان على أبيك إلهاً واحداً بدل من إله آبائك كقوله تعالى بالناصية
ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور ونصب على
الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد أو من مفعوله أو منهما معاً ويحتمل أن يكون اعتراضاً محققاً
لمضمون ما سبق تلك أمة مبتدأ وخبر والإشارة إلى إبراهيم ويعقوب وبنيهما الموحدين والأمة هي الجماعة التي
تؤمها فرق الناس أي يقصدونها ويقتدون بها قد خلت صفة للخبر أي مضت بالموت وانفردت عمن عداها
وأصله صار إلى الخلاء وهي الأرض التي لا أنيس بها لها ما كسبت جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب أو صفة أخرى
لأمة أو حال من الضمير في خلت فما موصولة أو موصوفة والعائد إليها محذوف أي لها ما كسبته من الأعمال الصالحة
المحكية لا تتخطاها إلى غيرها فإن تقديم المسند يوجب قصر المسند إليه عليه كما هو المشهور ولكم ما كسبتم
عطف على نظيرتها على الوجه الأول وجملة مبتدأة على الوجهين الأخيرين إذ لا رابط فيها ولا تدخل في الصفة
ولا مقارنة في الزمان ولا تدخلها في الحال أي لكم ما كسبتموه لا ما كسبه غيركم فإن تقديم المسند قد يقصد به قصره
على المسند إليه كما قيل في قوله تعالى لكم دينكم ولي دين أي ولي ديني لا دينكم وحمل الجملة الأولى على هذا القصر
معنى أن أولئك لا ينفعهم إلا ما اكتسبوا كما قيل مما لا يساعده المقام إذ لا يتوهم متوهم انتفاعهم بكسب هؤلاء حتى

حتى يحتاج إلى بيان امتناعه وإنما الذي يتوهم انتفاع هؤلاء بكسبهم فبين امتناعه بأن أعمالهم الصالحة مخصوصة بهم لا تتخطاهم
إلى غيرهم وليس لهؤلاء إلا ما كسبوا فلا ينفعهم انتسابهم إليهم وإنما ينفعهم اتباعهم لهم في الأعمال كما قال صلى الله عليه وسلم
يا بني هاشم لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون إن أجري السؤال على ظاهره
فالجملة مقررة لمضمون ما مر من الجملتين تقريراً ظاهراً وإن أريد به مسببه أعني الجزاء فهو تتميم لما سبق جار مجرى النتيجة له
وأياً ما كان فالمراد تخييب المخاطبين وقطع أطماعهم الفارغة عن الانتفاع بحسنات الأمة الخالية وإنما أطلق العمل لإثبات
الحكم بالطريق البرهاني في ضمن قاعدة كلية هذا وقد جعل السؤال عبارة عن المؤاخذة والموصول عن السيئات فقيل أي لا تؤاخذون
بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم ولا ريب في أنه مما لا يليق بشأن التنزيل كيف لا وهم منزهون من كسب السيئات فمن أين يتصور
تحميلها على غيرهم حتى يتصدى لبيان انتفائه وقالوا شروع في بيان فن آخر من فنون كفرهم وهو إضلالهم لغيرهم
إثر بيان ضلالهم في أنفسهم والضمير لأهل الكتابين على طريقة الالتفات المؤذن باستيجابهم للإبعاد من مقام المخاطبة
والإعراض عنهم وتعديد جناياتهم عند غيرهم أي قالوا للمؤمنين كونوا هوداً أو نصارى ليس هذا القول مقولاً
لكلهم بل لكل طائفة من الطائفتين بل هو موزع عليهما على وجه خاص يقتضيه حالهما اقتضاء مغنياً عن التصريح به أي
قالت اليهود كونوا هوداً والنصارى كونوا نصارى فعطف بالنظم الكريم ثقة بفهم السامع كما في قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة إلا
من كان هوداً أو نصارى اعتماداً على ظهور المراد تهتدوا جواب للأمر أي تكونوا كذلك تهتدوا قل خطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم أي قل لهم على سبيل الرد عليهم وبيان ما هو الحق لديهم وإرشادهم إليه بل ملة إبراهيم أي لا نكون كما تقولون
بل نكون أهل ملته عليه السلام وقيل بل نتبع ملته عليه السلام وقد جوز أن يكون المعنى بل اتبعوا أنتم ملته عليه السلام أو كونوا أهل ملته
وقرئ بالرفع أي بل ملتنا أو أمرنا ملته أو نحن ملته أي أهل ملته حنيفاً أي مائلاً عن الباطل إلى الحق وهو حال
من المضاف إليه كما في رأيت وجه هند قائمة والمضاف كما في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً الخ وما كان
من المشركين تعريض بهم وإيذان ببطلان دعواهم اتباعه عليه السلام مع إشراكهم بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله قولوا
خطاب للمؤمنين بعد خطابه صلى الله عليه وسلم برد مقالتهم الشنعاء على الإجمال وإرشادهم إلى طريق التوحيد والإيمان
على ضرب من التفصيل أي قولوا لهم مقابلة ما قالوا تحقيقاً للحق وإرشاداً لهم إليه آمنا بالله وما أنزل إلينا يعني القرآن
قدم على سائر الكتب الإلهية مع تأخره عنها نزولاً لاختصاصه بنا وكونه سبباً للإيمان بها وما أنزل إلى إبراهيم
وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط أي الصحف وهي وإن كانت نازلة إلى إبراهيم عليه السلام لكن من بعده حيث كانوا
متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت أحكامها جعلت منزلة إليهم كما جعل القرآن منزلاً إلينا والأسباط جمع سبط وهو
الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام أو أبناؤه الاثنا عشر وذراريهم فإنهم حفدة إبراهيم وإسحق وما أوتي
موسى وعيسى من التوراة والإنجيل وسائر المعجزات الباهرة الظاهرة بأيديهما حسبما فصل في التنزيل الجليل وإفراد
الإيتاء لما أشير إليه من التعميم وتخصيصهما بالذكر لما أن الكلام مع اليهود والنصارى وما أوتي النبيون
أي جملة المذكورين وغيرهم من ربهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرات لا نفرق بين أحد منهم كدأب اليهود
والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض وإنما اعتبر عدم التفريق بينهم مع أن الكلام فيما أوتوه لاستلزام
عدم التفريق بينهم بالتصديق والتكذيب لعدم التفريق بين ما أوتوه وهمزة أحد إما أصلية فهو اسم موضوع
لمن يصلح أن يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في
مثل المال بين الناس ومنه ما في قوله صلى الله عليه وسلم ما أحلت الغنائم لأحد سود الرؤوس غيركم حيث وصف

بالجمع واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي مصحح دخول بين عليه باعتبار معطوف
قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وبين غيره كما في قول النابغة. فما كان بين الخير لو جاء سالما. ابو حجر الا ليال
قلائل اي بين الخير وبيني وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه
كائنا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بينهم والجملة حال من الضمير في آمنا وقوله عز وجل ونحن له مسلمون. اي
مخلصون له ومذعنون حال اخرى منه او عطف على آمنا. فان آمنوا. الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
فان ما تقدم من ايمان المخاطبين على الوجه المحرر مظنة لايمان اهل الكتابين لما انه مشتمل على ما هو مقبول عندهم
بمثل ما آمنتم به اي بما آمنتم به على الوجه الذي فصل على ان المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني
اسرائيل على مثله اي عليه ويعضده قراءة ابن مسعود بما آمنتم به وقراءة ابي بالذي آمنتم به ويجوز ان تكون
الباء للاستعانة على ان المؤمن به محذوف لظهوره بمروره آنفا او على ان الفعل مجرى مجرى اللازم اي فان آمنوا
بما ذكر مفصلا او فان فعلوا الايمان بشهادة مثل شهادتكم وان تكون الباء زائدة والثانية صلة لا منتم
وما مصدرية اي فان آمنوا ايمانا مثل ايمانكم بما ذكر مفصلا وان تكون للملابسة اي فان آمنوا متلبسين
بمثل ما آمنتم متلبسين به او فان آمنوا ايمانا متلبسا بمثل ما آمنتم ايمانا متلبسا به من الاذعان والاخلاص وعدم
التفريق بين الانبياء عليهم السلام فان ما وجد فيهم ويصدر عنهم من الشهادة والاذعان وغير ذلك مثل لما منكم
لا عينه لاختلاف المؤمنين فانه لا يتصور فيه التعدد فقد اهتدوا الى الحق واصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم
الاتحاد والاتفاق واما ما قيل من ان المعنى فان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فقد اهتدوا
فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق فيأباه ان مقام تعيين طريق الحق وارشادهم اليه بعينه لا يلائم
تجويز ان يكون له طريق آخر وراءه. وان تولوا. اي اعرضوا عن الايمان على الوجه المذكور بان اخلوا بشيء من ذلك
كان آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما هو ديدنهم وديدانهم فانما هم في شقاق. الشقاق والشقاق من الشق كالمخالفة من الخلاف
من الخلف والعداوة من العدوة اي الجانب فان احد المخالفين يعرض عن الآخر صورة او معنى ويولي خلفه
ويأخذ في شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم اي هم مستقرون في خلاف عظيم بعيد من الحق وهذا
الدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب ايمانهم ببعض ما آمن به المؤمنون والجملة اما جواب الشرط كما هي على ان المراد
مشاقتهم الحادثة بعد توليهم عن الايمان بحرف الشرطية الاولى وانما اوثرت الجملة الاسمية للدلالة على ثباتهم
واستمرارهم في ذلك واما نائبة ونائلة على انما هم في شقاق فهذا هو الذي يستدعيه فخامة شأن التنزيل الجليل
وقد قيل قوله تعالى فان آمنوا الخ من باب التعجيز والتبكيت على منهاج قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله والمعنى فان حصلوا
دينا آخر مثل دينكم مماثلا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا ولما لم يكن لهم ذلك فلا امكان لاهتدائهم ولا يخفى
فانه مما لا يليق بجلالة النظم الكريم عليه ولما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وان ذلك مما يؤدي الى الجدال
والقتال لا محالة عقب ذلك بتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفريح المؤمنين بوعد النصر والغلبة وضمان
التأييد والاعزاز بالسين الدالة على تحقق الوقوع البتة فقيل فسيكفيكهم الله. اي سيكفيك شقاقهم فان
الكفاية لا تتعلق بالاعيان بل بالافعال وقد انجز عز وعلا وعده الكريم بقتل بني قريظة وسبيهم
واجلاء بني النضير وتلوين الخطاب بتجريده للنبي صلى الله عليه وسلم مع ان ذلك كفاية منه سبحانه للكل لما
انه الاصل والعمدة في ذلك وللايذان بان القيام بامور الحروب وتحمل المؤن والمشاق ومقاساة الشدائد في

مناهضة الاعداء من وظائف الرؤساء فنعمته تعالى في الكفاية والنصر في حقه صلى الله عليه وسلم اتم واكمل
وهو السميع العليم. تذييل لما سبق من الوعد وتأكيد له والمعنى انه تعالى يسمع ما تدعو به ويعلم ما في نيتك من
اظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك الى مرادك او وعيد للكفرة اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرونه في
قلوبهم مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تأكيد الوعد السابق فان وعيد الكفرة وعد للمؤمنين
صبغة الله. الصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ عبر بها عن الايمان بما ذكر
على الوجه الذي فصل لكونه تطهيرا للمؤمنين من اوضار الكفر وحلية تزينهم باثار الجميلة ومتداخلا في قلوبهم كما ان
شأن الصبغ بالنسبة الى الثوب كذلك وقيل للمشاكلة التقديرية فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه
المعمودية ويزعمون انه تطهير لهم وبه يتحقق نصرانيتهم واضافتها الى الله عز وجل مع اسنادهم فيما سلف الى ضمير المتكلم للتشريف
والايذان بانها عطية منه سبحانه لا يستقل العبد بتحصيلها وهي اما مصدر مؤكد لقوله تعالى آمنا داخل معه في حيز قولوا
منتصب عنه انتصاب وعد الله عما تقدمه لكونه بمثابة فعله كانه قيل صبغنا الله صبغة وقيل هي منصوبة بفعل الاغراء اي
الزموا صبغة الله وانما وسط بينهما الشرطيتان وما بعدهما اعتناء ببيان ان ما الايمان لحق وبه الاهتداء ومسارعة
الى تسليته صلى الله عليه وسلم. ومن احسن من الله. استفهام مبتدأ وخبر والاستفهام للانكار والنفي وقوله تعالى صبغة. نصب
على التمييز من احسن منقول من المبتدأ وهو من صبغة احسن من صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما اي لا
احسن من صبغة على معنى انها احسن من كل صبغة على ما اشير اليه في قوله تعالى ومن اظلم ممن منع الخ وحيث كان مدار التفضيل
على تعميم الحسن للحقيقي والفرضي المبني على زعم الكفرة لم يلزم منه ان يكون في صبغة غيره حسن في الجملة والجملة اعتراضية مقررة
لما في صبغة الله من معنى الابتهاج والابتهاج. ونحن له. اي لله الذي اولانا تلك النعمة الجليلة. عابدون. شكرا لها ولسائر
نعمه وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل وهو عطف على آمنا داخل معه تحت الامر وايثار الاسمية للاشعار
بدوام العبادة او على فعل الاغراء بتقدير القول اي الزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون فقوله تعالى ومن احسن من الله
صبغة يجري مجرى التعليل للاغراء. قل اتحاجوننا. تجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم عقيب الكلام الداخل تحت
الامر الوارد بالخطاب العام لما ان المأمور به من الوظائف الخاصة به صلى الله عليه وسلم وقرئ بادغام النون والهمزة
للانكار والتوبيخ اي اتجادلوننا في الله اي في دينه وتدعون ان دينه الحق هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول
الجنة والاهتداء عليهما وتقولون تارة لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتارة كونوا هودا او نصارى
تهتدوا وهو ربنا وربكم. جملة حالية وكذلك ما عطف عليها اي اتجادلوننا والحال انه لا وجه للمجادلة اصلا لانه
تعالى ربنا اي مالك امرنا وامركم ولنا اعمالنا. اي الحسنة الموافقة لامره. ولكم اعمالكم. السيئة المخالفة لحكمه ونحن
له مخلصون. في تلك الاعمال لا نبتغي بها الا وجهه فاني لكم المحاجة وادعاء حقية ما انتم عليه والطمع في دخول الجنة بسببه
ودعوة الناس اليه وكلمة ام في قوله تعالى ام تقولون. اما معادلة للهمزة في قوله تعالى اتحاجوننا داخلة في حيز الامر
على معنى اي الامرين تأتون اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما انتم عليه والحال ما ذكر ام التشبث بذيل التقليد والافتراء
على الانبياء وتقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى فنحن بهم مقتدون فيه
والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما واما منقطعة مقدرة ببل والهمزة دالة على الاضراب والانتقال من التوبيخ على
المحاجة الى التوبيخ على الافتراء على الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقرئ ام يقولون على صيغة الغيبة فهي منقطعة
لا غير داخلة تحت الامر واردة من جهته تعالى توبيخا لهم وانكارا عليهم لا من جهته عليه السلام على نهج الالتفات كما قيل هذا واما ما قيل

مرّ ان المعنى أتحاجوننا في شأن الله واصطفائه نبيًا من العرب دونكم لما روي أن أهل الكتاب قالوا الأنبياء كلهم منا
فلو كنت نبيًا لكنت منا فنزلت ومعنى قوله تعالى وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم انه لا اختصاص له بقوم دون
قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده فلا يبعد أن يكرمنا بأعمالنا كما اكرمكم بأعمالكم كأنه الزمهم على كل مذهب ينتحونه
إفحامًا وتبكيتًا فإن كرامة النبوة إما تفضل من الله تعالى على من يشاء فالكل فيه سواء وإما إفاضة حق على المستعدين لها
بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالإخلاص فكما أن لكم أعمالًا ربما يعتبرها الله تعالى في إعطائها فلنا أيضًا أعمال ونحن
له مخلصون أي لا انتم فمع عدم ملاءمته لسباق النظم الكريم وسياقه لا سيما على تقدير كونه كلمة أو معادلة للهمزة
غير صحيح في نفسه لما أن المراد بالأعمال من الطرفين ما أشير إليه من الأعمال الصالحة والسيئة ولا ريب في أن أعمالهم الصالحة
والسيئة بعد ما محقوا فقه الدين المبني على البعثة ومخالفته فكيف يتصور اعتبار تلك الأعمال في استحقاق النبوة
واستعدادها المتقدم على البعثة بمراتب. قل أأنتم أعلم أم الله. إعادة الأمر ليست لمجرد تأكيد التوبيخ وتشديد
الإنكار عليهم بل للإيذان بأن ما بعده ليس متصلًا بما قبله بل بينهما كلام للمخاطبين مترتب على ما سبق مستتبع لما لحق
قد حذف عنه الذكر صفحًا لظهوره وهو تصريحهم بما نوّخوا عليه من الافتراء على الأنبياء عليهم السلام كما في قوله عز
وجل قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون قال فما خطبكم أيها المرسلون وقوله عز قائلًا قال أأسجد لمن خلقت
طينًا قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي فإن تكرير قال في الموضعين وتوسيطه بين قوليه قال واحد للإيذان بأن بينهما
كلامًا لصاحبه متعلقًا بالأول والثاني بالتبعية والاستتباع كما حرر في محله أي كذبتم في ذلك وبكتهم قائلًا أأنتم أعلم
بحالهم وأنتم لا تعلمون وقد نفى عن إبراهيم كلا الأمرين حيث قال ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا واحتج عليه بقوله
تعالى وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه عليهم السلام أتباعه في الدين وفاقًا فكيف
تقولون ما تقولون سبحان الله عما تصفون. ومن أظلم إنكار لأن يكون أحد أظلم ممن كتم شهادة ثابتة عنده
كائنة من الله وهي شهادته تعالى لهم بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية حسبما تلي آنفًا فعنده صفة
لشهادة وكذا من الله جيء بهما لتعليل الإنكار وتأكيده فإن ثبوت الشهادة عنده وكونها من جناب الله عز وجل
من أقوى الدواعي إلى إقامتها وأشد الزواجر عن كتمانها وتقديم الأول مع أنه متأخر في الوجود لمراعاة
طريقة الترقي من الأدنى إلى الأعلى والمعنى أنه لا أحد أظلم من أهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة وأثبتوا نقيضها
بما ذكر من الافتراء وتعليق الأظلمية بمطلق الكتمان للإيذان بأن مرتبة من يردها ويشهد بخلافها في الظلم خارجة
عن دائرة البيان أو لا أحد أظلم منا لو كتمناها فالمراد بكتمها عدم إقامتها في مقام المحاجة وفيه تعريض بغاية
الظلمية أهل الكتاب على نحو ما أشير إليه وفي إطلاق الشهادة مع أن المراد بها ما ذكر من الشهادة المعينة تعريض
بكتمانهم شهادة الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل وما الله بغافل عما تعملون من فنون
السيئات فيدخل فيها كتمانهم لشهادة الله سبحانه وافتراؤهم على الأنبياء عليهم السلام دخولًا أوليًا أي هو محيط
بجميع ما تأتون وما تذرون فيعاقبكم بذلك أشد عقاب وقرئ عما يعملون على صيغة الغيبة فالضمير لمن كتم باعتبار
المعنى أو لأهل الكتاب وقوله تعالى ومن أظلم إلى آخر الآية من جهته تعالى لوصفهم بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد
تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في الزجر عما هم عليه من
الافتخار بالآباء والاتكال على أعمالهم وقيل الخطاب السابق لهم وهذا لنا تحذيرًا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالأمة
في الأول الأنبياء عليهم السلام وبالثانية أسلاف اليهود. سيقول السفهاء. أي الذين خفت أحلامهم واستمهنوها

واستمهنوها بالتقليد والإعراض عن التدبر والنظر من قولهم ثوب سفيه إذا كان خفيف النسج وقيل السفيه البهات الكذاب
المتعمد خلاف ما يعلم وقيل الظلوم الجهول والمراد بالسفهاء اليهود على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد قالوه
إنكارًا للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يأنسون بموافقته صلى الله عليه وسلم لهم في القبلة وقيل هم المنافقون وهو الأنسب
بقوله عز وعلا ألا إنهم هم السفهاء وإنما قالوه لمجرد الاستهزاء والطعن لا لاعتقادهم حقية القبلة الأولى وبطلان الثانية إذ ليس
كلهم من اليهود وقيل هم المشركون قالوه كراهة للتحويل إلى مكة بل طعنًا في الدين فإنهم كانوا يقولون رغب عن قبلة آبائه
ثم رجع إليها وليرجعن إلى دينهم أيضًا وقيل هم القادحون في التحويل منهم جميعًا فيكون قوله تعالى من الناس أي الكفرة لبيان
أن ذلك القول المحكي لم يصدر عن كل فرد فرد من تلك الطوائف الثلاثة بل عن أشقيائهم المعتادين للخوض في فنون الفساد وهو
الأظهر إذ لو أريد بهم طائفة مخصوصة منهم لما كان لبيان كونهم منهم مزيد فائدة وتخصيص سفهائهم بالذكر لا يقتضي تسليم الباقين
للتحويل ورضاهم إياه بل عدم التفوه بالقدح مطلقًا أو بالعبارة المحكية. ما ولاهم أي أي شيء صرفهم والاستفهام
للإنكار والنفي عن قبلتهم القبلة فعلة من المقابلة كالوجهة من المواجهة وهي الحالة التي يقابل الشيء غيره عليها كالجلسة
للحالة التي يقع عليها الجلوس يقال لا قبلة له ولا دبرة إذا لم يهتد لجهة أمره ثم غلبت على الجهة التي يستقبلها الإنسان في الصلاة
والمراد بها ههنا بيت المقدس وإضافتها إلى ضمير المسلمين ووصفها بقوله تعالى التي كانوا عليها أي ثابتين مستمرين على
التوجه إليها ومراعاتها واعتقاد حقيتها لتأكيد الإنكار بإراءة الاختصاص بالشيء والاستمرار عليه باعتقاد حقيته مما يأبى
الانصراف عنه فإن أريد بالقائلين اليهود فمدار الإنكار كراهتهم للتحويل عنها فهم بمعزل خطأ وإن أريد بهم المشركون
فمداره مجرد القصد إلى الطعن في الدين والقدح في أحكامه وإظهار أن كلًا من التوجه إليها والانصراف عنها واقع بغير داع
إليه لا لكراهتهم الانصراف عنها أو التوجه إلى مكة وتعليق الإنكار بما توليهم عنها لا بما توجههم إلى غيرها مع تلازمهما
في الوجود لما أن ترك القبلة القديمة أبعد عند العقول وإنكاره أدخل للإيذان بأن المنكر من اليهود بناء على
أن المنكر عندهم هو التحويل عن خصوصية بيت المقدس الذي هو القبلة الحقة عندهم لا التوجه إلى خصوصية قبلة أخرى
ومن المشركين بناء على أن المنكر عندهم ترك القبلة القديمة على وجه الطعن والقدح لا التوجه إلى الكعبة لأنه الحق
عندهم فإنه بمعزل عن ذلك كيف لا وإنما قالوه من محض الهرب لا مخالفة والإخبار به قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة
حيث وقع كما أخبر لتوطين النفوس وإعداد ما يبكتهم فإن مفاجأة المكروه على النفس أشق وأشد والجواب العتيد لشغب الخصم
الألد أرد وقوله عز وجل قل لله المشرق والمغرب استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا أقول عند ذلك فقيل قل
أي لله تعالى ناحيتا الأرض أي الجهات كلها ملكًا وملكًا وتصرفًا فلا اختصاص لناحية منها لذاتها بكونها قبلة دون ما عداها
بل إنما هو بأمر الله سبحانه ومشيئته. يهدي من يشاء أن يهديه هداية تابعة للحكم الخفية التي لا يعلمها إلا هو إلى صراط مستقيم
موصل إلى سعادة الدارين وقد هدانا إلى ذلك حيث أمرنا بالتوجه إلى بيت المقدس تارة وإلى الكعبة أخرى حسبما تقتضيه
مشيئته المقارنة لحكم أبية ومصالح خفية. وكذلك جعلناكم توجيه للخطاب إلى المؤمنين بين الخطابين المختصين بالنبي صلى
الله عليه وسلم لتأييد ما في مضمون الكلام من التشريف وذلك إشارة إلى مصدر جعلناكم لا إلى جعل آخر مفهوم مما سبق
كما قيل وتوحيد الكاف مع القصد إلى المؤمنين لما أن المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين
وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجة المشار إليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به وانتظامه بسببه في سلك
الأمور المشاهدة والكاف لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحلها في الأصل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف
وأصل التقدير جعلناكم أمة وسطًا جعلًا كائنًا مثل ذلك الجعل فقدم على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف

معجزة للنكتة المذكورة فصار بنفس المصدر المؤكد لا بعامله اي ذلك الجعل البديع جعلناكم امة وسطا لا بجعل آخر
ادنى منه والوسط في الاصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب اليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكن لا لان
الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة كما قيل واستشهد عليه بقول ابن اوس الطائي كانت هي
الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا فان تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار في هذا المقام اذ لا ملابسة بينها
وبين اهلية الشهادة التي جعلت غاية للجعل المذكور بل لكون تلك الخصال اوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي
الافراط والتفريط كالعفة التي طرفاها الفجور والجمود وكالشجاعة التي طرفاها التهور والجبن وكالحكمة التي طرفاها الجربزة
والبلادة وكالعدالة التي هي كيفية متشابهة حاصلة من اجتماع تلك الاوساط المحفوفة باطرافها ثم اطلق على المتصف بها
مبالغة كأنه نفسها وسوى فيه بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الاصل كدأب سائر الاسماء التي يوصف بها
وفيه وعيت هنا نكتة رائقة هي ان الجعل المشار اليه عبارة عما تقدم ذكره من هدايته تعالى الى الحق الذي عبر عنه
بالصراط المستقيم الذي هو الطريق السوي الواقع في وسط الطرق الجائرة عن القصد الى الجوانب فانا اذا فرضنا خطوطا
كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين فالخط المستقيم انما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية ومن ضرورة كونه
وسطا بين الطرق الجائرة كون الامة المهدية اليه امة وسطا بين الامم السالكة الى تلك الطرق الزائغة اي متصفة بالخصال
الحميدة خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل لتكونوا شهداء على الناس بان الله عز وجل قد اوضح السبل وارسل الرسل
فبلغوا ونصحوا وذكروا فهل من مدكر وهو غاية للجعل المذكور مترتبة عليه فان العدالة كما اشير اليه حيث كانت هي الكيفية
المتشابهة الحاصلة من العفة التي هي فضيلة القوة الشهوية البهيمية والشجاعة التي هي فضيلة القوة الغضبية السبعية
والحكمة التي هي فضيلة القوة العقلية الملكية المشار الى رتبتها بقوله عز وعلا ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
كان المتصف بها واقفا على الحقائق المودعة في الكتاب المبين المنطوي على احكام الدين واحوال الامم اجمعين حاويا لشرائط
الشهادة عليهم روي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم السلام فيطالبهم الله تعالى بالبينة وهو اعلم اقامة
للحجة على المنكرين وزيادة لخزيهم بانكارهم مع تعدد من الانبياء فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقول الامم من
اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى عند ذلك بالنبي صلى الله عليه
وسلم فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله عز قائلا ويكون الرسول عليكم شهيدا وكلمة الاستعلاء
لما في الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يقبل فيه الشهادة الا من العدول الاخيار
وتقديم الظرف للدلالة على اختصاص شهادته صلى الله عليه وسلم بهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها جرى الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم رمزا الى ان مضمون الكلام من الاسرار الحقيقية بان يخص معرفته به عليه الصلوة والسلام وليس الموصول صفة
للقبلة بل هو مفعول ثان للجعل وما قيل من ان الجعل تحويل الشيء من حالة الى اخرى فالمتلبس بالحالة الثانية هو المفعول الثاني
كما في قولك جعلت الطين خزفا فينبغي ان يكون المفعول الاول هو الموصول والثاني هو القبلة فكلام صناعي يتسارع اليه الذهن
بحسب النظر الجليل ولكن التامل اللائق يهدي الى العكس فان المقصود افادة ان ليس جعل الجهة قبلة لا غير كما يفيده ما ذكر
بل هو جعل القبلة المحققة الوجود هذه الجهة دون غيرها والمراد بالموصول هي الكعبة فانه صلى الله عليه وسلم كان يصلي
اليها اولا ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تألفا لليهود او هي الصخرة لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من ان قبلته
صلى الله عليه وسلم بمكة كانت بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه وعلى هذه الرواية لا يمكن ان يراد بالقبلة
الاولى الكعبة ولعل الصخرة فيما اذا اريدتها على الروايتين والمعنى على الاول وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها اي

[illegible] وهي الكعبة وعلى الثاني وما جعلناها التي كنت عليها قبل هذا الوقت وهي الصخرة الا لنعلم استثناء
مفرغ من اعم العلل اي وما جعلنا ذلك لشيء من الاشياء الا لنمتحن الناس اي نعاملهم معاملة من يمتحنهم ونعلم حق من يتبع
الرسول في التوجه الى ما امر به من الدين او القبلة والالتفات الى الغيبة مع ايراده صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة
للاشعار بعلة الاتباع ممن ينقلب على عقبيه يرتد عن دين الاسلام ولا يتوجه الى القبلة الجديدة او لنعلم الآن
من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول لما رددناك الى ما كنت عليه الا لنعلم الثابت على الاسلام
والناكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزاء من العلم الحالي اي ليتعلق علمنا به موجودا
بالفعل وقيل المراد علم الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين واسناده سبحانه لما انهم خواصه او ليتميز الثابت عن المتزلزل
كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز الذي هو مسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على بناء المجهول
من صيغة الغيبة والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب اي لنعلم من يتبع
الرسول متميزا ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة اي شاقة ثقيلة وان هي المخففة من الثقيلة دخلت على ناسخ المبتدأ
والخبر واللام هي الفارقة بينها وبين النافية كما في قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا ومن عمل الكوفيون انها نافية
واللام بمعنى الا اي ما كانت الا كبيرة والضمير الذي هو اسم كان راجع الى ما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت
عليها من الجعلة او التولية او التحويلة او الردة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع على ان كان زائدة كما في قوله وجيران
لنا كانوا كرام واصله وان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق الا على الذين هدى الله اي الى سر الاحكام الشرعية
المبنية على الحكم والمصالح اجمالا او تفصيلا وهم المهديون الى الصراط المستقيم الثابتون على الايمان واتباع الرسول صلى الله
عليه وسلم وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ما صح وما استقام له ان يضيع ثباتكم على الايمان بل شكر صنيعكم واعد لكم
الثواب العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلوتكم اليها لما روي انه صلى الله عليه وسلم لما توجه الى الكعبة
قالوا كيف حال اخواننا الذين مضوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت واللام في ليضيع اما متعلقة بالخبر المقدر
لكان كما هو راي البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا او متصديا لان يضيع الخ ففي توجيه
النفي الى ارادة الفعل تأكيد ومبالغة ليس في توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتأكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو
راي الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها وقوله تعالى ان الله بالناس لرؤوف
رحيم تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له فان اتصافه عز وجل بهما يقتضي لا محالة ان لا يضيع اجورهم ولا يدع
ما فيه صلاحهم والباء متعلقة برؤوف وتقديمه على رحيم مع كونه ابلغ منه لما مر في وجه تقديم الرحمن على الرحيم
وقيل الرحمة اكثر من الرأفة في الكمية والرأفة اقوى منها في الكيفية لانها عبارة عن ايصال النعم الصافية عن الالم
والرحمة ايصال النعمة مطلقا وقد يكون مع الالم كقطع العضو المتآكل وقرئ رؤف بغير مد كندس قد نرى
تقلب وجهك في السماء اي تردد وجهك وتصرف نظرك في جهتها تطلعا للوحي وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقع في روعه ويتوقع من ربه عز وجل ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابراهيم وادعى للعرب الى الايمان
لانها مفخرهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل عليه السلام بالوحي بالتحويل بذلك فلنولينك
قبلة الفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وهي في الحقيقة داخلة على قسم محذوف يدل عليه اللام اي
فوالله لنولينك اي لنعطينكها ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او لنجعلنك
تلي جهتها او لنحولنك على ان نصب قبلة بحذف الجار اي الى قبلة وقيل هو متعد الى مفعولين ترضاها تحبها

وتشتاق إليها لمقاصد دينية وافقت مشيئته تعالى وحكمته. فول وجهك. الفاء لتفريع الأمر بالتولية على الوعد
الكريم وتخصيص التولية بالوجه لما أنه مدار التوجه ومعياره وقيل المراد به كل البدن أي فاصرفه. شطر المسجد
الحرام. أي نحوه وهو نصب على الظرفية من ول أو على نزع الخافض وعلى أنه مفعول ثان لول وقيل الشطر في الأصل
اسم لما انفصل عن الشيء ودار شطور إذا كانت منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وإن لم ينفصل كالقطر والحرام
المحرم أي محرم فيه القتال أو ممنوع من الظلمة أن يتعرضوا له وفي ذكر المسجد الحرام دون الكعبة إيذان بكفاية مراعاة
الجهة لأن في مراعاة العين من البعيد حرجا عظيما بخلاف القريب. روي عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قدم
المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه إلى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر
بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الكعبة
وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين. وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره. خص الرسول
صلى الله عليه وسلم بالخطاب تعظيما لجنابه وإيذانا بإسعاف رغبته ثم عمم الخطاب للمؤمنين مع التعرض لاختلاف أماكنهم تأكيدا
للحكم وتصريحا بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد وحثا للأمة على المتابعة وحيثما شرطية وكنتم في محل الجزم بها
وقوله تعالى فولوا جوابها وتكون هي منصوبة على الظرفية بكنتم نحو قوله تعالى أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى. وإن الذين
أوتوا الكتاب. من فريقي اليهود والنصارى. ليعلمون أنه. أي التحويل أو التوجه المفهوم من التولية. الحق. لا غير لعلمهم
بأن عادته سبحانه وتعالى جارية على تخصيص كل شريعة بقبلة ومعاينتهم لما هو مسطور في كتبهم من أنه صلى الله عليه وسلم يصلي
إلى القبلتين كما ينبئ بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول بإيتاء الكتاب وأن مع اسمها وخبرها ساد مسد مفعولي يعلمون أو مسد مفعول
الواحد على أن العلم بمعنى المعرفة وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف وقع حالا من الحق أي كائنا من ربهم أو صفة له على رأي من
يجوز حذف الموصول مع بعض صلته أي الكائن من ربهم. وما الله بغافل عما تعملون. وعد ووعيد للفريقين والخطاب للكل
تغليبا وقرئ على صيغة الغيبة فهو وعيد لأهل الكتاب. ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب. وضع الموصول موضع المضمر للإيذان
بكمال سوء حالهم من العناد مع تحقق ما ينافيه من الكتاب الناطق بحقية ما كابروا في قبوله. بكل آية. أي حجة قطعية دالة على
حقية التحويل واللام موطئة للقسم وقوله تعالى ما تبعوا قبلتك. جواب للقسم المضمر ساد مسد جواب الشرط والمعنى أنهم
ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وإنما خالفوك مكابرة وعنادا وتجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه للأمة
لما أن المحاجة والإتيان بالآية من الوظائف الخاصة به صلى الله عليه وسلم. وقوله تعالى وما أنت بتابع قبلتهم. جملة معطوفة
على الجملة الشرطية لا على جوابها مسوقة لقطع أطماعهم الفارغة حيث قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون
صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له عليه السلام وطمعا في رجوعه وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام مضمونها واستمراره
وإفراد قبلتهم مع تعددها باعتبار اتحادها في البطلان ومخالفة الحق ولئلا يتوهم أن مدار النفي هو التعدد وقرئ بتابع
قبلتهم على الإضافة. وما بعضهم بتابع قبلة بعض. فإن اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم
كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل فريق فيما هو فيه. ولئن اتبعت أهواءهم. الزائغة المخالفة. من بعد ما جاءك من العلم.
ببطلانها وحقية ما أنت عليه وهذه الشرطية الفرضية واردة على منهاج التهييج والإلهاب للثبات على الحق أي ولئن اتبعت
أهواءهم فرضا. إنك إذا لمن الظالمين. وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم عن متابعة الهوى فإن من ليس من شأنه ذلك
إذا نهي عنه ورتب على فرض وقوعه ما رتب من الانتظام في سلك الراسخين في الظلم فما ظن من ليس كذلك وإذن حرف جواب
وجزاء توسطت بين اسم إن وخبرها لتقرير ما بينهما من النسبة إذ كان حقها أن يتقدم أو يتأخر فلم يتقدم لئلا يتوهم أنها

أنها لتقرير النسبة التي بين الشرط وجوابه المحذوف لأن المذكور جواب القسم ولم يتأخر لرعاية الفواصل ولقد بولغ
في التأكيد من وجوه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستعظاما لصدور الذنب
من الأنبياء عليهم السلام. الذين آتيناهم الكتاب. أي علماؤهم لدلالة العرفان في أثنائه وقد وضع الموصول موضع المضمر
مع قرب العهد للإشعار بعلية ما في حيز الصلة للحكم والضمير المنصوب في قوله تعالى يعرفونه. للرسول صلى الله عليه وسلم
والالتفات إلى الغيبة للإيذان بأن المراد ليس معرفتهم له صلى الله عليه وسلم من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونه
مسطورا في الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التي من جملتها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي إلى القبلتين كأنه قيل الذين آتيناهم
الكتاب يعرفون من وصفناه فيه وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم وقيل هو إضمار قبل الذكر للإشعار بفخامة شأنه صلى الله
عليه وسلم وأنه علم معلوم بغير إعلام فتأمل وقيل الضمير للعلم أو لما هو الوحي أو القرآن أو التحويل وقد بعد الكل
قوله عز وجل. كما يعرفون أبناءهم. أي يعرفونه صلى الله عليه وسلم بأوصافه الشريفة المكتوبة في كتابهم لا يشتبه عليهم كما لا
يشتبه عليهم أبناؤهم وتخصيصهم بالذكر دون من يعم البنات لكونهم أعرف عندهم منهن بسبب كونهم أحب إليهم عن عمر رضي الله عنه أنه سأل
عبد الله بن سلام رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنا أعلم به مني بابني فقال ولم قال لأني لست أشك فيه
أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه رضي الله تعالى عنهما. وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون.
هم الذين كابروا وعاندوا الحق والباقون هم الذين آمنوا منهم فإنهم يظهرون الحق ولا يكتمونه وأما الجهلة منهم فليست
لهم معرفة بالكتاب والإيمان في تضاعيفه فما هم بصدد الإظهار ولا بصدد الكتمان وإنما كفرهم على وجه التقليد. الحق.
بالرفع على أنه مبتدأ وقوله تعالى من ربك خبره واللام للعهد والإشارة إلى ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى الحق
الذي يكتمونه أو للجنس والمعنى أن الحق ما ثبت أنه من الله تعالى كالذي أنت عليه لا غيره كالذي عليه أهل الكتاب أو على أنه خبر مبتدأ
محذوف أي هو الحق وقوله تعالى من ربك إما حال أو خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على أنه بدل من الأول أو مفعول ليعلمون وفي
التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميره صلى الله عليه وسلم من إظهار اللطف به صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى
فلا تكونن من الممترين. أي الشاكين في كتمانهم الحق عالمين به أو في أنه من ربك وليس المراد به نهي الرسول صلى الله عليه وسلم
عن الشك فيه لأنه غير متوقع منه صلى الله عليه وسلم وليس بقصد واختيار بل إما تحقيق الأمر وأنه بحيث لا يشك فيه ناظر
أو أمر الأمة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الأبلغ. ولكل. أي لكل أمة من الأمم على أن التنوين عوض عن المضاف إليه
وجهة. أي قبلة وقد قرئ بكل قبلة أو لكل قوم من المسلمين جانب من جوانب الكعبة. هو موليها. أحد المفعولين محذوف أي موليها
وجهه والله موليها إياه وقرئ ولكل وجهة بالإضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها أهلها واللام مزيدة للتأكيد
وجبر ضعف العامل وقرئ مولاها أي هو مولى تلك الجهة قد وليها. فاستبقوا الخيرات. أي تسابقوا إليها بنزع الجار
كما في قوله تباري عليكم الحرب ومن قيل سواكم فأنتم في مسند غير مائل وهو أبلغ من الأمر بالمسارعة لما فيه من الحث
على إحراز قصب السبق والمراد بالخيرات جميع أنواعها من أمر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين والفاضلة من الجهات
وهي المسامتة للكعبة. أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا. أي في أي موضع تكونوا من موافق أو مخالف يجمعكم الله للجزاء أو
متفرقين يحشركم الله تعالى إلى المحشر للجزاء أو أينما تكونوا من أعماق الأرض وقلال الجبال يقبض أرواحكم أو أينما تكونوا من الجهات
المختلفة المتقابلة يجعل صلواتكم كأنها صلاة إلى جهة واحدة. إن الله على كل شيء قدير. فيقدر على الإماتة والإحياء
والجمع فهو تعليل للحكم السابق. ومن حيث خرجت. تأكيد لحكم التحويل وتصريح بعدم تفاوت الأمر في حالتي السفر والحضر
ومن متعلقة بقوله تعالى فول. أي ومن أي مكان خرجت إليه للسفر فول وجهك عند صلاتك

شطر المسجد الحرام أو افعلوا ما أمرت به من التولي كما خرجت إليه قوله تعالى وإنه أي هذا الأمر للحق من ربك أي الثابت الموافق
للحكمة وما الله بغافل عما تعملون فيجازيكم بذلك أحسن جزاء فهو وعد للمؤمنين وقرئ يعملون على صيغة الغيبة فهو وعيد
للكافرين ومن حيث خرجت إليه في أسفارك ومغازيك من المنازل القريبة والبعيدة فول وجهك شطر المسجد الحرام
الكلام فيه كما مر آنفا وحيثما كنتم من أقطار الأرض مقيمين أو مسافرين حسبما يعرب عنه إيثاركم على خرجتم فإن الخطاب
عام لكافة المؤمنين المنتشرين في الآفاق من الحاضرين والمسافرين وقيل وحيثما خرجتم لما تناول الخطاب الغيبين في الأماكن
المختلفة من حيث فأقمتم فيها فولوا وجوهكم من محالكم شطره والتكرير لما أن القبلة لها شأن خطير والنسخ من مظان
الشبهة والفتنة فبالحري أن يؤكد أمرها مرة غب أخرى مع أنه قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة لئلا يكون للناس عليكم حجة
متعلق بقوله تعالى فولوا وقيل بمحذوف يدل عليه الكلام كأنه قيل فعلنا ذلك لئلا الخ والمعنى أن التولية عن الصخرة تدفع
احتجاج اليهود بأن المنعوت في التوراة قبلته الكعبة وما له يتحول إلى الكعبة واحتجاج المشركين بأنه يدعي ملة إبراهيم ويخالف
قبلته إلا الذين ظلموا منهم وهم أهل مكة أي لئلا يكون لأحد من الناس حجة إلا المعاندين منهم الذين يقولون ما تحول إلى الكعبة
إلا ميلا إلى دين قومه وحبا لبلده أو بدا له فرجع إلى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء
حجة مع أنها أبطل الأباطيل من قبيل ما في قوله تعالى حجتهم داحضة حيث كانوا يسوقونها مساق الحجة وقيل الحجة بمعنى
مطلق الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة رأسا كما في قوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من
قراع الكتائب ضرورة أن لا حجة للظالم وقرئ ألا الذين على أنه استئناف فلا تخشوهم فإن مطاعنهم
لا تضركم شيئا واخشوني فلا تخالفوا أمري ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة لمحذوف يدل عليه النظم الكريم أي
وأمرتكم بما أمرتكم لإتمامي النعمة عليكم لما أنه نعمة جليلة وإرادتي اهتداءكم لما أنه صراط مستقيم مؤد إلى سعادة الدارين
كما أشير إليه في قوله عز وجل يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وفي التعبير عن الإرادة بكلمة لعل الموضوعة للترجي تلويح
إلى الاستعارة التبعية من الدلالة على كمال العناية بالهداية ما لا يخفى أو عطف على علة مقدرة أي واخشوني لأحفظكم عنهم
ولأتم إلى آخره أو على قوله تعالى لئلا يكون إلى آخره وتوسيط قوله تعالى فلا تخشوهم إلى آخره بينهما للمسارعة إلى التسلية وفي الحديث
في الخبر تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الإسلام كما أرسلنا فيكم رسولا منكم متصل
بما قبله والكاف الأول متعلق بالفعل قدم على مفعوله الصريح لما في صفاته من الطول والظرف الثاني متعلق بمضمر وقع صفة
لرسولا مبينة لتمام النعمة أي ولأتم نعمتي عليكم في أمر القبلة أو في الآخرة إتماما كائنا كإتمامها بإرسال رسول كائن
منكم فإن إرسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة لا يكافئها نعمة قط وقيل متصل بما بعده أي كما ذكرتكم بالإرسال
فاذكروني الخ وإيثار صيغة المتكلم مع الغير بعد التوحيد فيما قبله افتنان وجريان على سنن الكبرياء يتلو عليكم آياتنا
صفة ثانية لرسولا كاشفة لكمال النعمة ويزكيكم عطف على يتلو أي يحملكم على ما تصيرون به أزكياء ويعلمكم الكتاب والحكمة
صفة أخرى مترتبة في الوجود على التلاوة وإنما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية
وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للإيذان بأن كلا من الأمور المترتبة
نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم لتبادر إلى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر نظيره في قصة البقرة
والسر في التعبير عن القرآن تارة بالآيات وأخرى بالكتاب والحكمة رمز إلى أنه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه
شمول الحكمة لما في تضاعيف الأحاديث النبوية من الشرائع وقوله عز وجل ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون صريح في ذلك

فإن الموصول مع كونه عبارة عن الكتاب والحكمة قطعا قد عطف تعليمه على تعليمهما وما ذاك إلا لتفصيل فنون النعم في
مقام يقتضيه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ عقيب قوله تعالى نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا والمراد بعدم
علمهم أنه ليس من شأنهم أن يعلموه بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانحصار الطريق في الوحي فاذكروني بالفاء
للدلالة على ترتب الأمر على ما قبله من موجباته أي فاذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب وهو تحريض على الذكر
مع الإشعار بما يوجبه واشكروا لي ما أنعمت به عليكم من النعم ولا تكفرون بجحدها وعصيان ما أمرتكم به يا أيها
الذين آمنوا وصفهم بالإيمان إثر تعداد ما يوجبه ويقتضيه تنشيطا لهم وحثا على مراعاة ما يعقبه من الأمر استعينوا
في كل ما تأتون وما تذرون بالصبر على الأمور الشاقة على النفس التي من جملتها معاداة الكفرة ومقابلتهم المؤدية إلى
مقاتلتهم والصلاة التي هي أم العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين إن الله مع الصابرين تعليل
للأمر بالاستعانة بالصبر خاصة لما أنه المحتاج إلى التعليل وأما الصلاة فحيث كانت عند المؤمنين أجل المطالب كما ينبئ
عنه قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة لم يفتقر الأمر بالاستعانة بها إلى التعليل ومعنى المعية
الولاية الدائمة المستتبعة للنصرة وإجابة الدعوة وإدخال مع على الصابرين لما أنهم المباشرون للصبر حقيقة فهم
متبوعون من تلك الحيثية ولا تقولوا عطف على استعينوا إلى آخره مسوق لبيان أن الاستعانة بهما معربة وأن الشهادة التي ربما
يؤدي إليها الصبر حياة أبدية لمن يقتل في سبيل الله أموات أي هم أموات بل أحياء أي بل هم أحياء ولكن
لا تشعرون بحياتهم وفيه رمز إلى أنها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحياة الجسمانية وإنما هي أمر روحاني
لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح
والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدوا وعشيا فيصل إليهم الألم والوجع فلقد أريت في المنام سنة تسع وثلاثين
وتسعمائة أني أزور قبور شهداء أحد رضي الله تعالى عنهم وأنا أتلو هذه الآية وأنا في سورة آل عمران وأردد ما
متفكرا في أمرهم وفي نفسي أن حياتهم روحانية لا جسمانية فبينما أنا على ذلك إذ رأيت شابا منهم قاعدا
في قبره تام الجسد كامل الخلقة في أحسن ما يكون من الهيئة والمنظر ليس عليه شيء من اللباس قد بدا منه ما فوق السرة
والباقي في القبر خلا أني أعلم يقينا أن ذلك أيضا كالظاهر وإنما لا يظهر لكونه عورة فنظرت إلى وجهه فرأيته ينظر إلي
متبسما كأنه ينبهني على أن الأمر بخلاف رأيي فسبحان من علت كلمته وجلت حكمته وقيل الآية نزلت في شهداء بدر
وكانوا أربعة عشر وفيها دلالة على أن الأرواح جواهر قائمة بأنفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى
بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى
فتخصيص الشهداء بذلك لما يستدعيه مقام التحريض على مباشرة مبادي الشهادة أو لاختصاصهم بمزيد القرب
من الله عز وعلا ولنبلونكم لنصيبنكم بما يصيب المختبر لأحوالكم أتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف
والجوع أي بقليل من ذلك فإن ما وقاهم عنه أكثر بالنسبة إلى ما أصابهم بالأضعاف وكذا ما يصيب به معانديهم
وإنما أخبر به قبل الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسبما أخبر به وليعلموا
أنه شيء يسير له عاقبة حميدة ونقص من الأموال والأنفس والثمرات عطف على شيء وقيل على الخوف وعن الشافعي
رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الأموال الزكاة والصدقات ومن الأنفس الأمراض ومن
الثمرات موت الأولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد
عبدي فيقولون نعم فيقول عز وجل أقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون

حمدك واسترجع فيقول الله عز وعلا ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا
اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل من يتأتى منه البشارة والمصيبة
ما يصيب الانسان من مكروه لقوله صلى الله عليه وسلم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر هو الاسترجاع
باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله تعالى عليه ليرى ان ما ابقى عليه
اضعاف ما استرده منه فيهون ذلك على نفسه ويستسلم والمبشر به محذوف دل عليه ما بعده اولئك اشارة الى
الصابرين باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت ومعنى البعد فيه للايذان بعلو رتبتهم عليهم صلوات من ربهم ورحمة
الصلوة من الله سبحانه المغفرة والرأفة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة
كما في قوله تعالى رأفة ورحمة رؤف رحيم والتنوين فيهما للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى
ضميرهم لاظهار مزيد العناية بهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم فنون الرأفة الفائضة
من مالك امورهم ومبلغهم الى كمالاتهم اللائقة بهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله
مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك اشارة اليهم اما باعتبار ما سبق وتكريره
لاظهار كمال العناية بهم واما باعتبار حيازتهم لما ذكر من الصلوات والرحمة المترتب على الاعتبار الاول والمراد
بالاهتداء في قوله تعالى هم المهتدون هو الاهتداء للحق والصواب مطلقا لا الاهتداء لما ذكر من الاسترجاع
والاستسلام خاصة لانه متقدم عليهما فلا بد لتأخره عما هو نتيجتهما من داع توجيهه وليس بظاهر
والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله كأنه قيل واولئك هم المختصون بالاهتداء لكل حق وصواب ولذلك
استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى وعلى الثاني فهو الاهتداء والفوز بالمطالب والمعنى اولئك هم الفائزون
بمباغيهم الدينية والدنيوية فان من نال رأفة الله تعالى ورحمته لم يفته مطلب ان الصفا والمروة علمان
لجبلين بمكة المعظمة كالصمان والمقطم من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت
او اعتمر الحج في اللغة القصد والاعتمار الزيارة غلبا في الشريعة على قصد البيت وزيارته على الوجهين
المعروفين كالبيت والنجم في الاعيان وحيث اظهر البيت وجب تجريدهما عن التعلق به فلا جناح عليه ان يطوف
بهما اي في ان يطوف بهما اصله يتطوف فقلبت التاء طاء فادغمت الطاء في الطاء وفي ايراد صيغة التفعل
ايذان بان من حق الطائف ان يتكلف في الطواف ويبذل فيه جهده وهذا الطواف واجب عندنا وعن مالك
والشافعي رح انه ركن وانما ورد بعدم الجناح المشعر بالتخيير لما انه كان في عهد الجاهلية على الصفا صنم
يقال له اساف وعلى المروة آخر اسمه نائلة وكانوا اذا سعوا بينهما مسحوا بهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام
تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت وقيل هو تطوع ويعضده قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه
ان لا يطوف بهما ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او
طواف وخيرا حينئذ نصب على انه صفة لمصدر محذوف اي تطوعا خيرا او على حذف الجار وايصال الفعل اليه
او على تضمين معنى فعل وقرئ يطوع واصله يتطوع مثل يطوف وقرئ ومن يتطوع بخير فان الله شاكر
اي مجازيه على الطاعة عبر عن ذلك بالشكر مبالغة في الاحسان الى العباد عليم مبالغ في العلم بالاشياء
فيعلم مقادير اعمالهم وكيفياتها فلا ينقص من اجورهم شيئا وهو علة لجواب الشرط قائم مقامه كأنه قيل ومن
تطوع خيرا جازاه الله واثابه فان الله شاكر عليم ان الذين يكتمون قيل نزلت في احبار اليهود الذين كتموا

كتموا ما في التورية من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الاحكام وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة
والحسن والسدي والربيع والاصم انها نزلت في اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقيل نزلت في كل من كتم شيئا
من احكام الدين لعموم الحكم للكل والاقرب هو الاول فان عموم الحكم لا يأبى خصوص السبب والكتم والكتمان
ترك اظهار الشيء قصدا مع مساس الحاجة اليه وتحقق الداعي الى اظهاره وذلك قد يكون بمجرد ستره واخفائه وقد يكون
بازالته ووضع شيء آخر في موضعه وهو الذي فعله هؤلاء ما انزلنا من البينات من الآيات الواضحة الدالة على امر محمد
صلى الله عليه وسلم والهدى اي والآيات الهادية الى كنه امره ووجوب اتباعه والايمان به عبر عنها بالمصدر مبالغة
ولم يجمع مراعاة للاصل وهي المراد بالبينات ايضا والعطف لتغاير العنوان كما في قوله عز وجل هدى للناس وبينات من الهدى وقيل
المراد بالهدى الادلة العقلية ويأباه الانزال والكتم من بعد ما بيناه للناس متعلق بيكتمون والمراد بالناس
الكل لا الكاتمون فقط واللام متعلقة ببيناه وكذا الظرف في قوله تعالى في الكتاب فان تعلق جارين بفعل
واحد عند اختلاف المعنى مما لا ريب في جوازه او الاخير متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي كائنا في الكتاب
وتبيينه لهم تلخيصه وايضاحه بحيث يتلقاه كل احد منهم من غير ان يكون له فيه شبهة وهذا عنوان مغاير لكونه
بينا في نفسه وهدى مؤكد لقبح الكتم او تفهيمه لهم بواسطة موسى عليه السلام والاول انسب بقوله تعالى
في الكتاب والمراد بكتمانه ازالته ووضع غيره في موضعه فانهم محوا نعته صلى الله عليه وسلم وكتبوا مكانه ما يخالفه
كما ذكرناه في تفسير قوله عز وعلا فويل للذين يكتبون الكتاب الخ اولئك اشارة اليهم باعتبار ما وصفوا به للاشعار
بعليته لما حاق بهم وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفساد يلعنهم الله اي يطردهم
ويبعدهم من رحمته والالتفات الى الغيبة باظهار اسم الذات الجامع للصفات لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار
بان مبدأ صدور اللعن عنه سبحانه صفة الجلال المغايرة لما هو مبدأ الانزال والتبيين من وصف الجمال والرحمة
ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتأتى منهم اللعن اي الدعاء عليهم باللعن من الملائكة ومؤمني الثقلين والمراد بيان
دوام اللعن واستمراره وعليه يدور الاستثناء المتصل بقوله تعالى الا الذين تابوا اي عن الكتمان واصلحوا اي ما
افسدوا بان ازالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا ازالوه عند التحريف وبينوا للناس معانيه فانه
غير الاصلاح المذكور او بينوا لهم ما وقع منهم اولا وآخرا فانه ادخل في ارشاد الناس الى الحق وصرفهم عن طريق
الضلال الذي كانوا اوقعوهم فيه او بينوا توبتهم ليمحوا به سمة ما كانوا فيه ويقتدي بهم اضرابهم وحيث كانت
هذه التوبة المقرونة بالاصلاح والتبيين مستلزمة للتوبة عن الكفر مبنية عليها لم يصرح بالايمان وقوله تعالى
فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة للاشعار بعليته للحكم والفاء لتأكيد ذلك اتوب عليهم
اي بالقبول وافاضة المغفرة والرحمة وقوله تعالى وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوب ونشر الرحمة اعتراض
تذييلي محقق لمضمون ما قبله والالتفات الى التكلم للافتنان في النظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز الى ما مر
من اختلاف المبدأ في فعليه تعالى السابق واللاحق ان الذين كفروا الآية جملة مستأنفة سيقت لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء
الاستثناء وتأكيد دوامه واستمراره على غير التائبين حسبما يفيده الكلام والاقتصار على ذكر الكفر في الصلة
من غير تعرض لعدم التوبة والاصلاح والتبيين مبني على ما اشير اليه من ان وجود تلك الامور حيث كان مستلزما للايمان
الموجب لعدم الكفر كذلك وجود الكفر مستلزم لعدمها جميعا اي ان الذين استمروا على الكفر المستتبع للكتمان وعدم
التوبة وماتوا وهم كفار لم يرعووا عن حالتهم الاولى اولئك الكلام فيه كما فيما قبله عليهم اي مستقر عليهم

لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ممن يعتد بلعنهم وهذا بيان لدوامها الثبوتي بعد بيان دوامها التجددي
وقيل الاول لعنتهم احياء وهذا لعنتهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل
في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو كانه قيل ولنا عليهم ان لعنهم الله والملائكة
والناس اجمعون فقيل هو فاعل لفعل مقدر اي وتلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او في النار وعلى انها اضمرت
من غير ذكر تفخيما لشانها وتهويلا لامرها لا يخفف عنهم العذاب اما استئناف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيفية اثر
بيان كثرته من حيث الكم او حال من الضمير في خالدين على وجه التداخل او من الضمير في عليهم على طريقة الترادف ولا هم
ينظرون عطف على ما قبله جار فيه ما جرى فيه وايثار الجملة الاسمية لافادة دوام النفي واستمراره اي لا يمهلون ولا
يؤجلون او لا ينظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم خطاب عام لكافة الناس اي المستحق منكم للعبادة
اله واحد اي فرد في الالهية لا صحة لتسمية غيره الها اصلا لا اله الا هو خبر ثان للمبتدأ او صفة اخرى للخبر او
اعتراض واياما كان فهو مقرر للوحدانية مزيح لما عسى يتوهم ان في الوجود الها لكن لا يستحق العبادة الرحمن
الرحيم خبر آخر للمبتدأ او المبتدأ محذوف وهو تقرير للتوحيد فانه تعالى حيث كان موليا لجميع النعم اصولها
وفروعها جليلها ودقيقها وكان ما سواه كائنا ما كان مفتقرا اليه في وجوده وما يتفرع عليه من الكمالات تحققت وحدانيته بلا
واختصاص استحقاق العبادة به تعالى قطعا قيل كان للمشركين حول الكعبة المكرمة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا
وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض اي في ابداعهما على ما هما عليه
مع ما فيهما من تعاجيب العبر وبدائع صنائع يعجز عن فهمها عقول البشر وجمع السموات لما هو المشهور من انها طباق متخالفة
الحقائق دون الارض واختلاف الليل والنهار اي اعتقابهما وكون كل منهما خلفا للآخر كقوله تعالى وهو الذي جعل
الليل والنهار خلفة او اختلاف كل منهما في انفسهما ازديادا وانتقاصا على ما قدره الله تعالى والفلك التي تجري في البحر عطف
على ما قبله وتانيثه اما باعتبار السفينة او بانه جمع فان صيغة الجمع مغايرة لصيغة الواحد في التقدير اذ الاول كما في قفل والثانية
كما في اسد وقرئ بضمتين بما ينفع الناس اي ملتبسة بالذي ينفعهم مما يحمل فيها من انواع المنافع او بنفعهم وما انزل
الله من السماء من ماء عطف على الفلك وتاخيره عن ذكرها مع كونه اعم منها نفعا لما فيه من مزيد تفصيل وقيل المقصود
الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر
المطر والسحاب لان منشاهما البحر في غالب الامر ومن الاولى ابتدائية والثانية بيانية او تبعيضية واياما كان فتاخيرها لما مر
من التشويق والمراد بالسماء الفلك او السحاب او جهة العلو فاحيى به الارض بانواع النبات والازهار وما عليها من الاشجار
بعد موتها باستيلاء اليبوسة عليها حسبما تقتضيه طبيعتها كما يؤذن به ايراد الموت في مقابلة الاحياء وبث فيها اي فرق ونشر
من كل دابة من العقلاء وغيرهم والجملة معطوفة على انزل داخلة تحت حكم الصلة وقوله تعالى فاحيى الخ متصل بالمعطوف عليه
بحيث كانا في حكم شيء واحد كانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها الخ او على احيى بحذف الجار والمجرور العائد الى
الموصول وان لم يتحقق الشرائط المعهودة كما في قوله وان لساني شهدة يشتفى بها وهو على من صبه الله علقم وقوله
لعل الذي اصعدتني ان يردني الى الارض ان لم يقدر الخير قادره على معنى فاحيى بالماء الارض وبث فيها من كل دابة فانهم
ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح عطف على ما انزل اي تقليبها من مهب الى آخر او من حال الى اخرى وقرئ
على الافراد والسحاب عطف على تصريف او الرياح وهو اسم جنس واحده سحابة سمي بذلك لانسحابه في الجو المسخر
بين السماء والارض صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما في قوله تعالى سحابا ثقالا وتسخيره تقليبه

في الجو بواسطة الرياح حسبما تقتضيه مشيئة الله تعالى ولعل تاخير تصريف الرياح وتسخير السحاب في الذكر عن جريان
الفلك وانزال الماء مع انعكاس الترتيب الخارجي للملاحظة في قصة البقرة من اعتبار استقلال كل من الامور المعدودة في
كونها آية ولو روعي الترتيب الخارجي لربما توهم كون المجموع المترتب بعضه على بعض آية واحدة لآيات اسم ان
دخلته اللام لتاخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي آيات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة
الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الالوهية به سبحانه لقوم يعقلون اي يتفكرون فيها وينظرون
اليها بعيون العقول وفيه تعريض بجهل المشركين الذين اقترحوا على النبي صلى الله عليه وسلم آية تصدقه في قوله
تعالى والهكم اله واحد وتسجيل عليهم بسخافة العقول والا فمن تامل في تلك الآيات وجد كلا منها ناطقة بوجوده
تعالى ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى واستغنى بها عن سائرها فان كل واحد
من الامور المعدودة قد وجد على وجه خاص من الوجوه الممكنة دون ما عداه مستتبعا لآثار معينة واحكام مخصوصة
من غير ان يقتضيه ذاته وجوده فضلا عن وجوده على نمط معين مستتبع لحكم مستقل فاذن لا بد له حتما من موجد
قادر حكيم يوجده حسبما تقتضيه حكمته وتستدعيه مشيئته متعاليا عن معارضة الغير اذ لو كان معه آخر يقدر على ما
يقدر عليه لزم اما اجتماع المؤثرين على اثر واحد او التمانع المؤدي الى فساد العالم ومن الناس من يتخذ من دون الله
بيان لكمال ركاكة آراء المشركين اثر تقرير وحدانيته سبحانه وتحرير الآيات الباهرة الملجئة للعقلاء الى الاعتراف بها القاضية
بالسخافة ان يشاركه شيء من الموجودات في صفة من صفات الكمال فضلا عن المشاركة في صفة الالوهية والكلام في
اعرابه كما فصل في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الخ ومن دون الله متعلق بيتخذ اي من الناس
من يتخذ من دون ذلك الاله الذي ذكرت شؤونه الجليلة وايثار الاسم الجليل لتعيينه تعالى بالذات غب تعيينه بالصفات اندادا اي امثالا
من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين يتبعونهم فيما ياتون وما يذرون لا سيما في الاوامر والنواهي كما يفصح عنه ما سيأتي من وصفهم
بالتبري من المتبعين وقيل هي الاصنام وارجاع ضمير العقلاء في قوله عز وعلا يحبونهم مبني على آرائهم الباطلة في شانها
من وصفهم بما لا يوصف به الا العقلاء والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها
ورسخ فيها والفعل منها احب على حد مد لكن الاستعمال المستفيض على احب حبا ومحبة فهو محب وذاك محبوب ومحب
قليل وحاب اقل منه ومحبة العبد لله سبحانه ارادة طاعته في اوامره ونواهيه والاعتناء بتحصيل مراضيه
فمعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم والجملة في حيز النصب اما صفة لاندادا او حال من فاعل يتخذ وجمع الضمير
باعتبار معنى من كما ان افراده باعتبار لفظها كحب الله مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق
ومن قضيته كونه مبنيا للفاعل كونه ايضا كذلك والظاهر اتحاد فاعلهما فانهم كانوا يقرون بالله تعالى ايضا ويتقربون
اليه فالمعنى يحبونهم حبا كائنا كحبهم لله تعالى اي يسوون بينه تعالى وبينهم في الطاعة والتعظيم وقيل فاعل الحب
المذكور هم المؤمنون والمعنى حبا كائنا كحب المؤمنين لله تعالى فلا بد من اعتبار المشابهة بينهما في اصل الحب لا في وصفه
كما وكيفا لما سيأتي من التفاوت البين وقيل هو مصدر من المبني للمفعول اي كما يحب الله تعالى ويعظم وانما استغنى عن
ذكر من يحبه لانه غير ملتبس وانتصابه لا اشتباه بين محبتهم لاندادهم وبين محبوبيته تعالى فالمصير الى ما اسلفنا
في تفسير قوله عز من قائل لا كما سيأتي ونهي من قبل واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لتربية المهابة وتفخيم المضاف وابانة
كمال قبح ما ارتكبوه والذين آمنوا اشد حبا لله جملة مبتدأة جيء بها توطئة لما يعقبها من بيان رخاوة حبهم وكونه
حسرة عليهم والمفضل عليه محذوف اي المؤمنون اشد حبا لله تعالى منهم لاندادهم ومآله ان حب اولئك لله تعالى

اشد من حب هؤلاء لانداديهم وفيه من الدلالة على كون الحب مصدرا من المبني للفاعل ما لا يخفى وانما لم يجعل المفضل
عليه حبهم لله تعالى لما ان المقصود بيان انقطاعه وانقلابه بغضا وذلك انما يتصور في حبهم لانداديهم لكونه منوطا
بمبادي فاسدة موهومة يزول بزوالها قيل ولذلك كانوا يعدلون عنها الى الله سبحانه كما انهم كانوا
يعبدون صنما زمانا فاذا وجدوا اخر رفضوه اليه وقد اكلت باهلة الهها عام المجاعة وكان من حيس وانت خبير
بان مدار ذلك اعتبار الخلل في حبهم لها في الدنيا وليس الكلام فيه بل في انقطاعه في الآخرة عند ظهور حقيقة الحال
ومعاينة الاهوال كما سيأتي بل باعتبار تحققها بما يقتضيه مقام المبالغة في بيان كمال قبح ما ارتكبوه وغاية عظم ما اقترفوه
وايثار الظاهر في موضع الاضمار لتفخيم الحب والاشعار بعلته. ولو يرى الذين ظلموا اي باتخاذ الانداد ووضعها موضع
المعبود لو يرون العذاب المعد لهم يوم القيمة اي لو علموا الان ايا ما وانما اوثر صيغة المستقبل اجراء له مجرى الكائن صح
في الدلالة على التحقق في اخبار علام الغيوب. ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى. وان الله شديد العذاب
عطف عليه وفائدته المبالغة في تهويل الخطب وتفظيع الامر فان اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز
تركه عفوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف للايذان بخروجه عن دائرة البيان اما لعدم الاحاطة بكنهه واما لضيق
العبارة عنه واما لايجاب ذكره ما لا يستطيعه المعبر او المستمع من الضجر والتفجع عليه اي لو علموا ان ذراوا العذاب قد حل
بهم ولم ينقذهم منه احد من انداديهم ان القوة لله تعالى جميعا ولا دخل لاحد في شيء اصلا لوقعوا من الحسرة والندم فيما
لا يكاد يوصف وقرئ ولو ترى بالتاء الفوقانية على ان الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب
فالجواب ح لرأيت امرا لا يوصف من الهول والفظاعة وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول وان الله شديد العذاب
على الاستئناف او اضمار القول. اذ تبرأ الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ الرؤساء من الذين اتبعوا من الاتباع
بان اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه في الدنيا ويدعونهم اليه من فنون الكفر والضلال واعتزلوا عن مخالطتهم
وقابلوهم باللعن كقول ابليس اني كفرت بما اشركتمون من قبل وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء. والواو
في قوله عز وجل ورأوا العذاب حالية وقد مضمرة وقيل عاطفة على تبرأ والضمير في رأوا للموصولين جميعا
وتقطعت بهم الاسباب اي الوصل التي كانت بينهم من التبعية والمتبوعية والاتفاق على الملة الزائغة والاغراض
الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر ونحوه والجملة معطوفة على تبرأ وتوسيط الحال بينهما
للتنبيه على علة التبري وقد جوز عطفها على الجملة الحالية. وقال الذين اتبعوا حين عاينوا تبرؤ الرؤساء منهم
وندموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم في الدنيا لو ان لنا كرة اي ليت لنا رجعة الى الدنيا فنتبرأ منهم هنالك كما تبرؤوا
منا اليوم. كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده لا الى شيء اخر مفهوم مما سبق وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته وكمال تميزه عما عداه وانتظامه في سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة لتاكيد ما
افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله النصب على المصدرية اي ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم
اي ندامات شديدة فان الحسرة شدة الندم والكمد وهي تألم القلب وانحساره عما يؤلمه واشتقاقها من قولهم بعير حسير
اي منقطع القوة وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فهي حال والمعنى ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم
فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين من النار كلام مستأنف لبيان حالهم بعد دخولهم النار
وما يخرجون والعدول الى الاسمية لافادة دوام نفي الخروج والضمير للدلالة على قوة امرهم فيما اسند اليهم كما في
قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة واجرد سباق يبذ المغاليا. يا ايها الناس كلوا مما في الارض اي بعض ما فيها

من صنوف المأكولات التي من جملتها ما حرمتموه افتراء على الله تعالى من الحرث والانعام قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في قوم
من ثقيف وبني عامر بن صعصعة وخزاعة وبني مدلج حرموا على انفسهم ما حرموا من الحرث والبحائر والسوائب
والوصائل والحام. وقوله تعالى حلالا حال من الموصول اي كلوه حال كونه حلالا او مفعول كلوا على ان من ابتدائية
وقد جوز كونه صفة لمصدر مؤكد اي كلا حلالا وتعقيد الاولين قوله تعالى طيبا فانه صفة له ووصف
الاكل به غير معتاد وقيل نزلت في قوم من المؤمنين حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس ويرده قوله عز وجل
ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتدوا به في اتباع الهوى فانه صريح في ان الخطاب للكفرة كيف لا وتحريم
الحلال على نفسه من المؤمن بعد ما ليس من اتباع خطوات الشيطان فضلا عن كونه تقولا وافتراء على الله تعالى وانما الذي
نزل فيهم ما في سورة المائدة من قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الاية وقرئ خطوات
بسكون الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها
على الواو وبفتحتين على انها جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين تعليل للنهي اي ظاهر العداوة
عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الولاية لمن يغويه ولذلك سمي وليا في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم
بالسوء والفحشاء استئناف لبيان كيفية عداوته وتفصيل لفنون شره وافساده وانحصار معاملته معهم في ذلك
والسوء في الاصل مصدر ساءه يسوءه سوءا ومساءة اذا احزنه يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من اعمال الجوارح
او افعال القلوب لاشتراك كلها في انها تسوء صاحبها والفحشاء اقبح انواعها واعظمها مساءة. وان تقولوا على الله
ما لا تعلمون عطف على الفحشاء اي وبان تفتروا على الله بانه حرم هذا وذاك ومعنى ما لا تعلمون ما لا تعلمون
ان الله تعالى امر به وتعليق امره بتقولهم على الله تعالى ما لا يعلمون وقوعه منه تعالى لا بتقولهم عليه ما يعلمون عدم
وقوعه منه تعالى مع ان حالهم كذلك للمبالغة في الزجر فان التحذير من الاول مع كونه في القبح والشناعة دون الثاني
تحذير عن الثاني على ابلغ وجه واكده وللايذان بان من الحق ان يجب عليها ان لا يقولوا على الله ما لا يعلم وقوعه منه تعالى
مع الجهل فضلا عن ان يقولوا عليه ما يعلم عدم وقوعه منه قالوا وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا
واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظنه مستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه. واذا قيل لهم
اتبعوا ما انزل الله التفات الى الغيبة تسجيلا بكمال ضلالهم وايذانا بايجاب تعداد ما ذكر من جناياتهم لصرف
الخطاب عنهم وتوجيهه الى العقلاء وتفصيل مساوي احوالهم على نهج المباثة اي اذا قيل لهم على وجه النصيحة
والارشاد اتبعوا كتاب الله الذي انزله قالوا لا نتبعه بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا اي وجدناهم عليه اما
على ان الظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من آباءنا والفينا متعد الى واحد واما على انه مفعول ثان له متعد الى اثنين قد
نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله تعالى من الحجج الظاهرة والبينات الباهرة فجنحوا للتقليد
والموصول اما عبارة عما سبق من اتخاذ الانداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك واما باق على عمومه وما ذكر داخل
فيه دخولا اوليا وقيل نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا
بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم فعلى هذا يعم ما انزل الله تعالى التوراة لانها ايضا
تدعو الى الاسلام وقوله عز وجل اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون استئناف مسوق من جهته
تعالى ردا لمقالتهم الحمقاء واظهارا لبطلان آرائهم والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتعجيب منه لا لانكار
الوقوع كما في قوله تعالى او لو كنا كارهين وكلمة لو في امثال هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمان

الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه بل هي لبيان تحقق ما يفيده
الكلام السابق بالذات أو بالواسطة من الحكم الموجب أو المنفي على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال
بإدخالها على أبعدها منه وأشدها منافاة له ليظهر بثبوته أو انتفائه معه ثبوته أو انتفاؤه مع ما عداه
من الأحوال بطريق الأولوية لما أن الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره أولى ولذلك لا يذكر
معه شيء من سائر الأحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الأحوال
المغايرة لها وهذا معنى قولهم إنها لاستقصاء الأحوال على سبيل الإجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب
والمنفي والأمر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك أحسن [الله]
إلى فلان ولو أساء إليك ولا تهنه ولو أهانك لبقائه على حاله وأما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء ناشئ من ورود الإنكار
عليه لكن الأصل في الكل واحد لأن كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وأن ما
يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وأن الجملة حال من ضميره أو مما يتعلق به وأن ما في حيز لو
باق على ما هو عليه من الاستبعاد غالبا بخلاف ما نحن فيه لما أن كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور
وأن ما يقصد بيان تحققه على كل حال مدلوله لا مدلول المذكور من حيث هو مدلوله وأن الجملة حال مما يتعلق
به لا مما يتعلق بالمذكور من حيث هو متعلق به وأن المقصود الأصلي إنكار مدلوله باعتبار مقارنته للحالة المذكورة
وأما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وأن ما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الإشعار بأنه
أمر محقق لكنه أخرج مخرج الاستبعاد معاملة مع المخاطبين على معتقدهم لئلا يلجوا في التصريح بنسبة آبائهم
إلى كمال الجهالة والضلالة لشدة إلفهم فيركبوا متن العناد ومبالغة في الإنكار من جهة أن اتباعهم لآبائهم حيث
كان منكرا مستقبحا عند احتمال كون آبائهم كما ذكر احتمالا بعيدا فلأن يكون منكرا عند تحقق ذلك أولى
والمعنى أيتبعونهم ذلك لو لم يكن آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا كذلك
فالجملة في حيز النصب على الحالية من آبائهم على طريقة قوله تعالى أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا كأنه قيل أيتبعون
دين آبائهم حال كونهم غافلين وجاهلين ضالين إنكارا لما أفاده كلامهم من الاتباع على كل حالة كانت من
الحالتين غير أنه اكتفى بذكر الحالة الثانية تنبيها على أنها هي الواقعة في نفس الأمر وتعويلا على اقتضائها
للحالة الأولى اقتضاء بينا فإن اتباعهم الذي تعلق به الإنكار حين تحقق مع كون آبائهم جاهلين ضالين فلأن
يتحقق مع كونهم عاقلين ومهتدين أولى إن قلت الإنكار المستفاد من الاستفهام الإنكاري بمنزلة النفي و
لا ريب في أن الأولوية في صورة النفي معتبرة بالنسبة إلى النفي لا بالنسبة إلى الأول فالأولى بالتحقق فيما ذكر من
مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها أعني عدم الغنى هو عدم الإعطاء لا نفسه فكان ينبغي أن يكون الأولى
بالتحقق فيما نحن فيه عند الحالة المسكوت عنها وهي حالة كون آبائهم عاقلين ومهتدين إنكار الاتباع
لا نفسه إذ هو الذي يدل عليه أيتبعون إلخ فلم اختلف الحال بينهما قلت لما أن مناط الأولوية هو الحكم
الذي أريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الإعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور
وأما فيما نحن فيه فهو نفس الاتباع المستفاد من الفعل المقدر إذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق أعني
قولهم بل نتبع إلخ وأما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لإنكاره وتفنيده واستقباح ما يقتضيه لا أنه
من تمامه كما في صورة النفي وكذا الحال فيما إذا كانت الهمزة لإنكار الوقوع ونفيه مع كونه بمنزلة صريح

النفي كما سيأتي تحقيقه في قوله تعالى أو لو كنا كارهين وقيل الواو حالية ولكن التحقيق أن المعول عليه هو معنى العطف في سائر المواقع
أيضا ومثل الذين كفروا جملة ابتدائية واردة لتقرير ما قبلها بطريق التصوير وفيها مضاف قد حذف لدلالة ما بعده عليه ووضع
الموصول موضع الضمير الراجع إلى ما يرجع إليه الضمائر السابقة لذمهم بما في حيز الصلة والإشعار بعلة ما أثبت لهم من الحكم والتقدير
مثل ذلك القائل وحاله العجيبة لغرابتها بأن تسمى مثلا وتسير في الآفاق فيما ذكر من دعوته إياهم إلى اتباع الحق وعدم
رفعهم إليه رأسا لانهماكهم في التقليد وإخلادهم إلى ما هم عليه من الضلالة وعدم فهمهم من جهة الداعي إلا الدعاء من غير أن
يلقوا أذهانهم إلى ما يلقى عليهم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء من البهائم فإنها لا تسمع إلا صوت الراعي وهيئته
بها من غير فهم لكلامه أصلا وقيل إنما حذف المضاف من الموصول الثاني لدلالة كلمة ما عليه فإنها عبارة عن منعوق به في ضمن
الصلة بما هو من التمثيل أي مثل الذين كفروا فيما ذكر من انهماكهم فيما هم فيه وعدم التدبر فيما ألقي إليهم من الآيات كمثل بهائم
الذي ينعق بها وهي لا تسمع منه إلا جرس النغمة ودوي الصوت وقيل المراد تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين
بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته وقيل تمثيلهم في دعائهم الأصنام بالناعق في نعقه وهو تصويته على
البهائم وهذا أغنى عن الإضمار لكن لا يساعده قوله إلا دعاء ونداء فإن الأصنام بمعزل من ذلك وقد عرفت أن
حسن التمثيل فيما تشابه أفراد الطرفين صم بكم عمي بالرفع على الذم أي هم صم إلخ فهم لا يعقلون شيئا لأن طريق
التعقل هو التدبر في مبادئ الأمور المعقولة والتأمل في ترتيبها وذلك إنما يحصل باستماع آيات الله ومشاهدة حججه
الواضحة والمفاوضة مع من يحصل منه العلوم فإذا كانوا صما بكما عميا فقد انسدت عليهم أبواب التعقل وطرق
الفهم بالكلية يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم أي من مستلذاته واشكروا لله الذي رزقكموها
والالتفات لتربية المهابة إن كنتم إياه تعبدون فإن عبادته تعالى لا تتم إلا بالشكر له وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل إني والإنس والجن في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري إنما حرم عليكم الميتة
أي أكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكاة والسمك والجراد خارجان عنها بالعرف أو استثناء الشرع
والدم ولحم الخنزير وإنما خص لحمه مع أن سائر أجزائه أيضا في حكمه لأنه معظم ما يؤكل
من الحيوان وسائر أجزائه بمنزلة التابع له وما أهل به لغير الله أي رفع الصوت عند ذبحه للصنم والإهلال
أصله رؤية الهلال لكن لما جرت العادة برفع الصوت بالتكبير عندها سمي ذلك إهلالا ثم قيل لرفع الصوت
وإن كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستئثار على مضطر آخر ولا عاد سد الرمق والجوعة وقيل غير باغ على
الوالي ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول أحمد فلا إثم عليه
في تناوله إن الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة إن قيل كلمة إنما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر
قلنا المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا أو قصر حرمته على حالة الاختيار كأنه قيل إنما حرم
عليكم هذه الأشياء ما لم تضطروا إليها إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب المشتمل على فنون الأحكام التي من جملتها
أحكام المحللات والمحرمات حسبما ذكر آنفا قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في رؤساء اليهود حين كتموا نعت النبي صلى الله عليه وسلم
ويشترون به أي يأخذون بدله ثمنا قليلا عوضا حقيرا وفيه من التعبير عن ذلك باسم الثمن الذي هو وسيلة في
عقود المعاوضة وقوله تعالى أولئك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة من القبائح الشنيعة
المميزين بها عن غيرهم أكمل تمييز الجاعلين إياهم بحيث كأنهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد
للإيذان بغاية بعد منزلتهم في الشر والفساد وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ما يأكلون في بطونهم إلا النار الجملة

خبر لان او اسم الاشارة مبتدا ثان او بدل من الاول والخبر ما ياكلون الخ ومعنى اكلهم النار انهم ياكلون في الحال
ما يستتبع النار ويستلزمها فكانه عين النار واكلها كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط
طيبة النشر او فياكلون في المآل عين النار عقوبة عن اكلهم الرشى في الدنيا وفي بطونهم متعلق بياكلون وفائدته
تاكيد الاكل وتقريره ببيان مقر الماكول وقيل معناه ملء بطونهم كما في قولهم اكل في بطنه واكل في بعض بطنه
ومنه كلوا في بعض بطنكم تعفوا فلا بد من الالتجاء الى تعليقه بمحذوف وقع حالا مقدرة من النار مع تقديمه
على حرف الاستثناء والا فتعليقه بياكلون يؤدي الى قصر ما ياكلونه الى الشبع على النار والمقصود قصر ما ياكلونه
مطلقا عليها ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه العظيم عليهم وتعريض بحرمانهم ما اتيح للمؤمنين من فنون
الكرامات السنية والزلفى ولا يزكيهم لا يثني عليهم ولهم مع ما ذكر عذاب اليم مؤلم اولئك اشارة الى
ما اشير اليه بنظيره باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة اذ لا دخل لها في الحكم الذي اريد
اثباته ههنا فان المقصود تصوير ما باشروه من المعاملة بصورة قبيحة تنفر منها الطباع ولا يتعاطاها عاقل
اصلا ببيان حقيقة ما ياخذونه وما يعطونه ما اخذوه وما بذلوه فظاعة تبعاته وهو مبتدا خبره الموصول اي
اولئك المشترون كتاب الله عز وجل ثمنا قليلا ليسوا بمشترين للثمن وان قل بل هم الذين اشتروا بالنسبة
الى الدنيا الضلالة التي ليست مما يمكن ان يشترى قطعا بالهدى الذي ليس من قبيل ما يبذل بمقابلة شيء
وان جل والعذاب اي اشتروا بالنظر الى الآخرة العذاب الذي لا يتوهم كونه مما يشترى بالمغفرة التي يتنافس
فيها المتنافسون فما اصبرهم على النار تعجيب من حالهم الهائلة التي هي ملابستهم بما يوجب النار ايجابا قطعيا
كانه عينها وما عند سيبويه نكرة تامة مفيدة لمعنى التعجب مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص شر في شر
اهر ذا ناب خبرها ما بعدها اي شيء عظيم جعلهم صابرين على النار وعند الفراء استفهامية وما بعدها
خبرها اي اي شيء اصبرهم على النار وقيل هي موصولة وقيل موصوفة بما بعدها والخبر محذوف اي الذي
اصبرهم على النار او شيء اصبرهم على النار امر عجيب فظيع ذلك العذاب بان الله نزل الكتاب اي جنس الكتاب
بالحق اي ملتبسا به فلا جرم يكون من رفضه بالتكذيب والكتمان فيكتسب من الجهل والغواية مبتلى بمثل هذا من
افانين العذاب وان الذين اختلفوا في الكتاب اي في جنس الكتاب الالهي بان آمنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا
ببعضها او في التوراة بان آمنوا ببعض آياتها وكفروا ببعض كالآيات المغيرة المشتملة على امر بعثة النبي صلى الله
عليه وسلم ونعوته الكريمة بمعنى الاختلاف التخلف عن طريق الحق او الاختلاف في تاويلها او في القرآن بان
قال بعضهم انه سحر وبعضهم انه شعر وبعضهم اساطير الاولين كما حكي عن المشركين لفي شقاق بعيد عن الحق والصواب
مستوجب لشدة العذاب ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر اسم جامع لمراضي الخصال
والخطاب لاهل الكتابين فانهم كانوا اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت الى الكعبة وكان كل فريق يدعي
خيرية التوجه الى قبلته من القطرين المذكورين وتقديم المشرق على المغرب مع تاخر زمان الملة النصرانية اما لرعاية
ما بينهما من الترتيب المتفرع على ترتيب الشروق والغروب واما لان توجه اليهود الى المغرب ليس لكونه مغربا بل لكون
بيت المقدس من المدينة المنورة واقعا في جانب الغرب فقيل لهم ليس البر ما ذكر من التوجه الى تينك الجهتين على ان
البر خبر ليس مقدما على اسمها كما في قوله سلي ان جهلت الناس عني وعنهم فليس سواء عالم وجهول وقوله اليس
عظيما ان تلتقي مثلي وليس علينا في التعاطي معول فانما اختير ذلك لما ان المصدر المؤول اعرف من المحلى

باللام لانه يشبه الضمير من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به والاعرف احق بالاسمية ولان في الاسم طولا فلو روعي
الترتيب المعهود لتفاوت اطراف النظم الكريم وقرئ برفع البر على انه اسمها وهو اقوى بحسب المعنى لان كل فريق يدعي
ان البر هذا فيجب ان يكون الرد موافقا لدعواهم وما ذاك الا بكون البر اسما كما يفصح عنه جعله مخبرا عنه في الاستدراك
بقوله عز وجل ولكن البر من آمن بالله وهو تحقيق للحق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل لخصال البر مما لا يختلف باختلاف
الشرائع وما يختلف باختلافها اي ولكن البر الذي يحق ان يهتم بشانه ويجد في تحصيله بر من آمن بالله وحده
ايمانا بريئا من شائبة الاشراك لا كايمان اليهود والنصارى المشركين بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله واليوم
الآخر اي على ما هو عليه لا كما يزعمون من ان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم ففيه تعريض
بان ايمان اهل الكتابين حيث لم يكن كما ذكر من الوجه الصحيح لم يكن ايمانا وفي تعليق البر بهما اول الامر عقيب نفيه عن التوجه
الى المشرق والمغرب من الجزالة ما لا يخفى كانه قيل ولكن البر هو التوجه الى المبدا والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب في
الحقيقة والملائكة اي وآمن بهم وبانهم عباد مكرمون متوسطون بينه تعالى وبين انبيائه بالقاء الوحي وانزال الكتب
والكتاب اي جنس الكتاب الذي من افراده الفرقان الذي نبذوه وراء ظهورهم وفيه تعريض بكتمانهم نعوت النبي صلى الله
عليه وسلم واشترائهم بما انزل الله تعالى ثمنا قليلا والنبيين جميعا من غير تفرقة بين احد منهم كما فعله اهل الكتابين ووجه
توسيط الكتاب بين حملة الوحي وبين النبيين واضح وسياتي في قوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وآتى المال
على حبه حال من الضمير في آتى والضمير المجرور للمال اي آتاه كائنا على حب المال كما في قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل اي الصدقة
افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح وقول ابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى
اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل الضمير لله تعالى اي آتاه كائنا على حبه تعالى لا على قصد الشهرة والسمعة
ففيه نوع تعريض بما فعله الرشى واخذها لتغيير التوراة وقيل للمصدر اي كائنا على حب الايتاء ذوي القربى مفعول اول
لآتى قدم عليه مفعوله الثاني اعني المال للاهتمام به او لان في الثاني مع ما عطف عليه طولا لو روعي الترتيب لفات تجاوب
الاطراف في الكلام وهو الذي اقتضى تقديم الحال ايضا وقيل هو المفعول الثاني واليتامى اي المحاويج منهم ولم يقيد لعدم
الالتباس عليه الحال وتقديم ذوي القربى عليهم لما ان ايتاءهم صدقة وصلة والمساكين جمع مسكين وهو الدائم السكون لما ان
الخلة اسكنته حيث لا حراك به او دائم السكون الى الناس وابن السبيل اي المسافر سمي به لملازمته اياه كما سمي القاطع ابن الطريق
وقيل الضيف والسائلين الذين الجأتهم الحاجة والضرورة الى السؤال قال صلى الله عليه وسلم اعطوا السائل ولو جاء على فرس
وفي الرقاب اي وضعه في فك الرقاب بمعاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في فك الاسارى وقيل في ابتياع
الرقاب واعتاقها وايا ما كان فالعدول عن ذكرهم بعنوان مصحح للملكية كالذين من قبلهم اما للايذان بعدم قرارهم في الملك
فيما اوتوا كما في الوجهين الاولين او بعدم ثبوته راسا كما في الوجه الاخير واما للاشعار بعدم رسوخهم في الاستحقاق والحاجة
لما ان في الظرفية المنبئة عن عليتهم لما يؤتى واقام الصلوة اي المفروضة منها وآتى الزكوة اي المفروضة على ان المراد
بما مر من ايتاء المال التنفل بالصدقة قدمه على الفريضة مبالغة في الحث عليه او المراد بهما المفروضة لكن الاول لبيان المصارف
والثاني لبيان وجوب الاداء والموفون بعهدهم عطف على من آمن فانه في قوة ان يقال ومن اوفوا بعهدهم وايثار صيغة الفاعل
للدلالة على وجوب استمرار الوفاء والمراد بالعهد ما لا يحرم حلالا ولا يحلل حراما من العهود الجارية فيما بين الناس وقوله تعالى
اذا عاهدوا للايذان بعدم كونه من ضرورات الدين والصابرين نصب على الاختصاص غير منتظم مع ما قبله تنبيها على فضيلة
الصبر ومزيته وهو في الحقيقة معطوف على ما قبله قال ابو علي اذا ذكرت صفات للمدح او الذم وخولف في بعضها الاعراب

نعت خولف للافتنان ويسمى ذلك قطعا لان تغيير المالوف يدل على زيادة ترغيب في استماع المذكور ومزيد اهتمام بشانه
كما مر في صفة السورة وقد قرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين في البأساء اى في الفقر والشدة والضراء اى المرض والزمانة
وحين البأس اى وقت مجاهدة العدو في مواطن الحرب وزيادة الحين للاشعار بوقوعه احيانا وسرعة انقضائه اولئك
اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالنعوت الجميلة المعدودة وما فيه من معنى البعد لما مر من الرمز الى علو طبقتهم
وسمو رتبتهم الذين صدقوا اى في الدين واتباع الحق وتحرى البر حيث لم تغيرهم الاحوال ولم يزلزلهم الاهوال واولئك
هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شانهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى
فيهم والآية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات البشرية برمتها تصريحا او تلويحا لما انها مع تكثر فنونها وتشعب
شجونها منحصرة في خلال ثلث صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس وقد اشير الى الاولى
بالايمان بما فصل والى الثانية بايتاء المال والى الثالثة باقامة الصلوة الخ ولذلك وصف الحائزون
لها بالصدق نظرا الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتبارا لمعاشرتهم مع الخلق ومعاملتهم مع الحق واليه
يشير قوله صلى الله عليه وسلم من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان بعض من
الاحكام الشرعية على وجه التلافي لما فرط من المخلين بما ذكر من اصول الدين وقواعده التي عليها بني اساس المعاش
والمعاد كتب عليكم اى فرض والزم عند مطالبة صاحب الحق فلا يقدح فيه قدرة الولي على العفو فان
الوجوب انما اعتبر بالنسبة الى الحكام او القاتلين القصاص في القتلى اى بسبب قتلهم كما في قوله صلى الله عليه وسلم
ان امرأة دخلت النار في هرة ربطتها اى بسبب ربطها اياها الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في
الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما
جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فامرهم ان يتباوؤا وليس فيها دلالة على
عدم قتل الحر بالعبد عند الشافعي ايضا لان اعتبار المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر وجه سوى اختصاص
الحكم بالمنطوق وقد بان الوجه ههنا وانما يتمسك في ذلك هو ومالك بما روى عن علي رضي الله عنه ان رجلا قتل
عبده فجلده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده وبما روى عنه رضي الله عنه انه قال من السنة ان لا يقتل
مسلم بذى عهد ولا حر بعبد وبان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة
من غير نكير وبالقياس على الاطراف وعندنا يقتل الحر بالعبد لقوله تعالى ان النفس بالنفس فان شريعة من قبلنا
اذا قصت علينا من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب على انها شريعة لنا ولان القصاص يعتمد المساواة
في العصمة وهي بالدين او بالدار وهما سيان فيهما وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القصاص فمن عفى له من
اخيه شيء اى شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص
وهو الواقع ايضا في العادة لان كثيرا ما يقع العفو من بعض الاولياء فهو شيء من العفو وقيل معنى عفى ترك
وشيء مفعول به وهو ضعيف لانه لم يثبت عفاه بمعنى تركه بل اعفاه وحمل العفو على المحو كما في قول من قال ديار
عفاها جور كل معاند وقوله عفاه كل حنان كثير الوبل هطال ليكون المعنى فمن محى له من اخيه شيء صرف
للعبارة المتداولة في الكتاب والسنة عن معناها المشهور المعهود الى ما ليس بمعهود فيهما وفي استعمال الناس فانهم
لا يستعملون العفو في باب الجنايات الا فيما ذكر من قبل وعفا يعدى بعن الى الجاني والذنب قال الله تعالى عفا الله
عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كانه قيل فمن عفى له عن جنايته

عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وايراده بعنوان الاخوة الثابتة بينهما بحكم كونهما من بني آدم عليه السلام لتحريك
سلسلة الرقة والعطف عليه فاتباع بالمعروف فالامر اتباع او فليكن اتباع والمراد وصية العافي بالمسامحة
ومطالبة الدية بالمعروف من غير تعنيف وقوله عز وجل واداء اليه باحسان حث للمعفو عنه على ان يؤديها باحسان
من غير مماطلة وبخس ذلك اى ما ذكر من الحكم تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود
القصاص وحده وحرم عليهم العفو والدية وعلى النصارى العفو على الاطلاق وحرم عليهم القصاص والدية وخيرت
هذه الامة بين الكل تيسيرا عليهم وتنزيلا للحكم على حسب المنازل فمن اعتدى بعد ذلك بان قتل غير القاتل بعد
ورود هذا الحكم او قتل القاتل بعد العفو او اخذ الدية فله باعتدائه عذاب اليم اما في الدنيا فبالاقتصاص
بما قتله بغير حق واما في الآخرة فبالنار ولكم في القصاص حيوة بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لا تنال
غايته حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس نوعا من الحيوة
عظيما لا يبلغه الوصف وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيتسبب لحيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون
غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحيوتهم
وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بالحيوة هي الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في
الدنيا لم يؤاخذ به في الآخرة والظرفان اما خبران لحيوة او احدهما خبر والآخر صلة له او حال من المستكن فيه
وقرئ في القصص اى فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القرآن حيوة للقلوب يا اولي الالباب اى ذوي العقول
الخالصة عن شوب الاوهام خوطبوا بذلك بعد ما خوطبوا بعنوان الايمان تنشيطا لهم الى التامل في حكمة القصاص
لعلكم تتقون اى تتقون انفسكم من المساهلة في امره والاهمال في المحافظة عليه والحكم به والاذعان له او
من القصاص فتكفوا عن القتل المؤدي اليه كتب عليكم بيان لحكم آخر من الاحكام المذكورة اذا حضر احدكم
الموت اى حضرته اسبابه وظهرت اماراته او دنا نفسه من الحضور وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس
وقت وروده عليها ان ترك خيرا اى مالا وقيل مالا كثيرا لما روى عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي
وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن عائشة
ان رجلا اراد الوصية وله عيال اربعة وله ثلاثة آلاف فقالت ما ارى فيه فضلا واراد آخر ان يوصي فسألته
كم مالك فقال ثلثة آلاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء
يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب اخر عما بينهما للتطويل وايثار تذكير الفعل
مع جواز تانيثه ايضا للفصل او على تاويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الضمير في قوله تعالى فمن بدله
بعد ما سمعه والعامل في اذا مدلول كتب لا نفسه من حيث الصدور لتقدمه عليه تعالى بل من حيث تعلقه بهم
تعلقا فعليا مستتبعا لوجوب الاداء كما ينبئ عنه البناء للمفعول وكلمة الايجاب والامتناع لجعل العامل هو
الوصية لتقدمه عليها وقيل هو مبتدا خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات
الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورة الشعر ومعنى كتب فرض وكان هذا الحكم في بدء الاسلام ثم نسخ
عند نزول آية المواريث بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث
فانه وان كان من اخبار الآحاد لكن حيث تلقته الامة بالقبول انتظم في سلك المتواتر في صلاحيته للنسخ
عند ائمتنا على ان التحقيق ان الناسخ حقيقة هي آية المواريث وانما الحديث مبين لجهة نسخها ببيان انه تعالى

كان قد كتب عليكم أن توصوا للوالدين والأقربين حقوقهم بحسب استحقاقهم من غير تبيين لمراتب استحقاقهم
ولا تعيين لمقادير أنصبائهم بل فوض ذلك إلى آرائكم حيث قال بالمعروف أي بالعدل فالآن رفع ذلك الحكم عنكم
وتولى تبيين طبقات استحقاق كل واحد منهم وتعيين مقادير حقوقهم بالذات وأعطى كل ذي حق منهم حقه الذي
يستحقه بحكم القرابة من غير نقص ولا زيادة ولم يدع ثمة شيئا فيه مدخل لرأيكم أصلا حسبما يعرب عنه الجملة المنفية
بلا النافية للجنس المصدرة بكلمة التنبيه لكن تحقيقه هذا الظاهر كأن ما قيل من أن آية المواريث لا تعارضه
بل تحققه وتؤكده من حيث إنها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد وتلقي الأمة إياه بالقبول
لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما أوصى به الله عز وجل من توريث الوالدين والأقربين
بقوله تعالى يوصيكم الله أو بإيصاء المحتضر لهم بتوفير ما أوصى به الله تعالى عليهم بعيد عن التحقيق وكذا ما قيل من أن الوصية للوارث
كانت واجبة بهذه الآية من غير تعيين لأنصبائهم فلما نزلت آية المواريث بيانا للأنصباء بلفظ الإيصاء فهم منها تنبيه النبي
صلى الله عليه وسلم أن المراد منه هذه الوصية التي كانت واجبة كأنه قيل إن الله تعالى أوصى بنفسه تلك الوصية ولم يفوض
الحكم فيها إليكم فقام الميراث مقام الوصية فكان هذا معنى النسخ لا أن فيها دلالة على رفع ذلك الحكم فإن مدلول آية الوصية
حيث كان تفويض الأمر إلى آراء المكلفين على الإطلاق وتسني الخروج عن عهدة التكليف بأداء ما أدى إليه آراؤهم
بالمعروف فكون آية المواريث الناطقة بمراتب الاستحقاق وتفاصيل مقادير الحقوق الناطقة بامتناع الزيادة والنقص
بقوله تعالى فريضة من الله ناسخة لها رافعة لحكمها مما لا يشتبه على أحد وقوله تعالى حقا على المتقين مصدر مؤكد أي حق
ذلك حقا فمن بدله أي غيره من الأوصياء والشهود بعدما سمعه أي بعدما وصل إليه وتحقق لديه فإنما إثمه أي
إثم الإيصاء المغير أو إثم التبديل على الذين يبدلونه لأنهم خانوا وخالفوا حكم الشرع ووضع الموصول في موضع الضمير
الراجع إلى من لتأكيد الإبدال من تعليته بما في حيز الصلة الأولى وإيثار الجمع للإشعار بتعدد المبدلين أنواعا وكثرتهم أفرادا
والإيذان بشمول الإثم لجميع الأفراد إن الله سميع عليم وعيد شديد للمبدلين فمن خاف من موص أي توقع وعلم وهو [illegible]
[illegible] أن ينزل السماء وقرئ من موص جنفا أي ميلا بالخطأ في الوصية أو إثما أي تعمدا للجنف فأصلح بينهم أي بين
الموصى لهم بإجرائهم على منهاج الشريعة فلا إثم عليه أي في هذا التبديل لأنه تبديل باطل إلى الحق بخلاف الأول
إن الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الإثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم به يا أيها الذين آمنوا
كتب عليكم الصيام بيان لحكم آخر من الأحكام الشرعية وتكرير النداء لإظهار مزيد الاعتناء به والصيام والصوم في اللغة
الإمساك عما تنازع إليه النفس ومنه قوله تعالى إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم الآية وقيل هو الإمساك عن الشيء مطلقا
ومنه صامت الريح أي أمسكت عن الهبوب والفرس أي أمسك عن العدو قال خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج
وأخرى تعلك اللجما وفي الشريعة هو الإمساك نهارا مع النية عن المفطرات المعهودة التي هي معظم ما تشتهيه الأنفس كما كتب
في حيز النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد أي كتبا كائنا كما كتب وعلى أنه حال من المصدر المعرفة أي كتب عليكم الصيام
الكتب مشبها بما كتب فما على الوجهين مصدرية أو على أنه نعت لمصدر من لفظ الصيام أي صوما مماثلا للصوم المكتوب
على من قبلكم فما موصولة أو على أنه حال من الصيام أي حال كونه مماثلا لما كتب على الذين من قبلكم من الأنبياء عليهم السلام
والأمم من لدن آدم عليه السلام وفيه تأكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لأنفس المخاطبين فإن الشاق إذا عم سهل عمله
والمراد بالمماثلة إما المماثلة في أصل الوجوب وإما في الوقت فقد روي أن صوم رمضان كان مكتوبا على
اليهود والنصارى أما اليهود فقد تركته وصامت يوما من السنة زعموا أنه يوم غرق فيه فرعون وكذبوا في ذلك فإنه

فإنه كان يوم عاشوراء وأما النصارى فإنهم صاموا رمضان حتى صادفوا حرا شديدا فاجتمعت آراء علمائهم
على تعيين فصل معتدل بين الصيف والشتاء فجعلوه في الربيع وزادوا عليه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصار أربعين
ثم مرض ملكهم أو وقع فيهم موتان فزادوا عشرة أيام فصار خمسين لعلكم تتقون أي المعاصي فإن الصوم يكسر الشهوة التي هي
مبدؤها كما قال صلى الله عليه وسلم فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء أو تتقون الإخلال بأدائه لأصالته أو تصلون بذلك
إلى رتبة التقوى أياما معدودات موقتات بعدد معلوم أو قلائل فإن القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا والمراد
بها إما رمضان أو ما وجب في بدء الإسلام ثم نسخ به من صوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر وانتصابها ليس بالصيام
كما قيل لوقوع الفصل بينهما بأجنبي بل بمضمر دل هو عليه أي صوموا إما على الظرفية أو المفعولية اتساعا وقيل بقوله
تعالى كتب على أحد الوجهين وقد عرفت أن الأيام ليست محلا له بل للمكتوب فلا يتحقق الظرفية ولا المفعولية المتفرعة عليها اتساعا
فمن كان منكم مريضا أي مرضا يضره الصوم ويعسر معه أو على سفر مستمر عليه وفيه تلويح بأن من سافر
في أثناء اليوم لم يفطر فعدة أي فعليه صوم عدة أيام المرض والسفر من أيام أخر إن أفطر فحذف الشرط والمضاف
ثقة بالظهور وقرئ بالنصب أي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب وإليه ذهب الظاهرية وبه قال
أبو هريرة رضي الله عنه وعلى الذين يطيقونه أي وعلى المطيقين للصيام إن أفطروا فدية أي إعطاء فدية وهي طعام مسكين
وهو نصف صاع من بر أو صاع من غيره عند أهل العراق ومد عند أهل الحجاز وكان ذلك في بدء الإسلام لما أنه فرض
عليهم الصوم وما كانوا متعودين له فاشتد عليهم فرخص لهم في الإفطار والفدية وقرئ يطوقونه أي يكلفونه ويقلدونه
ويتطوقونه أي يتكلفونه ويطوقونه بإدغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه وأصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه
من فيعل وتفيعل من الطوق فأدغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان أحدهما
نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه أو يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الإفطار والفدية
وهو على هذا غير منسوخ ويجوز أن يكون هذا معنى يطيقونه أي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا
فزاد في الفدية فهو أي التطوع أو الخير الذي تطوعه خير له وأن تصوموا أيها المطيقون أو المطوقون وتحملوا
على أنفسكم وتجهدوا طاقتكم أو المرخصون في الإفطار من المرضى والمسافرين خير لكم من الفدية أو من تطوع الخير
أو منهما أو من التأخير إلى أيام أخر والالتفات إلى الخطاب للتنشيط إن كنتم تعلمون أي ما في صومكم مع تحقق المبيح
للإفطار من الفضيلة والجواب محذوف ثقة بظهوره أي اخترتموه أو سارعتم إليه وقيل معناه إن كنتم من أهل العلم
والتدبر علمتم أن الصوم خير من ذلك شهر رمضان مبتدأ خبره ما بعده أو خبر لمبتدأ محذوف أي ذلكم شهر رمضان
أو بدل من الصيام على حذف المضاف أي صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على إضمار صوموا أو على أنه مفعول لتصوموا
أو بدل من أياما معدودات ورمضان مصدر رمض أي احترق من الرمضاء فأضيف إليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف
للتعريف والألف والنون كما قيل ابن داية للغراب وقوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان الحديث وارد على حذف
المضاف للأمن من الالتباس وإنما سموه بذلك إما لارتماضهم فيه من الجوع والعطش وإما لارتماض الذنوب بالصيام فيه أو
لوقوعه في أيام رمض الحر عند نقل أسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي أنزل فيه القرآن خبر للمبتدأ على الوجه الأول
وصفة لشهر رمضان على الوجوه الباقية ومعنى أنزل فيه القرآن أنه ابتدئ إنزاله فيه وكان ذلك في ليلة القدر أو أنزل فيه
جملة إلى السماء الدنيا ثم نزل منجما إلى الأرض حسبما تقتضيه الحكمة الربانية أو أنزل في شأنه القرآن وهو قوله
عز وجل كتب عليكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف إبراهيم عليه السلام أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست

لست مضين منه والانجيل لثلث عشرة والقرآن لأربع وعشرين هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان
من القرآن أي أنزل حال كونه هداية للناس بما فيه من الإعجاز وغيره وآيات واضحة مرشدة الى الحق فارقة بينه وبين الباطل
بما فيه من الحكم والأحكام فمن شهد منكم الشهر أي حضر فيه ولم يكن مسافرا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعظيم والمبالغة
في البيان والفاء للتفريع والترتيب ولتضمن المبتدأ معنى الشرط أو زائدة على تقدير كون شهر رمضان مبتدأ والذي
صفة له وهذه الجملة خبر له وقيل هي جزائية كأنه قيل لما كتب عليكم الصيام في ذلك الشهر فمن حضر فيه فليصمه
أي فليصم فيه فحذف الجار وأوصل الفعل الى المجرور اتساعا وقيل من شهد منكم هلال الشهر فليصمه على أنه مفعول
به كقولك شهدت الجمعة أي صلوتها فيكون ما بعدها مخصصا له كالتمييز ومن كان مريضا وإن كان حاضرا فيه أو على سفر
وإن كان صحيحا فيه فعدة من أيام أخر أي فعليه صيام أيام أخر لأن المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك
أو لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر لغاية رأفته وسعة رحمته
ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل الفعل محذوف يدل عليه ما سبق أي وهذه الأمور
شرع ما أمر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص في إباحة الفطر فقوله لتـ
ـكملوا علة الأمر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وتعدية
التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كأنه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ويجوز أن تكون معطوفة على علة مقدرة مثل
ليسهل عليكم أو لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا الخ ويجوز عطفها على اليسر أي يريد بكم لتكملوا الخ كقوله تعالى يريدون ليطفؤوا
الخ والمعنى بالتكبير تعظيمه تعالى بالحمد والثناء عليه وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الإهلال وما يحتمل المصدرية
والموصولة أي على هدايته إياكم أو على الذي هداكم إليه وقرئ ولتكملوا بالتشديد وإذا سألك عبادي عني
في تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم للإيجاز تشريفه ورفع محله فإني قريب أي فقل لهم
إني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه روي أن أعرابيا
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت أجيب دعوة الداع إذا دعان
تقرير للقرب وتحقيق له ووعد للداعي بالإجابة فليستجيبوا لي إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أجيبهم إذا
دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي أمر بالثبات على ما هم عليه لعلهم يرشدون راجين إصابة الرشد أي الحق وقرئ بفتح
الشين وكسرها ولما أمرهم الله تعالى بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه
الآية الكريمة الدالة على أنه تعالى خبير بأحوالهم سميع بأقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على أعمالهم تأكيدا له وحثا
عليه ثم شرع في بيان أحكام الصيام فقال أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي أن المسلمين كانوا إذا أمسوا
حل لهم الأكل والشرب والجماع الى أن يصلوا العشاء الآخرة أو يرقدوا ثم إن عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم
وأتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر إليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام
الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لأنه لا يكاد يخلو عن رفث وهو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه
وعدي بإلى لتضمنه معنى الإفضاء والإنهاء وإيثاره ههنا لاستقباح ما ارتكبوه ولذلك سمي خيانة وقرئ الرفوث
وتقديم الظرف على الفاعل للاهتمام لأن الشيء في ساحة التقديم إذا أخر بقي النفس مترقبة إليه فيتمكن
عندها وقت وروده فضل تمكن هن لباس لكم وأنتم لباس لهن استئناف مبين لسبب الإحلال وهو صعوبة الصبر
عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة بهن وجعل كل من الرجل والمرأة لباسا للآخر لاعتناقهما واشتمال كل منهما على

الآخر بالليل قال إذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا أو لأن كل منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله
أنكم كنتم تختانون أنفسكم استيناف آخر مبين لما ذكر من السبب والاختيان أبلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب ومعنى تختانون
تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب فتاب عليكم عطف على علم أي تاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم
أي محا أثره عنكم فالآن لما نسخ التحريم باشروهن المباشرة إلزاق البشرة بالبشرة كني بها عن الجماع الذي يستلزمها
وفيه دليل على جواز نسخ الكتاب بالسنة وابتغوا ما كتب الله لكم أي واطلبوا ما قدره الله لكم وأثبته في اللوح من الولد وفيه
أن المباشر ينبغي أن يكون غرضه الولد فإنه الحكمة في خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الشهوة وقيل فيه نهي عن العزل
وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود
من الفجر شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق وما يمتد معه من غلس الليل بخيطين أبيض وأسود واكتفى ببيان الخيط
الأبيض بقوله تعالى من الفجر عن بيان الخيط الأسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز أن يكون
من للتبعيض فإن ما يبدو بعض الفجر وما روي أنها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين أبيض وأسود فلا
يأكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت فلعله كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت الحاجة جائز
أو اكتفى أولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح دلالة على جواز تأخير
الغسل إليه وصحة صوم من أصبح جنبا ثم أتموا الصيام الى الليل بيان آخر وقته ولا تباشروهن وأنتم عاكفون
في المساجد أي معتكفون فيها والمراد بالمباشرة الجماع وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع
فنهوا عن ذلك وفيه دليل على أن الاعتكاف يكون في المسجد غير مختص ببعض دون بعض وأن الوطء فيه حرام ومفسد له لأن النهي
في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله أي الأحكام المذكورة حدود وضعها الله تعالى لعباده فلا تقربوها فضلا عن
تجاوزها نهي أن يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل مبالغة في النهي عن تخطيها كما قال صلى الله عليه وسلم إن لكل ملك حمى
وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه ويجوز أن يريد بحدود الله تعالى محارمه ومناهيه كذلك أي مثل
ذلك التبيين البليغ يبين الله آياته الدالة على الأحكام التي شرعها للناس لعلهم يتقون مخالفة أوامره ونواهيه ولا تأكلوا
أموالكم بينكم بالباطل نهي عن أكل بعضهم أموال بعض على خلاف حكم الله عز وجل بعد النهي عن أكل أموال أنفسهم في نهار رمضان
أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى وبين نصب على الظرفية أو الحالية من أموالكم وتدلوا بها الى الحكام
عطف على المنهي أو نصب بإضمار أن والإدلاء الإلقاء أي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم إليهم فريقا
من أموال الناس بالإثم بما يوجب إثما كشهادة الزور واليمين الفاجرة أو متلبسين بالإثم وأنتم تعلمون أنكم مبطلون فإن
ارتكاب المعاصي مع العلم بها أقبح روي أن عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة أرض ولم يكن له بينة
فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ عليه عليه السلام إن الذين يشترون بعهد الله و
أيمانهم ثمنا قليلا الآية فارتدع عن اليمين وسلم الأرض الى عبدان فنزلت وفي رواية اختصم إليه خصمان فقال صلى الله
عليه وسلم إنما أنا بشر مثلكم وأنتم تختصمون إلي ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت
له بشيء من حق أخيه فإنما أقضي له قطعة من النار فبكيا فقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما
ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه يسألونك عن الأهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو
دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج كأنهم قد سألوه
صلى الله عليه وسلم عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل أمره فأمره الله أن يجيبهم بأن الحكمة الظاهرة

في ذلك أن يكون معالم للناس في عباداتهم لا سيما الحج فإن الوقت مراعى فيه أداءً وقضاءً، وكذا في معاملاتهم على حسب ما
يتفقون عليه. والمواقيت جمع ميقات من الوقت، والفرق بينه وبين المدة والزمان أن المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها
إلى منتهاها، والزمان مدة مقسومة إلى الماضي والحال والمستقبل، والوقت الزمان المفروض لأمر. وليس البر بأن تأتوا
البيوت من ظهورها، كانت الأنصار إذا أحرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وإنما يدخلون من نقب أو فرجة
وراءها ويعدون ذلك برا فبين لهم أنه ليس ببر فقيل: ولكن البر من اتقى أي بر من اتقى المحارم والشهوات، ووجه اتصاله
بما قبله أنهم سألوا عن الأمرين، أو أنه لما ذكر أنها مواقيت للحج ذكر عقيبه ما هو من أفعالهم في الحج استطرادا، أو أنهم لما سألوا
عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة فإنه صلى الله عليه وسلم مبعوث لبيان الشرائع لا لبيان حقائق الأشياء وتركوا
السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم الرسالة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على أن اللائق بهم أن يسألوا عن أمثال
ذلك ويهتموا بالعلم بها، أو أريد به التنبيه على تعكيسهم في السؤال فكونه من قبيل دخول البيت من ورائه، والمعنى
وليس البر بأن تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجترئ على مثله. وأتوا البيوت من أبوابها إذ ليس
في العدول بر، أو باشروا الأمور من وجوهها. واتقوا الله في تغيير أحكامه أو في جميع أموركم، أمر بذلك صريحا بعد بيان
أن البر من اتقى إظهارا لمزيد الاعتناء بشأن التقوى وتمهيدا لقوله تعالى: لعلكم تفلحون أي لكي تظفروا بالبر
والهدى. وقاتلوا في سبيل الله أي جاهدوا لإعزاز دينه وإعلاء كلمته، وتقديم الظرف على المفعول الصريح لإبراز
كمال العناية بشأن المقدم. الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ما أمروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم
والمحاجزين، وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبان
والنساء، أو الكفرة جميعا فإن الكل بصدد قتال المسلمين وقصدهم، ويؤيد الأول ما روي أن المشركين صدوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله تعالى ثلاثة أيام، فرجع لعمرة
القضاء فخاف المسلمون أن لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت، ويعضده إيراده
في أثناء بيان أحكام الحج. ولا تعتدوا بابتداء القتال أو بقتال المعاهد والمفاجأة به من غير دعوة أو بالمثلة
وقتل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان ومن يجري مجراهم. إن الله لا يحب المعتدين أي لا يريد بهم الخير، وهو تعليل
للنهي. واقتلوهم حيث ثقفتموهم أي حيث وجدتموهم من حل أو حرم، وأصل الثقف الحذق في إدراك الشيء علما أو عملا
وفيه معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها، قال: فإما تثقفوني فاقتلوني، فمن أثقف فليس إلى خلود. وأخرجوهم من حيث
أخرجوكم أي مكة، وقد فعل بهم ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم من كفارها. والفتنة أشد من القتل أي المحنة التي يفتتن
بها الإنسان كالإخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام تعبها وبقاء تألم النفس بها، وقيل شركهم في الحرم وصدهم
لكم عنه أشد من قتلكم إياهم فيه. ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام أي لا تفاتحوهم بالقتل هناك ولا تهتكوا
حرمة المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم ثمة فاقتلوهم فيه ولا تبالوا بقتالهم ثمة لأنهم الذين هتكوا
حرمته فاستحقوا أشد العذاب، والعدول عن صيغة المفاعلة التي بها ورد النهي والشرط عدة بالنصر والغلبة
وقرئ: ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم فاقتلوهم، والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو أسد. كذلك
جزاء الكافرين يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم. فإن انتهوا عن القتال والكفر بعد ما بدؤوا وقاتلوكم فإن الله غفور
رحيم يغفر لهم ما قد سلف. وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة أي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه
نصيب. فإن انتهوا بعد مقاتلتكم عن الشرك فلا عدوان إلا على الظالمين أي فلا تعتدوا عليهم إذ لا يحسن

الظلم إلا لمن ظلم، فوضع العلة موضع الحكم، وتسمية الجزاء بالعدوان للمشاكلة كما في قوله عز وجل: فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه، أو أنكم إن تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وتنعكس الحال عليكم، والفاء الأولى للتعقيب والثانية للجزاء. الشهر الحرام بالشهر
الحرام، قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء في ذي القعدة أيضا وكراهتهم
القتال فيه: هذا الشهر الحرام بذاك الشهر الحرام وهتكه بهتكه فلا تبالوا به. والحرمات قصاص أي كل حرمة وهي ما يجب المحافظة
عليه يجري فيه القصاص، فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم إن قاتلوكم، كما
قال تعالى: فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم، وهو فذلكة مقررة لما قبلها. واتقوا الله في شأن الانتصار
واحذروا أن تعتدوا إلى ما لم يرخص لكم. واعلموا أن الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شؤونهم بالنصر والتمكين. وأنفقوا
في سبيل الله، أمر بالجهاد بالمال بعد الأمر به بالأنفس، ولا تمسكوا كل الإمساك. ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بالإسراف
وتضييع وجه المعاش، أو بالكف عن الغزو والإنفاق فيه، فإن ذلك مما يقوي العدو ويسلطهم عليكم، ويؤيده
ما روي عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال: لما أعز الله الإسلام وكثر أهله رجعنا إلى أهالينا وأموالنا نقيم فيها ونصلحها
فنزلت. أو بالإمساك وحب المال فإنه يؤدي إلى الهلاك المؤبد، ولذلك سمي البخل هلاكا، وهو في الأصل انتهاء
الشيء في الفساد. والإلقاء طرح الشيء، وعدي بإلى لتضمنه معنى الانتهاء، والباء مزيدة، والمراد بالأيدي الأنفس،
والتهلكة مصدر كالتضرة والتسرة، وهي والهلاك والهلك واحد، أي لا توقعوا أنفسكم في الهلاك، وقيل معناه
لا تجعلوها آخذة بأيديكم، أو لا تلقوا بأيديكم أنفسكم إليها، فحذف المفعول. وأحسنوا أي أعمالكم وأخلاقكم أو تفضلوا
على الفقراء. إن الله يحب المحسنين أي يريد بهم الخير. وقوله تعالى: وأتموا الحج والعمرة لله بيان لوجوب إتمامهما عند التصدي
لأدائهما وإرشاد للناس إلى تدارك ما عسى يعتريهم من العوارض المخلة بذلك من الإحصار ونحوه من غير تعرض
لحالهما في أنفسهما من الوجوب وعدمه، كما في قوله تعالى: ثم أتموا الصيام إلى الليل، فإنه بيان لوجوب مد الصيام إلى الليل
من غير تعرض لوجوب أصله، وإنما هو بقوله تعالى: كتب عليكم الصيام الآية، كما أن وجوب الحج بقوله تعالى: ولله على الناس
حج البيت، فإن الأمر بإتمام فعل من الأفعال ليس أمرا بأصله ولا مستلزما له أصلا، فليس فيه دليل على وجوب العمرة
قطعا. وادعاء أن الأمر بإتمامهما أمر بإتيانهما تامين كاملين بحسبما يقتضيه قراءة: وأقيموا الحج والعمرة، وأن الأمر للوجوب
ما لم يدل على خلافه دليل، ولا دليل هاهنا، لا سداد له ضرورة أنه ليس البيان مقصورا على أفعال الحج المفروض حتى يتصور ذلك
بل الحق أن تلك القراءة أيضا محمولة على المشهورة ناطقة بوجوب إقامة أفعالهما كما ينبغي من غير تعرض لحالهما في أنفسهما،
فالمعنى أكملوا أركانهما وشرائطهما وسائر أفعالهما المعروفة شرعا لوجه الله تعالى من غير إخلال منكم بشيء منها. هذا، وقيل
إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك، روي ذلك عن علي رضي الله عنه وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم، وقيل
أن تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد: حجة كوفية وعمرة كوفية أفضل، وقيل هو جعل نفقتهما حلالا، وقيل
أن تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من الأغراض الدنيوية، وأياما كان فلا تعرض في الآية الكريمة لوجوب
العمرة أصلا. وأما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن العمرة لقرينة الحج، وقول عمر رضي الله عنه: هديت لسنة نبيك، حين قال
له رجل: وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي أهللت بهما، وفي رواية فأهللت بهما جميعا، فبمعزل من إفادة الوجوب مع كونه
معارضا بما روي عن جابر أنه قال: يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج؟ قال: لا، ولكن أن تعتمر خير لك، وبقوله صلى
الله عليه وسلم: الحج جهاد والعمرة تطوع. فإن أحصرتم أي منعتم من الحج، يقال حصره العدو وأحصره إذا حبسه
ومنعه من المضي لوجهه مثل صده وأصده، والمراد منع العدو عند الشافعي رحمه الله لقوله تعالى: فإذا أمنتم

ولنا قوله في الحديبية ولقول ابن عباس رضي لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة
رحمه الله لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي اي فعليكم او فالواجب
ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان المحرم اذا احصر واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة
او شاة حيث احصر عند الاكثر وعندنا يبعث به الى الحرم ويجعل للمبعوث بيده يوم امار فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح
تحلل لقوله تعالى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ مكانه
الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما ومحجتهم في ذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل قلنا كان محصره صلى الله عليه وسلم طرف الحديبية
الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي
الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي جمع جدية
وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا محوجا الى الحلق او به اذى من راسه كجراحة
او قمل ففدية اي فعليه فدية اذا حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه صلى الله عليه وسلم
قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين
او انسك شاة والفرق ثلثة اصع فاذا امنتم اي الاحصار او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج اي
فمن استمتع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل من استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة
محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي اي فعليه دم استيسر عليه بسبب التمتع وهو دم جبران يذبح اذا احرم
بالحج ولا ياكل منه عند الشافعي وعندنا هو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج اي في اشهره
بعد الاحرامين وقال الشافعي في ايام الاشتغال باعماله بعد الاحرام وقيل ما بين الاحرامين والاحب ان يصومها سابع ذي الحجة
وثامنه وتاسعه فلا يصح يوم النحر وايام التشريق وسبعة اذا رجعتم اي نفرتم وفرغتم من اعماله وفي احد قولي
الشافعي اذا رجعتم الى اهليكم وقرئ وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب
وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان
اكثر العرب لم يعرف الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد المخصوص دون الكثرة كما يراد بها ذلك ايضا كاملة صفة
مؤكدة لعشرة تفيد المبالغة في المحافظة على العدد او مبينة كمال العشرة فانها اول عدد كامل اذ به ينتهي الاحاد
ويتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة الى التمتع عندنا والى الحكم المذكور عند الشافعي لمن
لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عند الشافعي ومن كان من مكة وراء الميقات
عندنا واهل الحل عند طاوس واهل مكة عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه لا سيما في
الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
لتربية المهابة وادخال الروعة الحج اي وقته اشهر معلومات معروفات بين الناس هي شوال وذو القعدة وعشر
ذي الحجة عندنا وتسعة بليلة النحر عند الشافعي وكله عند مالك ومدار الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت
اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة رحمه
وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهران وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا
للجمع على ما فوق الواحد وصيغة جمع المذكر في غير العقلاء تجيء بالالف والتاء فمن فرض فيهن الحج اي اوجبه على نفسه

بالاحرام فيهن او بالتلبية او بسوق الهدي فلا رفث ولا فسوق اي الجماع او فلا فحش من الكلام ولا خروج من
حدود الشرع بارتكاب المحظورات وقيل بالسباب والتنابز بالالقاب ولا جدال اي المراء مع الخدم والرفقة في الحج اي في
ايامه والاظهار في مقام الاضمار لاظهار كمال الاعتناء بشانه والاشعار بعلة الحكم فان زيارة البيت المعظم والتقرب
بها الى الله عز وجل من موجبات ترك الامور المذكورة وايثار النفي للمبالغة في النهي والدلالة على ان ذلك حقيق بان لا يكون
فان ما يكون من كل مستقبحا في نفسه ففي ايام الحج افحش كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج
عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرئ الاولان بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح
على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف
بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفات وما تفعلوا من خير يعلمه الله فيجازيكم به خير جزاء وهو حث على فعل الخير اثر النهي
عن الشر وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي تزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل
اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا
الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب استشعار خشية الله عز وجل
وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله تعالى فيتبرءوا من كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى
عن شوائب الهوى فلذلك خص بهذا الخطاب اولوا الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تبتغوا اي تطلبوا
فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه اي الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها
ايام مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات اي دفعتم
منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات
جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه علمية وتانيث لما ان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك
يجمع مع اللام وذهاب الكسرة يتبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما
بالتاء المذكورة وهي ليست تاء التانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث واما بتاء مقدرة كما في سعاد
ولا سبيل اليه لان المذكورة تابى تقديرها لانها كالبدل منها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف
عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه او لان جبريل عليه السلام كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال
عرفت او لان ادم وحواء التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعلها
جمع عارف وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامور بها بقوله تعالى
ثم افيضوا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج او مقدمة للذكر المامور به
وفيه نظر اذ الذكر غير واجب بل الامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين
عند المشعر الحرام هو جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مازمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول
ما روى جابر انه صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا فيه
وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند
المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما
هداكم اي كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة
وان كنتم من قبله من قبل ما ذكر من هدايته اياكم لمن الضالين غير العالمين بالايمان والطاعة وان هي المخففة

واللام هي الفارقة وقيل هي نافية واللام بمعنى الا كما في قوله تعالى وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث
افاض الناس اي من عرفة لا من مزدلفة والخطاب لقريش لما كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك
ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الا الى كريم
وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بكسر السين اي الناسي على ان
يراد به آدم عليه السلام من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا
الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فهو تعليل للاستغفار
او للامر به فاذا قضيتم مناسككم عباداتكم المتعلقة بالحج وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم آباءكم
اي فاكثروا ذكره تعالى وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم
وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على
الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كائنا مثل ذكركم آباءكم او كذكر اشد منه وابلغ
او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا او منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل المذكور
بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لآبائكم
فمن الناس تفصيل للذاكرين الى من لا يطلب بذكر الله الا الدنيا والى من يطلب به خير الدارين والمراد به الحث
على الاكثار والانتظام في سلك الآخرين من يقول اي في ذكره ربنا آتنا في الدنيا اي اجعل ايتاءنا ومنحتنا
في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من حظ ونصيب لاقتصار همه على الدنيا فهو بيان حاله في الآخرة
او من طلب خلاق فهو بيان لحاله في الدنيا وتاكيد لقصر همه على المطالب الدنيوية ومنهم من يقول ربنا آتنا
في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف والتوفيق للخير وفي الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار
بالعفو والمغفرة وروي عن علي كرم الله وجهه ان الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب
النار امراة السوء وعن الحسن رض ان الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار
معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار اولئك اشارة الى الفريق الثاني باعتبار اتصافهم
بما ذكر من النعوت الجميلة وما فيه من معنى البعد لما مر من الاشارة الى علو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل
وقيل اليهما معا فالتنوين في قوله تعالى لهم نصيب مما كسبوا على الاول للتفخيم وعلى الثاني للتنويع اي لكل منهم نوع
نصيب من جنس ما كسبوا او من اجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه
وتسمية الدعاء كسبا لما انه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في
مقدار لمحة فاحذروا من الاخلال بطاعة من هذا شان قدرته او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس
فبادروا الى الطاعة واكتساب الحسنات واذكروا الله اي كبروه في اعقاب الصلوات وعند ذبح القرابين
ورمي الجمار وغيرها في ايام معدودات هي ايام التشريق فمن تعجل اي استعجل النفر والنفر فان التفعل
والاستفعال يجيئان لازمين ومتعديين يقال تعجل في الامر واستعجل فيه وتعجله واستعجله والاول اوفق للتاخر
كما في قوله قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل في يومين اي في تمام يومين بعد يوم النحر
وهو يوم القر ويوم الرؤس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار فلا اثم عليه بتعجله ومن تاخر في
النفر حتى رمى في اليوم الثالث قبل الزوال او بعده وعند الشافعي بعده فقط فلا اثم عليه بما صنع من التاخر

من التاخر والمراد التخيير بين التعجل والتاخر ولا يقدح فيه افضلية الثاني وانما ورد بنفي الاثم تصريحا بالرد على
اهل الجاهلية حيث كانوا مختلفين فمن مؤثم للمتعجل ومؤثم للمتاخر لمن اتقى خبر لمبتدا محذوف اي الذي ذكر من
التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى
لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم بفعل الواجبات وترك المحظورات ليعبأ بكم وتنتظموا في
سلك المنتفعين بالاحكام المذكورة والرخص واحذروا الاخلال بما ذكر من الاحكام وهو الانسب بقوله عز وجل
واعلموا انكم اليه تحشرون اي للجزاء على اعمالكم بعد الاحياء والبعث واصل الحشر الجمع وضم المتفرق وهو تاكيد للامر
بالتقوى وموجب للامتثال به فان من علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان ذلك من اقوى الدواعي الى ملازمة التقوى
ومن الناس من يعجبك قوله تجريد للخطاب وتوجيه له اليه صلى الله عليه وسلم وهو كلام مبتدا سيق لبيان تحزب
الناس في شان التقوى الى حزبين وتعيين كل منهما ومن موصولة او موصوفة واعرابه كما بين في قوله تعالى ومن الناس
من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر اي ومنهم من يروقك كلامه ويعظم موقعه في نفسك لما تشاهد فيه من ذلاقة النحوى
ولطف الاداء والتعجب حيرة تعرض للانسان بسبب عدم الشعور بسبب ما يتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بقوله اي
ما يقوله في حق الحيوة الدنيا ومعناها فانها التي يريد بما يدعيه من الايمان ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم
وفيه اشارة الى ان له قولا آخر ليس بهذه الصفة او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا بحلاوته وفصاحته لا في الآخرة
لما انه يظهر هنالك كذبه وقبحه وقيل لما يرهقه من الحبسة واللكنة وانت خبير بانه لا مبالغة حينئذ في سوء حاله فان مآله
بيان حسن كلامه في الدنيا وقبحه في الآخرة وقيل معنى في الحيوة الدنيا مدة الحيوة الدنيا اي لا يصدر منه فيها الا
القول الحسن ويشهد الله على ما في قلبه اي بحسب ادعائه حيث يقول الله يعلم ان ما في قلبي موافق لما في لساني وهو
عطف على يعجبك وقرئ ويشهد الله فالمراد بما في قلبه ما فيه حقيقة ويؤيده قراءة ابن عباس رضي الله عنه والله يشهد
على ما في قلبه على ان كلمة على لكون المشهود به مضرا له فالجملة اعتراضية وقرئ ويستشهد الله وهو الد الخصام
اي شديد العداوة والخصومة للمسلمين على ان الخصام مصدر واضافة الالد اليه بمعنى في كقولهم ثبت الغدر
او اشد الخصوم لهم خصومة على انه جمع خصم كصعب وصعاب وقيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر
حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام والمحبة وقيل في المنافقين والجملة حال من الضمير
المجرور في قوله او من المستكن في يشهد او عطف على ما قبلها على القراءتين المتوسطتين واذا تولى اي من مجلسك وقيل
اذا صار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف حيث بيتهم واحرق زروعهم
واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله تعالى بشؤمه القطر فيهلك الحرث
والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على اسناد الهلاك اليهما عطفا على سعى وقرئ بفتح اللام وهي لغة فيه
على البناء للمفعول من الاهلاك والله لا يحب الفساد اي لا يرتضيه فيغضب على من يتعاطاه وهو اعتراض
تذييلي واذا قيل له على نهج العظة والنصيحة اتق الله واترك ما تباشره من الفساد والنفاق واحذر سوء
مغبته اخذته العزة بالاثم اي حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي نهي عنه لجاجا وعنادا من قولك
اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم مبتدا وخبر اي كافيه جهنم وقيل جهنم فاعل لحسبه ساد
مسد خبره وهو مصدر بمعنى الفاعل وقوي لاعتماده على الفاء الرابطة للجملة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل ماض اي
كفته جهنم ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف لظهوره وتعينه والمهاد الفراش وقيل ما يوطا

للجنب والجملة اعتراض ومن الناس من يشري نفسه مبتدأ وخبر كما مر اى يبيعها يبذلها فى الجهاد ومشاق الطاعات وتعريضها
للمهالك فى الحروب او بما مر بالمعروف وينهى عن المنكر وان ترتب عليه القتل ابتغاء مرضاة الله اى طلبا لرضاه وهذا كمال
التقوى وايراده قسيما للاول من حيث انه ذلك يانف عن الامر بالتقوى وهذا يامر به ذلك وان لحقه الى الهلاك وقيل نزلت
فى صهيب بن سنان الرومى اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال انى شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم
لم اضركم فخلونى وما انا عليه وخذوا مالى فقبلوا منه ماله فاتى المدينة فيشرى وحج بمعنى يشترى لجريان الحال على
صورة الشرى والله رؤف بالعباد ولذلك يكلفهم التقوى ويعرضهم للثواب والجملة اعتراض تذييلى يا ايها الذين
آمنوا ادخلوا فى السلم اى الاستسلام والطاعة وقيل الاسلام وقرئ بفتح السين وهى لغة فيه وبفتح اللام ايضا
وقوله تعالى كافة حال من الضمير فى ادخلوا او من السلم او منهما معا كما فى قوله فجئت بها تمشى تجر وراءنا على اثرينا ذيل
مرط مرجل وهو فى الاصل اسم للجماعة تكف مخالفها ثم استعملت فى معنى جميعا وتانيثها ليس للتانيث حتى يحتاج الى جعل
السلم مؤنثا مثل الحرب كما فى قوله عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها وفى قوله السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب
يكفيك من انفاسها جرع وانما هى للنقل كما فى عامة وخاصة وقاطبة والمعنى استسلموا لله تعالى واطيعوه جملة ظاهرا
وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا فى الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمنى اهل الكتاب فانهم كانوا
يراعون بعض احكام دينهم القديم بعد اسلامهم او فى شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب
لاهل الكتاب كلهم ووصفهم بالايمان اما على طريقة التغليب واما بالنظر الى ايمانهم القديم او فى شعب الاسلام واحكامه
كلها فلا تخلوا بشئ منها والخطاب للمسلمين واما الخطاب لاهل الكتاب بعنوان الايمان مع انه لا يصح الايمان الا بما كلفوه الان
ايذانا بان ما يدعونه لا ينفعهم بعد نسخه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق وبمخالفة ما امرتم به انه لكم
عدو مبين ظاهر العداوة او مظهرها وهو تعليل للنهى او الانتهاء فان زللتم اى عن الدخول فى السلم وقرئ بكسر اللام
وهى لغة فيه من بعد ما جاءتكم الآيات البينات والحجج القطعية الدالة على حقيته الموجبة للدخول فيه فاعلموا ان الله
عزيز غالب على امره لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا يترك ما يقتضيه الحكمة من مؤاخذة المجرمين المتعصبين على اوامره
هل ينظرون استفهام انكارى فى معنى النفى اى ما ينتظرون بما يفعلون من العناد والمخالفة فى الامتثال بما امرتهم
والانتهاء عما نهوا عنه الا ان ياتيهم الله اى امره او باسه او ياتيهم الله بامره او باسه فحذف ما ياتى به لدلالة الحال
عليه والالتفات الى الغيبة للايذان بان سوء صنيعهم موجب للاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم من اهل الانصاف
على طريق المباثة وايراد الانتظار للاشعار بانهم لانهماكهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة كانهم طالبون لها مترقبون
لوقوعها فى ظلل جمع ظلة كقلل فى جمع قلة وهى ما اظلك وقرئ فى ظلال كقلال فى جمع قلة من الغمام اى السحاب الابيض
وانما ياتيهم العذاب فيه لما انه مظنة الرحمة فاذا اتى منه العذاب كان افظع واقطع للمطامع فان اتيان الشر من حيث
لا يحتسب صعب فكيف باتيانه من حيث يرجى منه الخير والملائكة عطف على الاسم الجليل اى وياتيهم الملائكة
فانهم وسائط فى اتيان امره تعالى بل هم الآتون به على الحقيقة وتوسيط الظرف بينهما للايذان بان الآتى
اولا من جنس ما يلابس الغمام ويترتب عليه عادة واما الملائكة وان كان اتيانهم مقارنا لما ذكر من الغمام لكن
ليس بطريق الاعتياد وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضى الامر اى اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وهو
عطف على ياتيهم داخل فى حيز الانتظار وانما عدل الى صيغة الماضى دلالة على تحققه فكانه قد كان او جملة
مستانفة جئ بها انباء عن وقوع مضمونها وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله لا الى غيره ترجع الامور

الامور بالتانيث على البناء للمفعول من الرجع وقرئ بالتذكير وعلى البناء للفاعل بالتانيث من الرجوع سل بنى
اسرائيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل الخطاب والمراد بالسؤال تبكيتهم وتقريعهم بذلك
وتقرير لمجئ البينات كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة على ايدى الانبياء عليهم السلام وآية ناطقة بحقية الاسلام
المامور بالدخول فيه وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من
الخبر وآية مميزها ومن يبدل نعمة الله التى هى آياته الباهرة فانها سبب للهدى الذى هو اجل النعم وتبديلها جعلها
سببا للضلالة وازدياد الرجس وتحريفها وتاويلها الزائغ من بعد ما جاءته ووصلت اليه وتمكن من معرفتها والتصريح
بذلك مع ان التبديل لا يتصور قبل المجئ للاشعار بانهم قد بدلوها بعد ما وقفوا على تفاصيلها كما فى قوله عز وجل ثم يحرفونه
من بعد ما عقلوه وهم يعلمون وقيل تقديره فبدلوها ومن يبدل وانما حذف للايذان بعدم الحاجة الى التصريح به لظهوره
فان الله شديد العقاب تعليل للجواب كانه قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه اشد عقوبة فانه شديد العقاب واظهار الاسم
الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا اى حسنت فى اعينهم واشربت محبتها فى
قلوبهم حتى تهالكوا عليها وتهافتوا فيها معرضين عن غيرها والتزيين من حيث الخلق والايجاد مسند الى الله تعالى كما ينبئ
عنه القراءة على البناء للفاعل اذ ما من شئ الا وهو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما فى الدنيا من
الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا عطف على زين وايثار صيغة الاستقبال
للدلالة على استمرار السخرية منهم وهم فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب كانوا يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على
رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن ابتدائية فكانهم جعلوا السخرية مبتداة منهم والذين اتقوا هم الذين كانوا
بعينهم وانما ذكروا بعنوان التقوى للايذان بان اعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها مخلة بتبتلهم الى جناب القدس شاغلة
عنه فوقهم يوم القيمة لانهم فى اعلى عليين وهم فى اسفل سافلين او لانهم فى اوج الكرامة وهم فى حضيض الذل والمهانة
او لانهم يتطاولون عليهم فى الآخرة فيسخرون منهم كما سخروا منهم فى الدنيا والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية
للدلالة على دوام مضمونها والله يرزق من يشاء اى فى الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع فى الدنيا استدراجا
تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على كلمة الحق ودين الاسلام وكان ذلك بين آدم وادريس او نوح
عليهم السلام او بعد الطوفان فبعث الله النبيين اى فاختلفوا فبعث الخ وهى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه وقد حذف
تعويلا على ما يذكر عقيبه مبشرين ومنذرين عن كعب الذى علمته من عدد الانبياء عليهم السلام مائة واربعة وعشرون
الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور فى القرآن ثمانية وعشرون وقيل كان الناس امة واحدة متفقة على الكفر
والضلال فى فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول هو الانسب بالنظم الكريم وانزل معهم
الكتاب اى جنس الكتاب ومع كل واحد منهم من له كتاب كتابه الخاص به لا مع كل واحد منهم على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم
كتاب وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم وعموم النبيين لا ينافى خصوص الضمير العائد اليه بمعونة المقام بالحق حال من
الكتاب اى ملتبسا بالحق او متعلق بانزل ليحكم له عز وعلا بالحق اى لبيانه ليحكم اى الكتاب او الله سبحانه وتعالى
او كل واحد من النبيين بين الناس اى المذكورين ووضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التعيين فيما اختلفوا فيه اى فى الحق
الذى اختلفوا فيه وفيما التبس عليهم وما اختلف فيه اى فى الحق او فى الكتاب الا الذين اوتوه ملتبسا به قالوا وحالية الدالة
اوتوه اى الكتاب المنزل لازالة الاختلاف وازاحة الشقاق والتعبير عن الانزال بالايتاء للتنبيه من اول الامر على كمال تمكنهم
من الوقوف على ما فى تضاعيفه من الحق فان الانزال لا يفيد تلك الفائدة اى عكسوا الامر حيث جعلوا ما انزل لازالته

الاختلاف سببا لانتحاكا بمحض مضمون من بعد ما جاءتهم البينات اى رسخت فى عقولهم ومن متعلقة بمحذوف يدل
عليه الكلام اى فاختلفوا وما اختلف فيه الحق من قبل المحفوظ بناء على عدم منع الا عنه كما فى قولك ما قام الا زيد
يوم الجمعة بغيا بينهم متعلق بما تعلقت به من اى اختلفوا بغيا وتحاسدا على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا بالكتاب
لما اختلفوا فيه اى للحق الذى اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما وفى ابهامه اولا وتفسيره ثانيا ما لا يخفى من
التفخيم باذنه بامره او بتيسيره ولطفه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم موصل الى الحق وهو اعتراض مقرر
لمضمون ما سبق ام حسبتم خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين حثا لهم على الثبات والمصابرة
على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق من جهتهم اثر بيان اختلاف الامم على الانبياء عليهم السلام وقد بين فيه مآل اختلافهم
وما لقى الانبياء ومن معهم من قبلهم من مكابدة الشدائد ومقاساة الهموم وان عاقبة امرهم النصر وام منقطعة والهمزة
فيها للانكار والاستبعاد اى بل احسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم من الانبياء ومن معهم
من المؤمنين اى والحال انه لم ياتكم مثلهم بعد ولم تبتلوا بما ابتلوا به من الاحوال الهائلة التى هى مثل فى الفظاعة والشدة
وهو متوقع ومنتظر مستهم استيناف وقع جوابا عما ينساق اليه الذهن كانه قيل كيف كان مثلهم فقيل مستهم البأساء
اى الشدة من الخوف والفاقة والضراء اى الآلام والامراض وزلزلوا اى ازعجوا ازعاجا شديدا بما دهمهم من
الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه اى انتهى امرهم من الشدة الى حيث اضطرهم الضجر الى ان
يقول الرسول وهو اعلم الناس بشؤون الله تعالى واوثقهم بنصره والمؤمنون المقتدون بآثاره المستضيئون بانواره متى
اى متى يأتى نصر الله طلبا وتمنيا له واستطالة لمدة الشدة والعناء وقرئ حتى يقول بالرفع على انه حكاية حال
ماضية وهذا كما ترى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية كيف لا والرسل مع علو كعبهم فى الثبات والاصطبار
حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر تحقيق علم ان الامر بلغ الى غاية لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب
على تقدير القول اى فقيل لهم حينئذ ذلك اسعافا لمرامهم والمراد بالقرب القرب الزمانى وفى ايثار الجملة الاسمية على الفعلية
المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه والتاكيد من الدلالة على تحقق مضمونها وتقرره ما لا يخفى واختيار حكاية
الوعد بالنصر لما انها فى حكم انشاء الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتصار على حكايتها دون حكاية
نفس النصر مع تحققه للايذان بعدم الحاجة الى ذلك لاستحالة الخلف ويجوز ان يكون هذا واردا من جهته تعالى
عند الحكاية على نهج الاعتراض لا واردا عند وقوع المحكى وفيه رمز الى ان الوصول الى جناب القدس لا يتسنى الا
برفض اللذات ومكابدة المشاق كما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
يسئلونك ماذا ينفقون اى من اصناف اموالهم قل ما انفقتم من خير ما اما شرطية واما موصولة حذف العائد اليها
اى ما تنفقونه من خير اى خير كان ففيه تجويز الانفاق من جميع انواع الاموال وبيان لما فى السؤال الا انه جعل
من جملة ما فى حيز الشرط او الصلة وابرز فى معرض البيان المصرف حيث قيل فللوالدين والاقربين للايذان
بان الاهم بيان المصارف المعدودة لان الاعتداد بالانفاق بحسب وقوعه فى موقعه وعن ابن عباس رضى الله عنه
انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم له مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت
واليتامى اى المحتاجين منهم والمساكين وابن السبيل ولم يتعرض للسائلين والرقاب اما اكتفاء بما ذكر فى المواقع الاخر
واما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى وما تفعلوا من خير فانه شامل لكل خير واقع فى اى مصرف كان فان الله به عليم
فيوفى ثوابه وليس فى الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كما نقل عن السدى كتب عليكم القتال بنيا الفعل للمفعول

للمفعول ورفع القتال اى قتال الكفرة وقرئ ببنائه للفاعل وهو الله عز وجل ونصب القتال وقرئ كتب عليكم
القتل اى قتل الكفرة والواو فى قوله تعالى وهو كره لكم حالية اى والحال انه مكروه لكم طبعا على ان الكره
مصدر وصف به المفعول مبالغة او بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز وقرئ بالفتح على انه بمعنى المضموم
كالضعف والضعف او على انه بمعنى الاكراه مجازا كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم وعسى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوه من الامور الشاقة التى من جملتها القتال فان النفوس تكرهه وتنفر عنه
والجملة اعتراضية دالة على ان فى القتال خيرا لهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه من
الامور المستلذة وهو معطوف على ما قبله لاتحاد المقام والله يعلم ما هو خير لكم فلذلك يامركم به وانتم
لا تعلمون اى لا تعلمونه ولذلك تكرهونه او والله يعلم ما هو خير وشر لكم وانتم لا تعلمونهما فلا تتبعوا فى ذلك
رايكم وامتثلوا بامره تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله
بن جحش على سرية فى جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصدوا عير قريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمى
وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وما فيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب
وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويتبذعر فيه
الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا
ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضى الله عنهما
لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى يسألك الكفار او المسلمون عن القتال فى الشهر
الحرام على ان قوله عز وجل قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وتنكيره لما ان سؤالهم كان عن مطلق القتال الواقع فى
الشهر الحرام لا عن القتال المعهود ولذلك لم يقل يسئلونك عن القتال فى الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه بتكرير
العامل كما فى قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرئ قتل فيه قل قتال فيه كبير جملة من مبتدأ
وخبر محلها النصب بقل وانما جاز وقوع قتال مبتدأ مع كونه نكرة لتخصصه اما بالوصف ان تعلق الظرف بمحذوف
وقع صفة له اى قتال كائن فيه واما بالعمل ان تعلق به وانما اوثر التنكير احترازا عن توهم التعيين وايذانا بان
المراد مطلق القتال الواقع فيه اى قتال كان عن عطاء انه سئل عن القتال فى الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا
فى الحرم ولا فى الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل انها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدأ قد تخصص بالعمل فيما بعده اى ومنع عن الاسلام الموصل العبد الى
الله تعالى وكفر به عطف على صد عامل فيما بعده مثله اى وكفر بالله تعالى وحيث كان الصد عن سبيل الله فردا
من افراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور فى حسن عطف قوله تعالى والمسجد الحرام على سبيل الله لانه ليس باجنبى
محض وقيل هو ايضا معطوف على صد بتقدير المضاف اى وصد المسجد الحرام واخراج اهله وهو النبى صلى الله
عليه وسلم والمؤمنون منه اى من المسجد الحرام وهو عطف على كفر به اكبر عند الله خبر للاشياء المعدودة اى
كبائر قريش اكبر عند الله مما عنوا بالسؤال وهو ما فعلته السرية خطاء وبناء على الظن وافعل يستوى فيه الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اى ما ارتكبوه من الاخراج والشرك وصد الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء اكبر
من القتل اى افظع من قتل الحضرمى ولا يزالون يقاتلونكم بيان لاستحكام عداوتهم واصرارهم على الفتنة فى
الدين حتى يردوكم عن دينكم الى دينهم الباطل واضافة الدين اليهم لتذكير ما بينهما من العلاقة

لا شاع الافتراق ان استطاعوا اشارة الى تصلبهم في الدين وثبات قدمهم فيه كانه قيل وعلى تقدير ذلك ومن يرتدد
منكم عن دينه يختبر من الارتداد اي ومن يفعل ذلك باضلالهم واغوائهم فيمت وهو كافر بان لم يرجع الى الاسلام
وفيه ترغيب بالرجوع الى الاسلام بعد الارتداد فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة
من الارتداد والموت عليه وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد والجمع للنظر الى المعنى
اي اولئك المصرون على الارتداد الى حين الموت حبطت اعمالهم الحسنة التي كانوا عملوها في حالة الاسلام حبوطا
لا تلافي له قطعا في الدنيا والآخرة بحيث لم يبق لها حكم من الاحكام الدنيوية والاخروية واولئك الموصوفون
بما ذكر من القبائح اصحاب النار اي ملازموها هم فيها خالدون كدأب سائر
الكفرة ان الذين آمنوا نزلت في اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فلا اجر لهم والذين هاجروا وجاهدوا
في سبيل الله كرر الموصول مع ان المراد بهما واحد لتفخيم شأن الهجرة والجهاد فكانهما مستقلان في تحقيق الرجاء
اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة يرجون رحمة الله اي ثوابه اثبت لهم الرجاء
دون الفوز بالمرجو للايذان بانهم عالمون بان العمل غير موجب للاجر وانما هو على طريق التفضل منه سبحانه لا لان
في فوزهم اشتباها والله غفور مبالغ في مغفرة ما فرط من عباده خطأ رحيم يجزل لهم الاجر والثواب والجملة
اعتراض محقق لمضمون ما قبلها يسئلونك عن الخمر والميسر نزلت في شأن الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات
النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فطفق المسلمون يشربونها ثم ان عمر رضي الله عنه ومعاذا
ونفرا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت
هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فقام احدهم
فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى الآية فقل من يشربها
ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا تفاخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء
الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا
في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب
وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة منها في بئر فبنيت في مكانها منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت في بحر
ثم جف فنبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر رضي الله عنهما لو ادخلت اصبعي فيها لم تتبعني وهذا هو الايمان
والتقى حقا رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والخمر مصدر خمره اي ستره سمي به من عصير العنب اذا اشتد وقذف
بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكرهما اي تحجزهما والميسر مصدر ميمي
من يسر كالموعد والمرجع يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه اما من اليسر لانه اخذ المال بيسر من غير كد وتعب او من اليسار
لانه سلب له وصفته انه كانت لهم عشرة اقداح هي الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس
والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل
ثمانية وعشرين الا الثلاثة هي المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة
وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها
ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا قدحا فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب المعين له ومن
خرج له من تلك الثلاثة غرم ثمن الجزور مع حرمانه وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون

ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكمه جميع انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم وهاتين الكعبتين الموسومتين فانهما ميسر العجم وعن علي كرم الله وجهه
ان النرد والشطرنج من الميسر والمعنى يسئلونك عن حكمهما وعما في تعاطيهما قل فيهما اثم كبير اي في تعاطيهما ذلك
لما ان الاول مسلب للعقول التي هي قطب الدين والدنيا مع كون كل منهما متلفة للاموال ومنافع للناس من كسب
الطرب واللذة ومصاحبة الفتيان وتشجيع الجبان وتقوية الطبيعة وقرئ اثم كثير بالمثلثة وفي تقديم
بيان اثمهما ووصفه بالكبر وتأخير ذكر منافعهما مع تخصيصها بالناس من الدلالة على غلبة الاول ما لا يخفى على
ما نطق به قوله تعالى واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد المترتبة على تعاطيهما اعظم من الفوائد المترتبة عليه وقرئ
اقرب من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون عطف على يسئلونك عن الخمر الخ عطف القصة على القصة اي اي شيء
ينفقونه قيل هو عمرو بن الجموح ايضا سال اولا عن اي جنس ينفق من اجناس الاموال فلما بين جواز الانفاق
من جميع الاجناس سال ثانيا من اي اصنافها ينفق امن خيارها ام من غيرها او سال عن مقدار ما ينفقه فقيل قل
العفو بالنصب اي ينفقون العفو او انفقوا العفو وقرئ بالرفع على ان ما استفهامية وذا موصولة صلتها
ينفقون اي العفو قال الواحدي اصل العفو في اللغة الزيادة وقال القفال العفو ما سهل وتيسر مما فضل عن الكفاية
وهو قول قتادة وعطاء والسدي وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يكسبون المال ويمسكون قدر
النفقة ويتصدقون بالفضل وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض
المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه فكرر ذلك مرارا حتى قال صلى الله عليه وسلم مغضبا هاتها
فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابته لشجته ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس
انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه
في الفضل وكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة
من الفخامة وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل او الفريق او لعدم القصد الى تعيين المخاطب
كما مر ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي مثل ذلك البيان الواضح الذي هو عبارة عما مضى في اجوبة الاسولة
الثلاثة يبين الله لكم الآيات الدالة على الاحكام الشرعية المذكورة لا بيانا ادنى منه وقد مر تمام تحقيقه في قوله
وكذلك جعلناكم امة وسطا وتبيين الآيات تنزيلها مبينة الحقوق واضحة المدلول لا انه تعالى يبينها بعد ان كانت
مشتبهة ملتبسة وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة لعلكم تتفكرون لكي تتفكروا فيها وتقفوا على مقاصدها
وتعملوا بما في تضاعيفها وقوله تعالى في الدنيا والآخرة متعلق اما بيبين اي يبين لكم فيما يتعلق بالدنيا والآخرة
الآيات واما بمحذوف وقع حالا من الآيات اي يبينها لكم كائنة فيهما اي مبينة الاحوال المتعلقة بهما واما فرع عليه التعليل لمزيد
الاعتناء بشان التفكر واما بقوله تعالى تتفكرون في الامور المتعلقة بالدنيا والآخرة في الاحكام الواردة في اجوبة
الاسولة المارة فتختارون منها ما يصلح لكم فيهما وتجتنبون عن غيره وهذا التخصيص هو المناسب لمقام تعداد الاحكام
الجزئية وتجوز التعميم لجميع الامور المتعلقة بالدنيا والآخرة فذلك اشارة الى ما مر من البيان كلا او بعضا لا الى
مصدر ما بعده فانه مع بعده مستقل ليس بعبارة عن ذلك البيان والمراد بالآيات غير ما ذكر والمعنى مثل ذلك البيان الكامل
في الاجوبة المذكورة يبين الله لكم الآيات والدلائل لعلكم تتفكرون في اموركم المتعلقة بالدنيا والآخرة فتأخذون
بما يصلح لكم وينفعكم فيهما وتذرون ما يضركم حسبما يقتضيه تلك الآيات المبينة ويسئلونك عن اليتامى عطف على ما قبله

اي تتفكرون ٣

من نظيره روي انه لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية تحامى الناس عن مخالطة اليتامى وتعهد اموالهم
فشق عليهم ذلك فذكروه للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي التعرض لاحوالهم واموالهم على طريق الاصلاح
خير من مجانبتهم اتقاء وان تخالطوهم وتعاشروهم على وجه ينفعهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم اي في الدين الذي هو
اقوى من العلاقة النسبية ومن حقوق الاخوة ومواجبها المخالطة بالاصلاح والنفع وقد حمل المخالطة على المصاهرة
والله يعلم المفسد من المصلح العلم بمعنى المعرفة المتعدية الى واحد ومن لتضمنه معنى التمييز اي يعلم من يفسد في امورهم
عند المخالطة او من يقصد بمخالطته الخيانة والافساد مميزا له ممن يصلح فيها او يقصد الاصلاح فيجازي كلا منهما
بعمله ففيه وعد ووعيد خلا ان في تقديم المفسد مزيد تهديد وتاكيد للوعيد ولو شاء الله لاعنتكم اي لو شاء ان
يعنتكم اي يكلفكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة لفعل ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب على امره لا يعز
عليه امر من الامور التي من جملتها اعناتكم فهو تعليل لمضمون الشرطية وقوله عز وجل حكيم اي فاعل لافعاله حسبما تقتضيه
الحكمة الداعية الى بناء التكليف على اساس الطاقة دليل على ما يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها ولا تنكحوا المشركات
اي لا تتزوجوهن وقرئ بضم التاء من الانكاح اي لا تزوجوهن من المسلمين حتى يؤمن والمراد بهن اما ما يعم الكتابيات
ايضا حسبما يقتضيه عموم التعليل الآتي لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى
قوله سبحانه عما يشركون فالآية منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واما غير الكتابيات فهي ثابتة
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين وكان يهوى
امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج
بي فقال نعم ولكن ارجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة تعليل للنهي عن مواصلتهن
وترغيب في مواصلة المؤمنات صدرت بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم في افادة التاكيد مبالغة في الحمل على الانزجار
واصل امة اموة حذفت لامها على غير قياس وعوض منها تاء التانيث ودليل كون لامها واوا رجوعها في الجمع قال الكلابي
اما الاماء فلا يدعونني ولدا اذا تداعى بنو الاموات بالعار وظهورها في المصدر يقال هي امة بينة الاموة واقرت له
بالاموة وقد وقعت مبتداء لما فيها من لام الابتداء والوصف اي ولامة مؤمنة مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر
خير بحسب الدين والدنيا من مشركة اي امراة مشركة مع ما لها من شرف الحرية ورفعة الشان ولو اعجبتكم قد مر الكلام في
في امثال هذه المواقع بحيث تبين انتفاء الشيء في الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة
ما قبلها عليه مع انصباب المعنى على تقديره بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الاحوال
المقارنة على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته معه ثبوته مع ما عداه من الاحوال
بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر
الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا
معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على وجه الاجمال كانه قيل لو لم تعجبكم ولو اعجبتكم والجملة في حيز النصب على الحالية
من مشركة لذلك المآل اي ولامة مؤمنة خير من امراة مشركة حال عدم اعجابها وحال اعجابها اياكم بجمالها ومالها ونسبها
وغير ذلك من مبادي الاعجاب وموجبات الرغبة فيها اي على كل حال وقد اقتصر على ذكر اقوى الاحوال واشدها منافاة للخيرية
تنبيها على انها حيث تحققت معه فلان تتحقق مع غيره اولى وقيل الواو حالية وليس بواضح وقيل اعتراضية وليس
بسديد والحق انها عاطفة مستتبعة لما ذكر من الاعتبار اللطيف نعم يجوز ان يكون الجملة الاولى مع ما عطف عليها

عليها استئنافية مقررة لمضمون ما قبلها فتدبر ولا تنكحوا المشركين من الانكاح والمراد بهم الكفار على الاطلاق لما مر
اي لا تزوجوا منهم المؤمنات سواء كن حرائر او اماء حتى يؤمنوا ويتركوا ما هم فيه من الكفر ولعبد مؤمن مع ما به
من ذل المملوكية خير من مشرك مع ما له من عز المالكية ولو اعجبكم بما فيه من دواعي الرغبة فيه الراجعة الى ذاته
وصفاته اولئك استئناف مقرر لمضمون التعليل الآتي اي اولئك المذكورون من المشركات والمشركين يدعون من
يقارنهم ويعاشرهم الى النار اي الى ما يؤدي اليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم
والله يدعو بواسطة عباده المؤمنين من يقارنهم الى الجنة والمغفرة اي الى الاعتقاد الحق والعمل الصالح الموصلين
اليهما وتقديم الجنة على المغفرة مع ان حق التخلية ان تتقدم على التحلية لرعاية مقابلة النار ابتداء باذنه
متعلق بيدعو اي يدعو ملتبسا بتوفيقه الذي من جملته ارشاد المؤمنين لمقارنيهم الى الخير ونصيحتهم اياهم فهم احقاء
بالمواصلة ويبين آياته المشتملة على الاحكام الفائقة والحكم الرائقة للناس لعلهم يتذكرون اي لكي يتذكروا
ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا اليه من الجنة والغفران هذا وقد قيل معنى والله يدعو واولياء الله يدعون
وهم المؤمنون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تشريفا لهم وانت خبير بان الضمير في المعطوف على الخبر
اعني قوله تعالى ويبين لله تعالى فيلزم التفكيك وقيل معناه والله يدعو باحكامه المذكورة الى الجنة والمغفرة
فانها موصلة لمن عمل بها اليهما وهذا وان كان مستدعيا لاتحاد مرجع الضمير الكائنين في الجملتين المتعاطفتين
الواقعتين خبرا للمبتدا لكن يفوت حسن المقابلة بينه وبين قوله تعالى اولئك يدعون الى النار ولعل الطريق الاولى
ما اوضحناه اولا وايراد التذكر هاهنا للاشعار بانه واضح لا يحتاج الى التفكر كما في الاحكام السابقة ويسئلونك
عن المحيض عطف على ما تقدم من مثله ولعل حكاية هذه الاسئلة الثلثة بالعطف لوقوع الكل عند السؤال عن
الخمر وحكاية ما عداها بغير عطف لوقوع كل من ذلك في وقت على حدة والمحيض مصدر من حاضت المراة كالمجيء والمبيت روي
ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولا يواكلونهن كداب اليهود والمجوس واستمر الناس على ذلك الى ان سال عن
ذلك ابو الدحداح في نفر من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فنزلت قل هو اذى اي شيء يستقذر منه ويؤذي
من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء في المحيض اي فاجتنبوا مجامعتهن في حالة المحيض قيل اخذ المسلمون
بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن
هلك سائر اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن
اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض
واليهود كانوا يفرطون في الاعتزال فامر المسلمون بالاقتصاد بين الامرين ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد لحكم الاعتزال
وتنبيه على ان المراد به عدم قربانهن لا عدم القرب منهن وبيان لغايته وهو انقطاع الدم عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى
فان كان ذلك في اكثر المدة حل القربان كما انقطع والا فلا بد من الاغتسال او من مضي وقت صلوة وعند الشافعي رحمه الله
ان يغتسلن بعد الانقطاع كما يفصح عنه القراءة بالتشديد وينبئ عنه قوله عز وجل فاذا تطهرن فان التطهر هو
الاغتسال فاتوهن من حيث امركم الله من المأتى الذي حلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم
من ارتكاب بعض ما نهوا عنه من امثال الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار وفي ذكر التوبة
اشعار بمساس الحاجة اليها بارتكاب بعض الناس لما نهوا عنه وتكرير الفعل لمزيد العناية بامر التطهر نساؤكم حرث لكم
اي مواضع حرث لكم شبهن بها لما بين ما يلقى في ارحامهن وبين البذور من المشابهة من حيث ان كلا منهما مادة لما يحصل منه

فأتوا حرثكم لما عبّر عنهن بالحرث عبّر عن مجامعتهن بالاتيان وهو بيان لقوله تعالى فأتوهن من حيث امركم الله انّى شئتم
من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يقولون من اتى امرأته في قبلها من دبرها يأتي ولده احول فذكر ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدّموا لانفسكم اي ما يدّخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل هو التسمية عند
المباشرة واتقوا الله بالاجتناب من معاصيه التي من جملتها ما عدّ من الامور واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا لتحصيل ما
تنتفعون به ح وتجتنبوا اقتراف ما تفتضحون به وبشر المؤمنين الذين تلقوا ما خوطبوا به من الاوامر والنواهي
بحسن القبول والامتثال بما يقصر عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم او بكل ما يبشر به من الامور التي تسرّ بها القلوب
وتقرّ بها العيون وفيه مع ما فيه من تلوين الخطاب وجعل المبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم من المبالغة في تشريف المؤمنين
ما لا يخفى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم قيل نزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان
ولا يصلح بينه وبين اخته وقيل في الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح لخوضه في حديث الافك
والعرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة تطلق على ما يعرض دون الشيء فيصير حاجزا منه كما يقال فلان عرضة للخير
وعلى المعرض للامر كما في قوله فلا تجعلوني عرضة للوائم فالمعنى على الوجه الاول لا تجعلوا الله تعالى للامور الحسنة
التي تحلفون على تركها وعبّر عنها بالايمان لملابستها بها كما في قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن سمرة اذا حلفت
على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفّر عن يمينك وقوله تعالى ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس
عطف بيان لايمانكم او بدل منها المعرفة انها عبارة عن الامور المحلوف عليها واللام في لايمانكم متعلقة بالفعل او بعرضة
اي برزخا حاجزا بان تحلفوا به تعالى على تركها او لا تجعلوه تعالى عرضة اي شيئا يعترض الامور المذكورة ويحجزها بما ذكر
من الحلف به تعالى على تركها فقد جوّز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا الخ بالفعل او بعرضة فيكون الايمان
بمعناها وانت خبير بانه يؤدي الى الفصل بين العامل ومعموله باجنبي وعلى الوجه الثاني لا تجعلوا الله معرضا لايمانكم
تبتذلونه بكثرة الحلف به ولذلك ذمّ من نزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها
وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله سبحانه غير معظم له فلا يكون
برا متقيا ثقة بين الناس فيكون بمعزل من التوسط في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم
فحافظوا على ما كلفتم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط من الكلام عن درجة الاعتبار والمراد به
في الايمان ما لا عقد معه ولا قصد كما ينبئ عنه قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وهو المعني بقوله
عز وجل ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وقد اختلف فيه فعندنا هو ان يحلف على شيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر
خلافه فانه لا قصد فيه الى الكذب وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم من غير
اخطار الحلف بالبال فالمعنى على الاول لا يؤاخذكم الله اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم ظانا انه صادق
فيه ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد الى الكذب في اليمين وذلك في الغموس وعلى الثاني لا يلزمكم الكفارة
بما لا قصد معه الى اليمين ولكن يلزمكموها بما نوت قلوبكم وقصدت به اليمين ولم يكن كسب اللسان فقط والله غفور
حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشئا من عدم التثبت وقلة المبالاة حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة والجملة اعتراض
مقررة لمضمون قوله تعالى لا يؤاخذكم الخ وفيه ايذان بان المراد بالمؤاخذة المعاقبة لا ايجاب الكفارة اذ هي التي يتعلق
بها المغفرة والحلم دونه للذين يؤلون من نسائهم الايلاء الحلف وحقه ان يستعمل بعلى واستعماله بمن لتضمينه معنى البعد
اي للذين يحلفون متباعدين من نسائهم ويحتمل ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا وقرئ

وقرئ آلوا من نسائهم وقرئ يقسمون من نسائهم والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا
على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون ذلك وحكمه ان فاء اليها في المدة بالوطء ان امكن او
بالقول ان عجز عنه صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة
والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف اتساعا اي لهم ان ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة بفيء او طلاق
فان فاؤا اي رجعوا من اليمين بالحنث والفاء للتفصيل كما اذا قلت انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم
الى اخره والا لم البث الا ريثما اتحول فان الله غفور رحيم يغفر للمولي بفيئته التي هي كتوبته اثم حنثه عند تكفيره
او ما قصد بالايلاء من ضرار المرأة وان عزموا الطلاق واجمعوا عليه فان الله سميع بما جرى منهم من الطلاق وما
يتعلق به من المقدمة والمقاولة التي لا تخلو عنها الحال عادة عليم بنياتهم وفيه من الوعيد على الاصرار وترك الفيئة
ما لا يخفى والمطلقات اي ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن لما قد بين ان لا عدة على غير المدخول بها وان عدة
من لم تحض لصغر او كبر وحامل بالاشهر وبوضع الحمل وان عدة الامة قرءان او شهران يتربصن خبر في معنى الامر وتغيير
للتأكيد باشعاره بان المأمور به مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى الاتيان به فكأنهن امتثلن بالامر بالتربص فيخبر عنه موجودا
محققا وبناؤه على المبتدأ مفيد لزيادة تأكيد بانفسهن الباء للتعدية اي يقمعنها ويحملنها على الانتظار باعث
عليها من التربص فيه تهييج وحث لهن على ذلك لما فيه من الاباء عن الاتصاف بما يستنكف منه من كون نفوسهن طوامح الى
الرجال فيحملهن ذلك على الاقدام على الاتيان بما امرن به ثلاثة قروء نصب على الظرفية او المفعولية بتقدير مضاف
اي يتربصن مدة ثلاثة قروء او يتربصن مضي ثلاثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض بدليل قوله صلى الله عليه وسلم
دعي الصلاة ايام اقرائك وقوله صلى الله عليه وسلم طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وقوله تعالى
واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر ولان المقصود الاصلي من العدة استبراء الرحم ومداره
الحيض دون الطهر ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن معناه مستقبلات لعدتهن وهي الحيض
الثلث وايراد جمع الكثرة في مقام جمع القلة بطريق الاتساع فان ايراد كل من الجمعين مكان الاخر شائع ذائع وقرئ ثلثة
قرو بغير همزة ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الحيض والولد استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة
وفيه دليل على قبول قولهن في ذلك نفيا واثباتا ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر جواب الشرط محذوف يدل عليه
ما قبله دلالة واضحة اي فلا يجترئن على ذلك فان قضية الايمان بالله تعالى واليوم الاخر الذي يقع فيه الجزاء والعقوبة
منافية له قطعا وبعولتهن البعولة جمع بعل وهو في الاصل السيد المالك والتاء لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة
او مصدر بتقدير مضاف اي اهل بعولتهن اي ازواجهن الذين طلقوهن طلاقا رجعيا كما ينبئ عنه التعبير عنهم بالبعولة
والضمير لبعض افراد المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن في ذلك اي في زمان التربص وصيغة التفضيل
لافادة ان الرجل اذا اراد الرجعة والمرأة تأباها وجب ايثار قوله على قولها لا ان لها ايضا حقا في الرجعة ان
ارادوا اي الازواج بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن وليس المراد به
شرطية قصد الاصلاح بصحة الرجعة بل هو الحث عليه والزجر عن قصد الضرار ولهن عليهم من الحقوق مثل الذي
لهم عليهن بالمعروف من الحقوق التي يجب مراعاتها ويتحتم المحافظة عليها وللرجال عليهن درجة اي زيادة في الحق
لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن في المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او مزية في الفضل لانهم قوامون عليهن
حراس لهن ولما في ايديهن [illegible] فيما هو الغرض من الزواج ويستبدون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز

قوله اربعة اشهر [illegible] المصنف [illegible]

يقدر على الانتقام ممن يخالف احكامه حكيم ينطوي شرائعه على الحكم والمصالح. الطلاق هو بمعنى التطليق كالسلام
بمعنى التسليم والمراد به الرجعي لما ان السابق اقرب حكمه ولما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل عن الثالثة فقال او
او تسريح باحسان وهو مبتدا بتقدير مضاف خبره ما بعده اي عدد الطلاق الذي يستحق الزوج فيه الرد والرجعة
حسبما بين آنفا. مرتان اي اثنان وايثار ما ورد به النظم الكريم عليه للايذان بان حقهما ان يقعا مرة بعد مرة
لا دفعة واحدة وان كان حكم الرد ثابتا حينئذ ايضا. فامساك اي فالحكم بعدهما امساك لهن بالرجعة. بمعروف اي
بحسن عشرة ولطف معاملة. او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة كما روي عنه صلى الله عليه وسلم او بعدم الرجعة
الى ان تنقضي العدة فتبين وقيل المراد به الطلاق الشرعي وبالمرتين مطلق التكرير لا التثنية بعينها كما في قوله تعالى
ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة والمعنى ان التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع بين الطلقتين
او الثلث فان ذلك بدعة عندنا فقوله تعالى فامساك الخ حكم مبتدا وتخيير مستانف والفاء فيه للترتيب على التعليم
كانه قيل اذا علمتم كيفية التطليق فامركم احد الامرين. ولا يحل لكم ان تاخذوا منهن بمقابلة الطلاق. مما آتيتموهن
اي من الصدقات وتخصيصها بالذكر وان شاركها في الحكم سائر اموالهن اما لرعاية العادة او للتنبيه على انه اذا لم يحل
لهم ان ياخذوا مما آتوهن بمقابلة البضع عند خروجه عن ملكهم فلان لا يحل ان ياخذوا مما لا تعلق له بالبضع
اولى واحرى. شيئا اي نزرا يسيرا فضلا عن الكثير وتقديم الظرف عليه لما مر مرارا والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ
والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند الترافع وقيل مع الازواج وما بعده مع الحكام وذلك مما يشوش النظم
الكريم على القراءة المشهورة. الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو مؤيد لتفسير الخوف بالظن. الا يقيما
حدود الله اي ان لا يراعيا مواجب احكام الزوجية وقرئ يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلتها من الضمير
بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب. فان خفتم ايها الحكام ان لا يقيما اي الزوجان حدود الله
بمشاهدة بعض الامارات والمخايل فلا جناح عليهما اي على الزوجين فيما افتدت به. لا على الزوج في اخذ ما افتدت به
ولا عليها في اعطائه اياه. روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي ابن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق لكني
اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم
قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة كان اصدقها اياها. تلك اي الاحكام المذكورة حدود الله
فلا تعتدوها بالمخالفة والرفض ومن يتعد حدود الله فاولئك المتعدون والجمع باعتبار معنى الموصول هم الظالمون
اي لانفسهم بتعريضها لسخط الله وعقابه ووضع الاسم الجليل في المواقع الثلاثة الاخيرة موضع الضمير لتربية المهابة
وادخال الروعة وتعقيب النهي بالوعيد للمبالغة في التهديد. فان طلقها اي بعد الطلقتين السابقتين فلا تحل
له من بعد اي من بعد هذا الطلاق حتى تنكح زوجا غيره اي حتى تتزوج غيره فان النكاح ايضا يسند الى كل
منهما وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد والجمهور على اشتراط الاصابة لما روي ان امراة رفاعة قالت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة
الثوب فقال صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال صلى الله عليه وسلم لا حتى تذوقي
عسيلته ويذوق عسيلتك وبمثله يجوز الزيادة على الكتاب وقيل النكاح بمعنى الوطء والعقد مستفاد من لفظ
الزوج والحكمة في هذا التشريع الردع عن المسارعة الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط

بشرط التحليل مكروه عندنا وفي عدم الكراهة فيما لم يكن الشرط مصرحا به وفساده عند الاكثرين لقوله صلى الله
عليه وسلم لعن الله المحلل والمحلل له. فان طلقها اي الزوج الثاني فلا جناح عليهما اي على الزوج الاول والمراة ان
يتراجعا ان يرجع كل منهما الى الآخر بالعقد ان ظنا ان يقيما حدود الله التي اوجب مراعاتها على الزوجين من الحقوق
ولا وجه لتفسير الظن بالعلم لما ان العواقب غير معلومة ولان ان الناصبة للتوقع المنافي للعلم ولذلك لا يكاد يقال علمت
ان يقوم زيد. وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة الى هنا حدود الله اي احكامه المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير
والمخالفة يبينها بهذا البيان اللائق او سيبينها فيما سياتي بناء على ان بعضها يلحقه زيادة كشف وبيان بالكتاب والسنة
والجملة خبر ثان عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او حال من حدود الله والعامل معنى الاشارة
لقوم يعلمون اي يفهمون ويعملون بمقتضى العلم وتخصيصهم بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لما انهم المنتفعون بالبيان او لان ما سيلحق
بعض النصوص من البيان لا يقف عليه الا الراسخون في العلم. واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن فان الاجل
كما يطلق على المدة يطلق على منتهاها والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه اتساعا وهو المراد
ههنا لقوله عز وجل فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امكان للامساك بعد تحقق بلوغ الاجل اي
فراجعوهن بغير ضرار او خلوهن حتى تنقضي اجلهن باحسان من غير تطويل وهذا كما ترى اعادة للحكم في بعض صوره
اعتناء بشانه ومبالغة في ايجاب المحافظة عليه. ولا تمسكوهن ضرارا تاكيد للامر بالامساك بمعروف وتوضيح
لمعناه فزجر صريح عما كانوا يتعاطونه اي لا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى اذا
شارفت انقضاء الاجل يراجعها لا لرغبة فيها بل ليطول عليها العدة فنهي عنه بعدما امر بضده لما ذكر وضرارا
نصب على العلية او الحالية اي لا تمسكوهن للمضارة او مضارين واللام في قوله تعالى لتعتدوا متعلقة بضرارا
اي لتظلموهن بالالجاء الى الافتداء. ومن يفعل ذلك اي ما ذكر من الامساك المؤدي الى الظلم وما فيه من معنى البعد
للدلالة على بعد منزلته في الشر والفساد. فقد ظلم نفسه في ضمن ظلمه لهن بتعريضها للعقاب. ولا تتخذوا آيات الله
المنطوية على الاحكام المذكورة او جميع آياته وهي داخلة فيها دخولا اوليا. هزوا اي مهزوا بها بان تعرضوا عنها
وتتهاونوا في المحافظة على ما في تضاعيفها من الاحكام والحدود من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه
نهي عن الهزء بها واريد ما يستلزمه من الامر بضده اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا
فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويجوز ان يراد به النهي عن الامساك ضرارا فان الرجعة بلا رغبة فيها عمل بموجب آيات الله
بحسب الظاهر دون الحقيقة وهو معنى الهزء وقيل كان الرجل ينكح ويطلق ويعتق ويقول انما كنت العب فنزلت ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم ثلث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق. واذكروا نعمة الله عليكم حيث
هداكم الى ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية اي قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها والظرف متعلق بمحذوف وقع
حالا من نعمة الله اي كائنة عليكم او صفة لها على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الكائنة عليكم
ويجوز ان يتعلق بنفسها ان اريد بها الانعام لانها اسم مصدر كنبات من انبت ولا يقدح في عمله تاء التانيث لانه مبني
كما في قوله فلولا رجاء النصر منك ورهبة عقابك قد كانوا لنا كالموارد. وما انزل عليكم عطف على نعمة الله وما
موصولة حذف عائدها من الصلة ومن في قوله عز وجل من الكتاب والحكمة بيانية اي من القرآن والسنة او القرآن
الجامع للعنوانين على ان العطف لتغاير الوصفين كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وفي افرادها بالذكر بيان
من التعظيم ما لا يخفى وفي افراده بالذكر مع كونه اول ما دخل في النعمة المامور بذكرها ابانة لخطره ومبالغة في

البعث على ما ذكر قبله من الاحكام يعظكم به اي بما انزل حال من فاعل انزل او من مفعوله او منهما معا واتقوا الله
في شان المحافظة عليه والقيام بحقوقه الواجبة واعلموا ان الله بكل شيء عليم فلا يخفى عليه شيء مما تأتون وما تذرون
فيؤاخذكم بافانين العقاب واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن بيان لحكم ما كانوا يفعلونه عند بلوغ
الاجل حقيقة بعد بيان حكم ما كانوا يفعلونه عند المشارفة اليه والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة
اذا نشب بيضها فلم يخرج والمراد المنع والخطاب اما للاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته
جميلة ان ترجع الى زوجها الاول بالنكاح وقيل نزلت في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والاسناد للمطلقين
اليهم لتسببهم فيه كما ينبئ عنه تصديهم للعضل ولعل التعرض لبلوغ الاجل مع جواز التزوج بالزوج الاول
قبله ايضا لوقوع العضل المذكور حينئذ وليس فيه دلالة على ان ليس للمرأة ان تزوج نفسها والا لما احتيج الى نهي
الاولياء عن العضل لما ان النهي لدفع الضرر عنهن فانهن وان قدرن على تزويج انفسهن لكنهن يحترزن عن ذلك
مخافة اللوم والقطيعة واما للازواج حيث كانوا يعضلون مطلقاتهم ولا يدعونهن يتزوجن ظلما وقسرا لحمية
الجاهلية واما للناس كافة فان اسناد ما فعله واحد منهم الى الجميع شائع مستفيض والمعنى اذا وجد فيكم طلاق
فلا يقع فيما بينكم عضل سواء كان ذلك من قبل الاولياء او من جهة الازواج او من غيرهم وفيه تهويل لامر العضل
وتحذير منه وايذان بان وقوع ذلك بين ظهرانيهم وهم ساكتون عنه بمنزلة صدوره عن الكل في استتباع اللائمة وسراية
الغائلة ان ينكحن اي من ان ينكحن فمحله النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل على حذف الجار وقيل هو
بدل اشتمال من الضمير المنصوب في تعضلوهن وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارتهن ازواجهن ان اريد بهم المطلقون
فالزوجية اما باعتبار ما كان واما باعتبار ما يكون والا فباعتبار الاخير اذا تراضوا ظرف للا تعضلوا وصيغة
التذكير باعتبار تغليب الخطاب على النساء والتقييد به لانه المعتاد لا لتجويز المنع قبل تمام التراضي وقيل ظرف لان
ينكحن وقوله تعالى بينهم ظرف للتراضي مفيد لرسوخه واستحكامه بالمعروف بالجميل عند الشرع المستحسن عند الناس
والباء اما متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل تراضوا او نعتا لمصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف واما
بتراضوا اي تراضوا بما يحسن في الدين والمروءة وفيه اشعار بان المنع من التزوج بغير كفؤ او بما دون مهر المثل ليس من باب
العضل ذلك اشارة الى ما فصل من الاحكام وما فيه من معنى البعد لتعظيم المشار اليه والخطاب لجميع المكلفين
كما فيما بعده والتوحيد اما باعتبار كل واحد منهم واما بتأويل القبيل او الفريق ولما ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق
بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم
النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يعرفه كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم
الآخر فيسارع الى الامتثال به اجلالا له وخوفا من عقابه وقوله تعالى منكم اما متعلق بكان
عند من يجوز عمله في الظرف ومن ثبت فيها واما بمحذوف وقع حالا من فاعل يؤمن اي كائنا منكم ذلكم اي الاتعاظ به
والعمل بمقتضاه ازكى لكم اي انمى وانفع واطهر من دنس الآثام واوضار الذنوب والله يعلم ما فيه من الزكاء
والطهر وانتم لا تعلمون ذلك او والله يعلم ما فيه صلاح اموركم من الاحكام والشرائع التي من جملتها ما بينه ههنا
وانتم لا تعلمونها فدعوا رأيكم وامتثلوا بامره تعالى ونهيه في كل ما تأتون وما تذرون والوالدات يرضعن اولادهن
شروع في بيان الاحكام المتعلقة باولادهن خصوصا اثر ما مر كما وهو امر اخرج مخرج الخبر مبالغة في الحمل على تحقيق
مضمونه ومعناه الندب او الوجوب ان خص بمادة عدم قبول الصبي ثدي الغير او فقدان الظئر او عجز الوالد عن الاستئجار

والتعبير عنهن بالعنوان المذكور لهز عطفهن نحو اولادهن والحكم عام للمطلقات وغيرهن وقيل خاص بهن
اذ الكلام فيهن حولين كاملين التأكيد بصفة الكمال لبيان ان التقدير تحقيقي لا تقريبي مبني على المسامحة المعتادة
لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان لمن يتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة وفيه دلالة على جواز النقص
وقيل اللام متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له كما يقال ارضعت فلانة لفلان
ولده وعلى المولود له اي الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب
الارضاع ومؤنة المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرتهن واختلف في استئجار الام وهو غير جائز عندنا ما دامت
في النكاح او العدة جائز عند الشافعي رحمه بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل
لايجاب المؤن بالمعروف او تفسير للمعروف وهو نص على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا ينافي امكانه لا تضار
والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل لما قبله وتقرير له اي لا يكلف كل واحد منهما الآخر ما لا يطيقه ولا يضاره
بسبب ولده وقرئ لا تضار بالرفع بدلا من لا تكلف واصله على القراءتين لا تضارر بالكسر على البناء للفاعل او بالفتح
على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اي لا تضر الوالدة بالولد فتفرط
في تعهده وتقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من
بان يتفقا على استرضاعه ولا ينبغي ان يضر به او يتضار بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله
تعالى وعلى المولود له رزقهن وما بينهما تعليل او تفسير معترض والمراد به وارث الصبي ممن كان ذا رحم محرم منه
وقيل عصباته وقال الشافعي رحمه هو وارث الاب وهو الصبي اي تمان المرضعة من ماله عند موت الاب ولا نزاع فيه
وانما الكلام فيما اذا لم يكن للصبي مال وقيل الباقي من الابوين من قوله صلى الله عليه وسلم واجعله الوارث منا وذلك
اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا اي الوالدان فصالا اي فطاما عن الرضاع قبل تمام
الحولين والتنكير للايذان بانه فصال غير معتاد عن تراض متعلق بمحذوف وقع صفة لفصالا اي صادرا عن تراض منهما
لا بمجرد احدهما فقط لاحتمال اقدامه على ما يضر بالولد بان تمل المرأة الارضاع ويبخل الاب باعطاء الاجر
وتشاور في شان الولد وتفحص عن احواله واجماع منهما على استحقاقه للفطام والتشاور من الشورة وهي استخراج
الراي من شرت العسل اذا استخرجته وتنكيرهما للتفخيم فلا جناح عليهما في ذلك لما ان تراضيهما انما يكون بعد استقرار
رايهما واجتهادهما على ان صلاح الولد في الفطام وقلما يتفقان على الخطأ وان اردتم بيان لحكم عدم اتفاقهما على
الفطام والالتفات الى خطاب الآباء لهزهم الى الامتثال بما امروا به ان تسترضعوا اولادكم بحذف المفعول الاول استغناء عنه
اي ان تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها اياه وقيل انما يتعدى الى الثاني
بحرف الجر ايضا كما في قوله تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم فلا جناح عليكم اي في الاسترضاع وفيه دلالة على ان
للاب ان يسترضع للولد ويمنع الام من الارضاع اذا سلمتم اي الى المراضع ما آتيتم اي ما اردتم ايتاءه كما في قوله
تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ ما اوتيتم اي من جهة الله عز وجل
كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وفيه مزيد بعث لهم الى التسليم بالمعروف متعلق بسلمتم اي بالوجه المتعارف
المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه وليس التسليم بشرط للصحة والجواز بل هو ندب الى ما هو الاليق
والاولى فان المراضع اذا اعطين ما قدر لهن ناجزا يدا بيد كان ذلك ادخل في استصلاح شؤون الاطفال واتقوا الله
في شان مراعاة الاحكام المذكورة واعلموا ان الله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك واظهار الاسم الجليل في موقع

الاضمار لتربية المهابة وفيه من الوعيد ما لا يخفى والذين على حذف المضاف اي وازواج الذين يتوفون
منكم اي يقبض ارواحهم بالموت فان التوفي هو القبض يقال توفيت مالي من فلان اي استوفيته منه اي اخذته وقبضته
والخطاب للكافة بطريق التلوين ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي على حذف العائد
الى المبتدا في الخبر اي يتربصن بعدهم كما في قولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون
مدة آجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله اصلا حتى انهم
يقولون صمت عشرا ومن البين في ذلك قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل الحكمة في هذا التقدير
ان الجنين اذا كان ذكرا يتحرك غالبا لثلاثة اشهر وان كان انثى يتحرك لاربعة فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر
استظهارا اذ ربما يضعف الحركة فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية والحرة والامة
في هذا الحكم ولكن القياس اقتضى التنصيف في الامة وقوله عز وجل واولات الاحمال خص الحامل منه وعن علي
وابن عباس رضي الله عنهما انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح
عليكم ايها الحكام والمسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب وسائر ما حرم على المعتدة
بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع وفيه اشارة الى انهن لو فعلن ما ينكره الشرع فعليهم ان يكفوهن عن ذلك
والا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فلا تعملوا خلاف ما امرتم به ولا جناح عليكم خطاب للكل فيما عرضتم
به التعريض والتلويح ابهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك واصله
امالة الكلام عن نهجه الى عرض منه اي جانب والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك
طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف من خطبة النساء الخطبة بالكسر كالقعدة والجلسة ما يفعله الخاطب
من الطلب والاستلطاف بالقول والفعل فقيل هي ماخوذة من الخطب اي الشان الذي له خطر لما انها شان من الشؤون
ونوع من الخطوب وقيل من الخطاب لانها نوع مخاطبة تجري بين جانب الرجل وجانب المراة والمراد بالنساء المعتدات
للوفاة والتعريض بخطبتهن ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك مما يوهم
انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح او اكننتم في انفسكم اي اضمرتم
في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون عن السكوت عنهن وعن
اظهار الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على قلة التثبت ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف
دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا بل اكتفوا بما رخص لكم من التعريض والتعبير
عن النكاح بالسر لان مسببه الذي هو الوطء مما يسر به وايثاره على اسمه للايذان بانه مما ينبغي ان يسر به ويكتم
وحمله على الوطء ربما يوهم الرخصة في المحظور الذي هو التصريح بالنكاح وقيل انتصاب سرا على الظرفية اي لا تواعدوهن
في السر على ان المراد بذلك المواعدة بما يستهجن وفيه ما فيه الا ان تقولوا قولا معروفا استثناء مفرغ مما
يدل عليه النهي اي لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة معروفة غير منكرة شرعا وهي ما يكون بطريق التعريض
والتلويح او الا مواعدة بقول معروف او لا تواعدوهن بشيء من الاشياء الا بان تقولوا قولا معروفا وقيل
هو استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى جعل التعريض موعودا وليس كذلك ولا تعزموا عقدة
النكاح من عزم الامر اذا قصده قصدا جازما وحقيقته القطع بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا صيام
لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام والنهي عنه للمبالغة في النهي عن مباشرة عقد النكاح اي

اي لا تعزموا عقد عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله اي العدة المكتوبة المفروضة آخرها وقيل معناه
لا تقطعوا عقدة النكاح اي لا تبرموها ولا تلزموها ولا تقدموا عليها فيكون نهيا عن نفس الفعل لا عن قصده
واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من ذوات الصدور التي من جملتها العزم على ما نهيتم عنه فاحذروه بالاجتناب
عن العزم ابتداء او اقلاعا عنه بعد تحققه واعلموا ان الله غفور يغفر لمن يقلع عن عزمه خشية منه تعالى
حليم لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتاخيرها على ان ما نهيتم عنه من العزم ليس مما يستتبع المؤاخذة
واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال الروعة لا جناح عليكم اي لا تبعة من مهر وهو الاظهر وقيل
من وزر اذ لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه
جناحا فنفي ذلك ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي ما لم تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء في جميع المواقع
اي مدة عدم مسيسكم اياهن على ان ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاف ونقل ابو البقاء انها شرطية بمعنى ان فيكون
من باب اعتراض الشرط على الشرط فيكون الثاني قيدا للاول كما في قولك ان تاتني ان تحسن الي اكرمك اي ان تاتني محسنا
الي والمعنى ان طلقتموهن غير ماسين لهن وهذا المعنى اقعد من الاول لما ان ما الظرفية انما يحسن موقعها فيما اذا كان
المظروف امرا ممتدا منطبقا عليها او مضافا اليها من الجزء او الزمان كما في قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض
وقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ولا يخفى ان التطليق ليس كذلك وتعليق الظرف بنفي الجناح ربما يوهم
امكان المسيس بعد الطلاق فالوجه ان يقدر الحال مكان الزمان والمدة او تفرضوا لهن فريضة اي الا ان
تفرضوا لهن او حتى تفرضوا لهن عند العقد مهرا على ان فريضة فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية
الى الاسمية وانتصابه على المفعولية ويجوز ان يكون مصدرا صيغة واعرابا والمعنى انه لا تبعة على المطلق بمطالبة
المهر اصلا اذا كان الطلاق قبل المسيس على كل حال الا في حال تسمية المهر فان عليه حينئذ نصف المسمى وفي حال
عدم تسميته عليه المتعة لا نصف مهر المثل واما اذا كان بعد المسيس فعليه في صورة التسمية تمام المسمى وفي صورة
عدمها تمام مهر المثل وقيل كلمة او عاطفة لمدخولها على ما قبلها من الفعل المجزوم على معنى ما لم يكن منكم مسيس
ولا فرض مهر ومتعوهن عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة
جبر ايحاش الطلاق وهي درع وملحفة وخمار على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر
قدره اي ما يليق بحال كل منهما وقرئ بسكون الدال وهي جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مبينة لمقدار
المتعة بالنظر الى حال المطلق ايسارا واقتارا او حال من فاعل متعوهن بحذف الرابط اي على الموسع منكم الخ
او على جعل الالف واللام عوضا عن المضاف اليه عند من يجوزه اي على موسعكم الخ وهذا اذا لم يكن مهرها اقل من ذلك
فان كان اقل فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص عن خمسة دراهم متاعا اي تمتيعا بالمعروف اي
بالوجه الذي تستحسنه الشريعة والمروءة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين اي الذين
يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع بالمعروف وانما سموا محسنين اعتبارا للمشارفة
ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة اي وان طلقتموهن قبل
المسيس حال كونكم مسمين لهن فيما سبق اي عند النكاح مهرا على ان الجملة حال من فاعل طلقتموهن ويجوز ان يكون حالا
من مفعوله لتحقق الربط بالنسبة اليهما ونفس الفرض من المبني للفاعل او المفعول وان لم يقارن حالة التطليق لكن اتصاف
المطلق بالفارضية فيما سبق مما لا ريب في مقارنتها وكذا الحال في اتصاف المطلقة بكونها مفروضا لها فيما سبق فنصف

ما فرضتم اى فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر او فالواجب عليكم ذلك وهذا صريح فى ان المنفى فى الصورة السابقة انما هو
تبعة المهر وقرئ بالنصب اى فادوا نصف ما فرضتم ولعل تأخير حكم التسمية مع انها الاصل فى العقد والاكثر فى الوقوع
لما ان الآية الكريمة نزلت فى انصارى تزوج امرأة من بنى حنيفة وكانت مفوضة فطلقها قبل الدخول بها
فتخاصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له صلى الله عليه وسلم عند اطلاعه انه لا شئ له متعها بقلنسوتك
الا ان يعفون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى فلهن نصف المفروض معينا فى كل حال الا حال عفوهن فانه
يسقط ذلك حينئذ بعد وجوبه وظاهر الصيغة فى نفسها يحتمل التذكير والتأنيث وانما الفرق فى الاعتبار والتحقيق
فان الواو فى الاول ضمير والنون علامة الرفع وفى الثانية لام الفعل والنون ضمير والفعل مبنى ولذلك لم يؤثر فيه
ان ههنا ونصب ما عطف على محله من قوله تعالى او يعفو بالنصب وقرئ بسكون الواو الذى بيده عقدة النكاح اى
يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود اليه من نصف المهر الذى ساقه اليها كملا على ما هو المعتاد تكرما فان ترك
حقه عليها عفو بلا شبهة او سمى بذلك عفوا فى صورة عدم السوق مشاكلة او تغليبا لحال السوق على حال عدمه
فمرجع الاستثناء الى منع الزيادة فى المنتفى منه كما انه فى الصورة الاولى الى منع النقصان فيه اى فلهن هذا القدر
بلا زيادة ولا نقصان فى جميع الاحوال الا فى حال عفوهن فانه حينئذ لا يكون لهن القدر المذكور بل ينتفى ذلك
او ينحط او فى حال عفو الزوج فانه حينئذ يكون لهن الزيادة على ذلك القدر هذا على التفسير الاول واما على التفسير الثانى
فلا بد من المصير الى جعل الاستثناء منقطعا لان فى صورة عفو الزوج لا يتصور الوجوب عليه هذا عندنا وفى
القول القديم للشافعى ان المراد عفو الولى الذى بيده عقدة نكاح الصغيرة وهو ظاهر الصحة خلا ان الاول انسب
بقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى لما ان اسقاط حق الصغيرة ليس فى شئ من التقوى وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه
انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول واكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو
وقرئ بالياء ولا تنسوا الفضل بينكم اى لا تتركوا ان يتفضل بعضكم على بعض كالشئ المنسى وقرئ بكسر الواو
والخطاب فى الفعلين للرجال والنساء جميعا بطريق التغليب ان الله بما تعملون بصير فلا يكاد يضيع ما عملتم من
التفضل والاحسان حافظوا على الصلوات اى داوموا على ادائها لاوقاتها من غير اخلال بشئ منها كما
ينبئ عنه صيغة المفاعلة المفيدة للمبالغة ولعل الامر بها فى تضاعيف بيان احكام الازواج والاولاد
قبل الاتمام للايذان بانها حقيقة بكمال الاعتناء بشأنها والمثابرة عليها من غير اشتغال عنها بشأنهم بل
بشأن انفسهم ايضا كما يفصح عنه الامر بها فى حالة الخوف ولذلك امر بها فى خلال بيان ما يتعلق بهم من
الاحكام الشرعية المتشابكة الآخذ بعضها بحجزة بعض والصلوة الوسطى المتوسطة بينها او الفضلى منها
وهى صلوة العصر لقوله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله
بيوتهم نارا وقال صلى الله عليه وسلم انها الصلوة التى شغل عنها سليمان بن داود عليهما السلام وفضلها
لكثرة اشتغال الناس فى وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار حينئذ وقيل
هى صلوة الظهر لانها فى وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يصليها بالهاجرة ولذلك كانت افضلها لقوله صلى الله عليه وسلم افضل العبادات احمزها وقيل هى صلوة الفجر
لانها بين صلاتى الليل والنهار والواقعة فى الحد المشترك بينهما ولانها متوسطة العدد ومن خواصها الوقوع بين صلاتى النهار والليل
ووقت النهار ولا تنقص فى السفر وقيل هى صلوة العشاء لانها بين جهريتين واقعتين فى طرفى الليل وعن

وعن عائشة وابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون من
احدى الاربع وقد خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ وعلى الصلوة الوسطى وقرئ بالنصب على
المدح وقرئ الوصطى وقوموا لله اى فى الصلوة فانه شرع الذكر من لوازمها فى القيام قانتين الحق القنوت هو الذكر فيه
وقيل هو اكمال الطاعة واتمامها بغير اخلال بشئ من اركانها وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت
فى الصبح فان خفتم اى من عدو او غيره فرجالا جمع راجل كقيام وقائم او رجل بمعنى راجل وقرئ بضم الراء
مع التخفيف وبضمها مع التشديد ايضا وقرئ فرجلا اى راجلا او ركبانا جمع راكب اى فصلوا راجلين
او راكبين حسبما يقتضيه الحال ولا تخلوا بها ما امكن الوقوف فى الجملة وقد جوز الشافعى رحمه الله اداءها حال
المسايفة ايضا فاذا امنتم بزوال الخوف فاذكروا الله اى فصلوا صلوة الامن عبر عنها بالذكر لانه
معظم اركانها كما علمكم متعلق بمحذوف وقع وصفا لمصدر محذوف اى ذكرا كائنا كما علمكم اى كتعليمه اياكم
ما لم تكونوا تعلمون من كيفية الصلوة والمراد بالتشبيه ان تكون الصلوة المؤداة موافقة لما علمه الله تعالى
وايرادها بذلك العنوان لتذكير النعمة او اشكروا الله تعالى شكرا يوازى تعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمون من
الشرائع والاحكام التى من جملتها كيفية اقامة الصلوة حالتى الخوف والامن هذا وفى ايراد الشرطية الاولى
بكلمة ان المنبئة عن مشكوكية وقوع الخوف وندرته وتصدير الشرطية الثانية بكلمة اذا المنبئة عن تحقق وقوع
الامن وكثرته مع الايجاز فى جواب الاولى والاطناب فى الثانية المبنيين على تنزيل مقام وقوع المأمور به فيهما
منزلة مقام وقوع الامر تنبيها على ان المامور به مما لا ينبغى ان يخل به بل يجرى على مقتضى المقام الاول فى كل منهما يجرى مقتضى المقام الثانى
من الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة لاولى الابصار والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا عود الى بيان بقية
الاحكام المفصلة فيما سلف اثر بيان احكام وسطت بينها لما اشير اليه من الحكمة الداعية الى ذلك وصية لازواجهم
اى يوصون او ليوصوا او كتب الله عليهم وصية ويؤيد هذا قراءة من قرأ كتب عليكم الوصية لازواجكم وقرئ بالرفع
على تقدير مضاف فى المبتدأ او الخبر اى حكم الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم او والذين
يتوفون اهل وصية لازواجهم او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع لازواجهم بدل وصية متاعا الى الحول
منصوب بيوصون ان اضمرته والا فبالوصية او بمتاع على القراءة الاخيرة غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد
كما فى قولك هذا القول غير ما تقول وحال من ازواجهم اى غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل
الاحتضار لازواجهم بان يتمتعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله
تعالى اربعة اشهر وعشرا فانه وان كان متقدما فى التلاوة متأخر فى النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع
او الثمن وكذلك السكنى عندنا وعند الشافعى رحمه الله هى باقية فان خرجن من منزل الازواج باختيارهن
فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن فى انفسهن من معروف لا ينكره الشرع كالتزين والتطيب وترك الحداد
والتعرض للخطاب وفيه دلالة على ان المحظور اخراجها عند ارادة القرار وملازمة مسكن الزوج والحداد من
غير ان يجب عليها ذلك وانها كانت مخيرة بين الملازمة مع اخذ النفقة وبين الخروج مع تركها والله عزيز غالب
على امره يعاقب من خالفه حكيم يراعى فى احكامه مصالح عباده وللمطلقات سواء كن مدخولا بهن او لا
متاع اى مطلق المتعة الشاملة للواجبة والمستحبة واوجبها سعيد بن جبير وابو العالية والزهرى للكل وقيل
المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل اللام للعهد والمراد غير المدخول بهن والتكرير للتأكيد بالمعروف شرعا

وعادة حقا على التغيير أي كما لا ينبغي كذلك أي مثل ذلك البيان الواضح يبين الله لكم آياته الدالة على أحكامه
التي شرعها لعباده لعلكم تعقلون لكي تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها ألم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب
وأرباب الأخبار وتعجيب من شأنهم البديع فإن سماعهم لها بمنزلة الرؤية البصرية أو العلمية أو لكل أحد ممن له
حظ من الخطاب إيذانا بأن قصتهم من الشهرة والشياع بحيث يحق لكل أحد أن يحمل على الإقرار برؤيتهم وسماع
قصتهم ويتعجب بها وإن لم يكن ممن رآهم أو سمع بقصتهم فإن هذا الكلام قد جرى مجرى المثل في مقام التعجيب لما أنه
شبه حال غير الرائي لشيء عجيب بحال الرائي له بناء على ادعاء ظهور أمره وجلائه بحيث استوى في إدراكه
الشاهد والغائب ثم أجري الكلام معه كما يجري مع الرائي قصدا إلى المبالغة في شهرته وعراقته في التعجب
وتعدية الرؤية بإلى في قوله تعالى إلى الذين خرجوا من ديارهم على تقدير كونها من الإبصار باعتبار معنى النظر
وعلى تقدير كونها من الإدراك القلبي لتضمين معنى الوصول والانتهاء على معنى ألم ينته علمك إليهم وهم ألوف أي ألوف
كثيرة قيل عشرة آلاف وقيل ثلاثون وقيل سبعون ألفا والجملة حال من ضمير خرجوا وقوله عز وجل حذر الموت
مفعول له روي أن أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا منها هاربين فأماتهم
الله ثم أحياهم ليعتبروا ويعلموا أن لا مفر من حكم الله تعالى وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل
بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فلوى شدقه وأصابعه تعجبا مما رأى من أمرهم
فأوحى الله إليه ناد فيهم أن قوموا بإذن الله تعالى فنادى فإذا هم قيام يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
لا إله إلا أنت وقيل هم قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فأماتهم الله تعالى
ثمانية أيام ثم أحياهم وقوله عز وجل فقال لهم الله موتوا إما عبارة عن تعلق إرادته تعالى بموتهم دفعة وإما
تمثيل لإماتته تعالى إياهم ميتة نفس واحدة في أقرب وقت وأدناه وأسرع زمان وأوحاه بأمر آمر مطاع لمأمور
مطيع كما في قوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ثم أحياهم عطف على مقدر يستدعيه
المقام أي فماتوا ثم أحياهم وإنما حذف للدلالة على الاستغناء عن ذكره لاستحالة تخلف مراده تعالى عن
إرادته وإما على قال لما أنه عبارة عن الإماتة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض لأسباب الشهادة
وأن الموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه المفر فأولى أن يكون في سبيل الله تعالى إن الله لذو فضل عظيم
على الناس قاطبة أما أولئك فقد أحياهم ليعتبروا بما جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى وأما الذين سمعوا
قصتهم فقد هداهم إلى مسلك الاعتبار والاستبصار ولكن أكثر الناس لا يشكرون أي لا يشكرون فضله كما
ينبغي ويجوز أن يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وإظهاره في مقام الإضمار لمزيد التشنيع وقاتلوا في سبيل الله
عطف على مقدر يعينه ما قبله كأنه قيل فاشكروا فضله بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا في سبيله لما علمتم أن
الفرار لا ينجي من الحمام وأن المقدر لا مرد له فإن كان قد حان الأجل فموت في سبيل الله عز وجل وإلا فنصر
عزيز وثواب واعلموا أن الله سميع يسمع مقالة السابقين والمتخلفين عليم بما يضمرونه في أنفسهم وهو
من وراء الجزاء خيرا وشرا فسارعوا إلى الامتثال واحذروا المخالفة والمساهلة من ذا الذي يقرض الله
من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول صفة له أو بدل منه وإقراض الله تعالى مثل لتقديم
العمل العاجل طلبا للثواب الآجل والمراد هنا إما الجهاد الذي هو عبارة عن بذل النفس والمال في سبيل الله
عز وجل ابتغاء لمرضاته وإما مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظاما أوليا قرضا حسنا أي إقراضا مقرونا

مقرونا بالإخلاص وطيب النفس أو مقرضا حلالا طيبا فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام حملا على
المعنى فإنه في معنى أيقرضه وقرئ بالرفع أي يضاعف أجره وجزاءه جعل ذلك مضاعفة له بناء على ما بينهما
من المناسبة بالسببية والمسببية ظاهرا وصيغة المفاعلة للمبالغة وقرئ فيضعفه بالرفع وبالنصب أضعافا
جمع ضعف ونصبه على أنه حال من الضمير المنصوب أو مفعول ثان بتضمين المضاعفة معنى التصيير أو مصدر مؤكد
على أن الضعف اسم للمصدر والجمع للتنويع كثيرة لا يعلم قدرها إلا الله تعالى وقيل الواحد سبعمائة والله
يقبض ويبسط أي يقتر على بعض ويوسع على بعض أو يقتر تارة ويوسع أخرى حسبما يقتضيه مشيئته المبنية
على الحكم والمصالح فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل أحوالكم ولعل تأخير البسط عن القبض في الذكر
للإيماء إلى أنه يعقبه في الوجود تسلية للفقراء وقرئ يبصط بالصاد لمجاورة الطاء وإليه ترجعون
فيجازيكم على ما قدمتم من الأعمال خيرا وشرا ألم تر تقرير وتعجيب كما سبق قطع عنه للإيذان باستقلاله في التعجيب
مع أن له نوع ارتباط بما وسط بينهما من الأمر بالقتال إلى الملأ من بني إسرائيل الملأ من القوم وجوههم
وأشرافهم وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم سموا بذلك لأنهم يملؤون العيون مهابة
والمجالس بهاء أو لأنهم مليئون بما يبتغى منهم ومن تبعيضية وما في قوله تعالى من بعد موسى ابتدائية وعاملها
مقدر وقع حالا من الملأ أي كائنين بعض بني إسرائيل من بعد وفاة موسى عليه السلام ولا ضير في اتحاد الحرفين لفظا
عند اختلافهما معنى إذ قالوا منصوب بمضمر يستدعيه المقام أي ألم تر إلى قصة الملأ أو حديثهم حين
قالوا لنبي لهم هو يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف عليه السلام وقيل شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوي بن يعقوب
عليهم السلام وقيل أشمويل بن بالي بن علقمة وهو بالعبرانية إسمعيل قال مقاتل هو من نسل هارون عليه السلام وقال مجاهد
أشمويل بن هلفايا ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله أي انهض للقتال معنا أميرا نصدر في تدبيره
أمر الحرب عن رأيه وقرئ نقاتل بالرفع على أنه حال مقدرة أي ابعثه لنا مقدرين القتال أو استئناف مبني
على السؤال وقرئ يقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب للأمر والوصف لملكا قال هل عسيتم فصل جوابا
عن سؤال ينساق إليه الذهن كأنه قيل فماذا قال لهم النبي عليه السلام فقيل قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال
ألا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط للاعتناء به أي هل قاربتم أن لا تقاتلوا كما أتوقعه منكم والمراد
تقرير أن المتوقع كائن وإنما لم يذكر في معرض الشرط ما التمسوه بأن قيل هل عسيتم إن بعثت لكم ملكا مع
أنه أظهر تعلقا بكلامهم بل ذكر كتابة القتال عليهم للمبالغة في بيان تخلفهم عنه فإنهم إذا لم يقاتلوا
عند فرضية القتال عليهم بإيجاب الله تعالى فلأن لا يقاتلوا عند عدم فرضيته أولى وإنما لم يرد ما ذكروه
ربما يوهم أن سبب تخلفهم عن القتال هو المبعوث لا نفس القتال وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة
قالوا استئناف كما سبق وما لنا أن لا نقاتل أي أي سبب لنا في أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا
من ديارنا وأبنائنا أي والحال أنه قد عرض لنا ما يوجب القتال إيجابا قويا من الإخراج عن الديار
والأوطان والاغتراب عن الأهل والأولاد وإفراد الأبناء بالذكر لمزيد تقوية أسباب القتال وذلك
أن جالوت رأس العمالقة وملكهم وهو جبار من أولاد عمليق بن عاد كان هو ومن معه من العمالقة يسكنون
ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني إسرائيل وأخذوا ديارهم وسبوا أولادهم وأسروا
من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين نفسا وضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم فلما كتب عليهم القتال بعد

سؤال النبي عم ذلك وبعث الملك تولوا اي اعرضوا وتخلفوا لكن لا في ابتداء الامر بل بعد مشاهدة كثرة
العدو وشوكته كما سيجيء تفصيله وانما ذكر ههنا مآل امرهم اجمالا اظهارا لما بين قولهم وفعلهم من التنافي
والتباين الا قليلا منهم وهم الذين اكتفوا بالغرفة من النهر وجاوزوه وهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد
اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم بالتولي عن القتال وترك الجهاد وتنافي اقوالهم وافعالهم والجملة اعتراض
تذييلي وقال لهم نبيهم شروع في تفصيل ما جرى بينه عم وبينهم من الاقوال والافعال اثر الاشارة الاجمالية الى
مصير حالهم اي قال لهم بعدما اوحي اليه ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا
من الطول يأباه منع صرفه وملكا حال منه روي انه عم لما دعا ربه ان يجعل لهم ملكا اتي بعصا يقاس بها
من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا استئناف كما مر انى يكون له الملك علينا اي من اين يكون او كيف يكون
ذلك ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى حالية والثانية عاطفة جامعة للجملتين في الحكم
اي كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال
وسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من اسباط بني اسرائيل وهو سبط لاوي بن يعقوب
والمملكة بسبط يهودا ومنه داود وسليمان عم ولم يكن طالوت من احد هذين السبطين بل من ولد بنيامين
قيل كان راعيا وقيل دباغا وقيل سقاء قال ان الله اصطفاه عليكم لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه
وبفقره رد عليهم ذلك اولا بان ملاك الامر هو اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم
وثانيا بان العمدة فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليعظم خطره في القلوب
ويقدر على مقاومة الاعداء ومكابدة الحروب وقد خصه الله منهما بحظ وافر وذلك قوله عز وجل وزاده
بسطة في العلم اي العلم المتعلق بالملك او به وبالديانات ايضا وقيل قد اوحي اليه ونبيء والجسم قيل بطول
القامة فانه كان اطول من غيره برأسه ومنكبيه حتى ان الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه وقيل بالجمال وقيل
بالقوة والله يؤتي ملكه من يشاء لما انه مالك الملك والملكوت فعال لما يريد فله ان يؤتيه من يشاء من عباده
والله واسع يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك ممن لا يليق به واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة
وقال لهم نبيهم توسيط فيما بين قوليه المحكيين عنه عم للاشعار بعدم اتصال احدهما بالآخر وتخلل كلام من جهة
المخاطبين متفرع على السابق مستتبع للاحق كانهم طلبوا منه عم آية تدل على انه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم
روي انهم قالوا ما آية ملكه فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت اي الصندوق وهو فعلوت من التوب الذي
هو الرجوع لما انه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وتاؤه مزيدة لغير التانيث كملكوت ورهبوت والمشهور ان يوقف
على تائه من غير ان تقلب هاء ومنهم من قلبها اياها والمراد به صندوق التورية وكان قد رفعه الله تعالى بعد
وفاة موسى عم سخطا على بني اسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت
قال لهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت من السماء والملائكة يحفظونه فاتاهم كما وصف والقوم ينظرون اليه حتى
نزل عند طالوت وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه وقال ارباب الاخبار ان الله تعالى انزل على آدم تابوتا فيه
تماثيل الانبياء عليهم السلام من اولاده وكان من عود الشمشاد نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين فكان عند آدم
عليه السلام الى ان توفي فتوارثها اولاده واحدا بعد واحد الى ان وصل الى يعقوب عليه السلام ثم بقي في ايدي
بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام فكان عم يضع فيه التورية وكان اذا قاتل قدمه فكانت تسكن

اليه نفوس بني اسرائيل وكان عنده الى ان توفي ثم تداولته ايدي بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شيء تحاكموا
اليه فيكلمهم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال يقدمونه بين ايديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة
تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وافسدوا
سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه في موضع البول والغائط فلما اراد الله تعالى
ان يملك طالوت سلط عليهم البلاء حتى ان كل من بال عنده ابتلي بالبواسير وهلكت من بلادهم خمس مداين فعلم
الكفار ان ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فاخرجوه وجعلوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران فوكل
الله تعالى بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال لهم
النبي عم ان آية ملكه انكم تجدون التابوت في داره فلما وجدوه عنده ايقنوا بملكه فيه سكينة من ربكم اي في
اتيانه سكون لكم وطمأنينة كائنة من ربكم او في التابوت ما تسكنون اليه وهو التورية المودعة فيه بناء على عادة
من ان موسى عم كان اذا قاتل قدمه فتسكن اليه نفوس بني اسرائيل وقيل السكينة صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت
لها رأس وذنب كرأس الهر وذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر
ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية مما
ترك آل موسى وآل هارون هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التورية وكان رفعه الله تعالى
بعد وفاة موسى عم وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بني اسرائيل تحمله الملائكة
حال من التابوت اي ان آية ملكه اتيانه حال كونه محمولا للملائكة وقد مر كيفية ذلك ولعل حمل الملائكة على الرواية
الاخيرة عبارة عن سوقهم الثورين الحاملين له ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من شأن التابوت فهو من تمام كلام النبي عم
لقومه او الى نقل القصة وحكايتها فهو ابتداء كلام من جهة الله تعالى جيء به قبل تمام القصة اظهارا لكمال العناية به
وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين على التفسيرين بتأويل الفريق او غيره كما سلف لآية عظيمة لكم دالة على
ملك طالوت او على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بهذه التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع من البشر ان كنتم
مؤمنين اي مصدقين بتمليكه عليكم او بشيء من الآيات وان شرطية والجواب محذوف ثقة بما قبله وقيل هي بمعنى اذ فلما
فصل طالوت بالجنود اي انفصل بهم عن بيت المقدس واصل فصل فصل نفسه ولما اتحد فاعله ومفعوله شاع
استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة القاصر كانفصل وقيل فصل فصولا وقد جوز كونه اصلا برأسه ممتازا
من المتعدي بمصدره كوقف وقوفا ووقفه وقفا وكصد صدودا وصده صدا ورجع رجوعا ورجعه رجعا
والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من طالوت اي ملتبسا بهم ومصاحبا لهم روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل
بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ
فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله تعالى لهم نهرا فقال
ما نقلته بمشيئته تعالى من جهة النبي عم او بطريق الوحي عنده على القول بنبوته قال ان الله مبتليكم بنهر بفتح الهاء وقرئ
بسكونها فمن شرب منه اي ابتدأ شربه من النهر بان كرع لانه الشرب منه حقيقة فليس مني اي من جملتي او من اشياعي
المؤمنين وقيل ليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لكمال اختلاطهما ومن لم يطعمه اي لم يذقه
من طعم الشيء اذا ذاقه مأكولا كان او مشروبا او غيرهما قال وان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا
ولا بردا اي نوما فانه مني الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله تعالى فمن شرب فليس مني وانما اخر عن الجملة الثانية

لابد منه كما لا عناية بها ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة ما يغترف وقرئ بفتح الغين
على أنها مصدر والباء متعلقة باغترف أو بمحذوف وقع صفة لغرفة أي غرفة كائنة بيده روي أن الغرفة
كانت تكفي الرجل لشربه وإداوته ودوابه وأما الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم وغلبهم العطش فشربوا
عطف على مقدر يقتضيه المقام أي فابتلوا به فشربوا منه أي فكرعوا منه إلا قليلا منهم وهم [illegible] فيما
بالاستثناء من الموجب وقرئ إلا قليل منهم ميلا إلى جانب المعنى وإعراضا عن رعاية اللفظ جانبا فإن قوله تعالى فشربوا منه
في قوة أن يقال فلم يطيعوه فحقه أن يرد المستثنى مرفوعا كما في قول الفرزدق وعض زمان يا ابن مروان لم يدع
من المال إلا مسحت أو مجلف فإن قوله لم يدع في حكم لم يبق فلما جاوزه أي النهر هو أي طالوت والذين آمنوا
معه عطف على الضمير المتصل المؤكد بالمنفصل والظرف متعلق بجاوز أو بآمنوا وقيل الواو حالية والظرف متعلق
بمحذوف وقع خبرا عن الموصول كأنه قيل فلما جاوزه والحال أن الذين آمنوا كائنون معه وهم أولئك القليل وفيه
إشارة إلى أن من عداهم بمعزل من الإيمان قالوا أي بعض من معه من المؤمنين لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت
وجنوده أي بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا عن أن يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة قيل كانوا
مائة ألف مقاتل شاكي السلاح قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال مخاطبوهم فقيل قال الذين يظنون
أنهم ملاقوا الله قيل أي الخلص منهم الذين يتيقنون لقاء الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه وأفرادهم بذلك الوصف
لا ينافي إيمان الباقين فإن درجات المؤمنين في التيقن والتوقع متفاوتة وقيل الذين يعلمون أنهم يستشهدون عما قريب
فيلقون الله تعالى وقيل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة والضمير في قالوا للمتخلفين عنهم كأنهم قالوا اعتذارا
عن التخلف والنهر بينهما كم من فئة أي فرقة وجماعة من الناس من فأوت رأسه إذا شققتها أو من فاء إليه إذا رجع
فوزنها على الأول فعة وعلى الثاني فلة قليلة غلبت فئة كثيرة وكم خبرية كانت أو استفهامية مفيدة للتكثير
وهي في حيز الرفع بالابتداء خبرها غلبت أي كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة بإذن الله أي بحكمه
وتيسيره فإن دوران كافة الأمور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وإن قل عدده ولا يعز من خذله وإن كثر
أسبابه وعدده وقد روعي في الجواب نكتة بديعة حيث لم يقل لا طاقة بعينه كثيرة حسبما وقع في كلام أصحابهم
مبالغة في رد مقالتهم وتسكين قلوبهم وهذا كما ترى جواب ناش من كمال ثقتهم بنصر الله تعالى وتوفيقه ولا دخل
في ذلك لظن لقاء الله تعالى بالبعث لا سيما بالاستشهاد فإن العلم به ربما يوهم اليأس عن الغلبة ولا للتوقع
ثوابه تعالى ولا ريب في أن ما ذكر في حيز الصلة ينبغي أن يكون مدارا للحكم الوارد على الموصول اللهم إلا أن يكون
وصفا ملائما له فلعل المراد بلقائه تعالى لقاء نصره وتأييده عبر عنه بذلك مبالغة كما عبر عن مقارنة نصره
تعالى بمقارنته سبحانه حيث قيل والله مع الصابرين فإن المراد به معية نصره وتوفيقه حتما وحملها على المعية بالذات
كما يفعل بأنه إنما قالوه تتميما لجوابهم وتأييدا له بطريق الاعتراض التذييلي تشجيعا لأصحابهم وتثبيتا
لهم على الصبر المؤدي إلى الغلبة ولا تعلق له بما ذكر من المعية بالإثابة قطعا وكذا الحال إذا جعل ذلك ابتداء
كلام من جهة الله تعالى جيء به تقريرا لكلامهم والمعنى قال الذين يظنون أو يعلمون من جهة النبي عليه الصلاة والسلام بالتابوت
والسكينة أنهم ملاقوا نصر الله العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله تعالى فنحن أيضا نغلب جالوت
وجنوده ولما ورد خبرا مستأنفا كان اللقاء مستقبلا للدلالة على تقرره وتحققه ولما برزوا أي ظهر طالوت
ومن معه من المؤمنين وصاروا إلى البراز من الأرض في موطن الحرب لجالوت وجنوده وشاهدوا ما هم عليه من

من العدد والعدد وأيقنوا أنهم غير مطيقين بهم عادة قالوا أي جميعا عند تقوي قلوب الفريق الأول منهم
بقول الفريق الثاني متضرعين إلى الله تعالى مستغيثين به ربنا أفرغ علينا صبرا على مقاساة شدائد الحرب
واقتحام موارده الصعبة الضيقة وفي التوسل بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال وإيثار الإفراغ
المنبئ عن الكثرة وتنكير الصبر المفصح عن التفخيم من الجزالة ما لا يخفى وثبت أقدامنا في مداحض القتال وعن الزلزال
وتثبيت القدم عبارة عن كمال القوة والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة لا مجرد التقرر
في حيز واحد وانصرنا على القوم الكافرين بقهرهم وهزمهم ووضع الكافرين في موضع الضمير العائد إلى جالوت
وجنوده للإشعار بعلة النصر عليهم ولقد راعوا في الدعاء ترتيبا بديعا حيث قدموا سؤال إفراغ الصبر
الذي هو ملاك الأمر ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه ثم سؤال النصر الذي هو الغاية القصوى فهزموهم
أي كسروهم بلا مكث بإذن الله بنصره وتأييده إجابة لدعائهم وإيثار هذه الطريقة على طريقة قوله عز وجل
فآتاهم الله ثواب الدنيا الآية للمحافظة على مضمون قولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله وقتل داود جالوت كان
إيشى أبو داود في عسكر طالوت معه ستة من بنيه وكان داود عليه السلام سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم
فأوحى الله إلى نبيهم أنه الذي يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة أحجار قال له كل منها
احملني فإنك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته قيل لما أبطأ على أبيه خبر إخوته في المصاف أرسل داود إليهم
ليأتيه بخبرهم فأتاهم وهم في المصاف وقد برز جالوت بنفسه إلى البراز ولا يكاد يبارزه أحد وكان ظله ميلا
فقال داود لإخوته أما فيكم من يخرج إلى هذا الأقلف فزجروه فجاء ناحية أخرى ليس فيها إخوته وقد مر به
طالوت وهو يحرض الناس على القتال فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا الأقلف قال طالوت أنكحه
بنتي وأعطيه شطر ملكي فبرز له داود فرماه بما معه من الأحجار بالمقلاع فأصابه في صدره فنفذت الأحجار
منه وقتلت بعده ناسا كثيرا وقيل إنما كانت الأحجار عند برزه من جالوت في المعركة فانجز له طالوت ما وعد
وقيل إنه حسده وأخرجه من مملكته ثم ندم على ما صنع فذهب يطلبه إلى أن قتل وملك داود عليه السلام وأعطي النبوة
وذلك قوله عز وجل وآتاه الله الملك أي ملك بني إسرائيل في مشارق الأرض المقدسة ومغاربها والحكمة
أي النبوة ولم يجتمع في بني إسرائيل الملك والنبوة قبله إلا له بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط آخر وما اجتمعا
قبله على أحد فقط وعلمه مما يشاء أي مما يشاء الله تعالى تعليمه إياه لا مما يشاء داود عليه السلام كما قيل لأن معظم ما علمه
تعالى إياه مما يخطر بالبال ولا يقع في أمنية بشر ليتمكن من طلبه ومشيئته كالسرد بإلانة الحديد ومنطق الطير
والدواب ونحو ذلك من الأمور الخفية ولولا دفع الله الناس بعضهم الذين يباشرون الشر والفساد ببعض
آخر منهم يردهم عما هم عليه بما قدره الله تعالى من القتل كما في القصة المحكية أو غيره وقرئ دفاع الله على صيغة
المفاعلة للمبالغة لفسدت الأرض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الأرض
ويصلحها وقيل لولا أن الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الأرض بعيثهم وقتلهم المسلمين أو لو لم يدفع بالمسلمين
لعم الكفر ونزلت السخط فاستؤصل أهل الأرض قاطبة ولكن الله ذو فضل عظيم لا يقادر قدره على العالمين
كافة وفي هذا إشارة إلى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض المقدم منتج لنقيض التالي خلا أنه قد وضع موضعه
ما يستتبعه ويستوجبه أعني كونه تعالى ذا فضل على العالمين إيذانا بأنه تعالى متفضل في ذلك الدفع من غير أن يجب
عليه ذلك وأن فضله تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد من أفراد فضله العظيم كأنه قيل ولكنه تعالى يدفع فساد بعضهم

فيه نظر

بعض فلا يفسد الارض وينتظم به مصالح العالم وينصلح احوال الامم تلك اشارة الى ما سلف من حديث الالوف
وحديث طالوت على التفصيل المرقوم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه آيات الله المنزلة من عنده تعالى
والجملة مستانفة وقوله تعالى نتلوها عليك اي بواسطة جبريل عليه السلام اما حال من الآيات والعامل معنى الاشارة
واما جملة مستقلة لا محل لها من الاعراب بالحق في حيز النصب على انه حال من مفعول نتلوها اي ملتبسة باليقين الذي لا يرتاب
فيه احد من اهل الكتاب وارباب التواريخ لما يجدونها موافقة لما في كتبهم او من فاعله اي نتلوها عليك ملتبسين بالحق والصواب
او من الضمير المجرور اي ملتبسا بالحق والصدق وانك لمن المرسلين اي من جملة الذين ارسلوا الى الامم لتبليغ رسالاتنا واجراء
اوامرنا واحكامنا عليهم فان هذه المعاملة لا تجري بيننا وبين غيرهم فهي شهادة منه سبحانه برسالته صلى الله عليه وسلم
اثر بيان ما يستوجبها والتاكيد من مقتضيات مقام المجاهدين منها تلك الرسل استيناف فيه رمز الى انه صلى الله عليه وسلم
من افاضل الرسل العظام عليهم الصلوة والسلام اثر بيان كونه من جملتهم والاشارة الى الجماعة الذين من جملتهم النبي
صلى الله عليه وسلم فاللام في الكل للاستغراق وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم وقيل
الى الذين ذكرت قصصهم في السورة وقيل الى الذين ثبت علمه صلى الله عليه وسلم فضلنا بعضهم على بعض في مراتب
الكمال بان خصصنا كلا منهم بماثرة جليلة خلا عنها غيره منهم من كلم الله تفصيل للتفضيل المذكور
اجمالا اي فضله بان كلمه تعالى بغير سفير وهو موسى عليه السلام حيث كلمه تعالى ليلة الحيرة وفي الطور وقرئ كلم الله
بالنصب وقرئ كالم الله من المكالمة فانه كلم الله تعالى كما انه كلمه ويعضده كليم الله بمعنى مكالمه والمراد الاسم الجليل
بطريق الالتفات تربية المهابة والرمز الى ما بين التكليم والرفع وبين ما سبق من مطلق وما لحق من ايتاء البينات والتاييد
بروح القدس من التفاوت ورفع بعضهم درجات اي ومنهم من رفعه على غيره من الرسل فتفاوتهم في معارج الفضل
بدرجات قاصية ومراتب نائية وتغيير الاسلوب لتربية ما بينهم من اختلاف الحال في درجات الشرف والظاهر انه
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه الاخبار بكونه صلى الله عليه وسلم منهم فان ذلك في قوة بعضهم فانه
تخصص بالدعوة العامة والحجج الجمة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهور والفضائل العلمية والعملية
الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه وللاشعار بانه العلم الفرد الغني عن التعيين وقيل ابراهيم عليه السلام
حيث خصه تعالى بكرامة الخلة وقيل ادريس عليه السلام حيث رفعه مكانا عليا وقيل اولو العزم من الرسل عليهم السلام
وآتينا عيسى ابن مريم البينات الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار
بالمغيبات او الانجيل وايدناه اي قويناه بروح القدس بضم الدال وقرئ بسكونها اي بالروح المقدسة كقولك
رجل صدق وهي روح عيسى وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عليه السلام لم تضمه الاصلاب والارحام
الطوامث وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالانجيل كما مر وانما خصهم بما ذكر لما بين اهل الكتابين في شانهما من التفريط
والافراط والآية ناطقة بان الانبياء عليهم السلام متفاوتة الاقدار فيجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع
ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم اي جاؤوا من بعد الرسل من الامم المختلفة اي لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا
بان جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق فمفعول المشية محذوف لكونه مضمون الجزاء على القاعدة المعروفة
وقيل تقديره ولو شاء هدى الناس جميعا ما اقتتلوا وليس بذاك من بعد ما جاءتهم من جهة اولئك الرسل البينات
المعجزات الواضحة والآيات الظاهرة الدالة على حقية الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الاعراض عن سننهم المؤدي
الى الاقتتال ومن متعلقة باقتتل ولكن اختلفوا استدراك من الشرطية اشير به الى قياس استثنائي مؤلف من وضع

وضع نقيض مقدمها منتج لنقيض تاليها الا انه قد وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب عليه للايذان
بان الاقتتال ناش من قبلهم لا من جهته تعالى ابتداء كانه قيل ولكن لم يشا عدم اقتتالهم لانهم اختلفوا اختلافا فاحشا
فمنهم من آمن اي بما جاءت به اولئك الرسل من البينات وعملوا به ومنهم من كفر بذلك كفرا لا ارعواء له عنه فاقتضت
الحكمة عدم مشيته تعالى لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء احوالهم ولو شاء الله عدم اقتتالهم بعد هذه المرتبة
ايضا من الاختلاف والشقاق المستتبعين للاقتتال بحسب العادة ما اقتتلوا وما ينبض منهم عرق التطاول والتعادي
لما ان الكل تحت ملكوته تعالى فالتكرير ليس لتاكيد كما ظن بل للتنبيه على ان اختلافهم ذلك ليس موجبا لعدم مشيته تعالى
لعدم اقتتالهم كما يفهم ذلك من وضعه في الاستدراك موضعه بل هو سبحانه مختار في ذلك حتى لو شاء الله بعد
ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا كما يفصح عنه الاستدراك بقوله عز وجل ولكن الله يفعل ما يريد اي من الامور
الوجودية والعدمية التي من جملتها عدم مشيته عدم اقتتالهم فان الترك ايضا من جملة الافعال اي يفعل ما يريد
حسبما يريد من غير ان يوجبه عليه موجب او يمنعه منه مانع وفيه دليل بين على ان الحوادث تابعة لمشيته
سبحانه خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا في سبيل الله مما رزقناكم اي شيئا
مما رزقناكم على ان ما موصولة حذف عائدها والتعرض لوصوله منه تعالى للحث على الانفاق كما في قوله تعالى
وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والمراد به الانفاق الواجب لا لانه ما بعده من الوعيد من قبل ان ياتي يوم لا بيع
فيه ولا خلة ولا شفاعة كلمة من متعلقة بما تعلقت به اختها ولا ضير فيه لاختلاف معنييهما فان الاولى تبعيضية
وهذه لابتداء الغاية اي انفقوا بعض ما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون على تلافي ما فرطتم فيه اذ لا بيع
فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يسامحكم به اخلاؤكم او يعينوكم عليه ولا شفاعة
الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتوسلوا بشفعاء يشفعون لكم في حط ما في ذمتكم وانما رفعت الثلاثة
مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقرئ بفتح الكل والكافرون اي التاركون
للزكوة وايثاره عليه للتغليظ والتهديد كما في قوله تعالى ومن كفر مكان ومن لم يحج وللايذان بان ترك الزكوة من صفات
الكفار قال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة هم الظالمون اي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعقاب ووضعوا
المال في غير موضعه وصرفوه الى غير وجهه الله لا اله الا هو مبتدا وخبر اي هو المستحق للعبودية لا غير وفي اضمار
خبر لا مثل في الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة معروف الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفنا وهو اما
خبر ثان او خبر لمبتدا محذوف او بدل من لا اله الا هو او بدل من الله او صفة له ويعضده القراءة بالنصب على المدح
لاختصاصه بالنعت القيوم فيعول من قام بالامر اذا حفظه اي دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقيل هو
القائم بذاته المقيم لغيره لا تاخذه سنة ولا نوم السنة ما يتقدم النوم من الفتور قال عدي بن الرقاع العاملي
وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب
الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث يقف المشاعر الظاهرة عن الاحساس راسا والمراد بيان انتفاء اعتراء
شيء منهما له سبحانه لعدم كونهما من شانه تعالى لانهما قاصران بالنسبة الى القوة الالهية فانه بمعزل من مقام التنزيه فلا سبيل
الى حمل النظم الكريم على طريقة المبالغة والترقي بناء على ان القادر على دفع السنة قد لا يقدر على دفع النوم القوي
كما في قولك فلان يقظ لا تغلبه سنة ولا نوم وانما تاخير النوم للمحافظة على ترتيب الوجود الخارجي وتوسيط
كلمة لا للتنصيص على شمول النفي لكل منهما كما في قوله عز وجل ولا ينفقون صغيرة ولا كبيرة الآية واما التعبير عن عدم

الاعتراء ونحوه بعدم الاخذ فلم اعادة الواقع اذ عروض السنة والنوم امرضهما انما يكون بطريق الاخذ والاستيلاء
وقيل هو تأكيد للتكميل والجملة تأكيد لما قبلها من كونه تعالى حيا قيوما فان من يعتريه احدهما يكون موف الحيوة قاصرا
في الحفظ والتدبير وقيل استئناف مؤكد لما سبق وقيل حال مؤكدة من الضمير المستكن في القيوم له ما في السموات
وما في الارض تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج به على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما هو اعم من اجزائهما الداخلة
فيهما ومن الامور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما من العقلاء وغيرهم من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء
شانه وانه لا يدانيه احد ليقدر على تغيير ما يريد بشفاعة وضراعة فضلا عن ان يدافعه عنادا او مناصبة يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم اي ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا
وامور الاخرة او بالعكس او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه والضمير لما في السموات والارض بتغليب ما فيهما
من العقلاء على غيرهم او لما دل عليه من ذا الذي من الملائكة والانبياء عليهم السلام ولا يحيطون بشيء من علمه اي
معلوماته الا بما شاء اي يعلموه وعطفه على ما قبله لما انهما جميعا دليل على تفرده تعالى بالعلم الذاتي
التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد
وكانه منسوب الى الكرسي الذي هو الملبد وليس ثمة كرسي ولا قاعد ولا قعود وانما هو تمثيل لعظمة شانه
عز وجل او سعة سلطانه واحاطة علمه بالاشياء قاطبة على طريقة قوله عز وجل وما قدروا الله حق قدره
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وقيل كرسيه مجاز عن علمه اخذا من كرسي العالم
وقيل عن ملكه اخذا من كرسي الملك فان الكرسي كلما كان اعظم يكون عظمة القاعد اكثر واوفر فعبر عن شمول
علمه او عن بسطة ملكه وسلطانه بسعة كرسيه واحاطته بالاقطار العلوية والسفلية وقيل هو جسم بين
يدي العرش محيط بالسموات السبع لقوله صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي
الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المسمى وعن
الحسن البصري انه العرش ولا يؤده اي لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما اي حفظ السموات والارض وانما لم يتعرض
لذكر ما فيهما لما ان حفظهما مستتبع لحفظه وهو العلي المتعالي بذاته عن الاشباه والانداد العظيم الذي
يستحقر بالنسبة اليه كل ما سواه هذه الآية الكريمة على امهات المسائل الالهية المتعلقة
بالذات العلية والصفات الجلية فانها ناطقة بانه تعالى موجود متفرد بالالهية متصف بالحيوة واجب الوجود
لذاته موجد لغيره لما ان القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور
لا مناسبة بينه وبين الاشباح ولا يعتريه ما يعتري النفوس والارواح مالك الملك والملكوت ومبدع
الاصول والفروع ذو البطش الشديد لا يشفع عنده الا من اذن له فيه العالم وحده بجميع الاشياء جليها
وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما من شانه ان يملك ويقدر عليه لا يشق عليه شاق ولا يشغله
شان عن شان متعال عما يناله الوهم عظيم لا يحيط به الافهام تفردت بفضائل رائقة وخواص فائقة
خلت عنها اخواتها قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم اية في القران اية الكرسي من قرأها بعث الله تعالى ملكا يكتب
من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال صلى الله عليه وسلم ما قرئت هذه الآية في دار الا اهجرتها
الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت
اية اعظم منها وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا

الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه امنه الله تعالى على نفسه وجاره
وجار جاره والابيات حوله وقال صلى الله عليه وسلم سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان
وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القران
وسيد القران سورة البقرة وسيد البقرة اية الكرسي وتخصيص سيدنا صلى الله عليه وسلم العرب بالذكر في اثناء
تعداد السادة الخاصة لا يدل على نفي ما دلت عليه الاخبار المستفيضة وانعقد عليه الاجماع من سيادته صلى الله عليه
وسلم لجميع افراد البشر لا اكراه في الدين جملة مستانفة جيء بها اثر بيان تفرده سبحانه وتعالى بالشؤون الجليلة الموجبة
للايمان به وحده ايذانا بان من حق العاقل ان لا يحتاج الى التكليف والالزام بل يختار الدين الحق من غير تردد
وتلعثم وقيل هو خبر في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين فقيل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
وقيل خاص باهل الكتاب حيث حصنوا انفسهم باداء الجزية روي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان
قد تنصرا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا
فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فخلاهما قد تبين الرشد من الغي استئناف تعليلي صدر بكلمة
التحقيق لزيادة تقرير مضمونه كما في قوله تعالى قد بلغت من لدني عذرا اي قد تميز بما ذكر من نعوته تعالى التي يمتنع توهم
اشتراك غيره في شيء منها الايمان الذي هو الرشد الموصل الى السعادة الابدية من الكفر الذي هو الغي المؤدي الى الشقاوة
السرمدية فمن يكفر بالطاغوت فعلوت من الطغيان كالملكوت والجبروت قلب مكان عينه ولامه فقيل هو في
الاصل مصدر واليه ذهب الفارسي وقيل اسم جنس مفرد مذكر وانما الجمع والتانيث لارادة الالهة وهو راي
سيبويه وقيل هو جمع وهو مذهب المبرد وقيل يستوي فيه الافراد والجمع والتذكير والتانيث اي فمن [illegible]
غير الحق من الباطل وجب بالحجج الواضحة والآيات البينة ويكفر بالشيطان او بالاصنام او بكل ما عبد من دون الله تعالى
او صد عن عبادته تعالى لما تبين له كونه بمعزل من استحقاق العبادة ويؤمن بالله وحده لما شاهد من نعوته الجليلة
المقتضية لاختصاص الالوهية به عز وجل الموجبة للايمان والتوحيد وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به
تعالى لتوقفه عليه فان التخلية متقدمة على التحلية فقد استمسك بالعروة الوثقى اي بالغ في التمسك بها كانه
وهو ملتبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه لا انفصام لها الفصم الكسر بغير ابانة كما ان القصم هو الكسر
بابانة ونفي الاول يدل على انتفاء الثاني بالاولوية والجملة اما استئناف مقرر لما قبلها من وثاقة العروة واما حال
من العروة والعامل استمسك او من الضمير المستتر في الوثقى وهما في حيز الخبر كما انها والكلام تمثيل مبني على
تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض اصلا لثبوته بالبراهين النيرة القطعية
بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المأمون انقطاعه فلا استعارة في المفرد ويجوز ان تكون العروة
الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الايمان والتوحيد لا للنظر الصحيح المؤدي اليه كما قيل فانه غير مذكور
في حيز الشرط والاستمساك بها مستعار لما ذكر من الملازمة او ترشيحا للاستعارة الاولى والله سميع بالاقوال عليم
بالعزائم والعقائد والجملة اعتراض تذييلي حامل على الايمان رادع عن الكفر والنفاق بما فيه من الوعد والوعيد
الله ولي الذين امنوا اي معينهم او متولي امورهم والمراد بهم الذين ثبت في علمه تعالى ايمانهم في الجملة مآلا او حالا
يخرجهم تفسير للولاية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة او حال من الضمير في ولي من الظلمات التي هي اعم من ظلمات
الكفر والمعاصي وظلمات الشبه بل مما في بعض مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف وخفاء بالقياس الى مراتبها

القوية الجلية بل لما في جميع مراتبها بالنظر إلى مرتبة العيان كما ستعرفه إلى النور الذي يعم نور الإيمان ونور الإيقان
ونور العيان إن يخرجهم بهدايته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التي وقع فيها إلى ما يقابلها من النور وإفراد النور
لوحدة الحق كما أن جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال والذين كفروا أي الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم أولياؤهم الطاغوت
أي الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق فالموصول مبتدأ وأولياؤهم مبتدأ ثان والطاغوت خبره والجملة خبر للأول
والجملة الحاصلة معطوفة على ما قبلها ولعل تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت في مقابلة الاسم الجليل ولقصد
المبالغة بتكرير الإسناد مع الإيماء إلى التباين بين الفريقين من كل وجه حتى من جهة التعبير أيضا يخرجونهم بالوساوس
وغيرها من طرق الإضلال والإغواء من النور الفطري الذي جبل عليه الناس كافة أو من نور البينات التي يشاهدونها
من جهة النبي صلى الله عليه وسلم بتنزيل تمكنهم من الاستضاءة بها منزلة نفسها إلى الظلمات ظلمات الكفر والانهماك
في الغي وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الإسلام والجملة تفسير لولاية الطاغوت وخبر ثان كما مر وإسناد الإخراج
من حيث السببية إلى الطاغوت لا يقدح في استناده من حيث الخلق إلى قدرته سبحانه أولئك إشارة إلى الموصول
باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وما يتبعه من القبائح أصحاب النار أي ملابسوها وملازموها بسبب ما لهم من الجرائم
هم فيها خالدون ماكثون أبدا ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه استشهاد على ما ذكر من أن الكفرة أولياؤهم
الطاغوت وتقرير له على طريقة قوله تعالى ألم تر أنهم في كل واد يهيمون كما أن ما بعده استشهاد على ولايته تعالى
للمؤمنين وتقرير لها وإنما بدئ بهذا لرعاية الاقتران بينه وبين مدلوله ولاستقلاله بأمر عجيب حقيق بأن يصدر
به المقال وهو اجتراؤه على المحاجة في الله عز وجل وما أتى بها في أثنائها من العظيمة المنادية بكمال حماقته ولأن فيما
بعده تعددا وتفصيلا يورث تقديمه انتشار النظم على أنه قد أشير في تضاعيفه إلى هدايته تعالى أيضا بواسطة
إبراهيم عليه السلام فإن ما يحكى عنه من الدعوة إلى الحق وإدحاض حجة الكافر من آثار ولايته تعالى والهمزة للاستفهام
لإنكار النفي وتقرير المنفي أي ألم تنظر أو ألم ينته علمك إلى هذا الطاغوت المارد كيف تصدى لإضلال الناس
وإخراجهم من النور إلى الظلمات أي قد تحققت رؤيتك وتقررت بناء على أن أمره من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد
ممن له حظ من الخطاب فظهر أن الكفرة أولياؤهم الطاغوت وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام
تشريف له وإيذان بتأييده في المحاجة أن آتاه الله الملك أي لأن آتاه إياه حيث أبطره ذلك وحمله على المحاجة
أو حاج لأجله وضعا للمحاجة التي هي أقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاداني لأني أحسنت
إليه أو وقت أن آتاه الله الملك وهو حجة على من منع إيتاء الله الملك للكافر إذ قال إبراهيم ظرف لحاج أو بدل من
آتاه الله على الوجه الأخير ربي الذي يحيي ويميت بفتح ياء ربي وقرئ بحذفها روي أنه عليه السلام لما كسر الأصنام سجنه
ثم أخرجه فقال من ربك الذي تدعو إليه فقال ربي الذي يحيي ويميت أي يخلق الحياة والموت في الأجساد قال استئناف
مبني على السؤال كأنه قيل كيف حاجه في هذه المقالة القوية الحقة فقيل قال أنا أحيي وأميت روي
أنه دعا برجلين فقتل أحدهما وأطلق الآخر فقال ذلك قال إبراهيم استئناف كما سلف كأنه قيل فماذا قال
إبراهيم عليه السلام في هذه المرتبة من الحماقة وبماذا أفحمه فقال فإن الله يأتي بالشمس من المشرق حسبما تقتضيه مشيئته
فأت بها من المغرب إن كنت قادرا على مثل مقدوراته تعالى لم يلتفت عليه السلام إلى إبطال مقالة اللعين إيذانا بأن
بطلانها من الجلاء والظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد وأن التصدي لإبطالها من قبيل السعي في تحصيل الحاصل وانتقل
إلى مثال لا يجد اللعين فيه مجالا للتمويه والتلبيس فبهت الذي كفر أي صار مبهوتا وقرئ على بناء الفاعل على أن

أن الموصول مفعوله أي فغلب إبراهيم عليه السلام الكافر وأسكته وإيراد الكفر في حيز الصلة للإشعار بعلة الحكم والتنصيص
على كون المحاجة كفرا والله لا يهدي القوم الظالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله أي لا يهدي الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها
للعذاب المخلد بسبب إعراضهم عن قبول الهداية إلى مناهج الاستدلال أو إلى سبيل النجاة أو إلى طريق الجنة يوم القيامة
أو كالذي مر على قرية استشهاد على ما ذكر من ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير له معطوف على الموصول السابق وإيثار
أو الفارقة على الواو الجامعة للاحتراز عن توهم اتحاد المستشهد عليه من أول الأمر والكاف إما اسمية كما اختاره
قوم جيء بها للتنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر كما في قولك الفعل الماضي مثل نصر وإما زائدة كما
ارتضاه آخرون والمعنى أو ألم تر إلى مثل الذي مر على قرية كيف هداه الله تعالى وأخرجه من ظلمة الاشتباه إلى نور العيان
والشهود أي قد رأيت ذلك وشاهدته فلا ريب في أن الله ولي الذين آمنوا الخ هذا وأما جعل الهمزة لمجرد
التعجيب على أن يكون المعنى في الأول ألم تنظر إلى الذي حاج الخ أي انظر إليه وتعجب من أمره وفي الثاني أو أرأيت مثل
الذي الخ إيذانا بأن حاله وما جرى عليه في الغرابة بحيث لا يرى له مثل كما استقر عليه رأي الجمهور فغير خليق بجزالة
التنزيل وفخامة شأنه الجليل فتدبر والمار هو عزير بن شرخيا من سبط هارون عليه السلام قاله وهب
وعبد الله بن عمير وقيل أرميا هو الخضر عليه السلام وقال مجاهد كان رجلا كافرا بالبعث وهو بعيد والقرية
بيت المقدس قاله وهب وعكرمة والربيع وقيل هي دير هرقل على شط دجلة وقال الكلبي هي دير سابرآباد
وقال السدي هي دير سلماباد والأول هو الأظهر والأشهر روي أن بني إسرائيل لما بالغوا في تعاطي الشر
والفساد وجاوزوا في العتو والطغيان كل حد معتاد سلط الله تعالى عليهم بخت نصر البابلي
فسار إليهم في ستمائة ألف راية حتى وطئ الشام وخرب بيت المقدس وجعل بني إسرائيل أثلاثا
ثلث منهم قتلهم وثلث منهم أقرهم بالشام وثلث منهم سباهم وكانوا مائة ألف غلام يافع وغير يافع فقسمهم
بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل ملك منهم أربعة غلمة وكان عزير من جملتهم فلما نجاه الله تعالى منهم بعد
حين مر بحمار على بيت المقدس فرآه على أفظع مرأى وأوحش منظر وذلك قوله عز وجل وهي خاوية
على عروشها أي ساقطة على سقوفها بأن سقطت العروش ثم الحيطان من خوى البيت إذا سقط أو
من خوت الأرض إذا تهدمت والجملة حال من ضمير مر أو من قرية عند من يجوز الحال من النكرة مطلقا
قال أي تلهفا عليها وتشوقا إلى عمارتها مع استشعار اليأس عنها أنى يحيي هذه الله وهي على ما يرى
من الحالة العجيبة المباينة للحياة وتقديمها على الفاعل للاعتناء بها من حيث إن الاستبعاد ناشئ من جهتها لا من
جهة الفاعل وأنى نصب على الظرفية إن كانت بمعنى متى وعلى الحالية من هذه إن كانت بمعنى كيف والعامل
يحيي وأيا ما كان فالمراد استبعاد عمارتها بالبناء والسكان ممن بقي من أهلها الذين تفرقوا أيدي سبا أو من غيرهم
وإنما عبر عنها بالإحياء الذي هو علم في البعد عن الوقوع عادة تهويلا للخطب وتأكيدا للاستبعاد
كما أنه عبر عن خرابها بالموت حيث قيل بعد موتها وحيث كان في هذا التعبير رمز بعيد إلى استبعاد الإحياء بعد
الموت على أبلغ وجه وآكده أراه الله عز وجل أبعد الأمرين في نفسه ثم في غيره ثم أراه ما استبعده
صريحا مبالغة في إزاحة ما عسى يختلج في خلده وأما حمل إحيائها على إحياء أهلها فيأباه التعرض لحال القرية
دون حال أهلها والاقتصار على ذكر موتهم دون كونهم ترابا وعظاما مع كونه أدخل في الاستبعاد لشدة تباينه
للحياة وغاية بعده عن قبولها على أنه لم يتعلق إرادته تعالى بإحيائهم كما تعلقت بعمارتها ومعاينته إياها

كما يستحيط به خبرا فاماته الله مائة عام روي انه لما دخل القرية ربط حماره وطاف فيها ولم ير بها احدا
فقال ما قال وكانت اشجارها قد اثمرت فتناول من التين والعنب وشرب من عصيره ونام فاماته الله تعالى
في منامه وهو شاب وامات حماره وبقية تينه وعنبه وعصيره عنده ثم اعمى الله تعالى عنه عيون الخلق فلم
يره احد فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس يقال له يوشك
الى بيت المقدس ليعمره ومعه الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل فجعلوا يعمرونه واهلك الله تعالى
بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرائيل وردهم الى بيت المقدس ورد اليه
من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلثين سنة وكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا عليه فلما تمت المائة من
موته احياه الله تعالى وذلك قوله تعالى ثم بعثه وايثاره على احياه للدلالة على سرعته وسهولة
تاتيه على البارى تعالى كانه بعثه من النوم وللايذان بانه عاد كهيئته يوم موته عاقلا فاهما مستعدا للنظر
والاستدلال قال استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال له بعد بعثه فقيل قال كم لبثت ليظهر
له عجزه عن الاحاطة بشؤونه تعالى وان احياءه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم انه هين في الجملة بل بعد مدة طويلة
وينحسم به مادة استبعاده بالمرة ويطلع في تضاعيفه على امر آخر من بدايع آثار قدرته تعالى وهو ابقاء الغذاء
المتسارع الى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهرا طويلا من غير تغير ما كم منصوب على الظرفية مميزها محذوف
اي كم وقتا لبثت والقائل هو الله تعالى او ملك مامور بذلك من قبله تعالى قيل انه نودي من السماء يا عزير كم لبثت
بعد الموت قال لبثت يوما او بعض يوم قاله بناء على التقريب والتخمين او استقصارا لمدة لبثه ولما يقال
من انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما فالتفت اليها فراى منها بقية
فقال او بعض يوم على وجه الاضراب فيعد من التحقيق اذ لا وجه للجزم بتمام اليوم ولو بناء على حسبان الغروب
لتحقق النقصان من اوله قال استيناف كما سلف بل لبثت مائة عام عطف على مقدر اي ما لبثت ذلك القدر
بل هذا المقدار فانظر لتعاين امرا آخر من دلائل قدرتنا الى طعامك وشرابك لم يتسنه اي لم يتغير في هذه
المدة المتطاولة مع تداعيهما الى الفساد روى انه وجد تينه وعنبه كما جنى وعصيره كما عصر والجملة المنفية
حال بغير واو كقوله تعالى لم يمسسهم سوء واما من الطعام والشراب وافراد الضمير لجريانهما مجرى الواحد كالغذاء
واما من الاخير اكتفاء بدلالة حاله على حال الاول ويؤيده قراءة من قرأ وهذا شرابك لم يتسنه والهاء اصلية
او هاء سكت واشتقاقه من السنة لما ان لامها هاء او واو وقيل اصله يتسنن من الحماء المسنون فقلبت نونه حرف علة
كما في تقضى البازي وقد جوز ان يكون معنى لم يتسنه لم يمر عليه السنون التي مرت عليه حقيقة بل هو بحسبها اي هو على
حاله كما كان كانه لم يلبث مائة عام وقرئ لم يسنه بادغام التاء في السين وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه
وتفرقت وتقطعت اوصاله وتمزقت ليتبين لك ما ذكر من لبثك المديد وتطمئن به نفسك وقوله عز وجل
ولنجعلك آية للناس عطف على مقدر متعلق بفعل مقدر قبله بطريق الاستيناف مقرر لمضمون ما سبق اي فعلنا
ما فعلنا من احيائك بعد ما ذكر لتعاين ما استبعدته من الاحياء بعد دهر طويل ولنجعلك آية للناس اي حجة
في هذا القرن بان يشاهدوك وانت من اهل القرون الخالية ويأخذوا منك ما طوي عنهم منذ احقاب من علم
التورية كما سياتي او متعلق بفعل مقدر بعده اي ولنجعلك آية لهم على الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا فهو على
التقديرين دليل على ما ذكر من اللبث المديد ولذلك قرن بينه وبين الامر بالنظر الى حماره وتكرير الامر في قوله

تعالى وانظر الى العظام مع ان المراد عظام الحمار ايضا لما ان ما امر به اولا هو النظر اليها من حيث دلالتها
على ما ذكر من اللبث المديد وثانيا هو النظر اليها من حيث تعتريها الحيوة ومباديها اي وانظر الى عظام الحمار لتشاهد كيفية
الاحياء في غيرك بعد ما شاهدت نفسه في نفسك كيف ننشزها بالزاء المعجمة اي نرفع بعضها الى بعض ونردها الى
اماكنها من الجسد فنركبها تركيبا لائقا بها وقال الكسائي نلينها ونعظمها ولعل من فسره بنحييها اراد بالاحياء هذا المعنى
وكذا من قرأ ننشرها بالراء من نشر الله تعالى الموتى اي احياها لا معناه الحقيقي لقوله تعالى ثم نكسوها لحما اي نسترها
كما يستر الجسد باللباس واما من قرأ ننشرها بفتح النون وضم الشين ولعله اراد به ضد الطي كما قال الفراء فالمعنى كيف
نبسطها والجملة اما حال من العظام اي وانظر اليها مركبة مكسوة لحما او بدل اشتمال اي وانظر الى العظام كيفية انشائها
وبسط اللحم عليها ولعل عدم التعرض لكيفية نفخ الروح لما انها مما لا تقتضي الحكمة بيانه روي انه نودي ايتها
العظام البالية ان الله يامرك ان تجتمعي فاجتمع كل جزء من اجزائها التي ذهب بها الطير والسباع وطارت بها الرياح
من كل سهل وجبل فانضم بعضها الى بعض والتصق كل عضو بما يليق به الضلع بالضلع والذراع بمحلها والراس بموضعها
ثم الاعصاب والعروق ثم انبسط عليه اللحم ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فلما تبين له
اي ما دل عليه الامر بالنظر اليه من كيفية الاحياء ومباديه والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الامر المذكور وانما حذف
للايذان بظهور تحققه واستغنائه عن الذكر وللاشعار بسرعة وقوعه كما في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله
انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فانشزها الله تعالى وكساها لحما فنظر اليها فتبين له كيفيته فلما
تبين له ذلك اي اتضح اتضاحا تاما قال اعلم ان الله على كل شيء من الاشياء التي من جملتها ما شاهده في نفسه وفي غيره
من تعاجيب الآثار قدير لا يستعصي عليه امر من الامور وايثار صيغة المضارع للدلالة على ان علمه بذلك مستمر نظرا الى
ان اصله لم يتغير ولم يتبدل بل انما تبدل بالعيان وصفه وفيه اشعار بانه انما قال ما قال بناء على الاستبعاد العادي
واستعظاما للامر وقيل فاعل تبين مضمر يفسره مفعول اعلم اي فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على
كل شيء قدير فحذف وقرئ تبين له على صيغة المجهول وقرئ قال اعلم وقيل اعلم على صيغة الامر روي انه ركب حماره
واتى محلته وانكره الناس وانكر الناس فانطلق على وهم منه حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة
قد ادركت زمن عزير فقال لها هذا منزل عزير قالت نعم واين ذكر عزير قد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا
قال فاني عزير قالت سبحان الله انى يكون ذلك قال قد اماتني الله مائة عام ثم بعثني قالت ان عزيرا كان رجلا مستجاب
الدعوة فادع الله لي يرد علي بصري حتى اراك فدعا ربه ومسح بين عينيها فصحتا فاخذ بيدها فقال لها قومي
باذن الله فقامت صحيحة كانما نشطت من عقال فنظرت اليه فقالت اشهد انك عزير فانطلقت الى محلة بني اسرائيل
وهم في انديتهم وكان في المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم
فكذبوها فقالت انظروا فاني بدعائه رجعت الى هذه الحالة فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه كان لابي شامة
سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فاذا هو كذلك وقد كان قتل بخت نصر ببيت المقدس من قرأ التوراة اربعين الف رجل
ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التوراة ولا احد يعرف التوراة فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير ان يخرم منها حرفا
فقال رجل من اولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد هلاك بخت نصر حدثني ابي عن جدي انه دفن التوراة
يوم سبينا في خابية في كرم فان اريتموني كرم جدي اخرجتها لكم فذهبوا الى كرم جده ففتشوها فوجدوها فعارضوها
بما املى عليهم عن ظهر القلب فما اختلفا في حرف واحد فعند ذلك قالوا هو ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

وإذ قال إبراهيم دليل آخر على ولايته تعالى للمؤمنين وإخراجهم من الظلمات إلى النور وإنما لم يسلك به مسلك الاستشهاد
كما قبله بأن يقال أو كالذي قال رب أرني لجريان ذكره عم في أثناء المحاجة ولأنه لا دخل لنفسه عم في أصل الدليل كدأب
عزير عم فإن ما جرى عليه من إحيائه بعد مائة عام من جملة الشواهد على قدرته تعالى وهدايته والظرف منصوب بمضمر صرح
بمثله في نحو قوله تعالى وإذ جعلكم خلفاء أي واذكر وقت قوله عم وما وقع ح من عجيب صنع الله عز وجل لتقف على ما
من ولايته تعالى وهدايته وتوجيه الأمر بالذكر في أمثال هذه المواقع إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها
المقصودة بالذات للمبالغة في إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر الوقت إيجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق
البرهاني ولأن الوقت مشتمل عليها مفصلة فإذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها بحيث لا يشذ عنها شيء مما ذكر عنده كأنها
أو لم يذكر كأنها مشاهدة عيانا. رب كلمة استعطاف قدمت بين يدي الدعاء مبالغة في استدعاء الإجابة أرني من الرؤية
البصرية المتعدية إلى واحد وبدخول همزة النقل طلبت مفعولا آخر هو الجملة الاستفهامية المعلقة لها فإنها تعلق كما يعلق
النظر البصري أي اجعلني مبصرا كيف تحيي الموتى بأن تحييها وأنا أنظر إليها وكيف في محل نصب على التشبيه بالظرف عند سيبويه
وبالحال عند الأخفش والعامل فيها تحيي أي في أي حال أو على أي حال تحيي قال القرطبي الاستفهام بكيف إنما هو سؤال
عن حال شيء متقرر الوجود عند السائل والمسؤول فالاستفهام هاهنا عن هيئة الإحياء المتقرر عند السائل أي بصرني
كيفية إحيائك الموتى وإنما سأله عم ليتأيد إيمانه بالعيان ويزداد قلبه اطمئنانا على اطمئنان وأما ما قيل من أن
نمروذ لما قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم عم إن إحياء الله تعالى برد الأرواح إلى الأجساد فقال نمروذ هل عاينته
فلم يقدر أن يقول نعم فانتقل إلى تقرير آخر ثم سأل ربه أن يريه ذلك فيأباه تعليل السؤال بالاطمئنان. قال استئناف كما
مر غير مرة أولم تؤمن عطف على مقدر أي ألم تعلم ولم تؤمن بأني قادر على الإحياء كيف أشاء حتى تسألني إراءته قال
عز وعلا وهو أعلم بأنه عم أثبت الناس إيمانا وأقواهم يقينا ليجيب بما أجاب به فيكون ذلك لطفا للسامعين قال بلى
علمت وآمنت بأنك قادر على الإحياء على أي كيفية شئت ولكن سألتك ما سألتك ليطمئن قلبي بمضامة العيان إلى الإيمان
والإيقان وازداد بصيرة بمشاهدته على كيفية معينة. قال فخذ الفاء لجواب شرط محذوف أي إن أردت ذلك فخذ
أربعة من الطير قيل هو اسم جمع كركب وسفر وقيل جمع كتاجر وتجر وقيل هو مصدر سمي به الجنس وقيل هو
تخفيف طير بمعنى طائر كهين في هين ومن متعلقة بخذ أو بمحذوف وقع صفة لأربعة أي أربعة كائنة من الطير قيل هي طاوس
وديك وغراب وحمامة وقيل نسر بدل الأخير وتخصيص ذلك لأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص الحيوان ولسهولة
تأتي ما يفعل به من التجزئة والتفريق وغير ذلك. فصرهن من صاره يصوره أي أماله وقرئ بكسر الصاد من صاره يصيره
أي أملهن واضممهن وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره إذا جمعه وقرئ فصرهن
من التصرية بمعنى الجمع أي اجمعهن إليك لتتأملها وتعرف شأنها مفصلة حتى تعلم بعد الإحياء أن جزءا من أجزائها
لم ينتقل من موضعه الأول أصلا روي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط ريشها
ودماءها ولحومها ويمسك رؤوسها ثم أمر بأن يجعل أجزاءها على الجبال وذلك قوله تعالى ثم اجعل على كل جبل
منهن جزءا أي جزءا منهن وفرق أجزاءهن على ما بحضرتك من الجبال قيل كانت أربعة أجبل وقيل سبعة فجعل
على كل جبل ربعا أو سبعا من كل طائر وقرئ جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد بطرح همزته تخفيفا ثم تشديده عند
الوقف إجراء للوصل مجرى الوقف. ثم ادعهن يأتينك في حيز الجزم على أنه جواب الأمر ولكنه بني لاتصاله بنون
جمع المؤنث سعيا أي ساعيات مسرعات أو ذوات سعي طيرانا أو مشيا وإنما اقتصر على حكاية أوامره عز وجل من غير تعرض

تعرض لامتثاله عم ولا لما ترتب عليه من عجائب آثار قدرته تعالى كما روي أنه عم ناداهن فقال تعالين بإذن الله تعالى
فجعل كل جزء منهن يطير إلى صاحبه حتى صارت جثثا ثم أقبلن إلى رؤوسهن فانضمت كل جثة إلى رأسها فعادت
كل واحدة منهن إلى ما كانت عليه من الهيئة للإيذان بأن ترتب تلك الأمور على الأوامر الجليلة واستحالة تخلفها عنها من الجلاء
والظهور بحيث لا حاجة له إلى الذكر أصلا وناهيك بالقصة دليلا على فضل الخليل ويمن الضراعة في الدعاء وحسن
الأدب في السؤال حيث أراه الله تعالى ما سأله في الحال على أيسر ما يكون من الوجوه وأرى عزيرا ما أراه بعد إماتته مائة عام
عليهما السلام واعلم أن الله عزيز غالب على أمره لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في أفاعيله فليس بناء
أفعاله على الأسباب العادية لعجزه عن إيجادها بطريق آخر خارق للعادات بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح. مثل الذين
ينفقون أموالهم في سبيل الله أي في وجوه الخيرات من الواجب والنفل كمثل حبة لا بد من تقدير مضاف في أحد الجانبين
أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة أنبتت سبع سنابل أي أخرجت ساقا تشعب منها سبع شعب لكل واحدة
منها سنبلة في كل سنبلة مائة حبة كما يشاهد ذلك في الذرة والدخن في الأراضي المغلة بل أكثر من ذلك وإسناد الإنبات
إلى الحبة مجازي كإسناده إلى الأرض والربيع وهذا التمثيل تصوير للأضعاف كأنها حاضرة بين يدي الناظر والله يضاعف
تلك المضاعفة أو فوقها إلى ما شاء الله تعالى لمن يشاء أن يضاعف له بفضله على حسب حال المنفق من إخلاصه وتعبه
ولذلك تفاوتت مراتب الأعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية
المنفق ومقدار إنفاقه وكيفية تحصيل ما أنفقه. الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله جملة مبتدأة جيء بها لبيان
كيفية الإنفاق الذي بين فضله بالتمثيل المذكور ثم لا يتبعون ما أنفقوا أي ما أنفقوه أو إنفاقهم منا ولا أذى المن أن يعتد
على من أحسن إليه بإحسانه ويريه أنه أوجب بذلك حقا والأذى أن يتطاول عليه بسبب إنعامه عليه وإنما قدم المن لكثرة
وقوعه وتوسيط كلمة لا للدلالة على شمول النفي لاتباع كل واحد منهما وثم لإظهار علو رتبة المعطوف قيل نزلت
في عثمان رضي الله تعالى عنه حين جهز جيش العسرة بألف بعير بأقتابها وأحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه
حين أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأربعة آلاف درهم صدقة ولم يكد يخطر ببالهما شيء من المن والأذى لهم أجرهم
أي حسبما وعد لهم في ضمن التمثيل وهو جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا عن الموصول وفي تكرير الإسناد وتقييد الأجر
بقوله عند ربهم من التأكيد والتشريف ما لا يخفى وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للإيذان
بأن ترتب الأجر على ما ذكر من الإنفاق وترك اتباع المن والأذى أمر بين لا يحتاج إلى التصريح بالسببية وأما إيهام
أنهم أهل لذلك وإن لم يفعلوا فكيف بهم إذا فعلوا فيأباه مقام الترغيب في الفعل والحث عليه ولا خوف عليهم
في الدارين من لحوق مكروه من المكاره ولا هم يحزنون لفوات مطلوب من المطالب قل أو جل أي لا يعتريهم ما يوجبه لا أنه
يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا أنه لا يعتريهم خوف وحزن أصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا
واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله تعالى وهيبته واستقصارا للجد والسعي في إقامة حقوق العبودية
من خواص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية
مضارعا لما أن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام. قول معروف أي كلام جميل
تقبله القلوب ولا تنكره يرد به السائل من غير إعطاء شيء ومغفرة أي ستر لما وقع من السائل من الإلحاف في المسألة
وغيره مما يثقل على المسؤول وصفح عنه وإنما صح الابتداء بالنكرة في الأول لاختصاصها بالوصف وفي الثاني بالعطف
أو بالصفة المقدرة أي ومغفرة كائنة من المسؤول خير أي للسائل من صدقة يتبعها أذى لكونها مشوبة بضرر ما يتبعها

وخلوص الاولين من الضرر والجملة مستانفة مقررة لاعتبار ترك اتباع المن والاذى وتفسير المغفرة بنيل مغفرة من
الله تعالى بسبب الرد الجميل او بعفو السائل بناء على اعتبار الخيرية بالنسبة الى المسؤل يؤدي الى ان يكون في الصدقة
الموصوفة بالنسبة الخيرية في الجملة مع بطلانها بالمرة والله غني لا يحوج الفقراء الى تحمل مؤنة المن والاذى ويرزقهم
من جهة اخرى حليم لا يعاجل اصحاب المن والاذى بالعقوبة لا انهم لا يستحقونها بسببهما والجملة تذييل لما قبلها مشتمل على
الوعد والوعيد مقرر لاعتبار الخيرية بالنسبة الى السائل قطعا يا ايها الذين آمنوا اقبل عليهم بالخطاب اثر بيان
بيان بطريق الغيبة مبالغة في ايجاب العمل بموجب النهي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اي لا تحبطوا اجرها بواحد
منهما كالذي في محل النصب اما على انه نعت لمصدر محذوف اي لا تبطلوا ابطالا كابطال الذي ينفق ماله رئاء
الناس واما على انه حال من فاعل لا تبطلوا اي لا تبطلوها مشابهين الذي ينفق الخ اي الذي يبطل انفاقه بالرياء
وقيل من ضمير المصدر المقدر على ما هو راي سيبويه وانتصاب رئاء اما على انه علة لينفق اي لاجل رئائهم او على انه حال
من فاعله اي ينفق ماله مرائيا والمراد به المنافق لقوله تعالى ولا يؤمن بالله واليوم الآخر حتى يرجو ثوابا او
يخشى عقابا فمثله الفاء لربط ما بعدها بما قبلها اي فمثله في الانفاق وحالته العجيبة كمثل صفوان
اي حجر املس عليه تراب اي شيء يسير منه فاصابه وابل اي مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس يابسا ليس عليه
شيء من الغبار اصلا لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون له ثوابا قطعا كقوله تعالى
فجعلناه هباء منثورا والجملة استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا يكون حالهم حينئذ فقيل لا يقدرون الخ والضمير
كون مثلهم كما ذكر كون مثل من ينفق مثلهم وهم اصحاب المن والاذى كذلك والضمير الراجع الى الموصول باعتبار المعنى كما في
قوله عز وجل وخضتم كالذي خاضوا لما ان المراد به الجنس والجمع او الفريق كما ان الضمائر الاربعة السابقة له باعتبار
اللفظ والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله وفيه تعريض بان كلا
من الرياء والمن والاذى من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين ان يجتنبوها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة
الله اي لطلب رضاه وتثبيتا من انفسهم اي ولتثبيت بعض انفسهم على الايمان فمن تبعيضية كما في قولهم
هز من عطفه وحرك من نشاطه فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه ومن
بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم فمن لابتداء الغاية
كما في قوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان
مخلصة فيه ويعضده قراءة من قرأ وتبيينا من انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس
عن البخل وحب المال الذي هو راس كل خطيئة كمثل جنة بربوة اي كمثل بستان بموضع مرتفع فان الربوة بالحركات الثلاث وقد قرئ بها المكان
المرتفع اي مثل نفقتهم في الزكاء كمثل بستان كائن بمكان مرتفع مامون من ان يصطلمه البرد للطافة هوائه
بهبوب الرياح الملطفة له فان اشجار الربى تكون احسن منظرا وازكى ثمرا واما الاراضي المنخفضة فقلما تسلم
ثمارها من البرد لكثافة هوائها بركود الرياح وقرئ كمثل حبة اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت
اكلها ثمرتها وقرئ بسكون الكاف تخفيفا ضعفين اي مثلي ما كانت تثمر في سائر الاوقات بسبب ما اصابها من
الوابل والمراد بالضعف المثل وقيل اربعة امثال ونصبه على الحال من اكلها اي مضاعفا فان لم يصبها
وابل فطل اي فطل يكفيها لجودتها وكرم منبتها ولطافة هوائها او فيصيبها طل وهو المطر الصغير
القطر وقيل فالذي يصيبها طل والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت

تتفاوت باعتبار الاحوال ويجوز ان يعتبر التمثيل بين حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الكثيرة والقليلة
وبين الجنة المعهودة باعتبار ما اصابها من المطر الكثير واليسير فكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكلها فكذلك
نفقتهم جلت او قلت بعد ان يطلب بها وجه الله تعالى زاكية زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عند الله تعالى
والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء منه وهو ترغيب في الاخلاص مع تحذير من الرياء ونحوه ايود احدكم
الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل استعمالهما والهمزة لانكار الوقوع كما في قولك اضرب ابي لا لانكار
الواقع كما في قولك اتضرب اباك على ان مناط الانكار ليس جميع ما تعلق به الود بل انما هو اصابة الاعصار
وما يتبعها من الاحتراق ان تكون له جنة وقرئ جنات من نخيل واعناب اي كائنة منهما على ان يكون الاصل
والركن فيها هذين الجنسين الجامعين لفنون المنافع والباقي في حكم التبع لا على ان لا يكون فيها غيرهما
كما ستعرفه والجنة تطلق على الاشجار الملتفة المتكاثفة قال زهير كان عيني في غربي مقتلة من النواضح
تسقي جنة سحقا وعلى الارض المشتملة عليها والاول هو الانسب بقوله عز وجل تجري من تحتها الانهار
اذ على الثاني لا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها وكذا لا بد من جعل اسناد الاحتراق اليها فيما سياتي مجازا والجملة
في محل الرفع على انها صفة جنة كما ان قوله تعالى من نخيل واعناب كذلك او في محل النصب على انها حال منها لانها موصوفة
له فيها من كل الثمرات الظرف الاول خبر والثاني حال والثالث مبتدا اي صفة للمبتدا قائمة مقامه اي له رزق
من كل الثمرات كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا احد الا له الخ وليس المراد بالثمرات العموم بل انما
هو التكثير كما في قوله تعالى واوتيت من كل شيء واصابه الكبر اي كبر السن الذي هو مظنة شدة الحاجة الى منافعها
ومئنة كمال العجز عن تدارك اسباب المعاش والواو حالية اي وقد اصابه الكبر وله ذرية ضعفاء حال من الضمير
في اصابه اي اصابه الكبر والحال ان له ذرية صغار لا يقدرون على الكسب وترتيب مبادي المعاش وقرئ ضعاف
فاصابها اعصار اي ريح عاصفة تستدير في الارض ثم تنعكس منها ساطعة الى السماء على هيئة العمود فيه نار
شديدة فاحترقت عطف على فاصابها وهذا كما ترى تمثيل لحال من يعمل اعمال البر والحسنات ويضم اليها ما
يحبطها من الرياء والايذاء في الحسرة والتاسف عليها عند كمال الحاجة اليها ثم يجدها يوم القيامة هباء منثورا كذلك
وتوحيد الكاف مع كون المخاطب جمعا قد مر وجهه مرارا اي مثل ذلك البيان الواضح الجاري في الظهور مجرى الامور
المحسوسة يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون كي تتفكروا فيها وتعتبروا بما فيها من العبر وتعملوا بموجبها يا ايها
الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم بيان لحال ما ينفق منه اثر بيان اصل الانفاق وكيفيته اي انفقوا من حلال
ما كسبتم وجياده لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات
ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمار والمعادن فحذف لدلالة ما قبله عليه ولا تيمموا بفتح التاء اصله ولا تتيمموا
وقرئ بضمها وقرئ ولا تاموا والكل بمعنى القصد اي لا تقصدوا الخبيث اي الرديء الخسيس وهو كالطيب
من الصفات الغالبة لا تذكر موصوفاتها منه تنفقون الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبيث والتقديم للتخصيص
والجملة حال من فاعل تيمموا اي لا تقصدوا الخبيث قاصرين الانفاق عليه او من الخبيث اي مختصا به الانفاق وايا ما
كان فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث خاصة لا لتسويغ انفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضي
انهم كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الخبيث والضمير للمال
المدلول عليه بحسب المقام او للموصولين على طريقة قوله كانه في الجلد توليع البهق والتنافي وتخصيصه بذلك حال ان الاتفاق

فيه اكثر وتنفقون حال من الفاعل المذكور اي لا تقصدوا الخبيث كائنا من المال او مما كسبتم وما اخرجنا لكم او ومما
اخرجنا لكم منفقين اياه وقوله تعالى ولستم بآخذيه حال على كل حال من واو تنفقون اي تنفقون والحال انكم لا تاخذونه
في معاملاتكم في وقت من الاوقات او بوجه من الوجوه. الا ان تغمضوا فيه اي الا في وقت اغماضكم فيه او الا باغماضكم
وهو عبارة عن المسامحة بطريق الكناية او الاستعارة يقال اغمض بصره اي غضه وقرئ على البناء للمفعول على معنى
الا ان تحملوا على الاغماض او تدخلوا فيه او توجدوا مغمضين وقرئ تغمضوا وتغمضوا بضم الميم وكسرها وقيل تم الكلام
عند قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث ثم استانف فقيل على طريقة التوبيخ والتقريع منه تنفقون والحال انكم لا تاخذونه
الا اذا اغمضتم فيه ومآله الاستفهام الانكاري فكانه قيل امنه تنفقون الخ. واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما
يامركم به لمنفعتكم وفي الامر بان يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من اعطاء الخبيث وايذان
بان ذلك من آثار الجهل بشانه تعالى فان اعطاء مثله انما يكون عادة عند اعتقاد المعطي ان الآخذ محتاج الى ما يعطيه
بل مضطر اليه. حميد. مستحق للحمد على نعمه العظام وقيل حامد بقبول الجيد والاثابة عليه. الشيطان يعدكم الفقر
الوعد هو الاخبار بما سيكون من جهة المخبر مترتبا على شيء من زمان او غيره ويستعمل في الشر استعماله في الخير قال تعالى
النار وعدها الله الذين كفروا اي يعدكم في الانفاق الفقر ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وانما عبر عن ذلك
بالوعد مع ان الشيطان لم يضف مجيء الفقر الى جهته للايذان بمبالغته في الاخبار بتحقق مجيئه كانه نزل في تقرر
الوقوع منزلة افعاله الواقعة بحسب ارادته او لوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة وقرئ بضم الفاء
والسكون وبضمتين وبفتحتين. ويامركم بالفحشاء. اي بالخصلة الفحشاء اي ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر
للمامور على فعل المامور به والعرب تسمي البخيل فاحشا قال طرفة بن العبد ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي
عقيلة مال الفاحش المتشدد وقيل بالمعاصي والتشاء. والله يعدكم اي في الانفاق مغفرة لذنوبكم والجار
في قوله تعالى منه متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لفخامتها التي افادها تنكيرها اي مغفرة اي مغفرة
مغفرة كائنة منه عز وجل وفضلا صفته محذوفة لدلالة المذكور عليها كما في قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله
وفضل من طائرا اي وفضلا كائنا منه تعالى اي خلفا مما انفقتم زائدا عليه في الدنيا وفيه تكذيب للشيطان وقيل
ثوابا في الآخرة. والله واسع. قدرة وفضلا فيحقق ما وعدكم به من المغفرة واخلاف ما تنفقونه. عليم مبالغ في
العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم ويعلم ما سيكون من المغفرة والفضل فلا احتمال للخلف في الوعد والجملة
تذييل مقرر لمضمون ما قبله. يؤتي الحكمة. قال مجاهد الحكمة هي القرآن والعلم والفقه وروي عن ابن نجيح انها الاصابة
في القول والعمل وعن ابراهيم النخعي انها معرفة معاني الاشياء وفهمها وقيل هي معرفة حقائق الاشياء وقيل هي الاقدام
على الافعال الحسنة الصائبة وعن مقاتل انها تفسر في القرآن باربعة اوجه فتارة بمواعظ القرآن واخرى بما فيه
من عجائب الاسرار وتارة بالعلم والفهم واخرى بالنبوة ولعل الانسب بالمقام هنا ما ينتظم الاحكام المبينة في تضاعيف
الآيات الكريمة من احد الوجهين الاولين ومعنى ايتائها تبيينها والتوفيق للعلم والعمل بها اي يبينها ويوفق
للعلم والعمل بها من يشاء. من عباده ان يؤتيها اياه بموجب سعة فضله واحاطة علمه كما آتاكم ما بينه في ضمن
الآي من الحكم البالغة التي عليها يدور فلك منافعكم فاغتنموها وسارعوا الى العمل بها والموصول مفعول اول
ليؤتي قدم عليه الثاني للعناية به والجملة مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها. ومن يؤت الحكمة. على بناء المفعول وقرئ
على البناء للفاعل اي ومن يؤته الله الحكمة والاظهار في مقام الاضمار لاظهار الاعتناء بشانها وللاشعار بعلة الحكم

الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا. اي اي خير كثير فانه قد حيز له خير الدارين. وما يذكر. اي وما يتعظ بما اوتي من الحكمة
او وما يتفكر فيها. الا اولوا الالباب. اي العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وفيه
من الترغيب في المحافظة على الاحكام الواردة في شان الانفاق ما لا يخفى والجملة اما حال او اعتراض تذييلي
وما انفقتم من نفقة. بيان لحكم كلي شامل لجميع افراد النفقات وما في حكمها اثر بيان حكم ما كان منها في سبيل الله وما اما
شرطية او موصولة حذف عائدها من الصلة اي وما انفقتموه من نفقة اي نفقة كانت في حق او باطل في سر
او علانية قليلة او كثيرة. او نذرتم من نذر. النذر عقد الضمير على شيء والتزامه وفعله كضرب ونصر من نذر اي نذر
كان في طاعة او معصية بشرط او بغير شرط متعلق بالمال او بالافعال كالصيام والصلوة ونحوهما. فان الله يعلمه
الفاء على القول الاول داخلة على الجواب وعلى الثاني مزيدة في الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد
المرجع بناء على كون العطف بكلمة او كما في قولك زيد او عمرو اكرمته ولا يقال اكرمتهما ولهذا صير الى التاويل في
قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما بل يعاد الضمير الى المتقدم رعاية للاولية كما في قوله عز وعلا
واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها او الى المتاخر رعاية للقرب كما في هذه الآية الكريمة وفي قوله تعالى
ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وحمل النظم على تاويل ما بالمذكور ونظائره او على حذف الاول ثقة بدلالة
الثاني عليه كما في قوله تعالى الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وقوله نحن بما عندنا
وانت بما عندك راض والراي مختلف ونحوهما مما عطف فيه بالواو الجامعة تعسف مستغنى عنه نعم يجوز ارجاع
الضمير اليهما على تقدير كونهما موصولة وتصدير الجملة بان لتاكيد مضمونها افادة لتحقيق الجزاء اي فانه تعالى
يجازيكم عليه البتة ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو ترغيب وترهيب ووعد ووعيد. وما للظالمين بالانفاق
والنذر في المعاصي وبمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذور او بانفاق الخبيث او بالرياء والمن والاذى
وغير ذلك مما ينتظمه معنى الظلم الذي هو عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه الذي يحق ان يوضع فيه. من انصار
اي اعوان ينصرونهم من باس الله وعقابه لا شفاعة ولا مدافعة وايراد صيغة الجمع لمقابلة الظالمين اي وما
لظالم من الظالمين من نصير من الانصار والجملة استئناف مقرر لما قبله من الوعيد مفيد لفظاعة حال من يفعل
ما يفعل من الظالمين لتحصيل الاعوان وعن غاية الخذلان. ان تبدوا الصدقات فنعما هي. نوع تفصيل لبعض ما اجمل
في الشرطية وبيان له ولذلك ترك العطف بينهما اي ان تظهروا الصدقات فنعم شيئا ابداؤها بعد ان لم يكن رياء
وسمعة وقرئ بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرئ بكسر النون وسكون العين وقرئ بكسر النون واخفاء حركة العين
وهذا في الصدقات المفروضة واما في صدقة التطوع فالاخفاء افضل وهي التي اريد بقوله تعالى وان تخفوها
اي تعطوها خفية. وتؤتوها الفقراء. ولعل التصريح بايتائها الفقراء مع انه واجب في الابداء ايضا لما ان الاخفاء
مظنة الالتباس والاشتباه فان الغني ربما يدعي الفقر ويقدم على قبول الصدقة سرا ولا يفعل ذلك عند الناس
فهو خير لكم. اي فالاخفاء خير لكم من الابداء. وهذا في التطوع ومن لم يعرف بالمال واما في الواجب فالامر بالعكس
لدفع التهمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة
علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا. ويكفر عنكم من سيئاتكم. اي والله يكفر والاخفاء. ومن للتبعيض
اي شيئا من سيئاتكم كما سيتبعوها وقيل مزيدة على راي الاخفش وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما على ان الفعل
للصدقات وقرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدا محذوف اي ونحن نكفر وعلى

انها جملة مبتدأة من فعل وفاعل وقرئ بجزمه عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط. والله بما تعملون
من الاسرار والاعلان خبير فهو ترغيب في الاسرار. ليس عليك هداهم اي لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى
الاتيان بما امروا به من المحاسن والانتهاء عما نهوا عنه من القبائح المعدودة وانما الواجب عليك الارشاد الى الخير
والحث عليه والنهي عن الشر والردع عنه بما اوحي اليك من الآيات والذكر الحكيم ولكن الله يهدي هداية خاصة
موصلة الى المطلوب حتما من يشاء هدايته ممن يتذكر بما يذكر ويتبع الحق ويختار الخير والجملة معترضة
جيء بها على طريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الالتفات الى الغيبة فيما بين الخطابات
المتعلقة بالمكلفين مبالغة في حملهم على الامتثال فان الاخبار بعدم وجوب تداركهم على النبي صلى الله عليه وسلم
مؤذن بوجوبه عليهم حسبما ينطق به ما بعده من الشرطية. وقيل لما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسلمين عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام فنزلت اي فليس عليك هدى من
خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم في الاسلام فلا التفات في الكلام وضمير الغيبة للمعهودين من فقراء
المشركين بل فيه تلوين فقط وقوله تعالى وما تنفقوا من خير على الاول التفات من الغيبة الى الخطاب للمكلفين لزيادة
هزهم نحو الامتثال وعلى الثاني تلوين الخطاب بتوجيهه اليهم وصرفه عن النبي صلى الله عليه وسلم وما شرطية جازمة
لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لاسم الشرط مبينة ومخصصة له
اي اي شيء تنفقوا كائنا من مال فلانفسكم اي فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه
ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث ونفعه الديني لكم لا لغيركم من الفقراء حتى تمنعوه ممن لا ينتفع به من حيث
الدين من فقراء المشركين وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله استثناء من اعم العلل او اعم الاحوال اي ليست نفقتكم
لشيء من الاشياء الا لابتغاء وجه الله او ليست في حال من الاحوال الا حال ابتغاء وجه الله فما بالكم تمنون بها
وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله تعالى وقيل هو نفي بمعنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم
اي اجره وثوابه اضعافا مضاعفة حسبما فصل فيما قبل فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه على احسن الوجوه
واجملها فهو تأكيد وبيان للشرطية السابقة او يوف اليكم ما يخلفه وهو من نتائج دعائه صلى الله عليه وسلم
بقوله اللهم اجعل للمنفق خلفا وللممسك تلفا وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر فاتتها امها تسألها وهي مشركة فابت
ان تعطيها وعن سعيد بن جبير انهم كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت
لهم اصهار في اليهود ورضاع كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم فنزلت
وهذا في غير الواجب واما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وان كان ذميا الا صدقة الفطر عندنا. وانتم لا تظلمون
تنقصون شيئا مما وعدتم من الثواب المضاعف او من الخلف. للفقراء متعلق بمحذوف ينساق اليه الكلام كما في قوله
عز وجل في تسع آيات الى فرعون اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء. الذين
احصروا في سبيل الله بالغزو والجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم ضربا في الارض اي ذهابا فيها للكسب
والتجارة وقيل هم اهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون
صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف اي من اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم اي تعرف فقرهم
واضطرارهم بما تعاين منهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ

حظ من الخطاب مبالغة في بيان وضوح فقرهم لا يسألون الناس الحافا اي الحاحا وهو ان يلازم السائل المسؤول حتى
يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى لا يسألونهم شيئا وان سألوا لحاجة اضطرتهم
اليه لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين جميعا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره اي لا منار ولا اهتداء. وما
تنفقوا من خير فان الله به عليم فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو ترغيب في التصدق لا سيما على هؤلاء. الذين ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير والصدقة وقيل نزلت في شأن الصديق رضي الله عنه
حين تصدق باربعين الف دينار عشرة آلاف منها بالليل وعشرة بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية وقيل في
علي كرم الله تعالى وجهه حين لم يكن عنده الا اربعة دراهم فتصدق بكل واحد منها على وجه من الوجوه المذكورة ولعل
تقديم الليل على النهار والسر على العلانية للايذان بمزية الاخفاء على الاظهار وقيل في رباط الخيل والانفاق عليها
فلهم اجرهم عند ربهم خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وقيل للعطف والخبر محذوف
اي ومنهم الذين الخ ولذلك جوز الوقف على علانية. ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون تقدم تفسيره. الذين يأكلون الربا
اي يأخذونه والتعبير عنه بالاكل لما انه معظم ما قصد به ولشيوعه في المطعومات مع ما فيه من زيادة تشنيع لهم وهو
الزيادة في المقدار او في الاجل حسبما فصل في كتب الفقه وانما كتب بالواو كالصلوة على لغة من يفخم في امثالها وزيدت
الالف تشبيها بواو الجمع. لا يقومون اي من قبورهم اذا بعثوا الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي الا قياما كقيام
المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب بغير استواء كخبط العشواء من المس
اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك يقال جن الرجل وهو متعلق بما قبله من الفعل
المنفي اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكلهم الربا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين
لا لاختلال عقولهم بل لان الله تعالى اربى في بطونهم ما اكلوا من الربا فاثقلهم فصاروا مخبلين ينهضون ويسقطون
تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف ذلك اشارة الى ما ذكر من حالهم وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان
بفظاعة المشار اليه. بانهم قالوا انما البيع مثل الربا اي حالهم تلك بسبب انهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد لافضائهما
الى الربح فاستحلوا استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربا الاصل
في الحل وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق بينهما فان احد الدرهمين في الاول ضائع حتما وفي الثاني منجبر بمساس الحاجة الى السلعة
او بتوقع رواجها. واحل الله البيع وحرم الربا انكار من جهة الله تعالى لتسويتهم وابطال للقياس لوقوعه في مقابلة النص
مع ما اشير اليه من عدم الاشتراك في المناط والجملة ابتدائية لا محل لها من الاعراب. فمن جاءه موعظة اي فمن بلغه وعظ
وزجر كالنهي عن الربا وقرئ جاءته من ربه متعلق بجاءه او بمحذوف وقع صفة لموعظة والتعرض لعنوان الربوبية مع
الاضافة الى ضمير من جاءته الموعظة للتربية. فانتهى عطف على جاءه اي فاتعظ بلا تراخ وتبع النهي فله ما سلف
اي ما تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في محل الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على
رأي سيبويه لعدم اعتماد الظرف على ما قبله. وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق
النية وقيل يحكم في شأنه ولا اعتراض لكم عليه. ومن عاد اي الى تحليل الربا فاولئك اشارة الى من عاد والجمع باعتبار
المعنى كما ان الافراد في عاد باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد. اصحاب
النار اي ملازموها. هم فيها خالدون والكلام فيه كالذي مر والجملة مقررة لما قبلها. يمحق الله الربا اي يذهب بركته
ويهلك المال الذي يدخل فيه. ويربي الصدقات اي يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه الصدقة

روى عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربي احدكم مهره وعنه صلى الله عليه وسلم ما نقصت
زكوة من مال قط. والله لا يحب. اى لا يرضى لان الحب مختص بالتوابين كل كفار. مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابها
ان الذين آمنوا. بالله ورسله وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة. تخصيصهما بالذكر مع
اندراجهما في الصالحات لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة على طريقة ذكر جبريل عم وميكائيل عم عقيب الملائكة عم
لهم اجرهم. جملة من مبتدا وخبر واقعة خبرا لان اى الاجر الموعود لهم وقوله تعالى عند ربهم حال من اجرهم وفي
التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم مزيد لطف وتشريف لهم ولا خوف عليهم من مكروه آت ولا هم
يحزنون من محبوب فات. يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اى قوا انفسكم عقابه. وذروا ما بقي من الربوا. اى واتركوا
بقايا ما شرطتم على الناس تركا كليا. ان كنتم مؤمنين على الحقيقة فان ذلك مستلزم لامتثال ما امرتم به البتة وهي
شرطية حذف جوابها ثقة بما قبلها اى ان كنتم مؤمنين فاتقوه وذروا الخ روى انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم
عند المحل بالمال والربوا فنزلت. فان لم تفعلوا. اى ما امرتم به من الاتقاء وترك البقايا اما مع انكار حرمته واما مع
الاعتراف بها فاذنوا بحرب من الله ورسوله. اى فاعلموا بها من اذن بالشئ اذا علم به اما على الاول فكحرب المرتدين
واما على الثاني فكحرب البغاة وقرئ فآذنوا اى فاعلموا غيركم قيل هو من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم
وقرئ فايقنوا وهو مؤيد لقراءة العامة وتنكير حرب للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لها مؤكدة
لفخامتها اى بنوع من الحرب عظيم لا يقادر قدره كائن من عند الله تعالى ورسوله روى انه لما نزلت قالت ثقيف
لا يدى لنا بحرب الله ورسوله. وان تبتم. من الارتباء مع الايمان بحرمتها بعدما سمعتموه من الوعيد. فلكم رؤس
اموالكم. تاخذونها كملا. لا تظلمون. غرماءكم باخذ الزيادة والجملة اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او حال
من الضمير في لكم والعامل ما تضمنه الجار من الاستقرار. ولا تظلمون. عطف على ما قبله اى لا تظلمون انتم من قبلهم بالمطل
والنقص وفي ضمن تعليق هذا الحكم بتوبتهم عدم ثبوته عند عدمها لان عدمها ان كان مع انكار الحرمة
فهم مرتدون وما لهم المكسوب في حال الردة فيء للمسلمين عند ابي حنيفة رحمه وكذا سائر اموالهم عند الشافعي رحمه
وعندنا هو لورثتهم ولا شئ لهم على كل حال وان كان مع الاعتراف بها فان كان لهم شوكة فهم على شرف القتل
لم تسلم لهم رؤسهم فكيف برؤس اموالهم والا فكذلك عند ابن عباس رض فانه يقول من عامل الربوا يستتاب
والا ضرب عنقه واما عند غيره فهم محبوسون الى ان يظهر توبتهم لا يمكنون من التصرفات اصلا فما لم يتوبوا
لم يسلم لهم شئ من اموالهم بل انما يسلم بموتهم لورثتهم. وان كان ذو عسرة. اى وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة
على ان كان تامة وقرئ ذا عسرة على انها ناقصة. فنظرة. اى فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة
وهي الانظار والامهال وقرئ فناظره اى فالمستحق ناظره اى منتظره او فصاحب نظرته على طريق النسب
وقرئ فناظره امر من المفاعلة اى فسامحه بالنظرة. الى ميسرة. اى الى يسار وقرئ بضم السين وهما لغتان
كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كما في قوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا
وان تصدقوا بحذف احدى التائين وقرئ بتشديد الصاد اى وان تتصدقوا على معسري غرمائكم بالابراء خير لكم
اى اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذونه لمضاعفة ثوابه ودوامه فهو ندب الى ان يتصدقوا برؤس
اموالهم كلا او بعضا على غرمائهم المعسرين كقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل المراد بالتصدق الانظار
لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة. ان كنتم تعلمون. جوابه

محذوف اى ان كنتم تعلمون انه خير لكم عملتموه. واتقوا يوما. هو يوم القيمة وتنكيره للتفخيم والتهويل وتعليق
الاتقاء به للمبالغة في التحذير عما فيه من الشدائد والاهوال ترجعون فيه. على البناء للمفعول من الرجع وقرئ
على البناء للفاعل من الرجوع والاول ادخل في التهويل وقرئ بالياء على طريق الالتفات وقرئ تردون وقرئ كذا
تصيرون الى الله. لمحاسبة اعمالكم. ثم توفى كل نفس. من النفوس والتعميم للمبالغة في تهويل اليوم اى تعطى كملا
ما كسبت. اى جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون. حال من كل نفس تفيد ان المعاقبين وان كانت عقوباتهم مؤبدة
غير مظلومين في ذلك لما انه من قبل انفسهم وجمع الضمير لانه انسب بحال الجزاء كما ان الافراد اوفق بحال الكسب عن
ابن عباس رض انها آخر آية نزل بها جبريل عم وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات
يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين. شروع في بيان حال المداينة الواقعة في تضاعيف المعاوضات الجارية
فيما بينهم من بيع السلع بالنقود بعد بيان حال الربوا اى اذا داين بعضكم بعضا وعامله نسيئة معطيا او آخذا
وفائدة ذكر الدين دفع توهم كون التداين بمعنى المجازاة والتنبيه على تنوعه الى الحال والمؤجل وانه الباعث
على الكتبة وتعيين المرجع للضمير المنصوب المتصل بالامر الى اجل. متعلق بتداينتم او بمحذوف وقع صفة لدين
مسمى. بالايام او الاشهر ونظائرهما مما يفيد العلم ويرفع الجهالة لا بالحصاد والدياس ونحوهما مما لا يرفعها
فاكتبوه. اى الدين باجله لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على استحبابه وعن ابن عباس رض ان المراد به السلم
وقال لما حرم الله الربوا اباح السلم. وليكتب بينكم كاتب. بيان لكيفية الكتابة المامور بها وتعيين لمن يتولاها
اثر الامر بها اجمالا وحذف المفعول اما للتعميم او للقصد الى ايقاع نفس الفعل اى ليفعل الكتابة وقوله تعالى بينكم
للايذان بان الكاتب ينبغي ان يتوسط بين المتداينين ويكتب كلامهما ولا يكتفي بكلام احدهما وقوله تعالى. بالعدل.
متعلق بمحذوف هو صفة لكاتب اى كاتب كائن بالعدل اى وليكن المتصدي للكتابة من شانه ان يكتب بالسوية من غير
ميل الى احد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء كتابه موثوقا به
معدلا بالشرع ويجوز ان يكون حالا منه اى ملتبسا بالعدل وقيل متعلق بالفعل اى فليكتب بالحق. ولا يأب
كاتب. اى ولا يمتنع احد من الكتاب. ان يكتب كتاب الدين. كما علمه الله. على طريقة ما علمه من كتبة الوثائق او كما
بقوله تعالى بالعدل ولا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله تعالى بتعليم الكتابة كقوله تعالى واحسن كما
احسن الله اليك. فليكتب. تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن ابائها تأكيدا لها ويجوز ان يتعلق الكاف
بالامر على ان يكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة. وليملل الذي عليه الحق. الاملال والاملاء
اى وليكن المملي من عليه الحق لانه المشهود عليه فلا بد ان يكون هو المقر. وليتق الله ربه. جمع بين الاسم الجليل
والنعت الجميل للمبالغة في التحذير اى وليتق المملي دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى. ولا يبخس منه. اى من الحق
الذي عليه على الكاتب. شيئا. فانه الذي يتوقع منه البخس خاصة واما الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع
النقص فلو اريد نهيه لنهى عن كليهما وقد فعل ذلك حين امر بالعدل وانما شدد في تكليف المملي حيث جمع فيه
بين الامر بالاتقاء والنهي عن البخس لما فيه من الدواعي الى المنهي عنه فان الانسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه
وتخفيف ما في ذمته بما امكن. فان كان الذي عليه الحق. صرح بذلك في موضع الاضمار لزيادة الكشف والبيان
لا لان الامر والنهي لغيره. سفيها. ناقص العقل مبذرا مجازفا. او ضعيفا. صبيا او شيخا مختلا. او لا يستطيع

ان يمل هو أو غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس أو عي أو جهل أو غير ذلك من العوارض فليملل وليه اى الذى يلى أمره ويقوم مقامه من قيم أو وكيل او مترجم بالعدل اى من غير نقص ولا زيادة لم يكلف بغير ما يكلف به من عليه الحق لانه يتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه البخس واستشهدوا شهيدين اى اطلبوهما ليتحملا الشهادة على ما جرى بينكما من المداينة وتسميتهما شهيدين لتنزيل المشارف منزلة الكائن من رجالكم متعلق باستشهدوا ومن ابتدائية او بمحذوف وقع صفة لشهيدين ومن تبعيضية اى شهيدين كائنين من رجال المسلمين الاحرار اذ الكلام في معاملاتهم فان خطابات الشرع لا تنتظم العبيد بطريق العبارة كما بين في موضعه واما اذا كانت المداينة بين الكفرة او كان من عليه الحق كافرا فيجوز استشهاد الكافر عندنا فان لم يكونا اى الشهيدان جميعا على طريقة نفي الشمول لا شمول النفي رجلين اما لاعوازهما او لسبب آخر من الاسباب فرجل وامرأتان اى فليشهد رجل وامرأتان او فرجل وامرأتان يكفون وهذا فيما عدا الحدود والقصاص عندنا وفي الاموال خاصة عند الشافعي رحمه الله ممن ترضون متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامرأتان اى كائنون مرضيين عندكم وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتباره في كل شهيد لقلة اتصاف النساء به وقيل نعت لشهيدين اى كائنين ممن ترضون ورد بانه يلزم الفصل بينهما بالاجنبي وقيل بدل من رجالكم بتكرير العامل ورد بما ذكر من الفصل وقيل متعلق بقوله تعالى فاستشهدوا ولعله لزم الفصل بين اشتراط المرأتين وبين تعليله وقوله عز وجل من الشهداء متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المحذوف الراجع الى الموصول اى ممن ترضونهم كائنين من بعض الشهداء لعلمكم بعدالتهم وثقتكم بهم وادراج النساء في الشهداء بطريق التغليب ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى تعليل لاعتبار العدد في النساء والعلة في الحقيقة هي التذكير ولكن الضلال لما كان سببا له نزل منزلته كما في قولك اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه كانه قيل لاجل ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت الشهادة بان نسيتها ولعل ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان تضل احداهما فتذكرها الاخرى لتاكيد الابهام والمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال باحديهما بعينها والتذكير بالاخرى وقرئ فتذكر من الاذكار وقرئ فتذاكر وقرئ ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او لتحملها وتسميتهم شهداء قبل التحمل لما مر من تنزيل المشارف منزلة الواقع وما مزيدة عن قتادة انه كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت ولا تسأموا اى لا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوه اى الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى به عن الكسل الذى هو صفة المنافق كما ورد في قوله تعالى ولذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا حال من الضمير اى حال كونه صغيرا او كبيرا اى قليلا او كثيرا او مجملا او مفصلا الى اجله متعلق بمحذوف وقع حالا من الهاء في تكتبوه اى مستقرا في الذمة الى وقت حلوله الذى اقر به المديون ذلكم اشارة الى ما امر به من الكتب على الخطاب للمؤمنين أقسط اى اعدل عند الله اى في حكمه تعالى واقوم للشهادة اى اثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام فانه قياسي عند سيبويه او من قاسط بمعنى ذى قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب نحو ما اقومه وادنى ان لا ترتابوا واقرب الى انتفاء ريبكم في جنس الدين وقدره واجله وشهوده ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم استثناء منقطع من الامر بالكتابة اى ولكن وقت كون تداينكم او تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم بتعاطيهما يدا بيد فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها اى فلا بأس بان لا تكتبوها لبعده عن التنازع والنسيان وقرئ بنصب تجارة على انها اسم كان وحاضرة صفتها وتديرونها خبرها او على انها تامة واشهدوا اذا تبايعتم اى هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر الواردة في الآية الكريمة

الكريمة للندب عند الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد نهي عن المضارة يحتمل البنائين كما ينبئ عنه قراءة من قرأ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتغيير والتحريف في الكتبة والشهادة او نهي الطالب عن الضرار بهما بان يعجلهما عن مهمهما او يكلفهما الخروج عما حد لهما او لا يعطي الكاتب جعله وقرئ بالرفع على انه نفي في معنى النهي وان تفعلوا اى ما نهيتم عنه من الضرار فانه اى فعلكم ذلك فسوق بكم اى خروج عن الطاعة ملتبس بكم واتقوا الله في مخالفة اوامره ونواهيه التي من جملتها نهيه عن المضارة ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم فلا يكاد يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك كرر لفظ الجلالة في الجمل الثلث لادخال الروعة وتربية المهابة والتنبيه على استقلال كل منها بمعنى على حياله فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بالانعام والثالثة تعظيم لشانه تعالى وان كنتم على سفر اى مسافرين ولم تجدوا كاتبا في المداينة وقرئ كتابا وكتبا وكتابا فرهان مقبوضة اى فالذى يستوثق به او فعليكم او فليؤخذ او فالمشروع رهان مقبوضة وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في شرعية الارتهان كما حسبه مجاهد والضحاك لانه صلى الله عليه وسلم رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير واخذه لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتبة في السفر الذى هو مظنة اعوازها وانما لم يتعرض لحال الشاهد لما انه في حكم الكاتب توثقا واعتبر الجمهور على وجوب القبض في تمام الرهن غير مالك وقرئ فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ بسكون الهاء تخفيفا فان امن بعضكم بعضا اى بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به واستغنى بامانته عن الارتهان وقرئ فان او من بعضكم اى آمنه الناس ووصفوه بالامانة قيل فيكون انتصاب بعضا على نزع الخافض اى على متاع بعض فليؤد الذى اؤتمن وهو المديون وانما عبر عنه بذلك العنوان لتعينه طريقا للاعلام ولحمله على الاداء امانته اى دينه وانما سمي امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذى ايتمن بقلب الهمزة ياء وقرئ بادغام الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة من الهمزة لا تدغم لانها في حكمها وليتق الله ربه في رعاية حقوق الامانة وفي الجمع بين عنوان الالوهية وصفة الربوبية من التاكيد والتحذير ما لا يخفى ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديونون اى شهادتكم على انفسكم عند المعاملة ومن يكتمها فانه آثم قلبه آثم خبر ان وقلبه مرتفع به على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه او مرتفع بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان مما اقترفه ونظيره نسبة الزنا الى العين والاذن او للمبالغة لانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال كانه قيل تمكن الاثم في نفسه وملك اشرف مكان فيه وفاق سائر ذنوبه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اكبر الكبائر الاشراك بالله تعالى لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كما في سفه نفسه وقرئ اثم قلبه اى جعله آثما والله بما تعملون عليم فيجازيكم به ان خيرا فخير وان شرا فشر لله ما في السموات وما في الارض من الامور الداخلة في حقيقتهما والخارجة عنهما المتمكنة فيهما من اولي العلم وغيرهم اى كلها له تعالى خلقا وملكا وتصرفا لا شركة لغيره في شيء منها بوجه من الوجوه وان تبدوا ما في انفسكم من السوء والعزم عليه بان تظهروه للناس بالقول او بالفعل او تخفوه بان تكتموه منهم ولا تظهروه باحد الوجهين ولا يندرج فيه ما لا يخلو عنه البشر من الوساوس واحاديث النفس التي لا عقد ولا عزيمة فيها اذ التكليف بحسب الوسع يحاسبكم به الله يوم القيامة وهو حجة على منكري الحساب من المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للاعتناء به واما تقديم الابداء على الاخفاء على عكس ما في قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله فلما ان المتعلق بها

في انفسهم ههنا هو المحاسبة والاصل فيها الافعال البادية واما العلم فتعلقه بها كتعلقه بالاعمال الخافية كيف لا
وعلمه سبحانه بمعلوماته متعال عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه في اي طور كان علم بالنسبة
اليه تعالى وفي هذا لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة خلا ان مرتبة الاخفاء متقدمة على مرتبة الابداء
اذ ما من شيء يبدى الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في النفس فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته
الثانية وقد مر في تفسير قوله تعالى او لا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيغفر بالرفع على الاستئناف
اي فهو يغفر بفضله لمن يشاء ان يغفر له ويعذب بعدله من يشاء ان يعذبه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم
والمصالح وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه وقرئ بجزم الفعلين عطفا على جواب الشرط وقرئ
بالجزم من غير فاء على انهما بدل من الجواب بدل البعض او الاشتمال ونظيره الجزم على البدلية من الشرط في قوله متى تأتنا تلمم بنا
في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا. وادغام الراء في اللام لحن والله على كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله
فان كمال قدرته تعالى على جميع الاشياء موجب لقدرته تعالى على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب. آمن
الرسول لما ذكر في فاتحة السورة الكريمة ان ما انزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الشأن هدى
للمتصفين بما فصل هناك من الصفات الفاضلة التي من جملتها الايمان به وبما انزل قبله من الكتب الالهية وانهم حائزون
لأثرتي الهدى والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم ولا تصريح بتحقق اتصافهم بها اذ ليس فيما يذكر في حيز الصلة حكم
بالفعل وعقب ذلك ببيان حال الكفرة المجاهرين والمنافقين ثم شرح في تضاعيفها من فنون الشرائع والاحكام
والمواعظ والحكم واخبار الامم الخالية وغير ذلك مما يقتضي الحكمة شرحه عين في خاتمتها المتصفون بها وحكم باتصافهم
بها على طريق الشهادة لهم من جهته عز وجل بكمال الايمان وحسن الطاعة وذكره صلى الله عليه وسلم بطريق الغيبة مع ذكره
هناك بطريق الخطاب لما ان حق الشهادة الباقية على مر الدهور ان لا يخاطب بها المشهود له ولم يتعرض ههنا لبيان
فوزهم بمطالبهم التي من جملتها ما حكي عنهم من الدعوات الآتية ايذانا بانه امر محقق غني عن التصريح به لا سيما بعد ما نص
عليه فيما سلف وايراده صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة المنبئة عن كونه صلى الله عليه وسلم صاحب كتاب مجيد
وشرع جديد تمهيد لما يعقبه من قوله تعالى بما انزل اليه وفيه توضيح لاندراجه في الرسل المؤمن بهم عليهم السلام
والمراد بما انزل اليه ما يعم كله وكل جزء من اجزائه ففيه تحقيق لكيفية ايمانه صلى الله عليه وسلم وتعيين لعنوانه
اي آمن صلى الله عليه وسلم بكل ما انزل اليه من ربه ايمانا تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه من الشرائع والاحكام
والقصص والمواعظ واحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث انه منزل منه تعالى واما الايمان بحقيقة احكامه
وصدق اخباره ونحو ذلك فمن فروع الايمان به من الحيثية المذكورة وفي هذا الاجمال اجلال لمحله صلى الله عليه وسلم
واشعار بان تعلق ايمانه بتفاصيل ما انزل اليه واحاطته بجميع ما انطوى عليه من الظهور بحيث لا حاجة الى ذكره اصلا
وكذا في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم تشريف له وتنبيه على ان انزاله اليه تربية
وتكميل له صلى الله عليه وسلم والمؤمنون اي الفريق المعروف بهذا الاسم فاللام عهدية لا موصولة لافضائها
الى خلو الكلام عن الخبر لفظا وتقديرا وهو مبتدأ وقوله عز وجل كل مبتدأ ثان وقوله تعالى آمن خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول
والرابط بينهما الضمير الذي ناب منابه التنوين وتوحيد الضمير في آمن مع رجوعه الى كل المؤمنين لما ان المراد بيان ايمان
كل فرد فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر ذلك في قوله تعالى وكل اتوه داخرين وتغيير سبك النظم الكريم عما قبله لتأكيد
الاشعار بما بين ايمانه صلى الله عليه وسلم المبني على المشاهدة والعيان وبين ايمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان من

من التفاوت البين والاختلاف الجلي كأنهما متخالفان من كل وجه حتى في هيئة التركيب الدال عليهما وما فيه من تكرير الاسناد
لما في الحكم بايمان كل واحد منهم على الوجه الآتي من نوع خفاء محوج الى التقوية. كل آمن بالله اي كل واحد منهم آمن بالله
وحده من غير شريك له في الالوهية والمعبودية وملائكته اي من حيث انهم عباد مكرمون له تعالى من شأنهم التوسط
بينه تعالى وبين الرسل بانزال الكتب والقاء الوحي فان مدار الايمان بهم ليس خصوصيات ذواتهم في انفسهم بل هو اضافتهم
اليه تعالى من الحيثية المذكورة كما يلوح به الترتيب في النظم وكتبه ورسله اي من حيث مجيئهما من عنده تعالى لارشاد
الخلق الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على الاطلاق بل على ان كل واحد من تلك الكتب منزل منه تعالى
الى رسول معين من اولئك الرسل عليهم السلام حسبما فصل في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل
الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم الآية وعلى ان
مناط الايمان خصوصية ذلك الكتاب او ذلك الرسول بل على ان الايمان بالكل مندرج في الايمان بالكتاب المنزل الى الرسول
صلى الله عليه وسلم ومستند اليه لما نطق به الآية الكريمة ولا على ان احكام الكتب السالفة وشرائعها باقية بالكلية
ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان احكام كل واحد منها كانت حقة ثابتة الى ورود ما نسخها
ناسخ لها وان ما لم ينسخ منها الى الآن من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب المصون عن النسخ
الى يوم القيامة وانما لم يذكر ههنا الايمان باليوم الآخر كما ذكر في قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر
والملائكة والكتاب والنبيين لاندراجه في الايمان بكتبه وقرئ وكتابه على ان المراد به القرآن او جنس الكتاب كما في قوله تعالى
فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في افراد الجنس والجمع في جموعه
ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب وهذا نوع تفصيل لما اجمل في قوله عز وجل بما انزل اليه من ربه اقتصر عليه ايذانا
بكفايته في الايمان الاجمالي المتحقق في كل فرد من افراد المؤمنين من غير نفي للزيادة ضرورة اختلاف طبقاتهم وتفاوت
ايمانهم بالامور المذكورة في مراتب التفصيل تفاوتا فاحشا فان الاجمال في الحكاية لا يوجب الاجمال في المحكي كيف لا وقد اجمل
في حكاية ايمانه صلى الله عليه وسلم بما انزل اليه من ربه مع بداهة كونه متعلقا بتفاصيل ما فيه من الجلائل والدقائق
بان الامور المذكورة حيث كانت من الامور الغيبية التي لا يوقف عليها الا من جهة العليم الخبير كان الايمان بها مصداقا
لما ذكر في صدر السورة الكريمة من الايمان بالغيب واما الايمان بكتبه تعالى فاشارة اليه في قوله تعالى يؤمنون بما
انزل اليك وما انزل من قبلك هذا هو اللائق بشأن التنزيل الجليل وقد جوز ان يكون قوله تعالى
والمؤمنون معطوفا على الرسول فيوقف عليه والضمير الذي عوض عنه التنوين راجع الى المعطوفين معا كأنه قيل
آمن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من الرسول والمؤمنين آمن بالله الخ خلا انه
قدم المؤمن به على المعطوف اعتناء بشأنه وايذانا باصالته صلى الله عليه وسلم في الايمان به ولا يخفى انه مع خلوه
عما في الوجه الاول من كمال الاجلال لشأنه صلى الله عليه وسلم وتفخيم ايمانه مخل بجزالة النظم الكريم لان من حق كل من
الايمانين على ما يليق بشأنه صلى الله عليه وسلم من حيث الذات ومن حيث التعلق بالتفاصيل لاشتغال اسناده ما الى ضميره
صلى الله عليه وسلم ومقام التذكير وان حمل على ما يليق بشأن آحاد الامة كان ذلك حطا لرتبته العلية صلى الله
عليه وسلم وان حمل على ما يليق بكل واحد ممن نسبا اليه من الآحاد ذاتا وتعلقا بان يحمل بالنسبة الى الرسول صلى الله
عليه وسلم على الايمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل وبالنسبة الى آحاد الامة على الايمان المكتسب من جهته عليه السلام اللائق
بحالهم في الاجمال والتفصيل فاعتساف بين ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله

في حيز النصب بقول مقدر على صيغة الجمع رعاية لجانب المعنى منصوب على أنه حال من ضمير آمن أو مرفوع على أنه خبر
آخر لكل أي يقولون لا نفرق بين أحد منهم بأن نؤمن ببعض منهم ونكفر بآخرين بل نؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم قصد به اظهار
إيمانهم تحقيقا للحق وتخطئة لأهل الكتابين حيث أجمعوا على الكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم واستقلت اليهود بالكفر
بعيسى عليه السلام أيضا على أن مقصودهم الأصلي إبراز إيمانهم بما كفروا به من رسالة النبي صلى الله عليه وسلم لا إظهار موافقتهم
لهم فيما آمنوا به فهذا كما ترى صريح في أن القائلين آحاد المؤمنين خاصة لعدم إمكان أن يسند إليه صلى الله عليه وسلم
أن يقول لا أفرق بين أحد من رسله وهو يريد به إظهار إيمانه برسالة نفسه وتصديقه في دعواها وعدم التعرض
لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور إياه وإنما لم يعكس مع تحقق التلازم من الطرفين لما أن الأصل في تفريق المفرقين
هو الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم بهم وقرئ بالياء على إسناد الفعل إلى كل وقيل خبر ثان لكل كما قيل في القول
المقدر فلا بد من اعتبار الكلية بعد النفي دون العكس لأن المراد شمول النفي لا نفي الشمول أن الكلام في همزة أحد وقد حقق
بين عليه قدم تفصيله عند قوله تعالى لا نفرق بين أحد منهم وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد
منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في أن يقال لا نفرق بين رسله وإيثار إظهار الرسل على الإضمار الواقع مثله في
قوله تعالى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم إما للاحتراز عن توهم اندراج الملائكة في الحكم أو للإشعار
بعلة عدم التفريق أو للإيماء إلى عنوانه لأن المعتبر عدم التفريق من حيث الرسالة دون سائر الحيثيات الخاصة وقالوا
عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار جانب المعنى وهو حكاية لامتثالهم بالأوامر إثر حكاية إيمانهم سمعنا أي فهمنا ما جاءنا
من الحق وتيقنا بصحته وأطعنا ما فيه من الأوامر والنواهي وقيل سمعنا أجبنا دعوتك وأطعنا أمرك غفرانك ربنا
أي اغفر لنا غفرانك أو نسألك غفرانك ذنوبنا المتقدمة أو ما لا يخلو عنه البشر من التقصير في مراعاة حقوقك
وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما أن تقديم الوسيلة على المسؤول أدعى إلى الإجابة والقبول والتعرض
لعنوان الربوبية مع الإضافة إليهم للمبالغة في التضرع والجؤار وإليك المصير أي الرجوع بالموت والبعث لا إلى
غيرك وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجة إلى المغفرة لما أن الرجوع للحساب والجزاء وقوله تعالى لا يكلف الله نفسا
إلا وسعها جملة مستقلة جيء بها إثر حكاية تلقيهم لتكاليفه تعالى بحسن الطاعة إظهارا لما له تعالى عليهم في ضمن التكليف
من محاسن آثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال كما سيجيء هذا وقد روي أنه لما نزل قوله تعالى وإن تبدوا
ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوه صلى الله عليه وسلم
ثم بركوا على الركب فقالوا أي رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والحج والجهاد وقد أنزل إليك
هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا
وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فقرأها القوم فأنزل الله عز وجل آمن الرسول بما أنزل
إليه من ربه إلى قوله تعالى غفرانك ربنا وإليك المصير فتوهم الغفران المعلق بمشيئته عز وجل في قوله فيغفر لمن يشاء
ثم أنزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها تهوينا للخطب عليهم ببيان أن المراد بما في أنفسهم ما عزموا عليه من السوء
خاصة لا ما يعم الخواطر التي لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف إلزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع الإنسان
ولا يضيق عليه أي سنته تعالى أنه لا يكلف نفسا من النفوس إلا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة
والمجهود تفضلا منه تعالى ورحمة لهذه الأمة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقرئ وسعها بالفتح
وهذا يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه وقوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت

للترغيب في المحافظة على مواجب التكليف والتحذير عن الإخلال بها ببيان أن تكليف كل نفس مع مقارنته لنعمة التخفيف
والتيسير يتضمن مراعاته منفعة زائدة وأنها تعود إليها لا إلى غيرها ويستتبع الإخلال به مضرة تحيق بها لا بغيرها
فإن اختصاص منفعة الفعل بفاعله من أقوى الدواعي إلى تحصيله واقتضاء مضرته عليه من أشد الزواجر عن مباشرته
أي لها ثواب ما كسبت من الخير الذي كلفت فعله لا لغيرها استقلالا أو اشتراكا ضرورة شمول كلمة ما لكل جزء
من أجزاء مكسوبها وعليها لا على غيرها بأحد الطريقين المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشر الذي كلفت تركه
وإيراد الاكتساب في جانب الشر لما فيه من اعتمال ناشئ من اعتناء النفس بتحصيل الشر وسعيها في طلبه ربنا لا تؤاخذنا
إن نسينا أو أخطأنا شروع في حكاية بقية دعواتهم إثر بيان سر التكليف أي لا تؤاخذنا بما صدر عنا
من الأمور المؤدية إلى النسيان أو الخطأ من تفريط وقلة مبالاة ونحوهما مما يدخل تحت التكليف أو بأنفسهما
من حيث ترتبهما على ما ذكر أو مطلقا إذ لا امتناع في المؤاخذة بهما عقلا فإن المعاصي كالسموم فكما أن تناولها
ولو سهوا أو خطأ مؤد إلى الهلاك فتعاطي المعاصي أيضا لا يبعد أن يفضي إلى العقاب وإن لم يكن عزيمة
ووعده تعالى بعدمه لا يوجب استحالة وقوعه فإن ذلك من آثار فضله ورحمته كما ينبئ عنه الرفع في قوله
صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وقد روي أن اليهود كانوا إذا نسوا شيئا عجلت
لهم العقوبة فدعاؤهم به بعد العلم بتحقق الموعود للاستدامة والاعتداد بالنعمة في ذلك كما في قوله تعالى ربنا
وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا ولا تحمل علينا إصرا عطف على ما قبله وتوسيط النداء بينهما لإبراز مزيد
الضراعة والإصر العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه مكانه والمراد به التكاليف الشاقة وقيل
الإصر الذنب الذي لا توبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرئ آصارا وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة
كما حملته على الذين من قبلنا في حيز النصب على أنه صفة لمصدر محذوف أي حملا مثل حملك إياه على من قبلنا أو
أنه صفة لإصرا أي إصرا مثل الإصر الذي حملته على من قبلنا وهو ما كلفه بنو إسرائيل من بخع النفس في التوبة
وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة في يوم وليلة وصرف ربع المال للزكاة وغير ذلك من التشديدات
فإنهم كانوا إذا أتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام بعض ما كان حلالا لهم قال تعالى فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقد عصم الله عز وجل بفضله ورحمته هذه الأمة عن أمثال ذلك وأنزل
في شأنهم ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة
السمحة ومن العقوبات التي عوقب بها الأولون من المسخ والخسف وغير ذلك قال صلى الله عليه وسلم
رفع عن أمتي الخسف والمسخ والغرق ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به عطف على ما قبله واستعفاء
عن العقوبات التي لا تطاق بعد الاستعفاء عما يؤدي إليها التفريط فيه من التكاليف الشاقة التي لا يكاد
من كلفها يخلو عن التفريط فيها كأنه قيل لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا في المحافظة عليها
فيكون التعبير عن إنزال العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدي إليها وقيل هو تكرير للأول وتصوير للإصر
بصورة ما لا يستطاع مبالغة وقيل هو استعفاء عن التكليف بما لا تفي به الطاقة البشرية حقيقة فيكون
دليلا على جوازه عقلا وإلا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل إلى مفعول ثان واعف عنا
أي امح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤوس الأشهاد وارحمنا وتعطف بنا وتفضل
علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة لما أن التخلية سابقة على التحلية أنت مولانا

سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر عبده ومن يتولى امره على الاعداء والمراد به عامة الكفرة وفيه اشارة الى ان اعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله تعالى حيثما امرهم في تضاعيف السورة الكريمة غاية مطالبهم روي انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل دعوة قد فعلت وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله انزل آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي عام من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه من قرأ آيتين من سورة البقرة كفتاه وهو حجة على من استكره ان يقول سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال ام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال صلى الله عليه وسلم السحرة

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية

الم الله لا اله الا هو قد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة كصاد وقاف ونون ولا موازنة لمفرد كحاميم وطاسين وياسين الموازنة لقابيل وهابيل وكطاسين ميم الموازنة لدارابجرد حسبما ذكره سيبويه في الكتاب فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسماء او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لما انه مغتفر في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة ان يوقف عليها ثم يبدأ بما بعدها كما فعله ابو بكر رضي الله عنه في رواية عن عاصم واما ما فيها من الفتح على القراءة المشهورة فانما هي حركة همزة الجلالة القيت على الميم لتدل على ثبوتها اذ ليس اسقاطها للدرج بل للتخفيف فهي مبقاة حركتها في حكم الثابت المبتدأ به والميم كون الحركة لغيرها في حكم الوقف على السكون دون الحركة كما توهم واعترض بانه غير معهود في الكلام وقيل هي حركة لالتقاء السواكن التي هي الياء والميم ولام الجلالة بعد سقوط همزتها وانت خبير بان سقوطها مبني على وقوعها في الدرج وقد عرفت ان سكون الميم وقفي موجب لانقطاعها عما بعدها مستدع لثبات الهمزة على حالها الا كما في الحروف والاسماء المبنية على السكون فان حقها الاتصال بما بعدها وضعا واستعمالا فيسقط بها همزة الوصل ويحرك اعجازها لالتقاء الساكنين ثم ان جعلت مسرودة على نمط التعديد فلا محل لها من الاعراب كسائر الفواتح وان جعلت اسما للسورة فمحلها اما الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف واما النصب على اضمار فعل يليق بالمقام كاذكر واقرأ او نحوهما واما الرفع بالابتداء او النصب بتقدير فعل القسم او الجر بتقدير حرفه فلا مساغ لشيء منها لما ان ما بعدها غير صالح للخبرية ولا للاقسام عليه فان الاسم الجليل مبتدأ وما بعده خبره والجملة مستأنفة اي هو المستحق للعبودية لا غير وقوله عز وجل الحي القيوم خبر آخر له او لمبتدأ محذوف اي هو الحي القيوم لا غير وقيل هو صفة للمبتدأ او بدل منه او من الخبر الاول او هو الخبر وما قبله اعتراض بين المبتدأ والخبر مقرر لما يفيده الاسم الجليل او حال منه وايا ما كان فهو كالدليل على اختصاص استحقاق العبودية به سبحانه وتعالى لما مر من ان معنى الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء ومعنى القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه ومعرفته اختصاص ذينك الوصفين به تعالى اختصاص استحقاق العبودية به تعالى لاستحالة تحققه بدونهما

بعضها وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في ثلاث سور في سورة البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم وروي ان بني اسرائيل سألوا موسى عليه السلام عن اسم الله الاعظم فقال الحي القيوم ويروى ان عيسى عليه السلام كان اذا اراد احياء الموتى يدعو يا حي يا قيوم ويقال ان آصف بن برخيا حين اتى بعرش بلقيس دعا بذلك وقرئ الحي القيام وهذا رد على من زعم ان عيسى عليه السلام كان ربا فانه روي ان وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم ثلاثة منهم اكابر اليهم يؤول امرهم احدهم اميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه الايهم وثالثهم حبرهم واسقفهم وصاحب مدارسهم ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم شرفوه ومولوه واكرموه لما شاهدوا من علمه واجتهاده في دينهم وبنوا له كنائس فلما خرجوا من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان اخوه كرز بن علقمة الى جنبه فبينا بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعسا للابعد يريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابو حارثة بل تعست امك فقال كرز ولم يا اخي فقال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك عنه وانت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو آمنا به لاخذوا منا كلها فوقع ذلك في قلب كرز واضمره الى ان اسلم فكان يحدث بذلك فاتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عليهم ثياب الحبرات جبب واردية فاخرة يقول بعض من رآهم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلوتهم فقاموا ليصلوا في المسجد فقال صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق ثم تكلم اولئك الثلثة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تارة عيسى هو الله لانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير وتارة اخرى هو ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقلت فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قبلك قال صلى الله عليه وسلم كذبتم يمنعكم من الاسلام دعاؤكم لله تعالى ولدا قالوا ان لم يكن ولد الله فمن ابوه فقال صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه فقالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون ان ربنا قيوم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال صلى الله عليه وسلم فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا فقال صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون ان الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال صلى الله عليه وسلم فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال صلى الله عليه وسلم فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فابوا الا جحودا فانزل الله عز وجل من اول السورة الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به صلى الله عليه وسلم عليهم واجاب به عن شبههم وتحقيقا للحق الذي فيه يمترون نزل عليك الكتاب اي القرآن عبر عنه باسم الجنس ايذانا بكمال تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كانه هو الحقيق بان يطلق عليه اسم الكتاب دون ما عداه كما يلوح به التصريح باسمي التوراة والانجيل وصيغة التفعيل الدالة على التنجيم وتقديم الظرف على المفعول الصريح من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة اما مستأنفة او خبر آخر من الاسم الجليل او هي الخبر وقوله تعالى لا اله الا هو الحي اعتراض او حال وقوله عز وجل الحي القيوم صفة او بدل كما مر

نزل عليك الكتاب بالتخفيف ونصب الكتاب فالظاهر حينئذ أن تكون مستأنفة وقيل يجوز كونها خبراً بحذف العائد أي
نزل الكتاب عليك منه بالحق حال من الفاعل أو المفعول أي نزله محقاً في تنزيله على ما هو عليه أو ملتبساً بالعدل في أحكامه
أو بالصدق في أخباره التي من جملتها خبر التوحيد وما يليه وفي وعده ووعيده أو بما يحقق أنه من عند الله تعالى
من الحجج البينة مصدقاً حال من الكتاب فهو عند من يجوز تعدد الحال بلا عطف ولا بدلية حال منه بعد حال وأما عند من
يمنعه فقد قيل إنه حال من محل الحال الأولى على البدلية وقيل من المستكن في الجار والمجرور لأنه حينئذ يتحمل ضميراً لقيامه
مقام عامله المتحمل له فيكون حالاً متداخلة وعلى كل حال فهي حال مؤكدة وفائدة تقييد التنزيل بها حث أهل الكتاب
على الإيمان بالمنزل وتنبيههم على وجوبه فإن الإيمان بالمصدق موجب للإيمان بما يصدقه حتماً لما بين يديه متعلق
بمصدقاً واللام دعامة لتقوية العمل نحو فعال لما يريد أي مصدقاً لما قبله من الكتب السالفة وفيه إيماء إلى
حضورها وكمال ظهور أمرها بين الناس وتصديقه إياها في الدعوة إلى الإيمان والتوحيد وتنزيه الله عز وجل
عما لا يليق بشأنه الجليل والأمر بالعدل والإحسان وكذا في أنباء الأنبياء والأمم الخالية وكذا في نزوله على النعت
المذكور فيها وكذا في الشرائع التي لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار ظاهر لا ريب فيه وأما في الشرائع المختلفة
باختلافهما فمن حيث إن أحكام كل واحد منها واردة حسبما يقتضيه الحكمة التشريعية بالنسبة إلى خصوصيات الأمم
المكلفة بها مشتملة على المصالح اللائقة بشأنهم وأنزل التوراة والإنجيل تعيين لما بين يديه وتبيين لرفعة
محله تأكيداً لما قبله وتمهيداً لما بعده إذ بذلك يزداد في شأن من يصدقه رفعة ونباهة ويزداد في القلوب قبولاً له
ومهابة ويتفاحش حال من كفر بهما في الشناعة واستتباع ما سيذكر من العذاب الشديد والانتقام أي أنزلهما
جملة على موسى وعيسى عليهما السلام وإنما لم يذكر لأن الكلام في الكتابين لا فيمن أنزلا عليه وهما اسمان أعجميان
الأول عبري والثاني سرياني ويعضده القراءة بفتح همزة الإنجيل فإن أفعيل ليس من أبنية العرب والتصدي
لاشتقاقهما من الوري والنجل تعسف من قبل متعلق بأنزل أي أنزلهما من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهور
الأمر للمبالغة في البيان هدى للناس في حيز النصب على أنه علة للإنزال أي أنزلهما لهداية الناس أو على أنه حال
منهما أي أنزلهما حال كونهما هدى لهم والإفراد لما أنه مصدر جعل نفس الهدى مبالغة أو حذف منه المضاف
أي ذوي هدى ثم إن أريد بهدايتهما بجميع ما فيهما من حيث هو جميع فالمراد بالناس الأمم الماضية من حين نزولهما
إلى زمان نسخهما وإن أريد بهدايتهما على الإطلاق وهو الأنسب بالمقام فالناس على عمومه لما أن هدايتهما بما عدا
الشرائع المنسوخة من الأمور التي يصدقهما القرآن فيها ومن جملتها البشارة بنزوله وبمبعث النبي صلى الله عليه وسلم
تعم الناس قاطبة وأنزل الفرقان الفرقان في الأصل مصدر كالغفران أطلق على الفاعل مبالغة والمراد به ههنا
إما جنس الكتب الإلهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر منها وما لم يذكر على طريق التتميم بالتعميم إثر تخصيص بعض
مشاهيرها بالذكر كما في قوله عز وجل فأنبتنا فيها حباً وعنباً إلى قوله وفاكهة وإما نفس الكتب المذكورة أعيد
ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ الإنزال تنزيلاً للتغاير الوصفي منزلة التغاير
الذاتي كما في قوله سبحانه ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وإما الزبور
فإنه مشتمل على المواعظ الفارقة بين الحق والباطل الداعية إلى الخير والرشاد والزاجرة عن الشر والفساد وتقديم
الإنجيل عليه مع تأخره عنه نزولاً لقوة مناسبته للتوراة في الاشتمال على الأحكام والشرائع وشيوع اقترانهما
في الذكر وإما القرآن نفسه ذكر بنعت مادح له بعد ما ذكر باسم الجنس تعظيماً لشأنه ورفعاً لمكانه وقد بين أولاً

أولاً تنزيله التدريجي إلى الأرض وثانياً إنزاله الدفعي إلى السماء الدنيا أو أريد بالإنزال القدر المشترك العاري عن قيد التدريج
وعدمه وإما المعجزات المقرونة بإنزال الكتب المذكورة الفارقة بين الحق والمبطل إن الذين كفروا بآيات الله وضع
موضع الضمير العائد إلى ما فصل من الكتب المنزلة أو منها ومن المعجزات الآيات مضافة إلى الاسم الجليل تعييناً لحيثية كفرهم
وتهويلاً لأمرهم وتأكيداً لاستحقاقهم العذاب الشديد وإيذاناً بأن في ذلك الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر بالكل
بل يكفي فيه الكفر ببعض منها والمراد بالموصول إما أهل الكتابين وهو الأنسب بمقام المحاجة معهم أو جنس الكفرة فهم
داخلون فيه دخولاً أولياً أي إن الذين كفروا بما ذكر من آيات الله الناطقة بالحق لا سيما بتوحيده تعالى وتنزيهه عما لا يليق
بشأنه الجليل كلاً أو بعضاً مع ما بها من النعوت الموجبة للإيمان بها بأن كذبوا بالقرآن أصالة وبسائر الكتب الإلهية تبعاً
لما أن تكذيب المصدق موجب لتكذيب ما يصدقه حتماً أو أصالة أيضاً بأن كذبوا بآياتها الناطقة بالتوحيد والتنزيه
وبآياتها المبشرة بنزول القرآن ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم وغيروها وغاظوا بسبب كفرهم بها عذاب مرتفع إما على الفاعلية
من الجار والمجرور أو على الابتداء والجملة خبر إن والتنوين للتفخيم أي عذاب عذاب شديد لا يقادر قدره وهو وعيد
جيء به إثر تقرير أمر التوحيد الذاتي والوصفي والإشارة إلى ما ينطق بذلك من الكتب الإلهية حملاً على القبول والإذعان
وزجراً عن الكفر والعصيان والله عزيز لا يغالب يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ذو انتقام عظيم خارج عن أفراد جنسه
وهو افتعال من النقمة وهي السطوة والتسلط يقال انتقم منه إذا عاقبه بجنايته والجملة اعتراض تذييلي مقرر للوعيد
ومؤكد له إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء استئناف كلامي سيق لبيان سعة علمه تعالى وإحاطته بجميع
ما في العالم من الأشياء التي من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق سراً وجهراً إثر بيان كمال قدرته وعزته تربية
لما قبله من الوعيد وتنبيهاً على أن الوقوف على بعض المغيبات كما كان في عيسى عليه السلام بمعزل من بلوغ رتبة الصفات الإلهية
وإنما عبر عن علمه عز وجل بما ذكر بعدم خفائه عليه كما في قوله سبحانه وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء
إيذاناً بأن علمه تعالى بمعلوماته وإن كانت في أقصى الغايات الخفية ليس من شأنه أن يكون على وجه يمكن أن تقارنه
شائبة خفاء بوجه من الوجوه كما في علوم المخلوقين بل هي في غاية الوضوح والجلاء والجملة المنفية خبر إن وتكرير الإسناد
لتقوية الحكم وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء مؤكدة لعمومه المستفاد من وقوعه في سياق النفي أي لا يخفى
عليه شيء ما كائن في الأرض ولا في السماء أعم من أن يكون ذلك بطريق الاستقرار فيهما أو الجزئية منهما وقيل متعلقة بيخفى
وإنما عبر عنهما عن كل العالم لأنهما قطراه وتقديم الأرض على السماء لإظهار الاعتناء بشأن أحوال أهلها وتوسيط حرف
النفي بينهما للدلالة على الترقي من الأدنى إلى الأعلى باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة إلى علومنا
وقوله عز وجل هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء جملة مستأنفة ناطقة ببعض أحكام قيوميته تعالى
وجريان أحوال الخلق في أطوار الوجود حسب مشيئته تعالى المبنية على الحكم البالغة مقررة لكمال علمه مع زيادة
تعلقه بالأشياء قبل دخولها تحت الوجود ضرورة وجوب علمه تعالى بالصور المختلفة المترتبة على التصوير المترتب
على المشيئة قبل تحققها بمراتب وكلمة في متعلقة بيصوركم أو بمحذوف وقع حالاً من ضمير المفعول أي يصوركم وأنتم
في الأرحام مضغ وكيف معمول ليشاء والجملة في محل النصب على الحالية إما من فاعل يصوركم أي يصوركم كائناً على
مشيئته تعالى مريداً أو من مفعوله أي يصوركم كائنين على مشيئته تعالى تابعين لها في قبول الأحوال المتغايرة من كونكم نطفاً
ثم علقاً ثم مضغاً غير مخلقة ثم مخلقة وفي الاتصاف بالصفات المختلفة من الذكورة والأنوثة والحسن والقبح وغير ذلك
من الصفات وفيه من الدلالة على بطلان زعم من زعم ربوبية عيسى عليه السلام وهو من جملة الأنباء المتقلبين في هذه

الاطوار على مشية البارى عز وجل كما [illegible] وقرئ تصوركم على صيغة الماضي من التفعل اي
صوركم لنفسه ولعبادته. لا اله الا هو اذ لا يتصف بشيء مما ذكر من الشؤون العظيمة الخاصة بالالوهية احد ليتوهم
الوهيته. العزيز الحكيم المتناهي في القدرة والحكمة ولذلك يخلقكم على ما ذكر من النمط البديع. هو الذي انزل عليك
الكتاب. شروع في ابطال شبههم الناشئة عما نطق به القرآن في نعت عيسى عليه السلام بطريق الاستيناف اثر بيان اختصاص الربوبية
ومناطها به سبحانه فتعالى تارة بعد اخرى وكون كل من عداه مقهورا تحت ملكوته تابعا لمشيته قيل ان وفد نجران
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تزعم يا محمد ان عيسى كلمة الله وروح منه قال صلى الله عليه وسلم بلى قالوا
فحسبنا ذلك فنعى عليهم زيغهم وفتنتهم وبين ان الكتاب مؤسس على اصول رصينة وفروع مبنية عليها ناطقة بالحق
قاضية ببطلان ما هم عليه من الضلال والمراد بالانزال القدر المشترك المجرد عن قيد التدريج وعدمه
واللام في الكتاب للعهد وتقديم الظرف عليه لما اشير اليه فيما قبل من الاعتناء بشأن المنزل عليه صلى الله عليه وسلم بتشريف
الانزال عليه ومن التشويق الى ما انزل فان النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار برفعة شأنه او
بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن وليتصل به تقسيمه الى قسميه. منه آيات
الظرف خبر وآيات مبتدأ او بالعكس بتأويل مر تحقيقه في قوله تعالى ومن الناس من يقول الآية والاول اوفق بقواعد الصناعة
والثاني ادخل في جزالة المعنى اذ المقصود الاصلي انقسام الكتاب الى القسمين المعهودين لا كونهما من الكتاب فتذكر والجملة
مستأنفة او في حيز النصب على الحالية من الكتاب اي هو الذي انزل الكتاب كائنا على هذه الحالة اي منقسما الى محكم ومتشابه
او الظرف هو الحال وحده وآيات مرتفع به على الفاعلية. محكمات صفة آيات اي قطعية الدلالة على المعنى المراد
محكمة العبارة محفوظة من الاحتمال والاشتباه. هن ام الكتاب اي اصل فيه وعمدة يرد اليها غيرها فالمراد
بالكتاب كله والاضافة بمعنى في كما في واحد العشرة لا بمعنى اللام فان ذلك يؤدي الى كون الكتاب عبارة عما عدا
المحكمات والجملة اما صفة لما قبلها او مستأنفة وانما افرد الام مع تعدد الآيات لما ان المراد بيان اصلية كل
واحدة منها او بيان ان الكل بمنزلة آية واحدة كما في قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين وقيل اكتفى
بالمفرد عن الجمع كما في قول الشاعر بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب اي واما جلودها
واخر نعت لمحذوف معطوف على آيات اي وآيات اخر وهي جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر
او عن آخر من. متشابهات صفة لاخر وفي الحقيقة صفة للمحذوف اي محتملات لمعان متشابهة لا يمتاز بعضها من بعض
في استحقاق الارادة بها ولا يتضح الامر الا بالنظر الدقيق والتأمل الانيق فالتشابه في الحقيقة وصف لتلك المعاني
وصف به الآيات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول وقيل لما كان من شأن الامور المتشابهة ان تعجز العقل
عن التمييز بينها سمي كل ما لا يهتدي اليه العقل متشابها وان لم يكن ذلك بسبب التشابه كما ان المشكل في الاصل ما دخل
في اشكاله وامثاله ولم يعلم بعينه ثم اطلق على كل غامض وان لم يكن غموضه من تلك الجهة وانما جعل ذلك كذلك ليظهر
فضل العلماء ويزداد حرصهم على الاجتهاد في تدبرها وتحصيل العلوم التي نيط بها استنباط ما اريد بها من
الاحكام الحقة فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج مقاصدها الرائقة ومعانيها اللائقة المدارج العالية
ويعرجوا بالتوفيق بينها وبين المحكمات من اليقين والاطمينان الى المعارج القاصية واما قوله عز وجل الر كتاب احكمت
آياته فمعناه انها حفظت من اعتراء الخلل او من النسخ او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على حقيتها او جعلت حكيمة
لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها وقوله تعالى كتابا متشابها مثاني معناه متشابه الاجزاء اي

اي يشبه بعضها بعضا في صحة المعنى وجزالة النظم وحقية المدلول. فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق
الى الاهواء الباطلة قال الراغب الزيغ الميل عن الاستقامة الى احد الجانبين وفي جعل قلوبهم مقرا للزيغ مبالغة في
عدولهم عن سنن الرشاد واصرارهم على الشر والفساد. فيتبعون ما تشابه منه معرضين عن المحكمات اي يتعلقون بظاهر
المتشابه من الكتاب او بتأويل باطل لا تحريا للحق بعد الايمان بكونه من عند الله تعالى بل ابتغاء الفتنة اي طلب ان يفتنوا
الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه كما نقل عن الوفد وابتغاء تأويله اي وطلب ان يأولوه
حسبما يشتهونه من التأويلات الزائغة والحال انهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل وما يعلم تأويله الا الله والراسخون
في العلم فانه حال من ضمير يتبعون باعتبار العلة الاخيرة اي يتبعون المتشابه لابتغاء تأويله والحال انه مخصوص به تعالى
وبمن وفقه له من عباده الراسخين في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا في مزال الاقدام وفي تعليل الاتباع
بابتغاء تأويله دون نفس تأويله وتجريد التأويل عن الوصف بالصحة او الحقية ايذان بانهم ليسوا من التأويل في شيء
وان ما يبتغونه ليس بتأويل اصلا لا انه تأويل غير صحيح قد يعذر صاحبه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه
بما استأثر الله عز وجل بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل
القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد به. يقولون آمنا به اي بالمتشابه وعدم التعرض لايمانهم
بالمحكم لظهوره او بالكتاب والجملة على الاول استيناف موضح لحال الراسخين وحال منهم وعلى الثاني خبر لقوله تعالى والراسخون
وقوله تعالى كل من عند ربنا من تمام المقول مقرر لما قبله ومؤكد له اي كل واحد منه ومن المحكم او كل واحد من متشابهه
ومحكمه منزل من عنده تعالى لا مخالفة بينهما او آمنا به وبحقيته على مراده تعالى. وما يذكر حق التذكر الا اولو الالباب
اي العقول الخالصة عن الركون الى الاهواء الزائغة وهو تذييل سيق من جهته تعالى مدحا للراسخين بجودة الذهن وحسن
النظر واشارة الى ما به استعدوا للاهتداء الى تأويله من تجرد العقل عن غواشي الحس وتعلق الآية الكريمة بما قبلها
من حيث انها جواب عما تشبث به النصارى من نحو قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه على وجه الاجمال وسيجي في
الجواب المفصل بقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون. ربنا لا تزغ قلوبنا
من تمام مقالة الراسخين اي لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال صلى الله عليه وسلم
قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل معناه لا تبتلنا
ببلايا تزيغ فيها قلوبنا. بعد اذ هديتنا اي الى الحق والتأويل الصحيح او الى الايمان بالقسمين وبعد نصب
بلا تزغ على الظرفية واذ في محل الجر باضافته اليه خارج من الظرفية اي بعد وقت هدايتك ايانا وقيل انه
بمعنى ان. وهب لنا من لدنك كلا الجارين متعلق بهب وتقديم الاول لما مر مرارا ويجوز تعلق الثاني بمحذوف
هو حال من المفعول اي كائنة من لدنك ومن لابتداء الغاية المجازية ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية
زمان او مكان او غيرهما من الذوات نحو من لدن زيد وليست مرادفة لعند اذ قد تكون فضلة وكذا لدى وبعضهم
يخصها بظرف المكان وتضاف الى صريح الزمان كما في قوله تنتفض الرعدة في ظهيري من لدن الظهر الى العصير
ولا تنقطع عن الاضافة بحال واكثر ما تضاف الى المفرد وقد تضاف الى ان وصلتها كما في قوله وليت فلم تقطع
لدن ان وليتنا قرابة ذي رحم ولا حق مسلم اي من لدن ولايتك ايانا وقد تضاف الى الجملة الاسمية
كما في قوله تذكر نعماه لدن انت يافع والى الجملة الفعلية ايضا كما في قوله لزمنا لدن سالمتمونا وفاقكم
فلا يك منكم للخلاف جنوح وقد تخلو عن من كما في البيت الاخير. رحمة واسعة تزلفنا اليك ونفوز

ما عندك توفيقا للثبات على الحق وتأخير المفعول الصريح عن الجارين لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا أخر تبقى النفس مترقبة لوروده لا سيما عند الاشعار بكونه من المنافع
بالتأخير فاذا ورد لها تمكن عندها فضل تمكن. انك انت الوهاب تعليل للسؤال او لاعطاء المسؤول
وانت اما مبتدأ او فصل او تأكيد لاسم ان واطلاق الوهاب ليتناول كل موهوب وفيه دلالة على ان
الهدى والضلال من قبله تعالى وانه متفضل بما ينعم به على عباده من غير ان يجب عليه شيء. ربنا انك جامع الناس
ليوم اي لحساب يوم او لجزاء يوم حذف المضاف واقيم مقامه المضاف اليه تهويلا له وتفظيعا لما يقع فيه
لا ريب فيه اي في وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر والحساب والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم
الى الرحمة وانها المقصد الاسنى عندهم والتأكيد لاظهار ما هم عليه من كمال الطمأنينة وقوة اليقين باحوال
الآخرة. ان الله لا يخلف الميعاد تعليل لمضمون الجملة المؤكدة او لانتفاء الريب والتأكيد لما مر واظهار
الاسم الجليل مع الالتفات لابراز كمال التعظيم والاجلال الناشئ من ذكر اليوم المهيب الهائل بخلاف ما في آخر
السورة الكريمة فانه مقام طلب الانعام كما سيأتي وللاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منافية للاخلاف
وقد جوز ان يكون الجملة مسوقة من جهته تعالى لتقرير قول الراسخين والميعاد مصدر كالميقات واستدل به الوعيدية
واجيب بأن وعيد الفساق مشروط بعدم العفو بدلائل مفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا. ان الذين
كفروا اثر ما بين الدين الحق والتوحيد وذكر احوال الكتب الناطقة به وشرح شأن القرآن العظيم وكيفية
ايمان العلماء الراسخين به شرع في بيان حال من كفر به والمراد بالموصول جنس الكفرة الشامل لجميع الاصناف
وقيل وفد نجران او اليهود من قريظة والنضير او مشركوا العرب. لن تغني عنهم اي لن تنفعهم وقرئ
بالتذكير وبسكون الياء جدا في استثقال الحركة على حروف اللين. اموالهم التي يبذلونها في جلب المنافع ودفع
المضار. ولا اولادهم الذين بهم يتناصرون في الامور المهمة وعليهم يعولون في الخطوب الملمة وتأخير
الاولاد عن الاموال مع توسيط حرف النفي بينهما اما لعراقة الاولاد في كشف الكروب او لان الاموال اول عدة يفزع اليها
عند نزول الخطوب. من الله من ابتدائية متعلقة بالفعل. شيئا اي شيئا من الاغناء. وقيل كلمة من بمعنى البدل والمعنى بدل رحمة الله او بدل طاعته
كما في قوله تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيئا اي بدل الحق ومنه قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده بدلك اي بدل
رحمتك كما في قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وانت خبير بان احتمال سد اموالهم واولادهم
مسد رحمة الله تعالى او طاعته مما لا يخطر ببال احد حتى يتصدى لنفيه والاول هو الاليق بتفظيع حال الكفرة وتهويل
امرهم والانسب لما بعده من قوله تعالى. واولئك هم وقود النار ومن قوله فاخذهم الله اي اولئك المتصفون بالكفر
حطب النار وحصبها الذي تسعر به فانه بيان لحالهم عند التسعير وايثار الجملة الاسمية للدلالة على تحقق الامر
وتقرره والاضافة للايذان بتحقيقه حالهم بذلك وان احوالهم الظاهرة بمنزلة العدم فهم حال كونهم في الدنيا
وقود النار باعيانهم وفيه من الدلالة على كمال ملابستهم بالنار ما لا يخفى وهم يحتمل الابتداء وان يكون ضمير الفصل
والجملة اما مستأنفة مقررة لعدم الاغناء او معطوفة على خبر ان واياما كان ففيها تعيين للعذاب الذي بين ان اموالهم
واولادهم لا تغني عنهم منه شيئا. وقرئ وقود النار بضم الواو وهو مصدر اي اهل وقودها. كدأب آل فرعون
الدأب مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه وتعب غلب استعماله في معنى الشأن والحال والعادة ومحل الكاف الرفع
على انه خبر لمبتدأ محذوف وقد جوز النصب بلن تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد

بهم النار كما توقد بهم وانت خبير بان المذكور في تفسير الدأب انما هو التكذيب والاخذ من غير تعرض لعدم الاغناء
لا سيما على تقدير كون من بمعنى البدل كما هو رأي المجوز ولا لايقاد النار فيحمل على التعليل فهو خلاف الظاهر على انه
يلزم الفصل بين العامل والمعمول بالاجنبي على تقدير النصب بلن تغني وهو قوله تعالى واولئك هم وقود النار الا ان يجعل
استئنافا لا معطوفا على خبر ان فالوجه هو الرفع على الخبرية اي دأب هؤلاء في الكفر وعدم النجاة من اخذ الله تعالى
وعذابه كدأب آل فرعون والذين من قبلهم اي من قبل آل فرعون من الامم الكافرة فالموصول في محل الجر عطفا على ما
قبله وقوله تعالى كذبوا بآياتنا بيان وتفسير لدأبهم الذي فعلوا على طريقة الاستئناف المبني على السؤال كأنه قيل
كيف كان دأبهم فقيل كذبوا بآياتنا وقوله تعالى فاخذهم الله تفسير لدأبهم الذي فعل بهم اي فاخذهم وعاقبهم
ولم يجدوا من بأس الله تعالى محيصا فدأب هؤلاء الكفرة ايضا كدأبهم وقيل كذبوا حال من آل فرعون والذين
من قبلهم على اضمار قد اي دأب هؤلاء كدأب اولئك وقد كذبوا الخ واما كونه خبرا عن الموصول كما قيل فمما يذهب
برونق النظم الكريم والالتفات الى التكلم اولا للجري على سنن الكبرياء والى الغيبة ثانيا باظهار الجلالة لتربية المهابة
وادخال الروعة. بذنوبهم ان اريد بها تكذيبهم بالآيات فالباء للسببية جيء بها تأكيدا لما يفيده الفاء من سببية ما قبلها
لما بعدها وان اريد بها سائر ذنوبهم فالباء للملابسة جيء بها للدلالة على ان لهم ذنوبا اخرى اي فاخذهم ملتبسين
بذنوبهم غير تائبين عنها كما في قوله تعالى وتزهق انفسهم وهم كافرون والذنب في الاصل التلو والتابع وسمي الجريمة ذنبا
لانها تتلو اي يتبع عقابها فاعلها. والله شديد العقاب تذييل مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وتكملة له. قل للذين
كفروا المراد بهم اليهود لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان يهود المدينة لما شاهدوا غلبة رسول الله صلى
الله عليه وسلم على المشركين يوم بدر قالوا والله انه النبي الذي بشرنا به موسى وفي التوراة نعته وهموا باتباعه
فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة له اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوه وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى اهل مكة فاجمعوا امرهم على قتال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رض ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما اصاب قريشا ببدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا
لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لتعلمن انا نحن الناس
فنزلت اي قل لهم ستغلبون البتة من قهر في الدنيا وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل بني قريظة واجلاء
بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من اوضح شواهد النبوة واما ما روي عن مقاتل من انها
نزلت قبل بدر وان الموصول عبارة عن مشركي مكة وان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم يوم بدر ان الله غالبكم
وحاشركم الى جهنم وبئس المهاد فيؤدي الى انقطاع الآية الكريمة عما بعدها لنزوله بعد وقعة بدر. وتحشرون
الى جهنم وقرئ الفعلان بالياء على انه صلى الله عليه وسلم امر بان يحكي لهم ما اخبره الله تعالى به من وعيدهم
بعبارته كانه قيل أد اليهم هذا القول. وبئس المهاد اما من تمام ما يقال لهم او استئناف لتهويل جهنم وتفظيع
حال اهلها والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس المهاد جهنم وما مهدوه لانفسهم. قد كان لكم آية جواب قسم محذوف وهو من تمام
القول المأمور به جيء به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه والخطاب لليهود ايضا والظرف خبر كان على انها ناقصة وللتوسط
بينها وبين اسمها ترك التأنيث كما في قوله ان امرأ غره منكن واحدة بعدي وبعدك في الدنيا لمغرور على ان التأنيث
ههنا غير حقيقي وهو متعلق بكان على كونها تامة وآية فاعلها لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق

الى ما اقول اي والله قد كان لكم ايها المغترون بعددهم وعددهم آية عظيمة دالة على صدق ما اقول لكم انكم ستغلبون
في فئتين اي فرقتين او جماعتين فان المغلوبية منهما كما مر دالة بحكم انها معجبة بعزتها وقد لقيها ما لقيها فيصيبكم ما يصيبكم
ومحل الظرف الرفع على انه صفة لآية وقيل النصب على خبرية كان والظرف الاول متعلق بمحذوف وقع حالا من آية
التقتا في حيز الجر على انه صفة فئتين اي تلاقتا بالقتال يوم بدر فئة بالرفع خبر مبتدأ محذوف اي احديهما فئة
كما في قوله اذا مت كان الناس صنفين شامت وآخر مثن بالذي كنت اصنع اي احدهما شامت وآخر مثن وقوله حتى اذا ما
استقل النجم في غلس وغودر البقل ملوي ومحصود والجملة مع ما عطف عليها مستأنفة لتقرير ما في الفئتين من الآية وقوله
تعالى تقاتل في سبيل الله في محل الرفع على انه صفة فئة كأنه قيل فئة مؤمنة ولكن ذكر مكانه من احكام الايمان
ما يليق بالمقام مدحا لهم واعتدادا بقتالهم وايذانا بانه المدار في تحقق الآية وهي رؤية القليل كثيرا وقرئ يقاتل
على تأويل الفئة بالقوم او الفريق واخرى نعت لمبتدأ محذوف معطوف على احد فعل الجملة الاولى اي وفئة اخرى
وانما نكرت على القياس تعريفهما كفريقيها لوضوح ان التفريق لنفس الفئتين المذكورتين وعدم الحاجة الى التعريف وقوله تعالى
كافرة خبر للمبتدأ المحذوف وانما لم توصف هذه الفئة بما يقابل صفة الفئة الاولى اسقاطا لقتالهم عن درجة الاعتبار
وايذانا بانهم لم يتصدوا للقتال لما اعتراهم من الرعب والهيبة وقيل كل من المتعاطفين بدل من الضمير في التقتا وما
بعدهما صفة فلا بد من ضمير محذوف عائد الى المبدل منه مسوغ لوصف البدل بالجملة العارية عن ضميره اي فئة منهما
تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة وقيل كل منهما مبتدأ محذوف الخبر اي منهما فئة تقاتل الخ وقرئ فئة بالجر على البدل
من فئتين بدل البعض من كل وقد عرفت انه لا بد من ضمير عائد الى المبدل منه ويسمى بدلا تفصيليا كما في قول من قال وكنت كذي
رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت وقرئ فئة الخ بالنصب على المدح والذم او على الحالية من ضمير
التقتا كأنه قيل التقتا مؤمنة وكافرة فيكون فئة واخرى توطئة لما هو الحال حقيقة اذ المقصود بالذكر وصفاهما
كما في قوله ... في رهط رجالا صالحا يرونهم اي يرى الفئة الاخيرة الفئة الاولى وايثار صيغة الجمع للدلالة على
شمول الرؤية لكل واحد من آحاد الفئة والجملة في محل الرفع على انها صفة للفئة الاخيرة او مستأنفة مبينة
لكيفية الآية مثليهم اي مثلي عدد الرائين قريبا من الفين اذ كانوا قريبا من الف كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا
راسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم ابو سفيان وابو جهل وكان فيهم من الخيل والابل مائة فرس وسبعمائة بعير
ومن اصناف الاسلحة عدد لا يحصى عن محمد بن ابي الفرات عن سعيد بن اوس انه قال اسر المشركون رجلا من المسلمين فسألوه
كم كنتم قال ثلثمائة وبضعة عشر قالوا ما كنا نراكم الا تضعفون علينا او مثلي عدد المرئيين اي ستمائة ونيفا
وعشرين حيث كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا سبعة وسبعين رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلثون
من الانصار رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين
علي بن ابي طالب رض وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة الخزرجي رض وكان في العسكر تسعون بعيرا
وفرسان احدهما للمقداد بن عمرو والآخر لمرثد بن ابي مرثد وست اذرع وثمانية سيوف وجميع من
استشهد يومئذ من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار رض اراهم الله عز وجل
كذلك مع قلتهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم مددا منه سبحانه كما امدهم بالملائكة عليهم السلام وكان ذلك
عند التقاء الفئتين بعد ان قللهم في اعينهم عند ترائيهما ليجترؤا عليهم ولا يهربوا من اول الامر حين ينفعهم
الهرب وقيل يرى الفئة الاولى الفئة الاخيرة مثلي انفسهم مع كونهم ثلثة امثالهم ليثبتوا ويطمئنوا بالنصر

الموعود في قوله تعالى ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين والاول هو الاولى لان رؤية المثلين غير متعينة
من جانب المؤمنين بل وقعت رؤية المثل بل الاقل منه ايضا فانه روي ان ابن مسعود رض قال قد نظرنا الى المشركين
فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فرأيناهم ما يزيدون علينا رجلا واحدا ثم قللهم الله تعالى ايضا في اعينهم
حتى رأوهم عددا يسيرا اقل من انفسهم قال ابن مسعود رض لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي
تراهم سبعين قال اراهم مائة فأسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا فلو اريد رؤية المؤمنين المشركين اقل من
عددهم في نفس الامر كما في سورة الانفال لكان رؤيتهم اياهم اقل من انفسهم احق بالذكر في كونها آية من رؤيتهم مثليهم
على ان ابانة آثار قدرة الله تعالى وحكمته للكفرة باراءتهم القليل كثيرا والضعيف قويا والقاء الرعب في قلوبهم
بسبب ذلك ادخل في كونها آية لهم وحجة عليهم واقرب الى اعتراف المخاطبين بذلك لكثرة مخالطتهم الكفرة المشاهدين
للحال وكذا تعلق الفعل بالفاعل اشد من تعلقه بالمفعول فجعل اقرب المذكورين السابقين فاعلا وابعدهما مفعولا
سواء جعل الجملة صفة او مستأنفة اولى من العكس هذا ما يقتضيه جزالة التنزيل على قراءة الجمهور ولا ينبغي جعل
الخطاب للمشركين لكنه كما قيل اما ان نجعل الوعيد عبارة عن هزيمة بدر كما صححوا به فظاهر لاستحالته به واما ان تجعل
عبارة عن هزيمة اخرى فلان الفئة التي شاهدت تلك الآية الهائلة هم المخاطبون ح فالتعبير عنهم بفئة
مبهمة تارة وموصوفة اخرى بمرتبة المشاهدة اليها مع كون اسنادها الى المخاطبين اوقع في الزام الحجة
وادخل في التبكيت مما لا داعي اليه فهذا تعين جعل الخطاب الثاني للمؤمنين واما قراءة ترونهم بتاء الخطاب
فظاهر وان اقتضى توجيه الخطاب الثاني الى المشركين لكنه ليس بنص في ذلك لانه وان اندفع به المحذور
الاخير فالاول باق بحاله فلعل رؤية المشركين منزلة رؤية اليهود لما بينهم من الاتحاد في الكفر
والاتفاق في الكلمة بعدما وقع بينهم بواسطة كعب بن الاشرف من العهد والميثاق فاسندت الرؤية اليهم
مبالغة في البيان وتحقيقا لعروض مثل تلك الحالة فتدبر وقيل المراد جميع الكفرة ولا ريب في صحته
فتدبر وقرئ يرونهم وترونهم على البناء للمفعول من الاراءة اي يريهم او يريكم الله تعالى كذلك رأي العين
مصدر مؤكد ليرونهم ان كان من الرؤية البصرية او مصدر تشبيهي ان كان من قلبية اي رؤية ظاهرة مكشوفة
جارية مجرى رؤية العين والله يؤيد اي يقوي بنصره من يشاء اي يؤيده من غير توسيط الاسباب
العادية كما ايد الفئة المقاتلة في سبيله بما ذكر من النصر وهو من تمام القول المأمور به ان في ذلك اشارة
الى ما ذكر من رؤية القليل كثيرا المستتبعة لغلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه في الفضل لعبرة العبرة فعلة من العبور كالركبة
من الركوب والجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فانه نوع من العبور عظيمة كائنة لاولي الابصار
لذوي العقول والبصائر وقيل لمن ابصرهم وهو اما من تمام الكلام الداخل تحت القول مقرر لما قبله
بطريق التذييل واما وارد من جهته تعالى تصديقا لمقالته صلى الله عليه وسلم زين للناس كلام مستأنف
سيق لبيان حقارة شأن الحظوظ الدنيوية باصنافها وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم الى ما عند الله
تعالى اثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد بالناس الجنس حب الشهوات
الشهوة نزوع النفس الى ما تريده والمراد ههنا المشتهيات عبر عنها بالشهوات مبالغة في كونها مشتهاة
مرغوبا فيها كأنها نفس الشهوات او ايذانا بانهماكهم في حبها بحيث احبوا شهواتها كما في قوله تعالى اني

أُحِبّت حبّ الخير أو استرذالًا لها فإن الشهوة مسترذلة مذمومة من صفات البهائم والمزين هو البارئ
سبحانه وتعالى إذ هو الخالق لجميع الأفعال والدواعي والحكمة في ذلك ابتلاؤهم قال تعالى إنا جعلنا ما على
الأرض زينة لها لنبلوهم الآية فإنها ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها على نهج الشريعة
الشريفة ووسيلة إلى بقاء النوع وإيثار صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقرئ على البناء
للفاعل وقيل المزين هو الشيطان لما أن مساق الآية الكريمة على ذمها وفرّق الجبائي بين المباحات
وأسند تزيينها إليه تعالى وبين المحرمات فنسب تزيينها إلى الشيطان. من النساء والبنين في محل النصب على أنه
حال من الشهوات وهي مفسرة لها في المعنى وقيل من لبيان الجنس وتقديم النساء على البنين لعراقتهن في معنى
الشهوة فإنهن حبائل الشيطان وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد في حبهن. والقناطير المقنطرة جمع
قنطار وهو المال الكثير وقيل مائة ألف دينار وقيل ملء مسك ثور وقيل سبعون ألفًا وقيل أربعون
ألف مثقال وقيل ثمانون ألفًا وقيل مائة رطل وقيل ألف ومائتا مثقال وقيل ألف دينار وقيل إنه
ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم وقيل دية النفس واختلف في أن وزنه فعلال أو فنعال
ولفظ المقنطرة مأخوذ منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة وقيل المقنطرة المحكمة المحصنة وقيل الكثيرة
المنضد بعضها على بعض أو المدفونة وقيل المضروبة المنقوشة. من الذهب والفضة بيان للقناطير
أو حال. والخيل عطف على القناطير قيل هي جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والواحد فرس
وقيل واحده خائل وهو مشتق من الخيلاء. المسومة أي المعلمة من السومة وهي العلامة أو المرعية
من أسام الدابة وسوّمها إذا أرسلها وسيّبها للمرعى أو المطهمة التامة الخلق. والأنعام أي الإبل
والبقر والغنم. والحرث أي الزرع مصدر بمعنى المفعول. ذلك أي ما ذكر من الأشياء المعهودة. متاع
الحيوة الدنيا أي ما يتمتع به في الحيوة الدنيا أيامًا قلائل فتفنى سريعًا. والله عنده حسن المآب حسن المرجع وفيه دلالة
على أن ليس فيما عدده عاقبة حميدة وفي تكرير الإسناد بجعل الجلالة مبتدأ وإسناد الجملة الظرفية إليه زيادة تأكيد
وتفخيم ومزيد اعتناء بالترغيب فيما عند الله عز وجل من النعيم المقيم والتزهيد في ملاذ الدنيا وطيباتها الفانية.
قل أؤنبئكم بخير من ذلكم أي مما زين لهم من زخرفة الدنيا وذكرها عنده تعالى من حسن المآب إجمالًا أمر النبي صلى الله عليه وسلم
بتفصيل ذلك المجمل للناس مبالغة في الترغيب والخطاب للجمع والهمزة للتقرير أي أخبركم بما هو خير مما فصل من تلك
المستلذات المزينة لكم وإبهام الخير لتفخيم شأنه والتشويق إليه وقوله تعالى. للذين اتقوا عند ربهم جنات استئناف مبين
لذلك المبهم على أن جنات مبتدأ والجار خبر أو على أن جنات مرتفع به على الفاعلية عند من لا يشترط في ذلك اعتماد
الجار على ما فصل في محله والمراد بالتقوى هو التبتل إلى الله تعالى والإعراض عما سواه على ما ينبئ عنه النعوت الآتية
وتعليق حصول الجنات وما بعدها من فنون الخير به للترغيب في تحصيله والثبات عليه وعند متعلق بالخالية من جنات
أو متعلق بما تعلق به الجار من معنى الاستقرار مفيد لكمال علو رتبة الجنات وسمو طبقتها والتعرض لعنوان الربوبية
مع الإضافة إلى ضمير المتقين لإظهار مزيد اللطف بهم وقيل اللام متعلقة بخير وكذا الظرف وجنات خبر لمبتدأ
والجملة مبينة للخير ويؤيده قراءة جنات بالجر على البدلية من خير ولا يخفى أن تعليق الإخبار والبيان بالمتقين لما
يوهم أن هناك خيرًا آخر لغيرهم تجري في محل الرفع أو الجر صفة لجنات على حسب القراءتين من تحتها الأنهار
متعلق بتجري فإن أريد بالجنات نفس الأشجار كما هو الظاهر فجريانها من تحتها ظاهر وإن أريد بها مجموع الأرض وما عليها

والأشجار فهو باعتبار جزئها الظاهر كما مر تفصيله. خالدين فيها حال مقدرة من المستكن في للذين والعامل فيه معنى
الاستقرار. وأزواج مطهرة عطف على جنات أي مبرأة مما يستقذر من النساء من الأحوال البدنية والطبيعية. ورضوان
التنوين للتفخيم وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة أي رضوان أي
رضوان لا يقادر قدره كائن من الله عز وجل وقرئ بضم الراء. والله بصير بالعباد وبأعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما
يليق بها أو بصير بأحوال الذين اتقوا ولذلك أعد لهم ما ذكر وفيه إشعار بأنهم المستحقون للتسمية باسم العبد. الذين
يقولون ربنا إننا آمنا في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل من أولئك المتقون الفائزون بهذه الكرامات
السنية فقيل هم الذين إلخ أو النصب على المدح أو الجر على أنه صفة للمتقين أو للعباد أو بدل من أحدهما وقوله تعالى
والله بصير بالعباد حينئذ معترضة وتأكيد الجملة لإظهار أن إيمانهم ناشئ من وفور الرغبة وكمال النشاط وفي ترتيب
الدعاء بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار على مجرد الإيمان دلالة على كفايته في استحقاق المغفرة والوقاية
من النار. الصابرين هو على تقدير كون الموصول في محل الرفع منصوب على المدح بإضمار أعني وأما على تقدير كونه في محل
النصب أو الجر فهو نعت له والمراد بالصبر هو الصبر على مشاق الطاعات وعلى البأساء والضراء وحين البأس. والصادقين
في أقوالهم ونياتهم وعزائمهم. والقانتين المداومين على الطاعات المواظبين على العبادات. والمنفقين أموالهم في سبيل الله
والمستغفرين بالأسحار قال مجاهد وقتادة والكلبي أي المصلين بالأسحار وعن زيد بن أسلم هم الذين يصلون الصبح في جماعة
وقال الحسن مدوا الصلوة إلى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر رضي الله عنهما يحيي الليلة ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول
لا فيعاود الصلوة فإذا قلت نعم قعد يستغفر الله ويدعو حتى يصبح وعن الحسن كانوا يصلون في أول الليل حتى إذا
كان السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار وتخصيص الأسحار بالاستغفار لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة لأن العبادة
حينئذ أشق والنفس أصفى والروح أجمع لا سيما للمجتهدين وتوسيط الواو بين الصفات المعدودة للدلالة على استقلال
كل منها وكمالهم فيها أو لتغاير الموصوفين بها. شهد الله أنه بفتح الهمزة أي بأنه أو على أنه لا إله إلا هو أي بيّن وحدانيته
بنصب الدلائل التكوينية في الآفاق والأنفس وإنزال الآيات التشريعية الناطقة بذلك عبّر عنه بالشهادة على طريقة
الاستعارة إيذانًا بقوته في إثبات المطلوب وإشعارًا بإنكار المنكر وقرئ إنه بكسر الهمزة إما بإجراء شهد مجرى قال وإما
بجعل الجملة اعتراضًا وإيقاع الفعل على قوله تعالى إن الدين إلخ على قراءة أن بفتح الهمزة كما سيأتي وقرئ شهداء لله
بالنصب على أنه حال من المذكورين أو على المدح وبالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ومآله الرفع على المدح أي هم
شهداء لله وهو إما جمع شهيد كظرفاء في جمع ظريف أو جمع شاهد كشعراء في جمع شاعر. والملائكة عطف على الاسم
الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازي شامل للإقرار والإيمان بطريق عموم المجاز أي أقروا بذلك. وأولو العلم أي آمنوا
به واحتجوا عليه بما ذكر من الأدلة التكوينية والتشريعية قيل المراد بهم الأنبياء عليهم السلام وقيل المهاجرون
والأنصار وقيل علماء مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه وقيل جميع علماء المؤمنين الذين عرفوا وحدانيته
تعالى بالدلائل القاطعة وارتفاعهما على القراءتين الأخيرتين قيل بالعطف على الضمير في شهداء لوقوع الفصل بينهما
وأنت خبير بأن ذلك على قراءة النصب على الحالية يؤدي إلى تقييد حال المذكورين بشهادة الملائكة وأولي العلم وليس فيه
كثير فائدة فالوجه حينئذ أن ارتفاعهما بالابتداء والخبر محذوف لدلالة الكلام عليه أي والملائكة وأولو العلم
شهداء بذلك وقد جوز أن تحمل القراءتين على المدح رفعًا ونصبًا فيصح العطف على المستتر على كل حال. قائمًا بالقسط
أي مقيمًا للعدل في جميع أموره بيان لكماله تعالى في أفعاله إثر بيان كماله في ذاته وانتصابه على الحالية من الله كما في قوله تعالى

وقوله تعالى

وهو الحق مصدقا وانما جاز افراده مع عدم جواز جاءني زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له
اسحق ويعقوب نافلة ولعل تأخيره عن المعطوفين للدلالة على علو رتبتهما وقرب منزلتهما والمسارعة الى اقامة شهود التوحيد
اعتناء بشأنه ورفعا لمحله وهو السر في تقديمه على المعطوفين مع ما فيه من الايذان بأصالته تعالى في الشهادة به كما في
قوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون وهو الاوجه والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد او احقه لانها
حال مؤكدة او على المدح وقيل على انه صفة للمنفي اي لا اله قائما بالقسط الا هو والفصل بينهما من قبيل توسعاتهم وهو
مندرج في المشهود به اذا جعل صفة او حالا من الضمير او نصبا على المدح منه وقرئ القائم بالقسط على البدلية من هو
فيلزم الفصل بينهما كما في الصفة او على انه خبر لمبتدأ محذوف وقرئ قيما بالقسط. لا اله الا هو تكرير للتأكيد ومزيد الاعتناء
بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليجري عليه قوله تعالى العزيز الحكيم فيعلم انه المنعوت بهما ووجه
الترتيب تقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته تعالى ورفعهما على البدلية من الضمير او الوصفية لفاعل شهد او الخبرية
لمبتدأ مضمر وقد روي في فضلها انه صلى الله عليه وسلم قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله عز وجل ان لعبدي
هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله
وروي عن سعيد بن جبير انه كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فلما نزلت هذه الآية الكريمة خررن سجدا وقيل نزلت
في نصارى نجران وقال الكلبي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم حبران من احبار الشام فلما ابصرا المدينة قال احدهما
ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا عليه صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة
فقالا له صلى الله عليه وسلم انت محمد قال نعم قالا وانت احمد قال صلى الله عليه وسلم انا محمد واحمد قالا فانا نسألك
عن شيء فان اخبرتنا به آمنا بك وصدقناك فقال صلى الله عليه وسلم سلا فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله
عز وجل فانزل الله تعالى هذه الآية فاسلم الرجلان. ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للاولى
اي لا دين مرضيا لله تعالى سوى الاسلام الذي هو التوحيد والتدرع بالشريعة الشريفة وعن قتادة انه شهادة
ان لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله تعالى وقرئ ان الدين عند الله للاسلام وقرئ ان الدين بالفتح على انه
بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة او على ان شهد واقع
عليه على تقدير قراءة انه بالكسر اسراليه. وما اختلف الذين اوتوا الكتاب نزلت في اليهود والنصارى حين
تركوا الاسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وانكروا نبوته والتعبير عنهم بالموصول وجعل ايتاء الكتاب
صلة له لزيادة تقبيح حالهم فان الاختلاف مع اوتي ما يزيله ويقطع شأفته في غاية القبح والسماجة وقوله عز وجل
الا من بعد ما جاءهم العلم استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاوقات اي وما اختلفوا في حال من الاحوال او في وقت
من الاوقات الا بعد ان علموا بانه الحق الذي لا محيد عنه او بعد ان علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالحجج النيرة
والآيات الباهرة وفيه من الدلالة على تناهي حالهم في الضلالة ما لا مزيد عليه فان الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة
مما لا يصدر عن العاقل وقوله تعالى بغيا بينهم اي حسدا كائنا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر
تشنيع اثر تشنيع. ومن يكفر بآيات الله اي بآياته الناطقة بما ذكر من ان الدين عند الله هو الاسلام ولم يعمل بمقتضاها
او بآية آية كانت من آيات الله تعالى على ان يدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا. فان الله سريع الحساب قائم مقام جواب
الشرط علة له اي ومن يكفر بآياته تعالى فانه تعالى يجازيه ويعاقبه عن قريب فانه سريع الحساب اي يأتي حسابه عن قريب
او يتم ذلك بسرعة واظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة وفي ترتيب العقاب على مطلق الكفر بآياته

بآياته تعالى من غير تعرض لخصوصية حالهم من كون كفرهم بعد ايتاء الكتاب وحصول الاطلاع على ما فيه وكون ذلك
للبغي دلالة على كمال شدة عقابهم. فان حاجوك اي في كون الدين عند الله الاسلام او جادلوك فيه بعدما اقمت
عليهم الحجج فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت نفسي وقلبي وجملتي وانما عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر
القوى والمشاعر ومجمع معظم ما يقع به العبادة من السجود والقراءة وبه يحصل التوجه الى كل شيء لله لا اشرك به فيها
غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت اليه الآيات والرسل عليهم السلام. ومن اتبعن عطف على المتصل في اسلمت
وحسن ذلك لمكان الفصل الجاري مجرى التأكيد بالمنفصل اي واسلم من اتبعني او مفعول معه. وقل للذين اوتوا الكتاب
اي من اليهود والنصارى وضع الموصول موضع الضمير لرعاية التقابل بين وصفي المتعاطفين. والاميين اي الذين
لا كتاب لهم من مشركي العرب. ءاسلمتم متبعين لي كما فعل المؤمنون فانه قد اتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة
فهل اسلمتم وعملتم بقضيتها او انتم على كفركم بعد كما يقول من لخص لصاحبه المسئلة ولم يدع من طرق التوضيح والبيان
مسلكا الا سلكه فهل فهمتها على منهاج قوله تعالى فهل انتم منتهون اثر تفصيل الصوارف عن تعاطي الخمر والميسر وفيه من
استقصارهم وتعييرهم بالمعاندة وقلة الانصاف وتوبيخهم بالبلادة وكلة القريحة ما لا يخفى. فان اسلموا اي كما اسلمتم
وانما لم يصرح به كما في قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به حسما لباب اطلاق اسم الاسلام على شيء آخر بالكلية. فقد اهتدوا
اي فازوا بالحظ الاوفر ونجوا عن مهاوي الضلال. وان تولوا اي اعرضوا عن الاتباع وقبول الاسلام. فانما
عليك البلاغ قائم مقام الجواب اي لم يضروك شيئا اذ ما عليك الا البلاغ وقد فعلت على ابلغ وجه. روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية على اهل الكتاب قالوا اسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم لليهود اتشهدون
ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال صلى الله عليه وسلم للنصارى اتشهدون ان عيسى
عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا وذلك قوله عز وجل وان تولوا. والله بصير بالعباد
عالم بجميع احوالهم وهو تذييل فيه وعد ووعيد. ان الذين يكفرون بآيات الله اي آية كانت فيدخل فيهم الكافرون
بالآيات القاطعة بحقية الاسلام على الوجه الذي مر تفصيله دخولا اوليا. ويقتلون النبيين بغير حق هم اهل الكتاب
قتل اولوهم الانبياء عليهم السلام وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا قاتلهم الله تعالى حائمين حول
قتل النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان عصمه الله عز وجل ساحته المنيعة وقد اشير اليه بصيغة الاستقبال وقرئ
بالتشديد للتكثير والتقييد بغير حق للايذان بانه كان عندهم ايضا بغير حق. ويقتلون الذين يأمرون بالقسط
من الناس اي بالعدل ولعل تكرير الفعل للاشعار بما بين القتلين من التفاوت او باختلافهما في الوقت عن ابي عبيدة
بن الجراح قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف
ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة
واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا
جميعا من آخر النهار وقرئ ويقاتلون الذين. فبشرهم بعذاب اليم خبر ان والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط فانها
بالنسخ لا تغير معنى الابتداء بل تزيده تأكيدا وكذا الحال في النسخ بان المفتوحة كما في قوله تعالى واعلموا
انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وكذا النسخ بلكن كما في قوله فوالله ما فارقتكم عن ملالة ولكن ما يقضى
فسوف يكون وانما يتغير معنى الابتداء في النسخ بليت ولعل وقد ذهب سيبويه والاخفش الى منع دخول الفاء
عند النسخ مطلقا والخبر عندهما قوله تعالى اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كما في قولك الشيطان

فاخبره عما وقع متبين وعلى الاول هو استئناف واسم الاشارة مبتدأ وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم
في الضلال وبعد منزلتهم في فظاعة الحال والموصول بما في حيز صلته خبره اي اولئك المتصفون بتلك الصفات
القبيحة او المبتلين بأسوأ الحال الذين بطلت اعمالهم التي عملوها من البر والحسنات فلم يبق لها اثر في الدارين بل
بقي لهم اللعنة والخزي في الدنيا وعذاب اليم في الآخرة. وما لهم من ناصرين ينصرونهم من بأس الله وعذابه
في احدى الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما وقع في مقابلته لا لنفي تعدد الانصار من كل واحد منهم كما في قوله تعالى
وما للظالمين من انصار. الم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتأتى منه الرؤية من حال
اهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق من ان اختلافهم في الاسلام انما كان بعد ما جاءهم العلم بحقيته
اي الم تنظر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التوراة على ان اللام للعهد وحمله على جنس الكتب الالهية
تطويل للمسافة اذ تمام التقريب حينئذ يكون بالتوراة وجعلها لان مدار التشنيع والتعجيب انما هو اعراضهم عن
المحاكمة الى ما دعوا اليه وهم لم يدعوا الا الى التوراة والمراد بما اوتوه منها ما بين لهم فيها من العلوم والاحكام
التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب للاشعار بكمال
اختصاصه بهم وكونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والعمل بموجبها وما فيه من التنكير للتفخيم وحمله
على التحقير لا يساعده مقام المبالغة في تقبيح حالهم يدعون الى كتاب الله الذي اوتوا نصيبا منه وهو
التوراة والاظهار في مقام الاضمار لايجاب الاجابة واضافته الى الاسم الجليل لتشريفه وتأكيد وجوب المراجعة
اليه والجملة استئناف مبين لمحل التعجيب مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل ماذا يصنعون حتى
ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب الله تعالى وقيل حال من الموصول ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله عم
دخل مدارسهم فدعاهم الى الايمان فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال صلى
الله عليه وسلم على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال صلى الله عليه وسلم لهما ان بيننا وبينكم
التوراة فهلموا اليها فأبيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وقيل كتاب الله القرآن فانهم
قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه وقرئ ليحكم على بناء المجهول فيكون الاختلاف بينهم بان اسلم بعضهم كعبد
الله بن سلام واضرابه وعاداهم الآخرون ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع
اليه وهم معرضون اما حال من فريق لتخصصه بالصفة اي يتولون من المجلس وهم معرضون بقلوبهم
او اعتراض اي وهم قوم ديدنهم الاعراض عن الحق والاصرار على الباطل ذلك اشارة الى ما مر من
التولي والاعراض وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم اي حاصل بسبب انهم قالوا لن تمسنا النار
باقتراف الذنوب وركوب المعاصي الا اياما معدودات مقدار عبادتهم العجل وقد مر اعتقادهم
على ذلك فهونوا عليهم الخطوب وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من قولهم ذلك وما اشبهه من قولهم
ان آباءنا الانبياء يشفعون لنا او ان الله تعالى وعد يعقوب عم ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم
ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من القبائح فكيف رد لقولهم المذكور وابطال لما غرهم باستعظام ما سيدهمهم
وتهويل لما سيحيق بهم من الاهوال اي فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم ليوم اي لجزاء يوم لا ريب فيه
اي في وقوعه ووقوع ما فيه روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفر راية اليهود
فيفضحهم الله تعالى على رؤوس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت اي جزاء ما كسبت

ما كسبت من غير نقص اصلا كما يزعمون وانما وضع المكسوب موضع جزائه للايذان بكمال الاتصال والتلازم
بينهما كأنهما شيء واحد وفيه دلالة على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية جزاء
ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي بعد الخلاص منها وهم اي كل الناس المدلول
عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة عذاب او بنقص ثواب بل يصيب كل منهم مقدار ما كسبه قل اللهم
الميم عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل كدخوله عليه مع حرف
التعريف وقطع همزته ودخول تاء القسم عليه وقيل اصله يا الله امنا بخير اي اقصدنا به فخفف بحذف حرف النداء
ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك اي مالك جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقيا بحيث تتصرف فيه كيف
ما تشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك ولا ممانع وهو نداء ثان عند سيبويه
فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك بيان لبعض وجوه التصرف الذي يستدعيه مالكية الملك وتحقيق
لاختصاصها به تعالى حقيقة وكون مالكية غيره بطريق المجاز كما ينبئ عنه ايثار الايتاء الذي هو مجرد الاعطاء
على التمليك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة من تشاء اي ايتاءه اياه وتنزع الملك ممن تشاء اي نزعه منه
فالملك الاول حقيقي عام ومملوكيته حقيقية والآخران مجازيان خاصان ونسبتهما الى صاحبهما مجازية وقيل
الملك الاول عام والآخران بعضان منه فتأمل وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى آخرين
وتعز من تشاء اي في الدنيا او في الآخرة او فيهما بالنصر والتوفيق وتذل من تشاء اي تذله في احديهما
او فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة بيدك الخير تعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص اي بقدرتك
الخير كله لا يقدر احد على شيء منه غيرك تتصرف فيه قبضا وبسطا حسبما تقتضيه مشيئتك وتخصيص الخير بالذكر لما انه مقضي
بالذات واما الشر فمقضي بالعرض اذ ما من شر جزئي الا وهو متضمن لخير كلي او لان في حصول الشر دخلا لصاحبه
في الجملة لانه من اجزية اعماله واما الخير ففضل محض او لرعاية الادب او لان الكلام فيه فانه روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من اهل المدينة اربعين ذراعا
واخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق صخرة كالتل لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يخبره فجاء صلى الله عليه وسلم واخذ منه المعول فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق اضاء
ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي قصور الحيرة كأنها
انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي
قصور صنعاء واخبرني جبريل عم ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم
الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق من
الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت انك على كل شيء قدير تعليل لما سبق وتحقيق له تولج الليل في النهار
اي تدخله فيه بتعقيبه اياه او بنقص الاول عن زيادة الثاني وتولج النهار في الليل على احد الوجهين وتخرج
الحي من الميت اي تنشئ الحيوانات من موادها او من النطفة وقيل تخرج المؤمن من الكافر وتخرج الميت من الحي
اي تخرج النطفة من الحيوان وقيل تخرج الكافر من المؤمن وترزق من تشاء بغير حساب قال ابو العباس المقري
ورد لفظ الحساب في القرآن على ثلاثة اوجه بمعنى التعب قال تعالى وترزق من تشاء بغير حساب وبمعنى العدد قال تعالى
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فامنن او امسك بغير حساب والباء متعلقة بمحذوف

دعي ظالما من فاعل شيء او من مفعوله وفيه دلالة على ان من قدر على امثال هاتيك الافاعيل العظام المحيرة
للعقول والافهام فقدرته على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم اهون من كل هين عن علي رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين من آل عمران شهد الله انه لا اله الا
هو الخ ولقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم الى قوله تعالى بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله تعالى
حجاب قلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله عز وجل اني حلفت انه لا يقرأكن احد دبر كل صلوة
الا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه واسكنته في حظيرة القدس ونظرت اليه بعيني كل يوم سبعين مرة وقضيت
له سبعين حاجة ادناها المغفرة واعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم وفي بعض الكتب انا الله ملك
الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم
عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم كما تكونون
يولى عليكم لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما من اسباب
المصادقة والمعاشرة كما في قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقوله تعالى لا تتخذوا
اليهود والنصارى اولياء حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم الا لله تعالى او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور
الدينية من دون المؤمنين في موضع الحال اي متجاوزين المؤمنين اليهم استقلالا او اشتراكا وفيه اشارة الى
انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء
والتعبير عنه بالفعل للاختصار او لايهام الاستهجان بذكره فليس من الله اي من ولايته تعالى في شيء يصح ان
يطلق عليه اسم الولاية فان موالاة المتعاديين مما لا يكاد يدخل تحت الوقوع قال تود عدوي ثم تزعم انني
صديقك ليس النوك عنك بعازب والجملة اعتراضية وقوله تعالى الا ان تتقوا على صيغة الخطاب بطريق الالتفات
استثناء مفرغ من اعم الاحوال والعامل فعل النهي معتبرا فيه الخطاب كانه قيل لا تتخذوهم اولياء ظاهرا وباطنا
في حال من الاحوال الا حال اتقائكم منهم اي من جهتهم تقاة اي اتقاء او شيئا يجب اتقاؤه على ان المصدر واقع موقع
المفعول فانه يجوز اظهار الموالاة حينئذ مع اطمئنان النفس بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا
واظهار ما في الضمير كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا واصل تقاة وقية ثم ابدلت الواو تاء كتخمة وتهمة
وقلبت الياء الفا وقرئ تقية ويحذركم الله نفسه اي ذاته المقدسة فان جواز اطلاق لفظ النفس مرادا
به الذات عليه سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين وقد صرح بعض محققي المتأخرين بعدم الجواز
وان اريد به الذات الا مشاكلة وفيه من التهديد ما لا يخفى عظمه وذكر النفس للايذان بان له عقابا هائلا لا يؤبه
دونه بما يحذر من الكفرة والى الله المصير تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومحقق لوقوعه حتما قل ان تخفوا ما في
صدوركم من الضمائر التي من جملتها ولاية الكفرة او تبدوه فيما بينكم يعلمه الله فيؤاخذكم بذلك عند مصيركم
اليه وتقديم الاخفاء على الابداء قد مر سره في تفسير قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه وقوله تعالى
يعلم ما يسرون وما يعلنون ويعلم ما في السموات وما في الارض كلام مستأنف غير معطوف على جواب الشرط وهو من
باب ايراد العام بعد الخاص تأكيدا له وتقريرا والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه ان لم تنتهوا
عما نهيتم عنه واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وهو تذييل لما قبله مبين لقوله
تعالى ويحذركم الله نفسه فان ذاته المقدسة المتميزة عن سائر الذوات المتصفة بما لا يتصف بشيء منها من العلم

الذاتي المتعلق بجميع المعلومات متصفة بالقدرة الذاتية الشاملة لجميع المقدورات بحيث لا يخرج من ملكوته شيء قط يوم
تجد كل نفس اي من النفوس المكلفة ما عملت من خير محضرا عندها بامر الله تعالى وفيه من التهويل ما ليس في حاضرا
وما عملت من سوء عطف على ما عملت والاحضار معتبر فيه ايضا الا انه خص بالذكر في الخير للاشعار بكون الخير
مرادا بالذات وكون احضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية تود عامل في الظرف والمعنى تود وتتمنى يوم تجد
صحائف اعمالها من الخير والشر او اجزيتها محضرة لو ان بينها وبينه اي بين ذلك اليوم امدا بعيدا لغاية هوله
وفي اسناد الودادة الى كل نفس سواء كان لها عمل سيء او لا بل كانت متمحضة في الخير من الدلالة على كمال فظاعة
ذلك اليوم وهول مطلعه ما لا يخفى اللهم انا نعوذ بك من ذلك ويجوز ان يكون انتصاب يوم على المفعولية باضمار اذكر
وتود اما حال من كل نفس او استئناف مبني على السؤال اي اذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير وشر محضرا
وادة ان بينها وبينه امدا بعيدا او كان سائلا قال حين امروا بذكر ذلك اليوم فماذا يكون لهم اذ ذاك فقيل تود لو ان
بينها الخ او تجد مقصورا على ما عملت من خير وتود خبرا لما عملت من سوء ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ
ودت فح يجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانها حكاية حال ماضية واوفق للقراءة المشهورة
ويحذركم الله نفسه تكرير لما سبق واعادة له لكن لا للتأكيد فقط بل لافادة ما يفيده قوله عز وجل والله رؤف
بالعباد من ان تحذيره تعالى من رأفته بهم ورحمته الواسعة او ان رأفته بهم لا تمنع تحقيق ما حذرهموه من عقابه وان
تحذيره ليس مبنيا على تناسي صفة الرأفة بل هو متحقق مع تحققها ايضا كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك
بربك الكريم فالجملة على الاول اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير الاسم الجليل لتربية المهابة قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال
الحقيقي ليس الا لله عز وجل وان كل ما يراه كمالا من نفسه او من غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله
وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت
مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله اي يرضى عنكم ويغفر لكم
ذنوبكم اي يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عنه بالمحبة
بطريق الاستعارة او المشاكلة والله غفور رحيم اي لمن يتحبب اليه بطاعته ويتقرب اليه باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم
فهو تذييل مقرر لما قبله مع زيادة وعد الرحمة ووضع الاسم الجليل موضع الضمير للاشعار باستتباع وصف
الالوهية للمغفرة والرحمة روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران
لما قالوا انا نعبد المسيح حبا لله تعالى وقيل في اقوام زعموا على عهده صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله تعالى فامروا
ان يجعلوا لقولهم مصداقا من العمل وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
وقف على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون للاصنام وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها
الشنوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام
فقالت قريش انما نعبدها حبا لله تعالى ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كنتم
تحبون الله تعالى وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني اي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله فانا رسوله اليكم
وحجته عليكم قل اطيعوا الله والرسول اي في جميع الاوامر والنواهي فيدخل في ذلك الطاعة في اتباعه
صلى الله عليه وسلم دخولا اوليا وايثار الاظهار على الاضمار بطريق الالتفات لتعيين حيثية الاطاعة والاشعار

بعلتها فان الطاعة المأمور بها اطاعته صلى الله عليه وسلم من حيث انه رسول الله لا من حيث ذاته ولا ريب
في ان عنوان الرسالة من موجبات الاطاعة ودواعيها. فان تولوا اما من تمام مقول القول فهي صيغة المضارع
المخاطب بحذف احدى التائين اي تتولوا واما كلام متفرع عليه مسوق من جهته تعالى فهي صيغة الماضي الغائب وفي ترك
ذكر احتمال الاطاعة كما في قوله تعالى فان اسلموا تلويح الى انه غير محتمل منهم فان الله لا يحب الكافرين نفي المحبة كناية
عن بغضه تعالى وسخطه عليهم اي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وايثار الاظهار على الاضمار لتعميم الحكم لكل الكفرة والاشعار
بعلته فان سخطه تعالى عليهم بسبب كفرهم والايذان بان التولي عن الطاعة كفر وبان محبته عز وجل مخصوصة بالمؤمنين
ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين لما بين الله عز وجل ان الدين المرضي عنده هو الاسلام
والتوحيد وان اختلاف اهل الكتابين فيه انما هو للبغي والحسد وان الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط باتباع
الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته شرع في تحقيق رسالته وكونه من اهل بيت النبوة القديمة فبدأ ببيان جلالة اقدار
الرسل عليهم الصلوة والسلام كافة واتبعه ذكر مبدأ امر عيسى عم وامه وكيفية دعوته للناس الى التوحيد
والاسلام تحقيقا للحق وابطالا لما عليه اهل الكتابين في شأنهما من الافراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم
في ابراهيم عم وادعائهم الانتماء الى ملته ونزه ساحته العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية ثم نص على
ان جميع الرسل عليهم السلام دعاة الى عبادة الله عز وجل وحده وطاعته منزهون عن احتمال الدعوة الى عبادة
انفسهم او غيرهم من الملائكة والنبيين وان اممهم قاطبة مأمورون بالايمان بمن جاءهم من رسول مصدق لما معهم
تحقيقا لوجوب الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه المصدق لما بين يديه من التورية والانجيل وتحتم الطاعة
له حسبما سيأتي تفصيله وتخصيص آدم عم بالذكر لانه ابو البشر ومنشأ النبوة وكذا حال نوح عم فانه آدم
الثاني واما ذكر آل ابراهيم فلترغيب المعترفين باصطفائهم في الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم واستمالتهم نحو
الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من زمرتهم مع ما فيه من التنبيه على كونه صلى الله عليه وسلم عريقا في النبوة من
زمرة المصطفين الاخيار واما ذكر آل عمران مع اندراجهم في آل ابراهيم فلاظهار مزيد الاعتناء بتحقيق امر عيسى عم
لكمال رسوخ الخلاف في شأنه فان نسبة الاصطفاء الى الاب الاقرب ادل على تحققه في الآل وهو الداعي الى اضافة
الآل الى ابراهيم دون نوح وآدم عم والاصطفاء اخذ ما صفا من الشيء كالاستصفاء مثل به اختياره تعالى
اياهم بالنفوس القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية والكمالات الجسمانية المستتبعة للرسالة في نفس المصطفى
كما في كافة الرسل عليهم السلام او فيمن يلابسه وينشأ منه كما في مريم عم وقيل اصطفى آدم عم بان خلقه
بيده في احسن تقويم وبتعليم الاسماء واسجاد الملائكة اياه واسكان الجنة واصطفى نوحا عم بكونه اول من
نسخ الشرائع اذ لم يكن قبل ذلك تزوج المحارم حراما وباطالة عمره وجعل ذريته هم الباقين واستجابة دعوته
في حق الكفرة والمؤمنين وحمله على متن الفلك والمراد بآل ابراهيم اسمعيل واسحق والانبياء من اولادهما الذين من جملتهم
النبي صلى الله عليه وسلم واما اصطفاء نفسه صلى الله عليه وسلم فمفهوم من اصطفائهم بطريق الاولوية وعدم
التصريح به للايذان بالغنى عنه لكمال شهرة امره في الخلة وكونه امام الانبياء وقدوة الرسل عم وكون
اصطفاء آل ابراهيم بدعوته بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا دعوة
ابي ابراهيم وبآل عمران عيسى وامه مريم ابنة عمران بن ماثان بن العازر بن ابي هود بن زرب بابل بن ساليان
بن يوحنا بن اوشا بن امون بن منشكن بن حازقا بن احاز بن يوثام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا

بن ايشا بن رحبعم بن سليمان بن داود عليهما السلام ابن ايشا بن عويد بن سلمون بن ناعر بن يحشون بن عمياداب
بن رام بن حضروم بن فارص بن يهوذا بن يعقوب عم وقيل موسى وهرون عليهما السلام ابنا عمران بن يصهر بن
فاهث بن لاوي بن يعقوب عم وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة فيكون اصطفاء عيسى عم حينئذ بالاندراج
في آل ابراهيم عم والاول هو الاظهر بدليل تعقيبه بقصة مريم واصطفاء موسى وهرون عم بالانتظام في
سلك آل ابراهيم عم انتظاما ظاهرا والمراد بالعالمين اهل زمان كل واحد منهم اي اصطفى كل واحد منهم على عالمي
زمانه ذرية نصب على البدلية من الآلين او على الحالية منهما وقد مر بيان اشتقاقها في قوله تعالى ومن ذريتي
وقوله تعالى بعضها من بعض في محل النصب على انه صفة لذرية اي اصطفى الآلين حال كونهم ذرية متسلسلة
متشعبة البعض من البعض في النسب كما ينبئ عنه التعرض لكونهم ذرية وقيل بعضها من بعض في الدين فالاسناد على
الوجه الاول تفريعية وعلى الثاني برهانية والله سميع لاقوال العباد عليم باعمالهم البادية والخافية فيصطفي
من بينهم لخدمته من يعلم استقامته قولا وفعلا على نهج قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته والجملة تذييل
مقرر لمضمون ما قبلها اذ قالت امرأت عمران في حيز النصب على المفعولية بفعل مقدر على طريقة الاستيناف
لتقرير اصطفاء آل عمران وبيان كيفيته اي اذكر لهم وقت قولها الخ وتقدم مرارا وجه توجيه التذكير الى الاوقات
مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث وقيل هو منصوب على الظرفية لما قبله اي سميع لقولها المحكي
عليم بضميرها المنوي وقيل هو ظرف لمعنى الاصطفاء المدلول عليه باصطفى المذكور كانه قيل واصطفى آل عمران
اذ قالت الخ فكان من عطف الجمل على الجمل دون عطف المفردات ليلزم كون اصطفاء الكل في ذلك الوقت وامرأة
عمران هي حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عم وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون عليهما السلام
فظن ان المراد زوجته وليس بذاك فان قصة كفالة زكريا عم قاضية بانها زوجة عمران بن ماثان لانه عم
كان معاصرا له وقد تزوج ايشاع اخت حنة ام يحيى عم واما قوله صلى الله عليه وسلم في شأن يحيى وعيسى
عليهما السلام هما ابنا خالة فقيل تأويله ان الاخت كثيرا ما تطلق على بنت الاخت وبهذا الاعتبار جعلا
ابني خالة وقيل كانت ايشاع اخت حنة من الام واخت مريم من الاب على ان عمران نكح اولا ام حنة فولدت
له ايشاع ثم نكح حنة بناء على حل نكاح الربائب في شريعتهم فولدت مريم فكانت ايشاع اخت مريم من
الاب وخالتها من الام لانها اخت حنة من الام روي انها كانت عجوزا عاقرا فبينما هي ذات يوم في ظل
شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته وقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان
اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان ثم هلك عمران
وهي حامل رب اني نذرت لك ما في بطني لابد من حمله على التحقيق لتأكيد نذرها واخراجه عن صورة
التعليق المحضة الى التنجيز والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى
ضميرها لتحريك سلسلة الاجابة ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله بما يناسبه
من اسمائه وصفاته وتأكيد الجملة لابراز وفور الرغبة في مضمونها وتقديم الجار والمجرور لكمال الاعتناء به
وما عبر عن الولد بما لابهام امره وقصوره عن درجة العقلاء محررا اي معتقا لخدمة بيت المقدس لا اشتغل
بشأن آخر او مخلصا للعبادة ونصبه على الحالية من الموصول والعامل فيه نذرت وقيل من ضميره في الصلة
والعامل معنى الاستقرار فانها في قوة ما استقر في بطني فلا يخفى ان المراد تقييد فعلها بالتحرير لتحصيله

التقرب اليه تعالى لا تقييدها لا دخل لها فيه من الاستقرار في بطنها. فتقبل مني اي ما نذرته والتقبل اخذ الشيء على وجه
الرضى وهذا في الحقيقة استدعاء للولد اذ لا يتصور القبول بدون تحقق المقبول بل للولد الذكر لعدم قبول الانثى انك انت
السميع لجميع المسموعات التي من جملتها تضرعي ودعائي العليم بكل المعلومات التي من زمرتها ما في ضميري لا غير وهو تعليل لاستدعاء
القبول لا من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائها عليما بما في ضميرها مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نيتها
واخلاصها مستدع لذلك تفضلا واحسانا وتأكيد الجملة لعرض قوة يقينها بمضمونها وقصر صفتي السمع والعلم عليه تعالى
لعرض اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها عما عداه بالكلية مبالغة في الضراعة والابتهال فلما وضعتها
اي ما في بطنها وتأنيث الضمير العائد اليه لما ان المقام يستدعي ظهور انوثته واعتباره في حيز الشرط اذ عليه يترتب جوابه
لما اعني قوله تعالى قالت رب اني وضعتها انثى لا على وضع ولدها كما انه قيل فلما وضعت بنتا قالت الخ وقيل تأنيثه
لان ما في بطنها كان انثى في علم الله تعالى او لانه مؤول بالحبلة او النفس او النسمة وانت خبير بان اعتبار شيء مما ذكر في
حيز الشرط لا يكون مدارا لترتب الجواب عليه وقوله تعالى انثى حال مؤكدة من الضمير او بدل منه وتأنيثه لما مر من الى
غرضها وهو عرض خيبة الرجاء او لما مر من التأويل بالحبلة او النسمة فالحال حينئذ مبينة وانما قالته تحزنا وتحسرا على خيبة
رجائها وعكس تقديرها لما كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة والتأكيد للرد على اعتقادها
الباطل والله اعلم بما وضعت تعظيم من جهته تعالى لموضوعها وتفخيم لشأنه وتجهيل لها بقدره اي والله اعلم بالشيء الذي
وضعته وما علق به من عظائم الامور وجعله وابنه آية للعالمين وهي غافلة عن ذلك والجملة اعتراضية وقرئ وضعت
على خطاب الله تعالى لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما اودع الله فيه من علو الشأن وسمو المقدار وقرئ
وضعت على صيغة التكلم مع الالتفات من الخطاب الى الغيبة اظهارا لغاية الاجلال فيكون ذلك منها اعتذارا الى الله تعالى
حيث اتت بمولود لا يصلح لما نذرته من السدانة او تسلية لنفسها على معنى لعل لله تعالى فيه سرا وحكمة ولعل هذه
الانثى خير من الذكر فوجه الالتفات حينئذ ظاهر وقوله تعالى وليس الذكر كالانثى اعتراض آخر مبين لما في الاول من تعظيم
الموضوع ورفع منزلته واللام في الذكر والانثى للعهد اي ليس الذكر الذي كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالا قصاراه
ان يكون كواحد من السدنة كالانثى التي وهبت لها فان دائرة علمها وامنيتها لا تكاد تحيط بما فيها من جلائل الامور
هذا على القراءتين الاوليين واما على التفسير الاخير للقراءة الاخيرة فمعناه وليس الذكر كهذه الانثى في الفضيلة بل ادنى
منها واما على التفسير الاول لها فمعناه تأكيد الاعتذار ببيان ان الذكر ليس كالانثى في الفضيلة والمزية وصلاحية
خدمة المتعبدات فانهن بمعزل من ذلك فاللام للجنس وقوله تعالى واني سميتها مريم عطف على اني وضعتها انثى
ومقصودها من عرضها على علام الغيوب التقرب اليه تعالى واستدعاء العصمة لها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة قال
القرطبي معناه خادم الرب واظهار انها غير راجعة عن نيتها وان كان ما وضعته انثى وانها ان لم تكن خليقة بسدانة
بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه واني اعيذها بك عطف على اني سميتها ومجيئه بصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار
اي اجيرها بحفظك وقرئ بفتح ياء المتكلم في المواضع التي بعدها همزة مضمومة الا في موضعين بعهدي اوف وآتوني
افرغ وذريتها عطف على الضمير وتقديم الجار والمجرور عليه لابراز كمال العناية به من الشيطان الرجيم اي المطرود
واصل الرجم الرمي بالحجارة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا
من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما
ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها اي اخذ مريم ورضي بها في النذر مكان الذكر ربها مالكها ومبلغها الى كمالها اللائق

اللائق وفيه من تشريفها ما لا يخفى بقبول حسن قيل الباء زائدة والقبول مصدر مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد
اي تقبلها قبولا حسنا وانما عدل عن الظاهر للايذان بمقارنة التقبل لكمال الرضى وموافقته للعناية الذاتية فان صيغة
التفعل مشعرة بحسب اصل الوضع بالتكلف وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل وان كان المراد بها في حقه تعالى ما يترتب عليه
من كمال قوة الفعل وكثرته وقيل القبول ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد به وهو اختصاصه تعالى اياها
باقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة
روي ان حنة حين ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس
كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان
كانت رؤوس بني اسرائيل وملوكهم وقيل لانهم وجدوا امرها وامر عيسى ع م في الكتب الالهية فقال زكريا ع م انا احق بها عندي
خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ع م ورسبت
اقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر وفيه مضاف مقدر اي فتقبلها بذي قبول اي بامر ذي قبول حسن وقيل تقبل استقبل
كتقضى بمعنى استقضى وتعجل بمعنى استعجل اي استقبلها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها مجاز عن تربيتها
بما يصلحها في جميع احوالها نباتا حسنا مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد وقيل بل لفعل مضمر موافق
له تقديره فنبتت نباتا حسنا وكفلها زكريا اي جعله ع م كافلا لها وضامنا لمصالحها قائما بتدبير امورها على
طريقة الوحي بناء على ما ذكر من التفصيل فان رغبته ع م في كفالتها وطفو قلمه ورسوب اقلامهم وغير ذلك من الامور
الجارية بينهم كلها من آثار قدرته تعالى وقرئ كفلها وقرئ زكرياء بالنصب والمد وقرئ بتخفيف الفاء وكسرها ورفع زكرياء
ممدودا وقرئ فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على صيغة الامر في الكل ونصب ربها على الدعاء اي فاقبلها يا ربها وربها
تربية حسنة واجعل زكريا كافلا لها فهو تعيين لجهة التربية قيل بنى ع م لها محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها
بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى
المحاريب روي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب كلما دخل عليها زكريا
المحراب تقديم الظرف على الفاعل لاظهار كمال العناية بامرها ونصب المحراب على التوسع وكلما ظرف على ان ما
مصدرية والزمان محذوف او نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف والعامل فيها جوابها اي كل زمان
دخوله عليها او كل وقت دخل عليها فيه وجد عندها رزقا اي نوعا منه غير معتاد اذ كان ينزل ذلك
من الجنة وكان يجد عندها في الصيف فاكهة الشتاء وفي الشتاء فاكهة الصيف ولم ترضع ثديا قط قال
يا مريم استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال زكريا ع م عند مشاهدة هذه الآية فقيل قال انى لك هذا
اي من اين يجيء لك هذا الذي لا يشبه ارزاق الدنيا والابواب مغلقة دونك وهو دليل على جواز الكرامة
للاولياء ومن انكرها جعل هذا ارهاصا وتأسيسا لرسالة عيسى ع م ولعل جعله معجزة لزكريا يأباه اشتباه
الامر عليه ع م وانما خاطبها ع م بذلك مع كونها من شأنه الخطاب لما علمها بما شاهده انها مؤيدة من عند الله تعالى
بالعلم والقدرة قالت استئناف كما قبله كأنه قيل فماذا صنعت مريم وهي صغيرة لا قدرة لها على فهم السؤال
ورد الجواب فقيل قالت هو من عند الله فلا تعجب ولا تستبعد ان الله يرزق من يشاء بغير حساب
اي بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا منه تعالى وهو تعليل لكونه من عند الله اما من تمام كلامها فيكون
في محل النصب واما من كلامه عز وجل فهو مستأنف روي ان فاطمة الزهراء رضي الله عنها اهدت الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها إليها فقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء
خبزا ولحما فقال لها أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال صلى الله عليه وسلم
الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني إسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين
وجميع أهل بيته فأكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو فأوسعت على جيرانها. هنالك كلام مستأنف وقصة
مستقلة سيقت في تضاعيف حكايتها لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتباك مع ما في إيرادها من
تقرير ما سيقت له حكايتها من بيان اصطفاء آل عمران فإن فضائل بعض الأقرباء أدلة على فضائل الآخرين
وهنا ظرف مكان واللام للدلالة على البعد والكاف للخطاب أي في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في
المحراب أو في ذلك الوقت إذ يستعار هنا وثمة وحيث للزمان. دعا زكريا ربه لما رأى كرامة مريم على الله
ومنزلتها منه تعالى رغب في أن يكون له من إيشاع ولد مثل ولد حنة في النجابة والكرامة على الله تعالى وإن كانت
عاقرا عجوزا فقد كانت حنة كذلك وقيل لما رأى الفواكه في غير أوانها انتبه لجواز ولادة العجوز العاقر من الشيخ الفاني
فأقبل على الدعاء من غير تأخير كما ينبئ عنه تقديم الظرف على الفعل لا على معنى أن ذلك كان هو الموجب للإقبال
على الدعاء فقط بل كان جزءا أخيرا من العلة التامة التي من جملتها كبر سنه عم وضعف قواه وخوف مواليه حسبما
فصل في سورة مريم. قال تفسير للدعاء وبيان لكيفيته لا محل له من الإعراب. رب هب لي من لدنك كلا الجارين متعلق
بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا أي أعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد
ذرية طيبة كما وهبتها لحنة ويجوز أن يتعلق من بمحذوف وقع حالا من ذرية أي كائنة من لدنك والذرية النسل
تقع على الواحد والجمع والذكر والأنثى والمراد هاهنا ولد واحد فالتأنيث في الصفة لتأنيث لفظ الموصوف كما في قول
من قال أبوك خليفة ولدته أخرى وأنت خليفة ذاك الكمال وهذا إذا لم يقصد به واحد معين أما إذا قصد به المعين
امتنع اعتبار اللفظ نحو طلحة وحمزة فلا يجوز أن يقال جاءت طلحة وذهبت حمزة. إنك سميع الدعاء أي مجيبه وهو
تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الإجابة. فنادته الملائكة كان المنادي جبريل عم كما يفصح عنه قراءة من قرأ فناداه
جبريل والجمع كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله غير فرس وثوب قال الزجاج أي أتاه النداء من هذا
الجنس الذي هم الملائكة وقيل لما كان جبريل عم رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيما له وقيل الرئيس لا بد له من
أتباع فأسند النداء إلى الكل مع كونه صادرا من الخاصة وقرئ فناداه بالإمالة. وهو قائم جملة حالية من مفعول
النداء مقررة لما أفاده الفاء من حصول البشارة عقيب الدعاء. وقوله تعالى يصلي إما صفة لقائم أو خبر ثان عند من
يرى تعدده عند كون الثاني جملة كما في قوله تعالى فإذا هي حية تسعى أو حال أخرى منه على القول بتعددها بلا عطف
ولا بدلية أو حال من المستكن في قائم. وقوله تعالى في المحراب أي في المسجد أو في غرفة مريم متعلق بيصلي أو بقائم على
تقدير كون يصلي حالا من ضمير قائم لأن العامل فيه وفي الحال شيء واحد فلا يلزم الفصل بالأجنبي كما يلزم على
التقادير الباقية. أن الله يبشرك بيحيى أي بأن الله وقرئ بكسر الهمزة على تقدير القول وإجراء النداء مجراه لكونه
نوعا منه وقرئ يبشرك من الإبشار ويبشرك من الثلاثي وأياما كان فينبغي أن يكون هذا الكلام إلى آخره محكيا
بعبارته من رب العزة عز وجل على منهاج قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية
كما يلوح به مراجعته عم في الجواب إليه تعالى بالذات لا بواسطة الملك والعدول عن إسناد التبشير إلى نون العظمة حسبما
وقع في سورة مريم للجري على سنن الكبرياء كما في قول الخلفاء أمير المؤمنين يرسم لك كذا وللإيذان بأن ما حكي هاهنا

هنالك من النداء والتبشير وما يترتب عليه من المحاورة كان كل ذلك بتوسط الملك بطريق الحكاية منه سبحانه لا بالذات
كما هو المتبادر وبهذا يتضح اتحاد المعنى في السورتين الكريمتين فتأمل. ويحيى اسم أعجمي وإن جعل عربيا فمنع صرفه
للتعريف ووزن الفعل روي عن ابن عباس رضي الله عنهما إنما سمي يحيى لأن الله تعالى أحيى به عقر أمه وقال قتادة
لأنه تعالى أحيى قلبه بالإيمان قال القرطبي كان اسمه في الكتاب الأول حيا ولا بد من تقدير مضاف يعود إليه الحال أي بولادة
يحيى فإن التبشير لا يتعلق بالأعيان. مصدقا حال مقدرة من يحيى. بكلمة من الله أي بعيسى عم وإنما سمي كلمة لأنه وجد
بكلمة كن من غير أب فشابه البديعيات التي هي عالم الأمر ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة أي
كائنة منه تعالى قيل هو أول من آمن به وصدق بأنه كلمة الله وروح منه وقال السدي لقيت أم يحيى أم عيسى فقالت
يا مريم أشعرت بحبلي فقالت مريم وأنا أيضا حبلى فإني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى
مصدقا بكلمة الخ وقال ابن عباس رض أن يحيى كان أكبر من عيسى عليهما السلام بستة أشهر وقيل بثلاث سنين وقيل قبل
رفع عيسى عم بمدة يسيرة وعلى كل تقدير يكون بين ولادة يحيى وبين البشارة بها زمان مديد لأن مريم ولدت
وهي بنت ثلاث عشرة سنة أو بنت عشر سنين وقيل بكلمة من الله أي بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته
وسيدا عطف على مصدقا أي رئيسا يسود قومه ويفوقهم في الشرف وكان فائقا للناس قاطبة فإنه لم يلم
بخطيئة ولم يهم بمعصية فيا لها من سيادة ما أسناها. وحصورا عطف على ما قبله أي مبالغا في حصر النفس وحبسها
عن الشهوات مع القدرة روي أنه مر في صباه بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال ما للعب خلقت. ونبيا عطف
على ما قبله مترتب على ما عدد من الخصال الحميدة. من الصالحين أي ناشئا منهم لأنه كان من أصلاب الأنبياء عليهم السلام
أو كائنا من جملة المشهورين بالصلاح كما في قوله تعالى وإنه في الآخرة لمن الصالحين والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح
الذي لا بد منه في منصب النبوة البتة من أقاصي مراتبه وعليه مبنى دعاء سليمان عم وأدخلني برحمتك في عبادك
الصالحين. قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال زكريا عم حينئذ فقيل قال. رب لم يخاطب الملك المنادي له
بلا بيانه أنه المباشر للخطاب وإن كان ذلك بطريق الحكاية عنه تعالى بل جرى على نهج دعائه السابق مبالغة في التضرع
والمناجاة وجدا في التبتل إليه تعالى واحترازا عما عسى يوهم خطابه الملك من توهم أن علمه سبحانه بما يصدر عنه يتوقف
على توسطه كما يتوقف وقوف البشر على ما يصدر عنه سبحانه على توسطه في عامة الأحوال وإن لم يتوقف في بعضها
أنى يكون لي غلام فيه دلالة على أنه قد أخبر بكونه غلاما عند التبشير كما في قوله تعالى إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى
وأنى بمعنى كيف أو من أين وكان تامة وأنى واللام متعلقان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم
والتشويق إلى ما أخر أي كيف أو من أين يحدث لي غلام ويجوز أن يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام إذ لو تأخر
لكان صفة له وأن تكون ناقصة واسمها ظاهر وخبرها إما أنى واللام متعلقة بمحذوف كما مر أو هو الخبر وأنى منصوب على الظرفية
وقد بلغني الكبر حال من ياء المتكلم أي أدركني كبر السن وأثر في كقولهم أدركته السن وأخذته السن وفيه دلالة
على أن كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت طالب للإنسان لا يكاد يتركه قيل كان له تسع وتسعون سنة وقيل
اثنتان وتسعون وقيل مائة وعشرون وقيل ستون وقيل خمس وستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس
وثمانون ولامرأته ثمان وتسعون. وامرأتي عاقر أي ذات عقر وهو أيضا حال من ياء لي عند من يجوز تعدد الحال
أو من ياء بلغني أي كيف يكون لي ذلك والحال أني وامرأتي على حالة منافية له كل المنافاة وإنما قاله عم مع تيقنه
بذلك وثوقه بقدرة الله تعالى عليه لا سيما بعد مشاهدته عم للشواهد السالفة استعظاما لقدرة الله تعالى وتعجيبا

منها واعتداداً بنعمة عز وجل عليه في لا استبعاداً له وقيل بل كان ذلك للاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون
سنة وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد وقيل كان ذلك استفهاماً عن كيفية حدوثه قال أي الله تعالى كما سلف كذلك
إشارة إلى مصدر يفعل في قوله عز وجل الله يفعل ما يشاء أي ما يشاء أن يفعله من العجائب والأفاعيل الخارقة للعادات
فالله مبتدأ ويفعل خبره والكاف في محل النصب على أنها في الأصل نعت لمصدر محذوف أي الله يفعل ما يشاء أن يفعله فعلاً
مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذي هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر فقدم على العامل لإفادة القصر بالنسبة
إلى ما هو أدنى من المشار إليه واعتبرت الكاف مقحمة لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة وقد مر تحقيقه في تفسير
قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً أو على أنها حال من ضمير المصدر المقدر معرفة أي يفعل الفعل كائناً مثل ذلك
أو في محل الرفع على أنها خبر والجلالة مبتدأ أي على نحو هذا الشأن البديع شأن الله تعالى ويفعل ما يشاء بيان
لذلك الشأن المبهم أو كذلك خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر كذلك وقوله تعالى الله يفعل ما يشاء بيان له. قال رب اجعل
لي آية أي علامة تدلني على تحقق المسؤول ووقوع الحبل وإنما سألها لأن العلوق أمر خفي لا يوقف عليه فأراد
أن يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة من حين حصولها بالشكر ولا يؤخره إلى أن يظهر ظهوراً معتاداً
ولعل هذا السؤال وقع بعد البشارة بزمان مديد إذ به يظهر ما ذكر من كون التفاوت بين سني يحيى وعيسى عم
بستة أشهر أو بثلاث سنين لأن ظهور العلامة كان عقيب تعيينها لقوله تعالى في سورة مريم فخرج على قومه من المحراب
فأوحى إليهم الآية اللهم إلا أن يكون المحاورة بين زكريا ومريم في حالة كبرها وقد عدت من جملة من تكلم في
الصغر بموجب قولها المحكي والجعل إبداعي واللام متعلقة به والتقديم لما مر مراراً من الاعتناء بما قدم والتشويق
إلى ما أخر أو بمحذوف وقع حالاً من آية وقيل هو بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين أولهما آية وثانيهما الظرف المتقدم
لأنه لا مسوغ لكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة إلى مبتدأ وخبر سوى تقديم الجار فلا يتغير حالهما بعد
دخول الناسخ قال آيتك ألا تكلم الناس أي أن لا تقدر على تكليمهم ثلاثة أيام أي متوالية لقوله تعالى
في سورة مريم ثلاث ليال سوياً مع القدرة على الذكر والتسبيح وإنما جعلت آيته ذلك لتخليص المدة لذكر الله
وشكره قضاء لحق النعمة كأنه قيل آية حصول المطلوب ووصول النعمة أن تحبس لسانك إلا عن شكرها وأحسن
الجواب ما اشتق من السؤال إلا رمزاً أي إشارة بيد أو رأس أو نحوهما وأصله التحرك يقال ارتمز أي تحرك ومنه
قيل للبحر الراموز وهو استثناء منقطع لأن الإشارة ليست من قبيل الكلام أو متصل على أن المراد بالكلام ما فهم منه
المرام ولا ريب في كون الرمز من ذلك القبيل وقرئ رمزاً بفتحتين على أنه جمع رامز كخادم وخدم وبضمتين على أنه جمع
رموز كرسل على أنه حال منه ومن الناس معاً بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف أليتيك
وتستطارا واذكر ربك في أيام الحبسة شكراً لحصول التفضل والإنعام كما يؤذن به التعرض لعنوان الربوبية
كثيراً أي ذكراً كثيراً أو زماناً كثيراً وسبح أي سبحه تعالى أو افعل التسبيح بالعشي أي من الزوال إلى الغروب
وقيل من العصر إلى ذهاب صدر الليل والإبكار من طلوع الفجر إلى الضحى وقيل المراد بالتسبيح الصلاة بدليل
تقييده بالوقت كما في قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقيل الذكر اللساني كما أن المراد بالذكر
الذكر القلبي وقرئ والأبكار بفتح الهمزة على أنه جمع بكر كسحر وأسحار. وإذ قالت الملائكة شروع في شرح
بقية أحكام اصطفاء آل عمران إثر الإشارة إلى بعض فضائل بعض أقاربهم أعني زكريا ويحيى عليهما السلام
لاستدعاء المقام إياها حسبما أشير إليه وقرئ بتذكير الفعل على ما مر والملائكة جبريل عم وتقدم ما فيه من الكلام

وإذ منصوب بمضمر معطوف على المضمر السابق وعطف القصة على القصة وقيل معطوف على الظرف السابق أعني
قوله تعالى إذ قالت امرأة عمران منصوب بناصبه فتدبر أي واذكر أيضاً من شواهد اصطفائهم وقت قول الملائكة
عليهم السلام يا مريم ونكر التذكير للإشعار بمزيد الاعتناء بما يحكى من أحكام الاصطفاء والتنبيه على استقلالها
وانفرادها عن الأحكام السابقة فإنها من أحكام التربية الجسمانية اللائقة بحال صغرها عم وهذه من باب التربية
الروحانية بالتكاليف الشرعية المتعلقة بحال كبرها قيل كلموها شفاهاً كرامة لها أو إرهاصاً لنبوة عيسى عم لمكان
الإجماع على أنه تعالى لم يستنبئ امرأة وقيل ألهموها إن الله اصطفاك أولاً حيث تقبلك من أمك بقبول حسن
ولم يتقبل غيرك أنثى ورباك في حجر زكريا عم ورزقك من رزق الجنة وخصك بالكرامات السنية وطهرك أي
مما يستقذر من الأحوال والأفعال ومما قذفك به اليهود بإنطاق الطفل واصطفاك آخراً على نساء العالمين
بأن وهب لك عيسى عم من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء وجعلكما آية للعالمين فعلى هذا ينبغي أن يكون
تقديم حكاية هذه المقاولة على حكاية بشارتها بعيسى عم لما مر مراراً من التنبيه على أن كلاً منهما مستحق للاستقلال
بالتذكير ولو روعي الترتيب الخارجي لتبادر كون الكل شيئاً واحداً وقيل المراد بالاصطفاءين واحد والتكرير
للتأكيد وتبيين من اصطفاها عليهن فحينئذ لا إشكال في ترتيب النظم الكريم إذ يحمل الاصطفاء على ما ذكر أولاً
فيحمل هذه المقاولة قبل بشارتها بعيسى عم إيذاناً بكونها قبل ذلك متوفرة على الطاعات والعبادات حسبما أمرت
بها مجتهدة فيها مقبلة على الله تعالى متبتلة إليه تعالى منسلخة عن أحكام البشرية مستعدة لفيضان الروح عليها
يا مريم تكرير النداء للإيذان بأن المقصود بالخطاب ما يرد بعده وأن ما قبله من تذكير النعمة كان تمهيداً لذكره
وترغيباً في العمل بموجبه اقنتي لربك أي قومي في الصلاة أو أطيلي القيام فيها له تعالى والتعرض لعنوان الربوبية
تعالى لها للإشعار بعلة وجوب الامتثال بالأمر واسجدي واركعي مع الراكعين أمرت بالصلاة بالجماعة بذكر
أركانها مبالغة في المحافظة عليها وإيذاناً بفضيلة كل منها وأصالته وتقديم السجود على الركوع إما لكون الترتيب
في شريعتهم كذلك وإما لكون السجود أفضل أركان الصلاة وأقصى مراتب الخضوع ولا يقتضي ذلك كون الترتيب
الخارجي كذلك بل اللائق به الترقي من الأدنى إلى الأعلى وإما ليقترن اركعي بالراكعين للإشعار بأن من لا ركوع
في صلاتهم ليسوا مصلين وأما ما قيل من أن الواو لا توجب الترتيب فغايته التصحيح لا الترجيح وتخصيص الأمر
بالركنين الأخيرين عما قيد به الأول لما أن المراد تقييد الأمر بالصلاة بذلك وقد فعل حيث قيد به الركن
الأول منها وقيل المراد بالقنوت إدامة الطاعة كما في قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً
وبالسجود الصلاة لما مر من أنه أفضل أركانها وبالركوع الخشوع والإخبات قيل لما أمرت بذلك قامت في الصلاة
حتى ورمت قدماها وسالت دماً وقيحاً ذلك إشارة إلى ما سلف من الأمور البديعة وما فيه من معنى
البعد للتنبيه على علو شأن المشار إليه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى من أنباء الغيب
أي من الأنباء المتعلقة بالغيب لجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب وقوله تعالى نوحيه إليك جملة مستقلة مبينة
للأولى وقيل الخبر هو الجملة الثانية ومن أنباء الغيب إما متعلق بنوحيه وإما حال من ضميره أي نوحيه من أنباء الغيب
أو نوحيه حال كونه من جملة أنباء الغيب وصيغة الاستقبال للإيذان بأن الوحي لم ينقطع بعد وما كنت لديهم
أي عند الذين اختلفوا وتنازعوا في تربيتها وهو تقرير وتحقيق لكونه وحياً على طريقة التهكم بمنكريه
كما في قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي الآية وما كنت ثاوياً في أهل مدين الآية فإن طريق معرفة أمثال هذه

الحوادث والوقائع إما المشاهدة وإما السماع وعدمه محقق عندهم فبقي احتمال المعاينة المستحيلة ضرورة فنفيت
تهكما بهم إذ يلقون أقلامهم ظرف للاستقرار العامل في لديهم والأقلام هي أقداحهم التي اقترعوا بها وقيل اقترعوا
بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة تبركا أيهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم أي يلقونها
ينظرون أو ليعلموا أيهم يكفلها وما كنت لديهم إذ يختصمون أي في شأنها تنافسا في كفالتها حسبما ذكر فيما سبق
وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق المقصود بعطف إذ يختصمون على إذ يلقون كما في قوله عز وجل نحن أعلم بما يستمعون
به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى للدلالة على أن كل واحد من عدم حضوره صلى الله عليه وسلم عند إلقاء
الأقلام وعدم حضوره عند الاختصام مستقل بالشهادة على نبوته عم لا سيما إذا أريد باختصامهم تنازعهم
قبل الاقتراع فإن تغيير الترتيب في الذكر مؤكد له إذ قالت الملائكة شروع في قصة عيسى عم وهو بدل من
وإذ قالت الملائكة منصوب بناصبه وما بينهما اعتراض جيء به تقريرا لما سبق وتنبيها على استقلاله وكونه حقيقا
بأن يعد على حياله من شواهد النبوة ونزل العاطف بينهما بناء على اتحاد المخاطِب والمخاطَب وإيذانا بتقارن الخطابين
أو تقارنهما في الزمان وقيل منصوب بمضمر معطوف على ناصبه وقيل بدل من إذ يختصمون على أنه قيل وما كنت حاضرا
في ذلك الزمان المديد الذي وقع في طرف منه الاختصام وفي طرف آخر هذا الخطاب إشعارا بإحاطته عم بتفاصيل
أحوال مريم عم من أوائلها إلى أواخرها والقائل جبريل عم وإيراد صيغة الجمع لما مر يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه
من لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة أي بكلمة كائنة منه عز وجل اسمه ذكر الضمير
الراجع إلى الكلمة لكونها عبارة عن مذكر وهو مبتدأ خبره المسيح وقوله تعالى عيسى بدل منه أو عطف بيان
وقيل خبر آخر وقيل خبر مبتدأ محذوف وقيل منصوب بإضمار أعني مدحا وقوله تعالى ابن مريم صفة لعيسى عم
وقيل المراد بالاسم ما يتميز به المسمى عمن سواه فالخبر حينئذ مجموع الثلاثة إذ هو المميز له عم تمييزا عن جميع ما عداه
والمسيح لقبه عم وهو من الألقاب المشرفة كالصديق وأصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب
من ايشوع والتصدي لاشتقاقهما من المسح والعيس وتعليله بأنه عم مسح بالبركة أو بما يطهره من الذنوب أو
مسح الأرض ولم يقم في موضع أو كان من مسح ذا العاهة فيبرأ وبأنه كان في لونه عيس
أي بياض يعلوه حمرة من قبيل الرقم على الماء وإنما قيل ابن مريم مع كون الخطاب لها تنبيها على أنه يولد من غير أب
فلا ينسب إلا إلى أمه وبذلك فضلت على نساء العالمين وجيها في الدنيا والآخرة ذو الجاه وهو القوة والمنعة
والشرف وهو حال مقدرة من كلمة فإنها وإن كانت نكرة لكنها صالحة لأن ينتصب بها الحال وتذكيرها باعتبار المعنى
والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة ومن المقربين
أي من الله عز وجل قيل هو إشارة إلى رفعه عم إلى السماء وصحبة الملائكة وهو عطف على الحال الأولى ونظيره عطف
قوله تعالى ويكلم الناس في المهد وكهلا أي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الأنبياء من غير تفاوت والمهد
مصدر سمي به ما يمهد للصبي أي يسوى من مضجعه وقيل إنه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وفي ذكر
أحواله المختلفة المتنافية إشارة إلى أنه بمعزل من الألوهية ومن الصالحين حال أخرى من كلمة معطوفة على
الأحوال السابقة أو من الضمير في يكلم قالت استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قالت حين قالت
لها الملائكة ما قالت فقيل قالت متضرعة إلى ربها رب أنى يكون لي ولد أي كيف يكون أو من أين يكون لي ولد
على وجه الاستبعاد العادي والتعجب واستعظام قدرة الله عز وجل وقيل على وجه الاستفهام والاستفسار بأنه

بأنه بالتزوج أو بغيره ويكون إما تامة وأنى واللام متعلقتان بها وتأخير الفاعل عن الجار والمجرور لما مر من الاعتناء بالمقدم
والتشويق إلى المؤخر ويجوز أن يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من ولد إذ لو تأخر لكان صفة له وإما ناقصة واسمها
ولد وخبرها إما أنى واللام متعلقة بمضمر وقع حالا كما مر أو خبر وأنى نصب على الظرفية وقوله تعالى ولم يمسسني
بشر جملة حالية محققة للاستبعاد أي على الحالة التي هي منافية للولادة قال استئناف كما سلف والقائل
هو الله تعالى أو جبريل عم كذلك الله يخلق ما يشاء الكلام في إعرابه كما مر في قصة زكريا عم بعينه خلا أن إيراد يخلق
هنا مكان يفعل هناك لما أن ولادة العذراء من غير أن يمسها بشر أبدع وأغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ فان
فكان الخلق المنبئ عن الاختراع أنسب بهذا المقام من مطلق الفعل ولذلك عقب ببيان كيفيته فقيل إذا قضى
أمرا من الأمور أي أراد شيئا كما في قوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئا وأصل القضاء الإحكام أطلق على الإرادة الإلهية
القطعية المتعلقة بوجود الشيء لإيجابها إياه البتة وقيل الأمر ومنه قوله تعالى وقضى ربك فإنما يقول له كن لا غير
فيكون من غير ريث وهو كما ترى تمثيل لكمال قدرته تعالى وسهولة تأتي المقدورات حسبما تقتضيه مشيئته وتصوير
لسرعة حدوثها بما هو علم فيها من طاعة المأمور المطيع للآمر القوي المطاع وبيان لأنه تعالى كما يقدر على خلق الأشياء
مدرجا بأسباب ومواد معتادة يقدر على خلقها دفعة من غير حاجة إلى شيء من الأسباب والمواد ويعلمه الكتاب
أي الكتابة أو جنس الكتب الإلهية والحكمة أي العلوم وتهذيب الأخلاق والتوراة والإنجيل إفرادهما
بالذكر على تقدير كون المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلهما وإنافتهما على غيرهما والجملة عطف على
يبشرك أو على وجيها أو على يخلق أو هو كلام مبتدأ سيق تطييبا لقلبها وإزاحة لما أهمها من خوف الملامة
لما علمت أنها تلد من غير زوج وقرئ ونعلمه بالنون ورسولا إلى بني إسرائيل أي كلهم وقال بعض اليهود إنه كان
مبعوثا إلى قوم مخصوصين ثم قيل كان رسولا حال الصبي وقيل بعد البلوغ وكان أول أنبياء بني إسرائيل
يوسف وآخرهم عيسى عم وقيل أولهم موسى وآخرهم عيسى عليهما السلام وقوله تعالى أني قد جئتكم معمول
لرسولا لما فيه من معنى النطق أي رسولا ناطقا بأني الخ وقيل منصوب بمضمر معمول لقول مضمر معطوف على يعلمه
أي ويقول أرسلت رسولا بأني قد جئتكم الخ وقيل معطوف على الأحوال السابقة ولا يقدح فيه كونها في حكم
الغيبة مع كون هذا في حكم التكلم لما عرفت من أن فيه معنى النطق كأنه قيل حال كونه وجيها ومرسلا ناطقا بأني
الخ وقرئ ورسول بالجر عطفا على كلمة والباء في قوله تعالى بآية متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل الفعل
على أنها للملابسة والتنوين للتفخيم دون الوحدة لظهور تعددها وكثرتها وقرئ بآيات أو بجئتكم على أنها
للتعدية ومن في قوله تعالى من ربكم لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لآية أي قد جئتكم
ملتبسا بآية عظيمة كائنة من ربكم أو آتيكم آية عظيمة كائنة منه تعالى والتعرض لوصف الربوبية مع الإضافة
إلى ضمير المخاطبين لتأكيد إيجاب الامتثال بما سيأتي من الأوامر وقوله تعالى أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير
بدل من قوله تعالى أني قد جئتكم ومحله النصب على نزع الجار عند سيبويه والفراء والجر على رأي الخليل والكسائي
أو بدل من آية وقيل منصوب بفعل مقدر أي أعني أني الخ وقيل مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هي أني أخلق
لكم وقرئ بكسر الهمزة على الاستئناف أي أقدر لكم أي لأجل تحصيل إيمانكم ودفع تكذيبكم إياي من الطين شيئا
مثل صورة الطير فأنفخ فيه الضمير للكاف أي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير وقرئ فأنفخ فيها على أن الضمير
للهيئة المقدرة أي أخلق لكم من الطين هيئة كهيئة الطير فأنفخ فيها فيكون طيرا حيا طيارا كسائر الطيور بإذن الله

بأمر الله تعالى اشار بذلك الى ان احياءه من الله تعالى لا منه قيل لم يخلق غير الخفاش روي انه عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر
المعجزات طالبوه بخلق خفاش فاخذ طينا وصوره ونفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير
ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز من خلق الله تعالى قيل انما طلبوا خلق الخفاش لانه اكمل
الطير خلقا وابلغ دلالة على القدرة لان له ثديا واسنانا وهي تحيض وتطهر وتلد كسائر الحيوان وتضحك كما يضحك
الانسان وتطير بغير ريش ولا تبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وانما ترى في ساعتين ساعة بعد الغروب
وساعة بعد طلوع الفجر وقيل خلق انواعا من الطير وابرئ الاكمه اي الذي ولد اعمى او الممسوح العين والابرص
المبتلى بالبرص لم تكن العرب تنفر من شيء نفرتها منه ويقال له الوضح ايضا وتخصيص هذين الدائين لانهما مما
اعيى الاطباء وكانوا في غاية الحذاقة في زمنه عليه السلام فاراهم الله تعالى المعجزة من ذلك الجنس روي انه ربما كان
يجتمع عليه عليه السلام الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام وما يداويهم الا بالدعاء
واحيي الموتى باذن الله كرره مبالغة في دفع وهم من توهم فيه اللاهوتية قال الكلبي كان عيسى عليه السلام يحيي الموتى
بيا حي يا قيوم احيى عازر وكان صديقا له فعاش وولد له ومر على ابن عجوز ميت فدعا الله تعالى فنزل
عن سريره حيا ورجع الى اهله وبقي وولد له وبنت العاشر احياها وولدت بعد ذلك فقالوا انك تحيي من كان
قريب العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا بل اصابتهم سكتة فاحي لنا سام بن نوح فقال دلوني على قبره فدلوه
فقام على قبره فدعا الله عز وجل فقام من قبره وقد شاب راسه فقال عليه السلام كيف شبت ولم يكن في زمانكم شيب
قال يا روح الله لما دعوتني سمعت صوتا يقول اجب روح الله فظننت ان الساعة قد قامت فمن هول ذلك
شبت فسأله عن النزع فقال يا روح الله ان مرارته لم تذهب عن حنجرتي وكان بين موته وبين موضعه اكثر من
اربعة الاف سنة وقال للقوم صدقوه فانه نبي فآمن به بعضهم وكذبه آخرون فقالوا هذا سحر فأرنا
آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وذلك قوله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون
في بيوتكم اي بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف ان في ذلك اشارة
الى ما ذكر من الامور العظام لآية عظيمة وقرئ لآيات لكم دالة على صحة رسالتي دلالة واضحة
ان كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف لانصباب المعنى اليه ودلالة المذكور عليه اي انتفعتم بها او ان كنتم ممن
يتأتى منهم الايمان دلتكم على صحة رسالتي والايمان بها ومصدقا لما بين يدي من التوراة عطف على الضمير
الذي تعلق به قوله تعالى بآية اي قد جئتكم ملتبسا بآية الخ ومصدقا لما بين الخ او على رسولا على الاوجه المذكورة
فان مصدقا فيه معنى النطق كما في رسولا اي ويجعله مصدقا ناطقا باني اصدق الخ او يقول ارسلت
رسولا باني قد جئتكم الخ ومصدقا او حال كونه مصدقا ناطقا باني اصدق الخ او منصوب باضمار فعل
دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم مصدقا الخ وقوله من التوراة اما حال من الموصول والعامل مصدقا واما من الضمير
المستتر في الظرف الواقع صلة والعامل الاستقرار المضمر في الظرف او نفس الظرف لقيامه مقام الفعل ولاحل
لكم معمول لمضمر دل عليه ما قبله اي وجئتكم لاحل الخ وقيل عطف على بآية اي جئتكم بآية من ربكم ولاحل لكم
بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى عليه السلام من الشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت
قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصة له واختلف في احلال السبت وقرئ حرم على تسمية الفاعل وهو ما
بين يدي او الله عز وجل وقرئ حرم بوزن كرم وهذا يدل على ان شرعه كان ناسخا لبعض احكام التوراة ولا يخل

ولا يخل ذلك بكونه مصدقا لها لما ان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وتأخير المفعول عن الجار
والمجرور لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وجئتكم بآية من ربكم شاهدة
على صحة رسالتي وقرئ بآيات فاتقوا الله في عدم قبولها ومخالفة مدلولها واطيعون فيما امركم به وانهاكم
عنه بامر الله تعالى وتلك الآية هي قولي ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فانه الحق الصريح الذي
اجمع عليه الرسل قاطبة فيكون آية بينة على انه عليه السلام من جملتهم وقرئ ان الله بالفتح بدلا من آية او قد جئتكم بآية
بعد آية مما ذكر لكم من خلق الطير وابراء الاكمه والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب
ومن كلامي في المهد ومن غير ذلك والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء
قوله تعالى فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون
فيما ادعوكم اليه ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى لايلاف قريش الخ
ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد
الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان
بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره
قوله صلى الله عليه وسلم قل آمنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر شروع في بيان مآل احواله عليه السلام اثر الآية
الخطرفة منها بطريق النقل عن الملائكة والفاء فصيحة تفصح عن تحقق ما قالته الملائكة عليهم السلام وخروجه
من القوة الى الفعل حسبما شرحته كما في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله تعالى انا آتيك به قبل ان يرتد
اليك طرفك كانه قيل فحملته فولدته فكان كيت وكيت وقال ذيت وذيت مما لم يذكر اكتفاء بحكاية الملائكة
عليهم السلام وايذانا بعدم الخلف وثقة بما فصل في المواضع الاخر واما عدم نظم بقية احواله عليه السلام
في سلك النقل فاما للاعتناء بامرها او لعدم مناسبتها لمقام البشارة لما فيها من ذكر مقاساته عليه السلام
للشدائد ومعاناته للمكائد والمراد بالاحساس الادراك القوي الجاري مجرى المشاهدة وبالكفر اصرارهم
عليه وعتوهم ومكابرتهم فيه مع العزيمة على قتله عليه السلام كما ينبئ عنه الاحساس فانه انما يستعمل في امثال
هذه المواقع عند كون متعلقه امرا محذورا مكروها كما في قوله عز وجل فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون
وكلمة من متعلقة باحس والضمير المجرور لبني اسرائيل اي ابتدأ الاحساس من جهتهم وتقديم الجار والمجرور على
المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء به والتشويق الى المؤخر وقيل متعلقة بمحذوف وقع حالا من الكفر
قال اي لخلص اصحابه لا لجميع بني اسرائيل لقوله تعالى كما قال عيسى بن مريم للحواريين الآية وقوله تعالى
فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة ليس نصا في توجيه الخطاب الى الكل بل يكفي فيه بلوغ الدعوة اليهم
من انصاري الانصار جمع نصير كاشراف جمع شريف الى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من الياء اي من
انصاري متوجها الى الله ملتجئا اليه او بانصاري مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم
الى الله عز وجل ينصرونني كما ينصرني وقيل الى بمعنى في اي في سبيل الله وقيل بمعنى اللام وقيل بمعنى مع
قال الحواريون استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قالوا في جوابه عليه السلام فقيل قال الحواريون
جمع حواري يقال فلان حواري فلان اي صفوته وخالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات
للحضريات لخلوص الوانهن ونقائهن سمي به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل لما عليهم

من أنوار العبادة وأنوارها، وقيل كانوا ملوكاً يلبسون البيض وذلك أن واحداً من الملوك صنع طعاماً وجمع
الناس عليه فكان عيسى عم على قصعة لا يزال يأكل منها ولا تنقص فذكروا ذلك للملك فاستدعاه عليه السلام
فقال له من أنت قال عيسى بن مريم فترك ملكه فتبعه مع أقاربه فاولئك هم الحواريون وقيل كانوا صيادين
يصطادون من السمك يلبسون الثياب البيض فيهم شمعون ويعقوب ويوحنا فمر بهم عيسى عم فقال لهم انتم
تصيدون من السمك فان اتبعتموني صرتم بحيث تصيدون من الناس بالحيوة الابدية قالوا من انت قال عيسى بن مريم
عبد الله ورسوله فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما اصطاد شيئا فامره عيسى عم
بالقائها في الماء مرة اخرى ففعل فاجتمع في الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة
اخرى وملأوا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى عم وقيل كانوا اثني عشر رجلاً آمنوا به عم واتبعوه
وكانوا اذا جاعوا قالوا جعنا يا روح الله فيضرب بيده الارض فيخرج منها لكل واحد رغيفا واذا
عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده الارض فيخرج منها الماء فقالوا من افضل منا قال عم افضل منكم
من يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة فسموا حواريين وقيل ان امه سلمته الى الصباغ
فاراد الصباغ يوما ان يشتغل ببعض مهماته فقال له عم ههنا ثياب مختلفة وقد جعلت لكل واحد منها
علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فغاب فجعل عم كلها في جب واحد وقال كوني باذن الله كما اريد فرجع
الصباغ فسأله فاخبره بما صنع فقال افسدت علي الثياب قال قم فانظر فجعل يخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر
وثوبا اصفر الى ان اخرج الجميع على احسن ما يكون حسبما كان يريد فتعجب منه الحاضرون وآمنوا به عم فاهم
الحواريون قال القفال ويجوز ان يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك وبعضهم من صيادي
السمك وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى عم
واعوانه والمخلصين في طاعته ومحبته. نحن انصار الله. اي انصار دينه ورسوله. آمنا بالله. استئناف
جار مجرى العلة لما قبله فان الايمان به تعالى موجب لنصرة دينه والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه
واشهد بانا مسلمون. مخلصون في الايمان منقادون لما تريد منا من نصرتك طلبوا منه عم الشهادة بذلك
يوم القيمة يوم يشهد الرسل عليهم السلام لاممهم وعليهم ايذانا بان مرمى غرضهم السعادة الاخروية
ربنا آمنا بما انزلت. تضرع الى الله عز وجل وعرض لحالهم عليه تعالى بعد عرضها على الرسول مبالغة في
اظهار امرهم. واتبعنا الرسول. اي في كل ما ياتي ويذر من امور الدين فيدخل فيه الاتباع في النصرة دخولا
اوليا. فاكتبنا مع الشاهدين. اي مع الذين يشهدون بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم
او مع امة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس قاطبة وهو حال من مفعول اكتبنا. ومكروا. اي الذين
علم عيسى عم كفرهم من اليهود بان وكلوا به من يقتله غيلة. ومكر الله. بان رفع عيسى عم والقى شبهه على من
قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يمكن اسناده اليه سبحانه
الا بطريق المشاكلة. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ملك بني اسرائيل لما قصد قتله عم امره جبريل
ان يدخل بيتا فيه روزنة فرفعه جبريل عم من تلك الروزنة الى السماء فقال الملك لرجل خبيث منهم ادخل
عليه فاقتله فدخل البيت فالقى الله عز وجل شبهه عليه فخرج يخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه
وقيل انه عم جمع الحواريين ليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم

بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احدهم فقال لهم ما تجعلون لي ان ادلكم على المسيح
فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله عز وجل شبه عيسى عم ورفعه الى السماء. فاخذوا المنافق
وهو يقول انا دليلكم فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان
كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم وقيل لما صلب المصلوب جاءت
مريم ومعها امرأة ابرأها الله تعالى من الجنون بدعاء عيسى عم وجعلتا تبكيان على المصلوب فانزل الله عيسى
فجاءهما فقال علام تبكيان قالتا عليك فقال ان الله تعالى رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم
قال محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد رفع عيسى عم ولقوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الروم وكان
ملك اليهود من رعيته فقيل له ان رجلا من بني اسرائيل ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم
احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وفعل وفعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين
فانتزعهم من ايديهم وسألهم عن عيسى عم فاخبروه فبايعهم على دينهم وانزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة
فاكرمها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية في الروم ثم جاء بعده ملك آخر
يقال له طيطوس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عم بنحو من اربعين سنة فقتل وسبى فلم يترك
في مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز قال اهل التواريخ حملت
مريم بعيسى عم وهي بنت ثلث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من ارض اورى شلم لمضي خمس وستين سنة
من غلبة الاسكندر على ارض بابل واوحى الله تعالى اليه على راس ثلثين سنة ورفعه اليه من بيت المقدس
ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلث وثلثين سنة وعاشت امه بعد رفعه ست سنين. والله خير الماكرين.
اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب واظهار الجلالة في موقع الاضمار
لتربية المهابة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله. اذ قال الله. ظرف لمكر الله او لخير او لمضمر نحو وقع ذلك. يا
عيسى اني متوفيك. اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما لك من قتلهم او قابضك من الارض
من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع وهو نائم وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء
ورافعك الآن او مميتك من الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء
واليه ذهبت النصارى قال القرطبي والصحيح ان الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد
وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما واصل القصة ان اليهود لما عزموا على قتله عم اجتمع
الحواريون وهم اثنا عشر رجلا في غرفة فدخل عليهم المسيح من مشكوة الغرفة فاخبرهم ابليس جميع اليهود
وركب منهم اربعة آلاف رجل فاخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين ايكم يخرج ويقتل ويكون معي
في الجنة فقال واحد منهم انا يا نبي الله فالقى عليه مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناوله عكازه والقى عليه
شبه عيسى عم فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه. واما عيسى عم فكساه الله الريش والنور والبسه النور وقطع
عنه شهوة المطعم والمشرب وذلك قوله تعالى اني متوفيك فطار مع الملائكة ثم ان اصحابه حين رأوا ذلك تفرقوا
ثلث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية وقالت فرقة اخرى كان فينا ابن الله
ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهم النسطورية وقالت فرقة اخرى منهم كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله
ثم رفعه الله اليه وهؤلاء هم المسلمون فتظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم فلم يزل الاسلام منطمسا

الى ان بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ورافعك الى اى الى محل كرامتى ومقر ملائكتى ومطهرك من الذين
كفروا اى من سوء جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم وجاعل الذين اتبعوك قال قتادة والربيع والشعبى
ومقاتل والكلبى هم اهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه من امة محمد صلى الله عليه وسلم دون الذين كذبوه
وكذبوا عليه من النصارى فوق الذين كفروا وهم الذين مكروا به عم ومن يسير بسيرتهم من اليهود فان اهل الاسلام
فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة وقيل هم الحواريون فيتعين ان يحمل فوقيتهم على فوقية المسلمين بحكم الاتحاد
فى الاسلام والتوحيد وقيل هم الروم وقيل هم النصارى فالمراد بالاتباع مجرد الادعاء والمحبة والا فاولئك
الكفرة بمعزل من اتباعه عم الى يوم القيمة غاية للجعل او للاستقرار المقدر فى الظرف لا على معنى ان الجعل او الفوقية
ينتهى حينئذ ويتخلص الكفرة من الذلة بل على معنى ان المسلمين يعلونهم الى تلك الغاية فاما بعدها فيفعل الله تعالى
بهم ما يريد ثم الى مرجعكم اى رجوعكم بالبعث وثم للتراخى وتقديم الجار والمجرور للقصر المفيد لتاكيد الوعد والوعيد
والضمير لعيسى عم وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب على الغائب فى ضمن الالتفات فانه ابلغ فى التبشير
والانذار فاحكم بينكم يومئذ اثر رجوعكم الى فيما كنتم فيه تختلفون من امور الدين وفيه متعلق بتختلفون
وتقديمه عليه لرعاية الفواصل فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا تفسير للحكم الواقع بين الفريقين وتفصيل
لكيفيته والبداية ببيان حال الكفرة لما ان مساق الكلام لتهديدهم وزجرهم عما هم عليه من الكفر والعناد
وقوله تعالى فى الدنيا والآخرة متعلق باعذبهم لا بمعنى ايقاع كل واحد من التعذيب فى الدنيا والتعذيب
فى الآخرة واحدا منهما يوم القيمة بل بمعنى اتمام مجموعهما يومئذ وقيل ان رجع اعم من الدنيوى والاخروى
وقوله تعالى الى يوم القيمة غاية للفوقية لا للجعل والرجوع متراخ عن الجعل وهو غير محدود لا عن الفوقية
المحدودة على نهج قولك ساعيرك يكنى هذا البيت سنة ثم اخلع عليك بخلعة لان تراخى الخلع عن الاعارة
لا عن السنة وما لهم من ناصرين يخلصونهم من عذاب الله تعالى فى الدارين وصيغة الجمع لمقابلة ضمير الجمع اى ليس لواحد
منهم ناصر واحد واما الذين آمنوا بما ارسلت به وعملوا الصالحات كما هو ديدن المؤمنين فيوفيهم اجورهم
اى يعطيهم اياها كاملة وتعدل الالتفات الى الغيبة للايذان بتباين مصدرى التعذيب والاثابة من الاختلاف
من حيث الجلال والجمال وقرئ فنوفيهم جريا على سنن العظمة والكبرياء والله لا يحب الظالمين اى يبغضهم فان
هذه الكناية فاشية فى جميع اللغات جارية مجرى الحقيقة وايراد الظلم للاشعار بانهم بكفرهم متعدون
متجاوزون عن الحدود واضعون للكفر مكان الشكر والايمان والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه ذلك
اشارة الى ما سلف من نبا عيسى عم وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شانه وبعد منزلته
فى الشرف وعلى كونه فى ظهور الامر ونباهة الشان بمنزلة المشاهد المعاين وهو مبتدا وقوله عز وعلا
نتلوه خبره وقوله تعالى عليك متعلق بنتلوه وقوله تعالى من الآيات حال من الضمير المنصوب او خبر بعد خبر
او هو الخبر وما بينهما حال من اسم الاشارة او ذلك خبر لمبتدا مضمر اى الامر ذلك ونتلوه حال كما مر وصيغة
الاستقبال اما لاستحضار الصورة او على معناها اذ التلاوة لم تتم بعد والذكر الحكيم اى المشتمل على الحكم
او المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه والمراد به القرآن فمن تبعيضية او بعض منه فمن بيانية وقيل هو اللوح
المحفوظ فمن ابتدائية ان مثل عيسى اى شانه البديع المنتظم لغرابته فى سلك الامثال عند الله اى
فى تقديره وحكمه كمثل آدم اى كحالته العجيبة التى لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع خلقه من

من تراب تفسير لما ابهم فى المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه بينهما وحسم لمادة
شبه الخصوم فان انكار خلق عيسى عم بلا اب ممن اعترف بخلق آدم عم بغير اب وام مما لا يكاد يصح والمعنى
خلق قالبه من تراب ثم قال له كن اى انشاه بشرا كما فى قوله تعالى ثم انشاناه خلقا آخر وقدر تكوينه من التراب
ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخى الخبر لا لتراخى المخبر به فيكون حكاية حال ماضية روى ان وفد نجران قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله
ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا من غير اب فحيث سلمتم انه لا اب
له من البشر وجب ان يكون ابوه هو الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم ان آدم ما كان له اب ولا ام ولم يلزم
من ذلك كونه ابنا لله سبحانه وتعالى فكذا حال عيسى عم الحق من ربك خبر مبتدا محذوف اى هو الحق اى ما
قصصنا عليك من نبا عيسى عم وامه والظرف اما حال اى كائنا من ربك او خبر ثان اى كائن منه تعالى وقيل الحق
مبتدا وخبره اى الحق المذكور من الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتشريفه
صلى الله عليه وسلم والايذان بان تنزيل هذه الآيات الحقة الناطقة بكنه الامر تربية له صلى الله عليه وسلم
ولطف به فلا تكن من الممترين فى ذلك والخطاب اما للنبى صلى الله عليه وسلم على طريقة الالهاب والتهييج لزيادة
التثبيت والاشعار بان الامتراء فى المحذورية بحيث ينبغى ان ينهى عنه من لا يكاد يمكن صدوره عنه فكيف
بمن هو بصدد الامتراء واما لكل من له صلاحية الخطاب فمن حاجك اى من النصارى اذ هم المتصدون
للمحاجة فيه اى فى شان عيسى عم وامه زعما منهم انه ليس على الشان المحكى من بعد ما جاءك من العلم
اى ما يوجب ايجابا قطعيا من الآيات البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعووا عما هم عليه من الغى والضلال فقل
لهم تعالوا اى هلموا بالراى والعزيمة ندع ابناءنا وابناءكم اكتفى بهم عن ذكر البنات لظهور كونهم اعز منهن
واما النساء فتعلقهن من جهة اخرى ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اى ليدع كل منا ومنكم نفسه
واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحملهم عليها وتقديمهم على النفس فى اثناء المباهلة التى هى من
باب المهالك ومظان التلف مع ان الرجل يخاطر لهم بنفسه ويحارب دونهم للايذان بكمال امنه صلى الله
عليه وسلم وتمام ثقته بامره وقوة يقينه بانه لن يصيبهم فى ذلك شائبة مكروه اصلا وهو السر فى تقديم
جانبه صلى الله عليه وسلم على جانب المخاطبين فى كل من المقدم والمؤخر مع رعاية الاصل فى الصيغة فان غير
المتكلم تبع له فى الاسناد ثم نبتهل اى نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة
واصلها الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف على نبتهل
مبين لمعناه روى انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان
ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولقد جاءكم
بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن
فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها رضى الله
تعالى عنهم اجمعين وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى انى لارى
وجوها لو شاء الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض

نصارى الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا
فقال صلى الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فأبوا قال فاني
اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا
عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد
فصالحهم على ذلك فقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة
وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما
حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا ان هذا اي ما قص من نبأ عيسى عم وامه لهو القصص الحق
دون ما عداه من اكاذيب النصارى فهو ضمير الفصل دخلته اللام لكونه اقرب الى المبتدا من الخبر واصلها
ان تدخل المبتدا وقرئ لهو بسكون الهاء والقصص خبر ان والحق صفته او هو مبتدا والقصص خبره والجملة
خبر ان وما من اله الا الله صرح فيه بمن الاستغراقية تأكيدا للرد على النصارى في تثليثهم وان
الله لهو العزيز القادر على جميع المقدورات الحكيم المحيط بالمعلومات لا احد يشاركه في القدرة والحكمة
ليشاركه في الالوهية فان تولوا عن التوحيد وقبول الحق الذي قص عليك بعدما عاينوا تلك الحجج النيرة
والبراهين الساطعة فان الله عليم بالمفسدين اي بهم وانما وضع موضعه ما وضع للايذان بان الاعراض
عن التوحيد والحق الذي لا محيد عنه بعدما قامت به الحجج افساد للعالم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى
قل يا اهل الكتاب امر بخطاب اهل الكتابين وقيل بخطاب وفد نجران وقيل بخطاب يهود المدينة تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وهي الا نعبد الا الله اي نوحده بالعبادة
ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد
ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله بان نقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار
فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم
اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال صلى الله عليه وسلم هو ذاك فان تولوا
عما دعوتهم اليه من التوحيد وترك الاشراك فقولوا اي قل لهم انت والمؤمنون اشهدوا بانا مسلمون
اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون لما نطقت به الكتب وتطابقت
عليه الرسل عليهم السلام تنبيه انظر الى ما روعي في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج
في المحاجة حيث بين اولا احوال عيسى عم وما توارد عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر كيفية دعوة
للناس الى التوحيد والاسلام فلما ظهر عنادهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها
وانقادوا بعض الانقياد دعاهم الى ما اتفق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما ظهر
عدم اجداء ذلك ايضا امر بان يقال لهم اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تحاجون
في ابراهيم اي في ملته وشريعته تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم عم وزعم كل منهم انه عم منهم
وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى لم تدعون انه عم كان منكم وما انزلت
التورية على موسى عم والانجيل على عيسى عم الا من بعده حيث كان بينه وبين موسى عليهما السلام الف

الف سنة وبين موسى وعيسى عليهما السلام الفا سنة فكيف يمكن ان يتفوه به عاقل افلا تعقلون
اي الا تتفكرون فلا تعقلون بطلان مذهبكم او تقولون ذلك فلا تعقلون بطلانه ها انتم هؤلاء
جملة من مبتدا وخبر صدرت بحرف التنبيه ثم بينت بجملة مستانفة اشعارا بكمال غفلتهم اي انتم هؤلاء
الاشخاص الحمقى حيث حاججتم فيما لكم به علم في الجملة حيث وجدتموه في التورية والانجيل فلم تحاجون
فيما ليس لكم به علم اصلا اذ لا ذكر لدين ابراهيم في احد الكتابين قطعا وقيل هؤلاء بمعنى الذي وحاججتم
صلته وقيل ها انتم اصله أانتم على الاستفهام للتعجب قلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه او كل
شيء فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا وانتم لا تعلمون اي محل النزاع او شيئا من الاشياء التي من جملتها ذلك
ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بما نطق به البرهان المقرر ولكن كان حنيفا اي مائلا
عن العقائد الزائغة كلها مسلما اي منقادا لله تعالى وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك
الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ورد لادعاء
المشركين انهم على ملته عم ان اولى الناس بابراهيم اي اقربهم اليه واخصهم به للذين اتبعوه اي في
زمانه وهذا النبي والذين آمنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبي بالنصب
عطفا على الضمير في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى
بايمانهم وتخصيص المؤمنين بالذكر ليثبت الحكم في النبي صلى الله عليه وسلم بدلالة النص ودت
طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود حين دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية
ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم جملة حالية جيء بها للدلالة على كمال رسوخ المخاطبين وثباتهم على ما هم
عليه من الدين القويم اي وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا اليهم لما انه يضاعف به عذابهم وقيل
وما يضلون الا امثالهم ويأباه قوله تعالى وما يشعرون اي باختصاص وباله وضرره بهم يا اهل الكتاب
لم تكفرون بآيات الله اي بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانتم
تشهدون اي والحال انكم تشهدون انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون
بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بتحريفكم وابرازكم الباطل في صورته او بالتقصير
في التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كما في قوله صلى الله
عليه وسلم كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق اي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وانتم تعلمون اي
حقيته وقالت طائفة من اهل الكتاب وهم رؤساؤهم ومفسدوهم لاعقابهم آمنوا بالذي انزل
على الذين آمنوا اي اظهروا الايمان بالقرآن المنزل عليهم وجه النهار اي اوله واكفروا اي اظهروا
ما انتم عليه من الكفر به آخره مرائين لهم انكم آمنتم به بادي الرأي من غير تأمل ثم تأملتم فوقفتم على
خلل رأيكم الاول فرجعتم عنه لعلهم اي المؤمنين يرجعون عما هم عليه من الايمان به كما رجعتم والمراد بالطائفة
كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة
وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل هم
اثنا عشر رجلا من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا
وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا صلى الله عليه وسلم بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه يشكون فيه

ولا تؤمنوا اى لا تقروا بتصديق قلبي الا لمن تبع دينكم اى لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار
الا لمن كان على دينكم من قبل فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدى به من يشاء الى الايمان
ويثبت عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اى دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد مثل ما
اوتيتم او بلا تؤمنوا اى ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى
المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض
مفيد لكون كيدهم غير مجد لطائل وخبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقرئ ءان يؤتى على الاستفهام
التقريعي وهو مؤيد للوجه الاول اى الان يؤتى احد الخ دبرتم وقرئ ان على انها نافية فيكون من كلام
الطائفة اى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم
عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو
ضمير احد لانه فى معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم
رد لهم وابطال لما زعموه بالحجة الباهرة يختص برحمته اى يجعل رحمته مقصورة على من يشاء والله ذو الفضل
العظيم كلاهما تذييل لما قبله مقرر لمضمونه ومن اهل الكتاب شروع فى بيان خيانتهم فى المال بعد بيان
خيانتهم فى الدين والجار والمجرور فى محل الرفع على الابتداء حسبما مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول
لا خبره قوله تعالى من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك على ان المقصود بيان اتصافهم بمضمون الجملة الشرطية
لا كونهم ذوات المذكورين كانه قيل بعض اهل الكتاب بحيث ان تأمنه بقنطار اى بمال كثير يؤده اليك
كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتى اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار
لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى
اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون فى القليل اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما
استثناء مفرغ من اعم الاحوال والاوقات اى لا يؤده اليك فى حال من الاحوال او فى وقت من الاوقات
الا فى حال دوام قيامك او فى وقت دوام قيامك على راسه مبالغا فى مطالبته بالتقاضى واقامة البينة
ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله تعالى لا يؤده وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال
غلوهم فى الشر والفساد بانهم اى بسبب انهم قالوا ليس علينا فى الاميين اى فى شأن من ليس من اهل الكتاب
سبيل اى عتاب ومؤاخذة ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون
على الله تعالى وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل فى التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا
من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك فى كتابهم وعن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء فى الجاهلية الا وهو تحت قدمى الا
الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اى بلى عليهم فيهم سبيل وقوله تعالى من اوفى
بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استئناف مقرر للجملة التى سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله تعالى
وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الى من وشعر بان التقوى ملاك الامر عامة للوفاء وغيره
من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهى ان الذين يشترون اى يستبدلون ويأخذون بعهد الله اى بدل ما
عاهدوا عليه من الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم

والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا هو حطام الدنيا اولئك الموصوفون بتلك الصفات القبيحة
لا خلاق لا نصيب لهم فى الآخرة من نعيمها ولا يكلمهم الله اى بما يسرهم او بشيء اصلا وانما يقع ما يقع من
السؤال والتوبيخ والتقريع فى اثناء الحساب من الملائكة عليهم السلام او لا ينتفعون بكلمات الله تعالى وآياته والظاهر
انه كناية عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله من ذلك لقوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيامة فانه مجاز عن الاستهانة
بهم والسخط عليهم متفرع على الكناية فى حق من يجوز عليه النظر لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره
نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر
مجردا بمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر ويوم القيامة متعلق بالفعلين وفيه تهويل
للوعيد ولا يزكيهم اى لا يثنى عليهم او لا يطهرهم من اوضار الاوزار ولهم عذاب اليم على ما فعلوه من المعاصى
قيل انها نزلت فى ابى رافع ولبابة بن ابى الحقيق وحيى بن اخطب حرفوا التورية وبدلوا نعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم واخذوا الرشوة على ذلك وقيل نزلت فى الاشعث بن قيس حيث كان بينه وبين رجل نزاع فى بئر
فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له شاهداك او يمينه فقال الاشعث اذن يحلف ولا يبالى
فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان وقيل فى رجل
اقام سلعة فى السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يكن اشتراها به وان منهم اى من اليهود المحرفين لفريقا
ككعب بن الاشرف ومالك بن الصيف واضرابهما يلوون السنتهم بالكتاب اى يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى
المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلوون بالتشديد ويلون بقلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها
والقاء حركتها على ما قبلها من الساكن لتحسبوه اى المحرف المدلول عليه بقوله تعالى يلوون وقرئ بالياء والضمير للمسلمين
من الكتاب اى من جملته وقوله تعالى وما هو من الكتاب حال من الضمير المنصوب اى والحال انه ليس منه فى نفس الامر وفى
اعتقادهم ايضا ويقولون مع ما ذكر من اللى والتحريف على طريقة التصريح لا بالتورية والتعريض هو اى المحرف
من عند الله اى منزل من عند الله وما هو من عند الله حال من ضمير المبتدأ فى الخبر اى والحال انه ليس من عنده تعالى
فى اعتقادهم ايضا وفيه من المبالغة فى تشنيعهم وتقبيح امرهم وكمال جراءتهم ما لا يخفى واظهار الاسم الجليل مع الاكتفاء
فى محل الاضمار لتهويل ما اقدموا عليه من القول ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون على
الله تعالى وهو تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله تعالى والتعمد فيه وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود الذين
قدموا على كعب بن الاشرف وغيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت
قريظة ما كتبوا فخلطوه بالكتاب الذى عندهم ما كان لبشر بيان لافترائهم على الانبياء عليهم السلام حيث
قال نصارى نجران ان عيسى امرنا ان نتخذه ربا حاشاه عليه السلام وابطال له اثر بيان افترائهم على الله سبحانه
وابطاله اى ما صح وما استقام لاحد وانما قيل لبشر اشعارا بعلية الحكم فان البشرية منافية للامر الذى اسنده
الكفرة اليه ان يؤتيه الله الكتاب الناطق بالحق الآمر بالتوحيد الناهى عن الاشراك والحكم اى الفهم والعلم او الحكمة
وهى السنة والنبوة ثم يقول ذلك البشر بعدما شرفه الله تعالى بما ذكر من التشريفات وعرفه الحق واطلعه على شؤونه العالية
للناس كونوا عبادا لى من دون الله الجار متعلق بمحذوف هو صفة عبادا اى عبادا كائنين لى من دون الله متعلق بلفظ
عبادا لما فيه من معنى الفعل او صفة ثانية ويحتمل الحالية لتخصص النكرة بالوصف اى متجاوزين الله تعالى سواء
كان ذلك استقلالا او اشتراكا فان التجاوز متحقق فيهما حتما قيل ان ابا رافع القرظى والسيد النجرانى قالا

رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله أن يعبد غير الله تعالى وأن نأمر
بعبادة غيره تعالى فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني فنزلت وقيل قال رجل من المسلمين يا رسول الله نسلم عليك
كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله تعالى ولكن
أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله ولكن كونوا أي ولكن يقول كونوا ربانيين الرباني منسوب إلى الرب
بزيادة الألف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل الشديد التمسك بطاعة الله تعالى ودينه
بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون أي بسبب مثابرتكم على تعليم الكتاب ودراسته أي قراءته فإن
جعل خبر كان مضارعا لإفادة الاستمرار التجددي وتكرير بما كنتم للإيذان باستقلال كل من استمرار التعليم
واستمرار القراءة بالفضل وتحصيل الربانية وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرفه عليها أو لأن الخطاب
الأول لرؤسائهم والثاني لمرؤسيهم وقرئ تعلمون بمعنى عالمين وتدرسون من التدريس وتدرسون من الإدراس
بمعنى التدريس كأكرم بمعنى كرم ويجوز كون القراءة المشهورة أيضا بهذا المعنى على تقدير بما تدرسونه على الناس
ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا بالنصب عطفا على ثم يقول ولا مزيدة لتأكيد معنى النفي
في قوله تعالى ما كان لبشر أي ما كان لبشر أن يستنبئه الله تعالى ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة
والنبيين أربابا أو غير مزيدة على معنى أنه ليس له أن يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ أكفائه أربابا بل ينهى
عنه وهو أدنى من العبادة وقرئ بالرفع على الاستئناف ويحتمل الحال أيأمركم بالكفر إنكار لما نفي عن البشر
والضمير له وقيل لله سبحانه بعد إذ أنتم مسلمون وهذا دليل على أن الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون
للسجود له صلى الله عليه وسلم وإذ أخذ الله ميثاق النبيين منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
أي اذكر وقت أخذه تعالى ميثاقهم لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن
به ولتنصرنه قيل هو على ظاهره وإذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأمم بذلك أولى وأحرى وقيل معناه
أخذ الميثاق من النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكرهم وقيل إضافة الميثاق إلى النبيين إضافة إلى الفاعل
والمعنى وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم وقيل المراد أولاد النبيين على حذف المضاف
وهم بنوا إسرائيل أو سماهم نبيين تهكما بهم لأنهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم
لأنا أهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف
وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط ويحتمل الخبرية وقرئ لما بالكسر على أن ما
مصدرية أي لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق أخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه أو
موصولة والمعنى أخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم أو لمن أجل ما آتيتكم
على أن أصله لمن ما بالإدغام فحذف إحدى الميمات الثلاث استثقالا قال أي الله تعالى بعدما أخذ الميثاق أأقررتم
بما ذكر وأخذتم على ذلكم إصري أي عهدي سمي به لأنه يؤصر أي يشد وقرئ بضم الهمزة وهي إما لغة فيه
كعبر وعبر أو جمع إصار وهو ما يشد به قالوا أقررنا استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك
فقيل قالوا أقررنا وإنما لم يذكر أخذهم الإصر اكتفاء بذلك قال تعالى فاشهدوا أي فليشهد بعضكم على
بعض بالإقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وأنا معكم من الشاهدين أي وأنا أيضا على إقراركم ذلك وتشاهدكم
شاهد وإدخال مع على المخاطبين لما أنهم المباشرون للشهادة حقيقة وفيه من التأكيد والتحذير ما لا يخفى فمن

تولى أي أعرض عما ذكر بعد ذلك الميثاق والتوكيد بالإقرار والشهادة ومعنى البعد في اسم الإشارة
لتفخيم الميثاق فأولئك إشارة إلى من والجمع باعتبار المعنى كما أن الإفراد في تولى باعتبار اللفظ وما فيه من
معنى البعد للدلالة على ترامي أمرهم في السوء وبعد منزلتهم في الشر والفساد أي فأولئك المتولون المتصفون
بالصفات القبيحة هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة فإن الفاسق من كل طائفة من
كان متجاوزا عن الحد أفغير دين الله يبغون عطف على مقدر أي أيتولون فيبغون غير دين الله وتقديم المفعول
لأنه المقصود بالإنكار أو على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للإنكار وقرئ بتاء الخطاب على تقدير وقل
لهم وله أسلم من في السموات والأرض جملة حالية مفيدة لمكادة الإنكار طوعا وكرها أي طائعين بالنظر
واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ إلى الإسلام كنتق الجبل وإدراك الغرق والإشراف على الموت أو
مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فإنهم لا يقدرون على الامتناع عما قضي عليهم وإليه يرجعون
أي من فيهما والجمع باعتبار المعنى وقرئ بتاء الخطاب والجملة إما معطوفة على ما قبلها منصوبة على الحالية وإما
مستأنفة سيقت للتهديد والوعيد قل آمنا بالله أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يخبر عن نفسه وعمن معه
من المؤمنين بالإيمان بما ذكر وجمع الضمير في قوله تعالى وما أنزل علينا وهو القرآن لما أنه منزل عليهم أيضا
بتوسط تبليغه إليهم أو لأن المنسوب إلى واحد من الجماعة قد ينسب إلى الكل أو عن نفسه فقط وهو الأنسب بما بعده
والجمع لإظهار جلالة قدره صلى الله عليه وسلم ورفع محله بأمره بأن يتكلم عن نفسه على ديدن الملوك ويجوز
أن يكون الأمر عاما والإفراد لتشريفه صلى الله عليه وسلم والإيذان بأنه صلى الله عليه وسلم أصل في ذلك كما في
قوله تعالى يا أيها النبي إذا طلقتم النساء وما أنزل على إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط من
الصحف والنزول كما يعدى بإلى لانتهائه إلى الرسل يعدى بعلى لأنه من فوق ومن رام الفرق بأن على لكون الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم وإلى لكون الخطاب للمؤمنين فقد تعسف ألا يرى إلى قوله تعالى بما أنزل إليك من ربك وإلى قوله
آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا الخ وإنما قدم المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم على ما أنزل على سائر الرسل
عليهم السلام مع تقدمه عليه نزولا لأنه المعرف له والمعيار عليه والأسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم
حفدة يعقوب عليه السلام وأبناؤه الاثنى عشر وذراريهم فإنهم حفدة إبراهيم عليه السلام وما أوتي موسى وعيسى من
التوراة والإنجيل وسائر المعجزات الظاهرة بأيديهما كما ينبئ عنه إيثار الإيتاء على الإنزال الخاص بالكتب وتخصيصهما
بالذكر لما أن الكلام مع اليهود والنصارى والنبيون عطف على موسى وعيسى عليهما السلام أي وما أوتي النبيون
من المذكورين وغيرهم من ربهم من الكتب والمعجزات لا نفرق بين أحد منهم كدأب اليهود والنصارى آمنوا
ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة نبوة كل منهم وبحقية ما أنزل إليهم في زمانهم وعدم التعرض لنفي
التفرقة بين الكتب لاستلزام المذكور إياه وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله وهمزة أحد
إما أصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح أن يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك
صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس وإما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي
وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره أي بين أحد منهم وغيره كما في قول النابغة فما كان
بين الخير لو جاء سالما أبو حجر إلا ليال قلائل أي بين الخير وبيني ونحن له مسلمون أي منقادون أو مخلصون له
تعالى أنفسنا لا نجعل له شريكا فيها وفيه تعريض بإيمان أهل الكتاب فإنه بمعزل عن ذلك ومن يبتغ غير الإسلام

اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحا والمدعين للتوحيد مع اشراكهم كاهل الكتابين
دينا ينتحل اليه وهو نصب على انه مفعول ليبتغ وغير الاسلام حال منه لما انه كان صفة له فلما قدمت عليه
انتصب حالا او هو المفعول ودينا تمييز لما فيه من الابهام او بدل من غير الاسلام فلن يقبل ذلك منه ابدا بل
يرد اشد رد واقبحه وقوله تعالى وهو في الآخرة من الخاسرين اما حال من الضمير المجرور او استئناف لا محل له من
الاعراب اي من الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال
الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها وفي ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على ان حال من تدين
بغير الاسلام واطمأن بذلك افظع واقبح واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل
والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره كيف يهدي الله تعالى الى الحق قوما كفروا بعد ايمانهم قيل هم
عشرة رهط ارتدوا بعد ما آمنوا ولحقوا بمكة وقيل هم يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا
بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به قبل مبعثه وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد
لان يهديهم الله تعالى فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك
يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد وقوله تعالى وشهدوا عطف على ايمانهم باعتبار انحلاله الى جملة فعلية كما في قوله
تعالى ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله الخ فانه في قوة ان يقال بعد ان آمنوا او حال من ضمير كفروا باضمار قد
وهو دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين ظلموا
انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه والجملة اعتراضية
او حالية اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الشنيعة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا
وهو مبتدأ وقوله تعالى جزاؤهم مبتدأ ثان وقوله تعالى ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
خبره والجملة خبر لاولئك وهذا يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق
بينهم وبين غيرهم انهم مطبوع على قلوبهم ممنوعون عن الهدى آيسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد
بالناس المؤمنون او الكل فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها
في اللعنة او العقوبة او النار وان لم تذكر لدلالة الكلام عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
اي يمهلون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا اي ما افسدوا او دخلوا في الصلاح
فان الله غفور رحيم فيقبل توبتهم ويتفضل عليهم وهو تعليل لما دل عليه الاستثناء قيل نزلت في الحارث
بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس الآية
فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد
الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا به صلى الله عليه
وسلم بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار عليه والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض
الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه فننافقه
باظهار الايمان لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون الا عند اشرافهم على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم
بعدم قبولها تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا
لارتدادهم وازديادهم كفرا ولذلك لم يدخل فيه الفاء واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال

الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به لما
كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخلت الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملأه وذهبا
تمييز وقرئ بالرفع على انه بدل من ملء او خبر محذوف ولو افتدى محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم
فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا
لو تصدق به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين
ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك اشارة
الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة لهم عذاب اليم هو مع اسم الاشارة مبتدأ والظرف
خبره ولاعتماده على المبتدأ ارتفع به عذاب اليم على الفاعلية وما لهم من ناصرين في دفع العذاب عنهم او في
تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع لمراعاة الضمير اي ليس لواحد منهم ناصر واحد لن تنالوا البر
من نال ينال نيلا اذا اصابه والخطاب للمؤمنين وهو كلام مستأنف سيق لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم اثر
بيان ما لا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا
شأوه ولن تلحقوا بزمرة الابرار او لن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته حتى تنفقوا
اي في سبيل الله عز وجل رغبة فيما عنده ومن في قوله تعالى مما تحبون تبعيضية ويؤيده قراءة من قرأ بعض
ما تحبون وقيل بيانية وما موصولة او موصوفة اي مما تهوون ويعجبكم من كرائم اموالكم واحبها اليكم كما
في قوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم او مما يعمها وغيرها من الاعمال والمهجة على ان المراد بالانفاق مطلق البذل
وفيه من الايذان بعزة منال البر ما لا يخفى وكان السلف رضي الله تعالى عنهم اجمعين اذا احبوا شيئا جعلوه لله
عز وجل وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول
الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او رايح واني ارى ان تجعلها في الاقربين
فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فوجد زيد في نفسه فقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اما ان الله تعالى قد قبلها منك قيل وفيه دلالة على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب
افضل وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري ان يشتري له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت
مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها وروي
ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كانت لزوجته جارية بارعة الجمال وكان عمر راغبا فيها وكان
قد طلبها مرارا فلم تعطها اياه ثم لما ولي الخلافة زينتها وارسلتها اليه فقالت قد وهبتكها يا امير المؤمنين
فلتخدمك قال من اين ملكتها قالت جئت بها من بيت ابي عبد الملك ففتش عن كيفية تملكه اياها فقيل انه
كان على فلان العامل ديون فلما توفي اخذت من تركته ففتش عن حال العامل واحضر ورثته وارضاهم
جميعا باعطاء المال ثم توجه الى الجارية وكان يهواها هوى شديدا فقال انت حرة لوجه الله تعالى
فقالت لم يا امير المؤمنين وقد ازحت عن امرها كل شبهة قال لست اذا ممن نهى النفس عن الهوى وما تنفقوا
من شيء ما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف هو صفة لاسم
الشرط اي اي شيء تنفقوا كائنا من الاشياء فان المفرد في مثل هذا الموضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار

والمجرور النصب على التمييز اي من شي تنفقوا طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله به عليم تعليل للجواب المشرط واقع موقعه اي فيجازيكم بحسبه جيدا كان او رديا فانه تعالى عليم بكل شي تنفقونه علما كاملا بحيث لا يخفى عليه شي من ذاته وصفاته وفيه من الترغيب في انفاق الجيد ومن الترغيب عن انفاق الردي ما لا يخفى كل الطعام اي كل افراد المطعوم او كل انواعه كان حلا لبني اسرائيل اي حلالا لهم فان الحل مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كما في قوله تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل على نفسه استثناء متصل من اسم كان اي كان كل المطعومات حلالا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل اي يعقوب عم على نفسه وهو لحوم الابل والبانها قيل كان به وجع النسا فنذر لان شفي لا ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع ان يقول كان ذلك باذن من الله تعالى فيه فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التوراة متعلق بقوله تعالى كان حلا ولا ضير في توسيط الاستثناء بينهما وقيل متعلق بحرم وفيه ان تقييد تحريمه عم بقبلية تنزيل التوراة مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وهو رد على اليهود في دعواهم البراءة عما نعي عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الايتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهم حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وتبكيت لهم في منع النسخ والطعن في دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم موافقته لابراهيم عم بتحليله لحوم الابل والبانها قل فاتوا بالتوراة فاتلوها امر له صلى الله عليه وسلم بان يحاجهم بكتابهم الناطق بان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث مترتب على ظلمهم وبغيهم كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم ويكلفهم اخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم واظهار اسم التوراة لكون الجملة كلاما مع اليهود منقطعا عما قبله وقوله تعالى ان كنتم صادقين فاتوا بالتوراة فاتلوها فان صدقكم مما يدعوكم الى ذلك البتة روي انهم لم يجسروا على اخراج التوراة فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك من الحجة النيرة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وجواز النسخ الذي يجحدونه ما لا يخفى والجملة مستانفة مقررة لما قبلها فمن افترى على الله الكذب اي اختلقه عليه سبحانه بزعمه انه حرم ما ذكر قبل نزول التوراة على بني اسرائيل ومن تقدمهم من الامم من بعد ذلك من بعد ما ذكر من امرهم باحضار التوراة وتلاوتها وما يترتب عليه من التبكيت والالزام والتقييد به للدلالة على كمال القبح فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الصلة باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال والطغيان اي فاولئك المصرون على الافتراء بعدما ظهرت حقيقة الحال وضاقت عليهم حلبة المحاجة والجدال هم الظالمون المفرطون في الظلم والعدوان المبعدون فيهما والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مسوقة من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم وقيل هي في محل النصب داخل تحت القول عطفا على قوله تعالى فاتوا بالتوراة قل صدق الله اي ظهر وثبت صدقه تعالى فيما انزل في شان التحريم وقيل في قوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا الاية او في كل ما اخبر به ويدخل فيه ذلك دخولا اوليا وفيه تعريض بكذبهم الصريح فاتبعوا ملة ابراهيم اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم عم فانكم ما كنتم متبعين لملته كما تزعمون او فاتبعوا مثل ملته حتى

تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة وتلفيق الاكاذيب لتسوية الاغراض الدنيئة الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات محللة لابراهيم عم ومن تبعه والفاء للدلالة على ان ظهور صدقه تعالى موجب للاتباع ومن ترك ما كانوا عليه حنيفا اي مائلا عن الاديان الزائغة كلها وما كان من المشركين اي في امر من امور دينهم اصلا وفرعا وفيه تعريض باشراك اليهود وتصريح بانه عم ليس بينه وبينهم علاقة دينية قطعا والغرض بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم على دين ابراهيم عم في الاصول لانه لا يدعو الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى والجملة تذييل لما قبلها ان اول بيت وضع للناس شروع في بيان كفرهم ببعض اخر من شعائر ملته عم اثر بيان كفرهم بكون كل المطعومات حلا له عم روي انهم قالوا بيت المقدس اعظم من الكعبة لانه مهاجر الانبياء وفي الارض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة اعظم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت اي ان اول بيت وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله سبحانه وتعالى ويؤيده القراءة على البناء للفاعل وقوله تعالى للذي ببكة خبر ان وانما اخبر بالمعرفة مع كون اسمها نكرة لتخصصها بسببين الاضافة والوصف بالجملة بعدها اي للبيت الذي ببكة اي فيها وفي ترك الموصوف من التفخيم ما لا يخفى وبكة لغة في مكة فان العرب تعاقب بين الباء والميم كما في قولهم ضربة لازب ولازم والنميط والنبيط في اسم موضع بالدهناء وقولهم امر راتب وراتم وسبد راسه وسمدها واغبطت الحمى واغمطت وهي علم للبلد الحرام من بكة لانها تبكهم لازدحام الناس فيه وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا ولانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله عز وجل وقيل بكة اسم لبطن مكة وقيل لموضع البيت وقيل للمسجد نفسه ومكة اسم للبلد كله ويؤيده ان التباك وهو الازدحام انما يقع عند الطواف وقيل مكة اسم للمسجد والمطاف وبكة اسم البلد لقوله تعالى للذي ببكة روي انه صلى الله عليه وسلم سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابراهيم عم وقيل ادم عم وقد استوفينا ما فيه من الاقاويل في سورة البقرة وقيل اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وهو حال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيها ما قدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة دالة على عظيم قدرته تعالى وبالغ حكمته كما قال فيه ايات بينات واضحات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار ومخالطة ضواري السباع الصيود في الحرم من غير تعرض لها وقهر الله تعالى لكل جبار قصده بسوء كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابراهيم اي اثر قدميه عليه السلام في الصخرة التي كان عم يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه او عند غسل راسه على ما روي انه عم جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل عليهما السلام انزل حتى اغسل راسك فلم ينزل فجاءت بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقي اثر قدميه عليه وهو اما مبتدا محذوف خبره اي منها مقام ابراهيم او بدل من ايات بدل البعض من الكل او عطف بيان اما وحده باعتبار كونه بمنزلة ايات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة ابراهيم عم كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا او باعتبار اشتماله على ايات كثيرة فان كل واحد من اثر قدميه في صخرة صما وغوصه فيها الى الكعبين

ولانة بعض الصخور دون بعض وابقائه دون سائر آثار الانبيا عليهم السلام وحفظه مع كثرة الاعداء
الوف سنة آية مستقلة ويؤيده القراءة على التوحيد واما ثانيهما فقوله عز وجل ومن دخله كان آمنا
فانه وان كان جملة مستأنفة ابتدائية او شرطية لكنها في قوة ان يقال وامن من دخله فتكون بحسب المعنى
معطوفة على مقام ابراهيم ولا يخفى ان الاثنين نوع من الجمع فيكتفى بذلك ويحمل على انه ذكر من تلك الآيات
اثنتان وطوي ذكر ما عداهما دلالة على كثرتها ومعنى امن داخله امنه من التعرض كما في قوله تعالى اولم يروا
انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل
لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج
منه ولذلك قال ابو حنيفة رحمه الله من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنى فالتجأ الى الحرم لم يتعرض
له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه صلى الله عليه وسلم الحجون والبقيع يؤخذ
باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا
وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام. ولله
على الناس حج البيت جملة من مبتدأ هو حج البيت وخبر هو لله وقوله تعالى على الناس متعلق بما تعلق به الخبر من
الاستقرار او بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في الجار والعامل فيه ذلك الاستقرار ويجوز ان يكون على الناس
هو الخبر ولله متعلق بما تعلق به الخبر ولا سبيل الى ان يتعلق بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في على الناس لاستلزامه
تقديم الحال على العامل المعنوي وذلك مما لا مساغ له بخلاف الظرف وحرف الجر فانهما يتقدمان على عاملهما
المعنوي واللام في البيت للعهد وحجه قصده للزيارة على الوجه المخصوص المعهود وكسر الحاء لغة نجد وقيل
هو اسم للمصدر وقرئ بفتحها من استطاع اليه سبيلا في محل الجر على انه بدل من الناس بدل البعض مخصص لعمومه
فالضمير العائد الى المبدل منه محذوف اي من استطاع منهم وقيل بدل الكل على ان المراد بالناس هو البعض المستطيع
فلا حاجة الى الضمير وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر اي هم من استطاع الخ وقيل في حيز النصب بتقدير
اعني وقيل كلمة من شرطية والجزاء محذوف لدلالة المذكور عليه وكذا العائد الى الناس اي من استطاع منهم اليه
سبيلا فلله عليه حج البيت وقد رجح هذا بكون من بعده شرطية والضمير المجرور في اليه راجع الى البيت او الى
الحج والجار متعلق بالسبيل قدم عليه اهتماما بشأنه كما في قوله عز وجل فهل الى خروج من سبيل وهل الى مرد
من سبيل لما فيه من معنى الافضاء والايصال كيف لا وهو عبارة عن الوسيلة من الراحلة وغيرها فانه قد روى انس رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه فسر السبيل بالزاد والراحلة وروى ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا قال يا رسول الله
ما السبيل قال الزاد والراحلة وهو المراد بما روي انه صلى الله عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة
وهكذا روي عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم اجمعين وعليه اكثر العلماء خلا ان الشافعي حملهما على ظاهرهما واوجب
الاستنابة على الزمن القادر على اجرة من ينوب عنه والظاهر ان مراده صلى الله عليه وسلم لصحة البدن
لظهور الامر كيف والمفسر في الحقيقة هو السبيل الموصل لنفس المستطيع الى البيت وهذا لا يتصور بدون الصحة وعن

وعن ابن الزبير انه على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة
وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك انه اذا قدر
ان يؤجر نفسه فهو مستطيع. ومن كفر وضع من كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتشديدا على تاركه ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه صلى الله
عليه وسلم قال في خطبته ايها الناس ان الله فرض الحج على من استطاع اليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على اي حال شاء
يهوديا او نصرانيا او مجوسيا. فان الله غني عن العالمين وعن عبادتهم وحيث كان من كفر من جملتهم داخلا فيها
دخولا اوليا اكتفي بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء ولقد حازت الآية الكريمة من فنون الاعتبارات
المنبئة عن كمال الاعتناء بامر الحج والتشديد على تاركه ما لا مزيد عليه حيث اوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقق
وابرزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار على وجه يفيد انه حق واجب لله سبحانه في ذمم الناس
لا انفكاك لهم عن ادائه والخروج عن عهدته وسلك بهم مسلك التعميم ثم التخصيص والابهام ثم التبيين والاجمال
ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد تحقيق وتقرير وعبر عن تركه بالكفر الذي لا قبيح وراءه وجعل جزاءه استغناءه تعالى
المؤذن بشدة المقت وعظم السخط لا عن تاركه فقط فانه قد ضرب عنه صفحا اسقاطا له عن درجة الاعتبار
واستهجانا بذكره بل عن جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب هذا وقال ابن عباس رضي الله عنهما
والحسن وعطاء ومن كفر اي جحد فرض الحج وزعم انه ليس بواجب وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا
الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به
خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا
فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع الى السماء في الثالثة وروي حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رضي الله عنه
حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج
عاما ما نوظروا. قل يا اهل الكتاب هم اليهود والنصارى وانما خوطبوا بعنوان اهلية الكتاب الموجبة للايمان به
وبما يصدقه مبالغة في تقبيح حالهم في كفرهم بها وقوله عز وجل لم تكفرون بآيات الله توبيخ وانكار لان يكون لكفرهم
بها سبب من الاسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد بآياته تعالى ما يعم الآيات القرآنية التي من جملتها
ما تلي في شأن الحج وغيره وما في التوراة والانجيل من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى والله شهيد على ما
تعملون حال من فاعل تكفرون مفيدة لتشديد التوبيخ وتأكيد الانكار واظهار الجلالة في موقع الاضمار لتربية
المهابة وتهويل الخطب وصيغة المبالغة في شهيد للتشديد في الوعيد وكلمة ما اما عبارة عن كفرهم او هي على عمومها
وهو داخل فيها دخولا اوليا والمعنى لاي سبب تكفرون بآياته عز وجل والحال انه تعالى مبالغ في الاطلاع على
جميع اعمالكم وفي مجازاتكم عليها ولا ريب في ان ذلك يسد جميع انحاء ما تأتونه ويقطع اسبابه بالكلية. قل يا اهل
الكتاب امر بتوبيخهم بالاضلال اثر توبيخهم بالضلال والتكرير للمبالغة في حمله صلى الله عليه وسلم على تقريعهم وتوبيخهم وترك
عطفه على الامر السابق للايذان باستقلالهما كما ان قطع قوله تعالى لم تصدون عن قوله تعالى لم تكفرون للاشعار
بان كل واحد من كفرهم وصدهم شناعة على حيالها مستقلة في استتباع اللائمة والتقريع وتكرير الخطاب بعنوان اهلية
الكتاب لتأكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فان ذلك العنوان كما يستدعي الايمان بما هو مصدق لما معهم يستدعي

من غيب الناس فيه فتصدهم عنه في أقصى مراتب القباحة ولكونهم في بعض الصور بتحريف الكتاب والكفر
بالآيات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم وقرئ تُصِدّون من أصدّه «عن سبيل الله» أي دينه الحق الموصل إلى
السعادة الأبدية وهو التوحيد وملة الإسلام «من آمن» مفعول لتصدون قدم عليه الجار والمجرور للاهتمام به
كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم ويقولون إن صفته صلى الله عليه وسلم
ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم وقيل أتت اليهود الأوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية
من العداوة والحروب ليعودوا إلى ما كانوا فيه «تبغونها» على إسقاط الجار وإيصال الفعل إلى الضمير كما في قوله
فتولى غلامهم ثم نادى أظليما أصيدكم أم حمارا بمعنى أصيد لكم أي تطلبون لسبيل الله التي هي أقوم السبل «عوجا»
اعوجاجا بأن تلبسوا على الناس وتوهموا أن فيه ميلا عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول صلى الله عليه وسلم
عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال من فاعل تصدون وقيل من سبيل الله «وأنتم شهداء» حال من فاعل تصدون باعتبار
تقييده بالحال الأولى أو من فاعل تبغونها أي والحال أنكم شهداء تشهدون بأنها سبيل الله لا يحوم حولها شائبة
اعوجاج وأن الصد عنها إضلال قال ابن عباس أي شهداء أن في التوراة أن دين الله الذي لا يقبل غيره هو الإسلام
أو أنتم عدول فيما بينكم يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وعظائم الأمور «وما الله بغافل عما تعملون»
اعتراض تذييلي فيه تهديد ووعيد شديد وقيل لما كان صدهم للمؤمنين بطريق الخفية ختمت الآية الكريمة
بما يحسم مادة حيلتهم من إحاطة علمه تعالى بأعمالهم كما أن كفرهم بآيات الله تعالى لما كان بطريق العلانية ختمت الآية السابقة
بشهادته تعالى على ما يعملون «يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم
كافرين» تلوين للخطاب وتوجيه له إلى المؤمنين تحذيرا لهم عن طاعة أهل الكتاب والافتتان بفتنتهم إثر توبيخهم
بالإغواء والإضلال ردعا لهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير عن طاعتهم وإيجاب
الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فإنه في قوة أن يقال لا تطيعوا فريقا الخ كما أن تعميم التوبيخ فيما قبله للمبالغة
في الزجر أو للمحافظة على سبب النزول فإنه يروى أن نفرا من الأوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم
شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الحسد للمسلمين فغاظه ما رأى منهم من تآلف القلوب واتحاد الكلمة
واجتماع الرأي بعد ما كان بينهم ما كان من العداوة والشنآن فأمر شابا يهوديا كان معه أن يجلس إليهم ويذكرهم
يوم بعاث وكان ذلك يوما عظيما اقتتل فيه الحيان وكان الظفر فيه للأوس وينشدهم ما قيل فيه من الأشعار ففعل
فتفاخر القوم وتغاضبوا حتى تواثبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين خلق عظيم فعند ذلك
جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله تعالى
بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم فعلموا أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا
السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الإمام الواحدي اصطفوا
للقتال فنزلت الآية إلى قوله تعالى لعلكم تهتدون فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين فقرأهن
ورفع صوته فلما سمعوا صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ ألقوا السلاح
وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون وقوله تعالى كافرين إما مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير
كما في قوله رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن
البيض سودا أو حال من مفعوله والأول أدخل في تنزيه المؤمنين عن نسبتهم إلى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر

الكفر المفروض بطريق القسر وإيراد الظرف مع عدم الحاجة إليه ضرورة سبق الخطاب بعنوان المؤمنين واستحالة تحقق
الرد إلى الكفر بدون سبق الإيمان مع توسيطه بين المفعولين لإظهار كمال شناعة الكفر وغاية بعده من الوقوع
إما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته أو لممانعة الإيمان له كأنه قيل بعد إيمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين
ما لا يخفى «وكيف تكفرون» استفهام إنكاري بمعنى إنكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد لا بمعنى
إنكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا الخ وفي توجيه الإنكار والاستبعاد إلى كيفية الكفر
من المبالغة ما ليس في توجيهه إلى نفسه بأن يقال أتكفرون لأن كل موجود لا بد أن يكون وجوده على حال من الأحوال
فإذا أنكر ونفي جميع أحوال وجوده فقد انتفى وجوده بالكلية على الطريق البرهاني وقوله عز وجل «وأنتم
تتلى عليكم آيات الله» جملة وقعت حالا من ضمير المخاطبين في تكفرون مؤكدة للإنكار والاستبعاد بما فيها
من الشؤون الداعية إلى الثبات على الإيمان الوازعة عن الكفر وقوله تعالى «وفيكم رسوله» معطوف عليها داخل في
حكمها فإن تلاوة آيات الله تعالى عليهم وكون رسوله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم
بتحقيق الحق وإزاحة الشبه من أقوى الزواجر عن الكفر وعدم إسناد التلاوة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
للإيذان باستقلال كل منهما في الباب «ومن يعتصم بالله» أي ومن يتمسك بدينه الحق الذي بينه بآياته على لسان
رسوله صلى الله عليه وسلم وهو الإسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله «فقد هدي» جواب الشرط
وقد لإفادة معنى التحقيق كأن الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع فيه ظاهر فإن المعتصم به تعالى
متوقع للهدى كما أن قاصد الكريم متوقع للندى «إلى صراط مستقيم» موصل إلى المطلوب والتنوين للتفخيم
والوصف بالاستقامة للتصريح بالرد على الذين يبغون له عوجا وهذا وإن كان هو دين الحق في الحقيقة والهدى
إليه هو الاعتصام به بعينه لكن لما اختلف الاعتباران وكان العنوان الأخير مما يتنافس فيه المتنافسون أبرز
في معرض الجواب للحث والترغيب على طريقة قوله تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز «يا أيها الذين
آمنوا» تكرير الخطاب بعنوان الإيمان تشريف إثر تشريف «اتقوا الله» الاتقاء افتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة
«حق تقاته» أي حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كما في قوله تعالى
فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو أن يطاع ولا يعصى ويذكر ولا ينسى ويشكر ولا يكفر
وقد روي مرفوعا إليه صلى الله عليه وسلم وقيل هو أن لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو
على نفسه أو ابنه أو أبيه وقيل هو أن ينزه الطاعة عن الالتفات إليها وعن توقع المجازاة وقد مر تحقيق الحق
في ذلك عند قوله عز وجل هدى للمتقين والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد وأصلها وقية قلبت واوها المضمومة
تاء كما في تهمة وتخمة وياؤها المفتوحة ألفا «ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون» أي مخلصون نفوسكم لله عز وجل
لا تجعلون فيها شركة لما سواه أصلا كما في قوله تعالى ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو استثناء مفرغ من
أعم الأحوال أي لا تموتن على حال من الأحوال إلا حال تحقق إسلامكم وثباتكم عليه كما ينبئ عنه الجملة الاسمية
ولو قيل إلا مسلمين لم يفد فائدتها والعامل في الحال ما قبل إلا بعد النقض وظاهر النظم الكريم وإن كان نهيا
عن الموت المقيد بقيد هو الكون على حال غير حال الإسلام لكن المقصود هو النهي عن ذلك القيد عند الموت المستلزم
للأمر بضده الذي هو الكون على حال الإسلام حينئذ وحيث كان الخطاب للمؤمنين كان المراد إيجاب الثبات
على الإسلام إلى الموت وتوجيه النهي إلى الموت للمبالغة في النهي عن قيده المذكور فإن النهي عن المقيد في أمثاله

نهي عن القيد فيه رفع له عن اصله بالكلية مفيد لما لا يفيده النهي عن نفس القيد فان قولك لا تصل الا وانت
خاشع يفيد من المبالغة في ايجاب الخشوع في الصلوة ما لا يفيده قولك لا تترك الخشوع في الصلوة لما ان هذا نهي
عن ترك الخشوع فقط وذاك نهي عنه وعما يقارنه ومفيد لكون الخشوع هو العمدة في الصلوة وان الصلوة بدونه
حقها ان لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت وقوله عز وجل واعتصموا بحبل الله اي بدين الاسلام
او بكتابه لقوله صلى الله عليه وسلم القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به
صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم اما تمثيل للحالة الحاصلة من استظهارهم به
ووثوقهم بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلي من مكان رفيع بحبل وثيق مأمون الانقطاع من غير
اعتبار مجاز في المفردات واما استعارة للحبل لما ذكر من الدين او الكتاب والاعتصام ترشيح لها او مستعار
للوثوق به والاعتماد عليه جميعا حال من فاعل اعتصموا اي مجتمعين في الاعتصام ولا تفرقوا اي لا تتفرقوا
عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا او لا تحدثوا
ما يوجب التفرق ويزيل الالفة التي انتم عليها واذكروا نعمة الله مصدر مضاف الى الفاعل وقوله تعالى
عليكم متعلق بها او بمحذوف وقع حالا منه وقوله تعالى اذ كنتم ظرف لها او للاستقرار في عليكم اي اذكروا
انعامه عليكم او اذكروا انعامه مستقرا عليكم وقت كونكم اعداء في الجاهلية بينكم الاحن والعداوات
والحروب المتواصلة وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بين اولادهما العداوة
والبغضاء وتطاولت الحروب فيما بينهم مائة وعشرين سنة فالف بين قلوبكم بتوفيقكم للاسلام
فاصبحتم اي فصرتم بنعمته التي هي ذلك التأليف اخوانا خبر اصبحتم اي اخوانا متحابين مجتمعين على
الاخوة في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق وقيل معنى فاصبحتم فدخلتم في الصباح فالباء
متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل وكذا اخوانا اي فاصبحتم متلبسين بنعمته حال كونكم اخوانا وكنتم
على شفا حفرة من النار شفا الحفرة وشفتها حرفها اي كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو
ادرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها فانقذكم منها بان هداكم للاسلام منها الضمير للحفرة او للنار
او للشفا والتأنيث للمضاف اليه كما في قوله كما شرقت صدر القناة من الدم او لانه بمعنى الشفة فان شفا
البئر وشفتها جانبها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو الفا في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك
اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته
في الفضل وكمال تميزه به عما عداه وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده
اسم الاشارة من الفخامة ومحلها النصب على انها صفة لمصدر محذوف اي مثل ذلك التبيين الواضح يبين الله
لكم اياته اي دلائله لعلكم تهتدون طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون
الى الخير امرهم الله سبحانه بتكميل الغير وارشاده اثر امرهم بتكميل النفس وتهذيبها بما قبله من الاوامر والنواهي
تثبيتا للكل على مراعاة ما فيها من الاحكام بان يقوم بعضهم بمواجبها ويحافظ على حقوقها وحدودها ويذكرها
الناس كافة ويردعهم عن الاخلال بها والجمهور على اسكان لام الامر وقرئ بكسرها على الاصل ومن
كان التامة ومن تبعيضية متعلقة بالامر او بمحذوف وقع حالا من الفاعل وهو امة ويدعون صفتها اي
لتوجد منكم امة داعية الى الخير والامة هي الجماعة التي يؤمها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون بها او

او من الناقصة وامة اسمها ويدعون خبرها اي لتكن منكم امة داعين الى الخير وايا ما كان فتوجيه الخطاب الى الكل
مع اسناد الدعوة الى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وانها واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها البعض
سقطت عن الباقين ولو اخل بها الكل اثموا جميعا لا بحيث يحتم على الكل اقامتها على ما ينبئ عنه قوله عز وجل
وما كان المؤمنون لينفروا كافة الاية ولانها من عظائم الامور وعزائمها التي لا يتولاها الا العلماء باحكامه
تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها فان من لا يعلمها يوشك ان يأمر بمنكر وينهى عن معروف ويغلظ في مقام
اللين ويلين في مقام الغلظة وينكر على من لا يزيده الانكار الا التمادي والاصرار وقيل من بيانية كما في قوله تعالى
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم الاية والامر من كان الناقصة والمعنى كونوا امة يدعون الاية كقوله
تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس الاية ولا يقتضي ذلك كون الدعوة فرض عين فان الجهاد من فروض الكفاية
مع ثبوته بالخطابات العامة والدعاء الى الخير عبارة عن الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي فعطف الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر عليه بقوله تعالى ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر مع اندراجهما فيه من باب عطف
الخاص على العام لاظهار فضلهما وانافتهما على سائر الخيرات كعطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام
وحذف المفعول الصريح من الافعال الثلثة اما للايذان بظهوره اي يدعون الناس ويأمرونهم وينهونهم واما
للقصد الى ايجاد نفس الفعل كما في قولك فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الدعاء الى الخير والامر بالمعروف والنهي
عن المنكر واولئك اشارة الى الامة المذكورة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الفاضلة وكمال تميزهم
بذلك عمن عداهم وانتظامهم بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو طبقتهم وبعد
منزلتهم في الفضل والافراد في كاف الخطاب اما لان المخاطب كل من يصلح للخطاب واما لان التعيين غير مقصود
اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات الكاملة هم المفلحون اي هم الاخصاء بكمال الفلاح وهم ضمير فصل يفصل
بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر
لاولئك وتعريف المفلحين اما للعهد او للاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه سئل عن خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم
وعنه صلى الله عليه وسلم من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه
وعنه صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم
عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له والامر بالمعروف في الوجوب والندب تابع لما يؤمر به واما
النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والعاصي يجب عليه النهي عما ارتكبه اذ يجب عليه تركه
وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب شيء منهما والتوبيخ في قوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
انما هو على نسيان انفسهم لا على امرهم بالبر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا ولا تكونوا كالذين
تفرقوا هم اهل الكتابين حيث تفرقت اليهود فرقا والنصارى فرقا واختلفوا باستخراج التأويلات الزائغة
وكتم الايات الناطقة وتحريفها بما اخلدوا اليه من حطام الدنيا الدنية من بعد ما جاءهم البينات اي الايات
الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة فالنهي متوجه الى المتصدين للدعوة اصالة والى
اعقابهم تبعا ومخبرة تعميم الموصول للمختلفين من الامم السالفة المشار اليهم بقوله عز وجل وما اختلف فيه الا الذين

اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات وقيل هم المبتدعة من هذه الامة وقيل هم الحرورية وعلى كل تقدير فالمنهى عنه
انما هو الاختلاف في الاصول دون الفروع الا ان يكون مخالفا للنصوص البينة او الاجماع لقوله صلى الله عليه وسلم
اختلاف امتي رحمة وقوله صلى الله عليه وسلم من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد. واولئك اشارة
الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم خبره وقوله تعالى عذاب عظيم مرتفع
بالظرف على انه فاعله لاعتماده على المبتدأ او مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول وفيه من التاكيد والمبالغة
في وعيد المتفرقين والتشديد في تهديد المتشبهين بهم ما لا يخفى. يوم تبيض وجوه اي وجوه كثيرة وقرئ تبياض
وتسود وجوه كثيرة وقرئ تسواد وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة
والنضير ويوم منصوب على انه ظرف للاستقرار في لهم اي لثبوت العذاب العظيم لهم او على انه مفعول لمضمر
خوطب به المؤمنون تحذيرا لهم عن عاقبة التفرق بعد مجيء البينات وترغيبا في الاتفاق على التمسك بالدين اي
اذكروا يوم تبيض الخ وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل
يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد
ذلك. فاما الذين اسودت وجوههم تفصيل لاحوال الفريقين بعد الاشارة اليها اجمالا وتقديم بيان هؤلاء
لما ان المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه من الجمع بين الاجمال والتفصيل والافضاء الى ختم الكلام
بحسن حال المؤمنين كما بدئ بذلك عند الاجمال. اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم ذلك
والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتابين وكفرهم بعد ايمانهم كفرهم برسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد ايمان اسلافهم او ايمان انفسهم به قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم او جميع الكفرة حيث كفروا
بعدما اقروا بالتوحيد يوم الميثاق او بعدما تمكنوا من الايمان بالنظر الصحيح والدلائل الواضحة والايات
البينة وقيل المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء. والفاء في قوله عز وعلا فذوقوا العذاب اي العذاب
المعهود الموصوف بالعظم للدلالة على ان الامر بذوق العذاب على طريقة الاهانة مترتب على كفرهم المذكور
كما ان قوله تعالى بما كنتم تكفرون. صريح في ان نفس الذوق معلل بذلك والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
للدلالة على استمرار كفرهم او على مضيه في الدنيا. واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله اي الجنة
والنعيم المخلد عبر عنها بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى فانه لا يدخل الجنة
الا برحمته تعالى وقرئ ابياضت كما قرئ اسوادت. هم فيها خالدون استيناف وقع جوابا عن سؤال
نشأ من السياق كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون وتقديم
الظرف للمحافظة على رؤوس الاي. تلك اشارة الى الايات المشتملة على تنعيم الابرار وتعذيب الكفار ومعنى
البعد للايذان بعلو شانها وسمو مكانها في الشرف وهو مبتدأ وقوله تعالى آيات الله خبره وقوله تعالى
نتلوها جملة حالية من الايات والعامل فيها معنى الاشارة او هي الخبر وآيات الله بدل من اسم الاشارة والالتفات
الى التكلم بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان جبريل عليه السلام لابراز كمال العناية بالتلاوة وقرئ
يتلوها على اسناد الفعل الى ضميره تعالى وقوله تعالى عليك متعلق بنتلوها وقوله تعالى بالحق حال مؤكدة
من فاعل نتلوها او من مفعوله اي ملتبسين او ملتبسة بالحق والعدل ليس في حكمها شائبة جور بنقص ثواب
المحسن او بزيادة عقاب المسيء او بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم باعمالهم بموجب الوعد

الوعد والوعيد وقوله تعالى وما الله يريد ظلما للعالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله على ابلغ وجه
واكده فان تنكير الظلم وتوجيه النفي الى ارادته بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق الحكم بآحاد
الجمع المعرف والالتفات الى الاسم الجليل اشعارا بعلة الحكم بيان لكمال نزاهته عز وجل عن الظلم بما لا مزيد
عليه اي ما يريد فردا من افراد الظلم لفرد من افراد العالمين في وقت من الاوقات فضلا عن ان يظلمهم فان
المضارع كما يفيد الاستمرار في الاثبات يفيده في النفي بحسب المقام كما ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام
على دوام الثبوت وعند دخول حرف النفي تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وفي سبك
الجملة نوع ايماء الى التعريض بان الكفرة هم ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد كما في قوله تعالى
ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون. ولله ما في السموات وما في الارض اي له تعالى
وحده من غير شركة اصلا ما فيهما من المخلوقات الفانية ملكا وخلقا احياء واماتة واثابة وتعذيبا
وايراد كلمة ما اما لتغليب غير العقلاء على العقلاء واما لتنزيلهم منزلة غيرهم اظهارا لحقارتهم في مقام
بيان عظمته تعالى. والى الله اي الى حكمه وقضائه لا الى غيره شركة او استقلالا. ترجع الامور
اي امورهم فيجازي كلا منهم بما وعد له واوعد من غير دخل في ذلك لاحد قط والجملة مقررة لمضمون
ما ورد في جزاء الفريقين وقيل هي معطوفة على ما قبلها مقررة لمضمونه فان كون العالمين عبيده تعالى
ومخلوقه ومرزوقه يستدعي ارادة الخير بهم. كنتم خير امة كلام مستانف سيق لتثبيت المؤمنين على ما
هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة الى الخير وكنتم من كان الناقصة التي تدل على تحقق شيء بصفة
في الزمان الماضي من غير دلالة على عدمه سابقا او لاحقا كما في قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم
كذلك في علم الله تعالى او في اللوح او فيما بين الامم السالفة وقيل معناه انتم خير امة. اخرجت للناس
صفة لامة واللام متعلقة باخرجت اي اظهرت لهم وقيل بخير امة اي كنتم خير الناس للناس فهو صريح
في ان الخيرية بمعنى النفع للناس وان فهم ذلك من الاخراج لهم ايضا اي اخرجت لاجلهم ومصلحتهم
قال ابو هريرة رض معناه كنتم خير الناس للناس تاتون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الاسلام
وقال قتادة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم
في الاسلام فهم خير امة للناس. تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف مبين لكونهم خير امة
كما يقال زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم او خبر ثان لكنتم وصيغة الاستقبال
للدلالة على الاستمرار وخطاب المشافهة وان كان خاصا بمن شاهد الوحي من المؤمنين لكن حكمه عام للكل
قال ابن عباس رض يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج اصل هذا الخطاب لاصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يعم سائر امته وروى الترمذي عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبي
صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها
واكرمها على الله تعالى وظاهر ان المراد بكل امة اوائلهم واواخرهم لا اوائلهم فقط فلا بد ان يكون
اعقاب هذه الامة ايضا داخلة في الحكم وكذا الحال فيما روي ان مالك بن الصيف ووهب بن يهودا
اليهوديين قالا لنفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم
مولى حذيفة رضي الله تعالى عنهم فقالا نحن افضل منكم وديننا خير مما تدعوننا اليه وروى سعيد بن جبير

عن ابن عباس رضي الله عنهما كنتم خير امة الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وروي
عن الضحاك انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة الرواة والدعاة الذين امر الله المسلمين
بطاعتهم. وتؤمنون بالله. اي ايمانا متعلقا بكل ما يجب ان يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء
وانما لم يصرح به تفصيلا لظهور انه الذي يؤمن به المؤمنون وللايذان بان الايمان بالله تعالى حقيقة
وان ما خلا عن شيء من ذلك كايمان اهل الكتاب ليس من الايمان به تعالى في شيء قال تعالى ويقولون نؤمن
ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا وانما اخر ذلك عن
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة لان دلالتهما على خيريتهم للناس اظهر
من دلالته عليها وليقترن به قوله تعالى. ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم. اي لو آمنوا كايمانكم لكان
ذلك خيرا لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام ولازدادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية
مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين وقيل مما هم فيه من الكفر فالخيرية انما هي باعتبار
زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم وانما لم يتعرض للمؤمن به اصلا للاشعار بظهوره انه الذي يطلق عليه اسم الايمان
لا يذهب الوهم الى غيره ولو فصل المؤمن به ههنا او فيما قبله لربما فهم ان لاهل الكتاب ايضا ايمانا في الجملة
لكن ايمان المؤمنين خير منه وهيهات ذلك. منهم المؤمنون. جملة مستأنفة سيقت جوابا عما نشأ من الشرطية
الدالة على انتفاء الخيرية لانتفاء الايمان عنهم كانه قيل هل منهم من آمن او كلهم على الكفر فقيل منهم
المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام واصحابه. واكثرهم الفاسقون. المتمردون في الكفر
الخارجون عن الحدود. لن يضروكم الا اذى. استثناء مفرغ من المصدر العام اي لن يضروكم ابدا ضررا ما
الا ضرر اذى لا يبالى به من طعن وتهديد لا اثر له. وان يقاتلوكم يولوكم الادبار. اي ينهزموا من غير
ان ينالوا منكم شيئا من قتل واسر. ثم لا ينصرون. عطف على الشرطية وثم للتراخي في الرتبة اي لا ينصرون
من جهة احد ولا يمنعون منكم قتلا واخذا وفيه تثبيت لمن آمن منهم فانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي
بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بانهم لا يقدرون على ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى
ضرر يعبأ به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل وانما
لم يعطف نفي منصوريتهم على الجزاء لان المقصود هو الوعد بنفي النصر مطلقا ولو عطف عليه لكان مقيدا
بمقاتلتهم كتولية الادبار وكم بين الوعدين كانه قيل ثم شانهم الذي اخبركم عنه وابشركم به انهم
مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعد ذلك بجناح ولا يقومون على ساق ولا يستقيم لهم امر
وكان كذلك حيث لقي بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع ويهود خيبر ما لقوا. ضربت عليهم الذلة. اي هدر
النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل. اينما ثقفوا. اي وجدوا. الا بحبل من الله وحبل من الناس
استثناء من اعم الاحوال اي ضربت عليهم الذلة ضرب القبة على من هي عليه في جميع الاحوال الا حال كونهم
معتصمين بذمة الله او كتابه الذي اتاهم وذمة المسلمين او بذمة الاسلام واتباع سبيل المؤمنين. وباءوا
بغضب من الله. اي رجعوا به مستوجبين له والتنكير للتفخيم والتهويل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لغضب
مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة والهول اي كائن من الله عز وجل. وضربت عليهم المسكنة. فهي محيطة بهم
من جميع جوانبهم واليهود كذلك في غالب الحال مساكين تحت ايدي المسلمين والنصارى. ذلك. اشارة الى ما

الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم. بانهم كانوا يكفرون بآيات الله. اي
ذلك الذي ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر بآيات الله الناطقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتحريفهم لها
وبسائر الآيات القرآنية. ويقتلون الانبياء بغير حق. اي في اعتقادهم ايضا واسناد القتل اليهم مع انه فعل
اسلافهم لرضاهم به كما ان التحريف مع كونه من افعال احبارهم ينسب الى كل من يسير بسيرتهم. ذلك. اشارة
الى ما ذكر من الكفر والقتل. بما عصوا وكانوا يعتدون. اي كائن بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله
تعالى على الاستمرار فان الاصرار على الصغائر يفضي الى مباشرة الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر
وقيل معناه ان ضرب الذلة والمسكنة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم
فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع من حيث المؤاخذة. ليسوا سواء. جملة مستأنفة
سيقت تمهيدا لتعداد محاسن مؤمني اهل الكتاب وتذكيرا لقوله تعالى منهم المؤمنون والضمير في ليسوا لاهل
الكتاب جميعا لا للفاسقين منهم خاصة وهو اسم ليس وخبره سواء وانما افرد لانه في الاصل مصدر والمراد
بنفي المساواة نفي المشاركة في اصل الاتصاف بالقبائح المذكورة لا نفي المساواة في مراتب الاتصاف بها مع تحقق
المشاركة في اصل الاتصاف بها اي ليس جميع اهل الكتاب متشاركين في الاتصاف بما ذكر من القبائح والابتلاء
بما يترتب عليها من العقوبات وقوله تعالى. من اهل الكتاب امة قائمة. استيناف مبين لكيفية عدم تساويهم
ومزيل لما فيه من الابهام كما ان ما سبق من قوله تعالى تامرون بالمعروف الآية مبين لقوله تعالى كنتم خير امة الخ
ووضع اهل الكتاب موضع الضمير العائد اليهم لتحقيق ما به الاشتراك بين الفريقين والايذان بان تلك الامة ممن اوتي
نصيبا وافرا من الكتاب لا من ارذالهم والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم
الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد واسيد بن عبيد واضرابهم وقيل هم اربعون رجلا من اهل
نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام وصدقوا محمدا صلى الله عليه وسلم
وكان من الانصار فيهم عدة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم منهم اسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن
مسلمة وابو قيس صرمة بن انس كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما يعرفون من شرائع الحنيفية
حتى بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم فصدقوه ونصروه وقوله تعالى. يتلون آيات الله. في محل الرفع على انه صفة
اخرى لامة وقيل في محل النصب على انه حال منها لتخصصها بالنعت والعامل فيها الاستقرار الذي يتضمنه الجار
او من ضميرها في قائمة او من المستكن في الجار لوقوعه خبرا لامة والمراد بآيات الله القرآن وقوله تعالى
اناء الليل. ظرف ليتلون اي في ساعاته جمع انى بزنة عصا او انى بزنة معى او انى بزنة ظبي او انى بزنة
جزء. وهم يسجدون. اي يصلون اذ لا تلاوة في السجود قال صلى الله عليه وسلم الا اني نهيت ان اقرأ راكعا
وساجدا وتخصيص السجود بالذكر من بين سائر اركان الصلاة لكونه ادل على كمال الخضوع والتصريح بتلاوتهم
آيات الله في الصلاة مع انها مشتملة عليها قطعا لزيادة تحقيق المخالفة وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين الذين
وصفوا آنفا بالكفر بها وهو السر في تقديمها على نعت الايمان والمراد بصلاتهم التهجد اذ هو ادخل
في مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة فانها في المكتوبة وظيفة الامام واعتبارها من حالهم عند الصلاة على الانفراد يأباه
مقام المدح وهو الانسب بالعدول عن ايرادها باسم الجنس المتبادر منه الصلاة المكتوبة وبالتعبير عن وقتها
بالآناء المبهمة وقيل هي صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

اخرها ليلة ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله
هذه الساعة غيركم وقرا هذه الآية وايراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار وتكرير الاسناد لتقوية الحكم
وتاكيده وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والجملة حال من فاعل يتلون وقيل هي مستانفة والمعنى انهم
يقومون تارة ويسجدون اخرى يبتغون الفضل والرحمة بانواع ما يكون في الصلوة من الخضوع لله عز وجل
كما في قوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل المراد بالسجود الخضوع كما في قوله تعالى ولله يسجد ما
في السموات والارض. يؤمنون بالله واليوم الآخر. صفة اخرى لامة مبينة لمباينتهم اليهود من جهة اخرى
اي يؤمنون بهما على الوجه الذي نطق به الشرع والاطلاق للايذان بالغنى عن التقييد لظهور ان الذي يطلق عليه
الايمان بهما لا ينصرف الوهم الى غيره وللتعريض بان ايمان اليهود بهما مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب
والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته ليس من الايمان بهما في شيء اصلا ولو قيد بما ذكر لربما توهم ان المنفي عنهم
هو القيد المذكور مع جواز اطلاق الايمان على ايمانهم بالاصل وهيهات. ويامرون بالمعروف وينهون عن
المنكر. صفتان اخريان لامة اجريتا عليهم تحقيقا لمخالفتهم اليهود في الفضائل المتعلقة بتكميل الغير
اثر بيان مباينتهم لهم في الخصائص المتعلقة بتكميل النفس وتعريضا بمداهنتهم في الاحتساب بل بتعكيسهم الامر
باضلال الناس وصدهم عن سبيل الله فانه امر بالمنكر ونهي عن المعروف. ويسارعون في الخيرات. صفة اخرى
لامة جامعة لفنون المحاسن المتعلقة بالنفس وبالغير والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر
سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي اي يبادرون مع كمال الرغبة في فعل اصناف الخيرات اللازمة
والمتعدية وفيه تعريض بتباطؤ اليهود فيها بل بمبادرتهم الى الشرور وايثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى
وسارعوا الى مغفرة الخ للايذان بانهم مستقرون في اصل الخير متقلبون في فنونها المترتبة في طبقات الفضل
لا انهم خارجون عنها منتهون اليها. واولئك. اشارة الى الامة باعتبار اتصافهم بما فصل من النعوت الجليلة
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل وايثاره على الضمير للاشعار بعلة الحكم
والمدح اي اولئك المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها. من الصالحين. اي من جملة من صلحت
احوالهم عند الله عز وجل واستحقوا رضاه وثناءه. وما يفعلوا من خير. كائنا ما كان مما ذكر او لم يذكر. فلن
يكفروه. اي لن يعدموا ثوابه البتة عبر عنه بذلك كما عبر عن توفية الثواب بالشكر اظهارا لكمال تنزهه سبحانه
وتعالى عن ترك اثابتهم بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وتعديته الى مفعولين
بتضمين معنى الحرمان وايثاره صيغة البناء للمفعول للجري على سنن الكبرياء. وقرئ الفعلان على صيغة الخطاب
والله عليم بالمتقين. تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان علمه تعالى باحوالهم يستدعي توفية اجورهم لا محالة والمراد
بالمتقين اما الامة المعهودة وضع موضع الضمير العائد اليهم مدحا لهم وتعيينا لعنوان تعلق العلم بهم واشعارا
بمناط اثابتهم وهو التقوى المنطوي على الخصائص السالفة واما جنس المتقين عموما وهم مندرجون تحت حكمه
اندراجا اوليا. ان الذين كفروا. اي بما يجب ان يؤمن به قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بنو قريظة والنضير
فان معاندتهم كانت لاجل المال وقيل هم مشركوا قريش فان ابا جهل كان كثير الافتخار بماله وقيل
ابو سفيان واصحابه فانه انفق مالا كثيرا على الكفار يوم بدر واحد وقيل هم الكفار كافة فانهم فاخروا
بالاموال والاولاد حيث قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فرد الله عز وجل عليهم وقال

لن تغني عنهم. اي لن تدفع عنهم. اموالهم ولا اولادهم من الله. اي من عذابه تعالى. شيئا. اي شيئا يسيرا
منه او شيئا من الاغناء. واولئك اصحاب النار. اي ملازموها على الدوام وملابسوها. هم فيها خالدون
ابدا. مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا. بيان لكيفية عدم اغناء اموالهم التي كانوا يعولون عليها في جلب النفع
ودفع المضار ويعلقون بها اطماعهم الفارغة وما موصولة اسمية حذف عائدها اي حال ما ينفقه الكفرة قربة
او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا وقصته العجيبة التي تجري مجرى المثل في الغرابة. كمثل ريح فيها صر.
اي برد شديد فانه في الاصل مصدر وان شاع اطلاقه على الريح الباردة كالصرصر وقيل كلمة في تجريدية
كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة. اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم. بالكفر والمعاصي
فباؤا بغضب من الله تعالى وانما وصفوا بذلك لان الاهلاك عن سخطه اشد وافظع. فاهلكته. عقوبة لهم ولم تدع
منه اثرا ولا عثيرا والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه وذهابه بالكلية من غير ان يعود اليهم نفع ما بحرث كفار
ضربته صر فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما بوجه من الوجوه وهو من التشبيه المركب الذي مر تفصيله في تفسير
قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه للريح دون الحرث ويجوز ان يراد مثل اهلاك
ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون. وما ظلمهم الله. بما بين
من ضياع ما انفقوا. ولكن انفسهم يظلمون. لما انهم اضاعوها بانفاقها لا على ما ينبغي وتقديم المفعول لرعاية الفواصل
لا للتخصيص لان الكلام في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول اي ما ظلمهم الله ولكن ظلموا انفسهم وصيغة
المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقد جوز ان يكون المعنى وما ظلم الله تعالى اصحاب الحرث باهلاكه
ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ويأباه انه قد مر التعريض له صريحا واشعارا وقرئ ولكن
بالتشديد على ان انفسهم اسمها ويظلمون خبرها والعائد محذوف للفاصلة اي ولكن انفسهم يظلمونها واما تقدير
ضمير الشان فلا سبيل اليه لاختصاصه بالشعر وهو كما في قوله ولكن من يبصر جفونك يعشق. يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا بطانة. بطانة الرجل ووليجته من يعرفه اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار
قال صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار قال ابن عباس رضي الله عنهما كان رجال من المؤمنين يواصلون
اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف فانزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد نزلت في قوم من المؤمنين
كانوا يواصلون المنافقين فنهوا عن ذلك ويؤيده قوله تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم
الانامل وهي صفة المنافق واياما كان فالحكم عام للكفرة كافة. من دونكم. اي من دون المسلمين وهو متعلق
بلا تتخذوا او بمحذوف وقع صفة لبطانة اي كائنة من دونكم مجاوزة لكم. لا يالونكم خبالا. جملة مستانفة
مبينة لحالهم داعية الى الاجتناب عنهم او صفة لبطانة يقال الا في الامر اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى
مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على تضمين معنى المنع والنقص والخبال الفساد اي لا يقصرون
لكم في الفساد. ودوا ما عنتم. اي تمنوا عنتكم اي مشقتكم وشدة ضرركم وهو ايضا استيناف مؤكد للنهي
موجب لزيادة الاجتناب عن المنهي عنه. قد بدت البغضاء من افواههم. استيناف آخر مفيد لمزيد الاجتناب
عن المنهي عنه اي قد ظهرت البغضاء في كلامهم لما انهم لا يتمالكون مع مبالغتهم في ضبط انفسهم وتحاملهم عليها ان
ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وقرئ قد بدا البغضاء والافواه جمع فم واصله فوه فلامه هاء
يدل على ذلك جمعه على افواه وتصغيره على فويه والنسبة اليه فوهي. وما تخفي صدورهم اكبر. مما بدا لان

بدوة ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة المؤمنين
ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون اي ان كنتم من اهل العقل او ان كنتم تعقلون ما بين لكم من الآيات والجواب
محذوف لدلالة المذكور عليه ها انتم هؤلاء جملة من مبتدأ وخبر صدرت بحرف التنبيه اظهارا لكمال العناية
بمضمونها اي انتم اولاء الخاطئون في موالاتهم وقوله تعالى تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم في ذلك وهو
خبر ثان لانتم او خبر لاولاء والجملة خبر لانتم كقولك انت زيد تحبه او صلة له او حال والعامل معنى الاشارة
ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله اي بجنس الكتب جميعا
وهو حال من ضمير المفعول في لا يحبونكم والمعنى لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم
لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا واذا
خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ اي من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم
دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله الى ان يهلكوا به او باشتداده الى ان
يهلككم ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدوركم من العداوة والبغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون
من المقول اي وقل لهم ان الله تعالى عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى
لا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بذات الصدور وقيل هو امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب
النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله تعالى ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به من غير
ان يكون ثمة قول كانه قيل حدث نفسك بذلك ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها
بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة وذكر المس
مع الحسنة والاصابة مع السيئة اما للايذان بان مدار مساءتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة ومناط فرحهم
تمام اصابة السيئة واما لان المس مستعار لمعنى الاصابة وان تصبروا اي على عداوتهم او على مشاق التكاليف
وتتقوا ما حرم الله تعالى عليكم ونهاكم عنه لا يضركم كيدهم مكرهم وحيلتهم التي دبروها لاجلكم وقرئ
لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء على جواب الشرط من ضاره يضيره بمعنى ضره يضره وضمة الراء في القراءة المشهورة
للاتباع كضمة مد شيئا نصب على المصدرية اي لا يضركم شيئا من الضرر بفضل الله وحفظه الموعود
للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون جريا على الخصم ان الله بما يعملون في
عداوتكم من الكيد محيط علما فيعاقبهم على ذلك وقرئ بالتاء الفوقانية اي بما تعملون من الصبر والتقوى
فيجازيكم بما انتم اهله واذ غدوت كلام مستانف سيق للاستشهاد بما فيه من استتباع عدم الصبر والتقوى
للضرر على ان وجودهما مستتبع لما وعد من النجاة عن ضرر كيد الاعداء واذ نصب على المفعولية بمضمر خوطب
به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة مع عموم الخطاب فيما قبله وما بعده له وللمؤمنين لاختصاص مضمون الكلام
به صلى الله عليه وسلم اي واذكر لهم وقت غدوك ليتذكروا ما وقع فيه من الاحوال الناشئة عن عدم الصبر
فيعلموا انهم ان لزموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه
من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها باستحضار الحادثة بتفاصيلها كما سلف بيانه
في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة الخ والمراد به خروجه صلى الله عليه وسلم الى احد وكان ذلك من [illegible]
ضه وهو المراد بقوله تعالى من اهلك اي من عند اهلك تبوئ المؤمنين اي تنزلهم او تهيئ وتسوي لهم

لهم مقاعد ويؤيده قراءة من قرأ تبوئ للمؤمنين والجملة حال من فاعل غدوت لكن لا على انها حال مقدرة
اي ناويا وقاصدا للتبوئة كما قيل بل على ان المقصود تذكير الزمان الممتد المتسع لابتداء الخروج والتبوئة
وما يترتب عليها اذ هو المذكر للقصة وانما عبر عنه بالغدو الذي هو الخروج غدوة مع كون خروجه صلى
الله عليه وسلم بعد صلاة الجمعة كما ستعرفه اذ حينئذ وقعت التبوئة التي هي العمدة في الباب اذ المقصود بتذكير الوقت
تذكير مخالفتهم لامر النبي صلى الله عليه وسلم ونزلهم عن احيازهم المعينة لهم عند التبوئة وعدم صبرهم وبهذا
يتبين خلل راي من احتج به على جواز اداء صلاة الجمعة قبل الزوال واللام في قوله تعالى للقتال اما متعلقة
بتبوئ اي لاجل القتال واما بمحذوف وقع صفة لمقاعد اي كائنة للقتال ومقاعد القتال اماكنه ومواقفه فان استعمال
المقعد والمقام بمعنى المكان اتساعا شائع ذائع كما في قوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من
مقامك روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا
عبد الله بن ابي ابن سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله
اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه
فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم
النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هذه
الاكلب لئلا يرون انا قد جبنا عنهم فقال صلى الله عليه وسلم اني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها
خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها
المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة فتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله تعالى
بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وقال النعمان بن مالك الانصاري رحمه الله يا رسول الله لا تحرمني
الجنة فوالذي بعثك بالحق لادخلن الجنة فقال بم قال بقولي اشهد ان لا اله الا الله واني لا افر من الزحف
فلم يزالوا به صلى الله عليه وسلم حتى دخل فلبس لامته فلما رأوا ذلك ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير
على رسول الله والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال ما ينبغي لنبي ان يلبس لامته
فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال
سنة ثلث من الهجرة فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال فكانما يقوم بهم القدح ان رأى صدرا
خارجا قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير
على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين
ما ثبتم مكانكم والله سميع عليم لاقوالكم عليم بضمائركم والجملة اعتراض للايذان بانه قد صدر
عنهم هناك من الاقوال والافعال ما لا ينبغي صدوره عنهم اذ همت بدل من اذ غدوت مبين لما هو
المقصود بالتذكير او ظرف لسميع عليم على معنى انه تعالى جامع بين سماع الاقوال والعلم بالضمائر في ذلك
الوقت لكن لا وجه لتقييد كونه تعالى سميعا عليما بذلك الوقت قال الفراء معنى قولك ضربت واكرمت زيدا
ان زيدا منصوب بهما وانهما تسلطا عليه معا طائفتان منكم ان تفشلا متعلق بهمت والباء
محذوف اي بان تفشلا اي تجبنا وتضعفا وهما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة
من الاوس وهما الجناحان من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا الف رجل و[illegible]

وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح ان صبروا فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلاثة آلاف
انخزل عبد الله بن أبي بثلث الناس فقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري
فقال انشدكم الله تعالى في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله
فعصمهم الله تعالى فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم
على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس كما لا تخلو النفس عنه عند الشدائد والله وليهما
اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة والجملة اعتراض ويجوز ان تكون حالا من فاعل همت او من ضميره في تفشلا
مفيدة لاستبعاد فشلهما او همهما به مع كونهما في ولاية الله عز وجل وقرئ والله وليهم كما في قوله تعالى وان
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا استقلالا او اشتراكا فليتوكل المؤمنون
في جميع امورهم فانه حسبهم واظهار الاسم الجليل للتبرك به والتعليل فان الالوهية من موجبات التوكل عليه تعالى
واللام في المؤمنين للجنس فيدخل فيه الطائفتان دخولا اوليا وفيه اشعار بان وصف الايمان من دواعي التوكل
وموجباته ولقد نصركم الله ببدر جملة مستأنفة سيقت لايجاب الصبر والتقوى بتذكير ما ترتب عليهما
من النصر اثر تذكير ما ترتب على عدمهما من الضرر وقيل لايجاب التوكل على الله تعالى بتذكير ما يوجبه وبدر اسم ماء
بين مكة والمدينة كان لرجل اسمه بدر بن كلدة فسمي باسمه وقيل سمي به لصفائه كالبدر واستدارته وقيل هو
اسم الموضع او الوادي وكانت وقعة بدر في السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة وانتم اذلة
حال من مفعول نصركم واذلة جمع ذليل وانما جمع جمع قلة للايذان باتصافهم بوصفي القلة والذلة لكونهم
ثلثمائة وبضعة وكان ضعف حالهم في الغاية خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد ولم يكن
في العسكر الا فرس واحد وقيل فرسان للمقداد ومرثد وسبعون بعيرا وست ادرع وثمانية سيوف
وكان العدو زهاء الف ومعهم مائة فرس وشكة وشوكة فاتقوا الله اقتصر على الامر بالتقوى مع
كونه مشفوعا بالصبر فيما سبق وما لحق للاشعار باصالته وكون الصبر من مباديه اللازمة له ولذلك
قدم عليه في الذكر وفي ترتيب الامر بالتقوى على الاخبار بالنصر ايذان بان نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم
اي اذا كان الامر كذلك فاتقوا الله كما اتقيتموه يومئذ لعلكم تشكرون اي راجين ان تشكروا ما ينعم به عليكم
بتقواكم من النصرة كما شكرتم فيما قبل او لعلكم ينعم الله عليكم بالنصر كما فعل ذلك من قبل فوضع الشكر موضع
سببه الذي هو الانعام اذ تقول تلوين للخطاب بتخصيصه برسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه والايذان
بان وقوع النصر كان ببشارته صلى الله عليه وسلم واذ ظرف لنصركم قدم عليه الامر بالتقوى لاظهار كمال
العناية به والمراد به الوقت الممتد الذي وقع فيه ما ذكر بعده وما طوي ذكره تعويلا على شهادة الحال كما حكي
به وجود النصر وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها اي نصركم وقت قولك
للمؤمنين حين اظهروا العجز عن المقاتلة قال الشعبي بلغ المؤمنين ان كرز بن جابر الحنفي يريد ان يمد المشركين
فشق ذلك على المؤمنين فنزل ما حكي ههنا الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف الكفاية سد
الخلة والقيام بالامر والامداد في الاصل اعطاء الشيء حالا بعد حال قال المفضل ما كان منه بطريق التقوية
والاعانة يقال فيه امده امدادا وما كان بطريق الزيادة يقال فيه مده مدا ومنه والبحر يمده
من بعده سبعة ابحر وقيل المد في الشر كما في قوله تعالى ونمدهم في طغيانهم يعمهون وقوله ونمد له من العذاب مدا

مدا والامداد في الخير كما في قوله تعالى وامددناكم باموال وبنين والتعرض لعنوان الربوبية ههنا وفيما
سيأتي مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار العناية بهم والاشعار بعلة الامداد والمعنى انكار عدم كفاية
الامداد بذلك المقدار ونفيه وكلمة لن للاشعار بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة
العدو وكثرتهم من الملائكة بيان او صفة لآلاف او لما اضيف اليه اي كائنين من الملائكة منزلين صفة
لثلاثة آلاف وقيل حال من الملائكة وقرئ منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج قيل امدهم الله تعالى اولا
بالف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف وقرئ مبنيا للفاعل من الصيغتين اي منزلين النصر بلى
ايجاب لما بعد لن وتحقيق له اي بلى يكفيكم ذلك ثم وعدهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى حثا لهم عليهما وتقوية
لقلوبهم فقال ان تصبروا على لقاء العدو ومناهضتهم وتتقوا معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم
ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا اي من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا اشتد
غليانها ثم استعير للسرعة ثم اطلق على كل حالة لا ريب فيها اصلا ووصفه بهذا لتأكيد السرعة بزيادة
تعيينه وتقريبه ونظم اتيانهم بسرعة في سلك شرطي الامداد المستتبعين له وجودا وعدما اعني الصبر
والتقوى مع تحقق الامداد لا محالة سواء اسرعوا او ابطؤا لتحقيق سرعة الامداد لا لتحقيق اصله
او لبيان تحققه على اي حال فرض على ابلغ وجه وآكده بتعليقه بابعد التقادير ليعلم تحققه على سائرها
بالطريق الاولى فان هجوم الاعداء واتيانهم بسرعة من مظان عدم لحوق المدد عادة فعلق به تحقق
الامداد ايذانا بانه حيث تحقق مع ما ينافيه عادة فلان يتحقق بدونه اولى واحرى كما اذا اردت وصف
درع بغاية الحصانة تقول ان لبستها وبارزت بها الاعداء فضربوك بايديهم الشداد وسيوفهم الحداد لم تتأثر
منها قطعا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين من التسويم الذي هو اظهار سيما الشيء اي معلمين
انفسهم او خيلهم فقد روي انهم كانوا بعمائم بيض الا جبريل عليه السلام فانه كان بعمامة صفراء على مثال الزبير
بن العوام وروي انهم كانوا على خيل بلق قال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم
بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام بن عروة عمائم صفر وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا
بالعهن في نواصي الخيل واذنابها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه رضي الله عنهم تسوموا فان الملائكة
قد تسومت وقرئ مسومين على البناء للمفعول ومعناه معلمين من جهته سبحانه وتعالى وقيل مرسلين من التسويم
بمعنى الاسامة وما جعله الله كلام مبتدأ غير داخل في حيز القول مسوق من جنابه تعالى لبيان ان الاسباب
الظاهرة بمعزل عن التأثير وان حقيقة النصر مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا منه عند
فقدان اسبابه واماراته معطوف على فعل مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان الاخبار
بوقوع النصر على الاطلاق وتذكير وقته وحكاية الوعد بوقوعه على وجه مخصوص هو الامداد
بالملائكة مرة بعد اخرى وتعيين وقته فيما مضى يقتضي بوقوعه حتما قضاء قطعيا لكن لم يصرح به تعويلا
على تعاضد الدلائل وتآخذ الامارات والمخايل ايذانا بكمال الغنى عنه بل احترازا عن شائبة التكرير او
عن ايهام احتمال الخلف في الوعد المحتوم كانه قيل عقيب قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة
مسومين فامدكم به وما جعله الله الخ والجعل متعد الى واحد هو الضمير العائد الى مصدر ذلك الفعل المقدر
واما عوده الى المصدر المذكور اعني قوله تعالى ان يمدكم او الى المصدر المدلول عليه بقوله تعالى يمددكم كما

قيل نعم حقيق بجزالة التنزيل لان العلية البسيطة متقدمة على المركبة فبيان العلة الغائية لوجود

الامداد كما هو المراد بالنظم الكريم حقه ان يكون بعد بيان وجوده في نفسه ولا ريب في ان

الصفتين المذكورتين غير معتبرتين من حيث الوجود والوقوع كمصدر الفعل المقدر حتى يتصدى لبيان احكام

وجودهما بل الاول معتبر من حيث الكفاية والثاني من حيث الوعد على ان الاول هو الامداد بثلاثة آلاف

والواقع هو الامداد بخمسة آلاف وقوله تعالى الا بشرى لكم استثناء مفرغ من اعم العلل وتلوين الخطاب

لتشريف المؤمنين وللايذان بانهم المحتاجون الى البشارة وتسكين القلوب بتقوية الاسباب الظاهرة وان رسول

الله صلى الله عليه وسلم غني عنها بما له من التأييد الروحاني وما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا

لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به اي بالامداد وتسكن اليه كما كانت السكينة

لبني اسرائيل كذلك فكلاهما علة غائية للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه من اتحاد الفاعل والزمان

وكونه مصدرا مسوقا للتعليل وبقي الثاني على حاله لفقدانها وقيل للاشارة ايضا الى اصالته في العلية

واهميته في نفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار

بان الملائكة عليهم السلام لم يباشروا يومئذ القتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير

السواد ونحوه كما هو راي بعض السلف رحمهم الله وقيل الجعل متعد الى اثنين وقوله عز وجل الا بشرى لكم

استثناء من اعم المفاعيل اي وما جعله الله تعالى شيئا من الاشياء الا بشارة لكم فاللام في قوله تعالى ولتطمئن متعلقة

بمحذوف تقديره ولتطمئن قلوبكم به فعل ذلك وما النصر اي حقيقة النصر على الاطلاق فيندرج في حكمه

النصر المعهود اندراجا اوليا الا من عند الله اي لا كائن من عند احد غيره تعالى من غير ان يكون فيه شركة من

جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جريان سنته تعالى او وما النصر المعهود الا من عنده تعالى

لا من عند الملائكة فانهم بمعزل من التأثير وانما قصارى امرهم ما ذكر من البشارة وتقوية القلوب العزيز

الذي لا يغالب في حكمه وقضيته واجراء هذا الوصف عليه تعالى للاشعار بعلة اختصاص النصر به تعالى كما ان

وصفه تعالى بقوله الحكيم اي الذي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة للايذان بعلة جعل

النصر بانزال الملائكة عليهم السلام فان ذلك من مقتضيات الحكم البالغة ليقطع متعلق بقوله تعالى

ولقد نصركم وما بينهما تحقيق لحقيقته وبيان لكيفية وقوعه والمقصور على التعليل بما ذكر من البشرى

والاطمئنان انما هو الامداد بالملائكة على الوجه المذكور فلا يقدح ذلك في تعليل اصل النصر بالقطع

وما عطف عليه او بما تعلق به الخبر في قوله عز وعلا وما النصر الا من عند الله على تقدير كونه عبارة

عن النصر المعهود وقد اشير الى ان العلة الاولى البشارة والاطمئنان انما هو الامداد الصوري لا ما في ضمنه

من النصر المعنوي الذي هو ملاك الامر وما تعلقه بنفس النصر كما قيل فمع ما فيه من الفصل بين المصدر

ومعموله باجنبي هو الخبر مخل بسداد المعنى كيف لا ومعناه قصر النصر المخصوص المعلل بعلة معينة على

الحصول من جهته تعالى وليس المراد الا قصر حقيقة النصر او النصر المعهود على ذلك والمعنى لقد نصركم الله

يومئذ او وما النصر الظاهر عند امداد الملائكة الا ثابتا من عند الله تعالى ليقطع اي يهلك وينقص

طرفا من الذين كفروا اي طائفة منهم بقتل واسر وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم

سبعون واسر سبعون او يكبتهم اي يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فان الكبت شدة غيظ او وهن يقع

في القلب من كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل الكبت الاصابة بمكروه وقيل هو

الصرع للوجه واليدين في التاء ح غير مبدلة واو للتنويع فينقلبوا خائبين اي فينهزموا منقطعي الآمال

غير فائزين من مبتغاهم بشيء كما في قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ليس لك من الامر

شيء اعتراض وسط بين المعطوف عليه المتعلق بالعاجل والمعطوف المتعلق بالآجل لتحقيق ان لا تأثير

للمنصورين اثر بيان ان لا تأثير للناصرين وتخصيص النفي برسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق تلوين

الخطاب للدلالة على الانتفاء من غيره بالطريق الاولى وانما خص الاعتراض بموقعه لان ما قبله من القطع

والكبت من مظان ان يكون فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولسائر مباشري القتال مدخل في الجملة

او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على يكبتهم والمعنى ان مالك امرهم على الاطلاق هو الله عز وجل نصركم

عليهم ليهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء انما انت

عبد مأمور لانذارهم وجهادهم والمراد بتعذيبهم التعذيب الشديد الاخروي المخصوص باشد الكفرة

كفرا والا فمطلق التعذيب الاخروي متحقق في الفريقين الاولين ايضا وانتظام التوبة والتعذيب المذكور

في سلك العلة الغائية للنصر المترتبة عليه في الوجود من حيث ان قبول توبتهم فرع تحققها الناشئ من

علمهم بحقية الاسلام بسبب غلبة اهله المترتبة على النصر وان تعذيبهم بالعذاب المذكور مترتب على

اصرارهم على الكفر بعد ما تبين الحق على الوجه المذكور هذا وقيل ان عتبة بن ابي وقاص شج

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسر رباعيته فجعل صلى الله عليه وسلم يمسح الدم عن وجهه

وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو

يدعوهم الى ربهم فنزلت ليس لك من الامر شيء الآية كأنه نوع معاتبة على انكاره صلى الله عليه وسلم

لفلاحهم وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بان منهم من يؤمن فقوله تعالى او يتوب عليهم

ح معطوف على الامر او على شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او

ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وتقلك عن الفرد وابن الانباري ان او بمعنى الا ان

والمعنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح به او يعذبهم فتتشفى منهم واياما كان فهو كلام

مستأنف سيق لبيان بعض الامور المتعلقة بغزوة احد اثر بيان بعض ما يتعلق بغزوة بدر لما بينهما من

التناسب الظاهر لان كلا منهما مبني على اختصاص الامر كله بالله تعالى ومبني عن سلبه عمن سواه واما

تعلق كل القصة بغزوة احد على ان قوله تعالى اذ تقول بدل ثان من اذ غدوت وان ما حكي عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقد وقع يوم احد وان الامداد الموعود كان مشروطا بالصبر والتقوى

فلما لم يفعلوا لم يتحقق الموعود كما قيل فلا يساعده النظم الكريم اما اولا فلان المشروط بالصبر والتقوى

انما هو الامداد بخمسة آلاف لا بثلاثة آلاف مع انه لم يقع الامداد يومئذ ولو بملك واحد واما ثانيا

فلانه كان ينبغي ح ان ينعى عليهم جنايتهم وحرمانهم بسببها تلك النعمة الجليلة ودعوى ظهوره مع عدم

دلالة السباق والسياق عليه بل مع دلالتهما على خلافه مما لا يكاد يسمع واما ثالثا فلانه لا سبيل

الى جعل الضمير في قوله تعالى وما جعله الله الى الامداد الموعود لانه لم يتحقق فكيف يبين علته

الغائية ولا الى الوعد به على معنى انه تعالى انما جعل ذلك الوعد لبشارتكم واطمئنان قلوبكم فلم تفعلوا

ما شرط عليكم من الصبر والتقوى فلم يقع انجاز الموعود لما ان قوله تعالى وما النصر الا من عند الله
العزيز الحكيم صريح في انه قد وقع الامداد والموعود لكن اثره انما هو مجرد البشارة والاطمئنان وقد
حصلا واما النصر الحقيقي فليس ذلك الا من عنده تعالى وجعله استينافا مقررا لعدم وقوع الامداد
على معنى ان النصر الموعود مختص به تعالى فلا ينصر من خالف امره بترك الصبر والتقوى اعتساف يجب
تنزيه التنزيل عن امثاله على ان قوله تعالى ليقطع طرفا الآية متعلق حتما بما تعلق به قوله تعالى
من عند الله من الثبات والاستقرار ضرورة ان تعلقه بقوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر الآية مع
كون ما بينهما من الفصل متعلقا بوقعة احد من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فلا بد من اعتبار وجود
النصر قطعا لان تفصيل الاحكام المترتبة على وجود شيء بصدد بيان انتفائه مما لم يعهد في كلام
الناس فضلا عن الكلام المجيد فالحق الذي لا محيد عنه ان قوله تعالى اذ تقول ظرف لنصركم وان ما
حكي في اثنائه الى قوله تعالى خائبين متعلق بيوم بدر قطعا وما بعده محتمل للوجهين المذكورين
وقوله تعالى فانهم ظالمون تعليل على كل حال لقوله تعالى او يعذبهم مبين لكون ذلك من جهتهم وجزاء
لظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض كلام مستانف سيق لبيان اختصاص ملكوت كل الكائنات
به عز وجل اثر بيان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه تقريرا لما سبق وتكملة له وتقديم الجار
للقصر وكلمة ما شاملة للعقلاء ايضا تغليبا اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا لا مدخل فيه لاحد
اصلا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ان يغفر له مشيئة مبنية على الحكم والمصالح ويعذب من يشاء
ان يعذبه بعدله مشيئة كذلك وايثار كلمة من في الموضعين لاختصاص المغفرة والتعذيب بالعقلاء وتقديم
المغفرة على التعذيب للايذان بسبق رحمته تعالى غضبه وبانها من مقتضيات الذات دونه فانه من
مقتضيات سيئات العصاة وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له
والله غفور رحيم تذييل مقرر لمضمون قوله تعالى يغفر لمن يشاء مع زيادة وفي تخصيص التذييل
به دون قرينه من الاعتناء بشأن المغفرة والرحمة ما لا يخفى يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا
كلام مبتدأ مشتمل على ما هو ملاك الامر في كل باب لا سيما في باب الجهاد من التقوى والطاعة
وما بعدهما من الامور المذكورة على نهج الترغيب والترهيب جيء به في تضاعيف القصة مسارعة
الى ارشاد المخاطبين الى ما فيه وايذانا بكمال وجوب المحافظة عليه فيما هم فيه من الجهاد فان الامور
المذكورة فيه مع كونها مناطا للفوز في الدارين على الاطلاق عمدة في امر الجهاد عليها يدور فلك
النصرة والغلبة كيف لا ولو حافظوا على الصبر والتقوى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لما لقوا
ما لقوا ولعل ايراد النهي عن الربوا في اثنائها لما ان الترغيب في الانفاق في السراء والضراء الذي
عمدته الانفاق في سبيل الجهاد متضمن للترغيب في تحصيل المال فكان مظنة مبادرة الناس الى طرق
الاكتساب ومن جملتها الربوا فنهوا عن ذلك والمراد باكله اخذه وانما عبر عنه بالاكل لما انه معظم
ما يقصد بالاخذ ولشيوعه في الماكولات مع ما فيه من زيادة تشنيع وقوله عز وجل اضعافا مضاعفة
ليس لتقييد النهي به بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم بذلك اذ كان الرجل يربي الى
اجل فاذا حل قال للمدين زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فيفعل وهكذا عند محل كل اجل فيستغرق

فيستغرق بالشيء الطفيف ماله بالكلية ومحله النصب على الحالية من الربوا وقرئ مضعفة واتقوا الله
فيما نهيتم عنه من الامور التي من جملتها الربوا لعلكم تفلحون راجين للفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين
بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي ما يتعاطونه كان ابو حنيفة رحمه الله يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله
المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه واطيعوا الله في كل ما امركم به ونهاكم عنه
والرسول الذي يبلغكم اوامره ونواهيه لعلكم ترحمون راجين لرحمته عقب الوعيد بالوعد ترهيبا
عن المخالفة وترغيبا في الطاعة وايراد لعل في الموضعين للاشعار بعزة منال الفلاح والرحمة قال محمد بن اسحق
هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امرهم بما امرهم يوم احد وسارعوا
عطف على اطيعوا وقرئ بغير واو على وجه الاستيناف اي بادروا واقبلوا وقرئ وسابقوا الى مغفرة من ربكم
وجنة اي الى ما يؤدي اليهما وقيل الى الاسلام وقيل الى التوبة وقيل الى الاخلاص وقيل الى الجهاد وقيل الى
اداء جميع الواجبات وترك جميع المنهيات فيدخل فيها ما مر من الامور المامور بها والمنهي عنها دخولا اوليا وتقديم
المغفرة على الجنة لما ان التخلية متقدمة على التحلية ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لمغفرة اي كائنة من ربكم
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار مزيد اللطف بهم وقوله تعالى عرضها
السموات والارض اي كعرضهما صفة لجنة وتخصيص العرض بالذكر للمبالغة في وصفها بالسعة والبسطة
على طريقة التمثيل فان العرض في العادة ادنى من الطول وعن ابن عباس رضي كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل
بعضها ببعض اعدت للمتقين في حيز الجر على انه صفة اخرى لجنة او في محل النصب على الحالية منها لتخصصها
بالصفة اي هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة الآن وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون
في محل الجر على انه نعت للمتقين مادح لهم او بدل منه او بيان او في حيز النصب او الرفع على المدح ومفعول
ينفقون محذوف ليتناول كل ما يصلح للانفاق او متروك بالكلية كما في قولك يعطي ويمنع في السراء والضراء
في حالتي الرخاء والشدة واليسر والعسر او في الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون
في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ عطف على الموصول والعدول الى صيغة
الفاعل للدلالة على الاستمرار واما الانفاق فحيث كان امرا متجددا عبر عنه بما يفيد الحدوث والتجدد
والكظم الحبس يقال كظم غيظه اي حبسه قال المبرد تاويله انه كتمه على امتلائه منه يقال كظمت السقاء
اذا ملاته وشددت عليه اي الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة عليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس اي التاركين عقوبة
من استحق مؤاخذته روي انه ينادي منادي يوم القيمة اين الذين كانت اجورهم على الله تعالى فلا يقوم الا من
عفا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي
مضت وفي هذين الوصفين اشعار بكمال حسن موقع عفوه صلى الله عليه وسلم عن الرماة وترك مؤاخذتهم بما فعلوا
من مخالفة امره صلى الله عليه وسلم وندب له صلى الله عليه وسلم الى ترك ما عزم عليه من مجازاة المشركين بما فعلوه
بحمزة رضي حيث قال حين رآه قد مثل به لامثلن بسبعين مكانك والله يحب المحسنين اللام اما للجنس وهم
داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد عبر عنهم بالمحسنين ايذانا بان النعوت المعدودة من باب الاحسان الذي
هو الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم

بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها. والذين
مرفوع على الابتداء وقيل مجرور معطوف على ما قبله من صفات المتقين وقوله والله يحب المتقين اعتراض بينهما مشير
الى ما بينهما من التفاوت فان درجة الاولين من التقوى اعلى من درجة هؤلاء وحظهم اوفى من حظ هؤلاء على نفس
المتقين فيكون التفاوت اكثر واظهر اذا فعلوا فاحشة اي فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم
بان اتوا ذنبا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة او الفاحشة ما يتعدى الى الغير
وظلم النفس ليس كذلك قيل قال المؤمنون يا رسول الله كان بنو اسرائيل اكرم على الله تعالى منا كان احدهم
اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة داره افعل كذا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان
نبهان التمار اتته امراة حسناء تطلب منه تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب
بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك واتى النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر له ذلك فنزلت وقيل جرى مثل هذا بين انصاري وامراة ثقفية كان بينهما مواخاة فندم الانصاري
وحثا على راسه التراب وهام على وجهه وجعل يسيح في الجبال تائبا مستغفرا ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فنزلت واياما كان فاطلاق اللفظ ينتظم افعال الرماة انتظاما اوليا. ذكروا الله تذكروا حقه العظيم
وجلاله الموجب للخشية والحياء او وعيده او حكمه وعقابه. فاستغفروا لذنوبهم بالتوبة والندم عليها
للدلالة على ان ذكره تعالى مستتبع للاستغفار لا محالة. ومن يغفر الذنوب استفهام انكاري والمراد
بالذنوب جنسها كما في قولك فلان يلبس الثياب ويركب الخيل لا كلها حتى يخل بما هو المقصود من استحالة
صدور مغفرة فرد منها من غيره تعالى وقوله تعالى. الا الله. بدل من الضمير المستكن في يغفر اي لا يغفر
جنس الذنوب احد الا الله خلا ان دلالة الاستفهام على الانتفاء اقوى وابلغ لايذانه بان كل احد
ممن له حظ من الخطاب يعرف ذلك الانتفاء فيسارع الى الجواب به والمراد به وصفه سبحانه بغاية سعة
الرحمة وعموم المغفرة والجملة معترضة بين المعطوفين او بين الحال وصاحبها لتقرير الاستغفار والحث
عليه والاشعار بالوعد بالقبول. ولم يصروا. عطف على فاستغفروا وتاخيره عنه مع تقدم الاصرار
على الاستغفار رتبة لاظهار الاعتناء بشان الاستغفار واستحقاقه للمسارعة اليه عقيب ذكره تعالى
او حال من فاعله اي ولم يقيموا او غير مقيمين على ما فعلوا اي ما فعلوه من الذنوب فاحشة كانت او ظلما
او على فعلهم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وانه
لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار. وهم يعلمون. حال من فاعل يصروا اي لم يصروا على ما فعلوا
وهم عالمون بقبحه والنهي عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك لما انه قد يعذر من لا يعلم ذلك اذا لم يكن عن
تقصير في تحصيل العلم به. اولئك. اشارة الى المذكورين آخرا باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الحميدة وما فيه
من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى جزاؤهم بدل
اشتمال منه وقوله تعالى مغفرة خبر له او جزاؤهم مبتدا ثان ومغفرة خبره والجملة خبر لاولئك وهذه
الجملة خبر لقوله تعالى والذين اذا فعلوا الخ على الوجه الاول وهو الاظهر الانسب بنظم المغفرة المنبئة عن
سابقة الذنب في سلك الجزاء اذ على الوجهين الاخيرين يكون قوله تعالى اولئك الخ جملة مستانفة مبينة
لما قبلها كاشفة عن حال كلا الفريقين المحسنين والتائبين وقد ذكر من اوصاف الاولين ما فيه شائبة الذنب حتى

حتى يذكر في مطالع الجزاء الشامل لهما المغفرة وتخصيص الاشارة بالاخيرين مع اشتراكهما في حكم اعداد الجنة
لهما لما ان تنفيس ظاهر من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة لمغفرة مؤكدة لما افادها التنوين من الفخامة الذاتية
بالفخامة الاضافية اي كائنة من جهته تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار
بعلة الحكم والتشريف. وجنات تجري من تحتها الانهار. عطف على مغفرة والتنكير المشعر بكونها ادنى من
الجنة السابقة مما يؤيد رجحان الوجه الاول. خالدين فيها. حال مقدرة من الضمير في جزاؤهم لانه مفعول
به في المعنى لانه في قوة يجزيهم الله جنات خالدين فيها ولا مساغ لان يكون حالا من جنات في اللفظ وهي لهم
في المعنى اذ لو كان كذلك لبرز الضمير. ونعم اجر العاملين. المخصوص بالمدح محذوف اي ونعم اجر العاملين
ذلك اي ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالاجر المشعر بانهما تستحقان بمقابلة العمل وان كان بطريق
التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي والجملة تذييل مختص بالتائبين حسب اختصاص التذييل
السابق بالاولين ويا هيك بتضمنها دليلا على ما بين الفريقين من التفاوت البين والتباين المبين شتان بين
المحسنين الفائزين بمحبة الله عز وجل وبين العاملين الحائزين لاجرهم وعمالتهم. قد خلت من قبلكم سنن
رجوع الى تفصيل بقية القصة بعد تمهيد مبادي الرشد والصلاح وترتيب مقدمات الفوز والفلاح
والخلو المضي والسنن الوقائع وقيل الامم والظرف اما متعلق بخلت او بمحذوف وقع حالا من سنن اي
قد مضت من قبل زمانكم او كائنة من قبلكم وقائع سنها الله تعالى في الامم المكذبة كما في قوله عز وجل وقتلوا
تقتيلا سنة الله في الذين خلوا الخ والفاء في قوله تعالى فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
للدلالة على سببية خلوها للسير والنظر او للامر بهما وقيل المعنى على الشرط اي ان شككتم فسيروا الخ
وكيف خبر مقدم لكان معلق لفعل النظر والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض لان الاصل استعماله
بالجار. هذا. اشارة الى ما سلف من قوله قد خلت الى آخره. بيان للناس. اي تبيين لهم على ان اللام متعلقة
بالمصدر او كائن لهم على انها متعلقة بمحذوف وقع صفة له وتعريف الناس للعهد وهم المكذبون اي هذا
ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فان الامر بالسير والنظر وان كان خاصا بالمؤمنين لكن العمل
بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل المكذبين ايضا على ان ينظروا في عواقب من قبلهم من اهل التكذيب
ويعتبروا بما يعاينون من آثار دمارهم وان لم يكن الكلام مسوقا لهم. وهدى وموعظة. اي وزيادة
بصيرة وموعظة لكم وانما قيل للمتقين للايذان بعلة الحكم فان مدار كونه هدى وموعظة لهم انما هو
تقواهم ويجوز ان يراد بالمتقين الصائرون الى التقوى والهدى والموعظة على ظاهرهما اي هذا بيان
لمآل امر الناسين وسوء مغبته وهداية لمن اتقى منهم وزجر لهم عما هم عليه من التكذيب وان يراد به ما يعمهم
وغيرهم من المتقين بالفعل والمراد بالهدى والموعظة ايضا ما يعم ابتداءهما والزيادة فيهما وانما قدم كونه بيانا
للمكذبين مع انه غير مسوق له على كونه هدى وموعظة للمتقين مع انه المقصود بالسياق لان اول ما يترتب
على مشاهدة آثار هلاك اسلافهم من حال اخلافهم وآمانة زيادة الهدى او اصله فان من يترتب عليه
وتخصيص البيان بالناس مع شموله للمتقين ايضا لما ان المراد به مجرد البيان العاري عن الهدى والعظة
والاقتصار عليهما في جانب المتقين مع ترتبهما على البيان لما انهما المقصد الاصلي ويجوز ان يكون تعريف
الناس للجنس اي هذا بيان للناس كافة وهدى وموعظة للمتقين منهم خاصة وقيل كلمة هذا اشارة

إلى ما لخص من أمر المتقين والتائبين والمصرين وقوله تعالى قد خلت الآية اعتراض للبعث على الإيمان بما
يستحق به ما ذكر من أجر العاملين وإنما ابتدئ بالاعتراض لا بد أن يكون مقررا لمضمون ما وقع في خلاله
ومعاينة آثار هلاك المكذبين مما لا تعلق له بحال أحد الأصناف الثلاثة للمؤمنين وإن كان باعثا على الإيمان
زاجرا عن التكذيب وقيل إشارة إلى القرآن ولا يخفى بعده ولا تهنوا ولا تحزنوا تشجيع للمؤمنين وتقوية
لقلوبهم وتسلية عما أصابهم يوم أحد من القتل والقرح وكان قد قتل يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب
ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن جحش ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم
وعثمان بن شماس وسعد مولى عتبة رضي الله عنهم ومن الأنصار سبعون رجلا رضوان الله تعالى عليهم أجمعين
أي لا تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على من قتل منكم وأنتم الأعلون جملة حالية من فاعل
الفعلين أي والحال أنكم الأعلون الغالبون دون عدوكم فإن مصير أمرهم إلى الدمار حسبما شاهدتم من أحوال
أسلافهم فهو تصريح بالوعد بالنصر والغلبة بعد الإشعار به فيما سبق أو وأنتم الأعلون شأنا فإن قتالكم
لله عز وجل وقتلاكم في الجنة وهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار
وقيل وأنتم الأعلون حالا منهم حيث أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم اليوم إن كنتم مؤمنين
متعلق بالنهي أو بالأعلون وجوابه محذوف لدلالة ما تعلق به عليه أي إن كنتم مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا
فإن الإيمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وعدم المبالاة بأعدائه أو إن كنتم مؤمنين فأنتم
الأعلون فإن الإيمان يقتضي العلو لا محالة أو إن كنتم مصدقين بوعد الله فأنتم الأعلون وأيا ما كان
فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به كما في قول الأجير إن كنت عملت لك فأعطني أجري وكذلك
قيل معناه إذ كنتم مؤمنين وقيل معناه إن بقيتم على الإيمان إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح
مثله القرح بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف وقد قرئ بهما وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم
ألمها وقرئ بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم
قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فأنتم أحق بأن لا تضعفوا
فإنكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم أحد فإن المسلمين نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا منهم صاحب لوائهم وجرحوا عددا كثيرا
وعقروا عامة خيلهم بالنبل وتلك الأيام إشارة إلى الأيام الجارية فيما بين الأمم الماضية والآتية
كافة لا إلى الأيام المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم أحد بل هي داخلة فيها دخولا أوليا والمراد بها
أوقات الظفر والغلبة نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء أخرى كقول من قال
فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاورة يقال داولته بينهم فتداولوه
أي عاورته فتعاوروه واسم الإشارة مبتدأ والأيام إما صفة له أو بدل منه أو عطف بيان له ونداولها
خبره أو خبر ونداولها حال من الأيام والعامل معنى اسم الإشارة أو خبر بعد خبر وصيغة المضارع الدالة
على التجدد والاستمرار للإيذان بأن تلك المداولة سنة مسلوكة فيما بين الأمم قاطبة سابقتها ولاحقتها
وفيه ضرب من التسلية وقوله عز وجل وليعلم الله الذين آمنوا إما من باب التمثيل أي ليعاملكم معاملة
من يريد أن يعلم المخلصين الثابتين على الإيمان من غيرهم أو العلم فيه مجاز عن التمييز بطريق إطلاق اسم

اسم السبب على المسبب أي ليميز الثابتين على الإيمان من غيرهم كما في قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على
ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وهو على حقيقته معتبر من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث إنه موجود بالفعل
إذ هو الذي يدور عليه فلك الجزاء لا من حيث إنه موجود بالقوة وإطلاق الإيمان مع أن المراد هو الرسوخ
والإخلاص فيه للإيذان بأن اسم الإيمان لا يطلق على غيره والالتفات إلى الغيبة بإسناده إلى اسم الذات المستجمع
للصفات لتربية المهابة والإشعار بأن صدور كل واحد مما ذكر بصدد التعليل عن أفعاله تعالى باعتبار منشأ
معين من صفاته تعالى مغاير لمنشأ الآخر والجملة علة لما هو فرد من أفراد مطلق المداولة التي نطق بها قوله
تعالى نداولها بين الناس من المداولة المعهودة الجارية بين فريقي المؤمنين والكافرين واللام متعلقة بما دل
عليه المطلق من الفعل المقيد بالوقوع بين الفريقين المذكورين أو بنفس الفعل المطلق باعتبار وقوعه بينهما والجملة
معطوفة على علة أخرى لها معتبرة إما على الخصوص والتعيين محذوفة لدلالة المذكورة عليها لكونها من مبادئها
كأنه قيل نداولها بينكم وبين عدوكم ليظهر أمركم وليعلم الخ فإن ظهور أعمالهم وخروجها من القوة إلى الفعل من مبادئ
تميزهم عن غيرهم وموجب تعلق العلم الأزلي بها من تلك الحيثية وكذا الحال في باب التمثيل فتأمل وإما على العموم
والإبهام للتنبيه على أن العلل غير منحصرة فيما عدد من الأمور وأن العبد يسوؤه ما يجري عليه من النوائب ولا يشعر
بأن لله تعالى في ذلك من الألطاف الخفية ما لا يخطر بالبال كأنه قيل نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت
وليعلم الخ وفيه من تأكيد التسلية ومزيد التبصرة ما لا يخفى وتخصيص البيان بعلة هذا الفرد من مطلق المداولة
دون سائر أفرادها الجارية فيما بين بقية الأمم تعيينا أو إبهاما لعدم تعلق الغرض العلمي ببيانها ولك
أن تجعل المحذوف المبهم عبارة عن علل سائر أفرادها للإشارة إلى أن كل فرد من أفرادها له علة داعية إليه كأنه
قيل نداولها بين الناس كافة ليكون كيت وكيت من الحكم الداعية إلى تلك الأفراد وليعلم الخ فاللام الأولى متعلقة
بالفعل المطلق باعتبار تقييده بتلك الأفراد والثانية باعتبار تقييده بالفرد المعهود وقيل هي متعلقة بمحذوف
مؤخر تقديره وليعلم الله الذين آمنوا فعل ذلك ويتخذ منكم شهداء جمع شهيد أي ويكرم ناسا منكم بالشهادة
وهم شهداء أحد ومن ابتدائية أو تبعيضية متعلقة بيتخذ أو بمحذوف وقع حالا من شهداء أو جمع شاهد
أي ويتخذ منكم شهودا معدلين بما ظهر منهم من الثبات على الحق والصبر على الشدائد وغير ذلك من شواهد
الصدق ليشهدوا على الأمم يوم القيامة فمن بيانية لأن تلك الشهادة وظيفة الكل دون المستشهدين فقط وأيا
ما كان ففي لفظ الاتخاذ المنبئ عن الاصطفاء والتقريب من تشريفهم وتفخيم شأنهم ما لا يخفى وقوله تعالى
والله لا يحب الظالمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ونفي المحبة كناية عن البغض وفي إيقاعه على الظالمين
تعريض بمحبته تعالى لمقابليهم والمراد بهم إما غير الثابتين على الإيمان فالتعرض من حيث إنه بغضه تعالى لهم
من دواعي إخراج المخلصين المصطفين للشهادة من بينهم وإما الكفرة الذين أديل لهم فالتعريض من حيث إن
ذلك ليس بطريق النصرة لهم فإنها مختصة بأوليائه تعالى بل لما ذكر من الفوائد العائدة إلى المؤمنين وقوله
تعالى وليمحص الله الذين آمنوا أي ليصفيهم ويطهرهم من الذنوب عطف على يتخذ وتكرير اللام لتذكير
التعليل لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لإبراز مزيد الاعتناء
بشأن التمحيص وهذه الأمور الثلاثة علل للمداولة المعهودة باعتبار كونها على المؤمنين قدمت في الذكر لأنها
المحتاجة إلى البيان ولعل تأخير العلة الأخيرة عن الاعتراض لئلا يتوهم اندراج المذنبين في الظالمين أو لتقترن

بقوله عز وعلا ويمحق الكافرين فإن التمحيص فيه محو الآثار وإزالة الأوضار كما أن المحق عبارة عن
النقص والإذهاب قال المفضل هو أن يذهب الشيء بالكلية حتى لا يرى منه شيء ومنه قوله تعالى يمحق الله الربا
أي يستأصله وهذه علة للمداولة باعتبار كونها على الكافرين والمراد بهم الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم أحد وأصروا على الكفر وقد محقهم الله عز وجل جميعا أم حسبتم كلام مستأنف سيق لبيان ما هي الغاية
القصوى من المداولة والنتيجة لما ذكر من تمييز المخلصين وتمحيصهم واتخاذ الشهداء وإظهار عزة منالها والخطاب
للذين انهزموا يوم أحد وأم منقطعة وما فيها من كلمة بل للإضراب عن التسلية ببيان العلل فيما لقوا من الشدة
إلى تحقيق أنها من مبادي الفوز بالمطلب الأسنى والهمزة للإنكار والاستبعاد أي بل أحسبتم أن تدخلوا
الجنة وتفوزوا بنعيمها وقوله تعالى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم حال من ضمير تدخلوا مؤكدة
للإنكار فإن رجاء الأجر بغير عمل ممن يعلم أنه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم
لما بينهما من اللزوم المبني على لزوم تحقق الأول لتحقق الثاني ضرورة استحالة تحقق شيء بدون علمه تعالى
وإيثارها على التصريح للمبالغة في تحقيق المعنى المراد فإنها إثبات لعدم جهادهم بالبرهان وللإيذان بأن مدار
ترتب الجزاء على الأعمال إنما هو علمه تعالى بها كأنه قيل والحال أنه لم يوجد الذين جاهدوا منكم وإنما وجه
النفي إلى الموصوفين مع أن المنفي هو الوصف فقط وكان يكفي أن يقال ولما يعلم الله جهادكم كما ينبئ عن معنى
ولما تجاهدوا للمبالغة في بيان انتفاء الوصف وعدم تحققه أصلا وفي كلمة لما إيذان بأن الجهاد متوقع
منهم فيما يستقبل إلا أنه غير معتبر في تأكيد الإنكار وقرئ يعلم بفتح الميم على أن أصله يعلمن فحذفت النون
أو على طريقة اتباع الميم لما قبلها في الحركة لإبقاء تفخيم اسم الله تعالى ومنكم حال من الذين ويعلم الصابرين
منصوب بإضمار أن على أن الواو للجمع كما في قولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن أي لا يكن منك أكل السمك
وشرب اللبن والمعنى أحسبتم أن تدخلوا الجنة والحال أنه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر أي الجمع بينهما وإيثار
اسم الفاعل على الموصول للدلالة على أن المعتبر هو الاستمرار على الصبر وللمحافظة على الفواصل وقيل مجزوم
معطوف على المجزوم قبله قد حرك لالتقاء الساكنين بالفتح للخفة وللإتباع كما مر ويؤيده القراءة بالكسر
على ما هو الأصل في تحريك الساكن وقرئ يعلم بالرفع على أن الواو للحال وصاحبها الموصول والمبتدأ محذوف
أي وهو يعلم الصابرين كأنه قيل ولما تجاهدوا وأنتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت أي تتمنون
الحرب فإنها من مبادي الموت أو الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون أن يشهدوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فألحوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك من قبل أن تلقوه متعلق بتمنون مبين لسبب إقدامهم
على التمني أي من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا هوله وشدته وقرئ تلاقوه فقد رأيتموه أي ما تتمنونه
من أسباب الموت أو الموت بمشاهدة أسبابه وقوله تعالى وأنتم تنظرون حال من ضمير المخاطبين وفي إيثار
الرؤية على الملاقاة وتقييدها بالنظر مزيد مبالغة في مشاهدتهم له والفاء فصيحة كأنه قيل إن كنتم
صادقين في تمنيكم ذلك فقد رأيتموه معاينين له حين قتل بين أيديكم من قتل من إخوانكم وأقاربكم وشارفتم
أن تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم لها ثم جبنهم وانهزامهم لا
على تمني الشهادة بناء على تضمنها لغلبة الكفار لما أن مطلب من يتمناها نيل كرامة الشهداء من غير

من غير أن يخطر بباله شيء غير ذلك فلا يستحق العتاب من تلك الجهة وما محمد إلا رسول مبتدأ وخبر
ولا عمل لما بالاتفاق لانتقاض نفيه بإلا وقوله تعالى قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول منبئة عن كونه
في شرف الخلو مشاركة في منصب الرسالة من شواهد خلوه لا محالة كأنه قيل قد خلت من قبله أمثاله فسيخلو
كما خلوا والقصر قلبي فإنهم لما انقلبوا على أعقابهم فكأنهم اعتقدوا أنه صلى الله عليه وسلم رسول لا كسائر
الرسل في أنه يخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بدينهم بعدهم فرد عليهم بأنه ليس إلا
رسولا كسائر الرسل سيخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه كما يجب التمسك بدينهم وقيل هو قصر إفراد فإنهم
لما استعظموا عدم بقائه صلى الله عليه وسلم لهم نزلوا منزلة المستبعدين لهلاكه كأنهم يعتقدون فيه
صلى الله عليه وسلم وصفين الرسالة والبعد من الهلاك فرد عليهم بأنه مقصور على الرسالة لا يتجاوزها
إلى البعد عن الهلاك فلا بد من جعل قوله تعالى قد خلت الخ كلاما مبتدأ مسوقا لتقرير عدم براءته صلى الله عليه وسلم
من الهلاك وبيان كونه أسوة لمن قبله من الرسل عليهم السلام وأيا ما كان فالكلام مخرج على خلاف مقتضى
الظاهر أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم إنكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدين لخلوه بموت أو قتل
بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو
الرسل قبله سببا لانقلابهم بعد وفاته مع كونه سببا في الحقيقة لثباتهم على الدين وإيراد الموت بكلمة إن
مع العلم به البتة لتنزيل المخاطبين منزلة المترددين فيه لما ذكر من استعظامهم إياه وهكذا الحال
في سائر الموارد فإن كلمة إن في كلام الله تعالى لا تجري على ظاهرها قط ضرورة علمه تعالى بالوقوع أو اللاوقوع
بل تحمل على اعتبار حال السامع أو أمر آخر يناسب المقام وتقديم تقدير الموت مع أن تقدير القتل هو
الذي ثار منه الفتنة وعظم فيه المحنة لما أن الموت في شرف الوقوع فزجر الناس عن الانقلاب عنده
وحملهم على التثبت هناك أهم ولأن الوصف الجامع بينه وبين الرسل عليهم السلام هو الخلو بالموت
دون القتل روي أنه لما التقى الفئتان حمل أبو دجانة في نفر من المسلمين على المشركين فقاتل قتالا شديدا
وقاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه قتالا عظيما حتى التوى سيفه وكذا سعد بن أبي وقاص فقتلوا جماعة من المشركين
وهزموهم فلما نظر الرماة إليهم وقد انهزموا أقبلوا على النهب ولم يلتفتوا إلى نهي أميرهم
عبد الله بن جبير فلم يبق منهم عنده إلا ثمانية نفر فلما رآهم خالد بن الوليد قد اشتغلوا بالغنيمة حمل عليهم
في مائتين وخمسين فارسا من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقي من الرماة ودخلوا خلف أقفية المسلمين
ففرقوهم وهزموهم وحملوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلوهم حتى أصيب هناك
نحو ثلاثين رجلا كل منهم يجثو بين يديه ويقول وجهي لوجهك وقاء ونفسي لنفسك فداء وعليك
سلام الله غير مودع فرمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته
وشج وجهه الكريم فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى أنه
قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا وصرخ صارخ قيل إنه إبليس ألا إن محمدا قد قتل
فانكفأ الناس وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو إلي عباد الله فقال كعب بن مالك كنت أول من
عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين هذا رسول الله عليه السلام
فانحاز إليه ثلاثون من أصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن أبي

يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان، وقال ناس من المنافقين: لو كان نبياً لما قُتل، ارجعوا إلى إخوانكم وإلى
دينكم، فقال أنس بن النضر وهو عم أنس بن مالك: يا قوم إن كان قُتل محمد فإن رب محمد حي لا يموت، وما
تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقاتلوا على ما قاتل عليه، وموتوا كراماً على ما مات
عليه، ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، ثم شد بسيفه وقاتل
حتى قُتل. ومجيء ... لقتله صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى: والله يعصمك من الناس، لما أن كل آية ليس
يسمعها كل أحد، ولا كل من يسمعها يستحضرها في كل مقام، لا سيما في مثل ذلك المقام الهائل، وقد غفل
عمر رضي الله عنه عن هذه الآية الكريمة عند وفاته صلى الله عليه وسلم، وقام في الناس فقال: إن رجالاً من المنافقين
يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي، وإن رسول الله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب
موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع، والله ليرجعن رسول الله، فليقطعن أيدي رجال
وأرجلهم يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات، فلم يزل يكرر ذلك إلى أن قام أبو بكر رضي الله عنه، فحمد الله
عز وجل وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله
حي لا يموت، ثم تلا: وما محمد إلا رسول، الآية. قال الراوي: والله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية
نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه، وقال عمر رضي الله عنه: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر
يتلوها فعقرت حتى ما تحملني رجلاي، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات. ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾
بإدباره عما كان يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر الجهاد وغيره، وقيل: بارتداده عن الإسلام،
وما ارتد يومئذ أحد من المسلمين إلا ما كان من المنافقين ﴿فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ﴾ بما فعل من الانقلاب ﴿شَيْئاً﴾ أي
من الضرر، وإنما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ أي الثابتين على دين
الإسلام الذي هو أجل نعمة وأعز معروف، سُمّوا بذلك لأن الثبات عليه شكر له وعرفان لحقه، وفيه إيماء
إلى كفران المنقلبين، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بهم الطائعون لله تعالى من المهاجرين والأنصار، وعن
علي رضي الله عنه: أبو بكر وأصحابه، وعنه رضي الله عنه قال: أبو بكر من الشاكرين ومن أحباء الله تعالى، وإظهار الاسم الجليل
في موقع الإضمار لإبراز مزيد الاعتناء بشأن جزائهم. ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ﴾ كلام مستأنف سيق
للتنبيه على خطئهم فيما فعلوا حذراً من قتلهم وبناء على الإرجاف بقتله صلى الله عليه وسلم، ببيان أن موت
كل نفس منوط بمشيئة الله عز وجل لا يكاد يقع بدون تعلقها به وإن خوضت موارد الحتوف واقتحمت
مضائق كل هائل مخوف، وقد أشير بذلك إلى أنها لم تكن متعلقة بموتهم في الوقت الذي حذروه فيه،
ولذلك لم يقتلوا، حتى لا إحجامهم عن مباشرة القتال. وكلمة كان ناقصة اسمها أن تموت وخبرها الظرف
على أنه متعلق بمحذوف، وقوله تعالى ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ استثناء مفرغ من أعم الأسباب، أي ما كان الموت حاصلاً
لنفس من النفوس بسبب من الأسباب إلا بمشيئته تعالى، على أن الإذن مجاز منها لكونه من لوازمها، أو إلا بإذنه
لملك الموت في قبض روحها، وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت بالنسبة إلى النفوس بصورة الأفعال
الاختيارية التي لا يتسنى للفاعل إيقاعها والإقدام عليها بدون إذنه تعالى، أو بتنزيل إقدامها على
مباديه وهي القتال منزلة الإقدام على نفسه للمبالغة في تحقيق المرام، فإن موتها حيث استحال وقوعه عند
إقدامها عليه وعلى مباديه وسعيها في إيقاعه فلأن يستحيل عند عدم ذلك أولى وأظهر، وفيه من

من التحريض على القتال ما لا يخفى. ﴿كِتَاباً﴾ مصدر مؤكد لمضمون ما قبله، أي كتبه الله كتاباً ﴿مُّؤَجَّلاً﴾ موقتاً
بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ولو ساعة، وقرئ موجلاً بالواو بدل الهمزة على قياس التخفيف، وبعد
تحقيق أن مدار الموت والحياة محض مشيئة الله عز وجل من غير أن يكون فيه مدخل لأحد أصلاً أشير إلى أن توفية
ثمرات الأعمال دائرة على إرادتهم ليصرفوها عن الأغراض الدنية إلى المطالب السنية، فقيل: ﴿وَمَن يُرِدْ﴾ أي
بعمله ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ﴾ بنون العظمة على طريقة الالتفات ﴿مِنْهَا﴾ أي من ثوابها ما نشاء أن نؤتيه إياه، كما في قوله عز وجل:
من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد. وهو تعريض بمن شغلتهم الغنائم يومئذ، وفيه تفصيله
﴿وَمَن يُرِدْ﴾ أي بعمله ﴿ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ أي من ثوابها ما نشاء من الأضعاف حسبما جرى به الوعد الكريم
﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ نعمة الإسلام الثابتين عليه، الصارفين ما آتاهم الله تعالى من القوى والقدر إلى ما خلقت
هي لأجله من طاعة الله عز وجل، لا يلويهم عن ذلك صارف أصلاً، والمراد بهم إما المجاهدون المعهودون
من الشهداء وغيرهم، وإما جنس الشاكرين وهم داخلون فيه دخولاً أولياً، والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله
ووعد بالمزيد عليه، وفي تصديرها بالسين وإبهام الجزاء من التأكيد والدلالة على فخامة شأن الجزاء وكونه
بحيث يقصر عنه البيان ما لا يخفى، وقرئ الأفعال الثلاثة بالياء. ﴿وَكَأَيِّن﴾ كلام مبتدأ ناع عليهم تقصيرهم
وسوء صنيعهم في صدودهم عن سنن الربانيين المجاهدين في سبيل الله تعالى مع الرسل الخالية عليهم السلام،
وكأين لفظة مركبة من كاف التشبيه وأي حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير كما حدث في كذا وكذا، والنون
تنوين أثبتت في الخط على غير قياس، وفيها خمس لغات: هي إحداهن، والثانية كائن مثل كاعن، والثالثة
كأين مثل كعين، والرابعة كيأن بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة وهي قلب ما قبلها، والخامسة كأن مثل
كعن، وقد قرئ بكل منها، ومحلها الرفع بالابتداء، وقوله تعالى ﴿مِّن نَّبِيٍّ﴾ تمييزها لأنها مثل كم الخبرية،
وقد جاء تمييزها منصوباً كما في قوله: أطرد اليأس بالرجا فكأين آملاً حُمّ يسره بعد عسر، وقوله تعالى
﴿قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ خبرها، على أن الفعل مسند إلى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور في معه، وقرئ قُتل
وقُتّل على صيغة المبني للمفعول مخففة ومشددة، والربي منسوب إلى الرب كالرباني، وكسر الراء من تغييرات
النسب، وقرئ بضمها وبفتحها أيضاً على الأصل، وقيل هو منسوب إلى الربة وهي الجماعة، أي كثير من الربانيين
قاتلوا معه لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه علماء أتقياء أو عابدين، أو جماعات كثيرة، فالظرف متعلق
بقاتل أو بمحذوف وقع حالاً من فاعله كما في القراءتين الأخيرتين، إذ لا احتمال فيهما لتعلقه بالفعل،
أي قُتلوا أو قُتّلوا كائنين معه في القتال لا في القتل. قال سعيد بن جبير رضي الله عنه: ما سمعنا بنبي قُتل في القتال،
وقال الحسن البصري وجماعة من العظماء: لم يقتل نبي في حرب قط. وقيل الفعل مسند إلى ضمير النبي،
والظرف متعلق بمحذوف وقع حالاً منه، والرابط هو الضمير المجرور الراجع إليه، وهذا واضح على القراءة
المشهورة بلا خلاف، أي كم من نبي قاتل كائناً معه في القتال ربيون كثير، وأما على القراءتين الأخيرتين
ففيه ظاهراً لا سيما على قراءة التشديد، وقد جوزه بعضهم وأيد بأن مدار التوبيخ انخذالهم للإرجاف
بقتله صلى الله عليه وسلم، أي كم من نبي قُتل كائناً معه في القتال أو في القتال ربيون إلخ. وقوله تعالى ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾
عطف على قاتل على أن المراد به عدم الوهن المتوقع من القتال، كما في قولك: وعظته فلم يتعظ، وصحت
به فلم ينزجر، فإن الإتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمراراً عليه بحسب

للحقيقة صنع جديد مصحح لدخول الفاء المرتبة له على ما قبله اى فما فتروا وما انكسرت همتهم لما اصابهم
فى اثناء القتال وهو علة للمنفى دون النفى نعم يشعر بعليته قوله تعالى فى سبيل الله فان كونه ذلك فى
سبيله عز وجل مما يقوى قلوبهم ويزيل وهنهم وما موصولة او موصوفة فان جعل الضمير لجميع
الربيين فهى عبارة عما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره المعترية للكل وان جعل للبعض الباقين
بعد ما قتل الآخرون كما هو الانسب بمقام توبيخ المنخزلين بعد ما استشهد الشهداء فهى عبارة عما ذكر
مع ما اعتراهم من قتل اخوانهم من الخوف والحزن وغير ذلك هذا على القراءة المشهورة واما على القراءتين
الاخيرتين فان اسند الفعل الى الربيين فالضمير للباقين منهم حتما وان اسند الى ضمير النبى صلى الله
عليه وسلم كما هو الانسب بالتوبيخ على الانخزال بسبب الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم فهو للكل
ايضا ان اعتبر كون الربيين مع النبى فى القتل وللجميع ان اعتبر كونهم معه فى القتال وما ضعفوا عن
العدو وقيل عن الجهاد وقيل فى الدين وما استكانوا اى وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون
لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريد والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه
يطلب ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند استيلاء الكفرة عليهم
والارجاف بقتل النبى صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم
حين ارادوا ان يعتضدوا بابن ابى المنافق فى طلب الامان من ابى سفيان والله يحب الصابرين
اى على مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره فى سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم والمراد بالصابرين
اما المعهودون فوضع الظاهر فى موضع الضمير للثناء عليهم بحسن الصبر والاشعار بعلة الحكم واما الجنس
وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة تذييل لما قبلها وما كان قولهم كلام مبين لمحاسنهم القولية
معطوف على ما قبله من الجمل المبينة لمحاسنهم الفعلية وقولهم بالنصب خبر لكان واسمها ان وما بعدها
فى قوله تعالى الا ان قالوا والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء اى ما كان قولا لهم عند لقاء العدو
واقتحام مضايق الحرب واصابة ما اصابهم من فنون الشدائد والاهوال شىء من الاشياء الا ان
قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا اى صغائرنا واسرافنا فى امرنا اى تجاوزنا الحد فى ركوب الكبائر
اضافوا الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين براء من التفريط فى جنب الله تعالى هضما
لها واستقصارا لهممهم واسنادا لما اصابهم الى اعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو الاهم
بحسب الحال من الدعاء بقولهم وثبت اقدامنا اى فى مواطن الحرب بالتقوية والتأييد من عندك
او ثبتنا على دين الحق وانصرنا على القوم الكافرين تقريبا له الى حيز القبول فان الدعاء
المقرون بالخضوع الصادر عن زكاء وطهارة اقرب الى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين
على هذا الدعاء من غير ان يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع والخور والتزلزل فى مواقف
الحرب ومراصد الدين وفيه من التعريض بالمنهزمين ما لا يخفى وقرأ ابن كثير وعاصم فى رواية عنهما
برفع قولهم على انه الاسم والخبر ان وما فى حيزها اى ما كان قولهم شيئا من الاشياء الا هذا القول
المنبئ عن احاسن المحاسن وهذا كما ترى اقعد بحسب المعنى واوفق بمقتضى المقام لما ان الاخبار
بكون قولهم المطلق خصوصية قولهم المحكى عنهم مفصلا كما تفيده قراءتهما اكثر افادة للسامع

للسامع من الاخبار بكون خصوصية قولهم المذكور قولهم لما ان مصب الفائدة وموقع البيان
فى الجمل الخبرية هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدث واوفر اشتمالا
على نسب خاصة بعيدة من الوقوع فى الخارج وفى ذهن السامع ولا يخفى ان ذلك ههنا فى ان مع
ما فى حيزها اتم واكمل واما ما تفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية فحيث كانت سهلة
الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة اجمالية وتجعل عنوانا للموضوع لا مقصودا
بالذات فى باب البيان وانما اختار الجمهور ما اختاروه لقاعدة صناعية هى انه اذا اجتمع معرفتان
فالاعرف منهما احق بالاسمية ولا ريب فى اعرفية ان قالوا لدلالته على جهة النسبة وزمان
الحدوث ولانه يشبه المضمر من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به وقولهم مضاف الى مضمر فهو
بمنزلة العلم فتأمل فآتاهم الله بسبب دعائهم ذلك ثواب الدنيا اى النصر والغنيمة والعز
والذكر الجميل وحسن ثواب الآخرة اى وثواب الآخرة الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد
وتخصيص وصف الحسن به للايذان بفضله ومزيته وانه المعتد به عنده تعالى والله يحب المحسنين
تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان محبة الله تعالى للعبد عبارة عن رضاه عنه وارادة الخير به
فهى مبدأ لكل سعادة واللام اما للعهد وانما وضع المظهر موضع ضمير المعهودين للاشعار
بان ما حكى عنهم من الافعال والاقوال من باب الاحسان واما للجنس وهم داخلون فيه دخولا
اوليا وهذا انسب بمقام ترغيب المؤمنين فى تحصيل ما حكى عنهم من المناقب الجليلة يا ايها الذين
آمنوا شروع فى زجرهم عن متابعة الكفار ببيان استتباعها لخسران الدنيا والآخرة اثر ترغيبهم
فى الاقتداء بانصار الانبياء عليهم السلام ببيان افضائه الى فوزهم بسعادة الدارين وتصدير
الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار الاعتناء بما فى حيزه ووصفهم بالايمان لتذكير حالهم وتثبيتهم
عليها باظهار مباينتها لحال اعدائهم كما ان وصف المنافقين بالكفر فى قوله تعالى ان تطيعوا
الذين كفروا لذلك قصدا الى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم قال على رضى الله عنه نزلت
فى قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم فهو قوله
تعالى يردوكم على اعقابكم جوابا للشرط مع كونه فى قوة ان يقال ان تطيعوهم فى قولهم
ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم يدخلوكم فى دينهم باعتبار كونه تمهيدا لقوله تعالى
فتنقلبوا خاسرين اى الدنيا والآخرة غير فائزين بشىء منهما واقعين فى العذاب الخالد على ان الارتداد على
العقب علم فى انتكاس الامر ومثل فى الحور بعد الكور وقيل المراد بهم اليهود والنصارى حيث كانوا يستغوونهم
ويوقعون لهم الشبه فى الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو
رجل حاله كحال غيره من الناس يوما عليه ويوما له وقيل ابو سفيان واصحابه والمراد بطاعتهم
استئمانهم والاستكانة لهم وقيل الموصول على عمومه والمعنى نهى المؤمنين عن طاعتهم فى امر من الامور
حتى لا يستجروهم الى الارتداد عن الدين فلا حاجة على هذه التقادير الى ما ترى من البيان بل الله مولاكم
اضراب عما يفهم من مضمون الشرطية كأنه قيل فليسوا انصاركم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره
فاطيعوه واستعينوا به عن موالاتهم وقرئ بالنصب كأنه قيل فلا تطيعوهم بل اطيعوا الله مولاكم نصب

على انه صفة له. وهو خير الناصرين تخصوه بالطاعة والاستعانة. سنلقي بنون العظمة على طريقة
الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وقرئ بالياء والسين لتأكيد الالقاء. في قلوب الذين كفروا
الرعب بسكون العين وقرئ بضمها على الاصل وهو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا
القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا
ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستاصلوهم فعند ذلك القى الله تعالى
في قلوبهم الرعب فامسكوا فلا بد من كون نزول الآية في تضاعيف الحرب او عقيب انقضائه وقيل هو
ما القي في قلوبهم من الرعب يوم الاحزاب. بما اشركوا بالله. متعلق بنلقي دون الرعب وما مصدرية
اي بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم وكلاهما من دواعي الرعب. ما لم
ينزل به اي باشراكه. سلطانا. اي حجة سميت به لوضوحها وانارتها او لقوتها او لحدتها ونفوذها
وذكر عدم تنزيلها مع استحالة تحققها في نفسها من قبيل قوله. ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب ولا
انجحار وفيه ايذان بان المتبع في الباب هو البرهان السماوي دون الآراء والاهواء الباطلة. ومأواهم
بيان لاحوالهم في الآخرة اثر بيان احوالهم في الدنيا وهي الرعب اي ما يأوون اليه في الآخرة. النار لا ملجأ
لهم غيرها. وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم وانما وضع موضعه المظهر المذكور للتغليظ والتعليل والاشعار
بانهم في اشراكهم ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه والمخصوص بالذم محذوف اي بئس مثوى الظالمين
النار وفي جعلها مثواهم بعد جعلها مأواهم نوع رمز الى خلودهم فيها فان المثوى مكان الاقامة
المنبئة عن المكث واما المأوى فهو المكان الذي يأوي اليه الانسان. ولقد صدقكم الله وعده
نصب على انه مفعول ثان لصدق وقيل بنزع الخافض اي في وعده نزلت حين قال ناس من المؤمنين
عند رجوعهم الى المدينة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله تعالى بالنصر وهو ما وعدهم على لسان
نبيه صلى الله عليه وسلم من النصر حيث قال للرماة لا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وفي
رواية اخرى لا تبرحوا عن هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم في هذا المكان وقد كان كذلك فان
المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون
على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعا وذلك قوله تعالى. اذ تحسونهم. اي تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا
من حسه اذا ابطل حسه وهو ظرف لصدقكم وقوله تعالى. باذنه. اي بتيسيره وتوفيقه لتحقيق ان قتلهم
بما وعدهم الله تعالى من النصر وقيل هو ما وعدهم بقوله تعالى ان تصبروا وتتقوا الآية وقد حقق ان
ذلك كان موعودا بلا كيفية والموعود بما ذكر امداده عز وجل بانزال الملائكة عليهم السلام وتقييد
صدق وعده تعالى بوقت قتلهم باذنه تعالى صريح في ان الموعود هو النصر المعنوي والتيسير لا الامداد بالملائكة
وقيل هو ما وعده الله تعالى بقوله سنلقي الخ والاخبر ان الرعب كان عند ترك المشركين القتال ورجوعهم
من غير سبب او بعد ذلك في الطريق على اختلاف الروايتين واياما كان فلا سبيل الى كونه مغيا بقوله تعالى
حتى اذا فشلتم. اي جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف القلب. وتنازعتم
في الامر. فقال بعض الرماة حين انهزم المشركون وولوا هاربين والمسلمون على اعقابهم قتلا وضربا
فما موقفنا ههنا بعد هذا وقال اميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه لا نخالف امر الرسول صلى الله عليه وسلم

فثبت مكانه في نفر دون العشرة من اصحابه ونفر الباقون للنهب وذلك قوله تعالى. وعصيتم من بعد
ما اراكم ما تحبون. اي من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما رأى المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل
الشعب وقتلوا امير الرماة ومن معه من اصحابه حسبما فصل في تفسير قوله تعالى افان مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم وجواب اذا محذوف وهو منعكم نصره وقيل هو امتحنكم ويرده جعل الابتلاء غاية للصرف
المترتب على منع النصر وقيل هو انقسمتم الى قسمين كما ينبئ عنه قوله تعالى. منكم من يريد الدنيا. وهم
الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب. ومنكم من يريد الآخرة. وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا
شرف الشهادة هذا على تقدير كون اذا شرطية وحتى ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية وقيل اذا
اسم كما في قولهم اذا يقوم زيد اذا يقوم عمرو وحتى حرف جر بمعنى الى متعلقة بقوله تعالى صدقكم
باعتبار تضمنه لمعنى النصر كانه قيل لقد نصركم الله الى وقت فشلكم وتنازعكم الخ وعلى هذا فقوله تعالى
ثم صرفكم عنهم عطف على ذلك وعلى الاول عطف على الجواب المحذوف كما اشير اليه والجملتان الظرفيتان
اعتراض بين المتعاطفين اي كفكم عنهم حتى حالت الحال ودالت الدولة وفيه من اللطف بالمسلمين ما لا يخفى
ليبتليكم. اي يعاملكم معاملة من يمتحنكم بالمصائب ليظهر ثباتكم على الايمان عندها. ولقد عفا عنكم
تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة. والله ذو فضل على المؤمنين. تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومؤذن
بان ذلك العفو بطريق التفضل والاحسان لا بطريق الوجوب عليه اي شأنه ان يتفضل عليهم بالعفو او
هو متفضل عليهم في جميع الاحوال اديل لهم او اديل عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة والتنكير للتفخيم
والمراد بالمؤمنين اما المخاطبون والاظهار في موقع الاضمار للتشريف والاشعار بعلة الحكم واما الجنس
وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا. اذ تصعدون. متعلق بصرفكم او بقوله تعالى ليبتليكم او بمقدر
كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض وقرئ تصعدون من الصعود اي في الجبل وقرئ
تصعدون من التفعل بطرح احدى التاءين وقرئ يصعدون بالالتفات الى الغيبة. ولا تلوون على احد
اي لا تلتفتون الى ما وراءكم ولا يقف واحد منكم لواحد وقرئ تلوون بواو واحدة بقلب الواو المضمومة
همزة وحذفها تخفيفا وقرئ يلوون كيصعدون. والرسول يدعوكم كان صلى الله عليه وسلم
يدعوهم الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة وايراده صلى الله عليه وسلم بعنوان
الرسالة للايذان بان دعوته صلى الله عليه وسلم كانت بطريق الرسالة من جهته سبحانه اشباعا في
توبيخ المنهزمين. في اخراكم. في ساقتكم وجماعتكم الاخرى. فأثابكم. عطف على صرفكم اي فجازاكم الله
تعالى بما صنعتم. غما. موصولا. بغم. من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول
صلى الله عليه وسلم وفوت الغنيمة فالتنكير للتكثير او غما بمقابلة غم اذقتموه رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعصيانكم له. لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم. اي لتتمرنوا على الصبر في الشدائد
فلا تحزنوا على نفع فائت او ضر آت وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة
وعلى ما اصابكم من الجراح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في اثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم اي واساكم
في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم وتنفيسا
عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا ما اصابكم من الجراح وغير ذلك. والله خبير بما تعملون. اي

عالم باعمالكم وبما قصدتم بها . ثم انزل عليكم . عطف على قوله تعالى فاثابكم والخطاب للمؤمنين حقا . من
بعد الغم . اى الغم المذكور والتصريح بتأخر الانزال عنه مع دلالة ثم عليه وعلى تراخيه عنه لزيادة البيان
وتذكير عظمة النعمة كما فى قوله تعالى ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا الآية . امنة . اى امنا نصب على المفعولية
وقوله تعالى نعاسا . بدل منها او عطف بيان او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة عليه او مفعول له
او حال من المخاطبين على تقدير مضاف اى ذوى امنة او على انه جمع آمن ككبار وبررة وقرئ بسكون الميم
كانها مرة من الامن وتقديم الظرف على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء بشان المقدم والتشويق
الى المؤخر وتخصيص الخوف من بين فنون الغم بالازالة لانه المهم عندهم حينئذ لما ان المشركين لما انصرفوا
كانوا يتوعدون المسلمين بالرجوع فلم يأمنوا كرتهم وكانوا تحت الحجف متاهبين للقتال فانزل الله تعالى
عليهم الامنة فاخذهم النعاس قال ابن عباس رضى الله عنهما آمنهم يومئذ بنعاس يغشاهم بعد خوف وانما
ينعس من يأمن والخائف لا ينام وقال الزبير رضى الله عنه كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فانزل
الله علينا النوم والله انى لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشانى ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان
لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا وقال ابو طلحة رضى الله عنه رفعت راسى يوم احد فجعلت لا ارى احدا من القوم
الا وهو يميد تحت حجفته من النعاس قال وكنت ممن القى عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من
يدى فآخذه ثم يسقط السوط من يدى فآخذه وفيه دلالة على ان من المؤمنين من لم يلق عليه النعاس
كما ينبئ عنه قوله عز وجل يغشى طائفة منكم . وقال ابن عباس رضى الله عنهما هم المهاجرون وعامة الانصار
ولا يقدح ذلك فى عموم الانزال للكل والجملة فى محل النصب على انها صفة لنعاسا وقرئ بالتاء على انها
صفة لامنة وفيه ان الصفة حقها ان تتقدم على البدل وعطف البيان وان لا يفصل بينها وبين الموصوف
بالمفعول له وان المعهود ان يحدث عن البدل دون المبدل منه . وطائفة قد اهمتهم انفسهم . اى اوقعتهم
فى الهموم والاحزان او ما يهمهم الا هم انفسهم وقصد خلاصها من قولهم اهمنى الشئ اى كان من همى وقصدى
والقصر مستفاد من معونة المقام وطائفة مبتدا وما بعدها اما خبرها وانما جاز ذلك مع كونها نكرة لاعتمادها
على واو الحال كما فى قوله سرينا ونجم قد اضاء فمذ بدا محياك اخفى ضوءه كل شارق او لوقوعها
فى موقع التفصيل كما فى قوله اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول واما صفتها والخبر
محذوف اى ومعكم طائفة او وهناك طائفة وقيل تقديره ومنكم طائفة وفيه انه يقتضى دخول
المنافقين فى الخطاب بانزال الامنة واياما كان فالجملة اما حالية مبينة لفظاعة الهول مؤكدة لعظم
النعمة فى الخلاص عنه كما فى قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم واما
مستانفة مسوقة لبيان حال المنافقين وقوله عز وجل يظنون بالله حال من ضمير اهمتهم او من
طائفة لتخصصها بالصفة او صفة اخرى لها او خبر بعد خبر او استئناف مبين لما قبله وقوله تعالى
غير الحق فى حكم المصدر اى يظنون به تعالى غير الظن الحق الذى يجب ان يظن به سبحانه وقوله تعالى
ظن الجاهلية بدل منه وهو الظن المختص بالملة الجاهلية والاضافة كما فى حاتم الجود ورجل صدق
وقوله تعالى يقولون بدل من يظنون لما ان مسألتهم كانت صادرة عن الظن اى يقولون لرسول الله
صلى الله عليه وسلم على صورة الاسترشاد هل لنا من الامر اى من امر الله تعالى ووعده من النصر والظفر

والظفر . من شئ . اى من نصيب قط او هل لنا من التدبير من شئ وقوله تعالى قل ان الامر كله لله . اى
الغلبة بالآخرة لله تعالى ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او ان التدبير كله لله تعالى فانه تعالى قد دبر
الامر كما جرى فى سابق قضائه فلا مرد له وقرئ كله بالرفع على الابتداء وقوله تعالى يخفون فى انفسهم
اى يضمرون فيها او يقولون فيما بينهم بطريق الخفية . ما لا يبدون لك . استئناف او حال من ضمير يقولون
وقوله تعالى قل ان الامر الخ اعتراض بين الحال وصاحبها اى يقولون ما يقولون مظهرين انهم مسترشدون
طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب وقوله تعالى يقولون . استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ
مما قبله كانه قيل اى شئ يخفون فقيل يحدثون انفسهم او يقول بعضهم لبعض فيما بينهم خفية . لو كان لنا
من الامر شئ . كما وعد محمد صلى الله عليه وسلم من ان الغلبة لله تعالى ولاوليائه وان الامر كله لله او لو كان
لنا من التدبير والراى شئ . ما قتلنا ههنا . اى ما غلبنا او ما قتل من قتل منا فى هذه المعركة على ان
النفى راجع الى نفس القتل لا الى وقوعه فيها فقط او لما بعدنا من منازلنا كما راه ابن ابى ويؤيده تعيين
مكان القتل وكذا قوله تعالى . قل لو كنتم فى بيوتكم . اى لو لم تخرجوا الى احد وقعدتم بالمدينة كما تقولون
لبرز الذين كتب عليهم القتل . اى فى اللوح المحفوظ بسبب من الاسباب الداعية الى البروز . الى مضاجعهم . اى
مصارعهم التى قدر الله تعالى قتلهم فيها وقتلوا هنالك البتة ولم ينفع العزيمة على الاقامة بالمدينة
قطعا فان قضاء الله تعالى لا يرد وحكمه لا يعقب وفيه مبالغة فى رد مقالتهم الباطلة حيث
لم يقتصر على تحقيق نفس القتل كما فى قوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم الموت بل عين مكانه ايضا
ولا ريب فى تعين زمانه ايضا لقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
روى ان ملك الموت حضر مجلس سليمان عليه السلام فنظر الى رجل من اهل المجلس نظرة هائلة فلما
قام قال الرجل من هذا قال سليمان ملك الموت قال ارسلنى مع الريح الى عالم آخر فانى رأيت منه
مرأى هائلا فامرها ثم فالقته فى قطر سحيق من اقطار العالم فما لبث ان عاد ملك الموت الى سليمان
فقال كنت امرت بقبض روح ذلك الرجل فى هذه الساعة فى ارض كذا فلما وجدته فى مجلسك قلت
متى يصل هذا اليها وقد ارسلته بالريح الى ذلك المكان فوجدته هناك فقضى امر الله عز وجل فى
زمانه ومكانه من غير اخلال بشئ من ذلك وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القتل وقرئ لبرز
بالتشديد على البناء للمفعول . وليبتلى الله ما فى صدوركم . اى ليعاملكم معاملة من يبتلى ما فى صدورهم
من الاخلاص والنفاق ويظهر ما فيها من السرائر وهو علة لفعل مقدر قبلها معطوفة على علل لها اخرى
مطوية للايذان بكثرتها كانه قيل فعل ما فعل لمصالح جمة وليبتلى الخ وجعلها علة لبرز يأباه الذوق
السليم فان مقتضى المقام بيان حكمة ما وقع يومئذ من الشدة والهول لا بيان حكمة البروز المفروض او لفعل
مقدر بعدها اى وللابتلاء المذكور فعل ما فعل لا لعدم العناية بامر المؤمنين ونحو ذلك وتقدير الفعل
مقدما خال عن هذه المزية . وليمحص ما فى قلوبكم . من مخفيات الامور ويكشفها او يخلصها من الوساوس
والله عليم بذات الصدور . اى السرائر والضمائر الخفية التى لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها
والجملة اما اعتراض للتنبيه على ان الله تعالى غنى عن الابتلاء وانما يبرز صورة الابتلاء لتمرين المؤمنين واظهار
حال المنافقين او حال من متعلق الفعلين اى فعل ما فعل للابتلاء والتمحيص والحال انه تعالى غنى عنهما محيط

بخفيات الامور وفيه وعد ووعيد • ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان • وهم الذين انهزموا
يوم احد حسبما مرّ حكايتهم • انما استزلهم الشيطان • اي انما كان سبب انهزامهم ان الشيطان طلب منهم
الزلل • ببعض ما كسبوا • من الذنوب والمعاصي التي هي مخالفة امر النبي صلى الله عليه وسلم وترك المركز
والحرص على الغنيمة او الحياة فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك
بذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها الى بعض كالطاعة وقيل استزلهم بذنوب سبقت منهم
وكرهوا القتال قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة • ولقد عفا الله عنهم • لتوبتهم واعتذارهم
ان الله غفور • للذنوب • حليم • لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والجملة تعليل لما قبلها على سبيل
التحقيق وفي اظهار الجلالة تربية للمهابة وتأكيد للتعليل • يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين
كفروا • هم المنافقون القائلون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا وانما ذكر في صدر الصلة كفرهم
تصريحا بمباينة حالهم لحال المؤمنين وتنفيرا عن مماثلتهم من اول الامر وقوله تعالى • وقالوا لاخوانهم
تعيين لوجه الشبه والمماثلة التي نهوا عنها اي قالوا لاجلهم وفي حقهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم نسبا او
مذهبا • اذا ضربوا في الارض • اي سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وايثار اذا المفيدة
لمعنى الاستقبال على اذ المفيدة لمعنى المضي لحكاية الحال الماضية اذ المراد بها الزمان المستمر المنتظم
للحال الذي عليه يدور امر استحضار الصورة قال الزجاج اذا هاهنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل
يعني انها لمجرد الوقت او يقصد بها الاستمرار وظرفيتها لقولهم انما هي باعتبار ما وقع فيها بل التحقيق
انها ظرف له لا لقولهم كانه قيل قالوا لاجل ما اصاب اخوانهم حين ضربوا الخ • او كانوا • اي اخوانهم
غزى • جمع غاز كعفى جمع عاف قال ومغبرة الآفاق خاشعة الصوى ها قُلُبٌ عُفّى الحياض اجون
وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة وافراد كونهم غزاة بالذكر مع اندراجه تحت الضرب في
الارض لانه المقصود بيانه في المقام وذكر الضرب في الارض توطئة له وتقديمه لكثرة وقوعه
على انه قد يوجد بدون الضرب اذ المراد به السفر البعيد وانما لم يقل او غزوا للايذان باستمرار اتصافهم
بعنوان كونهم غزاة او بانقضاء ذلك اي كانوا غزاة فيما مضى • ومعنى قوله تعالى • لو كانوا عندنا
اي مقيمين • ما ماتوا وما قتلوا • مفعول لقالوا ودليل على ان هناك مضمرا قد حذف ثقة به اي اذا ضربوا
في الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا وليس المقصود بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول بل في
الاعتقاد بمضمونه والحكم بموجبه كما ان المنكر على قائليه ايضا ذلك لقوله عز وجل • ليجعل الله ذلك
حسرة في قلوبهم • فان الذي جعل حسرة فيها قطعا ما اليه يشير بذلك كما نقل عن الزجاج انه اشارة الى ظنهم
انهم لو لم يحضروا القتال لم يقتلوا وتعلقه بقالوا ليس باعتبار نطقهم بذلك القول بل باعتبار ما فيه من الحكم
والاعتقاد واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا اي قالوا ذلك واعتقدوه
ليكون حسرة في قلوبهم والمراد بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك اصلا وقيل هو تعليل
للنهي بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله تعالى حسرة في قلوبهم خاصة
ويصون منها قلوبكم وذلك كان اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد ويجوز ان يكون اشارة الى ما
دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مضادتكم لهم في القول

في القول مما يغمهم ويغيظهم • والله يحيي ويميت • رد لقولهم الباطل اثر بيان غائلته اي هو المؤثر
في الحياة والممات وحده من غير ان يكون للاقامة او السفر مدخل في ذلك فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي
مع اقتحامهما لموارد الحتوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لاسباب السلامة • والله بما تعملون بصير
تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرئ بالياء على انه وعيد للذين كفروا مما يعملون على تهيئتنا ولمقولهم
المذكور ولعله لانه الذي هو اعتقادهم وما يترتب على ذلك من الاعمال ولذلك تعرض لعنوان البصر لا لعنوان
السمع واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة والقاء الروعة والمبالغة في التهديد والتشديد
في الوعيد • ولئن قتلتم في سبيل الله او متم • شروع في تحقيق ان ما يحذرونه من ترتبه على الغزو والسفر
من القتل والموت في سبيل الله تعالى ليس مما ينبغي ان يحذر بل مما يجب ان يتنافس فيه المتنافسون اثر ابطال
ترتبه عليهما واللام هي الموطئة للقسم وما في قوله تعالى • لمغفرة من الله ورحمة • لام الابتداء والتنوين
في الموضعين للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة للمبتدأ وقد حذفت صفة رحمة لدلالة المذكور
عليها والجملة جواب للقسم سادة مسد جواب الشرط والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل
اصلا ولئن وقع ذلك بامر الله لنفحة يسيرة من مغفرة ورحمة كائنتين من الله تعالى بمقابلة ذلك • خير
مما يجمعون • اي الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها مدة اعمارهم وعن ابن عباس رض خير من طلاع الارض
ذهبة حمراء • وقرئ بالتاء اي مما تجمعونه انتم لو لم تموتوا والاقتصار على بيان خيريتها من ذلك بلا تعرض
للاخبار بحصولهما لهم للايذان بعدم الحاجة اليه بناء على استحالة التخييب منه تعالى بعد الاطماع وقيل وقد
لا بد من حذف اي لمغفرة لكم من الله الخ ويجوز ايضا ان يكون اخراج الظرف مخرج الصفة دون الخبر لنحو ما
ذكر من ادعاء الظهور والغنى عن الاخبار به وتغيير الترتيب الواقع في قولهم ما ماتوا وما قتلوا المبني على
كثرة الوقوع وقلته للمبالغة في الترغيب في الجهاد ببيان زيادة مزية القتل في سبيل الله وانافته في
استجلاب المغفرة والرحمة وفيه دلالة واضحة على ان المقصود بالنهي انما هو عدم مماثلتهم في
الاعتقاد بمضمون القول المذكور والعمل بموجبه لا في النطق به واضلال الناس به • ولئن متم او قتلتم
اي على اي وجه اتفق هلاككم حسب تعلق الارادة الالهية وقرئ متم بكسر الميم من مات يمات • لالى الله
اي الى المعبود بالحق العظيم الشان الواسع الرحمة الجزيل الاحسان • تحشرون • لا الى غيره فيوفي اجوركم
ويجزل لكم عطاءكم وفي الكلام من لامي الجملة كما مر في اختيها • فبما رحمة من الله لنت لهم • تلوين للخطاب وتوجيه له
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب مضمون الكلام على ما ينبئ عنه السياق من استحقاقهم للائمة
والتعنيف بموجب الجبلة البشرية او من سعة ساحة مغفرته تعالى ورحمته والباء متعلقة بلنت قدمت
عليه للقصر وما مزيدة للتوكيد والتنكير ورحمة بدل منها مبين لابهامها والتنوين للتفخيم ومن متعلقة
بمحذوف وقع صفة لرحمة اي فبرحمة عظيمة لهم كائنة من الله تعالى وهي ربطه على جاشك وتخصيصه
بمكارم الاخلاق كنت لين الجانب لهم وعاملتهم بالرفق والتلطف بهم حينما عتمتهم بعد ما كان منهم
ما كان من مخالفة امرك واسلامك للعدو • ولو كنت فظا • تكن كذلك بل كنت فظا جافيا في المعاشرة
قولا وفعلا • قال الراغب الفظ هو الكريه الخلق وقال الواحدي هو الغليظ الجانب السيئ الخلق
غليظ القلب • قاسيه وقال الكلبي فظا في القول غليظا لقلب في الفعل • لانفضوا من حولك

لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا اليك وتردوا في مهاوي الردى والفاء في قوله عز وجل فاعف عنهم
لترتيب العفو والامر به على ما قبله اي اذا كان الامر كما ذكر فاعف عنهم فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم
واستغفر لهم الله فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم واكمالا للبر بهم وشاورهم في الامر
اي في امر الحرب اذ هو المعهود او فيه وفي امثاله مما يجري فيه المشاورة عادة استظهارا بآرائهم وتطييبا
لقلوبهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت اي عقيب المشاورة
على شيء واطمأنت به نفسك فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو ارشد لك واصلح فان علمه مختص
به سبحانه وتعالى وقرئ فاذا عزمت على صيغة التكلم اي عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل
علي ولا تشاور بعد ذلك احدا والالتفات لتربية المهابة وتعليل التوكل والامر به فان عنوان الالوهية
الجامعة لجميع صفات الكمال مستدع للتوكل عليه تعالى والامر به ان الله يحب المتوكلين عليه تعالى فينصرهم
ويرشدهم الى ما فيه خير لهم وصلاح والجملة تعليل للتوكل عليه تعالى وقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب
لكم جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفا للمؤمنين لايجاب توكلهم عليه تعالى وحثهم على
اللجا اليه وتحذيرهم عما يقتضي لخذلانه اي ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم على طريق
نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد الغالب ذاتا وصفة ولو قيل فلا يغلبكم احد لدل على نفي الصفة فقط
بل المفهوم من ظاهر النظم الكريم وان كان نفي مغلوبيتهم من غير تعرض لنفي المساواة ايضا وهو الذي
يقتضيه المقام لكن المفهوم منه فيما قطعيا هو نفي المساواة واثبات الغالبية للمخاطبين فاذا قلت لا اكرم
من فلان او لا افضل منه فالمفهوم منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا امر مطرد
في جميع اللغات ولا اختصاص له بالنفي الصريح بل هو مطرد فيما ورد على طريق الاستفهام الانكاري كما
في قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا في مواضع كثيرة من التنزيل ومما هو نص قاطع فيما ذكرنا
ما وقع في سورة هود حيث قيل بعد قوله لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون فان كونهم اخسر
من كل خاسر يستدعي قطعا كونهم اظلم من كل ظالم وان يخذلكم كما فعله يوم احد وقرئ يخذلكم من اخذله
اذا جعله مخذولا فمن ذا الذي ينصركم استفهام انكاري مفيد لانتفاء الناصر ذاتا وصفة بطريق
المبالغة من بعده اي من بعد خذلانه تعالى او من بعد الله تعالى على معنى اذا جاوزتموه وعلى الله
فليتوكل المؤمنون تقديم الجار والمجرور على الفعل لافادة قصره عليه تعالى والفاء لترتيبه او ترتيب
الامر به على ما مر من غلبة المخاطبين على تقدير نصرته تعالى لهم ومغلوبيتهم على تقدير خذلانه تعالى اياهم
فان العلم بذلك مما يقتضي قصر التوكل عليه تعالى لا محالة والمراد بالمؤمنين اما الجنس والمخاطبون داخلون
فيه دخولا اوليا واما هم خاصة بطريق الالتفات واياما كان ففيه تشريف لهم بعنوان الايمان اشتراكا
او استقلالا وتعليل لتحتم التوكل عليه تعالى فان وصف الايمان مما يوجبه قطعا وما كان لنبي اي
وما صح لنبي من الانبياء عليهم السلام ولا استقام له ان يغل اي يخون في المغنم فان النبوة تنافيه
منافاة بينة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه خفية والمراد اما تنزيه
ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز وافاضوا في الغنيمة
وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم

امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل ولا نقسم
بينكم واما المبالغة في النفي لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث طلائع فغنم النبي
صلى الله عليه وسلم بعدهم غنائم فقسمها بين الحاضرين ولم يترك للطلائع شيئا فنزلت والمعنى ما كان
لنبي ان يعطي قوما من العسكر ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بين الكل بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة
بالغلول تغليظا واما ما قيل من ان المراد تنزيهه صلى الله عليه وسلم عما تفوه به بعض المنافقين لما روي
ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها
فبعيد جدا وقرئ على البناء للمفعول والمعنى ما كان له ان يوجد غالا او ينسب الى الغلول ومن يغلل
يأت بما غل يوم القيمة يأت بالذي غله بعينه حاملا له على عنقه كما ورد في الحديث الشريف من قوله صلى
الله عليه وسلم الا لا اعرفن احدكم يأتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء ينادي
يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك او يأت بما احتمل من اثمه ووباله ثم توفى
كل نفس ما كسبت اي تعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرا او شرا كثيرا او يسيرا ووضع المكسوب موضع جزائه
تحقيقا للعدل ببيان ما بينهما من تمام التناسب كما وكيفا كأنهما شيء واحد وفي اسناد التوفية الى كل كاسب
وتعليقها بكل مكسوب مع ان المقصود بيان حال الغال عند اتيانه بما غله يوم القيمة من الدلالة على
فخامة شان اليوم وهول مطلعه والمبالغة في بيان فظاعة حال الغال ما لا يخفى فانه حيث وفى كل كاسب
جزاء ما كسبه ولم ينقص منه شيء وان كان جرمه في غاية القلة والحقارة فلأن لا ينقص من جزاء الغال
شيء وجرمه من اعظم الجرائم اظهر واجلى وهم اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون
بزيادة عقاب او بنقص ثواب افمن اتبع رضوان الله اي سعى في تحصيله وانتحى نحوه حيثما كان
بفعل الطاعات وترك المنكرات كالنبي ومن يسير بسيرته كمن باء اي رجع بسخط عظيم لا يقادر قدره
كائن من الله تعالى بسبب معاصيه كالغال ومن يدين بدينه والمراد تأكيد نفي الغلول عن النبي
صلى الله عليه وسلم وتقريره بتحقيق المباينة الكلية بينه وبين الغال الخبيث ووصف كل منهما بنقيض ما
وصف به الآخر فقوبل رضوانه تعالى بسخطه والاتباع بالبوء والجمع بين الهمزة والفاء لتوجيه الانكار
الى ترتب توهم المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال الغال كانه قيل أبعد ظهور حاله يكون
من ترقى الى اعلى عليين كمن تردى الى اسفل سافلين واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال
الروعة وتربية المهابة ومأواه جهنم اما كلام مستأنف مسوق لبيان مآل من باء بسخطه تعالى واما
معطوف على قوله تعالى باء بسخط عطف الصلة الاسمية على الفعلية واياما كان فلا محل له من الاعراب
وبئس المصير اعتراض تذييلي والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس المصير جهنم والفرق بينه وبين
المرجع ان الاول يعتبر فيه الرجوع على خلاف الحالة الاولى بخلاف الثاني هم راجع الى الموصولين
باعتبار المعنى درجات عند الله اي طبقات متفاوتة في علمه وحكمه شبهوا في تفاوت الاحوال وتباينها
بالدرجات مبالغة وايذانا بان بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات وقد ورد درجات والله بصير بما يعملون
من الاعمال ودرجاتها فيجازيهم بحسبها لقد من الله جواب قسم محذوف اي والله لقد من الله اي
انعم على المؤمنين اي من قومه صلى الله عليه وسلم اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم اي من نسبهم او

من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين
به وفي ذلك شرف لهم عظيم قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم فانه صلى الله
عليه وسلم كان من اشرف قبائل العرب وبطونها وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث على انه
خبر لمبتدأ محذوف واي منه اذ بعث الخ او على ان اذ في محل الرفع على الابتداء بمعنى لمن من الله على
المؤمنين وقت بعثه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للاسود والاحمر لما مر من زيادة انتفاعهم
بها وقوله تعالى من انفسهم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا اي كائنا من انفسهم وقوله تعالى يتلو عليهم
آياته صفة اخرى اي يتلو عليهم القرآن بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم
عطف على يتلو اي يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد واوضار الاوزار ويعلمهم الكتاب والحكمة
اي القرآن والسنة وهو صفة اخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية
التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل
بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كل واحد من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة
للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم لتبادر الى الفهم عدّ الجميع نعمة واحدة وهو السر في التعبير عن القرآن
بالآيات تارة وبالكتاب والحكمة اخرى رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح في
ذلك شمول الحكمة لما في مطاوي الاحاديث الكريمة من الشرائع كما سلف في سورة البقرة وان كانوا من قبل
اي من قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وتزكيته وتعليمه لفي ضلال مبين اي بين لا ريب في كونه ضلالا
وان هي المخففة من ان المثقلة وضمير الشان محذوف واللام فارقة بينها وبين النافية والظرف الاول
لغو متعلق بكان والثاني خبرها وهي مع خبرها خبر لان المخففة التي حذف اسمها اعني ضمير الشان
وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اي وما كانوا من قبل الا في ضلال مبين واياما كان فالجملة اما حال
من الضمير المنصوب في يعلمهم او مستأنفة وعلى التقديرين فهي مبينة لكمال النعمة وتمامها اولما اصابتكم
مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا كلام مبتدأ مسوق لابطال بعض ما صدر عنهم من الظنون
الفاسدة والاقاويل الباطلة الناشئة منها اثر ابطال بعض آخر منها والهمزة للتقريع والتقرير
والواو عاطفة لمدخولها على محذوف قبلها ولما ظرف لقلتم مضاف الى ما بعده وقد اصبتم في محل
الرفع على انه صفة لمصيبة والمراد بها ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم وبمثليها ما اصاب
المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم واسر سبعين وانى هذا مقول قلتم وتوسيط الظرف وما
يتعلق به بينه وبين الهمزة مع انه المقصود انكاره والمعطوف بالواو حقيقة لتأكيد النكير وتشديد
التقريع فان فعل القبيح في غير وقته ابشع والانكار على فاعله ادخل والمعنى احين اصابكم من المشركين
نصف ما اصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من اين اصابنا هذا وقد تقدم الوعد بالنصر على توجيه
الانكار والتقريع الى صدور ذلك القول عنهم في ذلك الوقت خاصة بناء على عدم كونه مظنة لذلك داعيا
اليه بل على كونه مظنة لعدمه داعيا الى عدمه فان كون مصيبة عدوهم
ضعف مصيبتهم مما يهون الخطب ويورث السلوة او انفعلتم ما فعلتم ولما اصابتكم غائلته قلتم انى

انى هذا على توجيه الانكار الى استبعادهم الحادثة مع مباشرتهم لسببها وتذكير اسم الاشارة
في انى هذا مع كونه اشارة الى المصيبة ليس لكونها عبارة عن القتل ونحوه بل لما ان اشارتهم
ليست الا الى ما شاهدوه في المعركة من حيث هو هو من غير ان يخطر ببالهم تسميته باسم ما فضلا عن تسميته
باسم المصيبة وانما هي عند الحكاية وقوله عز وجل قل هو من عند انفسكم امر لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بان يجيب عن سؤالهم الفاسد اثر تحقيق فساده بالانكار والتقريع ويبكتهم ببيان ان ما
نالهم انما نالهم من جهتهم بتركهم المركز وحرصهم على الغنيمة وقيل باختيارهم الخروج من المدينة ويأباه
ان الوعد بالنصر كان بعد ذلك كما ذكر عند قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده الآية وان عمل
النبي صلى الله عليه وسلم بموجبه فدفع للخطر عنه وتخفيف جنايتهم فيه على ان اختيار الخروج
والاصرار عليه كان ممن اكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ وانى هم من التفوه بمثل هذه الكلمة
وقيل باخذ الفداء يوم بدر قبل ان يؤذن لهم والاول هو الاظهر الاوفق ومما يعضده
توسيط خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بين الخطابين المتوجهين الى المؤمنين وتفويض التبكيت اليه
صلى الله عليه وسلم فان توبيخ الفاعل على الفعل اذا كان ممن نهاه عنه كان اشد تاثيرا
ان الله على كل شيء قدير ومن جملته النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم
عن الطاعة اصابكم منه تعالى ما اصابكم والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها داخل تحت الامر
وما اصابكم رجوع الى خطاب المؤمنين اثر خطابه صلى الله عليه وسلم لتبيين حقيقته وارشادهم
الى حقيقة الحق فيما سالوا عنه وبيان لبعض ما فيه من الحكم والمصالح ودفع لما عسى يتوهم من
قوله تعالى هو من عند انفسكم من استقلالهم في وقوع الحادثة والعدول عن الاضمار الى ما ذكر للتهويل
وزيادة التقرير ببيان وقته بقوله تعالى يوم التقى الجمعان اي جمعكم وجمع المشركين فباذن الله
اي فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سمى ذلك اذنا لكونها من لوازمه وليعلم المؤمنين
على قوله تعالى فباذن الله عطف السبب على السبب والمراد بالعلم التمييز والاظهار فيما بين الناس
وليعلم الذين نافقوا عطف على ما قبله من مثله واعادة الفعل لتشريف المؤمنين وتنزيههم عن
الانتظام في قرن المنافقين وللايذان باختلاف حال العلم بحسب التعلق بالفريقين فانه متعلق
بالمؤمنين على نهج تعلقه السابق وبالمنافقين على وجه جديد وهو السر في ايراد الاولين بصيغة
اسم الفاعل المنبئة عن الاستمرار والآخرين بموصول صلته فعل دال على الحدوث والمعنى وما
اصابكم يومئذ فهو كائن ليتميز الثابتون على الايمان والذين اظهروا النفاق وقيل لهم عطف
على نافقوا داخل معه في حيز الصلة او كلام مبتدأ قال ابن عباس رضي الله عنهما هم عبد الله بن ابي
واصحابه حيث انصرفوا يوم احد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم عبد الله بن عمرو بن
حرام اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال وذلك قوله تعالى تعالوا
قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قال السدي اي ادفعوا عنا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا
معنا وقيل او ادفعوا عن اهلكم وبلدكم وحريمكم ان لم تقاتلوا في سبيل الله تعالى وترك
العطف بين تعالوا وقاتلوا لما ان المقصود بهما واحد وهو الثاني وذكر الاول توطئة له

ومن عيب فيه لما فيه من الدلالة على التظاهر والتعاون. قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه
الكلام كأنه قيل فماذا صنعوا حين خيّروا بين الخصلتين المذكورتين فقيل قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم أي
لو نحسن قتالا ونقدر عليه وإنما قالوه دغلا واستهزاء وإنما عبّر عن نفي القدرة على القتال بنفي العلم به لما أن
القدرة على الأفعال الاختيارية مستلزمة للعلم بها أو لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم ولكن ما أنتم
بصدده ليس بقتال أصلا وإنما هو إلقاء النفس إلى التهلكة وفي جعلهم التالي مجرد الاتباع دون القتال الذي
هو المقصود بالدعوة دليل على كمال تثبطهم عن القتال حيث لا ترضى نفوسهم بجعله تاليا لمقدم مستحيل
الوقوع. هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان. الضمير مبتدأ وأقرب خبره واللام في للكفر وللإيمان متعلقة
به وكذا يومئذ ومنهم وعدم جواز تعلق حرفين متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد بلا عطف وبدلية إنما هو
فيما عدا أفعل التفضيل من العوامل لاتحاد حيثية عملها وأما أفعل التفضيل فحيث دل على أصل الفعل وزيادته
جرى مجرى عاملين كأنه قيل قربهم للكفر زائد على قربهم للإيمان وقيل تعلق الجارين به لشبههما بالظرف أي هم
للكفر يوم إذ قالوا ما قالوا أقرب منهم للإيمان فإنهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون بالإيمان وما ظهرت منهم
أمارة مؤذنة بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا
من الكفر وقيل هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن تقليل سواد المسلمين بالانخذال تقوية للمشركين
وقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم جملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها وذكر الأفواه والقلوب
تصوير لنفاقهم وتوضيح لمخالفة ظاهرهم لباطنهم وما عبارة عن القول والمراد به إما نفس الكلام الظاهر
في اللسان تارة وفي القلب أخرى فالمثبت والمنفي متحدان ذاتا وإن اختلفا مظهرا وإما القول الملفوظ فقط
فالمنفي حينئذ منشؤه الذي لا ينفك عنه القول أصلا وإنما عبر عنه به إبانة لما بينهما من شدة الاتصال أي
يتفوهون بقول لا وجود له ولا لمنشئه في قلوبهم أصلا من الأباطيل التي من جملتها ما حكي عنهم آنفا فإنهم
[مثل الوجه الاول]
أظهروا فيه أمرين ليس في قلوبهم شيء منهما أحدهما عدم العلم بالقتال والآخر الاتباع على تقدير العلم به
وقد كذبوا فيهما كذبا بيّنا حيث كانوا عالمين به غير ناوين للاتباع بل كانوا مصرين مع ذلك على الانخذال
عازمين على الارتداد. وقوله عز وجل والله أعلم بما يكتمون زيادة تحقيق لكفرهم ونفاقهم ببيان اشتغال
قلوبهم بما يخالف أفواههم من فنون الشر والفساد وأثر بيان خلوها عما يوافقها وصيغة التفضيل لما أن بعض
ما يكتمونه من أحكام النفاق وذم المؤمنين وتخطئة آرائهم والشماتة بهم وغير ذلك يعلمه المؤمنون على وجه
الإجمال وأن تفاصيل ذلك وكيفياته مختصة بالعلم الإلهي. الذين قالوا مرفوع على أنه بدل من واو يكتمون
أو خبر لمبتدأ محذوف وقيل مبتدأ خبره قل فادرءوا بحذف العائد تقديره قل لهم إلخ أو منصوب على الذم
أو على أنه نعت للذين نافقوا أو بدل منه وقيل مجرور على أنه بدل من ضمير أفواههم أو قلوبهم كما في قوله
على جوده لضن بالماء حاتم. والمراد بهم عبد الله بن أبي وأصحابه. لإخوانهم أي لأجلهم وهم من قتل
يوم أحد من جنسهم أو من أقاربهم فيندرج فيهم بعض الشهداء. وقعدوا حال من ضمير قالوا بتقدير قد أي قالوا
وقد قعدوا عن القتال بالانخذال. لو أطاعونا أي فيما أمرناهم به ووافقونا في ذلك. ما قتلوا كما لم نقتل
وفيه إيذان بأنهم أمروهم بالانخذال حين انخذلوا وأغووهم كما غووا وحمل القعود على ما استصوبه ابن أبي
عند المشاورة من الإقامة بالمدينة ابتداء وجعل الإطاعة عبارة عن قبول رأيه والعمل به يرده كون الجملة

حالية فإنها لتعيين ما فيه العصيان والمخالفة مع أن ابن أبي ليس من القاعدين فيها بذلك المعنى على أن تخصيص
عدم الطاعة بإخوانهم يشعر باختصاص الأمر أيضا بهم فيستحيل أن يحمل على ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
عند المشاورة. قل تبكيتا لهم وإظهارا لكذبهم فادرءوا عن أنفسكم الموت جواب لشرط حذف تعويلا على
ما بعده من قوله تعالى إن كنتم صادقين كما أنه شرط حذف جوابه لدلالة الجواب المذكور عليه أي إن كنتم صادقين
فيما ينبئ عنه قولكم من أنكم قادرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن أنفسكم الموت الذي كتب
عليكم معلقا بسبب خاص موقتا بوقت معين بدفع سببه فإن أسباب الموت في إمكان المدافعة بالحيل وامتناعها
سواء وأنفسكم أعز عليكم من إخوانكم وأمرها أهم لديكم من أمرهم والمعنى أن عدم قتلكم كان بسبب أنه لم يكن
مكتوبا عليكم لا بسبب أنكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم فإن ذلك مما لا سبيل إليه بل قد يكون القتال
سببا للنجاة والقعود مؤديا إلى الموت. روي أنه مات يوم قالوا ما قالوا سبعون منافقا وقيل المراد إن كنتم
صادقين في مضمون الشرطية والمعنى أنهم لو أطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين فقوله تعالى
فادرءوا عن أنفسكم الموت حينئذ استهزاء بهم أي إن كنتم رجالا دفاعين لأسباب الموت فادرءوا جميع أسبابه حتى
لا تموتوا كما درأتم في زعمكم هذا السبب الخاص. ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا كلام مستأنف
مسوق لبيان أن القتل الذي يحذرونه ويحذرون الناس منه ليس مما يحذر بل هو من أجل المطالب التي
يتنافس فيها المتنافسون إثر بيان أن الحذر لا يغني ولا يجدي وقرئ ولا تحسبن بكسر السين والمراد بهم شهداء
أحد وكانوا سبعين رجلا أربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله
بن جحش وباقيهم من الأنصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد
ممن له حظ من الخطاب وقرئ بالياء على الإسناد إلى ضميره صلى الله عليه وسلم أو ضمير من يحسب وقيل إلى الذين
قتلوا والمفعول الأول محذوف لأنه في الأصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة والتقدير ولا يحسبنهم الذين
قتلوا أمواتا أي لا يحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتا على أن المراد من توجيه النهي إليهم تنبيه السامعين
على أنهم أحياء بأن يسلّوا بذلك ويبشروا بالحياة الأبدية والكرامة السنية والنعيم المقيم لكن لا في
جميع أوقاتهم بل عند ابتداء القتال إذ بعد تبين حالهم لهم لا يبقى لاعتبار تسليتهم وتبشيرهم فائدة ولا للتنبيه
السامعين وتذكيرهم وجه. وقرئ قتّلوا بالتشديد لكثرة المقتولين. بل أحياء أي بل هم أحياء وقرئ
منصوبا أي بل احسبهم أحياء على أن الحسبان بمعنى اليقين كما في قوله حسبت التقى والجود خير تجارة رباحا إذا
ما المرء أصبح ثاقلا أو على أنه وارد على طريق المشاكلة. عند ربهم في محل الرفع على أنه خبر ثان للمبتدأ المقدر
أو صفة لأحياء أو في محل النصب على أنه حال من الضمير في أحياء وقيل هو ظرف لأحياء أو للفعل بعده والمراد
بالعندية التقرب والزلفى وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ إلى الكمال مع الإضافة
إلى ضميرهم مزيد تكرمة لهم. يرزقون أي من الجنة وفيه تأكيد لكونهم أحياء وتحقيق لمعنى حياتهم قال
الإمام الواحدي الأصح في حياة الشهداء ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من أن أرواحهم في أجواف طير
خضر وأنهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أصيب إخوانكم بأحد جعل
الله أرواحهم في أجواف طير خضر تدور في أنهار الجنة وروي ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها
وتسرح من الجنة حيث شاءت وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش وفيه دلالة على أن

يروح الإنسان جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه إدراكه وتألمه والتذاذه ومن قال بتجرد
النفوس البشرية يقول المراد أن نفوس الشهداء تتمثل طيرا خضرا أو تتعلق بها فتلتذ بما ذكر وقيل المراد أنها
تتعلق بالأفلاك والكواكب فتلتذ بذلك وتكتسب زيادة كمال. فرحين بما آتاهم الله من فضله. وهو شرف
الشهادة والفوز بالحياة الأبدية والزلفى من الله عز وجل والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا. ويستبشرون
يسرون بالبشارة. بالذين لم يلحقوا بهم أي بإخوانهم الذين لم يقتلوا بعد في سبيل الله فيلحقوا بهم من خلفهم
متعلق بيلحقوا والمعنى أنهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم أو بمحذوف وقع حالا من فاعل يلحقوا أي لم يلحقوا
بهم حال كونهم متخلفين عنهم باقين في الدنيا. ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون. بدل من الذين بدل الاشتمال مبين
لكون استبشارهم بحال إخوانهم لا بذواتهم وأن هي المخففة من أن واسمها ضمير الشأن المحذوف وخبرها الجملة
المنفية أي يستبشرون بما تبين لهم من حسن حال إخوانهم الذين تركوهم وهو أنهم عند قتلهم يفوزون بحياة أبدية
لا يكدرها خوف وقوع محذور ولا حزن فوات مطلوب أو لا خوف عليهم في الدنيا من القتل فإنه عين الحياة التي
يجب أن يرغب فيها فضلا عن أن تخاف وتحذر أي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا أنه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون
ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفاء الخوف والحزن لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية
مضارعا فإن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام. يستبشرون بنعمة
كرر لبيان أن الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة
لا يقادر قدرها وهي ثواب أعمالهم وقد جوز أن يكون الأول متعلقا بحال إخوانهم وهذا بحال أنفسهم بيانا
لبعض ما أجمل في قوله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله. من الله. متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة
لما أفادها التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي كائنة منه تعالى. وفضل. أي زيادة عظيمة
كما في قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة. وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين. بفتح أن عطف على فضل منتظم
معه في سلك المستبشر به والمراد بالمؤمنين إما الشهداء والتعبير عنهم بالمؤمنين للإيذان بسمو رتبة الإيمان
وكونه مناطا لما نالوه من السعادة وإما كافة أهل الإيمان من الشهداء وغيرهم ذكرت توفية لحقوقهم على
إيمانهم وعدت من جملة ما يستبشر به الشهداء بحكم الأخوة في الدين وقرئ بكسرها على أنه استئناف معترض
دال على أن ذلك أجرهم على إيمانهم مشعر بأن من لا إيمان له أعماله محبطة لا أجر لها وفيه من الحث على الجهاد
والترغيب في الشهادة والبعث على ازدياد الطاعة وبشرى المؤمنين بالفلاح ما لا يخفى. الذين استجابوا لله
والرسول من بعد ما أصابهم القرح. صفة مادحة للمؤمنين أو نصب على المدح أو رفع على الابتداء
والخبر قوله تعالى للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم. بجملته ومن للبيان والمقصود من الجمع بين الوصفين
المدح والتعليل لا التقييد لأن المستجيبين كلهم محسنون ومتقون. روي أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا
من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهبهم
ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال لا يخرجن معنا إلا من حضر يومنا
بالأمس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال وكان
بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت
الذين قال لهم الناس. يعني الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس أو نعيم بن مسعود الأشجعي وإطلاق الناس عليه

عليه لما أنه من جنسهم وكلامه كلامهم يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وما له سوى فرس فرد وغير ثوب
واحد أو لأنه انضم إليه ناس من المدينة وأذاعوا كلامه. إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم. روي أن
أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت فقال صلى الله عليه وسلم
إن شاء الله فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران فألقى الله تعالى في قلبه الرعب
وبدا له أن يرجع فمر به ركب من بني عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب إن
ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك فالتزم له عشرا من الإبل وضمنها
منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم أتوكم في دياركم فلم يفلت منكم
أحد إلا شريد أفترون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لأخرجن
ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل قيل هي الكلمة التي قالها إبراهيم
حين ألقي في النار. فزادهم إيمانا. الضمير المستكن للمقول أو لمصدر قال أو لفاعله إن أريد به نعيم وحده
والمعنى أنهم لم يلتفتوا إلى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله تعالى وازداد اطمئنانهم وأظهروا حمية الإسلام
وأخلصوا النية عنده وهو دليل على أن الإيمان يتفاوت زيادة ونقصانا فإن ازدياد اليقين
بالإلف وكثرة التأمل وتناصر الحجج مما لا ريب فيه ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله
الإيمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار. وقالوا
حسبنا الله. أي محسبنا الله وكافينا من أحسبه إذا كفاه والدليل على أنه بمعنى المحسب أنه لا يستفيد بالإضافة
تعريفا في قولك هذا رجل حسبك. ونعم الوكيل. أي نعم الموكول إليه والمخصوص بالمدح محذوف أي الله عز وجل
فانقلبوا. عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي فخرجوا إليهم ووافوا الموعد روي أنه صلى الله عليه
وسلم وافى بجيشه بدرا وأقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيرا كثيرا وكما
في قوله تعالى بنعمة. متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير في فانقلبوا والتنوين للتفخيم أي فرجعوا من مقصدهم
متلبسين بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله عز وجل من الله. متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة
لفخامتها الذاتية التي يفيدها التنكير بالفخامة الإضافية أي كائنة من الله تعالى وهي العافية والثبات على
الإيمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم. وفضل. أي ربح في التجارة وتنكيره أيضا للتفخيم. لم يمسسهم
سوء. حال أخرى من الضمير في فانقلبوا أو من المستكن في الحال كأنه قيل منعمين حال كونهم سالمين عن السوء
والحال إذا كان مضارعا منفيا بلم وفيه ضمير ذي الحال جاز فيه دخول الواو كما في قوله تعالى أو قال أوحي
إلي ولم يوح إليه شيء وعدمه كما في هذه الآية الكريمة وفي قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا
خيرا. واتبعوا رضوان الله. الذي هو مناط الفوز بخير الدارين. والله ذو فضل عظيم. حيث تفضل
عليهم بالتثبيت وزيادة الإيمان والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد والتصلب في الدين وإظهار الجرأة على العدو
وبحفظهم عن كل ما يسوؤهم مع إصابة النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم وإظهار لخطأ رأيهم حيث
حرموا أنفسهم ما فاز به هؤلاء. روي أنهم قالوا هل يكون هذا غزوا فأعطاهم ثواب الغزو ورضي عنهم
إنما ذلكم. إشارة إلى المثبط أو إلى من حمله على التثبيط والخطاب للمؤمنين وهو مبتدأ وقوله تعالى الشيطان
إما خبره وقوله تعالى يخوف أولياءه. جملة مستأنفة مبينة لشيطنته أو حال كما في قوله تعالى فتلك

في نسخة أن تغزون مقبل العام

بين أيديهما وبينه الخ وإما صفته والجملة خبره ويجوز أن يكون الإشارة إلى قوله على تقدير مضاف أي إنما
ذلكم قول الشيطان أي إبليس والمستكن في يخوف إما للمقدر وإما للشيطان بحذف الراجع إلى المقدر أي يخوف
به والمراد أولياؤه إما أبو سفيان وأصحابه فالمفعول الأول محذوف أي يخوفكم أولياءه كما هو قراءة
ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ويؤيده قوله تعالى فلا تخافوهم أي أولياءه وخافون في مخالفة
أمري وإما القاعدون فالمفعول الثاني محذوف أي يخوفهم الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
والضمير البارز في فلا تخافوهم للناس الثاني أي فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافوني
فجاهدوا مع رسولي وسارعوا إلى ما يأمركم به والخطاب لفريقي الخارجين والقاعدين والفاء
لترتيب النهي أو الانتهاء على ما قبلها فإن كون المخوف شيطانا مما يوجب عدم الخوف والنهي عنه إن كنتم مؤمنين
فإن الإيمان يقتضي إيثار خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعي الأمن من شر الشيطان وأوليائه ولا
يحزنك تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه بتخصيصه بالتسلية والإيذان بأن له
في ذلك بين أمر الدين والاهتمام بشأنه الذين يسارعون في الكفر أي يقعون فيه سريعا لغاية حرصهم عليه
وشدة رغبتهم فيه وإيثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة الآية للإشعار باستقرارهم
في الكفر ودوام ملابستهم له في مبدأ المسارعة ومنتهاها كما في قوله تعالى أولئك يسارعون في الخيرات
فإن ذلك مؤذن بملابستهم للخيرات وتقلبهم في فنونها في طرفي المسارعة وتضاعيفها وأما إيثار كلمة
إلى في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة الخ فلأن المغفرة والجنة منتهى المسارعة وغايتها
والمراد بالموصول المنافقون من المتخلفين وطائفة من اليهود حسبما عين في قوله تعالى يا أيها الرسول لا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا وقيل قوم
ارتدوا عن الإسلام والتعبير عنهم بذلك للإشارة بما في حيز الصلة إلى مظنة وجود المنهي عنه أعني إحزانه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي لا يحزنوك بمسارعتهم في الكفر ومبادرتهم إلى تمشية أحكامه ومظاهرتهم
لأهله وتوجيه النهي إلى المسارعين مع أن المقصود نهيه صلى الله عليه وسلم عن التأثر منهم للمبالغة في ذلك
لما أن النهي عن التأثير نهي عن التأثر بأصله ونفي له بالمرة وقد يوجه النهي إلى اللازم والمراد هو النهي
عن الملزوم كما في قولك لا أرينك هاهنا وقرئ لا يحزنك من أحزن المنقول من حزن بكسر الزاي والمعنى واحد
وقيل معنى حزنه جعل فيه حزنا كما في دهنه أي جعل فيه دهنا ومعنى أحزنه جعله حزينا وقيل معنى
حزنه أحدث له الحزن ومعنى أحزنه عرضه للحزن إنهم لن يضروا الله تعليل للنهي وتكميل للتسلية
بتحقيق نفي ضررهم أبدا أي لن يضروا بذلك أولياء الله البتة وتعليق نفي الضرر به تعالى لتشريفهم
والإيذان بأن مضارتهم عز لمضارته سبحانه وفيه مزيد مبالغة في التسلية وقوله تعالى شيئا
في حيز النصب على المصدرية أي شيئا من الضرر والتنكير لتأكيد ما فيه من القلة والحقارة وقيل على نزع
الجار أي بشيء ما أصلا وقيل المعنى لن ينقصوا بذلك من ملكه تعالى وسلطانه شيئا كما روى أبو ذر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم كانوا على أتقى قلب
رجل منكم ما زاد ذلك في ملك الله شيئا ولو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم
ما نقص من ملك الله تعالى جناح بعوضة والأول هو الأنسب بمقام التسلية والتعليل يريد الله أن

أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة استئناف مبين لسر ابتلائهم بما هم فيه من الانهماك في الكفر وفي ذكر الإرادة
من الإيذان بكمال خلوص الداعي إلى حرمانهم وتعذيبهم حيث تعلقت بهما إرادة أرحم الراحمين ما لا يخفى وصيغة
الاستقبال للدلالة على دوام الإرادة واستمرارها أي يريد الله بذلك أن لا يجعل لهم في الآخرة حظا ما
من الثواب ولذلك تركهم في طغيانهم يعمهون إلى أن يهلكوا على الكفر ولهم مع ذلك الحرمان الكلي عذاب عظيم
لا يقادر قدره قيل لما دلت المسارعة في الشيء على عظم شأنه وجلالة قدره عند المسارع وصف عذابه
بالعظم رعاية للمناسبة وتنبيها على حقارة ما سارعوا فيه وخساسته في نفسه والجملة إما مبتدأة مبينة
لحظهم من العقاب إثر بيان أن لا حظ لهم من الثواب وإما حال من الضمير في لهم أي يريد الله حرمانهم من الثواب
معدا لهم عذاب عظيم إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان أي أخذوه بدلا منه رغبة فيما أخذوه وإعراضا
عما تركوه وقد مر تحقيق القول في هذه الاستعارة في تفسير قوله عز وجل أولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى مستوفى لن يضروا الله شيئا تفسيره كما مر غير أن فيه تعريضا ظاهرا باقتصار الضرر عليهم كأنه
قيل وإنما يضرون أنفسهم فإن جعل الموصول عبارة عن المسارعين المعهودين بأن يراد باشتراء الكفر بالإيمان
إيثاره عليه إما بأخذه بدلا من الإيمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين أو بالقوة القريبة منه الحاصلة
بمشاهدة دلائله في التوراة كما هو شأن اليهود ومنافقيهم فالتكرير لتقرير الحكم وتأكيده ببيان علته
بتغيير عنوان الموضوع فإن ما ذكر في حيز الصلة من الاشتراء المذكور صريح في لحوق ضرره بأنفسهم وعدم
تعديه إلى غيرهم أصلا كيف لا وهو علم في الخسران الكلي والحرمان الأبدي دال على كمال سخافة عقولهم وركاكة
آرائهم فكيف يتأتى منهم ما يتوقف على قوة الحزم ورزانة الرأي ورصانة التدبير من مضارة حزب
الله تعالى وهي أعز من الأبلق الفرد وأمنع من عقاب الجو وإن أجري الموصول على عمومه بأن يراد بالاشتراء المذكور
الفعل المشترك الشامل للمعنيين المذكورين ولأخذ الكفر بدلا مما نزل منزلة نفس الإيمان من الاستعداد القريب
له الحاصل بمشاهدة الوحي الناطق وملاحظة الدلائل المنصوبة في الآفاق والأنفس كما هو دأب جميع الكفرة
فالجملة مقررة لمضمون ما قبلها تقريرا للقواعد الكلية لما اندرج تحتها من جزئيات الأحكام هذا وقد جوز
كون الموصول الأول عاما للكفار والثاني خاصا بالمعهودين وأنت خبير بأنه مع خلوه عن النكت
المذكورة مما لا يليق بفخامة شأن التنزيل لما أن صدور المسارعة في الكفر بالمعنى المذكور وكونها مظنة
لإيراث الحزن لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما يفهم من النهي عنه إنما يتصور ممن علم اتصافه بها وأما من
لا يعرف حاله من الكفرة الكائنين في الأماكن البعيدة فإسناد المسارعة المذكورة إليهم واعتبار كونها مبادي
حزنه صلى الله عليه وسلم مما لا وجه له وقوله تعالى ولهم عذاب أليم جملة مبتدأة مبينة لكمال فظاعة عذابهم
بذكر غاية إيلامه بعد ذكر نهاية عظمه قيل لما جرت العادة باغتباط المشتري بما اشتراه وسروره بتحصيله
عند كون الصفقة رابحة وبتألمه عند كونها خاسرة وصف عذابهم بالإيلام مراعاة لذلك ولا يحسبن
الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم عطف على قوله تعالى ولا يحزنك الذين الآية والفعل مسند إلى
الموصول وأن بما في حيزها سادة مسد مفعوليه عند سيبويه لتمام المقصود بها وهو تعلق الفعل
القلبي بالنسبة بين المبتدأ والخبر ومسد أحدهما والآخر محذوف عند الأخفش وما مصدرية أو موصولة
حذف عائدها ووصلها في الكتابة لاتباع الإمام أي لا يحسبن الكافرون أن إملاءنا لهم أو أن ما نمليه

هم خير لأنفسهم أو لا يحسبن الكافرون خيرية إملائنا لهم أو خيرية ما نمليه لهم ثابتة أو واقعة ومآله
نهيهم عن السرور بظاهر إملائه تعالى لهم بناء على حسبان خيريته لهم وتحسيرهم ببيان أنه شر بحت وضرر محض
كما أن مآل المعطوف عليه نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحزن بظاهر حال الكفرة بناء على نوع من الضرر
من قبلهم وتسليته صلى الله عليه وسلم ببيان عجزهم عن ذلك بالكلية والمراد بالموصول إما جنس الكفرة فيندرج
تحت حكمه الكلي أحكام المعهودين اندراجا أوليا وإما المعهودون فهو خاصة فإيثار الإظهار على الإضمار
لرعاية المقارنة الدائمة بين الصلة وبين الإملاء الذي هو عبارة عن إمهالهم وتخليتهم وشأنهم دهرا
طويلا فإن المقارن لهما إنما هو الكفر المستمر لا المسارعة المذكورة ولا الاشتراء المذكور فإنهما
من الأفعال المتجددة المنقضية في تضاعيف الكفر المستمر وقرئ ولا تحسبن بالتاء والخطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو الأنسب بمقام التسلية أو لكل من يتأتى منه الحسبان قصدا إلى إشاعة فظاعة حالهم
والموصول مفعول وإنما نملي لهم إما بدل منه وحيث كان التعويل على البدل وهو ساد مسد المفعولين
كما في قوله أم تحسب أن أكثرهم يسمعون اقتصر على مفعول واحد كما في قولك جعلت المتاع بعضه
فوق بعض وإما مفعول ثان بتقدير مضاف فإما في الثاني أي لا تحسبن الذين كفروا أصحاب أن الإملاء
خير لأنفسهم أو في المفعول الأول أي لا تحسبن حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم ومعنى
التفضيل باعتبار زعمهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما استئناف مبين لحكمة الإملاء وما كافة
واللام لام الإرادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ بفتح الهمزة ههنا على إيقاع الفعل عليه
وكسرها فيما سبق على أنه اعتراض بين الفعل ومعموله مفيد لمزيد الاعتناء بإبطال الحسبان
ورده على معنى لا يحسبن الكافرون أن إملاءنا لهم لازدياد الإثم حسبما هو شأنهم بل إنما
هو لتلافي ما فرط منهم بالتوبة والدخول في الإيمان ولهم في الآخرة عذاب مهين لما
تضمن الإملاء التمتع بطيبات الدنيا وزينتها وذلك مما يستدعي التعزز والتجبر وصف عذابهم
بالإهانة ليكون جزاؤهم جزاء وفاقا والجملة إما مبتدأة مبينة لحالهم في الآخرة إثر بيان حالهم
في الدنيا وإما حال من الواو أي ليزدادوا إثما معدا لهم عذاب مهين وهذا متعين على القراءة
الأخيرة ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه كلام مستأنف مسوق لوعد المؤمنين ووعيد
المنافقين بالعقوبة الدنيوية التي هي الفضيحة والخزي إثر بيان عقوبتهم الأخروية والمراد بالمؤمنين
المخلصون وأما الخطاب فقد قيل إنه لجمهور المصدقين من أهل الإخلاص وأهل النفاق ففيه التفات
في ضمن التلوين والمراد بما هم عليه اختلاط بعضهم ببعض واستواؤهم في إجراء أحكام الإسلام
عليهم إذ هو القدر المشترك بين الفريقين وقيل إنه للكفار والمنافقين وهو قول ابن عباس رضي
والضحاك ومقاتل والكلبي وأكثر المفسرين ففيه تلوين فقط ولعل عطف المنافقين عطف تفسيري
للكفار وإلا فلا شركة بين المؤمنين والمجاهرين في أمر من الأمور والمراد بما هم عليه ما لزم من القدر
المشترك فإنه كما يجوز نسبته إلى الفريقين معا يجوز نسبته إلى كل منهما لا الكفر والنفاق كما قيل
فإن المؤمنين ما كانوا مشاركين لهم في ذلك حتى لا يتركوا عليه وقيل إنه للمؤمنين خاصة وهو
قول أكثر أهل المعاني ففيه تلوين والتفات كما مر والتعرض لإيمانهم قبل الخطاب للإشعار بعلة الحكم

والمراد بما أنتم عليه ما مر غير مرة والأول هو الأقرب وإليه جنح المحققون من أهل التفسير لكونه
صريحا في كون المراد بما هم عليه ما ذكر من القدر المشترك بين الفريقين من حيث هو مشترك بينهما بخلاف
القولين الأخيرين فإنهما بمعزل من ذلك كيف لا والمفهوم مما عليه المنافقون هو الكفر والنفاق ومما
عليه المؤمنون هو الإيمان والإخلاص لا القدر المشترك بينهما ولئن فهم ذلك فإنما يفهم من حيث
الانتساب إلى أحدهما لا من حيث الانتساب إليهما معا وعليه يدور أمر الاختلاط المحوج إلى الإفراز واللام
في ليذر إما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو رأي البصريين وانتصاب الفعل بعدها بأن المقدرة أي
ما كان الله مريدا أو متصديا لأن يذر المؤمنين الخ ففي توجيه النفي إلى إرادة الفعل تأكيد ومبالغة
ليست في توجيهه إلى نفسه وإما مزيدة للتأكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو رأي الكوفيين ولا يقدح
في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها وقوله عز وجل حتى يميز الخبيث من الطيب
غاية لما يفيده النفي المذكور كأنه قيل ما يتركهم الله على ذلك الاختلاط بل يقدر الأمور ويرتب الأسباب
حتى يعزل المنافقين من المؤمنين وفي التعبير عنهما بما ورد به النظم الكريم تسجيل على كل منهما بما يليق به
وإشعار بعلة الحكم وإفراد الخبيث والطيب مع تعدد ما أريد بكل منهما وتكثره لا سيما بعد ذكر أحدهما
باحدهما أعني المؤمنين بصيغة الجمع للإيذان بأن مدار إفراز أحد الفريقين من الآخر هو اتصافهما بوصفهما
لا خصوصية ذاتهما وتعدد آحادهما كما في مثل قوله تعالى ذلك أدنى أن لا تعولوا ونظيره قوله تعالى
تذهل كل مرضعة عما أرضعت حيث قصد الدلالة على الاتصاف بالوصف من غير تعرض لكون الموصوف
من العقلاء أو غيرهم وتعليق الميز بالخبيث المعبر به عن المنافقين مع أن المتبادر مما سبق من عدم ترك المؤمنين
على الاختلاط تعليقه بهم وإفرازهم عن المنافقين لما أن الميز الواقع بين الفريقين إنما هو بالتصرف في المنافقين
وتغييرهم من حال إلى حال مغايرة للأولى مع بقاء المؤمنين على ما كانوا عليه من أصل الإيمان وإن ظهر مزيد
إخلاصهم لا بالتصرف فيهم وتغييرهم من حال إلى حال أخرى مع بقاء المنافقين على ما هم عليه من الاستتار
ولأن فيه مزيد تأكيد للوعيد كما أشير إليه في قوله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح وإنما لم ينسب عدم
الترك إليهم لما أنه مشعر بالاعتناء بشأن من نسب إليه فإن المتبادر منه عدم الترك على حالة غير ملائمة
كما يشهد به الذوق السليم وقرئ حتى يميز من التمييز وقوله تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب تمهيد
لبيان الميز الموعود على طريق تجريد الخطاب للمخلصين تشريفا لهم وقوله عز وجل ولكن الله يجتبي من رسله
من يشاء إشارة إلى كيفية وقوعه على سبيل الإجمال وإظهار الاسم الجليل في الموضعين لتربية المهابة والمعنى
ما كان الله ليترك المخلصين على الاختلاط بالمنافقين بل يرتب المبادي حتى يخرج المنافقين من بينهم وما
يفعل ذلك باطلاعكم على ما في قلوبهم من الكفر والنفاق ولكنه تعالى يوحي إلى رسوله صلى الله عليه وسلم
فيخبره بذلك وبما ظهر منهم من الأقوال والأفعال حسبما حكي عنهم بعضه فيما سلف فيفضحهم على رؤوس
الأشهاد ويخلصكم من خسة الشركاء وسوء جوارهم والتعرض للاجتباء للإيذان بأن الوقوف على أمثال
تلك الأسرار الغيبية لا يتأتى إلا ممن رشحه الله تعالى لمنصب جليل تقاصرت عنه همم الأمم واصطفاه على الجماهير
لإرشادهم وتعميم الاجتباء لسائر الرسل عليهم السلام للدلالة على أن شأنه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب
أمر متين له أصل أصيل جار على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين الرسل الخالية عليهم السلام وتعميم الأمر

في قوله تعالى فآمنوا بالله ورسله مع أن سوق النظم الكريم للإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم لإيجاب الإيمان
به بالطريق البرهاني والإشعار بأن ذلك مستلزم للإيمان بالكل لأنه مصدق لما بين يديه من الرسل وهم
شهداء بصحة نبوته صلى الله عليه وسلم والمأمور به الإيمان بكل ما جاء به صلى الله عليه وسلم فيدخل فيه
تصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به من أحوال المنافقين دخولا أوليا هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم
الكريم وقد جوز أن يكون المعنى لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بأن يكلفكم التكاليف الصعبة
التي لا يصبر عليها إلا الخلص الذين امتحن الله تعالى قلوبهم كبذل الأرواح في الجهاد وإنفاق الأموال في سبيل الله
تعالى فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض بطريق الاستدلال
لا من جهة الوقوف على ذات الصدور فإن ذلك مما استأثر الله تعالى به وأنت خبير بأن الاستدراك باجتباء
الرسل المنبئ عن مزيد مزيتهم وفضل معرفتهم على الخلق إثر بيان قصور رتبتهم عن الوقوف على خفايا
السرائر صريح في أن المراد إظهار تلك السرائر بطريق الوحي لا بطريق التكليف بما يؤدي إلى خروج أسرارهم
عن رتبة الخفاء وأقرب من ذلك حمل الآية الكريمة على أن تكون مسوقة لبيان الحكمة في إملائه تعالى للكفرة
إثر بيان شريته لهم فالمعنى ما كان الله ليذر المخلصين على الاختلاط أبدا كما أنكم كذلك إلى الآن
بل ليفرز عنهم المنافقين ولذلك فعله يوم أحد حيث خلى الكفرة وشأنهم فأبرز لهم صورة الغلبة فأظهر من
في قلوبهم مرض ما فيها من الخبائث وافتضحوا على رؤوس الأشهاد وقيل قال الكافرون إن كان محمد صادقا
فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر وإن تؤمنوا أي بما ذكر حق الإيمان وتتقوا أي عدم مراعاة حقوقه
أو النفاق فلكم بمقابلة ذلك الإيمان والتقوى أجر عظيم لا يبلغ كنهه ولا يحسبن الذين يبخلون
بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بيان لحال البخل وخامة عاقبته وتخطئة لأهله في توهم خيريته
حسب بيان حال الإملاء وإيراد ما بخلوا به بعنوان إيتاء الله تعالى إياه من فضله للمبالغة في بيان سوء
صنيعهم فإن ذلك من موجبات بذله في سبيله كما في قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والفعل مسند
إلى الموصول والمفعول الأول محذوف لدلالة الصلة عليه وضمير الفصل راجع إليه أي لا يحسبن الباخلون
بما آتاهم الله من فضله من غير أن يكون لهم مدخل فيه أو استحقاق له هو خيرا لهم من إنفاقه وقيل الفعل مسند إلى
ضمير النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى ضمير من يحسب والمفعول الأول هو الموصول بتقدير مضاف والثاني ما ذكر
كما هو كذلك على قراءة الخطاب أي ولا يحسبن بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر
لهم التنصيص على شريته لهم مع انفهامها من نفي خيريته للمبالغة في ذلك والتنوين للتفخيم وقوله تعالى
سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بيان لكيفية شريته لهم أي سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق وعلى
أنه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه للإيذان بكمال المناسبة بينهما فروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيامة وقيل يجعل ما بخل به
من الزكاة حية في عنقه تنهشه من قرنه إلى قدمه وتنقر رأسه وتقول أنا مالك ولله وحده لا لأحد
غيره استقلالا أو اشتراكا ميراث السموات والأرض أي ما يتوارثه أهلهما من مال وغيره من الرسالات
التي يتوارثها أهل السموات فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله أو لأنه يرث منهم ما يمسكونه
ولا ينفقونه في سبيله تعالى عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والندامة والله بما تعملون من المنع والبخل

والبخل خبير فيجازيكم على ذلك وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتربية المهابة والالتفات
للمبالغة في الوعيد والإشعار باشتداد غضب الرحمن الناشئ من ذكر قبائحهم وقرئ بالياء على الظاهر
لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء قالته اليهود لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا وروي أنه صلى الله عليه وسلم كتب مع أبي بكر رضي الله عنه إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإقام
الصلوة وإيتاء الزكوة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص إن الله فقير حين سألنا القرض فلطمه أبو بكر رضي الله عنه
في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجحد ما قاله فنزلت والجمع حينئذ مع كون القائل واحدا لرضى الباقين بذلك والمعنى أنه لم يخف عليه تعالى
وأعد له من العقاب كفاءه والتعبير عنه بالسماع للإيذان بأنه من الشناعة والسماجة بحيث لا يرضى
قائله بأن يسمعه سامع والتوكيد القسمي للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد سنكتب ما قالوا
أي سنكتب ما قالوه من العظيمة الشنعاء في صحائف الحفظة أو سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه ولا نهمله
كما يثبت المكتوب والسين للتأكيد أي لن يفوتنا أبدا تدوينه وإثباته لكونه في غاية العظم والهول كيف لا
وهو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن العظيم والرسول الكريم ولذلك عطف عليه قوله تعالى وقتلهم الأنبياء
إيذانا بأنهما في العظم أخوان وتنبيها على أنه ليس بأول جريمة ارتكبوها بل لهم فيه سوابق وأن من اجترأ
على قتل الأنبياء لم يستبعد منه أمثال هذه العظائم والمراد بقتلهم الأنبياء رضاهم بفعل أسلافهم وقوله
تعالى بغير حق متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم أي كائنا بغير حق في اعتقادهم أيضا كما هو في نفس الأمر
وقرئ سيكتب على البناء للفاعل وسيكتب على البناء للمفعول وقتلهم بالرفع ونقول ذوقوا عذاب الحريق
أي وننتقم منهم بعد الكتبة بأن نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق كما أذقتم المسلمين الغصص وفيه من
المبالغة ما لا يخفى وقرئ ويقول بالياء ويقال على البناء للمفعول ذلك إشارة إلى العذاب المذكور وما فيه
من معنى البعد للدلالة على عظم شأنه وبعد منزلته في الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
بما قدمت أيديكم أي بسبب ما اقترفتموه من قتل الأنبياء والتفوه بمثل تلك العظيمة وغيرهما من المعاصي
والتعبير عن الأنفس بالأيدي لما أن عامة أفاعيلها تزاول بهن ومحل أن في قوله تعالى وأن الله ليس بظلام
للعبيد الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها أي والأمر أنه تعالى
ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما
تقرر من قاعدة أهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل
صدوره عنه سبحانه من الظلم كما يعبر عن ترك الإثابة على الأعمال بإضاعتها مع أن الأعمال غير موجبة للثواب
حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بإبراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب
في صورة المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على أنها
للمبالغة كما لا كيفا هذا وقد قيل محل أن الجر بالعطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث أن نفي الظلم
مستلزم للعدل المقتضي لإثابة المحسن ومعاقبة المسيء وفساده ظاهر فإن ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم
شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب حسبما ذكره القائل في سورة الأنفال وقيل
سببيته ذنوبهم لعذابهم مقيدة بانضمام انتفاء ظلمه تعالى إليها إذ لولاه لأمكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم

وانت خبير بان ما كان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب لم يقع فوعدها لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة بسبب ذنوبهم
حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه وانما يحتاج الى ذلك ان لو كان المدعى ان جميع تعذيباته تعالى
بسبب ذنوب المعذبين الذين قالوا نصب عدة فيع على الذم وهم كعب بن الاشرف ومالك بن صيفي وحيي بن اخطب
وفنحاص بن عازوراء ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا في التورية واوصانا ان لا نؤمن
لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار كما كان لانبياء بني اسرائيل حيث كان يقرب بالقربان فيقوم
النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم فان
اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء ولما كان محصل كلامهم
الباطل ان عدم ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم اتيانه بما قالوا ولو تحقق الايمان به لتحقق
الايمان رد عليهم بقوله تعالى قل اي تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم قد جاءكم رسل كثيرة العدد كبيرة
المقدار من قبلي بالبينات اي المعجزات الواضحة وبالذي قلتم بعينه من القربان الذي تأكله النار فلم قتلتموهم
ان كنتم صادقين فيما يدل عليه كلامكم من انكم تؤمنون لرسول يأتيكم بما اقترحتموه فان زكريا ويحيى
وغيرهما من الانبياء عليهم الصلاة والسلام قد جاؤكم بما قلتم في معجزات اخر فما لكم لم تؤمنوا حتى اجترأتم
على قتلهم فان كذبوك شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر ما اوحي اليه ما يحزنه صلى الله
عليه وسلم من مقالات الكفرة من المشركين واليهود وقوله تعالى فقد كذب رسل من قبلك تعليل لجواب الشرط
اي فتسل فقد كذب الى آخره ومن متعلقة بكذب او محذوف هو صفة لرسل اي كائنة من قبلك جاؤا بالبينات
اي المعجزات الواضحات صفة لرسل والزبر هو جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرته اذا حسنته
وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته والكتاب المنير قيل اي التورية والانجيل والزبور
والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة المواقع
وفي عطف الزبر باعادة الجار دلالة على انها مغايرة بالذات للبينات كل نفس ذائقة الموت وعد
ووعيد للمصدق والمكذب وفي ذائقة الموت بالتنوين وعدمه كما في قوله ولا يذكرون الله الا قليلا
وانما توفون اجوركم اي تعطون اجزية اعمالكم على التمام والكمال يوم القيمة اي يوم قيامكم من القبور
وفي لفظة التوفية اشارة الى ان بعض اجورهم يصل اليهم قبله كما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم
القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار اي بعد عنها يومئذ ونجي
والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز
الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته
وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويؤتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اي لذاتها
وزخارفها الا متاع الغرور شبهت بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا
لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور اما مصدر او جمع غار
لتبلون شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين عما سيلقونه من جهة الكفرة
من المكاره اثر تسليتهم عما قد وقع منهم ليوطنوا انفسهم على احتماله عند وقوعه ويستعدوا للقائه
ويقابلوه بحسن الصبر والثبات فان هجوم الاوجال مما يزلزل اقدام الرجال والاستعداد للمكروه

مما يهون الخطوب واصل الابتلاء الاختبار اي تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق
عليه غالبا ملابسته او مفارقته وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما
من جهة العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين او الامور قبل ان يرتب عليه شيئا
هو من مباديه العادية كما مر والجملة جواب قسم محذوف اي والله لتبلون اي لتعاملن معاملة المختبر
ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق والاعمال الحسنة وفائدة التوكيد اما تحقيق معنى الابتلاء تهوينا للخطب
واما تحقيق وقوع المبتلى به مبالغة في الحث على ما اريد منهم من التهيؤ والاستعداد في اموالكم بما يقع
فيها من ضروب الآفات المؤدية الى هلاكها واما انفاقها في سبيل الخير مطلقا فلا يليق نظمه في سلك الابتلاء
لما انه من باب الاضعاف لا من قبيل الاتلاف وانفسكم بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من اصناف
المتاعب والمخاوف والشدائد ونحو ذلك وتقديم الاموال لكثرة وقوع الهلكة فيها ولتسمعن من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم اي من قبل ايتائكم القرآن وهم اليهود والنصارى وعبر عنهم بذلك للاشعار بمدار
الشقاق والايذان بان بعض ما يسمعونه منهم مستند على زعمهم الى الكتاب كما في قوله تعالى ان الله عهد
الينا الخ والتصريح بالقبلية لتأكيد الاشعار وتقوية المدار فان قدمهم وكتابهم مما يؤيد تمسكهم به
ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من الطعن في الدين الحنيف والقدح في احكام الشرع الشريف وصد من اراد
ان يؤمن وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف واضرابه من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين على مضادة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما لا خير فيه وان تصبروا اي على تلك الشدائد والبلوى عند
ورودها وتقابلوها بحسن التحمل وتتقوا اي تتبتلوا الى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة
بحيث تساوى عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه فان ذلك اشارة الى الصبر والتقوى وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو درجتهما وبعد منزلتهما وتوحيد حرف الخطاب اما باعتبار كل واحد من المخاطبين واما
لان المراد بالخطاب مجرد التنبيه من غير ملاحظة خصوصية احوال المخاطبين من عزم الامور من معزوماتها
التي يتنافس فيها المتنافسون اي مما يجب ان يعزم عليه كل احد لما فيه من كمال المزية والشرف او مما عزم الله تعالى
عليه وامر به وبالغ فيه يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد ان تصبروا وتتقوا والجملة تعليل لجواب
الشرط واقع موقعه كانه قيل وان تصبروا وتتقوا فهو خير لكم او فافعلوا او فقد احسنتم او فقد اصبتم
فان ذلك الى آخره ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى صبر المخاطبين وتقواهم فالجملة حينئذ جواب الشرط
وفي ابراز الامر بالصبر والتقوى في صورة الشرطية من اظهار كمال اللطف بالعباد ما لا يخفى واذ اخذ الله
كلام مستأنف سيق لبيان بعض اذياتهم وهو كتمانهم ما في كتابهم من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم
وغيرها واذ منصوب على المفعولية بمضمر امر به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة بطريق تجريد الخطاب
ان الخطاب الشامل له صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين لكون مضمونه من الوظائف الخاصة به صلى الله عليه وسلم
وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب
ذكرها على ما مر بيانه في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل الخ اي اذكر وقت اخذه تعالى
ميثاق الذين اوتوا الكتاب وهم علماء اليهود والنصارى ذكروا بعنوان ايتاء الكتاب مبالغة في تقبيح
حالهم لتبيننه حكاية لما خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب لقسم ينبئ عنه اخذ الميثاق كانه قيل

قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه

قال سبحانه [illegible] الصدقات [illegible] المضعفون اهـ

لهم بالله لتبيننه للناس فتظهرن جميع ما فيه من الأحكام والأخبار التي من جملتها أمر نبوته صلى الله عليه
وسلم وهو المقصود بالحكاية وقرئ بالياء لأنهم غيب ولا تكتمونه عطف على الجواب وإنما لم يؤكد بالنون
لكونه منفيا كما في قولك والله لا يقوم زيد وقيل اكتفى بالتأكيد في الأول لأنه تأكيد له وقيل هو حال من ضمير
المخاطبين إما على إضمار مبتدأ بعد الواو أي وأنتم لا تكتمونه وإما على رأي من جوز دخول الواو على المضارع المنفي
عند وقوعه حالا أي لتبيننه غير كاتمين والنهي عن الكتمان بعد الأمر بالبيان إما للمبالغة في إيجاب المأمور به وإما
لأن المراد بالبيان المأمور به ذكر الآيات الناطقة بنبوته صلى الله عليه وسلم وبالكتمان المنهي إلقاء التأويلات
الزائغة والشبهات الباطلة وقرئ بالياء كما قبله فنبذوه النبذ الرمي والإبعاد أي طرحوا ما أخذ منهم من الميثاق
الموثق بفنون التأكيد والقوه وراء ظهورهم ولم يراعوه ولم يلتفتوا إليه أصلا فإن نبذ الشيء وراء الظهر
مثل في الاستهانة به والإعراض عنه بالكلية كما أن جعله نصب العين علم في كمال العناية به وفيه من الدلالة
على تحتم بيان الحق على علماء الدين وإظهار ما يحتاج من العلم للناس أجمعين وحرمة كتمانه لغرض من الأغراض
الفاسدة أو طمع في عرض من الأعراض الفانية الكاسدة ما لا يخفى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما من
أهله ألجم بلجام من نار وعن طاوس أنه قال لوهب بن منبه إني أرى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال
والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت أن الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لأحد من العلماء
أن يسكت على علمه ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما أخذ الله على أهل الجهل
أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا واشتروا به أي بالكتاب الذي أمروا ببيانه ونهوا عن كتمانه
فإن ذكر نبذ الميثاق فيدل على ذلك دلالة واضحة وإيقاع الفعل على الكل مع أن المراد به كتم بعضه
كدلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ونحوها لما أن ذلك كتم للكل إذ به يتم الكتاب كما أن رفض بعض
أركان الصلاة رفض لكلها أو بمنزلة كتم الكل من حيث إنهما سيان في الشناعة واستجلاب العقاب كما في
قوله تعالى وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والاشتراء مستعار لاستبدال متاع الدنيا بما كتموا أي تركوا
ما أمروا به وأخذوا بدله ثمنا قليلا أي شيئا تافها حقيرا من حطام الدنيا وأعراضها وفي تصوير هذه
المعاملة بعقد المعاوضة لا سيما بالاشتراء المؤذن بالرغبة في المأخوذ والإعراض عن المعطى والتعبير
عن المشترى الذي هو العمدة في العقد والمقصود بالمعاملة بالثمن الذي شأنه أن يكون وسيلة إليه وجعل
الكتاب الذي حقه أن يتنافس فيه المتنافسون مصحوبا بالباء الداخلة على الآلات والوسائل من نهاية
الجزالة والدلالة على كمال فظاعة حالهم وغاية قبحها بإيثارهم الدنيء الحقير على الشريف الخطير
وتعكيسهم بجعل المقصد الأصلي وسيلة والوسيلة مقصدا ما لا يخفى جلالة شأنه ورفعة مكانه
فبئس ما يشترون ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس ويشترون صفته والمخصوص بالذم محذوف
أي بئس شيئا يشترونه ذلك الثمن لا تحسبن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يصلح له
الذين يفرحون بما أتوا أي بما فعلوا كما في قوله تعالى إنه كان وعده مأتيا ويدل عليه قراءة أبي يفرحون
بما فعلوا وقرئ بما آتوا بمعنى أعطوا ومنها أوتوا أي أوتوه من علم التوراة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود
حرفوا التوراة وفرحوا بذلك وأحبوا أن يوصفوا بالديانة والفضل وعنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأروه أنهم صدقوه واستحمدوا

واستحمدوا إليه وفرحوا بما فعلوا وقيل فرحوا بكتمان النصوص الناطقة بنبوته صلى الله عليه وسلم وأحبوا أن يحمدوا
بأنهم متبعون ملة إبراهيم عليه السلام فالموصول عبارة عن المذكورين أو عن أشباههم موضوع موضع ضميرهم والجملة
مسوقة لبيان ما يستتبعه أعمالهم المحكية من العقاب الأخروي إثر بيان قباحتها وقد أدمج فيها بيان بعض آخر من شنائعهم
وهو إصرارهم على ما هم عليه من القبائح وفرحهم بذلك ومحبتهم لأن يوصفوا بما ليس فيهم من الأوصاف الجميلة وقد
نظم ذلك في سلك الصلة حقها أن تكون معلومة الثبوت للموصول عند المخاطب إيذانا بشهرة اتصافهم بذلك
وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بأنهم رأوا المصلحة في ذلك واستحمدوا به وقيل هم المنافقون كافة
وهو الأنسب بظاهر قوله تعالى ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا لشهرة أنهم كانوا يفرحون بما فعلوا من إظهار الإيمان
وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون إلى المسلمين بالإيمان وهم عن فعله بألف منزل وكانوا يظهرون محبة المؤمنين
وهم في الغاية القاصية من العداوة فالموصول عبارة عن طائفة معهودة من المذكورين وغيرهم من أكثر المنافقين
كانوا من اليهود ولعل الأولى إجراء الموصول على عمومه شاملا لكل من يأتي بشيء من الحسنات فيفرح به فرح إعجاب
ويود أن يمدحه الناس بما هو عار منه من الفضائل منتظما للمعهودين انتظاما أوليا وأيا ما كان فهو مفعول
أول لتحسبن وقوله تعالى فلا تحسبنهم تأكيد له والفاء زائدة والمفعول الثاني قوله تعالى بمفازة من العذاب
أي ملتبسين بنجاة منه على أن المفازة مصدر ميمي ولا يضر تأنيثها بالتاء لما أنها مبنية عليها وليست
للدلالة على الوحدة كما في قوله فلولا رجاء النصر منك ورهبة عقابك قد كانوا لنا بالموارد والأسيد
إلى جعلها اسم مكان على أن الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها أي بمفازة كائنة من العذاب لأنها ليست
من العذاب ولا تقدير فعل خاص يصح به المعنى أي بمفازة منجية من العذاب مع كونه خلاف الأصل تعسف مستغنى
عنه وقرئ بضم الباء في الفعلين على أن الخطاب للمؤمنين أيضا وقرئ بياء الغيبة وفتح الباء فيهما على أن
الفعل له صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يتأتى منه الحسبان ومفعولاه كما ذكر وقرئ بضم الباء في الثاني
فقط على أن الفعل للموصول والمفعول الأول محذوف لكونه عين الفاعل والثاني بمفازة أي لا يحسبن الذين
يفرحون أنفسهم فائزين وقوله تعالى فلا يحسبنهم تأكيد للأول والفاء زائدة كما مر ويجوز أن يجعل الفعل
الأول على حذف المفعولين اختصارا لدلالة مفعولي الثاني عليهما على عكس ما في قوله بأي كتاب أو بآية
ترى حبهم عارا علي وتحسب حيث حذف فيه مفعولا الثاني لدلالة مفعولي الأول عليهما أو على أن الفعل
الأول للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل حاسب ومفعوله الأول الموصول والثاني محذوف لدلالة
مفعول الفعل الثاني عليه والفعل الثاني مسند إلى ضمير الموصول والفاء للعطف لظهور تفرع عدم
حسبانهم على عدم حسبانه صلى الله عليه وسلم ومفعولاه الضمير المنصوب وقوله تعالى بمفازة وتصدير
الوعيد بنهيهم عن الحسبان المذكور للتنبيه على بطلان آرائهم الركيكة وقطع أطماعهم الفارغة حيث
كانوا يزعمون أنهم ينجون بما صنعوا من عذاب الآخرة كما نجوا به عن المؤاخذة الدنيوية وعليه كان مبنى فرحهم
وأما نهيه صلى الله عليه وسلم فللتعريض بحسبانهم المذكور لا لاحتمال وقوع الحسبان من جهته صلى الله عليه وسلم
ولهم عذاب أليم بعدما أشير إلى عدم نجاتهم من مطلق العذاب حقق أن لهم فردا منه لا غاية له في الهول
والشدة كما يلوح به الجملة الاسمية والتنكير التفخيمي والوصف ولله أي خاصة ملك السموات والأرض
أي السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيفما يشاء ويريد إيجادا وإعداما إحياء وإماتة

تعذيباً وإثابة من غير أن يكون لغيره شائبة دخل في شيء من ذلك بوجه من الوجوه فالجملة مقررة لما قبلها ﴿والله
على كل شيء قدير﴾ تقرير لاختصاص ملك العالم الجسماني المعبر عنه بقطريه به سبحانه وتعالى فإن كونه تعالى
قادراً على الكل بحيث لا يستعصي عليه شيء من الأشياء يستدعي كون ما سواه كائناً ما كان مقدوراً له ومن ضرورته
اختصاص القدرة به تعالى واستحالة أن يشاركه شيء من الأشياء في القدرة على شيء من الأشياء فضلاً عن المشاركة في
ملك السموات والأرض وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب الأليم لهم وعدم نجاتهم منه إثر تقرير وإظهار الاسم
الجليل في موقع الإضمار لتربية المهابة والإشعار بمناط الحكم فإن شمول القدرة لجميع الأشياء من أحكام الألوهية
مع ما فيه من الإشعار باستقلال كل من الجملتين بالتقرير ﴿إن في خلق السموات﴾ جملة مستأنفة سيقت لتقرير ما سبق
من اختصاصه تعالى بالسلطان القاهر والقدرة التامة صدرت بكلمة التأكيد اعتناءً بتحقيق مضمونها أي في
إنشائها على ما هي عليه في ذواتها وصفاتها من الأمور التي تحار في فهم أجلائها العقول ﴿والأرض﴾ على ما هي
عليه ذاتاً وصفة ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ أي تعاقبهما في وجه الأرض وكون كل منهما خلفة للآخر
بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الأرض أو في تفاوتهما بازدياد كل منهما
بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة إلينا قرباً وبعداً بحسب الأزمنة
أو في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الأمكنة في الطول والقصر فإن البلاد القريبة من القطب الشمالي أيامها
الصيفية أطول ولياليها الصيفية أقصر من أيام البلاد البعيدة منه ولياليها وإما في أنفسهما فإن
كرية الأرض تقتضي أن يكون بعض الأوقات في بعض الأماكن ليلاً وفي مقابله نهاراً وفي بعضها صباحاً
وفي بعضها ظهراً أو عصراً أو غير ذلك والليل قيل إنه اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالتاء كتمر
وتمرة والليالي جمع الجمع والصحيح أنه مفرد ولا يحفظ له جمع والليالي جمع ليلة وهو جمع غريب كأنهم
توهموا أنها ليلاة كما في كيكة وكياكي كأنها جمع كيكاة والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس
قاله الراغب وقال ابن فارس هو ضياء ما بينهما وتقديم الليل على النهار إما لأنه الأصل فإن غرر
الشهور تظهر في الليالي وإما لتقدمه في الخلقة حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه
النهار أي نزيله عنه فيخلفه ﴿لآيات﴾ اسم إن دخلته اللام لتأخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كماً
وكيفاً أي لآيات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها دالة على تعاجيب صنعه التي من جملتها ما مر من اختصاص
الملك العظيم والقدرة التامة به سبحانه وعدم التعرض لما ذكر في سورة البقرة من الفلك والمطر
وتصريف الرياح والسحاب لما أن المقصود ههنا بيان استبداده تعالى بما ذكر من الملك والقدرة فاكتفى
بمعظم الشواهد الدالة على ذلك وأما هناك فقد قصد في ضمن بيان اختصاصه تعالى بالألوهية بيان
اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة فنظمت دلائل الفضل والرحمة في سلك دلائل التوحيد فإن ما فصل
هناك من آيات رحمته تعالى كما أنه من آيات ألوهيته ووحدته ﴿لأولي الألباب﴾ أي لذوي العقول
المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم المتجردين عن العلائق النفسانية المتخلصين عن العوائق
الظلمانية المتأملين لأحوال الحقائق ولأحكام النعوت المراقبين لأطوار الملك وأسرار الملكوت المتفكرين
في بدائع صنائع الملك الخلاق المتدبرين في روائع حكمه المودعة في الأنفس والآفاق الناظرين إلى العالم
بعين الاعتبار والشهود المتفحصين عن حقيقة سر التجلي في كل موجود منتبهين على حقيقته وذكر له غير

غير ملتفتين إلى شيء مما سواه إلا من حيث إنه مرآة لمشاهدة جماله دالة لملاحظة صفات كماله فإن كلاً منها
له في مظاهر الإبداع ومحاضر التكوين والاختراع سبيل سوي إلى عالم التوحيد ودليل قوي
على الصانع المجيد ناطق بآيات قدرته ينطق عن شاهد واع ومخبر بأنباء علمه وحكمته ينهل لعذر داع
يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد حقائقهم بحسب عقولهم يحاورهم تارة بأوضح عبارة ويلوح أخرى بألطف
إشارة داعياً إلى الحوار إنهاءهم وينصحهم ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾
فتأمل في هذه الشؤون والأسرار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال هل لك يا عائشة أن تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله إني لأحب
قربك وأحب هواك قد أذنت لك فقام إلى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي
فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله تعالى وأثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يده
فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الأرض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله
أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال أفلا أكون عبداً شكوراً ثم قال وما لي لا أبكي
وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ الخ ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروي
ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر إلى السماء
ثم يقول ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ الخ ﴿الذين يذكرون الله﴾ الموصول إما موصول بأولي الألباب مجرور على
أنه نعت كاشف له بما في حيز الصلة وإما مفصول عنه مرفوع أو منصوب على المدح أو مرفوع على أنه خبر
لمبتدأ محذوف وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر هو القول المقدر قبل قوله تعالى ربنا وفيه تفكيك النظم
الجليل لما لا يخفى وأياً ما كان فقد أشير بما في حيز الصلة إلى أن المراد بهم الذين لا يغفلون عنه تعالى في عامة أوقاتهم
لاطمئنان قلوبهم بذكره واستغراق سرائرهم في مراقبته لما أيقنوا بأن كل ما سواه فائض منه وعائد إليه فلا
يشاهدون حالاً من الأحوال في أنفسهم وفي الآفاق إلا وهم يعاينون في ذلك شأناً من شؤونه تعالى فالمراد به ذكره تعالى مطلقاً سواء
كان ذلك من حيث الذات أو من حيث الصفات والأفعال وسواء قارنه الذكر اللساني أو لا وأما ما يحكى عن ابن عمر
وعروة بن الزبير وجماعة من أنهم خرجوا يوم العيد إلى المصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال بعضهم
أما قال الله تعالى يذكرون الله قياماً وقعوداً فقاموا يذكرون الله على أقدامهم فليس مرادهم به تفسير الآية
وتحقيق مصداقها على التعيين وإنما أرادوا به التبرك بنوع موافقة لها في ضمن الإتيان بفرد من أفراد مدلولها
وأما حمل الذكر على الصلوات في هذه الأحوال حسب الاستطاعة كما قال صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين صل
قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب تومئ إيماء فمما لا يساعده سياق النظم الجليل وسياقه
﴿قياماً وقعوداً﴾ جمع قائم وقاعد كنيام ورقود جمع نائم وراقد وانتصابهما على الحالية من ضمير يذكرون
أي يذكرونه قائمين وقاعدين ﴿وعلى جنوبهم﴾ متعلق بمحذوف معطوف على الحال أي وكائنين على
جنوبهم أي مضطجعين والمراد تعميم الذكر للأوقات وتخصيص الأحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها
بل لأنها الأحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الإنسان غالباً ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾ عطف على
يذكرون منتظم معه في حيز الصلة بلا محل له من الإعراب وقيل محله النصب على أنه معطوف على الحال الثلاث

والتبيين ظاهر وهو بيان لتفكرهم في أفعاله سبحانه اثر بيان تفكرهم في ذاته تعالى على الاطلاق واشارة الى نتيجته التي يؤدي اليها من معرفة احوال المعاد حسبما نطقت به ألسنة الرسل وآيات الكتب فكما أنها آيات تشريعية هادية للخلق الى معرفته تعالى ووجوب طاعته كذلك المخلوقات آيات تكوينية مرشدة لهم الى ذلك فالأولى منبهات لهم على الثانية وداعية لهم الى الاستشهاد بها كهذه الآية الكريمة ونحوها مما ورد في مواقع غير محصورة من التنزيل والثانية مؤيدات للأولى وشواهد دالة على صحة مضمونها وحقية مكنونها فإن من تأمل في تضاعيف خلق العالم على هذا النمط البديع قضى بأن صانعه الحكيم متصف بجميع ما نطقت به الرسل والكتب من الصفات الجلالية والجمالية من الوحدة الذاتية والملك القاهر والقدرة التامة والعلم الشامل والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال وحكم بأن من قدر على انشائه بلا مثال يحتذيه وقانون ينتحيه فهو على اعادته بالبعث أقدر وحكم بأن ذلك ليس إلا للحكمة الباهرة هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم المنوط بأعمالهم أي علومهم واعتقاداتهم التابعة لأنظارهم فيما نصب لهم من الحجج والدلائل والآثار والمخايل وسائر أعمالهم المتفرعة على ذلك فإن العمل غير مختص بعمل الجوارح بل هو شامل لعمل القلب بل هو أشرف أفراده لما ان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به مترتبا على كون الأول أشرف من الثاني يكون عمله أيضا أشرف من عمله كيف لا ولا عمل بغير معرفته تعالى التي هي أول الواجبات على العباد والغاية القصوى من الخلق على ما نطق به قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أي ليعرفون كما أعرب عنه قوله صلى الله عليه وسلم كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف وأما طريقها النظر والتفكر فيما ذكر من شؤونه تعالى وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فإنه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض قالوا وانما كان ذلك التفكر في أمر الله تعالى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا عبادة مثل التفكر وقد عرفت أنه منتج لتحقيق ما جاءت به الشريعة الحقة والآية مما فسر النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا بقوله صلى الله عليه وسلم أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله تعالى فإن الورع عن محارمه سبحانه موقوف على معرفة الحلال والحرام المنوطة بالكتاب والسنة ثم بتصادق الآيات التكوينية وتوافق الأدلة العقلية والسمعية وهو السر في نظم ما حكي عن المتفكرين من الأمور المستدعية للايجاب بالشريعة في سلك نتيجة تفكرهم كما ستقف عليه واظهار خلق السموات والارض مع كفاية الاضمار لإبراز كمال العناية ببيان حالهم والايذان بكون تفكرهم على وجه التحقيق والتفصيل وعدم التعرض لإدراج اختلاف الليل في سلك التفكر مع ذكره فيما سلف إما للايذان بظهور اندراجه فيما ذكر لما أن ذلك من الأحوال التابعة لأحوال السموات والارض كما أشير اليه وإما للاشعار بمسارعتهم الى الحكم بالنتيجة بمجرد تفكرهم في بعض الآيات من غير حاجة الى بعض آخر منها في اثبات المطلوب والخلق مصدر على حاله أي يتفكرون في انشائهما وابداعهما بما فيهما من عجائب المصنوعات وقيل بمعنى المخلوق على أن الإضافة بمعنى في أي يتفكرون فيما خلق فيهما أعم من أن يكون بطريق الجزئية منهما أو بطريق الحلول فيهما أو على أنها بيانية ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾ كلمة هذا اشارة الى السموات والارض متضمنة لضرب من التعظيم كما في قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والتذكير لما أنهما باعتبار تعلق الخلق بهما في معنى المخلوق وأما ان الخلق على تقدير كونه بمعنى المخلوق وباطلا إما صفة لمصدر مؤكد محذوف أو حال من المفعول به أي ما خلقت هذا المخلوق البديع العظيم الشأن عبثا عاريا عن الحكمة خاليا عن المصلحة

عن المصلحة كما ينبئ عنه أوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جملتها أن يكون مدارا لمعايش العباد ومنارا يرشدهم الى معرفة أحوال المبدأ والمعاد حسبما أفصحت عنه الرسل والكتب الالهية كما تحققته مفصلا والجملة بتمامها في حيز النصب بقول مقدر هو على تقدير كون الموصول نعتا لأولي الألباب استئناف مبين لنتيجة التفكر ومدلول الآيات ناشئ مما سبق فإن النفس عند سماع تخصيص الآيات المنصوبة في خلق العالم بأولي الألباب ثم وصفهم بذكر الله تعالى والتفكر في محال تلك الآيات تبقى مترقبة لما يظهر منهم من آثارها وأحكامها كأنه قيل فماذا يكون عند تفكرهم في ذلك وماذا يترتب عليه من النتيجة فقيل يقولون كيت وكيت مما ينبئ عن وقوفهم على سر الخلق المؤدي الى معرفة صدق الرسل وحقية الكتب الناطقة بتفاصيل الأحكام الشرعية على التفصيل الذي وقفت عليه هذا وأما جعله حالا من المستكن في الفعل كما أطبق عليه الجمهور فمما لا يساعده جزالة النظم الكريم لما أن مافي حيز الصلة وما هو قيد له حقه أن يكون من مبادئ الحكم الذي أجري على الموصول ودواعي ثبوته له كذكرهم لله تعالى في عامة أوقاتهم وتفكرهم في خلق السموات والارض فإنهما مما يؤدي الى اجتلاء تلك الآيات والاستدلال بها على المطلوب ولا ريب في أن قولهم ذلك ليس من مبادئ الاستدلال المذكور بل من نتائجه المترتبة عليه فاعتباره قيدا لما في حيز الصلة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل نعم هو حال من ذلك على تقدير كون الموصول مرفوعا أو منصوبا على المدح أو مرفوعا على أنه خبر لمبتدأ محذوف فلا اشتباه في أن قولهم ذلك من مبادئ مدحهم ومحاسن مناقبهم وفي ابراز هذا القول في معرض الحال دون الخبر اشعار بمقارنته لتفكرهم من غير تلعثم وتردد في ذلك وقوله تعالى ﴿سبحانك﴾ أي ننزهك تنزيها لائقا بك من الأمور التي من جملتها خلق ما لا حكمة فيه اعتراض مؤكد لمضمون ما قبله وممهد لما بعده من قوله تعالى ﴿فقنا عذاب النار﴾ فإن معرفة سر خلق العالم وما فيه من الحكمة البالغة والغاية الحميدة والقيام بما تقتضيه من الأعمال الصالحة وتنزيه الصانع تعالى عن العبث من دواعي الاستعاذة مما يحيق بالمخلين بذلك من جهة أحد هما الوقوف على تحقق العذاب والفاء لترتيب الدعاء على ما ذكر والثاني الاستعداد لقبول الدعاء فالفاء لترتيب الدعوة على الوقفات على ذلك كأنه قيل واذ قد عرفنا سرك وأطعنا أمرك ونزهناك عما لا ينبغي فقنا عذاب النار الذي هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك ﴿ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ مبالغة في استدعاء الوقاية وبيان لسببه وتصدير الجملة بالنداء للمبالغة في التضرع والجؤار وتأكيدها لإظهار كمال اليقين بمضمونها والايذان بشدة الخوف واظهار النار في موضع الاضمار لتهويل أمرها وذكر الادخال في مورد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غاية فظاعته فإن الالحاق للاخزاء معا نصفا ربية يقال أخزاه الله تعالى أي أبعده وقيل أهانه وقيل أهلكه وقيل فضحه قال ابن الانباري الخزي لغة الهلاك بتلف أو بانقطاع حجة أو بوقوع في بلاء والمعنى فقد أخزيته خزيا لا غاية وراءه كقولهم من أدرك مرعى الصمان فقد أدرك أي المرعى الذي لا مرعى بعده وفيه من الاشعار بفظاعة العذاب الروحاني ما لا يخفى وقوله تعالى ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ تذييل لإظهار نهاية فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تأكيد الاستدعاء ووضع الظالمين موضع ضمير المدخلين لذمهم والاشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الأشياء في غير مواضعها وجمع الأنصار بالنظر الى جمع الظالمين أي ما لظالم من الظالمين نصير من الأنصار والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر فليس في الآية دلالة على نفي الشفاعة على أن المراد بالظالمين هم الكفار ﴿ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان﴾ حكاية لدعاء آخر لهم مبني على

منتهى خط ونظر على نسخة ... بتاريخ ... صدر الكلام ... والجلد ... ١٢٠٤

تأملهم في الدليل السمعي بعد حكاية دعائهم السابق المبني على التفكر في الادلة العقلية وتصدير مقدمة الدعاء
بالنداء لاظهار كمال الضراعة والابتهال والتأكيد للايذان بصدوره عنهم بوفور الرغبة وكمال النشاط
والمراد بالنداء الدعاء وتعديتهما بالى لتضمنهما معنى الانتهاء وباللام لابتنائهما على معنى الاختصاص والمراد
بالمنادي الرسول صلى الله عليه وسلم وتنوينه للتفخيم وايثاره على الداعي للدلالة على كمال اعتنائه بشأن الدعوة
وتبليغها الى الداني والقاصي لما فيه من الايذان برفع الصوت وينادي صفة لمناديا عند الجمهور كما في قولك سمعت
رجلا يقول كيت وكيت ولو كان معرفة لكان حالا منه كما اذا قلت سمعت زيدا يقول كذا ومفعول ثان لسمعنا
عند الفارسي واتباعه وهذا اسلوب بديع يصار اليه للمبالغة في تحقيق السماع والايذان بوقوعه بلا واسطة
عند صدوره من المسموع من المتكلم وللتوسل به الى تفصيله واستحضار صورته وقد اختص النظم الكريم بمزية زائدة
على ذلك حيث عبر عن المسموع منه بالمنادي ثم وصف بالنداء للايمان على طريقة قولك سمعت متكلما يتكلم بالحكمة
لما ان التفسير بعد الابهام والتقييد بعد الاطلاق اوقع عند النفس واجدر بالقبول وقيل المنادي القرآن العظيم
ان آمنوا اي آمنوا على ان ان تفسيرية او بان آمنوا على انها مصدرية بربكم اي بمالككم ومتولي اموركم ومبلغكم
الى الكمال وفي اطلاق الايمان ثم تقييده تفخيم لشأنه فآمنا اي فامتثلنا بامره واجبنا نداءه ربنا تكرير
للتضرع واظهار لكمال الخضوع وعرض للاعتراف بربوبيته مع الايمان به والفاء في قوله تعالى فاغفر لنا
لترتيب المغفرة او الدعاء بها على الايمان به تعالى والاقرار بربوبيته فان ذلك من دواعي المغفرة والدعاء بها
ذنوبنا اي كبائرنا فان الايمان يجب ما قبله وكفر عنا سيئاتنا اي صغائرنا فانها مكفرة عن مجتنب الكبائر
وتوفنا مع الابرار اي مخصوصين بصحبتهم معتنين بجوارهم معدودين من زمرتهم وفيه اشعار بانهم كانوا يحبون
لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بار او بر كاصحاب وارباب ربنا وآتنا ما وعدتنا
على رسلك حكاية لدعاء آخر لهم مسوق بما قبله معطوف عليه لتأخر التحلية عن التخلية وتكرير النداء لما مر
مكرر او المراد بالموعود الثواب وعلى اما متعلقة بالوعد كما في قولك وعد الله الجنة على الطاعة اي وعدتنا
على تصديق رسلك او بمحذوف وقع صفة لمصدر مؤكد محذوف اي وعدتنا وعدا كائنا على السنة رسلك
وقيل التقدير منزلا على رسلك او محمولا على رسلك ولا يخفى ان تقدير الافعال الخاصة في مثل هذه المواقع
وجمع الرسل مع ان المنادي هو الرسول صلى الله عليه وسلم وحده لما ان دعوته صلى الله عليه وسلم لا سيما
في باب التوحيد وما اجمع عليه الكل من الشرائع منطوية على دعوة الكل فتصديقه تصديق لهم عليهم السلام
كيف لا وقد اخذ منهم الميثاق بالايمان به صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم
من كتاب الآية وكذا الموعود على لسانه من الثواب موعود على السنة الكل عليهم السلام والجمع لاظهار كمال الثقة
بانجاز الموعود بناء على كثرة الشهود ولا تخزنا يوم القيامة فصدقوا بذلك تذكيرا لوعده تعالى بقوله يوم
لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه منتظرين انهم ممن آمن معه حيا للانتظام في سلكهم يومئذ وقوله تعالى
انك لا تخلف الميعاد تعليل لتحقيقها نظموا في سلك الدعاء وهذه الدعوات وما في تضاعيفها من كمال الضراعة
والابتهال ليست لخوفهم من اخلاف الميعاد بل لخوفهم من ان لا يكونوا من جملة الموعودين لتغير الحال وسوء
الخاتمة والمآل فمرجعها الى الدعاء بالتثبيت او للمبالغة في التعبد والخشوع والميعاد الوعد وعن ابن عباس
انه البعث بعد الموت وفي الآثار من حزبه امر فقال ربنا ربنا خمس مرات انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد

ما اراد وقرأ هذه الآية فاستجاب لهم ربهم الاستجابة بمعنى الاجابة وقال تاج القراء الاجابة عامة والاستجابة
خاصة باعطاء المسؤول ويتعدى باللام وبنفسه كما في قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب وهو عطف على الآية في
المقدر فيما سلف مترتب على ما في حيزه من الادعية كما ان قوله عز وجل ثم قيل للذين ظلموا الخ عطف على
المقدر قبل الآن اي قيل لهم الآن آمنتم به ثم قيل الآية وكما ان قوله تعالى في سورة الاعراف ونطبع على
قلوبهم معطوف على ما دل عليه معنى او لم يهد لهم كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ ولا ضير في اختلافهما صيغة
لما ان صيغة المستقبل هناك للدلالة على الاستمرار المناسب لمقام الدعاء وصيغة الماضي ههنا للايذان
بتحقق الاستجابة وتقررها كما لا ضير في الاختلاف بين قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم وبين ما عطف عليه من
قوله تعالى فاستجاب لكم كما سيأتي ويجوز ان يكون معطوفا على مضمر ينساق اليه الذهن اي دعوا بهذه
الادعية فاستجاب الخ واما على تقدير كون المقدر حالا فهو عطف على يتفكرون باعتبار مقارنته لما وقع
حالا من فاعله اعني قوله ربنا ربنا الخ فان الاستجابة مترتبة على دعواتهم لا على مجرد تفكرهم وحيث
كانت هي من اوصافهم الجميلة المترتبة على اعمالهم بالآخرة استحقت الانتظام في سلك محاسنهم
المعدودة في اثناء مدحهم واما على تقدير كون الموصول نعتا لاولي الالباب فلا مساغ لهذا العطف
اصلا لما عرفت من ان ما في حيز الصلة ان يكون من مبادي جريان الحكم على الموصول وقد عرفت
ان دعواتهم السابقة ليست كذلك فان الاستجابة المتأخرة عنها وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة
عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم من تشريفهم واظهار اللطف بهم ما لا يخفى اني لا اضيع
عمل عامل منكم اي باني وهكذا قرأ ابي رضي الله عنه والباء للسببية كانه قيل فاستجاب لهم ربهم بسبب انه لا يضيع
عمل عامل منهم اي سنته السنية مستمرة على ذلك والالتفات الى التكلم والخطاب لاظهار كمال الاعتناء
بشأن الاستجابة وتشريف الداعين بشرف الخطاب والمراد تأكيدها ببيان سببها والاشعار بان
مدارها اعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء وتعميم الوعد لسائر العاملين وان لم يبلغوا درجة
اولي الالباب لتأكيد استجابة الدعوات المذكورة والتعبير عن ترك الاثابة بالاضاعة مع انه ليس
باضاعة حقيقة اذ الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى
عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور
الواجبة عليه وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول اي قائلا اني الخ فلا التفات ح وقرئ لا اضيع بالتشديد
ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لعامل اي عامل كائن منكم وقوله تعالى من ذكر او انثى بيان لعامل و
تأكيد لعمومه وقوله تعالى بعضكم من بعض جملة معترضة مبينة لسبب انتظام النساء في سلك الرجال في
الوعد فان كون كل منهما من الآخر لتشعبهما من اصل واحد او لفرط الاتصال بينهما او لاتفاقهما في
الدين والعمل مما يستدعي الشركة والاتحاد في ذلك روي ان ام سلمة رضي الله تعالى عنها قالت لرسول
الله عليه السلام اني اسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت وقوله تعالى فالذين هاجروا
ضرب تفصيل لما اجمل في العمل وتعداد لبعض احاسن افراده مع المدح والتعظيم اي فالذين هاجروا
الشرك والاوطان والعشائر للدين وقوله تعالى واخرجوا من ديارهم على الاول عبارة عن نفس
الهجرة وعلى الثاني عن كيفيتها وكونها بالقسر والاضطرار واوذوا في سبيلي اي بسبب ايمانهم بالله تعالى ومن

اجله وهو متناول لكل اذية نالتهم من قبل المشركين وقاتلوا اى الكفار فى سبيل الله تعالى وقتلوا استشهدوا فى القتال وقرئ بالعكس لما ان الواو لا تستدعى الترتيب او لان المراد قتل بعضهم وقتال آخرين اذ ليس المعنى على اتصاف كل فرد من افراد الموصول المذكور بكل واحد مما ذكر فى حيز الصلة بل على اتصاف الكل بالكل فى الجملة سواء كان ذلك باتصاف كل فرد من افراد الموصول بواحد من الاوصاف المذكورة او باثنين منها او باكثر اما بطريق التوزيع او بطريق حذف بعض الموصولات من البين كما هو رأى الكوفيين كيف لا ولو ادير الحكم على اتصاف كل فرد بالكل لكان قد اضيع عمل من اتصف بالبعض وقرئ قتلوا بالتشديد لأكفرن عنهم سيئاتهم جواب قسم محذوف اى والله لاكفرن والجملة القسمية خبر المبتدأ الذى هو الموصول وهذا تصريح بوعد ما سأله الداعون بخصوصه بعد ما وعد ذلك عموما وقوله تعالى ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار اشارة الى ما عبر عنه الداعون فيما قبل بقولهم واتنا ما وعدتنا على رسلك وتفسير له وقوله تعالى ثوابا من عند الله متعلق بمحذوف هو صفة له لشرفه اى لاثيبنهم اثابة كائنة او ثوابا كائنا من عنده تعالى بالغا الى المرتبة القاصية من الشرف وقوله تعالى والله عنده حسن الثواب اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله والاسم الجليل مبتدأ خبره عنده وحسن الثواب مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ وهو مبتدأ ثان والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول العندية عبارة عن الاختصاص به تعالى مثل كونه بقدرته تعالى وفضله بحيث لا يقدر عليه غيره بحال شيء يكون بحضرة احد لا يد عليه لغيره فالاختصاص مستفاد من التمثيل سواء جعل عنده خبرا مقدما لحسن الثواب اولا وفى تقدير الوعد الكريم بعدم اضاعة العمل ثم تعقيبه بمثل هذا الاحسان الذى لا يقادر قدره من لطف الملك المنبئ عن عظم شأن الحق ما لا يخفى لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد بيان لقبح ما اوتى الكفرة من حظوظ الدنيا وكشف عن حقارة شأنها او سوء مغبتها اثر بيان حسن ما اوتى المؤمنون من الثواب والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم على ان المراد تثبيته على ما هو عليه كقوله تعالى ولا تطع المكذبين او على ان المراد نهى المؤمنين كما يوجه الخطاب الى مدارة القوم ورؤسائهم والمراد افنائهم او لكل واحد ممن يصلح للخطاب من المؤمنين والنهى للمخاطب وانما جعل للتقلب مبالغة اى لا تنظر الى ما عليه الكفرة من السعة ووفور الحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى منهم من التبسط فى المكاسب والمتاجر والمزارع روى ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين فى رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله تعالى فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر لمبتدأ محذوف اى هو متاع قليل لا قدر له فى جنب ما ذكر من ثواب الله تعالى قال عليه السلام ما الدنيا فى الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع فاذن لا يجدى وجوده لواجديه ولا يضر فقدانه لفاقديه ثم مأويهم اى مصيرهم الذى يأوون اليه لا يبرحونه جهنم التى لا يوصف غذابها وقوله تعالى وبئس المهاد ذم لها وايذان بان مصيرهم اليها مما جنته انفسهم وكسبته ايديهم والمخصوص بالذم محذوف اى بئس ما مهدوا لانفسهم جهنم لكن الذين

الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار بيان لكمال حال المؤمنين عقب بيان وتكرير له اثر تقرير مع زيادة خلودهم فى الجنات ليتم بذلك سرورهم ويزداد بهجتهم ويتكامل به سوء حال الكفرة وايراد التقوى فى حيز الصلة للاشعار بكون الخصال المذكورة من باب التقوى والمراد به الاتقاء من الشرك والمعاصى فالموصول مبتدأ والظرف خبره وجنات مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ والظرف خبر جنات والجملة خبر للموصول وخالدين فيها اى فى الجنات حال مقدرة من الضمير او من جنات لتخصصها بالوصف والعامل ما فى الظرف من معنى الاستقرار نزلا من عند الله وقرئ بسكون الزاء وهو ما يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما قال ابو الشعر الضبى وكنا اذا الجبار بالجيش صافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحالية من جنات لتخصصها بالوصف والعامل فيها ما فى الظرف من معنى الاستقرار وقيل هو مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله تعالى وما عند الله خير مبتدأ وخبر وقوله تعالى للابرار متعلق بمحذوف هو صفة لخير اى ما عنده تعالى من الامور المذكورة الدائمة خير كائن للابرار اى مما يتقلب فيه الفجرة من المتاع القليل الزائل والتعبير عنهم بالابرار للاشعار بان الصفات المعدودة من اعمال البر كما انها من قبيل التقوى والجملة تذييل لما قبلها وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله جملة مستأنفة سيقت لبيان ان اهل الكتاب ليس كلهم كمن حكيت مناقبهم من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك بل منهم من له مناقب جليلة قيل هم عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اربعون من اهل نجران واثنان وثلثون من اهل الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل المراد به اصحمة النجاشى فانه لما مات نعاه جبريل الى النبى عليهما السلام فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع فنظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشى وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط وليس على دينه فنزلت وانما دخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما كما فى قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين وتأخير ايمانهم بهما عن ايمانهم بالقرآن فى الذكر مع ان الامر بالعكس فى الوجود لما انه عيار ومهيمن عليهما فان ايمانهم بهما انما يعتبر بتبعية ايمانهم به اذ لا عبرة باحكامهما المنسوخة وما لم ينسخ منها انما يعتبر من حيث ثبوته بالقرآن ولتعلق ما بعده بهما والمراد بهما ايمانهم بهما من غير تحريف ولا كتم كما هو دين المحرفين واتباعهم من العامة خاشعين لله حال من فاعل يؤمن والجمع باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا تصريح بمخالفتهم للمحرفين والجملة حال كما قبله ونظمها فى سلك محاسنهم ليس من حيث عدم الاشتراء فقط بل لتضمن ذلك لاظهار ما فى الكتابين من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم اولئك اشارة اليهم من حيث اتصافهم بما عدد من صفاتهم الحميدة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو مرتبتهم وبعد منزلتهم فى الشرف والفضيلة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى لهم وقوله تعالى اجرهم اى المختص بهم الموعود لهم بقوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين وقوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته مرتفع بالظرف على الفاعلية او على الابتداء والظرف خبره والجملة خبر لاولئك وقوله تعالى عند ربهم نصب على الحالية من اجرهم والمراد به التشريف كالصفة ان الله سريع الحساب

لنفوذ علمه بجميع الاشياء فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الاجر من غير حاجة الى تأمل والمراد بيان سرعة وصول
الاجر الموعود اليهم يا ايها الذين امنوا اثر ما بين في تضاعيف السورة الكريمة فنون الحكم والاحكام ختمت
بما يوجب المحافظة عليها فقيل اصبروا اى على مشاق الطاعات وغير ذلك من المكاره والشدائد وصابروا
اى غالبوا اعداء الله تعالى بالصبر في مواطن الحروب واعدى عدوكم بالصبر على مخالفة الهوى وتخصيص
المصابرة بالامر بعد الامر بمطلق الصبر لكونها اشد منه واشق ورابطوا اى اقيموا في الثغور رابطين خيلكم
فيها مترصدين للغزو مستعدين له قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبى
عليه السلام من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل
عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله في مخالفة امره على الاطلاق فيندرج فيه ما ذكر في تضاعيف السورة الكريمة
اندراجا اوليا لعلكم تفلحون كي تنتظموا في زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل الكروب
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة آل عمران اعطى بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام
من قرا سورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه والملائكة حتى تحجب الشمس الحمد لله رب العالمين

سورة النساء مدنية وهى مائة وسبعون وست آية

يا ايها الناس خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين والحادثين بعد
ذلك الى يوم القيمة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فان خطاب المشافهة لا يتناول القاصرين
عن درجة التكليف الا عند الحنابلة بل اما بطريق تغليب الفريق الاول على الاخرين واما بطريق تعميم
حكمه لهما بدليل خارجى فان الاجماع منعقد على ان آخر الامة مكلف بما كلف به اولها كما ينبئ عنه قوله عليه السلام
حلال ما جرى على لسانى الى يوم القيمة وحرام ما جرى على لسانى الى يوم القيمة وقد فصل في موضعه واما الامم
الدارجة قبل النزول فلاحظ لهم في الخطاب لاختصاص الاوامر والنواهى بمن يتصور منه الامتثال واما
ادراجهم في خطاب ما عدا هما مما له دخل في تاكيد التكليف وتقوية الايجاب فستعرف حاله ولفظ الناس
ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر في قوله عز وجل اتقوا ربكم فواردة على طريقة التغليب
لعدم تناولها حقيقة للاناث عند غير الحنابلة واما ادخالهن في الامر بالتقوى بما ذكر من الدليل الخارجى و
ان كان فيه مراعاة جانب الصيغة لكنه يستدعى تخصيص لفظ الناس ببعض افراده والمامور به اما مطلق التقوى
التى هى التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك واما التقوى فيما يتعلق بحقوق ابناء الجنس اى اتقوه في
مخالفة اوامره ونواهيه على الاطلاق او في مخالفة تكاليفه الواردة ههنا وايا ما كان فالتعرض لعنوان الربوبية
المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأييد الامر وتاكيد الايجاب بطريق
الترغيب والترهيب وكذا وصف الرب بقوله تعالى الذى خلقكم من نفس واحدة فان خلقه تعالى اياهم على
هذا النمط البديع لانبائه عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التى من جملتها عقابهم على معاصيهم وعن
نعمة كاملة لا يقادر قدرها من اقوى الدواعى الى الاتقاء من موجبات نقمته واتم الزواجر عن كفران
نعمته وكذا جعله تعالى اياهم صنوانا متفرعة من ارومة واحدة هى نفس آدم عليه السلام من موجبات
الاحتراز عن الاخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الاخوة وتعميم الخطاب في ربكم وخلقكم لما ام السالفة

ايضا مع اختصاصه بما قبل بالمامورين بناء على ان تذكير شمول ربوبيته تعالى وخلقه للكل من مؤكدات الامر بالتقوى
وموجبات الامتثال به تفكيك للنظم الكريم مع الاستغناء عنه لان خلقه تعالى للمامورين من نفس آدم
حيث كان بوساطة ما بينهم وبينه عليه السلام من الآباء والامهات كان التعرض لخلقهم متضمنا للتعرض لخلق الوسائط
جميعا وكذا التعرض لربوبيته تعالى لهم متضمن للتعرض لربوبيته تعالى لاصولهم قاطبة لا سيما وقد نطق
بذلك قوله عز وجل وخلق منها زوجها فانه مع ما عطف عليه صريح في ذلك وهو معطوف اما على مقدر ينبئ
عنه سوق الكلام لان تفريع الفروع من اصل واحد يستدعى انشاء ذلك الاصل لا محالة كانه قيل خلقكم
من نفس واحدة خلقها اولا وخلق منها زوجها الخ وهو استئناف سيق لتقرير وحدة المبدأ وبيان كيفية
خلقهم منه وتفصيل ما اجمل اولا وصفة لنفس مفيدة لذلك واما على خلقكم داخل معه في حيز الصلة مقرر
ومبين لما ذكر واعادة الفعل مع جواز عطف مفعوله على مفعول الفعل الاول كما في قوله تعالى يا ايها
الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم الخ لاظهار ما بين الخلقين من التفاوت فان
الاول بطريق التفريع من الاصل والثانى بطريق الانشاء من المادة فانه تعالى خلق حواء من ضلع آدم
عليه السلام روى انه عز وجل لما خلقه عليه السلام واسكنه الجنة القى عليه النوم فبينما هو بين النائم و
اليقظان خلق حواء من ضلع من اضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وتاخير خلقها عن ذكر خلقهم لما
ان تذكير خلقهم ادخل في تحقيق ما هو المقصود من حملهم على الامتثال بالامر بالتقوى من تذكير خلقها
عن ذكر خلقهم وتقديم الجار والمجرور للاعتناء ببيان مبدئيته عليه السلام لها مع ما فيه من التشويق
الى المؤخر كما مر مرارا وايرادها بعنوان الزوجية تمهيد لما بعده من التناسل وبث منهما اى من
تلك النفس وزوجها المخلوقة منها بطريق التوالد والتناسل رجالا كثيرا نعت للرجال مؤكد لما
افاده التنكير من الكثرة والافراد باعتبار معنى الجمع او العدد وقيل هو نعت لمصدر مؤكد للفعل اى
بثا كثيرا ونساء اى كثيرة وترك التصريح بها للاكتفاء بالوصف المذكور وايثارهما على ذكورا واناثا
لتاكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الافراد المبثوثة لمبدئية غيره وقرئ وخالق وباث
على حذف المبتدأ اى وهو خالق وباث واتقوا الله الذى تساءلون به تكرير للامر وتذكير لبعض
آخر من موجبات الامتثال فان سؤال بعضهم بعضا بالله تعالى بان يقولوا بالله وانشدك الله على سبيل
الاستعطاف يقتضى الاتقاء من مخالفة اوامره ونواهيه وتعليق الاتقاء باسمه الجليل لمزيد التاكيد و
المبالغة في الحمل على الامتثال بتربية المهابة وادخال الروعة ولوقوع التساؤل به لا بغيره من اسمائه
تعالى وصفاته وتساءلون اصله تتساءلون فطرحت احدى التائين تخفيفا وقرئ بادغام تاء التفاعل
في السين لتقاربهما في الهمس وقرئ تساءلون من الثلاثى اى تسألون به غيركم وقد فسر به القراءة
الاولى والثانية وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كما في قولك رأيت الهلال وتراءيناه وقرئ
تسلون على نقل حركة الهمزة الى السين والارحام بالنصب عطفا على
محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة تساءلون به وبالارحام فانهم كانوا يقرنونها
في السؤال والمناشدة بالله عز وجل ويقولون اسألك بالله وبالرحم او عطفا على الاسم الجليل
اى اتقوا الله والارحام وصلوها ولا تقطعوها فان قطيعتها مما يجب ان يتقى وهو قول مجاهد وقتاده

والسدي والضحاك والفراء والزجاج وقد جوز الواحدي نصبه على الاغراء والزموا الارحام وصلوها
وقرئ بالجر عطفا على الضمير المجرور وبالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما
يتقى او يتساءل به ولقد نبه سبحانه وتعالى حيث قرنها باسم الجليل على ان صلتها بمكان منه كما في
قوله تعالى الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعنه صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول
من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله. ان الله كان عليكم رقيبا اي حافظا وهي صيغة مبالغة
من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا اذا احد النظر لامر يريد تحقيقه اي حافظا مطلعا على جميع ما يصدر عنكم من
الافعال والاقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات مريدا لمجازاتكم بذلك وهو تعليل للامر ووجوب الامتثال
واظهار الاسم الجليل لتأكيده وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل. وآتوا اليتامى اموالهم شروع
في تفصيل موارد الاتقاء ومظانه بتكليف ما يقابلها امرا ونهيا عقيب الامر بنفسه مرة بعد اخرى وتقديم
ما يتعلق باليتامى لاظهار كمال العناية بامرهم ولملابستهم بالارحام اذ الخطاب للاولياء والاوصياء
قلما يفوض الوصاية الى الاجانب واليتيم من مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وجمعه على
يتامى اما لانه لما جرى مجرى الاسماء جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او لانه لما كان من وادي الآفات
جمع على يتمى ثم جمع يتمى على يتامى والاشتقاق يقتضي صحة اطلاقه على الكبار ايضا واختصاصه
بالصغار مبني على العرف واما قوله صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد حلم فتعليم للشريعة لا تعيين لمعنى اللفظ
اي لا يجري على اليتيم بعده حكم الايتام والمراد بايتاء اموالهم قطع المخاطبين اطماعهم الفارغة عنها
وكف اكف الخاطفة عن اختزالها وتركها على حالها غير متعرض لها بسوء حتى تأتيهم وتصل اليهم
سالمة كما ينبئ عنه ما بعده من النهي عن التبدل والاكل لا الاعطاء بالفعل فانه مشروط بالبلوغ
وايناس الرشد على ما ينطق به قوله تعالى حتى اذا بلغوا الاية وانما عبر عما ذكر بالايتاء مجازا للايذان
بانه ينبغي ان يكون مرادهم بذلك ايصالها اليهم لا مجرد ترك التعرض لها فالمراد بهم اما الصغار
على ما هو المتبادر والامر خاص بمن يتولى امرهم من الاولياء والاوصياء وشمول حكمه لاولياء
من كان بالغا عند نزول الآية بطريق الدلالة دون العبارة واما من جرى عليه اليتم في الجملة
مجازا اعم من ان يكون كذلك عند النزول او بالغا فالامر شامل لاولياء الفريقين صيغة يوجب عليهم
ما ذكر من حفظ اموالهم والتحفظ عن اضاعتها مطلقا واما وجوب الدفع الى الكبار فمستفاد مما
سيأتي من الامر به [illegible] المراد بهم الصغار وبالايتاء الاعطاء في الزمان المستقبل وقيل اطلق اسمهم
على الكبار بطريق الاتساع لقرب عهدهم باليتيم حثا للاولياء على المسارعة الى دفع اموالهم اليهم اول
ما بلغوا قبل ان يزول عنهم اسمهم المعهود فالايتاء بمعنى الاعطاء بالفعل ويأباه ما سيأتي من قوله
تعالى وابتلوا اليتامى الاية فان ما فيه من الامر بالدفع وارد على وجه التكليف الابتدائي لا على وجه
تعيين وقته او بيان شرطه فقط كما هو مقتضى القولين واما تعميم الاسم للصغار والكبار بطريق
التغليب مع تعميم الايتاء للايتاء حالا وللايتاء مآلا وتعميم الخطاب للاولياء كلا الفريقين على ان من
بلغ منهم فوليه مأمور بالدفع اليه بالفعل وان من لم يبلغ بعد فوليه مأمور بالدفع اليه عند بلوغه
رشيدا فيمنع ما سبق تكلف لا يخفى فالانسب ما تقدم من حمل ايتاء اموالهم اليهم على ما يؤدي من ترك التعرض

التعرض لها بسوء كما يلوح به التعبير عن الاعطاء بالفعل بالدفع سواء اريد باليتامى الصغار او ما يعم الصغار
والكبار حسبما ذكر انفا واما ما روي من ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له فلما بلغ
طلب منه ماله فمنعه فنزلت فلما سمعها قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فغير قادح
في ذلك لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب نهي عن اخذ مال اليتيم
على الوجه المخصوص بعد النهي الضمني عن اخذه على الاطلاق وتبدل الشيء بالشيء واستبداله به اخذ
الاول بدل الثاني بعد ان كان حاصلا له او في شرف الحصول يستعملان ابدا بافضائهما الى الحاصل بانفسهما
والى الزائل بالباء كما في قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان وقوله تعالى اتستبدلون الذي هو ادنى
بالذي هو خير واما التبديل فيستعمل تارة كذلك كما في قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين واخرى بالعكس
كما في قولك بدلت الحلقة بالخاتم اذا اذبتها وجعلتها خاتما نص عليه الازهري وتارة اخرى بالافضاء
الى مفعوليه بنفسه كما في قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات والمراد بالخبيث والطيب ان كان هو
الحرام والحلال فالمنهي عنه استبدال مال اليتيم بمال انفسهم مطلقا كما قاله الفراء والزجاج وقيل
معناه لا تذروا اموالكم الحلال وتأكلوا الحرام من اموالهم فالمنهي عنه اكل ماله مكان مالهم المحقق
او المقدر وقيل هو اختزال ماله مكان حفظه واياما كان فانما عبر عنهما بهما تنفيرا عما اخذوه و
ترغيبا فيما اعطوه وتصويرا لمعاملتهم بصورة ما لا يصدر عن العاقل وان كان هو الردي و
الجيد فمورد النهي ما كانوا عليه من اخذ الجيد من مال اليتيم واعطاء الردي من مال انفسهم وبه قال
سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي وتخصيص هذه المعاملة بالنهي لخروجها مخرج العادة لا
لاباحة ما عداها واما التعبير عنها بتبدل الخبيث بالطيب مع انها تبديلة او تبدل الطيب بالخبيث
فللايذان بان الاولياء حقهم ان يكونوا في المعاملة عاملين لليتيم لا لانفسهم مراعين لجانبه
قاصدين لجلب المجلوب اليه مشتريا كان او ثمنا لا لسلب المسلوب عنه. ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم
نهي عن منكر آخر كانوا يتعاطونه اي لا تأكلوها مضمومة الى اموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حلال
وذلك حرام وقد خص من ذلك مقدار اجر المثل عند كون الولي فقيرا. انه اي الاكل المعلوم من
النهي كان حوبا اي ذنبا عظيما وقرئ بالحاء المفتوحة وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا وهو ايضا
مصدر كقال قولا وقالا كبيرا مبالغة في بيان عظم ذنب الاكل المذكور كانه قيل من كبائر الذنوب
العظيمة لا من اخفائها. وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى الاقساط العدل وقرئ بفتح التاء فقيل
هو من قسط اي جار ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم وقيل هو بمعنى اقسط فان الزجاج حكى
ان قسط يستعمل استعمال اقسط والمراد بالخوف العلم كما في قوله تعالى فمن خاف من موص جنفا
عبر عنه بذلك ايذانا بكون المعلوم مخوفا محذورا لا معناه الحقيقي لان الذي علق به الجواب هو العلم
بوقوع الجور المخوف لا الخوف منه والا لم يكن الامر شاملا لمن يصبر على الجور ولا يخافه وهذا
شروع في النهي عن منكر آخر كانوا يباشرونه متعلق بانفس اليتامى اصالة وباموالهم تبعا عقيب
النهي عما يتعلق باموالهم خاصة وتأخيره عنه لقلة وقوع المنهي عنه بالنسبة الى الاول ونزوله
منه منزلة المركب من المفرد وذلك انهم كانوا يتزوجون من يحل لهم من اليتامى اللاتي يلونهن

لكن لا لرغبة فيهن بل في مالهن في المعاشرة ويتربصون بهن ان يمتن فيرثوهن وهذا قول الحسن
وقيل هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا
ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا ان ينكحوا ما سواهن من النساء
وهذا قول الزهري رواية عن عروة عن عائشة رضي الله عنها واما اعتبار اجتماع عدد كثير منهن
كما اطبق عليه اكثر اهل التفسير حيث قالوا كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها
فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن الخ مما ليس عده الامر بنكاح غيرهن
فان المحذور حينئذ يندفع بتقليل عددهن اي وان خفتم الا تعدلوا في حق اليتامى اذا تزوجتم بهن
باسارة العشيرة او بنقص الصداق ﴿فانكحوا ما طاب لكم﴾ ما موصولة او موصوفة ما بعدها صلتها
او صفتها اوثرت على من ذهابا الى الوصف وايذانا بانه المقصود بالذات والغالب في الاعتبار
لابناء على ان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء لاخلاله بمقام الترغيب فيهن
وقرأ ابن عبلة من طاب ومن في قوله عز وجل ﴿من النساء﴾ بيانية وقيل تبعيضية و
المراد بهن غير اليتامى لشهادة قرينة المقام اي فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الاجنبيات
وفي ايثار الامر بنكاحهن على النهي عن نكاح اليتامى مع انه المقصود بالذات مزيد لطف في
استنزالهم عن ذلك فان النفس مجبولة على الحرص على ما منعت منه كما ان وصف النساء بالطيب
على الوجه الذي اشير اليه فيه مبالغة في الاستمالة اليهن والترغيب فيهن وكل ذلك للاعتناء
بصرفهم عن نكاح اليتامى وهو السر في توجيه النهي الضمني الى النكاح المترقب مع ان سبب النزول
هو النكاح المحقق لما فيه من المسارعة الى دفع الشر قبل وقوعه فرب واقع لا يرفع والمبالغة في
في بيان حال النكاح المحقق فان محذورية المترقب حيث كانت للجور المترقب فيه فمحظورية المحقق
مع تحقق الجور فيه اولى وقيل المراد بالطيب الحل اي ما حل لكم شرعا لان ما استطابه الخ شامل للمحرمات
ولا مخصص له بمن عداهن وفيه فرار من محذور ووقوع فيما هو اقطع منه لان ما حل لهم مجمل
وقد تقرر ان النص اذا تردد بين الاجمال والتفصيل يحمل على الثاني لان العام المخصوص حجة في
غير محل التخصيص والمجمل ليس بحجة قبل ورود البيان اصلا ولئن جعل قوله عز وجل حرمت
عليكم الخ دالا على التفصيل بناء على ادعاء تقدمه في التنزيل فليجعل دالا على التخصيص ﴿مثنى
وثلاث ورباع﴾ معدولة عن اعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها و
عدلها عن تكررها وقيل للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان لم يكن اصولها كذلك وقرئ
وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع ومحلهن النصب على انها حال من فاعل طاب مؤكدة
لما افاده وصف الطيب من الترغيب فيهن والاستمالة اليهن بتوسيع دائرة الاذن اي
فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا حسبما تريدون
على معنى ان لكل واحد منهم ان يختار اي عدد شاء من الاعداد المذكورة لا ان بعضها لبعض
منهم وبعضها لبعض آخر كما في الجمع بين تلك الاعداد كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين
وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو افردت لفهم منه تجويز الجمع بين تلك الاعداد دون التوزيع

التوزيع ولو ذكرت بكلمة او لفات تجويز الاختلاف في العدد هذا وقد قيل في تفسير الاية الكريمة
لما نزلت الاية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير اخذ الاولياء يتحرجون من
ولايتهم خوفا من لحوق الحوب بترك الاحتياط مع انهم كانوا لا يتحرجون من ترك العدل في
حقوق النساء حيث كان تحت الرجل منهم عشر منهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في
حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان
من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب عنه وقيل كانوا لا يتحرجون
من الزنا ويتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل
لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات ولا يخفى انه لا يساعدهما جزالة النظم الكريم لابتنائهما
على تقدم نزول الاية الاولى وشيوعها بين الناس مع ظهور توقف حكمها على ما بعدها من قوله
عز وجل ولا تؤتوا السفهاء الى قوله تعالى وكفى بالله حسيبا ﴿فان خفتم الا تعدلوا﴾ اي فيما بين هذه
ولو في اقل الاعداد المذكورة كما خفتموه في حق اليتامى او كما لا تعدلوا في حقهن او كما لم
تعدلوا فيما فوق هذه الاعداد ﴿فواحدة﴾ اي فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع
بالكلية وقرئ بالرفع اي فالمقنع واحدة او فحسبكم واحدة ﴿او ما ملكت ايمانكم﴾ اي من السراري
بالغة ما بلغت من مراتب الاعداد وهو عطف على واحدة على ان اللزوم والاختيار فيه بطريق
التسري اي لا بطريق النكاح كما فيما عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين بحق
اتحاد المخاطبين في الموضعين بخلاف ما سيأتي من قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان
ينكح المحصنات فمما ملكت ايمانكم فان المامور بالنكاح هناك غير المخاطبين بملك اليمين وانما
سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين السراري من غير حصر في عدد لقلة تبعتهن
وخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم فيهن وقرئ او من ملكت ايمانكم وما في القراءة
المشهورة للايذان بقصور رتبتهن عن رتبة العقلاء ﴿ذلك﴾ اشارة الى اختيار الواحدة
والتسري ﴿ذلك ادنى الا تعولوا﴾ العول الميل من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال
في الحكم اي جار والمراد هنا الميل المحظور المقابل للعدل اي ما ذكر من اختيار الواحدة والتسري
اقرب بالنسبة الى ما عداهما من ان لا تميلوا ميلا محظورا لانتفائه رأسا بانتفاء محله في الاول
وانتفاء خطره في الثاني بخلاف اختيار العدد في المهائر فان الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل
والخطر ومن ههنا تبين ان مدار الامر عدم العول لا تحقق العدل كما قيل وقد فسر بان
لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اي مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤنة
على طريقة الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ووجه كون
التسري مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السراري انه يجوز العزل عنهن بغير رضاهن
ولا كذلك المهائر والجملة مستأنفة جارية مما قبلها مجرى التعليل ﴿وآتوا النساء﴾ اي اللاتي
امر بنكاحهن ﴿صدقاتهن﴾ جمع صدقة كسمرة وهي المهر وقرئ بسكون الدال على التخفيف و
بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمها على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في

نحلة نحلة قال ابن عباس وقتاده وابن جريج وابن زيد فريضة من الله تعالى لانها مما فرضه الله في النحلة اى الملة والشرعة والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات اى اعطوهن مهورهن حال كونها فريضة منه تعالى وقال الزجاج تدينا فانتصابها على انها مفعول له اى اعطوهن ديانة وشرعة وقال الكلبي نحلة اى هبة وعطية من الله تعالى وتفضلا منه تعالى عليهن فانتصابه على الحالية منها ايضا وقيل عطية من جهة الازواج من نحله كذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا والتعبير عن اعطاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الازواج لافادة معنى الايتاء عن كمال الرضى وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لان الايتاء والنحلة بمعنى الاعطاء لانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اى اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحالية من ضمير آتوا اى آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اى منحولة معطاة عن طيبة الانفس والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك اى تعظمه فان طبن لكم عن شئ منه الضمير للصدقات وتذكيره لاجرائه مجرى ذلك فانه قد يشار به الى المتعدد كما في قوله عز وجل قل ائنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات المعدودة وقد روى عن رؤبة حين قيل له في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط ينبغي ان تقول كانها وان اردت السواد والبلق ينبغي ان تقول كانهما قال لكني اردت كان ذلك او هو واقع موقع صدقاتهن او للصدقات الواقع موقعه صدقتهن كانه قيل وآتوا النساء صدقتهن كما في قوله عز وجل فاصدق واكن حيث عطف اكن على ما دل عليه المذكور ووقع موقعه كانه قيل فاصدق واكن واللام متعلقة بالفعل وكذا عن لكن بتضمينه معنى التجافي والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لشئ اى كائن من الصداق وفيه بعث لهن على تقليل الموهوب نفسا تمييز والتوحيد لما ان المقصود بيان الجنس اى ان وهبن لكم شيئا من الصداق متجافيا عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى البذل من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم لكن عدل عن لفظ الهبة والسماحة الى ما عليه النظم الكريم ايذانا بان العمدة في الامر انما هو طيب النفس وتجافيها عن الموهوب بالمرة فكلوه اى فخذوه ذلك الشئ الذى طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه تملكا وتخصيص الاكل بالذكر لانه معظم وجوه التصرفات المالية هنيئا مريئا صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنئ الذى يلذه الآكل والمرئ ما تحمد عاقبته وقيل ما يتساغ في مجراه الذى هو المرئ وهو ما بين الحلقوم الى فم المعدة سمى بذلك لمرو الطعام فيه اى انسياغه ونصبهما على انهما صفتان للمصدر اى اكلا هنيئا مريئا او على انهما حال من الضمير اى كلوه وهو هنئ مرئ وقد يوقف على كلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة روى ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساقه اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم رجوع الى بقية الاحكام المتعلقة باموال اليتامى وتفصيل ما اجمل فيما سبق من شرط ايتائها ووقته وكيفيته

اثر بيان بعض الاحكام المتعلقة بانفسهن اعني نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة بغيرهن من الاجنبيات من حيث النفس ومن حيث المال استطرادا والخطاب للاولياء نهوا عن ان يؤتوا المبذرين من اليتامى اموالهم مخافة ان يضيعوها وانما اضيفت اليهم وهى لليتامى لا نظرا الى كونها تحت ولايتهم كما قيل فانه غير مصحح لاتصافها بالوصف الآتى بل تنزيلا لاختصاصها باصحابها منزلة اختصاصها بالاولياء فكان اموالهم عين اموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسى والنسبى مبالغة في حملهم على المحافظة عليها كما في قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اى لا يقتل بعضكم بعضا حيث عبر عن بنى نوعهم بانفسهم مبالغة في زجرهم عن قتلهم فكان قتلهم قتل انفسهم وقد ايد ذلك حيث عبر عن جعلها مناطا لمعاش اصحابها بجعلها مناطا لمعاش الاولياء فقيل التى جعل الله لكم اى جعلها الله شيئا تقومون به وتنتعشون على حذف المفعول الاول فلو ضيعتموه لضعتم ثم زيد في المبالغة حتى جعل ما به القيام قياما فكانها في انفسها قيامكم وانتعاشكم وقيل انما اضيفت الى الاولياء لانها من جنس ما يقيم الناس معايشهم حيث لم يقصد بالخصوصية الشخصية بل الجنسية التى هى معنى ما يقام به المعاش ويميل اليه القلوب ويدخر لاوقات الاحتياج وهى بهذا الاعتبار لا تختص باليتامى وانت خبير بان ذلك بمعزل من حمل الاولياء على المحافظة المذكورة كيف لا والوحدة الجنسية المالية ليست مختصة بما بين اموال اليتامى واموال الاولياء بل هى متحققة بين اموالهم واموال الاجانب فاذن لا وجه لاعتبارها اصلا وقرئ اللاتى واللواتى وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرئ قواما بكسر القاف وهو ما يقام به الشئ او مصدر قاوم وقرئ بفتحها وارزقوهم فيها واكسوهم اى واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا وتتربحوا حتى تكون نفقاتهم من الارباح لا من صلب المال وقيل الخطاب لكل احد كائنا من كان والمراد نهيه عن ان يفوض امره الى من لا رشد له من نسائه واولاده ووكلائه وغير ذلك ولا يخفى ان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم وقولوا لهم قولا معروفا اى كلاما لينا تطيب به نفوسهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج عدوهم عدة جميلة بان تقولوا اذا صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وكل ما سكنت اليه النفس لحسنه شرعا او عقلا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه شرعا او عقلا فهو منكر وابتلوا اليتامى شروع في تعيين وقت تسليم اموال اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر بايتائها على الاطلاق والنهى عنه عند كون اصحابها سفهاء اى واختبروا من ليس منهم بين السفه قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والاهتداء الى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فان كانوا من اهل التجارة فبان تعطوهم من المال ويتصرفون فيه بيعا وابتياعا وان كانوا ممن له ضياع واهل وخدم فبان تعطوهم منه ما يصرفونه الى نفقة عبيدهم وخدمهم واجرائهم وسائر مصارفهم حتى يتبين لكم كيفية احوالهم حتى اذا بلغوا النكاح بان يحتلموا لانهم يصلحون عنده للنكاح فان آنستم اى شاهدتم وتبينتم وقرئ احستم كما في قول قال خلا ان العتاق من المطايا احسن به وهن اليه شوس منهم رشدا اى اهتداء الى وجوه التصرفات من غير عجز وتبذير وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر او للاهتداء او لهدايته له والتنوين للدلالة على كفاية رشد في الجملة وقرئ بفتح الراء والشين وبضمهما فادفعوا اليهم اموالهم من غير

بأخبر عن حد البلوغ وفي ايثار الدفع على الايتاء الوارد في اول الامر ايذان بتفاوتهما بحسب المعنى كما
اليه فيما سلف ونظم الاية الكريمة ان حتى هي التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله فما زالت القتلى تمج دماءها
بدجلة حتى ماء دجلة اشكل وما بعدها جملة شرطية جعلت غاية للابتداء وفعل الشرط بلغوا وجوابه
الشرطية الثانية كانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس
الرشد منهم وظاهر الاية الكريمة ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز لا يدفع اليه ماله ابدا وبه
اخذ ابو يوسف ومحمد رحمهما الله وقال ابو حنيفة ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان البلوغ بالسن ثماني عشرة
سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لما قال عليه السلام
مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يونس ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا
اي مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي
قبل ان يكبروا اليتامى فينتزعوها من ايدينا والجملة تأكيد للامر بالدفع وتقريرها وتمهيد لما بعدها من
قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف اي من كان من الاولياء والاوصياء غنيا فليتنزه من
اكلها ولينتفع بما آتاه الله تعالى من الغنى والرزق اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله ومن كان من الاولياء
والاوصياء فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر حاجته الضرورية واجرة سعيه وخدمته وفي لفظ الاستعفاف
والاكل بالمعروف ما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له عليه
السلام ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وعن ابن
عباس رضي الله عنهما ان ولي اليتيم قال افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها
وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعن محمد بن كعب
يتقرم كما تتقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما يعين
فيه وعنه كالميتة يتناول للضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن
جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه
فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني انزلت نفسي من
مال الله تعالى منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت
قضيت واستعفف ابلغ من عف كانه يطلب زيادة العفة فاذا دفعتم اليهم اموالهم بعدما راعيتم
الشرائط المذكورة وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها
وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لان ذلك ابعد من التهمة وانفى للخصومة وادخل في الامانة و
براءة الساحة وان لم يكن ذلك واجبا عند اصحابنا فان الوصي مصدق في الدفع مع اليمين خلافا
لمالك والشافعي رحمهما الله تعالى وكفى بالله حسيبا اي محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما
حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون شروع في بيان احكام المواريث بعد
بيان احكام اموال اليتامى المنتقلة اليهم بالارث والمراد بالاقربين المتوارثون منهم ومن في
مما متعلقة بمحذوف وقع صفة لنصيب اي لهم نصيب كائن مما ترك وقد جوز تعلقها بنصيب
وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ايراد حكمهن على الاستقلال دون التدرج في

دون التدرج في تضاعيف احكامهم بان يقال للرجال والنساء للاعتناء بامرهن والايذان باصالتهن
في استحقاق الارث والاشارة من اول الامر الى تفاوت ما بين نصيبي الفريقين والمبالغة في ابطال
حكم الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن
الحوزة روي ان اوس بن ثابت الانصاري خلف زوجته ام كحة وثلث بنات فزوى ابنا عمه
سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فجاءت ام كحة الى رسول الله تعالى
صلى الله عليه وسلم فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله تعالى فنزلت فارسل اليهما ان
قد جعل لهن نصيبا ولم يبين فلا تفرقا من مال اوس شيئا حتى يبين فنزلت يوصيكم الله الخ فاعطى
ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن الخطاب
وقوله تعالى مما قل منه او كثر بدل من ما الاخيرة باعادة الجار واليها يعود الضمير المجرور وهذا البدل
مراد من الجملة الاولى ايضا محذوف للتعويل على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الاموال
ببعض الورثة كالخيل والات الحرب للرجال وتحقيق ان لكل من الفريقين حقا من كل ما جل ودق
نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة او على
الاختصاص كالبة اذ المعنى ثبت لهم نصيب كائن مما ترك الوالدان والاقربون حال كونه مفروضا
او على الاختصاص اي اعني نصيبا مقطوعا مفروضا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض لم يسقط
حقه واذا حضر القسمة اي قسمة التركة وانما قدمت مع كونها مفعولا لانها المبحوث عنها ولان في الفاعل
تعددا فلو روعي الترتيب يفوت تجاذب اطراف الكلام اولو القربى ممن لا يرث واليتامى و
المساكين من الاجانب فارزقوهم منه اي اعطوهم شيئا من المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة وقيل الضمير
لما وهو امر ندب كلف به البالغون من الورثة تطييبا لقلوب الطوائف المذكورة وتصدقا عليهم وقيل
امر وجوب ثم اختلف في نسخه وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم و
يعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر
للاوصياء بان يخشوا الله تعالى ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف
بعد وفاتهم او لمن حضر المريض من العواد عند الايصاء بان يخشوا ربهم ويخشوا اولاد المريض ويشفقوا
عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوا ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر
القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم
ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للمؤمنين ان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في
حيزها صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ورثة ضعافا
خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود والعلة فيه وبعث على الترحم وان
يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاد نفسه وتهديد للمخالف بحال اولاده وقرئ ضعفاء وضعافى
وضعافى فليتقوا الله في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وليقولوا قولا سديدا
امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعدما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا نفع للاول
بدون الثاني ثم امرهم بان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب

او لم يبق ما يصده عن الاسراف فى الوصية وتضييع الورثة وتذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضر
القسمة عذرا او وعدا حسنا او يقولوا فى الوصية ما لا يؤدى الى تجاوز الثلث ❊ ان الذين يأكلون
اموال اليتامى ❊ استئناف جيء به لتقرير مضمون ما فصل من الاوامر والنواهى ❊ ظلما ❊ اى على وجه
الظلم او ظالمين ❊ انما يأكلون فى بطونهم ❊ اى ملء بطونهم ❊ نارا ❊ اى ما يجر الى النار ويؤدى اليها وعن
ابى برزة انه قال عليه السلام يبعث الله تعالى قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال عليه
السلام الم تر ان الله تعالى يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا ❊ وسيصلون
سعيرا ❊ اى سيدخلون نارا هائلة مبهمة الوصف وقرئ بضم الياء مخففا ومشددا من الاصلاء و
التفعيل يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول
من سعرت النار اذا الهبتها روى ان آكل مال اليتيم يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن
فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم فى الدنيا وروى انه لما نزلت هذه
الاية الكريمة ثقل ذلك على الناس فاحترزوا عن مخالطة اليتامى بالكلية فصعب الامر على اليتامى
فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم الاية ❊ يوصيكم الله ❊ شروع فى تفصيل احكام المواريث المجملة فى قوله
عز وجل للرجال نصيب الخ واقسام الورثة ثلاثة قسم لا يسقط بحال وهم الآباء والاولاد والازواج
فهؤلاء قسمان والثالث الكلالة اى يأمركم ويعهد اليكم ❊ فى اولادكم ❊ اى فى اولاد كل واحد منكم اى فى
شأن ميراثهم بدأ بهم لانهم اقرب الورثة الى الميت واكثرهم بقاء بعد المورث ❊ للذكر مثل حظ الانثيين ❊
جملة مستأنفة جيء بها لتبيين الوصية وتفسيرها وقيل محلها النصب بيوصيكم على ان المعنى تعرض عليكم و
يشرع لكم هذا الحكم وهذا قريب مما رآه الفراء فانه يجرى ما كان بمعنى القول من الافعال مجراه فى
حكاية الجملة بعده ونظيره قوله عز وجل وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة الاية
وقوله عز وجل للذكر لا بد له من ضمير عائد الى الاولاد محذوف ثقة بظهوره كما فى قولهم السمن منوان
بدرهم اى للذكر منهم وقيل الالف واللام قائم مقامه والاصل لذكرهم ومثل صفة محذوف اى للذكر
منهم مثل حظ الانثيين والبداءة ببيان حكم الذكر لاظهار مزيته على الانثى كما انها المناط فى
تضعيف حظه وايثار اسمى الذكر والانثى على ما ذكر اولا من الرجال والنساء للتنصيص على
استواء الكبار والصغار من الفريقين فى الاستحقاق من غير دخل للبلوغ والكبر فى ذلك اصلا
كما هو زعم اهل الجاهلية حيث كانوا لا يورثون الاطفال كالنساء ❊ فان كن ❊ اى الاولاد
والتأنيث باعتبار الخبر اى نساء زائدات على اثنتين ❊ فلهن ثلثا ما ترك ❊ اى المتوفى المدلول
عليه بقرينة المقام ❊ وان كانت ❊ اى المولودة ❊ واحدة ❊ اى امرأة واحدة ليس معها اخ ولا اخت
وعدم التعرض للموصوف لظهوره كما سبق ❊ فلها النصف مما ترك ❊ وقرئ واحدة على كان التامة
واختلف فى البنتين فقال ابن عباس رضى الله عنهما حكمهما حكم الواحدة لانه عز وجل جعل
الثلثين لما فوقهما وقال الجمهور حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ
الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك
ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت

ان البنت الواحدة لما كانت تستحق الثلث مع اخيها الاقوى منها فلان تستحقه مع مثلها اولى واحرى و
ان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض الله تعالى لهما الثلثين حيث قال تعالى فلهما الثلثان مما
ترك ❊ ولابويه ❊ اى لابوى الميت غير النظم الكريم لعدم اختصاص حكمه بما قبله من الصور ❊ لكل
واحد منهما ❊ بدل منه بتكرير العامل وسط بين المبتدأ الذى هو قوله تعالى ❊ السدس ❊ وبين خبره
الذى هو لابويه ونقل الخبرية اليه تنصيص على استحقاق كل منهما السدس وتأكيد له بالتفصيل بعد
الاجمال وقرئ السدس بسكون الدال تخفيفا وكذلك الثلث والربع والثمن ❊ مما ترك ❊ متعلق
بمحذوف او وقع حالا من السدس والعامل الاستقرار المعتبر فى الخبر اى كائنا مما ترك المتوفى
❊ ان كان له ولد ❊ او ولد ابن ذكرا كان او انثى واحدا او متعددا غير ان الاب فى صورة الانوثة
بعدما اخذ فرضه المذكور يأخذ ما بقى من ذوى الفروض بالعصوبة ❊ فان لم يكن له ولد ❊ ولا ولد
ابن ❊ وورثه ابواه ❊ فحسب ❊ فلامه الثلث ❊ مما ترك والباقى للاب وانما لم يذكر لعدم الحاجة اليه
لانه لما فرض انحصار الوارث فى ابويه وعين نصيب الام علم ان الباقى للاب وتخصيص جانب
الام بالذكر واحالة جانب الاب على دلالة الحال مع حصول البيان بالعكس ايضا لما ان حظها اخصر
واستحقاقه اتم واوفر ولان استحقاقه بطريق العصوبة دون الفرض هذا اذا لم يكن معهما احد
الزوجين اما اذا كان معهما ذلك فللام ثلث ما بقى بعد فرض احدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن
عباس رضى الله عنهما فانه يفضى الى تفضيل الام على الاب مع كونه اقوى منها فى الارث بدليل اضعافه عليها عند
انفرادهما عن احد الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع ❊ فان
كان له اخوة ❊ اى عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من جهة الابوين او
من جهة احدهما وسواء كانوا ذكورا او اناثا او مختلطين وسواء كان لهم ميراث او كانوا محجوبين
بالاب ❊ فلامه السدس ❊ واما السدس الذى حجبوها عنه فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه
الجمهور وعند ابن عباس رضى الله عنهما انه لهم على كل حال خلا ان هذا الحجب عنده لا يتحقق بما دون
الثلث وبالاخوات الخلص وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا لما قبلها ❊ من بعد وصية ❊ خبر مبتدأ
محذوف والجملة متعلقة بالتقدم جميعا لا بما يليها وحده اى هذه الانصباء للورثة من بعد اخراج
وصية ❊ يوصى بها ❊ اى الميت وقرئ مبنيا للمفعول مخففا ومبنيا للفاعل مشددا وفائدة الوصف
الترغيب فى الوصية والندب اليها ❊ او دين ❊ عطف على وصية الا انه غير مقيد بما قيدت به من
الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة او الاقرار فى الصحة وايثار او المفيدة للاباحة على
الواو الدالة على تساويهما فى الوجوب وتقدمهما على القسمة مجموعين او مفردين وتقديم الوصية
على الدين ذكرا مع تأخرها عنه حكما لاظهار كمال العناية بتنفيذها لكونها مظنة للتفريط فى ادائها
لاطرادها بخلاف الدين ❊ آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا ❊ الخطاب للورثة فآباؤكم
مبتدأ وابناؤكم عطف عليه ولا تدرون خبره وايهم مبتدأ واقرب خبره ونفعا نصب على التمييز
منه وهو منقول من الفاعلية كانه قيل ايهم اقرب لكم نفعه والجملة فى حيز النصب بلا تدرون
والجملة الكبيرة اعتراضية مؤكدة لوجوب تنفيذ الوصية اى اصولكم وفروعكم الذين يتوفون

الام علاه

لا تدرون ايهم انفع لكم أمن يوصي ببعض ماله فيعرضكم لثواب الآخرة بتنفيذ وصيته ام من لا يوصي
بشيء فيوفر عليكم عرض الدنيا وليس المراد بنفي الدراية عنهم بيان اشتباه الامر عليهم وكون انفعية
كل من الاول والثاني في حيز الاحتمال عندهم من غير رجحان احدهما على الآخر كما في قوله عز وجل مثل
امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير ام آخره فان ذلك بمعزل من افادة التأكيد المذكور والترغيب
في تنفيذ الوصية بل تحقيق انفعية الاول في ضمن التعريض بان لهم اعتقادا بانفعية الثاني مبنيا
على عدم الدراية وقد اشير الى ذلك حيث عبر عن الانفعية باقربية النفع تذكيرا لمناط زعمهم
وتعيينا لمنشأ خطائهم ومبالغة في الترغيب المذكور بتصوير الثواب الآجل بصورة العاجل لما
ان الطبائع مجبولة على حب الخير الحاضر كأنه قيل لا تدرون ايهم انفع لكم فتحكمون نظرا الى ظاهر
الحال وقرب المنال بانفعية الثاني مع ان الامر بخلافه فان ثواب الآخرة لتحقق وصوله الى صاحبه
ودوام تمتعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحيوة الدنيا اقرب واحضر وعرض الدنيا لسرعة
نفاذه وفنائه ابعد واقصى وقيل الخطاب للمورثين والمعنى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من
اصولكم وفروعكم عاجلا وآجلا فتحروا في شأنهم ما اوصاكم الله تعالى به ولا تعمدوا الى تفضيل
بعض وحرمان بعض روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سأل
ان يرفع اليه صاحبه فيرفع اليه بشفاعته وقيل فالجملة الاعتراضية حينئذ مؤكدة لامر القسمة وانت
خبير بانه مشعر بان مدار الارث ما ذكر من اقربية النفع مع انه العلاقة النسبية. فريضة من الله
نصبت نصب مصدر مؤكد لفعل محذوف اي فرض الله ذلك فرضا او لقوله تعالى يوصيكم الله فانه
في معنى يأمركم ويفرض عليكم. ان الله كان عليما اي بالمصالح والرتب حكيما في كل ما قضى
وقدر فيدخل فيه الاحكام المذكورة دخولا اوليا. ولكم نصف ما ترك ازواجكم من المال شروع
في بيان احكام القسم الثاني من الورثة ووجه تقديم حكم ميراث الرجال مما لا حاجة الى ذكره. ان
لم يكن لهن ولد اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا
كان او انثى واحدا كان او متعددا لان لفظ الولد ينتظم الجميع منكم او من غيركم والباقي لورثتهن
من ذوي الفروض والعصبات او غيرهم ولبيت المال ان لم يكن لهن وارث آخر اصلا
فان كان لهن ولد على نحو ما فصل والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ذكر تقدير عدم الولد
وبيان حكمه مستتبع لتقدير وجوده وبيان حكمه. فلكم الربع مما تركن من المال والباقي لباقي الورثة
من بعد وصية متعلق بكلتا الصورتين لا بما يليه وحده. يوصين بها في محل الجر على انه صفة
لوصية وفائدتها ما مر من ترغيب الميت في الوصية وحث الورثة على تنفيذها. او دين عطف
على وصية سواء كان ثبوته بالبينة او بالاقرار وايثار او على الواو للدلالة على تساويهما
في الوجوب والتقدم على القسمة وكذا تقديم الوصية على الدين ذكرا لما ذكر من ابراز العناية
بتنفيذها. ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد على التفصيل المذكور آنفا والباقي لبقية ورثتكم
من اصحاب الفروض والعصبات او ذوي الارحام او لبيت المال ان لم يكن لكم وارث آخر اصلا
فان كان لكم ولد على النحو الذي فصل. فلهن الثمن مما تركتم من المال والباقي للباقين. من

بعد وصية توصون بها او دين الكلام فيه كما فصل في نظيره فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما فرض للمرأة
كما في النسب لمزيته عليها وشرفه الظاهر ولذلك اختص بتشريف الخطاب وهكذا قياس كل رجل وامرأة
اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوي الواحدة والعدد
منهن في الربع والثمن. وان كان رجل شروع في بيان احكام القسم الثالث من الورثة المحتمل للسقوط
ووجه تأخيره عن الاولين بين والمراد بالرجل الميت وقوله عز وجل يورث على البناء للمفعول من
ورث لا من اورث خبر كان اي يورث منه. كلالة الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب
القوة من الاعياء استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها بالاضافة الى قرابتهما وتطلق على
من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين بمعنى ذي كلالة كما تطلق على ذوي
القرابة وقد جوز كونها صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق فنصبها اما على انها مفعول له اي يورث منه لاجل
القرابة المذكورة او على انها حال من ضمير يورث اي حال كونه ذا كلالة ليس له والد ولا ولد وقرئ يورث
على البناء للفاعل مخففا ومشددا فانتصاب كلالة اما على انها حال من ضمير الفعل والمفعول محذوف اي يورث
وارثه حال كونه ذا كلالة واما على انها مفعول به اي يورث ذا كلالة واما على انها مفعول له اي يورث
لاجل الكلالة. او امرأة عطف على رجل مقيد بما قيد به اي او امرأة تورث كلالة ولعل فصل ذكرها
عن ذكره للايذان بشرفه واصالته في الاحكام. وله اي للرجل فقط تأكيدا للايذان المذكور حيث
لم يتعرض لها بعد جريان ذكرها وقيل الضمير لكل منهما. اخ او اخت اي من الام فحسب وقد قرئ
كذلك فان احكام بني الاعيان والعلات هي التي ذكرت في آخر السورة الكريمة والجملة في محل النصب على
انها حال من ضمير يورث او من رجل على تقدير كون يورث صفة له ومساقها لتصوير المسألة وذكر
الكلالة لتحقيق جريان الحكم المذكور وان كان مع من ذكر ورثة اخرى بطريق الكلالة واما جريانه
في صورة وجود الام او الجدة مع ان قرابتهما ليست بطريق الكلالة فبالاجماع. فلكل واحد منهما
من الاخ والاخت السدس من غير تفضيل للذكر على الانثى لان الادلاء الى الميت بمحض الانوثة
فان كانوا اكثر من ذلك اي اكثر من الاخ والاخت المنفردين بواحد او باكثر والفاء لما مر
من ان ذكر الانفراد مستتبع لذكر احتمال التعدد. فهم شركاء في الثلث يقتسمونه بالسوية والباقي
لبقية الورثة من اصحاب الفروض والعصبات هذا واما تجويز ان يكون يورث في القراءة المشهورة
مبنيا للمفعول من اورث على ان المراد به الوارث والمعنى وان كان رجل يجعل وارثا لاجل الكلالة
او ذا كلالة اي غير والد ولا ولد ولذلك الوارث اخ او اخت فلكل واحد من ذلك الوارث واخيه
او اخته السدس فان كانوا اكثر من ذلك اي من الاثنين بان كانوا ثلاثة او اكثر فهم شركاء في
الثلث الموزع للاثنين لا يزاد عليه شيء فمعزول من السداد اولا فلان المعتبر على ذلك التقدير انما
هي الاخوة بين الوارث وبين شريكه في الارث من اخيه واخته لا بينه وبين مورثه من الاخوة
التي عليها يترتب حكم الارث وبها يتم تصوير المسألة وانما المعتبر بينهما الوراثة بطريق الكلالة وهي
عامة لجميع صور القرابات التي لا تكون بالولاد ومن ادعى اختصاصها بالاخوة لام متمسكا بالاجماع
على ان المراد بالكلالة اولاد الام فقد اعترف ببطلان رأيه من حيث لا يحتسب كيف لا ومبناه انما هو

الاجماع على ان المراد بالاخوة في قوله عز وجل وله اخ او اخت هو الاخوة لام خاصة حسبما شهدت به القراءة
المحكية والاية الاتية في اخر السورة الكريمة ولولا ان الرجل عبارة عن الميت والاخوة معتبرة بينه و
بين ورثته لما امكن كون الحكم اولاد الام ثم ان الكلالة كما بنيت عليه باقية على اطلاقها ليس فيها شائبة
اختصاص باولاد الام فضلا عن الاجماع على ذلك والا لاقتصر البيان على حكم صورة انحصار الورثة فيهم و
انما الاجماع فيما ذكر من ان المراد بالاخ والاخت من كان لام خاصة وانت خبير بان ذلك في قوة
الاجماع على ان يورث من ورث لا من اورث فتدبر واما ثانيا فلانه يقتضي ان يكون المعتبر في استحقاق
الورثة للفرض المذكور اخوة بعضهم لبعض من جهة الام فقط لما ذكر من الاجماع مع ثبوت الاستحقاق على
تقدير الاخوة من الجهتين واما ثالثا فلان حكم صورة انفراد الوارث عن الاخ والاخت يبقى حينئذ غير مبين
وليس من ضرورة كون حظ كل منهما السدس عند الاجتماع كونه كذلك عند الانفراد الا يرى ان حظ كل
من الاختين الثلث عند الاجتماع والنصف عند الانفراد واما رابعا فلان تخصيص احد الورثة
بالتوريث وجعل غيره تبعا له فيه مع اتحاد الكل في الادلاء الى المورث مما لا عهد به من بعد وصية
يوصى بها او دين الكلام فيه كالذي مر في نظائره خلا ان الدين ههنا موصوف بوصف الوصية جريا
على قاعدة تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه لاتفاق الجمهور على اعتبار عدم المضارة فيه ايضا وذلك
انما يتحقق فيما يكون بثبوته بالاقرار في المرض كانه قيل او دين يوصى به غير مضار حال من فاعل
فعل مضمر يدل عليه المذكور وما حذف من المعطوف اعتمادا عليه كما ان رجال في قوله عز وجل يسبح له
فيها بالغدو والاصال رجال على قراءة المبني للمفعول فاعل لفعل ينبئ عنه المذكور ومن فاعل الفعل
المذكور المحذوف اكتفاء به على قراءة البناء للفاعل اي يوصي بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير
مضار للورثة بان يوصي بما زاد على الثلث او تكون الوصية لقصد الاضرار بهم دون القربة وبان
يقر في المرض بدين كاذبا وتخصيص هذا القيد بهذا المقام لما ان الورثة مظنة لتفريط الميت في حقهم
وصية من الله مصدر مؤكد لفعل محذوف وتنوينه للتفخيم ومن متعلقة بمضمر وقع صفة له مؤكدة
لفخامته الذاتية بالفخامة الاضافية اي يوصيكم بذلك وصية كائنة من الله كقوله تعالى فريضة من
الله ولعل السر في تخصيص كل منهما الاشعار بما بين الاحكام المتعلقة بالاصول والفروع وبين الاحكام
المتعلقة بغيرهم من التفاوت حسب تفاوت الفريضة والوصية وان كانت كلتاهما واجبة المراعاة
او منصوب بغير مضار على انه مفعول به فانه اسم فاعل معتمد على ذي الحال او منفي معنى فيعمل في المفعول
الصريح ويعضده القراءة بالاضافة اي غير مضار لوصيته الله وعهده لا في شأن الاولاد فقط
كما قيل اذ لا تعلق لهم بالمقام بل في شأن الورثة المذكورة ههنا فان الاحكام المفصلة كلها مندرجة
تحت قوله عز وجل يوصيكم الله جارية مجرى تفسيره وبيانه ومضارتها الاخلال بحقوقهم ونقصها بما ذكر
من الوصية بما زاد على الثلث والوصية لقصد الاضرار دون القربة والاقرار بالدين كاذبا و
ايقاعها على الوصية مع انها واقعة على الورثة حقيقة كما في قوله عز وجل يا سارق الليلة اهل الدار
للمبالغة في الزجر عنها باخراجها مخرج مضارة امر الله تعالى ومضادته وجعل الوصية عبارة عن
الوصية بالثلث فما دونه يقتضي ان يكون غير مضار حالا من ضمير الفعل المتعلق بالوصية فقط وذلك

وذلك يؤدي الى الفصل بين الحال وعاملها باجنبي هو المعطوف على وصية مع انه لا تتحقق به مادة المضارة لبناء الاقرار
بالدين على اطلاقه والله عليم بالمضارة وغيره حليم لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتر بالامهال وايراد
الاسم الجليل مع كفاية الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت
في شئون اليتامى والمواريث وغيرها حدود الله اي شرائعه المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن
يطع الله ورسوله في جميع الاوامر والنواهي التي من جملتها ما فصل ههنا واظهار الاسم الجليل لما ذكر انفا
يدخله جنات نصب على الظرفية عند الجمهور وعلى المفعول عند الاخفش تجري من تحتها الانهار
صفة لجنات منصوبة حسب انتصابها خالدين فيها حال مقدرة من مفعول يدخله وصيغة الجمع بالنظر
الى جمعية من بحسب المعنى كما ان افراد الضمير بالنظر الى افراده لفظا وذلك اشارة الى ما مر من حوز
الجنات الموصوفة بما ذكر على وجه الخلود وما فيه من معنى البعد مع ايذان بكمال علو درجته الفوز العظيم
الذي لا فوز وراءه من وصف الفوز وهو الظفر بالعظم اما باعتبار متعلقه او باعتبار ذاته فان الفوز
بالعظيم عظيم والجملة اعتراض ومن يعص الله ورسوله ولو في بعض الاوامر والنواهي قال مجاهد
فيما اقتص من المواريث وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال
الله وقال الكلبي يعني ومن يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحلالا والاظهار في موقع الاضمار
للمبالغة في الزجر بتهويل الامر وتربية المهابة ويتعد حدوده شرائعه المحدودة في جميع الاحكام
فيدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا يدخله وقرئ بنون العظمة في الموضعين نارا اي عظيمة
هائلة لا يقادر قدرها خالدا فيها حال كما سبق ولعل ايثار الافراد ههنا نظرا الى ظاهر اللفظ واختيار
الجمع هناك نظرا الى المعنى للايذان بان الخلود في دار الثواب بصفة الاجتماع اجلب للانس كما ان
الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد اشد في استجلاب الوحشة وله عذاب مهين اي وله مع
عذاب الحريق الجسماني عذاب اخر مبهم لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه
والجملة حالية واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم شروع في بيان بعض اخر من الاحكام المتعلقة
بالنساء اثر بيان احكام المواريث واللاتي جمع التي بحسب المعنى دون اللفظ وقيل جمع على غير
قياس والفاحشة الفعلة القبيحة اريد بها الزنا لزيادة قبحه والاتيان الفعل والمباشرة يقال
اتى الفاحشة فعلها وباشرها وكذا جاءها ورهقها وغشيها وقرئ بالفاحشة فالاتيان بمعناه المشهور
ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل يأتين اي اللاتي يفعلن الزنا كائنات من نسائكم
اي من ازواجكم كما في قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم وقوله تعالى من نسائكم اللاتي دخلتم
بهن وبه قال السدي فاستشهدوا عليهن اربعة منكم خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية
ما في حيز الصلة للحكم اي فاطلبوا ان يشهد عليهن باتيانها اربعة من رجال المؤمنين واحرارهم
فان شهدوا عليهن بذلك فامسكوهن في البيوت اي فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا عليهن
حتى يتوفاهن الى ان يستوفي ارواحهن الموت وفيه تهويل للموت وابراز له في صورة من
يتولى قبض الارواح وتوفيها او يتوفاهن ملائكة الموت او يجعل الله لهن سبيلا اي يشرع
لهن حكما خاصا بهن ولعل التعبير عنه بالسبيل للايذان بكونه طريقا مسلوكا فليس فيه دلالة على كونه

أخف منه كما قاله أبو مسلم ﴿واللذان يأتيانها منكم﴾ هما الزاني والزانية بطريق التغليب قال السدي أريد بهما البكران منهما كما ينبئ عنه كون عقوبتهما أخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار خلا أنه يبقى حكم الزاني المحصن مهملا لاختصاص العقوبة الأولى بالمحصنات وعدم ظهور الحاجة بأحد الحكمين دلالة لخفاء الشركة في المناط ﴿فآذوهما﴾ أي بالتوبيخ والتقريع وقيل بالضرب بالنعال أيضا وظاهر أن إجراء هذا الحكم أيضا إنما يكون بعد الثبوت لكن ترك ذكره تعويلا على ما ذكر آنفا ﴿فإن تابا﴾ عما فعلا من الفاحشة بسبب ما لقيا من زواجر الأذية والتوبيخ وقوارع التوبيخ كما ينبئ عنه الفاء ﴿وأصلحا﴾ أي أعمالهما ﴿فأعرضوا عنهما﴾ بقطع الأذية والتوبيخ فإن التوبة والصلاح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب وقد جوز أن يكون الخطاب للشهود الواقفين على هناتهما ويراد بالإيذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع إلى الولاة وبالإعراض عنهما ترك التعرض لهما بالرفع إليهم قيل كانت عقوبة الزانيين المذكورين في أوائل الإسلام على ما مر من التفصيل ثم نسخ بالحد لما روي أن النبي عليه السلام قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب ترجم والبكر تجلد وقيل هذه الآية سابقة على الأولى نزولا وكانت عقوبة الزناة مطلق الأذى ثم الحبس ثم الجلد ثم الرجم وقد جوز أن يكون الأمر بالحبس غير منسوخ بأن يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بإمساكهن في البيوت بعد إقامة الحد صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال ولا يخفى أنه مما لا يساعده النظم الكريم وقال أبو مسلم وقد عزاه إلى مجاهد أن الأولى في السحاقات وهذه في اللواطين وما في سورة النور في الزناة والزواني مستدلا بأن المذكور في الأولى صيغة الإناث خاصة وفي الثانية صيغة الذكور ولا ضرورة إلى المصير إلى التغليب على أنه لا إمكان له في الأولى ويأباه الأمر باستشهاد الأربعة فإنه غير معهود في الشرع فيما عدا الزنا ﴿إن الله كان توابا﴾ مبالغا في قبول التوبة ﴿رحيما﴾ واسع الرحمة وهو تعليل للأمر بالإعراض ﴿إنما التوبة على الله﴾ استئناف مسوق لبيان أن قبول التوبة من الله تعالى ليس على إطلاقه كما ينبئ عنه وصفه تعالى بكونه توابا رحيما بل هو مقيد بما سينطق به النص الكريم فقوله التوبة مبتدأ وقوله تعالى ﴿للذين يعملون السوء﴾ خبره وقوله تعالى على الله متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار فإن تقديم الجار والمجرور على عامله مما لا نزاع في جوازه وكذا الظرف أو بمحذوف وقع حالا من ضمير المبتدأ المستكن فيما تعلق به الخبر على رأي من جوز تقديم الحال على عاملها المعنوي عند كونها ظرفا أو حرف جر كما سبق في تفسير قوله تعالى ولله على الناس حج البيت وأيا ما كان فمعنى كون التوبة عليه سبحانه صدور القبول عنه تعالى وكلمة على للدلالة على التحقيق البتة بحكم جري العادة وسبق الوعد حتى كأنه من الواجبات على الله سبحانه وهذا مراد من قال كلمة على بمعنى من وقيل هي بمعنى عند وعن الحسن يعني التوبة التي يقبلها الله تعالى وقيل أي التوبة التي أوجب الله تعالى على نفسه بفضله قبولها وهذا يشير إلى أن قوله تعالى صفة للتوبة بتقدير متعلقه معرفة على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته أي إنما التوبة الكائنة على الله تعالى والمراد بالسوء المعصية صغيرة كانت أو كبيرة وقيل الخبر على الله وقوله تعالى للذين متعلق بما تعلق به الخبر أو بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في متعلق الخبر ويأبى عنه ما في الوجه الأول من تقديم الحال على العامل المعنوي إلا أن الذي يقتضيه المقام ويستدعيه النظام هو الأول لما أن ما قبله من وصفه تعالى بكونه توابا رحيما

إنما يقتضي بيان اختصاص قبول التوبة منه تعالى بالمذكورين وذلك إنما يكون بجعل قوله عز وجل للذين خبرا لا غير إلى قوله عز وجل ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات﴾ فإنه ناطق بما قلنا كأنه قيل إنما التوبة لهؤلاء لا لهؤلاء ﴿بجهالة﴾ متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يعملون السوء أي يعملونه ملتبسين بها أي جاهلين سفهاء أو بيعملون على أن الباء سببية أي يعملونه بسبب الجهالة لأن ارتكاب الذنب مما يدعو إليه الجهل وليس المراد به عدم العلم بكونه سوءا بل عدم التفكر في العاقبة كما يفعله الجاهل قال قتادة اجتمع أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فرأوا أن كل شيء عصي به فهو جهالة عمدا كان أو خطأ وعن مجاهد من عصى الله تعالى فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقال الزجاج يعني بقوله بجهالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية ﴿ثم يتوبون من قريب﴾ أي من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله تعالى حتى إذا حضر الخ فإنه صريح في أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا يقبل فيه التوبة فبقي ما وراءه في حيز القبول وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبل أن ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن إبراهيم النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وهو مجرى النفس وروى أبو أيوب عن النبي عليه السلام إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن أن إبليس قال حين أهبط إلى الأرض وعزتك لا أفارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال تعالى وعزتي لا أغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر ومن تبعيضية أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب ﴿فأولئك﴾ إشارة إلى المذكورين من حيث اتصافهم بما ذكر وما فيه من معنى البعد باعتبار كونهم بانقضاء ذكرهم في حكم البعيد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿يتوب الله عليهم﴾ وما فيه من تكرير الإسناد لتقوية الحكم وهذا وعد بقبول توبتهم إثر بيان أن التوبة لهم والفاء للدلالة على سببيتها للقبول ﴿وكان الله عليما حكيما﴾ مبالغا في العلم والحكمة فيبني أحكامه وأفعاله على أساس الحكمة والمصلحة والجملة اعتراضية مقررة لمضمون ما قبلها وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار للإشعار بعلة الحكم فإن الألوهية منشأ لاتصافه تعالى بصفات الكمال ﴿وليست التوبة للذين يعملون﴾ تصريح بما فهم من قصر القبول على توبة من تاب من قريب وزيادة تعيين له ببيان أن توبة من عداهم بمنزلة العدم وجمع السيئات باعتبار تكرر وقوعها في الزمان المديد لا لأن المراد بها جميع أنواعها وبما مر من السوء نوع منها ﴿حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾ حتى حرف ابتداء والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها أي ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات إلى حضور موتهم وقولهم حينئذ إني تبت وذكر الآن لمزيد تعيين الوقت وإيثار قال على تاب لإسقاط ذلك عن درجة الاعتبار والتحاشي عن تسميته توبة ﴿ولا الذين يموتون وهم كفار﴾ عطف على الموصول الذي قبله أي ليس قبول التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء وإنما ذكر هؤلاء مع أنه لا توبة لهم رأسا مبالغة في بيان عدم قبول توبة المسوفين وإيذانا بأن وجودها كعدمها بل في تكرير حرف النفي في المعطوف إشعار خفي بكون حال المسوفين في عدم استتباع الجدوى أقوى من حال الذين يموتون على الكفر والمراد بالموصولين إما الكفار خاصة أو الفساق وحدهم وتسميتهم في الجملة الحالية كفارا للتغليظ كما في قوله تعالى ومن كفر فإن الله غني عن العالمين

واما من يعم الفريقين جميعا فالتسمية ح للتغليب ويجوز ان يراد بالاول الفسقة وبالثاني الكفرة ففيه مبالغة اي
اولئك" اشارة الى الفريقين وما فيه من معنى البعد للايذان بتراخي حالهم في الفظاعة وبعد منزلتهم في السوء
وهو مبتدأ خبره "اعتدنا لهم" اي هيأنا لهم "عذابا اليما" تكرير الاسناد لما مر من تقوية الحكم وتقديم الجار
والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بكون العذاب معدا لهم وتنكير العذاب ووصفه للتفخيم الذاتي والوصفي
"يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها" كان الرجل اذا مات قريبه يلقي ثوبه على امرأته
او على خبائها ويقول ارث امرأته كما ارث ماله فيصير بذلك احق بها من كل احد ثم ان شاء تزوجها بلا صداق
غير الصداق الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا وان شاء عضلها لتفتدي بما
ورثت من زوجها وان ذهبت المرأة الى اهلها قبل القاء الثوب فهي احق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل لا
يحل لكم ان تأخذوهن بطريق الارث على زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات عليه
وقيل كانوا يمسكونهن حتى يمتن ويرثوا منهن فقيل لهم لا يحل لكم ذلك وهن غير راضيات بامساككم وقرئ لا تحل
بالتاء الفوقانية على ان ترثوا بمعنى الوراثة وقرئ كرها بضم الكاف وهو لغة كالضعف والضعف وكان الرجل
اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل
لهم "ولا تعضلوهن" عطفا على ترثوا ولا لتاكيد النفي والخطاب للازواج والعضل الحبس والتضييق
ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها فخرج بعضه وبقي بعضه اي ولا ان تضيقوا عليهن "لتذهبوا
ببعض ما اتيتموهن" اي من الصداق بان يدفعن اليكم بعضه اضطرارا فتأخذوه منهن وانما لم يتعرض لفعلهن
ايذانا بكونه في منزلة العدم لصدوره عنهن اضطرارا وانما عبر عن ذلك بالذهاب به لا بالاخذ ولا بالاذهاب
للمبالغة في تقبيحه ببيان تضمنه لامرين كل منهما محظور شنيع الاخذ والذهاب لانه عبارة عن الاذهاب مستصحبا
"الا ان يأتين بفاحشة مبينة" على صيغة الفاعل من بين بمعنى تبين وقرئ على صيغة المفعول وعلى صيغة
الفاعل من ابان بمعنى تبين اي بينة القبح من النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء و
السلاطة ويعضده قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وقيل الفاحشة الزنا وهو استثناء من اعم الاحوال
او اعم الاوقات او اعم العلل اي في حال اتيانهن بفاحشة او الا وقت اتيانهن بها او الا لاتيانهن
بها فان السبب ح يكون من جهتهن وانتم معذورون في طلب الخلع "وعاشروهن بالمعروف" خطاب
للذين يسيئون العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة والمراد ههنا النصفة في المبيت
والنفقة والاجمال في المقال ونحو ذلك "فان كرهتموهن" وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير
ان يكون من قبلهن ما يوجب ذلك من الامور المذكورة فلا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس واصبروا
على معاشرتهن "فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا" علة للجزاء اقيمت مقامه للايذان
بقوة استلزامها اياه كأنه قيل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه
خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر فقد قرب كراهتكم شيئا
وجعل الله فيه خيرا كثيرا فان النفس ربما تكره ما هو اصلح في الدين واحمد عاقبة وادنى الى الخير وتحب ما هو
بخلافه فليكن نظركم الى ما فيه خير وصلاح دون ما تهوى انفسكم وذكر الفعل الاول مع الاستغناء عنه و
انحصار العلية في الثاني للتوسل الى تعميم مفعوله ليفيد ان ترتب الخير الكثير من الله تعالى ليس مخصوصا بمكروه دون

دون مكروه بل هو سنة الهية جارية على الاطلاق حسب اقتضاء الحكمة وان ما نحن فيه مادة من موادها
وفيه من المبالغة في الحمل على ترك المفارقة وتعميم الارشاد ما لا يخفى وقرئ ويجعل مرفوعا على انه خبر لمبتدأ
محذوف والجملة حالية وتنوين خيرا للتفخيم الذاتي ووصفه بالكثرة لبيان فخامته الوصفية والمراد به
ههنا الولد الصالح وقيل الالفة والمحبة "وان اردتم استبدال زوج" اي تزوج امرأة ترغبون
فيها "مكان زوج" ترغبون عنها بان تطلقوها "واتيتم احديهن" اي احدى الزوجات فان
المراد بالزوج هو الجنس والجملة حالية باضمار قد لا معطوفة على الشرط اي وقد اتيتم التي تريدون
ان تطلقوها "قنطارا" اي مالا كثيرا "فلا تأخذوا منه" اي من ذلك القنطار "شيئا" يسيرا فضلا
عن الكثير "اتأخذونه بهتانا واثما مبينا" استئناف سيق لتقرير النهي والتنفير عن المنهي عنه و
الاستفهام للانكار والتوبيخ اي اتأخذونه باهتين وآثمين او للبهتان والاثم فان احدهم كان اذا تزوج
امرأة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا
عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه ويدهشه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك
فسر ههنا بالظلم وقوله عز وجل "وكيف تأخذونه" انكار لاخذه اثر انكار وتنفير عنه عقب تنفير وقد
بولغ فيه حيث وجه الانكار الى كيفية الاخذ ايذانا بانه لا سبيل له الى التحقق والوقوع اصلا لان ما يدخل
تحت الوجود لا بد ان يكون على حال من الاحوال فاذا لم يكن لشيء حال اصلا لم يكن له حظ من الوجود
قطعا وقوله عز وجل "وقد افضى بعضكم الى بعض" حال من فاعل تأخذونه مفيدة لتأكيد النكير و
تقرير الاستبعاد اي على اي حال او في اي حال تأخذونه والحال انه قد جرى بينكم وبينهن احوال
منافية له من الخلوة وتقرر المهر وثبوت حق خدمتهن لكم وغير ذلك "واخذن منكم ميثاقا غليظا"
عطف على ما قبله داخل في حكمه اي اخذن منكم عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والمعاشرة او ما اوثق
الله تعالى عليهم في شأنهن بقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي عليه السلام
اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله "ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم" شروع في بيان
من يحرم نكاحها من النساء ومن لا يحرم وانما خص هذا النكاح بالنهي ولم ينظم في سلك نكاح المحرمات
الآتية مبالغة في الزجر عنه حيث كانوا مصرين على تعاطيه قال ابن عباس رضي الله عنهما وجمهور
المفسرين كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج ابائهم فنهوا عن ذلك واسم الاباء ينتظم الاجداد مجازا
فتثبت حرمة ما نكحوها نصا واجماعا ويستقل في اثبات هذه الحرمة نفس النكاح اذا كان صحيحا واما اذا كان
فاسدا فلا بد في اثباتها من الوطء او ما يجري مجراه من التقبيل واللمس بشهوة ونحوهما بل هو المثبت
لها في الحقيقة حتى لو وقع شيء من ذلك بحكم ملك اليمين او بالوجه المحرم يثبت به الحرمة عندنا خلافا للشافعي
في المحرم اي لا تنكحوا التي نكحها اباؤكم وايثار ما على من للذهاب الى الوصف وقيل ما مصدرية على ارادة
المفعول من المصدر "من النساء" بيان لما نكح على الوجهين "الا ما قد سلف" استثناء مما نكح مفيد للمبالغة
في التحريم باخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول
من قراع الكتائب والمعنى لا تنكحوا حلائل ابائكم الا من ماتت منهن والمقصود سد طريق الاباحة
بالكلية ونظيره قوله عز وجل حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل هو استثناء مما يستلزمه النهي ويستوجبه

مباشرة المنهي عنه كانه قيل لا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء فانه موجب للعقاب الا ما قد سلف وقيل الاستثناء
منقطع معناه لكن ما قد سلف لا مؤاخذة عليه لانه مقرر ويأباه انه كان فاحشة ومقتا فانه تعليل
للنهي وبيان لكون المنهي عنه غاية القبح مبغوضا غاية البغض وانه لم يزل في حكم الله وعلمه موصوفا بذلك
ما رخص فيه لامة من الامم فلا يلائم ان يتوسط بينهما ما يهون امره من ترك المؤاخذة على ما قد سلف
منه وساء سبيلا في كلمة ساء قولان احدهما انها جارية مجرى بئس في الذم والعمل ففيها ضمير مبهم
يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف تقديره وساء سبيلا سبيل ذلك النكاح كقوله تع بئس الشراب
اي ذلك الماء وثانيهما انها كسائر الافعال وفيها ضمير يعود الى ما عاد اليه ضمير انه وسبيلا تمييز والجملة
اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او معطوفة على خبر كان محكية بقول مضمر هو المعطوف في الحقيقة
تقديره ومقولا في حقه ساء سبيلا فان السنة الامم كافة لم تزل ناطقة بذلك في الاعصار والامصار
قيل مراتب القبح ثلث القبح العقلي والقبح الشرعي والقبح العادي وقد وصف الله تع هذا النكاح
بكل ذلك فقوله عز وجل فاحشة مرتبة قبحه العقلي وقوله تع ومقتا مرتبة قبحه الشرعي وقوله تعالى وساء سبيلا
مرتبة قبحه العادي وما اجتمع فيه هذه المراتب فقد بلغ اقصى مراتب القبح حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم
وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن وما يقصد به
من التمتع بهن وبيان امتناع ورود ملك النكاح عليهن وانتفاء محليتهن له راسا واما حرمة التمتع بهن
بملك اليمين في المواد التي يتصور فيها قرار الملك كما في بعض سياق المعطوفات على تقدير رقهن فثابتة
بدلالة النص لاتحاد المدار والمدار الذي هو عدم محلية ابعاضهن للملك لا بعبارته بشهادة النظم الكريم
وسياقه واما لم يوجب المدار المذكور امتناع ورود ملك اليمين عليهن راسا ولا حرمة سببه الذي
هو العقد او ما يجري مجراه كما اوجب حرمة عقد النكاح وامتناع ورود حكمه عليهن لان مورد ملك
اليمين ليس هو البضع الذي هو مورد ملك النكاح حتى يفوت بفوات محليته له كملك النكاح فانه حيث
كان مورده ذلك فات بفوات محليته له قطعا وانما مورده الرقبة الموجودة في كل رقيق فيتحقق
تحقق محله حتما ثم يزول بوقوع العتق في المواد التي سبب حرمتها محض القرابة العينية كما ذكرت
ويبقى في البواقي على حاله مستتبعا لجميع احكامه المقصودة منه شرعا واما حل الوطئ فليس من تلك الاحكام
فلا ضير في تخلفه عنه كما في المجوسية والامهات تعم الجدات وان علون والبنات تتناول بناتهن
وان سفلن والاخوات ينتظمن الاخوات من الجهات الثلث وكذا الباقيات والعمة كل انثى
ولدها من ولد والدك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى و
امهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله تع الرضاعة منزلة النسب حتى سمى
المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته و
كل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة
جدته واختها خالته وكل من ولدها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن
ولدها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب حيث
سمى المرضعة اما للرضيع اه وهو حكم كلي جار على عمومه واما ام اخيه لاب واخت ابنه لام وام ام

ابنه وام عمه وام خاله لاب فليست حرمتهن من جهة النسب حتى تحل بعمومه ضرورة حلهن في صور الرضاع
بل من جهة المصاهرة الا يرى ان الاولى موطوءة ابيه والثانية بنت موطوءته والثالثة ام موطوءته
والرابعة موطوءة جده الصحيح والخامسة موطوءة جده الفاسد وامهات نسائكم شروع في بيان
المحرمات من جهة المصاهرة اثر بيان المحرمات من جهة الرضاعة التي لها لحمة كلحمة النسب والمراد بالنساء
المنكوحات على الاطلاق سواء كن مدخولا بهن او لا وعليه جمهور العلماء وقد روي عن النبي عليه السلام
انه قال في رجل تزوج امراة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس بان يتزوج بنتها ولا تحل ان
يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة
فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله خلا انه روي عنه وعن علي وزيد وابن
عمر وابن الزبير رضي الله عنهم قرأوا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وعن جابر روايتان
وعن سعيد بن المسيب عن زيد انه اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل
ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت في ذلك مقام الدخول كما قام مقامه في باب المهر والعدة و
يلحق بهن الموطوءات بوجه من الوجوه المعدودة فيما سبق والممسوسات ونظائرهن والامهات
تعم الجدات حسبما ذكر وربائبكم اللاتي في حجوركم الربائب جمع ربيبة فعيل بمعنى مفعول والتاء
للنقل الى الاسمية والربيب ولد المراة من اخر سمي به لانه يربه غالبا كما يرب ولده وان
لم يكن ذلك امرا محظورا وهو المعنى بكونهن في الحجور فان شانهن الغالب المعتاد ان يكن
في حضانة امهاتهن تحت حماية ازواجهن لا كونهن كذلك بالفعل وفائدة وصفهن بذلك
تقوية علة الحرمة وتكميلها كما انها النكتة في ايرادهن باسم الربائب دون بنات النساء
فان كونهن بصدد احتضانهم لهن وفي شرف التقلب في حجورهم وتحت حمايتهم وتربيتهم مما
يقوي الملابسة والشبه بينهن وبين اولادهم ويستدعي اجراءهن مجرى بناتهم لا تقييد الحرمة
بكونهن في حجورهم بالفعل كما روي عن علي رضي الله تع عنه وبه اخذ داود ومذهب جمهور
العلماء ما ذكر اولا بخلاف ما في قوله تع من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانه لتقييدها به قطعا
فان كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم او من ضميرها المستكن في الظرف لانه لما
وقع صلة تحمل ضميرا اي وربائبكم اللاتي استقررن في حجوركم كائنات من نسائكم ولا مساغ
لجعله حالا من امهات او مما اضيفت هي اليه خاصة وهو بين لا سترة فيه ولا مع ما ذكر اولا
ضرورة ان حاليته من ربائبكم او من ضميرها تقتضي كون كلمة من ابتدائية وحاليته من امهات
او نسائكم تستدعي كونها بيانية وادعاء كونها اتصالية ينتظم لمعنى الابتداء والبيان او جعل
الموصول صفة للنسائين مع اختلاف عاملهما مما يجب صيانة التنزيل عن امثاله مع انه يبقى
في اسكات ما نطق به النبي عليه السلام واتفق عليه الجمهور حسبما ذكر فيما قبل واما ما نقل من القراءة
فضعيفة بالرواية وعلى تقدير الصحة محمولة على النسخ ومعنى الدخول بهن ادخالهن الستر والباء
للتعدية وهي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفي حكمه اللمس ونظائره
كما مر فان لم تكونوا اي فيما قبل دخلتم بهن اصلا فلا جناح عليكم اي في نكاح الربائب

وهو صريح بما أشعر به ما قبله والفاء الأولى لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن بيان حكم الدخول مستتبع لبيان حكم عدمه
وحلائل أبنائكم أي زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها للزوج أو لحلولها وقيل لحل كل منهما إزار صاحبه
وفي حكمهن مزنياتهم ومن يجري مجراهن من الممسوسات ونظائرهن وقوله تعالى الذين من أصلابكم
لإخراج الأدعياء دون أبناء الأولاد والأبناء من الرضاع فإنهم وإن سفلوا في حكم الأبناء الصلبية
وأن تجمعوا بين الأختين في حيز الرفع عطفا على ما قبله من المحرمات والمراد به جمعهما في النكاح لا في ملك
اليمين وأما جمعهما في الوطء بملك اليمين فملحق به بطريق الدلالة لاتحادهما في المدار ولقوله عليه السلام
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجمعن ماءه في رحم أختين بخلاف نفس ملك اليمين فإنه ليس في معنى
النكاح في الإفضاء إلى الوطء ولا مستلزما له ولذلك يصح شراء المجوسية دون نكاحها حتى لو وطئهما لا يحل
له وطء إحداهما حتى يحرم عليه وطء الأخرى بسبب من الأسباب وكذا لو تزوج أخت أمته الموطوءة لا يحل
له وطء إحداهما حتى يحرم عليه الأخرى لأن المنكوحة موطوءة حكما فكأنه جمعهما وطئا وإسناد الحرمة إلى جمعهما
لا إلى الثانية منهما بأن يقال وأخوات نسائكم للاحتراز عن إفادة الحرمة الأبدية كما في المحرمات السابقة
ولكونه بمعزل عن الدلالة على حرمة الجمع بين الأختين على سبيل المعية ويشترك في هذا الحكم الجمع بين المرأة
وعمتها ونظائرها فإن مدار حرمة الجمع بين الأختين إفضاؤه إلى قطع ما أمر الله بوصله وذلك متحقق
في الجمع بين هؤلاء بل أولى فإن العمة والخالة بمنزلة الأم وقوله عليه السلام لا تنكح المرأة على عمتها
ولا على خالتها ولا على ابنة أخيها ولا على ابنة أختها من قبيل بيان التفسير لا بيان التغيير وقيل هو
مشهور يجوز به الزيادة على الكتاب إلا ما قد سلف استثناء منقطع أي لكن ما مضى لا تؤاخذون به
ولا سبيل إلى جعله متصلا لقصد التأكيد والمبالغة كما مر في ما سلف لأن قوله عز وجل إن الله كان غفورا
رحيما تعليل لما أفاده الاستثناء فيتحتم الانقطاع وقال عطاء والسدي معناه إلا ما كان من يعقوب
عليه السلام فإنه قد جمع بين ليا أم يهوذا وبين راحيل أم يوسف عليه السلام ولا يساعده التعليل لما
أن ما فعله يعقوب عليه السلام كان حلالا في شريعته وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان أهل الجاهلية
يحرمون ما حرم الله تعالى إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين وروى هشام ابن عبد الله عن محمد بن الحسن
أنه قال أهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات إلا اثنتين نكاح امرأة الأب والجمع بين الأختين ألا ترى
أنه قد عقب النهي عن كل منهما بقوله تعالى إلا ما قد سلف وهذا يشير إلى كون الاستثناء فيهما على سنن واحد
ويأباه اختلاف التعليلين والمحصنات بفتح الصاد وهن ذوات الأزواج أحصنهن التزوج أو
الأزواج أو الأولياء أي أعففهن عن الوقوع في الحرام وقرئ على صيغة اسم الفاعل فإنهن أحصن
فروجهن عن غير أزواجهن أو أحصن أزواجهن وقيل الصيغة للفاعل على القراءة الأولى أيضا وفتح
الصاد محمول على الشذوذ كما في نظيريه ملقح ومسهب من ألقح وأسهب قيل قد ورد الإحصان في
القرآن بإزاء أربعة معان الأول التزوج كما في هذه الآية والثاني العفة كما في قوله تعالى محصنين غير
مسافحين والثالث الحرية كما في قوله تعالى ومن لم يستطع منكم أن ينكح المحصنات والرابع الإسلام كما في قوله
تعالى فإذا أحصن قيل في تفسيره أي أسلمن وهي معطوفة على المحرمات السابقة وقوله تعالى من النساء
متعلق بمحذوف وقع حالا منها أي كائنات من النساء وفائدته تأكيد عمومها لا دفع توهم شمولها للرجال

للرجال بناء على كونها صفة للأنفس كما توهم إلا ما ملكت أيمانكم استثناء من المحصنات استثناء
النوع من الجنس أي اللاتي ملكتموهن وإسناد الملك إلى الأيمان لما أن سببه الغالب الصفقة الواقعة بها
وقد اشتهر ذلك في الأرقاء لا سيما في إناثهم وهن المرادة ههنا رعاية للمقابلة بينه وبين ملك النكاح
الوارد على الحرائر والتعبير عنهن بما لإسقاطهن بما فيهن من قصور الرق عن رتبة العقلاء وهي إما عامة
حسب عموم صلتها فالاستثناء حينئذ ليس لإخراج جميع أفرادها من حكم التحريم بطريق شمول النفي بل بطريق
نفي الشمول المستلزم لإخراج بعضها أي حرمت عليكم المحصنات على الإطلاق إلا المحصنات اللاتي ملكتموهن
فإنهن لسن من المحرمات على الإطلاق بل فيهن من لا يحرم نكاحهن في الجملة وهن المسبيات بغير
أزواجهن أو مطلقا حسب اختلاف الرأيين وإما خاصة بالمذكورات فالمعنى حرمت عليكم المحصنات
اللاتي لسن بمسبيات فإن نكاحهن مشروع في الجملة أي لغير ملاكهن وأما حلهن لهم بحكم ملك اليمين فمفهوم بدلالة
النص لاتحاد المناط لا بعبارته لما عرفت من أن مساق النظم الكريم لبيان حرمة التمتع بالمحرمات المعدودة
بحكم ملك النكاح وإنما ثبوت حرمة التمتع بهن بحكم ملك اليمين بطريق دلالة النص وذلك مما لا يجري فيه
الاستثناء قطعا وأما عدهن من ذوات الأزواج مع تحقق الفرقة بينهن وبين أزواجهن قطعا
بالتباين أو بالسبي على اختلاف الرأيين فمبني على اعتقاد الناس حيث كانوا حينئذ غافلين عن الفرقة
ألا يرى إلى ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من أنه قال أصبنا يوم أوطاس سبايا لهن
أزواج فكرهنا أن نقع عليهن فسألنا النبي عليه السلام وفي رواية عنه قلنا يا رسول الله كيف
نقع على نساء قد عرفنا أنسابهن وأزواجهن فنزلت والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم
فاستحللناهن وفي رواية أخرى عنه فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا توطأ
حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض فأباح وطأهن بعد الاستبراء وليس في ترتيب هذا الحكم على نزول
الآية الكريمة ما يدل على كونها مسوقة له فإن ذلك إنما يتوقف على إفادتها له بوجه من الوجوه
الدلالية لا على إفادتها بطريق العبارة أو نحوها هذا وقد روي عن أبي سعيد رضي الله عنه أنه قال إنها
نزلت في نساء كن يهاجرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن أزواج فيتزوجهن بعض المسلمين ثم يقدم
أزواجهن مهاجرين فنهى عن نكاحهن فالمحصنات حينئذ عبارة عن مهاجرات يتحقق أو يتوقع
من أزواجهن الإسلام والمهاجرة ولذلك لم يزل عنهن اسم الإحصان والنهي لتحريم المحقق و
تعرف حال المتوقع وإلا فما عداهن بمعزل من الحرمة واستحقاق إطلاق الاسم عليهن كيف لا وحين
انقطعت العلاقة بين المسبية وزوجها مع اتحادهما في الدين فلأن ينقطع بين المهاجرة وزوجها
أحق وأولى كما يفصح عنه قوله تعالى فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل
لهم ولا هم يحلون لهن الآية كتاب الله عليكم مصدر مؤكد أي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا
وفرضه فرضا وقيل منصوب على الإغراء بفعل مضمر أي الزموا كتاب الله وعليكم متعلق إما بالمصدر
أو بمحذوف وقع حالا منه وقيل هو إغراء آخر مؤكد لما قبله قد حذف مفعوله لدلالة ما ذكر عليه
أو بنفس عليكم على رأي من جوز تقديم المنصوب في باب الإغراء كما في قوله يا أيها المائح دلوي
دونكا إني رأيت الناس يحمدونكا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع أي هذه فرائض الله عليكم و

و قرئ كتب الله بلفظ الفعل • واحل لكم • عطف على حرمت عليكم ٭ و توسيط قوله تعالى كتاب الله عليكم بينهما للمبالغة في الحمل على المحافظة على المحرمات المذكورة و قرئ على صيغة المبني للفاعل فيكون معطوفا على الفعل و قيل بل على حرمت فانهما جملتان متقابلتان مؤسستان للتحريم و التحليل المتوطين بامر الله تعالى و لا ضير في اختلاف المسند اليه بحسب الظاهر لا سيما بعد ما اكد مع الاولى بما يدل على ان المحرم هو الله تعالى • ما وراء ذلكم • اشارة الى ما ذكر من المحرمات المعدودة اي احل لكم نكاح ما سواهن انفرادا وجمعا ولعل ايثار اسم الاشارة المتوض لوصف المشار اليه وعنوانه على الضمير المتعرض للذات فقط تذكير ما في كل واحدة منهن من العنوان الذي عليه يدور حكم الحرمة فيفهم مشاركة من في معناهن لهن فيها بطريق الاولى فان حرمة الجمع بين المرأة وعمتها و بينها و بين خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق الدلالة كما سلف وقيل ليس المراد بالاحلال الاحلال مطلقا اي على جميع الاحوال حتى يرد انه يلزم منه حل الجمع بين المرأة و عمتها و بينها و بين خالتها بطريق الجمع الا يرى ان حرمة نكاح المعتدة و المطلقة ثلثا والخامسة و نكاح الامة على الحرة و نكاح الملاعنة لا تقدح في حل نكاحهن بعد العدة و بعد التحليل و بعد تطليق الرابعة وانقضاء العدة و بعد تطليق الحرة و بعد اكذاب الملاعن نفسه وانت خبير بان الحل يجب ان يتعلق ههنا بما تعلق به الحرمة فيما سلف وقد تعلق هناك بالجمع فلا بد ان يتعلق الحل ههنا به ايضا • ان تبتغوا • متعلق بالفعلين المذكورين على انه مفعول له لكن لا باعتبار ذاتهما بل باعتبار بيانهما و اظهارهما اي بين لكم تحريم المحرمات المعدودة و احلال ما سواهن ارادة ان تبتغوا باموالكم والمفعول محذوف اي تبتغوا النساء او متروك اي تفعلوا الابتغاء باموالكم • بصرفها الى مهورهن او بدل اشتمال من وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول محصنين • حال من فاعل تبتغوا و الاحصان العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب • غير مسافحين • حال ثانية منه او حال من الضمير في محصنين و السفاح الزنا من السفح اي صب المني سمي به لانه الغرض منه و مفعول الفعلين محذوف اي محصنين فروجكم غير مسافحين الزواني و هي في الحقيقة حال مؤكدة لان المحصن غير مسافح البتة و ما في قوله عز و جل • فما استمتعتم به منهن • اما عبارة عن النساء او عما يتعلق بهن من الافعال و على التقديرين فهي اما شرطية ما بعدها شرطها واما موصولة ما بعدها صلتها و ايا ما كان فهي مبتداء خبرها على تقدير كونها شرطية اما فعل الشرط او جوابه او كلاهما على الخلاف المعروف و على تقدير كونها موصولة قوله تعالى فآتوهن اجورهن والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط على تقدير كونها عبارة عن النساء فالعائد الى المبتداء هو الضمير المنصوب في فآتوهن سواء كانت شرطية او موصولة ومن بيانية او تبعيضية محلها النصب على الحالية من الضمير المجرور في به فالمعنى فاي فرد استمتعتم به او فالفرد الذي استمتعتم به حال كونه من جنس النساء او بعضهن فآتوهن اجورهن و قد روعي تارة جانب اللفظ فافرد الضمير اولا و اخرى جانب المعنى فجمع ثانيا وثالثا واما على تقدير كونها عبارة عما يتعلق بهن فمن ابتدائية متعلقة بالاستمتاع و العائد الى المبتداء محذوف والمعنى اي فعل استمتعتم به من جهتهن من نكاح او خلوة او نحوهما او فالفعل الذي استمتعتم به من قبلهن من الافعال المذكورة فآتوهن اجورهن لاجله و بمقابلته والمراد بالاجور المهور فانها اجور ابضاعهن • فريضة • حال من الاجور بمعنى مفروضة

مفروضة او نعت لمصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة اي لهن عليكم • ولا جناح عليكم فيما تراضيتم • اي لا اثم عليكم فيما تراضيتم به من الحط عن المهر او الابراء عنه على طريقة قوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه فكلوه الاية اثر قوله تعالى و آتوا النساء صدقاتهن و قوله تعالى الا ان يعفون و تعميم للزيادة على المسمى لا يساعده رفع الجناح من الرجال لانها ليست مظنة الجناح الا ان يجعل الخطاب للازواج تغليبا فان الزيادة على المسمى مظنة الجناح على الزوجة وقيل فيما تراضيتم به من نفقة ونحوها وقيل من مقام او فراق ولا يساعده قوله تعالى • من بعد الفريضة • اذ لا تعلق لهما بالفريضة الا ان يكون الفراق بطريق المخالعة وقيل نزلت في المتعة التي هي النكاح الى وقت معلوم من يوم واكثر سميت بذلك لان الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمرأة و تمتيعها بما يعطي و قد ابيحت ثلثة ايام حين فتحت مكة شرفها الله تعالى ثم نسخت لما روي ان النبي عليه السلام اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله تعالى حرم ذلك الى يوم القيمة و قيل ابيح مرتين وحرم مرتين وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه رجع عن القول بجوازه عند موته و قال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة و قولي في الصرف • ان الله كان عليما • بمصالح العباد • حكيما • فيما شرع لهم من الاحكام و لذلك شرع لكم هذه الاحكام اللائقة بحالكم • ومن لم يستطع منكم • من اما شرطية ما بعدها شرطها او موصولة ما بعدها صلتها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يستطيع اي حال كونه منكم و قوله تعالى • طولا • اي غنى و سعة او اعتلاء و نيلا و اصله الزيادة و الفضل مفعول ليستطيع وقوله تعالى • ان ينكح المحصنات المؤمنات • اما مفعول صريح لطولا فان اعمال المصدر المنون شائع ذائع كما في قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما كانه قيل و من لم يستطع منكم ان ينال نكاحهن و اما بتقدير حرف الجر اي ومن لم يستطع منكم غنى الى نكاحهن او لنكاحهن فهو في محل النصب صفة لطولا اي طولا موصلا اليه او كائنا له او على نكاحهن على ان الطول بمعنى القدرة في القاموس الطول والطائل والطائلة الفضل و القدرة والغنى والسعة ومحل ان بعد حذف الجار نصب عند سيبويه والفراء و جر عند الكسائي و الاخفش و اما بدل من طولا لان الطول فضل والنكاح قدرة و اما مفعول ليستطيع وطولا حركة له لانه بمعناه اذ الاستطاعة هو الطول او تمييز اي ومن لم يستطع منكم نكاحهن استطاعة او من جهة الطول و الغنى لا من جهة الطبيعة والمزاج فان عدم الاستطاعة من تلك الجهة لا تعلق له بالمقام و المراد بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات فان حريتهن احصنتهن عن ذل الرق و الابتذال و غيرهن من صفات القصور و النقصان وقوله عز و جل • فمما ملكت ايمانكم • اما جواب للشرط او خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط و الجار متعلق بفعل مقدر حذف مفعوله و ما موصولة اي فلينكح امرأة او امة من النوع الذي ملكته ايمانكم و هو في الحقيقة متعلق بمحذوف وقع صفة لذلك المفعول المحذوف ومن تبعيضية اي فلينكح امرأة كائنة من ذلك النوع وقيل من زائدة و الموصول مفعول للفعل المقدر اي فلينكح ما ملكته ايمانكم • من فتياتكم المؤمنات • في محل النصب على الحالية من الضمير المقدر في ملكت الراجع

الى ما وقيل هو المفعول للفعل المقدر على زيادة من ومما ملكت متعلق بنفس الفعل ومن لابتداء الغاية
او بمحذوف وقع حالا من فتياتكم حال من الضمير العائد المحذوف فظاهر النظم الكريم يفيد عدم عموم جواز
نكاح الامة للمستطيع كما ذهب اليه الشافعي رحمه الله وعدم جواز نكاح الامة الكتابية اصلا كما هو رأي
اهل الحجاز وقد جوزهما ابو حنيفة رحمه الله تعالى متمسكا بالعمومات محملا الشرط والوصف على الافضلية
ولا نزاع فيها لاحد وقد روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال ومما وسع الله تعالى على هذه الامة
واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وقوله تعالى والله اعلم بايمانكم جملة معترضة جيء بها لتأنيسهم
بنكاح الاماء واستنزالهم من رتبة الاستنكاف منه ببيان ان مناط التفاضل ومدار التفاخر هو الايمان
دون الاحساب والانساب على ما نطق به قوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم والمعنى انه تعالى اعلم منكم بمراتبكم في الايمان به ينتظم احوال
العباد وعليه يدور فلك المصالح في المعاش والمعاد ولا تعلق له بخصوص الحرية والرق فرب امة يفوق
ايمانها ايمان الحرائر وقوله تعالى بعضكم من بعض ان اريد به الاتصال من حيث الدين فهو بيان لتناسبهم
من تلك الحيثية واثر بيان تفاوتهم في ذلك وان اريد به الاتصال من حيث النسب فهو اعتراض آخر
مؤكد للتأنيس من جهة اخرى والخطاب في الموضعين اما لمن كان في الخطاب الذي يعقبه فقد روعي فيما سبق
جانب اللفظ وههنا جانب المعنى والالتفات للاهتمام بالترغيب والتأنيس واما لغيرهم من المسلمين
كالخطاب السابق لحصول الترغيب بخطابهم ايضا واياما كان فاعادة الامر بالنكاح على وجه الخطاب
في قوله تعالى فانكحوهن مع انفهامه من قوله تعالى فمما ملكت ايمانكم حسبما ذكر لزيادة الترغيب في نكاحهن
وتقييده بقوله تعالى باذن اهلهن وتصديره بالفاء للايذان بترتبه على ما قبله اي واذ قد وقفتم
على جلية الامر فانكحوهن باذن مواليهن ولا ترفعوا عنهن وفي اشتراط اذن الموالي دون
مباشرتهم للعقد اشعار بجواز مباشرتهن له وآتوهن اجورهن اي مهورهن بالمعروف
متعلق بآتوهن اي ادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والجاء الى الاقتضاء واللز حسبما
يقتضيه الشرع والعادة ومن ضرورته ان يكون الاداء اليهن باذن الموالي فيكون ذكر
ايتائهن لبيان جواز الاداء اليهن لا لكون المهور لهن وقيل آتوا امواليهن بحذف المضاف
واصله او وصل الفعل الى المضاف اليه محصنات حال من مفعول فانكحوهن اي حال كونهن عفائف
عن الزنا غير مسافحات حال مؤكدة اي غير مجاهرات به ولا متخذات اخدان عطف على مسافحات
ولا لتأكيد ما في غير من معنى النفي والخدن الصاحب قال ابو زيد الاخدان الاصدقاء على
الفاحشة والواحد خدن والخدين والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى ان لا يكون لواحدة منهن
خدن لا على معنى ان لا يكون لها اخدان اي غير مجاهرات بالزنا ولا مستترات له وكان الزنا في
الجاهلية منقسما الى هذين القسمين فاذا احصن اي بالتزويج وقرئ على البناء للفاعل
اي احصن فروجهن او ازواجهن فان اتين بفاحشة اي فعلن فاحشة وهي الزنا فعليهن
فثابت عليهن شرعا نصف ما على المحصنات اي الحرائر الابكار من العذاب من الحد الذي
هو الجلد مائة فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن بالاحصان

بالاحصان كتفاوت حد الحرائر فالفاء في فان اتين بفاحشة جواب اذا والثانية جواب ان والشرط
الثاني مع جوابه مترتب على الاول كما في قولك اذا اتيتني فان اكرمتك فعبدي حر ذلك اي
نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم اي لمن خاف وقوعه في الاثم الذي يؤدي اليه غلبة الشهوة
واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر استعير لكل مشقة وضرر يعتري الانسان بعد صلاح حاله ولا ضرر
اعظم من مواقعة المأثم بارتكاب افحش القبائح وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها يخشى ان
يواقعها فيحد والاول هو اللائق بحال المؤمن دون الثاني لايهامه ان المحذور عنده الحد لا
ما يوجبه وان تصبروا اي عن نكاحهن متعففين كافين انفسكم عما تشتهيه من المعاصي
خير لكم من نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق قال عمر
رضي الله عنه ايما حر تزوج بامة فقد ارق نصفه وقال سعيد بن جبير ما نكاح الامة من الزنا
الا قريب ولان حق المولى فيها اقوى فلا تخلص للزوج خلوص الحرائر ولان المولى يقدر
على استخدامها كيفما يريد في السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادي وفيه من اختلال حال
الزوج واولاده ما لا مزيد عليه ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل ومهانة
سارية الى الناكح والعزة هي اللائقة بالمؤمنين ولان مهرها لمولاها فلا تقدر على التمتع
ولا على هبته للزوج فلا ينتظم امر المنزل وقد قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء
هلاك البيت والله غفور مبالغ في المغفرة فيغفر لمن لم يصبر عن نكاحهن ما في ذلك من
الامور المنافية لحال المؤمنين رحيم مبالغ في الرحمة ولذلك رخص لكم في نكاحهن يريد
الله ليبين لكم استئناف مسوق لتقرير ما سبق من الاحكام وبيان كونها جارية على مناهج
المهتدين من الانبياء والصالحين قيل اصل النظم الكريم يريد الله ان يبين لكم فزيدت
اللام لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة ومفعول يبين محذوف ثقة بشهادة السباق والسياق
اي يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم او ما تعبدكم به من الحلال
والحرام وقيل مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تشريع ما شرع من التحريم والتحليل لاجل التبيين
لكم وهذا مذهب البصريين ويعزى الى سيبويه وقيل ان اللام بنفسها ناصبة للفعل من غير اضمار
ان وهي وما بعدها مفعول للفعل المتقدم فان اللام قد تقام مقام ان في فعل الارادة والامر فيقال
اردت لاذهب وان اذهب وامرتك لتقوم وان تقوم قال الله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله وفي
موضع يريدون ان يطفئوا وقال الله تعالى وامرنا لنسلم وفي موضع امرنا ان اسلم وفي اخر وامرت
لاعدل بينكم اي ان اعدل بينكم وهذا مذهب الكوفيين وقد منعه البصريون وقالوا ان وظيفة
اللام هي الجر والنصب فيما قالوا باضمار ان اي امرنا بما امرنا لنسلم ويريدون ما يريدون ليطفئوا
وقيل يؤول الفعل الذي قبل اللام بمصدر مرفوع بالابتداء ويجعل ما بعده خبرا له كما في تسمع بالمعيدي
خير من ان تراه اي ان تسمع به ويعزى هذا الرأي الى بعض البصريين ويهديكم سنن
الذين من قبلكم من الانبياء والصالحين لتهتدوا بهم ويتوب عليكم اذ تبتم اليه تعالى
عما يقع منكم من التقصير والتفريط في مراعاة ما كلفتموه به من الشرائع فان المكلف قلما يخلو من تقصير

ليسبقه من تلافيه بالتوبة ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يردعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده تعالى عن ارادته فيمن لم يتب منهم بل لطائفة معينة حصلت لهم هذه التوبة ❊ والله عليم ❊ مبالغ في العلم بالاشياء التي من جملتها ما شرع لكم من الاحكام ❊ حكيم ❊ مراع في جميع افعاله الحكمة والمصلحة ❊ والله يريد ان يتوب عليكم ❊ جملة مستأنفة مسوقة لبيان كمال منفعة ما اراده الله تعالى وكمال مضرة ما يريد الفجرة لا لبيان ارادة الله تعالى لتوبته عليهم حتى يكون من باب التكرير للتقرير ولذلك غير الاسلوب الى الجملة الاسمية دلالة على دوام الارادة ولم يفعل ذلك في قوله تعالى ❊ ويريد الذين يتبعون الشهوات ❊ للاشارة الى الحدوث وللايماء الى كمال المباينة بين مضموني الجملتين كما مر في قوله تعالى الله ولي الذين امنوا الاية والمراد بمتبعي الشهوات الفجرة فان اتباعها الائتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع من المشتهيات دون غيره فهو متبع الاله وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة مع ان العمة والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ وبنات الاخت فنزلت ❊ ان تميلوا ❊ عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات وتكونوا زناة مثلهم وقرئ بالياء التحتانية والضمير للذين يتبعون الشهوات ❊ ميلا عظيما ❊ اي بالنسبة الى ميل من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال ❊ يريد الله ان يخفف عنكم ❊ بما مر من الرخص وما في عهدتكم من مشاق التكاليف والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب ❊ وخلق الانسان ضعيفا ❊ عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه في مشاق الطاعات وعن الحسن رضي الله تعالى عنه ان المراد ضعف الخلقة ولا يساعده المقام فان الجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الاماء وليس لضعف البنية مدخل في ذلك وانما الذي يتعلق به التخفيف في العبادات الشاقة وقيل المراد به ضعفه في امر النساء وقرأ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وخلق الانسان على البناء للفاعل والضمير لله عز وجل وعنه رضي الله عنه ثماني آيات في سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ❊ يا ايها الذين امنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل ❊ شروع في بيان بعض المحرمات المتعلقة بالاموال والانفس اثر بيان المحرمات المتعلقة بالابضاع وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه والمراد بالباطل ما يخالف الشرع كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربوا وغير ذلك مما لم يبحه الشرع اي لا يأكل بعضكم اموال بعض بغير طريق الشرع ❊ الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ❊ استثناء منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة اي الا ان تكون التجارة تجارة صادرة عن تراض كما في قوله تعالى اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما الخ او الا ان تكون الاموال اموال تجارة وقرئ تجارة بالرفع على ان كان تامة اي ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض اي وقوعها او ولكن وجود تجارة عن تراض

عن تراض غير منهي عنه وتخصيصها بالذكر من بين سائر اسباب الملك لكونها معظمها واغلبها وقوعا واوفقها لذوي المروءة والمراد بالتراضي مراضاة المتبايعين بما تعاقدوا عليه في حال المبايعة وقت الايجاب والقبول عندنا وعند الشافعي حالة الافتراق عن مجلس العقد ❊ ولا تقتلوا انفسكم ❊ اي من كان من جنسكم من المؤمنين فان كلهم كنفس واحدة وعن الحسن رحمه الله تعالى لا تقتلوا اخوانكم والتعبير عنهم بالانفس للمبالغة في الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل او لا تهلكوا انفسكم بتعريضها للعقاب باقتراف ما يفضي اليه فانه القتل الحقيقي لها كما يشعر به ايراده عقيب النهي عن اكل الحرام فيكون مقررا للنهي السابق وقيل لا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجهلة او بارتكاب ما يؤدي الى القتل من الجنايات وقيل بالقائها في التهلكة ويؤيده ما روي عن عمرو بن العاص انه تأول بالتيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي عليه السلام وقرئ لا تقتلوا بالتشديد للتكثير وقد جمع في التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لما انه شقيقها من حيث انه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها واستيفاء فضائلها وتقديم النهي عن التعرض له لكثرة وقوعه ❊ ان الله كان بكم رحيما ❊ تعليل للنهي بطريق الاستيناف اي مبالغا في الرحمة والشفقة ولذلك نهاكم عما نهى فان في ذلك رحمة عظيمة لكم بالزجر عن المعاصي وللذين هم في معرض التعرض لهم في حفظ اموالهم وانفسهم وقيل معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما حيث امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم ولم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة ❊ ومن يفعل ذلك ❊ اشارة الى القتل خاصة او بما قبله من اكل الاموال وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهما في الفساد ❊ عدوانا وظلما ❊ اي افراطا في التجاوز عن الحد واتيانا بما لا يستحقه وقيل اريد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم على النفس بتعريضها للعقاب ومحلهما النصب على الحالية او على العلية اي معتديا وظالما او للعدوان والظلم وقرئ عدوانا بكسر العين ❊ فسوف نصليه ❊ جوابا للشرط اي ندخله وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى او لذلك من حيث انه سبب للصلي ❊ نارا ❊ اي نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب ❊ وكان ذلك ❊ اي اصلاؤه النار ❊ على الله يسيرا ❊ لتحقق الداعي وعدم الصارف واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي ❊ ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ❊ اي كبائر الذنوب التي نهاكم الشرع عنها مما ذكر ههنا وما لم يذكر وقرئ كبير على ارادة الجنس ❊ نكفر عنكم ❊ بنون العظمة على طريقة الالتفات وقرئ بالياء بالاسناد اليه تعالى والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة اي نغفر لكم ❊ سيئاتكم ❊ صغائركم ونمحها عنكم قال عليه السلام الصلوة الى الصلوة والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر اذا اجتنبت الكبائر واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه الحد او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي عليه السلام انها سبع الاشراك بالله تعالى وقتل النفس التي حرم الله تعالى وقذف المحصنة واكل مال اليتيم واكل الربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن علي رضي الله تعالى عنه التعرب بعد الهجرة مكان عقوق الوالدين

وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا قال له الكبائر
سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وروي عنه الى سبعين اذ لا صغيرة مع الاصرار
ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل اريد به انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها والى ما تحتها وتجب
في علاها بل بحسب الاوقات والاماكن ايضا فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث
النفس وما بينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له الامران منهما ودعت نفسه
اليهما بحيث لا يتمالك كفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق على اجتناب الاكبر من
الثواب وندخلكم مدخلا بضم الميم اسم مكان هو الجنة كريما اي حسنا مرضيا او مصدر
ميمي اي ادخالا مع كرامة وقرئ بفتح الميم وهو يحتمل المكان والمصدر ونصبه على الثاني بفعل
مقدر مطاوع للمذكور اي ندخلكم فتدخلون مدخلا او دخولا كريما كما في قوله وعضة دهر يا ابن
مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم يدع فلم يبق الا مسحت الخ ولا تتمنوا
ما فضل الله به بعضكم على بعض اي عليكم وايثار الابهام عليه للتفادي عن المواجهة بما
يشق عليهم قال القفال لما نهاهم الله تعالى عن اكل اموال الناس بالباطل وقتل الانفس عقبه بالنهي
عما يؤدي اليه من الطمع في اموالهم وتمنيها او قيل نهاهم اولا عن التعرض لاموالهم بالجوارح
ثم عن التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهير اعمالهم الظاهرة والباطنة فالمعنى لا تتمنوا
ما اعطاه الله بعضكم من الامور الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك مما يجري فيه التنافس
دونكم فان ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن تدبير لائق باحوال العباد مترتب على الاحاطة
بجلائل شئونهم ودقائقها فعلى كل احد من المفضل عليهم ان يرضى بما قسم له ولا يتمنى حظ المفضل
ولا يحسده عليه لما انه معارضة لحكم القدر المؤسس على الحكم البالغة لا لان عدمه خير له ولا
لانه لو كان الامر بخلافه لكان مفسدة له كما قيل اذ لا يساعده ما سيأتي من الامر بسؤال من فضله
تعالى فانه ناطق لان المنهي عنه تمني نصيب الغير لا تمني ما زاد على نصيبه مطلقا هذا وقد قيل لما
جعل الله تعالى في الميراث للذكر مثل حظ الانثيين قالت النساء نحن احوج ان يكون لنا
سهمان وللرجال سهم واحد لانا ضعفاء وهم اقوياء واقدر على طلب المعاش فنزلت وهذا هو
الانسب بتعليل النهي بقوله عز وجل للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن
فانه صريح في جريان التمني بين فريقي الرجال والنساء ولعل صيغة المذكر في النهي لما عني
بالبعض والمعنى لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار مما اصابه بحسب استعداده
وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله
لنصيبه باكتسابه اياه تاكيدا لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه
الى غيره فان ذلك مما يوجب الانتهاء عن التمني المذكور وقوله تعالى واسئلوا الله من فضله
عطف على النهي وتوسيط التعليل بينهما لتقرير الانتهاء مع ما فيه من الترغيب في الامتثال بالامر
كانه قيل لا تتمنوا ما يختص بغيركم من نصيبه المكتسب له واسئلوا الله من خزائن نعمه التي لا

لا نفاد لها وحذف المفعول للتعميم اي واسئلوه ما تريدون فانه تعالى يعطيكموه او لكونه معلوما
من السياق اي واسئلوه مثله وقيل من زائدة والتقدير واسئلوا فضله وقد جاء في الحديث
لا يتمنين احدكم مال اخيه ولكن ليقل اللهم اعطني مثله وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسأل فافضل العبادة انتظار الفرج
وحمل النصيب على الاجر الاخروي وابقاء الاكتساب على حقيقته بجعل سبب النزول ما روي ان ام سلمة
رضي الله تعالى عنها قالت ليت الله تعالى كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم
على ان المعنى لكل من الفريقين نصيب خاص من الاجر مترتب على عمله فللرجال اجر بمقابلة ما يليق بهم
من الاعمال كالجهاد ونحوه وللنساء اجر بمقابلة ما يليق بهن من الاعمال كحفظ حقوق الازواج
ونحوه فلا تتمن النساء خصوصية اجر الرجال وليسألن من خزائن رحمته تعالى ما يليق بحالهن من
الاجر لا يساعده سياق النظم الكريم المتعلق بالمواريث وفضائل الرجال ان الله كان بكل شيء عليما
ولذلك جعل الناس على طبقات ورفع بعضهم على بعض درجات حسب مراتب استعداداتهم الفائضة
عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم الانيقة ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون
جملة مبتدأة مقررة لمضمون ما قبلها ولكل مفعول ثان لجعلنا قدم عليه لتاكيد الشمول ورفع توهم
تعلق الجعل بالبعض دون البعض كما في قوله تعالى ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي ولكل تركة جعلنا
ورثة متفاوتة في الدرجة يلونها ويحرزون منها انصباءهم بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين
المورث من العلاقة ومما ترك بيان لكل قد فصل بينهما بما عمل فيه كما فصل في قوله تعالى قل اغير الله
اتخذ وليا فاطر السموات والارض بين لفظ الجلالة وبين صفته بعامل فيما اضيف اليه غير او ولكل
قوم جعلناهم موالي وراثا نصيب معين مغاير لنصيب قوم اخرين مما ترك الوالدان والاقربون
على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة قولك لكل من
خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ منه واما ما قيل من ان المعنى لكل احد جعلنا موالي مما ترك
اي وراثا منه على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث وفي ترك ضمير مستكن عائد الى كل وقوله تعالى
الوالدان والاقربون استئناف مفسر للموالي كانه قيل من هم فقيل الوالدان الخ ففيه تفكيك
للنظم الكريم لان بيان الموالي بما ذكر يفوت الابهام المصحح لاعتبار التفاوت بينهم وبه يتحقق الانتظام
كما اشير اليه في تقرير الوجهين الاولين مع ما فيه من خروج الاولاد من الموالي اذ لا يتناولهم الاقربون
كما لا يتناول الوالدين والذين عقدت ايمانكم هم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من
مال حليفه فنسخ بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعند ابي حنيفة رضي الله عنه اذا اسلم
رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله ارثه ان لم يكن له وارث
اصلا واسناد العقد الى الايمان لان المعتاد هو المماسحة بها عند العقد والمعنى عقدت ايمانكم
عهودهم فحذف العهود واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذف وقرئ عقدت بالتشديد وعاقدت بمعنى
عاقدتهم ايمانكم وماسحتموهم وهو مبتدأ متضمن لمعنى الشرط ولذلك صدر الخبر اعني قوله تعالى فآتوهم
نصيبهم بالفاء او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او مرفوع معطوف على الوالدان

والاقربون وقوله تع فآتوهم جملة مبنية للجملة قبلها ومؤكدة لها والضمير للموالي. ان الله على كل شئ
من الاشياء التي من جملتها الايتاء والمنع. شهيدا. ففيه وعد و وعيد. الرجال قوامون على
النساء. كلام مستأنف مسوق لبيان سبب استحقاق الرجال الزيادة في الميراث تفصيلا اثر بيان
استحقاقهم اجمالا وايراد الجملة اسمية والخبر على صيغة المبالغة للايذان بعراقتهم في الاتصاف بما اسند
اليهم ورسوخهم فيه اي شأنهم القيام عليهن بالامر والنهي قيام الولاة على الرعية وعلل
ذلك بامرين موهبي وكسبي فقيل. بما فضل الله بعضهم على بعض. الباء للسببية متعلقة بقوامون
او بمحذوف وقع حالا من ضميره وما مصدرية والضمير البارز لكلا الفريقين تغليبا اي قوامون
عليهن بسبب تفضيل الله تع اياهم عليهن او متلبسين بتفضيله تع ووضع البعض موضع الضمير للاشعار
بغاية ظهور الامر وعدم الحاجة الى التصريح بالمفضل والمفضل عليه اصلا وبمثل ذلك لم يصرح بما به
التفضيل من صفاته كماله التي هي كمال العقل وحسن التدبير ورزانة الرأي ومزيد القوة في
الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة
في جميع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحو ذلك. وبما انفقوا من اموالهم. الباء متعلقة
بما تعلقت به الاولى وما مصدرية او موصولة حذف عائدها من الصلة ومن تبعيضية او ابتدائية
متعلقة بانفقوا او بمحذوف وقع حالا من العائد المحذوف اي وبسبب انفاقهم من اموالهم او
بسبب ما انفقوا من اموالهم او كائنا من اموالهم وهو ما انفقوه من المهر والنفقة روي ان
سعد ابن الربيع احد نقباء الانصار رضي الله عنه نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد ابن ابي زهير
فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الرسول عليه السلام لتقتص منه فقال
عليه السلام اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير. فالصالحات. شروع في
تفصيل احوالهن وبيان كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف احوالهن اي فالصالحات منهن
قانتات. اي مطيعات لله تع قائمات بحقوق الازواج. حافظات للغيب. اي لمواجب الغيب
اي لما يجب عليهن حفظه في حال غيبة الازواج من الفروج والاموال عن النبي عم خير النساء
امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها
وتلى الاية وقيل لاسرارهم واضافة المال اليها للاشعار بان ماله في حق التصرف في حكم مالها
كما في قوله تع ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الاية. بما حفظ الله. ما مصدرية اي بحفظه تع اياهن
بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او موصولة اي بالذي حفظ الله
لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب
على حذف المضاف اي بالامر الذي حفظ حق الله وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال
واللاتي تخافون نشوزهن. خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق القيام عليهن والخوف
حالة تحصل في القلب عند حدوث امر مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد يراد به العلم
اي تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم من النشز وهو المرتفع من الارض. فعظوهن.
اي فانصحوهن بالترغيب والترهيب. واهجروهن. بعد ذلك ان لم ينفع الوعظ والنصيحة

والنصيحة. في المضاجع. اي في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل
المضاجع المبايتات اي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع والمضطجع. واضربوهن. اي ان لم ينجع ما فعلتم من
العظة والهجران ضربا غير مبرح ولا شائن. فان اطعنكم. بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى ما يعد زاجرا
فلا تبغوا عليهن سبيلا. بالتوبيخ والاذية اي فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن
فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له. ان الله كان عليا كبيرا. فاحذروه فانه تعالى اقدر عليكم منكم على
من تحت ايديكم او انه تعالى على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم عند توبتكم وانتم احق
بالعفو عن ازواجكم عند اطاعتهن لكم او انه تعالى يتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه وعدم التعرض لعدم
اطاعتهن لهم للايذان بان ذلك ليس مما ينبغي ان يتحقق او يتعرض لتحققه وان الذي ينبغي منهن ويليق
بشأنهن لا سيما بعد ما كان من الزواجر هو الطاعة ولذلك صدرت الشرطية بالفاء المنبئة
عن سببية ما قبلها لما بعدها. وان خفتم شقاق بينهما. تلوين للخطاب وتوجيه له الى الحكام والى على بناء
الامر على تقدير المسكوت عنه اعني عدم الاطاعة المؤدي الى المخاصمة والمرافعة اليهم والشقاق المخالفة
اما لان كلا منهما يريد ما يشق على الاخر واما لان كلا منهما في شق اي جانب غير شق الاخر والخوف ههنا
بمعنى العلم قاله ابن عباس رضي الله عنهما والجزم بوجود الشقاق لا ينافي بعث الحكمين لانه لرجاء ازالته
لا لتعرف وجوده بالفعل وقيل بمعنى الظن وضمير التثنية للزوجين وان لم يجر لهما ذكر لجري ما يدل عليهما
واضافة الشقاق الى الظرف اما على اجرائه مجرى المفعول به كما في قوله تعالى بل مكر الليل او مجرى الفاعل
كما في قولك نهاره صائم اي ان علمتم او ظننتم تأكد المخالفة بحيث لا يقدر الزوج على ازالتها. فابعثوا.
اي الى الزوجين لاصلاح ذات البين. حكما. رجلا وسطا صالحا للحكومة والاصلاح. من اهله. اي
من اهل الرجل. وحكما. على صفة الاول. من اهلها. فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب
للصلاح وهذا على وجه الاستحباب ولو نصبا من الاجانب جاز واختلف في انهما هل يليان الجمع والتفريق
مفوضا لهما ذلك وهو المروي عن علي رضي الله تعالى عنه وبه قال الشعبي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان
وقال مالك لهما ان يتخالعا ان كان الصلاح فيه. ان يريدا. اي الحكمان. اصلاحا. اي ان قصدا
ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله تعالى. يوفق الله بينهما. يوقع بين الزوجين
الموافقة والالفة والقى في نفوسهما المودة والرأفة وعدم التعرض لذكر عدم ارادتهما الاصلاح
لما ذكر من الايذان بان ذلك ليس مما ينبغي ان يفرض صدوره عنهما وان الذي يليق بشأنهما ويتوقع
صدوره عنهما هو ارادة الاصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين في الاصلاح وتحذير عن المساهلة كيلا
ينسب اختلال الامر الى عدم ارادتهما فان الشرطية الناطقة بدوران وجود التوفيق على وجود الارادة
منبئة عن دوران عدمه على عدمها وقيل كلا الضميرين للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله
بينهما فيتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل كلاهما للزوجين اي ان ارادا اصلاح ما بينهما من
الشقاق اوقع الله تعالى بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتوخاه وفقه
الله تعالى لمبتغاه. ان الله كان عليما خبيرا. بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا. كلام مبتدأ مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بحقوق الوالدين

اصلاح

والاقارب وكونهم آخر بيان الاحكام المتعلقة بحقوق الازواج صدر بما يتعلق بحقوق الله عز وجل التي هي آكد
الحقوق واعظمها تنبيها على جلالة شان حقوق الوالدين بنظمها في سلكها كما في سائر المواقع وشيئا نصب
على انه مفعول اي لا تشركوا به شيئا من الاشياء صنما او غيره او على انه مصدر اي لا تشركوا به شيئا من الاشراك
جليا او خفيا. وبالوالدين احسانا. اي احسنوا بهما احسانا. وبذي القربى. اي بصاحب القرابة من اخ او
عم او خال او نحو ذلك. واليتامى والمساكين. من الاجانب. والجار ذي القربى. اي الذي قرب جواره
وقيل اي الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحق الجار
ذي القربى. والجار الجنب اي البعيد والذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق
حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد وهو حق
الجوار وهو الجار من اهل الكتاب وقرئ والجار الجنب. والصاحب بالجنب. اي الرفيق في امر حسن كتعلم
وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجنبك في مسجد او مجلس او غير ذلك من ادنى صحبة
التامت بينك وبينه وقيل هي المرأة. وابن السبيل. هو المسافر المنقطع به او الضيف. وما ملكت
ايمانكم. من العبيد والاماء. ان الله لا يحب من كان مختالا. اي متكبرا يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه
ولا يلتفت اليهم فخورا. يتفاخر عليهم والجملة تعليل للامر السابق. الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل
بضم الباء وسكون الخاء وقرئ بفتح الاول وبفتحهما وبضمهما والموصول بدل من قوله من كان او
نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون ويفعلون ويقولون
احقاء بكل ملامة. ويكتمون ما آتاهم الله من فضله. اي من المال والغنى او من نعوته صلى الله تعالى عليه وسلم
التي بينها لهم في التورية وهو انسب بامرهم الناس بالبخل فان احبارهم كانوا يكتمونها ويامرون اعقابهم
بكتمها. واعتدنا للكافرين عذابا مهينا. وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر بنعمة
الله تعالى فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون
للانصار بطريق النصيحة لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا نعت رسول الله تعالى
صلى الله عليه وسلم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها. والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس. اي
للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا لابتغاء وجه الله تعالى وهو عطف على الذين يبخلون او على الكافرين
وانما شاركوهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق فيما لا ينبغي من حيث انهما طرفا
تفريط وافراط سواء في القبح واستتباع اللائمة والذم ويجوز ان يكون العطف بناء على اجراء التغاير
الوصفي مجرى التغاير الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم او
مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يكن له كانه قيل والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس و
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر. ليتحروا بالانفاق مراضيه تعالى وثوابه وهم مشركو مكة المنفقون اموالهم
في عداوة رسول الله تعالى صلى الله عليه وسلم وقيل المنافقون. ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا
اي فقرينهم الشيطان وانما حذف للايذان بظهوره واستغنائه عن التصريح به فالمراد به ابليس واعوانه حيث
حملوهم على تلك القبائح وزينوها لهم كما في قوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ويجوز ان يكون
وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار. وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله

الله. اي على من ذكر من الطوائف ابتغاء لوجه الله تعالى وانما لم يصرح به تعويلا على التفصيل السابق واكتفاء بذكر
الايمان بالله واليوم الآخر فانه يقتضي ان يكون الانفاق لابتغاء وجهه تعالى وطلب ثوابه البتة اي وما الذي
عليهم او واي تبعة ووبال عليهم في الايمان بالله تعالى والانفاق في سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان
المنفعة والاعتقاد في الشيء بخلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم
بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه
احتياطا فكيف اذا كان فيه منافع لا تحصى وتقديم الايمان بهما لاهميته في نفسه ولعدم الاعتداد بالانفاق
بدونه واما تقديم انفاقهم رئاء الناس على عدم ايمانهم بهما مع كون المؤخر اقبح من المقدم فلرعاية المناسبة
بين انفاقهم ذلك وبين ما قبله من بخلهم وامرهم للناس به. وكان الله بهم. وباحوالهم المحققة. عليما. فهو
وعيد لهم بالعقاب او باعمالهم المفروضة فهو بيان لاثابته تعالى اياهم لو كانوا آمنوا وانفقوا كما ينبئ عنه
قوله تعالى. ان الله لا يظلم مثقال ذرة. المثقال مفعال من الثقل كالمقدار من القدر وانتصابه على انه
نعت للمفعول قائم مقامه سواء كان الظلم بمعنى النقص او بمعنى وضع الشيء في غير موضعه اي لا ينقص من الاجر
ولا يزيد في العقاب شيئا مقدار ذرة او على انه نعت للمصدر المحذوف نائب منابه اي لا يظلم ظلما مقدار
ذرة وهي النملة الصغيرة او كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة وهو الانسب بمقام المبالغة فان قلت في
النقل اظهر من قلة النملة فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ادخل يده في التراب ثم نفخ فيه فقال
كل واحدة من هؤلاء ذرة. وان تك حسنة. اي وان تك مثقال ذرة حسنة انث لتانيث الخبر
او لاضافته الى الذرة وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال وقرئ حسنة
بالرفع على ان كان تامة. يضاعفها. اي يضاعف ثوابها جعل ذلك مضاعفة لنفس الحسنة تنبيها على كمال
الاتصاف بينهما كانهما واحد وقرئ يضعفها وكلاهما واحد وقرئ نضاعفها بنون العظمة على طريقة الالتفات
عن عثمان المهدي انه قال لابي هريرة رضي الله عنه بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله تعالى عليه السلام
يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة يعطيه الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته صلى
الله عليه وسلم يقول يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الاية الكريمة والمراد الكثرة لا التحديد. ويؤت
من لدنه. ويعط صاحبها من عنده على نهج التفضل زائدا على ما وعده في مقابلة العمل. اجرا عظيما. عطاء
جزيلا وانما سماه اجرا لكونه تابعا للاجر مزيدا عليه. فكيف. محلها اما الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف واما النصب
بفعل محذوف على التشبيه بالحال كما هو رأي سيبويه او على التشبيه بالظرف كما هو مذهب الاخفش اي
فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم او كيف يصنعون. اذا جئنا. يوم القيمة.
من كل امة. من الامم. بشهيد. يشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد العقائد وقبائح الاعمال وهو نبيهم
كما في قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر وعظم
الشان او الفعل المقدر ومن متعلقة بجئنا. وجئنا بك. يا محمد. على هؤلاء. اشارة الى الشهداء المذكور
عليهم بما ذكر. شهيدا. تشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم لاستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل الى المكذبين
المستفهم عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما تشهد سائر الانبياء على اممهم وقيل الى المؤمنين
كما في قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا. يومئذ يود الذين كفروا و

عصوا الرسول استئناف لبيان حالهم التي اشير الى شدتها وفظاعتها بقوله تعالى فكيف فان اريد بهم المكذبون
برسول الله صلى الله عليه وسلم فالتعبير عنهم بالموصول لاسيما بعد الاشارة اليهم بهؤلاء لذمهم بما في حيز الصلة
والاشعار بعلة ما اعتراهم من الحال الفظيعة والاهوال الهائلة وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتشريفه
وزيادة تقبيح حال مكذبيه فان حق الرسول ان يؤمن به ويطاع لا ان يكفر به ويعصى وان اريد بهم
جنس الكفرة فهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا وايا ما كان ففيه من تهويل الامر وتفظيع الحال ما لا يخفى
قدره وقوله تعالى وعصوا عطف على كفروا داخل معه في الصلة والمراد معاصيهم المغايرة لكفرهم ففيه دلالة
على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذة وقيل حال من ضمير كفروا وقيل صلة موصول
آخر اي يود في ذلك اليوم الذين كفروا جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول والذين كفروا وقد عصوا الرسول
او والذين عصوا الرسول ويؤيده قوله تعالى لو تسوى بهم الارض ان جعلت مصدرية فالجملة مفعول
ليود اي يودون ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا او لم يخلقوا
وكانوا هم والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها وان جعلت حرفية على بابها فالمفعول
محذوف لدلالة الجملة عليه اي يودون تسوية الارض بهم وجواب لو ايضا محذوف ايذانا بغاية ظهوره
اي لسروا بذلك وقوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا عطف على يود اي ولا يقدرون على كتمانه لان
جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا في الارض وهم لا يكتمون منه تعالى حديثا
ولا يكذبون بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد
ارجلهم عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى بحذف على
ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وقرئ تسوى بحذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها
الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لما نهوا في ما سلف من الاشراك به تعالى نهوا ههنا عما
يؤدي اليه من حيث لا يحتسبون فانه روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا حين كان الخمر
مباحة فدعى نفرا من الصحابة فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وتصدير الكلام
بحرف النداء والتنبيه للمبالغة في حملهم على العمل بموجب النهي وتوجيه النهي الى قربان الصلوة مع ان المراد
هو النهي عن اقامتها للمبالغة في ذلك وقيل المراد النهي عن قربان المساجد لقوله عليه السلام جنبوا
مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ويأباه قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون فمعنى لا تقربوها في حالة السكر حتى
تعلموا قبل الشروع ما تقولون اذ بتلك التجربة يظهر انهم يعلمون ما سيقرؤنه في الصلوة وحمل ما تقولون
على ما في الصلوة يستدعي تقدم الشروع فيها على غاية النهي وحمل العلم عليها بالقوة على معنى حتى تكونوا
بحيث تعلمون ما ستقرؤنه في الصلوة تطويل بلا طائل لان تحقق الحيثية انما تظهر بما ذكر من التجربة
على ان ايثار ما تقولون على ما تقرؤن ح يكون عاريا عن الداعي وقيل المراد بالسكر سكر النعاس
وغلبة النوم وايا ما كان فليس مرجع النهي هو المقيد مع بقاء القيد مرخصا له بل انما هو القيد
مع بقاء المقيد على ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا كانه قيل يا ايها الذين امنوا
لا تسكروا في اوقات الصلوة وقد روي انهم كانوا بعد ما نزلت الاية لا يشربون الخمر في اوقات الصلوة
فاذا صلوا العشاء يشربونها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ولا جنبا عطف

على قوله وانتم سكارى فانه في حيز النصب كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب من اصابته
الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر الا عابري سبيل استثناء
مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على انه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقييده بالحال الثانية دون
الاولى والعامل فيه فعل النهي اي لا تقربوا الصلوة جنبا في حال من الاحوال الا حال كونكم مسافرين
على معنى ان في حالة السفر ينتهي حكم النهي لكن لا بطريق شمول النفي لجميع صورها بل بطريق نفي الشمول
في الجملة من غير دلالة على انتفاء خصوصية البعض المنفي ولا على بقاء خصوصية البعض ولا على ثبوت
نقيضه لا كليا ولا جزئيا فان الاستثناء لا يدل على ذلك عبارة نعم يشير الى مخالفة حكم ما بعده لما
قبله اشارة اجمالية يكتفى بها في المقامات الخطابية لا في اثبات الاحكام الشرعية فان ملاك الامر في
ذلك انما هو الدليل قد ورد على طريقة البيان وقيل هو صفة لجنبا على ان الا بمعنى غير اي لا جنبا
غير عابري سبيل وقيل محل الصلوة على مواضعها فسر العبور بالاجتياز بها وجوز للجنب عبور المسجد
وبه قال الشافعي وعندنا لا يجوز ذلك الا ان يكون الماء او الطريق فيه وقيل ان رجالا من
الانصار كانت ابوابهم في المسجد وكان يصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص ذلك
حتى تغتسلوا غاية للنهي عن قربان الصلوة حالة الجنابة ولعل تقديم الاستثناء عليه للايذان من
اول الامر بان حكم النهي في هذه الصورة ليس على الاطلاق كما في صورة السكر تشويقا الى البيان
وروما لزيادة تقرره في الاذهان وفي الاية الكريمة اشارة الى ان المصلي حقه ان يتحرز عما يلهيه
ويشغل قلبه وان يزكي نفسه عما يدنسها ولا يكتفي بادنى مراتب التزكية عند امكان اعاليها
وان كنتم مرضى شروع في تفصيل ما اجمل في الاستثناء وبيان ما هو في حكم المستثنى من الاعذار
والاقتصار فيما قبل على استثناء السفر مع مشاركة الباقي في حكم الترخيص للاشعار بانه العذر
الغالب المبني على الضرورة التي عليها يدور امر الرخصة كانه قيل ولا جنبا الا مضطرين واليه
مرجع ما قيل من انه جعل عابري سبيل كناية عن مطلق المعذورين والمراد بالمرض ما يمنع من
استعمال الماء مطلقا سواء كان ذلك بتعذر الوصول اليه او بتعذر استعماله او على سفر
عطف على مرضى اي او كنتم على سفر ما طال او قصر وايراده صريحا مع سبق ذكره بطريق الاستثناء
لبناء الحكم الشرعي عليه وبيان كيفيته فان الاستثناء كما اشير اليه بمعزل من الدلالة على ثبوته
فضلا عن الدلالة على كيفيته وتقديم المرض عليه للايذان باصالته واستقلاله باحكام لا توجد
في غيره كالاشتداد باستعمال الماء ونحوه او جاء احد منكم من الغائط الغائط المطمئن و
المجيء منه كناية عن الحدث لان المعتاد ان من يريده يذهب اليه ليواري شخصه عن اعين الناس
واسناد المجيء منه الى احد منهم من المخاطبين دونهم للتحاشي عن التصريح بنسبتهم الى ما يستحيى
منه او يستهجن التصريح به وكذلك ايثار الكناية فيما عطف عليه من قوله تعالى او لامستم النساء
على التصريح بالجماع ونظمهما في سلك سببي سقوط الطهارة والمصير الى التيمم مع كونهما سببي
وجوبها ليس باعتبار انفسهما بل باعتبار قيدهما المستفاد من قوله تعالى فلم تجدوا ماء بل هو السبب
في الحقيقة وانما ذكرا تمهيدا له وتنبيها على انه سبب الرخصة بعد انعقاد سبب الطهارة الصغرى

والكبرى كأنه قيل ولم تكونوا مرضى او مسافرين بل كنتم فاقدين للماء بسبب من الاسباب مع تحقق ما يوجب
استعماله وتخصيص ذكره بهذه الصورة مع انه معتبر في صورتي المرض والسفر ايضا لندرة وقوعه فيهما و
استغنائهما عن ذكره اما لان الجنابة معتبرة فيهما قطعا فيعلم من حكمها حكم الحدث الاصغر بدلالة النص
لان تقدير النظم الشريف لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا حال كونكم مسافرين فان كنتم كذلك او مرضى
الخ واما لما قيل من ان عموم اعواز الماء في حق المسافر غالب والعجز عن استعمال الماء القائم مقام عدمه
في حق المريض مغن عن ذكره لفظا وما قيل من ان هذا القيد راجع الى الكل وانه قيد وجوب التطهير
المكني عنه بالمجيء من الغائط والملامسة معتبر في الكل مما لا يساعده النظم الكريم فتيمموا صعيدا طيبا
فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا قال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا او غيره وان كان
صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله تعالى
وعند الشافعي لا بد من ان يعلق باليد شيء من التراب فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي الى
المرافق لما روي انه عليه السلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ولانه بدل من الوضوء فيتقدر
بقدره ان الله كان عفوا غفورا تعليل للترخيص والتيسير وتقرير لهما فان من عادته المستمرة
ان يعفو عن الخاطئين ويغفر للمذنبين لا بد ان يكون ميسرا لا معسرا وقيل هو كناية عن فان
الترخيص والمسامحة من روادف العفو وتوابع الغفران الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
كلام مستانف مسوق لتعجيب المؤمنين من سوء حالهم والتحذير عن موالاتهم والخطاب لكل من يتاتى
منه الرؤية من المؤمنين وتوجيهه اليه ههنا مع توجيهه فيما بعد الى الكل معا للايذان بكمال شهرة
شناعة حالهم وانها بلغت من الظهور الى حيث يتعجب منها كل من يراها والرؤية بصرية اي
الم تنظر اليهم فانهم احقاء بان تشاهدهم وتتعجب من احوالهم وتجويز كونها قلبية على ان الى لتضمنها
معنى الانتهاء كما ضلوه يأباه مقام تشهير شناعتهم ونظمها في سلك الامور المشاهدة والمراد بهم
احبار اليهود روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انها نزلت في حبرين من احبار اليهود
كانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه يثبطانهم عن الاسلام وعنه رضي الله عنه ايضا
انها نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لويا لسانهما وعاباه والمراد بالكتاب هو التورية وحمله على جنس الكتاب المنتظم لها انتظاما
اوليا تطويل للمسافة والذي اوتوه ما بين لهم فيها من الاحكام والعلوم التي من جملتها
ما علموه من نعوت النبي عليه السلام وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب المنبئ عن كونه حقا
من حقوقهم التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها للايذان بكمال ركاكة آرائهم حيث ضيعوه
تضييعا وتنوينه تفخيمي مؤيد للتشنيع عليهم والتعجيب من حالهم فالتعبير عنهم بالموصول للتنبيه بما في
حيز الصلة على كمال شناعتهم والاشعار بمكان ما طوي ذكره في المعاملة المحكية عنهم من الهدى
الذي هو احد العوضين وكلمة من متعلقة اما باوتوا او بمحذوف وقع صفة لنصيبا مبينة لفخامته
الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية اي نصيبا كائنا من الكتاب وقوله عز وجل يشترون
الضلالة قيل هو حال مقدرة من واو اوتوا وليس في ان اعتبار تقدير اشترائهم المذكور

المذكور في الايتاء مما لا يليق بالمقام وقيل حال من الموصول اي الم تنظر اليهم حال اشترائهم والذي يقتضيه
جزالة النظم الكريم انه استئناف مبين لمناط التشنيع ومدار التعجيب المفهومين من صدر الكلام
على وجه الاجمال والابهام مبني على سؤال نشأ منه كأنه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يأخذون
الضلالة ويتركون ما اوتوه من الهداية وانما طوي ذكر المتروك لغاية ظهور الامر لا سيما بعد
الاشعار المذكور والتعبير عن ذلك بالاشتراء الذي هو عبارة عن استبدال السلعة بالثمن اي اخذها
بدلا منه اخذا ناشئا عن الرغبة فيها والاعراض عنه للايذان بكمال رغبتهم في الضلالة التي حقها
ان يعرض عنها كل الاعراض واعراضهم عن الهداية التي يتنافس فيها المتنافسون وفيه من التسجيل
على نهاية سخافة عقولهم وغاية ركاكة آرائهم ما لا يخفى حيث صورت حالهم بصورة ما لا يكاد يتعاطاه
احد ممن له ادنى تمييز وليس المراد بالضلالة جنسها الحاصل لهم من قبل ان يخل بمبنى الاشتراء والمبني
عن تأخرها عنه بل هو فردها الحاصل الكامل وهو عنادهم وتماديهم في الكفر بعدما علموا شأن
النبي عليه السلام وتيقنوا حقية دينه وانه هو النبي الموعود المبشر به في التورية ولا ريب في
ان هذه المرتبة لم تكن حاصلة لهم قبل ذلك وقد حررنا في اوائل سورة البقرة ويريدون ان
عطف على يشترون شريك له في بيان محل التشنيع والتعجيب وصيغة المضارع فيهما للدلالة على الاستمرار
التجددي فان تجدد حكم اشترائهم المذكور وتكرر العمل بموجبه في قوة تجدده نفسه وتكرره اي لا يكتفون
بضلال انفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته صلى الله عليه وسلم ان تضلوا انتم ايضا
ايها المؤمنون السبيل المستقيم الموصل الى الحق والله اعلم اي منكم باعدائكم جميعا ومن
جملتهم هؤلاء وقد اخبركم بعداوتهم لكم وما يريدون بكم لتكونوا على حذر منهم ومن مخالطتهم او
هو اعلم بحالهم ومآل امرهم بل جملة معترضة لتقرير ارادتهم المذكورة وكفى بالله وليا في جميع اموركم
ومصالحكم وكفى بالله نصيرا في كل المواطن فثقوا به واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره او
لا تبالوا بهم وبما يسومونكم من السوء فانه تعالى يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد والباء
مزيدة في فاعل كفى لتأكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي وتكرير الفعل في الجملتين مع
اظهار الجلالة في مقام الاضمار لا سيما في الثانية لتقوية استقلالهما المناسب للاعتراض وتأكيد كفايته
عز وجل لكل من الولاية والنصرة والاشعار بعليتها فان الالوهية من موجباتهما لا محالة من الذين
هادوا قيل هو بيان للذين اوتوا وما بينهما اعتراض وفيه انه لا وجه لتخصيص علمه سبحانه بطائفة من
اعدائهم لا سيما في معرض الاعتراض الذي حقه العموم والاطلاق وانتظام ما هو المقصود في المقام
انتظاما اوليا كما اشير اليه وقيل هو صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كما في قوله تعالى فمن ينصرني
من الله وفيه ما فيه من تحجير واسع نصرته عز وجل لا داعي الى وضع الموصول موضع ضمير الاعداء لان ما
في حيز الصلة ليس بوصف ملائم للنصر وقيل هو خبر مبتدأ محذوف وقع قوله تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه
صفة له اي من الذين هادوا قوم او فريق يحرفون الخ وفيه انه يقتضي كون الفريق الذي يحول
من التحريف الذي هو المصداق لاشترائهم في الحقيقة فالذي يليق بشأن التنزيل الجليل انه بيان
للموصول الاول المتناول بحسب المفهوم لاهل الكتابين وقد وسط بينهما ما وسط لمزيد الاعتناء ببيان

محل التشنيع والتعجيب والمسارعة الى تنفير المؤمنين وتحذيرهم عن مخالطتهم والاهتمام بحملهم على الثقة بالله تعالى
والاكتفاء بولايته ونصرته وان قوله تعالى يحرفون وما عطف عليه بيان لاشترائهم المذكور وتفصيل
لفنون ضلالهم وقد روعيت في النظم الكريم طريقة التفسير بعد الابهام والتفصيل اثر الاجمال روما
لزيادة تقرير يقتضيه الحال والكلم اسم جنس واحده كلمة كتمر وتمرة وتذكير ضميره باعتبار افراده لفظا
وجمعية مواضعه باعتبار تعدده معنى وقرئ بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة وقرئ يحرفون
الكلام والمراد به ههنا اما ما في التورية خاصة واما ما هو اعم منه ومما سيحكى عنهم من الكلمات المعهودة
الصادرة عنهم في اثناء المحاورة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مساغ لارادة تلك الكلمات خاصة
بان يجعل عطف قوله تعالى ويقولون سمعنا وعصينا على ما قبله عطفا تفسيريا لما ستقف عليه فان اريد
به الاول فكما هو رأي الجمهور فتحريفه ازالته عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها من التورية كتحريفهم في نعت
النبي صلى الله عليه وسلم اسمر ربعة عن موضعه في التورية بان وضعوا مكانه آدم طوال وكتحريفهم الرجم بوضعهم
بدله الحد او صرفه عن المعنى الذي انزله الله تعالى فيه الى ما لا صحة له بالتأويلات الزائغة الملائمة لشهواتهم
الباطلة وان اريد به الثاني فلا بد من ان يراد بمواضعه ما يليق به مطلقا سواء كان ذلك بتعيينه تعالى صريحا كمواضع
ما في التورية او بتعيين العقل والدين كمواضع غيره وأيّا ما كان فقولهم سمعنا وعصينا ينبغي ان يجري على اطلاقه
من غير تقييد بزمان او مكان ولا تخصيص بمادة دون مادة بل وان يحمل على ما هو اعم من القول الحقيقي
ومما يترجم عنه عنادهم ومكابرتهم ليندرج فيه ما نطقت به السنة حالهم عند تحريف التورية فان من
لا يتفوه بتلك العظيمة لا يكاد يتجاسر على مثل هذه الجناية والا تحمله على ما قالوه في مجلس النبي عليه السلام من
القبائح خاصة يستدعي اختصاص حكم الشرطية الآتية وما بعدها بهن من غير تعرض لتحريف التورية مع انه
معظم جناياتهم المعدودة ومن ههنا انكشف لك السر الموعود فتأمل اي يقولون في كل امر مخالف لاهوائهم
الفاسدة سواء كان بمحضر النبي عليه السلام اولا بلسان المقال او الحال سمعنا وعصينا عنادا او تحقيقا للمخالفة
وقوله تعالى واسمع غير مسمع عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت القول اي ويقولون ذلك في اثناء مخاطبتهم
خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بان يحمل على معنى اسمع حال كونك غير مسمع كلاما اصلا بصمم او موت اي
مدعوا عليك بلا سمعت او غير مسمع كلاما ترضاه فحينئذ يجوز ان يكون نصبه على المفعولية وللخير بان يحمل على اسمع منا غير
مسمع مكروها كانوا يخاطبون به النبي عليه السلام استهزاء به مظهرين له عليه السلام ارادة المعنى الاخير وهم
مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به وراعنا عطف على اسمع غير مسمع اي ويقولون في اثناء خطابهم
له عليه السلام هذا ايضا يريدون كلاما من العظائم الثلث في موافقتها وهو ايضا كلمة ذات وجهين محتملة
للخير على معنى ارقبنا وانتظرنا نكلمك وللشر بحملها على السب بالرعونة اي الحمق او باجرائها مجرى ما يشبهها
من كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا كانوا يخاطبون به عليه السلام بذلك ينوون
الشتيمة والاهانة ويظهرون التوقير والاحترام ونصبهم الى مسلك النفاق في القولين الاخيرين مع
تصريحهم بالعصيان في الاول لما قالوا من ان جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه
بالسب ودعاء السوء وقيل كانوا يقولون الاول فيما بينهم وقيل يجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم
يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به ليا بالسنتهم اي فتلا بها وصرفا للكلام عن نهجه الى نسبة السب حيث وضعوا

غير مسمع موضع لا اسمعت مكروها واجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى انظرنا او فتلا بها وضما ما يظهرونه
من الدعاء والتوقير الى ما يضمرونه من السب والتحقير وطعنا في الدين اي قدحا فيه بالاستهزاء والسخرية
وانتصابهما على العلية ليقولون باعتبار تعلقه بالقولين الاخيرين اي يقولون ذلك لصرف الكلام عن وجهه
الى السب والطعن في الدين او على الحالية اي لاوين وطاعنين في الدين ولو انهم قالوا عندما سمعوا اوامر
الله ونواهيه قالوا بلسان المقال او بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا انما اعيد
سمعنا مع انه متحقق في كلامهم وانما الحاجة الى وضع اطعنا مكان عصينا للتنبيه على عدم اعتباره بل على اعتبار
عدمه كيف لا وسماعهم سماع الرد ومرادهم بحكايته اعلام ان عصيانهم لم يكن بعد سماعه والوقوف عليه من غير
من ازالته والذي منه سماع القبول معاملة واسمع اي لو قالوه عند مخاطبة النبي عليه السلام بدل قولهم
اسمع غير مسمع وانظرنا اي ولو قالوا ذلك بدل قولهم راعنا ولم يدسوا تحت كلامهم شرا وفسادا اي لو
ثبت انهم قالوا هذا مكان ما قالوا من الاقوال لكان قولهم ذلك خيرا لهم مما قالوا واقوم اي اعدل
واسد في نفسه وصيغة التفضيل اما على بابها واعتبار اصل الفعل في المفضل عليه بناء على اعتقادهم او بطريق
التهكم واما بمعنى اسم الفاعل وانما قدم في البيان ماله بالنسبة اليهم على ماله في نفسه لان همهم مقصورة على
ما ينفعهم ولكن لعنهم الله بكفرهم اي ولكن لم يقولوا ذلك واستمروا على كفرهم فخذلهم الله وابعدهم عن
الهدى بسبب كفرهم ذلك فلا يؤمنون بعد ذلك الا قليلا منهم اي الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان
ببعض الكتب والرسل او الا زمانا قليلا وهو زمان الاحتضار فانهم يؤمنون حين لا ينفعهم الايمان قال الله
عز وجل وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وكلاهما ليس بايمان قطعا وقد جوز ان يراد بالقلة
العدم بالكلية على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي ان كان الايمان المعدوم
ايمانا فهم يحدثون شيئا من الايمان فهو في المعنى تعليق بالمحال وانت خبير بان الكلام يأباه لما يعقبه من الامر
بالايمان بالقرآن الناطق بهذا الافضاء الى التكليف بالمحال الذي هو ايمانهم بعدم ايمانهم المستمر اما على الوجه
الاخير فظ واما على الاولين فلان امرهم بالايمان المنجز بجميع الكتب والرسل تكليف لهم بايمانهم بعد
ايمانهم ببعض الكتب والرسل وبعدم ايمانهم الا وقت الاحتضار فالوجه ان يحمل القليل على من كوشف
بعد ذلك لكن لا يجعل المستثنى منه ضمير الفاعل في لا يؤمنون لافضائه وقوع ايمان من لعنه الله تعالى ومخذوله
مع ما فيه من نسبة القراء الى الاتفاق على غير المختار بل يجعله ضمير المفعول في لعنهم اي ولكن لعنهم الله الا فريقا
قليلا فانه تعالى لم يلعنهم فلم ينسد عليهم باب الايمان وقد آمن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام
واضرابه كما سيأتي يا ايها الذين اوتوا الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه له الى من حكيت احوالهم و
اقوالهم خاصة بطريق الالتفات ووصفهم تارة بايتاء الكتاب اي التورية واخرى بايتاء نصيب من التورية
لما ان المقامين حظ جانب المقصود فيما سبق بيانه اخذهم الضلالة وعنوه بمقابلتها بالتحريف وليس
ما ازالوه بذلك كلها حتى يوصفوا بايتائه بل هو بعضها فوصفوا بايتائه واما ههنا فهم مقصود تاكيد ايجاب
الامتثال بالامر الذي يعقبه والتحذير عن مخالفته من حيث ان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه
والكفر بالثاني مقتض للكفر بالاول قطعا ولا ريب في ان المحذور عندهم انما هو لزوم الكفر بالتورية
نفسها لا ببعضها وذلك انما يتحقق بجعل القرآن مصدقا لكلها وان كان مناط التصديق بعضها منها ضرورة

ان مصدق البعض لكل المتفقين عليه حتما واما البعض الى غيرهم قاطبة واياما كان ففصيل حفظهم لما كان منطاق من
الفريقين عما كانوا عليه من الضلالة عقب ذلك بالامر بالايمان ارشادا الى سلوك محجة الهداية مشفوعا بالوعيد الشديد
على المخالفة فقيل آمنوا بما نزلنا من القرآن عبر عنه بالموصول تشريفا له بما في حيز الصلة وتحقيقا لكونه من
عنده عز وجل مصدقا لما معكم من التوراة عبر عنها بذلك للايذان بكمال وقوفهم على حقيقة الحال فان المعية
المستدعية لدوام تلاوتها وتكرار المراجعة اليها من موجبات العثور على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكون
القرآن مصدقا لها ومعنى تصديقه اياها نزوله حسبما نعت لهم فيها او كونه موافقا لها في القصص والمواعيد والدعوة
الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته لها في جزئيات الاحكام
بسبب تفاوت الامم والاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي عين الموافقة من حيث ان كلا منها حق
بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق
المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه
الا اتباعي من قبل ان نطمس وجوها متعلق بالامر مفيد للمسارعة الى الامتثال به والجد في الانتهاء عن
مخالفته بما فيه من الوعيد الشديد الوارد على ابلغ وجه واكده حيث لم يعلق وقوع المتوعد به بالمخالفة
ولم يصرح بوقوعه عندها تنبيها على ان ذلك امر محقق غني عن الاخبار به وانه على شرف الوقوع متوجه نحو المخاطبين
وفي تنكير الوجوه المفيد للتكثير تهويل للخطب وفي ابهامها لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم الى الايمان واصل
الطمس محو الآثار وازالة الاعلام اي آمنوا من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها قال ابن عباس رضي
نجعلها كخف البعير او كحافر الدابة وقال قتادة والضحاك نعميها كقوله تعالى فطمسنا على اعينهم وقيل نجعلها
منابت الشعر كوجوه القردة فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها واقفائها مطموسة مثلها
فالفاء للتسبيب او ننكسها بعد الطمس فنردها الى موضع الاقفاء والاقفاء الى موضعها وقد اكتفى بذكر
اشدهما فالفاء للتعقيب وقيل المراد بالوجوه الوجهاء على ان الطمس بمعنى مطلق التغيير اي من قبل
ان نغير احوال وجهائهم فنسلب اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارا وادبارا او نردهم من حيث
جاؤوا منه وهي اذرعات الشام فالمراد بذلك اجلاء بني النضير ولا يخفى انه لا يساعده مقام تشديد الوعيد
وتعميم التهديد للجميع فالوجه ما سبق من الوجوه وقد اختلف في ان الوعيد هل كان بوقوعه في الدنيا
او في الآخرة فقيل كان بوقوعه في الدنيا ويؤيده ما روي في ان الوعيد عبد الله بن سلام لما قدم
من الشام وقد سمع هذه الآية اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان يأتي اهله فاسلم وقال يا
رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي الى قفاي وفي رواية جاء الى النبي عليه السلام
ويده على وجهه واسلم وقال ما قال وكذا ما روي ان عمر رضي الله تعالى عنه قرأ هذه الآية على كعب الاحبار
فقال كعب يا رب اسلمت مخافة ان يصيبني وعيدها ثم اختلفوا فقيل انه منتظر بعد ولا بد من طمس في
اليهود ومسخ وهو قول المبرد وفيه ان انصراف العذاب الموعود عنهم وانهم هم الذين باشروا اسباب
نزوله وموجبات حلوله حيث شاهدوا شواهد النبوة في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكذبوها
وفي التوراة حرفوها واصروا على الكفر والضلالة وتعلق بهم خطاب المشافهة بالوعيد ثم نزوله على
من وجد بعد ما مات من النسلين من اعقابهم الضالين باضلالهم العاملين بما مهدوا من قوانين الغواية

الغواية بعيد من حكمة الله العزيز الحكيم وقيل ان وقوعه كان مشروطا بعدم الايمان وقد آمن من احبارهم المذكورات
واضرابهما فلم يقع وفيه ان اسلام بعضهم ان لم يكن سببا لتأكد نزول العذاب على الباقين بتشددهم بالنكير والعناد
بعد ازدياد الحق وضوحا وقيام الحجة عليهم بشهادة اماثلهم العدول فلا اقل من ان لا يكون سببا لرفعه عنهم وقيل
كان الوعيد بوقوع احد الامرين كما ينطق به قوله تعالى او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت فان لم يقع الاول
فلا نزاع في وقوع الثاني كيف لا وهم ملعونون بكل لسان في كل زمان وتفسير اللعن بالمسخ ليس بمقرر البتة وانت
خبير بان المتبادر من اللعن المشبه بلعن اصحاب السبت هو المسخ وليس في عطفه على الطمس والرد على الادبار
شائبة دلالة على عدم ارادة المسخ ضرورة انه تغيير مغاير لما عطف عليه على ان المتوعد به لا بد ان يكون امرا
حادثا مترتبا على الوعيد محذورا عندهم ليكون مزجرة عن مخالفة الامر ولم يعهد انه وقع عليهم لعن بهذا الوصف
انما الواقع عليهم ما تداولته الالسنة من اللعن المستمر الذي الفوه وهو بمعزل من صلاحيته ان يكون
حكما بهذا الوعيد او مزجرة للعنيد وقيل انما كان الوعيد بوقوع ما ذكر في الآخرة عند الحشر وسيقع فيها
لا محالة احد الامرين او كلاهما على سبيل التوزيع واما ما روي عن عبد الله بن سلام وكعب فمبني على الاحتياط
اللائق بشأنهما ولا يخفى ان النظم الكريم ليس بنص في احد الوجهين بل المتبادر منه بحسب المقام هو الاول
لانه ادخل في الزجر وعليه مبنى ما روي عن الحبرين لكن لما لم يتضح وقوعه علم ان المراد هو الثاني والله تعالى اعلم
واياما كان فلعل السر في تخصيصهم بهذه العقوبة من بين العقوبات مراعاة المشاكلة بينها وبين ما اوجبها
من جناياتهم التي هي التحريف والتغيير والله هو العليم الخبير وكان امر الله اي ما امر به كائنا ما كان او امره
بايقاع شيء ما من الاشياء مفعولا نافذا كائنا لا محالة فيدخل فيه ما اوعدتم به دخولا اوليا فالجملة اعتراض
تذييلي مقرر لما سبق ووضع الاسم الجليل موضع المضمر بطريق الالتفات لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية
ما في الاعتراض من الاستقلال ان الله لا يغفر ان يشرك به كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد
وتأكيد وجوب الامتثال بالامر بالايمان ببيان استحالة المغفرة بدونه فانهم كانوا يفعلون ما يفعلون من
التحريف ويطمعون في المغفرة كما في قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا
الادنى اي على التحريف ويقولون سيغفر لنا والمراد بالشرك مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاما اوليا
فان الشرع قد نص على اشراك اهل الكتاب قاطبة وقضى بخلود اصناف الكفرة في النار ونزوله في حق
اليهود كما قال مقاتل وهو الانسب بسياق النظم الكريم وسباقه لا يقتضي اختصاصه بكفرهم بل يكفي اندراجه
فيه قطعا بل لا وجه له اصلا لافضائه الى جواز مغفرة ما دون كفرهم في الشدة من انواع الكفر اي لا يغفر
الكفر لمن اتصف به بلا توبة وايمان لان الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان
مما يؤدي الى فتحه ولان ظلمات الكفر والمعاصي انما يسترها نور الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يكن له
مغفرة من الكفر والمعاصي ويغفر ما دون ذلك عطف على خبر ان وذلك اشارة الى الشرك وما فيه من
معنى البعد مع قربه في الذكر للايذان ببعد درجته وكونه في اقصى مراتب القبح اي ويغفر ما دونه في القبح من
المعاصي صغيرة كانت او كبيرة تفضلا من لدنه واحسانا من غير توبة عنها لكن لا لكل احد بل لمن يشاء
اي لمن يشاء ان يغفر له ممن اتصف به فقط لا بما فوقه فان مغفرتهما لمن اتصف بهما سواء في استحالة
الدخول تحت المشيئة المبنية على الحكمة التشريعية فان اختصاص مغفرتهما المعاصي من غير توبة باهل الايمان

من متممات الترغيب فيه والزجر عن الكفر ومن علق المشيئة بكلا الفعلين وجعل الموصول الاول عبارة
عمن لم يتب والثاني عمن تاب فقد ضل سبيل الصواب كيف لا وان مساق النظم الكريم لاظهار كمال عظم جريمة
الكفر وامتيازه عن سائر المعاصي ببيان استحالة مغفرته وجواز مغفرتها فلو كان الجواز على تقدير الزجر
لم يظهر بينهما فرق للاجماع على مغفرتهما بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود من الزجر البليغ عن الكفر والطغيان
والحث على التوبة والايمان • ومن يشرك بالله • اظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لزيادة تقبيح الاشراك
وتفظيع حال من يتصف به • فقد افترى اثما عظيما • اي افترى واختلق اثما لا يغادر قدره ويستحقر دونه
جميع الآثام فلا يتعلق به المغفرة قطعا • الم تر الى الذين يزكون انفسهم • تعجيب من حالهم المنافية لما هم
عليه من الكفر والطغيان والمراد بهم اليهود الذين يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس
من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال
عليه السلام لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار
اي انظر اليهم فتعجب من ادعائهم انهم ازكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والاثم العظيم او من ادعائهم
التكفير مع استحالة ان يغفر للكافر شيء من كفره ومعاصيه وفيه تحذير من اعجاب المرء بنفسه وبعمله •
بل الله يزكي من يشاء • عطف على مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل هم لا يزكونها في الحقيقة لكونهم
وبطلان اعتقادهم بل الله يزكي من يشاء تزكيته ممن يستأهلها من المرتضين من عباده المؤمنين
اذ هو العليم الخبير بما ينطوي عليه البشر من المحاسن والمساوي وقد وصفهم بما هم متصفون
من القبائح واصل التزكية نفي ما يستقبح بالفعل او بالقول • ولا يظلمون • عطف على جملة قد حذفت
تعويلا على دلالة الحال وايذانا بانها غنية عن الذكر اي يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون في ذلك
العقاب • فتيلا • اي ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب المثل في القلة و
الحقارة وقيل التقدير يثاب المزكون ولا ينقص من ثوابهم اصلا ولا يساعده مقام الوعيد
• انظر كيف يفترون على الله الكذب • كيف نصب اما على التشبيه بالظرف او بالحال على الخلاف المشهور
بين سيبويه والاخفش والعامل يفترون وبه يتعلق على اي في اي حال او على اي حال يفترون
عليه تعالى الكذب والمراد بيان شناعة تلك الحال وكمال فظاعتها والجملة في محل النصب بعد
نزع الخافض والنظر متعلق بها وهو تعجيب اثر التعجيب وتنبيه على ان ما ارتكبوه متضمن لامرين
موجبين للتعجب ادعائهم الاتصاف بما هم متصفون بنقيضه وافتراؤهم على الله سبحانه وتعالى
عن ذلك علوا كبيرا ولكون هذا اشنع من الاول جرما واعظم قبحا لما فيه من نسبته سبحانه الى ما
يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه لعباده ومغفرة كفر الكافر وسائر معاصيه وجه
النظر الى كيفيته تشديدا للتشنيع وتأكيدا للتعجب والتصريح بالكذب مع ان الافتراء لا يكون الا
كذبا للمبالغة في تقبيح حالهم • وكفى به • اي بافترائهم هذا من حيث افتراؤه عليه تعالى مع قطع النظر
عن مقارنته لتزكية انفسهم وسائر آثامهم العظام • اثما مبينا • ظاهرا بينا كونه اثما والمعنى
كفى ذلك وحده في كونهم اشد اثما من كل كفار اثيم او في استحقاقهم لاشد العقوبات لما مر سره
وجعل الضمير لزعمهم مما لا مساغ له لاخلاله بتهويل امر الافتراء • فتدبر • الم تر الى الذين اوتوا

اوتوا نصيبا من الكتاب • تعجيب من حال اخرى لهم ووصفهم بما ذكر من ايتاء النصيب لما مر من منافاته لما صدر
عنهم من القبائح وقوله عز وجل • يؤمنون بالجبت والطاغوت • استئناف مبين لمادة التعجيب مبني على سؤال
ينساق اليه الكلام كانه قيل ماذا يفعلون حتى ينظر اليهم فقيل يؤمنون الخ والجبت الاصنام وكل ما عبد من دون
الله تعالى وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير عنده فابدل السين تاء وقيل الجبت الساحر بلغة
الحبشة والطاغوت الشيطان وقيل هو في الاصل كل ما يطغي الانسان روي ان حيي بن اخطب
وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة في سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا على
محاربة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه عليه السلام
فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى
تطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس
فيما فعلوا وقال ابو سفيان انكم اهل الكتاب ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا
نحن ام محمد فقال ماذا يقول محمد قال يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا
نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم قال انتم اهدى سبيلا
وذلك قوله تعالى • ويقولون للذين كفروا • اي لاجلهم وفي حقهم • هؤلاء • يعنونهم • اهدى من الذين آمنوا سبيلا •
اي اقوم دينا وارشد طريقا وايرادهم بعنوان الايمان ليس من قبل القائلين بل من جهة الله تعالى تعريفا
لهم بالوصف الجميل وتخطئة لمن رجح عليهم المتصفين باقبح القبائح • اولئك • اشارة الى القائلين وما فيه
من معنى البعد مع قربهم في الذكر للاشعار ببعد منزلتهم في الضلالة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى • الذين
لعنهم الله • اي ابعدهم عن رحمته وطردهم والجملة مستأنفة لبيان حالهم واظهار مصيرهم ومآلهم • ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا • اي
لا بشفاعة ولا بغيرها وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش وفي كلمة لن وتوجيه الخطاب الى
كل احد يتأتى له الخطاب وتوحيد النصير منكرا والتعبير عن عدمه بعدم الوجدان المبني عن سبق الطلب
مسندا الى المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم الابدي بالكلية ما لا يخفى • ام لهم نصيب من الملك •
شروع في تفصيل بعض آخر من قبائحهم وام منقطعة وما فيها من بل للاضراب والانتقال من ذمهم
بتزكيتهم انفسهم وغيرها مما حكي عنهم الى ادعائهم نصيبا من الملك وبخلهم المفرط وشحهم البالغ والهمزة
لانكار ان يكون لهم ما يدعونه وابطال ما زعموا ان الملك سيصير اليهم وقوله تعالى • فاذا لا يؤتون
الناس نقيرا • بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم الحرمان منه بسبب انهم من البخل والدناءة بحيث
لو اوتوا شيئا من ذلك لما اعطوا الناس منه اقل قليل ومن حق من اوتي الملك ان يؤثر الغير
بشيء منه فالفاء للسببية الجزائية لشرط محذوف اي ان جعل لهم نصيب منه فاذا لا يؤتون الناس
نقيرا وهو ما في ظهر النواة من النقرة ويضرب به المثل في القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف
عن كنه حالهم واذا كان شأنهم كذلك وهم ملوك فما ظنك بهم وهم اذلاء متفاقرون ويجوز ان لا
تكون الهمزة لانكار الوقوع بل لانكار الواقع والتوبيخ عليه اي لبعده منكرا غير لائق بالوقوع على ان
الفاء للعطف والانكار متوجه الى مجموع المعطوفين على معنى انهم نصيب وافر من الملك حيث كانوا
اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك فلا يؤتون الناس نقيرا كما تقول لغني لا يراعي

اباه اكث هذا القدر من المال فلا تنفق على ابيك شيئا وفائدة اذا تاكيد الانكار والتوبيخ حيث يجعلون
ثبوت النصيب سببا للمنع مع كونه سببا للعطاء وهي ملغاة عن العمل كانه قيل فلا يؤتون
الناس اذن وقرئ فاذن لا يؤتوا على اعمالها ام يحسدون الناس منقطعة اي بل ايحسدون مفيدة
للانتقال عن توبيخهم بما سبق الى توبيخهم بالحسد الذي هو شر الرذائل واقبحها لاسيما على ما هم
بمعزل من استحقاقه واللام في الناس للعهد والاشارة الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين
وحمله على الجنس ايذانا بحيازتهم للكمالات البشرية قاطبة فكانهم هم الناس لا غير لا يلايمه ذكر حديث
آل ابراهيم فان ذلك لتذكير ما بين الفريقين من العلاقة الموجبة لاشتراكهما في استحقاق الفضل
والهمزة لانكار الواقع واستقباحه فانهم كانوا يطمعون ان يكون النبي عليه السلام الموعود منهم
فلما خص الله تعالى بتلك الكرامة غيرهم حسدوهم اي بل ايحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله
يعني النبوة والكتاب وازديادالعز والنصر يوما فيوما وقوله تعالى فقد آتينا تعليل للانكار و
الاستقباح والزام لهم بما هو مسلم عندهم وحسم لمادة حسدهم واستبعادهم المبنيين على توهم
عدم استحقاق المحسود لما اوتي من فضله ببيان استحقاقه له بطريق الوراثة كابرا عن كابر واجرا
الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لاظهار كمال العناية بالامر والمعنى ان حسدهم المذكور
في غاية القبح والبطلان فانا قد آتينا من قبل هذا آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد عليه السلام
وابناء اعمامه الكتاب والحكمة اي النبوة وآتيناهم مع ذلك ملكا عظيما لا يقادر قدره فكيف
يستبعدون نبوته عليه السلام ويحسدونه على ايتائها وتكرير الايتاء لما يقتضيه مقام التفصيل مع
الاشعار بما بين النبوة والملك من المغايرة فان اريد به الايتاء بالذات فالمراد بآل ابراهيم انبيا
عليهم السلام خاصة والضمير المنصوب في الفعل الثاني لبعضهم اما بحذف المضاف او بطريق الاستخدام
لما ان الملك لم يؤت كلهم قال ابن عباس رضي الله عنهما الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود
وسليمان عليهم السلام وان اريد ما يعم غيره من الايتاء بالواسطة وهو اللائق بالمقام والاوفق
لما قبله من نسبة ايتاء الفضل الى الناس فالمراد بآل ابراهيم كلهم فان تشريف البعض بما ذكر
من ايتاء النبوة والملك تشريف للكل لاغتنامهم بآثاره واقتباسهم من انواره وفي تفصيل
ما اوتوا وتكرير الفعل ووصف الملك بالعظم وتنكيره التفخيمي من تاكيد الالزام وتشديد الانكار
ما لا يخفى هذا هو المتبادر من النظم الكريم واليه جنح جمهور ائمة التفسير ولكن الظاهر ان الانسب
قوله تعالى فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه حكاية لما صدر عن اسلافهم عقيب وقوع المحكي
من غير ان يكون له دخل في الالزام الذي سيق له الكلام اي فمن جنس هؤلاء الحاسدين وآبائهم
من آمن بما اوتي آل ابراهيم ومنهم من اعرض عنه واما جعل الضميرين لما ذكر من حديث آل
ابراهيم فيستدعي تراخي الآية الكريمة عما قبلها نزولا كيف لا وحكاية ايمانهم بالحديث المذكور
واعراضهم عنه بصيغة الماضي انما تتصور بعد وقوع الايمان والاعراض المتاخرين عن سماع
الحديث المتاخر نزوله وكذا جعلهما لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ النظام حينئذ حالهم
بعد هذا الالزام وحمله على حكاية حالهم السابقة لا يساعده الفاء والمرتبة لما بعدها لما قبلها ولا يساعد

ولا يبعد كل البعد ان تكون الهمزة لتقرير حسدهم وتوبيخهم بذلك ويكون قوله تعالى فقد آتينا الآية تعليلا
له بدلالة على اعراضهم عما اوتي آل ابراهيم وان لم يذكر كونه بطريق الحسد كانه قيل بل ايحسدون
الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يؤمنون به وذلك ديدنهم المستمر فانا قد آتينا آل ابراهيم
ما آتينا فمنهم اي من جنسهم من آمن بما آتيناهم ومنهم من اعرض عنه ولم يؤمن به والله اعلم
وفيه تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعرة يعذبون بها و
الجملة تذييل لما قبلها ان الذين كفروا بآياتنا ان اريد بهم الذين كفروا برسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فالمراد بالآيات اما القرآن او ما يعم كله وبعضه وما يعم سائر معجزاته ايضا وان اريد بهم
الجنس المتناول لهم تناولا اوليا فالمراد بالآيات ما يعم المذكورات وسائر الشواهد التي اوتيها الانبياء
عليهم الصلوة والسلام سوف نصليهم نارا قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد وينوب
عنها السين وقد تذكران في الوعد فيفيدان التاكيد اي ندخلهم نارا عظيمة هائلة كلما نضجت
جلودهم احترقت وكلما ظرف زمان والعامل فيه بدلناهم جلودا غيرها من قبيل بدله بخوفه امنا لا
من قبيل يبدل الله سيئاتهم حسنات اي اعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلدا جديدا
مغايرا للمحترق صورة وان كان عينه مادة بان يزال عنه الاحتراق ليعود حساسا للعذاب والجملة
في محل النصب على انها حال من ضمير نصليهم وقد جوز كونها صفة لنارا على حذف العائد اي كلما نضجت فيها
جلودهم فمعنى قوله تعالى ليذوقوا العذاب ليدوم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله وقيل
يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب للنفس العاصية لا لآلة ادراكها قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
يبدلون جلودا بيضاء كامثال القراطيس وروي ان هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله تعالى عنه
فقال للقارئ اعدها فاعاده وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في ساعة
مائة مرة فقال عمر رضي الله تعالى عنه هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن تأكلهم
النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وروى ابو هريرة
عن النبي عليه السلام ان بين منكبي الكافر مسيرة ثلثة ايام للراكب المسرع وعن ابي هريرة رضي الله
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضرس الكافر او ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده
مسيرة ثلثة ايام والتعبير عن ادراك العذاب بالذوق ليس لبيان قلته بل لبيان ان احساسهم بالعذاب
في كل مرة كاحساس الذائق بالمذوق من حيث ان القوة الذائقة اشد الحواس تاثيرا واقربها سراية
للباطن ولعل السر في تبديل الجلود مع قدرته تعالى على ابقاء ادراك العذاب وذوقه بحاله مع الاحتراق
او مع ابقاء ابدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق ان النفس ربما تتوهم زوال الادراك بالاحتراق
ولا تستبعد كل الاستبعاد ان تكون مصونة عن التألم والعذاب صيانة بدنها عن الاحتراق
ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده ولا يمانعه احد حكيما يعاقب من يعاقبه على وفق حكمته و
الجملة تعليل لما قبلها من الاصلاء والتبديل واظهار اسم الجليل بطريق الالتفات لتهويل الامر وتربية
المهابة وتعليل الحكم فان عنوان الالوهية مناط لجميع صفات كماله تعالى والذين آمنوا وعملوا
الصالحات عقب ببيان سوء حال الكفرة ببيان حسن حال المؤمنين تكميلا لمساءة الاولين ومسرة

الآخرين اي الذين امنوا بايات الله وعملوا بمقتضياتها وهو مبتدا وخبره قوله تعالى • سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار •
وقرئ سيدخلهم بالياء ردا على الاسم الجليل وفي السين تاكيد للوعد • خالدين فيها ابدا • حال مقدرة من الضمير
المنصوب في سندخلهم وقوله عز وجل • لهم فيها ازواج مطهرة • اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة
البدنية والادناس الطبيعية في محل النصب على انه حال من جنات او حال ثانية من الضمير المنصوب او على
انها صفة لجنات بعد صفة او في محل الرفع على انه خبر للموصول بعد خبر • وندخلهم ظلا ظليلا • اي فينانا لا
وجوب فيه دائما لا تنسخه شمس اللهم ارزقنا ذلك بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين والظليل صفة مشتقة
من لفظ الظل للتاكيد كما في ليل اليل ويوم ايوم وقرئ يدخلهم بالياء وهو عطف على سيدخلهم لا على
غير الادخال الاول بالذات بل بالعنوان كما في قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا
معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ • ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها • في تصدير
الكلام بكلمة التحقيق واظهار الاسم الجليل وايراد الامر على صورة الاخبار من الفخامة وتاكيد وجوب
الامتثال به والدلالة على الاعتناء بشانه ما لا مزيد عليه وهو خطاب يعم جملة المكلفين قاطبة كما ان
الامانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد وسواء كانت فعلية او
قولية او اعتقادية وان ورد في شان عثمان بن طلحة بن عبد الدار سادن الكعبة المعظمة وذلك
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح و
ابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه
يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان
يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان
لعلي رضي الله عنه اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك قرانا فقرا عليه الاية
فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فهبط جبرائيل عليه السلام واخبر
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقرئ الامانة على التوحيد والمراد
الجنس لا العهد وقيل هو امر للولاة باداء الحقوق المتعلقة بذممهم من المناصب والى غيرها مستحقها
كما ان في قوله تعالى • واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل • امر لهم بايصال الحقوق المتعلقة
بذمم الغير الى اصحابها حيث كان المامور به ههنا مخصصا بوقت المرافعة قيد به بخلاف المامور به اولا فانه
لما لم يتعلق بوقت دون وقت اطلق فقوله تعالى ان تحكموا عطف على تؤدوا وقد فصل بين
العاطف والمعطوف بالظرف المعمول له عند الكوفيين ولمقدر يدل هو عليه عند البصريين لان ما بعد ان لا يعمل
فيما قبلها عندهم اي ان تحكموا اذا حكمتم • وقوله تعالى بالعدل متعلق بتحكموا او بمقدر وقع حالا من فاعله
اي ملتبسين بالعدل والانصاف • ان الله نعما يعظكم به • ما اما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة
موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما
يعظكم به ذلك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات وقرئ نعما بفتح النون
والجملة مستانفة مقررة لما قبلها متضمنة لمزيد لطف للمخاطبين وحسن استدعاء لهم الى الامتثال
بالامر واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة • ان الله كان سميعا • لاقوالكم • بصيرا • بافعالكم فهو وعد ووعيد و

وفي الوعيد • يا ايها الذين امنوا • بعدما امر الولاة بطريق العموم او بطريق الخصوص باداء الامانات والعدل في
الحكومات امر سائر الناس بطاعتهم لكن لا مطلقا بل في ضمن طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
حيث قيل • اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم • وهم امراء الحق وولاة العدل كالخلفاء
الراشدين ومن يقتدي بهم من المهتدين واما امراء الجور فبمعزل من استحقاق العطف على الله تعالى والرسول
عليه السلام لوجوب الطاعة لهم وقيل هم علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي
الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم وياباه قوله تعالى • فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله • اذ ليس للمقلد ان
ينازع المجتهد في حكمه الا ان يجعل الخطاب لاولي الامر بطريق الالتفات وفيه بعد وتصدير الشرطية بالفاء
لترتيبها على ما قبلها فان بيان حكم طاعة اولي الامر عند موافقتها لطاعة الله وطاعة الرسول عليه
السلام يستدعي بيان حكمها عند المخالفة اي ان اختلفتم انتم واولوا الامر منكم في امر من امور الدين فراجعوا
فيه الى كتاب الله تعالى • والرسول • اي الى سنته وقد استدل به منكروا القياس وهو في الحقيقة دليل
على حجيته كيف لا ورد المختلف فيه الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعني بالقياس
ويؤيده الامر به بعد الامر بطاعة الله تعالى وطاعة الرسول عليه السلام فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة ثابت
بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس • ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر • متعلق
بالامر الاخير الوارد في محل النزاع اذ هو المحتاج الى التحذير من المخالفة وجواب الشرط محذوف
عند جمهور البصريين ثقة لدلالة المذكور عليه اي ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فردوه الخ فان
الايمان بهما موجب لذلك اما الايمان بالله تعالى فظاهر واما الايمان باليوم الاخر فلما فيه من العقاب على المخالفة
ذلك • اي الرد المامور به • خير لكم • واصلح • واحسن • في نفسه • تاويلا • اي عاقبة ومالا وتقديم
خيريته لهم على حسنيته في نفسه لما مر من تعلق انظارهم بما ينفعهم والمراد بيان اتصافه في نفسه
بالخيرية الكاملة والحسن الكامل في حد ذاته من غير اعتبار فضله على شيء يشاركه في اصل الخيرية كما ينبئ
عنه التحذير السابق • الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك •
تلوين للخطاب وتوجيه له الى الرسول عليه السلام تعجيبا له من حال الذين يخالفون ما مر من الامر
المحتوم ولا يطيعون الله ولا رسوله ووصفهم بادعاء الايمان بالقران وبما انزل من قبله اعني
التورية لتاكيد التعجيب وتشديد التوبيخ والاستقباح ببيان كمال المباينة بين دعواهم وبين
ما صدر عنهم وقرئ الفعلان على البناء للفاعل وقوله عز وجل • يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت •
استيناف سيق لبيان محل التعجيب مبني على سؤال نشا من صدر الكلام كانه قيل ماذا يفعلون
وقيل يريدون الخ روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه
اليهودي الى رسول الله عليه السلام ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض به المنافق فدعاه الى عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه فقال اليهودي قضى لي رسول الله عليه السلام فلم يرض بقضائه فقال عمر رضي الله عنه للمنافق
هكذا قال نعم فقال عمر رضي الله تعالى عنه مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به
عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله تعالى ورسوله فنزلت فهبط جبرائيل

عليه السلام وقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انت الفاروق والطاغوت
كعب بن الاشرف سمي به لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله عليه السلام او على التشبيه بالشيطان والتسمية
باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله عليه السلام على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان وقال الضحاك
المراد بالطاغوت كهنة اليهود وسحرتهم وعن الشعبي ان المنافق دعا خصمه الى الكاهن في جهينة فتحاكما اليه
وعن السدي ان الحادثة وقعت في قتيل بين بني قريظة والنضير فتحاكم المسلمون من الفريقين الى النبي عليه
السلام وابى المنافقون منهما الا التحاكم الى ابي بردة الكاهن الاسلمي فتحاكموا اليه فيكون الاقتصار في موضع
التعجيب والاستقباح على ذكر ارادة التحاكم دون نفسه مع وقوعه ايضا للتنبيه على ان ارادته مما يقضي منه
العجب ولا ينبغي ان يدخل تحت الوقوع فما ظنك بنفسه وهذا انسب بوصف المنافقين بادعاء الايمان بالتوراة
فانه كما يقتضي كونهم من منافقي اليهود يقتضي كون ما صدر عنهم من التحاكم ظاهر المنافاة لادعاء الايمان
بالتوراة وليس التحاكم الى كعب بن الاشرف بهذه المثابة من الظهور وايضا فيما ذكر من قوله تعالى وقد
امروا ان يكفروا به كونهم مامورين بكفره في الكتاب وما ذاك الا الشيطان واولياؤه المشهورون بولايته
كالكهنة ونظائرهم لا من اعداهم ممن لم يشتهر بذلك وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كما في
قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم والجملة حال من ضمير يريدون مفيدة لتاكيد التعجيب وتشديد الاستقباح
كالوصف السابق وقوله جل وعلا ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا عطف على يريدون داخل
في حكم التعجيب فان اتباعهم لمن يريد اضلالهم واعراضهم عمن يريد هدايتهم اعجب من كل عجيب وضلالا
اما مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد كما في قوله تعالى فانبتها الله نباتا حسنا واما مصدر لفعله
المدلول عليه بالمذكور اي فيضلون ضلالا وايا ما كان فوصفه بالبعد الذي هو نعت موصوفه للمبالغة وقوله تعالى
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول تكملة لمادة التعجيب ببيان اعراضهم صريحا عن التحاكم
الى كتاب الله تعالى ورسوله عليه السلام اثر بيان اعراضهم عن ذلك في ضمن التحاكم الى الطاغوت وقرئ
تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل تخفيفا كما في قولهم ما باليت به بالة اصلها بالية كعافية وكما قالوا
في آية اصله آيية فحذفت اللام ووقعت واو الجمع بعد اللام في تعالى فضمت فصار تعالوا ومنه قول اهل مكة للمرأة
تعالي بكسر اللام وعليه قول ابي فراس الحمداني ايا جارتا ما انصف الدهر بيننا تعالي اقاسمك الهموم تعالي
رايت المنافقين اظهار المنافقين في مقام الاضمار للتسجيل عليهم بالنفاق وذمهم به والاشعار
بعلة الحكم والرؤية بصرية وقوله تعالى يصدون عنك حال من المنافقين وقيل الرؤية قلبية والجملة
مفعول ثان لها والاول هو الانسب لظهور حالهم وقوله تعالى صدودا اما مصدر مؤكد لفعله اي يصدون
عنك اعراضا واي اعراض وقيل اسم للمصدر الذي هو الصد والاظهر انه مصدر لصد اللازم والصد
مصدر للمتعدي يقال صد عنه صدودا اي اعرض عنه وصده عنه صدا اي منعه عنه وقوله تعالى
فكيف شروع في بيان غائلة جناياتهم المحكية وحاقة عاقبتها اي كيف يكون حالهم اذا
اصابتهم مصيبة اي وقت اصابة المصيبة اياهم بافتضاحهم بظهور نفاقهم بما قدمت ايديهم
بسبب ما عملوا من الجنايات التي من جملتها التحاكم الى الطاغوت والاعراض عن حكمك ثم
جاؤوك للاعتذار عما صنعوا من القبائح وهو عطف على اصابتهم والمراد تفظيع حالهم وتهويل

وتهويل ما دهمهم من الخطب واعتراهم من شدة الامر عند اصابة المصيبة وعند المجيء للاعتذار يحلفون
بالله حال من فاعل جاؤوك ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اي ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك
الا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك ولا تسخطا لحكمك فلا تؤاخذنا
بما فعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار
وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله تعالى فقالوا ما اردنا اي ما اراد صاحبنا
المقتول بالتحاكم الى عمر رضي الله تعالى عنه الا ان يحسن اليه ويوفق بينه وبين خصمه اولئك اشارة
الى المنافقين وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والنفاق وهو مبتدأ خبره قوله
عز وجل الذين يعلم الله ما في قلوبهم اي من فنون الشرور والفساد المنافية لما اظهروا
لك من الاكاذيب فاعرض عنهم جواب شرط محذوف اي اذا كان حالهم كذلك فاعرض عن قبول
معذرتهم وقيل عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم ولا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم ولا تهتك سترهم
حتى يبقوا على وجل وحذر وعظهم اي ازجرهم عن النفاق والكيد وقل لهم في انفسهم اي في حق
انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على الشرور التي يعلمها الله تعالى او في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم
مسارا بالنصيحة لانها في السر انجع قولا بليغا مؤثرا واصلا الى كنه المراد مطابقا لما سيق له
من المقصود فالظرف على التقديرين متعلق بالامر وقيل متعلق ببليغا على رأي من يجيز تقديم معمول
الصفة على الموصوف اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون
منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال والايذان بان ما في قلوبهم من مكنونات
الشر والنفاق غير خاف على الله تعالى وان ذلك مستوجب لاشد العقوبات وانما هذه المكافة والتاخير
لاظهارهم الايمان والطاعة واضمارهم الكفر ولئن اظهروا الشقاق وبرزوا باشخاصهم من نفق
النفاق ليمسنهم العذاب ان الله شديد العقاب وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله
كلام مبتدأ جيء به تمهيدا لبيان خطئهم في الاشتغال بستر جناياتهم بالاعتذار بالاباطيل وعدم تلافيها
بالتوبة اي وما ارسلنا رسولا من الرسل لشيء من الاشياء الا ليطاع بسبب اذنه تعالى في طاعته
وامره المرسل اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عنه تعالى فطاعته طاعة الله تعالى ومعصيته
معصية الله تعالى او بتيسير الله تعالى وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم وعرضوها للعذاب
عذاب النفاق بترك طاعتك والتحاكم الى غيرك جاؤوك من غير تأخير كما يفصح عنه تقديم الظرف
متوسلين بك في التنصل عن جناياتهم القديمة والحادثة ولم يزدادوا جناية على جناية بالقصد
الى سترها بالاعتذار الباطل والايمان الفاجرة فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص و
بالغوا في التضرع اليك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله تعالى واستغفرت لهم وانما قيل
واستغفر لهم الرسول على طريق الالتفات تفخيما لشأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعته في حيز القبول لوجدوا الله توابا رحيما
لعلموه مبالغا في قبول توبتهم والتفضل عليهم بالرحمة وان فسر الوجدان بالمصادفة كان قوله تعالى
توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه وايا ما كان ففيه فضل ترغيب للسامعين في

المسارعة الى التوبة والاستغفار ومزيد تندمهم لاولئك لمنا فتحتين على ما صنعوا لما ان ظهور
تباشير قبول التوبة وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم لآثارهما بغتة زائدة عليهما موجبة لكمال الرغبة
في تحصيلهما وتمام الحسرة على فواتهما • فلا وربك • اي فوربك ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم لا لتأكيد
النفي في جوابه اعني قوله تعالى • لا يؤمنون • لانها تزاد في الاثبات ايضا كما في قوله تعالى فلا اقسم
بمواقع النجوم ونظائره • حتى يحكموك • اي يتحاكموا اليك ويرافعوا اليك وانما جيء بصيغة التحكيم
مع انه عليه السلام حاكم بامر الله تعالى ايذانا بان حقهم ان يجعلوه عليه السلام حكما فيما بينهم ويرضوا
بحكمه وان قطع النظر عن كونه حاكما على الاطلاق • فيما شجر بينهم • اي فيما اختلف بينهم من
الامور واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه • ثم لا يجدوا • عطف على مقدر ينساق اليه الكلام
اي فتقضي بينهم ثم لا يجدوا • في انفسهم حرجا • ضيقا • مما قضيت • اي مما قضيت به او من قضائك
وشكا من اجله اذ الشاك في ضيق امره • ويسلموا • اي ينقادوا لامرك ويذعنوا له
تسليما • تأكيد الفعل بمنزلة تكريره اي تسليما تاما بظاهرهم وباطنهم يقال سلم لامر الله واسلم
له بمعنى وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة اي ينقادوا لحكمك انقيادا
لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل في شان الزبير و
رجل من الانصار حين اختصما الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في شراج من الحرة كانا
يسقيان بها النخل فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب الانصاري
وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله تع عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء
حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار الى الزبير برأي فيه سعة له و
للخصم فلما احفظ رسول الله صلى الله تع عليه وسلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد
فقال لمن القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال
قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا
مرة في حياة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في
طاعة ربنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق ولو امرني محمد ان
اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله تع
عليه وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي فنزل
في شان هؤلاء • ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم • اي لو اوجبنا عليهم
مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتل انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتابتهم من عبادة
العجل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا • ما فعلوه • اي المكتوب المدلول عليه بكتبنا
او احد مصدري الفعلين • الا قليل منهم • اي الا اناس قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين روي
عن عمر رضي الله تعالى عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك وقيل معنى
اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد وهو بعيد وقرئ الا قليلا بالنصب على الاستثناء او الا
فعلا قليلا • ولو انهم فعلوا ما يوعظون به • من متابعة الرسول عليه السلام وطاعته والانقياد لما يراه

لا يراه ويحكم به ظاهرا وباطنا وسميت اوامر الله تعالى ونواهيه مواعظ لاقترانها بالوعد والوعيد • لكان • اي
فعلهم ذلك • خيرا لهم • عاجلا وآجلا • واشد تثبيتا • لهم على الايمان وابعد من الاضطراب فيه واشد تثبيتا
لثواب اعمالهم • واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما • جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون بعد
التثبيت فقيل واذن لو ثبتوا لآتيناهم فان اذن جواب وجزاء • ولهديناهم صراطا مستقيما •
يصلون بسلوكه الى عالم القدس ويفتح لهم ابواب الغيب قال عليه السلام من عمل بما علم اورثه الله
علم ما لم يعلم • ومن يطع الله والرسول • كلام مستأنف فيه فضل ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق
اليها ببيان ان نتيجتها اقصى ما ينتهي اليه همم الامم وارفع ما يمتد اليه اعناق عزائمهم من مجاورة
اعظم الخلائق مقدارا وارفعهم منارا متضمن لتفسير ما ابهم في جواب الشرطية السابقة وتفصيل ما
اجمل فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد التام والامتثال الكامل لجميع الاوامر والنواهي • فاولئك •
اشارة الى المطيعين والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في فعل الشرط باعتبار لفظها وما فيه من
معنى البعد مع القرب في الذكر للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدأ خبره • مع الذين
انعم الله عليهم • والجملة جواب للشرط وترك ذكر المنعم به للاشعار بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه •
من النبيين • بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعية سائر الانبياء عليهم السلام مع ان الكلام في بيان
حكم طاعة نبينا عليه السلام لجريان ذكرهم في سبب النزول مع ما فيه من الاشارة الى ان طاعته
عليه السلام متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرائعهم التي لا تتغير بتغير الاعصار روي ان نفرا
من اصحاب رسول الله صلى الله تع عليه وسلم قالوا يا نبي الله ان صرنا الى الجنة تفضلنا بدرجات
النبوة فلا نراك وقال الشعبي جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يبكي
فقال ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله بالله الذي لا اله الا هو لانت احب الي من نفسي واهلي
ومالي وولدي واني لاذكرك وانا في اهلي فيأخذني مثل الجنون حتى اراك وذكرت موتي وانك
ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك فلم يرد النبي عليه السلام
فنزلت وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله تع عليه وسلم كان شديد الحب له عليه السلام قليل
الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله تع عليه
وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة
شديدة حتى القاك فذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين و
ان ادخلت الجنة كنت في منزلة دون منزلتك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال
عليه السلام والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده و
الناس اجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وروي ان انسا قال يا رسول
الله الرجل يحب قوما ولما يلحق بهم قال عليه السلام المرء مع من احب • والصديقين • اي المتقدمين
في تصديقهم المبالغين في الصدق والاخلاص في الاقوال والافعال وهم افاضل اصحاب الانبياء عليهم السلام
واماثل خواصهم المقربين كابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه • والشهداء • الذين بذلوا ارواحهم
في طاعة الله تع واعلاء كلمته • والصالحين • الصارفين اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته

وليس المراد بالمعية الاتحاد في الدرجة ولا مطلق الاشتراك في دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل
واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى اراد وان بعد ما بينهما من المسافة. وحسن اولئك
رفيقا. الرفيق الصاحب مأخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة في المعاشرة قولا وفعلا
فان جعل اولئك اشارة الى النبيين ومن بعدهم على ان ما فيه من معنى البعد لما مر رفيقا
اما تمييز او حال على معنى انهم وصفوا بالحسن من جهة كونهم رفقاء لهم وافراده لما انه كالصديق و
الخليط والرسول يستوي فيه الواحد والمتعدد او لانه اريد حسن كل واحد منهم رفيقا وان جعل
اشارة الى المطيعين فهو تمييز على معنى انهم وصفوا بحسن الرفيق من النبيين ومن بعدهم لا بنفس
الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما يجوز في الوجه الاول والجملة تذييل مقرر لما قبله مؤكد للترغيب و
التشويق قيل فيه معنى التعجب كانه قيل ما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ
وحسن بسكون السين. ذلك اشارة الى ما للمطيعين من عظيم الاجر ومزيد الهداية ومرافقة
هؤلاء المنعم عليهم او الى فضلهم ومزيتهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في
الشرف وهو مبتدأ وقوله تع الفضل صفته وقوله تع من الله خبره اي ذلك الفضل العظيم من
الله تع لا من غيره او الفضل خبره ومن الله متعلق بمحذوف وقع حالا منه والعامل فيه معنى الاشارة
اي ذلك الذي ذكر فضلا كائنا من الله تع لان اعمال المكلفين توجبه. وكفى بالله عليما بجزاء
من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله. يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم. الحذر والحذر
واحد كالاثر والاثر اي تيقظوا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم يقال اخذ حذره اذا
تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه وقيل هو ما يحذر به من السلاح والحزم
اي استعدوا للعدو. فانفروا. بكسر الفاء وقرئ بضمها اي اخرجوا الى الجهاد عند خروجكم ثبات
جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة ووزنها في الاصل فعلة كحطمة حذفت لامها وعوض
منها تاء التأنيث وقيل هو واو او ياء فيه قولان قيل انها مشتقة من ثبا يثبو كحلا يحلو
اي اجتمع وقيل من ثبيت على الرجل اذا اثنيت عليه كانك جمعت محاسنه وتجمع ايضا على ثبين جبرا
لما حذف من عجزه ومحلها النصب على الحالية اي انفروا جماعات متفرقة سرية بعد سرية
او انفروا جميعا اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة. وان
منكم لمن ليبطئن. اي ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ كتم بمعنى اتم والخطاب
لعسكر رسول الله صلى الله تع عليه وسلم كلهم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم
الذين تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد او ليبطئن غيره ويثبطنه من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من
ثقل كما بطأ ابن ابي ناسا يوم احد والاول انسب لما بعده واللام الاولى للابتداء ودخلت على
اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن
في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن. فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة
قال. اي المبطئ فرحا بصنعه وحامدا لرأيه. قد انعم الله علي. اي بالقعود. اذ لم اكن معهم شهيدا
اي حاضرا في المعركة فيصيبني ما اصابهم والفاء الشرطية لترتيب مضمونها على ما قبلها فان ذكر

فان ذكر التبطئة مستتبع لذكر ما يترتب عليها كما ان نفس التبطئة مستدعية لشيء ينتظر المبطئ وقوعه. ولئن اصابكم
فضل كفتح وغنيمة. من الله. متعلق باصابكم او بمحذوف وقع صفة لفضل اي فضل كائن من الله تع ونسبة
اصابة الفضل الى جناب الله تع دون اصابة المصيبة من العادات الشريفة التنزيلية كما في قوله تع واذا مرضت
فهو يشفين وتقديم الشرطية الاولى لما ان مضمونها لمقصدهم اوفق واثر نفاقهم فيها اظهر. ليقولن. ندامة
على تثبطه وقعوده وتهالكا على حطام الدنيا وتحسرا على فواته وقرئ ليقولن بضم اللام اعادة للضمير
الى معنى من. وقوله تع كان لم يكن بينكم وبينه مودة. اعتراض وسط بين الفعل ومفعوله الذي
هو. يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما. لئلا يفهم من مطلع كلامه ان تمنيه لمعية المؤمنين لنصرتهم
ومظاهرتهم حسبما يقتضيه ما في البين من المودة بل هو للحرص على المال كما ينطق به آخره وليس اثبات المودة
في البين بطريق التحقيق بل بطريق التهكم وقيل الجملة التشبيهية حال من ضمير ليقولن اي مشبها بمن لا مودة
بينكم وبينه وقيل هي داخلة في المقول ليقولن المثبط لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المؤمنين كان لم تكن
بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستصحبكم في الغزو حتى تفوزوا بما فاز ياليتني كنت
معهم وغرضه القاء العداوة بينهم وبينه عليه السلام وتأكيدها وكان مخففة من الثقيلة واسمه ضمير
الشان وهو محذوف وقرئ لم يكن بالياء والمنادى في ياليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه
على الاتساع وقوله تعالى فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي فانا
افوز في ذلك الوقت او على انه معطوف على كنت داخل معه تحت التمني. فليقاتل في سبيل الله. قدم الظرف
على الفاعل للاهتمام. الذين يشرون الحيوة الدنيا. اي يبيعونها بها وهم المؤمنون فالفاء جواب شرط
مقدر اي ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين
يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون فالفاء للتعقيب اي ليتركوا ما كانوا عليه من التثبط
والنفاق وليعقبوه بالقتال في سبيل الله. ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه. بنون
العظمة والتفات. اجرا عظيما. لا يقادر قدره وتعقيب القتال باحد الامرين للاشعار بان المجاهد حقه
ان يوطن نفسه باحد الحسنيين ولا يخطر بباله القسم الثالث اصلا وتقديم القتل للايذان بتقدمه في استتباع
الاجر روى ابو هريرة رضي الله تع عنه ان رسول الله صلى الله تع عليه وسلم قال تكفل الله تعالى لمن جاهد في
سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من اجر وغنيمة. وما لكم
خطاب للمأمورين بالقتال على طريق الالتفات مبالغة في التحريض عليه وتأكيده لوجوبه وهو مبتدأ وخبره
قوله تع. لا تقاتلون في سبيل الله. حال عاملها ما في الظرف من معنى الفعل والاستفهام للانكار والنفي
اي شيء لكم غير مقاتلين اي لا عذر لكم في ترك. والمستضعفين. عطف على اسم الله اي في سبيل المستضعفين
وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اي في خلاص المستضعفين ويجوز
نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المؤمنين من ايدي الكفرة اعظمها و
اخصها. من الرجال والنساء والولدان. بيان للمستضعفين او حال منهم وهم المسلمون الذين
بقوا بمكة لصد المشركين او لضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان معهم تكميلا للاستعطاف
واستجلاب المرحمة وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان لارغام آبائهم وامهاتهم ولان

باجابة الدعاء الآتي واقتراب زمان الخلاص ببيان شركتهم في التضرع الى الله تعالى كل ذلك في الحث
على القتال وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء اذ يقال لهما الوليد والوليدة وقد غلب الذكور على الاناث
فاطلق الولدان على الولائد ايضاً الذين محله الجر على انه صفة للمستضعفين او لما في حيز البيان او النصب
على الاختصاص يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها بالشرك الذي هو ظلم عظيم وباذية المسلمين
وهي مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا اجري على غير من هو له كان
كالفعل في التذكير والتأنيث بحسب ما عمل فيه واجعل لنا من لدنك ولياً كلا الجارين متعلق باجعل لاختلاف
معنييهما وتقديم المجرورين على المفعول الصريح عما هو من احواله الاعتناء بهما وابراز الرغبة في المؤخر
بتقديم احواله فان تأخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما هو يورث شوق السامع الى
وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وتقديم اللام على من للمسارعة الى ابراز
كون المسؤول نافعاً لهم مرغوباً فيه لديهم ويجوز ان يتعلق كلمة من بمحذوف وقع حالاً من ولياً قدمت عليه
لكونه نكرة وكذا الكلام في قوله تعالى واجعل لنا من لدنك نصيراً قال ابن عباس رضي الله عنه اي ولّ علينا
والياً من المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا وشرعنا وينصرنا على اعدائنا ولقد استجاب
الله تعالى دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي واعز ناصر ففتح مكة على
يدي نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فتولاهم اي تولى ونصرهم اي نصرة ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد
فنصرهم حتى صاروا اعز اهلها وقيل المراد واجعل لنا من لدنك ولاية ونصرة اي كن انت ولينا
وناصرنا وتكرير الفعل ومتعلقيه للمبالغة في التضرع والابتهال الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله
كلام مبتدأ مسوق لترغيب المؤمنين في القتال وتشجيعهم ببيان كمال قوتهم بامداد الله تعالى و
غاية ضعف اعدائهم اي المؤمنون انما يقاتلون في دين الله الحق الموصل لهم الى الله تعالى وفي اعلاء كلمته
فهو وليهم وناصرهم لا محالة والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اي فيما يوصلهم الى الشيطان
فلا ناصر لهم سواه والفاء في قوله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان لبيان استتباع ما قبلها لما بعدها و
ذكرهم بهذا العنوان للدلالة على ان ذلك نتيجة لقتالهم في سبيل الشيطان والاشعار بان المؤمنين اولياء
الله تعالى لما ان قتالهم في سبيله وكل ذلك لتأكيد رغبة المؤمنين في القتال وتقوية عزائمهم عليه فان ولاية
الله تعالى علم في العزة والقوة كما ان ولاية الشيطان مثل في الذلة والضعف كأنه قيل اذا كان الامر كذلك
فقاتلوا يا اولياء الله اولياء الشيطان ثم صرح بالتعليل فقيل ان كيد الشيطان كان ضعيفاً اي في
حد ذاته فكيف بالقياس الى قدرة الله تعالى ولم يتعرض لبيان قوة جنابه تعالى ايذاناً بظهورها قالوا فائدة
ادخال كان في امثال هذه المواضع للتأكيد ببيان انه منذ كان كان كذلك فالمعنى ان كيد الشيطان منذ كان
كان موصوفاً بالضعف الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم تعجيب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من احجامهم عن القتال مع انهم كانوا قبل ذلك راغبين فيه حراصاً عليه بحيث كادوا يباشرونه كما
ينبئ عنه الامر بكف الايدي فان ذلك مشعر بكونهم بصدد بسطها الى العدو بحيث يكادون يسطون بهم قال
الكلبي ان جماعة من اصحاب النبي عليه السلام منهم عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن
الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص الزهري رضي الله تعالى عنهم كانوا يلقون من مشركي

عن مشركي مكة قبل الهجرة اذى شديداً فيشكون ذلك الى النبي عليه السلام ويقولون ائذن لنا في قتالهم
ويقول لهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فاني لم اومر
بقتالهم وبناء القول للمفعول مع ان القائل هو النبي عليه السلام للايذان بكون ذلك بامر الله تعالى
ولان المقصود بالذات والمعتبر في التعجيب انما هو كمال رغبتهم في القتال وكونهم بحيث احتاجوا
الى النهي عنه وانما ذكر في حيز الصلة الامر بكف الايدي لتحقيقه وتصويره على طريقة الكناية فلا
يتعلق ببيان خصوصية الآمر غرض وكانوا في مدة اقامتهم بمكة مستمرين على تلك الحالة فلما هاجروا
مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى المدينة وامروا بالقتال في وقعة بدر كرهه بعضهم وشق
ذلك عليه لكن لا لشك في الدين ولا رغبة عنه بل نفوراً عن الاخطار بالارواح وخوفاً من الموت
بموجب الجبلة البشرية وذلك قوله تعالى فلما كتب عليهم القتال وهو عطف على قيل لهم كفوا ايديكم
باعتبار مدلوله الكنائي اذ به يتحقق التباين بين مدلولي المتعاطفين وعليه يدور امر التعجيب كأنه
قيل الم تر الى الذين كانوا حراصاً على القتال فلما كتب عليهم كرهه بعضهم وقوله تعالى اذا فريق
منهم يخشون الناس جواب لما على ان فريق مبتدأ ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة له ويخشون خبره
وتصديره باذا المفاجأة لبيان مسارعتهم الى الخشية آثر ذي اثير من غير تلعثم وتردد اي فاجأ
فريق منهم ان يخشوا الكفار ان يقتلوهم ولعل توجيه التعجيب الى الكل مع صدور الخشية عن بعضهم
للايذان بانه ما كان ينبغي ان يصدر عن احد منهم ما ينافي حالتهم الاولى وقوله تعالى كخشية الله مصدر
مضاف الى مفعوله محله النصب على انه حال من فاعل يخشون اي يخشونهم مشبهين لاهل خشية الله
وقوله تعالى او اشد خشية عطف عليه بمعنى او اشد خشية من اهل خشية او على انه مصدر مؤكد على جعل
الخشية ذات خشية مبالغة كما في جد جده اي يخشون خشية مثل خشية الله او اشد خشية من خشية الله تعالى
واياً ما كان فكلمة او اما للتنويع على معنى ان خشية بعضهم كخشية الله وخشية بعضهم اشد منها واما
للابهام على السامع وهو قريب مما في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعني
ان من يبصرهم يقول انهم مائة الف او يزيدون وقالوا عطف على جواب لما اي فلما كتب عليهم
القتال فاجأ فريق منهم خشية الناس وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال في هذا الوقت لا على
وجه الاعتراض على حكمه تعالى والانكار لايجابه بل على طريق تمني التخفيف لولا اخرتنا الى اجل
قريب استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر حذراً عن الموت وقد جوز ان يكون
هذا مما نطقت به السنة حالهم من غير ان يتفوهوا به صريحاً قل اي ترهيباً لهم فيما يؤملونه
بالقعود من المتاع الفاني وترغيباً فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقي متاع الدنيا اي ما يتمتع و
ينتفع به في الدنيا قليل سريع التقضي وشيك الانصرام وان اخرتم الى ذلك الاجل والآخرة اي
ثوابها الذي من جملته الثواب المنوط بالقتال خير اي لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته وعدم انقطاعه
وصفائه عن الكدورات وانما قيل لمن اتقى حثاً لهم على اتقاء العصيان والاخلال بموجب التكليف
ولا تظلمون فتيلا عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي تجزون فيها ولا تنقصون ادنى شيء من اجور
اعمالكم التي من جملتها مسعاكم في شأن القتال فلا ترغبوا عنه والفتيل ما في شق النواة من الخيط يضرب به المثل

في الغلة والتجارة وقرئ يظلمون بالياء اعادة للضمير الى ظاهر من. اينما تكونوا يدرككم الموت كلام مبتدأ مسوق
من قبله تعالى بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى المخاطبين اعتناء
بالزامهم اثر بيان حقارة الدنيا وعلو شأن الآخرة بواسطته عليه السلام فلا محل له من الاعراب او في محل
النصب داخل تحت القول المأمور به اي اينما تكونوا في الحضر والسفر يدرككم الموت الذي لاجله تكرهون
القتال زعما منكم انه من مظانه وتحبون القعود عنه على زعم انه منجاة منه وفي لفظ الادراك اشعار بانهم
في الهرب عن الموت وهو مجد في طلبهم وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله
يشكرها او على اعتبار وقوع اينما كنتم في موقع اينما تكونوا او على انه كلام مبتدأ واينما تكونوا متصل بلا
تظلمون اي لا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم اينما تكونوا في ملاحم الحروب ومعارك الخطوب ولو
كنتم في بروج مشيدة في حصون رفيعة او قصور محصنة قال السدي وقتادة بروج السماء ويقال
شاد البناء واشاده وشيده رفعه وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما في
قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وجواب لو محذوف
اعتمادا على دلالة ما قبله عليه اي لو كنتم في بروج مشيدة يدرككم الموت والجملة معطوفة على اخرى
مثلها اي لو لم تكونوا في بروج مشيدة ولو كنتم وقد اطرد حذفها لدلالة المذكورة عليها دلالة
واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع فلأن يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما
في لو الوصلية من التأكيد والمبالغة وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى اولو كان آباؤهم لا يعقلون
شيئا ولا يهتدون. وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله كلام مبتدأ جيء به عقيب ما حكي
عن المسلمين لما بينهما من المناسبة في الشناعة على اسناد ما يكرهونه الى بعض الامور وكراهتهم له بسبب
ذلك والضمير لليهود والمنافقين روي انه كان قد بسط عليهم الرزق فلما قدم النبي عليه السلام
المدينة فدعاهم الى الايمان فكفروا امسك عنهم بعض الامساك فقالوا ما زلنا نعرف النقص في
ثمارنا ومزارعنا منذ قدم هذا الرجل واصحابه وذلك قوله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه
من عندك اي وان تصبهم نعمة ورخاء نسبوها الى الله تعالى وان تصبهم بلية من جدب وغلاء
اضافوها اليك كما حكي عن اسلافهم بقوله تعالى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فامر
النبي عليه السلام بان يرد زعمهم الباطل ويرشدهم الى الحق ويلقمهم الحجر ببيان اسناد الكل اليه تعالى
على الاجمال اذ لا يجترؤن على معارضة امر الله تعالى حيث قيل قل كل من عند الله اي كل واحدة
من النعمة والبلية من جهة الله تعالى خلقا وايجادا من غير ان يكون لي مدخل في وقوع شيء منهما بوجه
من الوجوه كما تزعمون بل وقوع الاولى منه تعالى بالذات تفضلا ووقوع الثانية بواسطة ذنوب
من ابتلي بها عقوبة كما سيأتي بيانه وهذا الجواب المجمل في معنى ما قيل ردا على اسلافهم من قوله تعالى
الا انما طائرهم عند الله اي انما سبب خيرهم وشرهم او سبب اصابة السيئة التي ذنوبهم عند
الله تعالى لا عند غيره حتى يسندوها اليه ويطيروا به وقوله تعالى فما لهؤلاء القوم اي كلام معترض
بين المبين وبيانه مسوق من جهته تعالى لتعييرهم بالجهل وتقبيح حالهم والتعجيب من كمال غباوتهم
والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها. وقوله تعالى لا يكادون يفقهون حديثا حال من هؤلاء والعامل فيها ما في

ما في الظرف من معنى الاستقرار اي وحيث كان الامر كذلك فاي شيء حصل لهم حال كونهم بمعزل من ان يفقهوا
حديثا او استئناف مبني على سؤال نشأ من الاستفهام كأنه قيل ما بالهم وماذا يصنعون حتى يتعجب
منه او يسأل عن سببه فقيل لا يكادون يفقهون حديثا من الاحاديث اصلا فيقولون ما يقولون اذ لو فقهوا
شيئا من ذلك لفهموا هذا النص وما في معناه وما هو اوضح منه من النصوص الناطقة بان الكل
فائض من عند الله تعالى النعمة بطريق التفضل والاحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب العباد لا سيما
النص الوارد عليهم في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى ولم يسندوا جنايات
انفسهم الى غيرهم وقوله تعالى ما اصابك من حسنة بيان للجواب المأمور به واجرائه على لسان النبي
عليه السلام ثم سوق البيان من جهته عز وجل بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى كل احد من الناس
والالتفات لمزيد الاعتناء به والاهتمام برد مقالتهم الباطلة والايذان بان مضمونه مبني على حكمة
دقيقة حقيقة بان يتولى بيانها علام الغيوب وتوجيه الخطاب الى واحد منهم دون كلهم كما في قوله تعالى
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم للمبالغة في التحقيق بقطع احتمال سببية معصية بعضهم لعقوبة
الآخرين اي ما اصابك من نعمة من النعم فمن الله اي فهي منه تعالى بالذات تفضلا واحسانا من غير
استيجاب لها من قبلك كيف وان كل ما يفعله المرء من الطاعات التي يرجو كونها ذريعة الى اصابة
نعمة ما فهي بحيث لا تكاد تكافئ نعمة حيوته المقارنة لادائها ولا نعمة اقداره تعالى اياه على ادائها فضلا
عن استيجاب النعمة اخرى ولذلك قال عليه السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا
رسول الله قال ولا انا. وما اصابك من سيئة اي بلية من البلايا فمن نفسك اي فهي منها بسبب
اقترافها المعاصي الموجبة لها وان كانت من حيث الايجاد منتسبة اليه تعالى نازلة من عنده عقوبة كقوله
تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ما من مسلم
يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وقيل
الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما قبله وبعده لكن لا لبيان حاله عليه السلام بل لبيان
حال الكفرة بطريق التصوير ولعل ذلك لاظهار كمال السخط والغضب عليهم والاشعار بانهم لفرط جهلهم
وبلادتهم بمعزل من استحقاق الخطاب لا سيما بمثل هذه الحكمة الانيقة. وقوله تعالى وارسلناك للناس
رسولا بيان لجلالة منصبه عليه السلام ومكانته عند الله تعالى بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في
حقه عليه السلام بناء على جهلهم بشأنه الجليل وتعريف الناس للاستغراق والجار اما متعلق برسولا
قدم عليه للاختصاص الناظر الى قيد العموم اي مرسلا لكل الناس لا لبعضهم فقط كما في قوله تعالى وما ارسلناك
الا كافة للناس واما بفعل ورسولا حال مؤكدة وقد جوز ان يكون مصدرا مؤكدا كما في قوله
لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول اي بارسال بمعنى برسالة وكفى
بالله شهيدا اي على رسالتك بنصب المعجزات التي من جملتها هذا النص الناطق والوحي الصادق
والالتفات لتربية المهابة وتقوية الشهادة والجملة اعتراض تذييلي. من يطع الرسول فقد اطاع
الله بيان لاحكام رسالته عليه السلام اثر بيان تحققها وثبوتها وانما كان كذلك لان الآمر و
الناهي في الحقيقة هو الله تعالى روي انه عليه السلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد

اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت والتعبير عنه عليه السلام بالرسول دون الخطاب للايذان بان مناط كون طاعته عليه السلام طاعة له ليس خصوصية ذاته بل حيثية رسالته واظهار الجلالة لتربية المهابة وتاكيد وجوب الطاعة بذكر عنوان الالوهية وحمل الرسول على الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما اوليا يأباه تخصيص الخطاب به عليه السلام في قوله تعالى ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا و جواب الشرط محذوف والمذكور تعليل له اي ومن اعرض عن الطاعة فاعرض عنه انما ارسلناك رسولا مبلغا لا حفيظا مهيمنا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم بحسبها وحفيظا حال من الكاف وعليهم متعلق به قدم عليه رعاية للفاصلة وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد في تولى باعتبار لفظه

ويقولون شروع في بيان معاملتهم مع الرسول عليه السلام بعد بيان وجوب طاعته اي يقولون اذا امرتهم بشيء طاعة اي امرنا وشأننا طاعة او منا طاعة والاصل النصب على المصدر والرفع للدلالة على الثبات كسلام فاذا برزوا من عندك اي خرجوا من مجلسك بيت طائفة منهم اي من القائلين المذكورين وهم رؤساؤهم غير الذي تقول اي زورت طائفة منهم وسوت خلاف ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة لانهم مصرون على الرد والعصيان وانما يظهرون ما يظهرون على وجه النفاق او خلاف ما قلت لها والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من بيت الشعر لان الشاعر يدبره ويسويه وتذكير الفعل لان تانيث الطائفة غير حقيقي وقرئ بادغام التاء في الطاء لقربها في المخرج واسناده الى طائفة منهم لبيان انهم المتصدون له بالذات والباقون اتباع لهم في ذلك لا لان الباقين ثابتون على الطاعة والله يكتب ما يبيتون اي يثبته في جملة ما يوحي اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان مكرهم يخفى عليكم فيجدون بذلك الى الاضرار بكم سبيلا او يثبته في صحائفهم فيجازيهم عليه واياما كان فالجملة اعتراضية فاعرض عنهم اي لا تبال بهم وبما صنعوا او تجاف عنهم ولا تتصد للانتقام منهم والفاء لسببية ما قبلها لما بعدها و توكل على الله في كل ما تأتي وتذر لا سيما في شأنهم واظهار الجلالة في مقام الاضمار للاشعار بعلية الحكم وكفى بالله وكيلا فيكفيك معرتهم وينتقم لك منهم والاظهار هنا ايضا لما مر وللتنبيه على استقلال الجملة واستغنائها عما عداها من كل وجه افلا يتدبرون القرآن انكار واستقباح لعدم تدبرهم القرآن واعراضهم عن التأمل فيما فيه من موجبات الايمان وتدبر الشيء تأمله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تأمل والفاء للعطف على مقدر اي ايعرضون عن القرآن فلا يتأملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بمشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق والنص الناطق بنفاقهم المحكي على ما هو عليه ولو كان اي القرآن من عند غير الله كما يزعمون لوجدوا فيه اختلافا كثيرا بان يكون بعض اخباره غير مطابق للواقع اذ لا علم بالامور الغيبية ماضية كانت او مستقبلة لغيره سبحانه وحيث كانت كلها مطابقة للواقع تعين كونه من عند الله تعالى قال الزجاج ولولا انه من عند الله تعالى لكان ما فيه من الاخبار بالغيب مما يسره المنافقون وما يبيتونه مختلفا بعضه حق وبعضه باطل لان الغيب لا يعلمه الا الله وقال ابو بكر الاصم ان هؤلاء المنافقين كانوا

كانوا يتواطئون في السر على انواع كثيرة من الكيد والمكر وكان الله تعالى يطلع الرسول عليه السلام على ذلك ويخبره بها مفصلة فقيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى لما اطرد الصدق فيه ولوقع فيه الاختلاف فلما لم يقع ذلك قط علم انه باعلامه تعالى هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما حمل الاختلاف على التناقض وتفاوت النظم في البلاغة بان كان بعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه على معنى فاسد غير ملتئم وبعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته كما جنح اليه الجمهور فمما لا يساعده السياق ولا السباق ومن رام التقريب وقال ولعل ذكره هاهنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف في الحكم والمصالح المقتضية لذلك فقد ابعد عن الحق بمراحل واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به يقال اذاع السر واذاع به اي اشاعه وافشاه وقيل معنى اذاعوا به فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وهو كلام مسوق لدفع ما عسى يتوهم في بعض المواد من شائبة الاختلاف بناء على عدم فهم المرام ببيان ان ذلك لعدم وقوفهم على معنى الكلام لا لتخلف مدلوله عنه وذلك ان ناسا من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم بالاحوال كانوا اذا اخبرهم الرسول عليه السلام بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة يذيعونه من غير فهم لمعناه ولا ضبط لفحواه على حسب ما كانوا يفهمونه ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم قد يكون ذلك مشروطا بامور تفوت بالاذاعة فلا يظهر اثره المتوقع فيكون ذلك منشأ لتوهم الاختلاف فنعى عليهم ذلك وقيل ولو ردوه اي ذلك الامر الذي جاءهم الى الرسول اي عرضوه على رأيه عليه السلام مستكشفين لمعناه وما ينبغي له من التدبير ولا الالتفات لما ان عنوان الرسالة من موجبات الرد والمراجعة الى رأيه عليه السلام والى اولي الامر منهم وهم كبار الصحابة البصراء في الامور رضي الله تعالى عنهم لعلمه اي لعلمه الرادون معناه وتدبيره وانما وضع موضع ضميرهم الموصول فقيل الذين يستنبطونه منهم للايذان بانه ينبغي ان يكون قصدهم برده اليهم استكشاف معناه واستيضاح فحواه اي لعلمه اولئك الرادون الذين يستنبطونه اي يتلقونه ويستخرجون علمه وتدبيره منهم اي من جهة الرسول عليه السلام واولي الامر من صحابته رضي الله تعالى عنهم ولما فعلوا في حقه ما فعلوه فلم يقع فيه ما وقع من الاشتباه وتوهم الاختلاف وقيل لعلمه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكائدها فكلمة من في منهم بيانية وقيل انهم كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله عليه السلام من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله عليه السلام والى اولي الامر لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه اي يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكائدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله عليه الصلوة والسلام واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فيعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما

يأتون وما يذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئاً من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول عليه السلام والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع اولا يذاع لعلم صحته وهل هو مما يذاع اولا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم وسياق النظم الكريم لبيان جناية تلك الطائفة وسوء تدبيرهم اثر بيان جناية المنافقين ومكرهم والخطاب في قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته للطائفة المذكورة على طريق الالتفات اي ولولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارشادكم الى طريق الحق الذي هو المراجعة في امثال ذلك الى الرسول عليه السلام واولي الامر لاتبعتم الشيطان وعملتم بآراء المنافقين فيما يأتون وما يذرون ولم تهتدوا الى سنن الصواب الا قليلا وهم اولو الامر الواقفون على اسرار الكتاب الراسخون في معرفة الاحكام فالاستثناء منقطع وقيل ولولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان وبقيتم على الكفر والضلالة الا قليلا منكم قد تفضل عليه بعقل راجح اهتدى به الى طريق الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كقس بن ساعدة الايادي وزيد بن عمرو ابن نفيل وورقة بن نوفل واضرابهم فالخطاب للكل والاستثناء متصل وقيل المراد بالفضل والرحمة النصرة والظفر بالاعداء اي ولولا حصول النصر والظفر على التتابع والتواتر لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين الا قليلا منكم وهم اولو البصائر النافذة والنيات القوية والعزائم الماضية من افاضل المؤمنين الواقفين على حقية الدين البالغين الى درجة حق اليقين المستغنين عن مشاهدة آثار حقيته من الفتح والظفر وقيل الا اتباعا قليلا فقاتل في سبيل الله تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق الالتفات وهو جواب شرط محذوف ينساق اليه النظم الكريم اي اذا كان الامر كما حكي من عدم طاعة المنافقين وكيدهم وتقصير الآخرين في مراعاة احكام الاسلام فقاتل انت وحدك غير مكترث بما فعلوا وقوله تعالى لا تكلف الا نفسك اي الا فعل نفسك استيناف مقرر لما قبله فان اختصاص تكليفه عليه السلام بفعل نفسه من موجبات مباشرته للقتال وحده وفيه دلالة على ان ما فعلوا من التثبط لا يضره عليه السلام ولا يؤاخذ به وقيل هو حال من فاعل قاتل اي فقاتل غير مكلف الا نفسك وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي وقيل على جواب الامر وقرئ بنون العظمة اي لا نكلفك الا فعل نفسك لا على معنى لا نكلف احدا الا نفسك وحرض المؤمنين عطف على الامر بقي داخل في حكمه فان كون حال الطائفتين كما حكي سبب للامر بالقتال وحده وبتحريض خلص المؤمنين والتحريض على الشيء الحث عليه والترغيب فيه قال الراغب كانه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به اي رغبهم في القتال ولا تعنف بهم واغلظ بذكر المتحقق عليه لغاية ظهوره وقوله تعالى عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا عدة منه تعالى محققة الانجاز بكف شدة الكفرة ومكروههم فان ما صدر بلعل وعسى مقرر الوقوع من جهته تعالى وقد كان كذلك حيث روي ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واعد ابا سفيان بعد حرب احد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج رسول

الله عليه السلام في سبعين راكبا ووافوا الموعد والقى الله تعالى في قلوب الكفرة الرعب فرجعوا من مر الظهران وروي ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وافى بجيشه بدرا واقام بها ثماني ليال كانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا وقد مر في سورة آل عمران والله اشد بأسا اي من قريش واشد تنكيلا اي تعذيبا وعقوبة تنكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدي اليها والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة وتكرير الخبر لتأكيد التشديد وقوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها اي من ثوابها جملة مستأنفة سيقت لبيان ان له عليه السلام فيما امر به من تحريض المؤمنين حظا موفورا فان الشفاعة هي التوسط بالقول في وصول شخص الى منفعة من المنافع الدنيوية او الاخروية او خلاصه عن مضرة ما كذلك من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والحسنة منها ما كانت في امر مشروع روعي بها حق مسلم ابتغاء لوجه الله تعالى من غير ان يتضمن غرضا من الاغراض الدنيوية والاخروية واي منفعة اعظم مما تخلصوا عنه بذلك من التثبط عنه ويندرج فيه الدعاء للمسلم فانه شفاعة الى الله تعالى وعليه مساق آية التحية الآتية روي انه عليه السلام قال من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود ومن يشفع شفاعة سيئة وهي ما كانت بخلاف الحسنة يكن له كفل منها اي نصيب من وزرها مساو لها في المقدار من غير ان ينقص منه شيء وكان الله على كل شيء مقيتا اي مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر عليه او شهيدا حفيظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظ والجملة تذييلية مقررة لما قبلها على كلا المعنيين واذا حييتم بتحية ترغيب في فرد شائع من افراد الشفاعة الحسنة اثر ما رغب فيها على الاطلاق وحذر مما يقابلها من الشفاعة السيئة وارشاد الى توفية حق الشفيع وكيفية ادائه فان تحية الاسلام من المسلم شفاعة منه لاخيه الى الله تعالى والتحية مصدر حيي اصله تحيية كتسمية من سمى واصل الحي تحييي بثلاث ياءات حذفت الاخيرة وعوض عنها تاء التأنيث وادغمت الاولى في الثانية بعد نقل حركتها الى الحاء قال الراغب اصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت في كل دعاء وكانت العرب اذا لقي بعضهم بعضا يقول حياك الله ثم استعملها الشرع في السلام وهي تحية الاسلام قال تعالى وتحيتهم فيها سلام وقال تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال فسلموا على انفسكم تحية من عند الله قالوا في السلام مزية على التحية لما انه دعاء بالسلامة عن الآفات الدينية والدنيوية وهي مستلزمة لطول الحياة وليس في الدعاء بطول الحياة ذلك ولان السلام من اسمائه تعالى فالبداية بذكره مما لا ريب في فضله ومزيته اي اذا سلم عليكم من جهة المؤمنين فحيوا باحسن منها اي بتحية احسن منها بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله ان اقتصر المسلم على الاول وبان تزيدوا وبركاته ان جمعها المسلم وهي النهاية لانتظامها لجميع فنون المطالب التي هي السلامة عن المضار ونيل المنافع ودوامها ونماؤها او ردوها اي اجيبوها بمثلها روي ان رجلا قال لرسول الله عليه السلام السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الآية

فقال عليه السلام انك لم تترك لي فضلاً فرددت عليك مثله وجواب التسليم واجب وانما التخيير بين الزيادة و
تركها وعن النخعي ان السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الرد واجب وما من رجل
يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد في
الخطبة وتلاوة القرآن جهراً ورواية الحديث وعند دراسة العلم والاذان والاقامة ولا يسلم على لاعب النرد
والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري في الحمام وغيره قالوا ويسلم الرجل على امرأته لا على الاجنبية
والسنة ان يسلم الماشي على القاعد وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل على الكثير واذا
التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة رحمه الله تعالى لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي عليه السلام اذا سلم عليكم
اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم حيث كان يقول بعضهم السام عليكم وروي لا تبدؤا اليهود
بالسلام وان بدؤك فقل وعليك وعن الحسن انه يجوز ان يقول للكافر وعليك السلام دون الزيادة وقيل
التحية بالاحسن عند كون المسلم مسلماً وردها عند كونه كافراً ان الله كان على كل شيء حسيباً فيحاسبكم
على كل شيء من اعمالكم التي من جملتها ما امرتم به من التحية فحافظوا على مراعاتها حسبما امرتم به الله لا اله
الا هو مبتدأ وخبره وقوله تعالى ليجمعنكم الى يوم القيامة جواب قسم محذوف اي والله ليحشرنكم من قبوركم
الى حساب يوم القيامة وقيل الى بمعنى في والجملة القسمية اما مستأنفة لا محل لها من الاعراب او خبر ثان للمبتدأ
او هي الخبر ولا اله الا هو اعتراض وقوله تعالى لا ريب فيه اي في يوم القيامة او في الجمع حال من اليوم او صفة
للمصدر اي جمعاً لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثاً انكار لان يكون احد اصدق منه تعالى في وعده
وسائر اخباره وبيان لاستحالته كيف لا والكذب محال عليه سبحانه دون غيره فما لكم مبتدأ وخبره والاستفهام
للانكار والنفي والخطاب لجميع المؤمنين لكن ما فيه من معنى التوبيخ متوجه الى بعضهم وقوله تعالى في المنافقين
متعلق اما بما يتعلق به الخبر اي اي شيء كائن لكم في امرهم وشأنهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
او بما يدل عليه قوله تعالى فئتين من معنى الافتراق اي فما لكم تفترقون في المنافقين واما بمحذوف
وقع حالاً من فئتين اي كائنتين في المنافقين لانه في الاصل صفة فلما قدمت انتصبت حالاً كما هو شأن
صفات النكرات على الاطلاق او من الضمير في تفترقون وانتصاب فئتين عند البصريين على الحالية من
المخاطبين والعامل ما في ما لكم من معنى الفعل كما في قوله عز وجل فما لهم عن التذكرة معرضين وعند الكوفيين
على خبرية كان مضمرة اي فما لكم في المنافقين كنتم فئتين والمراد انكار ان يكون للمخاطبين شيء
مصحح لاختلافهم في امر المنافقين وبيان وجوب القول بكفرهم واجرائهم مجرى المجاهرين بالكفر في جميع
الاحكام وذكرهم بعنوان النفاق باعتبار وصفهم السابق روي انهم قوم من المنافقين استأذنوا
رسول الله عليه السلام في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة
فمرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في امرهم وقيل هم قوم هاجروا من مكة الى المدينة ثم بدا
لهم فرجعوا وكتبوا لرسول الله عليه السلام انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق
الى بلدنا وقيل هم ناس اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا ويأباه ما سيأتي من جعل هجرتهم غاية للنهي عن توليهم وقيل
هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا راعي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويرده ما سيأتي

ما سيأتي من الآيات الناطقة بكيفية المعاملة معهم من السلم والحرب وهؤلاء قد اخذوا وفعل بهم ما فعل من
المثلة والقتل ولم يختلف في امرهم احد من المسلمين والله اركسهم حال من المنافقين مفيدة لتأكيد
الانكار السابق واستبعاد وقوع المنكر ببيان وجود النافي بعد بيان عدم الداعي وقيل من ضمير المخاطبين
والرابط هو الواو اي اي شيء يدعوكم الى الاختلاف في كفرهم مع تحقق ما يوجب اتفاقكم على كفرهم وهو ان الله تعالى
قد ردهم في الكفر كما كانوا بما كسبوا بسبب ما كسبوا من الارتداد واللحوق بالمشركين والاحتيال على رسول الله
عليه السلام والعائد الى الموصول محذوف ويجوز ان تكون مصدرية اي بكسبهم وقيل معنى اركسهم نكسهم بان صيرهم للنار
واصل الركس رد الشيء مقلوباً وقرئ ركسهم وركسهم اي بالتخفيف اتريدون ان تهدوا من اضل الله تجريد
الخطاب وتخصيصه بالقائلين بايمانهم من الفئتين وتوبيخ لهم على زعمهم ذلك واشعار بانه يؤدي الى محاولة
المحال الذي هو هداية من اضله الله تعالى وذلك لان الحكم بايمانهم وادعاء اهتدائهم وهم بمعزل من ذلك سعي
في هدايتهم وارادة لها ووضع الموصول موضع ضمير المنافقين لتشديد الانكار وتأكيد استحالة الهداية
بما ذكر في حيز الصلة وتوجيه الانكار الى الارادة لا الى متعلقها بان يقال اتهدون اما للمبالغة في انكاره
ببيان انه مما لا يمكن ارادته فضلاً عن امكان نفسه وحمل الهداية والاضلال على الحكم بهما يأباه قوله عز وجل
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً اي ومن يخلق فيه الضلال كائناً من كان فلن تجد له سبيلاً فضلاً
عن ان تهديه اليه وفيه من الافصاح عن كمال الاستحالة ما ليس في قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد
ونظائره وحمل اضلاله تعالى على حكمه وقضائه بالضلال مخل بحسن المقابلة بين الشرط والجزاء وتوجيه
الخطاب الى كل واحد من المخاطبين للاشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة اما حال
من فاعل تريدون او تهدوا والرابط هو الواو واعتراض تذييلي مقرر للانكار السابق مؤكد
لاستحالة الهداية فيجوز ان يكون الخطاب لكل احد ممن يصلح له من المخاطبين اولا ومن غيرهم ودوا
لو تكفرون كلام مستأنف مسوق لبيان غلوهم وتماديهم في الكفر وتصديهم لاضلال غيرهم اثر
بيان كفرهم وضلالهم في انفسهم وكلمة لو مصدرية غنية عن الجواب وهي مع ما بعدها نصب على المفعولية
اي ودوا ان تكفروا وقوله تعالى كما كفروا نصب على انه نعت لمصدر محذوف كفراً مثل كفرهم او حال
من ضمير ذلك المصدر كما هو رأي سيبويه وقوله تعالى فتكونون سواء عطف على تكفرون داخل في
حكمه اي ودوا ان تكفروا فتكونوا سواء مستويين في الكفر والضلال وقيل كلمة لو على بابها وجوابها
محذوف كمفعول ودوا والتقدير ودوا كفركم لو تكفرون كما كفروا لسروا بذلك فلا تتخذوا منهم
اولياء الفاء جواب شرط محذوف وجمع اولياء لمراعاة جمعية المخاطبين فان المراد نهي ان يتخذوا
من المخاطبين ولياً واحداً منهم اي اذا كان حالهم ما ذكر من ودادة كفركم فلا توالوهم حتى
يهاجروا في سبيل الله اي حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بالهجرة كائنة لله تعالى ورسوله عليه السلام
لا لغرض من اغراض الدنيا فان تولوا اي عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فخذوهم
اذا قدرتم عليهم واقتلوهم حيث وجدتموهم من الحل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين اسراً
وقتلاً ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً اي جانبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة
ابداً الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم

اى الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدكم ولم يحاربوكم وهم الاسلميون كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وقت خروجه الى مكة قد وادع هلال بن اسلم على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من
وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذى لهلال وقيل هم بنو بكر بن زيد مناة وقيل هم خزاعة
او جاؤكم عطف على الصلة اى الذين جاؤكم كافين من قتالكم وقتال قومهم استثنى من المامور
باخذهم وقتلهم فريقان احدهما من ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين والاخر من اتى المؤمنين و
كف عن قتال الفريقين او على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او الى قوم
كافين عن القتال والقتال عليكم والاول هو الاظهر لما سيأتى من قوله تعالى فان اعتزلوكم الخ فانه صريح
فى ان كفهم عن القتال احد سببى استحقاقهم لنفى التعرض لهم وقرئ جاؤكم بغير عاطف على انه صفة بعد صفة
او بيان ليصلون او استئناف حصرت صدورهم حال باضمار قد بدليل انه قد قرئ حصرة صدورهم
وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وقيل صفة لموصوف محذوف هو حال من فاعل جاؤكم قوما
حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اى عن ان يقاتلوكم او
لان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم جملة مبتدأة جارية مجرى التعليل
لاستثناء الطائفة الاخيرة من حكم الاخذ والقتل ونظمهم فى سلك الطائفة الاولى الجارية مجرى
المعاهدين مع عدم تعلقهم بنا ولا بمن عاهدونا كالطائفة الاولى اى ولو شاء الله لسلطهم عليكم
ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وازالة الرعب عنها فلقاتلوكم عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام
جواب لو على التكرير او الابدال من الاولى وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم
ولم يتعرضوا لكم فلم يقاتلوكم مع ما علمتم من تمكنهم من ذلك بمشيئة الله تعالى والقوا اليكم السلم
اى الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا طريقا بالاسر او القتل
فان كفهم عن قتالكم وان يقاتلوا قومهم ايضا والقائهم اليكم السلم وان لم يعاهدوكم كافية فى
استحقاقهم لعدم تعرضهم لكم كانوا اذا اتوا ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم
هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين فاذا رجعوا
الى قومهم كفروا ونكثوا عهدهم ليامنوا وقيل هم بنو عبد الدار وكان ديدنهم ما ذكر كلما ردوا
الى الفتنة اى دعوا الى الكفر وقتال المؤمنين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه
وكانوا فيها شرا من كل عدو شرير فان لم يعتزلوكم بالكف عن التعرض لكم بوجه ما ويلقوا
اليكم السلم اى لم يلقوا اليكم الصلح والعهد بل نبذوه اليكم ويكفوا ايديهم اى لم يكفوها عن
قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اى تمكنتم منهم واولئكم اى الموصوفون بما عدد
من الصفات القبيحة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة فى الايقاع بهم قتلا وسبيا لظهور
عداوتهم وانكشاف حالهم فى الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث
اذنا لكم فى اخذهم وقتلهم وما كان لمؤمن اى وما صح له ولا لاق بحاله ان يقتل مؤمنا
بغير حق فان الايمان زاجر عن ذلك الا خطأ فانه ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت

الطاقة البشرية وانتصابه اما على انه حال اى ما كان له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطأ او على انه
صفة للمصدر اى الا قتلا خطأ وقيل ما بمعنى ولا والتقدير وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا عمدا ولا
خطأ وقيل ما كان نفى فى معنى النهى والاستثناء منقطع اى لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطاء
ما لا يقارنه القصد الى الفعل او الى الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور
كرمى مسلم فى صف الكفار مع الجهل باسلامه وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة روى ان
عياش بن ابى ربيعة وكان اخا ابى جهل لامه اسلم وهاجر الى المدينة خوفا من اهله وذلك قبل
هجرة النبى عليه السلام فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل و
معه الحارث بن زيد بن ابى انيسة فاتياه وهو فى اطم ففتل منه ابو جهل فى الذروة والغارب
وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهبا به
فلما فسحا من المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخى فمن انت
يا حارث لله على ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد
ففعل بلسانه ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى
ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اى فعليه او فموجبه تحرير رقبة اى اعتاق نسمة عبر عنها
بها كما يعبر عنها بالرأس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله
مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يأمرنى ان اورث امرأة اشيم الضبابى من عقل زوجها الا ان
ان يصدقوا اى يتصدق اهله عليه سمى العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبى عليه
السلام كل معروف صدقة وقرئ الا ان يتصدقوا وهو متعلق بعليه اى تجب الدية او
يسلمها الى اهله الا وقت تصدقهم عليه فهو فى محل النصب على الظرفية او الا حال كونهم متصدقين
عليه فهو حال من اهله او القاتل فان كان اى المقتول من قوم عدو لكم كفار حربيين وهو
مؤمن ولم يعلم به القاتل لكونه بين اظهر قومه بان اسلم فيما بينهم ولم يفارقهم او بان اتاهم بعد
ما فارقهم لمهم من المهمات فتحرير رقبة مؤمنة اى فعلى قاتله الكفارة دون الدية اذ لا وراثة بينه
وبين اهله ولانهم محاربون وان كان اى المقتول المؤمن من قوم كفرة بينكم وبينهم ميثاق
اى عهد موقت او مؤبد فدية اى فعلى قاتله دية مسلمة الى اهله من اهل الاسلام ان وجدوا
ولعل تقديم هذا الحكم ههنا مع تأخيره فيما سلف للاشعار بالمسارعة الى تسليم الدية تحاشيا عن توهم
نقض الميثاق وتحرير رقبة مؤمنة كما هو حكم سائر المسلمين ولعل افراده بالذكر مع اندراجه
فى حكم ما سبق من قوله تعالى ومن قتل مؤمنا لبيان ان كونه فيما بين المعاهدين لا يمنع وجوب
الدية كما منعه كونه فيما بين المحاربين وقيل المراد بالمقتول الذمى او المعاهد لئلا يلزم التكرار
بلا فائدة ولا التوريث بين المسلم والكافر وقد عرفت لزومهما فمن لم يجد اى رقبة ليحررها
بان لم يملكها ولا ما يتوصل اليها من الثمن فصيام اى فعليه صيام شهرين متتابعين لم يتخلل
بين يوميهن من ايامهما افطار توبة نصب على انه مفعول له اى شرع لكم ذلك توبة اى قبولا

لمن تاب الله عليه اذا قبل توبته او مصدر مؤكد بفعل محذوف اى تاب عليكم توبة وقيل على انه حال
من الضمير المجرور في عليه بحذف المضاف اى فعليه صيام شهرين ذا توبة وقوله تعالى من الله
متعلق بمحذوف وقع صفة لتوبة اى كائنة منه تعالى وكان الله عليما بجميع الاشياء التي من جملتها
حاله حكيما في كل ما شرع وقضى من الشرائع والاحكام التي من جملتها ما شرعه في شانه ومن
يقتل مؤمنا متعمدا لما بين حكم القتل خطأ وفصل اقسامه الثلاثة عقب ذلك ببيان القتل عمدا
حالا ان حكمه الدنيوي لما بين في سورة البقرة اقتصر ههنا على حكمه الاخروي روى ان مقيس
ابن ضبابة الكناني كان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر له القصة فارسل عليه السلام معه زبير بن عياض الفهري وكان
من اصحاب بدر الى بني النجار يامرهم بتسليم القاتل الى مقيس ليقتص منه ان علموه وباداء الدية
ان لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله عليه الصلوة والسلام ما نعلم له قاتلا ولكنا
نؤدي ديته فاتوه بمائة من الابل فانصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض الطريق
اتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اتقبل دية اخيك فيكون سبة عليك اقتل الذي معك
فيكون نفس بنفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا من الابل و
استاق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وهو يقول قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار
اصحاب فارع وادركت ثاري واضطجعت موسدا وكنت الى الاوثان اول راجع فنزلت وهو
الذي استثناه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الفتح ممن امنه فقتل وهو متعلق باستار
الكعبة وقوله تعالى متعمدا حال من فاعل يقتل وروى عن الكسائي سكون التاء كانه فر من
توالي الحركات فجزاؤه الذي يستحقه جهنم وقوله تعالى خالدا فيها حال مقدرة من فاعل
فعل مقدر يقتضيه المقام كانه قيل فجزاؤه جهنم خالدا فيها وقيل هو حال من ضمير يجزاها وقيل
من مفعول جازاه وابى ذلك ما ان الانسب بعطف ما بعده عليه لموافقته صيغة ولا يخفى ان ما يقدر
للحال او للعطف عليه حقه ان يكون مما يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا ويدل عليه الكلام دلالة بينة
وظاهر ان كون جزاؤه ما ذكر لا يقتضي وقوع الجزاء البتة كما ستقف عليه حتى يقدر يجزاها او جازاه
بطريق الاخبار عن وقوعه واما قوله تعالى وغضب الله عليه فعطف على مقدر يدل عليه الشرطية
دلالة واضحة كانه قيل بطريق الاستيناف تقريرا وتاكيدا لمضمونها حكم الله بان جزاءه ذلك وغضب
الله عليه اى انتقم منه ولعنه اى ابعده من الرحمة بجعل جزائه ما ذكر وقيل هو وما بعده معطوف
على الخبر بتقدير ان وحمل الماضي على معنى المستقبل كما في قوله تعالى ونفخ في الصور ونظائره اى فجزاؤه
جهنم وان يغضب الله عليه واعد له في جهنم عذابا عظيما لا يقادر قدره وما في الاية
الكريمة من التهديد والتشديد والوعيد الاكيد وفنون الابراق والارعاد وقد تايدت بما روى
من الاخبار الشداد كقوله عليه السلام والذي نفسي بيده لزوال الدنيا اهون عند الله تعالى من قتل مؤمن
وقوله عليه السلام لو ان رجلا قتل بالمشرق واخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وقوله عليه السلام
من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى ونحو ذلك

ونحو ذلك من القوارع لمستمسك الخوارج والمعتزلة بها في خلود من قتل المؤمن عمدا في النار ولا تمسك لهم فيها
لا لما قيل من انها في حق المستحل كما هو راى عكرمة واضرابه بدليل انها نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني المرتد
حسبما مرت حكايته فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب بل لان المراد بالخلود المكث الطويل لا الدوام
لتظاهر النصوص الناطقة بان عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم وما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه
لانه لا توبة لقاتل المؤمن عمدا وكذا ما روى عن سفيان ان اهل العلم كانوا اذا سئلوا قالوا لا توبة
له محمول على الاقتداء بسنة الله تعالى في التشديد والتغليظ وعليه يحمل ما روى عن انس رضي الله تعالى عنه
ان النبي عليه السلام قال ان الله تعالى ابى ان يجعل لقاتل المؤمن توبة كيف لا وقد روى عن ابن عباس ايضا
ان رجلا سأله الا لقاتل المؤمن توبة قال لا وسأله اخر الا لقاتل المؤمن توبة فقال نعم فقيل له قلت كذلك
كذا ولهذا كذا قال كان الاول لم يقتل بعد فقلت ما قلت كيلا يقتل وكان هذا قد قتل فقلت له ما قلت
لئلا ييأس وقد روى عنه جواز المغفرة بلا توبة ايضا حيث قال في قوله تعالى فجزاؤه جهنم الاية هي جزاؤه
فان شاء عذبه وان شاء غفر له وروي مرفوعا عن النبي عليه السلام انه قال هو جزاؤه وان جازاه وقد
قال عون بن عبد الله وابو صالح قالوا قد يقول الانسان لمن يزجره عن امر ان فعلته فجزاؤك القتل والضرب
ثم ان لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا قال الواحدي والاصل في ذلك ان الله عز وجل يجوز ان يخلف
الوعيد وان امتنع ان يخلف الوعد بهذا وردت السنة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث انس رضي
الله تعالى عنه انه عليه السلام قال من وعده الله تعالى على عمله ثوابا فهو منجز له ومن اوعده على عمله
عقابا فهو بالخيار والتحقيق انه لا ضرورة الى تفريع ما نحن فيه على الاصل المذكور لانه اخبار منه تعالى بان جزاءه
ذلك لا بانه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا اخبارا بانه تعالى
يجزي كل سيئة بمثلها لعارضه قوله تعالى ويعفو عن كثير يا ايها الذين امنوا [illegible] اثر بيان حكم القتل
بقسميه وان ما يتصور صدوره عن المؤمن انما هو القتل خطأ شرع في التحذير عما يؤدي الى قلة المبالاة
في الامور [illegible] اذا ضربتم في سبيل الله اى سافرتم للغزو [illegible] اذا من معنى الشرط صدرت جواب
فتبينوا [illegible] بالفاء اى فاطلبوا بيان الامر في كل ما تأتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبر
وروية وقرئ فتثبتوا اى اطلبوا ثبات [illegible] وقوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم [illegible] نهي عما هو نتيجة لترك المامور
به وتعيين لمادة مهمة من المواد التي يجب فيها التبين وقرئ السلم بغير الالف وبكسر السين وسكون اللام
اى لا تقولوا بغير تامل لمن حياكم بتحية الاسلام او لمن القى اليكم مقاليد الاستسلام والانقياد لست
مؤمنا وانما اظهرت ما اظهرته متعوذا بل اقبلوا منه ما اظهره وعاملوه بموجبه وقرئ مؤمنا
بالفتح اى مبذولا لك الامان وهو انسب بالقراءتين الاخيرتين والاقتصار على ذكر تحية الاسلام
في القراءة الاولى مع كونها مقرونة بكلمتي الشهادة كما سيأتي في سبب النزول للمبالغة في النهي
والتنبيه على كمال ظهور خطائهم ببيان ان تحية الاسلام كانت كافية في المكافة والاستدراج عن التعرض
لصاحبها فكيف وهي مقرونة بها وقوله تعالى تبتغون عرض الحيوة الدنيا [illegible]
حال من فاعل لا تقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك التأني لكن لا على ان يكون النهي راجعا الى القيد فقط
كما في قولك لا تطلب العلم تبتغي له الجاه بل اليهما جميعا اى لا تقولوا ذلك حال كونكم طالبين لماله الذي

هو حطام سريع النفاد وقوله تعالى فعند الله مغانم كثيرة تعليل للنهي عن ابتغاء ماله بما فيه من الوعد
الضمني كانه قيل لا تبتغوا ماله فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها فيغنيكم عن ارتكاب ما ارتكبتموه وقوله تعالى
كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم تعليل للنهي عن القول المذكور ولعل ايراده لما فيه نوع تفصيل ربما
يخل تقديمه بتجاذب اطراف النظم الكريم مع ما فيه من مراعاة المقارنة بين التعليل السابق وبين ما
علل به كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الخ و
تقديم خبر كان للقصر المفيد لتأكد المشابهة بين طرفي التشبيه وذلك اشارة الى الموصوف باعتبار
اتصافه بما في حيز الصلة والفاء في فمن للعطف على كنتم اي مثل ذلك الذي القى اليكم السلام كنتم
انتم ايضا في مبادي اسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الاسلام ونحوها فمن الله عليكم
بان قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم واولادكم واموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم
والفاء في قوله تعالى فتبينوا فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فاطلبوا بيان هذا الامر البين وقيسوا
حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم في اوائل اموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على تواطئ الظاهر
والباطن هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل ومن حسب ان المعنى اول
ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع
على مواطأة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم فيه وان صرتم
اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم ان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة
ولا تقولوا الخ فقد ابعد عن الحق لان المراد كما عرفت بيان ان تحصين الدماء والاموال حكم مترتب
على ما فيه المماثلة بينه وبينهم من مجرد التفوه بكلمة الشهادة واظهار ان ترتبه عليه في حقه ايضا
الزاما لهم واظهارا لخطائهم ولا يخفى ان ذلك انما يأتي بتفسير منه تعالى عليهم المترتب على كونهم مثله
بتحصين دمائهم واموالهم حسبما ذكر حتى يظهر عندهم وجوب تحصين دمه وماله ايضا لحكم المشاركة
فيما يوجبه وحيث لم يفعل ذلك بل فسره بما لم يبق في النظم الكريم ما يدل على ترتب تحصين دمائهم
واموالهم على ما ذكر فمن اين له ان يقول فحصنت دماءكم واموالكم حتى يتأتى البيان وارتكاب
تقديره بناء على اقتضاء ما ذكر في تفسير المن اياه بناء على اساس كيف لا وان ما ذكره بصدد
التفسير وان كان امرا متفرعا على ما فيه المماثلة مبنيا عليه في حقهم لكنه ليس لحكم اريد اثباته في حقه
بناء على ثبوته في حقهم كالتحصين المذكور حتى يستحق ان يتعرض له ولا يأمر له مدخل في وجوب
الاعتداد بظاهر الاسلام من الداخلين فيه حتى يصح نظمه في سلك ما فرع عليه قوله فعليكم ان تفعلوا الخ
وحمل الكلام على معنى انكم في اول الامر كنتم مثله في قصور الرتبة في الاسلام فمن الله عليكم وبلغتم هذه
المرتبة العالية منه فلا تقصروا حالته نظرا الى حالتكم هذه بل اعتدوا بها نظرا الى حالتكم السابقة
مبرزة ان قتلكم لم يكن لاستقصار اسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه للسانه فان الاية الكريمة نزلت
في شأن مرداس بن نهيك من اهل فدك وكان قد اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى
الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا فوجدوا وجدا شديدا وقال فقتلوه ارادة

ارادة جامعة فقال اسامة انه قال بلسانه دون قلبه وفي رواية انما قالها خوفا من السلاح فقال عليه السلام هلا
شققت عن قلبه وفي رواية فلا شققت عن قلبه ثم قرأ الاية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي
فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال رسول الله عليه السلام يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت
الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة وقيل نزلت في رجل قال يا رسول الله كنا نطلب القوم وقد هزمهم
الله تعالى فقصدت رجلا فلما احس بالسيف قال اني مسلم فقتلته فقال رسول الله افقتلت مسلما قال انه كان
متعوذا فقال عليه السلام افلا شققت قلبه ان الله كان بما تعملون من الاعمال الظاهرة
والخفية وبكيفياتها خبيرا فيجازيكم بحسبها ان خيرا فخير وان شرا فشر ولا تتهافتوا في القتل واحتاطوا
فيه والجملة تعليل لما قبلها بطريق الاستيناف وقرئ بفتح ان على انها معمولة لتبينوا او على حذف لام التعليل لا
يستوي القاعدون بيان لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجات مساعيهم في الجهاد بعد ما مر من
الامر به وتحريض المؤمنين عليه ليأنف القاعد عنه ويترفع بنفسه عن انحطاط رتبته فيهتز رغبته في ارتفاع طبقته
والمراد بهم الذين اذن لهم في القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما القاعدون
عن بدر والخارجون اليها وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول لا ما روي عن مقاتل من انهم الخارجون الى
تبوك فانه مما لا يوافقه التاريخ ولا يساعده الحال اذ لم يكن للمتخلفين يومئذ هذه الرخصة وقوله تعالى
من المؤمنين متعلق بمحذوف وقع حالا من القاعدين اي كائنين من المؤمنين وفائدتها الايذان من
اول الامر بعدم اخلال وصف القعود بايمانهم والاشعار بعلة استحقاقهم لما سيأتي من الحسنى غير اولي
الضرر بالرفع صفة للقاعدون لجريانه مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرئ بالنصب
على انه حال منه او استثناء وبالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه والضرر المرض والعاهة من عمى او عرج او زمانة
او نحوها وفي معناه العجز عن الاهبة عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه انه قال كنت الى جنب رسول الله عليه السلام
فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت لا يستوي
القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد
من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي
الضرر والمجاهدون ايرادهم بهذا العنوان دون الخروج المقابل لوصف المعطوف عليه كما وقع في عبارة
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وكذا تقييد المجاهدة بكونها في سبيل الله باموالهم وانفسهم
لمدحهم بذلك والاشعار بعلة استحقاقهم لعلو المرتبة مع ما فيه من حسن موقع السبيل في مقابلة القعود
وتقديم القاعدون في الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم
لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز
اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر وعليه قوله تعالى هل يستوي الاعمى
والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور الى غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا
يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول وقوله تعالى فضل الله المجاهدين
باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة استيناف مسوق لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم
من ذكر عدم استوائهما اجمالا ببيان كيفيته وكميته مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل كيف وقع

ذلك فضل الله الى آخره واما تقديرهم لا يستوون فانما يليق بحمل الصيغات لعلية لعدم الاستواء بحسب الآخر
وفيه تعكيس ظاهر فان الذي يجب ان يكون مقصوداً بالذات انما هو بيان تفاضل الفريقين على درجات متفاوتة
واما عدم استوائهما فقصارى امره ان يكون توطئة لذكره ولام المجاهدين والقاعدين للعهد فيكون
الجهاد في سبيل الله معتبراً في الاول كما ان قيد عدم الضرر معتبر في الثاني درجة نصب على المصدرية لوقوعها موقع
المرة من التفضيل اي فضل الله تفضلة او على نزع الخافض اي بدرجة وقيل على التمييز وقيل على الحالية من
المجاهدين اي ذوي درجة وتنوينها للتفخيم وقوله تعالى وكلا مفعول اول لما يعقبه قدم عليه
لافادة القصر تأكيداً للوعد اي كل واحد من المجاهدين والقاعدين وعد الله الحسنى اي
المثوبة الحسنى وهي الجنة لا احدهما فقط كما في قوله تعالى وارسلناك للناس رسولاً على ان اللام متعلقة برسولاً
والجملة اعتراض جيء به تداركاً لما عسى يوهمه تفضيل احد الفريقين على الآخر من حرمان المفضول وقوله تعالى
وفضل الله المجاهدين على القاعدين عطف على قوله تعالى فضل الله الخ واللام في الفريقين مغنية لهما عن ذكر
القيود التي تركت على سبيل التدريج وقوله تعالى اجراً عظيماً مصدر مؤكد لفضل على انه بمعنى اجر
وايثاره على ما هو مصدر من فعله للاشعار بكون ذلك التفضيل اجراً لاعمالهم او مفعول ثان له لتضمينه معنى
الاعطاء اي اعطاهم زيادة على القاعدين اجراً عظيماً وقيل هو منصوب بنزع الخافض اي فضلهم باجر
وقوله تعالى درجات منه بدل من اجراً بدل الكل مبين لكمية التفضيل وقوله تعالى منه متعلق
بمحذوف وقع صفة لدرجات دالة على فخامتها وجلالة قدرها اي درجات كائنة منه تعالى قال ابن
محيريز هي سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفاً قال السدي هي
سبعمائة درجة وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي عليه السلام قال ان في الجنة مائة درجة اعدها
الله تعالى للمجاهدين في سبيله بين الدرجتين كما بين السماء والارض ويجوز ان يكون انتصاب
درجات على المصدرية كما في قولك ضربه اسواطاً اي ضربات كأنه قيل فضلهم تفضيلات وقوله تعالى
ومغفرة بدل من اجراً بدل البعض لان بعض الاجر ليس من باب المغفرة اي مغفرة لما يفرط منهم
من الذنوب التي لا يكفرها سائر الحسنات التي يأتي بها القاعدون ايضاً حتى تعد من خصائصهم وقوله
عز وجل ورحمة بدل الكل من اجراً مثل درجات ويجوز ان يكون انتصابهما باضمار فعلهما اي
غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المنبئ عن المغايرة وتقييده تارة
بدرجة واخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه الكلام ويستدعيه حسن الانتظام
اما لتنزيل الاختلاف العنواني بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات منزلة الاختلاف الذاتي تمهيداً لسلوك
طريقة الابهام ثم التفسير روماً لمزيد التحقيق والتقرير كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هوداً والذين [امنوا] معه
برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ كأنه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا
يبلغ كنهها وحيث كان تحقق هذا البون البعيد بينهما موهماً لحرمان القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسنى ثم
اريد تفسير ما افاده التنكير بطريق الابهام بحيث يقطع احتمال كونه للوحدة فقيل ما قيل لله در شأن التنزيل
واما للاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات على ان المراد بالتفضيل الاول ما خولهم
الله تعالى عاجلاً في الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفضيل

الثاني ما انعم به في الآخرة من الدرجات العالية الفائتة للحصر كما ينبئ عنه تقديم الاول وتأخير الثاني وتوسيط الوعد
بالجنة بينهما كأنه قيل فضلهم عليهم في الدنيا درجة واحدة وفي الآخرة درجات لا تحصى وقد وسط بينهما
في الوجود اعني الوعد بالجنة توضيحاً لحالهما ومسارعة الى تسلية المفضول والله سبحانه اعلم هذا ما بين
المجاهدين وبين القاعدين غير اولي الضرر واما اولوا الضرر فهم مساوون للمجاهدين عند القائلين بمفهوم
الصفة وبان الاستثناء من النفي اثبات ولعل عند من لا يقول بذلك فلا دلالة لعبارة النص عليه وقد
روي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقد خلفتم في المدينة اقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً
الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوى الى الجهاد وبهم ما يمنعهم
من المسير من ضرر او غيره وبعبارة اخرى ان في المدينة لاقواماً ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد
الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة حبسهم العذر قالوا هذه المساواة مشروطة بشريطة
اخرى سوى الضرر قد ذكرت في قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله تعالى اذا نصحوا لله و
رسوله وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والثاني غيرهم وفيه من تفكيك النظم الكريم ما لا يخفى ولا ريب
في ان الاضراء افضل من غيرهم درجة كما لا ريب في انهم دون المجاهدين بحسب الدرجة الدنيوية
وكان الله غفوراً رحيماً تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة ان الذين توفاهم الملائكة بيان
لحال القاعدين عن الجهاد وتوفاهم يحتمل ان يكون ماضياً ويؤيده قراءة من قرأ توفتهم وان يكون
مضارعاً قد حذف منه احدى التاءين واصله تتوفاهم على حكاية الحال الماضية والقصد الى استحضار صورتها
ويعضده قراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم
من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم حال من ضمير توفاهم فانه وان كان مضافاً الى
المعرفة الا انه نكرة في الحقيقة لان المعنى على الانفصال وان كان موصولاً في اللفظ كما في قوله تعالى
غير محلي الصيد وهدياً بالغ الكعبة وثاني عطفه اي محلين صيد وبالغ الكعبة وثانياً عطفه كأنه قيل
ظالمين انفسهم وذلك بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بامور الدين فانها نزلت في
ناس من مكة قد اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة قالوا اي الملائكة عليهم السلام للمتوفين
تقريراً لهم بتقصيرهم في اظهار اسلامهم واقامة احكامه من الصلوة ونحوها وتوبيخاً لهم بذلك فيم
كنتم اي في اي شيء كنتم من امور دينكم قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من سؤال
الملائكة كأنه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا متجانفين عن الاقرار الصريح بما هم فيه من
التقصير متعللين بما يوجبه على زعمهم كنا مستضعفين في الارض
اي في ارض مكة عاجزين عن القيام بمواجب الدين فيما بين اهلها قالوا اي الملائكة ابطالاً لتعللهم
وتبكيتاً لهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر منها تقدرون فيه على اقامة
امور الدين كما فعله من هاجر الى المدينة والى الحبشة واما حمل تعللهم على اظهار العجز عن الهجرة و
جعل جواب الملائكة تكذيباً لهم في ذلك فيرده ان سبب العجز عنها لا ينحصر في فقدان دار الهجرة
بل قد يكون لعدم الاستطاعة للخروج بسبب الفقر او بعدم تمكين الكفرة منه فلا يكون بيان سعة الارض
تكذيباً لهم ورداً عليهم بل لا بد من بيان استطاعتهم ايضاً حتى يتم التبكيت وقيل كانت الطائفة المذكورة

فخرجوا مع المشركين الى بدر منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فقتلوا
فيها فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم تقريعا وتوبيخا لهم بما كانوا
فيه من مساعدة الكفرة بانتظامهم في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا بانهم كانوا مقهورين
تحت ايديهم وانهم اخرجوهم كارهين فرد عليهم بانهم كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين من
المهاجرة فاولئك الذين حكيت احوالهم الفظيعة مأويهم اى في الآخرة جهنم
كما ان مأواهم في الدنيا دار الكفر لتركهم الفريضة المحتومة فمأويهم مبتدأ وجهنم خبره والجملة خبر لاولئك
وهذه الجملة خبر ان والفاء فيه لتضمن اسمها معنى الشرط وقوله تعالى قالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار
قد عند من يشترطه او هو الخبر والعائد منه محذوف اى قالوا لهم والجملة المصدرة بالفاء معطوفة عليه
مستنتجة منه ومما في حيزه من قوله تعالى قالوا الم تكن الخ وقوله تعالى وساءت مصيرا
اى مصيرهم او جهنم وفي الآية الكريمة ارشاد الى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن من اقامة امور
دينه باي سبب كان وعن النبي عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض
استوجبت له الجنة وكان رفيق ابراهيم ونبيه محمد عليهما السلام الا المستضعفين استثناء منقطع
لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه ومن في قوله تعالى من الرجال والنساء والولدان
متعلقة بمحذوف وقع حالا من المستضعفين اى كائنين منهم وذكر الولدان ان اريد بهم المماليك او
المراهقون ظاهر واما ان اريد بهم الاطفال فللمبالغة في امر الهجرة وايهام انها تجب لو استطاعها
غير المكلفين لوجبت والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة تجب عليهم كما بلغوا حتى كانها واجبة عليهم
قبل البلوغ لو استطاعوا وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت وقوله تعالى لا
يستطيعون حيلة ولا يهتدون صفة للمستضعفين فان ما فيه من اللام ليس للتعريف او حال منه او من
الضمير المستكن فيه وقيل تفسير لنفس المستضعفين لكثرة وجوه الاستضعاف واستطاعة الحيلة وجدان
اسباب الهجرة ومباديها واهتداء السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر اليه بنفسه او بدليله فاولئك
اشارة الى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات العجز عسى الله ان يعفو عنهم جئ بكلمة
الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان الهجرة من تاكد الوجوب بحيث ينبغي ان يعد تركها ممن تحقق عدم
وجوبها عليه ذنبا يجب طلب العفو عنه رجاء وطمعا لا جزما وقطعا وكان الله عفوا غفورا
تذييل مقرر لما قبله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا
ترغيب في المهاجرة وتانيس لها اى يجد فيها متحولا ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تاكيدا للترغيب لما فيه
من الاشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة الى ما يكون سببا لرغم انف
قومه الذين هاجرهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب
وقيل يجد فيها طريقا يراغم بسلوكه قومه اى يفارقهم على رغم انوفهم وسعة اى من الرزق
ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت اى قبل ان يصل
الى المقصد وان كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته على المهاجرة وهو عطف على
فعل الشرط وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقيل هو حركة الهاء نقلت الى الكاف على نية الوقف

الوقف كما في قوله من عنزي سبقني لم اضربه وقرئ بالنصب على اضمار ان كما في قوله والحق بالحجاز فاستريحا
فقد وقع اجره على الله اى ثبت ذلك عنده تعالى ثبوت الامر الواجب روي ان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم لما بعث بالآيات المتقدمة الى مسلمي مكة قال جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني
لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى
المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما
بايعك رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله عليه السلام فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا
فنزلت قالوا كل هجرة في غرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او نحو ذلك فهي هجرة الى الله عز وجل والى
رسول الله عليه السلام وكان الله غفورا مبالغا في المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التي من جملتها
القعود عن الهجرة الى وقت الخروج رحيما مبالغا في الرحمة فيرحمه باكمال ثواب هجرته واذا ضربتم في الارض
شروع في بيان كيفية الصلوة عند الضرورات من السفر ولقاء العدو والمطر والمرض وفيه تاكيد لعزيمة
المهاجر على المهاجرة وترغيب له فيها لما فيه من تخفيف المؤنة اى اذا سافرتم اى مسافرة كانت ولذلك
لم تقيد بما قيد به المهاجرة فليس عليكم جناح اى حرج ومأثم ان تقصروا اى في ان تقصروا و
القصر خلاف المد يقال قصرت الشئ اى جعلته قصيرا بحذف بعض اجزائه او اوصافه فمتعلق القصر حقيقة انما
هو ذلك الشئ لا بعضه فانه متعلق الحذف دون القصر وعلى هذا قوله تعالى من الصلوة ينبغي
ان يكون مفعولا لتقصروا على زيادة من حسبما رآه الاخفش واما على تقدير ان تكون تبعيضية ويكون المفعول
محذوفا كما هو رأي سيبويه اى شيئا من الصلوة فينبغي ان يصار الى وصف الجزء بصفة الكل او يراد بالقصر
معنى الحبس يقال قصرت الشئ اذا حبسته او يراد بالصلوة الجنس ليكون المقصور بعضا منها وهي الرباعيات
اى فليس عليكم جناح في ان تقصروا بعض الصلوة بتنصيفها وقرئ تقصروا من الاقصار وتقصروا
من التقصير والكل بمعنى وادنى مدة السفر الذي يتعلق به القصر عند ابي حنيفة رحمه الله مسيرة ثلثة ايام
ولياليها بسير الابل ومشي الاقدام بالاقتصاد وعند الشافعي رحمه مسيرة يومين وظاهر الآية الكريمة
التخيير وافضلية الاتمام وبه تعلق الشافعي رح وبما روي عن النبي عليه السلام انه اتم في السفر وعن عائشة
رضي الله تعالى عنها انها اتمت تارة وقصرت اخرى وعن عثمان رضي الله تعالى عنه انه كان يتم ويقصر و
عندنا يجب القصر لا محالة خلا ان بعض مشايخنا سماه عزيمة وبعضهم رخصة اسقاط بحيث لا مساغ للاتمام
لا رخصة ترفيه اذ لا معنى للتخيير بين الاخف والاثقل وهو قول عمر رض وعلي وابن مسعود رضوان
الله تعالى عليهم اجمعين وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وقد روي عن عمر
رضي الله تعالى عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم عليه السلام وعن انس خرجنا
مع النبي عليه السلام من المدينة الى مكة فكان يصلي حتى رجعنا الى المدينة وعن عمران بن حصين
ما رأيت النبي عليه السلام يصلي في السفر الا ركعتين وصلى بمكة ركعتين ثم قال اتموا فانا قوم سفر
وحين سمع ابن مسعود ان عثمان رضي الله تعالى عنه صلى بمنى اربعا استرجع ثم قال صلينا مع رسول
الله عليه السلام بمنى اربع ركعات استرجع ثم قال صليت مع ركعتين وصليت مع ابي بكر رض بمنى
ركعتين وصليت مع عمر رض بمنى ركعتين فليت حظي من اربع ركعات ركعتان متقبلتان وقد

اعتذر عثمان رضي الله تعالى عنه عن اتمامه بانه تأهل بمكة وعن الزهري انه انما اتم لانه ازمع الاقامة بمكة وعن عائشة
رضي الله تعالى عنها اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وفي صحيح البخاري
انها قالت فرض الله الصلوة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فاقرت صلوة السفر وزيدت صلوة
الحضر واما ما روي عنها من الاتمام فقد اعتذرت عنه وقالت انا ام المؤمنين فحيث حللت فهي داري وانما
ورد ذلك بنفي الجناح لما انهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة ان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فصرح بنفي الجناح
عنهم لتطيب به نفوسهم وليطمئنوا اليه كما في قوله تعالى فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما
مع ان ذلك الطواف واجب عندنا ركن عند الشافعي رحمه الله تعالى وقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم
الذين كفروا جواب محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان خفتم ان يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره فليس عليكم
جناح الخ وهو شرط معتبر في شرعية ما يذكر بعده في صلوة الخوف المؤداة بالجماعة واما في حق مطلق القصر فلا
اعتبار له اتفاقا فالظاهر السنن على مشروعيته حسبما وقفت على تفاصيلها وقد ذكر الطحاوي في شرح الآثار
مسندا الى يعلى بن امية انه قال قلت لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انما قال الله تعالى فليس عليكم جناح ان
تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقد امن الناس فقال عمر رضه عجبت مما عجبت منه فسألت
رسول الله عليه السلام فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على عدم جواز الاكمال
لان التصدق لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد كما حقق في موضعه ولا يتوهم انه مخالف للكتاب
لان التقييد بالشرط عندنا انما يدل على ثبوت الحكم عند وجود الشرط واما عدمه عند عدمه فساكت عنه
فان وجد له دليل ثبت عنده ايضا الا يبقى على حاله لعدم تحقق دليله لا لتحقق دليل عدمه وناهيك بما
سمعت من الادلة الواضحة واما عند القائلين بالمفهوم فلانه انما يدل على نفي الحكم عند عدم الشرط اذا
لم يكن له فائدة اخرى وقد خرج الشرط ههنا مخرج الاغلب كما في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء
ان اردن تحصنا بل نقول ان الاية الكريمة مجملة في حق مقدار القصر وكيفيته وفي حق ما يتعلق به من
الصلوة وفي مقدار مدة الضرب الذي نيط به القصر فكلما ورد منه صلى الله تعالى عليه وسلم من القصر في
حال الامن وتخصيصه بالرباعيات على وجه التنصيف وبالضرب على المدة المعينة بيان لاجمال الكتاب
وقد قيل ان قوله تعالى ان خفتم الخ متعلق بما بعده من صلوة الخوف منفصل عما قبله فانه روي عن ابي
ايوب الانصاري رضي الله تعالى عنه انه قال نزل قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح
ان تقصروا من الصلوة ثم سألوا رسول الله عليه السلام بعد حول فنزل ان خفتم الى اخره اي ان خفتم
ان يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح الى اخره وقد قرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم على
انه مفعول له لما دل عليه الكلام كانه قيل شرع لكم ذلك كراهة ان يفتنكم الخ فان استمرار الاشتغال بالصلوة
مظنة لاقتدارهم على ايقاع الفتنة وقوله تعالى ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا تعليل
لذلك باعتبار تعلله بما ذكر او لما يفهم من الكلام من كون فتنتهم متوقعة فان كمال عداوتهم للمؤمنين
من موجبات التعرض لهم بسوء وقوله تعالى واذا كنت فيهم بيان لما قبله من النص المجمل الوارد
في مشروعية القصر بطريق التفريع وتصوير لكيفيته عند الضرورة التامة وتخصيص البيان بهذه الصورة
مع الاكتفاء فيما عداها بالبيان بطريق السنة لمزيد حاجتها اليه بما فيها من كثرة التغيير عن الهيئات

عن الهيئات الاصلية ومن ههنا ظهر لك ان مورد النص الشريف نفس القصر وحكم ما عداها مستفاد
من حكمها والخطاب لرسول الله عليه السلام بطريق التجريد وبظاهره تعلق من لا يرى صلوة الخوف بعده صلى
الله تعالى عليه وسلم ولا يخفى ان الائمة بعده نوابه عليه السلام قوام بما كان يقوم به فيتناولهم حكم الخطاب
الوارد له عليه السلام كما في قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة وقد روي ان سعيد بن العاص لما اراد ان
يصلي بطبرستان صلوة الخوف قال من شهد منكم صلوة الخوف مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقام
حذيفة بن اليمان فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وذلك بحضرة الصحابة رضي الله تعالى عنهم فلم ينكره احد
فحل محل الاجماع وروي ان في السنن غزوا مع عبد الرحمن بن سمرة كابل فصلى بهم صلوة الخوف فاقمت
لهم الصلوة اي اردت ان تقيم بهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك بعد ان جعلتهم طائفتين و
لتقف الطائفة الاخرى بازاء العدو ليحرسوكم منهم وانما لم يصرح به لظهوره وليأخذوا اي الطائفة
القائمة معك اسلحتهم اي لا يضعوها ولا يلقوها وانما عبر عن ذلك بالاخذ للايذان بالاعتناء
باستصحابها كانهم يأخذونها ابتداء فاذا سجدوا اي القائمون معك واتموا الركعة فليكونوا من
ورائكم اي فلينصرفوا الى مقابلة العدو للحراسة ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا بعد وهي الطائفة
الواقفة تجاه العدو للحراسة وانما لم تعرف لما انها لم تذكر فيما قبل فليصلوا معك الركعة الباقية
ولم يبين في الاية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من الطائفتين وقد بين ذلك بالسنة حيث روي
عن ابن عمر وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم ان النبي عليه السلام حين صلى صلوة الخوف صلى بالطائفة
الاولى ركعة وبالطائفة الاخرى ركعة كما في الاية ثم جاءت الطائفة الاولى وذهبت هذه الى مقابلة
العدو حتى قضت الاولى الركعة الاخرى بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطائفة الاخرى وقضوا الركعة
الاولى بقراءة حتى صار لكل طائفة ركعتان وليأخذوا اي هذه الطائفة حذرهم واسلحتهم
لعل زيادة الامر بالحذر في هذه المرة لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة
مع النبي عليه السلام في شغل شاغل واما قبلها فربما يظنونهم قائمين للحراب وتكليف كل من الطائفتين
بما ذكر لان الاشتغال بالصلوة مظنة لالقاء السلاح والاعراض عن غيرها ومئنة لهجوم
العدو كما نطق به قوله تعالى ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون
عليكم ميلة واحدة فانه استئناف مسوق لتعليل الامر المذكور والخطاب للفريقين بطريق
الالتفات اي تمنوا ان ينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة و
المراد من الامتعة ما يتمتع به في الحرب لا مطلقا وهذا الامر للوجوب لقوله تعالى ولا جناح
عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم حيث رخص لهم في وضعها اذا ثقل عليهم
استصحابها بسبب مطر او مرض وامر مع ذلك بالتيقظ والاحتياط فقيل وخذوا حذركم
لئلا يهجم العدو عليكم غيلة روى الكلبي عن ابي صالح ان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم غزا محاربا وبني انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس اسلحتهم
وخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء
ترش فحال الوادي بينه وبين اصحابه فجلس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبصر به

غورث بن الحارث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتلك ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو قائم على رأسه وقد سل سيفه من غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال
رسول الله عليه وسلم ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم ليضربه فانكب لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه فندر سيفه فقام رسول الله عليه السلام
فاخذه ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن قال لا احد قال عليه السلام تشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا عبده ورسوله واعطيك سيفك قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سيفه فقال غورث والله لانت خير مني فقال رسول الله عليه السلام
انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقص عليهم قصته فآمن بعضهم قال وسكن الوادي فقطع عليه
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى اصحابه واخبرهم بالخبر وقوله تعالى ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا
تعليل للامر باخذ الحذر اي اعد لهم عذابا مهينا بان يخذلهم وينصركم عليهم فاهتموا باموركم ولا تهملوا في مباشرة
الاسباب كي يحل بهم عذابه بايديكم وقيل لما كان الامر بالحذر من العدو موهما لتوقع غلبتهم واعتزازهم نفى ذلك
الايهام بان الله تعالى ينصرهم ويهين عدوهم لتقوى قلوبهم فاذا قضيتم الصلوة اي صلوة الخوف
اي اديتموها على الوجه المبين وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم اي فداوموا على ذكره
تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه في جميع الاحوال حتى في حال المسايفة والقتال كما في قوله
تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من
الخوف وامنتم بعدما وضعت الحرب اوزارها فاقيموا الصلوة اي الصلوة التي دخل وقتها حينئذ اي
ادوها بتعديل اركانها ومراعاة شرائطها وقيل المراد بالذكر في الاحوال الثلاثة فيها اي فاذا اردتم اداء
الصلوة فصلوا قياما عند المسايفة وقعودا جاثين على الركب عند المراماة وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح
فاذا اطمأننتم في الجملة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج وهو رأي الشافعي
رحمه الله تعالى وفيه من البعد ما لا يخفى ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا
اي فرضا موقتا قال مجاهد وقته الله تعالى فلا بد من اقامتها في حالة الخوف ايضا على الوجه المشروع وقيل مفروضا
مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي السفر ركعتين فلا بد ان تؤدى في كل وقت حسبما قدر فيه ولا تهنوا
في ابتغاء القوم اي لا تضعفوا ولا تتوانوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بالحراب وقوله تعالى ان
تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون تعليل للنهي وتشجيع لهم اي ليس ما تقاسونه من
الآلام مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثم انهم يصبرون على ذلك فما لكم لا تصبرون مع انكم اولى به منهم
حيث ترجون من الله من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب في الآخرة ما لا يخطر ببالهم وقرئ
ان تكونوا بفتح الهمزة اي لا تهنوا لان تكونوا تألمون وقوله تعالى فانهم تعليل للنهي عن الوهن لاجله والآية
نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما مبالغا في العلم فيعلم اعمالكم وضمائركم حكيما
فيما يأمر وينهى فجدوا في الامتثال بذلك فان فيه عواقب حميدة انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق روي ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره
قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه فخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست

يرجون

فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي
فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله عليه السلام
فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودي فهم رسول الله صلى الله تعالى عليه و
سلم ان يفعل فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط
عليه فقتله وقيل نزل على رجل من بني سليم من اهل مكة يقال له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه
حجر فلم يستطع الدخول ولا الخروج فاخذ ليقتل فقيل دعوه فانه قد لجأ اليكم فتركوه واخرجوه من مكة
فالتحق بتجار من قضاعة نحو الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم وهرب فاخذوه ورموه بالحجارة
حتى قتلوه وقيل انه ركب سفينة الى جدة فسرق فيها كيسا فيه دنانير فاخذ والقي في البحر لتحكم بين الناس
بما اراك الله اي بما عرفك واوحى به اليك ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم وهم
طعمة ومن يعينه من قومه او هو ومن يسير بسيرته خصيما اي مخاصما للبرآء اي لا تخاصم
اليهود لاجلهم وهو نهي معطوف على امر يستدعيه النظم الكريم كانه قيل فاحكم به ولا تكن الخ واستغفر
الله مما هممت به تعويلا على شهادتهم ان الله كان غفورا رحيما مبالغ
في المغفرة والرحمة لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم اي يخونونها بالمعصية كقوله تعالى علم الله
انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لرجوع ضررها اليهم
والمراد بالموصول اما طعمة وامثاله واما هو ومن عاونه وشهد ببراءته من قومه فانهم شركاء له في الاثم و
الخيانة ان الله لا يحب من كان خوانا مفرطا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه وتعليق عدم المحبة الذي
هو كناية عن البغض والسخط بالمبالغ في الخيانة والاثم ليس لتخصيص بل لبيان افراط طعمة وقومه فيهما
يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله اي لا يستحيون منه تعالى
وهو احق بان يستحيا منه ويخاف من عقابه وهو معهم عالم بهم وباحوالهم فلا طريق الى الاستخفاء منه سوى ترك
ما يستقبح ويؤخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء
والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون من الاعمال الظاهرة والخافية محيطا لا يعزب
عنه شيء منها ولا يفوت ها انتم هؤلاء تلوين للخطاب وتوجيه له اليهم بطريق الالتفات ايذانا بان تعديد
جناياتهم يوجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع والجملة مبتدأ وخبر وقوله تعالى جادلتم عنهم في
الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين جادلتم
صلته والمجادلة اشد المخاصمة والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وامثاله في الدنيا فمن يجادل الله
عنهم يوم القيمة اي من يخاصم عنهم يومئذ عند تعذيبهم وعقابهم ام من يكون عليهم وكيلا
حافظا ومحاميا من بأس الله تعالى وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي
او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء ما دون الشرك والظلم الشرك وقيل هما الصغيرة
والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة الصادقة يجد الله غفورا لذنوبه كائنة ما كانت رحيما متفضلا عليه
وفيه مزيد ترغيب لطعمة وقومه بالتوبة والاستغفار لما ان مشاهدة التائب لآثار المغفرة والرحمة نعمة زائدة
كائنة ومن يكسب اثما من الآثام فانما يكسبه على نفسه بحيث لا يتعدى ضرره ووباله الى غيره فليتحرز عن تعريضها

خوانا

للعقاب والعذاب عاجلا وآجلا وكان الله عليما مبالغا في العلم حكيما مراعيا للحكمة في كل ما قدر و
قضى ولذلك لا تحمل وازرة وزر اخرى ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه من الذنوب وقرئ
ومن يكسب بكسر الكاف وتشديد السين واصله يكتسب او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به
اي يقذف به ويسنده وتوحيد الضمير مع تعدد المرجع لمكان او وتذكيره لتغليب الاثم على الخطيئة كانه قيل ثم يرم
باحدهما وقرئ يرم بهما وقيل الضمير للكسب المدلول عليه بقوله تعالى يكسب وثم للتراخي في الرتبة بريئا اي
مما رماه به ليحمله عقوبته العاجلة كما فعل طعمة بزيد فقد احتمل اي بما فعل من تحميل جريرته على البرئ
بهتانا وهو الكذب الذي يتحير في عظمه واثما مبينا اي بينا فاحشا وهو صفة لاثما وقد اكتفى
في بيان عظم البهتان بالتنكير التفخيمي كانه قيل بهتانا لا يقادر قدره واثما مبينا على ان وصف الاثم بما ذكر
بمنزلة وصف البهتان به لانهما عبارة عن امر واحد وهو رمي البرئ بجناية نفسه قد عبر عنه بهما تهويلا
لامره وتفظيعا لحاله فمدار العظم والفخامة كون المرمي به للرامي فان رمي البرئ بجناية ما خطيئة كانت
او اثما بهتان واثم في نفسه اما كونه بهتانا فظاهر واما كونه اثما فلان كون الذنب بالنسبة الى من فعله
خطيئة لا يلزم منه كونه بالنسبة الى من نسبه الى البرئ منه ايضا كذلك بل لا يجوز ذلك قطعا كيف لا
وهو كذب محرم في جميع الاديان فهو في نفسه بهتان واثم لا محالة وبكون تلك الجناية للرامي يتضاعف
ذلك شدة ويزداد قبحا لكن لا لانضمام جنايته المكسوبة الى رمي البرئ والا لكان الرمي بغير
جناية مثله في العظم ولا لمجرد اشتماله على تبرئة نفسه الخاطئة والا لكان الرمي بغير جناية مع
تبرئة نفسه كذلك في العظم بل لاشتماله على قصد تحميل جنايته على البرئ واجراء عقوبتها عليه كما ينبئ
عنه ايثار الاحتمال على الاكتساب ونحوه لما فيه من الايذان بانعكاس تقديره مع ما فيه من الاشعار
بثقل الوزر وصعوبة الامر ثم بما ذكر من انضمام كسبه وتبرئة نفسه الى رمي البرئ يزداد
الجناية قبحا لكن تلك الزيادة وصف للمجموع لا للاثم ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلامك
ما هم عليه بالوحي وتنبيهك على الحق وقيل بالنبوة والعصمة لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر
وهم الذابون عن طعمة وقد جوز ان يكون المراد بالطائفة كلهم ويكون الضمير راجعا الى الناس وقيل
هم وفد بني ثقيف قدموا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا جئناك لنبايعك على ان لا تكسر
اصنامنا ولا تعشرنا فردهم عليه الصلوة والسلام ان يضلوك اي بان يضلوك
عن القضاء بالحق مع علمهم بجلية الامر والجملة جواب لولا وانما نفي همهم مع ان المنفي انما هو تأثيره
فقط ايذانا بانتفاء تأثيره بالكلية وقيل المراد هو الهم المؤثر ولا ريب في انتفائه حقيقة وقيل الجواب
محذوف اي لاضلوك وقوله عز وجل لهمت جملة مستأنفة اي لقد همت طائفة وما يضلون
الا انفسهم لاقتصار وبال مكرهم عليهم من غير ان يصيبك منه شيء والجملة اعتراض
وقوله تعالى وما يضرونك من شيء عطف عليه ومحل الجار والمجرور النصب على المصدرية اي وما يضرونك
شيئا من الضرر لما انه تعالى عاصمك واما ما خطر ببالك فكان عملا منك بظاهر الحال ثقة باقوال القائلين
من غير ان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي القرآن الجامع
بين العنوانين وقيل المراد بالحكمة السنة وعلمك بالوحي من خفيات الامور التي من جملتها

من جملتها وجوه ابطال كيد المنافقين او من امور الدين واحكام الشرع ما لم تكن تعلم
ذلك الى وقت التعليم وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة العامة والرياسة
التامة لا خير في كثير من نجواهم اي في كثير من تناجي الناس الا من امر
الا نجوى من امر بصدقة او معروف وقيل المراد بالنجوى المتناجون بطريق المجاز وقيل النجوى جمع
نجي نقله الكرماني واياما كان فالاستثناء متصل ويجوز الانقطاع ايضا على معنى لكن من امر بصدقة
او معروف ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل فينتظم اصناف الجميل وفنون
اعمال البر وقد فسر هنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع على ان المراد بالصدقة
الصدقة الواجبة او اصلاح بين الناس عند وقوع المشاقة والمعاداة بينهم من غير ان يجاوز
في ذلك حدود الشرع الشريف وبين اما متعلق بنفس اصلاح يقال اصلحت بين القوم او بمحذوف وقع
صفة له اي كائنا بين الناس عن ابي ايوب الانصاري رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قال له الا ادلك على صدقة خير لك من حمر النعم فقال بلى يا رسول الله قال تصلح بين
الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا قالوا ولعل السر في افراد هذه الاقسام الثلاثة
بالذكر ان عمل الخير المتعدي الى الناس اما لايصال المنفعة او لدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية
كاعطاء المال واليه الاشارة بقوله عز وجل الا من امر بصدقة واما روحانية واليه الاشارة بالامر
بالمعروف واما دفع الضرر فقد اشير اليه بقوله تعالى او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك
اشارة الى الامور المذكورة اعني الصدقة والمعروف والاصلاح فانه يشار به الى متعدد وما فيه
من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلتها ورفعة شأنها وترتيب الوعد على فعلها اثر
بيان خيرية الامر بها لما ان المقصود الاصلي هو الترغيب في الفعل وبيان خيرية الامر بها للدلالة
على خيريته بالطريق الاولى لما ان مدار حسن الامر وقبحه حسن المأمور به وقبحه فحيث ثبتت خيرية
الامر بالامور المذكورة فخيرية فعلها اثبت وفيه تحضيض الامر بها على فعلها او اشارة الى الامر بها
كانه قيل ومن يأمر بها والكلام في ترتيب الوعد على فعلها كالذي مر في الخيرية فان استتباع الامر
بها للاجر العظيم انما هو لكونه ذريعة الى فعلها واستتباعه له اولى واحرى ابتغاء مرضات
الله علة للفعل والتقييد به لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا لغير ذلك لم يستحق به
غير الحرمان فسوف نؤتيه بنون العظمة على طريق الالتفات وقرئ بالياء اجرا
عظيما يقصر عنه الوصف ومن يشاقق الرسول التعرض لعنوان
الرسالة لاظهار كمال شناعة ما اجترؤا عليه من المشاقة والمخالفة وتعليل الحكم الآتي بذلك
من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته ويتبع غير سبيل
المؤمنين اي غير ما هم مستمرون عليه من عقد وعمل وهو الدين القيم نوله ما تولى
اي نجعله واليا لما تولاه من الضلال ونخذله بان نخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم
اي ندخله اياها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا اي جهنم وفيها دلالة على حجية
الاجماع وحرمة مخالفته ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قد مر تفسير مثلها

فيما سبق وهو مكرر للتأكيد والتشديد او لقصة طعمة وموته كافرا او روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان
شيخا من العرب جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك
بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جراءة على الله تعالى وما توهمت
طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله تعالى فنزلت ومن يشرك
بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها من الصواب والاستقامة
كما انه افتراء واثم عظيم ولذلك جعل الجزاء في هذه الشرطية فقد ضل الخ وفيما سبق فقد افترى اثما عظيما حسبما
يقتضيه سباق النظم الكريم وسياقه ان يدعون اي ما يعبدون من دونه عز وجل الا
اناثا هي اللات والعزى ومناة ونحوها عن الحسن انه لم يكن من احياء العرب حي الا كان لهم صنم يعبدونه
يسمونه انثى بني فلان قيل لانهم كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل لانهم كانوا يلبسونها
انواع الحلي ويزينونها على هيئات النسوان وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقيل لتسميتها
اناثا لتانيث اسمائها او لانها في الاصل الجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها و
ايرادها بهذا الاسم للتنبيه على فرط حماقة عبدتها وتناهي جهلهم والاناث جمع انثى كرباب وربى وقرئ
على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كقليب وقلب او جمع اناث كثمار وثمر وقرئ وثنا واثنا بالتخفيف
والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد واسد على الاصل وقلب الواو الفا كاجوه في وجوه وان
يدعون وما يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا اذ هو الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكانت
طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملابسة ومنه صرح ممرد وشجرة
مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية لشيطانا وقال لاتخذن من عبادك نصيبا
مفروضا عطف على الجملة المتقدمة اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى وهذا القول
الشنيع الصادر عنه عند اللعن ولقد برهن على ان عبادة الاصنام غاية الضلال بطريق التعليل بان
ما يعبدونه منفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة ثم استدل عليه بان
ذلك عبادة للشيطان وهو افظع الضلال من وجوه ثلاثة الاول انه منهمك في الغي لا يكاد يعلق بشيء من
الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا من الحق والثاني انه ملعون لضلاله فلا يستتبع مطاوعته سوى
اللعن والضلال والثالث انه في غاية السعي في اهلاكهم واضلالهم فموالاة من هذا شانه غاية الضلال
فضلا عن عبادته المفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم
ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك ولآمرنهم فليبتكن
آذان الانعام اي فليقطعنها بموجب امري ويشقنها من غير تلعثم في ذلك ولا تأخير وذلك ما كانت العرب تفعله بالبحائر
والسوائب ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن نهجه صورة او صفة ويندرج فيه
ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر ونحو ذلك وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا
لكن الفقهاء رخصوا في البهائم لمكان الحاجة وهذه الجمل المحكية عن اللعين مما نطق به لسانه مقالا وحالا
وما فيها من اللامات كلها للقسم والمأمور به في الموضعين محذوف ثقة بدلالة النظم عليه ومن يتخذ الشيطان
وليا من دون الله بايثار ما يدعو اليه على ما امر الله تعالى به ومجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته فقد

خسر خسرانا مبينا لانه ضيع رأس ماله بالكلية واستبدل بمكانه من الجنة مكانه من
النار يعدهم اي ما لا يكاد ينجز ويمنيهم اي الاماني الفارغة او يفعل لهم
الوعد والتمنية على طريقة فلان يعطي ويمنع والضميران لمن والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد
في يتخذ وخسر باعتبار لفظها وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد
اما بالقاء الخواطر الفاسدة او بالسنة اوليائه وغرورا اما مفعول ثان للوعد او مفعول لاجله
او نعت لمصدر محذوف اي وعدا ذا غرور او مصدر على غير لفظ المصدر لان يعدهم في قوة يغرهم
بوعده والجملة اعتراض وعدم التعرض للتمنية لانها باب من الوعد اولئك اشارة
الى اولياء الشيطان وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الخسران وهو مبتدأ وقوله
تعالى مأواهم مبتدأ ثان وقوله عز وجل جهنم خبر للثاني والجملة خبر للاول
ولا يجدون عنها محيصا اي معدلا ومهربا من حاص الحمار اذا عدل وقيل خلص ونجا وقيل
الحيص هو الروغان بنفور وعنها متعلق بمحذوف وقع حالا من محيصا اي كائنا عنها ولا
مساغ لتعلقه بمحيصا اما اذا كان اسم مكان فظاهر واما اذا كان مصدرا فلان ما في حيزه لا يعمل فيما قبله والذين
آمنوا وعملوا الصالحات ابتداء وخبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا قرن وعيد الكفرة بوعد المؤمنين زيادة لمسرة هؤلاء ومساءة
اولئك وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون
الجملة الاسمية وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بمضمر يفسره ما بعده وينتصب
وعد الله بقوله تعالى سندخلهم لانه في معنى نعدهم ادخال جنات الخ وحقا على انه حال من المصدر
ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة
لقرنائه بوعد الله تعالى الصادق لاوليائه والمبالغة في تأكيده ترغيبا للعباد في تحصيله والقيل
مصدر كالقول والقال وقال ابن السكيت القيل والقال اسمان لا مصدران ونصبه على التمييز و
قرئ باشمام الصاد وكذا كل صاد ساكنة بعدها دال ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب
اي ليس ما وعد الله من الثواب يحصل بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما يحصل
بالايمان والعمل الصالح ولعل نظم اماني اهل الكتاب في سلك اماني المسلمين مع ظهور حالها للايذان
بعدم اجداء اماني المسلمين اصلا كما في قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار كما سلف وعن
الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة
حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن لاحسنوا العمل
وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن
اولى بالله منكم فقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة
فنزلت وقيل الخطاب للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم ان
كان الامر كما يزعم هؤلاء المسلمون لنكونن خيرا منهم واحسن حالا وقولهم لاوتين مالا وولدا
ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا

النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك بقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روي انه لما نزل قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما تحزن اما تمرض اما يصيبك البلاء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك ولا يجد له من دون الله اي مجاوزا لموالاة الله ونصرته وليا يواليه ولا نصيرا ينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات اي بعضها وشيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات ثم للابتداء اي كائنة من ذكر الخ وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك اشارة الى من بعنوان اتصافه بالايمان والعمل الصالح والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الاشعار بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الشرف يدخلون الجنة وقرئ يدخلون مبنيا للمفعول من الادخال ولا يظلمون نقيرا اي لا ينقصون شيئا حقيرا من ثواب اعمالهم فان النقير علم في القلة والحقارة واذا لم ينقص ثواب المطيع فلان لا يزاد عقاب العاصي اولى واحرى كيف لا والمجازي ارحم الراحمين وهو السر في الاقتصار على ذكره عقيب الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه له تعالى لا يعرف له ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وقيل اخلص عمله له وقيل فوض امره اليه تعالى وهذا انكار واستبعاد لان يكون احد احسن دينا ممن فعل ذلك ومساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها يرشدك اليه العرف المطرد والاستعمال الشائع فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وعليه مساق قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى ونظائره ودينا نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن دينه احسن من دين من اسلم الخ فالتفضيل في الحقيقة جار بين الدينين لا بين صاحبيهما ففيه تنبيه على ان ذلك اقصى ما تنتهي اليه القوة البشرية وهو محسن اي آت بالحسنات تارك للسيئات او آت بالاعمال الصالحة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره عليه السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة حال من فاعل اسلم واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها وقبولها حنيفا مائلا عن الاديان الزائغة وهو حال من فاعل اتبع او من ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصه بكرامات تشبه كرامة الخليل عند خليله واظهاره عليه السلام في مواقع الاضمار لتفخيم شانه عليه السلام والتنصيص على انه الممدوح وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما متوافقان في الخصال وفائدة الاعتراض جمة من جملتها الترغيب في اتباع ملته عليه السلام فان من بلغ من الزلفى عند الله تعالى مبلغا مصححا لتسميته خليلا حقيق بان يكون اتباع طريقته اهم ما يمتد اليه اعناق الهمم واشرف ما يرمق نحوه احداق الامم قيل انه عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم عليه السلام يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس من الشدة فرجع غلمانه عليه السلام واجتازوا ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس وجاؤوا بها الى منزل ابراهيم عليه السلام والقوها فيه وتفرقوا وجاء احدهم فاخبر ابراهيم عليه السلام بالقصة فاغتم لذلك غما شديدا لا سيما لاجتماع الناس ببابه رجاء الطعام فغلبته عيناه وعمدت سارة الى الغرائر فاذا فيها اجود ما يكون من الحوارى فاختبزت وفي رواية من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله تعالى خليلا ولله ما في السموات وما في الارض جملة مبتدأة سيقت لتقرير وجوب طاعته تعالى على اهل السموات والارض ببيان ان جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا لا يخرج من ملكوته شيء منها فيجازي كلا بموجب اعماله خيرا وشرا وقيل لبيان ان اتخاذه عز وجل لابراهيم خليلا ليس لاحتياجه الى ذلك في شان من شؤونه كما هو دأب الآدميين فان مدار خلتهم افتقار بعضهم الى بعض في مصالحهم بل لمجرد تكرمته وتشريفه وقيل لبيان ان الخلة لا تخرجه عن رتبة العبودية وقيل لبيان ان اصطفاءه عليه السلام للخلة بمحض مشيئته تعالى اي له تعالى ما فيهما جميعا يختار منهما من يشاء ولمن يشاء سبحانه وقوله تعالى وكان الله بكل شيء محيطا تذييل مقرر لمضمون ما قبله على الوجوه المذكورة فان احاطته تعالى علما وقدرة بجميع الاشياء التي من جملتها ما فيهما من المكلفين واعمالهم مما يقرر ذلك اكمل تقرير ويستفتونك في النساء اي في حقهن على الاطلاق كما ينبئ عنه الاحكام الآتية لا في حق ميراثهن خاصة فانه عليه السلام قد سئل عن احوال كثيرة مما يتعلق بهن فما بين حكمه فيما سلف احيل بيانه على ما ورد في ذلك من الكتاب وما لم يبين حكمه بعد ذكره ههنا وذلك قوله تعالى قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب اي يبين لكم حكمه فيهن والافتاء اظهار المبهم وتوضيح المشكل واسناده اليه تعالى والى ما يتلى من الكتاب فيما سبق باعتبارين على طريقة قولك اغناني زيد وعطاؤه وما يتلى عطف على المبتدأ او ضميره في الخبر لمكان الفصل بالمفعول والجار والمجرور وايثار صيغة المضارع للايذان باستمرار التلاوة ودوامها وفي الكتاب اما متعلق بيتلى او بمحذوف وقع حالا من المستكن فيه اي يتلى كائنا فيه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على ان المراد به اللوح المحفوظ والجملة معترضة مسوقة لبيان عظم شان المتلو عليهم وان العدل والحقوق المبينة فيه من عظائم الامور التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها فما يتلى حينئذ متناول لما تلي وما سيتلى ويجوز ان يكون مجرورا على القسم المنبئ عن تعظيم المقسم به وتفخيمه كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب فالمراد بقوله تعالى يفتيكم بيانه السابق واللاحق ولا مساغ لعطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى وقوله عز وجل في يتامى النساء على الوجه الاول وهو الاظهر متعلق بيتلى اي ما يتلى عليكم في شانهن وعلى الآخرين بدل من فيهن وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على قلب همزة ايامى ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي ما فرض لهن من الميراث وغيره وترغبون عطف على الصلة عطف جملة مثبتة على جملة منفية وقيل حال من فاعل لا تؤتونهن باضمار مبتدأ اي وانتم ترغبون ولا ريب في انه لا يظهر لتقييد عدم الايتاء بذلك فائدة الا ان يراد بما كتب لهن صداقهن ان تنكحوهن اي في ان تنكحوهن لكن لا لاجل التمتع بهن بل لاكل ما لهن

او في ان تنكحوهن بغير اكمال الصداق وذلك ما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها من انها اليتيمة تكون
في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان
يقسطوا لهن في اكمال الصداق او عن ان تنكحوهن وذلك ما روي عنها رضي الله تعالى عنها انها اليتيمة
يرغب وليها عن نكاحها ولا ينكحها فيعضلها طمعا في ميراثها وفي رواية عنها هو الرجل يكون عنده يتيمة
هو وليها ووارثها وشريكها في المال حتى في العذق فيرغب ان ينكحها ويكره ان يزوجها رجلا فيشركه
في ماله بما شركته فيعضلها فالمراد بما كتب لهن على الوجه الاول والاخير ميراثهن وبما يتلى في حقهن قوله
عز وجل وآتوا اليتامى اموالهم وقوله تعالى ولا تأكلوها ونحوهما من النصوص الدالة على عدم التعرض
لاموالهم وعلى الوجه الثاني صداقهن وبما يتلى فيهن قوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى الآية
والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء وما يتلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله الخ وقد كانوا
في الجاهلية لا يورثونهم كما لا يورثون النساء وانما يورثون الرجال القوام بالامور روي ان
عيينة بن حصن الفزاري جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اخبرنا انك تعطي الابنة
النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال فقال عليه السلام كذلك امرت وان
تقوموا لليتامى بالقسط عطف على ما قبله وما يتلى في حقهم قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم
الى اموالكم ونحو ذلك هذا على تقدير كون في يتامى النساء متعلقا بيتلى واما على تقدير كونه
بدلا من فيهن فالوجه نصبه عطفا على موضع فيهن اي يفتيكم ان تقوموا ويجوز نصبه باضمار فعل اي
ويأمركم وهو خطاب للولاة او للاولياء والاوصياء وما تفعلوا في حقوق المذكورين من خير
حسبما امرتم به او ما تفعلونه من خير على الاطلاق فيندرج فيه ما يتعلق بهم اندراجا اوليا فان الله كان به عليما
فيجازيكم بحسبه وان امرأة خافت شروع في بيان ما لم يبين فيما سلف من الاحكام اي ان توقعت لما ظهر لها
من بعلها نشوزا اي تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا
بان يقل مجادثتها ومؤانستها لما يقتضي ذلك من الدواعي والاسباب فلا جناح عليهما حينئذ
ان يصلحا بينهما صلحا اي في ان يصلحا بينهما بان تحط له المهر او بعضه او القسم كما
فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فوهبت يومها
لعائشة رضي الله تعالى عنها او بان تهب له شيئا تستميله وقرئ يصالحا من يتصالحا ويصلحا
من يصطلحا ويصالحا من المفاعلة وصلحا اما منصوب بالفعل المذكور على كل تقدير على انه مصدر منه بحذف
الزوائد او قد يعبر عنه باسم المصدر كانه قيل اصلاحا او تصالحا او اصطلاحا حسبما قرئ الفعل او
بفعل مترتب على المذكور اي فيصلح حالهما صلحا وبينهما ظرف للفعل او حال من صلحا والتعرض لنفي الجناح
عنهما مع انه ليس من جانبها الا الاعطاء الذي هو المظنة للجناح لبيان ان هذا الصلح ليس من قبيل الرشوة
المحرمة للمعطي والآخذ والصلح خير اي من الفرقة او من سوء العشرة او من الخصومة
فاللام للعهد وهو خبر من الخيور والام للجنس والجملة اعتراض مقرر لما قبله وكذا قوله تعالى واحضرت
الانفس الشح اي جعلت حاضرة له مطبوعة عليه لا تنفك عنه ابدا فلا المرأة تسمح بحقوقها من الرجل ولا
الرجل يجود بحسن المعاشرة مع ما فيها فان فيه تحقيقا للصلح وتقريرا له لحث كل واحد منهما عليه لكن

لكن لا بالنظر الى حال نفسه فان ذلك يستدعي التمادي في المماكسة والشقاق بل بالنظر الى حال صاحبه فان شح نفس
الرجل وعدم ميله عن حالتها الجبلية بغير استمالة مما يحمل المرأة على بذل بعض حقوقها اليه لاستمالته وكذا شح
نفسها بحقوقها مما يحمل الرجل على ان يقتنع من قبلها بالشيء اليسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق بذلك الصلح
وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض وان تعاضدت الاسباب الداعية اليهما
وتصبروا على ذلك مراعاة لحقوق الصحبة ولم تضطروهن الى بذل شيء من حقوقهن فان الله كان بما تعملون خبيرا
اي من الاحسان والتقوى او بما تعملون جميعا فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا خبيرا فيجازيكم ويثيبكم
على ذلك البتة لاستحالة ان يضيع اجر المحسنين وفي خطاب الازواج بطريق الالتفات والتعبير عن رعاية
حقوقهن بالاحسان ولفظ التقوى المنبئ عن كون النشوز والاعراض مما يتوقى منه وترتيب الوعد
الكريم عليه من لطف الاستمالة والترغيب وحسن الملاطفة ما لا يخفى روي انها نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة
وزوجها سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة واثرها عليها وجفاها
فاتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وشكت اليه ذلك وقيل نزلت في ابي السائب كانت له امرأة
قد كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني على اولادي واقسم
لي كل شهرين ان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فذكر له ذلك فنزلت ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء اي محال ان تقدروا على ان
تعدلوا بينهن بحيث لا يقع ميل ما الى جانب احداهن في شان من الشؤون البتة وقد كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك
ولا املك وفي رواية وانت اعلم بما لا املك يعني فرط محبته لعائشة رضي الله تعالى عنها ولو حرصتم
اي على اقامة العدل وبالغتم في ذلك فلا تميلوا كل الميل اي فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور
واعدلوا ما استطعتم فان عجزكم عن حقيقة العدل انما يصحح عدم تكليفكم بها لا بما دونها من المراتب
الداخلة تحت استطاعتكم فتذروها اي التي ملتم عنها كالمعلقة التي ليست ذات بعل
او مطلقة وقرئ كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد
شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا الميل فيما يستقبل فان
الله كان غفورا يغفر لكم ما فرط منكم من الميل رحيما يتفضل عليكم برحمته وان يتفرقا
وقرئ يتفارقا اي وان يفارق كل واحد منهما صاحبه بان لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح
وغيره يغن الله كلا منهما اي يجعله مستغنيا عن الآخر ويكفه مهماته من سعته
من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن المفارقة رغما لصاحبه وكان الله واسعا حكيما مقتدرا
متقنا في افعاله واحكامه وقوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض اي من الموجودات كائنا ما
كان من الخلائق وارزاقهم وغير ذلك جملة مستانفة منبهة على كمال سعته وعظم قدرته ولقد
وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي امرناهم في كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من
الامم واللام في الكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الموصول
ان اتقوا الله اي وصينا كلا منكم ومنهم بان اتقوا الله على ان ان مصدرية حذف عنها

عن الجار ويجوز ان يكون مفسرة لان التوصية في معنى القول فقوله تعالى فان لله ما في السموات

وما في الارض . . . . . . حينئذ من تتمة القول المحكي اي ولقد قلنا لهم ولكم اتقوا الله وان تكفروا الخ الاية وعلى تقدير كون ان مصدرية مبني الكلام ارادة القول اي امرناهم واياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا الخ وقيل هي جملة مستانفة خوطب بها هذه الامة واياما كان فلم ترتب على كفرهم ليس مضمون قوله تعالى فان الله الاية بل هو الامر بعلمه كانه قيل وان تكفروا فاعلموا ان لله ما في السموات والارض من الخلائق قاطبة مفتقرون اليه في الوجود وسائر النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن فيضه طرفة عين فحقه ان يطاع ولا يعصى ويتقى عقابه ويرجى ثوابه وقد قرر ذلك بقوله وكان

وكان الله غنيا اي عن الخلق وعبادتهم حميدا . محمودا في ذاته حمدوه او لم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم كما لا ينتفع بشكرهم وتقويهم وانما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته

ولله ما في السموات وما في الارض . . . كلام مبتدأ مسوق للمخاطبين توطئة لما بعده من الشرطية غير داخل تحت القول المحكي اي له سبحانه وتعالى ما فيهما من الخلائق خلقا وملكا يتصرف فيهم كيف ما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وكفى بالله وكيلا . في تدبير امور الكل وكل الامور فلا بد من ان يتوكل عليه لا على احد سواه ان يشأ يذهبكم ايها الناس اي يفنكم ويستاصلكم بالمرة ويأت اي ويوجد دفعة مكانكم قوما من البشر او خلقا آخرين مكان الانس ومفعول المشية محذوف لكونه مضمون الجزاء اي ان يشأ افنائكم وايجاد آخرين يذهبكم الخ يعني ان ابقاءكم على ما انتم عليه من العصيان انما هو لكمال غنائه عن طاعتكم ولعدم مشيته المبنية على الحكم البالغة با فنائكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وكان الله على ذلك . . . اي افنائكم بالمرة وايجاد آخرين دفعة مكانكم قديرا بليغ القدرة وفيه لا سيما في توسيط الخطاب بين الجزاء وما عطف عليه من تشديد التهديد ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من العرب اي ان يشأ يمتكم ويأت بناس آخرين يوالونه فمعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ويروى انه لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة . اي فعنده تعالى ثوابهما له ان اراده فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة او ليطلب اشرفهما فان من جاهد خالصا لوجه الله تعالى لم تخطئه الغنيمة وله في الاخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله تعالى ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه الاية وكان الله سميعا بصيرا عالما بجميع المسموعات والمبصرات فيندرج فيها ما صدر عنهم من الاقوال والاعمال المتعلقة بمراداتهم اندراجا اوليا يا ايها الذين آمنوا

كونوا قوامين بالقسط . . . . مبالغين في العدل واقامة القسط في جميع الامور مجتهدين في ذلك حق الاجتهاد شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان وقيل حال ولو على انفسكم . . اي ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا

باخرين

بان تقروا عليها على ان الشهادة عبارة عن الاخبار بحق الغير سواء كان ذلك عليه او على ثالث او بان تكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالكم من جهة المشهود عليه او الوالدين والاقربين اي ولو كانت على والديكم واقاربكم ان يكن . اي المشهود عليه غنيا . يبتغى في العادة رضاه ويتقى سخطه او فقيرا . يترحم عليه غالبا وقرئ ان يكن غني او فقير على ان كان تامة وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله تعالى فالله اولى بهما عليه اي فلا تمتنعوا عنها طلبا لرضى الغني او ترحما على الفقير فان الله تعالى اولى بجنسي الغني والفقير المدلول عليهما بما ذكر ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها وقرئ اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا اي مخافة ان تعدلوا عن الحق فان اتباع الهوى من مظان الجور الذي حقه ان يخاف ويحذر وقيل كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا . اي السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل بان تأتوا بها لا على وجهها وقرئ وان تلوا من الولاية والتصدي اي وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا . اي عن اقامتها رأسا فان الله كان بما تعملون من لي الالسنة والاعراض بالكلية او من جميع الاعمال التي من جملتها ما ذكر خبيرا . فيجازيكم لا محالة على ذلك وهو على القراءة المشهورة وعيد محض وعلى القراءة الاخيرة متضمن للوعد يا ايها الذين آمنوا خطاب لكافة المسلمين فمعنى قوله تعالى

آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه وازدادوا فيه طمأنينة ويقينا او آمنوا بما ذكر مفصلا بناء على ان ايمان بعضهم اجمالي والمراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه والايمان به الايمان بان كل كتاب من تلك الكتب فنزل منه تعالى على رسول معين لارشاد امته الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على ان مدار الايمان بكل واحد من تلك الكتب خصوصيته لذلك الكتاب ولا على ان احكام تلك الكتب وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان الايمان بالكل مندرج تحت الايمان بالكتاب المنزل على رسوله وان احكام كل منها كانت حقة ثابتة الى ورود ما نسخها وان ما لم ينسخ منها الى الآن من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب الجليل المصون عن النسخ والتبديل كما مر في تفسير خاتمة سورة البقرة وقرئ نزل وانزل على البناء للمفعول وقيل هو خطاب لمؤمني اهل الكتاب لما ان عبد الله بن سلام وابن اخته سلاما وابن اخيه سلمة واسدا واسيدا ابني كعب وثعلبة بن قيس ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم فامرهم بالايمان بالكتاب المتناول للتوراة مع انهم مؤمنون بها من قبل ليس لكون المراد بالايمان ما يعم انشاءه والثبات عليه ولا لان متعلق الامر حقيقة هو الايمان بما عداها كانه قيل آمنوا بالكل ولا تخصوه بالبعض بل لان المأمور به انما هو الايمان بها في ضمن الايمان بالقرآن على الوجه الذي اشير اليه انفا لا ايمانهم السابق ولان فيه حملا لهم على التوراة بينها وبين سائر الكتب في التصديق لاشتراك الكل فيما يوجبه وهو النزول من عند الله تعالى وقيل خطاب لاهل الكتابين فالمعنى آمنوا بالكل لا ببعض دون بعض وامر كل طائفة بالايمان بكتاب في

على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل

ضمن الامر بالايمان بجنس الكتاب لما ذكر وقيل هو للمنافقين فالمعنى امنوا بقلوبكم لا بالسنتكم فقط ومن يكفر
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر اى بشىء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد
بحيث لا يكاد يعود الى طريقه وزيادة الملائكة واليوم الاخر فى جانب الكفر لما ان بالكفر باحدهما لا يتحقق
الايمان اصلا وجمع الكتب والرسل لما ان الكفر بكتاب او رسول كفر بالكلية وتقديم الرسل فيما سبق لذكر
الكتاب بعنوان كونه منزلا عليه وتقديم الملائكة والكتب على الرسل لانهم وسائط بين الله عز وجل وبين
الرسل فى انزال الكتب ان الذين امنوا قال قتادة هم اليهود امنوا بموسى ثم كفروا
بعبادتهم العجل ثم امنوا عند عوده اليهم ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا
كفرا بكفرهم بمحمد عليه الصلوة والسلام وقيل هم قوم تكرر منهم الارتداد واصروا على الكفر وازدادوا
تماديا فى الغى لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا لانه يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر
ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم قد ضربت بالكفر وتمرنت على الردة وكان الايمان عندهم اهون شىء و
ادونه لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان محذوف اى مريدا ليغفر لهم وقوله تعالى
بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان المراد بالمذكورين الذين امنوا فى الظاهر نفاقا وكفروا
فى السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا كفرا ونفاقا ووضع بشر موضع انذر تهكما بهم الذين
يتخذون الكافرين اولياء فى محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد بهم الذين او هم الذين وقيل
نصب على انه صفة للمنافقين وقوله تعالى من دون المؤمنين حال من فاعل يتخذون اى يتخذون
الكفرة انصارا متجاوزين ولاية المؤمنين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد صلى
الله تعالى عليه وسلم فتولوا اليهود ايبتغون عندهم العزة انكار لرأيهم وابطال وبيان لخيبة
رجائهم لاطماعهم الفارغة والجملة معترضة مقررة لما قبلها اى ايطلبون بموالاة الكفرة القوة
والغلبة قال الواحدى اصل العزة الشدة ومنه قيل للارض الشديدة الصلبة عزاز وقوله تعالى
فان العزة لله جميعا تعليل لما يفيده الاستفهام الانكارى من بطلان رأيهم وخيبة رجائهم
فان انحصار جميع افراد العزة فى جنابه عز وجل بحيث لا ينالها الا اولياؤه الذين كتب لهم العزة والغلبة
وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين يقتضى بطلان التعزز بغيره سبحانه واستحالة الانتفاع
وقيل هو جواب شرط محذوف كانه قيل ان يبتغوا عندهم العزة فان العزة لله جميعا حال من المستكن
فى قوله تعالى وقد نزل عليكم خطاب للمنافقين بطريق الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ الذى
يستدعيه تعداد جناياتهم وقرئ مبنيا للمفعول من التنزيل والانزال ونزل ايضا مخففا والجملة
حال من ضمير يتخذون ايضا مفيدة لكمال قباحة حالهم ونهاية استعصائهم عليه سبحانه ببيان انهم فعلوا
ما فعلوا من موالاة الكفرة مع تحقق ما يمنعهم عن ذلك وهو ورود النهى الصريح عن مجالستهم
المستلزم للنهى عن موالاتهم على ابلغ وجه واكده اثر بيان انتفاء ما يدعوهم اليه بالجملة المعترضة
كانه قيل تتخذونهم اولياء والحال انه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا فى الكتاب اى القرآن الكريم
ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره
وذلك قوله تعالى واذا رايت الذين يخوضون فى اياتنا فاعرض عنهم الاية وهذا يقتضى الانزجار عن

عن مجالستهم فى تلك الحالة القبيحة فكيف بموالاتهم والاعتزاز بهم وان هى المخففة من ان وضمير الشان الذى
هو اسمها محذوف والجملة الشرطية خبرها وقوله تعالى يكفر بها حال من ايات الله وقوله تعالى ويستهزأ بها عطف عليه
داخل فى حكم الحالية واضافة الايات الى الاسم الجليل لتشريفها وابانة خطرها وتهويل امر الكفر بها اى نزل عليكم فى
الكتاب انه اذا سمعتم ايات الله مكفورا بها وفيه دلالة على ان المنزل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وان خوطب
به خاصة منزل على الامة وان مدار الاعراض عنهم هو العلم بخوضهم فى الايات ولذلك عبر عن ذلك تارة بالرؤية
واخرى بالسماع وان المراد بالاعراض اظهار المخالفة بالقيام عن مجالستهم لا الاعراض بالقلب او بالوجه
فقط والضمير فى معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله تعالى يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم جملة
مستأنفة سيقت لتعليل النهى غير داخلة تحت التنزيل واذا ملغاة عن العمل لوقوعها بين المبتدأ والخبر
اى لا تقعدون معهم فى ذلك الوقت انكم ان فعلتموه كنتم مثلهم فى الكفر واستتباع العذاب وافراد المثل لانه
كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ شاذا مثلهم بالفتح لاضافته الى غير متمكن كما فى قوله تعالى
مثل ما انكم تنطقون وقيل هو منصوب على الظرفية اى فى مثل حالهم وقوله تعالى ان الله جامع المنافقين
والكافرين فى جهنم جميعا تعليل لكونهم مثلهم فى الكفر ببيان ما يستلزمه من شركتهم لهم فى العذاب
والمراد بالمنافقين اما المخاطبون وقد وضع موضع ضميرهم المظهر تسجيلا بنفاقهم وتعليلا للحكم بمأخذ الاشتقاق
واما الجنس وهم داخلون تحته دخولا اوليا وتقديمهم على الكافرين لتشديد الوعيد على المخاطبين ونصب
جميعا مثل ما قبله الذين يتربصون بكم تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين بتعديد بعض اخر من جنايات
المنافقين وقبائحهم وهو اما بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين فقط او هم المتربصون دون
الكافرين او مرفوع او منصوب على الذم اى ينتظرون امركم وما يحدث لكم من ظفر او اخفاق والفاء
فى قوله تعالى فان كان لكم فتح من الله لترتيب مضمونه على ما قبلها فان حكاية تربصهم مستتبعة
لحكاية ما يقع بعد ذلك كما ان نفس التربص يستدعى شيئا ينتظر المتربص وقوعه قالوا اى لكم
الم نكن معكم اى مظاهرين لكم فاسهموا لنا فى الغنيمة وان كان للكافرين نصيب من
الحرب فانها سجال قالوا اى للكفرة الم نستحوذ عليكم اى الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم
واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم وحرضناهم
فى قتالكم وتوانينا فى مظاهرتهم والا لكنتم نهبة للنوائب فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وتسمية ظفر
المسلمين فتحا وما للكافرين نصيبا لتعظيم شان المسلمين وتخسيس حظ الكافرين وقرئ ونمنعكم
باضمار ان فالله يحكم بينكم يوم القيمة حكما يليق بشان كل منكم من الثواب والعقاب واما فى
الدنيا فقد اجرى على من تفوه بكلمة الاسلام حكمه ولم يضع السيف على من تكلم بها نفاقا ولن يجعل
الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ كما قد يجعل ذلك فى الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج
او فى الدنيا على ان المراد بالسبيل الحجة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم كلام
مبتدأ سيق لبيان طرف آخر من قبائح اعمالهم اى يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان نقيضه
والله فاعل بهم ما يفعل الغالب فى الخداع حيث تركهم فى الدنيا معصومى الدماء والاموال واعد لهم فى
الاخرة الدرك الاسفل من النار وقد مر التحقيق فى صدر سورة البقرة وقيل يعطون على الصراط نورا كما

فيمضي المؤمنون ويخفون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم
واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ بفتح الكاف وهما جمع كسلان
يراؤن الناس ليحسبوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعّم وناعم او للمقابلة فان المرائي
يري غيره عمله وهو يريه استحسانه والجملة اما استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا
يريدون بقيامهم اليها كسالى فقيل يراؤن الخ او حال من ضمير قاموا ولا يذكرون الله الا
قليلا عطف على يراؤن اي لا يذكرونه سبحانه الا ذكرا قليلا وهو ذكرهم باللسان فانه بالاضافة
الى الذكر بالقلب قليل او الا زمانا قليلا او لا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون الا بمرأى من الناس و
ذلك قليل وقيل لا يذكرونه تعالى في الصلوة الا قليلا عند التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك
حال من فاعل يراؤن او منصوب على الذم وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام اي
مرددين بينهما متحيرين قد ذبذبهم الشيطان وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد
اخرى وقرئ بكسر الذال اي مذبذبين قلوبهم او دينهم او رأيهم او هو بمعنى متذبذبين كما جاء صلصل بمعنى
تصلصل وفي مصحف ابن مسعود رضي الله تعالى عنه متذبذبين وقرئ مدبدبين بالدال غير المعجمة وكان
المعنى اخذ بهم تارة في دبة اي طريقة واخرى في اخرى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء اي لا منسوبين الى
المؤمنين ولا منسوبين الى الكافرين او لا صائرين الى الاولين ولا الى الآخرين فمحله النصب على انه حال
من ضمير مذبذبين او على انه بدل منه او بيان وتفسير له ومن يضلل الله لعدم استعداده
للهداية والتوفيق فلن تجد له سبيلا موصلا الى الحق والصواب فضلا ان تهديه
اليه والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين
نهوا عن موالاة الكفرة صريحا وان كان في بيان حال المنافقين مزجرة عن ذلك مبالغة في الزجر والتحذير
أتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اي أتريدون بذلك ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة على انكم منافقون
فان موالاتهم اوضح ادلة النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها
بان يقال أتجعلون الخ للمبالغة في انكاره وتهويل امره ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن
صدوره نفسه كما في قوله عز وجل ام تريدون ان تسألوا رسولكم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة حيث ضموا الى الكفر الاستهزاء بالاسلام واهله
وخداعهم واما قوله عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مسلم من اذا حدث
كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشديد والتغليظ مبالغة في الزجر وتسمية طبقاتها
السبع دركات لكونها متداركة متتابعة بعضها تحت بعض وقرئ بفتح الراء وهو لغة كالسطر والسطر ويعضده
ان جمعه ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخلصهم منه والخطاب كما سبق الا الذين تابوا اي عن
النفاق وهو استثناء من المنافقين بل من ضميرهم في الخبر واصلحوا ما افسدوا من احوالهم في حال
النفاق واعتصموا بالله اي وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله اي جعلوه خالصا لله
لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد المنزلة وعلو الطبقة مع المؤمنين اي المؤمنين المعهودين

المعهودين الذين لم يصدر عنهم نفاق اصلا منذ آمنوا والا فهم ايضا مؤمنون اي معهم في الدرجات العالية من
الجنة وقد بين ذلك بقوله تعالى وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما لا يقادر قدره فيساهمونهم
فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم استيناف مسوق لبيان ان مدار تعذيبهم وجودا و
عدما انما هو كفرهم لا شيء آخر فيكون مقررا لما قبله من اثابتهم عند توبتهم وما استفهامية مفيدة للنفي على
ابلغ وجه وآكده اي اي شيء يفعل الله سبحانه بتعذيبكم أيتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثأر ام يستجلب
به نفعا او يستدفع به ضررا كما هو شأن الملوك وهو الغني المتعالي عن امثال ذلك وانما هو امر يقتضيه
كفركم فاذا زال ذلك بالايمان والشكر انتفى التعذيب لا محالة وتقديم الشكر على الايمان لما انه طريق
موصل اليه فان الناظر يدرك اولا ما عليه من النعم الانفسية والآفاقية فيشكر شكرا مبهما ثم يترقى الى
معرفة المنعم فيؤمن به وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وكان الله شاكرا
الشكر من الله سبحانه هو الرضا باليسير من طاعة عباده واضعاف الثواب بمقابلته عليما مبالغا
في العلم بجميع المعلومات التي من جملتها شكركم وايمانكم فيستحيل ان لا يوفيكم اجوركم لا يحب الله الجهر
بالسوء من القول عدم محبته تعالى لشيء كناية عن سخطه والباء متعلقة بالجهر ومن بمحذوف وقع حالا من
السوء اي لا يحب الله تعالى ان يجهر احد بالسوء كائنا من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم بان يدعو
على ظالمه او يتظلم منه ويذكره بما فيه من السوء فان ذلك غير مسخوط عنده سبحانه وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة
فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه الآية وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب على الشكاية
فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل فالاستثناء منقطع اي ولكن الظالم يرتكب ما لا يحبه الله تعالى
فيجهر بالسوء وكان الله سميعا بجميع المسموعات فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم عليما
بجميع المعلومات التي من جملتها حال المظلوم والظالم تذييل مقرر لما يفيده الاستثناء ان تبدوا
خيرا اي خير كان من الاقوال والافعال او تخفوه او تعفوا عن سوء مع ما
سوغ لكم من مؤاخذة المسيء والتنصيص عليه مع اندراجه في ابداء الخير واخفائه لما انه الحقيق بالبيان و
انما ذكر ابداء الخير واخفاؤه بطريق التسبيب له كما ينبئ عنه قوله عز وجل فان الله كان عفوا
قديرا فان ايراده في معرض جواب الشرط يدل على ان العمدة هو العفو مع القدرة اي كان مبالغا
في العفو مع كمال قدرته على المؤاخذة وقال الحسن يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم
ان تقتدوا بسنة الله تعالى وقال الكلبي هو اقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو ذنوب من ظلمكم وقيل
عفوا عمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه ان الذين يكفرون بالله ورسله
اي يؤدي اليه مذهبهم ويقتضيه رأيهم لا انهم يصرحون بذلك كما ينبئ عنه قوله عز وجل ويريدون
ان يفرقوا بين الله ورسله اي بان يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بان يصرحوا بالايمان به تعالى
وبالكفر بهم قاطبة بل بطريق الالتزام كما يحكيه قوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر
ببعض اي نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم كما قالت اليهود نؤمن بموسى والتوراة
وعزير ونكفر بما وراء ذلك وما ذاك الا كفر بالله تعالى ورسوله وتفريق بين الله تعالى ورسله و[illegible]
لانه تعالى قد امرهم بالايمان بجميع الانبياء وما من نبي من الانبياء الا وقد اخبر قومه بحقيقة دين نبينا صلعم

الله تعالى عليه وسلم وعليهم اجمعين فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى ايضا من حيث لا يشعرون
ويريدون بقولهم ذلك ان يتخذوا بين ذلك اى بين الايمان والكفر سبيلا
يسلكونه مع انه لا واسطة بينهما قطعا اذ الحق لا يختلف وماذا بعد الحق الا الضلال اولئك
الموصوفون بالصفات القبيحة هم الكافرون الكاملون فى الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه ايمانا
اصلا حقا مصدر مؤكد لمضمون الجملة اى حق ذلك اى كونهم كاملين فى الكفر حقا او صفة لمصدر
الكافرين اى هم الذين كفروا كفرا حقا اى ثابتا يقينا لا ريب فيه واعتدنا للكافرين اى لهم وانما وضع
المظهر مكان المضمر ذما لهم وتذكيرا لوصفهم او لجميع الكافرين وهم داخلون فى زمرتهم دخولا اوليا عذابا
مهينا سيذوقونه عند حلوله والذين آمنوا بالله على الوجه الذى بين فى تفسير قوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله الآية ولم يفرقوا بين احد منهم بان يؤمنوا ببعضهم ويكفروا بآخرين
كما فعله الكفرة ودخول بين على احد قد مر تحقيقه فى سورة البقرة بما لا مزيد عليه اولئك المنعوتون
بالنعوت الجليلة المذكورة سوف يؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد
والدلالة على انه كائن لا محالة وان تراخى وقرئ نؤتيهم بنون العظمة وكان الله غفورا
لما فرط منهم رحيما مبالغا فى الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب
ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت فى احبار اليهود حين قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه و
سلم ان كنت نبيا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا محررا
بخط سماوى على اللوح كما نزلت التورية او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك
رسول الله وما كان مقصدهم بهذه العظيمة الا التحكم والتعنت قال الحسن ولو سألوه لكى
يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما آتاهم كفاية فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر
اى ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى شيئا اكبر منه وقيل تعليل للجواب اى فلا تبال
بسؤالهم فقد سألوا موسى اكبر منه وهذه المسألة وان صدرت عن اسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين
بهم فى كل ما يأتون وما يذرون اسندت اليهم والمعنى ان لهم فى ذلك عرقا راسخا وان ما اقترحوا
عليك ليس اول جهالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة اى ارناه جهرة اى عيانا او مجاهرين
معاينين له والفاء تفسيرية فأخذتهم الصاعقة اى النار التى جاءت من السماء فاهلكتهم
وقرئ الصعقة بظلمهم اى بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل فى تلك الحالة التى
كانوا عليها وذلك لا يقتضى امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات
اى المعجزات التى اظهرها لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها لا التورية لانها
لم تنزل عليهم بعد فعفونا عن ذلك ولم نستأصلهم وكانوا احقاء به قيل هذا استدعاء لهم الى
التوبة كانه قيل ان اولئك الذين اجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا انتم ايضا حتى نعفو
عنكم وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حيث امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن معصيتهم
ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم اى بسبب ميثاقهم ليعطوه على ما روى انهم امتنعوا عن قبول شريعة التورية
فرفع الله تعالى عليهم الطور فقبلوها او ليخافوا فلا ينقضوه على ما روى انهم هموا بنقضه فرفع الله تعالى

وتسليه

عليهم الجبل فخافوا واقلعوا عن النقض وهو الانسب بما سيأتى من قوله تعالى واخذنا منهم
ميثاقا غليظا وقلنا لهم على لسان موسى عليه السلام والطور مظل عليهم ادخلوا الباب
قال قتادة كنا نحدث انه باب من ابواب بيت المقدس وقيل هو ايليا وقيل هو اريحا وقيل هو
اسم قرية وقيل باب القبة التى كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حيوة موسى
عليه السلام سجدا اى متطامنين خاضعين وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت اى لا تظلموا
باصطياد الحيتان فيه وقرئ لا تعتدوا ولا تعدوا بفتح العين وتشديد الدال على ان
اصله تعتدوا فادغمت التاء فى الدال لتقاربهما فى المخرج بعد نقل حركتها الى العين واخذنا منهم
على الامتثال بما كلفوه ميثاقا غليظا مؤكدا وهو العهد الذى اخذه الله تعالى عليهم فى التورية
قيل انهم اعطوا الميثاق على انهم ان هموا بالرجوع عن الدين فالله تعالى يعذبهم باى انواع العذاب
الذى اراد فبما نقضهم ميثاقهم ما مزيدة للتاكيد او نكرة تامة ونقضهم بدل منها والباء متعلقة
بفعل محذوف اى بسبب نقضهم ميثاقهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ روى انهم اعتدوا
فى السبت فى عهد داود عليه السلام فلعنوا ومسخوا قردة وقيل متعلقة بحرمنا على ان قوله تعالى
فبظلم بدل من قوله تعالى فبما وما عطف عليه فيكون التحريم معللا بالكل ولا يخفى ان قولهم انا قتلنا
المسيح وقولهم على مريم البهتان متأخر عن التحريم ولا مساغ لتعلقها بما دل عليه قوله تعالى بل طبع
الله عليها بكفرهم لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون فى صلة قوله تعالى وقولهم المعطوف على المجرور
فلا يعمل فى جاره وكفرهم بآيات الله اى بالقرآن او بما فى كتابهم وقتلهم
الانبياء بغير حق كزكريا ويحيى عليهما السلام وقولهم قلوبنا غلف جمع اغلف اى هى مغشاة باغشية جبلية
لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عليه الصلوة والسلام او هو تخفيف غلف جمع غلاف اى هى اوعية
للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقال الكلبى يعنون
ان قلوبنا بحيث لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان فى حديثك خير لوعته ايضا بل طبع
الله عليها بكفرهم كلام معترض بين المعطوفين جيء به على وجه الاستطراد مسارعة الى رد زعمهم
الفاسد اى ليس كفرهم وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا بحسب الجبلة بل الامر بالعكس حيث
ختم الله عليها بسبب كفرهم او ليست قلوبهم كما زعموا بل هى مطبوع عليها بسبب كفرهم فلا يؤمنون
الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه او الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وبكفرهم اى بعيسى
عليه السلام وهو عطف على قولهم واعادة الجار لطول ما بينهما بالاستطراد وقد جوز عطفه على بكفرهم
فيكون هو وما عطف عليه من اسباب الطبع وقيل هذا المجموع معطوف على مجموع ما قبله وتكرير
ذكر الكفر للايذان بتكرر كفرهم حيث كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلوة والسلام وقولهم على مريم
بهتانا عظيما لا يقادر قدره حيث نسبوها الى ما هى عنه بالف منزل وقولهم انا قتلنا
المسيح عيسى بن مريم رسول الله نظم قولهم هذا فى سلك سائر جناياتهم التى نعيت عليهم ليس لمجرد كونه كذبا
بل لتضمنه لابتهاجهم بقتل النبى والاستهزاء به فان وصفهم له عليه السلام بعنوان الرسالة انما هو
بطريق التهكم به كما فى قوله تعالى يا ايها الذى نزل عليه الذكر الخ ولاعراضهم عن ذكره عليه السلام

بالوجه القبيح على ما قيل من ان ذلك وضع للذكر الجميل من جهته تعالى مكان ذكرهم القبيح وقيل هو نعت له عليه
السلام من جهته تعالى مدحا له عليه السلام ورفعا لمحله واظهارا لغاية جراءتهم في تصديهم لقتله ونهاية وقاحتهم
في افتخارهم بذلك وما قتلوه وما صلبوه حال او اعتراض ولكن شبه لهم روي ان رهطا
من اليهود سبوه عليه السلام وامه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره
الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى بان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال
رجل منهم انا فالقى الله تعالى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى عليه السلام فالقى شبهه على
المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى عليه السلام وقيل ان ططيانوس اليهودي دخل بيتا كان هو
فيه فلم يجده والقى الله تعالى عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وقتل وامثال هذه الخوارق لا تستبعد
في عصر النبوة وقيل ان اليهود لما هموا بقتله عليه السلام فرفعه الله تعالى الى السماء خاف رؤساء اليهود
من وقوع الفتنة بين عوامهم فاخذوا انسانا فقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس واظهروا لهم انه هو المسيح
وما كانوا يعرفونه الا بالاسم لعدم مخالطته عليه السلام لهم الا قليلا وشبه مسند الى الجار والمجرور كانه قيل
ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع
بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمة مقتولا وان الذين اختلفوا فيه اي في
شان عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا و
تردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا
وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت
لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق على ما لم يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم
ولذلك اكد بقوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي لكنهم يتبعون
الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فالاستثناء
حينئذ متصل وما قتلوه يقينا اي قتلا يقينا كما زعموا بقولهم انا قتلنا المسيح وقيل معناه وما علموه
يقينا كما في قول من قال كذاك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقنا من قولهم قتلت الشيء
علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه وفيه تهكم بهم لاشعاره بعلمهم في الجملة وقد نفي ذلك عنهم بالكلية بل
رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغالب فيما يريده حكيما
في جميع افعاله فيدخل فيها تدبيراته تعالى في امر عيسى عليه السلام وان من اهل الكتاب جملة
قسمية وقعت صفة لموصوف محذوف اليه يرجع الضمير الثاني والاول لعيسى عليه السلام اي وما من اهل الكتاب
احد الا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل ان تزهق روحه بانه عبد الله ورسوله ولات حين ايمان لانقطاع
وقت التكليف ويعضده انه قرئ ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لما ان احدا في معنى الجمع وعن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه
حتى يحرك بها شفتيه قال فان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج
روحه حتى يؤمن به وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه
الآية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا

اي من اليهود والنصارى الا ليؤمنن به قبل موته

اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت
انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله
حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن
الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية والاخبار بحالهم هذه وعيد
لهم وتحريض على المسارعة الى الايمان به قبل ان يضطروا اليه مع انتفاء جدواه وقيل كلا الضميرين
لعيسى عليه السلام والمعنى وما من اهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى احد الا ليؤمنن به قبل موته
روي انه عليه السلام ينزل من السماء في اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون
الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله تعالى في زمانه الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع
الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات ويلبث في الارض اربعين سنة
ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه وقيل الضمير الاول يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم ويوم القيامة يكون اي عيسى عليه السلام عليهم على اهل الكتاب شهيدا
فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فبظلم
من الذين هادوا لعل ذكرهم بهذا العنوان للايذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعد ما هادوا اي تابوا
من عبادة العجل مثل تلك التوبة الهائلة المشروطة ببخع النفوس اثر بيان عظمه في حد ذاته بالتنوين
التفخيمي اي بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الاشباه والاشكال صادر عنهم حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم ولمن قبلهم لا لشيء غيره كما زعموا فانهم كانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي
اقترفوها يحرم عليهم نوع من الطيبات التي كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من اسلافهم عقوبة لهم وكانوا
مع ذلك يفترون على الله تعالى ويقولون لسنا باول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم
ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا فكذبهم الله تعالى في مواقع كثيرة وبكتهم بقوله تعالى كل الطعام كان حلا
لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها
ان كنتم صادقين اي في ادعائكم انه تحريم قديم روي انه عليه السلام لما كلفهم اخراج التوراة لم يجترؤا على اخراجها
لما ان كون التحريم بظلمهم كان مسطورا فيها فبهتوا وانقلبوا صاغرين وبصدهم عن سبيل الله كثيرا
اي ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه فان الربوا كان محرما عليهم كما هو محرم
علينا وفيه دليل على ان النهي يدل على حرمة المنهي عنه واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة
وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم اي للمصرين على الكفر لا لمن تاب وآمن من
بينهم عذابا اليما سيذوقونه في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم لكن الراسخون
في العلم منهم استدراك من قوله واعتدنا الخ وبيان لكون بعضهم على خلاف حالهم عاجلا وآجلا
اي لكن الثابتون في العلم منهم المتقنون المستبصرون فيه غير التابعين للظن كاولئك الجهلة والمراد
بهم عبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم وصفوا بالايمان بعد ما وصفوا بما يوجبه من
الرسوخ في العلم بطريق العطف المنبئ عن المغايرة بين المعطوفين تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة التغاير
الذاتي وقوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك حال من المؤمنون مبينة لكيفية ايمانهم

وقيل اعتراض مؤكد لما قبله وقوله عز وجل ﴿والمقيمين الصلوة﴾ قيل نصب باضمار فعل تقديره واعني
المقيمين الصلوة على ان الجملة معترضة بين المبتدأ والخبر وقيل هو عطف على ما انزل اليك على ان
المراد بهم الانبياء اى يؤمنون بالكتب وبالانبياء او الملائكة قال مكي اى ويؤمنون بالملائكة
الذين صفتهم اقامة الصلوة لقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقيل عطف على الكاف
في اليك اى يؤمنون بما انزل اليك والى المقيمين الصلوة وهم الانبياء وقيل على الضمير المجرور في
منهم اى لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلوة وقرئ بالرفع على انه معطوف على المؤمنون
بناء على ما مر من تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي وكذا الحال فيما سيأتي من المعطوفين
فان قوله تعالى ﴿والمؤتون الزكوة﴾ عطف على المؤمنون مع اتحاد الكل ذاتا وكذا الكلام في قوله عز وجل
﴿والمؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ فان المراد بالكل مؤمنوا اهل الكتاب قد وصفوا اولا بكونهم راسخين
في علم الكتاب ايذانا بان ذلك موجب للايمان حتما وان من عداهم انما بقوا مصرين على الكفر لعدم
رسوخهم فيه ثم بكونهم مؤمنين بجميع الكتب المنزلة على الانبياء عليهم السلام ثم بكونهم عاملين بما فيها من
الشرائع والاحكام واكتفى من بينها بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة المستتبعين لسائر العبادات
البدنية والمالية ثم بكونهم مؤمنين بالمبدأ والمعاد تحقيقا لحيازتهم الايمان بقطريه واحاطتهم به من طرفيه
وتعريضا بان من عداهم من اهل الكتاب ليسوا بمؤمنين بواحد منهما حقيقة فانهم بقولهم عزير ابن الله مشركون
بالله سبحانه وبقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة كافرون باليوم الآخر وقوله تعالى ﴿اولئك﴾
اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما عدد من الصفات الجميلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد
منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى ﴿سنؤتيهم اجرا عظيما﴾ خبره والجملة خبر للمبتدأ الذي هو
الراسخون وما عطف عليه والسين لتأكيد الوعد وتنكير الاجر للتفخيم وهذا انسب بتجاوب طرفي الاستدراك
حيث اوعد الاولون بالعذاب الاليم ووعد الآخرون بالاجر العظيم كانه قيل اثر قوله تعالى واعتدنا
للكافرين منهم عذابا اليما لكن المؤمنون منهم سنؤتيهم اجرا عظيما واما ما اجمع عليه الجمهور من جعل قوله
تعالى يؤمنون بما انزل اليك الخ خبرا للمبتدأ ففيه كمال السداد مع انه غير متعرض لتقابل الطرفين وقرئ
سيؤتيهم بالياء مراعاة لظاهر قوله تعالى والمؤمنون بالله ﴿انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح
والنبيين من بعده﴾ جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله عليه السلام ان ينزل عليهم كتابا من
السماء واحتجاج عليهم بانه ليس بدعا من الرسل وانما شأنه في حقيقة الارسال واصل الوحي كشأن
سائر مشاهير الانبياء الذين لا ريب لاحد في نبوتهم والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف
اى ايحاء مثل ايحائنا الى نوح او على انه حال من ذلك المصدر المقدر معرفا كما هو رأي سيبويه اى اوحينا
الايحاء حال كونه مشبها بايحائنا الخ ومن بعده متعلق باوحينا وانما بدئ بذكر نوح عليه السلام
لانه ابو البشر واول نبي شرع الله تعالى على لسانه الشرائع والاحكام واول نبي عذبت امته
لردهم دعوته وقد اهلك الله تعالى بدعائه اهل الارض ﴿واوحينا الى ابراهيم﴾ عطف على اوحينا الى
نوح داخل معه في حكم التشبيه اى وكما اوحينا الى ابراهيم ﴿واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط﴾
وهم اولاد يعقوب عليهم السلام ﴿وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان﴾ خصوا

خصوا بالذكر مع انتظامهم في سلك النبيين تشريفا لهم واظهارا لفضلهم كما في قوله تعالى من كان عدوا
لله وملائكته وجبريل وميكال وتكريرا لمن ينتمي اليهم اليهود من الانبياء وتكرير الفعل لمزيد تقرير
الايحاء والتنبيه على انهم طائفة خاصة مستقلة بنوع مخصوص من الوحي ﴿وآتينا داود زبورا﴾
قال القرطبي كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم ومواعظ والتحميد والتمجيد
والثناء على الله عز وجل وقرئ بضم الزاي وهو جمع زبر بمعنى مزبور والجملة عطف على اوحينا داخل في حكمه
لان ايتاء الزبور من باب الايحاء اى وكما آتينا داود زبورا وايثاره على اوحينا الى داود لتحقيق
المماثلة في امر خاص وهو ايتاء الكتاب بعد تحقيقها في مطلق الايحاء ثم اشير الى تحققها في امر لازم لهما
لزوما كليا وهو الارسال فان قوله تعالى ﴿ورسلا﴾ نصب بمضمر يدل عليه اوحينا معطوف عليه
داخل معه في حكم التشبيه كما قبله اى وكما ارسلنا رسلا لا بما يفسره قوله تعالى ﴿قد قصصناهم عليك﴾
اى وقصصنا رسلا كما قالوا وفرعوا عليه ان قوله تعالى قد قصصناهم على الوجه الاول منصوب
على انه صفة لرسلا وعلى الوجه الثاني لا محل له من الاعراب فانه حيث لا سبيل اليه كما ستقف عليه و
قرئ برفع رسل وقوله تعالى ﴿من قبل﴾ متعلق بقصصنا اى قصصناهم من قبل هذه السورة او اليوم
﴿ورسلا لم نقصصهم عليك﴾ عطف على رسلا منصوب بناصبه وقيل كلاهما منصوب بنزع الخافض والتقدير
كما اوحينا الى نوح والى رسل والحق ان يكون انتصابهما بارسلنا فان فيه تحقيقا للمماثلة بين شأنه
صلى الله تعالى عليه وسلم وبين شؤون من يعترفون بنبوته من الانبياء عليهم السلام في مطلق
الايحاء ثم في ايتاء الكتاب ثم في الارسال فان قوله تعالى انا اوحينا اليك منتظم لمعنى آتيناك و
ارسلناك حتما فكانه قيل انا اوحينا اليك ايحاء مثل ما اوحينا الى نوح ومثل ما اوحينا الى ابراهيم و
من بعده وآتيناك القرآن ايتاء مثل ما آتينا داود زبورا وارسلناك ارسالا مثل ما ارسلنا
رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا آخرين لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في
حقيقة الايحاء واصل الارسال فما للكفرة يسألونك شيئا لم يعطه واحد من هؤلاء الرسل عليهم
السلام ومن ههنا اتضح ان رسلا لا يمكن نصبه بقصصنا فان ناصبه يجب ان يكون معطوفا على اوحينا
داخلا معه في حكم التشبيه الذي عليه يدور فلك الاحتجاج على الكفرة ولا ريب في ان قصصنا لا تعلق
له بشيء من الايحاء والايتاء حتى يمكن اعتباره في ضمن قوله تعالى انا اوحينا اليك ثم يعتبر بينه وبين
المذكور مماثلة مصححة للتشبيه على ان تقديره في رسلا الاول يقتضي تقديره في الثاني وذلك
اشد استحالة واظهر بطلانا ﴿وكلم الله موسى﴾ برفع الجلالة ونصب موسى وقرئ على القلب وقوله تعالى
﴿تكليما﴾ مصدر مؤكد رافع لاحتمال المجاز قال الفراء العرب تسمي ما وصل الى الانسان
كلاما باي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد به لم يكن الا حقيقة الكلام والجملة اما معطوفة
على قوله تعالى انا اوحينا اليك عطف القصة على القصة لا على آتينا وما عطف عليه واما حال بتقدير
قد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات والمعنى ان التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خص به موسى
من بينهم فلم يكن ذلك قادحا في صحة نبوة من انزل عليه الكتاب مفصلا مع ظهور ان نزولها كذلك
لحكم مقتضية لذلك من جملتها ان بني اسرائيل كانوا في العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها

في نبوة سائر الانبياء وكيفية نبوتهم كون نزول التورية عليه السلام جملة [illegible]

كذلك لما آمنوا بها وذلك ما امنوا بها الا بعد البنا والتي وقد فضّل الله تعالى نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه
وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا رسلا مبشرين ومنذرين
نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال بان يكون رسلا موطئا لما بعده او على البدلية من رسلا
الاول اى مبشرين لاهل الطاعة بالجنة ومنذرين للعصاة بالنار لئلا يكون للناس على الله حجة
اى معذرة يعتذرون بها قائلين لولا ارسلت الينا رسولا فيبين لنا شرائعك ويعلمنا ما لم نكن نعلم
من احكامك لقصور القوة البشرية عن ادراك جزئيات المصالح وعجز اكثر الناس عن ادراك كلياتها
كما في قوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك
الاية وانما سميت حجة مع استحالة ان يكون لاحد عليه سبحانه حجة في فعل من افعاله بل له ان يفعل ما يشاء
كما يشاء للتنبيه على ان المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة
التي لا مرد لها ولذلك قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال النبي عليه السلام ما احد اغير من الله عز
وجل لذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما احد احب اليه المدح من الله تعالى لذلك مدح نفسه وما
احد احب اليه العذر من الله تعالى لذلك ارسل الرسل وانزل الكتب فاللام متعلقة بارسلنا وقيل بقوله تعالى مبشرين
ومنذرين وحجة اسم كان وللناس خبرها وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من حجة اى كائنة على الله وهو خبر
وللناس حال على الوجه المذكور ويجوز ان يكون كل منهما متعلقا بما تعلق به الاخر الذي هو الخبر ولا يجوز التعلق
بحجة لان معمول المصدر لا يتقدم عليه وقوله تعالى بعد الرسل اى بعد ارسالهم وتبليغ الشرائع الى
الامم على السنتهم متعلق بحجة او بمحذوف وقع صفة لها لان الظروف يوصف بها الاحداث كما يخبر بها عنها كالقتال
يوم الجمعة وكان الله عزيزا لا يغالب في امر من اموره ومن قضيته الامتناع عن الاجابة الى مسئلة المتعنتين
حكيما في جميع افعاله التي من جملتها ارسال الرسل وانزال الكتاب فان تعدد الرسل والكتب واختلافها في
كيفية النزول وتغايرها في بعض الشرائع والاحكام انما هو بتفاوت طبقات الامم في الاحوال التي عليها
يدور فلك التكليف فكما انه سبحانه وتعالى برأهم على انحاء شتى واطوار متباينة حسبما يقتضيه الحكمة
التكوينية كذلك تعبدهم بما يليق بشأنهم ويقتضيه احوالهم المختلفة واستعداداتهم المتغايرة من الشرائع
والاحكام حسبما يقتضيه الحكمة التشريعية وراعى في ارسال الرسل وانزال الكتب وغير ذلك من الامور
المتعلقة بمعاشهم ومعادهم ما فيه مصلحتهم فسؤال تنزيل الكتاب جملة اقتراح فاسد اذ ح يتعاقب
التكاليف فيثقل على المكلف قبولها والخروج عن عهدتها واما التنزيل المنجم الواقع حسب الامور
الداعية اليه فيسهل قبولا ويسهل امتثالا لكن الله يشهد بتخفيف النون ورفع الجلالة و
قرئ بتشديد النون ونصب الجلالة وهو استدراك عما يفهم مما قبله كانه قيل لا تعنتوا عليه بما سبق من السؤال
واحتج عليهم بقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الخ فقيل انهم لا يشهدون بذلك لكن الله يشهد بما انزل اليك
على البناء للفاعل وقرئ على بناء المفعول والباء صلة للشهادة اى يشهد بحقيقة ما انزل اليك من القرآن
المعجز الناطق بنبوتك وقيل لما نزل قوله تعالى انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد
انزله بعلمه اى ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تاليفه على نظم بديع يعجز عنه كل بليغ او بعلمه
بحال من انزل عليه واستعداده لاقتباس الانوار القدسية او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم و

في معاشهم ومعادهم والجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث من المفعول والجملة في موقع
التفسير لما قبلها وقرئ نزله وقوله تعالى والملائكة يشهدون اى بذلك مبتدأ وخبر والجملة عطف على
ما قبلها وقيل حال من مفعول انزله اى انزله والملائكة يشهدون بصدقه وحقيته وكفى بالله
شهيدا على صحة نبوتك حيث نصب لها معجزات باهرة وحججا ظاهرة مغنية عن الاستشهاد بغيرها
ان الذين كفروا اى بما انزل الله تعالى وشهد به او بكل ما يجب الايمان به فهو داخل فيه دخولا
اوليا والمراد بهم اليهود حيث كفروا به وصدوا عن سبيل الله وهو دين الاسلام من اراد سلوكه
بقولهم ما نعرف صفة محمد في كتابنا وقرئ صدوا مبنيا للمفعول قد ضلوا بما فعلوا
من الكفر والصد عن طريق الحق ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان
المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا
اى بما ذكر آنفا وظلموا اى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بانكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة و
وضع غيرها مكانها او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد لم يكن الله
ليغفر لهم لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم
لعدم استعدادهم للهداية الى الحق والاعمال الصالحة التي هي طريق الجنة والمراد بالهداية المفهومة من الاستثناء
بطريق الاشارة خلقه تعالى لاعمالهم السيئة المؤدية بهم الى جهنم عند صرف قدرتهم واختيارهم الى اكتسابها
او سوقهم اليها يوم القيمة بواسطة الملائكة والطريق على عمومه والاستثناء متصل وقيل خاص بطريق الحق
والاستثناء منقطع خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المنصوب والعامل فيها ما دل عليه الاستثناء
دلالة واضحة كانه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها وقوله عز وجل ابدا نصب على
الظرفية رافع لاحتمال الخلود على المكث الطويل وكان ذلك اى جعلهم خالدين في جهنم على الله يسيرا
لاستحالة ان يتعذر عليه شيء من مراداته يا ايها الناس بعد ما حكى لرسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم تعلل اليهود بالاباطيل واقتراحهم الباطل تعنتا ورد عليهم ذلك بتحقيق نبوته عليه السلام
وتقرير رسالته ببيان ان شانه عليه السلام في امر الوحي والارسال كشئون من يعترفون
بنبوته عليه السلام من مشاهير الانبياء عليهم السلام واكد ذلك بشهادته سبحانه وشهادة الملائكة
امر المكلفون كافة على طريق تلوين الخطاب بالايمان بذلك امرا مشفوعا بالوعد بالاجابة والوعيد
على الرد وتنبيها على ان الحجة قد لزمت ولم يبق بعد ذلك لاحد عذر في عدم القبول وقوله عز وجل
قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود به وتمهيد لما يعقبه من
الامر بالايمان وايراده صلى الله تعالى عليه وسلم بعنوان الرسالة لتاكيد وجوب طاعته والمراد
بالحق هو القرآن الكريم والباء متعلقة بجاءكم فهي للتعدية او بمحذوف وقع حالا من الرسول اى ملتبسا
بالحق ومن ايضا متعلق اما بالفعل واما بمحذوف هو حال من الحق اى جاءكم من عنده تعالى او
جاءكم بالحق كائنا من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين للايذان
بان ذلك لتربيتهم وتبليغهم الى كمالهم اللائق بهم ترغيبا لهم في الامتثال بما بعده من الامر والفاء في
قوله تعالى فآمنوا للدلالة على ايجاب ما قبلها لما بعدها اى فآمنوا به وبما جاءكم من الحق وقوله تعالى

خيرا لكم منصوب على انه مفعول لفعل واجب الاضمار كما هو رأي الخليل وسيبويه اي اقصدوا وائتوا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر او على انه نعت لمصدر محذوف كما هو رأي الفراء اي امنوا ايمانا خيرا لكم او على انه خبر كان المضمرة الواقعة جوابا للامر لا جزاء للشرط الصناعي وهو رأي الكسائي وابي عبيدة اي يكن الايمان خيرا لكم وان تكفروا اي تصروا وتستمروا على الكفر به فان لله ما في السموات والارض من الموجودات سواء كانت داخلة في حقيقتهما وبذلك يعلم حال انفسهما على ابلغ وجه واكده او خارجة عنهما مستقرة فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل في جملتهم المخاطبون دخولا اوليا اي كلها له عز وجل خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته وقهره شيء منها فمن هذا شأنه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم لا محالة او فمن كان كذلك فهو غني عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم وقيل فمن كان كذلك فله عبيد يعبدونه وينقادون امره وكان الله عليما مبالغا في العلم فهو عالم باحوال الكل فيدخل في ذلك علمه تعالى بكفركم دخولا اوليا حكيما مراعيا للحكمة في جميع افعاله التي من جملتها تعذيبه تعالى اياكم بكفركم يا اهل الكتاب تجريد للخطاب وتخصيص له بالنصارى زجرا لهم عما هم عليه من الكفر والضلال لا تغلوا في دينكم بالافراط في رفع شأن عيسى عليه السلام وادعاء الوهيته واما غلو اليهود في حط رتبته عليه السلام ورميهم اياه بانه ولد لغير رشدة فقد نعي عليهم ذلك فيما سبق ولا تقولوا على الله الا الحق اي لا تصفوه بما يستحيل اتصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك انما المسيح قد مر تفسيره في سورة آل عمران وقرئ بكسر الميم وتشديد السين كالسكيت على صيغة المبالغة وهو مبتدأ وقوله تعالى عيسى بدل منه او عطف بيان له وقوله تعالى ابن مريم صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه عليه السلام من بنوته تعالى وقوله تعالى رسول الله خبر للمبتدأ والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهي عن القول الباطل المستلزم لتحريم اعتقاده اعني الحق اي انه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها وكلمته عطف على رسول الله اي مكون بكلمته وامره الذي هو كن من غير واسطة اب ولا نطفة القاها الى مريم اي اوصلها اليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام وقيل اعلمها اياها واخبرها بها بطريق البشارة وذلك قوله تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم قيل الجملة حال من ضميره عليه السلام المستكن فيما دل عليه وكلمته من معنى المشتق الذي هو العامل فيها وقد مقدرة معها وروح منه قيل هو الذي نفخ جبريل عليه السلام في درع مريم فحملت باذن الله تعالى سمي النفخ روحا لانه ريح تخرج من الروح ومن لابتداء الغاية مجازا لا للتبعيض كما زعمت النصارى يحكى ان طبيبا حاذقا نصرانيا للرشيد ناظر علي بن حسين الواقدي المروزي ذات يوم فقال له ان في كتابكم ما يدل على ان عيسى عليه السلام جزء منه تعالى وتلا هذه الآية فقرأ الواقدي وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فقال اذا يلزم ان يكون جميع تلك الاشياء جزءا منه تعالى علوا كبيرا فانقطع النصراني فاسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل الواقدي بصلة فاخرة وهي متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح اي كائنة من جهته تعالى جعلت منه تعالى وان كانت بنفخ جبريل عليه السلام لكون النفخ بامره سبحانه وقيل سمي روحا لاحيائه الاموات وقيل لاحيائه القلوب كما سمي به القرآن لذلك في قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اريد بالروح الوحي الذي اوحي الى مريم بالبشارة وقيل جرت العادة بانهم اذا ارادوا وصف شيء بغاية الطهارة والنظافة قالوا

قالوا انه روح فلما كان عيسى عليه السلام متكونا من النفخ لا من النطفة وصف بالروح وتقديم كونه عليه السلام رسول الله في الذكر مع تأخره عن كونه كلمته تعالى وروحا منه في الوجود لتحقيق الحق من اول الامر بما هو نص فيه غير محتمل للتأويل وتعيين مآل ما يحتمله وسد باب التأويل الزائغ فامنوا بالله وخصوه بالالوهية ورسله اجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصف الالوهية ولا تقولوا ثلثة انتهوا اي الالهة ثلثة الله والمسيح ومريم كما ينبئ عنه قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلثة ان صح انهم يقولون الله جوهر واحد ثلثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحيوة انتهوا اي عن التثليث خيرا لكم قد مر وجوه انتصابه انما الله اله واحد اي بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدأ واله خبره وواحد نعت اي منفرد في الوهيته سبحانه ان يكون له ولد اي اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد او سبحوه تسبيحا من ذلك فانه انما يتصور فيمن يماثله شيء ويتطرق اليه فناء والله سبحانه منزه عن امثاله وقرئ ان يكون اي سبحانه ما يكون له ولد وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض جملة مستأنفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقريره اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته شيء من الاشياء التي من جملتها عيسى عليه السلام فكيف يتوهم كونه ولدا له تعالى وكفى بالله وكيلا اليه يكل كل الخلق امورهم وهو غني عن العالمين فانى يتصور في حقه اتخاذ الولد الذي هو شأن العجزة المحتاجين في تدبير امورهم الى من يخلفهم ويقوم مقامهم لن يستنكف المسيح استئناف مقرر لما سبق من التنزيه والاستنكاف الانفة والترفع من نكفت الدمع اذا نحيته عن وجهك بالاصبع اي لن يأنف ولن يترفع ان يكون عبدا لله اي عن ان يكون عبدا له تعالى مستمرا على عبادته وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية كيف وان ذلك اقصى مراتب الشرف والاقتصار على ذكر عدم استنكافه عليه السلام عنه مع ان شأنه عليه السلام المباهاة به كما يدل عليه احواله ويفصح عنه اقواله الا ترى ان اول مقالة قالها للناس قوله اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا لوقوعه في موقع الجواب عما قالته الكفرة روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت وهو السر في جعل المستنكف عنه كونه عليه السلام عبدا له تعالى دون ان يقال عن عبادة الله ونحو ذلك مع افادة فائدة جليلة هي كمال نزاهته عليه السلام عن الاستنكاف بالكلية فان كونه عبدا له تعالى حالة مستمرة مستتبعة لدوام العبادة قطعا فعدم الاستنكاف عنه مستلزم لعدم الاستنكاف عن عبادته تعالى كما اشير اليه بخلاف عبادته تعالى فانها حالة متجددة غير مستلزمة للدوام يكفي في اتصاف موصوفها بها تحققها مرة فعدم الاستنكاف عنها لا يستلزم عدم الاستنكاف عن دوامها ولا الملئكة المقربون عطف على المسيح ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا لله وقيل اريد بالملائكة كل واحد منهم لم يحتج الى التقدير واحتج بالآية من زعم فضل الملائكة على الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم مستلزما لعدم استنكافه عليهم السلام

واجيب بان مناط كفر النصارى في رفعهم له عليه السلام عن رتبة العبودية لما كان اختصاصه عليه السلام وامتيازه
عن سائر افراد البشر بالولادة من غير اب وبالعلم بالمغيبات وبالرفع الى السماء عطف على عدم استنكافه
عن عبوديته تعالى عدم استنكاف من هو اعلى درجة منه فيما ذكر فان الملائكة مخلوقون من غير اب ولا
ام وعالمون بما لا يعلمه البشر من المغيبات ومقارهم السموات العلى ولا نزاع لاحد في علو درجتهم من
هذه الحيثية وانما النزاع في علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعات وبان الاية ليست للرد على النصارى
فقط بل على عبدة الملائكة ايضا فلا اتجاه لما قالوا وان سلم اختصاصها بالرد على النصارى فلعله اريد
بالعطف المبالغة باعتبار التكثير والتفضيل لا باعتبار التكثير والتفضيل كما في قولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس
ولا مرؤوس ولئن سلم ارادة التفضيل فغاية الامر الدلالة على افضلية المقربين منهم وهم الكروبيون
الذين حول العرش او من هو اعلى منهم رتبة من الملائكة عليهم السلام على المسيح من الانبياء عليهم
السلام وليس يلزم من ذلك فضل احد الجنسين على الاخر مطلقا وهل التشاجر الا فيه ومن يستنكف
عن عبادته اي عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم وانما جعل المستنكف عنه ههنا عبادته تعالى لا
لتعليل الوعيد بوصف ظاهر الثبوت للكفرة فان عدم طاعتهم له تعالى مما لا سبيل لهم الى انكار اتصافهم
به ان قيل لم عبر عن عدم طاعتهم له تعالى بالاستنكاف عنها مع ان ذلك منهم كان بطريق انكار كون
الامر من جهته تعالى لا بطريق الاستنكاف عن طاعة الله عز وجل قلنا لانهم كانوا يستنكفون عن طاعة
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهل هو الا الاستنكاف عن طاعة الله عز وجل اذ لا امر له عليه السلام
سوى امره تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله ويستكبر الاستكبار الانفة عما لا ينبغي ان يؤنف
عنه واصله طلب الكبر لنفسه بغير استحقاق له لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله فيه بمعنى عد نفسه كبيرا او
اعتقاده كذلك وانما عبر عنه بما يدل على الطلب للايذان بان ماله محض الطلب بدون حصول المطلوب وقد عبر
عن ذلك بنفس الطلب في قوله تعالى يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا فانهم ما كانوا يطلبون ثبوت
العوج لسبيل الله مع اعتقادهم لاستقامتها بل كانوا يعدونها ويعتقدونها معوجة ويحكمون بذلك ولكن عبر
عن ذلك بالطلب لما ذكر من الاشعار بان ليس هناك شيء سوى الطلب والاستكبار دون الاستنكاف المنبئ عن
توهم لحوق العار والنقص من المستنكف عنه فسيحشرهم اليه جميعا اي المستنكفين ومقابليهم المدلول
عليهم بذكر عدم استنكاف المسيح والملائكة عليهم السلام وقد ترك ذكر احد الفريقين في المفصل تعويلا على انباء
التفصيل عنه وثقة بظهور اقتضاء حشر احدهما لحشر الاخر ضرورة عموم الحشر للخلائق كافة كما ترك ذكر احدهما
في التفصيل عند قوله تعالى فاما الذين امنوا بالله الاية مع عموم الخطاب لهما اعتمادا على ظهور اقتضاء اثابة
احدهما لعقاب الاخر ضرورة شمول الجزاء للكل وقيل الضمير للمستنكفين وهناك مقدر معطوف عليه والتقدير
فسيحشرهم وغيرهم وقيل المعنى فسيحشرهم اليه يوم القيمة بحشر العباد لمجازاتهم وفيه ان الانسب بالتفصيل الاتي
اعتبار حشر الكل في الاجمال على نهج واحد وقرئ فسيحشرهم بكسر الشين وهي لغة وقرئ فسنحشرهم بنون العظمة
بطريق الالتفات فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات بيان لحال الفريق المطوي ذكره في الاجمال قدم على
بيان حال ما يقابله ابانة لفضله ومسارعة الى بيان كون حشره ايضا معتبرا في الاجمال وايراده بعنوان الايمان
والعمل الصالح لا بوصف عدم الاستنكاف المناسب لما قبله وما بعده للتنبيه على انه المستتبع لما يعقبه من الثمرات

فيوفيهم اجورهم من غير ان ينقص منها شيئا اصلا ويزيدهم من فضله بتضعيفها
اضعافا مضاعفة وباعطاء ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين
استنكفوا اي عن عبادته عز وجل واستكبروا فيعذبهم بسبب استنكافهم واستكبارهم
عذابا اليما لا يحيط به الوصف ولا يجدون لهم من دون الله وليا يلي امورهم ويدبر مصالحهم ولا نصيرا ينصرهم
من باسه تعالى وينجيهم من عذابه يا ايها الناس تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة المكلفين
اثر بيان بطلان ما عليه الكفرة من فنون الكفر والضلال والزامهم بالبراهين القاطعة التي
تخر لها صم الجبال وازاحة شبههم الواهية بالبينات الواضحة وتنبيه لهم على ان الحجة قد تمت
فلم يبق بعد ذلك علة لمتعلل ولا عذر لمعتذر قد جاءكم اي وصل اليكم وتقرر في عقولكم
بحيث لا سبيل لكم الى الانكار برهان البرهان ما يبرهن به على المطلوب والمراد به القرآن الدال
على صحة نبوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المثبت لما فيه من الاحكام التي من جملتها ما اشير اليه
بما اثبته الايات الكريمة من حقية الحق وبطلان الباطل وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ان النبي عليه السلام عبر عنه به لما معه من المعجزات التي تشهد بصدقه وقيل هي المعجزات التي
اظهرها وقيل هو دين الحق الذي اتى به وقوله تعالى من ربكم اما متعلق بجاءكم او بمحذوف
وقع صفة مشرفة لبرهان مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي
كائن منه تعالى على ان من لابتداء الغاية مجازا وقد جوز على الثاني كونها تبعيضية بحذف المضاف
اي كائن من براهين ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار
اللطف بهم والايذان بان مجيئه لهم لتربيتهم وتكميلهم وانزلنا اليكم نورا مبينا
اريد به ايضا القرآن الكريم عبر عنه تارة بالبرهان لما اشير اليه انفا واخرى بالنور المنبئ بنفسه المنور
لغيره ايذانا بانه بين بنفسه مستغن في ثبوت حقيته وكونه من عند الله تعالى باعجازه غير محتاج
الى غيره مبين لغيره من الامور المذكورة واشعارا بهدايته للخلق واخراجهم من ظلمات الكفر
الى نور الايمان وقد سلك به مسلك العطف المبني على تغاير الطرفين تنزيلا للمغايرة العنوانية
منزلة المغايرة الذاتية وعبر عن ملابسته للمخاطبين تارة بالمجيء المسند اليه المنبئ عن كمال قوته
في البرهانية كانه يجيء بنفسه فيثبت احكامه من غير ان يجيء به احد ويجيء على شبه الكفرة بالابطال
واخرى بالانزال الموقع عليه الملائم لحيثية كونه نورا توفيرا له باعتبار كل واحد من عنوانيه حظه
اللائق به واسناد انزاله اليه تعالى بطريق الالتفات لكمال تشريفه هذا على تقدير كون البرهان
عبارة عن القرآن العظيم واما على تقدير كونه عبارة عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
او عن المعجزات الظاهرة على يده او عن الدين الحق فلا وجه له وقوله تعالى اليكم متعلق بانزلنا
فان انزاله بالذات وان كان الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكنه منزل اليهم ايضا بواسطته
عليه السلام وانما اعتبر حاله بالواسطة دون حاله بالذات كما في قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب
لتحكم بين الناس ونظائره لاظهار كمال اللطف بهم والتصريح بوصوله اليهم مبالغة في الاعذار
وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التأخر عنه لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى ما

اخرى للمحافظة على فواصل الآي الكريمة فاما الذين آمنوا بالله حسبما يوجبه البرهان الذي اتاهم واعتصموا به
اي عصموا به انفسهم مما يرديها من زيغ الشيطان وغيره فسيدخلهم في رحمة منه وفضل قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما هي الجنة وما يتفضل عليهم مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وعبر عن
افاضة الفضل بالادخال على طريقة قوله وعلفتها تبنا وماء باردا وتنوين رحمة وفضل ومنه متعلق
بمحذوف وقع صفة مشرفة لرحمة ويهديهم اليه اي الى الله عز وجل وقيل الى الموعود وقيل الى
عبادته صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة وتقديم ذكر الوعد
بادخال الجنة على الوعد بالهداية اليها على خلاف الترتيب في الوجود بين الموعودين للمسارعة الى التبشير
بما هو المقصد الاصلي قيل انتصاب صراطا على انه مفعول لفعل محذوف ينبئ عنه يهديهم اي يعرفهم صراطا
مستقيما يستفتونك اي في الكلالة استغني عن ذكره بوروده في قوله تعالى قل الله يفتيكم
في الكلالة وقد مر تفسيرها في مطلع السورة الكريمة والمستفتي جابر بن عبد الله رضي الله عنه يروى
انه اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فقال ان لي اختا فكم آخذ
من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف
اصنع في مالي وروي عنه رضي الله تعالى عنه قال دخل علي صلى الله تعالى عليه وسلم وانا مريض لا اعقل
فتوضأ وصب من وضوئه علي فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث وانما يرثني كلالة فنزلت
وقوله تعالى ان امرؤ هلك استيناف مبين للفتيا وارتفع امرؤ بفعل يفسره المذكور وقوله تعالى
ليس له ولد صفة له او حال من الضمير في هلك ورد بانه مفسر للمحذوف غير مقصود في الكلام اي ان
هلك امرؤ غير ذي ولد ذكرا كان او انثى واقتصر على ذكر عدم الولد مع ان عدم الوالد ايضا معتبر في
الكلالة ثقة بظهور الامر ودلالة تفصيل الورثة عليه وقوله تعالى وله اخت عطف على قوله
تعالى ليس له ولد او حال والمراد بالاخت من ليست لام فقط فان فرضها السدس وقد مر بيانه
في صدر السورة الكريمة فلها نصف ما ترك اي بالفرض والباقي للعصبة او لها بالرد ان لم
يكن له عصبة وهو اي المرء المفروض يرثها اي اخته المفروضة ان فرض هلاكها مع بقائه
ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى فالمراد بارثه لها احراز جميع مالها اذ هو المشروط بانتفاء
الولد بالكلية لا ارثه لها في الجملة فانه يتحقق مع وجود بنتها وليس في الآية ما يدل على سقوط الاخوة
بغير الولد ولا على عدم سقوطهم وانما دلت على سقوطهم مع الاب السنة الشريفة فان كانتا
اثنتين عطف على الشرطية الاولى اي اثنتين فصاعدا فلهما الثلثان مما ترك
الضمير لمن يرث بالاخوة والتانيث والتثنية باعتبار المعنى قيل فائدة الاخبار عنهما باثنتين مع
دلالة الف التثنية على الاثنينية التنبيه على ان المعتبر في اختلاف الحكم هو العدد دون الصغر
والكبر وغيرهما وان كانوا اي من يرث بطريق الاخوة اخوة اي مختلطة رجالا ونساء بدل
من اخوة والاصل وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر على المؤنث فللذكر اي فللذكر
منهم مثل حظ الانثيين يقتسمون التركة على طريقة التعصيب وهذا آخر ما نزل من كتاب الله
تعالى في الاحكام روي ان الصديق رضي الله تعالى عنه قال في خطبته ان الآية التي انزلها الله تعالى

تعالى في سورة النساء في الفرائض فاولها في الولد والوالد وثانيها في الزوج والزوجة والاخوة من
الام والآية التي ختم بها السورة في الاخوة والاخوات لابوين او لاب والآية التي ختم بها سورة
الانفال انزلها في اولي الارحام يبين الله لكم اي حكم الكلالة او احكامه وشرائعه التي من
جملتها حكمها ان تضلوا اي كراهة ان تضلوا في ذلك وهذا رأي البصريين صرح به المبرد وذهب الكسائي
والفراء وغيرهما من الكوفيين الى تقدير اللام ولا في طرفي ان اي لئلا تضلوا وقال الزجاج هو مثل
قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا اي لئلا تزولا وقال ابو عبيد رويت للكسائي
حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وهو لا يدعون احدكم على ولده ان يوافق من الله اجابة اي لئلا
يوافق فاستحسنه وليس في ذكر هذه الآية والحديث نصا فيما ذهب اليه الكسائي واخوانه فان التقدير
فيهما عند البصريين كراهة ان تزولا وكراهة ان يوافق وقيل ليس هناك حذف ولا تقدير وانما
هو مفعول يبين اي يبين لكم ضلالكم الذي هو من شأنكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه
وانت خبير بان ذلك انما يليق بما اذا كان بيانه تعالى على طريقة تعيين مواقع الخطأ والضلال من غير
تصريح بما هو الحق والصواب وليس كذلك والله بكل شيء من الاشياء التي من جملتها احوالكم
المتعلقة بمحياكم ومماتكم عليم مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم عن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث
ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين
يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي مائة و[illegible] آية

[illegible]

يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء القيام بموجب العقد وكذا الايفاء والعقد هو العهد الموثق المشبه بعقد
الحبل ونحوه والمراد بالعقود ما يعم جميع ما الزمه الله تعالى عباده وعقده عليهم من التكاليف والاحكام
الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن
دينا بان يحمل الامر على معنى يعم الوجوب والندب امر بذلك اولا على وجه الاجمال ثم شرع في تفصيل
الاحكام التي امر بالايفاء بها وبدأ بما يتعلق بضروريات معايشهم فقيل احلت لكم بهيمة الانعام
البهيمة كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كثوب الخز وافرادها لارادة الجنس اي احل لكم
اكل البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية المعدودة في سورة الانعام والحق بها الظباء وبقر
الوحش ونحوهما وقيل هي المرادة بالبهيمة هنا لتقدم بيان حل الانعام والاضافة لما بينهما من
المشابهة والمماثلة في الاجترار وعدم الانياب وفائدتها الاشعار بعلة الحكم المشتركة بين المتضايفين
كانه قيل احلت لكم البهيمة المشبهة بالانعام التي بين احلالها فيما سبق المماثلة لها في مناط
الحكم وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه
من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة الى وروده
فيتمكن عنده فضل تمكن الا ما يتلى عليكم استثناء من بهيمة الانعام اي الا محرم ما يتلى عليكم
من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ونحوه او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه غير محلي الصيد اي

الاصطياد في البر او اكل صيده ومحل النصب على الحالية من ضمير لكم ومعنى عدم احلالهم له تقرير حرمته عملاً و
اعتقاداً وهو شائع في الكتاب والسنة وقوله تعالى وانتم حرم اي محرمون حال من الضمير في محلي
وفائدته تقييد احلال بهيمة الانعام بما ذكر من عدم احلال الصيد حال الاحرام على تقدير كون المراد بها
الظباء ونظائرها ظاهرة لما ان احلالها غير مطلق كانه قيل احل لكم الصيد حال كونكم ممتنعين عنه عند
احرامكم واما على تقدير الاول ففائدته اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها بتذكير احتياجهم اليه
فان حرمة الصيد في حالة الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال غيره حينئذ كانه قيل احلت لكم الانعام
مطلقا حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها في بعض الاوقات محتاجين الى احلالها وفي اسناد
عدم الاحلال اليهم بالمعنى المذكور مع حصول المراد بان يقال غير محل لكم او محرما عليكم الصيد حال احرامكم
مزيد تربية الامتنان وتوفير الحاجة ببيان علتها القريبة فان تحريم الصيد عليهم انما يوجب حاجتهم
الى احلال ما يغنيهم عنه باعتبار تحريمهم له عملاً واعتقاداً مع ما في ذلك من وصفهم بما هو اللائق بهم
ان الله يحكم ما يريد من الاحكام حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فيدخل فيها ما ذكر من
التحليل والتحريم دخولاً اولياً ومعنى الايفاء بها الجريان على موجبها عقداً وعملاً والاجتناب عن تحليل
المحرمات وتحريم بعض المحللات كالبحيرة ونظائرها التي سيأتي بيانها يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله
لما بين حرمة احلال الاحرام الذي هو من شعائر الحج عقب ذلك ببيان حرمة احلال سائر الشعائر واضافتها
الى الله عز وجل لتشريفها وتهويل الخطب في احلالها وهي جمع شعيرة وهي اسم لما اشعر اي جعل شعاراً وعلماً
للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من
الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر واحلالها ان يتهاون بحرمتها ويحال بينها وبين المتنسكين بها
ويحدث في اشهر الحج ما يصد به الناس عن الحج وقيل المراد بها دين الله تعالى لقوله تعالى ومن يعظم شعائر
الله اي دينه وقيل حرمات الله وقيل فرائضه التي حدها لعباده واحلالها الاخلال بها والاول انسب
بالمقام ولا الشهر الحرام اي لا تحلوه بالقتال فيه وقيل بالنسيء والاول هو الاولى بحال المؤمنين والمراد
به شهر الحج وقيل الاشهر الاربعة الحرم والافراد لارادة الجنس ولا الهدي بان يتعرض له بالغصب
او بالمنع من بلوغ محله وهو ما اهدي الى الكعبة من ابل او بقر او شاة جمع هدية كجدي وجدية ولا القلائد
جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدي من نعل او لحاء شجر ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له والمراد النهي عن التعرض
لذوات القلائد من الهدي وهي البدن وعطفها على الهدي مع دخولها فيه لمزيد التوصية بها لمزيتها على ما
عداها كما عطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام كانه قيل والقلائد منه خصوصا او النهي عن التعرض
لنفس القلائد مبالغة في النهي عن التعرض لاصحابها على معنى لا تحلوا قلائدها فضلاً عن ان تحلوها كما نهي عن ابداء
الزينة بقوله تعالى ولا يبدين زينتهن مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ولا امين البيت الحرام اي لا تحلوا قوما
قاصدين زيارته بان تصدوهم عن ذلك باي وجه كان وقيل هناك محذوف اي قتال قوم او اذى قوم امين
وقرئ ولا امي البيت الحرام بالاضافة وقوله عز وجل يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا حال من المستكن
في امين لا صفة له لان المختار ان اسم الفاعل اذا وصف بطل عمله اي قاصدين زيارته حال كونهم طالبين
ان يثيبهم الله تعالى ويرضى عنه وتنكير فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربهم متعلق بنفس الفعل او بمحذوف وقع صفة

صفة لفضلا مغنية عن وصف ما عطف عليه بها اي فضلا كائنا من ربهم ورضوانا كذلك والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم والاشعار بحصول مبتغاهم وقرئ تبتغون على الخطاب فالجملة في
حال من ضمير المخاطبين في لا تحلوا على ان المراد بيان منافاة حالهم هذه للمنهي عنه لا تقييد النهي بها واضافة الرب
الى ضمير الامين للايماء الى اقتصار التشريف عليهم وحرمان المخاطبين عنه وعن نيل المبتغى وفي ذلك من تعليل
النهي وتاكيده والمبالغة في استنكار المنهي عنه ما لا يخفى ومن ههنا قيل ان المراد بالامين هم المسلمون خاصة
وبه تمسك من ذهب الى ان الاية محكمة وقد روي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال سورة المائدة من اخر
القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن رحمه الله ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها
ثماني عشرة فريضة وليس فيها وقيل هم المشركون خاصة لانهم المحتاجون الى نهي المؤمنين عن احلالهم
دون المؤمنين على ان حرمة احلالهم تثبت بطريق دلالة النص ويؤيده ان الاية نزلت في الحطم بن ضبيعة
البكري وقد كان اتى المدينة فخلف خيله خارجها فدخل على النبي عليه السلام وحده وعده ان يأتي باصحابه
فيسلموا ثم خرج من عنده عليه السلام فمر بسرح المدينة فاستاقه فلما كان في العام القابل خرج من اليمامة حاجا
في حجاج بكر بن وائل ومعه تجارة عظيمة وقد قلدوا الهدي فسأل المسلمون النبي عليه السلام ان يخلي بينهم وبينه
فاباه النبي عليه السلام فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله الاية وفسر ابتغاء الفضل
بطلب الرزق بالتجارة وابتغاء الرضوان بانهم كانوا يزعمون انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله
تعالى فوصفهم الله تعالى بظنهم وذلك الظن الفاسد وان كان بمعزل من استتباع رضوانه تعالى لكن لا بعد
في كونه مدارا لحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلاصهم عن المكاره العاجلة لا سيما في ضمن مراعاة حقوق
الله تعالى وتعظيم شعائره قال قتادة هو ان يصلح معاشهم في الدنيا ولا تعجل لهم العقوبة فيها وقيل
هم المسلمون والمشركون لما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان المسلمين والمشركين كانوا
يحجون جميعا فنهى المسلمون ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا الاية ثم نزل بعد ذلك
انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام وقوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله
وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا ريب في تناول الامين
للمشركين قطعا اما استقلالا واما اشتراكا لما سيأتي من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم فيتعين
النسخ كلا او بعضا ولا بد في الوجه الاخير من تفسير الفضل والرضوان بما يناسب الفريقين فقيل ابتغاء الفضل
اي الرزق للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة ويجوز ان يكون الفضل
على اطلاقه شاملا للفضل الاخروي ايضا ويختص ابتغاؤه بالمؤمنين واذا حللتم فاصطادوا
تصريح بما اشير اليه بقوله تعالى وانتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتفاء موجبها والامر بعد الحظر كانه قيل
واذا حللتم فلا جناح عليكم في الاصطياد وقرئ احللتم وهو لغة في حل وقرئ بكسر الفاء بالقاء حركة الهمزة
عليها وهو ضعيف جدا ولا يجرمنكم نهي عن احلال الكل كافة لاستقلالهم بامور ربما يتوهم كونها
مصححة لاحلالهم داعية اليه وجرم جار مجرى كسب في المعنى وفي التعدي الى مفعول واحد والى اثنين يقال جرم
ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه خلا ان جرم يستعمل غالبا في كسب ما لا خير فيه وهو السبب في ايثاره
ههنا على الثاني وقد ينقل الاول من كل منهما بالهمزة الى معنى الثاني فيقال اجرمته ذنبا واكسبته اياه وعليه قراءة

من قرأ يجرمنكم بضم الياء شنآن قوم بفتح النون وقرئ بسكونها وكلاهما مصدر اضيف الى مفعوله لا الى فاعله كما قيل وهو شدة البغض وغاية المقت ان صدوكم متعلق بالشنآن باضمار لام العلة اى لان صدوكم عام الحديبية عن المسجد الحرام عن زيارته والطواف به للعمرة وهذه اية بينة فى عموم آمين للمشركين قطعا وقرئ ان صدوكم على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم وقد ابرز الصد المحقق فيما سبق فى معرض المفروض للتوبيخ والتنبيه على ان حقه ان لا يكون وقوعه الا على سبيل الفرض والتقدير ان تعتدوا اى عليهم وانما حذف تعويلا على ظهوره وايماء الى ان المقصد الاصلى من النهى منع صدور الاعتداء عن المخاطبين محافظة على تعظيم الشعائر لا منع وقوعه على القوم مراعاة لجانبهم وهو ثانى مفعولى لا يجرمنكم اى لا يكسبنكم شدة بغضكم لهم لصدهم اياكم عن المسجد الحرام اعتداءكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفى وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشنآن عن كسب الاعتداء للمخاطبين لكنه فى الحقيقة نهى لهم عن الاعتداء على ابلغ وجه واكده فان النهى عن اسباب الشىء ومباديه المؤدية اليه نهى عنه بالطريق البرهانى وابطال للسببية وقد يوجه النهى الى المسبب ويراد النهى عن السبب كما فى قوله لا ارينك ههنا يريد به نهى مخاطبه عن الحضور لديه ولعل تأخير هذا النهى عن قوله تعالى فاذا حللتم فاصطادوا مع ظهور تعلقه بما قبله للايذان بان حرمة الاعتداء لا تنتهى بالخروج عن الاحرام كانتهاء حرمة الاصطياد به بل هى باقية ما لم ينقطع علاقتهم عن الشعائر بالكلية وبذلك يعلم بقاء حرمة التعرض لسائر الآمين بالطريق الاولى وتعاونوا على البر والتقوى لما كان الاعتداء غالبا بطريق التظاهر والتعاون امروا اثر ما نهوا عنه بان يتعاونوا على كل ما هو من باب البر والتقوى ومتابعة الامر ومجانبة الهوى فدخل فيه ما نحن بصدده من التعاون على العفو والاغضاء عما وقع منهم دخولا اوليا ثم نهوا عن التعاون فى كل ما هو من مقولة الظلم والمعاصى بقوله تعالى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان فاندرج فيه النهى عن التعاون على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهانى واصل لا تعاونوا لا تتعاونوا فحذف منه احدى التائين تخفيفا وانما اخر النهى عن الامر مع تقدم التخلية على التحلية مسارعة الى ايجاب ما هو مقصود بالذات فان المقصود من ايجاب ترك التعاون على الاثم والعدوان انما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى ثم امر بالاتقاء لقوله تعالى واتقوا الله بالاتقاء فى جميع الامور التى من جملتها مخالفة ما ذكر من الاوامر والنواهى فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهانى ان لم تتقوه واظهار الاسم الجليل لما مر مرارا من ادخال الروعة وتربية المهابة وتقوية استقلال الجملة ان الله شديد العقاب شروع فى بيان المحرمات التى اشير اليها بقوله تعالى الا ما يتلى عليكم وكان اهل الجاهلية يصبونه فى الامعاء ويشوونه ويقولون لم يحرم من فزد له اى فصد له ولحم الخنزير وما اهل لغير الله اى رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى والمنخنقة اى التى ماتت بالخنق والموقوذة اى التى ضربت بالضرب بالخشب ونحوه وقذته اذا ضربته والمتردية اى التى تردت من علو او الى بئر فماتت والنطيحة اى التى نطحتها اخرى فماتت بالنطح والتاء للنقل وقرئ والمنطوحة وما اكل السبع اى ما اكل منه السبع فمات وقرئ بسكون الباء وقرئ واكيل السبع وفيه دليل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما صادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكوته وفيه بقية حيوة يضطرب اضطراب المذبوح وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكوة فى الشرع بقطع الحلقوم والمرى المحدد وما ذبح على النصب

وما ذبح على النصب قيل هو مفرد وقيل جمع نصاب وقرئ بسكون الصاد وايا ما كان فهو واحد الانصاب وهى احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هى الاصنام وان تستقسموا بالازلام جمع زلم وهو القدح اى وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة اقداح مكتوب على احدها امرنى ربى وعلى الآخر نهانى ربى وعلى الثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهى اجتنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها مرة اخرى فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعهودة ذلكم اشارة الى الاستقسام بالازلام ومعنى البعد فيه للاشارة الى بعد منزلته فى الشر فسق تمرد وخروج عن الحد ودخول فى علم الغيب وضلال باعتقاد انه طريق اليه وافتراء على الله سبحانه ان كان هو المراد بقولهم ربى وشرك وجهالة ان كان هو الصنم وقيل ذلكم اشارة الى تناول المحرمات المعدودة لان معنى تحريمها تحريم تناولها اليوم اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والآتية وقيل يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم واقف بعرفات على العضباء فكادت عضد الناقة تندق لثقلها فبركت وايا ما كان فهو منصوب على انه ظرف لقوله تعالى يئس الذين كفروا من دينكم اى من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث او غيرها او من ان يغلبوكم عليه لما شاهدوا من الله عز وجل وفى بوعده حيث اظهره على الدين كله وهو الانسب لقوله تعالى فلا تخشوهم اى ان يظهروا عليكم واخشون اى واخلصوا الى الخشية اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد وتقديم الجار والمجرور للايذان من اول الامر بان الاكمال لمنفعتهم ومصلحتهم كما فى قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وعليكم فى قوله تعالى واتممت عليكم نعمتى متعلق باتممت لا بنعمتى لان المصدر لا يتقدم عليه معموله وتقديمه على المفعول الصريح لما مر اى اتممتها بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكها والنهى عن حج المشرك وطواف العريان او باكمال الدين والشرائع او بالهداية والتوفيق قيل معنى اتممت عليكم نعمتى انجزت لكم وعدى بقولى ولاتم نعمتى عليكم ورضيت لكم الاسلام دينا اى اخترته لكم من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ان رجلا من اليهود قال له يا امير المؤمنين اية فى كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اية آية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى الآية قال عمر رضى الله تعالى عنه قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى انزلت على النبى عليه السلام وهو قائم بعرفة يوم الجمعة اشار رضى الله تعالى عنه الى ان ذلك اليوم عيد لنا وروى انه لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضى الله تعالى عنه فقال له النبى عليه السلام ما يبكيك يا عمر قال ابكانى انا كنا فى زيادة من ديننا فاذا اكمل فانه لا يكمل شىء الا نقص فقال عليه السلام صدقت فكانت هذه الآية نعى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فما لبث بعد ذلك الا احدا وثمانين يوما فمن اضطر ... متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب ان يجتنب عنها وهو

ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي اي فمن اضطر الى
تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة اي مجاعة يخاف معها الموت او مباديه غير متجانف لاثم
قيل غير مائل ومنحرف اليه بان يأكلها تلذذا او تجاوز احد الرخصة او ينتحيها من مضطر آخر كقوله تعالى غير
باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك يسئلونك ماذا احل لهم شروع في تفصيل
المحللات التي ذكر بعضها على وجه الاجمال اثر بيان المحرمات كانهم سألوا عنها عند بيان اضدادها والتعرض لحال
معنى القول اوقع على الجملة فماذا ابتداء واحل لهم خبره وضمير الغيبة لما ان يسألون بلفظ الغيبة فانه كما يعتبر
حال المحكي عنه فيقال اقسم زيد لافعلن يعتبر حال الحاكي فيقال اقسم زيد ليفعلن والمسئول ما احل لهم من
المطاعم قل احل لكم الطيبات اي ما لم يستخبثه الطباع السليمة ولم تتنفر عنه كما في قوله تعالى
ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات بتقدير المضاف على ان ما موصولة
والعائد محذوف وصلته ما علمتموه او مبتداء على ان ما شرطية والجواب فكلوا وقد جوز كونها مبتداء على تقدير
كونها موصولة ايضا والخبر فكلوا وانما دخلته الفاء تشبيها للموصول باسم الشرط ومن الجوارح حال من
الموصول او ضميره المحذوف والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير وقيل سميت بها لانها تجرح الصيد
غالبا مكلبين اي معلمين لها الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب
كثيرا ما يقع فيه اولان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام في حق عتبة بن ابي لهب حين اراد سفر الشام
فغاظ النبي عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وانتصابه على الحالية من فاعل علمتم و
فائدتها المبالغة في التعليم لما ان اسم المكلب لا يقع الا على النحرير في علمه وقرئ مكلبين بالتخفيف والجمع
تعلمونهن حال ثانية منه او حال من ضمير مكلبين او استيناف مما علمكم الله من الحيل و
طرق التعليم والتأديب كان العلم به الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما
عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد
عليه وعدم الاكل منه فكلوا مما امسكن عليكم قد عرفت فيما سبق ان هذه الجملة على تقدير كون ما شرطية
جواب الشرط وعلى تقدير كونها موصولة مرفوعة على الابتداء خبرها واما على تقدير كونها عطفا على الطيبات
فهي جملة متفرعة على بيان حل صيد الجوارح المعلمة مبنية للمضاف المقدر الذي هو المعطوف به يتعلق الاحلال
حقيقة ومشيرة الى نتيجة التعليم واثره داخلة تحت الفاء فيها كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت ومن
تبعيضية لما ان البعض مما لا يتعلق به الاكل كالجلود والعظام والريش وغير ذلك وما موصولة او موصوفة
حذف عائدها وعلى متعلقة بامسكن اي فكلوا البعض ما امسكنه عليكم وهو الذي لم يأكلن منه فهو مما امسكن
على نفسهن لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه واليه ذهب
اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط عدم الاكل في سباع الطير لما ان تأديبها الى هذه الدرجة متعذر و
قال آخرون لا يشترط ذلك مطلق وقد روي عن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله تعالى
عنهم انه اذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وقد ذكرت اسم الله تعالى فكل واذكروا اسم الله عليه
الضمير لما فيهما علمتم اي سموا عليه عند ارساله او لما امسكن اي سموا عليه اذا ادركتم ذكاته واتقوا الله
في شأن محرماته ان الله سريع الحساب اي سريع اتيان حسابه او سريع تمامه اذا شرع فيه يتم في اقرب ما يكون

اقرب ما يكون من الزمان والمعنى على التقديرين انه لو آخذكم سريعا في كل ما جل ودون واظهار
الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم اليوم احل لكم الطيبات قيل المراد بالايام
الثلثة وقت واحد وانما كرر للتأكيد والاختلاف الاحداث الواقعة فيه حسن تكريره والمراد بالطيبات
ما مر وطعام الذين اوتوا الكتاب اي اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله تعالى عنه نصارى
بني تغلب وقالوا ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي رضي الله تعالى عنه
والمراد بطعامهم ما يتناول ذبائحهم وغيرها حل لكم اي حلال وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو
حنيفة واصحابه رضي الله تعالى عنهم وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عنده وقال صاحباه هم صنفان
صنف يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤون كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا
من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم
وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات
من المؤمنات رفع على انه مبتدأ حذف خبره لدلالة ما تقدم عليه اي احل لكم ايضا والمراد بهن الحرائر و
العفائف وتخصيصهن بالذكر للبعث على ما هو الاولى لا لنفي ما عداهن فان نكاح الاماء المسلمات صحيح
بالاتفاق وكذا نكاح غير العفائف منهن واما الاماء الكتابيات فهن كالمسلمات عند ابي حنيفة رضي
الله تعالى عنه خلافا للشافعي رضي الله تعالى عنه والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب اي هن ايضا حل

من قبلكم

لكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن
اي مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتأكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها
واذا ظرفية عاملها حل المحذوف وقيل شرطية حذف جوابها اي اذا آتيتموهن اجورهن حللن لكم
محصنين حال من فاعل آتيتموهن اي حال كونكم اعفاء بالنكاح وكذا قوله تعالى غير مسافحين
وقيل حال من ضمير محصنين وقيل صفة لمحصنين اي غير مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان
اي ولا مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى وهو اما مجرور عطفا على مسافحين وزيدت
لا لتأكيد النفي المستفاد من غير او منصوب عطفا على غير مسافحين باعتبار اوجه الثلثة ومن
يكفر بالايمان اي من ينكر شرائع الاسلام التي من جملتها ما بين ههنا من الاحكام المتعلقة بالحل
والحرمة ويمتنع عن قبولها فقد حبط عمله الصالح الذي عمل قبل ذلك وهو في الآخرة
من الخاسرين هو مبتدأ ومن الخاسرين خبره وفي متعلقة بما تعلق به الخبر من الكون المطلق وقيل بمحذوف
دل عليه المذكور اي خاسر في الآخرة وقيل بالخاسرين على ان الالف واللام للتعريف لا موصولة
لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وقيل يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله تعالى سبحانه حتى اذا
عقروا كان جزائي بالعصا ان اجلد يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان الشرائع المتعلقة بدينهم
بعد بيان ما يتعلق بدنياهم اذا قمتم الى الصلوة اي اردتم القيام اليها كما في قوله تعالى
فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها مجازا للايجاز
والتنبيه على ان من اراد الصلوة حقه ان يبادر اليها بحيث لا ينفك عن ارادتها فاذا قصدتم الصلوة

اطلاق لاسم احد لازميها على لازمها الاخر وظاهر الاية الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم اليها وان لم يكن
محدثا لما ان الامر للوجوب قطعا والاجماع على خلافه وقد روى ان النبي عليه السلام صلى صلوات
الخمس يوم الفتح بوضوء واحد وقال عمر رضي الله تعالى عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عليه السلام
عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز وحمل الامر بالنسبة الى غير المحدث على الندب مما لا مساغ له فالوجه ان الخطاب
خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال واشتراط الحدث في التيمم الذي هو بدله وما نقل عن النبي عليه السلام
والخلفاء رضي الله تعالى عنهم من انهم كانوا يتوضئون لكل صلوة فلا دلالة فيه على انهم كانوا يفعلونه
بطريق الوجوب اصلا كيف لا وما روى عنه عليه السلام من قوله من توضأ على طهر كتب الله له عشر
حسنات صريح في ان ذلك كان منهم بطريق الندب وما قيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ يرده
قوله عليه السلام المائدة من اخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم
اي امروا عليها الماء ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك رضي الله تعالى عنه وايديكم الى المرافق
الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كما في قوله تعالى ويزدكم قوة الى
قوتكم وقيل هي انما تفيد معنى الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه
وانما هو امر يدور على الدليل الخارجي كما في حفظت القران من اوله الى اخره وقوله فنظرة الى ميسرة فان
الدخول في الاول والخروج في الثاني متيقن بناء على تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك في الاية
وكانت الايدي متناولة للمرافق حكم بدخولها فيها احتياطا وقيل الى من حيث افادتها للغاية تقتضي
خروجها لكن لما لم يتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم
الباء مزيدة وقيل للتبعيض فان الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل وتحقيقه انها
تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل فالصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب
كما يقتضيه ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله تعالى فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في القدر الواجب
فاوجب الشافعي اقل ما ينطلق عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم حيث مسح على ناصيته وقدرها بربع الرأس ومالك مسح الكل اخذا بالاحتياط وارجلكم
الى الكعبين بالنصب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يعهد محدودا وقرئ بالجر على الجوار ونظيره في القران
كثير كقوله تعالى عذاب يوم اليم ونظائره وللنحاة في ذلك باب مفرد وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان
يقتصد في صب الماء عليها وتغسل غسلا قريبا من المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته ايماء الى فضيلة
الترتيب وقرئ بالرفع وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا اي فاغتسلوا وقرئ
فاطهروا اي فطهروا ابدانكم وفي تعليق الامر بالطهارة الكبرى بالحدث الاكبر اشارة الى اختصاص الامر
بالطهارة الصغرى بالحدث الاصغر وان كنتم مرضى مرضا يخاف به الهلاك او ازدياده
باستعمال الماء او على سفر اي مستقرين عليه او جاء احد منكم من الغائط
او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه من لابتداء الغاية و
قيل للتبعيض وهي متعلقة بامسحوا وقرئ فاموا صعيدا وقد مر تفسير الاية الكريمة مشبعا في سورة

النساء فليرجع اليه ولعل التكرير ليتصل الكلام في انواع الطهارة ما يريد الله
اي ما يريد بالامر بالطهارة للصلوة او بالامر بالتيمم ليجعل عليكم من حرج من ضيق في الامتثال به
ولكن يريد ما يريد بذلك ليطهركم اي لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء مكفر
لها او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة
وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في
التيمم ولكن يريد ان يطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء وليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم
ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصة انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون
نعمته ومن لطائف الاية الكريمة انها مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل
والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار
المحل محدود وغير محدود وان التهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح
للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا
نعمة الله عليكم بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به
اي عهده المؤكد الذي اخذه عليكم وقوله تعالى اذ قلتم سمعنا واطعنا ظرف لواثقكم به او لمحذوف
وقع حالا من الضمير المجرور في به او من ميثاقه اي كائنا وقت قولكم سمعنا واطعنا وفائدة
التقييد به التاكيد وجوب مراعاته بتذكير قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذي
اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على السمع والطاعة في حال العسر
واليسر والمنشط والمكره وقيل هو الميثاق الواقع ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان واضافته
اليه تعالى مع صدوره عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لكون المرجع اليه تعالى كما نطق به
قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال مجاهد هو الميثاق الذي اخذه
الله تعالى على عباده حين اخرجهم من صلب ادم عليه السلام واتقوا الله في
نسيان نعمته ونقض ميثاقه او في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا
ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة مصححة لاطلاق الصاحب
عليها فيجازيكم عليها فما ظنكم بجليات الاعمال والجملة اعتراض وتعليل للامر بالاتقاء واظهار
الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة يا ايها
الذين امنوا شروع في بيان الشرائع المتعلقة بما جرى بينهم وبين غيرهم اثر بيان
ما يتعلق بانفسهم كونوا قوامين لله مقيمين لاوامره ممتثلين بها معظمين لها مراعين
لحقوقها شهداء بالقسط اي بالعدل ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم شنآن قوم اي شدة بغضكم لهم
على ان لا تعدلوا فلا تشهدوا في حقوقهم بالعدل او فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف و
قتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا وغير ذلك اعدلوا هو اي العدل اقرب للتقوى
التي امرتم بها صرح لهم بالامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين
انه مقتضى الهوى واذا كان وجوب العدل في حق الكفار بهذه المثابة فما ظنك بوجوبه في حق

المسلمين واتقوا الله امر بالتقوى اثر ما بين ان العدل اقرب بهذه المثابة اعتناء بشانه و
تنبيها على انه ملاك الامر ان الله خبير بما تعملون من الاعمال فيجازيكم بذلك وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف
السبب كما قيل ان الاول نزل في المشركين وهذا في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة
في اطفاء نائرة الغيظ والجملة تعليل لما قبلها واظهار الجلالة لما مر مرات وحيث كان مضمونها
منبئا عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ على طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخل بتفصيلها
وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات التي من جملتها العدل والتقوى لهم مغفرة واجر عظيم حذف ثاني
مفعوليه استغناء عنه بهذه الثابتة والجملة فانه استيناف مبين له وقيل الجملة في موقع المفعول فان
الوعد ضرب من القول فكانه قيل وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا باياتنا التي من جملتها ما تليت
من النصوص الناطقة بالامر بالعدل والتقوى اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب
الايات اصحاب الجحيم ملابسوها ملابسة مؤبدة من السنة القرآنية شفع الوعد والوعيد
والجمع بين الترغيب والترهيب ايفاء لحق الدعوة بالتبشير والانذار يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله
تذكير لنعمة الانجاء من الشر اثر تذكير نعمة ايصال الخير الذي هو نعمة الاسلام وما يتبعها من الميثاق
و عليكم متعلق بنعمة الله او بمحذوف وقع حالا منها وقوله تعالى اذ هم قوم على الاول ظرف لنفس النعمة
وعلى الثاني لما يتعلق به عليكم ولا سبيل الى كونه ظرفا لاذكروا لتنافي زمانيهما اي اذكروا انعامه تعالى
عليكم او اذكروا النعمة كائنة عليكم في وقت همهم ان يبسطوا اليكم ايديهم اي بان يبطشوا اليكم بالقتل
والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه وتقديم الجار والمجرور على المفعول
الصريح للمسارعة الى بيان رجوع ضرر البسط وغائلته اليهم حملا لهم من اول الامر على الاعتداد بنعمة دفعه
كما ان التقديم لكم في قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا للمبادرة الى بيان كون المخلوق
من منافعهم تعجيلا للمسرة فكف ايديهم عنكم عطف على هم وهو النعمة التي اريد تذكيرها وذكر
الهم للايذان بوقوعها عند مزيد الحاجة اليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها واظهار
ايديهم في موقع الاضمار لزيادة التقرير اي منع ايديهم ان تمد اليكم عقيب همهم بذلك لا انه كفها
عنكم بعد ما مدوها اليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث انها لم تكن مشوبة بضرر الخوف
والانزعاج الذي قلما يعرى عنه الكف بعد المد ما لا يخفى مكانه وذلك ما روي ان المشركين راوا رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه بعسفان في غزوة ذي انمار وهي غزوة ذات الرقاع وهي
السابعة من مغازيه عليه السلام قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندم المشركين الا كانوا اكبوا
عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من ابائهم وابنائهم يعنون صلوة العصر وهموا ان يوقعوا
بهم اذا قاموا اليها فرد الله تعالى كيدهم بان انزل صلوة الخوف وقيل هو ما روي ان رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله تعالى عنهم يستقرض لدية مسلمين
قتلهما عمرو بن امية الضمري خطاء يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك
ما سألت فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك
الله تعالى يده ونزل جبريل عليه السلام فاخبره فخرج عليه السلام وقيل ما روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم

عليكم

وسلم نزل منزلا وتفرق اصحابه في العضاة يستظلون بها فعلق رسول الله عليه السلام سيفه بشجرة فجاء اعرابي
فاخذه وسله فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبريل من يده فاخذه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واتقوا الله
عطف على اذكروا اي اتقوه في رعاية حقوق نعمته فلا تخلوا بشكرها او في كل ما تأتون وتذرون فيدخل فيه
ما ذكر دخولا اوليا وعلى الله اي عليه تعالى خاصة دون غيره استقلالا او اشتراكا فليتوكل المؤمنون
فانه يكفيهم في ايصال كل خير ودفع كل شر والجملة تذييل مقرر لما قبله وايثار صيغة امر الغائب واسنادها
الى المؤمنين لايجاب التوكل على المخاطبين بالطريق البرهاني وللايذان بان ما وصفوا به عند الخطاب من وصف
الايمان داع الى ما امروا به من التوكل والتقوى وازع عن الاخلال بهما واظهار الاسم الجليل في موضع
الاضمار لتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة التذييلية ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل كلام مستانف
مشتمل على ذكر بعض ما صدر عن بني اسرائيل من الخيانة ونقض الميثاق وما ادى اليه من التبعات مسوق
لتقرير المؤمنين على ذكر نعمة الله تعالى ومراعاة حق الميثاق الذي واثقهم به وتحذيرهم من نقضه
او لتقرير ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه على تقدير كون ذلك من بني قريظة حسبما مر من الرواية ببيان ان الغدر
والخيانة عادة لهم قديمة توارثوها من اسلافهم واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتفخيم الميثاق وتهويل
الخطب في نقضه مع ما فيه من رعاية حق الاستيناف المستدعي للانقطاع عما قبله والالتفات في قوله تعالى
وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا للجري على سنن الكبرياء او لان البعث كان بواسطة موسى عليه السلام
كما سيأتي وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر
والنقيب فعيل بمعنى فاعل مشتق من النقب وهو التفتيش ومنه قوله تعالى فنقبوا في البلاد وسمي بذلك
لتفتيشه عن احوال القوم واسرارهم قال الزجاج واصله من النقب وهو الثقب الواسع روي ان بني
اسرائيل لما استقروا بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله تعالى بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها
الجبابرة الكنعانيون وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم
وامر موسى عليه السلام ان يأخذ من كل سبط نقيبا امينا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة
عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنى من ارض كنعان
بعث النقباء يتجسسون فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم بما راوا
وقد نهاهم موسى عليه السلام فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا نقيب سبط يهودا ويوشع بن نون نقيب
سبط افرائيم بن يوسف الصديق عليه السلام قيل لما توجه النقباء الى ارضهم للتجسس لقيهم عوج بن عنق
وكان طوله ثلثة الاف وثلثمائة وثلث وثلثين ذراعا وقد عاش ثلثة الاف سنة وكان على راسه
حزمة حطب فاخذهم وجعلهم في الحزمة وانطلق بهم الى امراته وقال انظري الى هؤلاء الذين يزعمون انهم
يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما
راوا ففعل فجعلوا يتعرفون احوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة رجال او اربعة فلما خرج النقباء
قال بعضهم لبعض ان اخبرتم بني اسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموه الا عن موسى وهرون
عليهما السلام فيكونان هما يريان رايهما فاخذ بعضهم على بعض الميثاق ثم انصرفوا الى موسى عليه السلام
وكان معهم حبة من عنبهم وقر رجل فنكثوا عهدهم وجعل كل منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما راى

واتقهم به

الا كالب ويوشع وكان معسكر موسى عليه السلام فرسخا في فرسخ فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم رجع الى الجبل فقور
منه صخرة عظيمة على قدر العسكر ثم حملها على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله تعالى الهدهد فقور من الصخرة وسطها
المحاذي لراسه فانثقبت فوقعت في عنق عوج وطوقته فصرعته فاقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة اذرع
وكذا طول العصا فترامى في السماء عشرة اذرع فما اصاب العصا الا كعبه وهو مصروع فقتله قالوا فاقبلت
جماعة ومعهم الخناجر حتى حزوا راسه وقال الله اى لبنى اسرائيل فقط اذ هم المحتاجون الى ما ذكر
من الترغيب والترهيب كما ينبئ عنه الالتفات مع ما فيه من تربية المهابة وتاكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد
انى معكم اى بالعلم والقدرة والنصرة لا بالنصرة فقط فان تنبيههم على علمه تعالى بكل ما ياتون
وما يذرون وعلى كونهم تحت قدرته وملكوته مما يحملهم على الجد في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا
عنه كانه قيل انى معكم اسمع كلامكم وارى اعمالكم واعلم ضمائركم فاجازيكم بذلك هذا وقد قيل المراد بالميثاق
هو الميثاق بالايمان والتوحيد وبالنقباء نقباء بنى اسرائيل الذين ينقبون احوالهم ويلون امورهم بالامر
والنهي واقامة العدل وهو الانسب لقوله تعالى لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلى
اى بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف وتاخير الايمان عن اقامة الصلوة وايتاء الزكوة مع كونهما من الفروع
المترتبة عليه لما انهم كانوا معترفين بوجوبهما مع ارتكابهم لتكذيب بعض الرسل عليهم السلام والمراعاة
المقارنة بينه وبين قوله تعالى وعزرتموهم اى نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب وقيل التعظيم
والتوقير والثناء بخير وقرئ عزرتموهم بالتخفيف واقرضتم الله بالانفاق في سبيل الخير او
بالصدقات المندوبة وقوله عز وجل قرضا حسنا اما مصدر مؤكد وارد على غير صيغة المصدر كما في قوله
جل وعلا فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا او مفعول ثان لاقرضتم على انه اسم للمال المقروض
وقوله تعالى لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم
جنات تجرى من تحتها الانهار عطف على ما قبله داخل معه في حكم الجواب متاخر عنه في الحصول ايضا ضرورة
تقدم التخلية على التحلية فمن كفر اى برسلى او بشئ مما عدد في حيز الشرط والفاء لترتيب بيان
حكم من كفر على بيان حكم من آمن تقوية للترغيب بالترهيب بعد ذلك ... الشرط المؤكد
المعلق به الوعد العظيم الموجب للايمان قطعا منكم متعلق بمضمر وقع حالا من فاعل كفر ولعل
تغيير السبك حيث لم يقل وان كفرتم عطفا على الشرطية الاولى بعينه لاخراج كفر الكل عن حيز الاحتمال واسقاط
من كفر عن رتبة الخطاب وليس المراد احداث الكفر بعد الايمان بل ما يعم الاستمرار عليه ايضا كانه قيل فمن اتصف
بالكفر بعد ذلك خلا انه قصد بايراد ما يدل على الحدوث بيان ترقيهم في مراتب الكفر فان الاتصاف بشئ بعد
ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث فقد
ضل سواء السبيل اى وسط الطريق الواضح ضلالا بعيدا واخطأ خطأ فاحشا لا عذر له معه اصلا
بخلاف من كفر قبل ذلك اذ ربما يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم الباء
سببية وما مزيدة لتوكيد الكلام وتمكينه في النفس اى بسبب نقضهم ميثاقهم المؤكد لا بشئ آخر استقلالا
او انضماما لعناهم طردناهم وابعدناهم من رحمتنا او مسخناهم قردة وخنازير او اذللناهم
بضرب الجزية عليهم وتخصيص البيان بما ذكر مع ان حقه ان يبين بعد بيان تحقق نقض العهد والنقض بان يقال

مثلا فنقضوا ميثاقهم فلعناهم ضرورة تقدم هيئة الشئ البسيطة على هيئته المركبة للايذان بان تحققهما
امر جلي غنى عن البيان وانما المحتاج الى ذلك ما بينهما من السببية والمسببية وجعلنا قلوبهم
قاسية بحيث لا تتاثر عن الآيات والنذر وقيل املينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست او
خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى صارت كذلك وقرئ قسية وهي اما مبالغة قاسية واما بمعنى
رديئة من قولهم درهم قسى اى ردئ اذا كان مغشوشا لما فيه من يبس وخشونة وقرئ بكسر القاف اتباعا
لها بالسين يحرفون الكلم عن مواضعه استئناف لبيان مرتبة قساوة قلوبهم فانه لا مرتبة اعظم مما يصحح
الاجتراء على تغيير كلام الله تعالى والافتراء عليه وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار
وقيل حال من مفعول لعناهم ونسوا حظا اى تركوا نصيبا وافرا مما ذكروا به من
التورية او من اتباع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل حرفوا التورية وزلت اشياء منها عن
حفظهم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا
تزال تطلع على خائنة منهم اى خيانة على انها مصدر كلاغية وكاذبة او فعلة خائنة اى ذات خيانة
او طائفة خائنة او شخص خائن والتاء للمبالغة او نفس خائنة ومنهم متعلق بمحذوف وقع
صفة لها خلا ان من على الوجهين الاولين ابتدائية اى على خيانة او على فعلة خائنة كائنة منهم
صادرة عنهم وعلى الوجوه الباقية تبعيضية والمعنى ان الغدر والخيانة عادة مستمرة لهم ولاسلافهم
بحيث لا يكادون يتركونها او يكتمونها فلا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم استثناء
من الضمير المجرور في منهم على الوجوه كلها وقيل من خائنة على الوجوه الثلثة الاخيرة والمراد بهم الذين
آمنوا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل من خائنة على الوجه الاول فالمراد بالقليل الفعل القليل
ومن ابتدائية كما مر اى الا فعلا قليلا كائنا منهم فاعف عنهم واصفح اى ان تابوا وآمنوا او عاهدوا
والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر وحث على الامتثال
به وتنبيه على ان العفو على الاطلاق من باب الاحسان ومن الذين قالوا انا نصارى
اخذنا ميثاقهم بيان لقبائح النصارى وجناياتهم اثر بيان قبائح اليهود
وجناياتهم ومن متعلقة باخذنا اذ التقدير واخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم وتقديم الجار
والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام به ولان ذكر حال احدى الطائفتين مما يوقع في ذهن السامع ان
حال الاخرى ماذا فكانه قيل ومن الطائفة الاخرى ايضا اخذنا ميثاقهم وقيل هي متعلقة بمحذوف
وقع خبرا لمبتدأ محذوف قامت صفته مقامه اى ومنهم قوم اخذنا ميثاقهم او من اخذنا ميثاقهم وضمير
ميثاقهم راجع الى الموصوف المقدر واما في الوجه الاول فراجع الى الموصول وقيل راجع الى بنى
اسرائيل اى اخذنا من هؤلاء ميثاق اولئك اى مثل ميثاقهم من الايمان بالله تعالى والرسل وبما
يتفرع على ذلك من افعال الخير وانما نسبت تسميتهم نصارى الى انفسهم دون ان يقال ومن النصارى
ايذانا بانهم في قولهم نحن انصار الله بمعزل من الصدق وانما هو تقول محض منهم وليسوا من نصرة الله تعالى
في شئ او اظهارا لكمال سوء صنيعهم ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم فان ادعاءهم
لنصرته تعالى يستدعى ثباتهم على طاعته تعالى ومراعاة ميثاقه فنسوا عقيب اخذ الميثاق من غير تلعثم

حظا واقرا مما ذكروا به في تضاعيف الميثاق من الايمان بالله تعالى وغير ذلك حسبما حرر انفا وقيل هو ما كتب عليهم في الانجيل من ان يؤمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا اهواءهم فاختلفوا وتفرقوا نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان فاغرينا اى الزمنا والصقنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء وقوله عز وجل بينهم اما ظرف لاغرينا او متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اى اغرينا العداوة والبغضاء كائنة بينهم ولا سبيل الى جعله ظرفا لها لان المصدر لا يعمل فيما قبله وقوله تعالى الى يوم القيمة اما غاية الاغراء او للعداوة والبغضاء اى يتعادون ويتباغضون الى يوم القيمة حسبما يقتضيه اهواؤهم المختلفة وآراؤهم الزائغة المؤدية الى التفرق الى الفرق الثلث فضمير بينهم لهم خاصة وقيل لهم وللبهود اى اغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وسوف ينبئهم الله بما كانوا وعيد شديد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت اى يجازيهم بما عملوه على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر مما ذكروا به وسوف لتاكيد الوعيد والتعبير عن العمل بالصنع للايذان برسوخهم في ذلك وعن المجازاة بالتنبئة للتنبيه على انهم لا يعلمون حقيقة ما يعملونه من الاعمال السيئة واستتباعها للعذاب فيكون ترتيب العذاب عليها في افادة العلم بحقيقتها بمنزلة الاخبار بها يا اهل الكتاب

بينهم

التفات الى خطاب الفريقين على ان الكتاب جنس شامل للتورية والانجيل اثر بيان احوالهما من الخيانة وغيرها من فنون القبائح ودعوة لهم الى الايمان برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن وايرادهم بعنوان اهلية الكتاب لانطواء الكلام المصدر به على ما يتعلق بالكتاب وللمبالغة في التشنيع فان اهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان ما فيه من الاحكام وقد فعلوا من الكتم والتحريف ما فعلوا وهم يعلمون قد جاءكم رسولنا الاضافة للتشريف والايذان بوجوب اتباعه وقوله تعالى يبين لكم حال من رسولنا وايثار الجملة الفعلية على غيرها للدلالة على تجدد البيان اى قد جاءكم رسولنا حال كونه مبينا لكم على التدريج حسبما تقتضيه المصلحة كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب اى التورية والانجيل كبعثة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وآية الرجم في التورية وبشارة عيسى باحمد عليهما السلام في الانجيل وتأخير كثيرا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر لما ان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما عند الاشعار بكونه من منافع المخاطب تبقى النفس مرتقبة الى وروده فيتمكن عندها اذا ورد فضل تمكن ولان في المؤخر ضرب تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاذب اطراف النظم الكريم فان مما متعلق بمحذوف وقع صفة لكثيرا وما موصولة اسمية وما بعدها صلتها والعائد اليها محذوف ومن الكتاب متعلق بمحذوف هو حال من العائد المحذوف والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم على الكتم والاخفاء اى يبين لكم كثيرا من الذين تخفونه على الاستمرار حال كونه من الكتاب الذي انتم اهله والمتمسكون به ويعفو عن كثير اى ولا يظهر كثيرا مما تخفونه اذا لم تدع اليه داعية دينية صيانة لكم عن زيادة الافتضاح كما يعفى عنه التعبير عن عدم الاظهار بالعفو وفيه حث لهم على عدم الاخفاء ترغيبا

ترغيبا وترهيبا والجملة معطوفة على الجملة الحالية داخلة في حكمها وقيل يعفو عن كثير منكم ولا يؤاخذه وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور جملة مستأنفة مسوقة لبيان ان فائدة مجيء الرسول ليست منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا يخفونه بل له منافع لا تحصى ومن الله متعلق بجاء ومن لابتداء الغاية مجازا عز وجل او بمحذوف وقع حالا من نور وايا ما كان فهو تصريح بما يشعر به اضافة الرسول من مجيئه من جنابه عز وجل وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للمسارعة الى بيان كون المجيء من جهته العالية والتشويق الى الجائي ولان فيه نوع طول يخل تقديمه بتجاذب اطراف النظم الكريم كما في قوله تعالى وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وتنوين نور للتفخيم والمراد به وبقوله وكتاب مبين القرآن لما فيه من كشف ظلمات الشرك والشك وابانة ما خفي على الناس من الحق او الاعجاز البين والعطف لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وقيل المراد بالاول هو الرسول عليه السلام وبالثاني القرآن يهدي به الله توحيد الضمير المجرور لاتحاد المرجع بالذات او لكونهما في حكم الواحد او اريد يهدي بما ذكر وتقديم الجار والمجرور للاهتمام واظهار الجلالة لاظهار كمال الاعتناء بامر الهداية ومحل الجملة الرفع على انها صفة ثانية لكتاب او النصب على الحالية منه لتخصيصه بالصفة من اتبع رضوانه اى رضاه بالايمان به ومن موصولة او موصوفة سبل السلام اى طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب او سبيل الله تعالى وهو شريعته التي شرعها للناس وقيل هو مفعول ثان لهدي والحق ان انتصابه بنزع الخافض على طريقة قوله تعالى واختار موسى قومه وانما يعدى الى الثاني بالى او باللام كما في قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويخرجهم الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في اتبع باعتبار اللفظ من الظلمات اى ظلمات فنون الكفر والضلال الى النور اى الايمان باذنه بتيسيره او ارادته ويهديهم الى صراط مستقيم هو اقرب الى الله تعالى ومؤد اليه لا محالة وهذه الهداية عين الهداية الى سبل السلام وانما عطفت عليها تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم اى لا غير كما يقال الكريم هو التقوى وهم اليعقوبية القائلون بانه تعالى قد يحل في بدن انسان معين او في روحه وقيل لم يصرح به احد منهم لكن حيث اعتقدوا اتصافه بصفات خاصة وهذا عنزوا بان الله تعالى موجود ملزمهم القول بانه المسيح لا غير وقيل لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا الله واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا بمعتقدهم قل اى تبكيتا لهم واظهارا لبطلان قولهم الفاسد والفاء لهم الحجر والفاء في قوله تعالى فمن يملك من الله شيئا فصيحة ومن استفهامية للانكار والتوبيخ والملك الضبط والحفظ التام عن حزم ومن متعلقة به على حذف المضاف اى ان كان الامر كما تزعمون فمن يمنع عن قدرته تعالى وارادته شيئا وحقيقته فمن يستطيع ان يمسك شيئا منهما ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ومن حق من يكون الها ان لا يتعلق به وبالاشياء من شئونه بل بشيء من الموجودات قدرة غيره بوجه من الوجوه فضلا عن ان يعجز عن دفع شيء منها عند تعلقها بهلاكه فلما كان عجزه بينا لا ريب فيه ظهر كونه بمعزل مما تقولون في حقه والمراد بالاهلاك الاماتة والاعدام مطلقا لا بطريق التحفظ

والغضب واظهار المسيح على الوجه الذى نسبوا اليه الالوهية فى مقام الاضمار لزيادة التقرير والتنصيص على
انه من تلك الطينية بعينها داخل تحت قهره وملكوته تعالى ونفى المالكية المذكورة بالاستفهام الانكارى عن
كل احد مع تحقق الالزام والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط بان يقال فمن يملك شيئا من الله ان اراد ان
لتحقيق الحق بنفى الالوهية عن كل ما عداه سبحانه واثبات المطلوب فى ضمنه بالطريق البرهانى فان انتفاء
المالكية المستلزم لاستحالة الالوهية متى ظهر بالنسبة الى الكل ظهر بالنسبة الى المسيح على ابلغ وجه وآكده
فيظهر استحالة الالوهية قطعا وتعميم ارادة الاهلاك للكل مع حصول ما ذكر من التحقيق بقصرها عليه
بان يقال فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح لتهويل الخطب واظهار كمال العجز ببيان ان
الكل داخل تحت قهره تعالى وملكوته لا يقدر احد على دفع ما اريد به فضلا عن دفع ما اريد بغيره وللايذان
بان المسيح اسوة لسائر المخلوقات فى كونه عرضة للهلاك كما انه اسوة لهم فى ما ذكر من العجز وعدم
استحقاق الالوهية وتخصيص امه بالذكر مع اندراجها فى ضمن من فى الارض لزيادة تاكيد عجز المسيح
ولعل نظمها فى سلك من فرض ارادة اهلاكهم مع تحقق اهلاكها قبل ذلك لتاكيد التبكيت وزيادة
تقرير مضمون الكلام بجعل حالها انموذجا لحال بقية من فرض اهلاكه كانه قيل قل فمن يملك من الله
شيئا ان اراد ان يهلك المسيح وامه ومن فى الارض وقد اهلك امه فهل مانعه احد فكذا حال من عداها
من الموجودين وقوله تعالى ولله ملك السموات والارض وما بينهما اى ما بين قطرى العالم الجسمانى
لا بين وجه الارض ومقعر فلك القمر فيتناول ما فى السموات من الملائكة وما فى اعماق الارض والبحار
من المخلوقات تنصيص على كون الكل تحت قهره وملكوته تعالى اثر الاشارة الى كون البعض اى من
فى الارض كذلك اى له تعالى وحده ملك جميع الموجودات والتصرف المطلق فيها ايجادا واعداما و
احياء واماتة لا لاحد سواه استقلالا واشتراكا فهو تحقيق لاختصاص الالوهية به تعالى اثر
بيان انتفائها عن كل ما سواه وقوله تعالى يخلق ما يشاء جملة مستأنفة مسوقة لبيان بعض
الاحكام والالوهية على وجه يزيح ما اعتراهم من الشبهة فى امر المسيح لولادته من غير اب وخلق الطير
واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص اى يخلق ما يشاء من انواع الخلق والايجاد على ان ما نكرة
موصوفة محلها النصب على المصدرية لا على المفعولية كانه قيل يخلق اى خلق يشاؤه فتارة يخلق من
غير اصل كخلق السموات والارض واخرى من اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كخلق
آدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حواء او انثى وحدها كخلق عيسى عليه
السلام او منهما كخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط شئ من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق
بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى عليه السلام معجزة له واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
وغير ذلك فيجب ان ينسب كله الى الله تعالى لا الى من اجرى ذلك على يده والله على كل شئ قدير
اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله واظهار الاسم الجليل للتعليل وتقوية استقلال الجملة وقالت
اليهود والنصارى نحن ابناء حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر
ما صدر عن احدهما وبيان بطلانه اى قالت اليهود نحن اشياع ابنه عزير وقالت النصارى نحن
اشياع ابنه المسيح كما قيل لاشياع ابى خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبيون وكما يقول اقارب

الله واحباؤه

اقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبى عليه السلام دعا جماعة
من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف تخوفنا به ونحن ابناء الله واحباؤه
وقيل ان النصارى يتلون فى الانجيل ان المسيح قال لهم انى ذاهب الى ابى وابيكم وقيل ارادوا ان الله
تعالى كالاب لنا فى الحنو والعطف ونحن كالابناء له فى القرب والمنزلة وبالجملة انهم كانوا يدعون ان لهم
فضلا ومزية عند الله تعالى على سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قل اى الزاما لهم وتبكيتا فلم يعذبكم بذنوبكم اى ان صح ما زعمتم فلاى شئ يعذبكم فى
الدنيا بالقتل والاسر والمسخ وقد اعترفتم بانه تعالى سيعذبكم فى الآخرة بالنار اياما بعدد ايام عبادتكم
العجل ولو كان الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع وقوله تعالى بل انتم بشر عطف
على مقدر ينسحب عليه الكلام اى لستم كذلك بل انتم بشر ممن خلق اى من جنس من خلقه الله تعالى
من غير مزية لكم عليهم يغفر لمن يشاء اى يغفر له من اولئك المخلوقين وهم الذين آمنوا به تعالى وبرسله
ويعذب من يشاء اى يعذبه منهم وهم الذين كفروا به وبرسله مثلكم ولله ملك السموات والارض وما بينهما
من الموجودات لا ينتمى اليه سبحانه شئ منها الا بالمملوكية والعبودية والمقهورية تحت ملكوته يتصرف فيهم
كيف يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة واثابة وتعذيبا فانى لهم ادعاء ما زعموا واليه المصير
فى الآخرة خاصة لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازى كلا من المحسن والمسيء بما يستدعيه علمه من غير صارف يثنيه
ولا عاطف يلويه يا اهل الكتاب تكرير للخطاب بطريق الالتفات ولطف فى الدعوة قد جاءكم
رسولنا يبين لكم حال من رسولنا وايثاره على مبينا لما مر فيما سبق اى يبين لكم الشرائع والاحكام الدينية
المقرونة بالوعد والوعيد ومن جملتها ما بين فى الآيات السابقة من بطلان اقاويلكم الشنيعة وما
سيأتى من اخبار الامم السالفة وانما حذف تعويلا على ظهور ان مجئ الرسل انما هو لبيان ذلك او يفعل لكم البيان
ويبذله لكم فى كل ما تحتاجون فيه الى البيان من امور الدين واما تقدير مثل ما سبق فى قوله تعالى كثيرا مما
كنتم تخفون من الكتاب كما قيل ومع كونه تكريرا من غير فائدة يرده قوله عز وجل على فترة من الرسل
فان فتور الارسال وانقطاع الوحى انما يحوج الى بيان الشرائع والاحكام لا الى بيان ما كتموه وعلى فترة
متعلق بجاءكم كما فى قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان اى جاءكم على حين فتور من
الارسال والانقطاع من الوحى ومزيد احتياج الى بيان الشرائع والاحكام الدينية او بمحذوف
وقع حالا من ضمير يبين او من ضمير لكم اى يبين لكم ما ذكر حال كونه على فترة من الرسل او حال كونكم
عليها احوج ما كنتم الى البيان ومن الرسل متعلق بمحذوف وقع صفة لفترة اى كائنة من الرسل مبتدئة
من جهتهم وقوله تعالى ان تقولوا تعليل لمجئ الرسل بالبيان على حذف المضاف اى كراهة ان تقولوا
معتذرين عن تفريطكم فى مراعاة احكام الدين ما جاءنا من بشير ولا نذير وقد انطمست آثار الشرائع
السابقة وانقطعت اخبارها وزيادة من فى الفاعل للمبالغة فى نفى المجئ وتنكير بشير ونذير للتقليل
وهذا كما ترى يقضى بان المقدر والمنوى فيما سبق هو الشرائع والاحكام لا كيفما كانت بل مشفوعة بما
ذكر من الوعد والوعيد وقوله تعالى فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء
الفصيحة ويتبين انه معلل به وتنوين بشير ونذير للتفخيم اى لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم بشير اى مبشر

ونذير اي نذير والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعله بين موسى وعيسى عليهما السلام
حيث كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال بعد الفترة كما فعله بين عيسى ومحمد عليهما
السلام حيث كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع واربعون سنة او خمسمائة وست واربعون سنة واربعة
انبياء على ما روى الكلبي ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وقيل لم يكن بعد
عيسى الا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الانسب بما في تنوين فترة من التفخيم اللائق بمقام الامتنان
عليهم بان الرسول قد بعث اليهم عند كمال حاجتهم اليه بسبب مضي دهر طويل بعد انقطاع الوحي ليهشوا اليه
ويعدوه اعظم نعمة من الله تعالى وفتح باب الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من
ينبههم عن غفلتهم واذ قال موسى لقومه جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما فعلت بنوا اسرائيل بعد اخذ
الميثاق منهم وتفصيل كيفية نقضهم له وتعلقه بما قبله من حيث ان ما ذكر فيه من الامور التي وصف النبي عليه
السلام ببيانها بقوله تعالى يبين لكم كثيرا الآية ومن حيث اشتماله على انتفاء فترة الرسل فيما بينهم واذ
منصوب على انه مفعول لفعل مقدر خوطب به النبي عليه السلام بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن اهل الكتاب
ليعدد عليهم ما صدر عن بعضهم من الجنايات اي واذكر لهم وقت قول موسى عليه السلام لقومه ناصحا لهم
ومستميلا لهم باضافتهم اليه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون
ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت
ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على ما وقع فيه تفصيلا فاذا استحضر كان ما وقع
فيه حاضرا بتفاصيله كانه مشاهد عيانا وعليكم متعلق بنفس النعمة اذا جعلت مصدرا او بمحذوف وقع حالا
منها اذا جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا النعمة كائنة عليكم وكذا اذ في قوله تعالى اذ جعل
فيكم انبياء اي اذكروا انعامه تعالى وقت جعله او اذكروا النعمة تعالى كائنة عليكم في وقت جعله فيما
بينكم من اقربائكم انبياء ذوي عدد كثير واولي شأن خطير حيث لم يبعث من امة من الامم ما بعث من بني
اسرائيل من الانبياء عليهم السلام وجعلكم ملوكا عطف على جعل فيكم داخل في حكمه اي جعل فيكم او
منكم ملوكا كثيرة فانه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء وانما حذف الظرف تعويلا على ظهور الامر او جعل
الكل في مقام الامتنان عليهم ملوكا لما ان اقارب الملوك يقولون عند المفاخرة نحن الملوك وانما لم يسلك
ذلك المسلك فيما قبله لما ان منصب النبوة مع عظم الخطر وعزة المطلب وصعوبة المنال ليس بحيث يليق
ان ينسب اليه ولو مجازا من ليس ممن اصطفاه الله تعالى له وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم
الله تعالى فسمي انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل
من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق
العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك مما آتاهم الله تعالى من الامور العظام و
المراد بالعالمين الامم الخالية الى زمانهم وقيل من عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
كرر النداء بالاضافة التشريفية اهتماما بشأن الامر ومبالغة في حثهم على الامتثال به والارض هي بيت
المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء عليهم السلام ومسكن المؤمنين وقيل هي الطور وما حوله
وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي الشام التي كتب الله لكم ... اي كتب

في اللوح ان تكون مسكنا لكم ان آمنتم واطعتم لقوله تعالى لهم بعدما عصوا فانها محرمة عليهم وقوله تعالى و
لا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فان ترتيب الخيبة والخسران على الارتداد يدل
على اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة على الايمان والطاعة قطعا اي لا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة والجاروالمجرور
متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ترتدوا ويجوز ان يتعلق بنفس الفعل قيل لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا
يا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل لنا رأسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى
قوله تعالى فتنقلبوا اما مجزوم عطفا على ترتدوا او منصوب عطفا على جواب النهي والخسران خسران الدين و
الدنيا لا سيما دخول ما كتب لهم قالوا استئناف مبني على سؤال من سياق الكلام كانه قيل فماذا قالوا بمقابلة
امره عليه السلام ونهيه فقيل قالوا غير ممتثلين بذلك يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لاياتي منا زعتهم
ولا يتسنى مناصبتهم والجبار العالي الذي يجبر الناس بقهرهم كائنا من كان على ما يريده كائنا من كان فعال
من جبره على الامر اي اجبره عليه وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها من غير صنع من قبلنا فانه لا طاقة
لنا باخراجهم منها فان يخرجوا منها بسبب من الاسباب التي لا تعلق لنا بها فانا داخلون
حينئذ اتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها مفهوما مما سبق من توقيت عدم الدخول بخروجهم منها
تصريحا بالمقصود وتنصيصا على ان امتناعهم من دخولها ليس الا لمكانهم فيها واتوا في الجزاء بالجملة الاسمية
المصدرة بحرف التحقيق دلالة على تقرر الدخول وثباته عند تحقق الشرط لا محالة واظهارا لكمال الرغبة
فيه وفي الامتثال بالامر قال رجلان استئناف كما سبق كانه قيل هل اتفقوا على ذلك او خالفهم
البعض من الذين يخافون ... اي يخافون الله تعالى دون العدو ويتقونه
في مخالفة امره ونهيه وبه قرأ ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وفيه تعريض بان من عداهم لا يخافونه
تعالى بل يخافون العدو وقيل من الذين يخافون العدو اي منهم في النسب لا في الخوف وهما يوشع
ابن نون وكالب بن يوفنا من النقباء وقيل هما رجلان من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى عليه
الصلاة والسلام فالواو حينئذ لبني اسرائيل والموصول عبارة عن الجبابرة والعائد الى الموصول محذوف
اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويعضده قراءة من قرأ يخافون على صيغة المبني للمفعول اي المخوفين
وعلى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله تعالى بالتذكير ويخوفهم الوعيد
انعم الله عليهما ... اي بالتثبيت وربط الجأش والوقوف على شؤونه تعالى والثقة بوعده
او بالايمان وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض وقيل حال من الضمير في يخافون او من رجلان
لتخصصه بالصفة اي قال مخاطبين لهم ومشجعين ادخلوا عليهم الباب اي باب بلدهم وتقديم
الجار والمجرور عليه للاهتمام به لان المقصود انما هو دخول الباب وهم في بلدهم اي باغتوهم وضاغطوهم في
المضيق وامنعوهم من البروز الى الصحراء لئلا يجدوا للحراب مجالا فاذا دخلتموه
اي باب بلدهم وهم فيه فانكم غالبون من غير حاجة الى القتال فانا قد رأيناهم وشاهدنا ان
قلوبهم ضعيفة وان كانت اجسادهم عظيمة فلا تخشوهم واهجموا عليهم في المضائق فانهم لا يقدرون فيها
على الكر والفر وقيل انما حكما بالغلبة لما علماها من جهة موسى عليه السلام ومن قوله تعالى كتب الله لكم
او لما علما من سنته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى من قهر اعدائه والاول انسب بتعليق

على القصد الاول وتعريض بجبنهم ... يا موسى انا لن ندخلها اى الارض ... جبابرة فضلا عن دخول بابهم

الغلبة بالدخول وعلى الله تعالى خاصة فتوكلوا بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها فانها بمعزل
من التاثير وانما التاثير عند الله تعالى العزيز القدير ان كنتم مؤمنين اى مؤمنين به تعالى مصدقين
لوعده فان ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما قالوا استئناف كما سبق اى قالوا غير مبالين بهما وبمقالتهما
مخاطبين لموسى عليه السلام اظهارا لاصرارهم وهم في بلدهم ابدا اى دهرا طويلا ما داموا فيها اى في ارضهم
وهو بدل من ابدا بدل البعض او عطف بيان فاذهب الفاء فصيحة اى فاذا كان الامر كذلك فاذهب
انت وربك فقاتلا ° ° ° اى فقاتلاهم انما قالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه و
برسوله وعدم مبالاتهم بهما وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينبئ عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم وقيل ارادوا ارادتهما
وقصدهما كما تقول كلمته فذهب يجيبني كأنهم قالوا فريدا قتالهم واقصدا معهم وقيل التقدير فاذهب انت
وربك يعينك ولا يساعده قوله تعالى فقاتلا ولم يذكروا هارون ولا الرجلين كأنهم لم يجزموا بذهابهم او لم
يعبؤوا بقتالهم وقوله تعالى انا هاهنا قاعدون يؤيد الوجه الاول وارادوا بذلك عدم التقدم لا عدم التأخر
قال عليه السلام لما رأى منهم ما رأى من العناد على طريقة البث والحزن والشكوى الى الله تعالى مع رقة القلب
التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة رب اني لا املك الا نفسي واخي ° عطف على نفسي
وقيل على الضمير في اني على معنى اني لا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه وقيل على الضمير في لا املك للفصل
فافرق بيننا ° يريد نفسه واخاه والفاء لترتيب الفرق او الدعاء به على ما قبله وبين القوم الفاسقين
الخارجين عن طاعتك المصرين على عصيانك بان تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقونه وقيل بالتبعيد
بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها اى الارض المقدسة والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من
الدعاء محرمة عليهم ° تحريم منع لا تحريم تعبد لا يدخلونها ولا يملكونها لان كتبها لهم كان مشروطا
بالايمان والجهاد وحيث نكصوا على ادبارهم حرموا ذلك وانقلبوا خاسرين وقوله تعالى اربعين سنة
ان جعل ظرفا لمحرمة يكون التحريم موقتا لا مؤبدا فلا يكون مخالفا لظاهر قوله تعالى كتب الله لكم فالمراد
بتحريمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم في هذه المدة لكن لا بمعنى ان كلهم يدخلونها بعدها بل بعضهم ممن بقي حسبما
روي ان موسى عليه السلام سار بمن بقي من بني اسرائيل الى اريحا وكان يوشع بن نون على مقدمته
ففتحها واقام بها ما شاء الله ثم قبض عليه السلام وقيل لم يدخلها احد ممن قال لن ندخلها ابدا وانما دخلها
مع موسى عليه السلام النواشي من ذرياتهم فالموقت بالاربعين في الحقيقة تحريمها على ذرياتهم وانما جعل
تحريما عليهم لما بينهما من العلاقة التامة المتاخمة للاتحاد وقوله تعالى يتيهون في الارض اى يتحيرون
في البرية استئناف لبيان كيفية حرمانهم او حال من ضمير عليهم وقيل الظرف متعلق بيتيهون فيكون
التيه موقتا والتحريم مطلقا قيل كانوا ستمائة الف مقاتل وكان طول البرية تسعين فرسخا وقد تاهوا في
ستة فراسخ او تسعة فراسخ في ثلاثين فرسخا وقيل في ستة فراسخ في اثني عشر فرسخا روي انهم كانوا كل يوم
يسيرون جادين حتى اذا امسوا اذا هم بحيث ارتحلوا وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع بالليل
عمود من نور يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا يطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه
ثوب كالظفر يطول بطوله وهذه الانعامات عليهم مع انهم معاقبون لما ان عقابهم كان بطريق العرك
والتأديب قيل كان موسى عليه السلام وهرون معهم ولكن كان ذلك لهما روحا وسلامة كالنار لابراهيم

عليه السلام وملائكة العذاب عليهم السلام وروي ان هرون عليه السلام مات في التيه ومات
موسى عليه السلام بعده بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ولا يساعده ظاهر النظم الكريم
فانه تعالى بعدما قبل دعوته على بني اسرائيل وعذبهم بالتيه بعيد ان ينجي بعض المدعو عليهم او ذراريهم
ويقدر وفاتهما في محل العقوبة ظاهرا وان كان ذلك لهما منزل روح وراحة وقيل انهما لم يكونا معهم
في التيه وهو اللائق بتفسير الفرق بالمباعدة ومن قال بانهما كانا معهم فيه فقد فسر الفرق بما ذكر من
الحكم بما يستحقه كل فريق فلا تأس فلا تحزن على القوم الفاسقين روي انه عليه السلام ندم
على دعائه عليهم فقيل لا تندم ولا تحزن عليهم فانهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم ° °
عطف على مقدر يتعلق به قوله تعالى واذ قال موسى الخ وتعلقه به من حيث انه تمهيد لما سيأتي من
جنايات بني اسرائيل بعدما كتب عليهم ما كتب وجاءتهم الرسل بما جاءت به من البينات نبأ ابني
آدم ° هما قابيل وهابيل ونقل عن الحسن والضحاك انهما رجلان من بني اسرائيل بقرينة آخر
القصة وليس كذلك اوحى الله عز وجل الى آدم ان يزوج كلا منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل
اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط وزعم ان ذلك ليس من عند الله تعالى بل من جهة آدم عليه
السلام فقال لهما آدم عليه السلام قربا قربانا فمن ايكما تقبل تزوجها ففعلا فنزلت نار على قربان
هابيل فاكلته ولم تتعرض لقربان قابيل فازداد قابيل حسدا وسخطا وفعل ما فعل بالحق °
متعلق بمحذوف وقع صفة لمصدر محذوف اى تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او حالا من فاعل اتل
او من مفعوله اى ملتبسا انت او نبأهما بالحق والصدق حسبما تقرر في كتب الاولين اذ قربا قربانا
منصوب بالنبأ ظرف له اى اتل قصتهما ونبأهما في ذلك الوقت وقيل بدل منه على حذف المضاف اى اتل
عليهم نبأ ذلك الوقت ورد عليه بان اذ لا يضاف اليها غير الزمان كوقتئذ وحينئذ والقربان
اسم لما يتقرب به الى الله تعالى من نسيكة او صدقة كالحلوان اسم لما يحلى اى يعطى وتوحيده لانه في
الاصل مصدر وقيل تقديره اذ قرب كل منهما قربانا فتقبل من احدهما ° هو هابيل قيل
كان هو صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فنزلت نار فاكلته ولم يتقبل من الآخر ° هو قابيل قيل
هو كان صاحب زرع وقرب ارذل ما عنده من القمح فلم تتعرض له النار اصلا قال استئناف
مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فماذا قال من لم يتقبل قربانه فقيل قال لاخيه لتضاعف
سخطه وحسده بما ظهر من فضله عليه عند الله عز وجل لاقتلنك ° ° اى والله لاقتلنك بالنون
المشددة وقرئ بالمخففة قال ° استئناف كما قبله اى قال الذي تقبل قربانه لما رأى ان حسده
لقبول قربانه وعدم قبول قربان نفسه انما يتقبل الله ° اى القربان من المتقين ° لا من غيرهم
وانما تقبل قرباني ورد قربانك لما فينا من التقوى وعدمه اى انما اوتيت من قبل نفسك لا من قبلي
فلم تقتلني خلا انه لم يصرح بذلك بل سلك مسلك التعريض حذرا من تهييج غضبه وحملا له على التقوى
والاقلاع عما نواه ولذلك اسند الفعل الى الاسم الجليل لتربية المهابة ثم صرح بتقواه على وجه
يستدعي سكون غيظه لو كان له عقل وازع حيث قال بطريق التوكيد لئن بسطت الي يدك
لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك ° لا اقتلك حيث ما صدر الشرطية باللام الموطئة للقسم وجا

وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح ايذانا من اول الامر برجوع ضرر البسط وغائلته اليه ولم يجعل جواب
القسم الساد مسد جواب الشرط جملة فعلية موافقة لما في الشرط بل اسمية مصدرة بما الحجازية المفيدة
لتاكيد النفي بما في خبرها من الباء للمبالغة في اظهار براءته عن بسط اليد ببيان استمراره على نفي البسط كما في
قوله تعالى وما هم بمؤمنين وقوله تعالى وما هم بخارجين منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تدل بمعونة
المقام على دوام الثبوت كذلك السلبية تدل بمعونته على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وذلك
باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي لا قبله حتى يرد النفي على المقيد بالدوام فيرفع قيده اي والله
لئن باشرت قتلي حسبما اوعدتني به وتحقق ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك في وقت من الاوقات ثم علل
ذلك بقوله اني اخاف الله رب العالمين وفيه من ارشاد قابيل الى خشية الله تعالى على ابلغ وجه واكده
ما لا يخفى كانه قال اني اخافه تعالى ان بسطت يدي اليك لاقتلك ان يعاقبني وان كان ذلك مني لدفع عداوتك
عني فما ظنك بحالك وانت البادي العادي وفي وصفه تعالى بربوبية العالمين تاكيد للخوف قيل كان هابيل
اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم خوفا من الله تعالى لان القتل للدفع لم يكن مباحا حينئذ وقيل تحريا
لما هو الافضل حسبما قال صلى الله تعالى عليه وسلم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ويأباه
التعليل بخوفه تعالى الا ان يدعى ان ترك الاولى عندهم بمنزلة المعصية في استتباع الغائلة مبالغة في
التنزه وقوله تعالى اني اريد ان تبوء باثمي واثمك تعليل آخر لامتناعه عن المعارضة على انه غرض متأخر
عنه كما ان الاول باعث متقدم عليه وانما لم يعطف عليه تنبيها على كفاية كل منهما في العلية والمعنى اريد
باستسلامي لك وامتناعي عن التعرض لك ان ترجع باثمي اي بمثل اثمي لو بسطت يدي اليك وباثمك ببسط
يدك الي كما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم اي على
البادي عين اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه بحكم كونه سببا له وقيل معنى باثمي اثم قتلي وبمعنى واثمك
الذي لاجله لم يتقبل قربانك وكلاهما نصب على الحالية اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعل مراده
بالذات انما هو عدم ملابسته للاثم لا ملابسة اخيه له وقيل المراد بالاثم عقوبته ولا ريب في جواز ارادة
عقوبة العاصي ممن علم انه لا يرعوي عن المعصية ويأباه قوله تعالى فتكون من اصحاب النار
فان كونه منهم انما يترتب على رجوعه بالاثمين لا على ابتلائه بعقوبتهما وحمل العقوبة على نوع آخر يترتب
عليها العقوبة النارية يرده قوله تعالى وذلك جزاء الظالمين فانه صريح في ان كونه من اصحاب النار تمام
بعض العقوبة وكمالها والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ولقد سلك في صرفه عما نواه من الشر كل
مسلك من العظة والتذكير بالترغيب تارة والترهيب اخرى فما اورثه ذلك الا الاصرار على الغي والانهماك
في الفساد فطوعت له نفسه قتل اخيه اي وسعته وسهلته من طاع له المرتع اذا اتسع وترتيب
التطويع على ما حكي من مقالات هابيل مع تحققه قبلها ايضا كما يفصح عنه قوله لاقتلنك لما ان بقاء الفعل
بعد تقرر ما يزيله من الدواعي القوية وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه في الحقيقة امر حادث
وصنع جديد كما في قوله وعلمته فلم يتعظ او لان هذه المرتبة من التطويع لم تكن حاصلة قبل ذلك بناء على
تردده في قدرته على القتل لما انه كان اقوى منه وانما حصلت بعد وقوفه على استسلام هابيل وعدم
معارضته له والتصريح باخوته لكمال تقبيح ما سولته نفسه وقرئ فطاوعت على انه فيه زيادة الربط كقوله

كقولك سلا حفظت لزيد ماله فقتله ◦ قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل ابليس واخذ
طائرا ووضع رأسه على حجر ثم شدخها بحجر آخر فتعلم منه فرضخ رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم لا يستعصي
عليه وقيل اغتاله وهو نائم وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلف في موضع قتله فقيل عند
عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم وقيل في جبل بود ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع
فخاف عليه السباع فحمله على ظهره اربعين يوما وقيل سنة حتى اروح وعكفت عليه الطيور والسباع
تنتظر متى يرمي به فتاكله فاصبح من الخاسرين ◦ دينا ودنيا فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه
كيف يواري سوءة اخيه روي انه تعالى بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة فالقاه
فيها والمستكن في ليريه لله تعالى او للغراب واللام على الاول متعلقة ببعث حتما وعلى الثاني بيبحث ويجوز
تعلقها ببعث ايضا وكيف حال من ضمير يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوءة اخيه جسده الميت
قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب
فقيل قال يا ويلتا هي كلمة جزع وتحسر والالف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي ◦ احضري فهذا
اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون اي عن ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي تعجب من
عدم اهتدائه الى ما اهتدى اليه الغراب وقوله تعالى فاواري بالنصب عطف على اكون وقرئ بالرفع
فانا اواري فاصبح من النادمين اي على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته مدة طويلة
وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عليه السلام عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا
بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم عليه السلام بعده مائة سنة لا يضحك وقيل لما قتل قابيل هابيل
هرب الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس فقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدمها ويعبدها
فان عبدتها ايضا حصل مقصودك فبنى بيت نار فعبدها وهو اول من عبد النار من اجل
ذلك ◦ شروع فيما هو المقصود بتلاوة النبأ من بيان بعض آخر من جنايات بني اسرائيل ومعاصيهم
وذلك اشارة الى عظم شأن القتل وافراط قبحه المفهومين مما ذكر في تضاعيف القصة من استعظام
هابيل له وكمال اجتنابه عن مباشرته وان كان ذلك بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه لان يقتل خوفا
من عقابه وبيان استتباعه لتحمل القاتل لاثم المقتول ومن كون قابيل بمباشرته من جملة الخاسرين
دينهم ودنياهم ومن ندامته على فعله مع ما فيه من العتو وشدة الشكيمة وقساوة القلب والاجل
في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كما في قولهم من جراك فعلته اي من
ان جررته وجنيته ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل وقرئ من اجل بكسر الهمزة وهي لغة فيه وقرئ من
اجل بحذف الهمزة والقاء فتحتها على النون ومن لابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى كتبنا على بني
اسرائيل وتقديمها عليه للقصر اي من ذلك ابتداء الكتب ومنه نشأ لا من شيء آخر اي قضينا عليهم و
بينا انه من قتل نفسا واحدة من النفوس بغير نفس اي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص
او فساد في الارض اي فساد يوجب اهدار دمها وهو عطف على ما اضيف اليه غير على معنى نفي كلا
الامرين معا كما في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته ومدار الاستعمال اعتبار ورود
النفي على ما يستفاد من كلمة او من الترديد بين الامرين المنبئ عن التخيير والاباحة واعتبار الحكم منوط

الاعتبارين اختلاف حال ما اضيف اليه غير من الامرين بحسب اشتراط نقيض الحكم بتحقق احدهما واشتراطه بتحققهما
معا ففي الاول يرد النفي على الترديد الواقع بين الامرين قبل وروده فيفيد نفيهما معا وفي الثاني يرد
الترديد على النفي فيفيد نفي احدهما حتما اذ ليس قبل ورود النفي ترديد حتى يتصور عكسه وتوضيحه ان
كل حكم ورد مشروطا بتحقق احد شيئين مثلا فنقيضه مشروط بانتفائهما جميعا وكل حكم شرط بتحققهما معا فنقيضه
مشروط بانتفاء احدهما ضرورة ان نقيض كل شيء مشروط بنقيض شرطه ولا ريب في ان نقيض الايجاب
الجزئي كما في الحكم الاول هو السلب الكلي ونقيض الايجاب الكلي كما في الحكم الثاني هو رفعه المستلزم للسلب
الجزئي فثبت اشتراط نقيض الاول بانتفائهما معا واشتراط نقيض الثاني بانتفاء احدهما ولما كان
الحكم في قولك من صلى بوضوء او تيمم صحت صلوته مشروطا بتحقق احدهما مبهما كان نقيضه في قولك من
صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلوته مشروطا بنقيض الاخر الشرط المذكور البتة وهو انتفاؤهما معا
فتعين ورود النفي المستفاد من غير على الترديد الواقع بين الوضوء والتيمم بكلمة او فانتفى تحققهما معا
ضرورة عموم النفي الوارد على المبهم وعلى هذا يدور ما قالوا انه اذا قيل جالس العلماء او الزهاد
ثم ادخل عليه الناهية امتنع فعل الجميع نحو لا تطع منهم اثما او كفورا اذ المعنى لا تفعل احدهما فاينما فعله
احدهما واما قولك من صلى بوضوء وثوب صحت صلوته بحيث كان الحكم فيه مشروطا بتحقق كلا الامرين
كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته مشروطا بنقيض الشرط المذكور
وهو انتفاء احدهما فتعين ورود الترديد على النفي فافاد نفي احدهما ولا يخفى ان اباحة القتل
مشروطة باحد ما ذكر من القتل والفساد ومن ضرورته اشتراط حرمته بانتفائهما معا فتعين ورود
النفي على الترديد لا محالة كانه قيل من قتل نفسا بغير احدهما فكانما قتل الناس جميعا فمن قال
في تفسيره او بغير فساد فقد ابعد عن توفية النظم الكريم حقه وما في كانما كافة مهيئة لوقوع
الفعل بعدها وجميعا حال من الناس او تاكيد ومناط التشبيه اشتراك الفعلين في هتك حرمة الدماء
والاستقصاء على الله تعالى وتجسير الناس على القتل في استتباع القود واستجلاب غضب الله
تعالى وعذابه العظيم ومن احياها اي تسبب لبقاء نفس واحدة موصوفة بعدم
ما ذكر من القتل او الفساد في الارض اما بنهي قاتلها عن قتلها او استنقاذها من سائر اسباب
الهلكة بوجه من الوجوه فكانما احيا الناس جميعا وجه التشبيه ظاهر والمقصود تهويل امر
القتل وتفخيم شان الاحياء بتصوير كل منهما بصورته اللائقة به في ايجاب الرهبة والرغبة ولذلك
صدر النظم الكريم بضمير الشان المنبئ عن كمال شهرته ونباهته وتبادره الى الاذهان عند ذكر
الضمير الموجب لزيادة تقرير ما بعده في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم
له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن كانه قيل ان الشان الخطير
هذا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات جملة مستقلة غير معطوفة على كتبنا اكدت بالتاكيد القسمي
وحرف التحقيق لكمال العناية بتحقق مضمونها وانما لم يقل ولقد ارسلنا اليهم رسلنا لان التصريح
بوصول الرسالة اليهم فانه ادل على تناهيهم في العتو والمكابرة اي وبالله لقد جاءتهم
رسلنا حسبما ارسلناهم بالايات الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم تاكيدا لوجوب مراعاته و

وتأييد التحتم الملجئ الى حفظه عليه ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك اي بعد ما ذكر من الكتب وتاكيد الامر بارسال
الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد اخرى ووضع اسم الاشارة موضع الضمير للايذان بكمال تميزه و
انتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايماء الى علو درجته و
بعد منزلته في عظم الشان وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد في الارض متعلق بقوله تعالى
لمسرفون وكذا الظرف المتقدم ولا يقدح فيه توسط الكلام بينه وبينهما لانه لام الابتداء
وحقها الدخول على المبتدا واما دخولها على الخبر لمكان ان فهي في حيزها الاصلي حكما والاسراف
في كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاته به اي مسرفون في القتل غير مبالين به ولما كان
اسرافهم في امر القتل مستلزما لتفريطهم في شان الاحياء وجودا وذكرا وكان ابلغ الامرين
واقطعهما اكتفي بذكره في مقام التشنيع انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله كلام مستانف
سيق لبيان حكم نوع من انواع القتل وما يتعلق به من الفساد باخذ المال ونظائره وتعيين موجبه
العاجل والاجل اثر بيان عظم شان القتل بغير حق وادرج فيه بيان ما اشير اليه اجمالا من الفساد
المبيح للقتل قيل اي يحاربون رسوله وذكر الله تعالى للتمهيد والتنبيه على رفعة محله عنده عز وجل
ومحاربة اهل شريعته وسالكي طريقته من المسلمين محاربة له عليه السلام فيعم الحكم من يحاربهم ولو بعد
اعصار بطريق العبارة دون الدلالة والقياس لان ورود النص ليس بطريق خطاب المشافهة
حتى يختص حكمه بالمكلفين عند النزول فيحتاج في تعميمه لغيرهم الى دليل آخر وقيل جعل محاربة المسلمين
محاربة لله تعالى ورسوله تعظيما لهم والمعنى يحاربون اولياءهما واصل الحراب السلب والمراد ههنا قطع
الطريق وقيل المكابرة بطريق اللصوصية وان كانت بمصر ويسعون في الارض عطف على يحاربون
والجار متعلق به وقوله تعالى فسادا اما مصدر وقع موقع الحال من فاعل يسعون اي مفسدين او مفعول
له اي للفساد او مصدر مؤكد ليسعون لانه في معنى يفسدون على انه مصدر من افسد بحذف الزوائد او اسم
مصدر قيل نزلت الاية في قوم هلال ابن عويمر الاسلمي وكان وادع رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن اتاه من المسلمين فهو امن لا يهاج ومن مر بهلال الى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو امن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بناس
من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ شاهدا فقطعوا عليهم وقتلوهم واخذوا اموالهم وقيل نزلت
في العرنيين وقصتهم مشهورة وقيل في قوم من اهل الكتاب بينهم وبين رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم عهد فنقضوا العهد ونقضوا السبيل وافسدوا في الارض ولما كانت المحاربة والفساد على
مراتب متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون اخذ المال ومن القتل مع اخذه واخذه بدون قتل
ومن الاخافة بدون قتل واخذ شرعت لكل مرتبة من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع
فقيل ان يقتلوا اي حدا من غير صلب ان افردوا القتل ولو عفا الاولياء لا يلتفت
الى ذلك لانه حق الشرع ولا فرق بين ان يكون القتل بالة جارحة او لا او يصلبوا اي مع
القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ بان يصلبوا احياء وتبعج بطونهم برمح الى ان يموتوا وفي
ظاهر الرواية ان الامام مخير ان شاء اكتفى بذلك وان شاء قطع ايديهم وارجلهم من خلاف وقتلهم

وصلبهم وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئ بالتخفيف فيهما أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف
أي أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى إن اقتصروا على أخذ المال من مسلم أو ذمي وكان في المقدار بحيث لو قسم عليهم
أصاب كلا منهم عشرة دراهم أو ما يساويها قيمة أما قطع أيديهم فلأخذ المال وأما قطع أرجلهم فلإخافة
الطريق بتفويت أمنه أو ينفوا من الأرض إن لم يفعلوا غير الإخافة والسعي للفساد والمراد بالنفي عندنا
هو الحبس فإنه نفي عن وجه الأرض بدفع شرهم عن أهلها ويعزرون أيضا لمباشرتهم منكر الإخافة وإزالة
الأمن وعند الشافعي رحمه الله عليه النفي من بلد إلى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل هو النفي من
بلده فقط وكانوا ينفونهم إلى دهلك وهو بلد في أقصى تهامة وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة ذلك
أي ما فصل من الأحكام والأجزية قيل هو مبتدأ وقوله لهم خزي جملة من خبر مقدم على المبتدأ وقوله تعالى
في الدنيا متعلق بمحذوف وقع صفة لخزي أو متعلق بخزي على الظرفية والجملة في محل الرفع على أنه خبر
لذلك وقيل خزي خبر لذلك ولهم متعلق بمحذوف وقع حالا من خزي لأنه في الأصل صفة له فلما قدم انتصب
حالا وفي الدنيا إما صفة لخزي أو متعلق به على ما مر والخزي الذل والفضيحة ولهم في الآخرة غير هذا
عذاب عظيم لا يقادر قدره لغاية عظم جناياتهم فقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر و
في الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا من عذاب لأنه في الأصل صفة له فلما قدم انتصب حالا أي كائنا في الآخرة
إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله تعالى كما ينبئ عنه قوله
عز وجل فاعلموا أن الله غفور رحيم أما ما هو من حقوق الأولياء من القصاص ونحوه فإليهم ذلك إن شاؤوا
عفوا وإن شاؤوا استوفوا وإنما يسقط بالتوبة وجوب استيفائه لا جوازه وعن علي رضي الله تعالى عنه
أن الحارث بن بدر جاءه تائبا بعدما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة يا أيها الذين آمنوا
لما ذكر عظم شأن القتل والفساد وبين حكمهما وأشير في تضاعيف ذلك إلى مغفرته تعالى لمن تاب من جنايته
أمر المؤمنون بأن يتقوه تعالى في كل ما يأتون وما يذرون بترك ما يجب اتقاؤه من المعاصي التي من
جملتها ما ذكر من القتل والفساد وبفعل الطاعات التي من زمرتها السعي في إحياء النفوس ودفع الفساد
والمسارعة إلى التوبة والاستغفار وابتغوا أي اطلبوا لأنفسكم إليه أي إلى ثوابه والزلفى منه
الوسيلة هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي من
وسل إلى كذا أي تقرب إليه بشيء وإليه متعلق بها قدم عليها للاهتمام به وليست بمصدر حتى لا يعمل فيما قبلها و
لعل المراد بها الاتقاء المأمور به فإنه ملاك الأمر كله كما أشير إليه وذريعة لنيل كل خير ومنجاة من كل ضير و
فالجملة حينئذ جارية مما قبلها مجرى البيان والتأكيد أو مطلق الوسيلة وهو داخل فيها دخولا أوليا وقيل الجملة
الأولى أمر بترك المعاصي والثانية بفعل الطاعات وحيث كان في كل من ترك المعاصي المشتهاة للنفس وفعل
الطاعات المكروهة لها كلفة ومشقة عقب الأمر بهما بقوله تعالى وجاهدوا في سبيله بمحاربة
أعدائه البارزة والكامنة لعلكم تفلحون بنيل مرضاته والفوز بكراماته إن الذين كفروا كلام
مبتدأ مسوق لتأكيد وجوب الامتثال بالأوامر السابقة وترغيب المؤمنين في المسارعة إلى تحصيل الوسيلة إليه عز وجل
قبل انقضاء أوانه ببيان استحالة توسل الكفار يوم القيامة بأقوى الوسائل إلى النجاة من العذاب فضلا عن
نيل الثواب لو أن لهم أي لكل واحد منهم كما في قوله تعالى ولو أن لكل نفس ظلمت لا لجميعهم إذ ليس

إذ ليس هذه المرتبة من التهويل إلى هذا التقطيع لكمال ما في الأرض أي من أصناف أموالها وذخائرها
وسائر منافعها قاطبة وهو اسم أن ولهم خبرها ومحلها الرفع بلا خلاف خلا أنه عند سيبويه رفع على الابتداء
لا حاجة إلى الخبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند إليه وقد اختصت من بين سائر ما يدل بالاسم بالوقوع
بعد لو وقيل الخبر محذوف ثم قيل يقدر مقدما أي لو ثابت كون ما في الأرض لهم وقيل يقدر مؤخرا أي لو
كون ما في الأرض لهم ثابت وعند المبرد والزجاج والكوفيين رفع على الفاعلية والفعل مقدر بعد لو
أي لو ثبت أن لهم ما في الأرض وقوله تعالى جميعا توكيد للموصول أو حال منه ومثله
بالنصب عطف عليه وقوله تعالى معه ظرف وقع حالا من المعطوف والضمير راجع إلى الموصول و
فائدته التصريح بفرض كينونتهما لهم بطريق المعية لا بطريق التعاقب تحقيقا لكمال فظاعة الأمر مع ما فيه
من نوع إشعار بكونهما شيئا واحدا وتمهيد لإفراد الضمير الراجع إليهما واللام في قوله تعالى ليفتدوا به
متعلقة بما تعلق به الخبر أعني الاستقرار المقدر في لهم وبالخبر المقدر عند من يرى تقدير الخبر مقدما
أو مؤخرا أو بالفعل المقدر بعد لو على رأي المبرد ومن نحا نحوه ولا ريب في أن مدار الافتداء بما ذكر هو
كونه لهم لا بثبوت كونه لهم وإن كان مستلزما له والباء في به متعلقة بالافتداء والضمير راجع إلى الموصول
ومثله معا وتوحيده إما لما أشير إليه وإما لإجرائه مجرى اسم الإشارة كأنه قيل بذلك كما في قوله كأنه في الجلد
توليع البهق أي كأن ذاك وقيل هو راجع إلى الموصول والعائد إلى المعطوف أعني مثله محذوف كما حذف
الخبر من قيار في قوله فإني وقيار بها لغريب أي وقيار أيضا غريب وقد جوز أن يكون نصب ومثله على أنه
مفعول معه ناصبه الفعل المقدر بعد لو تفريعا على مذهب المبرد ومن رأى رأيه وأنت خبير بأنه يؤدي إلى
كون الرافع للفاعل غير الناصب للمفعول معه لأن المعنى على اعتبار المعية بين ما في الأرض ومثله في
الكينونة لهم لا في ثبوت تلك الكينونة وتحققها ولا مساغ لجعل ناصبه الاستقرار المقدر في لهم لأن
سيبويه قد نص على أن اسم الإشارة وحرف الجر المتضمن للاستقرار لا يعملان في المفعول معه وأن قوله
بذلك والذئب فيج وإن جوزه بعض النحاة في الظرف وحرف الجر وقوله تعالى من عذاب يوم القيامة
متعلق بالافتداء أيضا أي لو أن ما في الأرض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية لأنفسهم من العذاب الواقع
يومئذ ما تقبل منهم ذلك وهو جواب لو وترتيبه على كون ذلك لهم لأجل افتدائهم به من غير ذكر
الافتداء بأن يقال وافتدوا به مع أن الرد والقبول إنما يترتب عليه لا على مباديه للإيذان بأنه أمر
محقق الوقوع غني عن الذكر وإنما المحتاج إلى الفرض قدرتهم على ما ذكر وللمبالغة في تحقق الرد و
تكميل أنه وقع قبل الافتداء على منهاج ما في قوله تعالى أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه
مستقرا عنده حيث لم يقل فأتى به فرآه فلما رآه وما في قوله تعالى وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه
من غير ذكر خروجه عليهن وردهن له والجملة الامتناعية بما لها خبر أن الذين كفروا والمراد تمثيل لزوم
العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة وعن النبي عليه السلام
يقال للكافر أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت
أيسر من ذلك وهو كلمة الشهادة وقوله تعالى ولهم عذاب أليم تصريح بما أشير إليه بعدم قبول
فديتهم لزيادة تقريره وبيان هوله وشدته قيل محله النصب على الحالية وقيل الرفع عطفا على خبر أن

وقيل عطف على ان الذين فلا تخلّله كالمعطوف عليه **يريدون ان يخرجوا من النار** استئناف مسوق لبيان حالهم على انشاء مكابرة العذاب مبني على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فكيف يكون حالهم او ماذا يصنعون فقيل يريدون الخ وقد بيّن في تضاعيفه ان عذابهم عذاب النار قيل انهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلفحهم لهب النار ويرفعهم الى فوق فهنالك يريدون الخروج ولات حين مناص وقيل يكادون يخرجون منها لقوة النار وزيادة رفعها اياهم وقيل يتمنونه ويريدونه بقلوبهم وقوله عز وجل **وما هم بخارجين منها** اما حال من فاعل يريدون او اعتراض واياما كان فايثار الجملة الاسمية على الفعلية مصدرة بما الحجازية الدالة بما في خبرها من الباء على تأكيد النفي لبيان كمال سوء حالهم باستمرار عدم خروجهم منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد بمعونة المقام دوام الثبوت تفيد السلبية ايضا بمعونته دوام النفي لا نفي الدوام كما مرّ في قوله تعالى ما انا بباسط الخ وقرئ ان يخرجوا على بناء المفعول من الاخراج **ولهم عذاب مقيم** تصريح بما اشير اليه آنفا من عدم تناهي مدته بعد بيان شدته **والسارق والسارقة** شروع في بيان حكم السرقة الصغرى بعد بيان احكام الكبرى وقد عرفت اقتضاء الحال لايراد ما توسط بينهما من المقال ولما كانت السرقة معهودة من النساء كالرجال صرّح بالسارقة ايضا مع ان المعهود في الكتاب والسنة ادراج النساء في الاحكام الواردة في شأن الرجال بطريق الدلالة لمزيد الاعتناء بالبيان والمبالغة في الزجر وهو مبتدأ خبره عند سيبويه محذوف تقديره وفيما يتلى عليكم او وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وعند المبرد قوله تعالى **فاقطعوا ايديهما** والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ المعنى الذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة الرفع لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار والسرقة اخذ مال الغير خفية وانما يوجب القطع اذا كان الاخذ من حرز والمأخوذ يساوي عشرة دراهم فما فوقها مع شروط فصلت في موقعها والمراد بايديهما ايمانهما كما يفصح عنه قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام الجارحة ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه **جزاء** نصب على انه مفعول له اي فاقطعوا للجزاء او مصدر مؤكد لفعله الذي يدل عليه فاقطعوا اي فجازوهما جزاء وقوله تعالى **بما كسبا** على الاول متعلق بجزاء وعلى الثاني باقطعوا وما مصدرية اي بسبب كسبهما او موصولة اي بسبب ما كسباه من السرقة التي تباشر بالايدي وقوله تعالى **نكالا** مفعول له ايضا على البدلية من جزاء لانهما من نوع واحد وقيل القطع معلل بالجزاء والقطع المعلل معلل بالنكال وقيل هو منصوب بجزاء على طريقة الاحوال المتداخلة فانه علة للجزاء والجزاء علة للقطع كما اذا قلت ضربته تأديبا له احسانا اليه فان الضرب معلل بالتأديب والتأديب معلل بالاحسان وقد اجازوا في قوله تعالى ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله على من يشاء من عباده ان يكون بغيا مفعولا له ناصبه ان يكفروا ثم قالوا ان قوله تعالى ان ينزل الله مفعول له ناصبه بغيا على ان التنزيل علة للبغي والبغي علة للكفر وقوله تعالى **من الله** متعلق بمحذوف وقع صفة لنكالا اي نكالا كائنا منه تعالى

والله عزيز غالب على امره يمضيه كيف يشاء من غير ند ينازعه ولا ضد يمانعه **حكيم** في شرائعه لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة والمصلحة ولذلك شرع هذه الشرائع المنطوية على فنون الحكم والمصالح **فمن تاب** منهم **من** السراق الى الله تعالى **من بعد ظلمه** الذي هو سرقته والتصريح به مع ان التوبة لا تتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته **واصلح** اي امره بالتفصي عن تبعات ما باشره والعزم على ترك المعاودة اليها **فان الله يتوب عليه** اي يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة واما القطع فلا يسقطه التوبة عندنا لان فيه حق المسروق عنه وتسقط عند الشافعي في احد قوليه **ان الله غفور رحيم** مبالغ في المغفرة والرحمة ولذلك يقبل توبته وهو تعليل لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلية الحكم وتأكيد استقلال الجملة وكذا قوله عز وجل **الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض** فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدأ والجملة خبر لان وهي مع ما في حيزها سادة مسد مفعولي تعلم عند الجمهور وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم والخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق التلوين وقيل لكل احد صالح للخطاب والاستفهام الانكاري لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى على ما سيجيء من التعذيب والمغفرة على ابلغ وجه واكده اي الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة الى غير ذلك حسبما تقتضيه مشيئته **يعذب من يشاء** ان يعذبه **ويغفر لمن يشاء** ان يغفر له من غير ند يساهمه ولا ضد يزاحمه وتقديم التعذيب على المغفرة لمراعاة ما بين سببيهما من الترتيب والجملة اما تقرير لكون ملكوت السموات والارض له سبحانه او خبر آخر لان **والله على كل شيء قدير** فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة والاظهار في موقع الاضمار لما مرّ مرارا والجملة تذييل مقرر لما قبلها **يا ايها الرسول لا يحزنك الذين** **يسارعون في الكفر** خوطب صلى الله تعالى عليه وسلم بعنوان الرسالة التشريف والاشعار بما يوجب عدم الحزن والمسارعة في الشيء الوقوع فيه بسرعة ورغبة وايثار كلمة في على كلمة الى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الخ للايماء الى انهم مستقرون في الكفر لا يبرحونه وانما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه واحكامه الى بعض آخر منها كاظهار موالاة المشركين وابراز آثار الكيد للاسلام ونحو ذلك كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات فانهم مستقرون على الخير يسارعون في انواعه وافراده والتعبير بالموصول للاشارة بما في حيز صلته الى مدار الحزن وهو الاولى وان كان بحسب الظاهر نهيا للكفرة عن ان يحزنوه عليه السلام بمسارعتهم في الكفر لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن التأثر من ذلك والمبالاة به على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء او مباديه المؤدية اليه نهي عنه بطريق البرهان وقلع له من اصله وقد يتوجه النهي الى المسبب ويراد به النهي عن السبب كما في قوله لا ارينك ههنا يريد نهي مخاطبه عن الحضور بين يديه وقرئ لا يحزنك من احزنه منقولا من حزن بكسر الزاء وقرئ يسرعون يقال اسرع فيه الشيب اي وقع فيه سريعا اي لا تحزن

بأفواههم

ولا يبالي بهما فيهم في الكفر بسرعة وقوله تعالى من الذين قالوا آمنا بيان للمسارعين في الكفر وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يسارعون وقيل من الموصول اي كائنين من الذين الخ والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا وقوله تعالى ولم تؤمن قلوبهم جملة حالية من ضمير قالوا وقيل عطف على قالوا وقوله تعالى ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا الى آخره وبه يتم بيان المسارعين في الكفر بتقسيمهم الى قسمين المنافقين واليهود فقوله تعالى سماعون للكذب خبر لمبتدأ محذوف راجع الى الفريقين او الى المسارعين واما رجوعه الى الذين هادوا فمخل بعموم الوعيد الآتي ومباديه للكل كما ستقف عليه وكذا جعل قوله عز وجل ومن الذين الى آخره خبرا على ان قوله تعالى سماعون صفة لمبتدأ محذوف اي ومنهم قوم سماعون الى آخره لما انه الى اختصاص ما عدد من القبائح وما يترتب عليها من الغوائل الدنيوية والاخروية بهم فالوجه ما ذكر اولا اي هم سماعون للكذب واللام لتقوية العمل واما لتضمين السماع معنى القبول واما لام كي والمفعول محذوف والمعنى هم مبالغون في سماع الكذب او في قبول ما يفتريه احبارهم من الكذب على الله سبحانه وتعالى وتحريف كتابه او سماعون اخباركم واحاديثكم ليكذبوا عليكم بان يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير او اخبار الناس واقاويلهم الدائرة فيما بينهم ليكذبوا فيها بان يرجفوا بقتل المؤمنين وانكسار سراياهم ونحو ذلك مما فيه ضررهم واياما كان فالجملة مستأنفة جارية مجرى التعليل للنهي فان كونهم سماعين للكذب على الوجوه المذكورة وابتناء امورهم على ما لا اصل له من الاباطيل والاراجيف مما يقتضي عدم المبالاة بهم وترك الاعتداد بما يأتون وما يذرون للقطع بظهور بطلان اكاذيبهم واختلال ما بنوا عليها من الافاعيل الفاسدة المؤدية الى الخزي والعذاب كما سيأتي وقرئ سماعين للكذب بالنصب على الذم وقوله عز وجل سماعون لقوم آخرين خبر ثان للمبتدأ المقدر مقرر للاول ومبين لما هو المراد بالكذب على الوجهين الاولين واللام في مثل سمع الله لمن حمده في الرجوع الى معنى من اي قبل منه حمده والمعنى مبالغون في قبول كلام قوم آخرين واما كونها لام التعليل بمعنى سماعون منه عليه السلام لاجل قوم آخرين وجهوهم عيونا لهم ليبلغوهم ما سمعوا منه عليه السلام او كونها متعلقة بالكذب على ان سماعون الثاني تكرير للتأكيد بمعنى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين فلا يكاد يساعده النظم الكريم اصلا وقوله تعالى لم يأتوك صفة اخرى لقوم اي لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا او افراطا في البغضاء قيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة وقوله تعالى يحرفون الكلم من بعد مواضعه صفة اخرى لقوم وصفوا اولا بمغايرتهم للسماعين تنبيها على استقلالهم واصالتهم في الرأي والتدبير ثم بعدم حضورهم مجلس الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ايذانا بكمال طغيانهم في الضلال ثم باستمرارهم على التحريف بيانا لافراطهم في العتو والمكابرة والاجتراء على الافتراء على الله سبحانه وتعالى وتعيينا للكذب الذي سمعه السماعون اي يميلونه ويزيلونه عن مواضعه بعد ان وضعه الله تعالى فيها اما لفظا بإهماله او تغيير وضعه واما بحمله على غير المراد واجرائه في

واجرائه في غير مورده وقيل الجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب ناعية عليهم شنائعهم وقيل خبر مبتدأ محذوف راجع الى القوم وقوله عز وجل يقولون كالجملة التي قبلها في الوجوه المذكورة ويجوز ان يكون حالا من ضمير يحرفون واما تجويز كونها صفة لسماعون او حالا من الضمير فيه فمما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وان مقول القول ناطق بان قائله ممن لا يحضر مجلس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمخاطب به ممن يحضره فكيف يمكن ان يقوله السماعون المترددون اليه عليه السلام لمن لا يحضره عليه السلام قطعا وادعاء قول السماعين لاعقابهم المخاطبين للمسلمين تعسف ظاهر مخل بجزالة النظم الكريم والحق الذي لا محيد عنه ان المحرفين والقائلين هم القوم الآخرون اي يقولون لاتباعهم السماعين لهم عند القائهم اليهم اقاويلهم الباطلة مشيرين الى كلامهم الباطل ان اوتيتم من جهة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم هذا فخذوه واعملوا بموجبه فانه الحق وان لم تؤتوه بل اوتيتم غيره فاحذروا اي فاحذروا قبوله واياكم واياه ان ترتيب الامر بالحذر على مجرد عدم ايتاء المحرف من المبالغة في التحذير ما لا يخفى روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان يأخذوا به فقال جبرائيل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه فقال عليه السلام هل تعرفون شابا ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض بما انزل الله تعالى على موسى ابن عمران في التوراة قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال عليه السلام وانت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال اترضون به حكما قالوا نعم فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى وانجاكم واغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى ورفع فوقكم الطور وانزل عليكم التوراة فيها حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على من احصن قال نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت ان يحرقني التوراة ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال عليه افضل الصلاة اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخل فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن صوريا والذي انزل التوراة على موسى عليه السلام هكذا انزل الله تعالى في التوراة على موسى عليه السلام فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلام فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته اي ضلالته او فضيحته كائنا من كان فيندرج فيه المذكورون اندراجا اوليا وعدم التصريح بكونهم كذلك

للاشعار بكمال ظهوره واستغنائه عن ذكره فلن تملك له فلن تستطيع له من الله
شيئا في دفعها والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها ومبينة لعدم انفكاكهم عن القبائح
المذكورة ابدا اولئك اشارة الى المذكورين من المنافقين واليهود وما في اسم الاشارة
من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفساد وهو مبتدأ خبره قوله عز وجل الذين لم يرد الله
ان يطهر قلوبهم اى من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهماكهم واصرارهم عليها واعراضهم عن
صرف اختيارهم الى تحصيل الهداية بالكلية كما ينبئ عنهم وصفهم بالمسارعة في الكفر اولا وشرع
فنون ضلالاتهم آخرا والجملة استئناف مبين لكون ارادته تعالى لفتنتهم منوطة بسوء اختيارهم
وقبح صنيعهم الموجب لها لا واقعة منه تعالى ابتداء لهم في الدنيا خزي اما المنافقون
فخزيهم فضيحتهم وهتك سترهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين واما خزي اليهود فالذل
والجزية والافتضاح بظهور كذبهم في كتمان نص التوراة وتنكير خزي للتفخيم وهو مبتدأ و
لهم خبره وفي الدنيا متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار وكذا الحال في قوله تعالى ولهم
في الآخرة اى مع الخزي الدنيوي عذاب عظيم هو الخلود في النار وضمير لهم في الجملتين
للمنافقين واليهود جميعا لا لليهود خاصة كما قيل وتكرير لهم مع اتحاد المرجع لزيادة التقرير
والتأكيد والجملتان استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل افعالهم واحوالهم الموجبة للعقاب
كانه قيل فما لهم من العقوبة فقيل لهم في الدنيا الخ سماعون للكذب خبر آخر للمبتدأ
المقدر كرر تأكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده من قوله تعالى اكالون للسحت وهو ايضا خبر آخر
للمقدر وارد على طريقة الذم او بناء على ان المراد بالكذب ما يفتعله الرشون عند الحكام كما بين
والسحت بضم السين وسكون الحاء في الاصل كل ما لا يحل كسبه وقيل هو الحرام مطلقا من سحته
اذا استأصله سمي به لانه مسحوت البركة والمراد به ههنا اما الرشى التي كان يأخذها الحكام
على تحريفهم وسائر احكامهم الزائغة وهو المشهور واما كان يأخذه فقراؤهم من اغنيائهم
من المال ليقيموا على اليهودية كما قيل واما مطلق الحرام المنتظم لما ذكر انتظاما اوليا وقرئ للسحت
بضم السين والحاء وبفتحهما وبفتح السين وسكون الحاء وبكسر السين وسكون الحاء وعن النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به فان جاؤك لما بين تفاصيل احوالهم
الواهية واحوالهم المختلة المعرضة لعدم المبالاة بهم وبما فعلهم حسبما امر به عليه السلام خوطب
عليه السلام ببعض ما يبتنى عليه من الاحكام بطريق التفريع والفاء فصيحة اى واذا كان حالهم كما شرح فان
جاؤك متحاكمين فيما شجر بينهم من الخصومات فاحكم بينهم او اعرض عنهم
غير مبال بهم ولا خائف من جهتهم اصلا وهذا كما ترى تخيير له صلى الله تعالى عليه وسلم بين الامرين
فقيل هو في امر خاص هو ما ذكر من زنا المحصن وقيل في قتيل قتل من اليهود في بني قريظة و
النضير فتحاكموا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا بني قريظة اخواننا بنو النضير ابونا واحد
وديننا واحد ونبينا واحد واذا قتلوا منا قتيلا لم يرضوا بالقود واعطونا سبعين وسقا من تمر
واذا قتلنا منهم قتلوا القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقا من تمر وان كان القتيل

القتيل امرأة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد منهم الحر منا فاقض بيننا
فجعل عليه السلام الدية سواء وقيل هو عام في جميع الحكومات ثم اختلفوا فمن قائل انه ثابت وهو المروي
عن عطاء والنخعي والشعبي وقتادة وابي بكر الاصم وابي مسلم وقائل انه منسوخ وهو قول ابن عباس
والحسن ومجاهد وعكرمة قال ابن عباس لم ينسخ من المائدة الا آيتان قوله تعالى لا تحلوا شعائر
الله نسخها قوله عز وجل اقتلوا المشركين وقوله تعالى فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم
نسخها قوله عز وجل وان احكم بينهم بما انزل الله وعليه مشايخنا وان تعرض عنهم بيان
لحال الامرين اثر تخييره عليه السلام بينهما وتقديم حال الاعراض للمسارعة الى بيان انه لا ضرر فيه
حيث كان مظنة الضرر لما انهم كانوا لا يتحاكمون اليه عليه السلام الا لطلب الايسر والاهون عليهم
فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة بينهم شق ذلك عليهم فتشتد عداوتهم ومضارتهم له عليه السلام فامنه
الله تعالى بقوله فلن يضروك شيئا من الضرر فان الله عاصمك من الناس وان حكمت
فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امرت به كما حكمت بالرجم ان الله يحب المقسطين
ومن ضرورته ان يحفظهم عن كل مكروه ومحذور وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله تعجيب من
تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال ان الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدعون الايمان به
وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هو اهون عليهم وان لم
يكن ذلك حكم الله على زعمهم فقوله تعالى وعندهم التوراة حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها
حكم الله حال من التوراة ان جعلت مرتفعة بالظرف وان جعلت مبتدأ فهو حال من ضميرها المستكن
في الخبر وقيل استئناف مسوق لبيان ان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث
في كلامهم كموماة ودوداة ثم يتولون عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب
وثم للتراخي في الرتبة وقوله تعالى من بعد ذلك اى من بعد ما حكموك تصريح بما علم قطعا
لتأكيد الاستبعاد والتعجيب اى ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد ما رضوا بحكمك
وقوله عز وجل وما اولئك بالمؤمنين تذييل مقرر لفحوى ما قبله ووضع اسم الاشارة
موضع ضميرهم للقصد الى احضارهم في الذهن بما وصفوا به من القبائح ايماء الى علة الحكم والى
انهم قد تميزوا بذلك عن غيرهم اكمل تميز حتى انتظموا في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد درجتهم في العتو والمكابرة اى وما اولئك الموصوفون بما ذكر بالمؤمنين
اى بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعن حكمك الموافق له ثانيا او بهما وقيل وما اولئك بالكاملين في الايمان
تهكما بهم انا انزلنا التوراة كلام مستأنف سيق لبيان علو شأن التوراة ووجوب
مراعاة احكامها وانها لم تزل مرعية فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم كابرا عن كابر مقبولة
لكل احد من الحكام والمتحاكمين محفوظة عن المخالفة والتبديل تحقيقا لما وصف به المحرفون
من عدم ايمانهم بها وتقريرا لكفرهم وظلمهم وقوله تعالى فيها هدى ونور حال من التوراة
فان ما فيها من الشرائع والاحكام من حيث ارشادها للناس الى الحق الذي لا محيد عنه هدى
ومن حيث اظهارها وكشفها ما استبهم من الاحكام وما يتعلق بها من الامور المستورة بالظلمات

الجلى نور وقوله تعالى ﴿يحكم بها النبيون﴾ اى انبياء بنى اسرائيل وقيل موسى ومن بعده
من الانبياء جملة مستانفة مبينة لرفعة رتبتها وسمو طبقتها وقد جوز كونه حالا من التورية فيكون
حالا مقدرة اى يحكمون باحكامها ويحملون الناس عليها وبه تمسك من ذهب الى ان شريعة من قبلنا
شريعة لنا ما لم تنسخ وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بشان المقدم و
التشويق الى المؤخر ولان المؤخر ما يتعلق به نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم وقوله
عز وجل ﴿الذين اسلموا﴾ صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح دون التخصيص والتوضيح
لكن لا لقصد مدحهم بذلك حقيقة فان النبوة اعظم من الاسلام قطعا فيكون وصفهم به بعد وصفهم
بها تنزلا من الاعلى الى الادنى بل لتنويه شان الصفة فان ابراز وصف فى معرض مدح العظماء مبنى على
عظم قدر الوصف لا محالة كما فى وصف الانبياء بالصلاح ووصف الملائكة بالايمان عليهم السلام
ولذلك قيل اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف وفيه رفع لشان المسلمين وتعريض باليهود وبانهم
بمعزل من الاسلام والاقتداء بدين الانبياء عليهم السلام لا سيما مع ملاحظة ما وصفوا به فى قوله
عز وجل ﴿للذين هادوا﴾ وهو متعلق بيحكم اى يحكمون فيما بينهم واللام اما لبيان اختصاص
الحكم بهم اعم من ان يكون لهم او عليهم كانه قيل لاجل الذين هادوا واما للايذان بنفعه للمحكوم عليه
ايضا باسقاط التبعة عنه واما للاشعار بكمال رضاهم به وانقيادهم له كانه امر نافع لكلا الفريقين
ففيه نوع تعريض بالمحرفين وقيل التقدير للذين هادوا وعليهم فحذف ما حذف لدلالة ما ذكر عليه و
قيل متعلق بانزلنا وقيل بهدى ونور وفيه فصل بين المصدر ومعموله وقيل متعلق بمحذوف وقع
صفة لهما اى هدى ونور كائنان للذين هادوا ﴿والربانيون والاحبار﴾ اى الزهاد والعلماء
من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود وعن ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما الربانيون الذين يسوسون بالعلم ويربونهم بصغاره قبل كباره والاحبار هم الفقهاء
واحده حبر بالفتح والكسر والثانى افصح وهو رأى الفراء ماخوذ من التحبير والتحسين فانهم يحبرون
العلم ويزينونه ويبينونه وهو عطف على النبيين اى هم ايضا يحكمون باحكامها وتوسيط المحكوم
لهم بين المعطوفين للايذان بان الاصل فى الحكم بها وحمل الناس على ما فيها هم النبيون وانما
الربانيون والاحبار خلفاء ونواب لهم فى ذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿بما استحفظوا﴾ اى
بالذى استحفظوه من جهة النبيين وهو التورية حيث سالوهم ان يحفظوها من التغيير والتبديل
على الاطلاق ولا ريب فى ان ذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم فى اجراء احكامها من غير اخلال بشئ
منها وفى ابهامها اولا ثم بيانها بقوله تعالى ﴿من كتاب الله﴾ من تفخيمها واجلالها ذاتا
واضافة وتاكيد ايجاب حفظها والعمل بما فيها ما لا يخفى وايرادها بعنوان الكتاب للايماء الى ايجاب حفظها
من التغيير من جهة الكتابة والباء الداخلة على الموصول متعلقة بيحكم لكن لا على انها صلة له
كالتى فى قوله تعالى بها لئلا يلزم تعلق حرفى جر متحدى المعنى بفعل واحد بل على انها سببية اى ويحكم
الربانيون والاحبار ايضا بسبب ما حفظوه من كتاب الله حسبما وصاهم به انبياؤهم وسالوهم
ان يحفظوه وليس المراد بسببية حكمهم ذلك سببيته من حيث الذات بل من حيث كونه محفوظا فان

فان تعليق حكمهم بالموصول مشعر بسببية الحفظ المترتب لا محالة على ما فى حيز الصلة من الاستحفاظ و
قيل الباء صلة لفعل مقدر معطوف على قوله تعالى يحكم بها النبيون عطف جملة على جملة اى ويحكم
الربانيون والاحبار بحكم كتاب الله الذى سالهم انبياؤهم ان يحفظوه من التغيير ﴿وكانوا عليه شهداء﴾
اى رقباء يحمونه من ان يحوم حوله التغيير والتبديل بوجه من الوجوه وتغيير الاسلوب لما ذكر من
المزايا وقيل استحفظوا بدل من قوله تعالى بها باعادة العامل وهو بعيد وكذا تجويز كون الضمير
فى استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا على ان الاستحفاظ من جناب الله تعالى اى
كلفهم الله تعالى ان يحفظوه ويكونوا عليه شهداء وقوله تعالى ﴿فلا تخشوا الناس﴾ خطاب لرؤساء
اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات واما حكام المسلمين فيتناولهم النهى بطريق الدلالة
دون العبارة والفاء لترتيب النهى على ما فصل من حال التورية وكونها معتنى بشانها فيما بين
الانبياء ومن يقتدى بهم من الربانيين والاحبار المتقدمين عملا وحفظا فان ذلك مما يوجب
الاجتناب عن الاخلال بوظائف مراعاتها والمحافظة عليها باى وجه كان فضلا عن التحريف و
التغيير ولما كان مدار اجترائهم على ذلك خشية ذى سلطان او رغبة فى الحظوظ الدنيوية نهوا
عن كل منهما صريحا اى واذا كان شانها كما ذكر فلا تخشوا الناس كائنا من كان واقتدوا فى مراعاة
احكامها وحفظها بمن قبلكم من الانبياء واشياعهم ﴿واخشون﴾ فى الاخلال
بحقوق مراعاتها فكيف بالتعرض لها بسوء ﴿ولا تشتروا باياتى﴾ الاشتراء استبدال السلعة
بالثمن اى اخذها بدلا منه لا بذل الثمن لتحصيلها كما قيل ثم استعير لاخذ شئ بدلا مما كان له عينا كان
او معنى اخذا منوطا بالرغبة فيما اخذ والاعراض عما اعطى ونبذ كما فصل فى تفسير قوله تعالى اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى فالمعنى لا تستبدلوا باياتى التى فيها بان تخرجوها منها او تتركوا
العمل بها وتاخذوا لانفسكم بدلا منها ﴿ثمنا قليلا﴾ من الرشوة والجاه وسائر الحظوظ
الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة فى نفسها لا سيما بالنسبة الى ما فات عنهم بترك العمل
بها وانما عبر عن المشترى الذى هو العمدة فى عقود المعاوضة والمقصود الاصلى بالثمن الذى شانه
ان يكون وسيلة لتحصيله وابرزت الايات التى حقها ان يتنافس فيها المتنافسون فى معرض
الالات والوسائط حيث قرنت بالباء التى تصحب الوسائل ايذانا بمبالغتهم فى التعكيس بجعلهم
المقصد الاقصى وسيلة والوسيلة الادنى مقصدا ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله﴾ كائنا
من كان دون المخاطبين خاصة فانهم مندرجون فيه اندراجا اوليا اى من لم يحكم بذلك مستهينا
به منكرا له كما يقتضيه ما فعلوه من تحريف الايات اقتضاء بينا ﴿فاولئك﴾ اشارة الى من
والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها ﴿هم الكافرون﴾ لاستهانتهم به
وهم اما ضمير الفصل او مبتدأ ما بعده خبره والجملة خبر لاولئك وقد مر تفصيله فى مطلع سورة
البقرة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ابلغ تقرير وتحذير عن الاخلال به اشد تحذير حيث
علق فيه الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما انزل الله فكيف وقد انضم اليه الحكم بخلافه لا سيما مع
مباشرة ما نهوا عنه من تحريفه ووضع غيره موضعه وادعاء انه من عند الله تعالى ليشتروا به ثمنا

قليلا وكتبنا عطف على انزلنا التورية عليهم اى على الذين هادوا وقرئ وانزل
الله على بنى اسرائيل فيها اى فى التورية ان النفس بالنفس اى تقاد بها اذا قتلتها
بغير حق والعين بالعين تفقأ بها اذا فقئت بغير حق والانف يجدع بالمقطوع
بغير حق والاذن بالاذن تصلم بالاذن المقطوعة ظلما والسن بالسن تقلع بالسن المقلوعة
بغير حق والجروح قصاص اى ذات قصاص اذا كانت بحيث تعرف المساواة وعن ابن عباس رضى
الله تعالى عنهما انهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت وقرئ وان الجروح قصاص وقرئ والعين
الى اخره بالرفع عطفا على محل ان النفس لان المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى
قلنا واما لان معنى الجملة التى هى قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة تقول
كتبت الحمد لله وقرأت سورة انا انزلنا فمن تصدق اى من المستحقين به اى بالقصاص
اى فمن عفا عنه والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة فى الترغيب فيه فهو اى التصدق كفارة له
اى للمتصدق يكفر الله تعالى بها ذنوبه وقيل للجانى اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وقرئ
فهو كفارته له اى فالمتصدق كفارته التى يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شئ وهو تعظيم لما فعل كقوله
تعالى فاجره على الله ومن لم يحكم كائنا من كان فيتناول من لا يرى قتل الرجل بالمرأة من اليهود
تناولا بينا بما انزل الله من الاحكام والشرائع كائنا من كان فيدخل فيها الاحكام المحكية
دخولا اوليا فاولئك هم الظالمون المبالغون فى الظلم المتعدون لحدوده تعالى الواضعون للشئ فى
غير موضعه والجملة تذييل مقرر لايجاب العمل بالاحكام المذكورة وقفينا على آثارهم شروع فى بيان
احكام الانجيل اثر بيان احكام التورية وهو عطف على انزلنا التورية اى آثار النبيين المذكورين
يقال قفيته بفلان اذا اتبعته اياه فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه اى قفيناهم بعيسى
ابن مريم اى ارسلناه عقيبهم مصدقا لما بين يديه من التورية حال من عيسى عليه السلام وآتيناه الانجيل
عطف على قفينا وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور كما فى التورية وهو فى محل النصب على انه حال
من الانجيل اى كائنا فيه ذلك كانه قيل مشتملا على هدى ونور وتنوين هدى ونور للتفخيم ويندرج
فى ذلك شواهد نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف عليه داخل
فى حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التورية لزيادة التقرير وهدى وموعظة للمتقين عطف
على مصدقا منتظم معه فى سلك الحالية جعل كله هدى بعد ما جعل مشتملا عليه حيث قيل فيه هدى وتخصيص
كونه هدى وموعظة للمتقين لانهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه وليحكم اهل
الانجيل بما انزل الله فيه امر مبتداء لهم بان يحكموا ويعملوا بما فيه من الامور التى من جملتها
دلائل رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم وشواهد نبوته وما قررته الشريعة الشريفة من احكامه
واما احكامه المنسوخة فليس الحكم بها حكما بما انزل الله فيه بل هو ابطال وتعطيل له اذ هو شاهد بنسخها و
انتهاء وقت العمل بها لان شهادته بصحة ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها وبان احكامه ما قررته
تلك الشريعة التى تشهد بصحتها كما سيأتى فى قوله تعالى يا اهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التورية
والانجيل الاية وقيل هو حكاية للامر الوارد عليهم بتقدير فعل معطوف على آتيناه اى وقلنا ليحكم اهل

اهل الانجيل الى آخره وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كما فى قولك امرته بان قم كانه قيل
وآتيناه الانجيل بما انزل الله فيه اتيناه اياه وقد عطف على هدى وموعظة على انهما مفعول لهما كانه قيل
للهدى وللموعظة آتيناه اياه وليحكم بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله منكرا له مستهينا به
فاولئك هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الايمان والجملة تذييل مقرر لمضمون الجملة السابقة و
مؤكد لوجوب الامتثال بالامر وفيه دلالة على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان عيسى عليه السلام كان
مستقلا بالشرع مأمورا بالعمل بما فيه من الاحكام قلت او كثرت لا بما فى التورية خاصة وحمله على معنى
وليحكم بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك
الكتاب اى الفرد الكامل الحقيق بان يسمى كتابا على الاطلاق لحيازته جميع الاوصاف الكمالية لجنس
الكتاب السماوى وتفوقه على بقية افراده وهو القرآن الكريم فاللام للعهد والجملة عطف على انزلنا
وما عطف عليه وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا مؤكدة من الكتاب اى ملتبسا بالحق
والصدق وقيل من فاعل انزلنا وقيل من الكاف فى اليك وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه
حال من الكتاب اى حال كونه مصدقا لما تقدمه اما من حيث انه نازل حسبما نعت فيه او من حيث انه
موافق له فى القصص والمواعيد والدعوة الى الحق والعدل بين الناس والنهى عن المعاصى والفواحش
واما ما ترى من مخالفته له فى بعض جزئيات الاحكام المتغيرة بسبب تغير الاعصار فليست بمخالفة فى
الحقيقة بل هى موافقة لها من حيث ان كلا من تلك الاحكام حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التى
عليها يدور امر الشريعة وليس فى المتقدم دلالة على ابدية احكامه المنسوخة حتى يخالفه الناسخ المتأخر
وانما يدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها لما ان النطق
بصحة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها وقوله تعالى من الكتاب بيان لما واللام للجنس اذ المراد
هو الكتاب السماوى وهو بهذا العنوان جنس برأسه وان كان فى نفسه نوعا مخصوصا من مدلول لفظ الكتاب
وعن هذا قالوا اللام للعهد الا ان ذلك لا ينافى الخصوصية النوعية بل الخصوصية النوعية التى هى
اخص من مطلق الكتاب وهو ظاهر ومن الكتاب السماوى ايضا حيث خص بما عدا القرآن ومهيمنا عليه
اى رقيبا على سائر الكتب المحفوظة عن التغيير لانه يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر اصول شرائعها و
ما يتأبد من فروعها ويبين احكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب
وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب فى ان تمييز احكامها الباقية على المشروعية ابدا عما انتهى وقت مشروعيته
وخرج عنها من احكام كونه مهيمنا عليه وقرئ ومهيمنا عليه على صيغة المفعول اى هو عليه وحفظ
من التغيير والتبديل كقوله عز وجل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والحافظ من جهته تعالى
كما فى قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او الحفاظ فى الاعصار والامصار والفاء
فى قوله تعالى فاحكم بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كون القرآن العظيم حقا و
مصدقا لما قبله من الكتب المنزلة على الامم مهيمنا عليه من موجبات الحكم المأمور به اى فاذا كان شأن
القرآن كما ذكر فاحكم بين اهل الكتاب عند تحاكمهم اليك بما انزل الله اى بما انزله اليك
فانه مشتمل على جميع الاحكام الشرعية الباقية فى الكتب الالهية وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم الحكم لهم

ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على علية ما في حيز الصلة للحكم والالتفات باظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم ولا تتبع اهواءهم الزائغة عما جاءك من الحق الذي لا محيد عنه وعن متعلقة بلا تتبع على تضمين معنى العدول ونحوه كانه قيل لا تعدل عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم وقيل بمحذوف وقع حالا من فاعله اي لا تتبع اهواءهم عادلا عما جاءك وفيه ان ما وقع حالا لا بد ان يكون فعلا عاما و وضع الموصول موضع ضمير الموصول الاول للايماء بما في حيز الصلة من مجيء الحق الى ما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع الهوى وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كلام مستأنف جيء به لحمل اهل الكتاب لمن من معاصريه عليه السلام على الانقياد لحكمه عليه السلام بما انزل الله اليه من القرآن الكريم ببيان انه هو الذي كلفوا به العمل دون غيره من الكتابين وانما الذين كلفوا العمل بهما من مضى قبل نسخهما من الامم السالفة والخطاب بطريق التلوين والالتفات للناس كافة لكن لا للموجودين خاصة بل للماضين ايضا بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدي لواحد وهو اخبار بجعل الماضي انشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل ولا ضير في توسط جعلنا بين الصفة والموصوف كما في قوله تعالى اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات الخ والمعنى لكل امة كائنة منكم ايها الامم الباقية والخالية جعلنا اي عينا ووضعنا شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الامة لا تكاد امة تتخطى شرعتها التي عينت لها فالامة التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام شرعتهم التورية والتي كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبي عليهما السلام شرعتهم الانجيل واما انتم ايها الموجودون فشرعتكم القرآن ليس الا فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة هي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لكونه سبيلا موصولا الى ما هو سبب للحيوة الابدية كما ان الماء سبب للحيوة الفانية والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الامر اذا وضح وقرئ شرعة بفتح الشين قيل فيه دليل على انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا والتحقيق انا متعبدون باحكامها الباقية من حيث انها احكام شرعتنا لا من حيث انها شرعة للاولين ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الامم في شيء من الاحكام الدينية ولا نسخ ولا تحويل ومفعول المشية محذوف تعويلا على دلالة الجزاء عليه اي لو شاء الله ان يجعلكم امة واحدة لجعلكم الخ وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم متعلق بمحذوف يستدعيه المقام اي ولكن لم يشأ ذلك اي ان يجعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهية الجارية فيما بين الامم ليعاملكم معاملة من يبتليكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى المشية الالهية المبنية على اساس الحكم البالغة والمصالح النافعة لكم في معاشكم ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون المضرة بالجدوى وتشترون الضلالة بالهدى وبهذا اتضح ان مدار عدم المشية المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل العمدة في ذلك ما اشير اليه من انطواء الاختلاف على ما فيه مصلحتهم معاشا ومعادا كما ينبئ عنه قوله عز وجل فاستبقوا الخيرات اي اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا الى ما هو خير لكم في الدارين من العقائد الحقة والاعمال الصالحة المندرجة في القرآن الكريم وابتدروها انتهازا للفرصة واحرازا

واحرازا لسابقة الفضل والتقدم ففيه من تأكيد الترغيب في الاذعان للحق وتشديد التحذير عن الزيغ ما لا يخفى وقوله تعالى الى الله مرجعكم استئناف مسوق مساق التعليل لاستباق الخيرات بما فيه من الوعد والوعيد وقوله تعالى جميعا حال من ضمير الخطاب والعامل فيه اما المصدر المنحل الى حرف مصدري وفعل مبني للفاعل او مبني للمفعول واما الاستقرار المقدر في الجار فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اي فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل ما لا يبقى لكم معه شائبة شك فيما كنتم تختلفون في الدنيا وانما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع ازالة الاختلاف التي هي وظيفة الاخبار وان احكم بينهم بما انزل الله اليك عطف على الكتاب اي انزلنا عليك الكتاب والحكم بما فيه والتعرض لعنوان انزاله تعالى اياه لتأكيد وجوب الامتثال بالامر او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم وحكاية انزال الامر بهذا الحكم بعدما مر من الامر الصريح بذلك تأكيد وتمهيد لما يعقبه من قوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اي يصرفوك عن بعضه ولو كان اقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحق واظهار الاسم الجليل لتأكيد الامر بتهويل الخطب وان بصلته بدل الاشتمال من ضميرهم اي احذر فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك واعادة ما انزل الله لتأكيد التحذير بتهويل الخطب روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد فلعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا اليه عليه السلام فقالوا يا ابا القاسم قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت فان تولوا اي اعرضوا عن الحكم بما انزل الله تعالى واراد واغيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اي بذنب توليهم عن حكم الله تعالى وانما عبر عنه بذلك ايذانا بان لهم ذنوبا كثيرة هذا مع كمال عظمه واحد من جملتها وفي هذا الابهام تعظيم للتولي كما في قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها يريد به نفسه اي نفسا كبيرة ونفسا اي نفس وان كثيرا من الناس لفاسقون اي متمردون في الكفر مصرون عليه خارجون عن الحدود المعهودة وهو اعتراض تذييلي مقرر لما قبله افحكم الجاهلية يبغون انكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتأكيد الانكار والتعجب لان التولي عن حكمه صلى الله تعالى عليه وسلم وطلب حكم آخر منكر عجيب وطلب حكم الجاهلية اقبح واعجب والمراد بالجاهلية اما الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة في الاحكام فيكون تعييرا لليهود بانهم مع كونهم اهل كتاب وعلم يبغون الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحي واما اهل الجاهلية وحكمهم ما كانوا عليه من التفاضل فيما بين القتلى روي ان بني النضير لما تحاكموا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في خصومة قتل وقعت بينهم وبين بني قريظة طلبوا اليه عليه السلام ان يحكم بينهم بما كان عليه اهل الجاهلية من التفاضيل فقال عليه السلام القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا وقد استضعف ذلك في غير الشعر وقرئ بتاء الخطاب اما بالالتفات لتشديد التوبيخ واما بتقدير القول اي قل لهم افحكم الخ وقرئ بفتح الحاء والكاف

اى اتحاكما كحكام الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما انكار لان يكون احد حكمه احسن من حكمه
تعالى او مساويا له وان كان ظاهر السبك غير متعرض لنفي المساواة وانكارها وقد مر تفصيله في تفسير قوله
تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله لقوم يوقنون اى عندهم واللام للبيان كما في هيت لك اى هذا
الاستفهام لهم فانهم الذين يتدبرون الامور بانظارهم فيعلمون يقينا ان حكم الله عز وجل احسن الاحكام و
اعدلها يا ايها الذين آمنوا خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين من المخلصين وغيرهم وان كان سبب
وروده بعضا منهم كما سياتي ووصفهم بعنوان الايمان لحملهم من اول الامر على الانزجار عما نهوا عنه بقوله
عز وجل لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فان تذكير اتصافهم بضد صفات الفريقين من اقوى الزواجر
عن موالاتهما اى لا يتخذ احد منكم احدا منهم وليا بمعنى لا تصافوهم ولا تعاشروهم مصافاة الاحباب
ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم اولياء لكم حقيقة فانه امر ممتنع في نفسه لا يتعلق به النهي بعضهم اولياء بعض
اى بعض كل فريق من ذينك الفريقين اولياء بعض اخر من ذلك الفريق لا من الفريق الاخر وانما
اوثر الاجمال في البيان تعويلا على ظهور المراد لوضوح انتفاء الموالاة بين فريقي اليهود والنصارى
راسا والجملة مستانفة مسوقة لتعليل النهي وتاكيد ايجاب الاجتناب عن المنهي عنه اى بعضهم اولياء
بعض متفقون على كلمة واحدة في كل ما ياتون وما يذرون ومن ضرورته اجماع الكل على مضادتكم و
مضارتكم بحيث يسومونكم السوء ويبغونكم الغوائل فكيف يتصور بينكم وبينهم موالاة وقوله عز وجل
ومن يتولهم منكم فانه منهم حكم مستتبع منه فان انحصار الموالاة فيما بينهم يستدعي كون من يواليهم
منهم ضرورة ان الاتحاد في الدين الذي عليه يدور امر الموالاة حيث لم يكن بكونهم ممن يواليهم
من المؤمنين تعين ان يكون ذلك بكون من يواليهم منهم وفيه زجر شديد للمؤمنين عن اظهار صورة الموالاة
لهم وان لم تكن موالاة في الحقيقة وقوله عز وجل ان الله لا يهدي القوم الظالمين
تعليل لكون من يتولاهم منهم اى لا يهديهم الى الايمان بل يخليهم وشانهم فيقعون في الكفر والضلالة
وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تنبيها على ان توليهم ظلم لما انه تعريض لانفسهم للعذاب الخالد ووضع الشيء
في غير موضعه وقوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض بيان لكيفية توليهم واشعار بسببه وبما يؤول
اليه امرهم والفاء للايذان بترتبه على عدم الهداية والخطاب اما للرسول عليه السلام بطريق التلوين
واما لكل احد ممن له اهلية له وفيه مزيد تشنيع للتشنيع اى لا يهديهم بل يذرهم فتراهم الخ وانما
وضع موضع الضمير الموصول ليشار بما في حيز صلته الى ان ما ارتكبوه من التولي بسبب ما في قلوبهم من
مرض النفاق ورخاوة العقد في الدين وقوله تعالى يسارعون فيهم حال من الموصول والرؤية
بصرية وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول انسب بظهور نفاقهم اى تراهم مسارعين في
موالاتهم وانما قيل فيهم مبالغة في بيان رغبتهم فيها وتهالكهم عليها وايثار كلمة في على كلمة الى
للدلالة على انهم مستقرون في الموالاة وانما مسارعتهم من بعض مراتبها الى بعض اخر كما في قوله تعالى
اولئك يسارعون في الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها كما في قوله عز وجل وسارعوا الى
مغفرة من ربكم وجنة وقرئ فيرى بياء الغيبة على ان الضمير لله سبحانه وقيل لمن يصح منه الرؤية وقيل
الفاعل هو الموصول والمفعول هو الجملة على حذف ان المصدرية والرؤية قلبية اى ويرى القوم الذين

في قلوبهم مرض ان يسارعوا فيهم فلما حذفت ان انقلب الفعل مرفوعا كما في قول من قال الا ايهذا
الزاجري احضر الوغى والمراد بهم عبد الله بن ابي واضرابه الذين كانوا يسارعون في موادة
اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون الى المؤمنين بانهم لا يؤمنون ان تصيبهم
صروف الزمان وذلك قوله عز وجل يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة وهو حال من ضمير يسارعون و
الدائرة من الصفات الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها اى يدور علينا دائرة من دوائر الدهر
ودولة من دوله بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار وقيل نخشى ان يصيبنا مكروه من مكاره
الدهر كالجدب والقحط فلا يعطونا الميرة والقرض روي ان عبادة بن الصامت رضي الله تعالى
عنه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني ابرا الى الله
ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرا
من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع ولعله يظهر للمؤمنين انه يريد بالدوائر المعنى الاخير ويضمر في نفسه
المعنى الاول وقوله عز وجل فعسى الله ان ياتي بالفتح رد من جهة الله تعالى لعللهم الباطلة
وقطع لاطماعهم الفارغة وتبشير للمؤمنين بالظفر فان عسى منه سبحانه وعد محتوم لما ان الكريم اذا اطمع
اطعم لا محالة فما ظنك باكرم الاكرمين وان ياتي في محل النصب على انه خبر عسى وهو راى الاخفش او على
انه مفعول به وهو راى سيبويه لئلا يلزم عن الجثة بالحدث في نحو عسى زيد ان يقوم والمراد بالفتح
فتح مكة قاله الكلبي والسدي وقال الضحاك فتح قرى اليهود من خيبر وفدك وقال قتادة هو القضاء
الفصل بنصره عليه السلام على من خالفه واعزاز الدين او امر من عنده يقطع شافة
اليهود من القتل والاجلاء فيصبحوا اى اولئك المنافقون المتعللون بما ذكر وهو عطف
على ياتي داخل في حيز خبر عسى وان لم يكن فيه ضمير يعود الى اسمها فان فاء السببية مغنية عن ذلك
فانها تجعل الجملتين كجملة واحدة على ما اسروا في انفسهم نادمين وهو ما كانوا
يكتمونه في انفسهم من الكفر والشك في امره صلى الله تعالى عليه وسلم وتعليق الندامة به لا بما كانوا يظهرونه
من موالاة الكفرة لما انه الذي كان يحملهم على الموالاة ويغريهم عليها فدل ذلك على ندامتهم عليها باصلها
وسببها ويقول الذين آمنوا كلام مبتدا مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة وقرئ
بغير واو على انه جواب سؤال نشأ مما سبق كانه قيل فماذا يقول المؤمنون حينئذ وقرئ ويقول بالنصب
عطفا على فيصبحوا وقيل على ياتي باعتبار المعنى كانه قيل فعسى ان ياتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا
فالاول اوجه لان هذا القول انما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند اتيان
الفتح فقط والمعنى ويقول الذين آمنوا مخاطبين لليهود مشيرين الى المنافقين الذين كانوا
يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة وعدم المفارقة عنهم في السراء والضراء عند
مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع ضد ما كانوا يترقبونه ويتعللون به تعجيبا للمخاطبين
من حالهم وتعريضا بهم اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم اى بالنصرة والمعونة
كما قالوا فيما حكي عنهم وان قوتلتم لننصرنكم فاسم الاشارة مبتدا وما بعده خبره واستبعاده و
تخطئتهم في ذلك او يقول بعض المؤمنين لبعض مشيرين الى المنافقين ايضا اهؤلاء الذين اقسموا

لكلفوه انهم لمعكم فالخطاب في معكم لليهود على التقديرين الا انه على الاول من جهة المؤمنين وعلى الثاني
من جهة المقسمين و هذه الجملة لا محل لها من الاعراب لانها تفسير و حكاية لمعنى اقسموا لكن لا بألفاظهم
والا لقيل انا لمعكم و جهد الايمان اغلظها و هو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا
بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولا يبالي بتعريفه لفظا لانه يؤول بنكرة
اي مجتهدين في ايمانهم او على المصدر اي اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين و قوله تعالى حبطت
اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما جملة مستأنفة مسوقة من جهته تعالى لبيان مآل ما صنعوه من
ادعاء الولاية والاقسام على المعية في المنشط والمكره اثر الاشارة الى بطلانه بالاستفهام الانكاري
واما خبر ثان للمبتدأ عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او هو الخبر والموصول
مع ما في حيزه صفة لاسم الاشارة فالاستفهام ح للتقرير وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما احبط
اعمالهم فما اخسرهم والمعنى بطلت اعمالهم التي عملوها في شأن موالاتكم وسعوا في ذلك سعيا بليغا
حيث لم تكن لكم دولة فينتفعوا بما صنعوا من المساعي وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستهزاء
بالمنافقين والتقريع للمخاطبين ما لا يخفى وقيل قاله بعض المؤمنين مخاطبا لبعض تعجبا من سوء حال
المنافقين واغتباطا بما من الله تعالى على انفسهم من التوفيق للاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا
لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم و معاضدوكم على الكفار بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها
في رأي اعين الناس وانت خبير بان ذلك الكلام من المؤمنين انما يليق بما لو اظهر المنافقون حينئذ
خلاف ما كانوا يدعونه ويقسمون عليه من ولاية المؤمنين و معاضدتهم على الكفار فظهر كذبهم و
افتضحوا بذلك على رؤس الاشهاد و بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين المؤمنين
ولا ريب في انهم يومئذ اشد ادعاء واكثر اقساما منهم قبل ذلك فضلا عن ان يظهروا خلاف
ذلك وانما الذي يظهر منهم الندامة على ما صنعوا وليس ذلك علامة ظاهرة الدلالة على كونهم و
كذبهم في ادعائهم فانهم يدعون ان ليست ندامتهم الا على ما اظهروه من موالاة الكفرة خشية
اصابة الدائرة يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه و قرئ يرتدد بالفك على لغة الحجاز والادغام
لغة تميم لما نهى فيما سلف عن موالاة اليهود والنصارى وبين ان موالاتهم مستدعية للارتداد عن
الدين وفصل مصير امر من تولاهم من المنافقين شرع في بيان حال المرتدين على الاطلاق
وهذا من الكائنات التي اخبر عنها القرآن قبل وقوعها روي ان النبي عليه السلام ارتد عن الاسلام
احدى عشرة فرقة ثلث في عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو
الاسود العنسي كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده فاخرج منها عمال رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فكتب الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يدي فيروز
الديلمي بيته فقتله واخبر الى رسول صلى الله تعالى عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر به المسلمون وقبض
عليه السلام من الغد واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول و بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب تنبأ
وكتب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد
فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب صلى الله تعالى من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما

بعد فان الارض يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله تعالى عنه بجنود المسلمين وقتل
على يدي وحشي قاتل حمزة رضي الله تعالى عنه وكان يقول قتلت في جاهليتي خير الناس وفي اسلامي شر
الناس و بنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث ابو بكر رضي الله تعالى عنه خالد بن الوليد فانهزم
بعد القتال الى الشام فاسلم وحسن اسلامه و سبع في عهد ابي بكر رضي الله تعالى عنه فزارة قوم عيينة
ابن حصن و غطفان قوم قرة بن سلمة القشيري و بنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل و بنو
يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة
الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري امست سجاح ووالاها مسيلمة
كذابة في بني الدنيا وكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس و بنو بكر بن وائل بالبحرين قوم
الحطم بن زيد وكفى الله تعالى امرهم على يدي ابي بكر و فرقة واحدة في عهد عمر رضي الله تعالى عنه
غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم وقصته مشهورة وقوله عز وجل
فسوف يأتي الله جواب الشرط والعائد الى اسم الشرط محذوف اي فسوف يأتي الله مكانهم
بعد اهلاكهم بقوم يحبهم اي يريد بهم خيري الدنيا والاخرة والجملة في محل الجر على انها صفة لقوم
وكذا قوله تعالى ويحبونه اي يريدون طاعته ويتحرزون عن معاصيه معطوف عليها داخل
في حكمها قيل هم اهل اليمن لما روي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اشار الى ابي موسى الاشعري وقال
قوم هذا وقيل هم الانصار رضي الله تعالى عنهم وقيل هم الفرس لما روي انه عليه السلام سئل عنهم
فضرب بيده الكريمة على عاتق سلمان وقال هذا و ذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله
رجال من ابناء فارس وقيل هم الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وثلاثة آلاف من ابناء
الناس جاهدوا يوم القادسية اذلة على المؤمنين جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل اي اذلاء
و رحماء متذللين و متواضعين لهم واستعماله بعلى اما لتضمين معنى العطف والحنو و للتنبيه على انهم مع
علو طبقتهم و فضلهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم او لرعاية المقابلة بينه وبين ما في قوله عز وجل
اعزة على الكافرين اي اشداء متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه كما في قوله تعالى اشداء على الكفار
رحماء بينهم وهما صفتان اخريان لقوم ترك بينهما العاطف للدلالة على استقلالهم بالاتصاف بكل
منهما وفيه دليل على صحة تأخير الصفة الصريحة عن غير الصريحة من الجملة والظرف كما في قوله عز وجل وهذا
كتاب انزلناه مبارك وقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من
الرحمن محدث وما ذهب اليه من لا يجوزه من ان قوله تعالى يحبهم ويحبونه كلام معترض وان
مباركة خبر بعد خبر للمبتدأ المحذوف وان من ربهم ومن الرحمن حالان مقدمتان من ضمير محدث
تكلف لا يخفى وقرئ اذلة اعزة بالنصب على الحالية من قوم لتخصصه بالصفة يجاهدون في سبيل الله
صفة اخرى لقوم مترتبة على ما قبلها مبينة مع ما بعدها لكيفية عزتهم او حال من الضمير في اعزة
ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم جامعون من المجاهدة في سبيل الله وبين
التصلب في الدين وفيه تعريض بالمنافقين فانهم اذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا اولياءهم
اليهود فلا يكادون يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم وقيل هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى انهم

يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين وا عترض عليه بانهم نصوا على ان المضارع المنفي بلا او ما كالمثبت في عدم جواز المباشرة واو لحال له واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة لا تخفى. ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفضل فضل الله اي لطفه واحسانه لا انهم مستقلون في الاتصاف بها يؤتيه من يشاء ايتاءه من يشاء اياه ويوفقه لكسبه وتحصيله حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة والله واسع كثير الفواضل والالطاف عليم مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها من هو اهل الفضل والتوفيق والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بالعلة وتاكيد استقلال الجملة الاعتراضية انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لما نهاهم الله تعالى عن موالاة الكفرة وعلله بان بعضهم اولياء بعض لا يتصور ولايتهم للمؤمنين وبين ان من يتولاهم يكون من جملتهم بين ههنا من هو وليهم بطريق قصر الولاية عليه كانه قيل لا تتخذوهم اولياء لان بعضهم اولياء بعض وليسوا باوليائكم انما اولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون فاختصوهم بالموالاة ولا تتخطوهم الى الغير وانما افرد الولي مع تعدده للايذان بان الولاية اصالة لله تعالى وولايته عليه السلام وكذا ولاية المؤمنين بطريق التبعية لولايته عز وعلا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين آمنوا الجاري مجرى الاسم او بدل منه او نصب على المدح او رفع عليه وهم راكعون حال من فاعل الفعلين اي يعملون ما ذكر من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى وقيل هو حال مخصوصة بايتاء الزكوة والركوع ركوع الصلوة والمراد بيان رغبتهم في الاحسان ومسارعتهم اليه روي انها نزلت في علي رضي الله تعالى عنه حين سأل سائل وهو راكع فطرح اليه خاتمه كانه كان مرجا في خنصره غير محتاج في اخراجه الى كثير عمل يؤدي الى فساد الصلوة ولفظ الجمع ح لترغيب الناس في مثل فعله رضي الله تعالى عنه وفيه دلالة على ان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا اوثر الاظهار على ان يقال ومن يتولهم رعاية لما مر من نكتة بيان اصالته تعالى في الولاية كما ينبئ عنه قوله تعالى فان حزب الله هم الغالبون حيث اضيف الحزب اليه تعالى خاصة وهو ايضا من باب وضع الظاهر موضع الضمير العائد الى من اي فانهم الغالبون لكنهم جعلوا حزب الله تعالى تعظيما لهم واثباتا لغلبتهم بالطريق البرهاني كانه قيل ومن يتول هؤلاء فانهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا روي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المؤمنين يوادونهما فنهوا عن موالاتهما ورتب النهي على وصفيهما وغيرهما تعميما للحكم وتنبيها على العلة وايذانا بان من هذا شانه جدير بالمعادات فكيف بالموالاة من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم بيان للمستهزئين والتعرض لعنوان ايتاء الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية ضلالتهم لما ان ايتاء الكتاب وازع لهم عن الاستهزاء بالدين المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم والكفار اولياء اي المشركين خصوا به لتضاعف كفرهم وهو عطف على الموصول الاول فيفيد اشتعارا بانهم ليسوا بمستهزئين كما ينبئ عنه تخصيص الخطاب في قوله تعالى يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الآية وقرئ بالجر عطفا على الموصول الاخير ويعضده قراءة ابي ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين

ومن الذين اشركوا فهم ايضا من جملة المستهزئين اولياء . . . وجانبوهم كل المجانبة واتقوا الله في ذلك بترك موالاتهم او بترك المناهي على الاطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولا اوليا ان كنتم مؤمنين اي حقا فان قضية الايمان توجب الاتقاء لا محالة واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها اي الصلوة او المناداة ففيه دلالة على شرعية الاذان هزوا ولعبا بيان لاستهزائهم بحكم خاص من احكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على الاطلاق اظهارا لكمال شقاوتهم روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع الاذان يقول اشهد ان محمدا رسول الله يقول احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نائم فتطايرت منها شرارة في البيت فاحرقته واهله جميعا ذلك اي الاستهزاء المذكور بانهم بسبب انهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بمحاسن الحق والتهزيه ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترؤا على تلك العظيمة قل امر لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب بعد نهي المؤمنين عن تولي المستهزئين بان يخاطبهم ويبين ان الدين منزه عما يصحح صدور ما يصدر عنهم من الاستهزاء ويظهر لهم بسبب ما ارتكبوه ويلقمهم الحجر اي قل لاولئك الفجرة يا اهل الكتاب وصفوا باهلية الكتاب تمهيدا لما سياتي من تبكيتهم والزامهم بكفرهم بكتابهم هل تنقمون منا من نقم منه كذا اذا عابه وانكره وكرهه ينقم من حد ضرب وقرئ بفتح القاف من حد علم وهي لغة اي ما تعيبون وما تنكرون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا من القران المجيد وما انزل من قبل اي من قبل انزاله من التورية والانجيل المنزلين عليكم وسائر الكتب الالهية وان اكثركم فاسقون اي متمردون خارجون عن الايمان بما ذكر فان الكفر بالقران مستلزم للكفر بما يصدقه لا محالة وهو عطف على ان آمنا على انه مفعول له تنقمون والمفعول الذي هو الدين محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه دلالة واضحة فان اتخاذ الذين هزوا ولعبا عين نقمه وانكاره والايمان بما فصل عين الدين الذي نقموه خلا انه ابرز في معرض علة نقمهم له تسجيلا عليهم بكمال المكابرة والتعكيس حيث جعلوه موجبا لنقمه مع كونه في نفسه موجبا لقبوله وارتضائه فالاستثناء من اعم العلل اي ما تنقمون منا دينا لعلة من العلل الا لان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل من كتبكم ولان اكثركم متمردون غير مؤمنين بواحد مما ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق بصحة كتابنا لآمنتم به واسناد الفسق لاكثرهم انهم الحاملون لاعقابهم على التمرد والعناد وقيل عطف عليه على انه مفعول تنقمون لكن لا على ان المستثنى مجموع المعطوفين بل هو ما يلزمهما من المخالفة كانه قيل ما تنقمون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون عنه وقيل على حذف المضاف اي واعتقاد ان اكثركم فاسقون وقيل عطف على ما اي ما تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وبانكم فاسقون وقيل عطف على علة محذوفة اي لقلة انصافكم ولان اكثركم فاسقون وقيل الواو بمعنى مع اي ما تنقمون منا الا الايمان مع ان اكثركم الخ وقيل هو منصوب بفعل مقدر دل عليه المذكور اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم معلوم او ثابت والجملة حالية او معترضة وقرئ بان المكسورة والجملة مستانفة مبينة لكون اكثرهم فاسقين متمردين . . . قل هل انبئكم لما امر عليه السلام بالزامهم وتبكيتهم ببيان ان مدار نقمهم للدين انما هو اشتماله على ما يوجب ارتضائه عندهم ايضا وكفرهم بما هو مسلم لهم امر عليه السلام

عقيبه بان تبكيتهم ببيان ان الحقيق بالنقم والعيب حقيقة ما هو عليه من الدين المحرف وينعى عليهم في
ضمن البيان جناياتهم وما حاق بهم من تبعاتها وعقوباتها على منهاج التعريض لئلا يحملهم التصريح بذلك
على ركوب متن المكابرة والعناد ويخاطبهم قبل البيان بما ينبئ عن عظم شان المبين ويستدعي اقبالهم
على تلقيه من الجملة الاستفهامية المشوقة الى المخبر به والتنبئة المشعرة بكونه امرا خطيرا لما ان النبأ هو الخبر
الذي له شان وخطر حيث كان مناط النقم شرية المنقوم حقيقة او اعتقادا وكان مجرد النقم غير مفيد
لشريته البتة قيل بشر من ذلك ولم يقل بانقم من ذلك تحقيقا لشرية ما سيذكر وزيادة تقرير لها وقيل
انما قيل ذلك لوقوعه في عبارة المخاطبين حيث اتى نفر من اليهود فسالوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
عن دينه فقال عليه السلام اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فحين سمعوا ذكر عيسى عليه
السلام قالوا لا نعلم شرا من دينكم وانما اعتبر الشرية بالنسبة الى الدين وهو منزه عن شائبة الشرية
بالكلية مجاراة معهم على زعمهم الباطل المنعقد على كمال شريته ليثبت ان دينهم شر من كل شر اي هل اخبركم
بما هو شر في الحقيقة مما تعتقدونه شرا وان كان في نفسه خيرا محضا مثوبة عند الله اي جزاء ثابتا في حكمه
وقرئ مثوبة وهي لغة فيها كمشورة ومشورة وهي مختصة بالخير كما ان العقوبة مختصة بالشر واي
وضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز من بشر وقوله تعالى عز وجل
من لعنه الله وغضب عليه خبر لمبتدا محذوف بتقدير مضاف قبله مناسب لما اشير اليه بكلمة ذلك اي دين
من لعنه الخ او بتقدير مضاف قبلها يناسب لمن اي بشر من اهل ذلك والجملة على التقديرين استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشا عن الجملة الاستفهامية اما على حالها وهو الظاهر المناسب لسياق النظم الكريم
واما باعتبار التقدير فيها فكانه قيل ما الذي هو شر من ذلك فقيل هو دين من لعنه الله وقيل في
السؤال من ذا الذي هو شر من اهل ذلك فقيل هو من لعنه الله ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية
المهابة وادخال الروعة وتهويل امر اللعن وما تبعه والموصول عبارة عن المخاطبين حيث ابعدهم الله تعالى
من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الايات وسنوح البينات وجعل منهم
القردة والخنازير اي مسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار مائدة عيسى عليه السلام وقيل
كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير والاولين باعتبار لفظه وايثار وضعه موضع ضمير الخطاب بالمناسبة
لانبيئكم للقصد الى اثبات الشرية بما عدد في حيز الصلة من الامور الهائلة الموجبة لها على الطريقة البرهانية
مع ما فيه من الاحتراز عن تهييج لجاجهم وعبد الطاغوت عطف على صلة من وافراد الضمير لما مر وكذا الحكم في
الطاغوت على قراءة البناء للمفعول ورفع الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بمعنى صار معبودا فالراجع الى الموصول
محذوف على القراءتين اي عبد فيهم او بينهم وتقديم اوصافهم المذكورة بصدد اثبات شرية دينهم على وصفهم
بهذا مع انه الاصل المستتبع لها في الوجود وان دلالته على شريته بالذات لان عبادة الطاغوت عين
دينهم البين البطلان ودلالتها عليها بطريق الاستدلال بشرية الاثار على شرية ما يوجبها من الاعتقاد
والعمل اما للقصد الى تبكيتهم من اول الامر بوصفهم بما لا سبيل لهم الى الجحود لا بشريته وفظاعته ولا باتصافهم
به واما للايذان باستقلال كل من المقدم والمؤخر بالدلالة على ما ذكر من الشرية ولو روعي ترتيب
الوجود وقيل من عبد الطاغوت ولعنه الله وغضب عليه الخ لربما فهم ان علة الشرية هي المجموع وقد قرئ

وقد قرئ عابد الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالاضافة على انه نعت كفطن ويقظ وكذا عبدة
الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالاضافة على انه جمع عابد كخدم او على ان اصله عبدة فحذفت
تاؤه للاضافة بالنصب في الكل عطفا على القردة والخنازير وقرئ عبد الطاغوت بالجر عطفا
على من بناء على انه مجرور بتقدير المضاف وقد قيل ان من مجرور على انه بدل من شر على احد الوجهين
المذكورين في تقدير المضاف وانت خبير بان ذلك مع اقتضائه اخلاء النظم الكريم عن المزايا
المذكورة مما لا سبيل اليه ضرورة ان المقصود الاصلي ليس مضمون الجملة الاستفهامية بل
هي كما عرفت مقدمة سيقت امام المقصود لتهيئة المخاطبين وتوجيه اذهانهم نحو تلقي ما يلقى اليهم عقيبها
بجملة خبرية موافقة في الكيفية للسؤال الناشئ منها وهو المقصود افادة وعليه يدور فلك
الالزام والتبكيت حسبما شرح فاذا جعل الموصول بما في حيز صلته من تتمة الجملة الاستفهامية فاتت
الذي يلقى اليهم عقيبها جوابا عما نشأ منها من السؤال ليحصل به الالزام والتبكيت واما الجملة
الاتية فمعزول عن صلاحية الجواب كيف لا ولا بد من موافقته في الكيفية للسؤال الناشئ من الجملة
الاستفهامية وقد عرفت ان السؤال الناشئ منها يستدعي وقوع الشر من تتمة المخبر عنه لا خبرا
كما في الجملة المذكورة وسيتضح ذلك مزيد اتضاح بإذن الله تعالى والمراد بالطاغوت العجل وقيل هو الكهنة
وكل من اطاعوه في معصية الله تعالى فيعم الحكم دين النصارى ايضا ويتضح وجه تاخير ذكر عبادته عن العقوبات
المذكورة اذ لو قدمت عليها لتوهم اشتراك الفريقين في تلك العقوبات ولما كان مآل ما ذكر بصدد التبكيت
ان ما هو شر مما نقموه دينهم او ان من هو شر من اهل ما نقموه انفسهم بحسب ما قدر من المضافين و
كانت الشرية على كلا الوجهين من تتمة الموضوع غير مقصودة الاثبات لدينهم او لانفسهم عقب ذلك
باثباتها لهم على وجه التصريح بعلية ما ذكر من القبائح لثبوتها لهم بجملة مستانفة مسوقة من جهته تعالى
شهادة عليهم بكمال الشرارة والضلال او داخلة تحت الامر تاكيدا للالزام وتشديدا للتبكيت
فقيل اولئك شر مكانا فاسم الاشارة عبارة عمن ذكرت صفاتهم الخبيثة وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلتهم في الشرارة اي اولئك الموصوفون بتلك القبائح والفضائح شر مكانا جعل مكانهم شرا
ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل شر مكانا اي منصرفا واضل عن سواء السبيل عطف
على شر مقرر له اي اكثر ضلالا عن الطريق المستقيم وفيه دلالة على كون دينهم ضلالا بينا لا غاية وراءه
وصيغة التفضيل في الموضعين للزيادة مطلقا لا بالاضافة الى من يشاركهم في اصل الشرارة والضلال
واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فالخطاب للرسول والجمع للتعظيم او له مع من عنده من المسلمين اي
اذا جاؤكم اظهروا الاسلام وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من
فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا بما فيها
من معنى التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يظنه ويتوقع
ان يظهره الله تعالى ولذلك قيل والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد شديد لهم وترى

خطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب والرؤية بصرية كثيرا منهم
من اليهود والمنافقين وقوله تعالى يسارعون في الاثم حال من كثيرا وقيل مفعول ثان للرؤية قلبية والاول
انسب بحالهم وظهور نفاقهم والمسارعة المبادرة والمباشرة للشيء بسرعة وايثار كلمة في على كلمة الى الواقعة
في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم لما ذكر في قوله تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون فيهم والمراد بالاثم
الكذب على الاطلاق وقيل الحرام وقيل كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل هو ما يختص بهم من الاثام
والعدوان اي الظلم المتعدي الى الغير او مجاوزة الحد في المعاصي واكلهم السحت اي الحرام خصه بالذكر مع اندراجه
في الاثم للمبالغة في التقبيح لبئس ما كانوا يعملون اي لبئس شيئا كانوا يعملونه والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
للدلالة على الاستمرار لولا ينهاهم الربانيون والاحبار قال الحسن الربانيون علماء الانجيل والاحبار
علماء التورية وقيل كلهم في اليهود وهو تحضيض للذين يقتدي بهم افناؤهم ويعلمون قباحة ما هم فيه وسوء
مغبته على نهي اسلافهم عن ذلك مع توبيخ لهم على تركه عن قولهم الاثم واكلهم السحت مع علمهم بقبحهما ومشاهدتهم
لمباشرتهم لهما لبئس ما كانوا يصنعون وهذا ابلغ مما قيل في حق عامتهم لان العمل لا يبلغ
درجة الصنع ما لم يترب فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة تامة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من
مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ ذم وفيه
مما ينعى على العلماء توانيهم في النهي عن المنكرات ما لا يخفى وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انها اشد اية
في القران وعن الضحاك ما في القران اية اخوف عندي منها وقالت اليهود قال ابن عباس وعكرمة
والضحاك ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله تعالى
بان كفروا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكذبوه كف عنهم ما بسط عليهم فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء
يد الله مغلولة وحيث لم ينكر عليه الاخرون ورضوا به نسبت تلك العظيمة الى الكل كما يقال بنو فلان
قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم وارادوا بذلك لعنهم الله تعالى انه سبحانه ممسك بالرزق فان كلا من
غل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك الى اثبات يد وغل او بسط الا يرى انهم يستعملونه
حيث لا يتصور فيه ذلك كما في قوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل * شكرت نداه تلاعه ووهاده ولقد
سلكت لبيد هذا المسلك السديد حيث قال * وغداة ريح قد شهدت وقرة * اذ اصبحت بيد الشمال زمامها
فانه انما اراد بذلك اثبات القدرة التامة للشمال على التصرف في القرة كيفما تشاء على طريقة المجاز من غير
ان يخطر بباله ان يثبت لها يدا ولا للقرة زماما واصله كناية فيمن يجوز عليه ارادة المعنى الحقيقي كما في قوله تعالى
ولا ينظر اليهم يوم القيمة في سورة ال عمران وقيل ارادوا ما حكى عنهم بقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا
ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم دعاء عليهم بالبخل المذموم والمسكنة او بالفقر
والنكد او بغل الايدي حقيقة بان يكونوا اسارى مغلولين في الدنيا ويسحبوا الى النار باغلالها في الاخرة
فتكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة المعنى الاصلي كما في ولعنوا
عطف على الدعاء الاول اي ابعدوا من رحمة الله تعالى بما قالوا اي بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء
وقيل كلاهما خبر بل يداه مبسوطتان عطف على مقدر يقتضيه المقام اي كلا ليس كذلك بل هو في غاية
ما يكون من الجود واليه اشير بتثنية اليد فان اقصى ما ينتهي اليه همم الاسخياء ان يعطوا ما يعطونه بكلتا يديهم وقيل

وقيل التثنية للتنبيه على منحه تعالى لنعمتي الدنيا والاخرة وقيل على عطائه اكراما وعلى عطائه استدراجا
ينفق كيف يشاء جملة مستانفة واردة لتاكيد كمال جوده وللتنبيه على سر ما ابتلوا به من الضيق الذي
اتخذوه من غاية جهلهم وضلالهم ذريعة الى الاجتراء على تلك الكفرة العظيمة والمعنى ان ذلك ليس لقصور في فيضه
بل لان انفاقه تابع لمشيئته المبنية على الحكم التي عليها يدور امر المعاش والمعاد وقد اقتضت الحكمة بسبب ما فيهم من
شؤم المعاصي ان يضيق عليهم كما يشير اليه ما سياتي من قوله تعالى ولو انهم اقاموا التورية والانجيل الاية وكيف
ظرف ليشاء والجملة في حيز النصب على الحالية من ضمير ينفق اي ينفق كائنا على اي حال يشاء اي كائنا على مشيئته
اي مريدا او ترك ذكر ما ينفقه لقصد التعميم وليزيدن كثيرا منهم وهم علماؤهم ورؤساؤهم ما انزل
اليك من القران المشتمل على هذه الايات وتقديم المفعول للاعتناء به وتخصيص الكثير منهم بهذا
الحكم لما ان بعضهم ليس كذلك من ربك متعلق بانزل كما ان اليك كذلك وتاخيره عنه مع ان حق المبتداء
ان يتقدم على المنتهى لما اقتضاه الاهتمام ببيان المنتهى لان مدار الزيادة هو النزول اليه عليه السلام
كما في قوله تعالى وانزل اليكم من السماء ماء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
لتشريفه عليه السلام طغيانا وكفرا مفعول ثان للزيادة اي ليزيدنهم طغيانا على طغيانهم وكفرا على
كفرهم القديمين اما من حيث الشدة والغلو واما من حيث الكم الكثرة اذ كلما نزلت اية كفروا بها فيزداد
طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار كما ان الطعام الصالح للاصحاء يزيد المرضى مرضا والقينا بينهم
اي بين اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة العداوة والبغضاء
فلا يكاد يتوافق قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم والجملة مبتداة مسوقة لازاحة ما عسى يتوهم من ذكر طغيانهم
وكفرهم من الاجتماع على امر يؤدي الى اضرار المسلمين قيل العداوة اخص من البغضاء لان كل عدو مبغض
بلا عكس كلي الى يوم القيمة متعلق بالقينا وقيل بالبغضاء كلما اوقدوا نارا للحرب
اطفاها الله تصريح بما اشير اليه من عدم وصول غائلة ما هم فيه الى المسلمين اي كلما ارادوا محاربة
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ورتبوا مباديها وركبوا في ذلك متن كل صعب وذلول ردهم الله تعالى وقهرهم
او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله تعالى عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط
عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب اما صلة لاوقدوا
او متعلق بمحذوف وقع صفة لنارا اي كائنة للحرب ويسعون في الارض فسادا اي يجتهدون
في الكيد للاسلام واهله واثارة الشر والفتنة فيما بينهم مما يغاير ما عبر عنه بايقاد نار الحرب وفسادا
اما مفعول له او في موقع المصدر اي يسعون للفساد او يسعون سعي فساد والله لا يحب المفسدين ولذلك
اطفاء نائرة فسادهم واللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد ووضع المظهر مقام المضمر
للتعليل وبيان كونهم راسخين في الافساد ولو ان اهل الكتاب اي اليهود والنصارى
على ان المراد بالكتاب الجنس المنتظم للتورية والانجيل وانما ذكروا بذلك العنوان للتشنيع فان اهلية
الكتاب توجب ايمانهم به واقامتهم له لا محالة فكفرهم به وعدم اقامتهم له وهم اهله اقبح من كل قبيح
واشنع من كل شنيع ومفعول قوله تعالى امنوا محذوف ثقة لظهوره مما سبق من قوله تعالى
هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون وما لحق من قوله

ولو انهم اقاموا التورية الخ اى لو انهم مع ما صدر عنهم من فنون الجنايات قولا وفعلا امنوا بما نعى عليهم
الايمان به فيندرج فيه فرض ايمانهم برسول الله تعالى صلى الله تعالى عليه وسلم واما ارادة ايمانهم به خاصة
فيأباها المقام لان ما ذكر فيما سبق وما لحق من كفرهم به عليه السلام انما ذكر مشفوعا بكفرهم بكتابهم ايضا
قصدا الى الالزام والتبكيت ببيان ان الكفر به عليه السلام مستلزم للكفر بكتابهم فحمل الايمان ههنا
على الايمان به عليه السلام خاصة مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم واتقوا ...... ما عددنا من
معاصيهم التى من جملتها مخالفة كتابهم لكفرنا عنهم سيئاتهم التى اقترفوا وان كانت فى غاية العظم
ونهاية الكثرة ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم مع ذلك جنات النعيم وتكرير اللام لتأكيد الوعد
وفيه تنبيه على كمال عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم وان الاسلام يجب ما قبله من السيئات وان جلت وجاوزت
كل حد معهود ولو انهم اقاموا التورية والانجيل بمراعاة ما فيهما من الاحكام التى من جملتها شواهد النبوة صلى الله
تعالى عليه وسلم ومبشرات بعثته فان اقامتهما انما تكون بذلك بمراعاة جميع ما فيهما من الاحكام لانتساخ بعضها بنزول
القران فليست مراعاة الكل من اقامتهما فى شئ وما انزل اليهم من ربهم من القران المجيد المصدق لكتبهم وايراده
بهذا العنوان للايذان بوجوب اقامته عليهم لنزوله اليهم وللتصريح ببطلان ما كانوا يدعونه من عدم نزوله الى بنى
اسرائيل وتقديم اليهم لما مر من قبل وفى اضافة الرب الى ضميرهم مزيد لطف بهم فى الدعوة الى الاقامة وقيل
المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بنى اسرائيل مثل كتاب شعيا وكتاب حبقوق وكتاب دانيال فانها مملوءة بالبشارة
بمبعثه عليه السلام لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اى لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات
السماء والارض او بان يكثر ثمرات الاشجار وغلال الزرع او بان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنوا ما تهدل منها
من رؤس الاشجار ويلتقطوا ما تساقط منها على الارض وقيل المراد المبالغة فى شرح السعة والخصب لا تعيين
الجهتين كانه قيل لاكلوا من كل جهة ومفعول اكلوا محذوف لقصد التعميم او للقصد الى نفس الفعل كما فى قولهم
فلان يعطى ويمنع ومن فى الموضعين لابتداء الغاية وفى هاتين الشرطيتين من حثهم على ما ذكر من الايمان
والتقوى والاقامة بالوعد بنيل سعادة الدارين وزجرهم عن الاخلال به بما ذكر ببيان افضائه الى حرمان
عنهما وتنبيههم على ان ما اصابهم من الضنك والضيق انما هو من شؤم جناياتهم لا لقصور فى فيض الفياض
ما لا يخفى منهم امة مقتصدة جملة مستأنفة مبنية على سؤال نشأ من مضمون الجملتين المصدرتين بحرف
الامتناع الدالتين على انتفاء الايمان والاتقاء واقامة الكتب المنزلة من اهل الكتاب كانه قيل هل كلهم كذلك
مصرون على عدم الايمان الخ فقيل منهم امة مقتصدة اما على ان منهم مبتدأ باعتبار مضمونه اى بعضهم امة واما
بتقدير الموصوف اى بعض كائن منهم كما فى قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر اى
طائفة معتدلة وهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واضرابه وثمانية واربعون من النصارى وقيل طائفة حالهم
امم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير منهم مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره
ساء ما يعملون اى مقول فى حقهم هذا القول اى بئس ما يعملون وفيه معنى التعجب اى ما اسوأ عملهم
من العناد والمكابرة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط فى العداوة وهم الاجلاف المتعصبون ككعب
ابن الاشرف واشياعه والروم يا ايها الرسول نودى عليه الصلوة والسلام بعنوان الرسالة
تشريفا له وايذانا بانها من موجبات الاتيان بما امر به من تبليغ ما اوحى اليه بلغ ما انزل اليك اى جميع

اى جميع ما انزل اليك من الاحكام وما يتعلق بها كائنا ما كان وفى قوله تعالى من ربك اى مالك امرك
ومبلغك الى كمالك اللائق بك عدة ضمنية بحفظه عليه السلام وكلاءته اى بلغه غير مراقب فى ذلك احدا ولا خائف
ان ينالك مكروه ابدا وان لم تفعل اى ما امرت به من تبليغ الجميع بالمعنى المذكور كما ينبئ عنه قوله تعالى
فما بلغت رسالته فان ما لا يتعلق به الاحكام اصلا من الاسرار الخفية ليست مما يقصد تبليغه الى الناس
اى فما بلغت شيئا من رسالته وانسلخت مما شرفت به من عنوان الرسالة بالمرة لما ان بعضها ليس اولى بالاداء
من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداء جميعها كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء
كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك فى حكم شئ واحد ولا ريب فى ان الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير
مؤمن به ولان كتمان بعضها اضاعة لما ادى منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض بذلك
وقيل فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله تعالى فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل
سواء فى الشناعة واستجلاب العقاب وقرئ فما بلغت رسالاته وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان
كتمت اية لم تبلغ رسالاتى وروى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثنى الله برسالاته فضقت بها ذرعا
فاوحى الله تعالى الى ان لم تبلغ رسالاتى عذبتك وضمن لى العصمة فقويت وفى ذلك قوله تعالى والله يعصمك
من الناس فانه كما ترى عدة كريمة بعصمته من لحوق ضررهم بروحه العزيز باعثة له عليه السلام على الجد فى
تحقيق ما امر به من تبليغ غير مكترث بعداوتهم وكيدهم وعن انس رضى الله عنه عنه عليه السلام كان يحرس حتى
نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس قد عصمنى الله تعالى من الناس وقوله تعالى ان الله
لا يهدى القوم الكافرين تعليل لعصمته تعالى له عليه السلام اى لا يمكنهم مما يريدون بك من الاضرار وايراد الاية الكريمة
فى تضاعيف الايات الواردة فى حق اهل الكتاب لما ان الكل قوارع يسوء الكفار سماعها ويشق على الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم مشافهتهم بها وخصوصا ما يتلوها من النص الناطق عليهم بكمال ضلالهم ولذلك اعيد
الامر فقيل قل يا اهل الكتاب مخاطبا للفريقين لستم على شئ اى دين يعتد به ويليق بان
يسمى شيئا لظهور بطلانه ووضوح فساده وفى هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غاية وراءه حتى تقيموا
التورية والانجيل اى تراعوهما وتحافظوا على ما فيهما من الامور التى من جملتها دلائل رسالة الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم وشواهد نبوته فان اقامتهما انما تكون بذلك واما مراعاة احكامهما المنسوخة فليست
من اقامتهما فى شئ بل هى تعطيل لهما ورد لشهادتهما لانهما شاهدان بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادتهما
بصحة ما ينسخها شهادة بنسخها وبخروجها عن كونها من احكامهما وان احكامهما ما قرره النبى المبشر فيهما
ببعثته وذكر فى تضاعيفهما نعوته فاذن اقامتهما بالايمان بشواهد النبوة والعمل بما قرره الشريعة من الاحكام كما
يفصح عنه قوله تعالى وما انزل اليكم من ربكم اى القران المجيد بالايمان به فان اقامة الجميع لا تتأتى بغير ذلك وتقديم
اقامة الكتابين على اقامته مع انها المقصودة بالذات لرعاية حق الشهادة واستنزالهم عن رتبة الشقاق
وايراده بعنوان الانزال اليهم لما مر من التصريح بانهم مامورون باقامته والايمان به لا كما يزعمون من اختصاصه
بالعرب وفى اضافة الرب الى ضميرهم ما اشير اليه من اللطف فى الدعوة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء
بنى اسرائيل كما مر وقيل الكتب الالهية فانها باسرها امرة بالايمان بمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب
الطاعة له روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان جماعة من اليهود قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم الستَ تقرّ ان التورية حق من عند الله تعالى فقال عليه السلام بلى فقالوا انا نؤمن بها ولا نؤمن بغيرها فنزلت

طغيانا وكفرا

وقوله تعالى وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك جملة مستأنفة مبينة لشدة شكيمتهم وغلوهم في
المكابرة والعناد وعدم افادة التبليغ نفعا وتصديرها بالقسم لتأكيد مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد بالكثير
المذكور علماؤهم ورؤساؤهم ونسبة الانزال الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع نسبته فيما مر اليهم للانباء
عن انسلاخهم عن تلك النسبة فلا تأس على القوم الكافرين اى لا تتأسف ولا تحزن عليهم
لافراطهم في الطغيان والكفر بما تبلغه اليهم فان غائلته آيلة اليهم وتبعته حائقة بهم لا تتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة
لك عنهم ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر ان الذين آمنوا كلام مستأنف
لترغيب من عدا المذكورين في الايمان والعمل الصالح اى الذين آمنوا بألسنتهم فقط وهم المنافقون وقيل من لم
يواطئها قلوبهم اولا والذين هادوا اى دخلوا في اليهودية والصابئون والنصارى جمع نصران وقد مر
تفصيله في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز ان
والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار
بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق خلا انه وسط بين اسم ان وخبرها دلالة على ان
الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيغهم عن الاديان كلها حيث قبلت توبتهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فغيرهم
اولى بذلك وقيل الجملة الآتية خبر للمبتدأ المذكور وخبر ان مقدر كما في قوله نحن بما عندنا وانت بما عندك
راض والرأي مختلف وقيل والنصارى مرفوع على الابتداء كقوله والصابئون عطف عليه ومع خبره عطف على
الجملة المصدرة بانّ ولا مساغ لعطفه على محل ان واسمها لاشتراطه ذلك بالفراغ عن الخبر والا لارتفع الخبر بانّ و
الابتداء معا واعتذر عنه بان ذلك اذا كان المذكور خبرا لهما واما اذا كان خبر المعطوف محذوفا فلا محذور فيه
ولا على الضمير في هادوا لعدم التأكيد والفصل ولاستلزامه كون الصابئين هودا وقرئ والصابيون بياء صريحة
بتخفيف الهمزة وقرئ والصابون وهو من صبا يصبو لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم
وقرئ والصابئين وقرئ يا ايها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وقوله تعالى من آمن بالله

صالحا

واليوم الآخر وعمل اما في محل الرفع على انه مبتدأ خبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والفاء لتضمن المبتدأ معنى
الشرط وجمع الضمائر الاخيرة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما في صلته باعتبار لفظه والجملة خبر ان والعائد الى اسمها
محذوف اى من آمن منهم واما في محل النصب على انه بدل من اسم ان وما عطف عليه والخبر قوله تعالى فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون والفاء كما في قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب
جهنم الآية فالمعنى على تقدير كون المراد بالذين آمنوا المنافقين وهؤلاء من احدث من هذه الطوائف
ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد على الوجه اللائق لا كما يزعمه اهل الكتاب فان ذلك بمعزل من ان يكون
ايمانا بهما وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بهما فلا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون
حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه
كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب
المقام واما على تقدير كون المراد بالذين آمنوا مطلق المتدينين بدين الاسلام المخلصين منهم والمنافقين
فالمراد بمن آمن من اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدأ والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق

الثبات والدوام عليه كايمان المخلصين او بطريق الاحداث والانشاء كايمان من عداهم من المنافقين و
سائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين المبالغة في ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تأخرهم في الاتصاف
به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين الاعلام واما ما قيل من ان المعنى من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا
بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا كما مر تفصيله في سورة البقرة لقد اخذنا
ميثاق بني اسرائيل كلام مبتدأ مسوق لبيان بعض آخر من جناياتهم المنادية باستبعاد الايمان منهم اى وبالله
لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الشرائع والاحكام المكتوبة عليهم في التورية وارسلنا اليهم رسلا
ذوى عدد كثير واولي شأن خطير ليقفوهم على مراعاة حقوق الميثاق ويطلعوهم على ما يأتون وما يذرون
في دينهم ويتعهدوهم بالعظة والتذكير وقوله تعالى كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم جملة شرطية
مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار باخذ الميثاق وارسال الرسل وجواب الشرط محذوف
كأنه قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل كلما جاءهم رسول من اولئك الرسل بما لا تحبه انفسهم المنهمكة في الغي
والفساد من الاحكام الحقة والشرائع عصوه وعادوه وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب
مستأنف عن استفسار كيفية ما اظهروه من آثار المخالفة المفهومة من الشرطية على طريقة الاجمال كأنه قيل
كيف فعلوا بهم فقيل فريقا منهم كذبوهم من غير ان يتعرضوا لهم بشئ آخر من المضار وفريقا آخر منهم
لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم ايضا وانما اوثر عليه صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار
صورتها الهائلة للتعجيب منها وللتنبيه على ان ذلك ديدنهم المستمر وللمحافظة على رؤس الآي الكريمة وتقديم
فريقا في الموضعين للاهتمام به وتشويق السامع الى ما فعلوه بهم لا للقصر هذا واما جعل الشرطية صفة لرسلا كما ذهب
اليه الجمهور فلا يساعده المقام اصلا ضرورة ان الجملة الخبرية اذا جعلت صفة او صلة يفسخ ما فيها من الحكم ويجعل
عنوانا للموصوف وتتمة له في اثبات امر آخر له ولذلك يجب ان يكون الوصف معلوم الانتساب الى الموصوف عند
السامع قبل جعله وصفا له ومن هاهنا قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات
ولا ريب في ان ما سيق له النظم انما هو بيان انهم جعلوا كل من جاءهم من رسل الله تعالى عرضة للقتل او التكذيب
حسبما يفيده جعلها استئنافا على ابلغ وجه وآكده لا بيان ان الله تعالى ارسل اليهم رسلا موصوفين بكون كل منهم
كذلك كما هو مقتضى جعلها صفة وحسبوا ان لا تكون فتنة اى حسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم
من الله تعالى بما اتوا من الداهية الدهياء والخطة الشنعاء بلاء وعذاب وقرئ لا تكون بالرفع على ان ان
هي المخففة من انّ واسمها ضمير الشأن المحذوف واصله انه لا تكون فتنة وتعلق فعل الحسبان بها وهي
للتحقيق لتنزيله منزلة العلم لكمال قوته وان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عطف على حسبوا
والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اى امنوا بأس الله تعالى فتمادوا في فنون الغي والفساد وعموا
عن الدين بعد ما هداهم الرسل الى معالمه الظاهرة وبينوا لهم مناهجه الواضحة وصموا عن استماع
الحق الذي القوه عليهم ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذا اشارة الى المرة الاولى من مرتي افساد بني اسرائيل حين
خالفوا احكام التورية وركبوا المحارم وقتلوا شعيا وقيل حبسوا ارميا عليه السلام لا الى عبادتهم العجل كما
قيل فانها وان كانت معصية عظيمة ناشئة عن كمال العمى والصمم لكنها في عصر موسى عليه السلام ولا تعلق
لها بما حكي عنهم مما فعلوا بالرسل الذين جاؤوهم بعده عليه السلام باعصار ثم تاب الله عليهم

حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد بعد ما كانوا ببابل دهرا طويلا تحت قهر بخت نصر اسارى في غاية
الذل والمهانة فوجه الله تعالى ملكا عظيما من ملوك فارس الى بيت المقدس فعمره وجيء ببقايا بني اسرائيل من اسر
بخت نصر بعد مهلكه وردهم الى وطنهم وتراجع من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلثين سنة فكثروا وكانوا كاحسن
ما كانوا عليه وقيل لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف القى الله عز وجل في قلبه شفقة عليهم فردهم
الى الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر فقامت فيهم الانبياء فرجعوا
الى احسن ما كانوا عليه من الحال وذلك قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم واما ما قيل ان المراد قبول توبتهم
عن عبادة العجل فقد عرفت ان ذلك لا تعلق له بالمقام ولم يسند التوبة اليهم كما اسند اليهم من الحسبان والعمى
والصمم تجافيا عن التصريح بنسبة الخير اليهم وانما اشير اليها في ضمن بيان توبته تعالى عليهم تمهيدا لبيان نقضهم اياها
بقوله تعالى ثم عموا وصموا وهو اشارة الى المرة الاخيرة من مرتي افسادهم وهو اجتراؤهم
على قتل زكريا ويحيى وقصدهم قتل عيسى عليهم السلام لا الى طلبهم الرؤية كما قيل لما عرفت سره فان تلك
الجنايات الصادرة عنهم لا تكاد تتناهى خلا ان الخصال ما حكي عنهم ههنا في المرتين وترتيبه على حكاية ما فعلوا
بالرسل عليهم السلام يقتضي بان المراد ما ذكرناه والله عنده علم الكتاب وقرئ عموا وصموا بالضم على
تقدير عماهم الله وصمهم اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته
اذا ضربته بركبتك وقوله تعالى كثير منهم بدل من الضمير في الفعلين وقيل خبر مبتدأ محذوف
اي اولئك كثير منهم والله بصير بما يعملون اي بما عملوا وصيغة المضارع لحكاية الحال
الماضية استحضارا لصورتها الفظيعة ورعاية للفواصل والجملة تذييل اشير به الى بطلان حسبانهم المذكور
ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا اشارة اجمالية اكتفي بها تعويلا على ما فصل نوع تفصيل في سورة
بني اسرائيل والمعنى حسبوا ان لا يصيبهم عذاب ففعلوا ما فعلوا من الجنايات العظيمة المستوجبة لاشد
العقوبات والله بصير بتفاصيلها لا يؤاخذهم بها ومن اين لهم ذلك الحسبان الباطل
ولقد وقع ذلك في المرة الاولى حيث سلط الله تعالى عليهم بخت نصر عامل لهراسب على بابل وقيل
جالوت الجزري وقيل سنجاريب من اهل نينوى والاول هو الاظهر واستولى على بيت المقدس
فقتل من اهله اربعين الفا ممن يقرأ التورية وذهب بالبقية الى ارضه فبقوا هناك على اقصى
ما يكون من الذل والنكد الى ان احدثوا توبة صحيحة فردهم الله تعالى الى ما حكي عنهم من حسن الحال
ثم عادوا الى المرة الاخيرة من الفساد فبعث الله تعالى عليهم الوس فغزاهم ملك بابل من ملوك
الطوائف اسمه خودرود وقيل خودوس ففعل بهم ما فعل وقيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم
فوجد فيه دما يغلي فسألهم فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم ثم قال
ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى عليه السلام فقال بمثل هذا ينتقم الله تعالى
منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان
لا ابقي احدا منهم فهدأ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم شروع في تفصيل
قبائح النصارى وابطال اقوالهم الفاسدة بعد تفصيل قبائح اليهود وهؤلاء هم الذين قالوا ان مريم
ولدت الها قيل هم الملكانية واليعقوبية منهم وقيل هم اليعقوبية خاصة قالوا ومعنى هذا ان الله تعالى

ان الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذاته تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقال المسيح حال من فاعل
قالوا بتقدير قد مفيدة لمزيد تقبيح حالهم ببيان تكذيبهم للمسيح وعدم انزجارهم عما اصروا عليه بما اوعد
هم له اي قالوا كذلك وقد قال المسيح مخاطبا لهم يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم فاني عبد
مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه اي الشأن من يشرك بالله اي شيئا في عبادته او فيما يختص
به من صفات الالوهية فقد حرم الله عليه الجنة فلن يدخلها ابدا كما لا يصل المحرم عليه الى المحرم فانها دار الموحدين و
اظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتهويل الامر وتربية المهابة ومأواه النار فانها هي المعدة للمشركين
وهذا بيان لابتلائهم بالعقاب اثر بيان حرمانهم الثواب وما للظالمين من انصار اي ما لهم من احد ينصرهم
بانقاذهم من النار اما بطريق المغالبة او بطريق الشفاعة والجمع لمراعاة المقابلة بالظالمين واللام للعهد و
الجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد باعتبار لفظها في الضمائر الثلاثة واما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا
ووضعه على الاول موضع الضمير للتسجيل عليهم بانهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق والجملة تذييل
مقرر لما قبله وهو اما من تمام كلام عيسى عليه السلام واما وارد من جهته تعالى تأكيدا لمقالته عليه السلام
وتقريرا لمضمونها وقد قيل انه من كلامه عز وجل على معنى انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما يقولوا على
عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا معظمين له بذلك
ورافعين من مقداره او من قول عيسى عليه السلام على معنى لا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم
عليه لاستحالته وبعده عن المعقول وانت خبير بان التعبير عما حكي عنه عليه السلام من مقابلته لقولهم
الباطل بصريح الرد والانكار والوعيد بحرمان الجنة ودخول النار بمجرد عدم مساعدته على ذلك ونفي
نصرته له مع خلوه عن الفائدة تصوير للقوي بصورة الضعيف وتهوين للخطب في مقام تهويله بل ربما
يوهم ذلك بحسب الظاهر ما لا يليق بشأنه عليه السلام من نوع المساعدة والنصرة لا سيما مع حكاية
قوله وان كانوا معظمين له اذ الآن يحمل الكلام على التهكم به وكذا الحال على تقدير كونه من تمام كلامه عليه
السلام فان زجره اياهم عن قولهم الفاسد بما ذكر من عدم الناصر والمساعد بعد زجره اياهم
بما مر من الرد الاكيد والوعيد الشديد بمعزل من الافادة والتأثير ولا سبيل ههنا الى الاعتذار
بالتهكم لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة شروع في بيان كفر طائفة اخرى منهم ومعنى قولهم ثالث
ثلثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب
ما بعده بان يقال ثالث ثلثة ورابع اربعة وانما ينصبه اذا كان ما بعده دونه بمرتبة كما في قولك عاشر تسعة
وتاسع ثمانية قيل انهم يقولون الالهية مشتركة بين الله تعالى وعيسى ومريم وكل واحد من هؤلاء آلهة
ويؤكده قوله تعالى للمسيح أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فقوله تعالى ثالث ثلثة
اي احد ثلثة آلهة وهو المتبادر من ظاهر قوله تعالى وما من اله الا اله واحد اي والحال انه
ليس في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف
بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وقيل انهم يقولون الله جوهر واحد
ثلثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل
الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحيوة فمعنى قوله تعالى وما من اله الا اله واحد بالذات منزه عن شائبة

التفرد بوجه من الوجوه وإن لم ينتهوا عما يقولون من الكفر الشنيع ولم يوحدوا وقوله تعالى ليمسن الذين كفروا
جواب قسم محذوف ساد مسد جواب الشرط أي والله إن لم ينتهوا ليمسنهم وإنما وضع موضع ضميرهم الموصول
لتكرير الشهادة عليهم بالكفر ومن في قوله تعالى منهم بيانية أي ليمسن الذين بقوا منهم على ما كانوا
عليه من الكفر أو من تبعيضية وإنما جيء بالفعل المنبئ عن الحدوث تنبيها على أن الاستمرار عليه بعد ورود ما ينحي
عليه بالقلع من نص عيسى عليه السلام وغيره كفر جديد وغلو زائد على ما كانوا عليه من أصل الكفر عذاب أليم
أي نوع شديد الألم من العذاب والهمزة للاستفهام في قوله تعالى أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه لإنكار الواقع
واستبعاده لا لإنكار الوقوع وفيه تعجيب من إصرارهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي ألا ينتهون عن
تلك العقائد الزائغة والأقاويل الباطلة فلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه
إليه من الاتحاد والحلول فمقدار الإنكار والتعجيب عدم الانتهاء وعدم التوبة معا أو يسمعون هذه الشهادات
المكررة والتشديدات المقررة فلا يتوبون عقيب ذلك فمدارهما عدم التوبة عقيب تحقق ما يوجبها من
سماع تلك القوارع الهائلة وقوله تعالى والله غفور رحيم جملة حالية من فاعل يستغفرونه مؤكدة
للإنكار والتعجيب من إصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم إلى الاستغفار أي والحال أنه تعالى مبالغ في المغفرة فيغفر
لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله ما المسيح ابن مريم إلا رسول استئناف مسوق لتحقيق الحق الذي لا محيد عنه و
بيان حقيقة حاله عليه السلام وحال أمه بالإشارة أولا إلى أشرف ما لهما من نعوت الكمال التي بها صارا من
زمرة أكمل أفراد الجنس وآخرا إلى الوصف المشترك بينهما وبين جميع أفراد البشر بل أفراد الحيوان استنزالا
لهم بطريق التدريج عن رتبة الإصرار على ما تقولوا عليهما وإرشادا لهم إلى التوبة والاستغفار أي هو مقصور
على الرسالة لا يكاد يتخطاها وقوله تعالى قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول منبئة عن اتصافه
بما ينافي الألوهية فإن خلو الرسل السالفة عليهم السلام منذر بخلوه المقتضي لاستحالة الألوهية أي ما هو إلا
رسول كالرسل الخالية من قبله خصه الله تعالى ببعض من الآيات كما خص كلا منهم ببعض آخر منها فإن أحيى
الموتى على يده فقد أحيى العصا في يد موسى عليه السلام وجعلت حية تسعى وهو أعجب منه وإن خلق من
غير أب فلا أم فقد خلق آدم من غير أب ولا أم وهو أغرب منه وكل ذلك من جنابه عز وجل وإنما موسى وعيسى
مظاهر شئونه وأفعاله وأمه صديقة أي وما أمه أيضا إلا كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق
والتصديق ويبالغن في الاتصاف به فما رتبتهما إلا رتبة بشرين أحدهما نبي والآخر صحابي فمن أين لكم أن
تصفوهما بما لا يوصف به سائر الأنبياء وخواصهم كانا يأكلان الطعام استئناف مبين لما أشير إليه
من كونهما كسائر أفراد البشر في الاحتياج أي يحتاج إليه كل فرد من أفراده بل أفراد الحيوان وقوله عز وجل
انظر كيف نبين لهم الآيات تعجيب من حال الذين يدعون لهما الربوبية ولا يرعوون عن ذلك
بعد ما بين لهم حقيقة حالهما بيانا لا يحوم حوله شائبة ريب وكيف معمول لنبين والجملة في حيز النصب معلقة
أي انظر كيف نبين لهم الآيات الباهرة المنادية ببطلان ما تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه صم الجبال ثم
انظر أنى يؤفكون أي كيف يصرفون عن استماعها والتأمل فيها والكلام فيه كما في ما قبله وتكرير الأمر بالنظر
للمبالغة في التعجيب وثم لإظهار ما بين العجبين من التفاوت أي أن بياننا للآيات أمر بديع في بابه بالغ أقصى
الغايات القاصية من التحقيق والإيضاح وإعراضهم عنها مع انتفاء ما يصححه بالمرة وتعاضد ما يوجب قبولها أعجب

أعجب وأبدع قل أمر له صلى الله تعالى عليه وسلم بإلزامهم وتبكيتهم إثر تعجيبه من أحوالهم أتعبدون من دون الله
أي متجاوزين إياه وتقديمه على قوله تعالى ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق
إلى المؤخر والموصول عبارة عن عيسى عليه السلام وإيثاره على كلمة من لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل من الألوهية
رأسا ببيان انتظامه عليه السلام في سلك الأشياء التي لا قدرة لها على شيء أصلا وهو عليه السلام وإن كان يملك
ذلك بتمليكه تعالى إياه لكنه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر به الله تعالى من البلايا والمصائب وما ينفع به من
الصحة وتقديم الضر على النفع لأن التحرز عنه أهم من تحري النفع ولأن أدنى درجات التأثير دفع الشر ثم جلب
الخير وقوله تعالى والله هو السميع العليم حال من فاعل أتعبدون مؤكدة للإنكار والتوبيخ ومقررة للإلزام
والتبكيت والرابط هو الواو أي أتشركون بالله تعالى ما لا يقدر على شيء من ضركم ونفعكم والحال أن الله تعالى
هو المختص بالإحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات التي من جملتها ما أنتم عليه من الأقوال الباطلة والعقائد
الزائغة والأعمال السيئة وبالقدرة الباهرة على جميع المقدورات التي من جملتها مضاركم ومنافعكم في الدنيا
والآخرة قل يا أهل الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه له إلى فريقي أهل الكتاب بطريق الالتفات
بعد إبطال مسلك كل منهما على لسان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للمبالغة في زجرهم عما سلكوه من المسلك الباطل وإرشاد
لهم إلى الأمم المبين لا تغلوا في دينكم أي لا تتجاوزوا الحد وهو نهي للنصارى عن رفع عيسى عليه السلام
عن رتبة الرسالة إلى ما تقولوا في حقه من العظيمة ولليهود عن وضعهم له عليه السلام عن رتبته العلية إلى ما
تقولوا عليه من الكلمة الشنعاء وقيل هو خاص بالنصارى كما في سورة النساء فذكرهم بعنوان أهلية
الكتاب لتذكير أن الإنجيل أيضا ينهاهم عن الغلو وقوله تعالى غير الحق نصب على أنه نعت لمصدر محذوف
أي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق أي غلوا باطلا وقيل أو حال من ضمير الفاعل أي لا تغلوا مجاوزين الحق أو
من دينكم أي لا تغلوا في دينكم حال كونه باطلا وقيل نصب على الاستثناء المتصل وقيل على المنقطع ولا تتبعوا
أهواء قوم قد ضلوا من قبل هم أسلافهم وأئمتهم الذين قد ضلوا من الفريقين أو من النصارى على القولين
قبل مبعث النبي عليه السلام في شريعتهم وأضلوا كثيرا أي قوما كثيرا ممن شايعهم في الزيغ والضلال أو إضلالا
كثيرا والمفعول محذوف وضلوا عن بعثة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتوضيح محجة الحق وتبيين مناهج
الإسلام عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه وقيل الأول إشارة إلى ضلالهم عن مقتضى
العقل والثاني إلى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا أي لعنهم الله عز وجل وبناء الفعل
للمفعول للجري على سنن الكبرياء من بني إسرائيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول أو من فاعل كفروا وقوله
تعالى على لسان داود وعيسى ابن مريم متعلق بلعن أي لعنهم الله عز وجل في الزبور والإنجيل على لسانهما وقيل
إن أهل أيلة لما اعتدوا في السبت دعا عليهم داود عليه السلام وقال اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخهم
الله تعالى قردة وأصحاب المائدة لما كفروا قال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة
عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل
ما فيهم امرأة ولا صبي ذلك إشارة إلى اللعن المذكور وإيثاره على الضمير للتنبيه على كمال ظهوره وامتيازه
عن نظائره وانتظامه بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإيذان بكمال فظاعته وبعد
درجته في الشناعة والهول وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بما عصوا وكانوا يعتدون والجملة مستأنفة واقعة

موقع الجواب عما نشأ من الكلام كانه قيل باي سبب وقع ذلك فقيل ذلك اللعن الهائل الفظيع بسبب عصيانهم و اعتدائهم المستمر كما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وينبئ عنه قوله تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه فانه استيناف مفيد بعبارته لاستمرار عدم التناهي عن المنكر ولا يمكن استمراره الا باستمرار تعاطي المنكرات وليس المراد بالتناهي النهي عن واحد منهم الاخر عما يفعله من المنكر كما هو المعنى المشهور لصيغة التفاعل بل مجرد صدور النهي عن اشخاص متعددة من غير اعتبار ان يكون واحد منهم ناهيا ومنهيا معا كما تراءى الهلال وقيل التناهي بمعنى الانتهاء يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع عنه وترك فالجملة ح مفسرة لما قبلها من المعصية و الاعتداء ومفيدة لاستمرارهما صريحا وعلى الاول مفيدة لاستمرار انتفاء النهي عن المنكر بان لا يوجد فيما بينهم من يتولاه في وقت من الاوقات ومن ضرورته استمرار فعل المنكر حسبما سبق وعلى التقديرين فما مفيدة لتنكير المنكر من نوعيه لا شخصيته فلا يقدح وصفه بالفعل الماضي في تعلق النهي به لان متعلق الفعل انما هو فرد من افراده ما يتعلق به النهي والانتهاء من مطلق المنكر باعتبار تحققه في ضمن اي فرد كان من افراده على ان المعنى المعتبر انما هو بالنسبة الى زمان النزول لا الى زمان النهي حتى يلزم كون النهي بعد الفعل فلا حاجة الى تقدير المعاودة او المثل او جعل الفعل عبارة عن الارادة على ان المعاودة كالنهي لا تتعلق بالمنكر المفعول فلا بد الى المصير الى احد ما ذكر من الوجهين او الى تقدير المثل او الى جعل الفعل عبارة عن ارادته وفي كل ذلك تعسف لا يخفى

لبئس ما كانوا يفعلون تقبيح لسوء اعمالهم وتعجيب منه بالتوكيد القسمي كيف لا وقد اداهم الى ما شرح من اللعن الكبير وليس في تشبيه بذلك دلالة على خروج كونهم عن السببية مع الاشارة الى السببية فيما سبق من قوله تعالى لعن الذين كفروا فان اجراء الحكم على الموصول مشعر بعلية ما في حيز الصلة له الا ان ما ذكر في حيز السببية مشتمل على كفرهم ايضا ترى كثيرا منهم اي من اهل الكتاب ككعب الاشرف واضرابه حيث خرجوا الى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والرؤية بصرية وقوله تعالى يتولون الذين كفروا حال من كثيرا لكونه موصوفا اي يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين و قيل من منافقي اهل الكتاب يتولون اليهود وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقيل يوالون المشركين ويصافونهم لبئس ما قدمت لهم انفسهم لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على كمال التعلق والارتباط بينهما كانهما شيء واحد ومبالغة في الذم اي موجب سخطه تعالى ومحله الرفع على الابتداء والجملة قبله خبره والرابط عن بشرطه هو العموم او لا حاجة اليه لان الجملة عين المبتدأ او على انه خبر لمبتدأ محذوف ينبئ عنه الجملة المتقدمة كانه قيل ما هو او اي شيء هو فقيل هو ان سخط عليهم وقيل المخصوص بالذم محذوف وما اسم تام معرفة في محل رفع على الفاعلية لفعل الذم وقدمت لهم انفسهم جملة في محل الرفع على انها صفة لمخصوص بالذم قائمة مقامه والتقدير لبئس الشيء شيء قدمت لهم انفسهم فقوله تعالى ان سخط الله عليهم بدل من شيء المحذوف وهذا مذهب سيبويه وفي العذاب اي عذاب جهنم هم خالدون ابد الابدين ولو كانوا اي الذين يتولون المشركين من اهل الكتاب يؤمنون بالله والنبي اي نبيهم وما انزل اليه من الكتاب او لو كان المنافقون يؤمنون بالله ونبينا ايمانا صحيحا ما اتخذوهم اي المشركين او اليهود اولياء ... فان الايمان بما ذكر وازع عن توليهم قطعا ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن الدين

الدين والايمان بالله ونبيهم وكتابهم او متمردون في النفاق مفرطون فيه لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها من قبائح اليهود وعراقتهم في الكفر وسائر احوالهم الشنيعة التي من جملتها موالاتهم المشركين اكدت بالتاكيد القسمي اعتناء ببيان تحقق مضمونها والخطاب اما لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او لكل احد صالح له ايذانا بان حالهم مما لا يخفى على احد من الناس والوجدان متعد الى اثنين احدهما اشد الناس والثاني اليهود وما عطف عليه وقيل بالعكس لانهما في الاصل مبتدأ وخبر وحسب الفائدة هو الخبر لا المبتدأ ولا خير في التقديم والتاخير اذا دل على الترتيب دليل وههنا دليل واضح عليه وهو ان المقصود بيان كون الطائفتين اشد الناس عداوة للمؤمنين لا كون اشدهم عداوة لهم الطائفتين المذكورتين وانت خبير بانه بمعزل من الدلالة على ذلك كيف لا والافادة في الصورة الثانية اتم والكل مع خلوها عن تعسف التقديم والتاخير اذ لا خفاء انك ان قصدت ان تعرف من اشد الناس عداوة للمؤمنين وتتبعت احوال الطوائف طرا في احطت بما لديهم خبرا وبالغت في تعرف احوالهم الظاهرة والباطنة وسعيت في تطلب ما عندهم من الامور البارزة والكامنة لتجدن الاشد تينك الطائفتين لا غير فتامل واللام الداخلة على الموصول متعلقة بعداوة مقوية لعملها ولا يضر كونها مؤنثة بالتاء لانها مبنية عليها كما في قوله ورهبة عقابك وقيل متعلقة بمحذوف هو صفة لعداوة اي كائنة للذين امنوا ووصفهم الله تعالى بذلك لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على التمرد والاستعصاء على الانبياء والاجتراء على تكذيبهم ومناصبتهم وفي تقديم اليهود على المشركين بعد لزهما في قرن واحد اشعار بتقدمهم عليهم في العداوة كما ان في تقديمهم عليهم في قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا ايذانا بتقدمهم عليهم في الحرص ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا اعيد الموصول مع صلته مع الزيادة التوضيح والبيان الذين قالوا انا نصارى عبر عنهم بذلك اشعارا بقرب مودتهم حيث يدعون انهم انصار الله واوداء اهل الحق وان لم يظهروا اعتقاد حقية الاسلام وعلى هذه النكتة مبنى الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم والكلام في مفعولي لتجدن وتعلق اللام كالذي سبق والعدول عن جعل ما فيه التفاوت بين الفريقين شيئا واحدا قد تفاوتا فيه بالشدة والضعف او بالقرب والبعد بان يقال اقرب ولتجدن اضعفهم عداوة الخ او بان يقال او لا لتجدن ابعد الناس مودة الخ للايذان بكمال تباين ما بين الفريقين من التفاوت ببيان ان احدهما في اقصى مراتب احد النقيضين والاخر في اقرب مراتب النقيض الاخر ذلك اي كونهم اقرب مودة للمؤمنين بان منهم اي بسبب ان منهم قسيسين وهم علماء النصارى و عبادهم ورؤساؤهم والقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشيء اذا تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم في تتبع العلم قاله الراغب وقيل القس بفتح القاف تتبع الشيء ومنه سمي عالم النصارى لتتبعه العلم وقيل قص الاثر وقد بغي وقيل انه اعجمي وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وقيل ضيعت النصارى الانجيل وما فيه وبقي منهم رجل يقال له قسيسا لم يبدل دينه فمن راعى هديه ودينه قيل له قسيس ورهبانا هو جمع راهب كراكب وركبان وفارس وفرسان وقيل انه يطلق على الواحد وعلى الجمع وانشد فيه قول من قال لو عاينت رهبان دير في قلل لاقبل الرهبان يعدو ونزل والرهب التعبد في الصومعة قال الراغب الرهبانية الغلو في تحمل التعبد من فرط الخوف والتنكير لافادة الكثرة ولا بد من

اعتبار ما في القسيسين ايضا اذ هي التي تدل على مودة جنس النصارى للمؤمنين فان اتصاف افراد كثيرة
لجنس بخصلة مظنة لاتصاف الجنس بها والا فمن اليهود ايضا قوم مهتدون الا ترى الى عبد الله ابن سلام و
اضرابه قال الله تعالى من اهل الكتاب امة قائمة يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون لكنهم لما لم يكونوا
في الكثرة كالذين هم النصارى لم يتعد حكمهم الى جنس اليهود وانهم لا يستكبرون عطف على ان منهم اي وبانهم لا
يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وهذه الخصلة شاملة لجميع افراد الجنس
فجنسها الاقرب بينهم مودة للمؤمنين ورحمة وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض
عن الشهوات محمود وان كان ذلك من كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول عطف على لا يستكبرون
اي ذلك بسبب انهم لا يستكبرون وان اعينهم تفيض من الدمع عند سماع القرآن وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة
خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم ابائهم اياه ترى اعينهم تفيض من الدمع اي تمتلئ بالدمع فاستعير له الفيض
الذي هو الانصباب عن امتلاء مبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا
من الحق من الاولى لابتداء الغاية والثانية لتبيين الموصول اي ابتداء الفيض ونشأ من معرفة
الحق وحصل من اجله وبسببه ويحتمل ان يكون الثانية تبعيضية لان ما عرفوه بعض الحق وحيث ابكاهم ذلك
فما ظنك بهم لو عرفوا كله وقرأوا القرآن واحاطوا بالسنة وقرئ ترى اعينهم على صيغة المبني للمفعول
يقولون استئناف مبني على سؤال نشأ عن حكاية حالهم عند سماع القرآن كانه قيل ماذا يقولون فقيل ربنا
امنا بهذا او بمن نزل هذا عليه او بهما وقيل حال من الضمير في عرفوا او من الضمير المجرور في اعينهم لما ان
المضاف جزؤه كما في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا فاكتبنا مع الشاهدين الذين شهدوا
بانه حق او بنبوته او مع امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيمة وانما قالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل
كذلك وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق كلام مستأنف قالوه تحقيقا لايمانهم وتقريرا له بانكار سبب
انتفائه ونفيه بالكلية على ان قوله لا نؤمن حال من الضمير في لنا والعامل ما فيه من معنى الاستقرار اي اي شيء
حصل لنا غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب والمسبب جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي
فطرني ونظائره لا الى السبب فقط مع تحقق المسبب كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وامثاله فان همزة
الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب اباك واخرى لانكار الوقوع كما في اضرب ابي كذلك
ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما في الاية الثانية وقوله تعالى وما لكم لا ترجون
لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفي
سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسري الى المسبب ايضا كما في الاية الاولى فيكون مضمون
الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما وقوله تعالى ونطمع ان يدخلنا ربنا
مع القوم الصالحين حال اخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتدأ والعامل فيها هو العامل في الاولى مقيدا
بها اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع في صحبة الصالحين او من الضمير في لا نؤمن على معنى انهم انكروا
على انفسهم عدم ايمانهم مع انهم يطمعون في صحبة المؤمنين وقيل معطوف على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين
ترك الايمان وبين الطمع المذكور فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي
معتقده وقرئ فاتاهم الله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين اي الذين احسنوا

احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والايات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه
بعث اليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر
القسيسين والرهبان فامر جعفرا ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وامنوا بالقرآن وقيل
نزلت في ثلاثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأ عليهم سورة
مريم فبكوا وامنوا والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بايات الله تعالى على
الكفر مع انه ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في مقابلة المصدقين بها جمعا بين الترغيب
والترهيب يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما سلف من مدح النصارى
على الترهب ترغيب المؤمنين في كسر النفس ورفض الشهوات عقب ذلك بالنهي عن الافراط في الباب
اي لا تمنعوا انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم و
تقشفا وروي ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في
الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمن بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين وان لا يناموا على الفرش ولا
ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا الطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا
وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس
مني فنزلت ولا تعتدوا اي ولا تتعدوا حدود ما احل الله لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات
او جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهي عن مطلق الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده
عقيبه او اريد ولا تعتدوا بذلك ان الله لا يحب المعتدين تعليل لما قبله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا
اي ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فحلالا مفعول كلوا ومما رزقكم اما حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة او متعلق
بكلوا ومن ابتدائية وحلالا حال من الموصول او من عائده المحذوف او صفة لمصدر محذوف اي اكلا حلالا
وعلى الوجوه كلها لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم
به مؤمنون تاكيد للوصية بما امر به فان الايمان به تعالى يوجب المبالغة في التقوى والانتهاء عما نهى عنه
لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم وهو عندنا ان يحلف
على شيء يظن انه كذلك وليس كما يظن وهو قول مجاهد وقيل كانوا حلفوا على تحريم الطيبات على انه قربة
فلما نزل النهي قالوا كيف بايماننا فنزلت وعند الشافعي رحمه الله ما يبدو من المرء من غير قصد كقوله لا والله
وبلى والله وهو قول عائشة رضي الله تعالى عنها وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم الايمان اي بتعقيدكم الايمان وتوثيقها عليه بالقصد والنية ولكن
يؤاخذكم بما عقدتموها اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرئ بالتخفيف وقرئ عاقدتم بمعنى
عقدتم فكفارته اي فكفارة نكثه وهي الفعلة التي من شأنها ان تكفر الخطيئة وتسترها واستدل
بظاهره على جواز التكفير قبل الحنث وعندنا لا يجوز ذلك لقوله عليه السلام من حلف على يمين ورأى
غيرها خيرا فليأت الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم
اي من اقصده في النوع او المقدار وهو نصف صاع من بر لكل مسكين ومحله النصب لانه صفة مفعول

محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما كائنا من اوسط ما تطعمون او الرفع على انه بدل من الطعام و اهلين جمع اهل
كارضون جمع ارض وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الحالات الثلث كالالف و سواء جمع اهل
كالاراضي في جمع ارض والليالي في جمع الليل وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او على محل من اوسط
على تقدير كونه بدلا من الاطعام وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء وازار وقرئ بضم الكاف و
هي لغة كقدوة في قدوة واسوة في اسوة وقرئ او كاسوتهم على ان الكاف في محل الرفع وتقديره او اطعامهم
كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة
اي واعتاق انسان كيف ما كان وشرط الشافعي فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال
مطلقا وخيار التعيين للمكلف فمن لم يجد اي شيئا من الامور المذكورة فصيام اي فكفارته
صيام ثلثة ايام والتتابع شرط عندنا لقراءة ثلثة ايام متتابعات والشافعي لا يرى الشواذ حجة ذلك
اي الذي ذكر كفارة ايمانكم اذا حلفتم اي وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها
كما يشعر به قوله تعالى اذا حلفتم وقيل بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم و
قيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتي اي
تبيين اخر مفهوم فيما سبق والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله في الاصل النصب على انه
نعت لمصدر محذوف واصل التقدير يبين الله تعالى تبيينا كائنا مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لافادة القصر
واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر لا نعتا له وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا اي ذلك البيان البديع يبين الله لكم اياته اعلام شريعته واحكامه لا بيانا ادنى منه
وتقديم لكم على المفعول لما مر مرارا لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج يا
ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام المنصوبة للعبادة والازلام سلف تفسيرها
في اوائل السورة الكريمة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات
محذوف ثقة بالمذكور او المضاف محذوف اي شأن الخمر والميسر الخ من عمل الشيطان في محل الرفع
على انه صفة رجس اي كائن من عمله لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه اي الرجس او عمله
لعلكم تفلحون اي راجين فلاحكم وقيل لكي تفلحوا بالاجتناب عنه وقد مر تحقيقه في تفسير
قوله تعالى لعلكم تتقون ولقد اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الاية الكريمة بفنون التاكيد حيث صدرت الجملة بانما وقرنا
بالاصنام والازلام وسميا رجسا من عمل الشيطان تنبيها على ان تعاطيهما شر بحت وامر بالاجتناب
عن عينهما وجعل ذلك سببا يرجى منه الفلاح فيكون ارتكابهما خيبة ومحقة ثم قرر ذلك ببيان ما فيهما
من المفاسد الدنيوية المقتضية للتحريم فقيل انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر
وهو اشارة الى مفاسدهما الدنيوية ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة اشارة الى مفاسدهما
الدينية وتخصيصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال للتنبيه على ان المقصود بيان حالهما وذكر
الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن
وتخصيص الصلوة من الذكر بالافراد مع دخولها في الذكر للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن
الايمان لما انها عماده ثم اعيد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من اصناف الصوارف

الصوارف فقيل فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في الزجر والتحذير وكشف ما فيهما من المفاسد والشرور
قد بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت بالكلية واطيعوا الله واطيعوا الرسول عطف على اجتنبوه اي اطيعوهما في
جميع ما امرا به ونهيا عنه واحذروا اي مخالفتهما في ذلك فيدخل فيه مخالفة امرهما ونهيهما في الخمر والميسر
دخولا اوليا فان توليتم اي اعرضتم عن الامتثال بما امرتم به من الاجتناب عن الخمر والميسر وعن طاعة
الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والاحتراز عن مخالفتهما فاعلموا انما على رسولنا البلاغ
المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وخرج عن عهدة الرسالة اي خروج وقامت عليكم الحجة وانتهت
الاعذار وانقطعت العلة وما بقي بعد ذلك الا العقاب وفيه من عظم التهديد وشدة الوعيد ما لا يخفى واما ما قيل
من ان المعنى فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات وقد فعل وانما ضررتم
انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه فلا يساعده المقام اذ لا يتوهم منهم ادعاء انهم بتوليهم يضرونه صلى الله تعالى عليه
وسلم حتى يرد عليهم بانهم لا يضرونه وانما يضرون انفسهم ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح
اي اثم وحرج فيما طعموا اي تناولوا اكلا او شربا فان استعماله في الشرب ايضا مستفيض منه قوله تعالى ومن لم
يطعمه فانه مني قيل لما انزل الله تعالى تحريم الخمر بعد غزوة الاحزاب قال رجال من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اصيب فلان يوم بدر وفلان يوم احد وهم يشربونها ونحن نشهد انهم في الجنة وفي رواية اخرى لما نزل تحريم الخمر
والميسر قالت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يا رسول الله فكيف باخواننا الذين يشربون الخمر ويأكلون مال
الميسر وفي رواية اخرى قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا
القمار فنزلت وليست كلمة ما في ما طعموا عبارة عن المباحات خاصة والا لزم تقييد اباحتها باتقاء ما عداها من المحرمات
لقوله تعالى اذا ما اتقوا واللازم منتف بالضرورة بل هي على عمومها موصولة كانت او موصوفة
وانما تخصصت بهذا القيد الظاهري عليها والمعنى ليس عليهم جناح فيما تناولوه من المأكول والمشروب كائنا ما
كان اذا اتقوا ان يكون في ذلك شيء من المحرمات والا لم يكن نفي الجناح في كل ما طعموه بل في بعضه ولا محذور فيه
اذ اللازم منه تقييد اباحة الكل بان لا يكون فيه محرم لا تقييد اباحة بعضه باتقاء بعض اخر كما هو اللازم من الاول
وامنوا وعملوا الصالحات اي واستمروا على الايمان والاعمال الصالحة وقوله تعالى ثم اتقوا عطف على اتقوا
داخل معه في حيز الشرط اي اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه مباحا فيما سبق وامنوا اي بتحريمه وتقديم
الاتقاء عليه اما للاعتناء به او لانه الذي يدل على التحريم الحادث الذي هو المؤمن به او واستمروا على الايمان ثم
اتقوا اي ما حرم عليهم بعد ذلك مما كان مباحا من قبل على ان المشروط بالاتقاء في كل مرة اباحة كل ما
طعموه في ذلك الوقت لا اباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة بعضه واحسنوا اي عملوا الاعمال الحسنة
الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الاعمال القلبية والقالبية وليس تخصيص هذه المراتب بالذكر لتخصيص الحكم بها بل لبيان
التعدد والتكرر بالغا ما بلغ والمعنى انهم اذا اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الايمان والاعمال الصالحة وكانوا
في طاعة الله تعالى ومراعاة اوامره ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شيء من المباحات اتقوه ثم وثم فلا جناح عليهم فيما طعموه
في كل مرة من المطاعم والمشارب اذ ليس فيها شيء محرم عند طعمه وانت خبير بان ما عدا اتقاء المحرمات من الصفات
الجميلة المذكورة لا دخل لها في انتفاء الجناح وانما ذكرت في حيز اذا شهادة باتصاف الذين سئل عن حالهم بها ومدحا لهم
بذلك وحمدا لاحوالهم وقد اشير الى ذلك حيث جعلت تلك الصفات تبعا للاتقاء في كل مرة تمييزا بينها وبين حاله دفعا لما حكم

فان مساق النظم الكريم بطريق العبارة وان كان لبيان حال المتصفين بما ذكر من النعوت فيما سيأتي بقضية كلمة اذا
لكنه قد اخرج مخرج الجواب عن حال الماضين لاثبات الحكم في حقهم في ضمن التشريع الكلي على الوجه البرهاني بطريق دلالة
النص بناء على كمال اشتهارهم بالاتصاف بها فكانه قيل ليس عليهم جناح فيما طعموه اذ كانوا في طاعته تعالى مع ما لهم
من الصفات الحميدة بحيث كلما امروا بشيء تلقوه بالامتثال وانما كانوا يتعاطون الخمر والميسر في حياتهم لعدم تحريمهما اذ
ذاك ولو حرما لاتقوهما بالمرة هذا وقد قيل التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان
التقوى بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله تعالى ولذلك جيء بالاحسان في الكرة الثالثة بدل
الايمان اشارة الى ما قاله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط
والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات توقيا من الوقوع في الحرام
وبعض المباحات حفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وقيل التكرير لمجرد التاكيد كما في قوله تعالى
كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظائره وقيل المراد بالاول اتقاء الكفر وبالثاني اتقاء الكبائر وبالثالث اتقاء
الصغائر ولا ريب في انه لا تعلق لهذه الاعتبارات بالمقام فاحسن التامل والله يحب المحسنين
تذييل مقرر لمضمون ما قبله ابلغ تقرير يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله جواب قسم محذوف اي والله ليعاملنكم
معاملة من يختبركم ليتعرف احوالكم بشيء من الصيد اي من صيد البر ماكولا او غير ماكول ما عدا المستثنيات
من الفواسق فاللام للعهد نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله تعالى بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم
في رحالهم بحيث كانوا متمكنين من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وذلك قوله تعالى تناله ايديكم ورماحكم
فهموا باخذها فنزلت وروي انه عن لهم حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر بن عمرو فطعنه برمحه فقتله فقيل له قتلته و
انت محرم فاتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسأله عن ذلك فانزل الله تعالى الاية والتاكيد القسمي في
ليبلونكم انما هو لتحقيق ما وقع من عدم توحش الصيد عنهم ليس الا لابتلائهم لا لتحقيق وقوع المبتلى به كما لو كان
النزول قبل الابتلاء وتنكير شيء للتحقير المؤذن بان ذلك ليس من الفتن الهائلة التي تزل فيها اقدام الراسخين
كالابتلاء بقتل النفس واتلاف الاموال وانما هو من قبيل ما ابتلي به اهل ايلة من صيد البحر وفائدته التنبيه
على ان من لم يثبت في مثل هذا كيف يثبت في شدائد المحن ومن في قوله تعالى من الصيد بيانية قطعا اي بشيء حقير هو
الصيد وجعلها تبعيضية يقتضي اعتبار قلته وحقارته بالنسبة الى كل الصيد لا بالنسبة الى عظائم البلايا فيبقى الكلام
عن التنبيه المذكور ليعلم الله من يخافه بالغيب اي ليتميز الخائف من عقابه الاخروي وهو غائب
مترقب لقوة ايمانه فلا يتعرض للصيد ممن لا يخافه كذلك لضعف ايمانه فيقدم عليه وانما عبر عن ذلك بعلم الله تعالى
اللازم له ايذانا بمدار الجزاء ثوابا وعقابا فانه ادخل في حملهم على الخوف وقيل المعنى ليتعلق علمه تعالى بمن يخافه بالفعل
فان علمه تعالى بانه سيخافه وان كان متعلقا به قبل خوفه لكن تعلقه بانه خائف بالفعل وهو الذي يدور عليه
امر الجزاء انما يكون عند تحقق الخوف بالفعل وقيل هناك مضاف محذوف والتقدير ليعلم اولياء الله وقرئ ليعلم
من الاعلام على حذف المفعول الاول اي ليعلم الله تعالى عباده الخ والعلم على القراءتين متعد الى واحد واظهار
الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة فمن اعتدى بعد ذلك اي بعد بيان
ان ما وقع ابتلاء من جهته تعالى لما ذكر من الحكمة لا بعد تحريمه والنهي عنه كما قاله بعضهم اذ النهي والتحريم ليس امرا
حادثا يترتب عليه الشرطية بالفاء ولا بعد الابتلاء كما اختاره الاخرون لان نفس الابتلاء لا يصلح مدارا لتشديد العذاب

بل ربما يتوهم كونه عذرا مسوغا لتخفيفه وانما هو الموجب للتشديد بيان كونه ابتلاء لان الاعتداء بعد ذلك
مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير الله تعالى وخروج عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية اي فمن تعرض
للصيد بعد ما بيناه ان ما وقع من كثرة الصيد وعدم توحشه منهم ابتلاء مؤد الى تميز المطيع من العاصي فله عذاب
اليم لما ذكر من انه مكابرة محضة ولان من لا يملك زمام نفسه ولا يراعي حكم الله تعالى في امثال هذه
البلايا الهينة لا يكاد يراعيه في عظائم المداحض والمراد بالعذاب الاليم عذاب الدارين قال ابن عباس يوسع
ظهره وبطنه جلدا ويسلب ثيابه يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان ما يتدارك به الاعتداء من الاحكام
اثر بيان ما يلحقه من العذاب والتصريح بالنهي في قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم
مع كونه معلوما لا سيما من قوله تعالى غير محلي الصيد وانتم حرم لتاكيد الحرمة وترتيب ما يعقبه عليه واللام في الصيد
للعهد حسبما سلف وحرم جمع حرام وهو المحرم وان كان في الحل وفي حكمه من في الحرم وان كان حلالا كردح جمع رداح
والجملة حال من فاعل لا تقتلوا اي لا تقتلوه وانتم محرمون ومن قتله اي الصيد المعهود وذكر القتل
في الموضعين دون الذبح للايذان بكونه في حكم الميتة منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل قتله اي كائنا
منكم متعمدا حال منه ايضا اي ذاكرا لاحرامه عالما بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع ان محظورات
الاحرام يستوي فيها العمد والخطأ لان الاية نزلت في المتعمد كما مر من قصة ابي اليسر ولان الاصل فعل المتعمد والخطأ
لاحق به للتغليظ وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى
لا ارى في الخطأ شيئا اخذا باشتراط التعمد في الاية وهو قول داود وعن مجاهد والحسن ان المراد بالمتعمد هو
المتعمد القتل مع نسيان الاحرام اما اذا قتله عمدا وهو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه وامره الى الله عز وجل لانه اعظم من
ان يكون له كفارة فجزاء مثل ما قتل برفعهما اي فعليه جزاء مماثل لما قتله وقرئ برفع الاول ونصب الثاني على
اعمال المصدر وقرئ بجر الثاني على اضافة المصدر الى مفعوله وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل على الابتداء والخبرية وقرئ بنصبهما
على تقدير فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء مثل ما قتل والمراد به عند ابي حنيفة وابي يوسف المثل باعتبار
القيمة يقوم الصيد حيث صيد او في اقرب الاماكن اليه فان بلغت قيمته قيمة هدي يخير الجاني بين ان
يشتري بها ما قيمته قيمة الصيد فيهديه الى الحرم وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من
بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين تصدق به او
صام عنه يوما كاملا اذ لم يعهد في الشرع صوم ما دونه فيكون قوله تعالى من النعم بيانا للهدي المشترى
بالقيمة على احد وجوه التخيير فان من فعل ذلك يصدق عليه انه جزى بمثل ما قتل من النعم وعند مالك والشافعي
ومحمد رحمهم الله هو المثل باعتبار الخلقة والهيئة لان الله تعالى اوجب مثل المقتول مقيدا بالنعم فمن اعتبر
المثل بالقيمة فقد خالف النص وعن الصحابة رضي الله تعالى عنهم انهم اوجبوا في النعامة بدنة وفي الظبي شاة وفي
حمار الوحش بقرة وفي الارنب عناقا وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال الضبع صيد وفيه شاة اذا
قتله المحرم ولنا ان النص موجب المثل والمثل المطلق في الكتاب والسنة والاجماع والمعقول يراد به اما
المثل صورة ومعنى واما المثل معنى واما المثل صورة بلا معنى فلا اعتبار له في الشرع اصلا واذ لم يمكن
ارادة الاول اجماعا تعينت ارادة الثاني لكونه معهودا في الشرع كما في حقوق العباد الا يرى ان المماثلة بين
افراد نوع واحد مع كونها في غاية القوة والظهور لم يعتبر في الشرع ولم يجعل الحيوان عند الاتلاف مضمونا بفرد

او من نوعه مماثل له في عامة الاوصاف بل مضمونا بقيمته مع ان المنصوص عليه في امثاله انما هو المثل قال الله تعالى فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فحيث لم تعتبر تلك المماثلة القوية مع تيسر اجرائها وسهول معرفتها فلان لا تعتبر ما بين افراد
مختلفة من المماثلة الضعيفة الخفية مع صعوبة مأخذها وتعسر المحافظة عليها اولى واحرى ولان القيمة قد اريدت
فيما لا نظير له اجماعا فلم يبق غيره مرادا اذ لا عموم للمشترك في مواقع الاثبات والمراد بالمثل في ايجاب النظير باعتبار
القيمة لا باعتبار العين ثم الموجب الاصلي للجناية والجزاء المماثل للمقتول انما هو قيمته لكن لا باعتبار ان يعمد
الجاني اليها فيصرفها الى المصارف ابتداء بل باعتبار ان يجعلها معيارا فيقدر بها احدى الخصال الثلث فيقيمها
مقامها فقوله تعالى مثل ما قتل وصف لازم للجزاء غير مفارق عنه بحال واما قوله تعالى من النعم فوصف له معتبر
في ثاني الحال بناء على وصفه الاول الذي هو المعيار له ولما بعده من الطعام والصيام فحقهما ان يعطفا على الوصف
المفارق لا على الوصف اللازم فضلا عن العطف على الموصوف كما سيأتي باذن الله تعالى وحيث يرشدك الى ان
المراد بالمثل هو القيمة قوله تعالى يحكم به اي بمثل ما قتل ذوا عدل منكم اي حكمان
عدلان من المسلمين لكن لا لان التقويم هو الذي يحتاج الى النظر والاجتهاد من الاول دون الاشياء
المشاهدة التي يستوي في معرفتها كل احد من الناس فان ذلك ناش عن الغفلة عما ارادوا به بالمماثلة بل
لان ما جعلوه مدار المماثلة بين الصيد وبين النعم من ضرب مشاكلة ومضاهاة في بعض الاوضاع والهيئات
مع تحقق التباين بينهما في بقية الاحوال مما لا يهتدى اليه من اساطين ائمة الاجتهاد وصناديد اهل الهداية
والارشاد الا المؤيدون بالقوة القدسية الا يرى ان امام الشافعي رحمه الله اوجب في قتل الحمامة شاة بناء
على ما اثبت بينهما من المماثلة من حيث ان كلا منهما يعب ويهدر مع ان النسبة بينهما من سائر الحيثيات كما بين
الضب والنون فكيف يفوض معرفة امثال هذه الدقائق العويصة الى رأي عدلين من احاد الناس على ان
الحكم بهذا المعنى انما يتعلق بالانواع لا بالاشخاص فبعد ما عين بمقابلة كل نوع من انواع الصيد نوع من انواع
النعم يتم الحكم ولا يبقى عند وقوع خصوصيات الحوادث حاجة الى حكم اصلا وقرئ يحكم به ذو عدل على ارادة
جنس العادل دون الوحدة وقيل بل على ارادة الامام والجملة صفة لجزاء او حال منه لتخصصه بالصفة وقوله
عز وجل هديا حال مقدرة من الضمير في به او من جزاء لما ذكر من تخصيصه بالصفة او بدل من مثل
فيمن نصبه او من محله فيمن جره او نصب على المصدر اي يهديه هديا والجملة صفة اخرى لجزاء بالغ الكعبة
صفة لهديا لان الاضافة غير حقيقية او كفارة عطف على محل من النعم على انه خبر مبتدأ محذوف
والجملة صفة ثانية لجزاء كما اشير اليه وقوله عز وجل طعام مساكين عطف بيان للكفارة عند من
لا يخصصه بالمعارف او بدل منه او خبر مبتدأ محذوف اي هي طعام مساكين وقوله تعالى او عدل ذلك صياما
عطف على طعام الى كانه قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول هو من النعم او طعام مساكين او صيام ايام بعددهم فحينئذ
يكون المماثلة وصفا لازما للجزاء يقدر به الهدي والطعام والصيام اما الاولان فبلا واسطة واما الثالث
فبواسطة الثاني فيختار الجاني كلا منها بدلا عن الآخرين هذا وقد قيل ان قوله تعالى او كفارة عطف على
جزاء فلا يبقى حينئذ في النظم الكريم ما يقدر به الطعام والصيام والالتجاء الى القياس على الهدي تعسف لا يخفى
هذا على قراءة جزاء بالرفع وعلى سائر القراءات فقوله تعالى او كفارة خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة
على جملة هو من النعم وقرئ او كفارة طعام مساكين بالاضافة لتبيين نوع الكفارة وقرئ طعام مسكين على

على ان التبيين يحصل بالواحد الدال على الجنس وقرئ ذو عدل بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء
ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار فكان المفتوح تسمية بالمصدر و
المكسور بمعنى المفعول وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل والخيار في ذلك للجاني عند ابي حنيفة
وابي يوسف رحمهما الله تعالى وللحكمين عند محمد رحمه الله تعالى ليذوق وبال امره متعلق بالاستقرار في
الجار والمجرور اي فعليه جزاء ليذوق الخ وقيل بفعل يدل عليه الكلام كانه قيل شرع ذلك عليه ليذوق الخ
وبال امره اي سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال في الاصل المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة
من عمل سوء لثقله ومنه قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ومنه الطعام الوبيل وهو الذي لا يستمرؤه
المعدة عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما قبل ان يسألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم وقيل عما سلف منه في الجاهلية لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما
ومن عاد الى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم فينتقم الله منه خبر مبتدأ محذوف
تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا اي
فهو لا يخاف الخ وقوله تعالى ومن كفر فامتعه اي فانا امتعه والمراد بالانتقام التعذيب في الآخرة واما
الكفارة فعن عطاء وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن انها واجبة على العائد وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنه وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر والله عزيز غالب لا يغالب ذو انتقام
شديد فينتقم ممن اصر على المعصية والاعتداء احل لكم الخطاب للمحرمين صيد البحر اي ما يصاد
في المياه كلها بحرا كان او نهرا او غديرا وهو ما لا يعيش الا في الماء مأكولا كان او غير مأكول وطعامه
اي وما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد تعميم والمعنى احل لكم التعرض لجميع ما يصاد في المياه والانتفاع به
واكل ما يؤكل منه وهو السمك عندنا وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير الآية عنده احل لكم صيد
حيوان البحر وان تطعموه وقرئ وطعمه وقيل صيد البحر ما صيد فيه وطعامه ما قذفه او نضب عنه متاعا
لكم نصب على انه مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة في قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة
حال مختصة بيعقوب عليه السلام اي احل لكم طعامه تمتيعا للمقيمين منكم يأكلونه طريا وللسيارة
منكم يتزودونه قديدا وقيل نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر اي متعكم به متاعا وقيل مؤكد لمعنى
احل لكم فانه في قوة متعكم به تمتيعا كقوله تعالى كتاب الله عليكم وحرم عليكم صيد البر
وقرئ على بناء الفعل للفاعل ونصب صيد البر وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات
كطير الماء ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام وظاهره يوجب
حرمة ما صاده حلال على المحرم وان لم يكن له فيه مدخل وهو قول عمر وابن عباس رضي الله تعالى عنهم و
عن ابي هريرة رضي الله عنه ومجاهد وسعيد بن جبير انه يحل له اكل ما صاده حلال وان صاده لاجله اذا
لم يشر اليه ولم يدل عليه وكذا اذا ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة لان الخطاب للمحرمين فكانه قيل وحرم
عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم وعند مالك والشافعي واحمد لا يباح ما صيد له واتقوا الله
فيما نهاكم عنه او في جميع المعاصي التي من جملتها ذلك الذي اليه تحشرون لا الى غيره حتى يتوهم الخلاص من اخذه
بالالتجاء اليه الذي اليه تحشرون قال مجاهد سميت كعبة لكونها مكعبة مربعة وقيل لانفرادها من البناء وقيل

لارتفاعها من الارض ونتوّها وقوله تعالى البيت الحرام عطف على بيان جهة المدح دون
التوضيح كما تجيء الصفة كذلك وقيل مفعول ثان لجعل وقوله تعالى قياما للناس نصب على الحال ويرده
عطف ما بعده على المفعول الاول كما سيجيء بل هذا هو المفعول الثاني وقيل الجعل بمعنى الانشاء والخلق وهو حال
كما مر ومعنى كونه قياما لهم انه مدار القيام امر دينهم ودنياهم اذ هو سبب لانتعاشهم في امور معاشهم ومعادهم
يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار وقرئ قيما على انه مصدر
على وزن شبع اعلّ عينه بما اعلّ في فعله والشهر الحرام اي الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة وقيل جنس
الشهر الحرام وهو وما بعده عطف على الكعبة فالمفعول الثاني محذوف ثقة بما مر اي وجعل الشهر الحرام والهدي
والقلائد ايضا قياما لهم والمراد بالقلائد ذوات القلائد وهي البدن وخصت بالذكر لان الثواب
فيها اكثر وبهاء الحج بها اظهر ذلك اشارة الى الجعل المذكور خاصة او مع ما ذكر من الامر
بحفظ حرمة الاحرام وغيره ومحله النصب بفعل مقدر يدل عليه السياق وهو الخبر في الكلام بعده اي شرع
ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان تشريع هذه الشرائع المستتبعة لدفع المضار الدينية
والدنيوية قبل وقوعها وجلب المنافع الاولية والاخروية من اوضح الدلائل على حكمة الشارع وعدم
خروج شيء من علمه المحيط وقوله تعالى وان الله بكل شيء عليم تعميم اثر التخصيص للتأكيد ويجوز
ان يراد بما في السموات والارض الاعيان الموجودة فيهما وبكل شيء الامور المتعلقة بتلك الموجودات
من العوارض والاحوال التي من قبيل المعاني اعلموا ان الله شديد العقاب وعيد لمن انتهك
محارمه او اصر على ذلك وقوله تعالى وان الله غفور رحيم وعد لمن حافظ على مراعاة حرماته تعالى او
اقلع عن الانتهاك بعد تعاطيه ووجه تقديم الوعيد ظاهر ما على الرسول الا البلاغ تشديد في
ايجاب القيام بما امر به اي الرسول قد اتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم
الطاعة فلا عذر لكم من بعد في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فيؤاخذكم بذلك نقيرا وقطميرا قل
لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله تعالى بين الرديء من الاشخاص والاعمال والاموال
وبين جيدها قصد به الترغيب في جيد كل واحد منها والتحذير عن رديها وان كان سبب النزول شريح
ابن ضبيعة البكري الذي في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله وقيل نزل في رجل
سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الخمر كانت تجارتي واني اعتقدت من بيعها مالا فهل ينفعني
من ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله تعالى فقال النبي عليه السلام ان انفقته في حج او جهاد او صدقة لم يعدل
جناح بعوضة ان الله تعالى لا يقبل الا الطيب وقال عطا والحسن رحمهما الله تعالى الخبيث والطيب الحرام والحلال
وتقديم الخبيث في الذكر للاشعار من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء فيه لا في مقابله
فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة
الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر كما في قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير الى غير ذلك واما
قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لما ان صلته ملكة لصلة المفضول
ولو اعجبك كثرة الخبيث اي وان سرك كثرته والخطاب لكل واحد من الذين امر النبي عليه السلام
بخطابهم والواو لعطف الشرطية على مثلها المقدر اي لو لم يعجبك كثرة الخبيث ولو اعجبك وكلتاهما في موقع الحال

من فاعل لا يستوي اي لا يستويان كائنين على كل حال مفروض كما في قولك احسن الى فلان وان اساء اليك
اي احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اليك اي كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى حذفا مطردا
لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق مع المعارض فلأن يتحقق بدونه اولى وعلى هذا
السر يدور ما في لو وان الوصليتين من المبالغة والتأكيد وجواب لو محذوف في الجملتين لدلالة ما قبلها
عليه وسيأتي تمام تحقيقه في مواضع عديدة باذن الله تعالى فاتقوا الله يا اولي الالباب
اي في تحري الخبيث وان كثر وآثروا عليه الطيب وان قل فان مدار الاعتبار هو الجودة والرداءة لا الكثرة
والقلة فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير بل كلما كثر الخبيث كان اخبث لعلكم تفلحون
راجين ان تنالوا الفلاح يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء هو اسم جمع على رأي الخليل وسيبويه
وجمهور البصريين كطرفاء وقصباء اصله شيئاء بهمزتين بينهما الف فقلبت الكلمة بتقديم لامها على فائها فصار
وزنها لفعاء ومنعت الصرف لالف التأنيث الممدودة وقيل هو جمع شيء على انه مخفف من شيّء كهين مخفف
من هيّن والاصل اشيئاء كاهوناء بزنة افعلاء فاجتمعت همزتان لام الكلمة والتي للتأنيث اذ الالف
كالهمزة فخففت الهمزة بان قلبت ياء لانكسار ما قبلها فصارت اشيياء فاجتمعت ياءان اوليهما عين الكلمة
فخففت تخفيفا فصارت اشياء فوزنها افلاء منعت الصرف لالف التأنيث وقيل انما حذفت من اشيياء
الياء المنقلبة من الهمزة التي هي لام الكلمة وفتحت الياء المكسورة لتسلم الف الجمع فوزنها افعاء وقوله عز وجل
ان تبد لكم تسؤكم صفة لاشياء داعية الى الانتهاء عن السؤال عنها وحيث كانت المساءة في هذه
الشرطية معلقة بابدائها لا بالسؤال عنها عقبت بشرطية اخرى ناطقة باستلزام السؤال عنها لابدائها الموجب
للمحذور قطعا فقيل وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم اي تلك الاشياء الموجبة
للمساءة بالوحي كما ينبئ عنه تقييد السؤال بحين التنزيل والمراد بها ما يشق عليهم ويغمهم من التكاليف الصعبة
التي لا يطيقون بها والاسرار الخفية التي يفتضحون بظهورها ونحو ذلك مما لا خير فيه فكما ان السؤال عن الامور
الواقعة مستتبع لابدائها كذلك السؤال عن تلك التكاليف مستتبع لايجابها عليهم بطريق التشديد لاساءتهم
الادب واجترائهم على المسألة والمراجعة وتجاوزهم عما يليق بشانهم من الاستسلام لامر الله تعالى من غير
بحث فيه ولا تعرض لكيفيته وكميته اي لا تكثروا مسألة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عما لا يعنيكم من
نحو تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها حسبما اوحي اليه لم تطيقوها ونحو بعض امور مستورة
تكرهون بروزها وذلك مثل ما روي عن علي كرم الله وجهه انه قال خطبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فقام رجل من بني اسد يقال له عكاشة بن محصن
وقيل هو سراقة بن مالك فقال افي كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى اعاد مسألته ثلاث مرات فقال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما
استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم
بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ومثل ما روي عن انس وعن ابي هريرة رضي
الله تعالى عنهما انه سأل الناس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن اشياء احفوه في المسألة فقام عليه
السلام مغضبا خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه وقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي

هذه الآية لكم فأشفق أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يكون بين يدي أمر قد حضر قال أنس رضي الله
تعالى عنه فجعلت التفت يمينا وشمالا فلا أجد رجلا إلا وهو لاف رأسه في ثوبه يبكي فقام رجل من قريش
من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان إذا لاحى الرجال يدعى إلى غير أبيه فقال يا نبي الله من أبي
فقال عليه السلام أبوك حذافة بن قيس الزهري وقام آخر فقال أين أبي قال عليه السلام في النار ثم قام
عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله سبحانه ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا نبيا نعوذ بالله من الفتن إنا حديثو
عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه صلى الله تعالى عليه وسلم عفا الله عنها
استئناف مسوق لبيان أن نهيهم عنها لم يكن لمجرد صيانتهم عن المساءة بل لأنها في نفسها مستتبعة للمؤاخذة وقد عفا عنها
وفيه من حثهم على الجد في الانتهاء عنها ما لا يخفى وضمير عنها للمسألة المدلول عليها بلا تسألوا أي عفا الله تعالى
عن مسائلكم السالفة حيث لم يوجب عليكم الحج في كل عام جزاء بمسألتكم وتجاوز عن عقوبتكم الأخروية
بسائر مسائلكم فلا تعودوا إلى مثلها وأما جعله صفة أخرى لأشياء على أن ضميرها يعني لا تسألوا عن أشياء
عفا الله عنها ولم يكلفكم إياها فمما لا سبيل إليه أصلا لاقتضائه أن يكون الحج قد فرض أولا في كل عام ثم نسخ
بطريق العفو وأن يكون ذلك معلوما للمخاطبين ضرورة أن حق الوصف أن يكون معلوم الثبوت للموصوف
عند المخاطب قبل جعله صفة له وكلاهما ضروري الانتفاء قطعا على أنه يستدعي اختصاص النهي بمسألة
الحج ونحوها مما سلم وقوعها مع أن النظم الكريم صريح في أنه مسوق للنهي عن السؤال عن الأشياء التي يسوءهم
إبداؤها سواء كانت من قبيل الأحكام والتكاليف الموجبة لمساءتهم بإثباتها وإيجابها بسبب السؤال
عقوبة وتشديدا كمسألة الحج لولا عفوه تعالى عنها أو من قبيل الأمور الواقعة قبل السؤال الموجبة
للمساءة بالإخبار بها كمسألة من قال أين أبي إن قلت تلك الأشياء غير موجبة للمساءة البتة بل
هي محتملة لإيجاب المسرة أيضا لأن إيجابها للأولى إن كان من حيث وجودها فهي من حيث عدمها موجبة
للأخرى قطعا وليست إحدى الحيثيتين محققة عند السائل وإنما غرضه من السؤال ظهورها كيفما كانت
بل ظهورها بحيثية إيجابها المسرة قلت لتحقيق المنهي عنه كما ستعرفه مع ما فيه من تأكيد النهي وتشديده لأن
تلك الحيثية هي الموجبة للانتهاء والانزجار لا حيثية إيجابها للمسرة ولا حيثية ترددها بين الإيجابين إن قيل
الشرطية الثانية ناطقة بأن السؤال عن تلك الأشياء الموجبة للمساءة مستلزم لإبدائها البتة
كما مر فلم تخلف الإبداء عن السؤال في مسألة الحج حيث لم يوجب في كل عام قلنا لوقوع السؤال قبل ورود
النهي وما ذكر في الشرطية إنما هو السؤال الواقع بعد وروده إذ هو الموجب للتغليظ والتشديد ولا
تخلف فيه إن قيل ما ذكرته إنما يتمشى فيما إذا كان السؤال عن الأمور المترددة بين الوقوع وعدمه
كما ذكر من التكاليف الشاقة وأما إذا كان عن الأمور الواقعة فلا لأن ما يتعلق به الإبداء
هو الذي وقع في نفس الأمر ولا مرد له سواء كان السؤال قبل النهي أو بعده وقد يكون الواقع ما يوجب
المسرة كما في مسألة عبد الله بن حذافة فيكون هو الذي يتعلق به الإبداء لا غيره فيتعين التخلف حتما
قلنا لا احتمال للتخلف فضلا عن التعين فإن المنهي عنه في الحقيقة إنما هو السؤال عن الأشياء الموجبة
للمساءة الواقعة في نفس الأمر قبل السؤال كسؤال من قال أين أبي لا ما يعمها وغيرها مما ليس بواقع
لكنه محتمل للوقوع عند المكلفين حتى يلزم التخلف في صورة الوقوع وجملة الكلام أن مدلول النظم الكريم

الكريم بطريق العبارة إنما هو النهي عن السؤال عن الأشياء التي يوجب إبداؤها المساءة البتة إما بأن
يكون تلك الأشياء بعرضية الوقوع فيبدى عند السؤال بطريق الإنشاء عقوبة وتشديدا كما في
صورة كونها من قبيل التكاليف الشاقة وإما بأن يكون واقعة في نفس الأمر قبل السؤال فيبدى
عنه بطريق الإخبار بها فالتخلف ممتنع في الصورتين معا ومنشأ توهمه عدم الفرق بين المنهي عنه
وبين غيره بناء على عدم امتياز ما هو موجود من تلك الأشياء في نفس الأمر وما ليس كذلك عند
المكلفين وملاحظتهم للكل باحتمال الوجود والعدم وفائدة هذا الإبهام الانتهاء عن السؤال عن
تلك الأشياء حذار إبداء المكروه والله غفور حليم . . . اعتراض تذييلي مقرر
لعفوه تعالى أي مبالغ في مغفرة الذنوب والإغضاء عن المعاصي ولذلك عفا عنكم ولم يؤاخذكم بعقوبة
ما فرط منكم قد سألها قوم أي سألوا هذه المسألة لكن لا عينها بل مثلها في كونها محظورة ومستتبعة
للوبال وعدم التصريح بالمثل للمبالغة في التحذير من قبلكم . متعلق بسألها ثم أصبحوا بها
أي بسببها أو بمرجوعها كافرين . فإن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم في أشياء فإذا
أمروا بها تركوها فهلكوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة (ولا حام) رد وإبطال لما ابتدعه أهل الجاهلية حيث كانوا
إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وحرموا ركوبها ودرها ولا تطرد عن ماء
ولا مرعى وكان يقول الرجل إذا برئت من مرضي أو قدمت من سفري فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم
الانتفاع بها وقيل كان الرجل إذا أعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وإذا ولدت
الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم
يذبحوا الذكر لآلهتهم وإذا أنتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه
ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع وما وضع ولذلك عدي إلى مفعول واحد هو بحيرة وما عطف
عليها ومن مزيدة لتأكيد النفي فإن الجعل التكويني كما يجيء تارة متعديا إلى مفعولين وأخرى إلى واحد
كذلك الجعل التشريعي يجيء تارة متعديا إلى مفعولين كما في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس
وأخرى إلى واحد كما في الآية الكريمة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب
حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون الله أمرنا بهذا وإمامهم عمرو بن لحي فإنه أول من فعل هذه الأفاعيل الباطلة
وهذا شأن رؤسائهم وكبارهم وأكثرهم . وهم أراذلهم الذين يتبعونهم من معاصري رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما يشهد به سياق النظم الكريم لا يعقلون . أنه افتراء باطل حتى
يخالفوهم ويهتدوا إلى الحق بأنفسهم فيبقون في أسر التقليد وهذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم عن الاهتداء
بأنفسهم وقوله عز وجل وإذا قيل لهم . أي للذين عبر عنهم بأكثرهم على سبيل الهداية والإرشاد
تعالوا إلى ما أنزل الله (من الكتاب المبين للحلال والحرام وإلى الرسول) الذي أنزل هو عليه لتقفوا على حقيقة الحال وتميزوا الحرام عن الحلال
قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لعنادهم واستعصائهم على الهادي إلى الحق وانقيادهم
للداعي إلى الضلال أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون قيل الواو للحال دخلت عليها الهمزة للإنكار
والتعجيب أي أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم جهلة ضالين وقيل للعطف على شرطية أخرى مقدرة قبلها
والتقدير أحسبهم ذلك أو يقولون هذا القول لو لم يكن آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون

للصواب ولو كانوا لا يعلمون الخ والكلمة في موقع الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم كائنين على كل حال مفروض
وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة كيف لا وان الشيء اذا تحقق عند
المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى كما في قولك احسن الى فلان وان اساء اليك اي احسن اليه كائنا على كل حال مفروض وقد
حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها دلالة ظاهرة اذ الاحسان حيث امر به عند المانع فلان يؤمر به عند عدمه اولى
وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من المبالغة والتأكيد وجواب لو محذوف لدلالة ما سبق
عليه اي لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون حسبهم ذلك او يقولون ذلك وما في لو من معنى الامتناع و
الاستبعاد انما هو بالنظر الى زعمهم لا الى نفس الامر وفائدته المبالغة في الانكار والتعجيب ببيان ان ما قالوه موجب للانكار
والتعجب اذا كان كون آبائهم جهلة ضالين في حيز الاحتمال البعيد فكيف اذا كان ذلك واقعا لا ريب فيه وقيل
مآل الوجهين واحد لان الجملة المقدرة حال تكشف ما عطف عليها وانت خبير بان الحال على الوجه الاخير مجموع الجملتين
لا الاخيرة فقط وان الواو للعطف لا للحال وقد مر التحقيق في قوله عز وجل او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا
ولا يهتدون فتدبر يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اي الزموا امر انفسكم واصلاحها وقرئ بالرفع على
الابتداء اي واجبة عليكم انفسكم وقوله عز وجل لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اما مجزوم على انه جواب للامر او نهي
مؤكد له وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة اذ الاصل لا يضرركم ويؤيده القراءة
بفتح الراء وقراءة من قرأ لا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره واما مرفوع على انه كلام مستأنف
في موقع التعليل لما قبله ويعضده قراءة من قرأ لا يضيركم اي لا يضركم ضلال من ضل اذا كنتم مهتدين و
لا يتوهمن ان فيه رخصة في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا ومن جملة الاهتداء
ان ينكر على المنكر حسبما تفي به الطاقة قال عليه السلام من رأى منكم منكرا فاستطاع ان يغيره فليغيره بيده
فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وقد روي ان الصديق رضي الله تعالى عنه قال يوما على المنبر يا ايها
الناس انكم تقرءون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها ولا تدرون ما هي واني سمعت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا منكرا فلم يغيروا عمهم الله تعالى بعقاب فأمروا بالمعروف وانهوا
عن المنكر ولا تغتروا بقول الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا الخ فيقول احدكم علي نفسي والله لتأمرن بالمعروف
وتنهون عن المنكر او ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب
لهم وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما من قوم عمل فيهم منكر او سن فيهم قبيح فلم يغيروه ولم ينكروه الا وحق
على الله ان يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة وكانوا
يتمنون ايمانهم وهم من الضلال بحيث لا يكادون يرعوون عنه بالامر والنهي وقيل كان الرجل اذا اسلم
لاموه وقالوا له سفهت آباءك وضللتهم اي نسبتهم الى السفاهة والضلال فنزلت تسلية له بان ضلال
آبائه لا يضره ولا يشينه الى الله لا الى احد سواه مرجعكم رجوعكم يوم القيامة
جميعا بحيث لا يتخلف عنه احد من المهتدين وغيرهم فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا من
اعمال الهداية والضلال فهو وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بعمل غيره يا ايها الذين آمنوا
استئناف مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بامور دنياهم اثر بيان الاحوال المتعلقة بامور دينهم وتصديره
بحرف النداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه وقوله عز وجل شهادة بينكم بالرفع والاضافة الى الظرف

الى الظرف توسعا اما باعتبار جريانها بينهم واما باعتبار تعلقها بما يجري بينهم من الخصومات مبتدأ وقوله عز وجل
اذا حضر احدكم الموت اي شارفه وظهرت علائمه ظرف لها وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن
الفاعل عند النفس وقت وروده عليها فانه ادخل في تهويل امر الموت وقوله عز وجل حين الوصية
بدل منه لا ظرف للموت كما توهم ولا لحضوره كما قيل فان في الابدال تنبيها على ان الوصية من المهمات المقررة
التي لا ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وقوله تعالى اثنان خبر للمبتدأ بتقدير المضاف اي شهادة
بينكم شهادة اثنين او فاعل شهادة بينكم على ان خبرها محذوف اي فيما نزل عليكم ان يشهد بينكم اثنان
وقرئ شهادة بالرفع والتنوين والاعراب كما سبق وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ان عاملها
مضمر هو العامل في اثنان ايضا اي ليقم شهادة بينكم اثنان ذوا عدل منكم اي من اقاربكم لانهم
اعلم باحوال الميت وانصح له واقرب الى تحري ما هو اصلح له وقيل من المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران
عطف على اثنان تابع له فيما ذكر من الخبرية والفاعلية اي او شهادة آخرين او ان يشهد بينكم آخران او
ليقم شهادة بينكم آخران وقوله تعالى من غيركم صفة لآخران اي كائنان من غيركم اي من
الاجانب وقيل من اهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الاسلام لعزة وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ
وعن مكحول انه نسخها قوله عز وجل واشهدوا ذوي عدل منكم ان انتم مرفوع بمضمر يفسره ما بعده اذ
تقديره ان ضربتم فلما حذف الفعل انفصل الضمير وهذا رأي جمهور البصريين وذهب الاخفش والكوفيون
الى انه مبتدأ بناء على جواز وقوع المبتدأ بعد ان الشرطية كجواز وقوعه بعد اذا وقوله تعالى ضربتم
في الارض اي سافرتم فيها لا محل لها من الاعراب عند الاولين لكونه مفسرا ومرفوع على الخبرية عند
الباقين وقوله تعالى فاصابتكم مصيبة الموت عطف على الشرط وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه
اي ان سافرتم فقاربكم الاجل حينئذ وما معكم من الاقارب او من اهل الاسلام من يتولى امر الشهادة
كما هو الغالب المعتاد في الاسفار فليشهد آخران او فاستشهدوا آخرين او فالشاهدان آخران
كذا قيل والاولى ان يقدر عين ما فيما سبق اي فآخران على معنى شهادة بينكم شهادة آخرين او
فان يشهد آخران على الوجوه المذكورة ثمة وقوله تعالى تحبسونهما استئناف وقع جوابا عما نشأ
من اشتراط العدالة كأنه قيل فكيف نصنع ان ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما اي تقفونهما للتحليف
من بعد الصلوة وقيل هو صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فائدته الدلالة
على ان اللائق اشهاد الاقارب او اهل الاسلام اما اشهاد الآخرين فعند الضرورة الملجئة اليه وانت خبير
بانه يقتضي اختصاص الحبس بالآخرين مع شموله للاولين ايضا قطعا على ان اعتبار اتصافهما بذلك يأباه مقام
الامر باشهادهما اذ مآله فآخران شأنهما الحبس والتحليف وان امكن اتمام التقريب باعتبار قيد الارتياب
فيهما كما يفيده الاعتراض الآتي والمراد بالصلوة صلوة العصر وعدم تعيينها لتعينها عندهم بالتحليف
بعدها لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولان جميع اهل الاديان يعظمونه
ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقد روي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد حلف من حلف كما سيأتي
وقيل بعد اي صلوة كانت لانها داعية الى النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر فيقسمان بالله عطف على تحبسونهما وقوله تعالى ان ارتبتم شرطية محذوفة

الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه سيقت من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص
الحبس والتحليف بحال الارتياب اي ان ارتاب بهما الوارث منكم بخيانة واخذ شيء من التركة فاحبسوهما وحلفوهما
بالله وقوله عز وجل لا نشتري به ثمنا جواب للقسم وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكتفي بذكر
جواب سابقهما عن جواب الآخر كما هو الواقع غالبا فان ذلك انما يكون عند سد جواب السابق مسد جواب
اللاحق لاتحاد مضمونهما كما في قولك والله ان اتيتني لاكرمنك ولا ريب في استحالة ذلك ههنا لان القسم و
جوابه كلاهما وقد عرفت ان الشرط من جهته عز وجل والاشتراء هو استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا
منه لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر فيه عقد الشراء ومفهومه هو الجالب دون السلب
المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء بازالة ما عنده عينا كان او معنى على وجه الرغبة في المأخوذ والاعراض
عن الزائل كما هو المعتبر في المستعار منه حسبما فصل في تفسير قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
والضمير في به لله والمعنى لا نأخذ لانفسنا بدلا من الله اي من حرمته عرضا من الدنيا بان نهتكها ونزيلها بالحلف
الكاذب اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال وقيل الضمير للقسم فلا بد من تقدير مضاف البتة اي لا نستبدل
بصحة القسم بالله اي لا نبدلها عرضا من الدنيا بان نزيل عنه وصف الصدق ونصفه بالكذب اي لا نحلف
كاذبين كما ذكر والا فلا سداد للمعنى سواء اريد به القسم الصادق او الكاذب اما ان اريد به الكاذب فلانه ليس
ما هو المعتبر في الاستعارة من كون الزائل شيئا مرغوبا فيه عند الحالف كحرمة اسم الله تعالى ووصف الصحة والصدق
في القسم ولا ريب في ان القسم الكاذب ليس كذلك واما ان اريد به الصادق فلانه وان امكن ان يتوسل
باستعماله الى عرض الدنيا كالقسم الكاذب لكن لا محذور فيه واما التوسل اليه بترك استعماله فلا امكان له
حتى يصح التبري منه وانما يتوسل اليه باستعمال القسم الكاذب وليس استعماله من لوازم ترك استعمال الصادق
ضرورة جواز تركهما معا حتى يتصور جعله ماخوذا باستعماله ماخوذا بترك استعمال الصادق كما في صورة
تقدير المضاف فان ازالة وصف الصدق عن القسم مع بقاء الموصوف مستلزمة لثبوت وصف الكذب
له البتة فتأمل وقوله تعالى ولو كان اي المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام ذا قربى
اي قريبا منا تأكيد لتبريهم من الحلف كاذبا ومبالغة في التنزه عنه كانهما قالا لا نأخذ لانفسنا بدلا من
حرمة اسمه تعالى مالا ولو انضم اليه رعاية جانب الاقرباء فكيف اذا لم يكن كذلك وصيانة انفسهما وان كانت
اهم من رعاية الاقرباء لكنها ليست ضميمة للمال بل هي راجعة اليه وجواب لو محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه
اي لا نشتري ثمنا والجملة معطوفة على اخرى مثلها كما فصل في تفسير قوله تعالى ولو اعجبك الخ وقوله عز وجل ولا
نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا الله تعالى باقامتها معطوف على لا نشتري به داخل معه في حكم
القسم وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام
عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين اي ان كتمناها وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر اي اطلع بعد التحليف على انهما استحقا
اثما حسبما اعترفا به بقولهما انا اذا لمن الآثمين اي فعلا ما يوجب اثما من تحريف وكتم بان ظهر بايديهما
شيء من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه كما وقع في سبب النزول حسبما سيأتي فآخران
اي رجلان آخران وهو مبتدأ خبره يقومان مقامهما ولا محذور في الفصل بالخبر بين المبتدأ وبين وصفه

وصفه الذي هو الجار والمجرور بعده اي يقومان مقام اللذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام اداء
الشهادة التي تولياها ولم يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لاظهار الحق
وابراز كذبهما فيما ادعيا من استحقاقهما لما في ايديهما من الذين استحق على البناء للفاعل قراءة
علي وابن عباس وابي رضي الله تعالى عنهم اي من اهل الميت الذين استحق عليهم الاوليان
من بينهم اي الاقربان الى الميت الوارثان له الاحقان بالشهادة اي باليمين كما ستعرفه ومفعول
استحق محذوف اي استحقا عليهم ان يجردوهما للقيام بها لانها حقهما ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما في
الحقيقة الآخران القائمان مقام الاولين على وضع المظهر مقام المضمر وقرئ على البناء للمفعول وهو
الاظهر اي من الذين استحق عليهم الاثم اي جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته فالاوليان مرفوع على
انه خبر لمحذوف كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان او هو بدل من الضمير في يقومان او من آخران وقد
جوز ارتفاعه باستحق على حذف المضاف اي استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة وقرئ
الاوليين على انه صفة للذين الخ مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في
الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرئ الاولان فيقسمان بالله
عطف على يقومان والمراد بالشهادة اليمين كما في قوله فشهادة احدهم اربع شهادات بالله اي فيحلفان على
انهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة في نفسها لشهادتنا احق بالقبول
من شهادتهما اي من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها لما انه قد ظهر للناس استحقاقهما للاثم ويميننا
منزهة عن الريب والريبة وصيغة التفضيل مع انه لا حقية في يمينهما رأسا انما هي لامكان قبولها
في الجملة باعتبار احتمال صدقهما في ادعاء تملكهما لما ظهر في ايديهما وما اعتدينا عطف على جواب القسم
اي ما تجاوزنا فيها الحق او ما اعتدينا عليهما بابطال حقهما انا اذا لمن الظالمين استئناف مقرر
لما قبله اي انا ان اعتدينا في يميننا لمن الظالمين انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك
حرمة اسم الله تعالى او لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى النظم الكريم ان المحتضر ينبغي ان يشهد
على وصيته عدلين على انهما ان كتما من الشهادة ولاص التركة وادعيا تملكه من جهة الميت حلف
الورثة وعمل بايمانهم ولعل تخصيص الاثنين لخصوص الواقعة فانه روي ان تميم بن اوس الداري
وعدي بن يزيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن
العاص وكان مسلما مهاجرا فلما قدما الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه في متاعه
ولم يخبرهما بذلك واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه فوجدا فيه اناء من فضة
وزنه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع الى اهله فاصابوا فيه الكتاب فطلبوا
منهما الاناء فقالا ما ندري انما اوصى الينا بشيء وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا وما لنا بالاناء من علم
فرفعوهما الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزل يا ايها الذين آمنوا الآية فاستحلفهما بعد
صلاة العصر عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انهما لم يختانا شيئا مما وقع ولا كتما فحلفا على ذلك
فخلى صلى الله تعالى عليه وسلم سبيلهما ثم ان الاناء وجد بمكة فقال من بيده اشتريته من تميم وعدي
وقيل لما طالت المدة اظهراه فبلغ ذلك بني سهم فطلبوه منهما فقالا كنا اشتريناه من بديل فقالوا

الم تقل لكما هل باع صاحبكما من متاعه شيئا فقالا لا قالا ما كان لنا بينة فكرهنا ان نقر به فرفعهما الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فنزل قوله عز وجل فان عثر الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان
فحلفا بالله بعد العصر انهما كذبا وخانا فدفع الاناء اليهما وفي رواية الى اولياء الميت واعلم انهما ان كانا وارثين
لبديل فلا نسخ الا في وصف اليمين فان الوارث لا يحلف على البتات والا فهو منسوخ ذلك كلام مستانف لبيان ان ما ذكر
مستتبع للمنافع وارد على مقتضى الحكمة والمصلحة اي الحكم الذي تقدم تفصيله ادنى ان يأتوا بالشهادة
على وجهها اي اقرب الى ان يؤدي الشهود الشهادة على وجهها الذي تحملوها عليه من غير
تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب الاخروي وهذه كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور وقوله
عز وجل ان ترد ايمان بعد ايمانهم بيان لحكمة شرعية رد اليمين على الورثة معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام
كانه قيل ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها ويخافوا العذاب في الآخرة بسبب اليمين الكاذبة او
يخافوا الافتضاح على رؤس الاشهاد بابطال ايمانهم والعمل بايمان الورثة فينزجروا عن الخيانة المؤدية
اليه فاي الخوفين وقع حصل المقصود الذي هو الاتيان بالشهادة وقيل هو معطوف على يأتوا على
معنى ان ذلك اقرب الى ان يأتوا بالشهادة على وجهها او الى ان يخافوا الافتضاح برد اليمين على الورثة
فلا يحلفوا على موجب شهادتهم ان لم يأتوا بها على وجهها فيظهر كذبهم بنكولهم واما ما قيل من ان المعنى ان
ذلك اقرب الى احد الامرين اللذين ايهما وقع كان فيه الصلاح اداء الشهادة على الصدق والامتناع عن ادائها
على الكذب فيأباه المقام اذ لا تعلق له بالحادثة اصلا ضرورة ان الشهود مضطرون فيها الى الجواب فالامتناع
عن الشهادة الكاذبة مستلزم للاتيان بالصادقة قطعا فليس هناك امران ايهما وقع كان فيه الصلاح حتى
يتوسط بينهما كلمة او وانما يتأتى ذلك في شهود لم يتهموا بخيانة على ان اضافة الامتناع عن الشهادة الكاذبة
الى خوف رد اليمين على الورثة ونسبة الاتيان بالصادقة الى غيره مع ان ما يقتضي الاول لا محالة تحكم بحت
فتأمل واتقوا الله في مخالفة احكامه التي من جملتها هذا الحكم واسمعوا ما تؤمرون
به كائنا ما كان سمع طاعة وقبول والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة اي فان لم تتقوا ولم
تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي الى طريق الجنة او الى ما فيه نفعهم يوم
يجمع الله الرسل نصب على انه بدل اشتمال من مفعول اتقوا لما بينهما من الملابسة فان
مدار البدلية ليس ملابسة الظرفية وحدها فقط بل هو تعلق ما يستتبع الانتقال الذهني من المبدل
منه الى البدل الى وجه اجمالي كما في ما نحن فيه فان كونه تعالى خالق الاشياء كافة مالك يوم الدين
خاصة كاف في الباب مع ان الامر بتقوى الله تعالى يتبادر منه الى الذهن ان المتقي اي شيء من
شؤونه واي فعل من افعاله وقيل هناك مضاف محذوف به يتحقق الاشتمال اي اتقوا عقاب الله
يوم يجمع لانتصابه منه بطريق الظرفية وقيل منصوب بمضمر معطوف على اتقوا وما عطف عليه اي واحذروا
او واذكروا يوم الخ فان تذكير ذلك اليوم الهائل مما يضطرهم الى تقوى الله عز وجل وتلقي امره بسمع الاجابة
والطاعة وقيل هو ظرف لقوله تعالى واسمعوا بحذف مضاف اي اسمعوا خبر ذلك اليوم وقيل منصوب
بفعل مؤخر قد حذف للدلالة على ضيق العبارة عن شرحه وبيانه لكمال فظاعة ما وقع فيه من الطامة و
الدواهي العامة كانه قيل يوم يجمع الله الرسل ويقول الخ يكون من الاقوال والاحوال ما لا يفي

ببيانه نطاق المقال واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وتشديد التهويل وتخصيص الرسل
بالذكر ليس لاختصاص الجمع بهم دون الامم كيف لا وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وقال
الله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم بل لابانة شرفهم واصالتهم والايذان بعدم الحاجة الى التصريح بجمع غيرهم
بناء على ظهور كونهم اتباعا لهم ولاظهار سقوط منزلتهم وعدم لياقتهم بالانتظام في سلك جمع الرسل كيف لا
وهم عليهم السلام يجمعون على وجه الاجلال واولئك يسحبون على وجوههم بالاغلال فيقول لهم مشيرا الى
خروجهم عن عهدة الرسالة كما ينبغي حسبما يعرب عنه تخصيص السؤال بجواب الامم اعرابا وانبئ والعدول
عن الخطاب بان يقال هل بلغتم رسالاتي وماذا في قوله عز وجل ماذا اجبتم عبارة عن مصدر الفعل
وهو منصوب على المصدرية اي اي اجابة اجبتم من جهة الامم اجابة قبول واجابة رد وقيل عبارة
عن الجواب فهو في محل النصب بعد حذف الجار عنه اي باي جواب اجبتم وعلى التقديرين ففي توجيه
السؤال عما صدر عنهم وهم شهود الى الرسل عليهم السلام كسؤال الموؤدة بمحضر من الوائد والعدول
عن اسناد الجواب اليهم بان يقال ماذا اجابوا من الانباء عن كمال تحقير شانهم وشدة الغيظ والسخط
عليهم ما لا يخفى قالوا استيناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا يقول الرسل
عليهم السلام هنالك فقيل يقولون لا علم لنا وصيغة الماضي للدلالة على التقرر و
التحقق كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب الاعراف ونظائرهما وانما يقولون ذلك تفويضا للامر
الى علمه تعالى واحاطته بما اعتراهم من جهتهم من مقاساة الاهوال ومعاناة الهموم والاوجال و
عرضا لعجزهم عن بيانه لكثرته وفظاعته انك انت علام الغيوب تعليل لذلك اي فتعلم ما اجابوا واظهروا
لنا وما لم نعلمه مما اضمروه في قلوبهم وفيه اظهار للشكاية ورد الامر الى علمه تعالى بما لقوا من قبلهم من الخطوب وكابدوا
من الكروب والتجاء الى ربهم في الانتقام منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة ورد
ذلك بانهم يعرفونهم بسيماهم فكيف يخفى عليهم امرهم وانت خبير بان مرادهم حينئذ ان بعضهم كانوا في زمانهم
على الحق ثم صاروا كفرة وعن ابن عباس ومجاهد والسدي انهم يفزعون من اول الامر ويذهلون عن
الجواب ثم يجيبون بعدما ثابت اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم ولا يلائمه التعليل المذكور وقيل
المراد به المبالغة في تحقيق فضاحتهم وقرئ علام الغيوب بالنصب على النداء او الاختصاص بالمدح على
ان الكلام قد تم عند قوله انت اي انك انت المنعوت بنعوت كمالك المعروف بذلك اذ قال الله
يا عيسى ابن مريم شروع في بيان ما جرى بينه تعالى وبين واحد من الرسل المجموعين من المفاوضة على
التفصيل اثر بيان ما جرى بينه تعالى وبين الكل على وجه الاجمال ليكون ذلك كالانموذج لتفاصيل
احوال الباقين وتخصيص شان عيسى عليه السلام بالبيان تفصيلا من بين شؤون سائر الرسل
عليهم السلام مع دلالتها على كمال هول ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين بالرسل لما ان شانه متعلق
بكلا الفريقين من اهل الكتاب الذين نعيت عليهم في السورة الكريمة جناياتهم فتفصيله اعظم عليهم
واجلب لحسرتهم وندامتهم وادخل في صرفهم عن غيهم وعنادهم واذ بدل من
يوم يجمع الله الرسل وصيغة الماضي لما ذكر من الدلالة على تحقق الوقوع واظهار الاسم الجليل في مقام
الاضمار لما مر من المبالغة في التهويل وكلمة على في قوله عز وجل اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك

متعلق بنفس النعمة ان جعلت مصدرا اي اذكر انعامي عليكما او بمحذوف هو حال منها ان جعلت اسما اي اذكر نعمتي كائنة
عليكما وليس المراد بامره عليه السلام يومئذ بذكر النعم المنتظمة في سلك التعديد تكليفه عليه السلام شكرها والقيام
بمواجبها ولات حين تكليف مع خروجه عليه السلام عن عهدة الشكر اولا اي في الدنيا بل اظهار امره عليه السلام
بتعداد تلك النعم حسبما جيئه الله تعالى اعتدادا بها وتلذذا بذكرها على رؤوس الاشهاد ليكون حكاية ذلك على ما انبا عنه
النظم الكريم توبيخا وتزجرة للكفرة المختلفين في شانه عليه السلام افراطا وتفريطا وابطالا لقولهم جميعا اذ

ايدتك

ظرف لنعمتي اي اذكر انعامي عليكما وقت تأييدي لك او حال منها اي اذكرها كائنة وقت تأييدي لك وقرئ آيدتك
والمعنى واحد اي قويتك بروح القدس بجبريل عليه السلام لتثبيت الحجة او بالكلام الذي يحيى به الدين
واضافته الى القدس لانه سبب الطهر عن اوضار الآثام او يحيى به الموتى او النفوس حيوة ابدية وقيل
الارواح مختلفة في الحقائق فمنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها
حرة ومنها نذلة وكان روحه عليه السلام طاهرة مشرقة نورانية علوية وايا ما كان فهو نعمة عليهما تكلم
الناس في المهد وكهلا استئناف مبين لتأييده عليه السلام او حال من الكاف وذكر تكليمه عليه السلام في حال
الكهولة لبيان ان كلامه عليه السلام في تينك الحالتين كان على نسق واحد بديع صادر عن كمال العقل
مقارنا لرزانة الراي والتدبير وبه استدل على انه عليه السلام سينزل من السماء لانه عليه السلام رفع قبل
التكهل قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ارسله الله تعالى وهو ابن ثلاثين سنة ومكث في رسالته ثلاثين
شهرا ثم رفعه الله تعالى اليه واذ علمتك الكتاب عطف على قوله تعالى اذ ايدتك منصوب بما نصبه
اي اذكر نعمتي عليكما وقت تعليمي لك الكتاب والحكمة اي جنسهما والتورية والانجيل خصا بالذكر
مما تناوله الكتاب والحكمة اظهارا لشرفهما وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب واذ تخلق
من الطين كهيئة الطير اي تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير باذني بتسهيلي وتيسيري لا على ان يكون
الخلق صادرا عنه عليه السلام حقيقة بل على ان يظهر ذلك على يده عليه السلام مع كون الخلق حقيقة لله تعالى

طيرا باذني

كما ينبئ عنه قوله تعالى فتنفخ فيها اي في الهيئة المصورة فتكون اي تلك الهيئة فان اسناده
تعالى لو لم يكن عبارة عن تحويله تعالى للطير بل عن محض تيسيره مع صدور الفعل حقيقة عما اسند اليه لكان
هذا الكون من جهة الهيئة وتكرير قوله باذني في الطير مع كونه شيئا واحدا للتنبيه على ان كلا من التصوير
والنفخ امر معظم لا يقتضي ولا يترتب عليه شيء الا باذنه تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني عطف على تخلق
واذ تخرج الموتى باذني عطف على اذ تخلق اعيد فيه اذ لكون اخراج الموتى من قبورهم لا سيما
بعد ما صارت رميما معجزة باهرة ونعمة جليلة حقيقة بتذكير وقتها صريحا قيل اخرج سام بن نوح عليه
السلام ورجلين وجارية وتكرير قوله باذني في المواضع الاربعة للاعتناء بتحقيق الحق ببيان ان تلك
الخوارق ليست من قبل عيسى عليه السلام بل من جهته سبحانه قد اظهرها على يده معجزة له وبهذا خصها بما
ماذكر في سورة آل عمران لما ان ذلك موضع الاخبار وهذا موضع تعداد النعم واذ كففت بني
اسرائيل عنك عطف على اذ تخرج اي منعت اليهود الذين ارادوا بك السوء عن التعرض لك اذ جئتهم
بالبينات بالمعجزات الواضحة مما ذكر وما لم يذكر كالاخبار بما ياكلون ويدخرون في بيوتهم ونحو ذلك وهو
ظرف لكففت لكن لا باعتبار المجيء بها فقط بل باعتبار ما يعقبه من قوله تعالى فقال الذين كفروا منهم

منهم ان هذا الا سحر مبين فان قولهم ذلك مما يدل على انهم قصدوا اعتداءه عليه السلام المحوج الى الكف اي
كففتهم عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك اياهم بالبينات وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لذمهم بما في حيز الصلة
وكلمة من بيانية فهذا اشارة الى ما جاء به والتذكير لان اشارتهم الى ما راوه من نفس المسمى من حيث
هو او من حيث هو سحر لا من حيث هو مسمى بالبينات وقرئ ان هذا الا ساحر عليم فهذا اشارة اليه عليه
السلام واذ اوحيت الى الحواريين عطف على ما قبله من اخواته الواقعة ظروفا للنعمة التي امر بذكرها
وهي وان كانت في الحقيقة عين ما يفيده الجمل التي اضيف اليها تلك الظروف من التأييد بروح القدس
وتعليم الكتاب والحكمة وسائر الخوارق المعدودة لكنها لمغايرتها لها بعنوان منبئ عن غاية الاحسان امر بذكرها
من تلك الحيثية وجعلت عاملة في تلك الظروف لكفاية المغايرة الاعتبارية في تحقيق ما اعتبر في مدلول كلمة
اذ من تعدد النسبة فانه ظرف موضوع لزمان نسبتين ماضيتين واقعتين فيه احداهما معلومة الوقوع فيه للمخاطب
دون الاخرى فيراد افادة وقوعها ايضا له فيضاف الى الجملة المفيدة للنسبة الاولى ويجعل ظرفا معمولا للنسبة
الثانية ثم قد يكون المغايرة بين النسبتين في الذات كما في قولك اذكر احساني اليك اذ احسنت الي تريد تنبيه
المخاطب على وقوع احسانك وقت وقوع احسانه اليه وهما نسبتان متغايرتان بالذات وقد يكون بالاعتبار
كما في قولك اذكر احساني اليك اذ منعتك من المعصية تريد تنبيه على كون منعه منها احسانا اليه لا على احسان
اخر واقع حينئذ ومن هذا القبيل عامة ما وقع في التنزيل من قوله عز وجل يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل
فيكم انبياء وجعلكم ملوكا الاية وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان
يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم الى غير ذلك من النظائر ومعنى ايحائه تعالى اليهم امره تعالى اياهم في الانجيل
على لسانه عليه السلام وقيل الهامه تعالى اياهم كما في قوله تعالى واوحينا الى ام موسى الاية وان في قوله تعالى
ان امنوا بي وبرسولي مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وقيل مصدرية وايراده عليه السلام
بعنوان الرسالة للتنبيه على كيفية الايمان به عليه السلام كانه قيل امنوا بوحدانيتي في الالوهية والربوبية
وبرسالة رسولي ولا تزيلوه عن حيزه حطا ولا رفعا وقوله عز وجل قالوا امنا استئناف مبني على سؤال
نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قالوا حين اوحي اليهم ذلك فقيل قالوا امنا اي بما
ذكر في وحدانية الله تعالى وبرسالة رسوله كما يؤذن به قولهم واشهد باننا مسلمون اي مخلصون في ايماننا
من اسلم وجهه لله تعالى وهذا القول منهم بمقتضى وحيه تعالى وامره لهم بذلك نعمة جليلة كسائر النعم الفائضة
عليه عليه السلام وكل ذلك نعمة على والدته ايضا روي انه عليه السلام لما علم انه سيؤمر بذكر تلك النعم
العظام جعل يلبس الشعر وياكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول لكل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا
ولد فيموت اين ما امسى بات اذ قال الحواريون كلام مستأنف مسوق لبيان بعض ما جرى
بينه عليه السلام وبين قومه منقطع عما قبله كما ينبئ عنه الاظهار في موضع الاضمار واذ منصوب بمضمر خوطب
به النبي عليه السلام بطريق التلوين والالتفات لكن لا لان الخطاب السابق لعيسى عليه السلام فانه ليس
بخطاب وانما هو حكاية خطاب بل لان الخطاب لمن خوطب بقوله تعالى واتقوا الله الاية فتأمل كانه قيل للنبي
عليه السلام عقيب حكاية ما صدر عن الحواريين من المقالة المعدودة من نعم الله تعالى الفائضة على عيسى
عليه السلام اذكر للناس وقت قولهم الخ وقيل هو ظرف لقالوا اريد به التنبيه على ان ادعاءهم الايمان

والاخلاص لم يكن عن تحقيق واتقان ولا يساعده النظم الكريم ﴿يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾ اختلف في انهم هل كانوا مؤمنين او لا فقيل كانوا كافرين شاكين في قدرة الله تعالى على ما ذكروا وفي صدق عيسى عليه السلام كاذبين في دعوى الايمان والاخلاص وقيل كانوا مؤمنين و سؤالهم للاطمئنان والتثبت لا لازاحة الشك وهل يستطيع سؤال عن الفعل دون القدرة عليه تعبيرا عنه بلازمه وقيل الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك بمعنى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب بمعنى اجاب وقرئ هل تستطيع ربك اى سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عنه وهي قراءة عائشة وابن عباس ومعاذ رضي الله تعالى عنهم وسعيد بن جبير في آخرين و المائدة الخوان الذي عليه الطعام من ماده اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليه ونظيره قوله شجرة مطعمة وقال ابو عبيد هي فاعلة بمعنى مفعول كعيشة راضية ﴿قال﴾ استئناف مبني على سؤال ناشئ عما قبله كانه قيل فماذا قال لهم عيسى عليه السلام حين قالوا ذلك فقيل قال ﴿اتقوا الله﴾ اى من امثال هذا السؤال ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ اى بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتي وان صدقتم في ادعاء الايمان والاسلام فان ذلك مما يوجب التقوى والاجتناب عن امثال هذه الاقتراحات وقيل امرهم بالتقوى ليصير ذلك ذريعة لحصول المسئول كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة ﴿قالوا﴾ استئناف كما سبق ﴿نريد ان نأكل منها﴾ تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال اى لسنا نريد بالسؤال ازاحة شبهتنا في قدرته تعالى على تنزيلها او في صحة نبوتك حتى يقدح ذلك في الايمان والتقوى بل نريد ان نأكل منها اى اكل تبرك وقيل اى اكل حاجة وتمتع ﴿وتطمئن قلوبنا﴾ بكمال قدرته تعالى وان كنا مؤمنين به من قبل فان انضمام علم المشاهدة الى العلم الاستدلالي مما يوجب ازدياد الطمأنينة وقوة اليقين ﴿ونعلم﴾ اى علما يقينيا لا يحوم حوله شائبة شبهة اصلا وقرئ ليعلم على البناء للمفعول ﴿ان قد صدقتنا﴾ في ادعاء النبوة ﴿ونكون عليها من الشاهدين﴾ فنشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة و يقينا ويؤمن بسببها كفارهم او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر وعليها متعلق بالشاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما يشهدون عليه ان جعلت موصولة كانه قيل على اي شيء يشهدون فقيل عليها فان ما يتعلق بالصلة لا يتعلق على الموصول او هو حال من اسم كان او هو متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين ﴿قال عيسى ابن مريم﴾ لما راى عليه السلام ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه اخذ في استدعائها واستنزالها واراد ان يلزمهم الحجة بكمالها روي انه عليه السلام اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين وطأطأ رأسه وغض بصره ثم قال ﴿اللهم ربنا﴾ ناداه سبحانه وتعالى مرتين مرة بوصف الالوهية الجامعة لجميع الكمالات ومرة بوصف الربوبية المنبئة عن التربية اظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء ﴿انزل علينا﴾ تقديم الظرف على قوله عز وجل ﴿مائدة﴾ لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى ﴿من السماء﴾ متعلق بانزل او بمحذوف هو صفة لمائدة اى كائنة من السماء نازلة منها وقوله تعالى ﴿تكون لنا عيدا﴾ في محل النصب على انه صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها اما عيدا ولنا حال منه او صفة وضمير تكون عند من يجوز اعمالها في الحال واما لنا وعيدا حال من الضمير في لنا لانه وقع خبرا فتحمل ضميرا او من ضمير تكون عند من يرى ذلك اى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه

نعظمه وانما اسند ذلك الى المائدة لان شرف اليوم مستعار من شرفها وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن بالجزم على جواب الامر كما في قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني خلا ان قراءة الرفع هناك متواترة وههنا من الشواذ ﴿لاولنا وآخرنا﴾ بدل من لنا باعادة العامل اى عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روي انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل للرؤساء منا والاتباع وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة او الطائفة ﴿وآية﴾ عطف على عيدا ﴿منك﴾ متعلق بمحذوف هو صفة لآية اى كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي ﴿وارزقنا﴾ اى المائدة او الشكر عليها ﴿وانت خير الرازقين﴾ تذييل جار مجرى التعليل اى خير من يرزق لانه خالق الارزاق ومعطيها بلا عوض وفي اقباله عليه السلام على الدعاء وتكرير النداء المنبئ عن كمال الضراعة والابتهال وزيادة ما لم يخطر ببال السائلين من الامور الداعية الى الاجابة والقبول دلالة واضحة على انهم كانوا مؤمنين وان سؤالهم كان لتحصيل الطمأنينة كما في قول ابراهيم عليه السلام رب ارني كيف تحيي الموتى والا لما قبل اعتذارهم بما ذكروه ولما اضاف اليه من عنده ما يؤكده ويقربه الى القبول ﴿قال الله﴾ استئناف كما سبق ﴿اني منزلها عليكم﴾ وورود الاجابة منه تعالى بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير مع كون الدعاء منه عليه السلام بصيغة الافعال لاظهار كمال اللطف والاحسان كما في قوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب بعد قوله عز وجل لئن انجانا من هذه الخ مع ما فيه من مراعاة ما وقع في عبارة السائلين وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما تحقيق للوعد وايذان بانه تعالى منجز له لا محالة من غير صارف يثنيه ولا مانع يلويه واشعار بالاستمرار اى اني منزل المائدة عليكم مرات كثيرة وقرئ بالتخفيف وقيل الانزال والتنزيل بمعنى واحد ﴿فمن يكفر﴾ اى بعد تنزيلها ﴿منكم﴾ متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يكفر ﴿فاني اعذبه﴾ بسبب كفره بعد معاينة هذه الآية الباهرة ﴿عذابا﴾ اسم مصدر بمعنى التعذيب وقيل مصدر بحذف الزوائد وانتصابه على المصدرية بالتقدير المذكور ويجوز ان يكون مفعولا به على الاتساع وقوله تعالى ﴿لا اعذبه﴾ في محل النصب على انه صفة لعذابا والضمير له اى اعذبه تعذيبا لا اعذب مثل ذلك التعذيب ﴿احدا من العالمين﴾ اى من عالمي زمانهم او من العالمين جميعا قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وبه قال مجاهد والحسن والصحيح الذي عليه جماهير الامة ومشاهير الائمة انها قد نزلت روي انه عليه السلام لما دعا بما دعا واجيب بما اجيب اذا بسفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من انواع البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون رأس الحواريين يا روح الله أمن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله تعالى بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا فمسخوا قردة وخنازير وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا

فاو الفقير طارت وهم ينظرون في ظلها ولم ياكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا
ثم اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء
فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم من مسخ فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات وياكلون العذرة
في الحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا على الممسوخين فلما ابصرت الخنازير الى
عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به عليه السلام وجعل يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون و
يشيرون برؤسهم فلا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلثة ايام ثم هلكوا وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ان عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلثين يوما ثم سألوا الله تعالى ما شئتم يعطكم فصاموا فلما فرغوا
قالوا انا لو عملنا لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسألوا الله تعالى المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها
سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم وقال كعب
نزلت منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل الطعام الا اللحم وقال قتادة كان عليها ثمر من
ثمار الجنة وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال الكلبي ومقاتل نزلت سمكة وخمسة
ارغفة فاكلوا ما شاء الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد
وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله تعالى به الخير ثبته على بصيرة ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير
فمكثوا بذلك ثلثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ ﴿واذ قال الله
يا عيسى ابن مريم﴾ معطوف على اذ قال الحواريون منصوب بما نصبه من المضمر المخاطب به النبي عليه السلام او بمضمر
مستقل معطوف على ذلك اي اذكر الناس وقت قول الله عز وجل له عليه السلام في الآخرة توبيخا للكفرة وتبكيتا
لهم باقراره عليه السلام على رؤس الاشهاد بالعبودية وامره لهم بالعبادة عز وجل وصيغة الماضي لما مر
من الدلالة على التحقيق والوقوع ﴿ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين﴾
الاتخاذ اما متعد الى مفعولين فالهين ثانيهما واما الى واحد فهو حال من المفعول ومبنى هذا اصل الكلام اي القول
متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر من ايلاء الهمزة المبتدأ على الاستعمال الفاشي وعليه قوله
عز وجل ءانت فعلت هذا بآلهتنا ونظائره بل على ان المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام لتعيين انه بأمره عليه
السلام ام من تلقاء انفسهم كما في قوله تعالى ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل وقوله تعالى
من دون الله متعلق بالاتخاذ او محله النصب على انه حال من فاعله اي متجاوزين الله او بمحذوف هو صفة
لالهين اي كائنين من دونه تعالى واياما كان فالمراد اشراكهما به سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى ومن الناس
من يتخذ من دون الله اندادا وقوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى قوله سبحانه عما يشركون اذ به يتأتى التوبيخ ويتسنى التقريع والتبكيت و
من توهم ان ذلك بطريق الاستقلال ثم اعتذر عنه بان النصارى يعتقدون ان المعجزات التي ظهرت على
يد عيسى عليه السلام لم يخلقها الله تعالى بل هما خلقاها فصح انهم اتخذوهما في حق بعض الاشياء الهين
مستقلين ولم يتخذوه تعالى الها في حق ذلك البعض فقد ابعد عن الحق بمراحل واما من تعمق فقال ان عبادة
الله تعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده تعالى مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده تعالى فقد غفل عما يجديه
واشتغل بما لا يعنيه كدأب من قبله فان توبيخهم انما يحصل بما يعتقدونه ويعترفون به صريحا لا بما يلزمه بضرب من

من التأويل واظهار الاسم الجليل لكونه في حيز القول المسند الى عيسى عليه السلام ﴿قال﴾ استئناف مبني
على سؤال ناشئ من صدر الكلام كأنه قيل فماذا يقول عيسى عليه السلام ح فقيل يقول وايثار صيغة الماضي لما مر مرارا
﴿سبحانك﴾ سبحان علم للتسبيح وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه وفيه من المبالغة في التنزيه من
حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد من الارض ومن جهة النقل الى صيغة التفعيل ومن جهة
العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع
الفعل ما لا يخفى اي انزهك تنزيها لائقا بك من ان اقول ذلك او من ان يقال في حقك ذلك واما تقدير من ان يكون لك
شريك في الالوهية فلا يساعده سياق النظم الكريم وسباقه وقوله تعالى ﴿ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق﴾ استئناف
مقرر للتنزيه ومبين للمنزه منه وما عبارة عن القول المذكور اي ما يستقيم وما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله
وايثار ليس على الفعل المنفي للظهور دلالته على استمرار انتفاء الحقية وافادة التأكيد بالباء خبره من الباء فان اسمه ضمير
العائد الى ما وخبره بحق ولي للتبيين كما في سقيا لك ونحوه وقوله عز وجل ﴿ان كنت قلته فقد علمته﴾
استئناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه بالطريق البرهاني فان صدوره عنه مستلزم لعلمه تعالى به قطعا فحيث انتفى
علمه تعالى به انتفى صدوره عنه حتما ضرورة ان عدم اللازم مستلزم لعدم الملزوم ﴿تعلم ما في نفسي﴾ استئناف
جار مجرى التعليل لما قبله كأنه قيل لانك تعلم ما اخفيه في نفسي فكيف بما اعلنه وقوله تعالى ﴿ولا اعلم ما في نفسك﴾
بيان للواقع واظهار لقصوره اي ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله تعالى في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس
هو الذات ونسبة المعلومات اليها لما انها مرجع الصفات التي من جملتها العلم المتعلق بها فلم يكن نسبتها الا حقيقة قوله
عز وجل ﴿انك انت علام الغيوب﴾ تعليل لمضمون الجملتين منطوقا ومفهوما وقوله عز وجل
﴿ما قلت لهم الا ما امرتني به﴾ استئناف مسوق لبيان ما صدر عنه قد ادرج فيه عدم صدور القول
المذكور عنه على ابلغ وجه واكده حيث حكم بانتفاء جميع الاقوال المغايرة للمأمور به فدخل فيه انتفاء صدور المذكور دخولا
اوليا اي ما امرتهم الا بما امرتني به وانما قيل ما قلت لهم نزولا على قضية حسن الادب ومراعاة لما ورد في الاستفهام
وقوله عز وجل ﴿ان اعبدوا الله ربي وربكم﴾ تفسير للمأمور به وقيل عطف بيان للضمير في به وقيل بدل منه وليس
من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا عائد وقيل خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني
﴿وكنت عليهم شهيدا﴾ رقيبا اراعي احوالهم واحملهم على العمل بموجب امرك وامنعهم عن المخالفة او مشاهدا
لاحوالهم من كفر وايمان ﴿ما دمت فيهم﴾ ما مصدرية ظرفية يقدر بمصدر مضاف اليه زمان ودمت صلتها
اي كنت شهيدا عليهم مدة دوامي فيما بينهم ﴿فلما توفيتني﴾ بالرفع الى السماء كما في قوله تعالى اني متوفيك
ورافعك الى السماء فان التوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى يتوفى الانفس حين موتها والتي لم
تمت في منامها ﴿كنت انت الرقيب عليهم﴾ لا غيرك فانت ضمير الفصل او تاكيد وقرئ رقيب بالرفع
على انه خبر انت والجملة خبر لكان وعليهم متعلق به اي انت كنت الحافظ لاعمالهم والمراقب فمنعت من اردت
عصمته عن المخالفة بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسول وانزال الآيات وخذلت من خذلت
من الضالين فقالوا ما قالوا ﴿وانت على كل شيء شهيد﴾ اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفيه ايذان
بانه تعالى كان هو الشهيد على الكل حين كونه عليه السلام فيما بينهم وعلى متعلقة بشهيد والتقديم لمراعاة
الفاصلة ﴿ان تعذبهم فانهم عبادك﴾ وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك ﴿وان تغفر لهم فانك انت العزيز﴾

اى القوى القادر على جميع المقدورات ومن جملتها الثواب والعقاب الحكيم الذى لا يريد ولا يفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك انما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد وقيل الترديد بالنسبة الى فرقتين والمعنى ان تعذبهم من كفر منهم وان تغفر لهم اى من امن منهم قال الله كلام مستأنف ختم به حكاية ما حكى مما يقع يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام واشير الى نتيجته ومآله اى يقول الله تعالى يومئذ عقيب جواب عيسى عليه السلام مشيرا الى صدقه فى ضمن بيان حال الصادقين الذين هو فى زمرتهم وصيغة الماضى لما مر من نظائره مرارا وقوله عز وجل هذا اشارة الى ذلك اليوم وهو مبتدأ خبره ما بعده اى هذا اليوم الذى حكى بعض ما يقع فيه اجمالا وبعضه تفصيلا يوم ينفع الصادقين بالرفع والاضافة والمراد بالصادقين كما ينبئ عنه الاسم المستمرون فى الدارين على الصدق فى الامور الدينية التى معظمها التوحيد الذى نحن بصدده والشرائع والاحكام المتعلقة بها من الرسل الناطقة بالحق والصدق الداعين الى ذلك وبه تحصل الشهادة بصدق عيسى عليه السلام ومن الامم المصدقين لهم المقتدين بهم عقدا وعملا وبه يتحقق المقصود بالحكاية من ترغيب السامعين فى الايمان برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا كل من صدق فى اى شئ كان ضرورة ان الجانى المعترف فى الدنيا بجنايته يومئذ اعترافه وصدقه صدقهم فيما ذكر من امور الدين فى الدنيا اذ هو المستتبع للنفع يومئذ واعتبار استمراره فى الدارين مع انه لا حاجة اليه كما عرفت ولا دخل له فى استتباع النفع والجزاء مما لا وجه له وهذه القراءة هى التى اطبق عليها الجمهور وهى الاليق بسياق النظم الكريم وسباقه وقد قرئ يوم بالنصب اما انه ظرف لقال فهذا اشارة الى قوله تعالى أأنت قلت الخ واما على انه خبر لهذا فهو اشارة الى جواب عيسى عليه السلام اى هذا الجواب منه عليه السلام واقع يوم ينفع الصادقين او الى السؤال والجواب معا وقيل هو خبر ولكنه بنى على الفتح وليس بصحيح لانه مضاف الى متمكن وقرئ يوم بالرفع والتنوين كقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا استئناف مسوق لبيان النفع المذكور كانه قيل ما لهم من النفع فقيل لهم نعيم دائم وثواب خالد وقوله تعالى رضى الله عنهم استئناف اخر مسوق لبيان انه تعالى افاض عليهم غير ما ذكر من الجنات ما لا قدر لها عنده وهو رضوانه الذى لا غاية وراءه كما ينبئ عنه قوله تعالى ورضوان من الله اكبر اذ لا شئ اعز منه حتى يمتد اليه اعناق الهمم ورضوا عنه ذلك اشارة الى نيل رضوانه تعالى وقيل الى نيل الكل هو الفوز العظيم لا ان عظم شأن الفوز تابع لعظم شأن المطلوب الذى يتعلق به الفوز وقد عرفت ان لا مطلب وراء ذلك اصلا وقوله عز وجل لله ملك السموات والارض وما فيهن تحقيق للحق وتنبيه على كذب النصارى وفساد ما زعموا فى حق المسيح وامه اى له تعالى خاصة ملك السموات والارض وما فيهما من العقلاء وغيرهم يتصرف فيها كيف يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا من غير ان يكون لشئ من الاشياء مدخل فى ذلك وفى ايثار ما على من المختصة بالعقلاء على تقدير تناولها للكل مراعاة للاصل واشارة الى تساوى الفريقين فى استحالة الربوبية حسب تساويهما فى تحقق المربوبية وعلى تقدير اختصاصها بغير العقلاء تنبيه على كمال قصورهم عن رتبة الالوهية والاهانة بهم بتغليب غيرهم عليهم وهو على كل شئ من الاشياء قدير مبالغ فى القدرة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطى من الاجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى

ونصرانى يتنفس فى الدنيا والله اعلم

سورة الانعام مكية وهى مائة وستون وخمس آيات

الحمد لله تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة اولا باسم الذات الذى عليه يدور كافة ما يوجد من صفات الكمال واليه يؤول جميع نعوت الجلال والجمال للايذان بانه عز وجل هو المستحق له بذاته لما مر من اقتضاء اختصاص الحقيقة به سبحانه لاقتصار جميع افرادها عليه بالطريق البرهانى ووصفه تعالى ثانيا بما ينبئ عن تفصيل بعض موجباته المنتظمة فى سلك الاجمال من عظائم الآثار وجلائل الافعال من قوله عز وجل الذى خلق السموات والارض للتنبيه على استحقاقه تعالى له واستقلاله به باعتبار افعاله العظام والائه الجسام ايضا وتخصيص خلقهما بالذكر لاشتمالهما على جملة الآثار العلوية والسفلية وعامة الآلاء الجلية والخفية التى اجلها نعمة الوجود الكافية فى ايجاب حمده تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها من فنون النعم الانفسية والآفاقية المنوط بها مصالح العباد فى المعاش والمعاد اى انشأهما على ما هما عليه من النمط الفائق والطراز الرائق منطويين على انواع البدائع واصناف الروائع بما تتحير فيه العقول والافكار من تعاجيب العبر والآثار تبصرة وذكرى لاولى الابصار وجمع السموات لظهور تعدد طبقاتها واختلاف آثارها وحركاتها وتقديمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها على الارض كما هى وجعل الظلمات والنور عطف على خلق مترتب عليه لكون جعلهما مسبوقا بخلق منشأيهما ومحلهما داخل معه فى حكم الاشعار بعلة الحمد فكما ان خلق السموات والارض وما فيهما لكونه اثرا عظيما ونعمة جليلة موجب لاختصاص الحمد بخالقهما جل وعلا كذلك جعل الظلمات والنور لكونه اثرا خطيرا ونعمة عظيمة مقتض لاختصاصه بجاعلهما والجعل هو الانشاء والابداع كالخلق خلا ان ذلك مختص بالانشاء التكوينى وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما فى الاية الكريمة وللتشريعى ايضا كما فى قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الخ واياما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشئ آخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شئ من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة فى الكلام بل قيدا فيه كما فى قوله عز وجل وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسى واجعل لنا من لدنك وليا فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة واياما كان فهو قيد فى الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما فى قوله تعالى يجعلون اصابعهم فى آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو فى الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف فى قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة حيث قيل ان الظرف مفعول ثان لجاعل وقد اشير هناك الى ان الذى يقتضيه الذوق السليم ويقتضيه جزالة النظم الكريم انه متعلق بجاعل او بمحذوف وقع حالا من المفعول وان المفعول الثانى هو خليفة والاول محذوف على ما مر تفصيله وجمع الظلمات لظهور كثرة اسبابها ومحالها عند الناس ومشاهدتهم لها على التفصيل وتقديمها على النور لتقدم الاعدام على الملكات مع ما فيه من حسن المقابلة بين القرينتين وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون معطوف على الجملة السابقة الناطقة بما مر من موجبات اختصاصه تعالى بالحمد المستدعى لاقتصار العبادة عليه كما حقق فى تفسير الفاتحة الكريمة مسوق لانكار ما عليه الكفرة واستبعاده من مخالفتهم لمضمونها واجترائهم على ما يقضى ببطلانه بديهة العقول والمعنى انه تعالى مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل

من شؤونه العظيمة الخاصة به الموجبة لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه ويعدلون به سبحانه
اى يسوون به غيره فى العبادة التى هى اقصى غايات الشكر الذى رأسه الحمد مع كون كل ما سواه مخلوقا له غير متصف
بشيء من مبادي الحمد وكلمة ثم لاستبعاد الشرك من وضوح ما ذكر من الايات التكوينية القاضية ببطلانه لا بعد
بيانه بالايات التنزيلية الموصول عبارة عن طائفة الكفار جار مجرى الاسم لهم من غير ان يجعل كفرهم بما يوجب الايمان
يؤمن به كلا او بعضا عنوانا للموضوع فان ذلك مخل باستبعاد ما اسند اليهم من الاشراك والباء متعلقة بيعدلو
ووضع الرب موضع ضميره تعالى لزيادة التشنيع والتقبيح والتقديم لمزيد الاهتمام والمسارعة الى تحقيق مدار
الانكار والاستبعاد والمحافظة على الفواصل وترك المفعول لظهوره او لتوجيه الانكار الى نفس الفعل بتنزيله
منزلة اللازم ايذانا بان المدار فى الاستبعاد والاستنكار لا خصوصية المفعول هذا هو التحقيق بجزالة التنزيل
والتحليق بفخامة شأنه الجليل واما جعل الباء صلة لكفروا على ان يعدلون من العدول والمعنى ان الله تعالى حقيق
بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فيكفرون نعمته فيرده ان كفرهم به تعالى لا سيما
باعتبار ربوبيته تعالى لهم اشد شناعة واعظم جناية من عدولهم عن حمده عز وجل لتحققه مع افعال ايضا
فجعل اهون الشرين عمدة فى الكلام المسوق فكيف فى النظم التنزيلي هذا وقد قيل انه معطوف على خلق السموات
والمعنى انه تعالى ما خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به سبحانه ما لا يقدر على شيء منه لكن لا على
قصد انه صلة مستقلة ليكون بمنزلة ان يقال الحمد لله الذى عدلوا به بل على انه داخل تحت الصلة بحيث
يكون الكل صلة واحدة كانه قيل الحمد لله الذى كان منه تلك النعم العظام ثم من الكفرة الكفر وانت خبير بان
ما ينتظم فى سلك الصلة المنبئة عن موجبات حمده عز وجل حقه ان يكون له دخل فى ذلك الانباء ولو فى الجملة ولا
ريب فى ان كفرهم بمعزل عنه وادعاء ان له دخلا فيه لدلالته على كمال الجور كانه قيل الحمد لله الذى انعم
بمثل هذه النعم العظام على من لا يحمده تعسف لا يساعده النظم وتكليف يأباه المقام كيف لا وسياق
النظم الكريم كما يفصح عنه الايات الاتية لتشنيع الكفرة وتوبيخهم ببيان غاية اساءتهم مع نهاية احسانه تعالى
اليهم لا نهاية بيان احسانه تعالى اليهم مع غاية اساءتهم فى حقه تعالى كما تقتضيه الادعاء المذكور
بعد اتضح انه لا سبيل الى جعل المعطوف من روادف المعطوف عليه لما ان حق الصلة ان تكون غير مقصودة
الافادة فما ظنك بما هو من روادفها وقد عرفت ان المعطوف عليه هو الذى يسبق له الكلام فتأمل ح
كن على الحق المبين هو الذى خلقكم من طين ۞ استيناف مسوق لبيان بطلان كفرهم بالبعث
مع مشاهدتهم لما يوجب الايمان به اثر بيان بطلان اشراكهم به تعالى مع معاينتهم بموجبات توحيده و
تخصيص خلقهم بالذكر من بين سائر ما يدل على صحة البعث من ان ما ذكر من خلق السموات والارض من
اوضحها واظهرها كما ورد فى قوله تعالى اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم
لما ان محل النزاع بعثهم فدلالة بدء خلقهم على ذلك اظهر وهم بشؤون انفسهم اعرف والتعامي على الحجة
النيرة اقبح والالتفات لمزيد التشنيع والتوبيخ اى ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى للكل لما انه منشأ
آدم عليه السلام الذى هو اصل البشر وانما نسب هذا الخلق الى المخاطبين لا الى آدم عليه السلام وهو المخلوق
منه حقيقة بان يقال هو الذى خلق اباكم مع كفاية علمهم بخلقه عليه السلام منه فى ايجاب الايمان بالبعث
وبطلان الامتراء لتوضيح منهاج القياس وللمبالغة فى ازاحة الاشتباه والالتباس مع ما فيه من تحقيق

مقصود الافادة واخراجها عنها فتحيح القيد المزوع عنه لا عبدة فى الكلام م

الحق والتنبيه على حكمة خفية هى ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عليه السلام منه حيث لم تكن فطرته
البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان
آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من الطين خلقا لكل واحد من فروعه منه ولما كان خلقه عليه السلام
على هذا النمط السارى الى جميع افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة
الخلق المذكور اليه وادل على عظم قدرة الخلاق العليم وكمال علمه وقدرته وكان ابتداء حال المخاطبين
اولى بان يكون معيارا لانتهائها فعل ما فعل ولله در شأن التنزيل وعلى هذا السر مدار قوله عز وجل و
لقد خلقناكم ثم صورناكم الاية وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا كما سيأتى وقيل المعنى
خلق اباكم منه على حذف المضاف وقيل معنى خلقهم منه خلقهم من النطفة الحاصلة من الاغذية المتكونة من
الارض وايا ما كان ففيه من وضوح الدلالة على كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فان من قدر على
احياء ما لم يشم رائحة الحيوة قط ما كان على احياء ما قارنها مدة اظهر قدرة ۞ ثم قضى ۞
اى كتب لموت كل واحد منكم ۞ اجلا ۞ خاصا به اى حدا معينا من الزمان يفنى عند حلوله لا
محالة وكلمة ثم للايذان بتفاوت ما بين خلقهم وبين تقدير آجالهم حسبما تقتضيه الحكم البالغة ۞ واجل
مسمى ۞ اى حد معين لبعثكم جميعا وهو مبتدأ لتخصصه بالصفة كما فى قوله عز وجل ولعبد مؤمن
ولوقوعه فى موقع التفصيل كما فى قول من قال ۞ اذا ما بكى من خلفها انصرفت له ۞ بشق وشق عندنا
لم يحول ۞ وتنوينه لتفخيم شأنه وتهويل امره ولذلك اوثر تقديمه على الخبر الذى هو ۞ عنده ۞ مع ان
الشائع المستفيض هو التأخير كما فى قولك عندى كلام حق ولى كتاب نفيس كانه قيل واى اجل مسمى
مثبت معين فى علمه لا يتغير ولا يقف على وقت حلوله احد لا مجملا ولا مفصلا واما اجل الموت
فمعلوم اجمالا وتقريبا بناء على ظهور اماراته او على ما هو المعتاد فى اعمار الانسان وتسميته اجلا انما هى
باعتبار كونه غاية لمدة لبثهم فى القبور لا باعتبار كونه مبدأ لمدة القيامة كما ان مدار التسمية فى الاجل
الاول هو كونه آخر مدة الحيوة لا كونه اول مدة الممات لما ان الاجل فى اللغة عبارة عن آخر المدة
لا عن اولها وقيل الاجل الاول ما بين الخلق والموت والثانى ما بين الموت والبعث من البرزخ
فان الاجل كما يطلق على آخر المدة يطلق على كلها وهو الاوفق لما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما ان الله تعالى قضى لكل احد اجلين اجلا من مولده الى موته واجلا من موته الى مبعثه فان كان
برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث فى اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا نقص من اجل العمر و
زيد فى اجل البعث وذلك فى قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب فمعنى عدم تغيير
الاجل حينئذ عدم تغير آخره والاول هو الاشهر الاليق بتفخيم الاجل الثانى المنوط باختصاصه بعلمه عز وجل
والانسب بتهويله المنبئ عن مقارنته الطامة الكبرى فان كون بعضه معلوما للخلق ومضيه من غير
ان يقع فيه شيء من الدواهى كما يستلزمه الحمل على المعنى الثانى مخل بذلك قطعا ومعنى زيادة الاجل
ونقصه فيما روى تأخير الاجل الاول وتقديمه ثم انتم تمترون ۞ استبعاد واستنكار لامترائهم
فى البعث بعد معاينتهم لما ذكر من الحجج الباهرة الدالة عليه اى تمترون فى وقوعه وتحققه فى نفسه
مع مشاهدتكم فى انفسكم من الشواهد ما يقطع مادة الامتراء بالكلية فان من قدر على افاضة الحيوة

وما يتفرع عليها من العلم والقدرة وسائر الكمالات البشرية على مادة غير مستعدة لشيء منها اصلاً كان اوضح اقتدارا على افاضتها على مادة قد استعدت لها وقارنتها مدة ومن ههنا تبين ان ما قيل من ان الاجل الاول هو النوم والثاني هو الموت او ان الاول اجل الماضين والثاني اجل الباقين او ان الاول مقدار ما مضى من عمر كل احد والثاني مقدار ما بقي منه مما لا وجه له اصلا لما رايت من ان مساق النظم الكريم استبعاد امترائهم في البعث الذي عبر عنه بالاجل المسمى بحيث اريد به احد ما ذكر من الامور الثلثة فمن اي شيء يمترون ووصفهم بالامتراء الذي هو الشك وتوجيه الاستبعاد اليه مع انهم جازمون بانتفاء البعث مصرون على انكاره كما ينبئ عنه قولهم أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ونظائره للدلالة على ان جزمهم المذكور في اقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار وقوله عز وجل وهو الله جملة من مبتدأ وخبر معطوفة على ما قبلها مسوقة لبيان شمول احكام الهيته تعالى لجميع المخلوقات واحاطة علمه بتفاصيل احوال العباد واعمالهم المؤدية الى الجزاء اثر الاشارة الى تحقيق المعاد في تضاعيف بيان كيفية خلقهم وتقدير اجالهم وقوله تعالى في السموات وفي الارض متعلق بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل اما باعتبار اصل اشتقاقه وكونه علما للمعبود بالحق كانه قيل هو المعبود فيهما واما باعتبار انه اسم اشتهر بما اشتهرت به الذات من صفات الكمال ولوحظ معه منها ما يقتضيه المقام من المالكية الكلية والتصرف الكامل حسبما تقتضيه المشية المبنية على الحكم البالغة فعلق به الظرف من تلك الحيثية فصار كانه قيل وهو المالك او المتصرف المدبر فيهما كما في قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وليس المراد بما ذكر من الاعتبارين ان الاسم الجليل يحمل على معناه اللغوي او على معنى المالك والمتصرف او نحو ذلك بل مجرد ملاحظة احد المعاني المذكورة في ضمنه كما لوحظ في اسم الاسد في قوله اسد علي ما اشتهر به من وصف الجراءة التي اشتهر بها فسماه يجري مجرى جريء وبهذا تبين ان ما قيل بصدد التصوير والتقرير اي هو المعروف بذلك في السموات والارض او هو المعروف المشتهر بالصفات الكمالية او هو المعروف بالالهية فيهما او نحو ذلك بمعزل من التحقيق فان المعتبر مع الاسم هو نفس الوصف الذي اشتهر به او هو الذي يقتضيه المقام حسبما تبين آنفا لا اشتهاره به الا يرى ان كلمة على في المثال المذكور لا يمكن تعليقها باشتهار الاسم بالجراءة قطعا وقيل هو متعلق بما يفيده التركيب الحصري من التوحد والتفرد كانه قيل هو المتوحد بالالهية فيهما وقيل بما تقرر عند الكل من اطلاق هذا الاسم عليه تعالى خاصة كانه قيل وهو الذي يقال له الله فيهما لا يشرك به شيء في هذا الاسم على الوجه الذي سبق من اعتبار معنى التوحيد او القول في تحوي الكلام بطريق الاستتباع لا على جعل الاسم الجليل على معنى التوحد بالالهية او على تقدير القول وقد جوز ان يكون الظرف خبرا ثانيا على ان كونه سبحانه فيهما عبارة عن كونه تعالى مبالغا في العلم بما فيهما على تنزيل علمه المقدس عن حصول الصور والاشباح لكونه حضوريا منزلة كونه تعالى فيهما وتصويره به على طريقة التمثيل المبني على تشبيه حالة علمه تعالى بما فيهما بحالة كونه تعالى فيهما فان العالم اذا كان في مكان كان عالما بما فيه على وجه لا يخفى عليه منه شيء فعلى هذا يكون قوله عز وجل يعلم سركم وجهركم اي ما اسررتموه وما جهرتم به من الاقوال او ما اسررتموه وما اعلنتموه كائنا ما كان من الاقوال والاعمال بيانا وتقريرا لمضمونه وتحقيقا للمعنى المراد منه وتعليق علمه عز وجل بما ذكر خاصة مع شموله لجميع ما فيهما حسبما يفيده الجملة السابقة لانسياق النظم الكريم الى بيان حال المخاطبين وكذا على الوجه الثاني فان ملاحظة الاسم الجليل من حيث المالكية الكلية

والتصرف الكامل الجاري على النمط المذكور مستتبعة لملاحظة علمه المحيط حتما فيكون هذا بيانا وتقريرا له بلا ريب واما الاوجه الثلثة الباقية فلا سبيل الى كونه بيانا لكن لا لما قيل لان الاول لا دلالة له على استواء السر والجهر في علمه تعالى على ما اعتبر فيهما من المعبودية والاختصاص بهذا الاسم اذ ربما يعبد ويختص به من ليس له كمال العلم فانه باطل قطعا اذ المراد بما ذكر هو المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم الجليل ولا ريب في انهما مما لا يتصور فيمن ليس له كمال العلم بديهة بل لان ما ذكر من العلم غير معتبر في مدلول شيء من المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم حتى يكون هذا بيانا له وبهذا تبين انه ليس ببيان على الوجه الثالث ايضا لما ان التوحد بالالهية لا يعتبر في مفهومه العلم الكامل ليكون هذا بيانا له بل هو معتبر فيما صدق عليه المتوحد وذلك غير كاف في البيانية وقيل هو خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وقيل هو الخبر والاسم الجليل بدل من هو وبه يتعلق الظرف المتقدم ويكفي في ذلك كون المعلوم فيهما كما في قولك رميت الصيد في الحرم اذا كان هو فيه وانت خارجه ولعل جعل سركم وجهركم فيهما لتوسيع الدائرة وتصويره انه لا يعزب عن علمه شيء منهما في اي مكان كان لا لانهما قد يكونان في السموات ايضا وتعميم الخطاب لاهلها تعسف لا يخفى ويعلم ما تكسبون اي ما تفعلونه لجلب نفع او دفع ضر من الاعمال المكتسبة بالقلوب والجوارح سرا او علانية وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فيما سبق على التفسير الثاني للسر والجهر لاظهار كمال الاعتناء بها لانها التي يتعلق بها الجزاء وهو السر في اعادة يعلم وما تأتيهم من آية من آيات ربهم كلام مستأنف وارد لبيان كفرهم بآيات ربهم واعراضهم عنها بالكلية بعد ما بين في الآية الاولى اشراكهم بالله سبحانه واعراضهم عن بعض آيات التوحيد وفي الآية الثانية امتراؤهم في البعث واعراضهم عن بعض آياته والالتفات للاشعار بان ذكر قبائحهم قد اقتضى ان يعرض عنهم الخطاب صفحا وتعدد جناياتهم لغيرهم ذما لهم وتقبيحا لحالهم فما نافية وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او للدلالة على الاستمرار التجددي ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية واضافة الآيات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترأوا عليه في حقها والمراد بها اما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم آية من الآيات القرآنية التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله عز وجل المنبئة عن جريان احكام الالوهية على كافة الكائنات واحاطة علمه بجميع احوال الخلق واعمالهم الموجبة للاقبال عليها والايمان بها الا كانوا عنها معرضين اي على وجه التكذيب والاستهزاء كما ستقف عليه واما الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات فاتيانها ظهورها لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التكوينية التي من جملتها ما ذكر من جلائل شؤونه تعالى الشاهدة بوحدانيته تعالى الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي الى الايمان بمكونها وايثاره على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله عز وجل وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في محل النصب على انها حال من مفعول تأتي او من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما او اياما كان ففيها دلالة بينة على كمال مسارعتهم الى الاعراض وايقاعهم له في آن الاتيان كما يفصح عنه كلمة لما في قوله عز وجل فقد

فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فان الحق عبارة عن القرآن الذي اعرضوا عنه حين اعرضوا عن كل آية آية منه عبر عنه
بذلك ابانة لكمال قبح ما فعلوا به فان تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره عن احد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن
لا على انه شيء مغاير له في الحقيقة واقع عقيبه او حاصل بسببه على ان الاول علة له حقيقة وانما الترتيب بحسب
التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك المعنى كما في قوله تعالى فقد جاؤوا ظلما وزورا بعد قوله تعالى وقال الذين
كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فان ما جاؤوه اي فعلوه من الظلم والزور عين قولهم
المحكي لكنه لما كان مغايرا له مفهوما واشنع منه حالا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا لامره كذلك
مفهوم التكذيب بالحق حيث كان اشنع من مفهوم الاعراض المذكور اخرج مخرج اللازم البين البطلان فرتب
عليه بالفاء اظهارا لغاية بطلانه ثم قيد ذلك بكونه بلا تأمل تأكيدا لشناعته وتمهيدا لبيان ان ما كذبوا به اثر
ذي اثير له عواقب جليلة ستبدو لهم البتة والمعنى انهم حيث اعرضوا عن تلك الآيات عند اتيانها فقد كذبوا
بما لم يكن تكذيبه اصلا من غير ان يتدبروا في حاله وماله ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الموجبة
العاجلة التي نطقت بها آيات الوعيد وفي لفظ الانباء ايذان بغاية العظم لما ان النبأ لا يطلق الا على خبر عظيم
الوقع وحملها على العقوبات لتصديقه كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كما ينبئ عنه
قوله تعالى فسوف يأتيهم فان ما عبارة عن الحق المذكور عبر عنه بذلك تهويلا
لامره بابهامه وتعليلا للحكم بما في حيز الصلة وانباؤه عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات الآجلة او على
ظهور الاسلام وعلو كلمته بايراد الآيات الآتية وسوف لتأكيد مضمون الجملة وتقريره اي فسيأتيهم البتة
وان تأخر مصداق انباء الشيء الذي كانوا يكذبون به قبل من غير ان يتدبروا في عواقبه وانما قيل
يستهزئون ايذانا بان تكذيبهم كان مقرونا بالاستهزاء كما اشير اليه هذا على ان يراد بالآيات الآيات القرآنية
وهو الاظهر واما ان اريد بها الآيات التكوينية فالفاء داخلة على علة جواب شرط محذوف والاعراض
على حقيقته كانه قيل ان كانوا معرضين عن تلك الآيات فلا تعجب فقد فعلوا بما هو اعظم منها ما هو اعظم
من الاعراض حيث كذبوا بالحق الذي هو اعظم الآيات ولا مساغ لحمل الآيات في هذا الوجه على كلها جملة
واما ما قيل من ان المعنى انهم كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا بالقرآن فمما ينبغي تنزيه التنزيل
عن امثاله الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن استئناف مسوق لتعيين ما هو المراد بالانباء التي سيق
بها الوعيد وتقرير اتيانها بطريق الاستشهاد وهمزة الانكار لتقرير الرؤية وهي عرفانية مستدعية
لمفعول واحد وكم استفهامية كانت او خبرية معلقة لها عن العمل مفيدة للتكثير سادة مع ما في حيزها
مسد مفعولها منصوبة باهلكنا على المفعولية على انها عبارة عن الاشخاص ومن قرن مميز لها على انها
عبارة عن اهل عصر من الاعصار سموا بذلك لاقترانهم برهة من الدهر كما في قوله صلى الله تعالى عليه
وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث وقيل هو عبارة عن مدة من الزمان والمضاف
محذوف اي من اهل قرن واما انتصابها على المصدرية او على الظرفية على انها عبارة عن المصدر
او عن الزمان فتعسف ظاهر ومن الاولى ابتدائية متعلقة باهلكنا الا لم يعرفوا بمعاينة الآثار
وسماع الاخبار كم امة اهلكنا من قبل اهل مكة اي من قبل خلقهم او من قبل زمانهم على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كعاد وثمود واضرابهم وقوله تعالى مكناهم في الارض مكناهم

استئناف لبيان كيفية الاهلاك وتفصيل مباديه مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل كيف كان ذلك
فقيل مكناهم الخ وقيل صفة لقرن لما ان النكرة مفتقرة الى التخصيص فاذا وليها ما يصلح مخصصا لها تعين وصفيته
لها وانت خبير بان تنوينه التفخيمي مغن له عن استدعاء الصفة على ان ذلك مع ان يكون مضمونه ومضمون ما عطف
عليه من الجمل الاربع امرا مفروغا عنه غير مقصود لسياق النظم مؤد الى اختلال النظم الكريم كيف لا والمعنى حينئذ
الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن موصوفين بكذا وبكذا وباهلكنا اياهم بذنوبهم وانه بين الفساد
وتمكين الشيء في الارض جعله قارا فيها ولما لزمه جعل مقرا له ورد الاستعمال بكل منهما فقيل تارة مكنه في
الارض ومنه قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه واخرى مكن له في الارض ومنه قوله تعالى انا مكنا
له في الارض حتى اجرى كل منهما مجرى الآخر ومنه قوله تعالى ما لم نمكن لكم بعد قوله تعالى مكناهم
في الارض كانه قيل نحو الارض مكنا لهم او في الخ ما لم نمكنكم وما نكرة موصوفة بما بعدها من الجملة المنفية والعائد
محذوف محلها النصب على المصدرية اي مكناهم تمكينا لم نمكنه لكم والالتفات لما في مواجهتهم بضعف الحال من مزيد
بيان ان الفريقين ولدفع الاشتباه من اول الامر عن مرجع الضميرين وارسلنا السماء اي المطر والسحاب
او المظلة لانها مبدأ المطر عليهم متعلق بارسلنا مدرارا اي مغزارا حال من السماء وجعلنا
الانهار اي صيرناها فقوله عز وجل تجري من تحتهم مفعول ثان لجعلنا او انشأناها فهو حال
من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجري وفيه من الدلالة على كونها مسخرة لهم مستمرة على الجريان على الوجه
المذكور ما ليس في ان يقال واجرينا الانهار من تحتهم وليس المراد بتعداد هاتيك النعم العظام الفائضة عليهم
بعد ذكر تمكينهم بيان عظم جناياتهم في كفرانها واستحقاقهم بذلك لاعظم العقوبات بل بيان حيازتهم لجميع اسباب
نيل المآرب ومبادي الامن والنجاة من المكاره والمعاطب وعدم اغناء ذلك عنهم شيئا والمعنى اعطيناهم
من البسطة في الاجسام والامتداد في الاعمار والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا في استجلاب
المنافع واستدفاع المضار ما لم نعط اهل مكة ففعلوا ما فعلوا فاهلكناهم بذنوبهم اي اهلكنا
كل قرن من تلك القرون بسبب ما يخصهم من الذنوب فما اغنى عنهم تلك العدد والاسباب فسيحل بهؤلاء
مثل ما حل بهم من العذاب وهذا كما ترى آخر ما به الاستشهاد والاعتبار واما قوله سبحانه
وانشأنا من بعدهم اي احدثنا من بعد اهلاك كل قرن قرنا آخرين بدلا من الهالكين
فلبيان كمال قدرته تعالى وسعة سلطانه وان ما ذكر من اهلاك الامم الكثيرة لم ينقص منه شيئا
بل كلما اهلك امة انشأ بدلها اخرين ولو نزلنا عليك جملة مستأنفة سيقت بطريق
تلوين الخطاب لبيان شدة شكيمتهم في المكابرة وما يتفرع عليها من الاقاويل الباطلة اثر بيان اعراضهم
عن آيات الله تعالى وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم بذلك لنزول العذاب ونسبة التنزيل ههنا اليه عليه
السلام مع نسبة اتيان الآيات ومجيء الحق فيما سبق اليهم للاشعار بقدحهم في نبوته عليه السلام في ضمن
قدحهم فيما نزل عليه صريحا قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية و
نوفل بن خويلد حيث قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب
من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله تعالى وانك لرسوله كتابا
بالحق حيث اسماه كالامام فقوله تعالى في قرطاس متعلق بمحذوف وقع صفة له اي كتابا كائنا في صحيفة

وان جعل مصدراً بمعنى المكتوب فهو متعلق بنفسه فلمسوه اى الكتاب الذى وقيل القرطاس
وقوله تعالى بايديهم مع ظهور ان اللمس لا يكون عادة الا بالايدى لزيادة التعيين ودفع احتمال
التجوز الواقع فى قوله تعالى وانا لمسنا السماء اى تفحصنا اى فمسوه بايديهم بعدما رأوه باعينهم بحيث
لم يبق لهم فى شأنه اشتباه ولم يقدروا على الاعتذار بسكر الابصار لقال الذين كفروا اى لقالوا
وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على اتصافهم بما فى حيز الصلة من الكفر الذى لا يخفى حسن
موقعه باعتبار مفهومه اللغوى ايضاً ان هذا اى ما هذا مشيرين الى ذلك الكتاب الا سحر
مبين اى بين كونه سحراً تعنتاً وعناداً للحق بعد ظهوره كما هو دأب المحجوج وديدن المكابر
اللجوج وقالوا لولا انزل عليه ملك شروع فى قدحهم فى نبوته عليه السلام صريحاً بعدما اشير اليه
فيها ضمناً وقيل هو معطوف على جواب لو ويأباه ذلك ما ان تلك المقالة الشنعاء ليست مما يقدر
صدورها عنهم على تقدير تنزيل الكتاب المذكور بل هى من اباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملفقة
التى يتعللون بها كلما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل اى هلا انزل عليه عليه السلام ملك بحيث
نراه ويكلمنا انه نبى حسبما نقل عنهم فيما روى عن الكلبى ومقاتل ونظيره قولهم لولا انزل اليه ملك
فيكون معه نذيراً ولما كان مدار هذا الاقتراح على شيئين انزال الملك كما هو وجعله معه عليه السلام
نذيراً اجيب عنه بان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الوجود اصلاً لاشتماله على امرين متباينين لا
يجتمعان فى الوجود لما ان انزال الملك على صورته يقتضى انتفاء جعله نذيراً وجعله نذيراً
يستدعى عدم انزاله على صورته لا محالة وقد اشير الى الاول بقوله تعالى ولو انزلنا ملكاً
لقضى الامر اى لو انزلنا ملكاً على هيئته حسبما اقترحوه والحال انه من هول المنظر بحيث لا تطيق
بمشاهدته قوى الآحاد البشرية الا يرى ان الانبياء صلوات الله تعالى عليهم اجمعين كانوا
يشاهدون الملائكة ويفاوضونهم على الصور البشرية كضيف ابراهيم ولوط وخصم داود
عليهم السلام الى غير ذلك وحيث كان شأنهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية
فما ظنك بمن عداهم من العوام ولو شاهدوه كذلك لقضى امر اهلاكهم بالكلية واستحال
جعله نذيراً وهو مع كونه خلاف مطلوبهم مستلزم لاخلاء العالم عما عليه يدور نظام الدنيا
والآخرة من ارسال الرسل وتأسيس الشرائع وقد قال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولاً وفيه كما ترى ايذان بانهم فى ذلك الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه وان عدم
الاجابة اليه للابقاء عليهم وبناء الفعل الاول فى الجواب للفاعل الذى هو نون العظمة
مع كونه فى السؤال مبنياً للمفعول لتهويل الامر وتربية المهابة وبناء الثانى للمفعول للجرى
على سنن الكبرياء وكلمة ثم فى قوله عز وجل ثم لا ينظرون اى لا يمهلون بعد نزوله طرفة
عين فضلاً عن ان ينذروا به كما هو المقصود بالانزال للتنبيه على تفاوت ما بين قضاء
الامر وعدم الانظار فان مفاجأة العذاب اشد من نفس العذاب واشق وقيل فى
سبب اهلاكهم انهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى
صورته وهى آية لا شئ ابين منها ثم لم يؤمنوا لم يكن بد من اهلاكهم وقيل انهم اذا راوه

او رأوه يزول الاختيار الذى هو قاعدة التكليف فيجب اهلاكهم والى الثانى بقوله تعالى ولو
جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً على ان الضمير الاول للنذير المفهوم من فحوى الكلام بمعونة المقام وانما
لم يجعل للملك المذكور قبله بان يعكس ترتيب المفعولين ويقال ولو جعلناه نذيراً لجعلناه رجلاً لتحقيق
ان مناط ابراز الجعل الاول فى معرض الفرض والتقدير ومدار استلزامه للثانى انما هو ملكية النذير لا نذيرية
الملك وذلك لان الجعل حقه ان يكون مفعوله الاول مبتدأ والثانى خبراً لكونه بمعنى التصيير المنقول من صار الداخل
على المبتدأ والخبر ولا ريب فى ان مصب الفائدة ومدار اللزوم بين طرفى الشرطية هو محمول المقدم لا موضوعه
فحيث كانت امتناعية اريد بها بيان انتفاء الجعل الاول لاستلزامه المحذور الذى هو الجعل الثانى وجب ان يجعل
مدار الاستلزام فى الاول مفعولاً ثانياً لا محالة ولذلك جعل مقابله فى الجعل الثانى وجب ان يجعل مدار الاستلزام
فى كذلك ابانة لكمال التنافى بينهما الموجب لانتفاء الملزوم والضمير الثانى للملك لا لما رجع اليه الاول والمعنى ولو جعلنا
النذير الذى اقترحوه ملكاً لمثلنا ذلك الملك رجلاً لما مر من عدم استطاعة الآحاد لمعاينة الملك على هيكله
وفى ايثار رجلاً على بشراً ايذان بان الجعل بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة وتعيين لما يقع به التمثيل و
قوله تعالى وللبسنا عليهم عطف على جواب لو مبنى على الجواب الاول وقرئ بحذف لام الجواب اكتفاء
بها فى المعطوف عليه يقال لبست الامر على القوم البسه اذا شبهته وجعلته مشكلاً عليهم واصله الستر بالثوب
وقرئ اللفظان بالتشديد للمبالغة اى ولخلطنا عليهم بتمثيله رجلاً ما يلبسون على انفسهم حينئذ
بان يقولوا له انما انت بشر ولست بملك ولو استدل على ملكيته بالقرآن المعجز الناطق بها او بمعجزات اخر
غير ملجئة الى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولو اظهر لهم صورته الاصلية لزم
الامر الاول والتعبير عن تمثيله رجلاً باللبس اما لكونه فى صورة اللبس او لكونه سبباً للبسهم او لوقوعه
فى صحبة بطريق المشاكلة وفيه تأكيد لاستحالة جعل النذير ملكاً كانه قيل لو جعلناه لفعلنا ما لا يليق بشأننا
من لبس الامر عليهم وقد جوز ان يكون المعنى وللبسنا عليهم مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة فى كفرهم
بآيات الله البينة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه و
سلم عما يلقاه من قومه وفى تصدير الجملة بلام القسم وحرف التحقيق من الاعتناء بها ما لا يخفى وتنوين رسل
للتفخيم والتكثير ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل اى وبالله لقد استهزئ برسل اولى شأن
خطير وذوى عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
فحاق عقيبه اى احاط او نزل او حل ونحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل
الا فى الشر ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى بالذين سخروا منهم
اى استهزؤا بهم من اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذى هو قوله تعالى
ما كانوا به يستهزؤن للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل
اى فاحاط بهم الذى كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية اى فنزل بهم وبال استهزائهم
وتقديم الجار والمجرور على الفعل لرعاية الفواصل قل سيروا فى الارض بعد بيان ما فعلت الامم
الخالية وما فعل بهم خوطب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بانذار قومه وتذكيرهم باحوالهم الفظيعة
تحذيراً عما هم عليه وتكملة للتسلية بما فى ضمنه من العدة اللطيفة بانه سيحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم الاولين

وقد انجز ذلک یوم بدر ای انجاز ای سیروا فی الارض لتعرف احوال اولئک الامم ثم انظروا ای تفکروا
کیف کان عاقبة المکذبین وکلمة ثم اما لان النظر فی آثار الهالکین لا یتم الا بعد انتهاء السیر
الی اماکنهم واما لابانة ما بینهما من التفاوت فی مراتب الوجوب وهو الاظهر فان وجوب السیر لیس الا لکونه
وسیلة الی النظر کما ینبئ عنه العطف بالفاء فی قوله عز وجل فانظروا الآیة واما ان الامر الاول لاباحة
السیر للتجارة ونحوها والثانی لایجاب النظر فی آثارهم وثم لتباعد ما بین الواجب والمباح فلا یناسب المقام وکیف
معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض ای تفکروا فی انهم کیف اهلکوا بعذاب الاستیصال والعاقبة
مصدر کالعافیة ونحوها وهی منتهی الامر ومآله ووضع المکذبین موضع المستهزئین لتحقیق ان مدار اصابة
ما اصابهم هو التکذیب لینزجر السامعون عنه لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء التکذیب بحاله بناء على
انه المدار فی ذلک قل لهم بطریق الالزام والتبکیت لمن ما فی السموات والارض من العقلاء وغیرهم
ای لمن الکائنات جمیعا خلقا وملکا وتصرفا وقوله تعالى قل لله تقریر لهم وتنبیه على انه
المتعین للجواب بالاتفاق بحیث لا یتأتی لاحد ان یجیب بغیره کما نطق به قوله عز وجل ولئن سألتهم من
خلق السموات والارض لیقولن الله وقوله تعالى کتب على نفسه الرحمة جملة مستقلة
داخلة تحت الامر ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجمیع الخلق شمول ملکه وقدرته للکل مسوقة لبیان انه تعالى
رؤف بعباده لا یعجل علیهم بالعقوبة ویقبل منهم التوبة والانابة وان ما سبق ذکره وما لحق من احکام
الغضب لیس من مقتضیات ذاته تعالى بل من جهة الخلق کیف لا ومن رحمته ان خلقهم على الفطرة السلیمة
وهداهم الى معرفته وتوحیده بنصب الآیات الانفسیة والآفاقیة وارسال الرسل وانزال الکتب المشحونة
بالدعوة الى موجبات رضوانه والتحذیر من مقتضیات سخطه وقد بدلوا فطرة الله تبدیلا واعرضوا عن
الآیات بالمرة وکذبوا بالکتب واستهزؤوا بالرسل وما ظلمهم الله ولکن انفسهم کانوا یظلمون ولولا شمول
رحمته لسلک بهؤلاء ایضا مسلک الغابرین ومعنى کتب الرحمة على نفسه انه تعالى قضاها واوجبها بطریق التفضل
والاحسان على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شیء اصلا وقیل هو ما روی عن ابی هریرة رضی الله تعالى
عنه ان رسول الله صلى الله تعالى علیه وسلم قال لما قضى الله تعالى الخلق کتب کتابا فهو عنده فوق العرش
ان رحمتی سبقت غضبی وعن عمر رضی الله تعالى عنه انه قال لکعب ما اول شیء ابتدأه الله تعالى من خلقه فقال
کعب کتب الله تعالى کتابا لم یکتبه بقلم ولا مداد کتابة الزبرجد واللؤلؤ والیاقوت انی انا الله لا اله الا انا
سبقت رحمتی غضبی ومعنى سبق الرحمة وغلبتها انها اقدم تعلقا بالخلق واکثر وصولا الیهم مع انها من مقتضیات
الذات المقتضیة للخیر وفی التعبیر عن الذات بالنفس حجة على من ادعى ان لفظ النفس لا یطلق على الله تعالى وان
ارید به الذات الا مشاکلة لما ترى من انتفاء المشاکلة ههنا بنوعیها وقوله تعالى لیجمعنکم الى یوم
القیمة جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق للوعید على اشراکهم واغفالهم النظر اى والله
لیجمعنکم فی القبور مبعوثین او محشورین الى یوم القیمة فیجازیکم على شرککم وسائر معاصیکم وان امهلکم
بموجب رحمته ولم یعاجلکم بالعقوبة الدنیویة وقیل الى بمعنى اللام ای لیجمعنکم لیوم القیمة کقوله عز وجل
انک جامع الناس لیوم لا ریب فیه ای فی الیوم او فی الجمع وقوله عز وجل
الذین خسروا انفسهم ای بتضییع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلیة والعقل السلیم

والتسلیم والاستعداد القریب الحاصل من مشاهدة النبی علیه السلام واستماع الوحی وغیر ذلک من آثار الرحمة
فی موضع النصب او الرفع على الذم ای اعنی الذین الخ او هم الذین الخ او هو مبتدأ والخبر قوله تعالى فهم
لا یؤمنون والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط والاشعار بان عدم ایمانهم بسبب خسرانهم فان ابطال
العقل باتباع الحواس والوهم والانهماک فی التقلید واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الکفر والامتناع
من الایمان والجملة تذییل مسوق من جهته تعالى لتقبیح حالهم غیر داخل تحت الامر وله ای لله عز
وجل خاصة ما سکن فی اللیل والنهار نزل الملوان منزلة المکان فعبر عن نسبة الاشیاء الزمانیة
الیهما بالسکنى فیهما او تحرک فاکتفى باحد الضدین عن الآخر وهو السمیع المبالغ فی سماع کل
مسموع العلیم المبالغ فی العلم بکل معلوم فلا یخفى علیه شیء من الاقوال والافعال قل لهم
بعد ما بکتهم بما سبق من الخطاب أغیر الله اتخذ ولیا ای معبودا بطریق الاستقلال او الاشتراک
وانما سلطت الهمزة على المفعول الاول لا على الفعل ایذانا بان المنکر هو اتخاذ غیر الله ولیا لا اتخاذ
الولی مطلقا کما فی قوله تعالى أغیر الله ابغی ربا وقوله تعالى أفغیر الله تأمرونی اعبد الخ فاطر السموات
والارض ای مبدعهما بالجر صفة للجلالة مؤکدة للانکار لانه بمعنى الماضی ولذلک قرئ فطر
ولا یضر الفصل بینهما بالجملة لانها لیست باجنبیة اذ هی عاملة فی عامل الموصوف او بدل فان الفصل
بینه وبین المبدل منه اسهل لان البدل على نیة تکریر العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح وعن
ابن عباس رضی الله تعالى عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم الی اعرابیان فی بئر فقال احدهما
انا فطرتها ای ابتدأتها وهو یطعم ولا یطعم ای یرزق الخلق ولا یرزق و
تخصیص الطعام بالذکر لشدة الحاجة او لانه معظم ما یصل الى المرزوق من الرزق ومحل الجملة النصب
على الحالیة فان مضمونها مقرر لوجوب اتخاذه سبحانه وتعالى ولیا وقرئ ولا یطعم بفتح الیاء
وبعکس القراءة الاولى ایضا على ان الضمیر لغیر الله والمعنى اشرک بمن هو فاطر السموات والارض
ما هو نازل عن رتبة الحیوانیة وبنائهما للفاعل على ان الثانی بمعنى یستطیع او على انه یطعم تارة ولا یطعم
اخرى کقوله تعالى یقبض ویبسط قل بعد بیان ان اتخاذ غیره تعالى ولیا مما یقضی
ببطلانه بدیهة العقول انی امرت من جنابه عز وجل ان اکون اول من اسلم
وجهه لله مخلصا له لان النبی امام امته فی الاسلام کقوله تعالى وبذلک امرت وانا اول المسلمین وقوله
عز وجل سبحانک تبت الیک وانا اول المؤمنین ولا تکونن ای وقیل لی لا تکونن
من المشرکین ای فی امر من امور الدین ومعناه امرت بالاسلام ونهیت عن الشرک
وقد جوز عطفه على الامر قل انی اخاف ان عصیت ربی ای بمخالفة امره
ونهیه ای عصیان کان فیدخل فیه ما ذکر دخولا اولیا وفیه بیان لکمال اجتناب النبی علیه السلام
من المعاصی على الاطلاق وقوله تعالى عذاب یوم عظیم ای عذاب یوم القیمة مفعول
اخاف والشرطیة معترضة بینهما والجواب محذوف لدلالة ما قبله علیه وفیه قطع لاطماعهم الفارغة
وتعریض بانهم عصاة مستوجبون للعذاب العظیم من یصرف عنه على البناء للمفعول ای
العذاب وقرئ على البناء للفاعل بحذف المفعول والضمیر لله تعالى وقد قرئ باظهار المفعول

محذوف وقوله تعالى يومئذ ظرف للصرف اى فى ذلك اليوم العظيم وقد جوز ان يكون هو المفعول
على قراءة البناء للفاعل على حذف المضاف اى عذاب يومئذ فقد رحمه اى نجاه وانعم عليه
وقيل فقد ادخله الجنة كما فى قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز والجملة مستأنفة موكدة
لتهويل العذاب وضمير عنه ورحمه لمن وهو عبارة عن غير العاصى وذلك اشارة الى الصرف
او الرحمة لانها مؤولة بان مع الفعل وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد مكانه من
الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الفوز المبين اى الظاهر كونه فوزا وهو الظفر بالبغية
والالف واللام لقصره على ذلك وان يمسسك الله بضر اى ببلية كمرض وفقر ونحو ذلك فلا كاشف
له اى لا قادر على كشفه عنك الا هو وحده وان يمسسك بخير من صحة ونعمة ونحو ذلك فهو على كل
شيء قدير ومن جملته ذلك فيقدر عليه فيمسك به ويحفظه عليك من غير ان يقدر على دفعه او رفعه
احد كقوله تعالى فلا راد لفضله وحمله على تأكيد الجوابين يأباه الفاء تذكرة روى عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما انه قال اهدى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بغلة اهداها له كسرى فركبها
بحبل من شعر ثم اردفنى خلفه ثم سار بى مليا ثم التفت الى فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله فقال
احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة فاذا سألت فاسأل
الله واذا استعنت فاستعن بالله قد مضى العلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه الله
لك لم يقدروا عليه وان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع فان فى الصبر على ما تكره
خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب فرجا وان مع العسر يسرا وهو القاهر فوق عباده تصوير
لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم فى كل ما يفعله ويأمر به الخبير باحوال عباده
وخفايا امورهم واللام فى المواضع الثلثة للقصر قل اى شيء اكبر شهادة
روى ان قريشا قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا
ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله فنزلت واى مبتدأ اكبر خبره وشهادة
نصب على التمييز وقوله تعالى قل الله امر له صلى الله تعالى عليه وسلم بان يتولى الجواب بنفسه
اما للايذان بتعينه وعدم قدرتهم على ان يجيبوا بغيره او لانهم ربما يتعللون فيه لا انكرونهم فى انه اكبر
من كل شيء بل فى كونه شهيدا فى هذا الشان وقوله تعالى شهيد خبر مبتدأ محذوف
اى هو شهيد بينى وبينكم كان اكبر شيء شهادة شهيدا له عليه السلام وتكرير البين لتحقيق المقابلة
واوحى الى اى من جهته تعالى هذا القرآن الشاهد لصحة رسالتى لانذركم به
بما فيه من الوعيد والاقتصار على ذكر الانذار لما ان الكلام مع الكفرة ومن بلغ عطف
على ضمير المخاطبين اى لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او
لانذركم به ايها الموجودون ومن سيوجد الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين
يوم نزوله ومن سيوجد الى يوم القيمة خلا ان ذلك بطريق العبارة فى الكل عند الحنابلة وبالاجماع
عندنا فى غير الموجودين وفى غير المكلفين ح كما مر فى اول سورة النساء ائنكم لتشهدون
ان مع الله آلهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بذلك وان شهدتم به فانه باطل صرف

اى هو شهيد بينى وبينكم ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لدلالته او كان ح

صرف قل تكرير للامر للتوكيد انما هو اله واحد اى بل اشهد وانه لا اله الا هو
واننى برىء مما تشركون من الاصنام او من اشراككم الذين آتيناهم الكتاب
جواب عما سبق من قولهم لقد سألنا عنك اليهود والنصارى اخر عن تعيين الشهيد مسارعة الى الزامهم
بالجواب عن تحكمهم بقولهم فارنا من يشهد لك الخ والمراد بالموصول اليهود والنصارى وبالكتاب الجنس المنتظم
للتوراة والانجيل وايرادهم بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بمدار ما اسند اليهم بقوله تعالى يعرفونه
اى يعرفون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من جهة الكتابين بحليته ونعوته المذكورة فيهما كما
يعرفون ابناءهم بحلاهم بحيث لا يشكون فى ذلك اصلا روى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قدم
المدينة قال عمر رضى الله تعالى عنه لعبد الله بن سلام انزل الله تعالى على نبيه هذه الاية الكريمة وكيف هذه المعرفة
فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رأيته كما اعرف ابنى ولانا اشد معرفة بمحمد منى بابنى لانى لا ادرى ما صنع النساء
واشهد انه حق من الله تعالى الذين خسروا انفسهم من اهل الكتابين والمشركين
بان ضيعوا فطرة الله التى فطر الناس عليها واعرضوا عن البينات الموجبة للايمان بالكلية فهم
لا يؤمنون لما انهم مطبوع على قلوبهم ومحل الموصول الرفع على الابتداء وخبره الجملة المصدرة
بالفاء لما فيه من الشبه بالموصول وقيل على انه خبر مبتدأ محذوف اى هم الذين خسروا الخ وقيل على انه
نعت للموصول الاول وقيل النصب على الذم فقوله تعالى فهم لا يؤمنون على الوجوه الاخيرة عطف
على جملة الذين آتيناهم الكتاب الخ ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بوصفهم النبى الموعود فى الكتابين
بخلاف اوصافه عليه السلام فانه افتراء على الله سبحانه وبقولهم الملائكة بنات الله وقولهم هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ونحو ذلك وهو انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان كان سبك
التركيب غير متعرض لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشى والاستعمال المطرد فانه اذا قيل من
اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل الا يرى
الى قوله عز وجل لا جرم انهم فى الآخرة هم الاخسرون بعد قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
الى آخره والسر فى ذلك ان النسبة بين الشيئين انما يتصور غالبا فى باب المغالبة بالتفاوت زيادة ونقصانا
فاذا لم يكن احدهما ازيد يتحقق النقصان لا محالة او كذب بآياته كان كذبوا بالقرآن
الذى من جملته الآية الناطقة بانهم يعرفونه عليه السلام كما يعرفون ابناءهم وبالمعجزات وسموها سحرا وحرفوا
التوراة وغيروا نعوته عليه السلام فان ذلك تكذيب بآياته تعالى وكلمة او للايذان بان كلا من الافتراء
والتكذيب وحده بالغ غاية الافراط فى الظلم فكيف وهم قد جمعوا بينهما فاثبتوا ما نفاه الله تعالى ونفوا
ما اثبته قاتلهم الله انى يؤفكون انه الضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن
ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره فى الذهن فان الضمير لا
يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل
تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير هذا لا يفلح الظالمون اى لا ينجون من
مكروه ولا يفوزون بمطلوب واذا كان حال الظالمين هذا فما ظنك بمن فى الغاية القاصية من الظلم
ويوم نحشرهم جميعا منصوب على الظرفية بمضمر مؤخر قد حذف ايذانا بضيق العبارة

عن شرحه وبيانه وايماء الى عدم استطاعة السامعين السماعة لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة والداهية التامة
كانه قيل ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول لهم ما نقول يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به
دائرة المقال وتقدير صيغة الماضى للدلالة على التحقق وحسن موقع عطف قوله تعالى ثم لم تكن الخ عليه وقيل منصوب
على المفعولية لمضمر مقدم اى واذكر لهم للتخويف والتحذير يوم نحشرهم الخ وقيل ليتقوا او ليحذروا يوم نحشرهم
والضمير للكل وجميعا حال منه وقرئ يحشرهم جميعا ثم يقول بالياء فيهما للذين اشركوا اى نقول
لهم خاصة للتوبيخ والتقريع على رؤس الاشهاد اين شركاؤكم اى آلهتكم التى جعلتموها شركاء
لله سبحانه وتعالى واضافتها اليهم لما ان شركتها ليست الا بتسميتهم وتقولهم الكاذب كما ينبئ عنه قوله تعالى
الذين كنتم تزعمون اى تزعمونها شركاء فحذف المفعولان معا وهذا السؤال المنبئ عن غيبة الشركاء
مع عموم الحشر لها لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله وغير ذلك
من النصوص انما يقع بعد ما جرى بينها وبينهم من التبرء من الجانبين وتقطع ما بينهم من الاسباب والعلائق
حسبما يحكيه قوله تعالى فزيلنا بينهم الخ ونحو ذلك من الآيات الكريمة اما بعد حضورها فى الحقيقة بابعادها
من ذلك الموقف واما بتنزيل عدم حضورها بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدم حضورها فى الحقيقة اذ
ليس السؤال عنها من حيث انها شركاء كما يعرب عنه الوصف بالموصول ولا ريب فى ان عدم الوصف يوجب عدم الموصوف
من حيث هو موصوف فهى من حيث هى شركاء غائبة لا محالة وان كانت حاضرة من حيث ذواتها اصناما
كانت او غيرها واما ما يقال من انه يحال بينها وبينهم فى وقت التوبيخ ليفقدوها فى الساعة التى علقوا بها الرجاء
فيها فيروا خزيهم وحسرتهم فربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة الحال وعدم انقطاع حبال رجائهم عنها بعد وقد عرفت
انهم شاهدوها قبل ذلك وانصرمت عروة اطماعهم عنها بالكلية على انها معلومة لهم من حين الموت والابتلاء
بالعذاب فى البرزخ وانما الذى يحصل يوم الحشر الانكشاف الجلى واليقين القوى المترتب على المحاضرة و
المحاورة ثم لم تكن فتنتهم بتأنيث الفعل ورفع فتنتهم على انه اسمه والخبر الا ان قالوا وقرئ نصبا
فتنتهم على انها الخبر والاسم الا ان قالوا والتأنيث للخبر كما فى قولهم من كانت امك وقرئ بالتذكير
مع رفع الفتنة ونصبها وردها السب بحسب المعنى والجملة عطف على ما قدر عاملا فى يوم نحشرهم كما اشير اليه فيما سلف
والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء وفتنتهم اما كفرهم مرادا به عاقبته اى لم تكن عاقبة كفرهم الذى لزموه
مدة اعمارهم وافتخروا به شيئا من الاشياء الا جحوده والتبرء عنه بان يقولوا والله ربنا ما كنا
مشركين واما جوابهم عبر عنه بالفتنة لانه كذب ووصفه تعالى بربوبيته لهم للمبالغة فى التبرء عن الاشراك
وقرئ ربنا على النداء تنوعا لاظهار الضراعة والاجتهاد فى استدعاء قبول المعذرة وانما يقولون ذلك
مع علمهم بانه بمعزل عن النفع رأسا من فرط الحيرة والدهشة وحمله على معنى ما كنا مشركين عند انفسنا
وما علمنا فى الدنيا انا على خطاء فى معتقدنا حالا ينبغى ان يتوهم اصلا فانه حمايتهم ان لهم عذرا ما وان لهم
قدرة على الاعتذار فى الجملة وذلك محال بكمال هول اليوم قطعا على انه قد قضى ببطلانه قوله تعالى انظر كيف
كذبوا على انفسهم فانه تعجيب من كذبهم الصريح بانكار صدور الاشراك عنهم فى الدنيا اى انظر كيف
كذبوا على انفسهم فى قولهم ذلك فانه امر عجيب فى الغاية واما حمله على كذبهم فى الدنيا فمما يجب تنزيه ساحة
التنزيل عنه وقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون عطف على كذبوا داخل معه فى حكم التعجيب

مصدرية او موصولة قد حذف عائدها والمعنى انظر كيف كذبوا باليمين الفاجرة المغلظة على انفسهم بانكار صدور
ما صدر عنهم وكيف ضل عنهم اى زال وذهب افتراؤهم او ما كانوا يفترونه من الاشراك حتى نفوا صدوره
عنهم بالكلية وتبرؤا عنه بالمرة وقيل ما عبارة عن الشركاء وايقاع الافتراء عليها مع انه فى الحقيقة واقع
على احوالها من الالهية والشركة والشفاعة ونحوها للمبالغة فى امرها كانها نفس المفترى وقيل الجملة كلام
مستأنف غير داخل فى حيز التعجيب ومنهم من يستمع اليك كلام مبتدأ مسوق لحكاية ما صدر فى الدنيا
عن بعض المشركين من احكام الكفر اثر بيان ما سيصدر عنهم يوم الحشر تقريرا لما قبله وتحقيقا لمضمونه والضمير للذين
اشركوا ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف كما فى قوله تعالى ومنا دون ذلك
اى وجمع منا ومن موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعضهم او وبعض منهم الذى يستمع
اليك على ان مناط الافادة اتصافهم بما فى حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين او قدم
فى تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ روى انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة
وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا للنضر وكان صاحب اخبار
يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذى جعلها بيته ما ادرى ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين
مثل ما حدثتكم من القرون الماضية فقال ابو سفيان انى لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت وجعلنا
على قلوبهم اكنة من الجعل بمعنى الانشاء وعلى متعلقة به وضمير قلوبهم راجع الى من وجمعيته بالنظر الى معناها
كما ان افراد ضمير يستمع بالنظر الى لفظها وقد جانب المعنى فى قوله تعالى ومنهم من يستمعون اليك الآية والاكنة
جمع كنان وهى ما يستر به الشئ وتنوينها للتفخيم والجملة اما مستأنفة للاخبار بما تضمنته من الختم او حال من فاعل
يستمع باضمار قد عند من يقدرها قبل الماضى الواقع حالا اى يستمعون اليك وقد القينا على قلوبهم اغطية كثيرة
لا يقادر قدرها حاجبة عما يتعارفه الناس ان يفقهوه اى كراهة ان يفقهوا ما يستمعونه من القرآن
المدلول عليه بذكر الاستماع ويجوز ان يكون مفعولا لما ينبئ عنه الكلام اى منعناهم ان يفقهوه وفى آذانهم
وقرا صمما وثقلا مانعا من سماعه والكلام فيه كما فى قوله تعالى على قلوبهم اكنة وهذا تمثيل معرب عن
كمال جهلهم بشؤن النبى عليه السلام وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له وقد مر تحقيقه
فى اول سورة البقرة وقيل هو حكاية لما قالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر الآية وانت خبير
بان مرادهم بذلك الاخبار بما اعتقدوه فى حق القرآن والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم جهلا وكفرا من
اتصافهما باوصاف مانعة من التصديق والايمان ككون القرآن سحرا وشعرا واساطير الاولين وقس عليه
ما تخيلوه فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا الاخبار بان هناك امرا وراء ذلك قد حال بينهم وبين ادراكه
حائلا من قبلهم حتى يمكن حمل النظم الكريم على ذلك وان يروا كل آية من الآيات القرآنية اى يشاهدوها
بسماعها لا يؤمنوا بها على عموم النفى لا على نفى العموم اى كفروا بكل واحدة لعدم اجتلائهم اياها كما هى لما
مر من حالهم حتى اذا جاؤك يجادلونك هى حتى التى تقع بعدها الجمل والجملة هى قوله تعالى اذا جاؤك
يقول الذين كفروا وما بينهما حال من فاعل جاؤا وانما وضع الموصول موضع الضمير ذما لهم بما فى حيز الصلة
واشعارا بعلة الحكم اى بلغوا من التكذيب والمكابرة الى انهم اذا جاؤك مجادلين لك لا يكتفون بمجرد عدم
الايمان بما سمعوا من الآيات الكريمة بل يقولون ان هذا اى ما هذا الا اساطير الاولين فانّ عدّ

احسن الحديث واصدقه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من قبيل الاباطيل الخرافات رتبة
من الكفر لا غاية وراءها ويجوز ان يكون حتى جارة واذا ظرفية بمعنى وقت مجيئهم ويجادلونك حال كما سبق وقوله
عز وجل يقول الذين كفروا الخ تفسير للمجادلة والاساطير جمع اسطورة او اسطارة او جمع اسطار وهو جمع سطر
بالتحريك واصل الكل السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه الضمير المرفوع للمذكورين والمجرور للقرآن اي ينهون
عما ذكر من تكذيبه وعده من قبيل الاساطير بل ينهون الناس عن استماعه لئلا يقفوا على حقيقته ويؤمنوا به
وينأون عنه اي يتباعدون عنه بانفسهم اظهارا لغاية نفورهم عنه وتاكيدا لنهيهم عنه فان اجتناب
الناهي عن المنهي عنه من متممات النهي ولعل ذلك هو السر في تأخير النأي عن النهي وقيل الضمير المجرور للنبي
عليه الصلوة والسلام وقيل المرفوع لابي طالب ولعل جمعيته باعتبار استتباعه لاتباعه فانه كان ينهى قريشا
عن التعرض لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وينأى عنه ولا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا اليه وارادوا
برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سوءا فقال والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة • وابشر بذاك وقر منه عيونا • ودعوتني وزعمت انك ناصح • ولقد صدقت
وكنت ثم امينا • وعرضت دينا لا محالة انه • من خير اديان البرية دينا • لولا الملامة او حذاري سبة • لوجدتني
سمحا بذاك مبينا • فنزلت • وان يهلكون اي ما يهلكون بما فعلوا من النهي والنأي الا انفسهم
بتعريضها لاشد العذاب وافظعه عاجلا وآجلا وهو عذاب الضلال والاضلال وقوله تعالى وما يشعرون
حال من ضمير يهلكون اي يقصرون الاهلاك على انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي لا باهلاكهم انفسهم ولا
باقتصار ذلك عليها من غير ان يضروا بذلك شيئا من القرآن والرسول عليه السلام والمؤمنين وانما عبر
عنه بالاهلاك مع ان المنفي عن غيرهم مطلق الضرر اذ غاية ما يؤدي اليه ما فعلوا من القدح في القرآن
الكريم الممانعة في تحقق احكامه وظهور الدين للايذان بان ما يحيق بهم هو الاهلاك لا الضرر المطلق
على ان مقصدهم لم يكن مطلق الممانعة فيما ذكر بل كانوا يبغون الغوائل لرسول الله صلى الله تعالى عليه و
سلم وللمؤمنين ويجوز ان يكون الاهلاك معتبرا بالنسبة الى الذين يضلونهم بالنهي فقصره على انفسهم
حينئذ مع شموله للفريقين مبني على تنزيل عذاب الضلال عند عذاب الاضلال منزلة العدم ولو ترى
اذ وقفوا على النار شروع في حكاية ما سيصدر عنهم يوم القيمة من القول المناقض لما صدر عنهم في الدنيا من
القبائح المحكية مع كونه كاذبا في نفسه والخطاب اما لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او لكل احد من اهل
المشاهدة والعيان قصدا الى بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة الى حيث لا يختص
استغرابها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها
وفظاعتها وجواب لو محذوف ثقة بظهوره وايذانا بقصور العبارة عن تفصيله وكذا مفعول ترى لدلالة
ما في حيز الظرف عليه اي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها لرأيت ما لا يساعده التعبير وصيغة
الماضي للدلالة على التحقق او حين يطلعون عليها اطلاعا وهي تحتهم او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها
من قولهم وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا
فقالوا يا ليتنا نرد اي الى الدنيا تمنيا للرجوع والخلاص وهيهات ولات حين مناص
ولا نكذب بآيات ربنا اي بآياته الناطقة باحوال النار واهوالها الآمرة باتقائها

او هي التي تخطر ببالهم ويتحسرون على ما فرطوا في حقها او بجميع آياته المنتظمة لتلك الآيات انتظاما اوليا ونكون
من المؤمنين بها العاملين بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف الهائل او نكون من فريق المؤمنين
الناجين من العذاب الفائزين بحسن المآب ونصب الفعلين على جواب التمني باضمار ان بعد الواو واجرائها
مجرى الفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وابن اسحق فلا نكذب والمعنى ان رددنا لم نكذب
ونكن من المؤمنين وقيل ينسبك من ان المصدرية ومن الفعل بعدها مصدر ويقدر قبله مصدر متوهم فيعطف
هذا عليه كانه قيل ليت لنا ردا وانتفاء تكذيب وكونا من المؤمنين وقرئ برفعهما على انه كلام مستأنف كقوله دعني
ولا اعود اي وانا لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من ضميره فيكون داخلا في حكم التمني كالوجه
الاخير للنصب وتعلق التكذيب الآتي به لما تضمنه من العدة بالايمان وعدم التكذيب كمن قال ليتني ارزق
مالا فاكافئك على صنيعك فانه متضمن في معنى الوعد فلو رزق مالا ولم يكافئ صاحبه يكون مكذبا لا محالة وقرئ
برفع الاول ونصب الثاني وقد عرفت وجههما بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اضراب عما ينبئ عنه التمني من الوعد
بتصديق الآيات والايمان بها اي ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة عن رغبة في الايمان وشوق الى تحصيله
والاتصاف به بل لانه ظهر لهم في موقفهم ذلك ما كانوا يخفونه في الدنيا من الداهية الدهياء وظنوا انهم مواقعوها
فلحقوها وهول مطلعها قالوا ما قالوا والمراد بها النار التي وقفوا عليها اذ هي التي سيق الكلام لتهويل امرها
والتعجيب من فظاعة حال الموقوفين عليها وباخفائها تكذيبهم بها فان التكذيب بالشيء كفر به واخفاء
له لا محالة وايثاره على صريح التكذيب الوارد في قوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون وقوله تعالى
هذه النار التي كنتم بها تكذبون مع كونه انسب بما قبله من قولهم ولا نكذب بآيات ربنا لمراعاة ما
في مقابلته من البدو وهذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما ما قيل ان المراد بما يخفون كفرهم
ومعاصيهم او قبائحهم وفضائحهم التي كانوا يكتمونها من الناس فتظهر في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم او
شركهم الذي يجحدون به في بعض مواقف القيمة بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ثم يظهر بما ذكر من شهادة
الجوارح عليهم واما اخفاه رؤساء الكفرة عن اتباعهم من امر البعث والنشور او ما كتمه علماء اهل
الكتابين من صحة نبوة النبي عليه السلام ونعوته الشريفة عن عوامهم على ان الضمير المجرور للعوام والمرفوع
للخواص او كفرهم الذي اخفوه من المؤمنين والمرفوع للمنافقين فبعد الاغضاء عما في كل منها من الاختلال
والاخلال لا سبيل الى شيء من ذلك اصلا لما عرفت من ان سوق النظم الشريف لتهويل امر النار وتفظيع
حال اهلها وقد ذكر وقوفهم عليها واشير الى انه اعتراهم عند ذلك من الخوف والخشية والحيرة والدهشة
ما لا يحيط به الوصف ورتب عليه تمنيهم المذكور بالفاء القاضية بسببية ما قبلها لما بعدها فاسقاط النار
بعد ذلك من تلك السببية وهي في نفسها ادهى الدواهي وازجر الزواجر واسنادها الى شيء من
الامور المذكورة التي دونها في الهول والزجر مع عدم جريان ذكرها ثمة مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن
امثالها واما ما قيل من ان المراد جزاء ما كانوا يخفون فمن قبيل دخول البيوت من ظهورها وابوابها
مفتوحة فتأمل ولو ردوا اي من موقفهم ذلك الى الدنيا حسبما تمنوه وغاب عنهم ما شاهدوه
من الاهوال لعادوا لما نهوا عنه من فنون القبائح التي من جملتها التكذيب المذكور ونسوا ما عاينوه
بالكلية لاقتصار انظارهم على الشاهد دون الغائب وانهم لكاذبون اي لقوم

التكذيب المذكور ومنهم الكذب في كل ما يأتون وما يذرون وقالوا عطف على عادوا داخل في حيز الجواب
وتوسيط قوله تعالى وانهم لكاذبون بينهما لانه اعتراض مسوق لتقرير ما افاده الشرطية من كذبهم المخصوص
ولو أخر لأوهم ان المراد تكذيبهم في انكارهم البعث والمعنى لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقالوا ان هي الا حيوتنا
الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين بعد ما عاينوه في الحيوة كان لم يروا ما رأوا من الاحوال التي اولها البعث
والنشور ولو ترى اذ وقفوا على ربهم الكلام فيه كالذي مر في نظيره خلا ان الوقوف ههنا مجاز عن الحبس
للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده للعقاب وقيل عرفوا ربهم حق التعريف وقيل وقفوا
على جزاء ربهم وقوله تعالى قال استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كانه قيل فماذا
قال لهم ربهم اذ ذاك فقيل قال أليس هذا اشارة الى ما شاهدوه من البعث وما يتبعه من الامور
العظام بالحق توبيخ لهم على تكذيبهم لذلك وقولهم عند سماع ما يتعلق به ما هو بحق وما هو الا باطل قالوا
استيناف كما سبق بلى وربنا اقروا واكدوا اقرارهم باليمين اظهارا لكمال يقينهم بحقيته وايذانا بصدور ذلك عنهم
بالرغبة والنشاط طمعا في نفعه قال استيناف كما مر فذوقوا العذاب الذي عاينتموه والفاء لترتيب
التعذيب على اعترافهم بحقية ما كفروا به في الدنيا لكن لا على ان مدار التعذيب هو اعترافهم بذلك بل هو كفرهم
السابق بما اعترفوا بحقيته الآن كما نطق به قوله عز وجل بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم في
الدنيا بذلك او بكل ما يجب الايمان به فيدخل كفرهم به دخولا اوليا ولعل هذا التوبيخ والتقريع انما يقع
بعد ما وقفوا على النار فقالوا ما قالوا اذ الظاهر انه لا يبقى بعد هذا الامر الا العذاب قد خسر الذين كذبوا
بلقاء الله هم الذين حكيت احوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير للايذان بسبب خسرانهم بما في حيز الصلة
من التكذيب بلقائه تعالى بقيام الساعة وما يترتب عليه من البعث واحكامه المتفرعة عليه واستمرارهم على ذلك
فان كلمة حتى في قوله تعالى حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فانه ابدي لا حد له بغتة
البغت والبغتة مفاجأة الشيء بسرعة من غير شعور به يقال بغته بغتا وبغتة اي فجأة وانتصابها
اما على انها مصدر مؤكد واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم اي مباغتة او من مفعوله اي مبغوتين واما
على انها مصدر مؤكد على غير الصدر فان جاءتهم في معنى بغتتهم كقولهم اتيته ركضا او مصدر مؤكد لفعل محذوف
وقع حالا من فاعل جاءتهم اي جاءتهم الساعة تبغتهم بغتة قالوا جواب اذا يا حسرتنا تعالي فهذا
اوانك والحسرة شدة الندم وهذا التحسر وان كان يعتريهم عند الموت لكن لما كان ذلك من مبادي الساعة
سمي باسمها ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت
كالواقع بغير فترة لسرعته على ما فرطنا فيها اي على تفريطنا في شأن الساعة وتقصيرنا في
مراعاة حقها والاستعداد لها بالايمان بها واكتساب الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى على ما فرطت في جنب
الله وقيل الضمير للحيوة الدنيا وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة والتفريط التقصير في الشيء مع القدرة على فعله
وقيل هو التضييع وقيل اصله التقدم والسبق ومنه الفارط اي السابق ومعنى فرط خلى السبق لغيره فالتضعيف
فيه للسلب كما في جلدت البعير وقوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم حال من فاعل قالوا فائدته
الايذان بان عذابهم ليس مقصورا على ما ذكر من الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون مع ذلك تحمل الاوزار
الثقال والايماء الى ان تلك الحسرة من الشدة بحيث لا تزول ولا تنسى بما يكابدونه من فنون العقوبات والسر

والسر في ذلك ان العذاب الروحاني اشد من الجسماني نعوذ برحمة الله عز وجل منهما والوزر في الاصل الحمل
الثقيل سمي به الاثم والذنب لغاية ثقله على صاحبه وذكر الظهور كذكر الايدي في قوله تعالى فبما كسبت ايديكم
فان المعتاد حمل الاوزار على الظهور كما ان المألوف هو الكسب بالايدي والمعنى انهم يتحسرون على ما لم يعملوا
من الحسنات والحال انهم يحملون اوزار ما عملوا من السيئات الا ساء ما يزرون تذييل مقرر لما قبله
وتكملة له اي بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو لما حقق فيما سبق ان وراء الحيوة
الدنيا حيوة اخرى يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين بعده حال تينك الحياتين في انفسهما واللعب عمل
يشغل النفس ويفترها عما تنتفع به واللهو صرفها عن الجد الى الهزل والمعنى اما على حذف المضاف او على جعل
الحيوة الدنيا نفس اللعب واللهو مبالغة كما في قول الخنساء وانما هي اقبال وادبار اي وما اعمال الدنيا اي
الاعمال المتعلقة بها من حيث هي هي او وما هي من حيث انها محل الكسب تلك الاعمال الا لعب يشغل الناس
ويلهيهم بما فيه من منفعة سريعة الزوال ولذة وشيكة الاضمحلال عما يعقبهم منفعة جليلة باقية ولذة
حقيقية غير متناهية من الايمان والعمل الصالح وللدار الآخرة التي هي محل الحيوة الاخرى خير للذين
يتقون الكفر والمعاصي لان منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير منغصة بالآلام مستمرة على الدوام
افلا تعقلون ذلك حتى تتقوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان والفاء للعطف على مقدر اي اتغفلون فلا تعقلون
او الا تتفكرون فلا تعقلون وقرئ يعقلون على الغيبة قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون استيناف مسوق لتسلية
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الحزن الذي يعتريه مما حكي من الكفرة من الاصرار على التكذيب والمبالغة
فيه ببيان انه عليه السلام بمكانة من الله عز وجل وان ما يفعلون في حقه راجع اليه تعالى في الحقيقة وانه ينتقم
منهم لا محالة اشد انتقام وكلمة قد لتأكيد العلم بما ذكر المفيد لتأكيد الوعيد كما في قوله تعالى قد يعلم ما انتم عليه
وقوله عز وجل قد يعلم الله المعوقين ونحوهما باخراجها الى معنى التكثير حسبما يخرج اليه ربما في مثل قوله وان تمس
مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود جريا على سنن العرب عند قصد الافراط في التكثير يقول
لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي او عندي جماعة يريد بذلك التمادي
في تكثير فرسانه ولكن يروم اظهار براءته عن التزيد وابراز انه ممن يقلل كثيرا فضلا عن تكثير القليل وعليه
قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذه طريقة انما تسلك عند كون الامر من الوضوح بحيث لا
تحوم حوله شائبة ريب حقيقة كما في الآيات المذكورة او ادعاء كما في البيت وقوله قد اترك القرن مصفرا
انامله وقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والمراد بكثرة علمه تعالى كثرة تعلقه وهو متعد الى اثنين وما بعده
ساد مسدهما واسم ان ضمير الشان وخبرها الجملة المفسرة له والموصول فاعل يحزنك والعائد محذوف اي الذي
يقولونه وهو ما حكي عنهم من قولهم ان هذا الا اساطير الاولين ونحو ذلك وقرئ ليحزنك من احزن المنقول
من حزن اللازم وقوله تعالى فانهم لا يكذبونك تعليل لما يشعر به الكلام السابق من النهي عن الاعتداد
بما قالوا لكن لا بطريق التشاغل عنه وعده هينا والاقبال التام على ما هو اهم منه من استعظام جحودهم
بآيات الله تعالى كما قيل فانه مع كونه بمعزل عن التسلية بالكلية مما يوهم كون حزنه صلى الله تعالى عليه وسلم لخاصة
نفسه بل بطريق التسلي بما يفيده من بلوغه عليه السلام في جلالة القدر ورفعة المحل والزلفى من الله عز وجل
الى حيث لا غاية وراءه حيث لم يقتصر على جعل تكذيبه عليه السلام تكذيبا لآياته سبحانه على طريقة قوله تعالى من يطع

الرسول فعند اطلاع الله بل نفى تكذيبهم عنه عليه السلام واثبت لاياته على طريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله ايذانا بكمال القرب واضمحلال شئونه عليه السلام في شأن الله عز وجل بغم فيه استعظام لجناياتهم
منبئ عن عظم عقوبتهم كأنه قيل لا تعتد به وكِله الى الله تعالى لانهم في تكذيبهم ذلك لا يكذبونك في الحقيقة ولكن
الظالمين بآيات الله يجحدون اى ولكنهم بآياته تعالى يكذبون فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالرسوخ في
الظلم الذي جحودهم هذا فن من فنونه والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام ما اقدموا عليه من
جحود آياته تعالى وايراد الجحود في مورد التكذيب للايذان بان آياته تعالى من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كل احد
وان من ينكرها فانما ينكرها بطريق الجحود الذي هو عبارة عن الانكار مع العلم بخلافه كما في قوله تعالى وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم وهو المعنى بقول من قال انه نفي بازاء العلم ثباته واثبات ما في القلب نفيه والباء متعلقة
بيجحدون يقال جحده حقه وبحقه اذا انكره وهو يعلمه وقيل بيكذبون لتضمن الجحود معنى التكذيب واياما كان فتقديم
الجار والمجرور للقصر وقيل المعنى فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم ويعضده ما روي من ان
الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له
والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون
لسائر قريش فنزلت وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسمى
الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم
بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله كما يروى ان ابا جهل كان يقول لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما نكذبك
انك عندنا لصادق ولكن نكذب ما جئتنا به فنزلت كان صدق الخبر عنده بحيث بمطابقة خبره لاعتقاده والكذب
هو الذي يسند عنه لجلالة التنزيهية وقرئ لا يكذبونك من الاكذاب فقيل كلاهما بمعنى واحد كاكثر وكثر وانزل
ونزل وهو الاظهر وقيل معنى اكذبه وجده كاذبا ونقل عن الكسائي ان العرب تقول كذبت الرجل اذا نسبت
الكذب اليه واكذبته اذا نسبت الكذب الى ما جاء به لا اليه وقوله عز وجل ولقد كذبت رسل من قبلك
افتتان في تسلية النبي عليه السلام فان عموم البلية ربما يهون امرها بعض تهوين وارشاد له عليه السلام الى الاقتداء
بمن قبله من الرسل الكرام عليهم السلام في الصبر على ما اصابهم من اممهم من فنون الاذية وعدة ضمنية له
عليه السلام بمثل ما منحوه من النصر وتصدير الكلام بالقسم لتأكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن
اما متعلقة بكذبت او بمحذوف وقع صفة لرسل اى وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل اولو شأن خطير وذوو
عدد كثير او كذبت رسل كانوا من زمان قبل زمانك فصبروا على ما كذبوا ما مصدرية وقوله تعالى
واوذوا عطف على كذبوا داخل في حكمه فانسبك منهما مصدران من المبني للمفعول اى فصبروا على تكذيبهم و
ايذائهم فتأس بهم واصطبر على ما نالك من قومك والمراد بايذائهم اما عين تكذيبهم واما ما يقارنه من فنون الايذاء
لم يصرح به ثقة باستلزام التكذيب اياه غالبا واياما كان ففيه تأكيد للتسلية وقيل عطف على صبروا وقيل على كذبت
وقيل هو استئناف وقوله تعالى حتى اتاهم نصرنا غاية للصبر وفيه ايذان بان نصره تعالى اياهم
امر مقرر لا مرد له وانه متوجه اليهم لا بد من اتيانه البتة والالتفات الى نون العظمة لابراز الاعتناء بشأن
النصر وقوله تعالى ولا مبدل لكلمات الله اعتراض مقرر لما قبله من اتيان نصره اياهم والمراد بكلماته عز وجل
ما ينبئ عنه قوله لقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله عز وجل

عز وجل كتب الله لاغلبن انا ورسلي من المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام الدالة على نصرة رسول
الله ايضا لا نفس الآيات المذكورة ونظائرها فان الاخبار بعدم تبدلها انما يفيد عدم تبدل المواعيد
الواردة الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خاصة دون المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام و
يجوز ان يراد بكلماته تعالى جميع كلماته التي من جملتها تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة
في حقه عليه السلام دخولا اوليا والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية من موجباتها
ان لا يغالبه احد في فعل من الافعال ولا يقع منه تعالى خلف في قول من الاقوال وقوله تعالى ولقد جاءك
من نبأ المرسلين جملة قسمية جيء بها لتحقيق ما منحوا من النصر وتأكيد ما في ضمنه من الوعد لرسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم او لتقرير جميع ما ذكر من تكذيب الامم وما ترتب عليه من الامور والجار والمجرور في محل الرفع على انه
فاعل اما باعتبار مضمونه اى بعض نبأ المرسلين او بتقدير الموصوف اى بعض من نبأ المرسلين كما في تفسير قوله
تعالى ومن الناس من يؤمن بالله الآية واياما كان فالمراد بنبائهم عليهم السلام على الاول نصره تعالى اياهم
بعد اللتيا والتي وعلى الثاني جميع ما جرى بينهم عليهم السلام وبين اممهم على ما ينبئ عنه قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا الآية وقيل في محل النصب على
الحالية من المستكن في جاءك العائد الى ما يفهم من الجملة السابقة اى ولقد جاءك هذا الخبر كائنا من نبأ المرسلين
وان كان كبر عليك اعراضهم كلام مستأنف مسوق لتأكيد ايجاب الصبر المستفاد من التسلية ببيان انه امر لا محيد عنه
اصلا اى ان كان عظم عليك وشق اعراضهم عن الايمان بما جئت به من القرآن الكريم حسبما يفصح عنه ما حكي عنهم
من تسميتهم له اساطير الاولين ونأيهم عنه ونهيهم الناس عنه وقيل ان الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف
اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في محضر من قريش فقالوا يا محمد ائتنا بآية من عند الله كما كانت الانبياء
تفعل وانا نصدقك فابى الله ان يأتيهم بآية مما اقترحوا فاعرضوا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فشق ذلك عليه لانه عليه السلام كان شديد الحرص على ايمان قومه فكان اذا سألوا آية يود ان ينزلها الله
عز وجل طمعا في ايمانهم فنزلت فقوله تعالى اعراضهم مرتفع بكبر وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام ببيانه
والتشويق الى المؤخر والجملة في محل النصب على انها خبر كان مفسرة لاسمها الذي هو ضمير الشأن ولا حاجة الى تقدير
قد وقيل اسم كان اعراضهم وكبر جملة فعلية في محل النصب على انها خبر لها مقدم على اسمها لانه فعل رافع لضمير
مستتر كما هو المشهور وعلى التقديرين فقوله عز وجل فان استطعت الى آخره شرطية اخرى محذوفة
الجواب وقعت جوابا للشرط الاول والمعنى ان شق عليك اعراضهم عن الايمان بما جئت به من البينات وعدم
عدهم لها من قبيل الآيات واحببت ان تجيبهم الى ما سألوه اقتراحا فان استطعت ان تبتغي نفقا في
الارض او منفذا تنفذ فيه الى جوفها او سلما في السماء اى مصعدا تعرج به فيها فتأتيهم منهما بآية
مما اقترحوه فافعل وقد جوز ان يكون ابتغاؤهما نفس الاتيان بالآية فالفاء في فتأتيهم تفسيرية
وتنوين آية للتفخيم اى فان استطعت ان تبتغيهما فتجعل ذلك آية لهم فافعل فالظرفان متعلقان بمحذوف هو
نعتان لنفقا وسلما والاول لمجرد التأكيد اذ النفق لا يكون الا في الارض او بتبتغي وقد جوز
تعلقهما بمحذوف وقع حالا من فاعل تبتغي اى ان تبتغي نفقا كائنا انت في الارض او سلما كائنا في السماء
وفيه من الدلالة على تبالغ حرصه عليه السلام على اسلام قومه وتراميه الى حيث لو قدر على ان يأتي بآية

منا تحت الارض او من فوق السماء لفعل رجاء لايمانهم بالاكيف وايثار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للايذان
بان ما ذكر من النفق او سلم مما لا يستطاع ابتغاؤه فكيف باتخاذه ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اى لو شاء تعالى
ان يجمعهم على ما انتم عليه من الهدى لفعله بان يوفقهم للايمان فيؤمنوا معكم ولكن لم يشأ لعدم صرف اختيارهم
الى جانب الهدى مع تمكنهم التام منه ومشاهدتهم للآيات الداعية اليه لا انه تعالى لم يوفقهم له مع توجههم الى
تحصيله وقيل لو شاء الله لجمعهم عليه بان يأتيهم بآية ملجئة اليه ولكن لم يفعله لخروجه عن الحكمة وقوله عز وجل
فلا تكونن من الجاهلين نهى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والميل
الى اتيان ما يقترحونه من الآيات طمعاً فى ايمانهم مرتب على بيان عدم تعلق مشيئته تعالى بهدايتهم والمعنى اذا عرفت
انه تعالى لم يشأ هدايتهم وايمانهم باحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد على اسلامهم او الميل الى نزول مقترحاتهم
من الجاهلين بدقائق شؤونه تعالى التى من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بايمانهم اما اختياراً
فلعدم توجههم اليه واما اضطراراً فلخروجه عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز ان يراد بالجاهلين
على الوجه الثانى المقترحون ويراد بالنهى منعه عليه السلام من المساعدة على اقتراحهم وايرادهم بعنوان الجهل
دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط النهى الذى هو الوصف الجامع بينه عليه السلام وبينهم انما يستجيب الذين يسمعون
تمثيل لاختصاصه تعالى بالقدرة على توفيقهم للايمان باختصاصه تعالى بالقدرة على البعث من القبور وقيل
بيان لاستمرارهم على الكفر وعدم اقلاعهم عنه اصلا على ان المستعار للكفرة بناء على تشبيه جهلهم بموتهم اى
وهؤلاء الكفرة يبعثهم الله تعالى من قبورهم ثم اليه يرجعون للجزاء فحينئذ يستجيبون واما قبل ذلك
فلا سبيل اليه وقرئ يرجعون على البناء للفاعل من رجع رجوعاً والمشهورة ادخل فى تحقيق المقام لانبائه عن
كون مرجعهم اليه تعالى بطريق الاضطرار وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه حكاية لبعض آخر من اباطيلهم
بحكاية ما قالوا فى حق القرآن الكريم وبيان ما يتعلق به والقائلون رؤساء قريش وقيل الحارث بن عامر
ابن نوفل واصحابه ولقد بلغت بهم الضلالة والطغيان الى حيث لم يقنعوا بما شاهدوا من البينات التى تخر لها
صم الجبال حتى اجترؤا على ادعاء انها ليست من قبيل الآيات وانما هى ما اقترحوه من الخوارق الملجئة او المعقبة
للعذاب كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية والتنزيل بمعنى الانزال
كما ينبئ عنه القراءة بالتخفيف فيما سيأتى وما يفيده التعرض لعنوان ربوبيته تعالى عليه السلام من الاشعار بالعلية
انما هو بطريق التعريض بالتهكم من جهتهم واطلاق الآية فى قوله تعالى قل ان الله قادر على ان ينزل آية مع ان المراد
بها ما هو من الخوارق المذكورة لا آية ما من الآيات لفساد المعنى مجاراة معهم على زعمهم ويجوز ان يراد بها آية
موجبة لهلاكهم كانزال طائفة العذاب ونحوه على ان تنوينها للتفخيم والتهويل كما ان اظهار الاسم الجليل لتربية
المهابة مع ما فيه من الاشعار بعلة القدرة الباهرة والاقتصار فى الجواب على بيان قدرته تعالى على تنزيلها مع
انها ليست فى حيز الانكار للايذان بان عدم تنزيلها آيتها مع قدرته عليه لحكمة بالغة يجب معرفتها وهم عنها
غافلون كما ينبئ عنه الاستدراك بقوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون اى ليسوا من اهل العلم على ان
المفعول مطرح بالكلية او لا يعلمون شيئاً على انه محذوف مدلول عليه بقرينة المقام والمعنى انه تعالى قادر على ان
ينزل آية من ذلك او اية آية ولكن اكثرهم لا يعلمون فلا يدرون ان عدم تنزيلها مع ظهور قدرته
عليه لما ان فى تنزيلها قلعاً لاساس التكليف المبنى على قاعدة الاختيار واستئصالاً لهم بالكلية فيقترحونها جهلاً

جهلا ويتخذون عدم تنزيلها ذريعة للتكذيب وتخصيص عدم العلم باكثرهم لما ان بعضهم واقفون على حقيقة الحال
وانما يفعلون مكابرة وعناداً وقوله تعالى وما من دابة فى الارض كلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل
وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه تعالى قادر على التنزيل وانما لا ينزلها محافظة على الحكم البالغة
وزيادة من لتأكيد الاستغراق وفى متعلقة بمحذوف هو وصف لدابة مفيد لزيادة التعميم كانه قيل وما فرد من
افراد الدواب يستقر فى قطر من اقطار الارض وكذا زيادة الوصف فى قوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه
مع ما فيه من زيادة التقرير اى ولا طائر من الطيور يطير فى ناحية من نواحى الجو بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد
وقرئ ولا طائر بالرفع عطفاً على محل الجار والمجرور كانه قيل وما طائر الا امم دابة ولا طائر الا امم اى
طوائف متخالفة والجمع باعتبار المعنى كانه قيل وما من دواب ولا طير الا امم امثالكم اى كل امة
منها مثلكم فى ان احوالها محفوظة وامورها مقننة ومصالحها مرعية جارية على سنن السداد منتظمة
فى سلك التقديرات الالهية والتدبيرات الربانية ما فرطنا فى الكتاب من شئ يقال فرط الشئ اى ضيعه
وتركه قال ساعدة جونة معه سقاء ولا يفرط حمله اى لا يتركه ولا يفارقه ويقال فرط فى الشئ اى اهمل
ما ينبغى ان يكون فيه واغفله فقوله تعالى فى الكتاب اى فى القرآن على الاول ظرف لغو وقوله تعالى من شئ
مفعول لفرطنا ومن مزيدة للاستغراق اى ما تركنا فى القرآن شيئاً من الاشياء المهمة التى من جملتها بيان
انه تعالى مراع لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغى وعلى الثانى مفعول للفعل ومن شئ فى موضع المصدر اى
ما جعلنا الكتاب مفرطاً فيه شيئاً من التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لا بد من ذكره وايا ما كان فالجملة اعتراض
مقرر لمضمون ما قبلها وقيل الكتاب اللوح فالمراد بالاعتراض الاشارة الى ان احوال الامم مستقصاة فى
اللوح غير مقصورة على هذا القدر المجمل وقرئ فرطنا بالتخفيف وقوله تعالى ثم الى ربهم يحشرون بيان لاحوال
الامم المذكورة فى الآخرة بعد بيان احوالها فى الدنيا وايراد ضميرها على صيغة جمع العقلاء لاجرائها مجراهم
والتعبير عنها بالامم اى الى مالك امورهم يحشرون يوم القيامة كدأبكم لا الى غيره فيجازيهم فينصف بعضهم من
بعض حتى يبلغ من عدله ان يأخذ للجماء من القرناء وقيل حشرها موتها ويأباه مقام تهويل الخطب و
تفظيع الحال وقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا متعلق بقوله تعالى ومنهم من يستمع اليك الآيات ومحله الرفع على
الابتداء خبره ما بعده اى اوردنا فى القرآن جميع الامور المهمة وازحنا به العلل والاعذار والذين كذبوا
بآياتنا التى هى منه صم لا يسمعونها سمع تدبر وفهم ولذلك يسمونها اساطير الاولين ولا يعدونها من
الآيات ويقترحون غيرها وبكم لا يقدرون على ان ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوتك بها
وقوله تعالى فى الظلمات اى فى ظلمات الكفر او ظلمات الجهل والعناد والتقليد اما خبر ثان للمبتدأ على انه
عبارة عن العمى كما فى قوله تعالى صم بكم عمى واما متعلق بمحذوف وقع حالا من المستكن فى الخبر كانه قيل
ضالون كائنين فى الظلمات او صفة لبكم اى بكم كائنون فى الظلمات والمراد بيان كمال عراقتهم فى الجهل
وسوء الحال فان الاصم الابكم اذا كان بصيرا ربما يفهم شيئاً باشارة غيره وان لم يفهمه بعبارته وكذا
يشعر غيره بما فى ضميره بالاشارة وان كان معزولا عن العبارة واما اذا كان مع ذلك اعمى او كان فى الظلمات
فينسد عليه باب الفهم والتفهيم بالكلية وقوله تعالى من يشأ الله يضلله تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم
ببيان انهم من اهل الطبع لا يتأتى منهم الايمان اصلا فمن مبتدأ خبره ما بعده ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة

المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغاية في تعلقها به اى من يشأ الله اضلاله
اى ان يخلق فيه الضلال يضلله اى يخلقه فيه لكن لا ابتداء بطريق الجبر من غير ان يكون له دخل ما في ذلك بل
عند صرف اختياره الى كسبه وتحصيله وقس عليه قوله تعالى ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم
لا يضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه قل ارأيتكم امر لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بان يبكتهم ويلقمهم الحجر بما لا سبيل لهم الى النكير والكاف حرف جيء به لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب
ومبنى التركيب وان كان على الاستخبار عن الرؤية قلبية كانت او بصرية لكن المراد بها الاستخبار عن
متعلقها اى اخبروني ان اتيكم عذاب الله حسبما اتى الامم السابقة من انواع العذاب الدنيوي او اتتكم
الساعة التي لا محيص عنها البتة اغير الله تدعون هذا مناط الاستخبار ومحط التبكيت
وقوله تعالى ان كنتم صادقين متعلق بارأيتكم مؤكد للتبكيت كاشف عن كذبهم وجواب الشرط محذوف
ثقة بدلالة المذكور عليه اى ان كنتم صادقين على ان اصنامكم الهة كما انها دعواكم المعروفة او ان كنتم
قوما صادقين فاخبروني اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله فان صدقكم بان يكون من موجبات
اخبارهم بدعائهم غيره سبحانه واما جعل الجواب ما يدل عليه قوله تعالى اغير الله تدعون اعني فادعوه على ان
الضمير لغير الله فمخل بجزالة النظم الكريم كيف لا والمطلوب منهم انما هو الاخبار بدعائهم غيره تعالى عند اتيان
ما يأتي الى النفس دعائهم اياه وقوله تعالى بل اياه تدعون عطف على جملة منفية ينبئ عنها الجملة التي تعلق بها
الاستخبار انباء جليا كانه قيل لا غيره تعالى تدعون بل اياه تدعون وقوله عز وجل فيكشف ما تدعون اليه اى
الى كشفه عطف على تدعون اى فيكشفه اثر دعائكم وقوله تعالى ان شاء الله اى شاء كشفه لبيان
ان قبول دعائهم مطرد بل هو تابع لمشيئته المبنية على حكم خفية قد استأثر الله تعالى بعلمه فقد يقبله كما في بعض
اخر منها وفي جميع ما يتعلق بكشف العذاب الاخروي الذي من جملتها الساعة وقوله تعالى وتنسون ما تشركون
اى تتركون ما تشركون به تعالى من الاصنام تركا كليا عطف على تدعون ايضا وتوسيط الكشف بينهما
مع تقارنهما وتأخر الكشف عنهما لاظهار كمال العناية بشأن الكشف والايذان بترتبه على الدعاء خاصة و
قوله تعالى ولقد ارسلنا كلام مستأنف مسوق لبيان ان منهم من لا يدعوا الله تعالى عند اتيان العذاب
ايضا لتماديهم في الغي والضلال لا يتأثرون بالزواجر التكوينية كما لا يتأثرون بالزواجر التنزيلية و
تصديره بالجملة القسمية لاظهار مزيد الاهتمام بمضمونه ومفعول ارسلنا محذوف لما ان مقتضى المقام
بيان حال المرسل اليهم لا حال المرسلين اى وبالله لقد ارسلنا رسلا الى امم كثيرة من قبلك
اى كائنة من زمان قبل زمانك فاخذناهم اى فكذبوا رسلهم فاخذناهم بالبأساء اى بالشدة
والفقر والضراء اى الضر والافات وهما صيغتا تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون اى لكي يدعوا
اليه تعالى في كشفها بالتضرع والتذلل ويتوبوا اليه من كفرهم ومعاصيهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا
اى فلم يتضرعوا اليه تعالى حينئذ مع تحقق ما يستدعيه ولكن قست قلوبهم استدراك عما قبله اى فلم يتضرعوا
اليه تعالى برقة القلب والخضوع مع تحقق ما يدعوهم اليه ولكن ظهر منهم نقيضه حيث قست قلوبهم اى
استمرت على ما هي عليه من القساوة او ازدادت قساوة كقولك لم يكرمني اذ جئته ولكن اهانني
وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي فلم يخطروا ببالهم ان ما اعتراهم من البأساء

والضراء ما اعتراهم الا لاجله وقيل الاستدراك لبيان انه لم يكن لهم في ترك التضرع عذر سوى قسوة
قلوبهم والاعجاب باعمالهم التي زينها الشيطان لهم وقوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به عطف على
مقدر ينساق اليه النظم الكريم اى فانهمكوا فيه ونسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فلما نسوه فتحنا
عليهم ابواب كل شيء من فنون النعماء على منهاج الاستدراج لما روي انه عليه السلام قال مكر بالقوم
ورب الكعبة وقرئ فتحنا بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح على النسيان المذكور اشعار بان التذكير في
الجملة غير خال عن النفع وحتى في قوله عز وجل حتى اذا فرحوا بما اوتوا هي التي يبتدأ بها الكلام
دخلت على الجملة الشرطية كالتي في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا الاية ونظائره وهي مع ذلك غاية لقوله تعالى فتحنا
او لما يدل هو عليه كانه قيل ففعلوا ما فعلوا حتى اذا اطمأنوا بما اتيح لهم وبطروا واشروا اخذناهم بغتة
اى نزل بهم عذابنا فجأة ليكون اشد عليهم وقعا وافظع هولا فاذا هم مبلسون متحسرون غاية الحسرة آيسون
من كل خير وجامدون وفي الجملة الاسمية دلالة على استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة فقطع دابر القوم
الذين ظلموا اى اخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اى تبعه ووضع الظاهر موضع المضمر
للاشعار بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو وضع الكفر موضع الشكر واقامة المعاصي مقام الطاعات
والحمد لله رب العالمين على ما جرى عليهم من النكال فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض
من شؤم عقائدهم الفاسدة واعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستجلبة للحمد لا سيما مع ما فيه من اعلاء كلمة الحق التي
نطقت بها رسلهم عليهم السلام قل ارأيتم امر لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بتكرير التبكيت
عليهم وتثنية الالزام بعد تكملة الالزام الاول ببيان انه امر مستمر لم يزل جاريا في الامم وهذا ايضا استخبار
عن متعلق الرؤية وان كان بحسب الظاهر استخبارا عن نفس الرؤية ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
بان اصمكم واعماكم بالكلية وختم على قلوبكم بان غطى عليها ما لا يبقى لكم معه عقل وفهم اصلا وتصيرون
مجانين ويجوز ان يكون الختم عطفا تفسيريا للاخذ المذكور فان السمع والبصر طريقان للقلب منهما
يرد ما يرده من المدركات فاخذهما سد لبابه بالكلية وهو السر في تقديم اخذهما على الختم عليها ولتقديم
السمع على الابصار فانه مورد الايات القرآنية وافراده لانه في الاصل مصدر وقوله تعالى من اله مبتدأ وخبر
ومن استفهامية وقوله تعالى غير الله صفة للخبر وقوله تعالى يأتيكم به اى بذلك على ان
الضمير مستعار لاسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه صفة اخرى له والجملة متعلق الرؤية ومناط الاستخبار
اى اخبروني ان سلب الله مشاعركم من اله غيره تعالى يأتيكم بها وقوله تعالى انظر كيف نصرف الايات تعجيب
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من عدم تأثرهم بما عاينوا من الايات الباهرة اى انظر كيف نكررها
ونقررها مصروفة من اسلوب الى اسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب و
الترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير ثم هم يصدفون عطف عن تلك الايات بعد تصريفها على هذا النمط
البديع الموجب للاقبال عليها قل ارأيتكم تبكيت اخر لهم بالجائهم الى الاعتراف باختصاص
العذاب بهم ان اتيكم عذاب الله اى عذابه العاجل الخاص بكم كما اتى من قبلكم من الامم بغتة اى فجأة
من غير ان يظهر منه مخايل الاتيان وحيث تضمن هذا المعنى الخفية قوبل بقوله تعالى او جهرة اى بعد ظهور امارته
وعلاماته وقيل ليلا ونهارا لما ان الغالب فيما اتى ليلا البغتة وفيما اتى نهارا الجهرة وقرئ بغتة وجهرة

وهما في موضع المصدر اي اتيان بغتة او اتيان جهرة وتقديم البغتة لكونها اهول وافظع وقوله تعالى هل يهلك
متعلق الاستخبار والاستفهام للتقرير اي قل لهم تقريرا لهم باختصاص الهلاك بهم اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى
حسبما تخافونه هل يهلك بذلك العذاب الا انتم اي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه وانما وضع موضعه
الا القوم الظالمون تسجيلا عليهم بالظلم وايذانا بان مناط اهلاكهم ظلمهم الذي هو وضعهم الكفر موضع الايمان
وقيل المراد بالظالمين الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا قال الزجاج هل يهلك الا انتم ومن اشبهكم
ويأباه تخصيص الاتيان بهم وقيل الاستفهام بمعنى النفي فمتعلق الاستخبار حينئذ محذوف كانه قيل قل اخبروني
ان اتاكم عذابه تعالى بغتة او جهرة ماذا يكون الحال ثم قيل بيانا لذلك ما يهلك الا القوم الظالمون اي ما
يهلك بذلك العذاب الخاص بكم الا انتم فمن قيد الهلاك بهلاك التعذيب والسخط التحقيق الحصر باخراج
غير الظالمين لانه ليس بطريق التعذيب والسخط بل بطريق الاثابة ورفع الدرجة فقد اهمل الحرية
واشتغل بما لا يعنيه واخل بجزالة النظم الكريم وقرئ هل يهلك من الثلاثي وما نرسل المرسلين كلام مستأنف
مسوق لبيان وظائف منصب الرسالة على الاطلاق وتحقيق ما في عهدة الرسل عليهم السلام واظهار ان
ما يقترحه الكفرة عليه عليه السلام ليس مما يتعلق بالرسالة اصلا وصيغة المضارع لبيان ان ذلك امر مستمر
جرت عليه العادات الالهية وقوله تعالى الا مبشرين ومنذرين حالان مقدرتان من المرسلين اي ما نرسلهم
الا مقدرا تبشيرهم وانذارهم وفيهما معنى العلة الغائية قطعا اي ليبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وينذروهم
بالعقاب على المعصية اي ليخبروهم بالخبر السار والخبر الضار دنيويا كان او اخرويا من غير ان يكون لهم دخل ما
في وقوع المخبر به اصلا وعليه يدور القصر واللازم ان لا يكون بيان الشرائع والاحكام من وظائف الرسالة
والفاء في قوله عز وجل فمن آمن واصلح لترتيب ما بعدها على ما قبلها ومن موصولة والفاء في قوله
عز وجل فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لشبه الموصول بالشرط اي لا خوف عليهم من العذاب الذي
انذروه دنيويا كان او اخرويا ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل والآجل وتقديم نفي
الخوف على نفي الحزن لمراعاة حق المقام وجمع الضمائر الثلاثة الراجعة الى من باعتبار معناها كما ان افراد
الضميرين السابقين باعتبار لفظها اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا هم يحزنون
والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر
في موضعه من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام الا يرى ان الجملة
الاسمية تدل بمعونة المقام على استمرار الثبوت فاذا دخل عليها حرف النفي دلت على استمرار الانتفاء
لا على انتفاء الاستمرار كذلك المضارع الخالي عن حرف النفي يفيد استمرار الثبوت فاذا دخل عليه حرف النفي
يفيد استمرار الانتفاء لا انتفاء الاستمرار ولا بعد في ذلك فان قولك ما زيدا ضربت مفيد لاختصاص النفي
لا لنفي الاختصاص كما بين في محله وقوله عز وجل والذين كذبوا عطف على من آمن داخل في حكمه و
قوله تعالى بآياتنا اشارة الى ان ما ينطق به الرسل عليهم السلام عند التبشير والانذار ويبلغونه
الى الامم آياته تعالى وان من آمن بآياته تعالى ومن كذب به فقد كذب بها وفيه من الترغيب في الايمان
به والتحذير عن تكذيبه ما لا يخفى والمعنى ان رسل المرسلين الا ليخبروا الامم من جهتنا بما سيقع منا من الامور
السارة والضارة ليؤمنوا ما استقلالا من تلقاء انفسهم او استدعاء من قبلنا حتى يقترحوا عليهم ما

يقترحون فاذا كان الامر كذلك فمن آمن بما اخبروا به من قبلنا تبشيرا وانذارا او ضمن آياتنا واصلح ما يجب اصلاحه من
اعماله او دخل في الصلاح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا بلغوها عند التبشير والانذار
يمسهم العذاب اي العذاب الذي انذروه عاجلا وآجلا او حقيقة العذاب وجنسه المنتظم له انتظاما اوليا
بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم المستمر الذي هو الاصرار على الخروج عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي
خزائن الله استئناف مبني على ما اسس من السنة الالهية في شأن ارسال الرسل وانزال الكتب مسوق لاظهار
تبرئه عليه السلام عما يدور عليه مقترحاتهم اي قل للكفرة الذين يقترحون عليك تارة تنزيل الآيات واخرى غير
ذلك لا ادعي ان خزائن مقدوراته تعالى مفوضة الي اتصرف فيها كيف ما اشاء استقلالا او استدعاء حتى
تقترحوا علي تنزيل الآيات وانزال العذاب او قلب الجبال ذهبا او غير ذلك مما لا يليق بشأني وجعل هذا
تبرؤا عن دعوى الالهية مما لا وجه له قطعا وقوله تعالى ولا اعلم الغيب عطف على محل عندي خزائن الله
اي ولا ادعي ايضا اني اعلم الغيب من افعاله تعالى حتى تسألوني عن وقت الساعة او وقت نزول العذاب او نحوهما
ولا اقول لكم اني ملك حتى تكلفوني من الافاعيل الخارقة للعادات ما لا يطيق به البشر من الرقي في السماء
ونحوه او تعدوا عدم اتصافي بصفاتهم قادحا في امري كما ينبئ عنه قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق
والمعنى لا ادعي شيئا من هذه الاشياء الثلاثة حتى تقترحوا علي ما هو من آثارها واحكامها وتجعلوا عدم اجابتي
الى ذلك دليلا على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشيء مما ذكر قطعا بل انما هي عبارة عن تلقي
الوحي من جهة الله عز وجل والعمل بمقتضاه فحسب حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي لا على
معنى تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى اليه دون غيره بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى مفعول آخر
كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر الى ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي في الاصل والاثبات في القيد
بل على معنى تخصيص حاله عليه السلام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من
الافعال لكن لا باعتبار النفي فيما يتضمنه من مطلق الفعل والاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل
من الافعال الخاصة كنصر مثلا ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى خاص يقومه فان
معناه ما يتعلق فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في
الحقيقة ما يتعلق بالفعل بتوجيه النفي الى الاصل والاثبات الى القيد كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى
الي من غير ان يكون لي مدخل ما في الوحي او في الموحى بطريق الاستدعاء او بوجه آخر من الوجوه اصلا قل هل
يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي على الاطلاق والاستفهام انكاري والمراد انكار استوائهما من العلم ما
ذكر من الحقائق ومن يعلمها وفيه من الاشعار بكمال ظهورها ومن التنفير عن الضلال والترغيب في الاهتداء
ما لا يخفى وتكرير الامر لتثنية التبكيت وتأكيد الالزام وقوله تعالى افلا تتفكرون تقريع وتوبيخ داخل تحت
الامر والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه او اتسمعون
فلا تتفكرون فيه فمناط التوبيخ في الاول عدم الامرين معا وفي الثاني عدم التفكر مع تحقق ما يوجبه
وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم بعدما حكى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان من الكفرة قوما
لا يتعظون بتصريف الآيات الباهرة ولا يتأثرون بمشاهدة المعجزات القاهرة فدا ابعث منا وهم بالكلية و
التحقوا بالاموات وقدر ذلك بان كرر عليهم من فنون التبكيت والالزام ما يلقمهم الحجر اي اتم فابوا الا الاباء

والتكبير وما يجري فيهم عظة ولا تذكير وما افادهم الانذار الا الاصرار على الانكار امر صلى الله تعالى عليه وسلم بتوجيه
الانذار الى من يتوقع منهم في الجملة وهم المجوزون منهم الحشر على الوجه الآتي سواء كانوا جازمين باصله كاهل
الكتاب وبعض المشركين المعترفين بالبعث المترددين في شفاعة ابائهم الانبياء كالاولين او في شفاعة الاصنام
كالآخرين او مترددين فيهما معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم انهم اذا سمعوا بحديث البعث يخافون
ان يكون حقا واما المنكرون للحشر رأسا والقائلون به القاطعون بشفاعة ابائهم او بشفاعة الاصنام
فهم خارجون ممن امر بانذارهم وقد قيل هم المفرطون في الاعمال من المؤمنين ولا يساعده سياق النظم
الكريم ولا سياقه بل فيه ما يقضي باستحالة صحته كما ستقف عليه والضمير المجرور لما يوحى او لما دل هو عليه من
القرآن والمفعول الثاني للانذار اما العذاب الاخروي المدلول عليه بما في حيز الصلة واما مطلق العذاب الذي
ورد به الوعيد والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي لتربية المهابة
وتحقيق المخافة وقوله تعالى ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في حيز النصب على الحالية من ضمير يحشروا او من متعلقه
بمحذوف وقع حالا من اسم ليس لانه في الاصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا خلا ان الحال الاولى
لاخراج الحشر الذي لم يعتد بها عن حيز الخوف وتحقيق ان مناط ما نيط به الحشر على تلك الحالة لا الحشر كيف ما
كان ضرورة ان المعترفين به الجازمين بنصرة غيره تعالى بمنزلة المكذبين له في عدم الخوف الذي عليه يدور
امر الانذار واما الحال الثانية فليست لاخراج الولي الذي لم يعتد بها عن حيز الانتفاء لفساد المعنى لاستلزامه
ثبوت ولايته تعالى لهم كما في قوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير بل لتحقيق مدار خوفهم وهو
فقدان ما علقوا به رجاءهم وذلك انما هو ولاية غيره سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى ومن لا يجب داعي الله
فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء والمعنى انذر به الذين يخافون ان يحشروا غير منصورين من
جهة انصارهم على زعمهم ومن هذا اتضح ان لا سبيل الى كون المراد بالخائفين المفرطين من المؤمنين اذ ليس
لهم ولي سواه تعالى ليخافوا الحشر بدون نصرته وانما الذي يخافونه الحشر بدون نصرته عز وجل وقوله تعالى
لعلهم يتقون تعليل للامر اي انذرهم لكي يتقوا الكفر والمعاصي او حال من ضمير الامر اي انذرهم راجيا تقواهم
او من الموصول اي انذرهم مرجوا منهم التقوى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي لما امر عليه السلام بانذار
المذكورين لينتظموا في سلك المتقين نهى عليه السلام عن كون ذلك بحيث يؤدي الى طردهم روي ان رؤساء
من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو طردت هؤلاء الاعبد وارواح جبابهم يعنون
فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه السلام ما انا بطارد
المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت فقال عليه السلام نعم طمعا في ايمانهم
وروي ان عمر رضي الله تعالى عنه قال له عليه السلام لو فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون وقيل ان عتبة بن ربيعة
وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل وقرظة بن عبيد وعمرو بن نوفل واشراف بني
عبد مناف من اهل الكفر اتوا ابا طالب فقالوا يا ابا طالب لو ان ابن اخيك محمدا يطرد موالينا وحلفاءنا فانهم عبيدنا
وعتقاؤنا كان اعظم في صدورنا وادنى لاتباعنا اياه فاتى ابو طالب الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فحدثه
الذي كلموه فقال عمر رضي الله تعالى عنه لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون والى ما يصيرون وقال سلمان بن
خباب فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وذووهم من المؤلفة

قلوبهم فوجدوا النبي عليه السلام جالسا مع اناس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله عليه السلام
حقروهم فاتوه عليه السلام فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم
فجالسناك وحادثناك واخذنا عنك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا
منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحيي ان ترانا مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك
فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال عليه السلام نعم قالوا فاكتب لنا كتابا فدعا بالصحيفة ودعا علي
رضي الله تعالى عنه ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل عليه السلام فرمى عليه السلام بالصحيفة ودعانا فجلسنا
عنده وكنا ندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا
والممات والمراد بذكر الوقتين الدوام وقيل صلوة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وقوله تعالى يريدون وجهه
حال من ضمير يدعون اي يدعونه تعالى مخلصين له فيه وتقييده به لتأكيد عليته للنهي فان الاخلاص من اقوى موجبات
الاكرام المضاد للطرد وقوله تعالى ما عليك من حسابهم من شيء اعتراض وسط بين النهي وجوابه تقريرا له ودفعا لما عسى
يتوهم كونه مسوغا للطرد من اقاويل الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا ما نراك اتبعك الا الذين هم
اراذلنا بادي الرأي اي ما عليك شيء ما من حساب ايمانهم واعمالهم الباطنة حتى تتصدى له وتبني على ذلك ما تراه
من الاحكام وانما وظيفتك حسبما هو شأن منصب النبوة اعتبار ظواهر الاعمال واجراء الاحكام على موجبها
واما بواطن الامور فحسابها على العليم بذات الصدور كقوله تعالى ان حسابهم الا على ربي وذكر قوله تعالى
وما من حسابك عليهم من شيء مع ان الجواب قد تم بما قبله للمبالغة في بيان انتفاء كون حسابهم عليه عليه السلام
بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه اصلا وهو انتفاء كون حسابه عليه الصلوة والسلام عليهم على طريقة قوله تعالى لا
يستأخرون ساعة ولا يستقدمون واما ما قيل من ان ذلك لتنزيل الجملتين منزلة جملة واحدة لتأدية
معنى واحد على نهج قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فزائد على غير حقيق على شان التنزيل وتقديم عليك
في الجملة الاولى للقصد الى ايراد النفي على اختصاص حسابهم به عليه السلام اذ هو المدعي اي تصديه عليه السلام
لحسابهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى انك لا تؤاخذ بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويدعوك الحرص عليه الى ان تطرد
المؤمنين وقوله تعالى فتطردهم جواب النفي وقوله تعالى فتكون من الظالمين جواب النهي وقد جوز عطفه على
فتطردهم على طريقة التسبيب وليس بذاك وكذلك فتنا بعضهم ببعض استئناف مبين لما نشأ عنه ما سبق
من النهي وذلك اشارة الى مصدر ما بعده من الفعل الذي هو عبارة عن تقديمه تعالى لفقراء المؤمنين في امر
الدين بتوفيقهم للايمان مع ما هم عليه في امر الدنيا من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة
المشار اليه وبعد منزلته في الكمال والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل
النصب على انه نعت لمصدر مؤكد محذوف والتقدير فتنا بعضهم ببعض فتونا كائنا مثل ذلك الفتون ثم قدم على
الفعل لافادة القصر المفيد لعدم القصور فقط واعتبرت الكاف مقحمة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له
والمعنى ذلك الفتون الكامل البديع فتنا اي ابتلينا بعض الناس ببعضهم لا فتونا غيره حيث قدمنا الآخرين
في امر الدين على الاولين المتقدمين عليهم في امر الدنيا تقدما كليا واللام في قوله تعالى ليقولوا للعاقبة
اي ليقول البعض الاولون مشيرين الى الآخرين محقرين لهم نظرا الى ما بينهما من التفاوت الفاحش الدنيوي

وتنبيها على ما هو مناط التفضيل حقيقة أهؤلاء من الله عليهم من بيننا بأن وفقهم لإصابة الحق ولما يسعدهم عنده
تعالى من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك إنكار وقوع المن رأسا على طريقة
قولهم لو كان خيرا ما سبقونا إليه لا تحقير الممنون عليهم مع الاعتراف بوقوعه بطريق الاعتراض عليه تعالى وقوله تعالى
أليس الله بأعلم بالشاكرين رد لقولهم ذلك وإبطال له وإشارة إلى أن مدار استحقاق الإنعام معرفة شأن النعمة
والاعتراف بحق المنعم والاستفهام لتقرير علمه البالغ بذلك أي أليس الله بأعلم بالشاكرين لنعمه حتى يستبعد إنعامه عليهم
وفيه من الإشارة إلى أن أولئك الضعفاء عارفون بحق نعمة الله تعالى في تنزيل القرآن والتوفيق للإيمان شاكرون له تعالى
على ذلك مع التعريض بأن القائلين بمعزل من ذلك كله ما لا يخفى وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا هم الذين نهي عن طردهم وصفوا
بالإيمان بآيات الله عز وجل كما وصفوا بالمداومة على عبادته تعالى بالإخلاص تنبيها على إحرازهم لفضيلتي العلم والعمل وتأخير هذا الوصف
مع تقدمه على الوصف الأول لما أن مدار الوعد بالرحمة والمغفرة هو الإيمان كما أن مناط النهي عن الطرد فيما سبق هو
المداومة على العبادة وقوله تعالى فقل سلام عليكم أمر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه بعد إنذار مقابليهم وقيل
بتبليغ سلامه تعالى إليهم وقيل بأن يبدأهم بالسلام وقوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة أي قضاها وأوجبها على ذاته
المقدسة بطريق التفضل والإحسان بالذات لا بتوسط شيء أصلا تبشير لهم بسعة رحمته تعالى وبنيل المطالب إثر تبشيرهم
بالسلامة عن المكاره وبقبول التوبة منهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم إظهار اللطف بهم وإشعار
بعلة الحكم وقيل إن قوما جاؤوا إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا إنا أصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا
فنزلت وقوله تعالى أنه من عمل منكم سوءا بدل من الرحمة وقرئ بكسر إنه على أنه تفسير للرحمة بطريق الاستئناف وقوله
عز وجل بجهالة حال من فاعل عمل أي عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار والتقييد بذلك للإيذان بأن المؤمن لا
يباشر ما يعلم أنه يؤدي إلى الضرر أو عمله ملتبسا بجهالة ثم تاب من بعده أي من بعد عمله أو من بعد سفهه وأصلح
أي ما أفسده تداركا وعزما على أن لا يعود إليه أبدا فأنه غفور رحيم أي فأمره أنه غفور رحيم أو فله أنه
غفور رحيم وقرئ فإنه بالكسر على أنه استئناف وقع في صدر الجملة الواقعة خبرا لمن على أنها موصولة أو جوابا لها
على أنها شرطية وكذلك نفصل الآيات قد مر آنفا ما فيه من الكلام أي مثل هذا التفصيل البديع نفصل الآيات في
صفة أهل الطاعة وأهل الإجرام المصرين منهم والأوابين ولتستبين سبيل المجرمين بتأنيث الفعل بناء على تأنيث الفاعل
وقرئ بالتذكير بناء على تذكيره فإن السبيل مما يذكر ويؤنث وهو عطف على علة محذوفة للفعل المذكور لم يقصد تعليله
بها بعينها وإنما قصد الإشعار بأن له فوائد جمة من جملتها ما ذكر أو علة لفعل مقدر هو عبارة عن المذكور فيكون
مستأنفا أي ولتستبين سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل وقرئ بنصب السبيل على أن الفعل متعد والتاء
للخطاب أي ولتستوضح أنت يا محمد سبيل المجرمين فتعاملهم بما يليق به قل إني نهيت أمر صلى الله تعالى عليه
وسلم بالرجوع إلى مخاطبة المصرين على الشرك إثر ما أمر بمعاملة من عداهم من أهل الإنذار والتبشير بما يليق بحالهم أي قل
لهم قطعا لأطماعهم الفارغة عن ركونه عليه السلام إليهم وبيانا لكون ما هم عليه من الدين هوى محضا وضلالا بحتا
إني صرفت وزجرت بما نصب لي من الأدلة وأنزل إلي من الآيات في أمر التوحيد أن أعبد الذين تدعون
أي عن عبادة ما تعبدونه من دون الله كائنا ما كان قل كرر الأمر مع قرب العهد اعتناء بشأن المأمور
وإيذانا باختلاف القولين من حيث أن الأول حكاية لما من جهته تعالى من النهي والثاني حكاية لما من جهته عليه السلام من
الانتهاء عما ذكر من عبادة ما يعبدونه وإنما قيل لا أتبع أهواءكم استجهالا لهم وتنصيصا على أنهم فيما هم فيه تابعون

تابعون للأهواء الباطلة وليسوا على شيء مما ينطلق عليه الدين أصلا وإشعارا بما يوجب النهي والانتهاء وقوله تعالى قد ضللت إذا
استئناف مؤكد لانتهائه عما نهي عنه مقرر لكونهم في غاية الضلال والغواية أي إن اتبعت أهواءكم فقد ضللت وقوله عز وجل
وما أنا من المهتدين عطف على ما قبله والعدول إلى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والاستمرار أي دوام النفي واستمراره
لا نفي الدوام والاستمرار كما مر مرارا أي وما أنا في شيء من الهدى حتى أكون في عدادهم وقوله تعالى قل إني على بينة
تحقيق للحق الذي عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبيان لاتباعه إياه إثر إبطال الباطل الذي عليه الكفرة وبيان
اتباعه له والبينة الحجة الواضحة التي تفصل بين الحق والباطل والمراد بها القرآن والوحي وقيل هي الحجج العقلية أو ما يعمها وكلمة على
المقام والتنوين للتفخيم وقوله تعالى من ربي متعلق بمحذوف هو صفة لبينة مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة
الذاتية بالفخامة الإضافية وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام من التشريف ورفع المنزلة
ما لا يخفى وقوله تعالى وكذبتم به إما جملة مستأنفة أو حالية بتقدير قد أو بدونه جيء بها استقباحا لمضمونها واستبعادا
لوقوعه مع تحقق ما يقتضي عدمه من غاية وضوح البينة والضمير المجرور للبينة والتذكير باعتبار المعنى المراد والمعنى إني على بينة
عظيمة كائنة من ربي وكذبتم بها وبما فيها من الأخبار التي من جملتها الوعيد بمجيء العذاب وقوله تعالى ما عندي ما تستعجلون به
استئناف مبين لخطئهم في شأن ما جعلوه منشأ لتكذيبهم بها وهو عدم مجيء ما وعد فيها من العذاب الذي كانوا يستعجلونه
بقولهم متى هذا الوعد إن كنتم صادقين بطريق الاستهزاء أو بطريق الإلزام على زعمهم أي ليس ما تستعجلونه من العذاب
الموعود في القرآن وتجعلون تأخره ذريعة إلى تكذيبه في حكمي وقدرتي حتى أجيء به وأظهر لكم صدقه أي ليس أمره بمفوض
إلي إن الحكم إلا لله أي ما الحكم في ذلك تعجيلا وتأخيرا أو ما الحكم في جميع الأشياء فيدخل فيه ما ذكر دخولا أوليا
إلا لله وحده من غير أن يكون لغيره دخل ما فيه بوجه من الوجوه وقوله تعالى يقص الحق أي يتبعه بيان
لشئونه تعالى في الحكم المذكور أو في جميع أحكامه المنتظمة له انتظاما أوليا أي لا يحكم إلا بما هو حق فيثبت حقية
التأخير وقرئ يقضي فانتصاب الحق حينئذ على المصدرية أي يقضي القضاء الحق أو على المفعولية أي يصنع الحق ويدبره
من قولهم قضى الدرع إذا صنعها وأصل القضاء الفصل بتمام الأمر وأصل الحكم المنع فكأنه يمنع الباطل عن معارضة
الحق أو الخصم عن التعدي على صاحبه وهو خير الفاصلين اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشير إلى أن
قضى الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل هذا هو الذي يستدعيه جزالة التنزيل وقد قيل
إن المعنى إني من معرفة ربي وأنه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به أنتم حيث أشركتم به
تعالى غيره وأنت خبير بأن مساق النظم الكريم فيما سبق وما لحق على وصفهم بتكذيب آيات الله تعالى بسبب عدم
مجيء العذاب الموعود فيها وتكذيبهم به سبحانه في أمر التوحيد مما لا تعلق له بالمقام أصلا قل لو أن عندي
أي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب الذي ورد به الوعيد بأن يكون أمره مفوضا إلي من جهته تعالى
لقضي الأمر بيني وبينكم أي بأن ينزل ذلك عليكم إثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونحوه
وفي بناء الفعل للمفعول من الإيذان بتعيين الفاعل الذي هو الله سبحانه وبتهويل الأمر ومراعاة حسن الأدب
ما لا يخفى فما قيل في تفسيره لأهلكتكم عاجلا غضبا لربي ولتخلصت منكم سريعا بمعزل من توفية المقام حقه وقوله
عز وجل والله أعلم بالظالمين اعتراض مقرر لما أفادته الجملة الامتناعية من انتفاء كون العذاب مفوضا
إليه عليه السلام المستتبع لانتفاء قضاء الأمر وتعليل له والمعنى والله أعلم بحال الظالمين وبأنهم مستحقون
للإمهال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الأمر إلي ولم يقض الأمر بتعجيل العذاب والله أعلم

وعنده مفاتح الغيب بيان لاختصاص المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم اثر بيان اختصاص كلها به تعالى من حيث القدرة والمفاتح اما جمع مَفتح بفتح الميم وهو المخزن فهو مستعار لمكان الغيب كانها مخازن خزنت فيها الامور الغيبية يتعلق عليها وتفتح واما جمع مِفتح بكسرها وهو المفتاح ويؤيده قراءة من قرأ مفاتيح الغيب فهو مستعار لما يتوصل الى تلك الامور بناء على الاستعارة الاولى اى عنده تعالى خاصة خزائن غيوبه او ما يتوصل به اليها وقوله عز وجل لا يعلمها الا هو تأكيد لمضمون ما قبله وايذان بان المراد هو الاختصاص من حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى ان ما تستعجلون من العذاب ليس مقدورا الى حتى الزمكم ولا معلوما لدى لاخبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص به تعالى قدرة وعلما فينزله حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقوله تعالى ويعلم ما فى البر والبحر بيان لتعلق علمه تعالى بالمشاهدات اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها على ان الكل بالنسبة الى علمه المحيط سواء فى الجلاء اى يعلم ما فيهما من الموجودات مفصلة على اختلاف اجناسها وانواعها وتكثر افرادها وقوله تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها بيان لتعلقه باحوالها المتغيرة بعد بيان تعلقه بذواتها فان تخصيص حال السقوط بالذكر ليس الا بطريق الاكتفاء بذكرها عن ذكر سائر الاحوال كما ان ذكر حال الورقة وما عطف عليها خاصة دون سائر ما فيهما من فنون الموجودات الفائتة للحصر باعتبار انها انموذج لاحوال سائرها وقوله تعالى ولا حبة عطف على ورقة وقوله تعالى فى ظلمات الارض متعلق بمحذوف هو صفة لحبة مفيدة لكمال نفوذ علمه تعالى اى ولا حبة كائنة فى بطون الارض الا يعلمها وكذا قوله تعالى ولا رطب ولا يابس معطوفان عليها فى حكمها وقوله تعالى الا فى كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين عبارة عن علمه تعالى او بدل الاشتمال على انه عبارة عن اللوح المحفوظ وقرئ الاخيران بالرفع عطفا على محل من ورقة وقيل رفعهما بالابتداء والخبر الا فى كتاب مبين وهو الانسب بالمقام لشمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس من شأنه السقوط وقد نقل قراءة الرفع فى ولا حبة وهو الذى يتوفاكم بالليل اى ينيمكم فيه على استعارة التوفى من الاماتة للانامة لما بين الموت والنوم من المشاركة فى زوال الاحساس والتمييز وحمله قبض النفس بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار اى ما كسبتم فيه والمراد بالليل والنهار الجنس المتحقق فى كل فرد من افرادهما اذ بالتوفى والبعث الموجودين فيهما يتحقق قضاء الاجل المسمى المترتب عليهما لا فى بعضهما والمراد بعلمه تعالى ذلك علمه قبل الجرح كما يلوح به تقديم ذكره على البعث اى يعلم ما تجرحون بالنهار وصيغة الماضى للدلالة على التحقق وتخصيص التوفى بالليل والجرح بالنهار مع تحقق كل منهما فيهما حق بالاجراء على سنن العادة ثم يبعثكم فيه اى يوقظكم فى النهار عطف على يتوفاكم وتوسيط قوله تعالى ويعلم الخ بينهما لبيان ما فى بعثهم من عظيم الاحسان اليهم بالتنبيه على ان ما يكتسبونه من السيئات مع كونها موجبة لابقائهم على التوفى بل لاهلاكهم بالمرة يفيض عليهم الحيوة ويكلؤهم كما ينبئ عنه كلمة التراخى كانه قيل هو الذى يتوفاكم فى جنس الليالى ثم يبعثكم فى جنس النهر مع علمه بما تجرحون فيها ليقضى اجل مسمى معين لكل فرد بحيث لا يكاد يتخطى فيه احد طرفة عين ثم اليه مرجعكم اى رجوعكم بالموت لا الى غيره اصلا ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة باعمالكم التى كنتم تعملونها فى تلك الليالى والايام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل كاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور فى شأن ما قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى ويجازيهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والاخلال

احواله

والاخلال لافضائه الى كون البعث متعلقا بقضاء الاجل المضروب له وهو القاهر فوق عباده اى هو المتصرف فى امورهم لا غير يفعل بهم ما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة الى غير ذلك ويرسل عليكم خاصة ايها المكلفون حفظة من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل متعلق بمحذوف هو حال من حفظة اذ لو تأخر لكان صفة اى كائنين عليكم وقيل متعلق بحفظة والمحفوظ محذوف على كل حال اى يرسل عليكم ملائكة يحفظون اعمالكم كائنا ما كان وفى ذلك حكمة جميلة لان المكلف اذا علم ان اعماله تحفظ عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر له عن تعاطى المعاصى والقبائح وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشمه احتشامه من خدمه الواقفين على احواله وحتى فى قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت هى التى يبتدأ بها الكلام وهى مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون اعمالكم مدة حياتكم حتى اذا انتهت مدة احدكم كائنا من كان وجاءه اسباب الموت ومباديه توفته رسلنا الاخرون المفوض اليهم ذلك وهم ملك الموت واعوانه وانتهى هناك حفظ الحفظة وقرئ توفاه ماضيا او مضارعا بطرح احدى التائين وهم اى الرسل لا يفرطون اى بالتوانى والتأخير وقرئ مخففا من الافراط اى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان والجملة حال من رسلنا وقيل مستأنفة سيقت لبيان اعتنائهم بما امروا به وقوله عز وجل ثم ردوا عطف على توفته والضمير للكل المدلول عليه باحدكم وهو السر فى مجيئه بطريق الالتفات تغليبا والافراد اولا والجمع آخرا لوقوع التوفى على الانفراد والرد على الاجتماع اى ثم ردوا بعد البعث بالحشر الى الله اى الى حكمه وجزائه فى موقف الحساب مولاهم اى مالكهم الذى يلى امورهم على الاطلاق لا ناصرهم كما فى قوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم الحق الذى لا يقضى الا بالحق بالعدل وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ صورة ومعنى لا لاحد غيره بوجه من الوجوه وهو اسرع الحاسبين يحاسب جميع الخلائق فى اسرع زمان واقصره لا يشغله حساب عن حساب ولا شان عن شان وفى الحديث انه تعالى يحاسب الكل فى مقدار حلب شاة قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اى قل تقريرا لهم بانحطاط شركائهم عن رتبة الالهية من ينجيكم من شدائدهما الهائلة التى تبطل الحواس وتدهش العقول ولذلك استعير لها الظلمات المبطلة لحاسة البصر يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كوكب او من الخسف فى البر والغرق فى البحر وقرئ ينجيكم من الانجاء والمعنى واحد وقوله تعالى تدعونه نصب على الحالية من مفعول ينجيكم اى من ينجيكم حال كونكم داعين له او من فاعله اى من ينجيكم منها حال كونه مدعوا من جهتكم وقوله تعالى تضرعا وخفية اما حال من فاعل تدعون او مصدر مؤكد اى تدعونه متضرعين جهارا ومسرين او تدعونه اعلانا واخفاء وقرئ خفية بكسر الخاء وقوله تعالى لئن انجيتنا حال من الفاعل ايضا على تقدير القول اى تدعون قائلين لئن انجيتنا من هذه الشدة والورطة التى عبر عنها بالظلمات لنكونن من الشاكرين اى الراسخين فى الشكر المداومين عليه لاجل هذه النعمة او جميع النعماء التى من جملتها هذه وقرئ لئن انجانا مراعاة لقوله تعالى تدعونه قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب امر عليه السلام بتقرير الجواب مع كونه من وظائفهم للايذان بانه متعين عندهم وللبناء عليه

عز وجل ثم انتم تشركون • عليه اى الله تعالى وحده ينجيكم مما تدعونه الى كشفه من الشدائد
المذكورة وغيرها من الغموم والكرب ثم انتم بعد ما تشاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى غيره
وقرئ ينجيكم بالتخفيف وقوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم استيناف مسوق لبيان انه تعالى هو القادر
على القائهم في المهالك اثر بيان انه هو المنجي لهم منها وفيه وعيد ضمني بالعذاب لاشراكهم المذكور على طريقة
قوله عز وجل أأمنتم ان يخسف بكم جانب البر الى قوله ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى وعليكم متعلق
بيبعث وتقديمه على المفعول الصريح للاعتناء به والمسارعة الى بيان كون المبعوث مما يضرهم ولتهويل امر
المؤخر وقوله تعالى من فوقكم • متعلق به ايضا او بمحذوف وقع صفة لعذابا اى عذابا كائنا من جهة
الفوق كما فعل بمن فعل من قوم لوط واصحاب الفيل واضرابهم او من تحت ارجلكم •
اى من جهة السفل كما فعل بفرعون وقارون وقيل من فوقكم اكابركم ورؤساؤكم ومن تحت ارجلكم
سفلتكم وعبيدكم وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فلا منع لما كان من الجهتين معا كما فعل بقوم نوح عليه
السلام او يلبسكم شيعا • اى يخلطكم فرقا متحزبين على اهواء شتى كل فرقة مشايعة لامام فينشب
بينكم القتال فتختلطوا في الملاحم كقول الحماسي • وكتيبة لبستها بكتيبة • حتى اذا التبست نفضت
لها يدى ويذيق بعضكم باس بعض • عطف على يبعث وقرئ بنون العظمة على طريق الالتفات
لتهويل الامر والمبالغة في التحذير والبعض الاول الكفار والاخر المؤمنون ففيه وعد ووعيد وعن
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال عند قوله تعالى عذابا من فوقكم اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى
او من تحت ارجلكم اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض هذا
اهون او ايسر وعنه عليه السلام انه قال سألت ربى ان لا يبعث على امتى عذابا من فوقهم او من تحت
ارجلهم فاعطانى ذلك وسألته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعنى ذلك • انظر كيف نصرف الايات
من حال الى حال لعلهم يفقهون • كى يفقهوا ويقفوا على جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من
المكابرة والعناد • وكذب به قومك • اى بالعذاب الموعود او القرآن المجيد الناطق بمجيئه قومك
اى المعاندون منهم ولعل ايرادهم بهذا العنوان للايذان بكمال سوء حالهم فان تكذيبهم بذلك مع
كونهم من قومه عليه السلام مما يقضى بغاية عتوهم ومكابرتهم وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر
مرارا من اظهار الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى وهو الحق • حال من
الضمير المجرور اى كذبوا به والحال انه الواقع لا محالة او انه الكتاب الصادق في كل ما نطق به وقيل هو استيناف
واياما كان ففيه دلالة على عظم جنايتهم ونهاية قبحها • قل • منبها على ما يؤول اليه امرهم وعلى
انك قد اديت ما عليك من وظائف الرسالة لست عليكم بوكيل • بحفيظ وكل الى امركم لامنعكم من
التكذيب واجبركم على التصديق انما انا منذر وقد خرجت عن العهدة حيث اخبرتكم بما سترونه
لكل نبأ • اى لكل شئ ينبأ به من الانباء التى من جملتها عذابكم او لكل خبر من الاخبار التى
من جملتها عذابكم او لكل خبر من الاخبار التى من جملتها خبر مجيئه مستقر • اى وقت استقرار
ووقوع البتة او وقت استقرار بوقوع مدلوله وسوف تعلمون • اى حال نبأكم في الدنيا او في الاخرة
او فيهما معا وسوف للتأكيد كما في قوله تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين • واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا

اى بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو دأب قريش ودينهم فاعرض عنهم
بترك مجالستهم والقيام عنهم وقوله تعالى حتى يخوضوا في حديث غيره غاية الاعراض اى استمر على الاعراض الى ان يخوضوا في
حديث غير آياتنا والتذكير باعتبار كونها حديثا فان وصف الحديث بمغايرتها مشيرا الى اعتبارها بعنوان الحديثية وقيل
باعتبار كونها قرآنا واما ينسينك الشيطان • بان يشغلك فتنسى النهى فتجالسهم ابتداء او بقاء وقرئ ينسينك من
التنسية فلا تقعد بعد الذكرى • اى بعد تذكر النهى مع القوم الظالمين • اى معهم فوضع المظهر
موضع المضمر نعيا عليهم انهم بذلك الخوض ظالمون واضعون للتكذيب والاستهزاء موضع التصديق والتعظيم راسخون
في ذلك وما على الذين يتقون • روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان المسلمين حين نهوا عن
مجالستهم عند خوضهم في الآيات قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام
ونطوف بالبيت فنزلت اى ما على الذين يتقون قبائح اعمال الخائضين واحوالهم من حسابهم • اى مما
يحاسبون عليه من الجرائر من شئ • اى شئ ما على انه في محل الرفع على انه مبتدأ وما تميمية او اسم لها
وهى حجازية ومن مزيدة للاستغراق ومن حسابهم حال منه وعلى الذين يتقون في محل الرفع على انه خبر للمبتدأ
او لما الحجازية على راى من لا يجيز اعمالها في الخبر المقدم عند كونه ظرفا او حرف جر ولكن ذكرى • استدراك
من النفى السابق اى ولكن عليهم ان يذكروهم ويمنعوهم عما هم عليه من القبائح بما امكن من العظة والتذكير
ويظهروا لهم الكراهة والنكير ومحل ذكرى اما النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المحذوف اى عليهم ان
يذكروهم تذكيرا او الرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر اى ولكن ذكرى لعلهم يتقون • اى يجتنبون
الخوض حياء او كراهة لمساءتهم وقد جوز كون الضمير للموصول اى يذكرونهم رجاء ان يثبتوا على تقواهم
او يزدادوها وذر الذين اتخذوا دينهم • الذى كلفوه وامروا باقامة مواجبه لعبا ولهوا •
حيث سخروا به واستهزؤوا او بنوا امر دينهم على ما لا يكاد يتعاطاه العاقل بطريق الجد وانما يصدر عنه لو صدر
بطريق اللعب كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب ونحو ذلك والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم
واقوالهم وقيل هو تهديد لهم كقوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا الآية وغرتهم الحيوة الدنيا •
واطمأنوا بها حتى زعموا ان لا حيوة بعدها ابدا وذكر به • اى بالقرآن من يصلح للتذكير ان تبسل
نفس بما كسبت • اى لئلا تبسل كقوله تعالى ان تضلوا الآية او مخافة ان تبسل او كراهة ان تبسل نفوس
كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وترتهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه
اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه او لانه ممتنع والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك
اى حرام ممنوع وقد جوزوا ان يكون الضمير المجرور في به راجعا الى الابسال مع عدم جريان ذكره كما في ضمير انه
ويكون الجملة بدلا منه مفسرا له فالابهام اولا والتفسير ثانيا من التفخيم وزيادة التقرير كما في قوله
على جوده لضن بالماء حاتم بجر حاتم على انه بدل من ضمير جوده فالمعنى وذكر بارتهان النفوس وحبسها
بما كسبت وقوله تعالى ليس لها من دون الله من ولى ولا شفيع استيناف مسوق للاخبار بذلك وقيل في
محل النصب على انه حال من ضمير كسبت وقيل في محل الرفع على انه وصف لنفس ومن دون الله متعلق
بمحذوف هو حال من ولى كما بين في تفسير قوله تعالى وانذر به الآية وقيل هو خبر لليس فيكون لها متعلقا
بمحذوف على البيان وان تعدل • اى ان تفد تلك النفس كل عدل • اى كل فداء على انه مصدر

مؤكد لا يؤخذ منها على اسناد الفعل الى الجار والمجرور لا الى ضمير العدل كما في قوله تعالى ولا يؤخذ منها
عدل فانه المفدى لا المصدر كما نحن فيه اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز
الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال ومحله الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى الذين
ابسلوا بما كسبوا والجملة مستأنفة سيقت اثر تحذيرهم من الابسال المذكور لبيان انهم المبتلون بذلك
اى اولئك المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحيوة الدنيا هم الذين ابسلوا الى ما كسبوا من القبائح وقوله
عز وجل لهم شراب من حميم استئناف آخر مبين لكيفية الابسال المذكور وعاقبته مبني على سؤال نشأ من
الكلام كأنه قيل ماذا لهم حين ابسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب من ماء مغلي يتجرجر في بطونهم وتتقطع به امعاؤهم
وعذاب اليم بنار تشتعل بابدانهم بما كانوا يكفرون اى بسبب كفرهم المستمر في الدنيا وقد
جوز ان يكون لهم شراب الخ حالا من ضمير ابسلوا وترتيب ما ذكر من العذابين على كفرهم مع انهم معذبون بسائر
معاصيهم ايضا حسبما ينطق به قوله تعالى بما كسبوا لانه العمدة في ايجاب العذاب والاهم في باب التحذير او
اريد بكفرهم ما هو اعم منه ومن مستتبعاته من المعاصي والسيئات هذا وقد جوز ان يكون اولئك اشارة الى
النفوس المدلول عليها بنفس ومحله الرفع بالابتداء والموصول الثاني صفته او بدل منه ولهم شراب الخ خبره والجملة
مسوقة لبيان تبعة الابسال قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا قيل نزلت في ابي بكر رضي الله تعالى
عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاصنام فتوجيه الامر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حينئذ
للايذان بما بينهما من الاتصال والاتحاد تنويها لشأن الصديق رضي الله تعالى عنه اى انعبد متجاوزين عبادة
الله الجامع لجميع صفات الالوهية التي من جملتها القدرة على النفع والضر ما لا يقدر على نفعنا اذا عبدناه ولا
على ضرنا اذا تركناه وادنى مراتب المعبودية القدرة على ذلك وقوله تعالى ونرد على اعقابنا
عطف على ندعوا داخل في حكم الانكار والنفي اى ونرد الى الشرك والتعبير عنه بالرد على الاعقاب لزيادة تقبيحه
بتصويره بصورة ما هو علم في القبح مع ما فيه من الاشارة الى كون الشرك حالة قد تركت ونبذت وراء الظهر
وايثار نرد على نرتد لتوجيه الانكار الى الارتداد برد الغير تصريحا بمخالفة المضلين وقطعا لاطماعهم الفارغة
وايذانا بان الارتداد من غير راد ليس في حيز الاحتمال ليحتاج الى نفيه وانكاره وقوله تعالى بعد اذ هدانا الله
اى الى الاسلام وانقذنا من الشرك متعلق بنرد مسوق لتأكيد النكير لا لتحقيق معنى الرد وتصويره فقط والا
لكفى ان يقال بعد اذ بدينا كأنه قيل ونرد الى الشرك باضلال المضل بعد اذ هدانا الله الذي لا هادي
سواه وقوله تعالى كالذي استهوته الشياطين في محل النصب على انه حال من مرفوع نرد اى انرد على اعقابنا
مشبهين بالذي استهوته مردة الجن واستغوته الى المهامه والمهالك او على انه نعت لمصدر محذوف اى
انرد ردا مثل رد الذي استهوته الخ والاستهواء استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كأنها
طلبت هويه وحرصت عليه وقرئ استهواه بالف ممالة وقوله تعالى في الارض اما متعلق باستهوته
او بمحذوف هو حال من مفعوله اى كائنا في الارض وكذا قوله تعالى حيران حال منه على انه بدل من
الاولى او حال ثانية عند من يجيزها او من الذي او من المستكن في الظرف اى تائها ضالا عن الجادة لا يدري
ما يصنع وقوله تعالى له اصحاب جملة في محل النصب على انه صفة لحيران او حال من الضمير فيه او مستأنفة
سيقت لبيان حاله وقوله تعالى يدعونه الى الهدى صفة لاصحاب اى لذلك المستهوى رفقة يهدونه

يهدونه الى الطريق المستقيم سمية له بالمصدر مبالغة كأنها نفس الهدى ائتنا على ارادة القول على انه بدل من يدعونه
او حال من فاعله اى يقولون ائتنا وفيه اشارة الى انهم مهتدون ثابتون على الطريق المستقيم وان من يدعونه ليس
ممن يعرف الطريق المستقيم ليدعى الى اتيانه وانما يدرك سمت الداعي ومورد النعيق فقط قل ان
هدى الله الذي هدانا اليه وهو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال محض وغي بحت كقوله
تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وتكرير الامر للاعتناء بشأن المأمور به ولان ما سبق للزجر عن الشرك
وهذا حث على الاسلام وهو توطئة لما بعده فان اختصاص الهدى بهداه تعالى مما يوجب الامتثال بالاوامر الواردة
بعده وامرنا عطف على ان هدى الله هو الهدى داخل تحت القول واللام في لنسلم لرب العالمين
لتعليل الامر المحكي بتعيين ما اريد به من الامور الثلاثة كما في قوله تعالى قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة و
ينفقوا الآية كأنه قيل امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم وقيل هي بمعنى الباء اى امرنا بان نسلم وقيل
زائدة اى امرنا ان نسلم على حذف الباء وقوله تعالى وان اقيموا الصلوة واتقوه اى الله تعالى في مخالفة
امره عطف على نسلم على الوجوه الثلاثة على ان المصدرية اذا وصلت بالامر يتجرد هو عن معنى الامر نحو تجرد
الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال فالمعنى على الاول امرنا اى قيل لنا اسلموا واقيموا الصلوة واتقوا
الله لاجل ان نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه تعالى وعلى الاخيرين امرنا بان نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه تعالى و
التعرض لوصف ربوبيته تعالى للعالمين لتعليل الامر وتأكيد وجوب الامتثال به كما ان قوله تعالى وهو
الذي اليه تحشرون جملة مستأنفة موجبة للامتثال بما امر به من الامور الثلاثة وهو الذي خلق السموات
والارض اريد بخلقهما خلق ما فيهما ايضا وعدم التصريح بذلك لظهور اشتمالهما على جميع العلويات والسفليات
وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خلق او من مفعوله او صفة لمصدره المؤكد
له اى قائما بالحق او ملتبسة بالحق او خلقا ملتبسا به وقوله تعالى ويوم يقول كن فيكون قوله الحق استئناف لبيان
ان خلقه تعالى لما ذكر من السموات والارض ليس مما يتوقف على مادة او مدة بل يتم بمحض الامر التكويني
من غير توقف على شيء آخر اصلا وان ذلك الامر المتعلق بكل فرد من افراد المخلوقات في حين معين من افراد
الاحيان حق في نفسه متضمن للحكمة ويوم ظرف لمضمون جملة قوله الحق والواو بحسب المعنى داخل عليها وتقديمه عليها
للاعتناء به من حيث انه مدار الحقية وترك ذكر المفعول ثقة بغاية ظهوره والمراد بالقول كلمة كن تحقيقا او تمثيلا
كما هو المشهور فالمعنى وامره المتعلق بكل شيء يريد خلقه من الاشياء في حين تعلقه به لا قبله ولا بعده من افراد
الاحيان الحق اى المشهور بالحقية المعروف بها هذا وقد قيل قوله مبتدأ والحق صفته ويوم يقول خبره مقدما عليه
كقولك يوم الجمعة القتال والمعنى به معنى الاستقرار وحاصل المعنى وقوله الحق كائن حين يقول لشيء من الاشياء
كن فيكون ذلك الشيء وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على الضمير في واتقوه او بمحذوف دل عليه
بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر او فاعل يكون على معنى حين يقول لقوله الحق اى لقضائه الحق كن فيكون والمراد
حين يكون الاشياء ويحدثها او حين يقوم الساعة فيكون التكوين حشر الاجساد واحياءها فكان
هي التامة وله الملك يوم ينفخ في الصور لتفيد اختصاص الملك به تعالى بذلك اليوم مع عموم
الاختصاص لجميع الاوقات لغاية ظهور ذلك بانقطاع العلائق المجازية الكائنة في الدنيا المصححة للمالكية
المجازية في الجملة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اى هو عالمها

وهو الحكيم في كل ما يفعله الخبير بجميع الامور الجلية والخفية واذ قال ابراهيم منصوب
على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه السلام معطوف على قل اندعوا لا على اقيموا كما قيل لفساد المعنى اي واذكر
لهم بعد ما انكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع ولا ضر وحققت ان الهدى هو هدى الله وما يتبعه من شؤونه
تعالى وقت قول ابراهيم الذي يدعون انهم على ملته موبخا لابيه آزر على عبادة الاصنام
فان ذلك مما يبكتهم وينادي بفساد طريقتهم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث
مع انها المقصودة لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها بذرية ادم وعابر وعازر وقانع وكذلك تارخ
ذكره محمد بن اسحق والضحاك والكلبي وكان من قرية من سواد الكوفة ومنع صرفه للعجمة والعلمية وقيل
اسمه بالسريانية تارخ وآزر لقبه المشهور وقيل اسم صنم لقب هو به للزوم عبادته فهو عطف بيان لابيه
او بدل منه وقال الضحاك معناه الشيخ الهرم وقال الزجاج المخطئ وقال الفراء وسليمان التيمي المعوج فهو نعت
له كما اذا جعل مشتقا من الازر او الوزر او اريد به عابد آزر على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
وقرئ آزر على النداء وهو دليل العلمية اذ لا يحذف حرف النداء الا من الاعلام اتتخذ متعد الى المفعولين
هما اصناما والهة ان تجعلها لنفسك الهة على توجيه الانكار الى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية وانما اورد
صيغة الجمع باعتبار الوقوع وقرئ أأزرا بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاء ساكنة وراء منونة
منصوبة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازرا ثم قيل تتخذ اصناما الهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل
تحت الانكار لكونه بيانا له وقيل الآزر القوة والمعنى الاجل القوة والمظاهرة تتخذ اصناما الهة
انكارا لتعززه على طريقة قوله عز وجل ايبتغون عندهم العزة اني اراك وقومك الذين
يتبعونك في عبادتها في ضلال عن الحق مبين اي بين كونه ضلالا لا اشتباه فيه اصلا والرؤية
اما علمية فالظرف مفعولها الثاني واما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للانكار والتوبيخ وكذلك
نري ابراهيم هذه الاراءة من الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة اي عرفناه وبصرناه
وصيغة الاستقبال حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك اشارة الى مصدر نري لا الى اراءة
اخرى مفهومة من قوله تعالى اني اراك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته
في الفضل وكمال تميزه بذلك وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة
من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نري ابراهيم اراءة كائنة
مثل تلك الاراءة فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه
نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك التبصير البديع نبصره عليه السلام ملكوت السموات
والارض اي ربوبيته تعالى ومالكيته لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوبا ومملوكا له
تعالى لا تبصيرا آخر ادنى منه والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك
العظيم والسلطان القاهر ثم جعل هو مختص بملك الله تعالى وسلطانه او لا فقط قيل وقيل والاول
هو الاظهر وبه قال الراغب وقيل ملكوتهما عجائبهما وبدائعهما روي انه كشف له عليه السلام عن السموات
والارض حتى العرش واسفل الارضين وقيل اياتهما وقيل ملكوت الشمس والقمر والنجوم وملكوت
الارض والجبال والبحار وهذه الاقوال لا يقتضي ان تكون الاراءة بصرية اذ ليس المراد باراءة ما ذكر

ما ذكر من الامور الحسية مجرد تمكينه عليه السلام من ابصارها ومشاهدتها في انفسها بل اطلاعه عليه السلام على حقائقها
وتعريفها من حيث دلالتها على شؤونه عز وجل ولا ريب في ان ذلك ليس مما يدرك حسا كما ينبئ عنه اسم الاشارة
المفصح عن كون المشار اليه امرا بديعا فان الاراءة البصرية المعتادة بمعزل من تلك المثابة وقرئ تري بالتاء
واسناد الفعل الى الملكوت اي تبصره عليه السلام دلائل الربوبية واللام في قوله تعالى وليكون
من الموقنين متعلق بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها اي وليكون من زمرة الراسخين في
الايقان البالغين درجة عين اليقين عن معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لا لامر
آخر فان الوصول الى تلك الغاية القاصية كمال مترتب على ذلك التبصير لا عينه وليس القصر لبيان انحصار فائدته
في ذلك كيف لا وارشاد الخلق والزام المشركين كما سياتي من فوائده بلا ريبة بل لبيان انه الاصل الاصيل
والباقي مستتبعاته وقيل هي متعلقة بالفعل السابق والجملة معطوفة على علة اخرى محذوفة ينسحب عليها
الكلام اي ليستدل بها وليكون الخ فينبغي ان يراد بملكوتهما بدائعهما واياتهما لان الاستدلال من غاياتها
لا من غايات اراءة نفس الربوبية وقوله تعالى فلما جن عليه الليل على الاول وهو الحق المبين عطف
على قال ابراهيم داخل تحت ما امر بذكره بالامر بذكر وقته وما بينهما اعتراض مقرر لما سبق وما لحق فان تعريفه
عليه السلام ربوبيته ومالكيته للسموات والارض وما فيهما وكون الكل مقهورا تحت ملكوته مفتقرا اليه في الوجود
وسائر ما يترتب عليه من الكمالات وكونه من الراسخين في معرفة شؤونه تعالى الواصلين الى ذروة عين
اليقين مما يقتضي ان يحكم عليه السلام باستحالة الالهية ما سواه سبحانه من الاصنام والكواكب وعلى الثاني هو تفصيل
لما ذكر من اراءة ملكوت السموات والارض وبيان لكيفية استدلاله عليه السلام ووصوله الى رتبة
الايقان ومعنى جن عليه الليل ستره بظلامه وقوله تعالى راى كوكبا جواب اما فان رؤيته انما
يتحقق بزوال نور الشمس عن الحس وهذا صريح في انه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق
الاضمحلال بنور الشمس والتحقيق انه كان قريبا من الغروب كما ستعرفه قيل كان ذلك الكوكب هو الزهرة
وقيل هو المشتري وقوله تعالى قال هذا ربي استئناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية التابعة
المتفرعة على بيان اراءته عليه السلام ملكوت السموات والارض فان ذلك مما يحمل السامع على استكشاف
ما ظهر منه عليه السلام من اثار تلك الاراءة واحكامها كانه قيل فماذا صنع عليه السلام حين راى الكوكب
فقيل قال على سبيل الوضع والفرض هذا ربي مجاراة مع ابيه وقومه الذين كانوا يعبدون الاصنام والكواكب
فان المستدل على فساد قول يحكيه على راي خصمه ثم يكر عليه بالابطال ولعل سلوك هذه الطريقة في بيان
استحالة ربوبية الكواكب دون بيان استحالة الهية الاصنام لما ان هذا اخفى بطلانا واستحالة من
الاول فلو صدع بالحق من اول الامر كما فعله في حق عبادة الاصنام لتمادوا في المكابرة والعناد ولجوا
في طغيانهم يعمهون وقيل قاله عليه السلام على وجه النظر والاستدلال وكان ذلك في زمان مراهقته او
اول اوان بلوغه وهو مبني على تفسير الملكوت باياتهما وعطف قوله تعالى ليكون على ما ذكر من العلة
المقدرة وجعل قوله تعالى فلما جن الخ تفصيلا لما ذكر من الاراءة وبيانا لكيفية الاستدلال وانت
خبير بان ذلك مما لا يليق بجزالة النظم الجليل وجلالة منصب الخليل عليه السلام فلما افل اي غرب
قال لا احب الافلين اي الارباب المنتقلين من مكان الى مكان المتغيرين من حال الى حال المحتجبين بالاستار

فانهم بمعزل من استحقاق الربوبية قطعاً فلما رأى القمر بازغاً اى مبتدئا فى الطلوع اثر غروب الكواكب قال هذا
ربى على الاسلوب السابق فلما افل كما افل النجم قال لئن لم يهدنى ربى الى الجانب الذى هو
الحق الذى لا محيد عنه لاكونن من القوم الضالين فان شيئا مما رأيته لا يليق بالربوبية وهذا مبالغة منه عليه السلام
فى اظهار النصفة ولعله عليه السلام كان اذ ذاك فى موضع كان فى جانبه الغربى جبل شامخ يستتر به الكواكب والقمر
وقت الظهر من النهار او بعده بقليل وكان الكواكب قد تباعد وافقه الشرقى مكشوف اولا والا فطلوع القمر
بعد افول الكواكب ثم افوله قبل طلوع الشمس كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة اى مبتدئة فى
الطلوع مما لا يكاد يتصور قال اى على النهج السابق هذا ربى وانما لم يؤنث لما ان المشار اليه
والمحكوم عليه بالربوبية هو الجرم المشاهد من حيث هو لا من حيث هو مسمى باسم من الاسامى فضلا عن حيثية
تسميته بالشمس او لتذكير الخبر وصيانة الرب عن وصمة التأنيث وقوله تعالى هذا اكبر تأكيد لما رامه عليه السلام
من اظهار النصفة مع اشارة خفية الى فساد دينهم من جهة اخرى ببيان ان الاكبر احق بالربوبية من الاصغر
فلما افلت هى ايضا كما افل الكواكب والقمر قال مخاطبا للكل صادعا بالحق بين اظهرهم يا قوم
انى برئ مما تشركون اى من الذى تشركونه من الاجرام المحدثة المتغيرة من حال الى اخرى المسخرة لمحدثها او
من اشراككم وترتيب هذا الحكم ونظيريه على الافول دون البزوغ والطلوع الظهور من ضروريات سوق
الاحتجاج على هذا السياق الحكيم فان كلا منهما وان كان فى نفسه انتقالا منافيا لاستحقاق معروضه للربوبية
قطعا لكن لما كان الاول حالة موجبة لظهور الآثار والاحكام ملائمة لتوهم الاستحقاق فى الجملة رتب
عليها الحكم الاول على الطريقة المذكورة وحيث كان الثانى حالة مقتضية لانطماس الآثار وبطلان الاحكام
المنافيين للاستحقاق المذكور منافاة بينة يكاد يعترف بها كل مكابر عنيد رتب عليها ما رتب ثم لما تبرأ عليه
السلام منهم توجه الى مبدع هذه المصنوعات ومنشئها فقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات التى
هذه الاجرام التى تعبدونها من اجزائها والارض التى تعبدون فيها حنيفا اى مائلا عن الاديان
الباطلة والعقائد الزائغة كلها وما انا من المشركين فى شئ من الافعال والاقوال وحاجه قومه اى شرعوا
فى مغالبته فى امر التوحيد قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية محاجتهم كانه قيل فماذا
قال عليه السلام حين حاجوه فقيل قال منكرا لما اجترؤا عليه من محاجته عليه السلام مع قصورهم عن تلك الرتبة
وعزة المطلب وقوة الخصم أتحاجونى فى الله بادغام نون الجمع فى نون الوقاية وقرئ بحذف
الاولى وقوله تعالى وقد هدان حال من ضمير المتكلم مؤكدة للانكار فان كونه عليه السلام مهديا
من جهة الله عز وجل ومؤيدا من عنده مما يوجب استحالة محاجته عليه السلام اى اتجادلوننى فى شأنه تعالى
ووحدانيته وقد هدانى الله تعالى بذلك الى الحق بعد ما سلكت طريقتكم بالفرض والتقدير وتبين بطلانها
تبيينا تاما كما شاهدتموه وقوله تعالى ولا اخاف ما تشركون به جواب عما خوفوه عليه السلام فى
اثناء المحاجة من اصابة مكروه من جهة اصنامهم كما قال لهود عليه السلام قومه ان نقول الا اعتراك بعض
آلهتنا بسوء ولعلهم فعلوا ذلك حين فعل عليه السلام بآلهتهم ما فعل وما موصولة اسمية حذف عائدها وقوله
تعالى الا ان يشاء ربى شيئا استثناء مفرغ من اعم الاوقات اى لا اخاف ما تشركونه به سبحانه من
معبوداتكم فى وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى شيئا من اصابة مكروه بى من جهتها وذلك انما

انما هو من جهته تعالى من غير دخل لآلهتكم فيه اصلا وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
اظهار منه لانقياده لحكمه سبحانه وتعالى واستسلامه لامره واعترافه بكونه تحت ملكوته وربوبيته تعالى وقوله تعالى
وسع ربى كل شئ علما كأنه تعليل للاستثناء اى احاط بكل شئ علما فلا يبعد ان يكون فى علمه تعالى ان
يحيق بى مكروه من قبلها بسبب من الاسباب وفى الاظهار فى موقع الاضمار تأكيد للمعنى المذكور واستلذاذ بذكره
تعالى أفلا تتذكرون اى اتعرضون عن التأمل فى ان آلهتكم جمادات غير قادرة على شئ ما من نفع
وضر فلا تتذكرون انها غير قادرة على اضرارى وفى ايراد التذكر دون التفكر ونظائره اشارة الى ان
امر اصنامهم مركوز فى العقول لا يتوقف الا على التذكر وقوله تعالى وكيف اخاف ما اشركتم استئناف
مسوق لنفى الخوف عنه عليه السلام بحسب زعم الكفرة بالطريق الالزامى كما سيأتى بعد نفيه عنه بحسب الواقع
ونفس الامر والاستفهام لانكار الوقوع ونفيه بالكلية كما فى قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند رسوله
الآية لا لانكار الواقع واستبعاده مع وقوعه كما فى قوله تعالى كيف تكفرون بالله الخ وفى توجيه الانكار
الى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس فى توجيهه الى نفسه بان يقال ااخاف لما ان كل موجود يجب ان يكون
وجوده على حال من الاحوال وكيفية من الكيفيات وقوله عز وجل ولا تخافون انكم اشركتم بالله
حال من ضمير اخاف بتقدير مبتدأ والواو كافية فى الربط من غير حاجة الى الضمير العائد الى ذى الحال وهو مقرر
لانكار الخوف ونفيه عنه عليه السلام ومفيد لاعترافهم بذلك فانهم حيث لم يخافوا فى محل الخوف فلان لا يخاف هو
عليه السلام فى محل الامن اولى واحرى اى وكيف اخاف انا ما ليس فى حيز الخوف اصلا وانتم لا تخافون غائلة
ما هو اعظم المخوفات واهولها وهو اشراككم بالله الذى ليس كمثله شئ فى الارض ولا فى السماء ما هو من جملة
مخلوقاته وانما عبر عنه بقوله تعالى ما لم ينزل به اى باشراكه عليكم سلطانا على طريقة التهكم مع
الايذان بان الامور الدينية لا يعول فيها الا على الحجة المنزلة من عند الله تعالى وفى تعليق الخوف الثانى باشراكهم
من المبالغة ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى ولا تخافون الخ
معطوف على اخاف داخل معه فى حكم الانكار والتعجب فمما لا سبيل اليه اصلا لافضائه الى فساد المعنى قطعا كيف لا
وقد عرفت ان الانكار بمعنى النفى بالكلية فيئول المعنى الى نفى الخوف عنه عليه السلام ونفى نفيه عنهم وانه
بين الفساد وحمل الانكار فى الاول على معنى نفى الوقوع وفى الثانى على استبعاد الواقع مما لا مساغ
له على ان قوله تعالى فاى الفريقين احق بالامن ناطق ببطلانه حتما فانه كلام مرتب على الانكار خوفه عليه
السلام فى محل الامن مع تحقق عدم خوفهم فى محل الخوف مسوق لالجائهم الى الاعتراف باستحقاقه عليه
السلام لما هو عليه من الامن وبعدم استحقاقهم لما هم عليه وانما جئ بصيغة التفضيل المشعرة
باستحقاقهم له فى الجملة لاستنزالهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن الانصاف
والمراد بالفريقين الفريق الآمن فى محل الامن والفريق الآمن فى محل الخوف فايثار ما عليه
النظم الكريم على ان يقال فاينا احق بالامن انا ام انتم لتأكيد الالجاء الى الجواب الحق بالتنبيه
على علة الحكم والتفادى عن التصريح بتخطئتهم لا لمجرد الاحتراز عن تزكية النفس ان كنتم تعلمون
المفعول اما محذوف تعويلا على ظهوره بمعونة المقام اى ان كنتم تعلمون من احق بذلك او قصدا الى
التعميم اى ان كنتم تعلمون شيئا واما متروك بالكلية اى ان كنتم من اولى العلم وجواب الشرط محذوف

الا فاخبرونى ‌• الذين آمنوا • استئناف من جهته تعالى مبين للجواب الحق الذى لا محيد عنه اى الفريق الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم • ولكن اى لم يخلطوه بظلم • اى بشرك كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون انهم يؤمنون بالله عز وجل وان عبادتهم للاصنام من تتمات ايمانهم واحكامه لكونها لاجل التقريب والشفاعة كما قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وهذا معنى الخلط اولئك اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما فى حيز الصلة وفى الاشارة اليه بعد وصفه بما ذكر ايذان بانهم تميزوا بذلك عن غيرهم وانتظموا فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم فى الشرف وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى لهم الامن جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر وقعت خبرا لاولئك وهو مع خبره خبر للمبتدأ الاول الذى هو الموصول ويجوز ان يكون اولئك بدلا من الموصول او عطف بيان له ولهم خبر للموصول والامن فاعلا للظرف لاعتماده على المبتدأ ويجوز ان يكون لهم خبرا مقدما والامن مبتدأ والجملة خبرا للموصول ويجوز ان يكون اولئك مبتدأ ثانيا ولهم خبره والامن فاعلا له والجملة خبرا للموصول اى اولئك الموصوفون بما ذكر من الايمان الخالص عن شوب الشرك لهم الامن فقط وهم مهتدون الى الحق ومن عداهم فى ضلال مبين روى انه لما نزلت الآية شق ذلك على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه السلام ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وليس من قضية الخلط بقاء الاصل بعد الخلط حقيقة وقيل المراد بالظلم المعصية التى تفسق صاحبها والظاهر هو الاول لورود الجواب عن حال الفريقين وتلك • اشارة الى ما احتج به ابراهيم عليه السلام من قوله تعالى فلما جن وقيل من قوله اتحاجونى الى مهتدون وما فى اسم الاشارة من معنى البعد لتفخيم شان المشار اليه والاشعار بعلو طبقته وسمو منزلته فى الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى • حجتنا • خبره وفى اضافتها الى نون العظمة من التفخيم ما لا يخفى وقوله تعالى آتيناها ابراهيم اى ارشدناه اليها او علمناه اياها فى محل النصب على انه حال من حجتنا والعامل فيها معنى الاشارة كما فى قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا او فى محل الرفع على انه خبر ثان او هو الخبر وحجتنا بدل او بيان للمبتدأ وابراهيم مفعول اول لآتيناها قدم عليه الثانى لكونه ضميرا وقوله تعالى على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبرا لتلك او بمحذوف ان جعل بدلا اى آتيناها ابراهيم حجة على قومه وقيل بقوله آتيناها نرفع بنون العظمة وقرئ بالياء على طريقة الالتفات وكذا الفعل الآتى درجات اى رتبا عظيمة عالية من العلم والحكمة وانتصابها على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اى الى درجات او على التمييز والمفعول قوله تعالى من نشاء • وتأخيره على الوجوه الثلاثة الاخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ومفعول المشيئة محذوف اى من نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على ان ذلك سنة مستمرة جارية فيما بين المصطفين الاخيار غير مختصة بابراهيم عليه السلام وقرئ بالاضافة الى من والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها لا محل لها من الاعراب وقيل هى فى محل النصب على انها حال من فاعل آتيناها اى حال كوننا رافعين الخ ان ربك حكيم فى كل ما يفعل من رفع وخفض عليم بحال من يرفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة والجملة تعليل لما قبلها وفى وضع الرب مضافا الى ضميره عليه السلام موضع نون العظمة بطريق من الالتفات فى تضاعيف

بيان احوال ابراهيم عليه السلام اظهار لمزيد لطف وعناية به عليه السلام ووهبنا له اسحق ويعقوب عطف على قوله تعالى وتلك حجتنا الخ فان عطف كل من الجملة الفعلية والاسمية على الاخرى مما لا نزاع فى جوازه ولا مساغ لعطفه على آتيناها لان له محلا من الاعراب نصبا ورفعا حسبما بين من قبل فلو عطف عليه لكان فى حكمه من الحالية والخبرية المستدعيين للرابط ولا سبيل اليه هنا كلا • مفعول لما بعده وتقديمه عليه للقصر لكن لا بالنسبة الى غيرهما مطلقا بل بالنسبة الى احدهما اى كل واحد منهما هدينا لا احدهما دون الآخر وترك ذكر المهدى اليه لظهور انه الذى اوتى ابراهيم وانهما مقتديان به ونوحا منصوب بمضمر يفسره هدينا من قبل اى من قبل ابراهيم عدّ هداه نعمة على ابراهيم عليه السلام لان شرف الوالد سار الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم لان مساق النظم الكريم لبيان شؤونه العظيمة من ايتاء الحجة ورفع الدرجات وهبة الاولاد والانبياء وابقاء هذه الكرامة فى نسله الى يوم القيامة كل ذلك لالزام من ينتمى الى ملته عليه السلام من المشركين واليهود وقيل لنوح عليه السلام لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم عليه السلام فلو كان الضمير له لاختص بالمعدودين فى هذه الآية والتى بعدها واما المذكورون فى الآية الثالثة فعطف على نوحا وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان هؤلاء الانبياء كلهم مضافون الى ذرية ابراهيم وان كان منهم من لم يلحقه بولادة من قبل ام ولا اب لان لوطا ابن اخى ابراهيم والعرب تجعل العم ابا كما اخبر الله تعالى عن ابناء يعقوب عليه السلام انهم قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحاق مع ان اسماعيل عم يعقوب داود وسليمان منصوبان بمضمر معلوم كما سبق وكذا ما عطف عليهما وبه متعلق من ذريته وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بشأنه مع ما فى المفاعيل من نوع طول ربما يخل تأخيره بتجاوب النظم الكريم اى وهدينا من ذريته داود وسليمان وايوب هو ابن اموص بن رازح بن عيص بن اسحاق عليه السلام ويوسف وموسى وهرون او بمحذوف وقع حالا من المذكورين اى وهدينا هم حال كونهم من ذريته وكذلك اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من جزاء ابراهيم عليه السلام ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نجزى المحسنين جزاء مثل ذلك الجزاء والتقديم للقصر وقد مر تحقيقه مرارا والمراد بالمحسنين الجنس وبمماثلة جزائهم لجزائه عليه السلام مطلق المشابهة فى مقابلة الاحسان بالاحسان والمكافأة بين الاعمال والاجزية من غير تخيير لا المماثلة من كل وجه ضرورة ان الجزاء بكثرة الاولاد والانبياء مما اختص به ابراهيم عليه السلام والاقرب ان لام المحسنين للعهد وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده وهو عبارة عما اوتى المذكورون من فنون الكرامات وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقته والكاف لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها فى الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير ونجزى المحسنين المذكورين جزاء كائنا مثل ذلك الجزاء فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المشار اليه لا نعتا له اى وذلك الجزاء البديع نجزى المحسنين المذكورين لا جزاء آخر ادنى منه والاظهار فى موقع الاضمار للثناء عليهم بالاحسان الذى هو عبارة عن الاتيان بالاعمال الحسنة على الوجه اللائق الذى هو حسنها الوصفى المقارن لحسنها الذاتى وقد فسره صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة اعتراض مقرر لما قبلها وزكريا وهو ابن آذن ويحيى ابنه وعيسى هو ابن مريم وفيه دليل بين على ان الذرية تتناول اولاد البنات والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن فى الآية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخى موسى عليه السلام كل • اى كل واحد من اولئك المذكورين من الصالحين • اى من الكاملين فى

والصلاح الذي هو عبارة عن الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي والجملة اعتراض جيء به للثناء عليهم بالصلاح واسمعيل
واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز وقرئ والليسع وهو على القراءتين علم اعجمي دخل عليه اللام ولا اشتقاق له وقيل
انه يوشع بن نون وقيل انه منقول عن مضارع وسع واللام كما في يزيد في قول من قال رأيت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا
باعباء الخلافة كاهله ويونس وهو ابن متى ولوطا وهو ابن هارون ابن اخي ابراهيم عليهما السلام
وكلا اي كل واحد من هؤلاء المذكورين فضلنا بالنبوة لا بعضهم دون بعض على العالمين
على عالمي عصرهم والجملة اعتراض كاختها وقوله تعالى ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم اما متعلق بما تعلق
به من ذريته ومن ابتدائية والمفعول محذوف اي وهدينا من آبائهم وذرياتهم واخوانهم جماعات كثيرة واما معطوف على كلا
ومن تبعيضية اي وفضلنا بعض آبائهم الخ واجتبيناهم عطف على فضلنا اي اصطفيناهم وهديناهم الى صراط
مستقيم تكرير للتأكيد وتمهيد لبيان ما هدوا اليه ذلك اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من مصادر الافعال
المذكورة وقيل الى ما دانوا به وما في ذلك من معنى البعد لما مر مرارا هدى الله الاضافة للتشريف يهدي به
من يشاء من عباده وهم المستعدون للهداية والارشاد وفيه اشارة الى انه تعالى متفضل بالهداية ولو اشركوا
اي هؤلاء المذكورون لحبط عنهم مع فضلهم وعلو طبقاتهم ما كانوا يعملون من الاعمال المرضية
الصالحة فكيف بمن عداهم وهم هم واعمالهم اعمالهم اولئك اشارة الى المذكورين من الانبياء الثمانية عشر
والمعطوفين عليهم عليهم السلام باعتبار اتصافهم بما ذكر من الهداية وغيرها من النعوت الجليلة الثابتة لهم وما فيه من
معنى البعد لما مر غير مرة من الايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
الذين آتيناهم الكتاب اي جنس الكتاب المتحقق في ضمن اي فرد كان من افراد الكتب السماوية والمراد بايتائه التفهيم
التام بما فيه من الحقائق والتمكين من الاحاطة بالجلائل والدقائق اعم من ان يكون ذلك بالانزال ابتداء او بالايراث
بقاء فان المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين والحكم اي الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق
والصواب والنبوة اي الرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلاثة او بالنبوة الجامعة للباقين
هؤلاء اي كفار قريش فانهم بكفرهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما انزل اليه من القرآن كافرون
بما يصدقه جميعا وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فقد وكلنا بها
اي امرنا برعايتها ووفقنا للايمان والقيام بحقوقها قوما ليسوا بها بكافرين في وقت من الاوقات بل مستمرون
على الايمان بها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد دوام الثبوت كذلك السلبية تفيد دوام النفي بمعونة المقام
لا نفي الدوام كما حقق في مقامه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومجاهد هم الانصار واهل المدينة وقيل اصحاب النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الفرس فان كلا من هؤلاء الطوائف موفقون للايمان
بالانبياء وبالكتب المنزلة اليهم عاملون بما فيها من اصول الشرائع وفروعها الباقية في شريعتنا وبه يتحقق الخروج
عن عهدة التوكيل والتكليف دون المنسوخة منها فانها بانتساخها خارجة عن كونها من احكامها وقد حقق
في تفسير سورة المائدة وقيل هم الانبياء المذكورون فالمراد بالتوكيل الامر بما هو اعم من اجراء احكامها كما هو شأنهم
في حق كتبهم ومن اعتقاد حقيتها كما هو شأنهم في حق سائر الكتب التي من جملتها القرآن الكريم وقيل هم الملائكة
فالتوكيل هو الامر بانزالها وحفظها واعتقاد حقيتها واياما كان فتنكير قوما للتفخيم والباء الاولى للصلة
للكافرين قدمت عليه محافظة على الفواصل والثانية لتأكيد النفي واما تقديم صلة وكلنا على مفعوله الصريح فلما

ذكر آنفا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول ربما يؤدي تقديمه الى الاخلال بتجاوب النظم الكريم
او الى الفصل بين الصفة والموصوف وجواب الشرط محذوف يدل عليه المذكور اي فان يكفر بها هؤلاء فلا اعتداد به اصلا
فقد وفقنا للايمان بها قوما فخاموا ليسوا بها بكافرين بها قطعا بل مستمرون على الايمان بها والعمل بما فيها ففي ايمانهم بها مندوحة
عن ايمان هؤلاء وعن هذا تبين ان الوجه ان يكون المراد بالقوم احدى الطوائف المذكورة اذ بايمانهم بالقرآن والعمل
باحكامه يتحقق الغنية عن ايمان الكفرة به والعمل باحكامه واما الانبياء والملائكة عليهم السلام فايمانهم ليس من قبيل
ايمان آحاد الامة كما اشير اليه اولئك اشارة الى الانبياء المذكورين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين هدى الله اي الى الحق والنهج المستقيم والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار
بعلة الهداية فبهداهم اقتده اي فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم طريقتهم
في الايمان بالله تعالى وتوحيده واصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ فانها بعد النسخ لا تبقى هدى والهاء
في اقتده للوقف حقها ان تسقط في الدرج واستحسن اثباتها فيه ايضا اجراء له مجرى الوقف واتباعا للامام وقرئ
باشباعها على انها كناية المصدر قل لا اسألكم عليه اي على القرآن او على التبليغ فان مساق الكلام
يدل عليهما وان لم يجر ذكرهما اجرا من جهتكم كما لم يسأل من قبلي من الانبياء عليهم السلام وهذا من جملة
ما امر عليه السلام بالاقتداء بهم فيه ان هو اي القرآن الا ذكرى للعالمين اي عظة وتذكير لهم كافة من
جهته سبحانه فلا يختص بقوم دون آخرين وما قدروا الله حق قدره بيان لشأن القرآن العظيم وانه نعمة جليلة منه تعالى على
كافة الامم حسبما ينطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين عقب ذلك ببيان غمطهم اياها و
كفرهم بها على وجه سرى ذلك الى الكفر بجميع الكتب الالهية واصل القدر السبر والحزر يقال قدر
الشيء يقدره بالضم قدرا اذا سبره وحزره ليعرف مقداره ثم استعمل في معرفة الشيء في مقداره
واحواله واوصافه حق قدره نصب على المصدرية وهو في الاصل صفة للمصدر اي قدره الحق فلما
اضيف الى موصوفه اي ما عرفوه تعالى حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه
تعالى في ذلك بل اخلوا بها اخلالا اذ قالوا منكرين لبعثة الرسل وانزال الكتب كافرين بنعمته
الجليلة فيها ما انزل الله على بشر من شيء فنفي معرفتهم لقدره سبحانه كناية عن حطهم لقدره
الجليل ووصفهم له تعالى بنقيض نعمته الجليل كما ان نفي المحبة في مثل ان الله لا يحب الكافرين كناية عن
البغض والسخط والا فنفي معرفة قدره تعالى يتحقق مع عدم التعرض لحطه بل مع السعي في تحصيل
المعرفة كما في قول من يناجي مستقصر المعرفة وعبادته سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك
حق عبادتك او ما عرفوه حق معرفته في السخط على الكفار وشدة بطشه تعالى بهم حسبما نطق به القرآن حين
اجترؤوا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء فالنفي بمعناه الحقيقي والقائلون هم اليهود وقد قالوه
مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فالزموا ما لا سبيل لهم الى انكاره اصلا
حيث قيل قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى اي قل لهم ذلك على طريقة التبكيت والقام الحجر وروي ان مالك
ابن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انشدك الله الذي انزل
التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك
القوم فغضب ثم التفت الى عمر رضي الله تعالى عنه فقال ما انزل الله على بشر من شيء فرنحوه وجعلوا مكانه كعب

ابن الاشرف وقيل هم المشركون والزامهم انزال التورية لما انه كان عندهم من المشاهير الذائعة ولذلك كانوا
يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم ووصف الكتاب بالوصول اليهم لزيادة التقرير وتشديد التبكيت
وكذا التقييد بقوله تعالى نورا وهدى فان كونه بينا بنفسه ومبينا لغيره مما يؤكد الالزام اي تاكيد وانتصابهما
على الحالية من الكتاب والعامل انزل او من الضمير في به والعامل جاء واللام في قوله تعالى للناس متعلق
بهدى او بمحذوف هو صفة له اي هدى كائنا للناس وليس المراد بهذا التبكيت الزامهم الاعتراف بانزال التورية فقط
بل بانزال القرآن ايضا فان الاعتراف بانزالها مستلزم للاعتراف بانزاله قطعا لما فيها من الشواهد الناطقة
به وقد نعى عليهم ما فعلوا بها من التحريف والتغيير حيث قيل تجعلونه قراطيس اي تضعونه في قراطيس
مقطعة وورقات متفرقة بحذف الجار بناء على تشبيه القراطيس بالظرف المبهم او تجعلونه نفس القراطيس
المقطعة وفيه زيادة توبيخ لهم بسوء صنيعهم كانهم اخرجوه من جنس الكتاب ونزلوه منزلة القراطيس
الخالية عن الكتابة والجملة حال كما سبق وقوله تعالى تبدونها صفة لقراطيس وقوله تعالى وتخفون كثيرا
معطوف عليه والعائد الى الموصوف محذوف اي كثيرا منها وقيل كلام مبتدأ لا محل له من الاعراب والمراد
بالكثير نعوت النبي عليه السلام وسائر ما كتموه من احكام التورية وقرئ الافعال الثلثة بالياء حملا على قالوا
وما قدروا وقوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قيل هو حال من فاعل تجعلونه
باضمار قد وبدونه على اختلاف الرأيين قلت فينبغي ان يجعل ما عبارة عما اخذوه من الكتاب من العلوم والشرائع
ليكون التقييد بالحال مفيدا لتاكيد التوبيخ وتشديد التشنيع فان ما فعلوه بالكتاب من التفريق والتقطيع لما ذكر من
الابداء والاخفاء شناعة عظيمة في نفسها ومع ملاحظة كونه ماخذ علومهم ومعارفهم اشنع واعظم لا عما
تلقوه من جهة النبي عليه السلام زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليهم وعلى آبائهم من مشكلاتها حسبما
ينطق به قوله تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كما قالوا لان تلقيهم لذلك
من القرآن العظيم ليس مما يزجرهم عما صنعوا بالتورية اما ما ورد فيه زيادة على ما فيها فلانه لا تعلق له بها
نفيا ولا اثباتا واما ما ورد بطريق البيان فلان مدار ما فعلوا بها من التحويل والتحريف ليس ما وقع فيها من
التباس الامر واشتباه الحال حتى يقلعوا عن ذلك بايضاحه وبيانه فيكون الجملة حينئذ خالية عن تاكيد التوبيخ فلا
ينبغي ان تقع موقع الحال بل الوجه حينئذ ان يكون استئنافا مقررا لما قبلها من مجيء الكتاب بطريق التكملة والاستطراد
والتمهيد لما يعقبه من مجيء القرآن ولا سبيل الى جعل ما عبارة عما كتموه من احكام التورية كما يفصح عنه قوله
عز وجل قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فانه وان كان مزجرة لهم عن الكتم حذر
الافتضاح ومصححا لوقوع الجملة في موقع الحال لكن ذلك مما يعلمه الكاتمون قطعا وقد قيل بان الخطاب لمن
آمن من قريش كما في قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر آباؤهم وقوله تعالى قل الله امر لرسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم بان يجيب عنهم اشعارا بتعين الجواب بحيث لا محيد عنه وايذانا بانهم افحموا ولم يقدروا على
التكلم اصلا ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه فلا عليك بعد الزام الحجة والقام الحجر
يلعبون حال من الضمير الاول والظرف صلة للفعل المقدم او المؤخر او متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله
الاول او فاعل يلعبون او من الضمير الثاني لانه فاعل في الحقيقة والظرف متصل بالاول وهذا كتاب
انزلناه تحقيق لنزول القرآن الكريم بعد تقرير انزال ما بشر به من التورية وتكذيب لهم في كلمتهم الشنعاء

الشنعاء اثر تكذيب مبارك اي كثير الفوائد وجم المنافع مصدق الذي بين يديه لنزوله
حسبما وصف فيها او الكتب التي قبلها فانه مصدق للكل في اثبات التوحيد والامر به ونفي الشرك والنهي عنه
وفي سائر اصول الشرائع التي لا تنسخ ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولتنذر
اهل مكة وانما ذكرت باسمها المنبئ عن كونها اعظم القرى شانا وقبلة لاهلها قاطبة ايذانا بان انذار اهلها
مستتبع لانذار اهل الارض كافة وقرئ لينذر بالياء على ان الضمير للكتاب ومن حولها من اهل المدر والوبر في المشارق و
المغارب والذين يؤمنون بالآخرة وبما فيها من افانين العذاب يؤمنون به اي بالكتاب
لانهم يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتأمل حتى يؤمنوا به وهم على صلاتهم يحافظون
تخصيص محافظتهم على الصلوة بالذكر من بين سائر العبادات التي لا بد للمؤمنين من ادائها للايذان بانافتها
من بين سائر الطاعات وكونها اشرفها بعد الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه تعالى بعثه نبيا كمسيلمة
الكذاب والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما من الحل والحرمة كعمرو بن لحي ومتابعيه اي هو اظلم من كل ظالم و
ان كان سبك التركيب لنفي الاظلم منه وانكاره من غير تعرض لنفي المساوي وانكاره فان الاستعمال الفاشي
في مثل ذلك من لا افضل من زيد او لا اكرم منه على انه افضل من كل فاضل واكرم من كل كريم وقد مر تمام الكلام
فيه او قال اوحي الي من جهته تعالى ولم يوح اليه اي والحال انه لم يوح اليه شيء اصلا كعبد
الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب للنبي عليه السلام فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما
بلغ ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان ثم قال عليه
السلام اكتبها كذلك فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا فقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا
فقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون
حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين اذ هم في غمرات الموت
اي شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ
الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة من غير امهال وتنفيس او باسطوها بالعذاب قائلين
اخرجوا انفسكم اي اخرجوها الينا من اجسادكم او خلصوا انفسكم من العذاب اليوم اي
وقت الاماتة او الوقت الممتد بعده الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي العذاب
المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى الهون وهو الهوان لعراقته فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق
كاتخاذ الولد ونسبة الشريك اليه وادعاء النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتأملون
فيها ولا تؤمنون بها ولقد جئتمونا للحساب فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وغير ذلك مما آثرتموه
من الدنيا او من الاعوان والاصنام التي كنتم تزعمون انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث وقرئ فرادى
كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل من فرادى اي على الهيئة التي
ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية عند من يجوز تعددها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء
خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم اول مرة وتركتم ما خولناكم
تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحملوا نقيرا وما
نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء لله في الربوبية واستحقاق العبادة

لقد تقطع بينكم اى وقع التقطع بينكم كما يقال جمع بين الشيئين اى اوقع الجمع بينهما وقرئ بينكم بالرفع على اسناد الفعل الى الظرف كما يقال قوتل امامكم وخلفكم او على ان البين اسم للفصل والوصل اى تقطع وصلكم وقرئ ما بينكم وضل عنكم اى ضاع وغاب ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء

ان الله فالق الحب والنوى شروع فى تقرير بعض افاعيله تعالى الدالة على كمال علمه وقدرته ولطف صنعه وحكمته اثر تقرير ادلة التوحيد والفلق الشق بابانة اى شاق الحب بالنبات والنوى بالشجر وقيل المراد به الشق الذى فى الحبوب والنوى اى خالقهما كذلك كما فى قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها وقيل الفلق بمعنى الخلق قال الواحدى ذهبوا بفالق مذهب فاطر يخرج الحى من الميت اى يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب والجملة مستأنفة مبينة لما قبلها وقيل خبر ثان لان وقوله تعالى ومخرج الميت كالنطفة والحب من الحى كالحيوان والنبات عطف على فالق الحب لا على يخرج على الوجه الاول لان اخراج الميت من الحى ليس من قبيل فلق الحب والنوى ذلكم القادر العظيم الشان الله المستحق للعبادة وحده فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن عبادته الى غيره ولا تسبيل اليه اصلا فالق الاصباح خبر آخر لان او لمبتدأ محذوف والاصباح مصدر سمى به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على انه جمع صبح اى خالق عمود الصبح عن بياض النهار واسفاره او فالق ظلمة الاصباح وهى الغبش الذى يلى الصبح وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله تعالى لتسكنوا فيه وقرئ جاعل الليل فانتصابه بفعل دل عليه جاعل وقيل به على ان المراد به الجعل المستمر فى الازمنة المتجددة حسب تجددها لا الجعل الماضى فقط وقيل اسم الفاعل من الفعل المتعدى الى اثنين يعمل فى الثانى وان كان بمعنى الماضى لانه لما اضيف الى الاول تعين نصبه لكن لتعذر الاضافة بعد ذلك والشمس والقمر معطوفان على الليل وعلى القراءة الاخيرة قيل هما معطوفان على محله والاحسن نصبهما بفعل مقدر وقد قرئا بالجر والرفع ايضا على الابتداء والخبر محذوف اى مجعولان حسبانا اى على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات التى نيط بها العبادات والمعاملات او محسوبان حسبانا والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ذلك اشارة الى جعلهما كذلك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته اى ذلك التسيير البديع تقدير العزيز الغالب القاهر الذى لا يستعصى عليه شىء من الاشياء التى من جملتها تسييرهما على الوجه المخصوص العليم بجميع المعلومات التى من جملتها ما فى ذلك التسيير من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق ومعاده وهو الذى جعل لكم النجوم شروع فى بيان نعمته تعالى فى الكواكب اثر بيان نعمته تعالى فى النيرين والجعل متعد الى واحد واللام متعلق به وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر اى انشأها وابدعها لاجلكم فقوله تعالى لتهتدوا بها بدل من المجرور باعادة العامل بدل اشتمال كما فى قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا والتقدير جعل لكم النجوم لاهتدائكم لكن لا على ان غاية خلقها اهتداؤهم فقط بل على طريقة افراد بعض منافعها وغاياتها بالذكر حسبما يقتضيه المقام وقد جوز ان يكون مفعولا ثانيا للجعل وهو بمعنى التصيير اى جعلها كائنة لاهتدائكم فى اسفاركم عند دخولكم المفاوز او البحار كما ينبئ عنه قوله تعالى فى ظلمات البر والبحر اى فى ظلمات الليل فى البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة فان الحاجة الى الاهتداء بها انما يتحقق عند ذلك او مشتبهات الطرق عبر عنها بالظلمات

بالظلمات على طريقة الاستعارة قد فصلنا الآيات اى بيناها الآيات المتلوة المذكورة لنعمه التى هذه النعمة من جملتها او الآيات التكوينية الدالة على شؤونه تعالى مفصلة لقوم يعلمون اى معانى الآيات المذكورة فيعملون بموجبها او يتفكرون فى الآيات التكوينية فيعلمون حقيقة الحال وتخصيص التفصيل بهم مع عمومه للكل لانهم المنتفعون به وهو الذى انشأكم من نفس واحدة تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى دالة على عظم قدرته ولطف صنعه وحكمته اى انشأكم مع كثرتكم من نفس آدم عليه السلام فمستقر ومستودع اى فلكم استقرار فى الاصلاب او فوق الارض واستيداع فى الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع فيما ذكر والتعبير عن كونهم فى الارحام او تحت الارض لما ان كلا منهما ليس بمقرهم الطبيعى وقد عبر بالاستيداع عن كونهم فى الاصلاب وليس بواضح وقرئ مستقر بكسر القاف اى فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان الاستقرار منا بخلاف الاستيداع قد فصلنا الآيات المبينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الآية ونظائرها لقوم يفقهون غوامض الدقائق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر فان لطائف صنع الله تعالى فى اطوار تخليق بنى آدم مما تحار فيه الالباب وهو السر فى ايثار يفقهون على يعلمون كما ورد فى شأن النجوم وهو الذى انزل من السماء ماء تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى منبئة عن كمال قدرته تعالى وسعة رحمته اى انزل من السحاب او من جانب السماء ماء خاصا هو المطر وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا فاخرجنا به التفات الى التكلم اظهارا لكمال العناية بشأن ما انزل الماء لاجله اى فاخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته نبات كل شىء من الاشياء التى من شأنها النمو من اصناف النجم والشجر وانواعهما المختلفة فى الكم والكيف والخواص والآثار اختلافا متفاوتا فى مراتب الزيادة والنقصان حسبما يفصح عنه قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل وقوله تعالى فاخرجنا منه خضرا شروع فى تفصيل ما اجمل من الاخراج وقد بدئ بتفصيل حال النجم اى فاخرجنا من النبات الذى لا ساق له شيئا غضا اخضر يقال شىء اخضر وخضر كما يقال اعور وعور واكثر ما يستعمل الخضر فيما يكون خضرته خلقية وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة وقوله تعالى نخرج منه صفة لخضرا وصيغة المضارع لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة اى نخرج من ذلك الخضر حبا متراكبا هو السنبل المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها على فوق بعض على هيئة مخصوصة وقرئ يخرج منه حب متراكب وقوله تعالى ومن النخل شروع فى تفصيل حال الشجر اثر بيان حال النجم فقوله تعالى من النخل خبر مقدم وقوله تعالى من طلعها بدل منه باعادة العامل كما فى قوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله الخ والطلع شىء يخرج من النخل كانه نعلان

قنوان

مطبقان والحمل بينهما منضود وقوله تعالى قنوان مبتدأ اى وحاصل من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه اى ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب وقيل المعنى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او ومن النخل شىء من طلعها قنوان وهو جمع قنو وهو عنقود النخلة كصنو وصنوان وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها ايضا على انه اسم جمع لان فعلان ليس من ابنية الجمع دانية سهلة المجتنى قريبة من القاطف فانها وان كانت صغيرة ينالها القاعد تأتى بالثمر لا ينتظر الطول او ملتفة متقاربة والاقتصار على ذكرها لدلالتها على مقابلتها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر ولزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب

عطف على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات كائنة من اعناب وقرئ جناتٌ بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثمة جنات
وقد جوز عطفه على قنوان كانه قيل وحاصلة او مخرجة من النخل قنوان وجنات من نبات اعناب ولعل زيادة الجنات
هٰهنا من غير اكتفاء بذكر اسم الجنس كما فيما تقدم وما تأخر لما ان الانتفاع بهذا الجنس لا يتأتى غالبا الا عند
اجتماع طائفة من افراده والزيتون والرمان منصوبان على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم
او على العطف على نبات وقوله تعالى مشتبها وغير متشابه حال من الزيتون اكتفي به عن حال ما عطف عليه كما يكتفى
بخبر المعطوف عليه عن خبر المعطوف في نحو قوله تعالى الله ورسوله احق ان يرضوه وتقديره والزيتون مشتبها
وغير متشابه والرمان كذلك وقد جوز ان يكون حالا من الرمان لقربه ويكون المحذوف حال الاول والمعنى
بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في الهيئة والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الاوصاف الدالة على كمال
قدرة صانعهما وحكمة منشئهما ومبدعهما انظروا الى ثمره اذا اثمر اي انظروا اليه نظر اعتبار واستبصار
اذا اخرج شيئا جامعا للمنافع جمة والينع في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر
وتجر وقرئ بالضم وهي لغة فيه وقرئ يانعه ان في ذلكم اشارة الى ما امروا بالنظر اليه وما في اسم
الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته لآيات لقوم يؤمنون اي لآيات
عظيمة او كثيرة دالة على وجود القادر الحكيم ووحدته فان حدوث هاتيك الاجناس المختلفة والانواع
المتشعبة من اصل واحد وانتقالها من حال الى حال على نمط بديع يحار في فهمه الالباب لا يكاد يكون الا
باحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجح ما يقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه عن ذلك
ضد يناويه او ند يقاديه ولذلك عقب بتوبيخ من اشرك به والرد عليه حيث قيل وجعلوا لله شركاء
اي جعلوا في اعتقادهم لله تعالى الذي شأنه ما فصل في تضاعيف هذه الآيات الجليلة شركاء الجن
اي الملائكة حيث عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسموا جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم بالنسبة الى
مقام الالوهية او الشياطين حيث اطاعوهم كما يطاع الله تعالى او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او
قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية ومفعولا جعلوا
قوله عز وجل شركاء الجن قدم ثانيهما على الاول لاستعظام ان يتخذ لله سبحانه شريك ايا كان ما كان
ولله متعلق بشركاء قدم عليه للنكتة المذكورة وقيل هما لله شركاء والجن بدل من شركاء مفسر له
نص عليه الفراء وابو اسحق او منصوب بمضمر وقع جوابا عن سؤال مقدر نشأ من قوله تعالى وجعلوا لله
شركاء كانه قيل من جعلوه شركاء لله تعالى فقيل الجن اي جعلوا الجن ويؤيده قراءة ابي حيوة ويزيد
ابن قطيب الجن بالرفع على تقدير هم الجن في جواب من قال من الذي جعلوه شركاء لله تعالى وقد قرئ
بالجر على ان الاضافة للتبيين وخلقهم حال من فاعل جعلوا بتقدير قد او بدونه على اختلاف الرأيين
مؤكدة لما في جعلهم ذلك من كمال القباحة والبطلان باعتبار علمهم بمضمونها اي وقد علموا انه تعالى خالقهم
وقيل الضمير للشركاء اي والحال انه تعالى خلق الجن فكيف يجعلون مخلوقه شريكا له تعالى وقرئ وخلقهم
عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم الافك حيث نسبوه
اليه تعالى وخرقوا له اي افتعلوا وافتروا له يقال خلق الافك واختلقه واخترقه بمعنى وقرئ وخرّقوا
بالتشديد للتكثير وقرئ وحرّفوا له اي زوروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت

النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله بغير علم اي بحقيقة ما قالوه من خطأ او صواب
بل رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية او بغير علم بمرتبة ما قالوه وانه من الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر
قدره والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل خرقوا او نعت لمصدر مؤكد له اي خرقوا ملتبسين بغير علم او
خرقا كائنا بغير علم سبحانه استئناف مسوق لتنزيهه عز وجل عما نسبوه اليه وسبحان علم للتسبيح الذي
هو التبعيد عن السوء اعتقادا او قولا اي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن
ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي انزهه عما لا يليق به
عقدا او عملا تنزيها خاصا به حقيقا بشأنه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن
جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن
ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران لانه سمع له فعل من الثلاثي كما ذكر في القاموس اريد به
التنزه التام والتباعد الكلي ففيه مبالغة من حيث اسناد التنزه الى الذات المقدسة اي تنزه تنزها بذاته لائقا
وهو الانسب لقوله تعالى وتعالى فانه معطوف على الفعل المضمر لا محالة وما في السبحان والتعالي من معنى التباعد
قيل عما يصفون اي متباعدا عما يصفونه من ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض
اي مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبدع نص عليه ائمة اللغة
كالصريح بمعنى المصرح وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشأه كابتدعه على ما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في
قوله امن ريحانة الداعي السميع وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى الفاعل للتخفيف بعد نصبه تشبيها لها باسم
الفاعل كما هو المشهور اي بديع سمواته وارضه من بدع اذا كان على نمط عجيب وشكل فائق وحسن رائق او الى الظرف
كما في قولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما والاول هو الوجه والمعنى انه تعالى مبدع لقطري العالم العلوي والسفلي
بلا مادة فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال بالمرة والوالد عنصر الولد منفعل بانتقال مادته عنه فكيف يمكن ان
يكون له ولد وقرئ بديع بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الاسم الجليل او من الضمير المجرور في سبحانه على رأي
من يجيزه وارتفاعه في القراءة المشهورة على انه خبر مبتدأ محذوف او فاعل تعالى واظهاره في موقع الاضمار لتعليل
الحكم وتوسيط الظرف بينه وبين الفعل للاهتمام ببيانه او مبتدأ خبره قوله تعالى انى يكون له ولد
وهو على الاولين جملة مستقلة مسوقة كما قبلها لبيان استحالة ما نسبوه اليه تعالى وتقرير تنزهه عنه وقوله
تعالى ولم تكن له صاحبة حال مؤكدة للاستحالة المذكورة فان انتفاء ان يكون له تعالى صاحبة مستلزم لانتفاء
ان يكون له ولد ضرورة استحالة الولد بلا والدة وان امكن وجوده بلا والد وانتفاء الاول مما لا ريب فيه لاحد
فمن ضرورته انتفاء الثاني اي من اين او كيف يكون له ولد كما زعموا والحال انه ليس على زعمهم ايضا صاحبة يكون
الولد منها وقرئ لم يكن بتذكير الفعل للفصل او لان الاسم ضميره تعالى والخبر هو الظرف وصاحبة مرتفع به
على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او الظرف خبر مقدم وصاحبة مبتدأ مؤخر والجملة خبر للكون وعلى هذا الوجه
يجوز ان يكون الاسم ضمير الشأن لصلاحية الجملة حينئذ لان تكون مفسرة لضمير الشأن لا على الوجه الاول لما بين
في موضعه ان ضمير الشان لا يفسر الا بجملة صريحة وقوله تعالى وخلق كل شيء اما جملة مستأنفة اخرى
سيقت لتحقيق ما ذكر من الاستحالة او حال اخرى مقررة لها اي انى يكون له ولد والحال انه خلق كل شيء
انتظمه التكوين والايجاد من الموجودات التي من جملتها ما سموه ولدا له تعالى فكيف يتصور ان يكون المخلوق ولدا

خالقه وهو بكل شيء من شانه ان يعلم كائنا ما كان مخلوقا او غير مخلوق كما ينبئ عنه ترك الاضمار الى الاظهار
عليم مبالغ في العلم ازلا وابدا حسبما يعرب عنه العدول الى الجملة الاسمية فلا يخفى عليه خافية مما كان وما
سيكون من الذوات والصفات والاحوال التي من جملتها ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز ومن المحالات التي ما زعموه
فرد من افرادها والجملة استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الدلائل القاطعة ببطلان مقالتهم الشنعاء التي اجترؤا
عليها بغير علم ذلكم اشارة الى المنعوت بما ذكر من جلائل النعوت وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان
المشار اليه وبعد منزلته في العظمة والخطاب للمشركين المعهودين بطريق الالتفات وهو مبتدأ وقوله تعالى
الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار اربعة مترادفة اي ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو
الله المستحق للعبادة خاصة مالك امركم لا شريك له اصلا خالق كل شيء مما كان وما سيكون فلا تكرار
اذ المعتبر في عنوان الموضوع انما هو خالقية ما كان فقط كما ينبئ عنه قوله صيغة الماضي وقيل الخبر هو الاول
والبواقي ابدال وقيل الاسم الجليل بدل من المبتدأ والبواقي اخبار وقيل يقدر لكل من الاخبار الثلاثة مبتدأ
وقيل يجعل الكل بمنزلة اسم واحد وقوله تعالى فاعبدوه حكم مترتب على مضمون الجملة فان من جميع هذه
الصفات كان هو الحقيق بالعبادة خاصة وقوله تعالى وهو على كل شيء وكيل عطف على الجملة المتقدمة
اي هو مع ما فصل من الصفات الجليلة متولي امور جميع مخلوقاته التي انتم من جملتها فكلوا اموركم اليه وتوسلوا
بعبادته الى انجاح مآربكم الدنيوية والاخروية لا تدركه الابصار البصر حاسة النظر وقد يطلق
على العين من حيث انها محلها وادراك الشيء عبارة عن الوصول اليه والاحاطة به اي لا تصل اليه الابصار
ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب وقال عطاء كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به فلا متمسك فيه للمنكر الرؤية
على الاطلاق وقد روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومقاتل لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في
الآخرة وهو يدرك الابصار اي يحيط بها علمه اذ لا تخفى عليه خافية وهو اللطيف الخبير
فيدرك ما لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون تعليلا للحكمين السابقين على طريقة اللف اي لا تدركه الابصار
لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا
ينطبع فيها وقوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم استئناف وارد على لسان النبي عليه السلام والبصائر جمع
بصيرة وهي النور الذي تستبصر به النفس كما ان البصر نور به تبصر العين والمراد بها الآيات الواردة هنا او
جميع الآيات المنتظمة هي انتظاما اوليا ومن لابتداء الغاية مجازا سواء تعلقت بجاء او بمحذوف وقع صفة لبصائر
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار كمال اللطف بهم اي قد جاءكم من جهة مالككم
ومبلغكم الى كمالكم اللائق بكم من الوحي الناطق بالحق والصواب ما هو كالبصائر للقلوب او قد جاءكم بصائر
كائنة من ربكم فمن ابصر اي الحق بتلك البصائر وآمن به فلنفسه اي فلنفسه ابصر او فابصاره
لنفسه لان نفعه مخصوص بها ومن عمي اي ومن لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك البصائر ظهورا بينا وضل
عنه وانما عبر عنه بالعمى تقبيحا له وتنفيرا عنه فعليها اي فعليها عمي او فعماه عليها او وبال عماه
وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وكذلك
نصرف الآيات اي مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات الدالة على المعاني الرائقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة
لا تصريفا ادنى منه وقوله تعالى وليقولوا درست علة لفعل قد حذف تعويلا على دلالة السابق

السابق عليه اي وليقولوا درست نفعل ما نفعل من التصريف المذكور واللام للعاقبة والواو اعتراضية و
قيل عاطفة على علة محذوفة وقيل اللام لام الامر وتنصره القراءة بسكون اللام كانه قيل وكذلك نصرف
الآيات وليقولوا هم ما يقولون فانه لا احتفال بهم ولا اعتداد بقولهم وهذا امر معناه الوعيد والتهديد وعدم
الاكتراث بقولهم ورد عليه بان ما بعده يأباه ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اي دارست اهل
ودرست اي قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست
اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت وعفيت من عفاه ودارست وفسروها بدارست اليهود
محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وجاز الاضمار لاشتهارهم بالدراسة وقد جوز اسناد الفعل الى الآيات وهو
في الحقيقة لاهلها اي دارس اهل الآيات وحملتها محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وهم اهل الكتاب ودرس اي ادرس
محمد ودارسات على معنى دارسات اي قديمات او ذات درس كعيشة راضية وقوله تعالى ولنبينه
عطف على وليقولوا واللام على الاصل لان التبيين غاية التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن
لم يذكر او للمصدر اي ولنفعل التبيين واللام في قوله تعالى لقوم يعلمون متعلقة بالتبيين وتخصيصه
بهم لانهم المنتفعون به قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم اولياؤه الذين هداهم الى سبيل الرشاد
وفي وصفهم بالعلم للايذان بغاية جهل الآخرين وخلوهم عن العلم بالمرة اتبع ما اوحي اليك من ربك
لما حكي عن المشركين قدحهم في تصريف الآيات عقبت ذلك بامره عليه السلام بالثبات على ما هو عليه وبعدم الاعتداد
بهم وباباطيلهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف به ما لا يخفى وقوله
تعالى لا اله الا هو اعتراض بين الامرين المتعاطفين من الشرائع والاحكام
مؤكد لايجاب اتباع الوحي لا سيما في امر التوحيد وقد جوز ان يكون حالا من ربك اي منفردا في الالوهية
واعرض عن المشركين لا تحتفل بهم وباقاويلهم الباطلة التي من جملتها ما حكي عنهم آنفا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل
الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله اي عدم اشراكهم حسبما هو القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة
من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء ما اشركوا وهذا دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر
لكن لا بمعنى انه تعالى يمنعه عنه مع توجهه اليه بل بمعنى انه تعالى لا يريده منه لعدم صرف اختياره الجزئي نحو الايمان واصراره
على الكفر والجملة اعتراض مؤكد للاعراض وكذا قوله تعالى وما جعلناك عليهم حفيظا من جهتهم تقوم بامورهم و
تدبر مصالحهم وعليهم في الموضعين متعلق بما بعده قدم عليه للاهتمام به او لرعاية الفواصل ولا تسبوا
الذين يدعون من دون الله اي لا تشتموهم من حيث عبادتهم لآلهتهم كان تقولوا تبا لكم ولما تعبدونه مثلا
فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بان يقولوا لكم مثل قولكم لهم بغير علم اي بجهالة
بالله تعالى وبما يجب ان يذكر به وقرئ عدوا يقال عدا يعدو عدوا وعدوا وعداء روي انهم قالوا لرسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند نزول قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب
آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبونهم فنهوا عن ذلك لئلا يستتبع سبهم سبه سبحانه وتعالى
وفيه ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك اي
مثل ذلك التزيين القوي زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه و
يحملهم عليه توفيقا او تخذيلا ويجوز ان يراد بكل امة امم الكفرة اذ الكلام فيهم وبعملهم شرهم وفسادهم و

والمشبه به تزيين سبب الله لهم ثم إلى ربهم مالك أمرهم مرجعهم أي رجوعهم
بالبعث بعد الموت فينبئهم من غير تأخير بما كانوا يعملون في الدنيا على الاستمرار من السيئات
المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة سرية
مبنية على حكمة أبية وهي أن كل ما يظهر في هذه النشأة من الأعيان والأعراض فإنما يظهر بصورة مستعارة
مخالفة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة فإن المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا
بصور تستحسنها نفوس العصاة كما نطقت به هذه الآية الكريمة وكذا الطاعات فإنها مع كونها أحسن الأحاسن قد ظهرت
عندهم بصورة مكروهة ولذلك قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فأعمال الكفرة
قد برزت لهم في هذه النشأة بصورة مزينة يستحسنها الغواة ويستحبها الطغاة وستظهر في النشأة
الآخرة بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون أن أعمالهم ماذا فعبر عن إظهارها بصورها
الحقيقية بالإخبار بها لما أن كلا منهما سبب للعلم بحقيقتها كما هي فتدبر قوله تعالى وأقسموا بالله روي
أن قريشا اقترحوا بعض آيات فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فإن فعلت بعض ما تقولون أتصدقونني
فقالوا نعم وأقسموا لئن فعلت لنؤمنن جميعا فسأل المسلمون رسول الله عليه السلام بالدعاء فنزلت وقوله
تعالى جهد أيمانهم مصدر في موقع الحال أي أقسموا به تعالى جاهدين في أيمانهم لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم
أو من جنس الآيات وهو الأنسب بحالهم في المكابرة والعناد وترامي أمرهم في العتو والفساد حيث كانوا
لا يعدون ما يشاهدونه من المعجزات القاهرة من جنس الآيات ليؤمنن بها وما كان مرمى غرضهم في
ذلك إلا التحكم على رسول الله عليه السلام في طلب المعجزة وعدم الاعتداد بما شاهدوا منه من البينات الحقيقية
بأن تقطع بها الأرض وتسير بها الجبال قل إنما الآيات عند الله أي كلها فيدخل فيها ما اقترحوه دخولا أوليا
عند الله تعالى أي أمرها في حكمه وقضائه خاصة يتصرف فيها حسب المشيئة المبنية على الحكم البالغة لا تتعلق ولا
تتأتى بقدرة أحد ولا مشيئته لا استقلالا ولا اشتراكا بوجه من الوجوه حتى يمكنني أن أتصدى
لاستنزالها باستدعائه وهذا كما ترى سد لباب الاقتراح على أبلغ وجه وأحسنه ببيان علو شأن الآيات
وصعوبة منالها وتعاليها عن أن تكون عرضة للسؤال والاقتراح على أبلغ وجه وأحسنه وأما ما قيل من أن
المعنى إنما الآيات عند الله لا عندي فكيف أجيبكم إليها أو آتيكم بها أو هو القادر عليها لا أنا حتى آتيكم بها
فلا مناسبة له بالمقام كيف لا وليس مقترحهم مجيئها بغير قدرة الله تعالى وإرادته حتى يجابوا بذلك وقوله تعالى
وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون كلام مستأنف غير داخل تحت الأمر مسوق من جهته تعالى لبيان
الحكمة الداعية إلى ما أشعر به الجواب السابق من عدم مجيء الآيات خوطب به المسلمون إما خاصة بطريق التلوين
لما كانوا راغبين في نزولها طمعا في إسلامهم وإما معه عليه السلام بطريق التعميم لما روي عنه عليه السلام
من الهم بالدعاء وقد بين فيه أن أيمانهم فاجرة وإيمانهم مما لا يدخل تحت الوجود وإن أجيب إلى ما سألوه
وما استفهامية إنكارية لكن لا على أن مرجع الإنكار هو وقوع المشعر به بل هو نفي الإشعار مع تحقق
المشعر به في نفسه أي وأي شيء يعلمكم أن الآية التي يقترحونها إذا جاءت لا يؤمنون بل يبقون على
ما كانوا عليه من الكفر والعناد أي لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيئها طمعا في إيمانهم وكأنه بسط عذر من جهة المسلمين
في تمنيهم نزول الآيات وقيل لا مزيدة فيتوجه الإنكار إلى الإشعار والمشعر به جميعا أي أي شيء يعلمكم إيمانهم

إيمانهم عند مجيء الآيات حتى تتمنوا مجيئها طمعا في إيمانهم فيكون تخطئة لرأي المسلمين وقيل أن بمعنى لعل يقال
ادخل السوق أنك تشتري اللحم وعنك وعلك ولعلك كلها بمعنى ويؤيده أنه قرئ لعلها إذا جاءت لا يؤمنون
على أن الكلام قد تم قبله والمفعول الثاني ليشعركم محذوف كما في قوله تعالى وما يدريك لعله يزكى والجملة استئناف
لتعليل الإنكار وتقريره أي أي شيء يعلمكم حالهم وما سيكون عند مجيء الآيات لعلها إذا جاءت لا يؤمنون
بها فما لكم تتمنون مجيئها فإن تمنيه إنما يليق بما إذا كان إيمانهم بها محقق الوجود عند مجيئها لا مرجو العدم و
قرئ إنها بالكسر على أنه استئناف حسبما سبق مع زيادة تحقيق لعدم إيمانهم وقرئ لا تؤمنون بالفوقانية
فالخطاب في وما يشعركم للمشركين وقرئ وما يشعرهم لا يؤمنون فمرجع الإنكار إقدام المشركين على الإقسام
المذكور مع جهلهم بحال قلوبهم عند مجيء الآيات وبكونها حينئذ كما هي الآن ونقلب أفئدتهم وأبصارهم عطف على لا يؤمنون
داخل في حكم ما يشعركم مقيد بما قيد به أي وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم عن إدراك الحق فلا يفقهونه وأبصارهم
عن اجتلائه فلا يبصرونه لكن لا مع توجهها إليه واستعدادها لقبوله بل لكمال نبوها عنه وإعراضها بالكلية
ولذلك أخر ذكره عن ذكر عدم إيمانهم إشعارا بأصالتهم في الكفر وحسما لتوهم أن عدم إيمانهم ناشئ من تقليبه
تعالى مشاعرهم بطريق الإجبار كما لم يؤمنوا به أي بما جاء من الآيات أول مرة أي عند ورود
الآيات السابقة والكاف في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف منصوب بلا يؤمنون وما مصدرية
أي لا يؤمنون بل يكفرون كفرا كائنا ككفرهم أول مرة وتوسيط تقليب الأفئدة والأبصار بينهما لأنه
من متممات عدم إيمانهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام الإنكاري مقيد بما قيد به مبين
لما هو المراد بتقليب الأفئدة والأبصار ومعرب عن حقيقته بأنه ليس على ظاهره بأن يقلب الله سبحانه مشاعرهم
عن الحق مع توجههم إليه واستعدادهم له بطريق الإجبار بل بأن يخليهم وشأنهم بعد ما علم فساد استعدادهم
وفرط نفورهم عن الحق وعدم تأثير اللطف فيهم أصلا ويطبع على قلوبهم حسبما يقتضيه استعدادهم كما أشرنا
إليه وقوله تعالى في طغيانهم متعلق بنذرهم وقوله تعالى يعمهون حال من
الضمير المنصوب في نذرهم أي نذرهم في طغيانهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين أو مفعول ثان لنذرهم
أي نصيرهم عامهين وقرئ يقلب ويذر بالياء على إسناده إلى ضمير الجلالة وقرئ تقلب بالتاء والبناء
للمفعول على إسناده إلى أفئدتهم ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة تصريح بما أشعر به قوله
عز وجل وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون من الحكمة الداعية إلى ترك الإجابة إلى ما اقترحوه من الآيات
إثر بيان أنها في حكمه تعالى وقضائه المبني على الحكم البالغة لا مدخل لأحد في أمرها بوجه من الوجوه وبيان
لكذبهم في أيمانهم الفاجرة على أبلغ وجه وآكده أي ولو أننا لم نقتصر على إيتاء ما اقترحوه ههنا من آية واحدة
من الآيات بل نزلنا إليهم الملائكة كما سألوه بقولهم لولا أنزل علينا الملائكة وقولهم لو ما تأتينا بالملائكة
وكلمهم الموتى بأن أحييناهم وشهدوا بحقية الإيمان بعد أن أحييناهم حسبما اقترحوه بقولهم فأتوا بآبائنا
وحشرنا أي جمعنا عليهم كل شيء قبلا بضمتين وقرئ بسكون الباء أي كفلاء بصحة الأمر وصدق
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على أنه جمع قبيل بمعنى الكفيل كرغيف ورغف وقضيب وقضب وهو الأنسب بقوله
تعالى أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أي لو لم نقتصر على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بأن أحضرنا لديهم كل شيء
يتأتى منه الكفالة والشهادة بما ذكر لا فرادى بل بطريق المعية أو جماعات على أنه جمع قبيل هو جمع قبيلة و

الا دفق لعموم كل شيء وشموله للانواع والاصناف اي حشرنا كل شيء نوعا نوعا وصنفا صنفا وفوجا فوجا وانتصابه
على الحالية وجمعيته باعتبار الكل المجموعي اللازم للكل الافرادي او مقابلة وعيانا على انه مصدر كقبلا وقد قرئ كذلك
وانتصابه على الوجهين على انه مصدر في موقع الحال وقد نقل عن المبرد وجماعة من اهل اللغة ان الاخير بمعنى الجهة كما
في قولك لي قبل فلان دين فانتصابه على الظرفية ما كانوا ليؤمنوا اي ما صح وما استقام لهم الايمان لتماديهم
في العصيان وغلوهم في التمرد والطغيان ولما سبق القضاء عليهم بالكفر من الاحكام المترتبة على ذلك حسبما ينبئ
عنه قوله عز وجل ونذرهم في طغيانهم وقوله تعالى الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم الاحوال والالتفات
الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة اي ما كانوا ليؤمنوا بعد اجتماع ما ذكر من الامور الموجبة
للايمان في حال من الاحوال الداعية المتممة لموجبات المذكورة الا في حال مشيئته تعالى لايمانهم او من اعم العلل اي
ما كانوا ليؤمنوا لعلة من العلل المعدودة وغيرها الا لمشيئته تعالى وايا ما كان فليس المراد بالاستثناء بيان
ان ايمانهم على خطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى ايضا كذلك بل بيان استحالته وقوعه بناء على استحالة وقوعها
كانه قيل ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وهيهات ذلك وحالهم حالهم بدليل ما سبق من قوله ونقلب
افئدتهم الاية كيف لا وقوله عز وجل ولكن اكثرهم يجهلون استدراك من مضمون الشرطية بعد ورود الاستثناء
لا قبله ولا ريب في ان الذي يجهلونه سواء اريد بهم المسلمون او المقسمون ليس عدم ايمانهم بلا مشيئة
الله تعالى كما هو اللازم من حمل النظم الكريم على المعنى الاول فانه ليس مما يعتقده الاولون ولا مما يدعيه الاخرون
بل انما هو عدم ايمانهم لعدم مشيئته ايمانهم وحرجها الى جهلهم مشيئته اياه فالمعنى ان حالهم كما شرح ولكن اكثر المسلمين
يجهلون عدم ايمانهم عند مجيء الايات لجهلهم عدم مشيئته تعالى ايمانهم فيتمنون مجيئها طمعا فيما لا يكون فالجملة مقررة
لمضمون قوله تعالى وما يشعركم الخ على القراءة المشهورة ولكن اكثر المشركين يجهلون عدم ايمانهم عند مجيء الايات
لجهلهم عدم مشيئته تعالى لايمانهم ح فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يكاد يكون فالجملة على القراءة السابقة
بيان مبتدأ لمنشأ خطأ المقسمين ومناط اقسامهم وتقرير على قراءة لا تؤمنوا بالتاء الفوقانية وكذا على
على قراءة وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كلام مبتدأ مسوق لتسلية رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم عما كان يشاهده من عداوة قريش له عليه السلام وما بنوا عليها مما لا خير فيه
من الاقاويل والافاعيل ببيان ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر ابتلي به كل من سبقك من الانبياء عليهم السلام
ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف اشير اليه بذلك منصوب بفعله المحذوف وما مصدرية والتقديم
على الفعل المذكور للقصر المفيد للمبالغة اي مثل ذلك الجعل الذي جعلنا في حقك حيث جعلنا لك عدوا يضادونك
ويضادونك ولا يؤمنون ويبغونك الغوائل ويذرون في ابطال امرك مكائد جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا
فعلوا بهم ما فعلوا بك اعداؤك لا جعلا انقص منه وفيه دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء عليهم السلام بخلقه تعالى للابتلاء
شياطين الانس والجن اي مردة النوعين على الاضافة بمعنى من البيانية وقيل هي اضافة الصفة الى
الموصوف والاصل الانس والجن الشياطين وقيل هي بمعنى اللام اي الشياطين للانس التي للجن وهو بدل
من عدوا والجعل متعد الى واحد او الى اثنين وهو اول مفعوليه قدم عليه الثاني مسارعة الى بيان العداوة واللام على
التقديرين متعلقة بالجعل او بمحذوف هو حال من عدوا وقوله تعالى يوحي بعضهم الى بعض كلام مستأنف
مسوق لبيان احكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه بين المشبه والمشبه به او حال من الشياطين او نعت لعدوا وجمع

وجمع الضمير باعتبار المعنى فانه عبارة عن الاعداء كما في قوله تعالى اذا انا لم انفع صديقي بوده فان عدوي لم يضرهم
بغضي والوحي عبارة عن الايماء والقول السريع اي يلقي ويوسوس شياطين الانس والجن او شياطين الانس
او بعض كل من النوعين الى بعض آخر زخرف القول اي المموه منه المزين ظاهره الباطل باطنه من زخرفه
اذا زينه غرورا مفعول له ليوحي اي ليغروهم او مصدر في موقع الحال اي غارين او مصدر مؤكد لفعل
مقدر هو حال من فاعل يوحي اي يغرون غرورا ولو شاء ربك رجوع الى بيان الشؤون الجارية بينه عليه
السلام وبين قومه المفهومة من حكاية ما جرى بين الانبياء عليهم السلام وبين اممهم كما ينبئ عنه الالتفات والتعرض
لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام المعربة عن كمال اللطف في التسلية اي ولو شاء ربك عدم الامور
المذكورة لا ايمانهم كما قيل فان القاعدة المستمرة ان مفعول المشيئة انما يحذف عند وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون
الجزاء وهو قوله تعالى ما فعلوه اي ما فعلوا ما ذكر من عداوتك وايحاء بعضهم الى بعض منهم زخرفات الاقاويل
الباطلة المتعلقة بامرك خاصة لا بالجميع وامور الانبياء عليهم السلام ايضا كما قيل فان قوله تعالى فذرهم وما يفترون
صريح في ان المراد بهم الكفرة المعاصرون له صلى الله تعالى عليه وسلم اي اذا كان ما فعلوه من احكام عداوتك من فنون
المفاسد بمشيئته تعالى فاتركهم وافتراءهم او وما يفترونه من انواع المكايد فان لهم في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب
حميدة لابتناء مشيئته تعالى على الحكم البالغة البتة ولتصغى اليه اي الى زخرف القول وهو على الوجه الاول
علة اخرى للايحاء معطوفة على غرورا وما بينهما اعتراض وانما لم ينصب لفقد شرطه اذ الغرور فعل الموحي وصغو
الافئدة فعل الموحى اليه اي يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروهم به ولتميل اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة
انما خص بالذكر عدم ايمانهم بالآخرة دون ما عداها من الامور التي يجب الايمان بها وهم بها كافرون اشعارا بما هو
المدار في صغو افئدتهم الى ما يلقى اليهم فان لذات الآخرة محفوفة في هذه النشأة بالمكاره وآلامها مزينة
بالشهوات فالذين لا يؤمنون بها وباحوالها لا يدرون ان وراء تلك المكاره لذات ودون
هذه الشهوات آلاما وانما ينظرون الى ما بدا لهم في الدنيا بادي الرأي فهم مضطرون الى حب الشهوات
التي من جملتها مزخرفات الاقاويل ومموهات الاباطيل واما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين
على حقيقة الحال ناظرين الى عواقب الامور لا يتصور منهم الميل الى تلك المزخرفات لعلمهم ببطلانها و
وخامة عاقبتها واما على الوجهين الاخيرين فهو علة لفعل محذوف يدل عليه المقام اي وليكون ذلك جعلنا ما
جعلنا والمعتزلة جعلوا اللام لام العاقبة او لام القسم او لام الامر وضعفه في غاية الظهور وليرضوه
لانفسهم بعد ما مالت اليه افئدتهم وليقترفوا اي يكتسبوا بموجب ارتضائهم له ما هم مقترفون
له من القبائح التي لا يليق ذكرها افغير الله ابتغي حكما كلام مستأنف وارد على ارادة القول
والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام اي قل لهم أأميل الى زخارف الشياطين فابتغي حكما غير
الله يحكم بيننا ويفصل المحق منا من المبطل وقيل ان مشركي قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اجعل بيننا وبينك حكما من احبار اليهود او من اساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من امرك
فنزلت واسناد الابتغاء المنكر الى نفسه عليه السلام لا الى المشركين كما في قوله تعالى افغير دين
الله يبغون مع انهم الباغون لاظهار كمال النصفة او لمراعاة قولهم اجعل بيننا وبينك حكما وغير اما
مفعول لابتغي وحكما حال منه واما بالعكس وايا ما كان فتقديمه على الفعل الذي هو المعطوف بالفاء حقيقة كما اشير

قوله او مصدر او انه مصدر ... حال
اى مصدرا مؤكدا لفعل مقدر
منه

اليه للايذان بان مدار الانكار هو ابتغاء غيره تعالى حكما لا مطلق الابتغاء وقيل حكما تميز لما في غير من الابهام
كقولهم ان لنا غيرها ابلا والحكم ابلغ من الحاكم وادل على الرسوخ لما انه لا يطلق الا على العادل وعلى من
تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله تعالى وهو الذي انزل اليكم الكتاب جملة حالية مؤكدة للانكار ابتغاء
غيره تعالى حكما ونسبة الانزال اليهم خاصة مع ان مقتضى المقام اظهار تساوي نسبته الى المتحاكمين لاستمالتهم
نحو المنزل واستنزالهم الى قبول حكمه بايهام قوة نسبته اليهم اي أفغيره تعالى ابتغي حكما والحال انه هو الذي انزل
اليكم وانتم امة امية لا تدرون ما تأتون وما تذرون القرآن الناطق بالحق والصواب الحقيق بان يخص باسم
الكتاب مفصلا اي مبينا فيه الحق والباطل والحلال والحرام وغير ذلك من الاحكام بحيث لم يبق
في امر الدين شيء من التخليط والابهام فاي حاجة بعد ذلك الى الحكم وهذا كما ترى صريح في ان القرآن الكريم
كاف في امر الدين مغن عن غيره ببيانه وتفصيله واما ان يكون لاعجازه دخل في ذلك كما قيل فلا وقوله تعالى
والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك كلام مستأنف غير داخل تحت القول المقدر مسوق من جهته سبحانه
لتحقيق حقية الكتاب الذي نيط به امر الحكمية وتقرير كونه منزلا من عنده عز وجل ببيان ان الذين وثقوا
بهم ورضوا بحكميتهم حسبما نقل آنفا من علماء اليهود والنصارى عالمون بحقيته ونزوله من عنده تعالى وفي التعبير
عن التوراة والانجيل باسم الكتاب ايماء الى ما بينهما وبين القرآن من المجانسة المقتضية للاشتراك في الحقية و
النزول من عنده تعالى مع ما فيه من الايجاز وايراد الطائفتين بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بانهم علموه من
جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما نعت فيه وعاينوه موافقا له في الاصول وما يختلف من الفروع مخبرا عن
امور لا طريق الى معرفتها سوى الوحي والمراد بالموصول اما علماء الفريقين وهو الظاهر فالايتاء هو التفهيم
بالفعل واما الكل وهم داخلون فيه دخولا اوليا فهو اعم مما ذكر ومن التفهيم بالقوة ولا ريب في ان الكل
متمكنون من ذلك وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرئ منزل من الانزال والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام والباء في قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا
من الضمير المستكن في منزل اي ملتبسا بالحق فلا تكونن من الممترين اي في انهم يعلمون ذلك لما لا تشاهد منهم
آثار العلم واحكام المعرفة فالفاء لترتيب النهي على الاخبار بعلم اهل الكتاب بشأن القرآن او في انه منزل
من ربك بالحق فيكون من باب التهييج والالهاب كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين وقيل الخطاب في الحقيقة
للامة وان كان له عليه السلام صورة وقيل الخطاب لكل واحد على معنى ان الادلة قد تعاضدت وتظاهرت
فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه والفاء على هذه الوجوه لترتيب النهي على نفس علمهم بحال القرآن وتمت
كلمة ربك شروع في بيان كمال الكتاب المذكور من حيث ذاته اثر بيان كماله من حيث اضافته اليه تعالى
بكونه منزلا منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم اهل الكتاب وانما عبر عنه بالكلمة لانها الاصل في الاتصاف بالصدق و
العدل وبها يظهر الآثار من الحكم وقرئ كلمات ربك صدقا وعدلا مصدران نصبا على الحال وقيل على
التمييز وقيل على العلة وقوله تعالى لا مبدل لكلماته اما استئناف مبين لفضلها على غيرها اثر
بيان فضلها في نفسها واما حال اخرى من فاعل تمت على ان الظاهر مغن عن الضمير الرابط والمعنى انها بلغت
الغاية القاصية صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام لا احد يبدل شيئا من ذلك بما
هو اصدق واعدل ولا بما هو مثله فكيف يتصور ابتغاء حكم غيره تعالى وهو السميع لكل ما يتعلق به السمع العليم

بكل ما يمكن ان يعلم فيدخل في ذلك اقوال المتحاكمين واحوالهم الظاهرة والباطنة دخولا اوليا وقيل المعنى لا احد
يقدر ان يحرفها كما فعل بالتوراة فيكون ضمانا لها من الله تعالى بالحفظ كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها وان تطع اكثر من في الارض لما تحقق اختصاصه تعالى بالحكمية لاستقلاله بما يوجبها من انزال
الكتاب الكامل الفاصل بين الحق والباطل وتمام صدق كلامه وكمال عدالة احكامه وامتناع وجود من يبدل شيئا منها
واستبداده تعالى بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات عقب ذلك ببيان ان الكفرة متصفون بنقائض تلك
الكمالات من النقائص التي هي الضلال والاضلال واتباع الظنون الفاسدة الناشئة من الجهل والكذب على الله
سبحانه ابانة لكمال مباينة حالهم لما يرومونه وتحذيرا عن الركون اليهم والعمل بآرائهم والمراد بمن في الارض الناس و
باكثرهم الكفار وقيل اهل مكة والارض ارضها اي ان تطعهم بان جعلت منهم حكما يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل
اليه او عن الشريعة التي شرعها لعباده ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق فهم على
آثارهم مهتدون او جهالاتهم وآراؤهم الباطلة على ان المراد بالظن ما يقابل العلم والجملة استئناف مبني على سؤال نشأ من
الشرطية كأنه قيل كيف يضلون فقيل لا يتبعون في امور دينهم الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فيضلون
ضلالا مبينا ولا ريب في ان الضال المتصدي للارشاد انما يرشد غيره الى مسلكه نفسه فهم ضالون مضلون وقوله
عز وجل وان هم الا يخرصون عطف على ما قبله داخل في حكمه اي يكذبون على الله تعالى سبحانه فيما ينسبون اليه
عز وجل كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان ذريعة اليه تعالى وتحليل الميتة وتحريم البحائر ونظائرها او يقدرون
انهم على شيء وانى لهم ذلك وقد زنه مناط الفسوق وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من
يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين تقرير لمضمون الشرطية وما بعدها وتأكيد لما يفيده من التحذير اي هو اعلم بالفريقين
فاحذر ان تكون من الاولين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب لا بافعل فان افعل التفضيل لا ينصب
الظاهر في مثل هذه الصورة بل بفعل دل هو عليه او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها
الفعل المقدر وقرئ يضل بضم الياء على ان من فاعل يضل ومفعوله محذوف ومحلها النصب بما ذكر من الفعل المقدر
اي هو اعلم يعلم من يضل الناس فيكون تأكيدا للتحذير عن طاعة الكفرة واما ان الفاعل هو الله تعالى ومن منصوبة
بما ذكر اي يعلم من يضله او مجرورة باضافة اعلم اليها اي اعلم المضلين من قوله تعالى من يضلل الله او من
قولك اضللته اذا وجدته ضالا فلا يساعده السباق والسياق والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه
التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه امر مترتب على النهي عن
اتباع المضلين الذين من جملة اضلالهم تحريم الحلال وتحليل الحرام وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تعبدون
الله فما قتله الله احق ان تأكلوه مما قتلتم فقيل للمسلمين كلوا مما ذكر اسمه تعالى خاصة على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم
غيره فقط او مع اسمه تعالى او مات حتف انفه ان كنتم بآياته التي من جملتها الآيات الواردة في
هذا الشأن مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله والاجتناب عما حرمه وجواب الشرط
محذوف لدلالة ما قبله عليه وما لكم ان لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه انكار لان يكون لهم شيء يدعوهم الى الاجتناب
عما ذكر عليه اسم الله تعالى من البحائر والسوائب ونحوها وقوله تعالى وقد فصل لكم الى آخره جملة حالية
مؤكدة للانكار كما في قوله تعالى وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي واي
سبب حاصل لكم في ان لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه او واي غرض يحملكم على ان لا تأكلوا ويمنعكم من اكله والحال انه

قد فصل لكم ما حرم عليكم بقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الخ فبقي ما عدا ذلك على الحل
لا بقوله تعالى حرمت عليكم الميتة لانها مدنية وانما التأخر في التلاوة فلا يوجب التأخر في النزول وقرئ الفعلان على
البناء للمفعول وقرئ الاول على البناء للفاعل والثاني للمفعول الا ما اضطررتم اليه مما حرم فانه ايضا
حلال حينئذ وان كثيرا اى من الكفار ليضلون بتحريم الحلال وتحليل الحرام كعمرو بن لحي واضرابه و
قرئ يَضلون باهوائهم الزائغة وشهواتهم الباطلة بغير علم مقتبس من الشريعة الشريفة
مستند الى الوحي ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين لحدود الحق الى الباطل والحلال
الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه اى ما يعلن من الذنوب وما يسر او ما يعمل منها من الجوارح
وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم اى يكتسبونه
من الظاهر والباطن سيجزون بما كانوا يقترفون كائنا ما كان فلا بد من اجتنابهما والجملة تعليل الامر
ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا كان او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد
ابن حنبل مثله وقال مالك والشافعي رحمهما الله تعالى بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر
اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة رحمه الله تعالى بين العمد والنسيان واوّله بالميتة او بما ذكر عليه اسم غيره تعالى
كقوله تعالى وانه لفسق فان الفسق ما اهل به لغير الله والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل
المدلول عليه بلا تأكلوا والجملة مستأنفة وقيل حالية وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم المراد بالشياطين
ابليس وجنوده فايحاؤهم وسوستهم الى المشركين وقيل مردة المجوس فايحاؤهم الى اوليائهم ما انهوا الى
قريش بالكتاب ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم يزعمون ان ما يقتلونه حلال وما يقتله
الله حرام ليجادلوكم بالوساوس الشيطانية او بما نقل من اباطيل المجوس ويؤيده التأويل بالميتة
وان اطعتموهم في استحلال الحرام وساعدتموهم على اباطيلهم انكم لمشركون ضرورة ان من
ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك به تعالى بل آثره عليه سبحانه او من كان ميتا وقرئ
ميّتا على الاصل فاحييناه تمثيل مسوق لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين اثر تحذيرهم عنها بالاشارة الى
انهم مستضيئون بانوار الوحي الالهي والمشركين خابطون في ظلمات الكفر والطغيان فكيف يعقل اطاعتهم لهم و
الهمزة للانكار والنفي والواو لعطف الجملة الاسمية على مثلها الذي يدل عليها الكلام اى انتم مثلهم ومن كان
ميتا فاحييناه بالحيوة وما يتبعها من القوى المدركة والمحركة وجعلنا له مع ذلك من الخارج نورا
عظيما يمشي به اى بسببه والجملة استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا يصنع بذلك النور فقيل
في الناس اى فيما بينهم آمنا من جهتهم او صفة له كمن مثله اى صفته العجيبة وهو
مبتدأ وقوله تعالى في الظلمات خبره على ان المراد بها اللفظ لا المعنى كانه قولك زيد صفته اسمر وهذه الجملة صلة
لمن وهي مجرورة بالكاف وهي مع مجرورها خبر لمن الاولى وقوله تعالى ليس بخارج منها حال من
المستكن في الظرف وقيل من الموصول اى غير خارج منها بحال وهذا كما ترى مثل اريد به من بقي في الضلالة بحيث
لا يفارقها اصلا كما ان الاول مثل اريد به من خلقه الله تعالى على فطرة الاسلام وهداه بالآيات البينة الى طريق
الحق يسلكه كيف يشاء لكن لا على ان يدل على كل واحد من هذه المعاني بما يليق به من الالفاظ الواردة في
المثلين بواسطة تشبيهه بما يناسبه من معانيها فان الفاظ المثل باقية في معانيها الاصلية بل على انه قد انتزعت

عدة انتزعت من الامور المتعددة المعتبرة في كل واحد من جانبي الممثلين هيئات على حدة ومن الامور المتعددة المذكورة
في كل واحد من جانبي المثلين هيئات على حدة فشبهت بهما الاوليان ونزلتا منزلتيهما فاستعمل فيهما ما يدل على
الاخريين بضرب من التجوز وقد اشير في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم الآية الى ان التمثيل قسم برأسه لا سبيل
الى جعله من باب الاستعارة حقيقة وان الاستعارة التمثيلية من عبارات المتأخرين نعم قد يجري ذلك على سنن
الاستعارة بان لا يذكر المشبه كهذين التمثيلين ونظائرهما وقد يجري على منهاج التشبيه كما في قوله تعالى وما الناس
الا كالديار واهلها يوم حلوها وغدوا بلاقع كذلك اى مثل ذلك التزيين البليغ زين
اى من جهة الله عز وجل بطريق الخلق عند اجاء الشياطين او من جهة الشياطين بطريق الزخرفة والتسويل
للكافرين التابعين للوساوس الشيطانية الآخذين بالزخرفات التي يوحونها اليهم ما كانوا يعملون
ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من القبائح فانها لو لم تكن مزينة لهم لما اصروا
عليها ولما جادلوا بها الحق وقيل الآية نزلت في حمزة رضي الله تعالى عنه وابي جهل وقيل في عمر او عمار رضي الله
تعالى عنهما وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية قيل معناه كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها
من سائر القرى ومفعولا جعلنا اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني والظرف لغو او هما الظرف و
اكابر على ان مجرميها بدل او مضاف اليه فان افعل التفضيل اذا اضيف جاز الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر
مجرميها وقيل اكابر مجرميها مفعوله الاول والثاني ليمكروا فيها ولا يخفى ان اى معنى يراد من هذه المعاني لا بد ان
يكون مشهور التحقق عند الناس معهودا فيما بينهم حتى يصلح ان يعرف الاشارة عن سياق النظم الكريم ويتوجه
اليه ويجعل مقياسا لنظائره باخراجه مخرج المصدر التشبيهي وظاهر ان ليس الامر كذلك ولا سبيل الى توجيهها
الى ما يفهم من قوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وان كان المراد بهم الاكابر لان مآل المعنى بعد
اللتيا والتي كما جعلنا اعمال اهل مكة مزينة لهم جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها الخ فالاقرب ان ذلك
اشارة الى الكفرة المعهودين باعتبار اتصافهم بصفاتهم والافراد بتأويل الفريق او المذكور ومحل الكاف النصب
على انه المفعول الثاني لجعلنا قدم عليه لافادة التخصيص كما في قوله تعالى كذلك كنتم من قبل الآية والاول اكابر
مجرميها والظرف لغو اى ومثل اولئك الكفرة الذين هم صناديد مكة ومجرموها جعلنا في كل قرية اكابرها المجرمين
اى جعلناهم متصفين بصفات المذكورين مزينا لهم اعمالهم مصرين على الباطل مجادلين به الحق ليمكروا فيها
اى ليفعلوا المكر فيها وهذا تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله تعالى وما يمكرون الا بانفسهم
اعتراض على سبيل الوعد لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والوعيد للكفرة اى وما يحيق غائلة مكرهم الا
بهم وما يشعرون حال من ضمير يمكرون مع اعتبار ورود الاستثناء على النفي اى وانما يمكرون
بانفسهم والحال انهم ما يشعرون بذلك اصلا بل يزعمون انهم يمكرون بغيرهم وقوله تعالى واذا جاءتهم آية
رجوع الى بيان حال مجرمي اهل مكة بعد ما بين بطريق التسلية ان حال غيرهم ايضا كذلك وان عاقبة مكر
الكل ما ذكر فان العظيمة المنقولة انما صدرت عنهم لا عن سائر المجرمين اى اذا جاءتهم آية بواسطة
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حتى يوحى الينا ويأتينا جبرائيل عليه السلام فيخبرنا ان محمدا صادق
كما قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا وعن الحسن البصري مثله وهذا كما ترى صريح في ان ما علق بايتاء ما اوتي

الرسل عليهم السلام هو ايمانهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبما انزل اليه ايمانا حقيقيا كما هو المتبادر منه عند
الاطلاق خلا انه يستدعي ان يحمل ما اوتي رسل الله على مطلق الوحي ومخاطبة جبرائيل عليه السلام في الجملة وان يحمل
الرسالة في قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته على ظاهرها وتحمل رسالة جبرائيل عليه السلام بالوجه
المذكور ويراد بجعلها تبليغها الى المرسل اليه لا وضعها في موضعها الذي هو الرسول ليتأتى كونه جوابا عن اقتراحهم
ورد الايمان يكون معنى الاقتراح لن نؤمن بكون تلك الآية نازلة من عند الله تعالى الى الرسول حتى يأتينا جبرائيل
بالذات عيانا كما يأتي الرسل فيخبرنا بذلك ومعنى الرد الله اعلم من يليق بارسال جبرائيل عليه السلام اليه لامر من
الامور ايذانا بانهم بمعزل من استحقاق ذلك التشريف وفيه من التمحل ما لا يخفى وقال مقاتل نزلت في ابي جهل حين
قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى ولا نتبعه
ابدا حتى يأتينا وحي كما يأتيه وقال ضحاك سأل كل واحد من القوم ان يخص بالرسالة والوحي كما اخبر الله تعالى عنهم
في قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ولا يخفى ان كل واحد من هذين القولين وان كان مناسبا
للرد المذكور لكنه يقتضي ان يراد بالايمان المعلق بايتاء ما اوتي الرسل مجرد تصديقهم برسالته صلى الله تعالى عليه
وسلم في الجملة من غير شمول لكافة الناس وان يكون كلمة حتى في قول اللعين حتى يأتينا وحي كما يأتيه غاية لعدم
الرضاء لا لعدم الاتباع فانه مقرر على تقديري ايتاء الوحي وعدمه فالمعنى لن نؤمن برسالته اصلا حتى نؤتى
نحن من الوحي والنبوة مثل ما اوتيه رسل الله او ايتاء مثل ايتاء رسل الله واما ما قيل من ان الوليد بن المغيرة
قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو كان النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك
مالا وولدا فنزلت فلا تعلق له بكلامهم المردود لان يراد بالايمان المعلق بما ذكر مجرد الايمان بكون الآية
النازلة وحيا صادقا لا الايمان بكونها نازلة اليه عليه السلام فيكون المعنى واذا جاءتهم آية نازلة الى الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لن نؤمن بنزولها من عند الله حتى يكون نزولها الينا لا اليه لانا نحن المستحقون
دونه فان محصل معنى قوله لو كانت النبوة حقا الخ لو كان ما تدعيه من النبوة حقا لكنت انا النبي لا انت
واذ لم يكن الامر كذلك فليست بحق ومآله تعليق الايمان بحقية النبوة بكونه نفسه نبيا ومثل ما اوتي نصب على
انه نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اي حتى نؤتى ايتاء مثل ايتاء رسل الله واضافة الايتاء اليهم لانهم منكرون
لايتائه عليه السلام وحيث نصب على المفعولية توسعا لا بنفس اعلم لما عرفت من انه لا يعمل في الظاهر بل بفعل دل
هو عليه اي هو اعلم يعلم الموضع الذي يضعها فيه والمعنى ان منصب الرسالة ليس مما ينال بكثرة المال والولد
وتعاضد الاسباب والعدد وانما ينال بفضائل نفسانية يخص الله تعالى بها من يشاء من خلص عباده وقرئ
رسالاته سيصيب الذين اجرموا استئناف آخر ناع عليهم ما سيلقونه من فنون الشر بعد ما نعى
عليهم حرمانهم مما املوه والسين للتأكيد ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان اصابة ما يصيبهم لاجرامهم
المستتبع لجميع الشرور والقبائح اي يصيبهم البتة مكان ما تمنوه وعلقوا به اطماعهم الفارغة من عزة
النبوة وشرف الرسالة صغار اي ذلة وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيامة وقيل من عند
الله وعذاب شديد في الآخرة او في الدنيا بما كانوا يمكرون اي بسبب مكرهم المستمر او بمقابلته وحيث كان
هذا من اعظم مواد اجرامهم صرح بسببيته فمن يرد الله ان يهديه اي يعرفه طريق الحق
ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له وينفتح وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله

فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار صلى الله تعالى عليه وسلم حين سئل فقال نور
يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك من امارة يعرف
بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والاعراض عن دار الغرور والاستعداد للموت
قبل نزوله ومن يرد ان يضله اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه
يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يكاد يدخله الايمان وقرئ ضيقا
بالتخفيف وحرجا بكسر الراء اي شديد الضيق والاول مصدر وصف به مبالغة كأنما يصعد ما هذه
مهيئة لدخوله كان على الجملة الفعلية في السماء مشبهة للمبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا
يكاد يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة وفيه تنبيه على ان الايمان
يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كأنما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب
منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرئ يصاعد واصله يتصاعد كذلك اي مثل
ذلك الجعل الذي هو جعل الصدر حرجا على الوجه المذكور يجعل الله الرجس اي العذاب او الخذلان
لان قال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وقال الزجاج الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة
على الذين لا يؤمنون اي عليهم ووضع الموصول موضع المضمر للاشعار بان جعله تعالى معلل
بما في حيز الصلة من كمال نبوهم عن الايمان واصرارهم على الكفر وهذا اي البيان الذي جاء
به القرآن او الاسلام او ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك اي طريقه الذي
ارتضاه او عادته وطريقته والذي اقتضته حكمته وفي التعرض لعنوان الربوبية ايذان بان تقويم ذلك
الصراط للتربية وافاضة الكمال مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة
كقوله تعالى وهو الحق مصدقا والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات بيناها مفصلة
لقوم يذكرون يتذكرون ما في تضاعيفها فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان او شرا
فانما يحدث بقضاء الله تعالى وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم وتخصيص القوم
المذكورين بالذكر لانهم المنتفعون بتفصيل الآيات لهم دار السلام اي للمتذكرين دار السلامة
من كل المكاره وهي الجنة عند ربهم اي في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره تعالى وهو
وليهم اي مولاهم وناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم الصالحة او متوليهم بجزائها
يتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا منصوب بمضمر اما على المفعولية او الظرفية وقرئ بنون
العظمة على الالتفات لتهويل الامر والضمير المنصوب لمن يحشر من الثقلين اي واذكر يحشر الثقلين
قائلا يا معشر الجن او ويوم يحشرهم يقول يا معشر الجن او ويوم يحشرهم ويقول
يا معشر الجن يكون من الاحوال والاهوال ما لا يساعده الوصف لفظاعته والمعشر الجماعة والمراد
بمعشر الجن الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم
بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وهذا بطريق التوبيخ والتقريع
وقال اولياؤهم اي الذين اطاعوهم ومن في قوله عز وجل من الانس اما للبيان
الجنس اي اولياؤهم الذين هم من الانس او متعلقة بمحذوف هو حال من اوليائهم اي كائنين من الانس

ربنا استمتع بعضنا ببعض ° اى انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها
وقيل بان القوا اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم
بقبول ما القوا اليهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم فى المفاوز والمخاوف و
استمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم قادرون على اجارتهم ° وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا °
وهو يوم القيمة قالوه اعترافا بما فعلوا من طاعة الشياطين واتباع الهوى وتكذيب البعث واظهارا للندامة
عليها وتحسرا على حالهم واستسلاما لربهم ولعل الاقتصار على حكاية كلام الضالين للايذان بان المضلين قد افحموا بالمرة
فلم يقدروا على التكلم اصلا ° قال ° استيناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية كلامهم كانه قيل فماذا قال الله تعالى ح
فقيل قال ° النار مثويكم ° اى منزلكم اى ذات ثوائكم كما ان دار السلام مثوى للمؤمنين °
خالدين فيها ° حال والعامل مثويكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا ° الا ما شاء الله ° قال ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما استثنى الله تعالى قوما قد سبق فى علمه انهم يسلمون ويصدقون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وهذا مبنى على ان الاستثناء ليس من المحكى وما بمعنى من وقيل المعنى الا الاوقات التى ينقلون فيها من النار الى
الزمهرير فقد روى انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون
الرد الى الجحيم وقيل يفتح لهم وهم فى النار باب الى الجنة فيسرعون نحوه حتى اذا صاروا اليه سد عليهم الباب وقيل
الاستثناء تهكم بهم وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم
ولا يخفى بعده ° ان ربك حكيم ° فى افعاله ° عليم ° باحوال الثقلين واعمالهم وبما يليق بها من
الجزاء ° وكذلك ° اى مثل ما سبق من تمكين الجن من اغواء الانس واضلالهم نولى بعض الظالمين
من الانس ° بعضا ° آخر منهم اى نجعلهم بحيث يتولونهم بالاغواء والاضلال او نجعل بعضهم قرناء
بعض فى العذاب كما كانوا كذلك فى الدنيا عند اقتراف ما يؤدى اليه من القبائح ° بما كانوا يكسبون °
بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه من الكفر والمعاصى ° يا معشر الجن والانس ° شروع فى حكاية ما سيكون من
توبيخ المعشرين وتقريعهم فيما يتعلق بخاصة انفسهم اثر حكاية توبيخ معشر الجن باغواء الانس واضلالهم
وبيان مآل امرهم ° الم يأتكم ° اى فى الدنيا ° رسل ° اى من عند الله عز وجل لكن لا على
ان يأتى كل رسول كل واحدة من الامم بل على ان يأتى كل واحدة منها رسول خاص بها
اى الم يأت كل فريق منكم رسول معين وقوله تعالى ° منكم ° متعلق بمحذوف وقع صفة لرسل
اى كائنة من جنسكم لكن لا على انهم من جنس الفريقين معا بل من الانس خاصة وانما جعلوا منهما اما لتأكيد
وجوب اتباعهم والايذان بتقاربهما ذاتا واتحادهما تكليفا وخطابا كانهما جنس واحد ولذلك تمكن
احدهما من اضلال الآخر واما لان المراد بالرسل ما يعم رسل الرسل وقد ثبت ان الجن قد استمعوا
القرآن وانذروا به قومهم حيث نطق به قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الى
قوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وقوله تعالى ° يقصون عليكم آياتى ° صفة اخرى لرسل محققة لما
هو المراد من ارسال الرسل من التبليغ والانذار وقد حصل ذلك بالنسبة الى الثقلين ° وينذرونكم ° بما فى
تضاعيفها من القوارع ° لقاء يومكم هذا ° يوم الحشر الذى قد عاينوا فيه ما اعد لهم من
افانين العقوبات الهائلة ° قالوا ° استيناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام السابق كانه قيل

فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد فقيل ° شهدنا على انفسنا ° اى باتيان الرسل
وانذارهم وبمقابلتهم اياهم بالكفر والتكذيب وباستحقاقهم بسبب ذلك العذاب المخلد حسبما فصل فيما
فى حكاية جوابهم عن سؤال خزنة النار حيث قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ
ان انتم الا فى ضلال كبير وقد اجمل ههنا فى الحكاية كما اجمل فى حكاية جوابهم حيث قالوا بلى ولكن
حقت كلمة العذاب على الكافرين وقوله تعالى ° وغرتهم الحيوة الدنيا ° مع ما عطف عليه اعتراض لبيان
ما اداهم فى الدنيا الى ارتكابهم للقبائح التى ارتكبوها والجاؤهم فى الآخرة الى الاعتراف بالكفر واستيجاب
العذاب وذم لهم بذلك اى اغتروا فى الدنيا بالحظوظ الدنية واللذات الخسيسة الفانية واعرضوا
عن النعيم المقيم الذى بشرت به الرسل واجترؤا على ارتكاب ما يجرهم الى العذاب المؤبد الذى انذروهم
اياه ° وشهدوا ° فى الآخرة ° على انفسهم انهم كانوا ° فى الدنيا ° كافرين ° اى بالآيات والنذر
التى اتى بها الرسل على التفصيل المذكور آنفا واضطروا الى الاستسلام لاشد العذاب كما ينبئ عنه ما حكى
عنهم بقوله تعالى وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير وفيه من تحسيرهم وتحذير السامعين عن
مثل صنيعهم ما لا مزيد عليه ° ذلك ° اشارة الى ما ذكر من شهادتهم على انفسهم بالكفر واستيجاب
العذاب والخطاب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق التلوين وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
ان لم يكن ربك مهلك القرى ° بحذف اللام على ان ان مصدرية او مخففة من ان وضمير الشأن
الذى هو اسمها محذوف وقوله تعالى ° بظلم ° متعلق اما بمهلك اى بسبب ظلم او بمحذوف وقع حالا من
القرى اى ملتبسة بظلم فان ملابسة اهلها للظلم ملابسة للقرية بواسطتهم واما كونه حالا من ربك او من ضميره
فى مهلك كما قيل فيأباه ان غفلة اهلها مأخوذة فى معنى الظلم وحقيقته لا محالة فلا يحسن تقييده بقوله تعالى
واهلها غافلون ° والمعنى ذلك ثابت لانتفاء كون ربك او لان الشأن لم يكن ربك مهلك القرى
بسبب اى ظلم فعلوه من افراد الظلم قبل ان ينبهوا عنه وينبهوا على بطلانه برسول وكتاب وان قضى به
بديهة العقل ويتذكروا عاقبة جناياتهم اى لولا انتفاء كونه تعالى معذبا لهم قبل ارسال الرسل
وانزال الكتب لما امكن التوبيخ بما ذكر ولما شهدوا على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب ولا اعتذروا
بعدم اتيان الرسل كما فى قوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا
رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى وانما علل بما ذكر بانتفاء التعذيب الدنيوى الذى هو
اهلاك القرى قبل الانذار مع ان التقريب فى تعليله بانتفاء مطلق التعذيب من غير بعث الرسل
اتم على ما نطق به قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لبيان كمال نزاهته سبحانه وتعالى من
كلا التعذيبين الدنيوى والاخروى معا من غير انذار على ابلغ وجه وآكده حيث اقتصر على نفى التعذيب
الدنيوى عنه تعالى ليثبت نفى التعذيب الاخروى عنه تعالى على الوجه البرهانى بطريق الاولوية فانه
تعالى حيث لم يعذبهم بعذاب يسير منقطع بدون انذار فلان لا يعذبهم بعذاب شديد مخلد اولى واجلى
ولو علل بما ذكر من نفى التعذيب لانصرف بحسب المقام الى ما فيه الكلام من نفى التعذيب الاخروى ونفى
التعذيب الدنيوى غير متعرض له لا صريحا ولا دلالة ضرورة ان نفى الاعلى لا يدل على نفى الادنى
ولان ترتيب التعذيب الدنيوى على الانذار عند عدم تأثر المنذرين منه معلوم مشاهد عند الناس

فيستدلون بذلك على ان التعذيب الاخروي ايضا كذلك فينزجرون عن الاخلال بمواجب الانذار اشد انزجار هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما جعل ذلك اشارة الى ارسال الرسل عليهم الصلوة والسلام وانذارهم وجعل المبتدأ محذوف كما اطبق عليه الجمهور فبمعزل من مقتضى المقام والله سبحانه اعلم ﴿و لكل﴾ اى من المكلفين من الثقلين ﴿درجات﴾ متفاوتة وطبقات متباينة ﴿مما عملوا﴾ من اعمالهم صالحة كانت او سيئة فان اعمالهم درجات فى انفسها او من جزاء اعمالهم فان لكل جزاء مرتبة معينة لهم او من اجل اعمالهم ﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾ فيخفى عليه من اعمالهم او قدر ما يستحقون بها من ثواب او عقاب وقرئ بالتاء تغليبا للمخاطب على الغيبة ﴿وربك الغنى﴾ مبتدأ وخبر اى هو المعروف بالغنى عن كل ما سواه كائنا ما كان فيدخل فيه غناه عن العباد وعن عبادتهم وفى التعرض لوصف الربوبية فى الموضعين لاسيما ﴿الخ﴾ لكونه موقع الاضمار مع الاضافة الى ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم من اظهار اللطف به عليه الصلوة والسلام وتنزيه ساحته عن توهم شمول الوعيد الآتى لها ايضا ما لا يخفى وقوله تعالى ﴿ذو الرحمة﴾ خبر آخر او هو الخبر والغنى صفة اى يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم وتمهيلهم على المعاصى وفيه تنبيه على ان ما سلف ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتمهيد لقوله عز وجل ﴿ان يشأ يذهبكم﴾ اى ما به حاجة اليكم ان يشأ يذهبكم ايها العصاة وفى تلوين الخطاب من تشديد الوعيد ما لا يخفى ﴿ويستخلف من بعدكم﴾ اى من بعد اذهابكم ﴿ما يشاء﴾ من الخلق وايثار ما على من لاظهار كمال الكبرياء واسقاطهم عن رتبة العقلاء ﴿كما انشأكم من ذرية قوم آخرين﴾ اى من نسل قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام لكنه ابقاكم ترحما عليكم وما فى كما مصدرية ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهى على غير الصدر فان يستخلف فى معنى ينشئ كانه قيل وينشئ انشاء كما انشأكم الخ او نعت لمصدر الفعل المذكور اى يستخلف استخلافا كائنا كما انشأكم الخ والشرطية استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الغنى والرحمة ﴿ان ما توعدون﴾ اى الذى توعدونه من البعث وما يتفرع عليه من الامور الهائلة وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار التجددى ﴿لآت﴾ لواقع لا محالة كقوله تعالى انما توعدون لواقع وايثاره عليه لبيان كمال سرعة وقوعه بتصويره بصورة طالب حثيث لا يفوته هارب حسبما يعرب عنه قوله تعالى ﴿وما انتم بمعجزين﴾ اى بفائتين ذلك وان كنتم فى الهرب فى كل صعب وذلول كما ان ايثار صيغة الفاعل على المستقبل للايذان بكمال قرب الاتيان والمراد بيان دوام انتفاء الاعجاز لا بيان انتفاء دوام الاعجاز فان الجملة الاسمية كما تدل على دوام الثبوت تدل بمعونة المقام اذا دخل عليها حرف النفى على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام كما حقق فى موضعه ﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ اثر ما بين لهم حالهم ومآلهم بطريق الخطاب امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق التلوين بان يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر لهم ما هو عليه من غاية التصلب فى الدين ونهاية الوثوق بامره وعدم المبالاة بهم اى اعملوا على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على جهتكم وحالتكم التى انتم عليها من قولهم مكان ومكانة ومقام ومقامة وقرئ مكاناتكم والمعنى اثبتوا على كفركم ومعاداتكم ﴿انى عامل﴾ ما امرت به من الثبات على الاسلام

على الاسلام والاستمرار على الاعمال الصالحة والمصابرة وايراد التهديد بصيغة الامر مبالغة فى الوعيد كأن المهدد لا يأتى منه الا الشر كالذى امر به بحيث لا يجد الى التفصى عنه سبيلا ﴿فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار﴾ سوف لتأكيد مضمون الجملة والعلم عرفانى ومن اما استفهامية معلقة لفعل العلم محلها الرفع على الابتداء وتكون باسمها وخبرها خبر لها وهى مع خبرها فى محل النصب لسدها مسد مفعول تعلمون اى فسوف تعلمون ايّنا تكون له العاقبة الحسنى التى خلق الله تعالى هذه الدار لها واما موصولة فمحلها النصب على انها مفعول لتعلمون اى فسوف تعلمون الذى له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف فى المقال وتنبيه على كمال وثوق المنذر بامره وقرئ بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقى ﴿انه﴾ اى الشان ﴿لا يفلح الظالمون﴾ وضع الظلم موضع الكفر ايذانا بان امتناع الفلاح يترتب على اى فرد كان من افراد الظلم فما ظنك بالكفر الذى هو اعظم افراده ﴿وجعلوا﴾ شروع فى تقبيح احوالهم الفظيعة بحكاية اقوالهم وافعالهم الشنيعة وهم مشركوا العرب كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله واشياء منهما لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوا لله تعالى زاكيا ناميا يزيد فى نفسه خيرا رجعوا فجعلوه لآلهتهم واذا زكا ما جعلوه لآلهتهم تركوه متعللين بان الله تعالى غنى وما ذلك الا لحب آلهتهم وايثارهم لها والجعل اما متعد الى مفعول واحد فالجاران فى قوله تعالى ﴿لله مما ذرأ﴾ متعلقان به ومن فى قوله عز وجل ﴿من الحرث والانعام﴾ بيان لما وفيه تنبيه على فرط جهالتهم حيث اشركوا الخالق فى خلقه جمادا لا يقدر على شئ ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزكى له اى عينوا له تعالى مما خلقه من الحرث والانعام ﴿نصيبا﴾ يصرفونه الى الضيفان والمساكين وتأخيره من المجرور لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر واما الى مفعولين اولهما مما ذرأ على ان من تبعيضية اى جعلوا بعض ما خلقه نصيبا له وما قيل من ان الاول نصيبا والثانى لله لا يساعده سداد المعنى وحكاية جعلهم له تعالى نصيبا ولم يذكر اكتفاء بقوله تعالى ﴿فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾ وقرئ بضم الزاء وهو لغة فيه وانما قيد به الاول للتنبيه على انه فى الحقيقة ليس بجعل لله تعالى غير مستتبع لشئ من الثواب كالتطوعات التى يبتغى بها وجه الله تعالى لا لما قيل من انه للتنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله تعالى به فان ذلك مستفاد من الجعل ولذلك لم يقيد به الثانى ويجوز ان يكون ذلك تمهيدا لما بعده على معنى ان قولهم هذا لله مجرد زعم منهم لا يعملون بمقتضاه الذى هو اختصاصه به تعالى فقوله تعالى ﴿فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم﴾ بيان وتفصيل له اى فما عينوه لشركائهم لا يصرف الى الوجوه التى يصرف اليها ما عينوه لله تعالى من قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما عينوه لله عز وجل اذا وجدوه زاكيا يصرف الى الوجوه التى يصرف اليها ما عينوه لآلهتهم من انفاق عليهم بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ﴿ساء ما يحكمون﴾ فيما فعلوا من ايثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم بما لم يشرع لهم وما بمعنى الذى والتقدير ساء الذى يحكمونه حكمهم فيكون حكمهم مبتدأ وما قبله خبره وحذف لدلالة يحكمون عليه ﴿وكذلك﴾ اى ومثل ذلك التزيين وهو

تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله وبين آلهتهم او مثل ذلك التزيين البليغ المعهود من الشياطين
زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بوأدهم ونحرهم لآلهتهم كان الرجل يحلف في الجاهلية لئن
ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وهو مشهور شركاؤهم اي اولياؤهم من الجن
او من السدنة وهو فاعل زين اخر عن الظرف والمفعول لما مر غير مرة وقرئ على البناء للمفعول
الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وقرئ
على البناء للمفعول ورفع قتل وجر اولادهم ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين كانه قيل من زين
لهم قتل اولادهم فقيل زينه شركاؤهم ليردوهم اي يهلكوهم بالاغواء وليلبسوا
عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل عليه السلام او ما وجب عليهم ان
يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو
شاء الله اي عدم فعلهم ذلك ما فعلوه اي ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او الشركاء التزيين
او الارداء واللبس او الفريقان جميع ذلك على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة فذرهم وما يفترون
الفاء فصيحة اي اذا كانوا ما فعلوه بمشيئة الله تعالى فدعهم وافتراءهم او وما يفترونه من الافك
فان فيما شاء الله تعالى حكما بالغة انما يملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب اليم وفيه من شدة الوعيد
ما لا يخفى وقالوا حكاية لنوع آخر من انواع كفرهم هذه اشارة الى ما جعلوه لآلهتهم و
التأنيث للخبر انعام وحرث حجر اي حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير
والذكر والانثى لان اصله المصدر ولذلك وقع صفة لانعام وحرث وقرئ حجر بالضم وبضمتين وحرج
اي ضيق واصله حرج وقيل هو مقلوب من حجر لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان من الرجال
دون النساء والجملة صفة اخرى لانعام وحرث بزعمهم متعلق بمحذوف والجملة معطوفة على
قوله تعالى هذه انعام اي قالوا مشيرين الى طائفة اخرى من انعامهم وهذه انعام حرمت ظهورها
يعنون بها البحائر والسوائب والحوامي وانعام وهذه انعام كافرة وقوله تعالى لا يذكرون
اسم الله عليها صفة لانعام لكنه غير واقع في كلامهم المحكي كنظائره بل مسوق من جهته تعالى تعيينا للموصوف
وتمييزا له عن غيره كما في قوله تعالى وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله على احد التفاسير كانه
قيل وانعام ذبحت على الاصنام فانها التي لا يذكر عليها اسم الله وانما يذكر عليها اسم الاصنام وقيل لا
يحجون عليها فان الحج لا يعرى عن ذكر الله تعالى وقال مجاهد كانت لهم طائفة من انعامهم لا يذكرون
اسم الله تعالى عليها ولا في شيء من شأنها لا ان ركبوا ولا ان حلبوا ولا ان نتجوا ولا ان باعوا
ولا ان حملوا افتراء عليه نصب على المصدر اما على ان ما قالوه تقول على الله تعالى واما
على تقدير عامل من لفظه اي افتروا افتراء والجار متعلق بقالوا او بافتروا المقدر او بمحذوف هو صفة
له لا بافتراء لان المصدر المؤكد لا يعمل او على الحال من فاعل قالوا اي مفترين او على العلة اي للافتراء
فالجار متعلق به سيجزيهم بما كانوا يفترون اي بسببه او بدله وفي ابهام الجزاء من التهويل
ما لا يخفى وقالوا حكاية لفن آخر من فنون كفرهم ما في بطون هذه الانعام يعنون به
اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا حلال لهم خاصة والتاء للنقل الى الاسمية او للمبالغة

او للمبالغة او لان الخالصة مصدر كالعافية وقع موقع الخالص مبالغة او بحذف المضاف اي ذو خالصة او
للتأنيث بناء على ان ما عبارة عن الاجنة والتذكير في قوله تعالى ومحرم على ازواجنا
اي جنس ازواجنا وهن الاناث باعتبار اللفظ وفيه كما ترى حمل للنظم الكريم على خلاف المعهود الذي هو
الحمل على اللفظ اولا وعلى المعنى ثانيا كما في قوله عز وجل ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم الآية
ونظائره واما العكس فقد قالوا انه لا نظير له في القرآن وهذا الحكم منهم ان ولد ذلك حيا وهو الظاهر المعتاد
وان يكن ميتة اي ان ولدت ميتة اي الذكور فهم والاناث فيه اي فيما في بطون
الانعام وقيل المراد بالميتة ما يعم الذكر والاناث والتغليب الاول على الثاني شركاء يأكلون منه جميعا
وقرئ خالصة بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في
ذكورنا ولا من الذكور لانه لا يتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبه المجرور وقرئ خالصه بالرفع
والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم
الكذب على الله سبحانه وتعالى في امر التحليل والتحريم من قوله تعالى وتصف السنتكم الكذب انه حكيم عليم
تعليل للوعد بالجزاء فان الحكيم العليم بما صدر عنهم لا يكاد يترك جزاءهم الذي هو من مقتضيات الحكمة
قد خسر الذين قتلوا اولادهم جواب قسم محذوف وقرئ بالتشديد وهم ربيعة ومضر واضرابهم
من العرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر اي خسروا دينهم ودنياهم سفها بغير علم
متعلق بقتلوا على انه علة لهم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله هو الرزاق لهم ولاولادهم او نصب على
الحال ويؤيده انه قرئ سفهاء او مصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر والسوائب ونحوها
افتراء على الله نصب على الوجوه المذكورة واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لاظهار
كمال عتوهم وطغيانهم قد ضلوا عن الطريق المستقيم وما كانوا مهتدين اليه
وان هدوا بفنون الهدايات او وما كانوا مهتدين من الاصل لسوء سيرتهم فالجملة اعتراض وعلى الاول
عطف على ضلوا وهو الذي انشأ جنات معروشات تمهيد لما سيأتي من تفصيل احوال الانعام
اي هو الذي انشأهن من غير شركة لاحد في ذلك بوجه من الوجوه والمعروشات ما غرسه من الكروم
المرفوعات على ما يحملها وغير معروشات وهي الملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات
ما غرسه الناس وعرشوه وغير المعروشات ما نبت في البوادي والجبال والنخل والزرع
عطف على جنات اي انشأهما مختلفا اكله وقرئ اكله بسكون الكاف اي ثمره الذي يؤكل
في الهيئة والكيفية والضمير اما للنخل والزرع داخل في حكمه او للزرع والباقي مقيس عليه او للجميع على
تقدير اكل ذلك او كل واحد منها ومختلفا حال مقدرة اذ ليس ذلك وقت الانشاء والزيتون
والرمان اي انشأهما وقوله عز وجل متشابها وغير متشابه نصب على الحال اي يتشابه بعضها
في اللون والهيئة والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره اي من ثمر كل واحد من ذلك
اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله
تعالى واتوا حقه يوم حصاده اريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد بطريق الوجوب
من غير تعيين المقدار لا الزكوة المقدرة فانها فرضت بالمدينة والسورة مكية وقيل الزكوة والآية

مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك
لا بالتصفية وقرئ يوم حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا اى فى التصدق
كما روى عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمارها كلها ولم يدخل منه شيئا الى منزله كقوله
تعالى ولا تبسطها كل البسط الاية انه لا يحب المسرفين اى لا يرتضى اسرافهم ومن الانعام
حمولة وفرشا شروع فى تفصيل حال الانعام وابطال ما تقولوا على الله تعالى فى شأنها بالتحريم والتحليل وهو
عطف على مفعول انشأ ومن متعلقة به اى وانشأ من الانعام ما يحمل عليه الاثقال وما يفرش للذبح
او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض
كانها فرش مفروش عليها كلوا مما رزقكم الله ما عبارة عما ذكر من الحمولة والفرش ومن تبعيضية
اى كلوا بعض ما رزقكم الله تعالى اى حلاله وفيه تصريح بان انشاءها لاجلهم ومصلحتهم ولا تتبعوا
فى امر التحليل والتحريم بتقليد اسلافكم المجازفين فى ذلك من تلقاء انفسهم المفترين على الله سبحانه
خطوات الشيطان فان ذلك منهم باغواء الشيطان واستتباعه اياهم انه لكم عدو مبين ظاهر
العداوة ثمانية ازواج الزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل والمراد بها
الانواع الاربعة وايرادها بهذا العنوان وبهذا العدد تمهيد لما سيق له الكلام من الانكار المتعلق
بتحريم كل واحد من الذكر والانثى وبما فى بطنها وهو بدل من حمولة وفرشا منصوب بما نصبهما وجعله
مفعولا لكلوا على ان قوله تعالى ولا تتبعوا الاية معترض بينهما او حالا من ما بمعنى مختلفة او متعددة
يأباه جزالة النظم الكريم لظهور انه مسوق لتوضيح حال الانعام بتفصيلها اولا الى حمولة وفرش
ثم تفصيلها الى ثمانية ازواج حاصلة من تفصيل الاولى الى الابل والبقر وتفصيل الثانية الى
الضأن والمعز ثم تفصيل كل من الاقسام الاربعة الى الذكر والانثى كل ذلك لتحرير المواد التى تقولوا
فيها عليه سبحانه وتعالى بالتحليل والتحريم ثم تبكيتهم باظهار كذبهم وافترائهم فى كل مادة مادة من
تلك المواد بتوجيه الانكار اليها مفصلة واثنين فى قوله تعالى من الضأن اثنين بدل من ثمانية ازواج
منصوب بناصبه وهو العامل فى من اى انشأ من الضأن زوجين الكبش والنعجة وقرئ اثنان
على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين كامير او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة
ومن المعز اثنين عطف على مثله شريك له فى حكمه اى وانشأ من المعز زوجين التيس والعنز
وقرئ بفتح العين وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس ومن المعزى وهذه الازواج الاربعة
تفصيل للفرش ولعل تقديمها فى التفصيل مع تأخر اصلها فى الاجمال لكون هذين النوعين عرضة
للاكل الذى هو معظم ما يتعلق به الحل والحرمة وهو السر فى الاقتصار على الامر به فى قوله تعالى كلوا
مما رزقكم الله من غير تعرض للانتفاع بالحمل والركوب وغير ذلك مما حرموه فى السائبة واخواتها
قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اثر تفصيل انواع
الانعام التى انشأها اى قل تبكيتا لهم واظهارا لانقطاعهم عن الجواب آلذكرين من ذينك النوعين
وهما الكبش والتيس حرم اى الله عز وجل كما تزعمون انه هو المحرم ام الانثيين
وهما النعجة والمعز ونصب الذكرين والانثيين بحرم وهو مؤخر عنهما بحسب المعنى وان توسط بينهما

بينهما صورة وكذا قوله تعالى اما اشتملت عليه ارحام الانثيين اى ام ما حملت اناث النوعين حرم
ذكرا كان او انثى وقوله تعالى نبئونى بعلم الى اخره تكرير للالزام وتثنية للتبكيت والافحام
اى اخبرونى بامر معلوم من جهة الله عز وجل من الكتاب او اخبار الانبياء يدل على انه تعالى
حرم شيئا مما ذكر او [illegible]
نبئونى تنبئة ملتبسة بعلم صادرة عنه ان كنتم صادقين اى فى دعوى التحريم عليه سبحانه وقوله تعالى
ومن الابل اثنين عطف على قوله تعالى من الضأن اثنين اى وانشأ من الابل اثنين هما الجمل و
الناقة ومن البقر اثنين ذكرا وانثى قل افحاما لهم فى امر هذين النوعين ايضا
آلذكرين منهما حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين من ذينك النوعين والمعنى
انكار ان الله سبحانه وتعالى حرم عليهم شيئا من الانواع الاربعة واظهار كذبهم فى ذلك وتفصيل ما ذكر
من الذكور والاناث وما فى بطونها للمبالغة فى الرد عليهم بايراد الانكار على كل مادة من مواد افترائهم فانهم
كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيفما كانت تارة اخرى مسندين ذلك كله الى الله سبحانه
وتعالى وانما عقب تفصيل واحد من نوعى الصغار ونوعى الكبار بما ذكر من الامر بالاستفهام والانكار مع
حصول التبكيت بايراد الامر عقيب تفصيل الانواع الاربعة بان يقال الذكور حرم ام الاناث ام ما اشتملت
عليه ارحام الاناث لما فى التثنية والتكرير من المبالغة فى التبكيت والالزام وقوله تعالى ام
كنتم شهداء تكرير للافحام كقوله عز وجل نبئونى بعلم الاية وام منقطعة ومعنى الهمزة الانكار والتوبيخ
ومعنى بل الاضراب عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر اى بل أكنتم حاضرين مشاهدين
اذ وصاكم الله بهذا اى حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبى فلا طريق لكم حسبما يقود
مذهبكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع وفيه من تركيك عقولهم والتهكم بهم ما لا يخفى
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو
بن لحى بن قمعة وهو المؤسس لهذا الشر او الكل لاشتراكهم فى الافتراء عليه سبحانه وتعالى اى
فاى الفريق اظلم من فريق افتروا الى اخره ولا يقدح فى اظلمية الكل كون بعضهم مخترعين له
وبعضهم مقتدين بهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما سبق من تبكيتهم واظهار كذبهم وافترائهم اى
هو اظلم من كل ظالم وان كان المنفى صريحا الاظلمية دون المساواة كما مر غير مرة ليضل الناس
متعلق بالافتراء بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل افترى اى افترى عليه تعالى
جاهلا بصدور التحريم عنه تعالى وانما وصفوا بعدم العلم بذلك مع انهم عالمون بعدم صدوره عنه تعالى
ايذانا بخروجهم فى الظلم عن الحدود والنهايات فان من افترى عليه تعالى وهو يعلم انه لم يصدر عنه
تعالى ويجوز ان يكون حالا من فاعل يضل اى ملتبسا بغير علم بما يؤدى بهم اليه ان الله لا
يهدى القوم الظالمين كائنا من كان الى ما فيه صلاح حالهم عاجلا او آجلا واذا كان حال المتصفين
بالظلم فى الجملة فما ظنك بمن هو فى اقصى غايات قل امر لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بعد الزام المشركين وتبكيتهم وبيان ان ما يتقولونه فى امر التحريم افتراء بحت لا اصل له قطعا بان
يبين لهم ما حرم عليهم وقوله تعالى لا اجد فى ما اوحى الى محرما ايذان بان مناط الحل هو الوحى وانه

عليه الصلوة والسلام قد تتبع جميع ما اوحي اليه وتفحص عن المحرمات ولم يجد غير ما فصّل وفيه مبالغة
في بيان انحصارها في ذلك ومحرما صفة لمحذوف اي لا اجد ريثما تصفحت ما اوحي الي طعاما محرما من المطاعم
التي حرمتموها على طاعم اي اي طاعم كان من ذكر او انثى ردا على قولهم محرم على ازواجنا وقوله
تعالى يطعمه لزيادة التقرير الا ان يكون اي ذلك الطعام ميتة وقرئ
تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرئ ميتة بالرفع على ان كان تامة وقوله تعالى او دما مسفوحا
عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدماء التي
في العروق لا كالطحال والكبد او لحم خنزير فانه اي الخنزير رجس اي لحمه قذر لتعوده
اكل النجاسات او خبيث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض مقرر لحرمته اهل لغير الله
به صفة له موضحة اي ذبح على اسم الاصنام وانما سمي ذلك فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان
يكون فسقا مفعولا له لاهلّ وهو عطف على يكون والمستكن راجع الى ما رجع اليه المستكن في
يكون فمن اضطر اي اصابه الضرورة الداعية الى اكل الميتة بوجه من الوجوه المضطرة
غير باغ في ذلك على مضطر آخر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك
غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة لا يؤاخذه بذلك وليس التقييد بالحال الاولى لبيان انه لو لم يوجد
القيد لتحققت الحرمة المبحوث عنها بل للتحذير من حرام آخر هو اخذه حق مضطر آخر فان من اخذ
لحم الميتة من يد مضطر آخر فاكله فان حرمته ليست باعتبار كونه لحم الميتة بل باعتبار كونه حقا للمضطر
الآخر واما الحال الثانية فلتحقيق زوال الحرمة المبحوث عنها قطعا فان التجاوز عن القدر الذي يسد
به الرمق حرام من حيث انه لحم الميتة وفي التعرض لوصفي المغفرة والرحمة ايذان بان المعصية باقية
لكنه تعالى يغفر له ويرحمه والآية محكمة لانها تدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يجد فيما اوحي اليه
الى تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ
الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء التي هي غيرها الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا
خاصة لا على من عداهم من الاولين والآخرين حرمنا كل ذي ظفر اي كل ما له اصبع من الابل
والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا والمسبب عن الظلم هو تعميم
التحريم حيث كان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عم التحريم كلها وهذا تحقيق لما سلف من حصر
المحرمات فيما فصل بابطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا اول
من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم عليهما السلام ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا
ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما لا لحومهما فانها باقية على الحل والشحوم الثروب وشحوم
الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما استثناء من الشحوم مخرج لما علق من
الشحم بظهورهما عن حكم التحريم او الحوايا عطف على ظهورهما اي ما حملته الحوايا وهي جمع حاوية
او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن او ما اختلط بعظم
عطف على ما حملت وهو الشحم واختلاطه بالعظم اتصاله بعجب الذنب وقيل هو كل شحم متصل بالعظم من
الاضلاع وغيرها ذلك اشارة الى الجزاء او التحريم فهو على الاول نصب على انه مصدر مؤكد لما بعده

بعده وعلى الثاني على انه مفعول ثان لجزينا اي ذلك التحريم جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وهو قتلهم الانبياء بغير حق واكلهم
الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم وكانوا كلما اتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شيء مما احل لهم وهم ينكرون ذلك ويدعون انها لم
تزل محرمة على الامم فرد ذلك عليهم واكد بقوله وانا لصادقون اي في جميع اخبارنا التي من جملتها
هذا الخبر ولقد القمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من
قبل ان تنزل التورية قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عليه السلام لما قال لهم
ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية كيف وقد بين فيها جميع ما يحذرون اوضح بيان فان كذبوك
قيل الضمير لليهود لانهم اقرب ذكرا وذكر المشركين بعد ذلك بعنوان الاشراك وقيل للمشركين فالمعنى على
ان كذبتك اليهود في الحكم المذكور واصروا على ما كانوا عليه من ادعاء قدم التحريم فقل لهم ربكم ذو
رحمة واسعة لا يؤاخذكم بكل ما تأتونه من المعاصي ويمهلكم على بعضها ولا يرد بأسه بالكلية عن القوم
المجرمين فلا تغتروا بما وقع منه تعالى من تحريم بعض الطيبات عليكم عقوبة وتشديدا وعلى الثاني فان كذبك المشركون
فيما فصّل من احكام التحليل والتحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا
بذلك فانه امهال لا اهمال وقيل ذو رحمة للمطيعين وذو بأس شديد على المجرمين فاقيم مقامه قوله ولا يرد بأسه
الخ لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لاحق بهم البتة من غير صارف يصرفه عنهم اصلا
سيقول الذين اشركوا حكاية لفن آخر من كفرهم واخبار به قبل وقوعه حسبما اخبر به كما يحكيه قوله تعالى
عند وقوعه وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء صريح في انه من عند الله تعالى لو شاء الله ما
اشركنا اي خلاف ذلك مشيئة ارتضاء لما فعلنا الاشراك نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ارادوا
ان ما فعلوه حق مرضي عند الله لا الاعتذار من ارتكاب هذه القبائح بارادة الله اياها منهم حتى ينتهض فيهم دليلا
للمعتزلة الا يرى الى قوله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل ما كذبك هؤلاء في انه تعالى منع من الشرك
ولم يحرم ما حرموه كذب متقدموهم الرسل فانه صريح فيما قلنا وعطف آباؤنا على ضمير للفصل بلا حتى ذاقوا
بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم
فتخرجوه لنا اي فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن اي ما تتبعون في ذلك الا الظن الباطل الذي لا يغني
من الحق شيئا وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله وليس فيه دلالة على المنع من اتباع الظن على الاطلاق بل فيما يعارضه
قطعي قل فلله الحجة البالغة الفاء جواب شرط محذوف واذ قد ظهر ان لا حجة لكم فلله الحجة البالغة اي البينة الواضحة التي
بلغت غاية المتانة والثبات او بلغ بها صاحبها دعواه والمراد بها الكتاب والرسول والبيان وهي من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات
الحكم وتطلبه فلو شاء هدايتكم جميعا لهديكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن لم يشأ هداية الكل بل هداية البعض الصارفين
هممهم الى سلوك طريق الحق وضلال آخرين صرفوا اختيارهم الى خلاف ذلك من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم قل هلم
شهداءكم اي احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف على لغة الحجاز وفعل يؤنث ويجمع على لغة تميم على رأي الجمهور وقد خالفهم البعض [illegible]
بني واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت
الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في الآية ولازما كما في قوله هلم الينا
الذين يشهدون ان الله حرم هذا وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم وانما امروا باحضارهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم

ضلالتهم وانه لا حجة لهم يكن يظلهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفوا بما يدل على انهم شهداء معروفون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم
فان شهدوا بعدما حضروا ان الله حرم هذا فلا تشهد معهم اى فلا تصدقهم فانه كذب بحت وافتراء صرف وبيّن لهم
فساده فان تسليمه منهم موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر مقام المضمر للدلالة على ان من
كذب بآيات الله وعدل بها غيره فهو متبع للهوى لا غير وان من اتبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة
الاصنام عطف على الموصول الاول بطريق عطف الصفة مع اتحاد الموصوف كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث
الكتيبة في المزدحم فان من يكذب بآياته تعالى لا يؤمن بالآخرة وبالعكس وهم بربهم يعدلون اى يجعلون له عديلا عطف
على لا يؤمنون والمعنى لا تتبع اهواء الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله وبين الكفر بالآخرة وبالاشراك به تعالى لكن لا على ان يكون
مدار النهي الجمع المذكور بل على ان اولئك جامعون لها متصفون بكلها بظهور عجزهم عن اخراج شيء يتمسك به في ذلك و
احضار شهداء يشهدون بما ادعوا من التحريم بعد ما كلفوه مرة بعد اخرى عجزا بينا امر رسول الله عم بان يبين لهم
من المحرمات واما الاطعمة المحرمة فقد بينت بقوله قل لا اجد الخ وتعالى امر من التعالي والاصل فيه ان يقوله من كان في عال لمن
هو في اسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم كما ان الغنمة في الاصل اصابة الغنم من العدو ثم استعملت في اصابة كل ما يصاب منهم اتساعا
ثم في الفوز بكل مطلب من غير مشقة اتل جواب الامر ما حرم ربكم منصوب به على ان ما موصولة والعائد محذوف
اى اقرأ الذي حرمه ربكم اى الآيات المشتملة عليه او مصدرية اى الآيات المشتملة على تحريمه او بحرم على انها استفهامية والجملة
مفعولة لاتل لان التلاوة من باب القول كانه قيل اقل اي شيء حرم ربكم عليكم متعلق بحرم على كل حال وقيل
باتل والاول انسب بمقام الاعتناء بايجاب الانتهاء عن المحرمات المذكورة وهو السر في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميرهم فان تذكير كونه تعالى ربا لهم ومالكا لامرهم على الاطلاق من اقوى الدواعي الى انتهائهم عما نهاهم عنه اشد انتهاء وان في
قوله ان لا تشركوا به مفسرة لفعل التلاوة المعلق بما حرم ولا ناهية كما ينبئ عنه عطف ما بعده من الاوامر والنواهي عليه و
ليس من ضرورته كون المعطوف عليه تفسيرا لتلاوة المحرمات بحسب منطوقه كون المعطوفات ايضا كذلك حتى يمنع انتظام
الاوامر في سلك العطف عليه بل يكفي في ذلك كونها تفسيرا لها باعتبار لوازمها التي هي النواهي المتعلقة باضداد ما تعلقت
هي به فان الامر بالشيء مستلزم للنهي عن ضده بل هو عينه عند البعض كأن الاوامر ذكرت وقصد لوازمها فان عطف
الاوامر على النواهي الواقعة بعد ان المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع بان المأمور به لا يكون محرما دليل واضح على ان التحريم راجع الى اضدادها
على الوجه المذكور فكانه قيل اتل ما حرم ربكم ان لا تشركوا ولا تسيئوا الى الوالدين خلا انه قد اخرج مخرج الامر بالاحسان اليهما بين
النهيين المكتنفين له للمبالغة في ايجاب مراعاة حقوقهما فان مجرد ترك الاساءة اليهما غير كاف في قضاء حقوقهما ولذلك عقب
به النهي عن الاشراك الذي هو اعظم المحرمات واكبر الكبائر هنا وفي سائر المواقع وقيل ان ناصبة ومحلها النصب بعليكم على انه
للاغراء وقيل النصب على البدلية من ما حرم وقيل من عائدها المحذوف على ان لا زائدة وقيل الجر بتقدير اللام وقيل الرفع
بتقدير المتلو ان لا تشركوا والمحرم ان تشركوا بزيادة لا وقيل والذي عليه التعويل هو الاول لامور من
جملتها ان في اخراج المفسر على صورة النهي مبالغة في بيان التحريم وقوله تعالى شيئا نصب على
المصدرية او المفعولية اى لا تشركوا به شيئا من الاشراك او شيئا من الاشياء وبالوالدين اى
واحسنوا بهما احسانا وقد مر تحقيقه ولا تقتلوا اولادكم تكليف متعلق بحقوق الاولاد عقب به التكليف
المتعلق بحقوق الوالدين اى لا تقتلوهم بالوأد من املاق اى من اجل فقر كما في قوله تعالى خشية
املاق وقيل هذا في الفقر الناجز وذاك في المتوقع وقوله تعالى نحن نرزقكم واياهم استئناف

مسوق لتعليل النهي وابطال سببيته لما اتخذوه سببا لمباشرة المنهي عنه وضمان منه تعالى لارزاقهم
اى نحن نرزق الفريقين لا انتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق وقوله تعالى ولا
تقربوا الفواحش كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة الآية الا انه جيء ههنا بصيغة الجمع قصدا
الى النهي عن انواعها ولذلك ابدل منها قوله تعالى ما ظهر منها وما بطن اى ما يفعل منها علانية في الحوانيت
كما هو دأب اراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الاخدان كما هو عادة اشرافهم وتعليق النهي بقربانها اما للمبالغة
في الزجر عنها لقوة الدواعي اليها واما لان قربانها داع الى مباشرتها وتوسيط النهي عنها بين النهي عن قتل
الاولاد والنهي عن القتل مطلقا كما وقع في سورة بني اسرائيل باعتبار انها مع كونها في نفسها جناية عظيمة
في حكم قتل الاولاد فان اولاد الزنا في حكم الاموات قال عليه السلام في حق العزل ذاك وأد خفي ومن ههنا
تبين ان حمل الفواحش على الكبائر مطلقا وتقسيمها الى ما ظهر منها وما بطن بما فسر به ظاهر الاثم وباطنه فيما سلف من قبيل
الفصل بين الشجر ولحائه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله اى حرم قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد فيخرج
منها الحربي وقوله تعالى الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا تقتلوها في حال من الاحوال
الا حال ملابستكم بالحق الذي هو امر الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان وقتل النفس
المعصومة او من اعم الاسباب اى لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق وهو ما ذكر او من اعم المصادر
اى لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا كائنا بالحق وهو القتل باحد الامور المذكورة ذلكم اشارة الى ما ذكر من التكاليف
الخمسة وما في ذلك من معنى البعد للايذان بعلو طبقتها من بين التكاليف الشرعية وهو مبتدأ وقوله تعالى
وصاكم به اى امركم به ربكم امرا مؤكدا خبره والجملة استئناف جيء به تجديدا للعهد وتأكيدا لايجاب المحافظة
على ما كلفوه ولما كانت الامور المنهي عنها مما يقضي بديهة العقول بقبحها فصلت الآية الكريمة بقوله تعالى لعلكم
تعقلون اى تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة ولا تقربوا مال
اليتيم توجيه النهي الى قربانه لما مر من المبالغة في النهي عن اكله ولاخراج القربان النافع عن حكم النهي
بطريق الاستثناء اى لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يكون
في الحفظ والتثمير ونحو ذلك والخطاب للاولياء او الاوصياء وقوله تعالى حتى يبلغ اشده فانه غاية لما فهم
من الاستثناء لا للنهي كانه قيل احفظوه حتى يصير بالغا رشيدا فحينئذ سلموه اليه كما في قوله تعالى فان
آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم والاشد جمع شدة كنعمة وانعم او شد ككلب واكلب او شد كصر
واصر وقيل هو مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط اى بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها
الا ما يسعها ولا يعسر عليها وهو اعتراض جيء به عقيب الامر بالعدل للايذان بان مراعاة العدل كما هو عسير
كانه قيل عليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم قولا في حكومة او شهادة او نحوهما
فاعدلوا فيه ولو كان اى المقول له او عليه ذا قربى اى ذا قرابة منكم فلا تميلوا نحوه اصلا وقد مر
تحقيق معنى لو في مثل هذا الموضع مرارا وبعهد الله اوفوا اى ما عهد اليكم من الامور المعدودة او اي
عهد كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا او ما عاهدتم الله عليه من الايمان والنذور وتقديم المفعول للاعتناء
بشأنه ذلكم اشارة الى ما فصل من التكاليف ومعنى البعد لما ذكر فيما قبل وصاكم به
امركم لعلكم تذكرون تتذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه وقرئ بتشديد الذال وهو احكام

به امرا مؤكدا م

عشرة لا تختلف باختلاف الامم والاعصار وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه آيات محكمات لم ينسخهن
شيء من جميع الكتب وهذه محرمات على بني آدم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن
دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الآيات لاول شيء في التورية بسم الله الرحمن
الرحيم قل تعالوا الآيات ﴿وان هذا صراطي مستقيما﴾ اشارة الى ما ذكر في الآيتين من الامر والنهي قاله مقاتل
وقيل الى ما ذكر في السورة فانها بأسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ صراطي بفتح الياء
ومعنى اضافته الى ضميره عليه السلام انتسابه اليه عليه السلام من حيث السلوك لا من حيث الوضع كما في صراط
الله والمراد بيان ان ما فصل من الاوامر والنواهي غير مختصة بالمتلو عليهم بل متعلقة به عليه السلام ايضا
وانه عليه السلام مستمر على العمل بها ومراعاتها وقوله تعالى ﴿مستقيما﴾ حال مؤكدة ومحل ان مع ما
في حيزها الجر بحذف لام العلة ولان هذا صراطي اي مسلكي مستقيما ﴿فاتبعوه﴾ كقوله تعالى وان المساجد
لله فلا تدعوا مع الله احدا وتعليل اتباعه بكونه صراطه عليه السلام لا بكونه صراط الله تعالى مع انه في نفسه
كذلك من حيث ان سلوكه عليه السلام فيه داع للخلق الى الاتباع اذ بذلك يتضح عندهم كونه صراط الله
عز وجل وقرئ بكسر الهمزة على الاستئناف وقرئ ان بالتخفيف من ان على ان اسمها الذي هو ضمير الشان
محذوف وقرئ صراطي وقرئ وهذا صراطي وقرئ وهذا صراط ربكم ﴿ولا تتبعوا السبل﴾ الاديان
المختلفة او طرق البدع والضلالات ﴿فتفرق بكم﴾ بحذف احدى التاءين والباء للتعدية اي فتفرقكم
حسب تفرقها ايادي سبا فهو كما ترى ابلغ من تفرقكم كما قيل من ان ذهب به لما فيه من الدلالة على الاستصحاب
ابلغ من اذهبه ﴿عن سبيله﴾ اي سبيل الله الذي لا عوج فيه ولا حرج وهو دين الاسلام الذي ذكر بعض
احكامه وقيل هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان وفيه تنبيه على ان صراطه عليه السلام عين سبيل
الله تعالى ﴿ذلكم﴾ اشارة الى ما مر من اتباع سبيله تعالى وترك اتباع سائر السبل ﴿وصاكم به
لعلكم تتقون﴾ من اتباع سبل الكفر والضلالة ﴿ثم آتينا موسى الكتاب﴾ كلام مسوق من جهته تعالى تقريرا
للوصية وتحقيقا لها وتمهيدا لما يعقبه من ذكر انزال القرآن المجيد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات
الى التكلم معطوف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كأنه قيل بعد قوله تعالى ذلكم وصاكم به
بطريق الاستئناف تصديقا له وتقريرا لمضمونه فعلنا ذلك ثم آتيناه الخ كما ان قوله تعالى ونطبع على قلوبهم
معطوف على ما يدل عليه معنى اولم يهد لهم كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ واما عطفه على ذلكم
وصاكم به وتخلله ثم في سلك الكلام الملقن كما اجمع عليه الجمهور فمما لا يليق بجزالة النظم الكريم فثم
ثم للتراخي الاخباري كما في قولك بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس اعجب او للتفاوت في الرتبة كأنه قيل ذلكم
وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى التورية فان ايتاءها مشتملة على الوصية المذكورة
وغيرها اعظم من التوصية بها فقط ﴿تماما﴾ للكرامة والنعمة اي اتماما لهما على انه مصدر من اتم بحذف الزوائد
﴿على الذي احسن﴾ اي على من احسن القيام كائنا من كان ويؤيده انه قرئ على الذين احسنوا
وتماما على المحسنين او على الذي احسن تبليغه وهو موسى عليه السلام او تماما على ما احسنه موسى عليه السلام اي
اجاده من العلم والشرائع اي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي على الذي
هو احسن وارضاه وآتينا موسى الكتاب تماما اي تاما كاملا على احسن ما يكون عليه الكتب ﴿وتفصيلا لكل شيء﴾

وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما اما على العلية او على المصدرية كما اشير اليه
او على الحالية وكذا قوله تعالى ﴿وهدى ورحمة لعلهم﴾ وضمير لعلهم لبني اسرائيل المدلول عليهم بذكر موسى وايتاء
الكتاب والباء في قوله تعالى ﴿بلقاء ربهم﴾ متعلقة بقوله ﴿يؤمنون﴾ قدمت عليه محافظة على الفواصل
قال ابن عباس رضي الله عنهما كي يؤمنوا بالبعث وبالثواب والعقاب ﴿وهذا﴾ الذي تليت عليكم اوامره ونواهيه
اي القرآن ﴿كتاب﴾ عظيم الشأن لا يقادر قدره وقوله تعالى ﴿انزلناه مبارك﴾ اي كثير المنافع دينا ودنيا
صفتان لكتاب وتقديم وصف الانزال مع كونه غير صريح لان الكلام مع منكريه او خبران آخران
لاسم الاشارة اي انزلناه مشتملا على فنون الفوائد الدينية والدنيوية التي فصلت عليكم طائفة منها
والفاء في قوله تعالى ﴿فاتبعوه﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان عظم شان الكتاب في نفسه وكونه
منزلا من جنابه عز وجل مستتبعا للمنافع الدينية والدنيوية موجب لاتباعه اي ايجاب ﴿واتقوا﴾
مخالفته ﴿لعلكم ترحمون﴾ بواسطة اتباعه والعمل بموجبه ﴿ان تقولوا﴾ علة لانزلناه المدلول عليه بالمذكور
لا لنفسه للزوم الفصل حينئذ بين العامل والمعمول باجنبي هو مبارك وصفا كان او خبرا اي انزلناه كراهة
ان تقولوا يوم القيامة لو لم ننزله ﴿انما انزل الكتاب﴾ الناطق بتلك الاحكام العامة لكل الامم ﴿على طائفتين
من قبلنا﴾ وهما اليهود والنصارى وتخصيص الانزال بكتابيهما لانهما اللذان اشتهرا من بين الكتب
السماوية بالاشتمال على الاحكام لا سيما الاحكام المذكورة ﴿وان كنا﴾ ان هي المخففة من ان
واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشان محذوف ومرادهم بذلك دفع ما يرد عليهم من ان نزوله عليهما
لا ينافي عموم احكامه فلم لم تعملوا باحكامه العامة اي وانه كنا ﴿عن دراستهم لغافلين﴾ لا ندري ما في كتابهم اذ لم يكن
على لغتنا حتى نتلقى منه تلك الاحكام العامة ونحافظ عليها وان لم يكن منزلا علينا وبهذا تبين ان معذرتهم
هذه مع انهم غير مأمورين بما في الكتابين لاشتمالهما على الاحكام المذكورة المتناولة لكافة الامم كما ان
قطع تلك المعذرة بانزال القرآن لاشتماله ايضا عليها لا على سائر الشرائع والاحكام فقط ﴿او تقولوا﴾
عطف على تقولوا وقرئ كلاهما بالياء على الالتفات من خطاب فاتبعوه واتقوا ﴿لو انا انزل علينا الكتاب
لكنا اهدى منهم﴾ الى الحق الذي هو المقصد الاقصى والى ما في تضاعيفه من جلائل الاحكام
والشرائع ودقائقها لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاخبار
والخطب والاشعار ونحو ذلك طرفا صالحا ونحن اميون وقوله تعالى ﴿فقد جاءكم﴾ متعلق بمحذوف
ينبئ عنه الفاء الفصيحة اما معلل بان لا تعتذروا وبذلك فقد جاءكم الخ واما شرط لها اي ان صدقتم فيما كنتم
تعدون من انفسكم من كونكم اهدى من الطائفتين على تقدير نزول الكتاب عليكم فقد حصل ما فرضتم وجاءكم ﴿بينة﴾
واي بينة اي حجة واضحة لا يكتنه كنهها وقوله تعالى ﴿من ربكم﴾ متعلق بجاءكم او بمحذوف هو صفة لبينة
اي بينة كائنة منه تعالى وايا ما كان ففيه دلالة على فضلها الاضافي كما ان في تنوينها التفخيمي دلالة على فضلها
الذاتي وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم مزيد تأكيد لايجاب الاتباع ﴿وهدى ورحمة﴾
عطف على بينة وتنوينهما ايضا تفخيمي عبر عن القرآن بالبينة ايذانا بكمال تمكنهم من دراسته ثم بالهدى والرحمة
تنبيها على انه مشتمل على ما اشتمل عليه التورية من هداية الناس ورحمتهم بل هو من الهداية في الغاية
لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان مجيء القرآن المشتمل على الهدى والرحمة موجب لغاية اظلمية من يكذبه اي

ولما كان الامر كذلك فمن اظلم ممن كذب بايات الله ووضع الموصول موضع ضميرهم بطريق الالتفات تنصيص على اتصافهم
بما في حيز الصلة واشعار بعلة الحكم واسقاط لهم عن رتبة الخطاب وعبر عما جاءهم بآيات الله تعالى
تهويلا للامر وتنبيها على ان تكذيب اي آية كانت من آيات الله تعالى كاف في الاظلمية فما ظنك
بتكذيب القرآن المنطوي على الكل والمعنى انكار ان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان
لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد
به حتما بحكم العرف الفاشي والاستعمال المطرد انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وقد مر مرارا
وصدف عنها اي صرف الناس عنها فجمع بين الضلال والاضلال سنجزي الذين يصدفون الناس
عن آياتنا وعيد لهم ببيان جزاء اضلالهم بحيث يفهم منه جزاء ضلالهم ايضا ووضع الموصول موضع
الضمير لتحقيق مناط الجزاء سوء العذاب اي العذاب السيء الشديد النكاية بما كانوا يصدفون اي
بسبب ما كانوا يفعلون الصدف والصرف على التجدد والاستمرار وهذا تصريح بما اشعر به اجراء الحكم على الموصول
من علية ما في حيز الصلة له هل ينظرون استئناف مسوق لبيان انه لا يتأتى منهم الايمان بانزال
ما ذكر من البينات والهدى وانهم لا يرعوون عن التمادي في المكابرة واقتراح ما ينافي الحكمة التشريعية
من الآيات الملجئة وان الايمان عند اتيانها مما لا فائدة له اصلا مبالغة في التبليغ والانذار وازاحة
العلل والاعذار اي ما ينتظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك حسبما اقترحوا بقولهم لولا انزل علينا
الملائكة او نرى ربنا وبقولهم او تأتي بالله والملائكة قبيلا وبقولهم لولا انزل عليه ملك ونحو ذلك او الا
ان تأتيهم ملائكة العذاب او يأتي امر ربك بالعذاب والانتظار محمول على التمثيل كما سيجيء وقرئ يأتيهم
بالياء لان تأنيث الملائكة غير حقيقي او يأتي بعض آيات ربك اي غير ما ذكر كما اقترحوا بقولهم او تسقط
السماء كما زعمت علينا كسفا ونحو ذلك من عظائم الآيات التي علقوا بها ايمانهم والتعبير عنها بالبعض
للتهويل والتفخيم كما ان اضافة الآيات في الموضعين الى اسم الرب المنبئ عن المالكية الكلية لذلك
واضافته الى ضميره صلى الله عليه وسلم للتشريف وقيل المراد بالملائكة ملائكة الموت وباتيانه سبحانه وتعالى
اتيان كل آيه بمعنى آيات القيامة والهلاك الكلي بقرينة ما بعده من اتيان بعض آياته تعالى على ان المراد به
اشراط الساعة التي هي الدخان ودابة الارض وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب
والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن
كما نطق به الحديث الشريف المشهور وحيث لم يكن اتيانه من الامور التي ينتظرون كاتيان ما اقترحوه
من الآيات فان تعليق ايمانهم بها انتظار منهم لها بهذا حمل الانتظار على التمثيل المبني على تشبيه
حالهم في الاصرار على الكفر والتمادي في العناد الى ان تأتيهم تلك الامور الهائلة التي لا بد لهم من اتيانها
عند حشرهم البتة بحال المنتظرين لها وانت خبير بان النظم الكريم بسياقه المنبئ عن تماديهم في تكذيب
آيات الله تعالى وعدم الاعتداد بها وسياقه الناطق بعدم نفع الايمان عند اتيان ما ينتظرونه يستدعي
ان يحمل ذلك على امور هائلة مخصوصة بهم اما بان يكون عبارة عما اقترحوه او على عقوبات مترتبة على جناياتهم
كاتيان ملائكة العذاب واتيان امره تعالى بالعذاب وهو الانسب لما سيأتي من قوله تعالى قل انتظروا
انا منتظرون فاما حمله على ما ذكر من اتيان ملائكة الموت واتيان كل آيات القيامة وظهور اشراط الساعة

مع شمول اتيانها لكل بر وفاجر واشتمال غائلتها على كل مؤمن وكافر مما لا يناسب هذا المقام على ان بعض
اشراط الساعة ليس مما ينسد به باب الايمان والطاعة نعم يجوز حمل بعض الآية في قوله عز وعلا يوم يأتي
بعض آيات ربك على ما يعم مقترحاتهم وغيرها من الدواهي العظام السالبة للاختيار الذي عليه يدور فلك التكليف
فانه بمنزلة الكبرى من الشكل الاول فيتم الترتيب بدخول ما ينتظرونه في ذلك دخولا اوليا ويوم منصوب بقوله
لا ينفع فان امتناع عمل ما بعد لا فيما قبلها خاص بما اذا كان جواب القسم وقرئ يوم بالرفع على الابتداء والخبر
هو الجملة والعائد محذوف اي لا ينفع فيه نفسا من النفوس ايمانها ح لانكشاف الحال وكون
الامر عيانا ومدار قبول الايمان يكون بالغيب كقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقرئ
لا تنفع بالتاء الفوقانية لاكتساب الايمان من ملابسة المضاف اليه تأنيثا وقوله عز وجل لم تكن آمنت
من قبل اي من قبل اتيان بعض الآيات صفة لنفسا فصل بينهما بالفاعل لاشتماله على ضمير الموصوف
ولا ضير فيه لانه غير اجنبي منه لاشتراكهما في العامل وقوله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت بايراد
الترديد على النفي المقيد لكفاية احد النفيين في عدم النفع والمعنى انه لا ينفع الايمان ح نفسا لم تقدم
ايمانها او قدمته ولم تكسب فيه خيرا ومن ضرورته اشتراط النفع بتحقق الامرين اي الايمان المقدم والخير المكسوب فيه معا
بمعنى ان النفع هو تحققهما والايمان المؤخر لغو وتحصيل للحاصل لان النافع وجودهما شرطا في نفعه كالاول
كان المقدم المؤخر بالذات فان ذلك لا ينفع الصوم والصدقة من لم يؤمن قبلهما معناه انهما ينفعانه عند وقوعهما
بعد الايمان وقد استدل به اهل الاعتزال على عدم اعتبار المجرد عن الاعمال وليس بناهض ضرورة صحة حمله
على نفي الترديد المستلزم لعموم المقيد بمنطوقه لاشتراط عدم النفع بعدم الامرين معا وبمفهومه لاشتراط
النفع بتحقق احدهما بطريق منع الخلو دون الانفصال الحقيقي فالمعنى انه لا ينفع الايمان ح نفسا لا يصدر
عنها من قبل احد الامرين اما الايمان المجرد والخير المكسوب فيه فيتحقق النفع باي منهما كان حسبما نطق به النصوص الكريمة
من الآيات والاحاديث وما قيل من ان عدم الايمان السابق مستلزم لعدم كسب الخير فيه بالضرورة
فيكون ذكره تكرارا بلا فائدة على ان الموجب للخلود في النار هو العدم الاول من غير ان يكون للثاني دخل ما
في ذلك قطعا فيكون ذكره بصدد بيان ما يوجب الخلود لغوا من الكلام لغو مبني على توهم ان المقصود وصف
النفس بالعدمين المذكورين بمجرد بيان ايجابهما للخلود فيها وعدم نفع الايمان الحادث في نجاتها عنه وليس
كذلك والا لكفى في البيان ان يقال لا ينفع نفسا ايمانها الحادث بل المقصد الاصلي من وصفها بذينك العدمين
في اثناء بيان عدم نفع الايمان الحادث تحقيق ان موجب النفع احدى ملكتيها اعني الايمان السابق
والخير المكسوب فيه بما ذكر من الطريقة والترغيب وتحصيلهما في ضمن التحذير من تركهما ولا سبيل الى ان يقال
كما ان عدم الاول مستقل في ايجاب الخلود في النار فليلغوا ذكر عدم الثاني كذلك وجوده مستقل في ايجاب
الخلاص عنها فيكون ذكر الثاني لغوا لانه قياس مع الفارق كيف لا والخلود فيها امر لا يتصور فيه تعدد
العلل واما الخلاص عنها مع دخول الجنة فله مراتب بعضها مترتب على نفس الايمان وبعضها على فروعه المتفاوتة
كما وكيفا وانما لم يقتصد على بيان ما يوجب اصل النفع وهو الايمان السابق مع انه هو المقابل لما لا يوجبه
اصلا اعني الايمان الحادث بل قرن به ما يوجب النفع الزائد ايضا ارشادا الى تحري الاعلى وتنبيها على كفاية الادنى
واقناطا للكفرة عما علقوا به اطماعهم الفارغة من اعمال البر التي عملوها في الكفر من صلة الارحام واعتاق الرقاب

وكشف الغمة واغاثة الملهوفين ودفع الاضطهاد ونحو ذلك مما هو من باب المكارم ببيان ان كل ذلك لغو
بحت لابتنائه على غير اساس حسبما نطق به قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كرماد اشتدت به الريح الاية ونحو ذلك
من النصوص الكريمة وان الايمان الحادث كما لا ينفعهم وحده لا ينفعهم بانضمام اعمالهم السابقة واللاحقة
وذلك ان تقول المقصود بوصف النفس بما ذكر من النفيين التعريض بحال الكفرة في تمردهم وتفريطهم في كل واحد
من الامرين الواجبين عليهم وان كان وجوب احدهما منوطا بالآخر كما في قوله تعالى عز وجل فلا صدق
ولا صلى تسجيلا بكمال طغيانهم وايذانا بتضاعف عقابهم لما تقرر من ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع
في حق المؤاخذة كما ينبئ عنه قوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة واذ تحققت هذا وقفت على ان
الاية الكريمة احق بان تكون حجة على المعتزلة من ان تكون حجة لهم هذا وقيل انها من باب اللف التقديري اي لا ينفع
نفسا ايمانها ولا كسبها في الايمان لم تكن آمنت من قبل او كسبت فيه وليس بواضح فان مبنى اللف التقديري ان
يكون المقدر من متممات الكلام ومقتضيات المقام قد ترك ذكره تعويلا على دلالة الملفوظ عليه واقتضائه اياه
كما حرر في تفسير قوله عز وجل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فانه قد طوي في المفصل
ذكر حشر المؤمنين ثقة بانباء التفصيل عنه اعني قوله تعالى فاما الذين آمنوا الاية ولا ريب في ان ما قدر
ههنا ليس مما يستدعيه قوله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا ولا هو من مقتضيات المقام لانه ليس مما وعدوه و
علقوه بايمانهم بما ذكر من الآيات كالايمان حتى يرد عليهم ببيان عدم نفعه ان ذلك مشروط لهم بعد ما اصابهم من
الدواهي اصابهم بما على الملاءة ولا زمانا في شيء منهم الكسب والعمل فيه وفيه من الاخلال بالمقام تهويل الخطب
وتقطيع الحال ما لا يخفى وقد اجيب عن الاستدلال بوجوه اخر تضاد ما اخر با اسقاط الاية الكريمة عن رتبة المعارضة
للنصوص القطعية المنبئة عن القوية الدالة على ما ذكر من كفاية الايمان المجرد عن العمل في الانجاء من العذاب الخالد
ولو بعد اللتيا والتي لما تقرر من ان الظني يعزل من معارضة القطعي قل انتظروا لهم بعد بيان حقيقة الحال على وجه
التهديد انتظروا ما تنتظرونه من اتيان احد الامور الثلاثة انا منتظرون لذلك وحينئذ
ما يحل بكم من سوء العاقبة وفيه تأييد لكون المراد بما ينتظرونه اتيان ملائكة العذاب او اتيان امره تعالى بالعذاب
كما اشير اليه وعدة ضمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بما يحل بالكفرة من العقاب ولعل ذلك
هو الذي شاهده يوم بدر والله سبحانه اعلم ان الذين فرقوا دينهم استئناف لبيان احوال اهل الكتاب
اثر بيان حال المشركين اي بددوه وبعضوه فتمسك بكل بعض منه فرقة منهم وقرئ فارقوا اي باينوا فان ترك
بعضه وان كان بأخذ بعض آخر منه ترك للكل ومفارقة له وكانوا شيعا اي فرقا تشيع كل فرقة
اماما لها قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى
اثنين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وستفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة كلهم في الهاوية
الا واحدة واستثناء الواحد من فرق كل من اهل الكتابين انما هو بالنظر الى العصر الماضي قبل النسخ واما
بعده فالكل في الهاوية وان اختلفت اسباب دخولهم فمعنى قوله تعالى لست منهم في شيء لست من البحث عن تفرقهم
والتعرض لمن يعارضك منهم بالمناقشة والمؤاخذة وقيل من قتالهم في شيء سوى تبليغ الرسالة واظهار شعائر
الدين الحق الذي امرت بالدعوة اليه فيكون منسوخا باية السيف وقوله تعالى انما امرهم الى الله
تعليل للنفي المذكور اي هو يتولى وحده امر اولهم وآخرهم ويدبره كيف يشاء حسبما تقتضيه الحكمة يؤاخذهم في الدنيا

متى شاء ويأمر بقتالهم اذا اراد وقيل المفرقون اهل البدع والاهواء الزائغة من هذه الامة ويرده ما مر
من اختلافهم والاعتذار بان معنى لست منهم في شيء حينئذ انك بريء منهم ومن مذهبهم وهم برآء منك يأباه التعليل
المذكور ثم ينبئهم اي يوم القيامة بما كانوا يفعلون عبر عن اظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة في انهما سببان
للعلم تنبيها على انهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته اي يظهر لهم على رؤوس الاشهاد ويعلمهم
اي شيء شنيع كانوا يفعلونه في الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء وقوله تعالى من جاء
بالحسنة فله عشر امثالها استئناف مبين لمقادير اجزية العاملين وقد صدر ببيان اجزية المحسنين المدلول
عليهم بذكر اضدادهم قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما يريد من عمل من المصدقين حسنة كتبت له عشر
حسنات اي من جاء يوم القيامة بالاعمال الحسنة من المؤمنين اذ لا حسنة بغير ايمان فله عشر حسنات امثالها
فضلا من الله عز وجل وقرئ عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء
الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر في العدد الخاص
ومن جاء بالسيئة اي بالاعمال السيئة كائنا من كان من العاملين فلا يجزى الا مثلها بحكم الوعد
واحدة بواحدة وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي امر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق الذي يدعون انهم عليه وقد فارقوه بالكلية
وتصدير الجملة بحرف التحقيق لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
لمزيد تشريفه اي قل لاولئك المفرقين ارشدني ربي بالوحي وبما نصب في الآفاق والانفس من الآيات التكوينية
الى صراط مستقيم موصل الى الحق وقوله تعالى دينا بدل من الى صراط فان محله النصب كما في قوله تعالى
ويهديك صراطا مستقيما او مفعول لفعل مضمر يدل عليه المذكور قيما مصدر نعت به مبالغة والقياس قوما
كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام وقرئ قيما وهو فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة
وان كان هو ابلغ منه باعتبار الصيغة ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم اي مائلا
عن الاديان الباطلة وقوله تعالى وما كان من المشركين اعتراض مقرر لنزاهته عليه السلام عما عليه المفرقون لدينهم من
عقد وعمل اي ما كان منهم في امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك ردا على الذين يدعون انهم على ملته عليه السلام
من اهل مكة واليهود المشركين بقولهم عزير بن الله والنصارى المشركين بقولهم المسيح بن الله قل ان صلاتي ونسكي
اعيد الامر لما ان المأمور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق باصولها اي عبادتي كلها وقيل وذبحي جمع
بينه وبين الصلوة كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل صلوتي وحجي ومحياي ومماتي اي وما انا عليه
في حياتي واموت عليه عند موتي من الايمان والطاعة او طاعة الحيات والخيرات المضافة الى الممات كالوصية
والتدبير وقرئ محياي بسكون الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا شركة
فيها لغيره وبذلك اشارة الى الاخلاص وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل اي
بذلك الاخلاص امرت لا بشيء غيره وقوله تعالى وانا اول المسلمين لبيان مسارعته عليه السلام الى الامتثال
بما امر به وان ما امر به ليس من خصائصه عليه السلام بل الكل مأمورون به ويقتدي به عليه السلام من اسلم منهم قل
اغير الله ابغي ربا اي اغير الله اشركه في العبادة وهو رب كل شيء جملة حالية مؤكدة للانكار اي والحال ان كل ما سواه
مربوب له مثلي فكيف يتصور ان يكون شريكا له في المعبودية ولا تكسب كل نفس الا عليها كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا

سبيلنا ولنحمل خطاياكم اما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم وبمعنى لنحمل يوم القيمة ما كتب عليكم
من الخطايا فهذا ابطاله بالمعنى الاول اى لا يكون جناية نفس من النفوس الا عليها ومحال ان يكون
صدورها عن شخص وقرارها على شخص آخر حتى يتأتى ما ذكرتم وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى رد له
بالمعنى الثانى اى لا تحمل يومئذ نفس حاملة حمل نفس اخرى حتى يصح قولكم ثم الى ربكم مرجعكم تلوين
للخطاب وتوجيه له الى الكل لتأكيد الوعد وتشديد الوعيد اى مالك امر رجوعكم يوم القيمة فينبئكم
يومئذ بما كنتم فيه تختلفون ببيان الرشد من الغى وتمييز الحق من الباطل وهو الذى جعلكم خلائف الارض
حيث خلفتم الامم السالفة او يخلف بعضكم بعضا او جعلكم خلفاء الله تعالى فى ارضه وتتصرفون فيها
على الخطاب عام ورفع بعضكم فى الشرف والغنى فوق بعض درجات كثيرة متفاوتة
ليبلوكم فيما آتيكم من المال والجاه اى ليعاملكم معاملة من يبتليكم لينظر ماذا تعملون من الشكر وضده
ان ربك تجريد للخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع اضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام لابراز
مزيد اللطف به عليه السلام سريع العقاب اى عقابه سريع الاتيان لمن لم يراع حقوق
ما آتاه الله ولم يشكره لان كل آت قريب او سريع التمام عند ارادته لتعاليه عن استعمال المبادى
والآلات وانه لغفور رحيم لمن راعاها كما ينبغى وفى جعل خبر هذه الجملة من الصفات الذاتية الواردة
على بناء المبالغة مؤكدا باللام مع جعل خبر الاولى صفة جارية على غير من هى له من التنبيه على انه تعالى
غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما فاعل للعقوبة بالعرض مسامح فيها ما لا يخفى والله تعالى اعلم عن النبى
صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل
بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى الله عليه واستغفر اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من
سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية وهى مائتان وست آيات

المص [illegible] مسرود على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين فى فاتحة سورة
البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والتقدير هذا المص اى مسمى
به وتذكير اسم الاشارة مع تأنيث المسمى لما ان الاشارة اليه من حيث انه مسمى بالاسم المذكور لا من حيث انه مسمى بالسورة
وانما صحت الاشارة اليه مع عدم سبق ذكره لما انه باعتبار كونه بصدد الذكر صار فى حكم الحاضر المشاهد
وقوله عز وجل كتاب على الوجه الاول خبر مبتدأ محذوف وهو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كانه قيل
المؤلف من جنس هذه الاحرف مرادا به السورة كتاب الخ واسم الاشارة المقدر اليه تنزيل المعنون منزلة المؤلف
اى هذا الكتاب الخ وعلى الوجه الثانى خبر بعد خبر جئ به اثر بيان كونه مسمى باسم بديع منبئ عن غرابته
فى نفسه ابانة لجلالة محله ببيان كونه فردا من افراد الكتب الالهية حائزا للكمالات المختصة بها وقد جوز
كونه خبرا والمص مبتدأ اى المسمى بالمص كتاب وقد عرفت ما فيه من ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه
ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا عهد بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها
انزل اليك اى من جهته تعالى بنى الفعل للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء
عن التصريح بالفاعل لغاية ظهور تعينه وهو السر فى ترك ذكر مبدأ الانزال كما فى قوله تعالى جل ذكره

بلغ ما انزل اليك من ربك ونظائره والجملة صفة للكتاب مشرفة له ولمن انزل اليه وجعله خبرا على معنى كتاب
عظيم الشأن انزل اليك خلاف الاصل فلا يكن فى صدرك حرج اى شك كما فى قوله تعالى فان كنت
فى شك مما انزلنا اليك خلا انه عبر عنه بما يلازمه من الحرج فان الشاك يعتريه ضيق الصدر كما ان المتيقن يعتريه
انشراحه وانما وجه النهى اليه مبالغة فى تنزيه ساحته عليه السلام عن نسبة الشك اليه ولو فى ضمن النهى فانه من الاحوال
القلبية التى يستحيل اعتراؤه اياه عليه السلام وما قد يقع من نسبته اليه فى ضمن النهى بطريق التهييج والالهاب
والمبالغة فى التنفير والتحذير بايهام ان ذلك من القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه
اصلا فكيف بمن يمكن ذلك منه والتنوين للتحقير والجار فى قوله تعالى منه متعلق بحرج يقال حرج
منه اى ضاق به صدره او بمحذوف وقع صفة له اى حرج كائن منه اى لا يكن فيك شك ما فى حقيته او فى كونه
كتابا منزلا اليك من عنده تعالى فالفاء على الاول لترتيب النهى او الانتهاء على مضمون الجملة فانه مما يوجب
انتفاء الشك فيما ذكر بالكلية وحصول اليقين به قطعا واما على الثانى ففى ترتيب ما ذكر على الاخبار بذلك
لا على نفسه فتدبر وتوجيه النهى عن الشئ مما يوهم امكان صدوره والنهى عنه عن المنهى اما للمبالغة فى النهى فان
وقوع الشك فى صدره عليه السلام سبب لاتصافه عليه السلام به والنهى عن المسبب بالطريق البرهانى ونفى له
عن اصله بالمرة كما فى قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية وليس هذا من قبيل لا ارينك ههنا
فان النهى هناك وارد على المسبب مرادا به النهى عن السبب فيكون المآل نهيه عليه السلام عن تعاطى ما يورث
الحرج فتأمل وقيل الحرج على حقيقته اى لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة ان يكذبوك او ان تقصر
فى القيام بحقه فانه عليه السلام كان يخاف تكذيب قومه له واعراضهم عنه فكان يضيق صدره من الاداء ولا
ينبسط له فآمنه الله عز وجل ونهاه عن المبالاة بهم والفاء حينئذ للترتيب على مضمون الجملة او على الاخبار
به فان كلا منهما موجب للاقدام على التبليغ وزوال الخوف قطعا وان كان ايجاب الثانى بواسطة
الاول وقوله تعالى لتنذر به اى بالكتاب المنزل متعلق بانزل وما بينهما اعتراض توسط بينهما
تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وحسما لتوهم ان مورد الشك هو الانزال للانذار وقيل متعلق بالنهى
فان انتفاء الشك فى كونه منزلا من عنده تعالى موجب للانذار به قطعا وكذا انتفاء الخوف منهم او العلم
بانه موفق للقيام بحقه موجب للتجاسر على ذلك وانت خبير بانه لا يتأتى على التفسير الاول لان تعليل النهى عن
الشك بما ذكر من الانذار والتذكير مع ايهامه لامكان صدوره عنه عليه السلام مشعر بان المنهى عنه ليس بمحذور
لذاته بل لافضائه الى فوات الانذار والتذكير لا اقل من الايذان بان ذلك معظم غائلته ولا ريب فى فساده
واما على التفسير الثانى فانما يتأتى التعليل بالانذار لا بتذكير المؤمنين اذ ليس فيه شائبة خوف حتى يجعل غايته
لانتفائه وقوله تعالى وذكرى للمؤمنين فى حيز النصب باضمار فعله معطوفا على لتنذر اى وتذكر المؤمنين
تذكيرا والجر عطفا على محل ان تنذر اى للانذار والتذكير وقيل مرفوع عطفا على كتاب او خبر لمبتدأ
محذوف وتخصيص التذكير بالمؤمنين للايذان باختصاص الانذار بالكفرة اى لتنذر به المشركين
وتذكر المؤمنين وتقديم الانذار لانه اهم بحسب المقام اتبعوا ما انزل اليكم كلام مستأنف
خوطب به كافة المكلفين بطريق التلوين وامروا باتباع ما امر النبى صلى الله عليه وسلم قبله بتبليغه
بطريق الانذار والتذكير وجعله منزلا اليهم بواسطة انزاله اليه عليه السلام اثر ذكر ما يجب من الانذار

والتنكير لتأكيد وجوب اتباعه وقوله تعالى من ربكم متعلق بانزل على ان من لابتداء الغاية مجازا او
بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره في الصلة وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين
مزيد لطف بهم وترغيب لهم في الامتثال بما امروا به وتأكيد لوجوبه وجعل ما انزل ههنا عاما للسنة القولية والفعلية
بعيد نعم يعمهما حكمه بطريق الدلالة لا بطريق العبارة ولما كان اتباع ما انزل الله تعالى اتباعا له تعالى عقب الامر
بذلك بالنهي عن اتباع غيره تعالى فقيل ولا تتبعوا من دونه اى من دون ربكم الذي انزل اليكم ما يهديكم
الى الحق ومحل النصب على انه حال من فاعل فعل النهي اى لا تتبعوا متجاوزين الله تعالى اولياء من الجن
والانس فان تقبلوا منهم ما يلقونه اليكم بطريق الوسوسة والاغواء من الاباطيل ليضلوكم عن الحق ويحملوكم
على البدع والاهواء الزائغة او من اولياء قدم عليه لكونه نكرة اذ لو اخر عنه لكان صفة له اى اولياء كائنة
غيره تعالى وقيل الضمير للموصول على حذف المضاف في اولياء اى ولا تتبعوا من دون ما انزل اباطيل اولياء كأنه
قيل ولا تتبعوا من دون دين ربكم دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا كما في قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا
وقوله تعالى قليلا ما تذكرون بحذف احدى التائين وتخفيف الذال وقرئ بتشديدها على ادغام التاء المهموسة في الذال
المجهورة وقرئ يتذكرون على صيغة الغيبة وقليلا نصب اما بما بعده على انه نعت لمصدر محذوف مقدم للقصر والزمان
كذلك محذوف وما مزيدة لتأكيد القلة اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون لا كثيرا حيث لا تتأثرون بذلك ولا تعملون
بموجبه وتتركون دين الله تعالى وتتبعون غيره ويجوز ان يراد بالقلة العدم كما قيل في قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون
والجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات على القراءة الاخيرة للايذان باقتضاء
سوء حالهم في عدم الامتثال بالامر والنهي صرف الخطاب عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة واما نصب على انه
حال من فاعل لا تتبعوا وما مصدرية مرتفعة به اى لا تتبعوا من دونه اولياء قليلا تذكركم لكن لا على توجيه النهي
الى المقيد فقط كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل الى المقيد والقيد جميعا وتخصيصه بالذكر لمزيد تقبيح
حالهم بجمعهم بين المنكرين وكم من قرية اهلكناها شروع في انذارهم بما جرى على الامم الماضية بسبب اعراضهم عن اتباع
دين الله تعالى واصرارهم على اتباع دين اوليائهم وكم خبرية للتكثير في موضع رفع على الابتداء كما في قولك زيد ضربته
والخبر هو الجملة بعدها ومن قرية تمييز والضمير في اهلكناها راجع الى معنى كم اى كثيرا من القرى اهلكناها او في موضع نصب
باضمار فعل يفسره اهلكناها كما في قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر والمراد باهلاكها ارادة اهلاكها كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة
اى اردنا اهلاكها فجاءها اى فجاء اهلها بأسنا اى عذابنا بياتا مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع
الحال اى بائتين كقوم لوط او هم قائلون عطف عليه وقائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت
الواو من الحال حرف عطف قد استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير كما في جاءني زيد هو فارس فانه غير فصيح وتخصيص الحين
بالعذاب لما ان نزول المكروه عند الغفلة والدعة افظع وحكايته للسامعين ازجر واردع عن الاغترار باسباب الامن
والراحة ووصف الكل بوصفي البيات والقيلولة مع ان بعض المهلكين بمعزل منهما لا سيما القيلولة للايذان بكمال غفلتهم
وامنهم فما كان دعواهم اى دعاؤهم واستغاثتهم ربهم او ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم
اذ جاءهم بأسنا عذابنا وعاينوا اماراته الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا
عليه وشهادتهم ببطلانه تحسرا عليه وندامة وطمعا في الخلاص وهيهات ولات حين نجاة فلنسألن الذين ارسل
اليهم بيان لعذابهم الاخروي اثر بيان عذابهم الدنيوي خلا انه قد تعرض لبيان مبادى احوال المكلفين جميعا

كونه

كونه ادخل في التهويل والفاء لترتيب الاحوال الاخروية على الدنيوية ذكرا حسب ترتبها عليها وجودا اى لنسألن الامم قاطبة
قائلين ماذا اجبتم المرسلين ولنسألن المرسلين عما اجيبوا قال الله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا
اجبتم والمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والذي نفي بقوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال
الاستعلام او الاول في موقف الحساب والثاني في موقف العقاب فلنقصن عليهم اى على الرسل حين يقولوا
لا علم لنا انك انت علام الغيوب او عليهم وعلى الرسل اليهم جميعا ما كانوا عليه بعلم اى عالمين
بظواهرهم وبواطنهم او بمعلوماتنا منهم وما كنا غائبين عنهم في حال من الاحوال فيخفى علينا شيء من اعمالهم
واحوالهم والجملة تذييل مقرر لما قبلها والوزن اى وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وجيدها
ورديها ورفعه على الابتداء وقوله تعالى يومئذ خبره وقوله تعالى الحق صفته اى والوزن
الحق ثابت يوم اذ يكون السؤال والقص وقيل خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما ذلك الوزن فقيل الحق اى العدل
السوي وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن والجمهور على ان صحائف الاعمال هي التي توزن بميزان له لسان وكفتان
ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترف بها السنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم
الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت في صحائفهم فيقرؤونها في موقف الحساب ويؤيده ما روي ان الرجل
يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلا مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمة الشهادة فتوضع السجلات
في كفة والبطاقة في كفة فتطيش السجلات وتثقل البطاقة وقيل توزن الاشخاص عنه عليه السلام انه ليأتي العظيم
السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وبه
قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين بناء على ان استعمال لفظ الوزن في هذا المعنى
شائع في اللغة والعرف بطريق الكناية قالوا ان الميزان انما يراد به التوصل الى معرفة مقادير الشيء ومقادير اعمال
العباد لا يمكن اظهارها بذلك لانها اعراض قد فنيت وعلى تقدير بقائها لا تقبل الوزن وقيل ان الاعمال الظاهرة
في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح حتى ان الذنوب
والمعاصي تتجسم هناك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى
الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وكذا قوله عليه السلام في حق من يشرب من انا
الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك الا يرى ان العلم يظهر في عالم المثال على صورة
اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه يؤتى بالاعمال الصالحة
على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان ان قيل ان المكلف يوم القيمة اما مؤمن
بانه تعالى حكيم منزه عن الجور فيكفيه حكمه تعالى بكيفيات الاعمال وكمياتها واما منكر له فلا يسلم حينئذ رجحان بعض
الاعمال على بعض لخصوصيات راجعة الى ذوات الاعمال بل يسنده الى اظهار الله تعالى اياه على ذلك الوجه
فما الفائدة في الوزن اجيب بانه ينكشف الحال يومئذ ويظهر جميع الاشياء بحقائقها على ما هي عليه وباوصافها
واحوالها في انفسها من الحسن والقبح وغير ذلك وتخلع على الصور المستعارة التي بها ظهرت في الدنيا فلا يبقى لاحد ممن
يشاهدها شبهة في انها هي التي كانت في الدنيا بعينها وان كل واحد منها قد ظهر في هذه النشأة بصورته الحقيقية
المستتبعة لصفاته ولا يخطر بباله خلاف ذلك والله تعالى اعلم فمن ثقلت موازينه تفصيل للاحكام
المترتبة على الوزن والموازين اما جمع ميزان او جمع موزون على ان المراد به ما له وزن وقدر وهو الحسنات

فانّ رجحان احدهما مستلزم لرجحان الآخر اى فمن رجحت موازينه التى توزن بها حسناته او اعماله التى توزن ۞
وعن الحسن البصرى رضى وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف ﴿فاولئك﴾
۞ اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بثقل الموازين والجمعية باعتبار معناه كما ان جمع الموازين لذلك
وافراد موازينه واما صح اليه باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم فى الفضل والشرف ﴿هم المفلحون﴾
۞ الفائزون بالنجاة والثواب وهم اما ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص
المسند بالمسند اليه او مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحون للدلالة على انهم الناس الذين بلغك
انهم مفلحون فى الآخرة او اشارة الى مايعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم ﴿ومن خفت موازينه﴾
۞ اى موازين اعماله او اعماله التى لا وزن لها ولا اعتداد بها وهى اعماله السيئة ﴿فاولئك﴾
اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بتلك الصفة القبيحة والجمعية ومعنى البعد لما مرّ آنفا فى نظيره وهو مبتدا وخبره ﴿الذين خسروا انفسهم﴾
۞ اى ضيعوا الفطرة السليمة التى فطروا عليها وقد ايدت بالآيات البينة وقوله تعالى ﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾
۞ متعلق بخسروا وما مصدرية وبآياتنا متعلق بيظلمون على تضمين معنى
التكذيب وقدم عليه لمراعاة الفواصل والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على استمرار الظلم فى الدنيا
اى فاولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم المستمر بآياتنا ظالمين ﴿ولقد مكناكم فى الارض﴾
۞ لما امر الله سبحانه اهل مكة باتباع ما انزل اليهم ونهاهم عن اتباع غيره وبين لهم وخامة عاقبته
بالاهلاك والعذاب المخلد فى الآخرة ذكرهم ما افاض عليهم من فنون النعم الموجبة للشكر ترغيبا فى الامتثال
بالامر والنهى اثر ترهيب اى جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا ومكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾
۞ المعايش جمع معيشة وهى ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما
يتوصل به الى ذلك والوجه فى قراءته اخلاص الياء وعن ابن عامر انه همزه تشبيها بصحائف ومدائن والجعل بمعنى الانشاء
والابداع اى انشأنا وابدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها اسبابا تعيشون بها وكل واحد من الظرفين متعلق به
او بمحذوف وقع حالا من مفعوله المنكر فلو تأخر لكان صفة له وتقديمهما على المفعول مع ان حقهما التأخر عنه
لما مر غير مرة من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تأخير ما حقه التقديم لاسيما عند
كون المقدم منبئا عن منفعة للسامع تبقى مترقبة لورود المؤخر فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن واما
تقديم اللام على فى فلما انه المنبئ عما ذكر من المنفعة فالاعتناء بشأنه اتم والمسارعة الى ذكره اهم هذا وقد قيل
ان الجعل متعد الى مفعولين ثانيهما احد الظرفين على انه مستقر قدم على الاول والظرف الآخر اما لغو متعلق بالجعل او
بالمحذوف الواقع حالا من المفعول الاول كما مرّ وانت خبير بانه لا فائدة معتدا بها فى الاخبار بجعل المعايش حاصلة لهم
او حاصلة فى الارض وقوله تعالى ﴿قليلا ما تشكرون﴾ ۞ اى تلك النعم تذييل مسوق لبيان سوء حال المخاطبين
وتحذيرهم وتعيينا لكلام فيه عين ما مر فى نظيره قوله تعالى قليلا ما تذكرون ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ ۞ تذكير
لنعمة عظيمة فائضة على آدم عليه السلام سارية الى ذريته موجبة لشكرهم كافة وتأخيره عن تذكير ما وقع بعده
من نعمة التمكين فى الارض اما لانها فائضة على المخاطبين بالذات وهذه بالواسطة واما للايذان بان كلا منهما
نعمة مستقلة مستوجبة للشكر على حيالها فان رعاية الترتيب الوقوعى ربما تؤدى الى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر
فى قصة البقرة وتصدير الجملتين بالقسم وحرف التحقيق لاظهار كمال العناية بمضمونها وانما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين

مع ان المراد بهما خلق آدم عليه السلام وتصويره حتما توفية لمقام الامتنان حقه وتأكيدا لوجوب الشكر عليهم
كسجود الملائكة له عليه السلام بل من الامور السارية الى ذريته جميعا اذ الكل مخلوق فى ضمن خلقه على نمطه ومصنوع
على شاكلته فكأنهم الذين تعلق به خلقه وتصويره اى خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه ابدع تصوير واحسن
تقويم سار اليكم جميعا ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ صريح فى انه ورد بعد خلقه عم وتسويته ونفخ الروح فيه امر
منجز غير الامر المعلق الوارد قبل ذلك بقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين
وهو المراد بما حكى بقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية فى سورة البقرة وسورة بنى اسرائيل
وسورة الكهف وسورة طه من غير تعرض لوقته وكلمة ثم ههنا يقتضى تراخيه عن التصوير من غير تعرض
لبيان ما جرى بينهما من الامور وقد بينا فى سورة البقرة ان ذلك ظهور فضل آدم عم بعد المحاورة المسبوقة
بالاخبار باستخلافه عليه السلام حسبما نطق به قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض
خليفة الى قوله تعالى وما كنتم تكتمون فان ذلك ايضا من جملة ما نيط به الامر المعلق من التسوية ونفخ الروح وعدم ذكره عند
الحكاية لا يقتضى عدم ذكره عند وقوع المحكى كما ان عدم ذكر الامر المعلق عند حكاية الامر المنجز لا يستلزم عدم مسبوقيته به
فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة يقتضيها المقام ليست بعزيزة فى الكلام العزيز فلعله عز وجل القى الى الملائكة
عليهم السلام اولا جميع ما يتوقف عليه الامر المنجز اجمالا بان قيل مثلا انى خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة
فى الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحى وتبين لكم فضله فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه فنفخ فيه من روحى
فقالوا عند ذلك ما قالوا اوالقى اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المذكورة بان قيل اثر نفخ الروح انى جاعل هذا خليفة
فى الارض فهنالك ذكروا فى حقه عم ما ذكروا فايده تعالى بتعليم الاسماء فشاهدوا منه عم ما شاهدوا فعند ذلك
ورد الامر المنجز اعتناء بشأن المأمور به وايذانا بوقته وقد حكى بعض الامور المذكورة فى بعض المواطن وبعضها فى بعض
اكتفاء بما ذكر فى كل موطن عما ترك فى موطن آخر والذى يرفع غشاوة الاشتباه عن البصائر السليمة ان ما فى سورة ص
من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة الآية بدل من قوله اذ يختصمون فيما قبل من قوله ما كان لى من علم بالملأ الاعلى اذ
يختصمون اى بكلامهم عند اختصامهم ولا ريب فى ان المراد بالملأ الاعلى الملائكة وآدم عم وابليس حسبما اطبق عليه جمهور
المفسرين وباختصامهم ما جرى بينهم فى شأن الخلافة من التقاول الذى من جملته ما صدر عنه عم من الانباء بالاسماء
ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور فى تضاعيف ما شرح فيه مفصلا من الامر المعلق وما علق به من الخلق
والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة وعناد ابليس ولعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده
من الافعال والاقوال واذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس وطرده من البين لما عرفت من انه
احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة فاذن هو بعد نفخ الروح وقبل السجود وبعد الطريقين المذكورين والله تعالى
اعلم ﴿فسجدوا﴾ ۞ اى الملائكة عليهم السلام بعد الامر من غير تلعثم ﴿الا ابليس﴾ استثناء متصل لانه كان
جنيا مغمورا بالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه فى فسجدوا ثم استثنى استثناء واحد منهم او لان
من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما مر فى سورة البقرة فقوله تعالى ﴿لم يكن من الساجدين﴾ ۞ اى ممن
سجد لآدم عليه السلام كلام مستأنف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان عدم السجود قد يكون للتأمل
ثم يقع السجود وبه علم انه لم يقع قط وقيل منقطع فحينئذ يكون متصلا بما بعده اى لكن ابليس لم يكن من الساجدين
﴿قال﴾ ۞ استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشأ من حكاية عدم سجوده كانه قيل فماذا قال الله تعالى ۞

وبه يظهر وجه الالتفات الى الغيبة اذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه المخاطبة وفيه فائدة اخرى هي الاشعار
بعدم تعلق المحكي بالمخاطبين كما في حكاية الخلق والتصوير ما منعك ان لا تسجد اي ان تسجد كما وقع في
سورة ص ولا مزيدة مؤكدة لمعنى الفعل الذي دخلت عليه كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب
منبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكأنه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد
اذ امرتك قيل فيه دلالة على ان مطلق الامر للوجوب والفور وفي سورة الحجر يا ابليس ما لك الا
تكون مع الساجدين وفي سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي واختلاف العبارات عند الحكاية
يدل على ان اللعين قد ادمج في معصيته واحدة ثلاث معاص مخالفة الامر ومفارقة الجماعة والاباء
عن الانتظام في سلك اولئك المقربين والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام وقد وبخ على كل واحدة
منها لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن آخر واشعارا بان كل واحدة منها
كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا في سورة البقرة وسورة
بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه قال استئناف كما سبق مبني على سؤال نشأ من حكاية
التوبيخ كأنه قيل فماذا قال اللعين عند ذلك فقيل قال انا خير منه متجانفا عن تطبيق جوابه على السؤال
بان يقول منعني كذا مدعيا لنفسه بطريق الاستئناف شيئا مستلزما لمنعه من السجود على زعمه ومشعرا بانه
من شأنه هذا او يحسن ان يسجد لمن دونه فكيف يحسن ان يؤمر به كما ينبئ عنه ما في سورة الحجر من قوله لم اكن
لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون فهو اول من اسس بنيانه على التكبر واخترع القول
بالحسن والقبح العقليين وقوله تعالى خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لما ادعاه من فضله عليه
ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبأ عنه
قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة على وجه الاعتناء به وما من جهة الصورة كما نبه
عليه بقوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجوده
عليه السلام حيث ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وان له خواص ليست لغيره وفي الآية
دليل على الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق البشر الى الطين والشياطين الى النار
باعتبار الجزء الغالب قال استئناف كما سلف والفاء في قوله تعالى فاهبط منها لترتيب
الامر على ما ظهر من اللعين من مخالفة الامر وتعليله بالاباطيل واصراره على ذلك اي فاهبط من الجنة والاضمار قبل
ذكرها لشهرة كونه من سكانها قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا في عدن لا في جنة الخلد وقيل من زمرة
الملائكة المعززين فان الخروج من زمرتهم هبوط واي هبوط وفي سورة الحجر فاخرج منها واما ما قيل من ان المراد
الهبوط من السماء فيرده ان وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد فلا بد ان يحمل على احد الوجهين
قطعا ويكون وسوسته على الوجه الاول بطريق النداء من باب الجنة كما روي عن الحسن البصري رضي الله عنه وقوله تعالى
فما يكون لك اي فما يصح ولا يستقيم لك ولا يليق بشأنك ان تتكبر فيها اي في الجنة او في زمرة
الملائكة تعليل للامر بالهبوط فان عدم صحة ان يتكبر فيها علة للامر المذكور فانها مكان المطيعين الخاشعين
ولا دلالة فيه على جواز التكبر في غيرها وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده لتكبره لا لمجرد
عصيانه وقوله تعالى فاخرج تأكيد للامر بالهبوط متفرع على علته وقوله تعالى انك من الصاغرين تعليل

الى الطين و م

للامر بالخروج مشعر بانه لتكبره اي من الاذلاء واهل الهوان على الله تعالى وعلى اوليائه لتكبره وعن عمر
رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وضعه الله تعالى
الى الارض قال استئناف كما مر مبني على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فماذا قال اللعين بعدما سمع
هذا الطرد المؤكد فقيل قال انظرني اي امهلني ولا تمتني الى يوم يبعثون اي آدم وذريته للجزاء
بعد فنائهم وهو وقت النفخة الثانية واراد اللعين بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت
لاستحالته بعد البعث قال انك من المنظرين وورود الجواب بالجملة الاسمية
مع التعرض لشمول ما سأله للآخرين على وجه يشعر بان السائل تبع لهم في ذلك صريح في انه اخبار بالانظار
المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتأخير الموت
اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتأخير العقوبة كما قيل اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه
الحكمة التكوينية الى وقت فناء غير ما استثناه الله تعالى من الخلائق وهو النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذي
هو المسؤول وقد ترك التوقيت للايجاز ثقة بما وقع في سورة الحجر وص كما ترك ذكر النداء والفاء في الاستنظار
والانظار تعويلا على ما ذكر فيهما بقوله عز وجل رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم
الوقت المعلوم وفي انظاره ابتلاء للعباد وتعريض للثواب ان قلت لا ريب في ان الكلام المحكي له عند صدوره
عن المتكلم حالة مخصوصة تقتضي وروده على وجه خاص من وجوه النظم بحيث لو اخل بشيء من ذلك سقط
الكلام عن رتبة البلاغة البتة فالكلام الواحد المحكي على وجوه شتى ان اقتضى الحال وروده على وجه من
تلك الوجوه الواردة عند الحكاية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة دون
ما عداه من الوجوه واذا تمهد هذا فنقول لا يخفى ان استنظار اللعين انما صدر عنه مرة واحدة لا غير
فمقامه ان اقتضى اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على ما حاق به من اللعن والطرد على نهج استدعاء
الجزاء في مقابلة الكفر كما هو المناسب لما وقع من قوله رب فانظرني حسبما حكي عنه في السورتين فما حكي ههنا يكون
بمعزل من المطابقة لمقتضى الحال فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز قلنا مقام الاستنظار مقتض
لما ذكر من اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على الحرمان المدلول عليه بالطرد والرجم وكذا مقام الانظار
مقتض لترتيب الاخبار بالانظار على الاستنظار وقد طبق الكلام عليه في تينك السورتين وفي كل واحد
من مقامي الحكاية والمحكي جميعا حظ واما ههنا فحيث اقتضى مقام الحكاية مجرد الاخبار بالاستنظار والانظار
سيقت الحكاية على نهج الايجاز والاختصار من غير تعرض لبيان كيفية كل منهما عند المخاطبة وكذا ان قلت فاذا
لا يكون ذلك نقلا للكلام على ما هو عليه ولا مطابقا لمقتضى المقام قلنا الذي يجب اعتباره في نقل الكلام انما
هو اصل معناه ونفس مدلوله الذي يفيده واما كيفية افادته له فليس مما يجب مراعاته عند النقل البتة بل قد تراعى وقد
لا تراعى حسب اقتضاء المقام ولا يقدح في اصل الكلام تجريده عنها بل قد يراعى عند نقله كيفيات وخصوصيات
لم يراعها المتكلم اصلا ولا يخل ذلك بكون المنقول اصل المعنى الا يرى ان جميع المقالات المنقولة في القرآن
الكريم انما تحكى بكيفيات واعتبارات لا يكاد يقدر على مراعاتها من تكلم بها حتما والا لما امكن صدور الكلام المعجز
عن البشر فيما اذا كان المحكي كلاما واما عدم مطابقته لمقتضى الحال فناشئ من الغفلة عما يجب توفير مقتضياته
من الاحوال فان ملاك الامر هو مقام الحكاية واما مقام وقوع المحكي فان كان مقتضاه موافقا لمقتضى مقام

الحكاية يؤتى بكل واحد من المعنيين حقه كما في سورة الحجر وسورة ص فان مقام الحكاية فيهما لما كان مقتضيا
لبسط الكلام وتفصيله على الكيفيات التي وقع عليها روعي حق المقامين معا واما في هذه السورة الكريمة فحيث
اقتضى مقام الحكاية الايجاز روعي جانبه الاهم اي ان المخاطب المنكر اذا كان ممن لا يفهم اصل المعنى وجب على المتكلم
ان يجرد كلامه عن التأكيد وسائر الخواص والمزايا التي يقتضيها المقام ويخاطبه بما يناسبه من الوجوه لكنه مع ذلك
يجب ان يقصد معنى زائدا يفهمه سامع آخر بليغ هو تجريده عن الخواص رعاية لمقتضى حال المخاطب الفهم وبذلك يرتقي كلامه
عن رتبة اصوات الحيوانات كما حقق في مقامه فاذا وجب مراعاة مقام الحكاية مع افضائها الى تجريد الكلام عن الخواص
والمزايا بالمرة فما ظنك بوجوب مراعاته مع تحلية الكلام بمزايا اخر يرتقي بها الى رتبة الاعجاز لا سيما اذا وفى حق
مقام وقوع المحكي في السورتين الكريمتين وكان هذا الايجاز مبنيا عليه وثقة به قال استئناف
كما مثله فبما اغويتني الباء للقسم كما في قوله تعالى فبعزتك لاغوينهم فان اغواءه تعالى اياه اثر من آثار
قدرته وعزته وحكم من احكام سلطانه تعالى فمآل الاقسام بهما واحد فلعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكي تارة
قسمه باحدهما واخرى بالآخر والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار وما مصدرية اي فاقسم باغوائك اياي
لاقعدن لهم او السببية على ان الباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بقوله لاقعدن لهم كما في الوجه الاول فان
اللام تصد عن ذلك اي فبسبب اغوائك اياي لاجلهم اقسم بعزتك لاقعدن لآدم وذريته ترصدا بهم كما يقعد
القطاع للقطع على السابلة صراطك المستقيم الموصل الى الجنة وهو دين الاسلام فانتصابه متفرع
على الظرفية وانتصابه على الظرفية كما في قوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل على نزع الجار تقديره على صراطك
كقولك ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من الجهات الاربع التي
يعتاد هجوم العدو منها مثل قصده اياهم للتسويل والاضلال من اي وجه يتيسر باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك
لم يذكر الفوق والتحت وعن ابن عباس رضي الله عنهما من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من جهة الدنيا وعن ايمانهم
وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم وقيل من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم
من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا
لعدم تيقظهم واحتياطهم ومن حيث لا يتيسر لهم ذلك وانما عدي الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه
اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف المتجافي عنهم المار على عرضهم ونظيره جلست عن يمينه ولا
تجد اكثرهم شاكرين اي مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى منهم مبدأ
الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة عليهم السلام قال استئناف كما مر اخرج منها مذؤما من ذأمه
اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول مدحورا مطرودا لمن تبعك
منهم اللام موطئة للقسم وجوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن
بكسر اللام على انه خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن جواب قسم محذوف
ومعنى منكم منك ومنهم على تغليب المخاطب ويا آدم اي وقلنا كما وقع في سورة البقرة وتصدير الكلام بالنداء
للتنبيه على الاهتمام بتلقي المأمور به وتخصيص الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته في تلقي الوحي وتعاطي المأمور به
اسكن انت وزوجك الجنة هو من السكنى الذي هو عبارة عن اللبث والاستقرار والاقامة لا من السكون الذي
هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن في اسكن ليصح العطف عليه والفاء في قوله فكلا من حيث شئتما

(هامش: الاصرت)

لبيان المراد مما في سورة البقرة في قوله تعالى وكلا منها رغدا حيث شئتما من ان ذلك كان جمعا مع
الترتيب وقوله تعالى من حيث شئتما ولم يذكر ههنا رغدا ثقة بما ذكر هناك وتوجيه الخطاب اليهما
لتعميم التشريف والايذان بتساويهما في مباشرة المأمور به فان حواء اسوة له عليه السلام في حق الاكل
بخلاف السكنى فانها تابعة له فيها ولتعليق النهي بهما صريحا في قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة
وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين اما جزم على العطف
او نصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما او تكلم لهما كلاما خفيا
متداركا متكررا وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق بيان
كيفية وسوسته في سورة البقرة ليبدي لهما اي ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض
على انه اراد بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوءة وفيه دليل
على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما ووري عنهما
من سوآتهما ما غطي وستر عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما
لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهورة كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوّاتهما
بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال عطف على وسوس
بطريق البيان ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة اي عن اكلها الا ان تكونا ملكين اي الا كراهة
ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة وليس فيه دلالة على افضلية الملائكة
لما ان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات
الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك بمعزل من الدلالة على الافضلية بالمعنى المتنازع فيه
وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما وصيغة المغالبة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول
وقيل قالا له اقسم بالله انك لمن الناصحين واقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة
وفيه تنبيه على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من الاعلى الى الاسفل
بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يقسم بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت
لهما سوآتهما فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما
وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او ظفرا
وطفقا يخصفان طفق من افعال الشروع والتلبس كاخذ وجعل وانشأ وعلق وهب وانبرى اي
اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ذلك ورق التين وقرئ يخصفان
من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من التخصيف ويخصفان اصله يختصفان وناداهما
ربهما مالك امرهما بطريق العتاب والتوبيخ الم انهكما وهو تفسير للنداء فلا محل له من الاعراب او معمول
لقول محذوف اي وقال الم انهكما عن تلكما الشجرة ما في اسم الاشارة من معنى البعد لما انه اشارة
الى الشجرة التي نهي عن قربانها واقل لكما عطف على انهكما اي الم اقل لكما ان الشيطان لكما عدو
مبين وهذا عتاب وتوبيخ على الاغترار بقول العدو كما ان الاول عتاب على مخالفة النهي قيل فيه دليل على ان
مطلق النهي للتحريم ولكما متعلق بعدو لما فيه من معنى الفعل او بمحذوف هو حال من عدو ولم يحك هذا القول ههنا

وقد حكي في سورة طه بقوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك الآية روي انه تعالى قال لآدم عليه السلام
الم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك
يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر
بالحرث فحرث وسقى وداس وذرى وعجن وخبز ۝ قالا ربنا ظلمنا انفسنا ۝ اي ضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج
من الجنة ۝ وان لم تغفر لنا ۝ ذلك ۝ وترحمنا لنكونن من الخاسرين ۝ وهو دليل على ان الصغائر يعاقب عليها ان لم
تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك حملوا قولهما ذلك على عادة المقربين في
استعظام الصغير من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات ۝ قال ۝ استيناف كما مر مرارا ۝ اهبطوا ۝ خطاب لآدم
وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا لهما ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم متفرقا كما في قوله تعالى
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ولم يذكر ههنا قبول توبتهما ثقة بما ذكر في سائر المواضع ۝ بعضكم لبعض عدو
۝ جملة حالية من فاعل اهبطوا اي متعادين ۝ ولكم في الارض مستقر ۝ اي استقرار
او موضع استقرار ۝ ومتاع ۝ اي تمتع وانتفاع ۝ الى حين ۝ هو حين انقضاء آجالكم ۝ قال ۝
اعيد الاستيناف اما للايذان بعدم اتصال ما بعده بما قبله كما في قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون اثر
قوله تعالى قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وقوله تعالى قال ارأيتك هذا الذي كرمت علي بعد
قوله تعالى قال أأسجد لمن خلقت طينا واما لاظهار الاعتناء بمضمون ما بعده من قوله تعالى ۝ فيها تحيون
وفيها تموتون ومنها تخرجون ۝ اي للجزاء كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ۝ يا بني آدم

جون

۝ خطاب للناس كافة وايرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سره ۝ قد انزلنا عليكم لباسا ۝
اي خلقناه لكم بتدبير آت سماوية واسباب نازلة منها ونظيره وانزل لكم من الانعام وقوله تعالى وانزلنا الحديد
يواري سوآتكم ۝ التي قصد ابليس ابداءها من ابويكم حتى اضطرا الى خصف الاوراق وانتم مستغنون عن ذلك
روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف بثياب عصينا الله تعالى فيها فنزلت ولعل ذكر
قصة آدم ح للايذان بان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من قبل الشيطان وانه اغواهم في ذلك
كما اغوى ابويهم عليهما السلام ۝ وريشا ۝ ولباسا يتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه ترّيش الرجل اي تمول وقرئ
رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ۝ ولباس التقوى ۝ اي خشية الله تعالى وقيل الايمان وقيل السمت
الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء خبره جملة ۝ ذلك خير ۝ او خبره ذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى
المشار اليه خير وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا ۝ ذلك ۝ اي انزال اللباس ۝ من آيات الله
الدالة على عظيم فضله وعميم رحمته ۝ لعلهم يذكرون ۝ فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح ۝ يا
بني آدم ۝ تكرير النداء للايذان بكمال الاعتناء بمضمون ما صدر به وايرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سره ۝ لا يفتننكم
الشيطان ۝ اي لا يوقعنكم في الفتنة والمحنة بان يمنعكم من دخول الجنة ۝ كما اخرج ابويكم من الجنة ۝ نعت لمصدر
محذوف اي لا يفتننكم فتنة مثل فتنة اخراج ابويكم وقد جوز ان يكون التقدير لا يخرجنكم بفتنته اخراجا مثل اخراج
ابويكم والنهي وان كان متوجها الى الشيطان لكنه في الحقيقة متوجه الى المخاطبين كما في قولك لا ارينك
ههنا وقد مر تحقيقه مرارا ۝ ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ۝ حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد
النزع اليه للتسبب وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى انه يراكم هو وقبيله اي جنوده وذريته

استيناف لتعليل النهي وتاكيد للتحذير منه ۝ من حيث لا ترونهم ۝ من لابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان
انتفاء الرؤية اي لا ترونهم في محل الجر باضافة الظرف اليه ورؤيتهم لنا من حيث لا نراهم لا تقتضي امتناع رؤيتنا
لهم مطلقا واستحالة تمثلهم لنا ۝ انا جعلنا الشياطين ۝ جعل قبيله من الجملة فجمع ۝ اولياء للذين لا يؤمنون ۝ اي جعلناهم
بما اوجدنا بينهم من المناسبة او بارسالهم عليهم وتمكينهم من اغوائهم وحملهم على ما سولوا لهم اولياء وقرناء مسلطين
عليهم والجملة تعليل آخر للنهي وتاكيد للتحذير اثر تحذير ۝ واذا فعلوا فاحشة ۝ جملة مبتداة لا محل لها من الاعراب
وقد جوز عطفها على الصلة والفاحشة الفعلة المتناهية في القبح والتاء لانها مجراة على الموصوف المؤنث
او من النقل من الوصفية الى الاسمية والمراد بها عبادة الاصنام وكشف العورة في الطواف ونحوهما ۝

بها

۝ قالوا ۝ جوابا للناهين عنها ۝ وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها ۝ محتجين بامرين تقليد الآباء والافتراء
على الله سبحانه ولعل تقديم المقدم للايذان منهم بان آباءهم انما كانوا يفعلونها بامر الله تعالى بها
على ان ضمير امرنا لهم ولآبائهم فحينئذ يظهر وجه الاعراض عن الاول في رد مقالتهم بقوله تعالى ۝ قل ان الله
لا يامر بالفحشاء ۝ فان عادته تعالى جارية على الامر بمحاسن الاعمال والحث على مراضي الخصال ولا دلالة
فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا والعقاب آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع
السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لما فعلوها لم فعلتم فقالوا
وجدنا عليها آباءنا فقيل لم فعلها آباؤكم فقالوا امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه
لا مطلقا ۝ اتقولون على الله ما لا تعلمون ۝ من تمام القول المامور به والهمزة لانكار الواقع واستقباحه
وتوجيه الانكار والتوبيخ الى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون صدوره عنه تعالى مع ان بعضهم يعلمون عدم
صدوره عنه تعالى مبالغة في انكار تلك الصورة فان اسناد ما لم يعلم صدوره عنه اليه تعالى اذا كان منكرا
فاسناد ما علم عدم صدوره عنه عز وجل اشد قبحا واحق بالانكار ۝ قل امر ربي بالقسط ۝ بيان
للمامور به اثر نفي ما اسند امره اليه تعالى من الامور المنهي عنها والقسط العدل وهو الوسط من كل شيء
المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط ۝ واقيموا وجوهكم ۝ وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين
الى غيرها او اقيموا وجوهكم نحو القبلة ۝ عند كل مسجد ۝ في كل وقت سجود او مكان سجود وهو الصلاة او في اي مسجد
حضرتكم الصلاة عنده ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم ۝ وادعوه ۝ واعبدوه ۝ مخلصين له
الدين ۝ اي الطاعة فان مصيركم اليه بالآخرة ۝ كما بدأكم ۝ اي انشأكم ابتداء تعودون اليه باعادته فيجازيكم
على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه
وقيل حفاة عراة غرلا تعودون اليه وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم ۝ فريقا هدى ۝ بان وفقهم
للايمان ۝ وفريقا حق عليهم الضلالة ۝ بمقتضى القضاء التابع للمشيئة المبنية على الحكم البالغة وانتصابه
بفعل مضمر يفسره ما بعده اي خذل فريقا ۝ انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ۝ تعليل لخذلانه او تحقيق
لضلالتهم ۝ ويحسبون انهم مهتدون ۝ فيه دلالة على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق
ان يحمله على المقصر في النظر ۝ يا بني آدم خذوا زينتكم ۝ اي ثيابكم لمواراة عوراتكم ۝ عند كل مسجد ۝
اي طواف او صلاة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئة للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة
في الصلاة ۝ وكلوا واشربوا ۝ مما طاب لكم روي ان بني عامر كانوا في ايام حجهم لا ياكلون الا قوتا ولا ياكلون

الا رسما يعظمون بذلك حجتهم فهم المسلمون بمثله فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او في الافراط
في الطعام والشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة فقال الحسين
بن واقد جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم
قل من حرم زينة الله من الثياب وما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان
والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق اي المستلذات من المآكل
والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من للانكار
قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فبالتبع خالصة يوم القيمة
لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحالية وقرئ بالرفع على انه خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون
اي مثل هذا التفصيل نفصل سائر الاحكام لقوم يعلمون ما في تضاعيفها من المعاني الرائقة قل انما حرم ربي
الفواحش اي ما تفاحش قبحه من الذنوب وقيل ما يتعلق منها بالفروج ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي اي الظلم او الكبر
افرد بالذكر للمبالغة في الزجر عنه بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لا يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء
عليه كقولهم والله امرنا بها وتوجيه التحريم الى قولهم عليه ما لا يعلمون وقوعه ما لا يعلمون عدم وقوعه قد مر سره ولكل
امة من الامم المهلكة اجل اي حد معين من الزمان مضروب لمهلكهم فاذا جاء اجلهم ان جعل الضمير
للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص
بها ومجيئه اياها بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده معنى الجمعية كانه قيل اذا جاءهم آجالهم بان يجيء لكل
واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار في موقع الاضمار لزيادة
التقرير والاضافة الى الضمير لافادة اكمل التمييز اي اذا جاءها اجلها الخاص بها لا يستأخرون عن ذلك الاجل
ساعة اي شيئا قليلا من الزمان فانها مثل في غاية القلة منه اي لا يتأخرون اصلا وصيغة الاستفعال
للاشعار بعجزهم وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له ولا يستقدمون اي ولا يتقدمون عليه وهو عطف على يستأخرون لكن
لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة في انتفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا
كما في قوله سبحانه وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين
يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له رأسا قد نظم في عدم القبول في سلك من تاب الى حضور
الموت ايذانا بتساوي وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرة وقيل المراد بالمجيء الدنو بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجيء اليوم
الذي ضرب لهلاكهم ساعة فيه منه وليس بذاك وتقديم بيان انتفاء الاستئخار لما ان المقصود بالذات بيان عدم
خلاصهم من العذاب واما في قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد
هناك بيان سر تأخير اهلاكهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون
فالاهم هناك بيان انتفاء السبق يا بني آدم تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة الناس اهتماما بشأن ما
في حيزه اما يأتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة وفيه
تنبيه على ان ارسال الرسل امر جائز لا واجب عقلا رسل منكم الجار متعلق بمحذوف هو صفة لرسل اي كائنون من جنسكم
وقوله تعالى يقصون عليكم آياتي صفة اخرى لرسل اي يبينون لكم احكامي وشرائعي وقوله تعالى فمن اتقى واصلح فلا

خوف عليهم ولا هم يحزنون جملة شرطية وقعت جوابا للشرط اي فمن اتقى منكم التكذيب واصلح عمله فلا خوف الخ
وكذا قوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
اي والذين كذبوا منكم الخ بآياتنا وايراد الاتقاء في الاول للايذان بان مدار الفلاح ليس مجرد عدم
التكذيب بل هو الاتقاء والاجتناب عنه وادخال الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة
في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته اي تقول عليه تعالى ما لم يقله او كذب ما قاله اي هو اظلم من كل
ظالم وقد مر تحقيقه مرارا اولئك اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان افراد الفعلين باعتبار
لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان بتمادي بعدهم في سوء الحال اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب
ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه وايا ما كان
فمن الابتدائية متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم اي ينالهم نصيبهم كائنا من الكتاب وقيل نصيبهم من العذاب
وسواد الوجه وزرقة العيون وعن ابن عباس رضي الله عنهما كتب لمن يفتري على الله سواد الوجه قال تعالى ويوم القيمة
ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا اي ملك الموت واعوانه
يتوفونهم اي حال كونهم متوفين لارواحهم يؤيد الاول فان حتى وان كانت هي التي يبتدأ بها الكلام لكنها
غاية لما قبلها فلا بد ان يكون نصيبهم مما يتمتعون به الى حين وفاتهم اي ينالهم نصيبهم من الكتاب الى ان يأتيهم
ملك الموت فاذا جاءتهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله اي اين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا
وما وقعت موصولة باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال
نشأ عن حكاية سؤال الرسل كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا ضلوا عنا اي غابوا عنا
اي لا ندري مكانهم وشهدوا على انفسهم عطف على قالوا اي اعترفوا على انفسهم انهم كانوا اي في الدنيا
كافرين عابدين لما لا يستحق العبادة اصلا حيث شاهدوا حاله وضلاله ولعل المراد بوقت مجيء الرسل وحال
التوفي الزمان الممتد من ابتداء المجيء والتوفي الى نهاية يوم الجزاء بناء على تحقق المجيء والتوفي في كل ذلك الزمان بقاء وان
كان حدوثهما في اوله فقط او قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزاء كانهما حاصلان عند ابتداء التوفي
كما ينبئ عنه قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته والا فهذا السؤال والجواب وما ترتب عليهما من الامر بدخول
النار وما جرى بين اهلها من التلاعن والتقاول انما يكون بعد البعث لا محالة قال اي الله عز وجل يوم القيمة
بالذات او بواسطة الملك ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن
والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة من الامم السابقة
واللاحقة فيها لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا
في النار قالت اخراهم دخولا او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي لاجلهم اذ الخطاب مع الله تعالى لا معهم
ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا اي مضاعفا من النار
لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبما ذكر من الضلال والاضلال واما الاتباع فبكفرهم
وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء وقالت اولاهم اي مخاطبين
لاخراهم حين سمعوا جواب الله تعالى لهم فما كان لكم علينا من فضل اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا وانتم متساوون
في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب اي العذاب المعهود المضاعف بما كنتم تكسبون من قول او فعل

ان الذين كذبوا بآياتنا مع وضوحها واستكبروا عنها اي عن الايمان بها والعمل بمقتضاها لا تفتح لهم ابواب السماء
اي لا تقبل ادعيتهم ولا اعمالهم ولا تعرج اليها ارواحهم كما هو شان ادعية المؤمنين واعمالهم وارواحهم
والتاء في تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرئ بالتخفيف وبالياء وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب
على ان الفعل للآيات وبالياء على انه لله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم فيما هو علم
في ضيق المسلك وهي ثقبة الابرة وفي كون الجمل مما ليس من شانه الولوج في جحر الابرة مبالغة في الاستبعاد وقرئ
الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل
حبل السفينة وسم بالضم والكسر وقرئ في سم المخيط وهو الخياط اي ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك اي
ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين اي جنس المجرمين وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا لهم من جهنم
مهاد اي فراش من تحتهم والتنوين للتفخيم ومن تجريدية ومن فوقهم غواش اي اغطية والتنوين بدل من الاعلال
عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف كما في قوله تعالى وله الجوار المنشآت وكذلك
ومثل ذلك الجزاء نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا
بكل واحد من ذينك الوصفين القبيحين وذكر الجرم مع الحرمان عن دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار للتنبيه
على انه اعظم الاجرام والذين آمنوا اي بآياتنا او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه الآيات دخولا اوليا
وقوله تعالى وعملوا الصالحات اي الاعمال الصالحة التي شرعت بالآيات وهذا بمقابلة الاستكبار عنها لا نكلف
نفسا الا وسعها اعتراض وسط بين المبتدأ والخبر هو الموصول والخبر الذي هو جملة اولئك اصحاب الجنة للترغيب في اكتساب
ما يؤدي الى النعيم المقيم ببيان سهولة مناله وتيسر تحصيله وقرئ لا تكلف نفس واسم الاشارة مبتدأ واصحاب الجنة
خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول واسم الاشارة بدل من المبتدأ الاول الذي هو الموصول والخبر اصحاب الجنة وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف هم فيها خالدون حال من اصحاب الجنة وقد جوز كونه
كونه حالا من الجنة لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة واللام المقدرة او خبرا لاولئك على راي من جوزه
وفيها متعلق بخالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون
بينهم الا التواد وصيغة الماضي لتحققه وتقرره وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة
والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم والجملة حال من الضمير في صدورهم
والعامل اما معنى الاضافة واما العامل في المضاف او حال من فاعل نزعنا والعامل نزعنا وقيل هو مستانف
للاخبار عن صفة احوالهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي
اي لهذا المطلب الاعلى والطلب من المطالب التي هذا من جملتها لولا ان هدانا الله وهو فضله
واللام لتاكيد النفي وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه ومفعول نهتدي وهدانا الثاني محذوف لظهور
المراد ولارادة التعميم كما اشير اليه والجملة مستانفة او حالية وقرئ ما كنا لنهتدي بلا واو على انها مبينة
ومفسرة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق جواب قسم مقدر قالوه تبجحا واغتباطا بما نالوه وابتهاجا
بايمانهم بما جاءهم الرسل عليهم السلام والباء في قوله تعالى بالحق اما للتعدية فهي متعلقة بمقدر وقع حالا
من الرسل اي والله لقد جاؤوا بالحق او لقد جاؤوا ملتبسين بالحق ونودوا اي ناداهم الملائكة عليهم السلام
ان تلكم الجنة اي مفسرة لما في النداء من معنى القول او مخففة من انّ وضمير الشان محذوف ومعنى البعد

الخياط

لهم من جهنم مهاد

في اسم الاشارة اما لانهم نودوا عند رؤيتهم اياها من مكان بعيد واما لرفع منزلتها وبعد رتبتها واما للاشعار
بانها تلك الجنة التي وعدوها في الدنيا اورثتموها بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة
اي اعطيتموها بسبب اعمالكم او بمقابلة اعمالكم والجملة حال من الجنة والعامل معنى الاشارة على ان تلكم الجنة مبتدأ
وخبر والجنة صفة والخبر اورثتموها ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا
لهم لا لمجرد الاخبار بحالهم والاستخبار عن حال المخاطبين ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا حيث نلنا هذا المنال
الجليل فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا حذف المفعول من الفعل الثاني اسقاطا لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند
الوعد وقيل لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا بهم وعدا كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة فانهم قد وجدوا
جميع ذلك حقا وان لم يكن وعده مخصوصا بهم قالوا نعم اي وجدناه حقا وقرئ بكسر العين وهي لغة فيه فاذن
مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم اي بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين بان المخففة
او المفسرة وقرئ بان المشددة ونصب لعنة وقرئ ان بكسر الهمزة على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين
يصدون عن سبيل الله صفة مقررة للظالمين او رفع على الذم او نصب عليه ويبغونها عوجا اي يبغون لها
عوجا بان يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهو ابعد شيء منهما والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبا
وبالفتح ما كان في المنتصب كالرمح والحائط وهم بالآخرة كافرون غير معترفين وبينهما حجاب اي بين الفريقين
كقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى وعلى الاعراف اي على اعراف
الحجاب واعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه بظهوره
اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل يحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما
يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء والاخيار والعلماء من المؤمنين او ملائكة يرون في صورة
الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار بسيماهم بعلاماتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده
فعلاء من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم بالقلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام
او بتعليم الملائكة ونادوا اي رجال الاعراف اصحاب الجنة حين راوهم ان سلام عليكم بطريق
الاخبار بنجاتهم من المكاره لم يدخلوها حال من فاعل نادوا اي نادوهم وهم لم يدخلوها حال كونهم طامعين
في دخولها مترقبين اي لم يدخلوها وهم في وقت عدم الدخول طامعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء
اصحاب النار اي جهتهم وفي عدم التعرض لتعلق انظارهم باصحاب الجنة والتعبير عن تعلق ابصارهم باصحاب النار بالصرف
اشعار بان التعلق الاول بطريق الرغبة والميل والثاني بخلافه قالوا متعوذين بالله تعالى من سوء حالهم
ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار وفي وصفهم بالظلم دون ما هم عليه حينئذ من العذاب
وسوء الحال الذي هو الموجب للدعاء اشعار بان المحذور عندهم ليس نفس العذاب فقط بل مع ما يوجبه ويؤدي
اليه من الظلم ونادى اصحاب الاعراف كرر ذكرهم مع كفاية الاضمار لزيادة التقرير رجالا من رؤساء
الكفرة حين راوهم فيما بين اصحاب النار يعرفونهم بسيماهم الدالة على سوء حالهم يومئذ وعلى رياستهم
في الدنيا قالوا بدل من نادى ما اغنى عنكم ما استفهامية للتوبيخ والتقريع او نافية
جمعكم اي اتباعكم واشياعكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون ما مصدرية اي ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم
المستمر عن قبول الحق او على الخلق وهو الانسب بما بعده وقرئ تستكثرون من الكثرة اي من الاموال والجنود

الدعاء والتحية او بطريق

نادوا او من مفعوله وقوله وهم يطمعون حال من فاعل لم

أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والإشارة إلى ضعفاء المؤمنين الذين كانت
الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون صريحا أنهم لا يدخلون الجنة أو يفعلون ما ينبئ عن ذلك كما في قوله تعالى أولم
تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ادخلوا الجنة تلوين للخطاب وتوجيه له إلى أولئك المذكورين أي ادخلوا
الجنة على رغم أنوفهم لا خوف عليكم بعد هذا ولا أنتم تحزنون أو قيل لأصحاب الأعراف ادخلوا
ادخلوا الجنة بفضل الله تعالى بعد أن حبسوا أو شاهدوا أحوال الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا فإن الأظهر
أنه لا يكون المراد بأصحاب الأعراف المقصرين في العمل لأن هذه المقالات وما يتفرع هي عليه من المعرفة لا يليق
بمن لم يتعين حاله بعد وقيل لما عيروا أصحاب النار أقسموا أن أصحاب الأعراف لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى
أو الملائكة ردا عليهم أهؤلاء وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا في حقهم لا خوف
عليهم ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة بعد أن استقر بكل من الفريقين القرار واطمأنت به الدار أن أفيضوا
علينا من الماء أي صبوه وفيه دلالة على أن الجنة فوق النار أو مما رزقكم الله من سائر
الأشربة ليلائم الإفاضة أو من الأطعمة على أن الإفاضة عبارة عن الإعطاء بكثرة قالوا استئناف مبني على السؤال
كأنه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا إن الله حرمهما أي منعهما منعا كليا فلا سبيل إلى ذلك قطعا الذين اتخذوا

على الكافرين

دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والسائبة ونحوهما والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم إلى ما لا يحسن أن يصرف
إليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب وغرتهم الحياة الدنيا بزخارفها العاجلة فاليوم ننساهم
نفعل بهم ما يفعل الناسي بالمنسي من عدم الاعتداد بهم وتركهم في النار كلا وإن ذي حاليوم [illegible] وقوله تعالى كما
نسوا لقاء يومهم هذا في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي ننساهم نسيا مثل نسيانهم لقاء يومهم
هذا حيث لم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وقوله تعالى وما كانوا بآياتنا يجحدون عطف على ما نسوا وكما كانوا منكرين
بأنها من عند الله إنكارا مستمرا ولقد جئناهم بكتاب فصلناه أي بينا معانيه من العقائد والأحكام والمواعظ
والضمير للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب الجنس أو للمعاصرين منهم والكتاب هو القرآن على علم حال من فاعل
فصلناه أي عالمين بتفصيله هدى ورحمة حال من المفعول لقوم يؤمنون لأنهم المغتنمون
بآثاره المقتبسون من أنواره هل ينظرون إلا تأويله أي ما ينتظرون هؤلاء الكفرة بعدم إيمانهم به إلا ما يؤول إليه أمره
من تبين صدقه بظهور ما أخبر به من الوعد والوعيد وهو يوم القيمة يقول الذين نسوه من قبل أي تركوه ترك

يوم يأتي تأويله

المنسي من قبل إتيان تأويله قد جاءت رسل ربنا بالحق أي قد تبين أنهم قد جاؤوا بالحق فهل لنا من شفعاء
فيشفعوا لنا اليوم ويدفعوا عنا العذاب أو نرد أي هل نرد إلى الدنيا وقرئ بالنصب
عطفا على فيشفعوا أو لأن أو بمعنى إلى أن فعلى الأول المسؤول أحد الأمرين إما الشفاعة برفع العذاب والرد إلى الدنيا
وعلى الثاني أن يكون لهم شفعاء إما لأحد الأمرين أو لأمر واحد وهو الرد فنعمل بالنصب على أنه جواب
الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع أي فنحن نعمل غير الذي كنا نعمل أي في الدنيا قد خسروا أنفسهم بصرف أعمارهم
التي هي رأس مالهم إلى الكفر والمعاصي وضل عنهم ما كانوا يفترون أي ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من أن الأصنام
شركاء الله تعالى وشفعاؤهم يوم القيمة إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض شروع في بيان مبدأ الفطر

في ستة أيام

إثر بيان معاد الكفرة أي إن خالقكم ومالككم الذي خلق الأجرام العلوية والسفلية في ستة أوقات كقوله تعالى
ومن يولهم يومئذ دبره أو في مقدار ستة أيام فإن المتعارف أن اليوم زمان طلوع الشمس إلى غروبها ولم تكن حينئذ

ح وفي خلق الأشياء مدرجا مع القدرة على إبداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني
في الأمور ثم استوى على العرش أي استوى أمره أو استولى وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة
لله تعالى بلا كيف والمعنى أنه تعالى استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم
المحيط بسائر الأجسام سمي به لارتفاعه أو للتشبيه بسرير الملك فإن الأمور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي
الليل النهار أي يغطيه به ولم يذكر العكس للعلم به أو لأن اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ بنصب الليل ورفع النهار وقرئ بالتشديد
للدلالة على التكرار يطلبه حثيثا أي يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من حث
وهو صفة مصدر محذوف أو حال من الفاعل بمعنى حاثا أو المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره أي خلقهن
حال كونهن مسخرات بقضائه وتصريفه وقرئ كلها بالرفع على الابتداء والخبر ألا له الخلق والأمر فإنه الموجد
للكل والمتصرف فيه على الإطلاق تبارك الله رب العالمين أي تعالى بالوحدانية في الألوهية وتعظم بالتفرد
في الربوبية وتحقيق الآية الكريمة والله أعلم أن الكفرة كانوا متخذين أربابا فبين لهم أن المستحق للربوبية واحد
هو الله تعالى لأنه الذي له الخلق والأمر فإنه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فأبدع
الأفلاك ثم زينها بالشمس والقمر والنجوم كما أشار إليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد إلى إيجاد الأجرام
السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متباينة الآثار والأفعال
وأشار إليه بقوله تعالى وخلق الأرض في يومين أي ما في جهة السفل في يومين ثم أنشأ أنواع المواليد الثلاثة
بتركيب موادها أولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله تعالى خلق الأرض في يومين وجعل فيها رواسي وبارك
فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام أي مع اليومين الأولين للفصل في سورة السجدة ثم لما تم له عالم الملك
عمد إلى تدبيره كالملك الجالس على سريره فدبر الأمر من السماء إلى الأرض بتحريك الأفلاك وتسيير الكواكب وتكوير
الليالي والأيام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال تعالى ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين
ثم أمر بأن يدعوه مخلصين متذللين فقال ادعوا ربكم الذي قد عرفتم شئونه الجليلة تضرعا
وخفية أي ذوي تضرع وخفية فإن الإخفاء دليل الإخلاص إنه لا يحب المعتدين أي لا يحب
دعوة المجاوزين لما أمروا به في كل شيء فيدخل فيه الاعتداء في الدعاء ولعله نبه به على أن الداعي
يجب أن لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الأنبياء والصعود إلى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والإسهاب
فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم إني أسألك
الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ثم قرأ إن الله لا يحب المعتدين
ولا تفسدوا في الأرض بالكفر والمعاصي بعد إصلاحها ببعث الأنبياء وشرع الأحكام وادعوه
خوفا وطمعا أي ذوي خوف نظرا إلى قصور أعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع نظرا إلى سعة رحمته ووفور فضله
وإحسانه إن رحمة الله قريب من المحسنين في كل شيء ومن الإحسان في الدعاء أن يكون مقرونا بالخوف والطمع
وتذكير قريب لأن الرحمة بمعنى الترحم أو لأنه صفة لمحذوف أي أمر قريب أو على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول
أو الذي هو مصدر كالنقيض والصهيل أو للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره أو لاكتسابه التذكير من المضاف
إليه كما أن المضاف يكتسي التأنيث من المضاف إليه وهو الذي يرسل الرياح عطف على الجملة السابقة وقرئ الريح
بشرا بالتخفيف جمع بشير أي مبشرات وقرئ بفتح الباء على أنه مصدر بشره بمعنى باشرات أو للبشارة وقرئ نشرا

بالنون المضمومة جمع نشور اي ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان بين يدي رحمته قدام رحمته
التي هي المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه
من القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لانه بمعنى السحاب سقناه اي السحاب وافراد الضمير
لافراد اللفظ لبلد ميت اي لاجله ولمنفعته او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء اي بالبلد
او بالسحاب او بالسوق او بالريح والتذكير باعتبار المذكور وكذلك قوله تعالى فاخرجنا به ويحتمل ان يعود الضمير
الى الماء وهو الظاهر واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول والظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية
من كل الثمرات اي من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة الى اخراج الثمرات او الى احياء
البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث
ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون
بطرح احدى التائين اي تتذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا من غير شبهة والبلد الطيب
اي الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه
وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة قوله والذي خبث من البلاد كالسبخة والحرة لا يخرج الا نكدا قليلا
عديم النفع ونصبه على الحال والتقدير والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
فصار مرفوعا مستترا وقرئ لا يخرج اي لا يخرجه البلد الا نكدا وقرئ نكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك
اي مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات اي نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعم الله تعالى
فيتفكرون فيها ويعتبرون بها وهذا كما ترى لارسال الرسل عليهم السلام بالشرائع التي هي ماء حياة القلوب الى المكلفين
المنقسمين الى المقتبسين من انوارها والمحرومين من مغانم آثارها وقد عقب ذلك بما يحققه ويقرره من قصص
الامم الخالية بطريق الاستيناف فقيل لقد ارسلنا نوحا الى قومه وهو جواب قسم محذوف اي والله لقد ارسلنا الى آخره
واطراد استعمال هذه اللام مع قد لكون مدخولها مظنة للتوقع الذي هو معنى قد فان الجملة القسمية انما تساق لتأكيد
الجملة المقسم عليها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس النبي عليه السلام قال ابن عباس رضي الله
عنهما بعث على رأس اربعين سنة من عمره ومكث يدعوا قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين
وخمسين سنة فكان عمره الفا ومائتين واربعين سنة وقال مقاتل هو ابن مائة سنة وقيل هو ابن خمسين سنة
وقيل هو ابن مائتين وخمسين ومكث يدعوا قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة
فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده وترك التقييد به
للايذان بانها العبادة حقيقة واما العبادة بالاشتراك فليس من العبادة في شيء وقوله تعالى ما لكم من اله
غيره اي من مستحق للعبادة استيناف مسوق لتعليل العبادة المذكورة او الامر بها وغيره بالرفع صفة
لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على الابتداء او الفاعلية وقرئ بالجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وحكم
غيره حكم الاسم الواقع بعد الا اي ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيد او غير زيد فمن اله مبتدأ
ولكم خبره او خبره محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود او في العالم اله غير الله اني اخاف عليكم
اي ان لم تعبدوه حسبما امرت به عذاب يوم عظيم وهو يوم القيامة او يوم الطوفان والجملة تعليل للعبادة
ببيان الصارف عن تركها اثر تعليلها ببيان الداعي اليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع فيه وتكميل الانذار

قال الملأ من قومه استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قوله عليه السلام كأنه قيل فماذا قالوا
في مقابلة نصحه فقيل قال الرؤساء من قومه والاشراف الذين يملؤن صدور المحافل باجرامهم والقلوب
بجلالهم وهيبتهم والابصار بجمالهم وابهتهم انا لنراك في ضلال اي ذهاب عن طريق الحق والصواب
والرؤية قلبية ومفعولاها الضمير والظرف مبين بين كونه ضلالا قال استيناف كما سبق يا قوم
ناداهم باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم نحو الحق ليس بي ضلالة اي شيء ما من الضلال قصد عليه السلام
المبالغة في نفي الضلال عن نفسه ردا على الكفرة حيث بالغوا في اثباته له عليه السلام حيث جعلوه مستقرا في الضلال
الواضح كونه ضلالا وقوله تعالى ولكني رسول من رب العالمين استدراك مما قبله باعتبار ما
يستلزمه من كونه في اقصى مراتب الهداية فان رسالة رب العالمين مستلزمة له لا محالة كأنه قيل ليس بي شيء
من الضلالة ولكني في الغاية القاصية من الهداية ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف هو صفة
لرسول مؤكدة لما يفيده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي رسول واي رسول كائن من رب
العالمين ابلغكم رسالات ربي استيناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل احكامها واحوالها وقيل
صفة اخرى لرسول على طريقة انا الذي سمتني وقرئ ابلغكم من الابلاغ وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع
معانيها او لان المراد بها ما اوحي اليه والى النبيين من قبله عليهم السلام وتخصيص ربوبيته تعالى به عليه السلام
بعد بيان عمومها للعالمين للاشعار بعلة الحكم الذي هو تبليغ رسالته تعالى اليهم فان ربوبيته تعالى له عليه السلام
من موجبات امتثاله بامره تعالى بتبليغ رسالته وانصح لكم عطف على ابلغكم مبين لكيفية اداء الرسالة
وزيادة اللام مع تعدي النصح بنفسه للدلالة على امحاض النصيحة لهم وانها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة وصيغة المضارع
للدلالة على تجدد نصيحته لهم كما يعرب عنه قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا وقوله تعالى واعلم
من الله ما لا تعلمون عطف على ما قبله وتقرير لرسالته عليه السلام اي اعلم من جهة الله تعالى بالوحي ما لا تعلمونه من الامور
الآتية او اعلم من شؤونه عز وجل وقدرته القاهرة وبطشه الشديد على اعدائه وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين
ما لا تعلمون قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين آمنين لا يعلمون ما علمه نوح عليه السلام
بالوحي او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم جواب ورد لما اكتفي عن ذكره بقولهم انا لنراك في ضلال مبين من قولهم
ما نراك الا بشرا مثلنا وقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام
كأنه قيل استبعدتم وعجبتم من ان جاءكم ذكر اي وحي او موعظة من مالك اموركم ومربيكم على رجل منكم
اي على لسان رجل من جنسكم كقوله تعالى ما وعدتنا على رسلك وقلتم لاجل ذلك ما قلتم من ان الله تعالى لو شاء لانزل ملائكة
لينذركم علة للمجيء اي ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا عطف على العلة الاولى مترتبة
عليها ولعلكم ترحمون عطف على العلة الثانية مترتبة عليها اي ولتتعلق بكم الرحمة بسبب تقواكم وفائدة
حرف الترجي التنبيه على عزة المطلب وان التقوى غير موجب للرحمة بل هي منوطة بفضل الله تعالى وانه ينبغي ان لا يعتمد
على تقواه ولا يأمن من عذاب الله عز وجل فكذبوه فتموا على تكذيبه في دعوى النبوة وما نزل عليه من الوحي
الذي بلغه اليهم وانذرهم بما في تضاعيفه واستمروا على ذلك هذه المدة المتطاولة بعدما كرر عليهم الدعوة
مرارا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا حسبما نطق به قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الآية اذ هو الذي
يعقبه الانجاء والاغراق لا مجرد التكذيب فانجيناه والذين معه من المؤمنين قيل كانوا اربعين رجلا

وأربعين امرأة وقيل عشرة أبناؤه الثلاثة وستة ممن آمن به وقوله تعالى ﴿في الفلك﴾ متعلق
بالاستقرار في الظرف أي استقروا معه في الفلك أو صحبوه فيه أو بفعل الإنجاء أي أنجيناهم في السفينة ويجوز
أن يتعلق بمضمر وقع حالا من الموصول أو من ضميره في الظرف ﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي
استمروا على تكذيبها وليس المراد بهم الملأ المتصدين للجواب فقط بل كل من أصر على التكذيب منهم ومن أعقابهم
وتقديم ذكر الإنجاء على الإغراق للمسارعة إلى الإخبار به والإيذان بسبق الرحمة التي هي مقتضى الذات وتقدمها
على الغضب الذي يظهر أثره بمقتضى جرائمهم ﴿إنهم كانوا قوما عمين﴾ أي عمي القلوب غير مستبصرين قال ابن عباس رضي الله عنهما
عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقرئ عامين والأول أدل على الثبات والقرار ﴿و
إلى عاد﴾ متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى أرسلنا في قصة نوح عليه السلام وهو الناصب لقوله تعالى ﴿أخاهم﴾
أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم أي واحدا منهم في النسب لا في الدين كقولهم يا أخا العرب وقيل العامل فيهما الفعل المذكور
فيما سبق وأخاهم معطوف على نوحا والأول هو الأولى وأيا ما كان فلعل تقديم المجرور ههنا على المفعول الصريح للحذار
عن الإضمار قبل الذكر يرشدك إلى ذلك ما سيأتي من قوله تعالى ﴿ولوطا إذ قال لقومه﴾ فإن قومه لما لم يعهد باسم معروف يقتضي الحال
ذكره عليه السلام مضافا إليهم كما في قصة عاد وثمود ومدين خولف في النظم الكريم بين قصته عليه السلام وبين القصص
الثلاث وقوله تعالى ﴿هودا﴾ عطف بيان لأخاهم وهو هود بن عبد الله بن رباح بن عوص بن إرم بن سام بن
نوح عليه السلام وقيل هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ابن عم أبي عاد وإنما جعل منهم لأنهم أفهم لكلامه
وأعرف بحاله في صدقه وأمانته وأقرب إلى اتباعه ﴿قال﴾ استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية إرساله عليه السلام
إليهم كأنه قيل فماذا قال لهم فقيل ﴿يا قوم اعبدوا الله﴾ أي وحده كما يعرب عنه قوله ﴿ما لكم من إله غيره﴾
فإنه استئناف جار مجرى البيان للعبادة المأمور بها والتعليل لها أو للأمر بها كأنه قيل خصوه بالعبادة
ولا تشركوا به شيئا إذ ليس لكم إله سواه وغيره بالرفع صفة لإله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه ﴿أفلا تتقون﴾
إنكار واستبعاد لعدم اتقائهم عذاب الله تعالى بعد ما علموا بعدما حل بقوم نوح عليه السلام والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام أي لا تتفكرون أو لا تعقلون فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوفين معا أو تعلمون ذلك فلا
تتقون فالتوبيخ على المعطوف فقط وفي سورة هود أفلا تعقلون ولعله عليه السلام خاطبهم بكل منهما وقد اكتفى بحكاية كل
منهما في موطن عن حكايته في موطن آخر كما لم يذكر ههنا ما ذكر هناك من قوله تعالى إن أنتم إلا مفترون وقس على ذلك
حال بقية ما ذكر وما لم يذكر من أجزاء القصة بل حال نظائره في سائر القصص لا سيما في المحاورات الجارية
في الأوقات المتعددة والله أعلم ﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ استئناف كما مر وإنما وصف
الملأ بالكفر إذ لم يكن كلهم على الكفر كما في قوم نوح عليه السلام بل كان منهم من آمن له عليه السلام ولكن كان يكتم إيمانه
كمرثد بن سعد وقيل وصفوا به للذم ﴿إنا لنراك في سفاهة﴾ أي متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث
فارقت دين آبائك ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ أي فيما ادعيت
من الرسالة قالوه لعراقتهم في التقليد وحرمانهم من النظر الصحيح ﴿قال﴾ مستعطفا لهم ومستميلا لقلوبهم مع ما سمع منهم
من الكلمة الشنعاء الموجبة لتغليظ القول والمشافهة بالسوء ﴿يا قوم ليس بي سفاهة﴾ أي شيء منها ولا شائبة
من شوائبها ﴿ولكني رسول من رب العالمين﴾ استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه ويقتضيه من كونه في الغاية القصوى
من الرشد والأناة والصدق والأمانة فإن الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك حتما كأنه قيل ليس بي شيء مما

تنسبونني إليه ولكني في غاية ما يكون من الرشد والصدق ولم يصرح بنفي الكذب اكتفاء بما في حيز الاستدراك
ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسول مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية
بالفخامة الإضافية وقوله تعالى ﴿أبلغكم رسالات ربي﴾ استئناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل أحكامها وقيل
صفة أخرى لرسول والكلام في إضافة الرب إلى نفسه عليه السلام بعد إضافته إلى العالمين وكذا في جمع الرسالات
كالذي مر في قصة نوح عليه السلام وقرئ أبلغكم من الإبلاغ ﴿وأنا لكم ناصح أمين﴾ معروف بالنصح والأمانة
مشهور بين الناس بذلك وفي إجابتهم بالجملة الاسمية دلالة على الثبات والاستمرار والإيذان بأن من هذا حاله لا يحوم
حوله شائبة السفاهة والكذب ﴿أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم﴾ الكلام فيه كالذي مر في قصة نوح عليه السلام
﴿على رجل منكم﴾ أي من جنسكم ﴿لينذركم﴾ ويحذركم عاقبة ما أنتم عليه من الكفر والمعاصي حتى نسبتموه
إلى السفاهة والكذب وفي إجابة الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه من يشافههم بالأخير فيه من أمثال تلك الأباطيل
بما حكي عنهم من المقالات الناطقة المعربة على نهاية الحلم والرزانة وكمال الشفقة والرأفة عن الدلالة على حيازتهم
القدح المعلى من مكارم الأخلاق ما لا يخفى مكانه ﴿واذكروا إذ جعلكم﴾ شروع في بيان ترتيب أحكام
النصح والأمانة والإنذار وتفصيلها وإذ منصوب باذكروا على المفعولية دون الظرفية وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت
دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات للمبالغة في إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر الوقت إيجاب لذكر ما
فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل عليها فإذا استحضر كانت هي حاضرة بتفاصيلها كأنها مشاهدة عيانا
ولعله معطوف على مقدر كأنه قيل لا تعجبوا من ذلك وتدبروا في أمركم واذكروا وقت جعله تعالى إياكم ﴿خلفاء
من بعد قوم نوح﴾ أي في مساكنهم أو في الأرض بأن جعلكم ملوكا فإن شداد بن عاد ممن ملك معمورة الأرض
من رمل عالج إلى شحر عمان ﴿وزادكم في الخلق بسطة﴾ أي في الإبداع والتصوير أو في الناس بسطة قامة وقوة فإنه
لم يكن في زمانهم مثلهم في عظم الأجرام قال الكلبي والسدي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين
ذراعا ﴿فاذكروا آلاء الله﴾ التي أنعم الله بها عليكم من فنون النعماء التي هذه من جملتها وهذا تكرير للتذكير
لزيادة التقرير وتعميم إثر تخصيص ﴿لعلكم تفلحون﴾ كي يؤديكم ذلك إلى الشكر المؤدي إلى النجاة من الكروب والفوز
بالمطلوب ﴿قالوا﴾ مجيبين عن تلك النصائح العظيمة ﴿أجئتنا لنعبد الله وحده﴾ أي لتخصه بالعبادة ﴿ونذر
ما كان يعبد آباؤنا﴾ أنكروا عليه عليه السلام مجيئه لتخصيصه تعالى بالعبادة والإعراض عن عبادة الأوثان انهماكا في
التقليد وحبا لما ألفوه وألفوا أسلافهم عليه ومعنى المجيء إما مجيئه عليه السلام عن متعبده ومعتزله وإما من
السماء على التهكم وإما القصد والتصدي مجازا كما يقال في مقابله ذهب يشتمني من غير إرادة معنى الذهاب ﴿فأتنا
بما تعدنا﴾ من العذاب المدلول عليه بقوله تعالى أفلا تتقون ﴿إن كنت من الصادقين﴾ أي في الإخبار
بنزول العذاب وجوابه محذوف لدلالة المذكور عليه أي فأت به ﴿قال قد وقع عليكم﴾ أي وجب وحق أو نزل
بإجراء المتوقع منزلة الواقع كما في قوله تعالى أتى أمر الله ﴿من ربكم﴾ أي من جهته تعالى
وتقديم الظرف الأول على الثاني مع أن مبدأ الشيء متقدم على منتهاه للمسارعة إلى بيان إصابة المكروه
بهم وكذا تقديمهما على الفاعل الذي هو قوله ﴿رجس﴾ مع ما فيه من التشويق إلى المؤخر ولأن فيه نوع
طول بما عطف عليه من قوله تعالى ﴿وغضب﴾ وربما يخل تقديمهما بتجاوب النظم الكريم والرجس العذاب
من الارتجاس الذي هو الاضطراب والغضب إرادة الانتقام وتنوينهما للتفخيم والتهويل ﴿أتجادلونني في أسماء﴾

عارية عن المسمى سميتموها اي سميتم بها انتم وآباؤكم الكاذبة مستقبح لانكارهم مجيئه عليه السلام
داعيا لهم الى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة الاصنام اي اتجادلونني في اشياء سميتموها آلهة ليست هي
الا محض الاسماء من غير ان يكون فيها من مصداق الالهية شيء لان المستحق للمعبودية بالذات ليس الا من اوجد
الكل وانها لو استحقت لكان بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة وكلاهما مستحيل وذلك قوله تعالى ما نزل الله
بها من سلطان واذ ليس ذلك في حيز الامكان تحقق بطلان ما هم عليه فانتظروا مرتب على قوله تعالى قد وقع
عليكم اي فانتظروا ما تطلبونه بقولكم فائتنا بما تعدنا اني معكم من المنتظرين لما يحل بكم والفاء في قوله تعالى
فانجيناه فصيحة كما في قوله تعالى فانفجرت اي فوقع ما وقع فانجيناه والذين معه
اي في الدين برحمة اي عظيمة لا يقدر قدرها وقوله تعالى منا اي من جهتنا متعلق بمحذوف هو نعت
لرحمة مؤكد لفخامتها الذاتية المفهومة من تنكيرها بالفخامة الاضافية وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا
اي استأصلناهم بالكلية ودمرناهم عن آخرهم وما كانوا مؤمنين عطف على كذبوا داخل معه
في حكم الصلة اي اصروا على الكفر والتكذيب ولم يرعووا عن ذلك ابدا وتقديم حكاية الانجاء على حكاية الاهلاك
قد مر سره وفيه تنبيه على ان مناط النجاة هو الايمان بالله تعالى وتصديق آياته كما ان مدار البوار هو الكفر
والتكذيب وقصتهم ان عادا قوم كانوا باليمن بالاحقاف وكانوا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان الى حضرموت
وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم
وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله تعالى عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا
نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق
بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا
منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا
من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم معاوية فلما
راى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم
عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خشية ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم
به لا يدرون من قاله فقال معاوية الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا
قد امسوا ما يبينون الكلاما فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم
فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم
الى الله تعالى سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا فانه قد اتبع هودا وترك ديننا
ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء
ثم نادى مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد
من واد يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه
فاتوا مكة فعبدوا الله فيها الى ان ماتوا والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله تعالى الى عاد
اخاهم هودا موافق له في تقديم المجرور على المنصوب وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عاد
بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ بالصرف بتأويل الحي وكانت

مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى واخوة صالح عليه السلام لهم من حيث النسب كهود عليه السلام
فانه صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله عليه السلام
اليهم مظنة لان يسأل ويقال فماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستئناف قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره وقد مر الكلام في نظائره قد جاءتكم بينة اي آية ومعجزة ظاهرة شاهدة بنبوتي
وهي من الالفاظ الجارية مجرى الابطح والابرق في الاستغناء عن ذكر موصوفاتها حالة الافراد والجمع كالصالحة
افرادا وجمعا وكذلك الحسنة والسيئة سواء كانتا صفتين للاعمال او المثوبة او للحالة من الرخاء والشدة
ولاولئك وليت العوامل وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة كما مر مرارا
والمراد بها الناقة وليس هذا الكلام منه عليه السلام اول خطابه لهم اثر دعوتهم الى التوحيد بل انما قاله
بعد ما نصحهم وذكرهم بنعم الله تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه الا يرى الى ما في سورة هود من قوله تعالى هو
انشأكم من الارض واستعمركم فيها الى آخر الآية روي ان عادا لما هلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم
في الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت
من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله تعالى وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان
فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله عز وجل فلم يتبعه الا قليل
منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسألوه آية فقال اي آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم
معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا
فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسألوها الاجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار
الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة
التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليه السلام المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن و
لتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء
وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع
ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤوسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء
وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤوا
حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه
واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة
ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهم وكانت كثيرة المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه
فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم
العذاب فلم يقدروا عليه فانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد
غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه
الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة
من السماء ورجفت من الارض فتقطعت قلوبهم فهلكوا وقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية استئناف
مسوق لبيان البينة واضافة الناقة الى الاسم الجليل لتعظيمها ولمجيئها من جهته تعالى بلا اسباب معهودة ووسائط

مشاهدة ولذلك كانت آية واى آية ولكم بيان لمن هى آية له وانتصاب آية على الحالية والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز
ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان له او مبتدأ ثانيا ولكم خبرا عاملا فى آية ﴿فذروها﴾ تفريع
على كونها من آية الله تعالى فان ذلك مما يوجب عدم التعرض لها ﴿تأكل فى ارض الله﴾ جواب للامر اى الناقة ناقة
الله والارض ارض الله فاتركوها تأكل ما تأكل فى ارض ربها فليس لكم ان تحولوا بينها وقرئ تأكل بالرفع على انه
فى موضع الحال اى آكلة فيها وعدم التعرض للشرب اما للاكتفاء عنه بذكر الاكل او لتعميمه له ايضا كما فى قوله علفتها تبنا وماء
باردا وقد ذكر ذلك فى قوله تعالى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ﴿ولا تمسوها بسوء﴾ نهى عن المس الذى هو مقدمة
الاصابة بالشر الشامل لانواع الاذية ونكر السوء مبالغة فى النهى اى لا تتعرضوا لها بشئ مما يسوءها اصلا ولا تطردوها
ولا تريبوها اكراما لآية الله تعالى ﴿فيأخذكم عذاب اليم﴾ جواب للنهى وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين مر بالحجر فى غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين
الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذى اصابهم وقال عليه السلام لعلى رضى الله عنه يا على اتدرى من اشقى الاولين
قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدرى من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك ﴿واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد﴾ اى خلفاء فى الارض او خلفاء لهم ﴿وبوأكم فى الارض﴾ اى جعل لكم مباءة ومنزلا فى ارض
الحجر بين الحجاز والشام ﴿تتخذون من سهولها قصورا﴾ استئناف مبين لكيفية التبوئة اى تبنون فى سهولها
قصورا رفيعة او تبنون من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر ﴿وتنحتون الجبال﴾
اى الصخور وقرئ تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كما فى قوله ينباع من ذفرى غضوب جسرة والنحت نجر الشئ
الصلب فانتصاب الجبال على المفعولية وانتصاب قوله تعالى ﴿بيوتا﴾ على انها حال مقدرة منها كما تقول خط هذا الثوب
قميصا وقيل انتصاب الجبال على اسقاط الجار اى من الجبال وانتصاب بيوتا على المفعولية وقد جوز ان يضمن النحت معنى الاتخاذ
فانتصابهما على المفعولية قيل كانوا يسكنون السهول فى الصيف والجبال فى الشتاء ﴿فاذكروا آلاء الله﴾ التى انعم
بها عليكم مما ذكر او جميع الآلاء التى هذه من جملتها ﴿ولا تعثوا فى الارض مفسدين﴾ فان حق الآلاء تعالى ان تشكر ولا
يغفل عنها فكيف بالكفر والعثى فى الارض بالافساد ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾ اى عتوا وتكبروا والاستئناف
لما سلف وقرئ بالواو عطفا على ما قبله من قوله تعالى قال يا قوم الخ واللام فى قوله تعالى ﴿للذين استضعفوا﴾ للتبليغ
وقوله تعالى ﴿لمن آمن منهم﴾ بدل من الموصول باعادة العامل بدل الكل ان كان ضمير منهم لقومه وبدل البعض ان كان
للذين استضعفوا على ان من المستضعفين من لم يؤمن والاول هو الاوجه اذ لا داعى الى توجيه الخطاب اولا الى جميع
المستضعفين مع ان المجاوبة مع المؤمنين منهم على ان الاستضعاف مختص بالمؤمنين اى قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم
واسترذلوهم ﴿أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه﴾ وانما قالوه بطريق الاستهزاء بهم ﴿قالوا انا بما ارسل
به مؤمنون﴾ عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بان يقولوا نعم او نعلم انه مرسل منه تعالى مسارعة الى تحقيق الحق واظهار
ما لهم من الايمان الثابت المستمر الذى ينبئ عنه الجملة الاسمية وتنبيها على ان امر رسالته من الظهور بحيث لا ينبغى ان يسأل عنه
وانما الحقيق بالسؤال عنه هو الايمان به ﴿قال الذين استكبروا﴾ اعيد الموصول مع صلته مع كفاية الضمير
ايذانا بانهم قد قالوا ما قالوه بطريق العتو والاستكبار ﴿انا بالذى آمنتم به كافرون﴾ وانما لم يقولوا انا بما ارسل به
كافرون اظهارا لمخالفتهم اياهم وردا لمقالتهم ﴿فعقروا الناقة﴾ اى نحروها اسند العقر الى الكل مع ان المباشر بعضهم
للملابسة او لان ذلك لما كان برضاهم فكأنه فعله كلهم وفيه تهويل للامر وتفظيعه بحيث اصابت غائلته الكل ﴿وعتوا

﴿وعتوا عن امر ربهم﴾ اى استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام من الامر والنهى ﴿وقالوا﴾ مخاطبين له
عليه السلام بطريق التعجيز والافحام على زعمهم ﴿يا صالح ائتنا بما تعدنا﴾ اى من العذاب والاطلاق للعلم به قطعا ﴿ان كنت
من المرسلين﴾ فان كونك من جملتهم يستدعى صدق ما تقول من الوعد والوعيد ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ اى الزلزلة لكن لا اثر
ما قالوا بل بعد ما جرى عليهم ما جرى من مبادى العذاب فى الايام الثلاثة حسبما مر تفصيله ﴿فأصبحوا فى دارهم﴾ اى صاروا فى ديارهم
وبلدهم او فى مساكنهم ﴿جاثمين﴾ خامدين موتى لا حراك بهم واصل الجثوم البروك يقال الناس جثوم اى قعود لا حراك بهم
ولا ينبسون بنبسة قال ابو عبيدة الجثوم للناس والطير البروك للابل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير
اضطراب وحركة كما يكون عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الاخذ وسرعة البطش اللهم انا نعوذ بك من نزول سخطك
وحلول غضبك وجاثمين خبر لاصبحوا والظرف متعلق به ولا مساغ لكونه خبرا وجاثمين حالا لافضائه الى كون الاخبار
بكونهم فى دارهم مقصودا بالذات وكونهم جاثمين قيدا تابعا له غير مقصود بالذات قيل حيث ذكرت الرجفة وحدت الدار
وحيث ذكرت الصيحة جمعت لان الصيحة كانت من السماء فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة فقرن كل منهما بما هو اليق به ﴿فتولى
عنهم﴾ اثر ما شاهد ما جرى عليهم تولى مغتم متحسر على ما فاتهم من الايمان متحزنا عليهم ﴿وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربى﴾
بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعى ولكن لم تقبلوا منى ذلك وصيغة المضارع فى قوله تعالى ﴿ولكن لا تحبون الناصحين﴾
حكاية حال ماضية اى شأنكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم خاطبهم عليه السلام بذلك كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهل قليب بدر حيث قال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقيل انما تولى عنهم قبل نزول العذاب
بهم عند مشاهدته عليه السلام لعلاماته تعالى ذاهبا عنهم منكرا لاصرارهم على ما هم عليه وروى ان عقرهم الناقة كان
يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى انه خرج فى مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكى فالتفت فرأى الدخان
ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروى انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ﴿ولوطا﴾ منصوب
بفعل مضمر معطوف على ما سبق وعدم التعرض للمرسل اليهم مقدما على المنصوب حسبما وقع فيما سبق وما لحق قد مر بيانه فى قصة
هود عليه السلام وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن اخى ابراهيم عليهما السلام كان من ارض بابل من العراق مع عمه
ابراهيم عليه السلام فهاجر الى الشام فنزل فلسطين وانزل لوطا الاردن وهى كورة بالشام فارسله الله تعالى الى اهل
سدوم وهو بلد بحمص وقوله تعالى ﴿اذ قال لقومه﴾ ظرف للفعل المذكور اى ارسلنا لوطا الى قومه وقت قوله لهم الخ ولعل
تقييد ارساله عليه السلام بذلك لما ان ارساله اليهم لم يكن فى اول وصوله اليهم وقيل هو بدل من لوطا بدل اشتمال على ان انتصابه
باذكر اى اذكر وقت قوله عليه السلام لقومه ﴿أتأتون الفاحشة﴾ بطريق الانكار التوبيخى اى اتفعلون تلك الفعلة
المتناهية فى القبح المتمادية فى الشرية والسوء ﴿ما سبقكم بها﴾ ما عملها قبلكم على ان الباء للتعدية كما فى قوله
عليه السلام سبقك بها عكاشة من قولك سبقته بالكرة اى ضربتها قبله ومن فى قوله تعالى ﴿من احد﴾ مزيدة
لتأكيد النفى وافادة معنى الاستغراق وفى قوله تعالى ﴿من العالمين﴾ للتبعيض والجملة مستأنفة مسوقة لتأكيد النكير
وتشديد التوبيخ والتقريع فان مباشرة القبيح قبيح واختراعه اقبح ولقد انكر الله تعالى عليهم اولا اتيان الفاحشة
ثم وبخهم بانهم اول من عملها فان سبك النظم الكريم وان كان على نفى كونهم مسبوقين من غير تعرض لكونهم سابقين
لكن المراد انهم سابقون لكل من عداهم من العالمين كما مر تحقيقه مرارا فى نحو قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
او مسوقة جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل من جهتهم لم لا نأتيها فقيل بيانا للعلة واظهارا للالزام ما سبقكم بها احد لغاية
قبحها وسوء سبيلها فكيف تفعلونها قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط قال محمد بن اسحق كانت لهم

ونصحت لكم

عامر وقرى لم يكن في الدنيا مثلها فقصدهم الناس فآذوهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ ان فعلتم بهم كذا وكذا
نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس عليهم قصدوهم فاصابوا غلمانا صباحا فاخبثوا فاستحكم فيهم ذلك قال الحسن كانوا
لا يفعلون ذلك الا بالغرباء وقال الكلبي اول من فعل به ذلك الفعل ابليس الخبيث حيث تمثل لهم في صورة شاب
جميل فدعاهم الى نفسه ثم عبثوا بذلك العمل انكم لتأتون الرجال خبر مستأنف لبيان تلك الفاحشة
وقرئ بهمزتين صريحتين وبتليين الثانية بغير مد وبمد ايضا على ان تأكيدا للانكار السابق وتشديد للتوبيخ
وفي زيادة ان واللام مزيد تقبيح وتقريع كان ذلك امر لا يتحقق صدوره عن احد فيؤكد تأكيدا قويا وفي ايراد
لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغة في التوبيخ وقوله تعالى شهوة مفعول له او
في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي له ان يكون الداعي له الى المباشرة
طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوة ويجوز ان يكون المراد الانكار عليهم وتقريعهم على اشتهائهم تلك الفعلة
الخبيثة المكروهة كما ينبئ عنه قوله تعالى من دون النساء اي متجاوزين النساء اللاتي هن محال الاشتهاء
كما ينبئ عنه قوله تعالى هن اطهر لكم بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار المذكور الى الاخبار بحالهم التي
افضت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف
اي لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه اي المستكبرين منهم المتولين للامر
والنهي المتصدين للحل والعقد وقوله تعالى الا ان قالوا استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي ما كان
جوابا من جهة قومه شيء من الاشياء الا قولهم اي لبعضهم الآخرين المباشرين للامور معرضين عن مخاطبته
اخرجوهم اي لوطا ومن معه من اهله المؤمنين من قريتكم اي الا هذا القول الذي لا يتخيل بان يكون
جوابا لكلام لوط عليه السلام وقرئ برفع جواب على انه اسم كان والا ان قالوا الخ خبرها وهو اظهر وان كان الاول
اقوى في الصناعة لان الاعرف احق بالاسمية واياما كان فليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن مقالات لوط ع م
ومواعظه الا هذه المقالة الباطلة كما هو المتسارع الى الافهام بل انه لم يصدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات
المحاورات الجارية بينهم وبينه عليه السلام الا هذه الكلمة الشنيعة والا فقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما
حكي عنهم في سائر السور الكريمة وهذا هو الوجه في نظائره الواردة بطريق القصر وقوله تعالى انهم اناس
يتطهرون تعليل للامر بالاخراج ووصفهم بالتطهر للاستهزاء والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبائث
والافتخار بما هم فيه من القذارة كما هو ديدن الشطار والدعار فانجيناه واهله اي المؤمنين منهم الا
امرأته استثناء من اهله فانها كانت تسر بالكفر كانت من الغابرين اي الباقين في ديارهم
الهالكين فيها والتذكير للتغليب ولبيان استحقاقها لما يستحقه المباشرون الفاحشة والجملة استئناف وقع جوابا
عن سؤال نشأ عن استثنائها من حكم الانجاء كأنه قيل فماذا كان حالها فقيل كانت من الغابرين وامطرنا
عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وقد بينه قوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قال ابو عبيدة
مطر في الرحمة وامطر في العذاب وقال الراغب مطر في الخير وامطر في العذاب والصحيح ان امطرنا بمعنى ارسلنا
عليهم ارسال المطر قيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا اربعة آلاف بين الشام والمدينة فامطر
الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر
عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم

فوقع عليه وروي ان امرأته التفتت نحو ديارها فاصابها حجر فماتت فانظر كيف كان عاقبة المجرمين
خطاب لكل من يتأتى منه التأمل والنظر تعجيبا من حالهم وتحذيرا من اعمالهم والى مدين اخاهم شعيبا
عطف على قوله والى عاد اخاهم هودا وما عطف عليه وقد روعي ههنا ما في المعطوف عليه من تقديم المجرور
على المنصوب اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين
وقيل شعيب بن ثويب بن مدين وقيل شعيب بن يثرون بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء عليهم السلام
لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين مع كفرهم قال استئناف مبني على سؤال
نشأ عن حكاية ارساله اليهم كأنه قيل فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره مر تفسيره
مرارا قد جاءتكم بينة اي معجزة وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة
لمفعوله مؤكدة لفخامته الذاتية المستفادة من تنكيره بفخامته الاضافية اي بينة عظيمة ظاهرة كائنة
من ربكم ومالك اموركم ولم يذكر معجزته عليه السلام في القرآن العظيم كما لم يذكر اكثر معجزات النبي عليه السلام
فمنها ما روي من محاربة عصا موسى عليه السلام التنين حين دفع غنمه ومنها ولادة الغنم الدرع خاصة
حين وعد ان يكون له الدرع من اولادها ومنها وقوع عصا آدم على يده في المرات السبع لان كل ذلك
كان قبل ان يستنبأ موسى عليه السلام وقيل البينة مجيئه عليه السلام كما في قوله تعالى ارأيتم ان كنت على بينة من ربي
اي حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما آتاه الله تعالى من النبوة والحكمة فاوفوا الكيل اي المكيال كما وقع
في سورة هود ويؤيده قوله تعالى والميزان فان المتبادر منه الآلة وان جاز كونه مصدرا اي المكيال
وقيل آلة الكيل والوزن على الاضمار والفاء لترتيب الامر على مجيء البينة ويجوز ان يكون عاطفة على اعبدوا
فان عبادة الله تعالى موجبة للاجتناب عن المناهي التي معظمها بعد الكفر البخس الذي كانوا يباشرونه ولا
تبخسوا الناس اشياءهم التي تشترونها بها معتمدين على تمامها اي شيء كان واي مقدار كان فانهم كانوا يبخسون الجليل
والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه قال زهير افي كل اسواق العراق اتاوة
وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم ولا تفسدوا في الارض اي بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعدما
اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم باجراء الشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كاضافة مكر الليل والنهار
ذلكم خير لكم اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية
وحسن الاحدوثة وما يطلبونه من التكسب والربح لان الناس اذا عرفوهم بالامانة رغبوا في معاملتهم ومتاجرتهم
ان كنتم مؤمنين اي مصدقين في قولي هذا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون اي بكل طريق من طرق الدين
كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا
رأوا احدا يشرع في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب
لا يفتننك عن دينك ويتوعدون لمن آمن به وقيل يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله
اي السبيل الذي قعدوا عليه فوضع المظهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا
لما كانوا عليه او الايمان بالله وبكل صراط على انه عبارة عن طرق الدين وقوله تعالى من آمن به
مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقيل وتصدونهم وتوعدون حال من الضمير
في تقعدوا وتبغونها عوجا اي وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او بوصفها للناس بانها

معوجة وهي بعد شيء من شائبة الاعوجاج واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم بالبركة في النسل والمال
وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود واضرابهم
واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به من الشرائع والاحكام وطائفة لم يؤمنوا اي به
ارسلت به
او لم يفعلوا الايمان فاصبروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين
ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا
من قومه استئناف مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قالوا بعدما سمعوا هذه المواعظ من شعيب
فقيل قال الاشراف من قومه المستكبرين منهم ولم يكتفوا بمجرد الاستعصاء عليه والامتناع من الطاعة
بل بالغوا في العتو والاستكبار الى ان قصدوا استتباعه عليه السلام فيما هم فيه واتباعه المؤمنين واجترؤا
على اكراههم عليه بوعيد النفي وخاطبوه عليه السلام بذلك على طريقة التوكيد القسمي لنخرجنك يا شعيب و
الذين آمنوا معك بنسبة الاخراج اليه عليه السلام اولا والى المؤمنين ثانيا بعطفهم عليه تنبيها على اصالته عليه السلام
في الاخراج وتبعيتهم له فيه كما ينبئ عنه قوله تعالى معك فانه متعلق بالاخراج لا بالايمان وتوسيط
النداء باسمه العلمي بين المعطوفين لزيادة التقرير والتهديد الناشئة عن غاية الوقاحة والطغيان اي والله
لنخرجنك واتباعك من قريتنا بغضا لكم ودفعا لفتنتكم المترتبة على المساكنة والجوار وقوله تعالى او لتعودن
في ملتنا عطف على جواب القسم اي والله ليكونن احد الامرين البتة على ان المقصد الاصلي هو العود وانما
ذكر النفي والاجلاء لمحض القسر والالجاء كما يفصح عنه عدم تعرضه عليه السلام لجواب الاخراج كانهم قالوا لا نترككم
فيما بيننا حتى تدخلوا في ملتنا وانما قالوا له عليه السلام في خطاب العود مع استحالة كونه عليه السلام في ملتهم قبل
ذلك انما هو بطريق تغليب الجماعة على الواحد وانما لم يقولوا او لنعيدنكم على طريقة ما قبله لان مرادهم ان يعودوا
لها بصورة الطواعية حذارا للاخراج باختيار اهون الشرين لا اعادتهم بسائر وجوه الاكراه والتعذيب
قال استئناف كما سبق اي قال عليه السلام ردا لمقالتهم الباطلة وتكذيبا لهم في ايمانهم الفاجرة اولو كنا
كارهين على ان الهمزة لانكار الوقوع ونفيه لا لانكار الواقع واستقباحه كالتي في قوله تعالى او لو جئتك بشيء مبين
ويجوز ان يكون الاستفهام فيه باقيا على حاله وقد مر مرارا ان كلمة لو في مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء
في الزمن الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند
القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة
من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها
منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لان الشيء متى تحقق
مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة
على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل
الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي
ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقاء المعنى على حاله اما في غيره واما فيما نحن
فيه ففيه نوع خفاء لتغيره بورود الانكار عليه لكن الحال في الكل واحد لان كلمة لو في الصورتين المذكورتين متعلقة
بفعل النفي المذكور قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او ما يتعلق به وان

وان ما في حيزها لو مقرر على ما هو عليه من الاستبعاد بخلاف ما نحن فيه فان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور
وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو مدلوله لا مدلول المذكور وان الجملة حال من ضميره لا من ضمير المذكور كما سيأتي
وان المقصود الاصلي انكار مدلوله من حيث مقارنته للحالة المذكورة واما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة
وان ما في حيزها لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر مقرر الا انه اخرج مخرج الاستبعاد مبالغة في الانكار
من جهة ان العود مما ينكر عند كون الكراهة امرا مستبعدا فكيف به عند كونها امرا محققا ومعاملة على الطبين
على معتقدهم لاستنزالهم من رتبة العناد وليس المراد بالكراهة مجرد كراهة المؤمنين للعود في ملة الكفرة ابتداء
حتى يقال انها معلومة لهم فكيف تكون مستبعدة عندهم بل انما هي كراهتهم له بعد وعيد الاخراج الذي جعل قرينا
للقتل في قوله تعالى ولو انا كتبنا الآية فانهم كانوا يستبعدونها ويطمعون في انهم يختارون العود خشية
الاخراج اذ رب مكروه يختار عند حلول ما هو اشد منه وافظع والتقدير انعود فيها لو لم نكن كارهين ولو
كنا كارهين غير مبالين بالاكراه والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير الفعل المقدر حسبما اشير اليه اي ما له
العود فيها حال عدم الكراهة وحال الكراهة انكارا لما يفيده كلمتهم الشنيعة باطلاقها من العود على اي حالة كانت
غير انه اكتفى بذكر الحالة الثانية التي هي اشد الاحوال منافاة للعود واكثرها بعدا منه تنبيها على انها هي الواقعة في نفس الامر
وثقة باغنائها عن ذكر الاولى اغناء واضحا لان العود الذي تعلق به الانكار حين تحقق مع الكراهة على ما يوجبه
كلامهم فلأن يتحقق مع عدمها اولى فان قلت النفي المستفاد من الاستفهام الانكاري فيما نحن فيه بمنزلة صريح النفي ولا ريب
في ان الاولوية هناك معتبرة بالنسبة الى النفي الا ترى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها
اعني عدم الغنى هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند عدم الكراهة عدم العود
لا نفسه اذ هو الذي يدل عليه قولنا انعود لانه في معنى لا نعود فلم اختلف الحال بينهما قلت لان مناط الاولوية هو الحكم
الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو
نفس العود المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم لتعودن واما الاستفهام
فخارج عنه وارد عليه لابطال ما يفيده ونفي ما يقتضيه لا انه من تمامه كما في صورة النفي وتوضيحه ان بين النفيين فرقا
معنويا يختلف به احكامهما التي من جملتها ما ذكر من اعتبار الاولوية في احدهما بالنسبة الى نفسه وفي الآخر بالنسبة
الى متعلقه ولذلك لا يستقيم اقامة احدهما مقام الآخر على وجه الكلية الا يرى انك لو قلت مكان انعود فيها انا
لا نعود فيها ولو كنا كارهين لاختل المعنى اختلالا فاحشا لان مدلول الاول نفي العود المقيد بحال الكراهة
ومدلول الثاني تقييد العود المنفي بها وذلك لان حرف النفي يباشر نفس الفعل وينفيه وما يذكر بعده يرجع اليه من حيث هو
منفي واما همزة الاستفهام فانما تباشر الفعل بعد تقييده بما بعده لان دلالتها على الانكار والنفي ليست بدلالة
وضعية كدلالة حرف النفي حتى يتعلق معناها بنفس الفعل الذي يليها ويكون ما بعده راجعا اليه من حيث هو منفي بل هي عقلية
مستفادة من سياق الكلام فلا بد ان يكون ما يذكر بعد الفعل من موانعه ودواعي انكاره ونفيه حتما
ليكون قرينة صارفة للهمزة عن حقيقتها الى معنى الانكار والنفي ولما كان المقصود نفي الحكم على كل حال مع الاقتصار
على ذكر بعض منها مغن عن ذكر ما عداها لاستلزام تحققه معه تحققه مع غيره بطريق الاولوية وكانت حال الكراهة
عند كونها قيدا لنفس العود كذلك اي مغنيا عن ذكر سائر الاحوال ضرورة ان تحقق العود في حال الكراهة يستلزم
تحققه في حال عدمها البتة وعند كونها قيدا لنفيه ليست كذلك اي غير مغن عن ذكر غيرها ضرورة ان نفي العود في حال الكراهة

لا يستلزم نفيه في غيرها بل الامر بالعكس فان نفيه في حال الارادة مستلزم لنفيه حال الكراهة قطعا استقام
الاول لافادته نفي العود في الحالتين مع الاقتصار على ذكر ما هو غني عن ذكر الاخرى ولم يستقم الثاني لعدم افادة
اياه على الوجه المذكور ان قيل فما وجه استقامتها جميعا عند ذكر المعطوفين معا حيث يصح ان يقال العود فيها ولو لم
نكن كارهين ولو كنا كارهين مع ان المقدر في حكم الملحوظ قلنا وجهها ان كلا منهما يفيد معنى صحيحا في نفسه لا ان
معنى احدهما عين معنى الآخر او مستلزمان متفقان في جميع الاحكام كيف لا ومدلول الاول ان العود منتف في الحالتين
ومدلول الثاني ان العود في الحالتين منتف وكلا المعنيين صحيح في نفسه مصحح لنفي العود في الحالتين مع ذكرهما معا غير ان الثاني
مصحح لنفي العود في الحالتين مع الاقتصار على ذكر حالة الكراهة على عكس المعنى الاول فانه مصحح لنفيه فيهما مع الاقتصار
على ذكر حالة الارادة قد افترينا على الله كذبا اي كذبا عظيما لا يقادر قدره ان عدنا في ملتكم التي هي
الشرك وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فقد افترينا على الله
كذبا عظيما حيث نزعم حينئذ ان لله تعالى ندا وليس كمثله شيء فانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه من الاسلام باطل
وان ما كنتم عليه من الكفر حق واي افتراء اعظم من ذلك وقيل انه جواب قسم محذوف حذف عنه اللام تقديره والله لقد
افترينا وما يكون لنا وما يصح وما يستقيم لنا ان نعود فيها في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات
الا ان يشاء الله اي الا حال مشيئة الله تعالى او وقت مشيئته تعالى لعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون
كما ينبئ عنه قوله تعالى ربنا فان التعرض لعنوان ربوبيته تعالى لهم مما ينبئ عن استحالة مشيئته تعالى
لارتدادهم قطعا وكذا قوله بعد اذ نجانا الله منها فان تنجيته تعالى لهم منها من دلائل عدم مشيئته لعودهم
فيها وقيل معناه الا ان يشاء الله خذلاننا وقيل فيه دليل على ان الكفر بمشيئته تعالى وايا ما كان فليس المراد بذلك
بيان ان العود فيها في حيز الامكان وخطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعها
كانه قيل وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وهيهات ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيئته تعالى
وسع ربنا كل شيء علما فهو محيط بكل ما كان وما سيكون من الاشياء التي من جملتها احوال عباده وعزائمهم و
نياتهم وما هو اللائق بكل واحد منهم فمحال من لطفه ان يشاء عودنا فيها بعدما نجانا منها مع اعتصامنا به خاصة حسبما
ينطق به قوله تعالى على الله توكلنا اي في ان يثبتنا على ما نحن عليه من الايمان ويتم علينا نعمته بانجائنا من الا
بالكلية واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار للمبالغة في التضرع والجؤار وقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق اعراض عن مقاولتهم وتتميم لما ظهر له عليه السلام انهم من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم الايمان اصلا
واقبال على الله تعالى بالدعاء لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين اي احكم بيننا بالحق والفتاحة الحكومة
او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين
تذييل مقرر لمضمون ما قبله على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه عطف على قال الملأ الذين الخ ولعل هؤلاء
غير اولئك المستكبرين ودونهم في الرتبة شأنهم الوساطة بينهم وبين العامة والقيام بامورهم حسبما يراه المستكبرون
وتجويز ان يكونوا عين الاولين وتغيير الصلة لما ان مدار قولهم هذا هو الكفر كما ان مناط قولهم السابق هو الاستكبار
اي قال اشرافهم الذين اصروا على الكفر لاعقابهم بعد ما شاهدوا اصلاب شعيب عليه السلام ومن معه من المؤمنين
في الايمان وخافوا ان يستتبعوا قومهم تثبيطا لهم عن الايمان به وتنفيرا لهم عنه على طريقة التوكيد القسمي والله
لئن اتبعتم شعيبا ودخلتم في دينه وتركتم دين آبائكم انكم اذا لخاسرون اي في الدين

لاشترائكم الضلالة بهداكم او في الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف واذا حرف جواب وجزاء معترض بين اسم
ان وخبرها والجملة سادة مسد جوابي الشرط والقسم الذي وطأته اللام فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة
وهكذا في سورة العنكبوت وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام ولعلها من
مبادي الرجفة فاسند هلاكهم الى السبب القريب تارة والى البعيد اخرى فاصبحوا في دارهم اي في مدينتهم
وفي سورة هود في ديارهم جاثمين اي ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها الذين كذبوا شعيبا
استئناف لبيان ابتلائهم بشؤم قولهم فيما سبق لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا وعقوبتهم
بمقابلته والموصول مبتدأ خبره قوله تعالى كأن لم يغنوا فيها اي استؤصلوا بالمرة وصاروا كانهم لم يقيموا
بقريتهم اصلا اي عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا هم المخرجين من القرية اخراجا لا دخول بعده ابدا وقوله تعالى
الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين استئناف آخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الاخير واعادة الموصول والصلة كما هي
لزيادة التقرير والايذان بان ما ذكر في حيز الصلة هو الذي استوجب العقوبتين اي الذين كذبوه عليه السلام عوقبوا
بمقالتهم الاخيرة فصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين لا المتبعون له عليه السلام وبهذا القصر اكتفي عن التصريح
بانجائه عليه السلام كما وقع في سورة هود ومن قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه الى آخره
فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله عليه السلام بعدما هلكوا تأسفا
بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه ذلك فقال فكيف آسى اي احزن حزنا شديدا على قوم كافرين
مصرين على الكفر ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد
بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ آسى
بالامالة وما ارسلنا في قرية من نبي اشارة اجمالية الى بيان احوال سائر الامم اثر بيان احوال المذكورة
تفصيلا ومن مزيدة لتأكيد النفي والصفة محذوفة اي من نبي كذب او كذبه اهلها الا اخذنا استثناء مفرغ من اعم الاحوال
واخذنا في محل النصب من فاعل ارسلنا والفعل الماضي لا يقع بعد الا الا باحد الشرطين اما تقدير قد كما في هذه الآية او مقارنة
قد كما في نحو قولك ما زيد الا قد قام والتقدير وما ارسلنا في قرية من القرى المهلكة نبيا من الانبياء في حال من الاحوال
الا حال كوننا آخذين اهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لكن لا على معنى ان
ابتداء الارسال مقارن للاخذ المذكور بل على انه مستتبع له غير منفك عنه بالآخرة لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم
عليه حسبما فعلت الامم المذكورة لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة عن اكتافهم
كقوله تعالى لقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ثم بدلنا عطف
على اخذنا داخل في حكمه مكان السيئة التي اصابتهم للغاية المذكورة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا
فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة كقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا اي كثروا عددا
وعددا من عفا النبات اذا كثر وتكاثف وابطرتهم النعمة وقالوا غير واقفين على ان ما اصابهم من الامرين ابتلاء
من الله سبحانه قد مس آباءنا الضراء والسراء كما مسنا ذلك وما هو الا من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء
والسراء من غير ان يكون هناك داعية تؤدي اليهما او تبعة تترتب عليهما ولعل تأخير السراء للاشعار بانها تعقب الضراء
فلا ضير فيها فاخذناهم اثر ذلك بغتة فجاءة اشد الاخذ وافظعه وهم لا يشعرون بذلك لا
يخطرون ببالهم شيئا من المكاره كقوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا الآية وليس المراد بالاخذ بغتة اهلاكهم طرفة عين كاهلاك عاد

الخاسرين

سو الا اخذنا اهلها

وقوم لوط بل بالتي وما بمضي بين الاخذ واتمام الاهلاك ايام كذاب ثمود ﴿ولو ان اهل القرى﴾ اى القرى المهلكة
المدلول عليها بقوله تعالى في قرية وقيل هي مكة وما حولها من القرى وقيل جنس القرى المنتظمة لما ذكر ههنا انتظاما اوليا
﴿آمنوا﴾ بما اوحي الى انبيائهم معتبرين بما جرى عليهم من الابتلاء بالضراء والسراء ﴿واتقوا﴾ اى الكفر والمعاصي
او اتقوا ما انذروا به على السنة الانبياء عليهم السلام ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ولم يحملوا ابتلاء الله تعالى
على عادات الدهر وقال ابن عباس رضي الله عنهما وحدوا الله واتقوا الشرك ﴿لفتحنا عليهم بركات من السماء
والارض﴾ لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب مكان ما اصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها من الارض
وقيل المراد المطر والنبات وقرئ لفتحنا بالتشديد للتكثير ﴿ولكن كذبوا﴾ اى ولكن لم يؤمنوا ولم يتقوا وقد اكتفى بذكر الاول
لاستلزامه للثاني ﴿فاخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ من انواع الكفر والمعاصي التي من جملتها قولهم قد مس آباءنا الخ وهذا
الاخذ عبارة عما في قوله تعالى فاخذناهم بغتة لا عن الجدب والقحط كما قيل فانهما قد زالا بتبديل الحسنة مكان السيئة
﴿افامن اهل القرى﴾ اى اهل القرى المذكورة على وضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مدار التوبيخ امن كل طائفة
ما اتاهم من البأس لا امن مجموع الامم فان كل طائفة منهم اصابهم بأس خاص بهم لا يتعداهم الى غيرهم كما سيأتي والهمزة
لانكار الوقوع ونفيه كما قاله ابو شامة وغيره لقوله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون والفاء للعطف
على اخذناهم وما بينهما اعتراض توسط بينهما للمسارعة الى بيان ان الاخذ المذكور مما كسبت ايديهم والمعنى ابعد ذلك
الاخذ امن اهل القرى ﴿او امن اهل القرى﴾ انكار بعد انكار ﴿ان يأتيهم بأسنا بياتا﴾ اى تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو
في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم ﴿وهم نائمون﴾ حال من ضميرهم البارز او المستتر
في بياتا انكار للمبالغة في التوبيخ والتشديد ولذلك لم يقل افامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا
بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون وقرئ او بسكون الواو على الترديد ﴿ان يأتيهم بأسنا ضحى﴾
اى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت ﴿وهم يلعبون﴾ اى يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم
كانهم يلعبون ﴿افامنوا مكر الله﴾ تكرير للنكير لزيادة التقرير ومكر الله تعالى استعارة لاستدراجه العبد واخذه
من حيث لا يحتسب والمراد به اتيان بأسه تعالى في الوقتين المذكورين ولذلك عطف الاول والثالث بالفاء فان الانكار فيهما
متوجه الى ترتب الامن على الاخذ المذكور واما الثاني فمن تتمة الاول ﴿فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون﴾ اى الذين
خسروا انفسهم واضاعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها والاستعداد القريب المستفاد من النظر في الآيات ﴿اولم يهد
للذين يرثون الارض من بعد اهلها﴾ اى يخلفون من خلا قبلهم من الامم المهلكة ويرثون ديارهم والمراد بهم اهل مكة
ومن حولها وتعدية فعل الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم كانه قيل اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم واما لانها
بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل على التقديرين هو الجملة الشرطية اى اولم يبين لهم مآل امرهم ﴿ان لو نشاء اصبناهم
بذنوبهم﴾ ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم او بسبب ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وقرئ نهد بنون العظمة
فالجملة مفعوله ﴿ونطبع على قلوبهم﴾ عطف على ما يفهم من قوله تعالى اولم يهد كانه قيل لا يهتدون او يغفلون عن الهداية
او عن التفكر والتأمل او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لافضائه الى نفي الطبع
عنهم لانه في سياق جواب لو ﴿فهم لا يسمعون﴾ اى اخبار الامم المهلكة فضلا عن التدبر والنظر فيها
والاغتنام بما في تضاعيفها من الهدايات ﴿تلك القرى﴾ جملة مستأنفة جارية مجرى الفذلكة لما قبلها من القصص
منبئة عن غاية غواية الامم المذكورين وتماديهم فيها بعدما اتتهم الرسل بالمعجزات الباهرة وتلك اشارة الى قرى الامم المحكية

على ان اللام للعهد وهو مبتدأ وقوله تعالى ﴿نقص عليك من انبائها﴾ خبره وصيغة المضارع للايذان بعدم
انقضاء القصة بعد ومن للتبعيض اى بعض اخبارها التي فيها عظة وتذكير وقيل تلك مبتدأ والقرى خبره وما
بعده حال او خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وتصدير الكلام بذكر القرى
واضافة الانباء اليها مع ان المقصوص انباء اهلها والمقصود بيان احوالهم حسبما يعرب عنه قوله تعالى ﴿ولقد جاءتهم
رسلهم بالبينات﴾ لان حكاية هلاكها بالمرة على وجه الاستئصال بحيث يشمل اماكنهم ايضا بالخسف بها والرجفة وبقائها خاوية
معطلة اهول وافظع والباء في قوله تعالى بالبينات متعلقة اما بالفعل المذكور على انها للتعدية واما بمحذوف وقع حالا من
فاعله اى ملتبسين بالبينات لكن لا بان يأتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء
الحكمة فان مراعاة انقسام الآحاد الى الآحاد انما هي فيما بين الرسل وضمير الامم والجملة مستأنفة مبينة لكمال عتوهم وعنادهم
اى وبالله لقد جاء كل امة من تلك الامم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة المتكثرة المتواردة عليهم الواضحة
الدلالة على صحة رسالته الموجبة للايمان حتما وقوله تعالى ﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾ بيان لاستمرار عدم ايمانهم
في الزمان الماضي لا لعدم استمرار ايمانهم وترتب حالهم هذه على مجيء الرسل بالبينات بالفاء لان الاستمرار على فعل من الافعال
بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه في الحقيقة لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث
نحو وعظته فلم يتعظ وزجرته فلم يزدجر واللام لتأكيد النفي اى فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام
في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم الى ان لقوا ما لقوا لغاية عتوهم وشدة شكيمتهم
في الكفر والطغيان ثم ان كان المحكي عنهم آخر حال كل قوم منهم فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد
اللتيا والتي وبما اشير اليه بقوله تعالى ﴿بما كذبوا من قبل﴾ تكذيبهم من لدن مجيء الرسل الى وقت الاصرار
والعناد وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول بل جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه وانما المحتاج الى
البيان عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا
من اصحاب العقول والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء
بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين مجيء
الرسل الخ وبما اشير اليه آخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من جعل الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي اجمعت عليها
الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثرا ذي اثر لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها
قبل مجيء رسلهم انهم كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كانت كل امة من اولئك الامم
يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيء رسلهم كحالتهم قبل ذلك كأن لم
يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم
حين لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلأن لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب
مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور فلك العذاب والعقاب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب
عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى كلا
التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم والمعنى فما كان الابناء ليؤمنوا
بما كذب به الآباء ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل المراد ما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ورددناهم
الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل الباء للسببية وما مصدرية اى

بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل البعثة الرسل ولا يرد عليه ههنا ما ورد في سورة يونس من مخالفة الجمهور بجعل ما المصدرية من قبيل الاسماء كما هو رأي الاخفش وابن السراج ليرجع اليه الضمير اليه في به ۞ كذلك
اي مثل ذلك الطبع الشديد المحكم ۞ يطبع الله على قلوب الكافرين ۞ اي من المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر فيها الآيات
والنذر وفيه تحذير للسامعين واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وادخال الروعة ۞ وما وجدنا
لاكثرهم ۞ اي لاكثر الامم المذكورين واللام متعلقة بالوجدان كما في قولك ما وجدت له مالا اي ما صادفت له مالا
ولقيته او بمحذوف وقع حالا من قوله ۞ من عهد ۞ لانه في الاصل صفة للنكرة فلما قدمت عليها انتصبت حالا
والاصل وما وجدنا عهدا كائنا لاكثرهم ومن مزيدة للاستغراق اي ما وجدنا لاكثرهم من وفاء عهد فانهم نقضوا
ما عاهدوا الله عليه عند مس البأساء والضراء قائلين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وتخصيص
هذا الشأن باكثرهم ليس لان بعضهم كانوا يوفون بعهودهم بل لان بعضهم كانوا لا يعهدون ولا يفون وقيل المراد
بالعهد ما عاهد الله تعالى اليهم من الايمان والتقوى بنصب الآيات وانزال الحجج وقيل ما عاهدوا عند خطاب الست بربكم
فالمراد باكثرهم كلهم وقيل الضمير للناس والجملة اعتراض فان اكثرهم لا يوفون بالعهود باي معنى كان ۞ وان وجدنا
اكثرهم ۞ اي اكثر الامم اي علمناهم كما في قولك وجدت زيدا ذا حفاظ وقيل الاول ايضا كذلك وان مخففة من ان وضمير
الشأن محذوف اي ان الشأن وجدنا هم ۞ لفاسقين ۞ خارجين عن الطاعة ناقضين للعهود وعند الكوفيين
ان ان نافية واللام بمعنى الا اي ما وجدناهم الا فاسقين ۞ ثم بعثنا من بعدهم موسى ۞ اي ارسلناه
من بعد انقضاء وقائع الرسل المذكورين عليهم السلام او من بعد هلاك الامم المحكية والتصريح بذلك مع دلالة ثم على التراخي
للايذان بان بعثه عليه السلام جرى على سنن السنة الالهية من ارسال الرسل تترى وتقديم الجار والمجرور على المفعول
الصريح للاهتمام به من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ۞ باياتنا ۞ متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول
بعثنا او صفة لمصدره اي بعثناه عليه السلام ملتبسا باياتنا او بعثناه بعثا ملتبسا بها وهي الآيات التسع
المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
حسبما سيأتي على التفصيل ۞ الى فرعون ۞ هو لقب لكل من ملك مصر من العمالقة كما ان كسرى لقب لكل من ملك فارس
وقيصر لكل من ملك الروم واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان ۞ وملائه ۞ اي اشراف قومه و
تخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة حيث كانوا جميعا مأمورين بعبادة رب العالمين
وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لاصالتهم في تدبير
الامور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور ۞ فظلموا بها ۞ اي كفروا بها اجرى الظلم مجرى الكفر لكونهما
من واد واحد او ضمن معنى الكفر او التكذيب اي ظلموا كافرين بها او مكذبين بها او كفروا بها مكان الايمان الذي
هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وقيل ظلموا انفسهم بسببها بان عرضوها للعذاب الخالد
او ظلموا الناس بصدهم عن الايمان بها والمراد به الاستمرار على الكفر الى ان لقوا من العذاب ما لقوا الابرى الى قوله
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ۞ فكما ان ظلمهم بها مستتبع لتلك العاقبة الهائلة كذلك حكاية ظلمهم بها مستتبع للامر بالنظر
اليها وكيف خبر كان قدم على اسمها لاقتضائه الصدارة والجملة في حيز النصب بسقاط الخافض اي فانظر بعين
عقلك الى كيفية ما فعلنا بهم ووضع المفسدين موضع ضميرهم للايذان بان الظلم مستلزم للافساد ۞ وقال موسى ۞
كلام مبتدأ مسوق لتفصيل ما اجمل فيما قبله من كيفية اظهار الآيات وكيفية عاقبة المفسدين ۞ يا فرعون

يا فرعون اني رسول اليك ۞ من رب العالمين ۞ على الوجه الذي مر بيانه ۞ حقيق على ان لا اقول على الله
الا الحق ۞ جواب عما ينساق الى الذهن من حكاية ظلمهم بالآيات من تكذيبهم اياه عليه السلام في دعوى الرسالة وكان
اصله حقيق علي ان لا اقول الخ كما هو قراءة نافع فقلب لامن من الالباس كما في قول من قال وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى واجب على القول الحق ان اكون انا قائله
لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت
على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول ۞ وقوله تعالى ۞ قد جئتكم ببينة من ربكم ۞
استئناف مقرر لما قبله من كونه رسولا من رب العالمين وكونه حقيقا بقول الحق ولم يكن هذا القول منه عليه السلام
وما بعده من جواب فرعون اثر ما ذكر ههنا بل بعد ما جرى بينهما من المحاورة المحكية بقوله تعالى قال فمن ربكما الآيات
وقوله تعالى وما رب العالمين الآيات وقد طوى ههنا ذكره للايجاز ومن متعلقة بجئتكم على انها لابتداء الغاية مجازا
او بمحذوف وقع صفة لبينة مفيدة لفخامتها الاضافية المؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة من التنوين
التفخيمي واضافة اسم الرب الى المخاطبين بعد اضافته فيما قبل الى العالمين لتاكيد وجوب الايمان بها ۞ فارسل
معي بني اسرائيل ۞ اي فخل لهم حتى يذهبوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم بعد انقراض
الاسباط يستعملهم ويكلفهم الاعمال الشاقة فانقذهم الله تعالى بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذي
دخل يوسف عليه السلام واليوم الذي دخل موسى عليه السلام اربعمائة عام والفاء لترتيب الارسال والامر به
على ما قبله من رسالته عليه السلام ومجيئه بالبينة ۞ قال ۞ استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل
فماذا قال فرعون له عليه السلام حين قال له ما قال فقيل قال ۞ ان كنت جئت باية ۞ اي من عند من ارسلك
كما تدعيه ۞ فات بها ۞ اي فاحضرها عندي ليثبت بها رسالتك ۞ ان كنت من الصادقين ۞ في دعواك
فان كونك من جملة المعروفين بالصدق يقتضي اظهار الآية لا محالة ۞ فالقى عصاه فاذا هي ثعبان ۞ اي ظاهر امره
لا يشك في كونه ثعبانا وهو الحية العظيمة وايثار الجملة الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب وثبات وصف الثعبانية
فيها كانها في الاصل كذلك روي انها لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل
على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة
وعشرون الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه
فعاد عصا ۞ ونزع يده ۞ اي من جيبه او من تحت ابطه ۞ فاذا هي بيضاء للناظرين ۞ اي بيضاء بياضا
نورانيا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة تعجبا من امرها وذلك ما روي انه
ارى فرعون يده فقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا
نورانيا غلب شعاعه شعاع الشمس وكان عليه السلام آدم شديد الادمة وقيل بيضاء للناظرين لانها
كانت بيضاء في جبلتها ۞ قال الملأ من قوم فرعون ۞ اي الاشراف منهم وهم اصحاب مشورته ۞ ان هذا لساحر
عليم ۞ اي مبالغ في علم السحر ماهر فيه قالوه تصديقا لفرعون وتقريرا لكلامه فان هذا القول بعينه معزي
في سورة الشعراء اليه ۞ يريد ان يخرجكم من ارضكم ۞ اي ارض مصر ۞ فماذا تامرون ۞ من تتمة القول وماذا
في محل النصب على انه مفعول ثان لتامرون بحذف الجار والاول محذوف والتقدير باي شيء تامرونني وهذا من كلام
فرعون كانه قال تعالى ذلك ليسمعهم ابي لم احتفه بالعيب اي فاذا كان كذلك فماذا تشيرون علي في امره وقيل قال الملأ من قبله

مبين

بطريق التبليغ الى العامة فقوله تعالى قالوا ارجه واخاه على الاول وهو الاظهر حكاية لكلام الملأ الذين
شاورهم فرعون وعلى الثاني لكلام العامة الذين خاطبهم الملأ ويأباه ان الخطاب لفرعون وان المشاورة ليست
من وظائفهم اي اخره واخاه وعدم التعرض لظهور كونه معه حسبما تنادي به الآيات الاخر والمعنى اخر امرهما واصدرهما
عنك حتى ترى رايك فيهما وتدبر شانهما وقرئ ارجئه وارجئه من ارجأ وارجه من ارجاه وارسل في المدائن حاشرين
قيل هي مدائن صعيد وكان رؤساء السحرة ومهرتهم باقصى مدائن الصعيد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا
سبعين ساحرا قد اخذوا السحر من رجلين مجوسيين من اهل نينوى مدينة يونس عليه السلام بالموصل ورد ذلك
بان المجوسية ظهرت بزرادشت وهو انما جاء بعد موسى عليه السلام يأتوك بكل ساحر عليم اي ماهر في السحر
وقرئ بكل سحار عليم والجملة جواب للامر وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل اليهم الحاشرين وانما لم يصرح به حسبما في قوله فارسل
في المدائن حاشرين للايذان بمسارعة فرعون الى الارسال ومبادرة الحاشرين والسحرة الى الامتثال قالوا
استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيء السحرة كانه قيل فماذا قالوا عند مجيئهم اياه فقيل قالوا مدلين بما عندهم
واثقين بغلبتهم ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين بطريق الاخبار بثبوت الاجر وايجابه كانهم قالوا لابد لنا من اجر
عظيم او بطريق الاستفهام التقريري بحذف الهمزة وقرئ باثباتها وقولهم ان كنا نحن لتعيين مناط ثبوت
الاجر لا لترددهم في الغلبة وتوسيط الضمير وتحلية الخبر باللام للقصر اي ان كنا نحن الغالبين لا موسى قال نعم
وقوله تعالى وانكم لمن المقربين عطف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كانه قال ان لكم لاجرا وانكم مع ذلك لمن
المقربين للمبالغة في الترغيب وروي انه قال لهم تكونون اول من يدخل مجلسي وآخر من يخرج عنه قالوا استئناف
كما مر كانه قيل فماذا فعلوا بعد ذلك فقيل قالوا متصدين لشانهم مخاطبين لموسى عليه السلام يا موسى اما ان
تلقي ما تلقي اولا واما ان نكون نحن الملقين اي لما نلقي اولا او الفاعلين للالقاء اولا خيروه عليه السلام
بالبدء في الالقاء مراعاة للادب واظهارا للجلادة وانه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير ولكن كانت رغبتهم في التقدم
كما ينبئ عنه تغييرهم للنظم بتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل وتأكيد الضمير المتصل قال القوا غير مبال بامرهم اي القوا
ما تلقون فلما القوا اي ما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليهم ما لا حقيقة له واسترهبوهم اي ارهبوهم
في رهبتهم وجاءوا بسحر عظيم في بابه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادي وركب
بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقاها فاذا هي تلقف ما يأفكون اي فالقاها فصارت حية فاذا هي الخ
وانما حذف للايذان بمسارعة موسى عليه السلام الى الالقاء وبغاية سرعة الانقلاب كان لقفها لما يأفكون قد حصل
متصلا بالامر بالالقاء وصيغة المضارع لاستحضار صورة اللقف الهائلة والافك الصرف والقلب عن الوجه المعتاد
وما موصولة او موصوفة والعائد محذوف اي ما يأفكونه ويزورونه او مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت
ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى عليه السلام فرجعت عصا كما كانت واعدم الله تعالى بقدرته القاهرة
تلك الاجرام العظام او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع
الحق اي ثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون اي ظهر بطلان ما كانوا مستمرين على عمله فغلبوا
اي فرعون وقومه هنالك اي في مجلسهم وانقلبوا صاغرين اي صاروا اذلاء مبهوتين او
رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والاول هو الظاهر لقوله تعالى والقي السحرة ساجدين فان ذلك بمحضر
من فرعون قطعا اي خروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم كيف لا وقد بهرهم الحق واضطرهم الى ذلك قالوا امنا

آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم ان مرادهم فرعون عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
قال لما آمنت السحرة اتبع موسى من بني اسرائيل ستمائة الف قال فرعون منكرا على السحرة موبخا لهم على ما فعلوه آمنتم
به بهمزة واحدة اما على الاخبار المحض المتضمن للتوبيخ او على الاستفهام التوبيخي بحذف الهمزة كما مر في ان لنا لاجرا
وقد قرئ بتحقيق الهمزتين معا وبتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بين بين اي آمنتم بالله قبل ان آذن لكم
اي بغير ان آذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن في ذلك ان هذا
لمكر مكرتموه اي ان ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هو حيلة
احتلتموها مع موسى عليه السلام في المدينة يعني مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد روي ان موسى عليه السلام وامير السحرة
التقيا فقال له موسى عليه السلام ارايتك ان غلبتك اتؤمن بي وتشهد ان ما جئت به الحق فقال الساحر والله لئن
غلبتني لاومنن بك وفرعون يسمعهما وهو الذي نشأ عنه القول لتخرجوا منها اهلها اي القبط وتخلص
لكم ولبني اسرائيل ولما ان هاتين الشبهتين القاهما الى اسماع عوام القبط عند معاينتهم لارتفاع اعلام المعجزة ومشاهدتهم
لخضوع اعناق السحرة لها وعدم تمالكهم من ان يؤمنوا بها ليمنعهم بهما عن الايمان بنبوة موسى عليه السلام بارادة
ان ايمان السحرة مبني على المواضعة بينهم وبين موسى وان غرضهم بذلك اخراج القوم من المدينة وابطال ملكهم ومعلوم
ان مفارقة الاوطان المألوفة والنعمة المعروفة مما لا يطاق بوجه جمع اللعين بين الشبهتين تثبيتا للقبط على ما هم عليه
وتهييجا لعداوتهم له عليه السلام ثم عقبهما بالوعيد ليريهم ان له قوة وقدرة على المدافعة فقال فسوف تعلمون
اي عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد ساقه بطريق الاجمال للتهويل ثم عقبه بالتفصيل فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف اي من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل هو اول من سن ذلك فشرعه
الله تعالى لقطاع الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك سماه تعالى محاربة لله ورسوله قالوا استئناف مسوق
للجواب عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قالت السحرة عندما سمعوا وعيد فرعون هل تأثروا به وتصلبوا فيما هم
فيه من الدين فقيل قالوا انا لا نبالي بما توعدتنا من الايمان انا الى ربنا منقلبون اي بالموت لا محالة فسواء
كان ذلك من قبلك اولا فلا نبالي بوعيدك او انا الى رحمة ربنا وثوابه منقلبون ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه
شغفا على لقاء الله تعالى او انا جميعا الى ربنا منقلبون فيحكم بيننا وبينك وما تنقم منا اي وما تنكر وتعيب
منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المفاخر ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا
لمرضاتك ثم اعرضوا عن مخاطبته اظهارا لما في قلوبهم من العزيمة على ما قالوا وتقريرا له ففزعوا الى الله عز وجل ربنا
افرغ علينا صبرا اي افض علينا صبرا يغمرنا كما يغمر الماء او صب علينا ما يطهرنا من اوضار
الاوزار وادناس الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على ما رزقتنا من الاسلام
غير مفتونين من الوعيد قيل فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ
من قوم فرعون مخاطبين له بعد ما شاهدوا من امر موسى عليه السلام ما شاهدوا اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض اي في مصر
بتغيير الناس عليك وصرفهم عن متابعتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب للاستفهام بالواو كما في قول الحطيئة
الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء اي ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع عطفا
على اتذر او استئناف او حالا وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله فاصدق واكن وآلهتك
ومعبوداتك قيل انه كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم

الأعلى وقرئ وإلاهتك أي عبادتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل بهم ذلك من قبل ليعلم أنا
على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم أنه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يديه وقرئ سنقتل بالتخفيف
وإنا فوقهم قاهرون كما كنا لم يتغير حالنا أصلا وهم مقهورون تحت أيدينا كذلك قال موسى لقومه تسلية لهم
وعدة بحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتضجروا منه استعينوا بالله واصبروا على ما سمعتم من أقاويله
الباطلة إن الأرض لله أي أرض مصر أو جنس الأرض وهي داخلة فيها دخولا أوليا يورثها من يشاء
من عباده والعاقبة للمتقين الذين أنتم منهم وفيه إيذان بأن الاستعانة بالله والصبر من باب التقوى وقرئ والعاقبة
بالنصب عطفا على اسم إن قالوا أي بنو إسرائيل أوذينا أي من جهة فرعون من قبل أن تأتينا
أي بالرسالة يعنون بذلك قتل أبنائهم قبل مولد موسى عليه السلام وبعده ومن بعد ما جئتنا أي رسولا يعنون به ما
توعدهم به من إعادة قتل الأبناء وسائر ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عليه السلام من فنون الجور والظلم والعذاب
وأما ما كانوا يستعبدون ويمتهنون فيه من أنواع الخدم والمهن كما قيل فليس مما يلحقهم بواسطته عليه السلام فليس لذكره
كثير ملابسة بالمقام قال أي موسى عليه السلام لما رأى شدة جزعهم ... تصريحا بما لوح به
في قوله إن الأرض لله عسى ربكم أن يهلك عدوكم الذي فعل بكم ما فعل وتوعدكم بإعادته ويستخلفكم
في الأرض أي يجعلكم خلفاء في أرض مصر فينظر كيف تعملون أحسنا أم قبيحا فيجازيكم حسبما يظهر منكم من الأعمال وفيه تأكيد
للتسلية وتحقيق للأمر قيل لعل الإتيان بفعل الطمع لعدم الجزم منه عليه السلام بأنهم هم المستخلفون بأعيانهم أو أولادهم
فقد روي أن مصر إنما فتحت في زمن داود عليه السلام ولا يساعده قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الأرض ومغاربها فإن المتبادر استخلاف أنفس المستضعفين لا استخلاف أولادهم وإنما جيء بفعل الطمع
للجري على سنن الكبرياء ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين شروع في تفصيل مبادئ الهلاك الموعود
وإيذان بأنهم لم يمهلوا بعد ذلك ولم يكونوا في خفض ودعة بل رتبت أسباب هلاكهم فتحولوا من حال إلى حال إلى أن حل
بهم عذاب الاستئصال وتصدير الجملة بالقسم لإظهار الاعتناء بمضمونها والسنون جمع سنة والمراد بها عام القحط وفيها
لغتان أشهرهما إجراؤها مجرى المذكر السالم فيرفع بالواو وينصب ويجر بالياء ويحذف نونه بالإضافة واللغة الثانية
إجراء الإعراب على النون ولكن مع الياء خاصة إما بإثبات تنوينها أو بحذفه قال الفراء هي في هذه اللغة مصروفة عند
بني عامر وغير مصروفة عند بني تميم ووجه حذف التنوين التخفيف وح لا تحذف النون للإضافة وعلى ذلك جاء قول الشاعر
لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا وجاء في الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وسنينا كسنين يوسف
ونقص من الثمرات بإصابة العاهات عن كعب رضي الله عنه يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا ثمرة
قال ابن عباس رضي الله عنهما أما السنون فكانت لباديتهم وأهل مواشيهم وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم
لعلهم يذكرون كي يتذكروا ويتعظوا بذلك ويقفوا على أن ذلك لأجل معاصيهم وينزجروا عما هم عليه
من العتو والعناد وقال الزجاج إن أحوال الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل وفي الرجوع إليه ألا ترى
إلى قوله تعالى وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقد مر تحقيق القول في لعل وفي محلها في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون
في أوائل سورة البقرة وقوله تعالى فإذا جاءتهم الحسنة بيان لعدم تذكرهم وتماديهم في الغي
أي فإذا جاءتهم السعة والخصب وغيرهما من الخيرات قالوا لنا هذه أي لأجلنا واستحقاقنا إياها وإن
تصبهم سيئة أي جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه أي يتشاءموا بهم ويقولوا ما أصابتنا إلا بشؤمهم

وهذا كما ترى شاهد بكمال قساوة قلوبهم ونهاية جهلهم وغباوتهم فإن الشدائد ترقق القلوب وتلين العرائك لا سيما
بعد مشاهدة الآيات وقد كانوا بحيث لم يؤثر فيهم شيء منها بل ازدادوا عتوا وعنادا وتعريف الحسنة وذكرها بأداة
التحقيق للإيذان بكثرة وقوعها وتعلق الإرادة بها بالذات ... ألا إنما طائرهم عند الله استئناف
مسوق من قبله تعالى لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق الحق في ذلك وتصديره بكلمة التنبيه لإبراز كمال العناية بمضمونه
أي ليس سبب خيرهم وشرهم إلا عنده تعالى وهو حكمه ومشيئته المتضمنة للحكم والمصالح أو ليس سبب شؤمهم وهو أعمالهم السيئة
إلا عنده تعالى أي مكتوبة لديه فإنها التي ساقت إليهم ما يسوؤهم لا ما عداها وقرئ إنما طيرهم وهو اسم جمع طائر وقيل
جمع له ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون مما حكي عنهم وإسناد عدم العلم إلى أكثرهم للإشعار
بأن بعضهم يعلمون أن ما أصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى أو يعلمون أن ما أصابهم من المصائب والبلايا ليس إلا
بما كسبت أيديهم ولكن لا يعملون بمقتضاه عنادا واستكبارا وقالوا شروع في بيان بعض آخر مما أخذ
به آل فرعون من فنون العذاب التي هي في أنفسها آيات بينات وعدم ارعوائهم مع ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد
أي قالوا بعدما رأوا من شأن العصا والسنين ونقص الثمرات مهما تأتنا به كلمة مهما تستعمل للشرط
والجزاء وأصلها ما الجزائية ضمت إليها ما المزيدة للتأكيد كما ضمت إلى أين وإن في أينما تكونوا وإما نذهبن بك
فقلبت ألف الأولى هاء حذرا من تكرير المتجانسين هذا هو الرأي السديد وقيل مه كلمة يصوت بها الكاف ضمت
ما الشرطية ومحلها الرفع بالابتداء أو النصب بفعل يفسره ما بعدها أي أي شيء تظهره لدينا وقوله تعالى من آية
بيان لها وتسميتهم إياها آية لمجاراتهم على رأي موسى عليه السلام واستهزائهم بها وللإشعار بأن عنوان كونها آية
لا يؤثر فيهم وقوله تعالى لتسحرنا بها إظهار لكمال الطغيان والغلو فيه وتسميته للإرشاد إلى الحق
بالسحر وتكذيب الأبصار والضميران المجروران راجعان إلى مهما وتذكير الأول لمراعاة جانب اللفظ لإبهامه وتأنيث
الثاني للمحافظة على جانب المعنى لتبيينه بآية كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
وما يمسك فلا مرسل له فما نحن لك بمؤمنين بمصدقين لك ومؤمنين لنبوتك فأرسلنا
عليهم عقوبة لجرائمهم لا سيما لقولهم هذا الطوفان أي الماء الذي طاف بهم وغشي أماكنهم وحروثهم
من مطر أو سيل وقيل هو الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو
كبار القردان وقيل أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها والضفادع والدم روي أنهم مطروا ثمانية أيام
في ظلمة شديدة لا يستطيع أن يخرج أحد من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه إلى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني إسرائيل
منه قطرة وهي في خلال بيوتهم وفاض الماء على أرضهم وركد فمنعهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة أيام
فقالوا له عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت من العشب والكلأ
ما لم يعهد قبله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فأكل زروعهم وثمارهم وأبوابهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا إليه
كما ذكر فخرج إلى الصحراء وأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت إلى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط
الله تعالى عليهم القمل فأكل ما أبقته الجراد وكانت تقع في أطعمتهم وتدخل بين ثيابهم وجلودهم فتمصها ففزعوا إليه ثالثا
فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر ثم أرسل الله تعالى عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام إلا وجدت
فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب إلى قدورهم وهي تغلي وإلى أفواههم عند التكلم ففزعوا إليه رابعا وتضرعوا
فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله تعالى عنهم فنقضوا العهد فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي

والاسرائيلي على انه ماء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء على حاله ويمص من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل
سلط الله عليهم الرعاف آيات حال من المنصوبات المذكورة مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات
الله تعالى ونقمته وقيل مفرقات بعضها من بعض لامتحان احوالهم وكان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد
كل منها اسبوعا وقيل انه عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا
اي عن الايمان بها وكانوا قوما مجرمين جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها ولما وقع عليهم الرجز
اي العذاب المذكور على التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحد من الآيات المفصلة اي كلما وقع عليهم عقوبة من تلك
العقوبات قالوا في كل مرة يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك
ان تدعوه فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك
او متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب بحق ما عندك او قسم اجيب بقوله تعالى لئن كشفت
عنا الرجز الذي وقع علينا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الخ
فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اي الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون بعده او مهلكون اذا هم ينكثون
جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث من غير تأمل وتوقف فانتقمنا منهم اي فاردنا
ان ننتقم منهم لما اسلفوا من المعاصي والجرائم فان قوله تعالى فاغرقناهم عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء
بينهما ويجوز ان يكون المراد مطلق الانتقام والفاء تفسيرية كما في قوله فنادى نوح ربه فقال رب الى آخره
في اليم اي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل من لجته بانهم كذبوا بآياتنا الذي وقع علينا

اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الخ
الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون بعده او مهلكون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجأوا
النكث من غير تأمل وتوقف اي فاردنا ان ننتقم منهم لما اسلفوا من المعاصي والجرائم فان قوله تعالى
عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما ويجوز ان يكون المراد مطلق الانتقام والفاء تفسيرية
كما في قوله فنادى نوح ربه الى آخره في البحر الذي لا يدرك قعره وقيل من لجته بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها
غافلين تعليل للاغراق اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بآيات الله تعالى واعراضهم عنها وعدم تفكرهم فيها بحيث صاروا
كالغافلين عنها بالكلية والفاء وان دلت على ترتب الاغراق على ما قبله من النكث لكنه صرح بالتعليل ايذانا بان مدار جميع ذلك
تكذيب آيات الله تعالى والاعراض عنها ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب الآيات الظاهرة على يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم والاعراض عنها واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون اي بالاستعباد وذبح الابناء والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
للدلالة على الاستمرار والمراد بهم بنو اسرائيل ذكروا بهذا العنوان اظهارا لكمال لطفه تعالى بهم وعظيم احسانه
اليهم في رفعهم من حضيض المذلة الى اوج العزة مشارق الارض ومغاربها اي جانبيها الشرقي والغربي ملكها بنو اسرائيل
بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا في اكنافها الشرقية والغربية كيف شاؤوا وقوله تعالى التي باركنا فيها اي بالخصب
وسعة الارزاق صفة للمشارق والمغارب وقيل للارض وفيه ضعف للفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف كما في قولك قام
ام هند وابو العاقلة وتمت كلمة ربك الحسنى وهي وعده تعالى اياهم بالنصر والتمكين كما ينبئ عنه قوله تعالى
ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين وقرئ كلمات لتعدد المواعيد ومعنى تمت
مضت واستمرت على بني اسرائيل بما صبروا اي بسبب صبرهم على الشدائد التي كابدوها من جهة فرعون وقومه ودمرنا اي

اي خربنا واهلكنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والقصور اي خربنا الذي كان فرعون يصنعه على ان فرعون
اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة الكونية صلة ما والعائد محذوف وقيل اسم كان ضمير عائد الى الموصول ويصنع مسند الى فرعون
والجملة خبر كان والعائد محذوف ايضا والتقدير ودمرنا الذي كان هو يصنعه فرعون الخ وقيل كان زائدة وما مصدرية
والتقدير ما يصنع فرعون الخ اي صنعه والعدول الى صيغة المضارع على هذين القولين لاستحضار الصورة وما كانوا
يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعونه من البنيان كصرح هامان وقرئ يعرشون بضم الراء والكسر افصح وهذا آخر
قصة فرعون وقوله تعالى وجاوزنا ببني اسرائيل البحر شروع في قصة بني اسرائيل وشرح ما احدثوه من الامور الشنيعة
بعد ان انقذهم الله عز وجل من ملكة فرعون ومن عليهم من النعم العظام الموجبة للشكر واراهم من الآيات الكبار تسلية من ضمن
الجبال التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم وجاوزنا بمعنى جاز بهم
وقرئ جوزنا بالتشديد وهو ايضا بمعنى جاز فعول بمعنى فاعل اي قطعنا بهم البحر روي انه عبر بهم موسى عليه السلام يوم عاشوراء
بعد ما اهلك الله تعالى فرعون فصاموا شكرا لله تعالى عز وجل فأتوا اي مروا على قوم قيل كانوا من لخم وقيل
من العمالقة الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم يعكفون على اصنام لهم اي يواظبون على عبادتها و
يلازمونها وقرئ بكسر الكاف قال ابن جريج كانت اصنامهم تماثيل بقر وهو اول شأن العجل قالوا عندما شاهدوا
احوالهم يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم آلهة الكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لالها وما
موصولة ولهم صلتها وآلهة بدل منها والتقدير اجعل لنا الها كائنا كالذي استقر هو لهم قال انكم قوم تجهلون
تعجب عليه السلام من قولهم اثر ما شاهدوا من الآية الكبرى والمعجزة العظمى فوصفهم بالجهل المطلق اذ لا جهل اعظم مما
ظهر منهم واكده بقوله ان هؤلاء يعني القوم الذين يعبدون تلك التماثيل متبر اي مدمر مكسر
ما هم فيه اي من الدين الباطل اي يتبر الله تعالى ويهدم دينهم الذي هم عليه عن قريب ويحطم اصنامهم
ويتركها رضاضا وانما عبر بالجملة الاسمية للدلالة على التحقيق وباطل اي مضمحل بالكلية ما كانوا يعملون
من عبادتها وان كان قصدهم بذلك التقرب الى الله تعالى فانه كفر محض وليس هذا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا كما توهم فان المراد به اعمال البر التي عملوها في الجاهلية فانها في انفسها حسنات لو قارنت
الايمان لاستتبعت اجورها وانما بطلت لمقارنتها الكفر وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم الخبر من الجملة الواقعة
خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض
اليهم ما احبوا قال أغير الله ابغيكم الها شروع في بيان شؤون الله تعالى الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى بعد بيان ان ما طلبوا
عبادته مما لا يمكن طلبه اصلا لكونه هالكا باطلا ولذلك وسط بينهما قال مع كون كل منهما كلام موسى عليه السلام والاستفهام
للانكار والتعجب والتوبيخ وادخال الهمزة على غير للايذان بان المنكر هو كون المبغي غيره تعالى لا انه للاختصاص لانكار بغير سبحانه
دون انكار الاختصاص بغيره تعالى وانتصابه غير على انه مفعول ابغي بحذف اللام اي ابغي لكم اي اطلب لكم غير الله تعالى والها
اما تمييز او حال او على الحالية من الها وهو المفعول لابغي على ان الاصل ابغي لكم الها غير الله فغير الله صفة للها فلما قدمت
صفة النكرة انتصبت حالا وهو فضلكم على العالمين اي والحال انه تعالى خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على ان ما
صنعوا من سوء المعاملة حيث قابلوا تخصيص الله تعالى اياهم من بين امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا
الى اخس شيء من مخلوقاته تعالى فجعلوه شريكا له تعالى تبا لهم ولما يعبدون واذ انجيناكم تذكير لهم من جهته
سبحانه بنعمة الانجاء من ملكة فرعون وقرئ انجيناكم من النجية وقرئ انجاكم فيكون مسوقا من جهة موسى عليه السلام

اي واذكروا وقت انجائنا اياكم من آل فرعون من ملكهم لا بمجرد تخليصكم من ايديهم وهم على حالهم في المكنة
والقدرة بل باهلاكهم بالكلية وقوله تعالى يسومونكم سوء العذاب من سامه خسفا اي اولاه اياه او كلفه
اياه وهو اما استئناف لبيان ما انجاهم منه او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما معا لاشتماله
على ضميرهما وقوله تعالى يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل من يسومونكم مبين او مفسر له وفي ذلكم الانجاء
او سوء العذاب بلاء اي نعمة او محنة من ربكم من مالك امركم فان النعمة والنقمة كلتاهما منه سبحانه وتعالى
عظيم لا يقادر قدره وواعدنا موسى ثلثين ليلة روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهم بمصر ان اهلك
الله تعالى عدوهم اتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى عليه السلام ربه الكتاب
فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك
رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله تعالى اليه اما علمت ان ريح فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك
فامره الله تعالى بان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وذلك قوله تعالى واتممناها بعشر والتعبير عنها
بالليالي لانها غرر الشهور وقيل امره الله تعالى بان يصوم ثلثين يوما وان يعمل فيها بما يقربه من الله تعالى ثم انزلت
عليه التورية في العشر وكلم فيها وقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصل ههنا وواعدنا وقد قرئ كذلك
وقيل على بابها بناء على تنزيل قبول موسى عليه السلام منزلة الوعد وثلثين مفعول ثان لواعدنا بحذف المضاف اي اتمام ثلثين
ليلة فتم ميقات ربه اربعين ليلة اي بالغا اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون حين توجه الى المناجاة حسبما
امر به اخلفني اي كن خليفتي في قومي وراقبهم فيما يأتون وما يذرون واصلح ما يحتاج الى الاصلاح
من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين اي لا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا
لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملائكة
عليهم السلام وفيما روي انه عليه السلام كان يسمع ذلك من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه عز وجل ليس من جنس سماع
كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك اي ارني ذاتك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل
على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل مستحيل من الانبياء لا سيما ما يقتضي الجهل بشئون الله عز وجل
ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته تعالى لتوقفها
على معد في الرائي ولم يوجد فيه ذلك بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية
ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل ذلك حين قالوا اجعل لنا الها وان يتبع سبيلهم كما قال لاخيه
ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار بعدم رؤيته اياه على انه
لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة مكابرة او جهل بحقيقة الرؤية
قال استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قال رب العزة قال موسى عليه السلام ما قال
فقيل قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك لبيان انه لا يطيق بها وفي تعليقها باستقرار
الجبل ايضا دليل على الجواز ضرورة ان المعلق بالممكن ممكن والجبل قيل هو جبل اردن فلما تجلى ربه للجبل
اي ظهرت له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى الجبل حياة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا
والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ
دكا جمع دكاء اي قطعا وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رآه فلما افاق الافاقة رجوع العقل

والفهم الى الانسان بعد ذهابهما بسبب من الاسباب قال تعظيما لما شاهده سبحانك اي تنزيها لك من ان
اسألك شيئا بغير اذن منك تبت اليك اي من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين
اي بعظمتك وجلالك وقيل اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا وقيل بانه لا يجوز السؤال بغير اذن منك قال
يا موسى استئناف مسوق لتسليته عليه السلام من عدم الاجابة الى سؤال الرؤية كأنه قيل ان منعتك الرؤية
فقد اعطيتك من النعم العظام ما لم اعط احدا من العالمين فاغتنمها وثابر على شكرها اني اصطفيتك اي
اخترتك واتخذتك صفوة وآثرتك على الناس اي المعاصرين لك وهارون وان كان نبيا كان مأمورا
باتباعه وما كان كليما ولا صاحب شرع برسالاتي اي باسفار التورية وقرئ برسالتي وبكلامي وبتكليمي
اياك بغير واسطة فخذ ما آتيتك اي اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على ما اعطيت
من جلائل النعم قيل كان سؤال الرؤية يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء اي مما
يحتاجون اليه من امور دينهم موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور اي كتبنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل
الاحكام واختلف في عدد الالواح وفي جوهرها ومقدارها فقيل انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين
وانها كانت من زمردة جاء بها جبريل عليه السلام وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله تعالى
موسى عليه السلام بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء
فيها التورية وان طولها كان عشرة اذرع وقيل انزلت التورية وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها
الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا
تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها على اضمار قول معطوف على كتبنا
اي فقلنا خذها بقوة بجد وعزيمة وقيل هو بدل من قوله تعالى فخذ ما آتيتك والضمير للالواح او لكل شيء
لانه بمعنى الاشياء او للرسالات او للتورية وأمر قومك يأخذوا باحسنها اي باحسن ما فيها كالعفو والصبر بالاضافة
الى الاقتصاص والانتصار كما لا قتصار على طريقة المذهب والحث على اختيار الافضل كما في قوله تعالى واتبعوا احسن
ما انزل اليكم من ربكم او بواجباتها فانها احسن من المباح وقيل المعنى يأخذوا بها واحسن صلة قال قطرب
اي بحسنها وكلها حسن كقوله تعالى ولذكر الله اكبر وقيل هو ان تحمل الكلمة المحتملة لمعنيين او لمعان على اشبه محتملاتها
بالحق واقربها الى الصواب سأريكم دار الفاسقين تأكيد للتحريض وتوجيه له الى قومه عليه السلام بطريق الالتفات حملا لهم
على الجد في الامتثال بما امروا به اما على نهج الوعيد والترهيب على ان المراد بدار الفاسقين ارض مصر وديار عاد
وثمود وامثالهم فان رؤيتها وهي خالية عن اهلها خاوية على عروشها موجب للاعتبار والانزجار عن مثل اعمال
اهلها كيلا يحل بهم ما حل باولئك واما على نهج الوعد والترغيب لان المراد بدار الفاسقين اما ارض مصر خاصة
او مع ارض الجبابرة والعمالقة بالشام فانها ايضا مما ابيح لبني اسرائيل وكتب لهم حسبما ينطق به قوله عز وجل
يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ومعنى الاراءة الادخال بطريق الايراث ويؤيده قراءة من
قرأ سأورثكم بالثاء المثلثة كما في قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
وقرئ سأوريكم ولعله من اوريت الزند اي سأبينها لكم وقوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض استئناف
مسوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب لعدم التفكر في الآيات التي هي ما كتب في الالواح التورية من المواعظ والاحكام
او ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية التي من جملتها ما وعد اراءته من دار الفاسقين ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث

لا يكادون يؤمنون بها ولا يعتبرون بها لاصرارهم على ما هم عليه من التكبر والتجبر كقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وتقديم
الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه
بتجاوب اطراف النظم الجليل اي سأطبع على قلوب الذين يعدون انفسهم كبراء ويرون لهم على الخلق مزية وفضلا
فلا ينتفعون بآياتي التنزيلية والتكوينية ولا يغتنمون مغانم آثارها فلا يسلكوا مسالكهم ليكونوا امثالهم وقيل المعنى
سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون في ابطال ما رآه من الآيات فأبى الله الا احقاق الحق و
ازهاق الباطل وعلى هذا فالانسب ان يراد بالذين يتكبرون الجبابرة من العمالقة المشهورون بالفسق والتكبر
في الارض وبازائها للتي طلب ادخالهم الشام واسكانهم في مساكنهم ومنازلهم حسبما نطق به قوله تعالى يا قوم ادخلوا
الارض المقدسة التي كتب الله لكم ويكون قوله سأصرف عن آياتي الى آخره جوابا عن سؤال مقدر ناشئ من الوعد بادخال
الشام على ان المراد بالآيات ما تلي آنفا ونظائره وبصرفهم عنها ازالتهم عن مقام معارضتها وممانعتها لوقوع اخبارها
وظهور احكامها وآثارها باهلاكهم على يد موسى عليه السلام حين سار بعد التيه بمن بقي من بني اسرائيل او بذرياتهم على اختلاف
الروايتين الى اريحا ويوشع بن نون في مقدمته ففتحها واستقر بنو اسرائيل بالشام وملكوا مشارقها ومغاربها
كأنه قيل كيف يرى دارهم وهم فيها فقيل سأهلكهم وانما عدل الى الصرف ليزداد وثوقهم بالآيات واطمئنانهم
بها وقوله تعالى بغير الحق اما صلة للتكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط
او متعلق بمحذوف هو حال من فاعله اي يتكبرون ملتبسين بغير الحق وقوله تعالى وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها
عطف على يتكبرون داخل معه في حكم الصلة والمراد بالآية اما المنزلة فالمراد برؤيتها مشاهدتها بسماعها او ما
يعمها وغيرها من المعجزات فالمراد برؤيتها مطلق المشاهدة المنتظمة للسماع والابصار اي وان يشاهدوا
كل آية من الآيات لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم اي كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم
اياها كما هي وهذا كما ترى يؤيد كون الصرف بمعنى الطبع وقوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا عطف
على ما قبله داخل في حكمه اي لا يتوجهون الى الحق ولا يسلكون سبيله اصلا لاستيلاء الشيطنة عليهم ومطبوعيتهم
على الانحراف والزيغ وقرئ بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي
يتخذوه سبيلا اي يختارونه لانفسهم مسلكا مستمرا لا يكادون يعدلون عنه لموافقته لاهوائهم الباطلة و
افضائه لهم الى شهواتهم ذلك اشارة الى ما ذكر من تكبرهم وعدم ايمانهم بشيء من الآيات واعراضهم عن سبيل الرشد
واقبالهم التام الى سبيل الغي وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم اي حاصل بسبب انهم كذبوا بآياتنا الدالة
على بطلان ما اتصفوا به من القبائح وعلى حقية اضدادها وكانوا عنها غافلين لا يتفكرون فيها والا لما فعلوا
ما فعلوا من الاباطيل ويجوز ان يكون اشارة الى ما ذكر من الصرف ولا يمنعه الاشعار بعليته ما في حيز الصلة كيف لا وقد قرر
ان ذلك في قوله تعالى ذلك بما عصوا الآية يجوز ان يكون اشارة الى ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب
العظيم مع كون ذلك معللا بالكفر بآيات الله صريحا وقيل محل اسم الاشارة النصب على المصدر اي سأصرفهم
ذلك الصرف بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم عنها والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة وبلقائهم الدار الآخرة او
لقائهم ما وعد الله تعالى في الآخرة من الجزاء ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى حبطت اعمالهم
خبره اي ظهر بطلان اعمالهم التي كانوا عملوها من صلة الارحام واغاثة الملهوفين ونحو ذلك او حبطت بعدما
كانت مرجوة النفع على تقدير ايمانهم بها هل يجزون اي لا يجزون الا ما كانوا يعملون اي الا جزاء ما كانوا يعملونه

من الكفر والمعاصي واتخذ قوم موسى من بعده اي من بعد ذهابه الى الطور من حليهم متعلق باتخذ كالجار
الاول لاختلاف معنييهما فان الاول للابتداء والثاني للتبعيض او للبيان والثاني متعلق بمحذوف وقع حالا مما
بعده اذ لو تأخر لكان صفة له واضافة الحلي اليهم مع انها كانت للقبط لادنى الملابسة حيث كانوا استعاروها
من اربابها القبط فبقيت في ايديهم او لانهم ملكوها بعد الغرق فان ذلك بمنزلة تملك بني اسرائيل غنائم القبط
وهم مستأمنون فيما بينهم فلا يرد عليه قولهم حملنا اوزارا من زينة القوم والحلي جمع حلي كثدي
وثدي وقرئ بكسر الحاء بالاتباع كدلي وقرئ حليهم على الافراد وقوله تعالى عجلا مفعول اتخذ اخر عن المجرور
لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقيل
هو متعد الى اثنين بمعنى التصيير والمفعول الثاني محذوف اي الها وقوله تعالى جسدا بدل من عجلا اي جثة ذا
دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح معه وقوله تعالى له خوار اي صوت بقر وقرئ جؤار بالجيم والهمزة وهو الصياح
نعت لعجلا روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه ترابا من اثر فرس جبريل عليه السلام وكان قد اخذه عند
فلق البحر او عند توجهه الى الطور فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح في جوفه فيصوت والانسب
لما في سورة طه هو الاول وانما نسب اتخاذه اليهم وهو فعله اما لانه واحد منهم واما لانهم رضوا به فكأنهم
فعلوه واما لان المراد باتخاذهم اياه الها لا صنعه واحداثه الم يروا انه لا يكلمهم استئناف
مسوق لتقريعهم وتشنيعهم وتركيك عقولهم وتسفيههم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي هو اتخاذه الها
اي الم يروا انه ليس فيه شيء من احكام الالوهية حيث لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا
بوجه من الوجوه فكيف اتخذوه الها وقوله تعالى اتخذوه اي فعلوا ذلك وكانوا ظالمين اي
واضعين الاشياء في غير موضعها فلم يكن هذا اول منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلي وتكرير اتخذوه لتثنية
التشنيع وترتيب الاعتراض عليه ولما سقط في ايديهم اي ندموا على ما فعلوا غاية الندم فان ذلك
كناية عنه لان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع
العض فيها فاليد حقيقة وقال الزجاج معناه سقط الندم في انفسهم اما بطريق الاستعارة بالكناية او بطريق
التمثيل ورأوا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل اي تبينوا ضلالهم تبينا كأنهم رأوه باعينهم وتقديم
ذكر ندمهم على هذه الرؤية مع كونه متأخرا عنها للمسارعة الى بيانه والاشعار بغاية سرعته كأنه سابق على الرؤية
قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة المكفرة ويغفر لنا ذنوبنا بالتجاوز
عن خطيئتنا وتقديم الرحمة على المغفرة مع ان التخلية حقها ان تتقدم على التحلية اما للمسارعة الى ما هو المقصود
الاصلي واما لان المراد بالرحمة مطلق ارادة الخير بهم وهو مبدأ لانزال التوبة المكفرة لذنوبهم واللام في لئن
موطئة للقسم كما اشير اليه وفي قوله تعالى لنكونن من الخاسرين جواب القسم وما حكي عنهم من الندامة والرؤية
والقول وان كان بعدما رجع موسى عليه السلام اليهم كما ينطق به الآيات الواردة في سورة طه لكن اريد بتقديمه عليه
حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل في موضع واحد ولما رجع موسى الى قومه شروع في بيان ما جرى
من موسى عليه السلام بعد رجوعه من الميقات اثر بيان ما وقع من قومه بعده وقوله تعالى غضبان اسفا حالان من موسى
عليه السلام او الثاني من المستكن في غضبان والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين قال بئسما خلفتموني من
اي بئس ما فعلتم من بعد غيبتي حيث عبدتم العجل بعدما رأيتم فعلي توحيد الله تعالى ونفي الشرك عنه واخلاص العبادة له

او من حملكم على ذلك وكفكم عما طمحت نحوه ابصاركم حيث قلتم اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلف ان يسيروا
بسيرة المستخلف في الخطاب للعبدة من اثرى واشياعه او لهما تممتم مقامي ولم تراعوا عهدي حيث لم تكفوا
العبدة عن فعلهم فالخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم
ضلوا ان لا تتبعني افعصيت امري ويجوز ان يكون الخطاب للكل على ان المراد بالخلفة ما يعم الامرين المذكورين وما نكرة
موصوفة مفسرة للفاعل المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم
أعجلتم امر ربكم اي اتركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام واذا
عجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح
طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها
انكسرت فرفعت ستة اسباعها التي كان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ
برأس اخيه اي بشعر رأسه عليهما السلام يجره اليه حال من ضمير اخذ فعل ذلك توهما انه قصر في كفهم وهرون كان
اكبر منه عليهما السلام بثلث سنين وكان حمولا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال اي هرون مخاطبا لموسى
عليهما السلام ابن ام بحذف حرف النداء وتخصيص الام بالذكر مع كونهما شقيقين لما ان حق الام اعظم واحق بالمراعاة
مع انها كانت مؤمنة وقد قاست فيه المخاوف والشدائد وقرئ بكسر الميم باسقاط الياء تخفيفا كالمنادى المضاف
الى الياء وقراءة الفتح لزيادة التخفيف والتشبيه بخمسة عشر ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير
في حقه والمعنى بذلت جهدي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء اي فلا تفعل
بي ما يكون سببا لشماتتهم بي ولا تجعلني مع القوم الظالمين اي معدودا في عدادهم بالمواخذة او النسبة
الى التقصير فهذا يؤيد كون الخطاب للكل ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم قال استئناف
مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذاره عليه السلام كأنه قيل فماذا قال موسى عم عند ذلك فقيل قال رب
اغفر لي اي ما فعلت باخي من غير ذنب مقرر من قبله ولاخي ان فرط منه تقصير ما في كفهم عما فعلوه من العظيم
استغفر عليه السلام لنفسه ليرضي اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه لئلا تتم شماتتهم به ولاخيه للايذان بانه يحتاج الى الاستغفار
حيث كان يجب عليه ان يقاتلهم وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام بعد غفران ما سلف منا وانت ارحم الراحمين
فلا غرو في انتظامنا في سلك رحمتك الواسعة في الدنيا والاخرة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ان الذين
اتخذوا العجل اي استمروا على اتخاذه واستمروا على عبادته كالسامري واشياعه من الذين اشربوا في قلوبهم
كما ينبئ عنه كون الموصول الثاني عبارة عن التائبين فان ذلك صريح في ان الموصول الاول عبارة عن المصرين
سينالهم اي في الآخرة غضب اي عظيم لا يقادر قدره مستتبع لفنون العقوبات لما ان جريمتهم اعظم الجرائم واقبح الجرائر
قوله تعالى من ربهم اي مالكهم متعلق بينالهم او بمحذوف هو نعت لغضب مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية
بالفخامة الاضافية اي كائن من ربهم وذلة في الحياة الدنيا هي ذلة الاغتراب التي تضرب بها الامثال
والمسكنة المنتظمة لهم ولاولادهم جميعا والذلة التي اختصت به من الانفراد عن الناس والابتلاء بلا مساس روي
ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك واذا مس احدهم [?] في الدين اي مع نبوته
وهو القرآن عبر عنه بالنور المنبئ عن كونه ظاهرا بنفسه ومظهرا لغيره او مظهرا للحقائق كاشفا عنها لمناسبة الابتداع وكون
ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباعه عليه السلام بالعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه

او اتبعوا القرآن مصاحبين له في اتباعه اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما فصل من الصفات
الفاضلة لما اشعار بعليتها للحكم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل والشرف اي اولئك المنعوتون
بتلك النعوت الجليلة اي هم الفائزون بالمطلوب الناجون عن الكروب لا غيرهم من الامم فيدخل فيهم
قوم موسى عليه السلام دخولا اوليا حيث لم ينجوا عما في توبتهم من المشقة اذا احسن احدهم احد غيرهم حم جميعا في الوقت
وايراد ما نالهم في حيز السين مع مضيه بطريق تغليب حال الاخلاف على حال الاسلاف وقيل المراد بهم التائبون بالغضب
ما امروا به من قتل انفسهم واعتذر عن السين بان ذلك حكاية عما اخبر الله تعالى به موسى عليه السلام حين اخبره
بافتتان قومه واتخاذهم العجل بانه سينالهم غضب من ربهم وذلة فيكون سابقا على الغضب وانت خبير بان
سياق النظم الكريم وسباقه بمعزل عن ذلك بنوء ظاهر الكيف لا وقوله تعالى وكذلك نجزي المفترين
ينادي على خلافه فانهم شهداء تائبون فكيف يكون بعد ذلك بالافتراء وايضا ليس جزى الله تعالى كل المفترين
بعد الجزاء الذي ظاهره قهر وباطنه لطف ورحمة وقيل المراد بهم ابناؤهم الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان تعيير الابناء بافاعيل الآباء مشهور معروف منه قوله تعالى واذ قتلتم نفسا الآية وقوله تعالى واذ قلتم يا موسى
الآية والمراد بالغضب الغضب الاخروي وبالذلة ما اصابهم من القتل والاجلاء وضرب الجزية عليهم وقيل المراد بالموصول
المتخذون حقيقة وبالضمير في ينالهم اخلافهم ولا ريب في ان توسيط هؤلاء في تضاعيف بيان حال المتخذين من قبيل
الفصل بين الشجر ولحائه والذين عملوا السيئات اي سيئة كانت ثم تابوا عن تلك السيئات
من بعدها اي من بعد عملها وآمنوا ايمانا صحيحا خالصا واشتغلوا بما هو من مقتضياته من الاعمال
الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الاولى ان ربك من بعدها اي من بعد تلك التوبة المقرونة
بالايمان لغفور للذنوب وان عظمت وكثرت رحيم مبالغ في افاضة فنون الرحمة الدنيوية والاخروية
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للتشريف ولما سكت عن موسى الغضب شروع
في بيان بقية الحكاية اثر بيان تحزب القوم الى مصر وتائب والاشارة الى مآل كل منهما اجمالا اي لما سكن عنه
الغضب باعتذار اخيه وتوبة القوم وهذا صريح في ان ما حكي عنهم من الندم وما يتفرع عليه كان بعد مجيء موسى
وفي هذا النظم الكريم من البلاغة والمبالغة بتنزيل الغضب الحامل له على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلة الآمر
بذلك المغري عليه بالتحكم والتشديد والتعبير عن سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرئ سكن وسكت واسكت على ان
المسكت هو الله تعالى او اخوه او التائبون اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها اي فيما نسخ فيها
وكتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى اي بيان للحق
ورحمة للخلق بارشادهم الى ما فيه الخير والصلاح للذين هم لربهم يرهبون اللام الاولى متعلقة
بمحذوف هو صفة للرحمة اي كائنة لهم او هي لام الاجل اي هدى ورحمة لاجلهم والثانية لتقوية عمل الفعل المؤخر
كما في قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون او هي ايضا لام العلة والمفعول محذوف اي يرهبون المعاصي لاجل ربهم
لا للرياء والسمعة واختار موسى قومه شروع في بيان كيفية استدعاء التوبة وكيفية وقوعها واختار
يتعدى الى اثنين ثانيهما مجرور بمن اي اختار من قومه فحذف الجار واوصل الفعل الى المجرور كما في قوله اختارك
الناس اذ رثت خلائقهم واعتل من كان يرجى عنده السؤل اي اختارك من الناس سبعين
رجلا مفعول لاختار اخر عن الثاني لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر لميقاتنا

الذي وقتناه بعدما وقع من قومه ما وقع لا لميقات الكلام الذي ذكر قبل ذلك كما قيل قال السدي امره
الله تعالى بان يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه تعالى من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختاره
من قومه سبعين رجلا وقال محمد بن اسحق اختارهم ليتوبوا اليه تعالى مما صنعوه ويسألوه التوبة على من
تركوهم وراءهم من قومهم قال اختار عليه السلام من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا
فقال عليه السلام ان لمن قعد مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين وامرهم ان يصوموا
ويتطهروا ويطهروا ثيابهم فخرج الى طور سيناء فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا
فسمعوه تعالى يكلم موسى عليه السلام يأمره وينهاه حسبما يشاء وهو الامر بقتل انفسهم توبة فلما اخذتهم الرجفة
مما اجترؤا عليه من طلب الرؤية فانه لما انكشف الغمام اقبلوا الى موسى عليه السلام وقالوا لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها اي ماتوا ولعلهم ارادوا بقولهم لن
نؤمن لك لن نصدقك في ان الآمر بما سمعنا من الامر بقتل انفسهم هو الله تعالى حتى نراه حيث قاسوا رؤيته تعالى
على سماع كلامه قياسا فاسدا فحين شاهد موسى عليه السلام تلك الحالة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل
اي حين فرطوا في النهي عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا اصرارهم عليها وإياي ايضا حين طلبت
منك الرؤية اي لو شئت اهلاكنا لاهلكتنا اراد به تذكير العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق فان الاعتراف
بالذنب والشكر على النعمة مما يستمطر العفو ويستجلب الرحمة يعني انا كنا مستحقين للاهلاك ولم يكن منك مؤاخذة الاعدام
مشيئتك اياه فحيث لطفت بنا وعفوت عن تلك الجرائم فلا غرو في ان تعفو عنا هذه الجريمة ايضا وحمل الكلام
على التمني يأباه قوله تعالى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اي الذين لا يعلمون تفاصيل شؤونك ولا يشعرون
في المداحض والمعرة اما للانكار وقوع الاهلاك ثقة بلطف الله عز وجل كما قاله ابن الانباري او للاستعطاف
كما قاله المبرد اي لا تهلكنا ان هي الا فتنتك استئناف مقرر لما قبله واعتذار عن صنعهم ببيان منشأ غلطهم اي
ما الفتنة التي وقع فيها السفهاء الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حيث اسمعتهم
كلامك فافتتنوا بذلك ولم يتثبتوا فطمعوا فيما فوق ذلك واتبعوا القياس الفاسد وقوله تعالى تضل بها من تشاء
وتهدي من تشاء اما استئناف مبين لحكم الفتنة او حال من فتنتك اي حال كونها مضلا بها اي بسببها من تشاء
اضلاله فلا يهتدي الى التثبت وتهدي من تشاء هدايته الى الحق فلا يتزلزل في امثالها فيقوى بها ايمانه انت
ولينا اي القائم بامورنا الدنيوية والاخروية وناصرنا وحافظنا لا غيرك فاغفر لنا ما قارفناه من المعاصي
والفاء لترتيب الدعاء على ما قبله من الولاية كأنه قيل فمن شأن الولاية المغفرة والرحمة وقيل ان اقدامه على ان يقول
ان هي الا فتنتك اجتراء عظيم فطلب من الله تعالى غفرانها والتجاوز عنها وارحمنا بافاضة آثار الرحمة الدنيوية
والاخروية علينا وانت خير الغافرين اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر لانها
الاهم بحسب المقام واكتب لنا اي عين لنا وقيل اوجب وحقق واثبت في هذه الدنيا حسنة اي نعمة وعافية
او حسنة قال ابن عباس رضي الله عنهما اقبل وفادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة وفي الآخرة اي واكتب لنا
فيها ايضا حسنة وهي المثوبة الحسنى والجنة انا هدنا اليك اي تبنا اليك وانبنا اليك من هاد يهود اذا
رجع وقرئ بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه وامال ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى ملنا انفسنا
او املنا اليك ويجوز ان يكون القراءة المشهورة على بناء المفعول على لغة من يقول عود المريض مع كونها لغة ضعيفة

مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل والجملة استئناف مسوق لتعليل الدعاء فان التوبة مما يوجب قبوله بموجب الوعد
المحتوم وتصديرها بحرف التحقيق لاظهار كمال النشاط والرغبة في التوبة والمعنى انا تبنا ورجعنا عما صنعنا من المعصية
العظيمة التي جئناك للاعتذار عنها وعما وقع ههنا من طلب الرؤية فبعيد من لطفك وفضلك ان لا تقبل توبة التائبين
قيل لما اخذتهم الرجفة ماتوا جميعا فاخذ موسى عليه السلام يتضرع الى الله تعالى حتى احياهم وقيل رجفوا وكادت
تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف موسى عليه السلام فبكى فكشفها الله تعالى عنهم قال استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من اول الكلام كأنه قيل فماذا قال الله عند دعاء موسى عليه السلام فقيل قال عذابي
اصيب به من اشاء لعله عز وجل حين جعل توبة عبدة العجل بقتل انفسهم ضمن موسى عليه السلام دعاءه
التخفيف والتيسير حيث قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي حصول حسنة عارية عن المشقة والشدة فان في قتل
انفسهم من العذاب والشدة ما لا يخفى فاجابه تعالى بان عذابي شأنه ان اصيب به من اشاء تعذيبه من غير دخل
لغيري فيه وهم ممن تناولته مشيئتي ولذلك جعلت توبتهم مشوبة بالعذاب الدنيوي ورحمتي وسعت كل شيء
اي شأنها ان تسع في الدنيا المؤمن والكافر بل كل ما يدخل تحت الشيء من المكلفين وغيرهم وقد نال قومك
نصيب منها في ضمن العذاب الدنيوي وفي نسبة الاصابة الى العذاب بصيغة المضارع ونسبة السعة الى الرحمة بصيغة
الماضي ايذان بان الرحمة مقتضى الذات واما العذاب فمقتضى معاصي العباد والمشيئة معتبرة في جانب الرحمة ايضا
وعدم التصريح بها للاشعار بغاية الظهور الا ترى الى قوله تعالى فسأكتبها اي اثبتها واعينها فانه متفرع
على اعتبار المشيئة كأنه قيل فاذا كان الامر كذلك اي كما ذكر من اصابة عذابي وسعة رحمتي لكل من اشاء فسأكتبها
كتبة كائنة كما دعوت بقولك واكتب لنا في هذه الدنيا اي سأكتبها خالصة غير مشوبة بالعذاب الدنيوي للذين
يتقون اي الكفر والمعاصي اما ابتداء او بعد ملابستها وفيه تعريض بقومه كأنه قيل لا لقومك لانهم غير متقين بما قدر لهم
من الرحمة وان كانت مقارنة للعذاب الدنيوي ويؤتون الزكوة وفيه ايضا تعريض بهم حيث كانت الزكوة
شاقة عليهم ولعل الصلوة انما لم تذكر مع انافتها الى سائر العبادات اكتفاء منها بالاتقاء الذي هو عبارة
عن فعل الواجبات باسرها وترك المنكرات عن آخرها وايراد ايتاء الزكوة لما مر من التعريض والذين هم بآياتنا
جميعا يؤمنون ايمانا مستمرا من غير اخلال بشيء منها وفيه تعريض بهم وبكفرهم بالآيات العظام التي جاء بها
موسى عليه السلام وبما سيجيء بعد ذلك من الآيات البينات كتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك
وتكرير الموصول مع ان المراد به غير ما اريد بالموصول الاول دون ان يقال ويؤمنون بآياتنا عطفا على يؤتون
الزكوة كما عطف هو على يتقون لما اشير اليه من القصر بتقديم الجار والمجرور اي هم بجميع آياتنا يؤمنون لا ببعضها
دون بعض الذين يتبعون الرسول الذي يوحى اليه كتابا مختصا به النبي اي صاحب المعجزة وقيل عنوان
الرسالة بالنسبة اليه تعالى وعنوان النبوة بالنسبة الى الامة الامي بضم الهمزة نسبة الى الام كأنه باق على حاله
التي ولد عليها من امه او الى ام القرى او الى امة العرب كما قال عليه السلام انا امة امية لا نكتب ولا نحسب وقرئ بفتح الهمزة
اي الذي لم يمارس القراءة والكتابة وقد جمع ذلك علوم الاولين والآخرين والموصول بدل من الموصول
الاول بدل الكل منصوب على المدح او مرفوع عليه اي اعني الذين او هم الذين واما جعله مبتدأ على ان خبره
يأمرون او اولئك هم المفلحون فغير سديد الذي يجدونه مكتوبا باسمه ونعوته بحيث لا يشكون انه هو ولذلك
عدل عن ان يقال يجدون اسمه او وصفه مكتوبا عندهم يزيد بهذا لزيادة التقرير وان شأنه عليه السلام

حاضر عندهم لا يغيب عنهم اصلا فى التورية والانجيل الذين تعبد بهما بنو اسرائيل سابقا ولاحقا والظرف فانه
متعلق اما بيجدونه او بمكتوبا وذكر الانجيل من قبيل ما نحن فيه من ذكر النبى عليه السلام والقرآن الكريم قبل
مجيئهما يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر كلام مستانف لا محل له من الاعراب قاله الزجاج متضمن لتفصيل بعض
احكام الرحمة التى وعد فيما سبق بكتبها اجمالا فان ما بين فيه من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واحلال
الطيبات وتحريم الخبائث واسقاط التكاليف الشاقة كلها من اثار الرحمة الواسعة وقيل فى محل النصب على انه
حال مقدرة من مفعول يجدونه او من النبى او من المستكن فى مكتوبا او مفسر لمكتوب اى لما كتب
ويحل لهم الطيبات التى حرمت عليهم بشؤم ظلمهم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير والربا
والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم اى يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة التى
هى من قبيل ما كتب عليهم حينئذ من كون التوبة بقتل النفس كتعيين القصاص فى العمد والخطاء من غير شرع الدية
وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم السبت وعن عطاء
انه كانت بنو اسرائيل اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل
فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ اصارهم واصل الاصر الثقل الذى ياصر
صاحبه من الحراك فالذين آمنوا به تعليم لكيفية اتباعه عليه السلام وبيان لعلو رتبة متبعيه واغتنامهم
مغانم الرحمة الواسعة فى الدارين اثر بيان نعوته الجليلة والاشارة الى ارشاده عليه السلام اياهم بالامر بالمعروف
والنهى عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث اى فالذين آمنوا بنبوته واطاعوه فى اوامره ونواهيه و
عزروه اى عظموه ووقروه واعانوه بمنع اعدائه عنه وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه
على اعدائه فى الدين واتبعوا النور الذى انزل معه اى مع نبوته وهو القرآن عبر عنه بالنور المنبئ عن كونه
ظاهرا بنفسه ومظهرا للحقائق كاشفا عنها لمناسبة الاتباع ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اى واتبعوا
القرآن المنزل مع اتباعه عليه السلام بالعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او اتبعوا القرآن مصاحبين له فى اتباعه
اولئك اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة للاشعار بعليتها للحكم وما فيه
من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم فى الفضل والشرف اى اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة
هم المفلحون اى هم الفائزون بالمطلوب الناجون عن الكروب لا غيرهم من الامم فيدخل فيهم قوم موسى عليه السلام
دخولا اوليا حيث لم ينجوا عما فى توبتهم من المشقة الهائلة وبه يتحقق التحقيق ويتأتى التوفيق والتطبيق بين دعائه
عليه السلام وبين الجواب لا بما قيل من انه لما دعا لنفسه ولبنى اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بنى اسرائيل
على استجازتهم الرؤية على الله عز وجل وعلى كفرهم بآياته العظام التى اجراها على يد موسى عليه السلام وعرض بذلك
فى قوله تعالى والذين هم بآياتنا يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصافهم اعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى
الله عليه وسلم وبما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا فى اخلاص الايمان
والعمل الصالح قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم لما حكى ما فى الكتابين من نعوت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وشرف من يتبعه من اهلهما ونيلهم لسعادة الدارين امر عليه السلام ببيان ان تلك السعادة
غير مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه كائنا من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص رسالة
سائر الرسل عليهم السلام باقوامهم وارسال موسى عليه السلام الى فرعون وملائه بالآيات التسع انما كان لامرهم بعبادة

لعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة التى كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال
بنى اسرائيل من الاسر والقسر واما العمل باحكام التورية فمختص ببنى اسرائيل جميعا حال من الضمير فى اليكم
الذى له ملك السموات والارض منصوب او مرفوع على المدح او مجرور على انه صفة للجلالة وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه
فانه فى حكم المتقدم عليه وقوله تعالى لا اله الا هو بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله
لا غيره وقوله تعالى يحيى ويميت لزيادة تقرير الالوهية والفاء فى قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله
لتفريع الامر على ما تمهد وتقرر من رسالته عليه السلام وايراد نفسه صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة على طريقة
الالتفات الى الغيبة للمبالغة فى ايجاب الامتثال بامره ووصف الرسول بقوله النبى الامى لمدحه عليه السلام
بهما ولزيادة تقرير امره وتحقيق انه المكتوب فى الكتابين ووصفه بقوله تعالى الذى يؤمن بالله وكلماته
اى ما انزل اليه والى سائر الرسل عليهم السلام من كتبه ووحيه لحمل اهل الكتابين على الامتثال بما امروا به والتصريح
بايمانه تعالى للتنبيه على ان الايمان به تعالى لا ينفك عن الايمان بكلماته ولا يتحقق الا به وقرئ وكلمته على ارادة
الجنس او القرآن تنبيها على ان المامور به هو الايمان به عليه السلام من حيث انزل القرآن لا من حيثية اخرى او على
او على ان المراد بها عيسى عليه السلام تعريضا باليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتد بايمانه
اى فى كل ما ياتى وما يذر من امور الدين علة للفعلين او حال من فاعليهما اى رجاء لاهتدائكم
الى المطلوب او راجين له وفى تعليقه بهما ايذان بان من صدقه ولم يتبعه بالتزام احكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء
مستمر على الغى والضلالة كلام مبتدأ مسوق لما عسى يوهمه تخصيص كتبه الرحمة والتقوى والايمان
بالآيات بمتبعى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حرمان اسلاف قوم موسى عليه السلام من كل خير وبيان ان
كلهم ليسوا كما حكيت احوالهم بل منهم اى للناس بالحق اى ملتبسين به ويهدونهم بكلمة الحق
اى بكلمة الحق اى فى الاحكام الجارية فيما بينهم وصيغة المضارع فى الفعلين حكاية الحال
الماضية وقيل هم الذين آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم ويأباه انه قد مر ذكرهم فيما سلف وقيل ان بنى اسرائيل
لما بالغوا فى العتو والطغيان حتى اجترؤا على قتل الانبياء عليهم السلام تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا
وسألوا الله تعالى ان يفرق بينهم وبين اولئك الطاغين ففتح الله تعالى لهم نفقا فى الارض فساروا فيه سنة
ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وقد ذكر عن النبى
صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال جبريل عليه السلام هل تعرفون من تكلمون
قالوا لا فقال هذا محمد النبى الامى فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى عليه السلام اوصانا من ادرك منكم احمد
فليقرأ منى السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزلت يومئذ
فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت هذا وانت
خبير بان تخصيصهم بالهداية من بين قومه عليه السلام مع ان منهم من آمن بجميع الشرائع لا يخلو عن بعد
اى قوم موسى عليه السلام لا الامة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى ثانى مفعولى قطع
لتضمنه معنى التصيير والتانيث للحمل على الامة او القطعة اى صيرناهم اثنتى عشرة امة او قطعة متميزا بعضها من بعض او
او حال من مفعوله اى فرقناهم معدودين بهذا العدد وقوله تعالى بدل منه ولذلك جمع او تمييز له
على ان كل واحدة من اثنتى عشرة قطعة اسباط لا سبط وقرئ عشرة بكسر الشين وقوله تعالى على الاول

بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا

حين استسقى

عليهم العطش في التيه الذي وقعوا فيه بسوء صنيعهم لا نجره واستسقائهم اياه عليه السلام بل باستسقائه عليه السلام لهم لقوله تعالى واذ استسقى موسى لقومه وقوله تعالى

مفسرة لفعل الايحاء وقد مر بيان شان الحجر في تفسير سورة البقرة

عطف على مقدر انبجست عليه الكلام قد حذف تعويلا على كمال الظهور وايذانا بغاية مسارعته عم الى الامتثال واشعارا بعدم تاثير الضرب حقيقة وتنبيها على كمال سرعة الانبجاس هو الانفجار كانه حصل اثر الامر قبل تحقق الضرب كما في قوله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانبجست منه اثنتي عشرة عينا بعدد الاسباط واما ما قيل من ان التقدير فان ضربت فقد انبجست فغير حقيق بجزالة التنظيم التنزيلي وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها

كل سبط عينهم

بذلك ايذانا بكثرة كل واحد من الاسباط اي عينهم الخاصة بهم

وظللنا عليهم الغمام اي جعلناها بحيث تلقي عليهم ظلها تسير في التيه بسيرهم وتسكن باقامتهم وكان ينزل بالليل عمود من نار يسيرون بضوئه

وانزلنا عليهم المن والسلوى الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه

اي وقلنا لهم كلوا

اي مستلذاته

وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى

رجوع الى سنن الكلام الاول بعد حكاية خطابهم

وهو معطوف على جملة محذوفة للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح به اي فظلموا بان كفروا بتلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك

اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول لافادة القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب من التهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على ان النفي على ابناء المفعول مع استناده اليه تعالى كما يفصح عنه ما وقع في سورة البقرة من قوله واذ قيل لهم تماديهم فيما هم فيه من الظلم والكفر

منصوب بمضمر خوطب به النبي عليه صلى الله وسلم وايراد على سنن الكبرياء والايذان بالغنى عن التصريح به لتعين الفاعل وتغيير النظم بالامر بالذكر للتشديد في التوبيخ اي اذكر لهم وقت قوله تعالى لاسلافهم

منصوب

على المفعولية نعالى سكنت الدار وقيل على الظرفية اتساعا وهي بيت المقدس وقيل اريحاء وهي قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة راسهم عوج بن عنق وفي قوله تعالى اسكنوا ايذان بان المامور به في سورة البقرة وهو الدخول على وجه السكنى والاقامة ولذلك اكتفي به عن ذكر رغدا في قوله تعالى

اي من مطاعمها وثمارها على ان من تبعيضية او منها على انها ابتدائية

اي من نواحيها من غير ان يزاحمكم فيها احد فان الاكل المستمر على هذا الوجه لا يكون الا رغدا واسعا وعطف كلوا على اسكنوا بالواو لمقارنتهما زمانا بخلاف الدخول فانه متقدم على الاكل ولذلك قيل هناك فكلوا

اي مسالتنا او امرك حطة لذنوبنا وهي فعلة من الحط كالجلسة

اي باب القرية

اي متطامنين مخبتين او ساجدين شكرا على اخراجهم من التيه وتقديم الامر بالدخول على الامر بالقول المذكور في سورة البقرة غير مخل بهذا الترتيب لان المامور به هو الجمع بين الفعلين من غير اعتبار الترتيب بينهما ثم ان كان المراد بالقرية اريحاء فقد روي انهم دخلوها حيث سار اليها موسى عليه السلام بمن بقي من بني اسرائيل او بذراريهم على اختلاف الروايتين ففتحها كما مر في سورة المائدة واما ان كان بيت المقدس فقد روي انهم لم يدخلوه في حيوة موسى عليه السلام فقيل المراد بالباب باب القبة التي كانوا يصلون اليها

وقرئ خطاياكم كما في سورة البقرة وتغفر لكم خطيئاتكم وخطاياكم وخطيئتكم على البناء للمفعول

عن شيئين بالمغفرة وبالزيادة

وطرح الواو ههنا لا يخل بذلك لانه استيناف مرتب على تقدير سؤال نشا من الاخبار بالغفران كانه قيل فماذا لهم بعد الغفران

فقيل سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان

بما امروا به من التوبة والاستغفار حسبما امروا عنه ووضعوا موضعه قولا اخر مما لا خير فيه روي انهم دخلوا زاحفين على استاههم وقالوا مكان حطة وقيل قالوا بالنبطية حطا شمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله عز وجل واستهزاء بموسى عليه السلام وقوله تعالى

نعت لقولا صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها قطعا تحقيقا للمخالفة وتنصيصا على المغايرة من كل وجه

اثر ما فعلوا من غير تاخير وفي سورة البقرة على الذين ظلموا والمعنى واحد والارسال من فوق فيكون كالانزال

عذابا

كائنا منها والمراد الطاعون روي انه مات منهم في ساعة واحدة اربع وعشرون الفا

بسبب ظلمهم المستمر السابق واللاحق حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لا بسبب التبديل فقط كما يشعر به ترتيب الارسال عليه بالفاء والتصريح بهذا التعليل لما ان الحكم ههنا مرتب على المضمر دون الموصول بالظلم كما في سورة البقرة واما التعليل بالفسق بعد الاشعار بعلية الظلم فقد مر وجهه هناك والله تعالى اعلم

عطف على المقدر في اذ قيل اي واسال اليهود والمعاصرين لك سؤال تقريع وتقرير بتقدم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله تعالى واعلاما لهم بان ذلك مع كونه من علومهم الخفية التي لا يقف عليها الا من مارس كتبهم قد احاط به النبي صلى الله عليه وسلم خبرا واذ ليس ذلك بالتلقي من كتبهم لانه عليه السلام بمعزل من ذلك تعين انه من جهة الوحي الصريح

اي عن حالها وخبرها وما جرى على اهلها من الداهية الدهياء وهي ايلة قرية بين مدين والطور وقيل هي مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية

اي قريبة منه مشرفة على شاطئه

اي يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد يوم السبت

واذ ظرف للمضاف المحذوف او بدل منه وقيل ظرف لكانت او حاضرة وليس بذاك اذ لا فائدة في تقييد الكون او الحضور بوقت العدوان وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد حيث كانوا يعدون للصيد يوم السبت وهم منهيون عن الاشتغال فيه بغير العبادة

ظرف ليعدون او بدل بعد بدل والاول هو الاولى لان السؤال عن عدوانهم ادخل في التقريع والحيتان جمع حوت قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونينان لفظا ومعنى واضافتها اليهم للاشعار باختصاصها بهم لاستقلالها بما لا يكاد يوجد في سائر افراد الجنس من الخواص الخارقة للعادة او لان المراد بها الحيتان الكائنة في تلك الناحية وان ما ذكر من الاتيان وعدمه لاعتبار احوالهم في عدم التعرض يوم السبت

يوم سبتهم

ظرف لتاتيهم اي تاتيهم يوم تعظيمهم لامر السبت وهو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت السبت بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول قراءة من قرا يوم اسباتهم وقوله تعالى

شرعا

جمع شارع من شرع عليه اذا دنا واشرف وهو حال من حيتانهم اي تاتيهم يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل

ويوم لا يسبتون

اي لا يراعون امر السبت لكن لا بمجرد عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر بل مع انتفائهما معا اي لا سبت ولا مراعاة كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت ولا يدار عليهم حكم السبت ولا يومرون فيه بما امروا به يوم السبت

لا تاتيهم

كما كانت تاتيهم يوم السبت حذارا من صيدهم وتغيير السبك حيث لم يقل ولا تاتيهم يوم لا يسبتون لما ان الاخبار باتيانها يوم سبتهم مظنة ان يقال فماذا حالها يوم لا يسبتون فقيل يوم لا يسبتون لا تاتيهم

فقيل

كذلك نبلوهم أي مثل ذلك البلاء العجيب الفظيع نعاملهم معاملة من يختبرهم ليظهر عدوانهم ونؤاخذهم به وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها والتعجب منها بما كانوا يفسقون أي بسبب فسقهم المستمر المدلول عليه بالجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لكن لا في تلك المادة فإن فسقهم فيها لا يكون سببا للبلوى بل بسبب فسقهم المستمر في كل ما يأتون وما يذرون وقيل كذلك متصل بما قبله أي لا تأتيهم يوم لا يسبتون مثل إتيانهم يوم سبتهم فالجملة بعده استئناف مبني على السؤال عن حكمة اختلاف حال الحيتان بالإتيان تارة وعدمه أخرى وإذ قالت عطف على إذ يعدون مسوق لتماديهم في العدوان وعدم انزجارهم عنه بعد العظات والإنذارات أمة منهم أي جماعة من صلحائهم الذين ركبوا في عظتهم متن كل صعب وذلول حتى يئسوا من احتمال القبول لآخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء للنفع والتأثير مبالغة في الإعذار وطمعا في فائدة الإنذار لم تعظون قوما الله مهلكهم أي مخزيهم بالكلية ومطهر الأرض منهم أو معذبهم عذابا شديدا دون الاستئصال بالمرة وقيل مهلكهم مخزيهم في الدنيا أو معذبهم في الآخرة لعدم إقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق والطغيان والترديد لمنع الخلو دون منع الجمع فإنهم مهلكون في الدنيا ومعذبون في الآخرة وإيثار صيغة اسم الفاعل مع أن كلا من الإهلاك والتعذيب مترقب للدلالة على تحققهما وتقررهما البتة كأنهما واقعان وإنما قالوه مبالغة في أن الوعظ لا ينجع فيهم أو ترهيبا للقوم أو سؤالا عن حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم إنما قالوه بمحضر من القوم حثا لهم على الاتعاظ فإن بت القول بهلاكهم وعذابهم مما يلقي في قلوبهم الخوف والخشية وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة أجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم وليس بذاك كما ستقف عليه قالوا أي الوعاظ معذرة إلى ربكم أي نعظهم معذرة إليه تعالى على أنه مفعول له وهو الأنسب بظاهر قولهم لم تعظون أو نعتذر معذرة على أنه مصدر لفعل محذوف وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي موعظتنا معذرة إليه تعالى حتى لا ننسب إلى نوع تفريط في النهي عن المنكر وفي إضافة الرب إلى ضمير المخاطبين نوع تعريض بالسائلين ولعلهم يتقون عطف على معذرة أي ورجاء لأن يتقوا بعض التقاة وهذا صريح في أن القائلين لم تعظون الخ ليسوا من الفرقة الهالكة وإلا لوجب الخطاب فلما نسوا ما ذكروا به أي تركوا ما ذكرهم به علماؤهم ترك الناسي للشيء وأعرضوا عنه إعراضا كليا بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ أصلا أنجينا الذين ينهون عن السوء وهم الفريقان المذكوران وإخراج إنجائهم مخرج الجواب الذي حقه الترتب على الشرط وهو نسيانهم المستتبع لإهلاكهم لما أن ما في حيز الشرط شيئان النسيان والتذكير كأنه قيل فلما ذكر المذكرون ولم يتذكر المذكرون أنجينا الأولين وأخذنا الآخرين وأما تصدير الجواب بإنجائهم فلما مر آنفا من المسارعة إلى بيان نجاتهم من أول الأمر مع ما في المؤخر من نوع طول وأخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة الأمر بعذاب بئيس أي شديد وزنا ومعنى من بؤس يبؤس بأسا إذا اشتد وقرئ بئيس على وزن فعيل بفتح الفاء وكسرها وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها إلى الفاء ككبد في كبد وبيس بقلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيس كريس بقلب همزة بيئس ياء وإدغام الياء فيها وبيس على تخفيفه كهين في هين وتنكير العذاب للتفخيم والتهويل بما كانوا يفسقون متعلق بأخذنا كالباء الأولى ولا ضير فيه لاختلافهما معنى أي أخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم في الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان أيضا وإجراء الحكم على الموصول وإن أشعر بعلية ما في حيز الصلة له لكنه صرح بالتعليل المذكور إيذانا بأن العلة هو الإصرار على الظلم والعدوان مع اعتبار كون ذلك خروجا عن طاعة الله عز وجل لا نفس الظلم والعدوان وإلا لما أخرجي

عن ابتداء المباشرة ساعة ولعله تعالى قد عذبهم عذابا شديدا دون الاستئصال فلم يقلعوا عما كانوا عليه بل ازدادوا في الغي فمسخهم بعد ذلك كقوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه أي تمردوا وتكبروا وأبوا أن يتركوا ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين صاغرين أذلاء بعداء عن الناس والمراد بالأمر هو الأمر التكويني لا التكليفي وترتيب المسخ على العتو عن الانتهاء عما نهوا عنه للإيذان بأنه ليس لخصوصية الحوت بل العمدة في ذلك هو مخالفة الأمر والاستعصاء عليه تعالى وقيل المراد بالعذاب البئيس هو المسخ والجملة الثانية تقرير للأولى روي أن اليهود أمروا باليوم الذي أمرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت وهو المعني بقوله تعالى إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فابتلوا به وحرم عليهم الصيد فيه وأمروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت كأنها المخاض لا يرى وجه الماء لكثرتها ولا تأتيهم في سائر الأيام فكانوا على ذلك برهة من الدهر ثم جاءهم إبليس فقال لهم إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا سهلة الورود وصعبة الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان إليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها ويأخذونها يوم الأحد وأخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا إلى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الأحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له إني أرى الله سيعذبك فلما لم يره عذب أخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا أن العذاب لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا وأكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين ألفا فصار أهل القرية أثلاثا ثلث استمروا على النهي وثلث ملوا التذكير وسئموه وقالوا للواعظين لم تعظون الخ وثلث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا إن لهم لشأنا فعلوا الجدار فنظروا فإذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة أنسباءهم من الإنس وهم لا يعرفونها فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه فيبكي فيقول له نسيبه ألم ننهكم فيقول برأسه بلى ثم ماتوا عن ثلاث وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن مجاهد مسخت قلوبهم وقال الحسن البصري أكلوا والله أوخم أكلة أكلها أهلها أثقلها خزيا في الدنيا وأطولها عذابا في الآخرة هاه وايم الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله تعالى جعل موعدا والساعة أدهى وأمر وإذ تأذن ربك منصوب على المفعولية بمضمر معطوف على قوله تعالى واسألهم وتأذن بمعنى آذن كما أن توعد بمعنى أوعد أو بمعنى عزم فإن العازم على الأمر يحدث به نفسه ويجري مجرى القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بجوابه حيث قيل ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة أي واذكر لهم وقت إيجابه تعالى على نفسه أن يسلط على اليهود البتة من يسومهم سوء العذاب كالإذلال وضرب الجزية وغير ذلك من فنون العذاب وقد بعث الله تعالى عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها إلى المجوس حتى بعث النبي عليه السلام ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم فلا تزال مضروبة إلى آخر الدهر إن ربك لسريع العقاب يعاقبهم في الدنيا وإنه لغفور رحيم لمن تاب وآمن منهم وقطعناهم أي فرقناهم بني إسرائيل في الأرض وجعلنا كل فرقة منهم في قطر من أقطارها بحيث لا يخلو ناحية منها منهم تكملة لإدبارهم حتى لا يكون لهم شوكة وقوله تعالى أمما إما مفعول ثان لقطعنا أو حال من مفعوله منهم الصالحون صفة لأمما أو بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ومن يسير بسيرتهم ومنهم دون ذلك أي ناس دون ذلك الوصف أي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون عما كانوا فيه من الكفر والمعاصي فخلف من بعدهم من بعد المذكورين

خلف اى بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع فى الشر والخلف بفتح اللام فى الخير والمراد به الذين كانوا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب اى التورية من اسلافهم تقرؤنها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى استيناف مسوق لبيان ما يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم اياه اى يأخذون حطام هذا الشئ الادنى اى الدنيا وهو من الدنو او الدناءة والمراد به ما كانوا يأخذونه من الرشى فى الحكومات وعلى تحريف الكلام وقيل حال من واو ورثوا ويقولون سيغفر لنا ولا يؤاخذنا الله تعالى بذلك ويتجاوز عنه والجملة تحتمل العطف والحالية والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير فى لنا اى يرجون المغفرة والحال انهم مصرون على الذنب عائدون الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اى الميثاق الوارد فى الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اى بان لا يقولوا الخ والمراد به الرد عليهم والتوبيخ على بتهم القول بالمغفرة بلا توبة والدلالة على انها افتراء على الله تعالى وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون ما فعل هؤلاء افلا تعقلون فتعلموا ذلك فلا تستبدلوا الادنى المؤدى الى العقاب بالنعيم المخلد وقرئ بالياء وفى الالتفات تشديد للتوبيخ والذين يمسكون بالكتاب اى يتمسكون فى امور دينهم يقال مسك بالشئ وتمسك به قال مجاهد هم الذين آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه تمسكوا بالكتاب الذى جاء به موسى فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة وقال عطاء هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ من الامساك وقرئ تمسكوا واستمسكوا موافقا لقوله تعالى واقاموا الصلوة ولعل التغيير فى المشهور للدلالة على ان التمسك بالكتاب امر مستمر فى جميع الازمنة بخلاف اقامة الصلوة فانها مختصة باوقاتها وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات لانافتها عليها ومحل الموصول اما الجر نسقا على الذين يتقون وقوله تعالى افلا تعقلون اعتراض مقرر لما قبله واما رفع على الابتداء والخبر قوله تعالى انا لا نضيع اجر المصلحين والرابط اما العائد المحذوف كما هو رأى جمهور البصريين والتقدير اجر المصلحين منهم واما الالف واللام كما هو رأى الكوفيين فانه فى حكم مصلحيهم كما فى قوله تعالى فان الجنة هى المأوى اى مأويهم وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب اى ابوابها واما العموم فى المصلحين فانه من الروابط ومنه نعم الرجل زيد على احد الوجوه وقيل الخبر محذوف والتقدير والذين يمسكون بالكتاب مأجورون ومثابون وقوله تعالى انا لا نضيع الخ اعتراض مقرر لما قبله واذ نتقنا الجبل فوقهم اى قلعناه من مكانه ورفعناه عليهم كأنه ظلة اى سقيفة وهى كل ما اظلك وظنوا اى تيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت فى الجو ولانهم كانوا يوعدون به واطلاق الظن فى الحكاية لعدم وقوع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله تعالى عليهم الطور وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا ما آتيناكم اى وقلنا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل ولا تتركوه كالمنسى لعلكم تتقون بذلك قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق او راجين ان تنتظموا فى سلك المتقين واذ اخذ ربك منصوب بمضمر معطوف على ما انتصب به اذ نتقنا مسوق للاحتجاج على اليهود بتذكير الميثاق العام المنتظم للناس كافة وتوبيخهم بنقضه اثر الاحتجاج عليهم بتذكير ميثاق الطور وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه مرارا اى واذكر لهم اخذ ربك من بنى آدم المراد بهم الذين ولدهم كائنا من كان نسلا بعد نسل سوى من لم يولد له بسبب من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا

وايثار الاخذ على الاخراج للايذان بالاعتناء بشأن المأخوذ لما فيه من الانباء على الاجتباء والاصطفاء وهو السبب فى اسناده الى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الآتى واضافته الى ضميره عليه السلام للتشريف وقوله تعالى من ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض بتكرير الجار كما فى قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم ومن فى الموضعين ابتدائية وفيه مزيد تقرير لابتنائه على البيان بعد الابهام والتفصيل غب الاجمال وتنبيه على ان الميثاق قد اخذ منهم وهم فى اصلاب الآباء ولم يستودعوا فى ارحام الامهات وقوله تعالى ذريتهم مفعول اخذ اخر عن المفعول بواسطة الجار لاشتماله على ضمير راجع اليه ولمراعاة اصالته ومنشئيته ولما مر مرارا من التشويق الى المؤخر وقرئ ذرياتهم والمراد بهم اولادهم على العموم فيندرج فيهم اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اندراجا اوليا كما اندرج اسلافهم فى بنى آدم كذلك وتخصيصهما باليهود سلفا وخلفا مع ان ما اريد بيانه من بديع صنع الله عز وجل شامل للكل كافة مخل بفخامة التنزيل وجزالة التمثيل واشهدهم على انفسهم اى اشهد كل واحدة من اولئك الذريات المأخوذين من ظهور آبائهم على نفسها لا على غيرها تقريرا لهم بربوبيته التامة وما تستتبعه من المعبودية على الاختصاص وغير ذلك من احكامها وقوله تعالى الست بربكم على ارادة القول اى قائلا الست بربكم ومالك امركم ومربيكم على الاطلاق من غير ان يكون لاحد مدخل فى شأن من شئونكم فينتظم استحقاق المعبودية ويستلزم اختصاصه به تعالى قالوا استيناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا بلى شهدنا اى على انفسنا بانك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك كما ورد فى الحديث الشريف وهذا تمثيل لخلقه تعالى اياهم جميعا فى مبدأ الفطرة مستعدين للاستدلال بالدلائل المنصوبة فى الآفاق والانفس المؤدية الى التوحيد والاسلام كما ينطق به قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة الحديث مبنى على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريضه تعالى اياهم لمعرفة ربوبيته بعد تمكينهم منها بما ركز فيهم من العقول والبصائر ونصب لهم فى الآفاق والانفس من الدلائل تمكينا تاما ومن تمكنهم منها تمكنا كاملا وتعرضهم لها تعرضا قويا بهيئة منتزعة من حمله تعالى اياهم على الاعتراف بها بطريق الامر ومن مسارعتهم الى ذلك من غير تلعثم اصلا من غير ان يكون هناك اخذ واشهاد وسؤال وجواب كما فى قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله تعالى ان تقولوا بالتاء على تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاصريه من اليهود تشديدا فى الالزام او اليهم والى متقدميهم بطريق التغليب لكن لا من حيث انهم مخاطبون بقوله تعالى الست بربكم فانه ليس من الكلام المحكى وقرئ بالياء على ان الضمير للذرية وايا ما كان فهو مفعول له لما قبله من الاخذ والاشهاد اى فعلنا ما فعلنا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة او يقولوا هم يوم القيمة عند ظهور الامر انا كنا عن هذا عن وحدانية الربوبية واحكامها غافلين لم ننبه عليه فانهم حيث جبلوا على ما ذكر من التهيؤ التام لتحقيق الحق والقوة القريبة من الفعل صاروا محجوجين عاجزين عن الاعتذار بذلك اذ لا سبيل لاحد الى انكار ما ذكر من خلقهم على الفطرة السليمة وقوله تعالى او تقولوا انما اشرك آباؤنا عطف على تقولوا واو لمنع الخلو دون الجمع اى هم اخترعوا الاشراك وهم سنوه من قبل من قبل زماننا وكنا نحن ذرية من بعدهم لا نهتدى الى السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل افتهلكنا بما فعل المبطلون من آبائنا المضلين بعد ظهور انهم المجرمون ونحن عاجزون عن التدبير والاستبداد بالرأى او اتؤاخذنا فتهلكنا الخ فان ما ذكر من استعدادهم الكامل يسد عليهم باب الاعتذار بهذا ايضا فان التقليد عند قيام الدلائل والقدرة على الاستدلال بها مما لا مساغ له اصلا هذا وقد حملت هذه المقاولة على الحقيقة كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من انه لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام مسح ظهره فخرج منه كل نسمة هو خالقها

الى يوم القيمة فقال الست بربكم قالوا بلى فنودى يومئذ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة وقد روى عن ابن عمر رضى الله
عنهما انه سئل عن الاية الكريمة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال ان الله تعالى خلق آدم
ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه
ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون وليس المعنى انه تعالى اخرج الكل من ظهره عليه السلام
بالذات بل اخرج من ظهره ابناءه الصلبية ومن ظهورهم ابناءهم الصلبية وهكذا الى آخر السلسلة لكن لما
كان المظهر الاصلى ظهره عليه السلام وكان مساق الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين اجمالا من غير
ان يتعلق بذكر الوسائط غرض علمى نسب اخراج الكل اليه واما الاية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة
المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان عدم افادة الاعتذار باسناد الاشراك الى آبائهم اقتضى الحال نسبة
اخراج كل واحد منهم الى ظهر ابيهم من غير تعرض لاخراج الابناء الصلبية لآدم عليه السلام من ظهره قطعا وعدم بيان
الميثاق فى حديث عمر رضى الله عنه ليس بيانا للعدم ولا مستلزما له واما ما قالوا من ان اخذ الميثاق لاسقاط عذر الغفلة
حسبما ينطق به قوله تعالى ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ومعلوم انه غير دافع لغفلتهم فى دار
التكليف اذ لا فرد من افراد البشر يذكر ذلك فمردود لكن لا بما قيل من ان الله عز وجل قد اوضح الدلائل على وحدانيته
وصدق رسله فيما اخبروا به فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمته الحجة وبنسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد
اخبار المخبر الصادق بل لان قوله تعالى ان تقولوا الخ ليس مفعولا له لقوله تعالى واشهدهم وما يتفرع عليه من قولهم بلى شهدنا حتى
يجب كون ذلك الاشهاد والشهادة محفوظا لهم فى الزامهم بل لفعل مضمر ينسحب عليه الكلام والمعنى فعلنا ما فعلنا من الامر بذكر
الميثاق وبيانه كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة يوم القيمة انا كنا غافلين عن هذا الميثاق لم ننبه
عليه فى دار التكليف والا لعملنا بموجبه هذا على قراءة الجمهور واما على القراءة بالياء فهو مفعول له للفعل المضمر العامل
فى اذ والمعنى ذكرهم الميثاق المأخوذ منهم فيما مضى لئلا يعتذروا يوم القيمة بالغفلة عنه او بتقليد الآباء هذا
على تقدير كون قوله تعالى شهدنا من كلام الذرية وهو الظاهر فاما على تقدير كونه من كلامه تعالى فهو العامل
فى ان تقولوا ولا محذور اصلا اذ المعنى شهدنا قولكم هذا لئلا تقولوا يوم القيمة الخ لانا نردكم ونكذبكم حينئذ
وكذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شأن المشار اليه وبعد منزلته والكاف
مقحمة مؤكدة لما افاده اسم الاشارة من الفخامة والتقديم على الفعل لافادة القصر ومحله النصب على المصدرية اى
ذلك التفصيل البليغ المستتبع للمنافع الجليلة نفصل الايات المذكورة لا غير ذلك ولعلهم يرجعون
وليرجعوا عما هم عليه من الاصرار على الباطل وتقليد الآباء نفعل التفصيل المذكور قالوا وان ابتداء ان يجوز
ان يكون الثانية عاطفة على مقدر مترتب على التفصيل اى وكذلك نفصل الايات ليقفوا على ما فيها من المرغبات
والزواجر وليرجعوا واتل عليهم عطف على المضمر العامل فى اذ اخذ وارد على نمط فى الانباء عن الحور بعد الكفر
والضلالة بعد الهدى اى واتل على اليهود نبأ الذى آتيناه اياتنا اى خبره الذى له شأن وخطر وهو
احد علماء بنى اسرائيل وقيل هو بلعم بن باعورا او بلعام بن باعر من الكنعانيين اوتى علم بعض كتب الله تعالى
وقيل هو امية بن ابى الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل فى ذلك الزمان رسولا ورجا ان يكون
هو الرسول فلما بعث الله تعالى النبى صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به والاول هو الانسب بمقام توبيخ اليهود بهنات آبائهم
فانسلخ منها اى من تلك الايات انسلاخ الجلد من الشاة ولم يخطرها بباله اصلا او خرج منها بالكلية بان كفر بها ونبذها وراء

ظهره وايا ما كان فالتعبير عنه بالانسلاخ المنبئ عن اتصال المحيط بالمحاط خلقة وعن عدم الملاقاة بينهما ابدا
للايذان بكمال مباينته للايات بعد ان كان بينهما كمال الاتصال فاتبعه الشيطان اى تبعه حتى لحقه وادركه فصار
قرينا له وهو المعنى على القراءة فاتبعه من الافتعال وفيه تلويح بانه اشد من الشيطان غواية واتبعه خطواته
فكان من الغاوين فصار من زمرة الضالين الراسخين فى الغواية بعد ان كان من المهتدين روى ان قومه
طلبوا اليه ان يدعو على موسى عليه السلام فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فلم يزالوا به حتى فعل فبقوا فى التيه
وقد روى ان التيه كان لموسى عليه السلام روحا وراحة وانما عذب به بنو اسرائيل وقد كان ذلك بدعائه عليه السلام
كما مر فى سورة المائدة ولو شئنا كلام مستأنف مسوق لبيان مناط ما ذكر من انسلاخه من الايات
ووقوعه فى مهاوى الغواية ومفعول المشية محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة
المستمرة اى ولو شئنا رفعه لرفعناه اى الى المنازل العالية للابرار العالمين بتلك الايات العاملين بموجبها
لكن لا بمحض مشيتنا من غير ان يكون له دخل فى ذلك اصلا فانه مناف للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الاجزية
بالافعال الاختيارية للعباد بل مع مباشرته للعمل المؤدى الى الرفع بصرف اختياره الى تحصيله كما ينبئ عنه قوله تعالى
بها اى بسبب تلك الايات بان عمل بموجبها فان اختياره وان لم يكن مؤثرا فى حصوله ولا فى ترتب الرفع عليه
بل كلاهما بخلق الله تعالى لكن خلقه تعالى منوط بذلك البتة حسب جريان العادة الالهية وقد اشير الى ذلك
الاستدراك بان اسند ما يؤدى الى نقيض التالى اليه حيث قيل ولكنه اخلد الى الارض مع ان الاخلاد اليها ايضا
مما لا يتحقق عند صرف اختياره اليه الا بخلقه تعالى كانه قيل ولو شئنا رفعه بمباشرته لسببه لرفعناه بسبب تلك الايات
التى هى اقوى اسباب الرفع ولكن لم نشأه لمباشرته لسبب نقيضه فتركناه وكل من العاصين بما ذكر فالآخر نقيضها على الاول
المذكور بالمطوى كما فى قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وتخصيص
كل من المذكورين بعبارة للايذان بان الرفع مراد له تعالى بالذات ونقيضه بخلافه لا دخل فيه لبعض حقيقية كيف لا
وجميع افعاله ومباديها حق له تعالى ونفضلانه وان نقيضه انما حاء بسوء اختياره على موجب الوعيد لا بالارادة
الذاتية له سبحانه كما قيل فى وجه ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر فى الاية المذكورة وهو السر فى جريان السنة
القرآنية على اسناد الخير اليه تعالى واضافة الشر الى الغير كما فى قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره والاخلاد
الى الشئ الميل اليه مع الاطمئنان به واريد بالارض الدنيا وقيل السفالة والمعنى لكنه آثر الدنيا الدنية على المنازل
السنية او الضعة والسفالة على الرفعة والعلو واتبع هواه معرضا عن تلك الايات الجليلة فانحط ابلغ
انحطاط وارتد اسفل السافلين والى ذلك اشير بقوله تعالى فمثله كمثل الكلب لانه اخس الحيوانات واسفلها
وقد مثل حاله باخس احواله واذلها حيث قيل ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اى فمثله التى هى مثل
فى السوء كصفته فى ارذل احواله وهى حالة دوام اللهث به فى حالتى التعب والراحة فكانه قيل فرذل الى غاية
ورداءة فى الخسة والدناءة وايثار الجملة الاسمية على الفعلية بان يقال فصار مثله كمثل الكلب للايذان بدوام
اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكمال استقراره واستمراره عليها والخطاب فى فعلى الشرط لكل احد ممن له حظ من الخطاب
فانه ادخل فى اشاعة فظاعة حاله واللهث ادلاع اللسان بالتنفس الشديد اى هو ضيق الحال مكروب دائم اللهث
سواء هيجته وازعجته بالطرد العنيف او تركته على حاله فانه فى الكلاب طبع لا يقدر على نفض الهواء المسخن وجلب
الهواء البارد بسهولة لضعف قلبها وانقطاع فؤادها بخلاف سائر الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد

والابلغية الكرب والمضايقة اى عند التعجب والاحياء والشرطية مع اختها تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل فيه
وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه لا محل لهما من الاعراب على منهاج قوله تعالى خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون
اثر قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقيل هي في محل النصب على الحالية من الكلب بناء على خروجها من حقيقة
الشرط وتحولها الى معنى التسوية اى معنى التسوية حسب تحول الاستفهام اليه من المعنى فعيننا اليه في مثل قوله تعالى
أأنذرتهم ام لم تنذرهم كانه قيل لاهثا في الحالتين واياما كان فالظاهر انه تشبيه للهيئة المنتزعة مما اعتراه بعد الانسلاخ
من سوء الحال واضطراب القلب ودوام القلق والاضطراب وعدم الاستراحة بحال من الاحوال بالهيئة المنتزعة
مما ذكر من حال الكلب وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فتدلى على صدره وجعل يلهث كالكلب
الى ان هلك ذلك اشارة الى ما ذكر من الحالة الخسيسة منسوبة الى الكلب او الى المنسلخ وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلتها في الخسة والدناءة اى ذلك المثل السيء مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وهم اليهود
حيث اوتوا في التوراة ما اوتوا من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر القرآن المعجز وما فيه فصدقوه وبشروا الناس
باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانسلخوا من حكم التوراة فاقصص
القصص القصص مصدر سمي به المفعول كالسلب واللام للعهد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اى اذا تحقق
ان المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين فاقصصه عليهم حسبما اوحي اليك لعلهم يتفكرون فيقفون على جلية
الحال وينزجرون عما هم عليه من الكفر والضلال ويعلمون انك قد علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك والجملة
في محل النصب على انها حال من ضمير المخاطب او على انها مفعول له اى فاقصص القصص راجيا لتفكرهم او رجاء لتفكرهم
ساء مثلا استئناف مسوق لبيان كمال حال المكذبين بعد بيان كونه كحال الكلب والمنسلخ وساء بمعنى بئس فاعلها
مضمر فيها ومثلا تمييز مفسر له والمخصوص بالذم قوله تعالى القوم الذين كذبوا بآياتنا وحيث وجب التصادق بينه
وبين الفاعل والتمييز وجب المصير الى تقدير مضاف اما اليه وهو الظاهر اى ساء مثلا مثل القوم الخ او الى التمييز اى ساء اصحاب
مثل القوم الخ ويؤيده انه قرئ ساء مثل القوم واعادة القوم موصوفا بالموصول مع كفاية الضمير بان يقال ساء مثلا مثلهم
للايذان بان مدار السوء ما في حيز الصلة وربط قوله تعالى وانفسهم كانوا يظلمون به فانه اما معطوف على كذبوا
داخل معه في حكم الصلة بمعنى جمعوا بين تكذيب آيات الله تعالى بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وبين ظلمهم لانفسهم خاصة
او مستطيع عنه بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها واياما كان ففي تقديم المفعول [illegible] الى ان تكذيبهم
بالآيات متضمن للظلم بها وان ذلك ايضا معتبر في القصر المستفاد من تقديم المفعول من يهدي الله فهو المهتدي
لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يقص قصص المنسلخ على هؤلاء الضالين الذين مثلهم كمثله ليتفكروا فيه ويتركوا ما هم
عليه من الاخلاد الى الضلالة ويهتدوا الى الحق عقب ذلك بتحقيق ان الهداية والضلالة من جهة الله عز وجل وانما
العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية في حصول الاهتداء من غير تأثير لها فيه سوى كونها دواعي الى صرف العبد
اختياره نحو تحصيله حسبما ينطق به خلق الله تعالى اياه كسائر افعال العباد فالمراد بهذه الهداية ما يوجب الاهتداء
قطعا لكن لا لان حقيقتها الدلالة الموصلة الى البغية البتة بل لانها الفرد الكامل من حقيقة الهداية التي هي الدلالة الى ما
يوصل الى البغية اى من شأنه الايصال اليها كما سبق تحقيقه في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وليس المراد مجرد الاخبار
باهتداء من هداه الله تعالى حتى يتوهم عدم الافادة بحسب الظاهر لظهور استلزام هدايته تعالى للاهتداء وتحمل
النظم الكريم على معنى تعظيم شأن الاهتداء والتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه بل

الا الاهتداء على ما اراده تعالى حسبما يقتضيه تعريف الخبر فالمعنى من يهدي الله اى يخلق الله فيه الاهتداء على الوجه المذكور
فهو المهتدي لا غير كائنا من كان ومن يضلل بان لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة لصرف اختياره نحوها
فاولئك الموصوفون بالضلالة على الوجه المذكور هم الخاسرون اى الكاملون في الخسران لا غير والافراد في المهتدي
نظرا الى اللفظ والجمع في الخاسرين نظرا الى المعنى للايذان بان المهتدين على منهاج واحد وتفرق طرق الضلالة ولقد
ذرأنا كلام مستأنف مقرر لمضمون ما قبله بطريق التذييل اى خلقنا لجهنم اى للدخول فيها والتعذيب بها وتقديمه على قوله
تعالى كثيرا اى خلقا كثيرا مع كونه مفعولا لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم مع ما فيه من طول يؤدي توسيطه بينهما وتأخيره عنهما الى الاخلال
بجزالة النظم الكريم وقوله تعالى من الجن والانس متعلق بمحذوف صفة لكثيرا اى كائنا منهما وتقديم
الجن لانهم اعرق من الانس في الاتصاف بما نحن فيه من الصفات واكثر عددا واقدم خلقا والمراد بهم الذين حقت
عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يؤدي الى ذلك بل لعلمه تعالى بانهم لا يصرفون
اختيارهم نحو الحق ابدا بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم من الآيات والنذر فبهذا الاعتبار
جعل خلقهم مغيا بها كما ان جميع الفريقين باعتبار استعدادهم الكامل الفطري للعبادة وتمكنهم التام منها
جعل خلقهم مغيا بها كما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى لهم قلوب
في محل النصب على انه صفة اخرى لكثيرا وقوله تعالى لا يفقهون بها في محل الرفع على انه صفة لقلوب مؤكدة لما يفيده
تنكيرها وابهامها من كونها غير معهودة مخالفة لسائر افراد الجنس فاقدة لكمالها بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب
امتناعهم عن صرفها الى تحصيله وهذا وصف لها بكمال الاغراق في القساوة فانها حيث لم يتأت منها التفقه بحال فكأنها
خلقت غير قابلة له رأسا وكذا في اعينهم وآذانهم وحذف المفعول للتعميم اى لهم قلوب ليس من شأنها ان يفقهوا بها
شيئا مما من شأنه ان يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولا اوليا وتخصيصه بذلك مخل بالافصاح
عن كنه حالهم ولهم اعين لا يبصرون بها الكلام فيه كما فيما عطف هو عليه والمراد بالابصار والسمع
اللذين بالحق المختص بالعقلاء من الادراك على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد الاحساس بالشبح والصوت
كما هو وظيفة الانعام اى لا يبصرون بها شيئا من المبصرات فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجا
اوليا ولهم آذان لا يسمعون بها اى شيئا من المسموعات فيتناول الآيات التنزيلية تناولا اوليا واعادة
الخبر في الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بان يقال واعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها
لتقرير سوء حالهم وفي اثبات المشاعر الثلاثة لهم ثم وصفها بعدم الشعور دون سلبها عنهم ابتداء بان يقال
ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا اعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها من الشهادة بكمال رسوخهم في الجهل
والغواية ما لا يخفى اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلتهم في الضلال اى اولئك الموصوفون بالاوصاف المذكورة كالانعام اى في انتفاء الشعور
على الوجه المذكور او في ان مشاعرهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما
من شأنه ان تدركه من المنافع والمضار فتجتهد في جلبها وسلبها غاية جهدها مع كونها بمعزل من الخلود
وهؤلاء ليسوا كذلك حيث لا يميزون بين المنافع والمضار بل يعكسون الامر فيتركون النعيم المقيم ويقدمون
على العذاب الخالد وقيل لانها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه [illegible]
وفي الخبر كل شيء اطوع لله من ابن آدم اولئك المنعوتون بما مر من مثلية الانعام والشرية منها هم الغافلون

الكاملون في الغفلة المحققون لان يخص بهم الاسم ولا يطلق على غيرهم كيف لا وانهم لا يعرفون من شئون الله
عز وجل ولا من شئون ما سواه شيئا فيشركون به سبحانه وليس كمثله شيء وهو السميع العليم اصناما التي هي من اخس
مخلوقاته تعالى ﴿ولله الاسماء الحسنى﴾ تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك
الغافلين عنه سبحانه وعما يليق به من الامور وما لا يليق به اثر بيان غفلتهم التامة وضلالهم الطامة والحسنى تانيث الاحسن
اي الاسماء التي هي احسن الاسماء واجلها لانبائها عن احسن المعاني واشرفها ﴿فادعوه بها﴾ اي فسموه بتلك
الاسماء ﴿وذروا الذين يلحدون في اسمائه﴾ الالحاد واللحد الميل والانحراف يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وقرئ
يلحدون من الثلاثي اي يميلون في شأنها عن الحق الى الباطل اما بان يسموه تعالى بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كما
في قول اهل البدو يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي ونحو ذلك فالمراد بالترك المامور به الاجتناب عن ذلك وباسمائه ما اطلقوه
عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا اسماؤه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك الاضمار بان يقال يلحدون فيها واما بان يعدلوا
عن تسميته تعالى ببعض اسمائه الكريمة كما قالوا وما الرحمن ما نعرف سوى رحمن اليمامة فالمراد بالترك الاجتناب ايضا وبالاسماء
اسماؤه تعالى حقيقة فالمعنى سموه تعالى بجميع اسمائه الحسنى واجتنبوا اخراج بعضها من البين واما بان يطلقوها على غيره تعالى
كما سموا اصنامهم آلهة واما بان يشتقوا من بعضها اسماء اصنامهم كما اشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز
فالمراد بالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة كما في الوجه الثاني والاظهار في موقع الاضمار مع التجريد عن الوصف في الكل
للايذان بان الحادهم في نفس الاسماء من غير اعتبار الوصف وليس المراد بالترك حينئذ الاجتناب عن ذلك اذ لا يتوهم
صدور مثل هذا الالحاد عن المؤمنين ليؤمروا بتركه بل هو الاعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقبا لنزول العقوبة
بهم عن قريب كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿سيجزون ما كانوا يعملون﴾ فانه استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ
من الامر بعدم المبالاة والاعراض عن المجازاة كانه قيل لم لا نبالي بالحادهم ولا نتصدى لمجازاتهم فقيل لانه سينزل بهم
عقوبته وتتشفون بذلك عن قريب واما على الوجهين الاولين فمعنى اجتنبوا الحادهم كيلا يصيبكم ما اصابهم فانه سينزل
عقوبة الحادهم ﴿وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ بيان اجمالي لحال من عدا المذكورين من الثقلين الموصوفين
بما ذكر من الضلال والالحاد عن الحق ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ اما باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف وما بعده
خبره كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول اي وبعض من خلقنا او وبعض ممن خلقنا امة اي طائفة كثيرة يهدون
الناس ملتبسين بالحق او يهدونهم بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة وبالحق يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون
فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة
الاية وعنه عليه السلام ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وروي لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان يأتي امر الله
وروي لا تزال من امتي قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم ظاهرون وفيه من الدلالة
على صحة الاجماع ما لا يخفى والاقتصار على نعتهم بهداية الناس للايذان بان اهتداءهم في انفسهم امر محقق غني عن التصريح
به ﴿والذين كذبوا باياتنا﴾ شروع في تحقيق الحق الذي به يهدي الهادون وبه يعدل العادلون وحمل الناس عليه
على وجه الترهيب ومحل الموصول الرفع على انه مبتدأ خبره ما بعده من الجملة الاستقبالية واضافة الايات الى نون العظمة
لتشريفها واستعظام الاقدام على تكذيبها اي والذين كذبوا باياتنا التي هي معيار الحق ومصداق الصدق والعدل
﴿سنستدرجهم﴾ اي سنستدنيهم البتة الى الهلاك شيئا فشيئا والاستدراج استفعال من درج اما بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستعمل
في كل نقل تدريجي سواء كان بطريق الصعود او الهبوط او الاستقامة واما بمعنى مشى مشيا ضعيفا واما بمعنى طوى والاول

والاول هو الانسب بالمعنى المراد الذي هو النقل الى اعلى درجات المهالك ليبلغ اقصى مراتب العقوبة والعذاب
ثم استعير لطلب كل نقل تدريجي من حال الى حال من الاحوال الملائمة للمنتقل الموافقة لهواه بحيث يزعم ان ذلك ترق
من مراقي منافعه مع انه في الحقيقة ترد في مهاوي مصارعه فاستدراجه سبحانه اياهم ان يواتر عليهم النعم مع انهماكهم
في الغي فيحسبوا انها لطف لهم منه تعالى فيزدادوا بطرا وطغيانا لكن لا على ان المطلوب تدرجهم في مراتب
النعم بل هو تدرجهم في مدارج المعاصي الى ان يحق عليهم كلمة العذاب على افظع حال واشنعها والاول وسيلة اليه وقوله
﴿من حيث لا يعلمون﴾ متعلق بمضمر وقع صفة لمصدر الفعل المذكور اي سنستدرجهم استدراجا كائنا من حيث
لا يعلمون انه كذلك بل يحسبون انه اثرة من الله عز وجل وتقريب منه تعالى لا يعلمون ما يراد بهم ﴿واملي لهم﴾ عطف
على سنستدرجهم غير داخل في حكم السين لان الاملاء الذي هو عبارة عن الامهال والاطالة ليس من الامور التدريجية
كالاستدراج الحاصل في نفسه شيئا فشيئا بل هو فعل يحصل دفعة وانما الحاصل بطريق التدريج اثاره واحكامه لا نفسه كما يلوح به
تغيير التعبير بتوحيد الضمير مع ما فيه من الافتنان المنبئ عن مزيد الاعتناء بمضمون الكلام لابتنائه على تجديد القصد
والعزيمة وان ذلك للاشعار بانه بمحض التقدير الالهي والاستدراج بتوسط المدبرات [illegible] ولا يبعد ان [illegible]
والى ذلك والا لاحتيج على ارادته [illegible] قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم الاية بل انما ارادة
في امثال هذه الموارد بطريق الجريان على سنن الكبرياء ﴿ان كيدي متين﴾ تقرير للوعيد وتاكيد له اي قوي لا يدفع
بقوة ولا بحيلة والمراد به اما الاستدراج والاملاء مع نتيجتهما التي هي الاخذ الشديد على غرة فتسميته كيدا لان ظاهره
لطف وباطنه قهر واما نفس ذلك الاخذ فقط فالتسمية لكون مقدماته كذلك واما ان حقيقة الكيد هو الاخذ على خفاء
من غير ان يعتبر فيه اظهار خلاف ما ابطنه فمما لا تعويل عليه مع عدم مناسبته للمقام ضرورة استدعائه لاعتبار القيد
المذكور حتما ﴿اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة﴾ كلام مستأنف مسوق لانكار عدم تفكرهم في شانه عليه السلام
وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للايمان به وبما انزل عليه من الايات التي كذبوا بها والهمزة للانكار والتعجب والتوبيخ
والواو للعطف على مقدر يستدعيه سياق النظم الكريم وسباقه وما استفهامية انكارية في محل الرفع بالابتداء
والخبر بصاحبهم [illegible] او جنة والجنة من المصادر التي يراد بها الهيئة كالركبة والجلسة
وتنكيرها للتقليل والتحقير والجملة معلقة لفعل التفكر لكونه من افعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب على نزع الجار
اي اكذبوا بها ولم يتفكروا في اي شيء من جنون ما كائن بصاحبهم الذي هو اعظم الهداة الى الحق وعليه انزلت تلك
الايات او في انه ليس بصاحبهم شيء من جنة حتى يؤديهم التفكر في ذلك الى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا به وبما
انزل عليه من الايات وقيل قد تم الكلام عند قوله تعالى اولم يتفكروا اي اكذبوا بها ولم يفعلوا التفكر ثم ابتدئ فقيل اي
شيء بصاحبهم من جنة على طريقة الانكار والتعجب والتبكيت وقيل ليس بصاحبهم شيء منها والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم
بصاحبهم للايذان بان طول مصاحبتهم له عليه السلام مما يطلعهم على نزاهته عليه السلام عن شائبة ما ذكر ففيه
تأكيد للنكير وتشديد له والتعرض لنفي الجنون عنه صلى الله عليه وسلم مع وضوح استحالة ثبوته له عليه السلام لان المتكلم
بما هو خارق للعقول والعادات لا يصدر الا عمن به مس من الجنون كيف لا ومن غيرها يكون له اختلال وحين
او عمن له تأييد الهي يخبره عن الامور الغيبية وليس عليه السلام شائبة الاول تعين انه عليه السلام مؤيد من عند الله
عز وجل وقيل انه عليه السلام صعد على الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يحذرهم باس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم هذا
لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت فالتصريح بنفي الجنون للرد على عظيمتهم الشنعاء والتعبير عنه عليه السلام بصاحبهم لـ[illegible]

على سبيل الكلام مع ما فيه من النكتة المذكورة وقوله تعالى ان هو الا نذير مبين جملة مقررة لمضمون ما قبلها
ومبينة لحقيقة حاله صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله ان هذا الا ملك كريم بعد قوله تعالى ما هذا بشرا اي ما هو عليه السلام
الا مبالغ في الانذار مظهر له غاية الاظهار ابرازا لكمال الرأفة ومبالغة في الاعذار وقوله تعالى اولم ينظروا في ملكوت
السموات والارض استئناف آخر مسوق للانكار والتوبيخ باخلالهم بالتأمل في الآيات التكوينية المنصوبة في الآفاق
والانفس الشاهدة بصحة مضمون الآيات المنزلة اثر ما نعى عليهم اخلالهم بالتفكر في شأنه عليه السلام والهمزة للانكار والتعجب
والتوبيخ والواو للعطف على المقدر المذكور او على الجملة المنفية بلم والملكوت الملك العظيم اي اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما
ذكر ولم ينظروا نظر تأمل فيما يدل عليه السموات والارض من عظم الملك وكمال القدرة وما خلق الله اي وفيما خلق
فيهما على انه عطف على ملكوت وتخصيصه بهما لكمال ظهور عظم الملك فيهما او في ملكوت ما خلق على انه عطف على السموات والارض
والتعميم لاشتراك الكل في الدلالة على عظم الملك في الحقيقة وعليه قوله تعالى فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى
من شيء بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات دون دقائقها والمعنى اولم ينظروا
في ملكوت السموات والارض وما خلق فيهما من جليل ودقيق مما ينطلق عليه اسم الشيء ليدلهم ذلك على العلم بوحدانيته تعالى
وبسائر شئونه التي ينطق بها تلك الآيات فيؤمنوا بها لاتحادهما في المدلول فان كل فرد من افراد الاكوان مما عز وهان دليل
لا يحاد عن الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد وقوله تعالى وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت
وان مخففة من ان واسمها ضمير الشأن وخبرها عسى مع فاعلها الذي هو ان يكون واسم يكون ايضا ضمير الشأن والخبر قد اقترب
اجلهم والمعنى اولم ينظروا في ان الشأن عسى ان يكون الشأن قد اقترب اجلهم وقد جوز ان يكون اسم يكون اجلهم وخبرها قد اقترب
على انها جملة من فعل وفاعل هو ضمير اجلهم لتقدمه حكما وايا ما كان فمناط الانكار والتوبيخ تأخيرهم للتفكر والتأمل اي لعلهم يموتون
عما قريب فما لهم لا يبادرون الى التدبر في الآيات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الآيات القرآنية وقد جوز ان يكون الاجل عبارة
عن الساعة والاضافة الى ضميرهم لملابستهم لها من جهة انكارهم بها وبحثهم عنها وقوله عز وجل فبأي حديث بعده
يؤمنون قطع لاحتمال ايمانهم رأسا ونفي له بالكلية مرتب على ما ذكر من تكذيبهم بالآيات واخلالهم بالتفكر والنظر في الآيات
يؤمنون وضمير بعده للآية على حذف المضاف المفهوم من كذبوه والتذكير باعتبار كونها قرآنا او بتأويلها بالمذكور وايا ما
كان فهو عبارة عن القرآن والمعنى اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها من احواله عليه السلام ولم ينظروا في المصنوعات فبأي
حديث يؤمنون بعد تكذيبه ومعه مثل هذه الشواهد القوية كلا وهيهات وقيل الضمير للقرآن والمعنى فبأي حديث بعد القرآن يؤمنون
اذ ليس فوقه ابين ولا اوضح وهو المناسب في البيان وقيل هو للاجل وتنكيب لهم مترتب على اخلالهم بالمبادرة الى التأمل في ذكر كانه قيل
لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الى الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث
احق منه يريدون ان يؤمنوا وقيل الضمير لاجلهم والمعنى فبأي حديث بعد انقضاء اجلهم يؤمنون وقيل للرسول صلى الله
عليه وسلم على حذف مضاف اي بعد حديثه يؤمنون وهو اصدق الناس وقوله تعالى من يضلل الله فلا هادي له
استئناف مقرر لما قبله منبئ عن الطبع على قلوبهم وقوله تعالى ويذرهم في طغيانهم بالنون والرفع على الاستئناف اي ونحن
نذرهم وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات اي نخلي وندعهم وقرئ بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل
الله لا يهديه احد ويذرهم وقرئ بالجزم بالنون عن نافع وابي عمرو في الشواذ وقوله تعالى يعمهون اي يترددون
ويتحيرون حال من مفعول يذرهم وتوحيد الضمير في حيز النفي نظرا الى لفظ من وجمعه في حيز الاثبات نظرا الى معناها للتنصيص
على شمول النفي والاثبات للكل يسألونك عن الساعة استئناف مسوق لبيان بعض احكام ضلالهم وطغيانهم

ص

اي عن القيامة وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة ما فيها من الحساب او لانها ساعة عند الله
مع طولها في نفسه قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا
منهم مع علمهم انه تعالى قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش وقوله تعالى ايان مرساها بفتح الهمزة وقرئ بكسرها
وهو ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام ويليه المبتدأ او الفعل المضارع دون الماضي بخلاف متى حيث يليها كلاهما قيل اشتقاقه
من اي فعلان منه لان معناه اي وقت وهو من أويت الى الشيء لان البعض آو الى الكل متساند اليه ومحله الرفع على انه خبر مقدم
ومرساها مبتدأ مؤخر اي متى ارساؤها اي اثباتها وتقريرها فانه مصدر ميمي من ارساه اذا اثبته واقره ولا يكاد يستعمل الا في الشيء
الثقيل كما في قوله تعالى والجبال ارساها ومنه مرسى السفن ومحل الجملة قيل الجر على البدلية من الساعة والتحقيق ان محلها النصب بنزع الخافض
لانها بدل من محل الجار والمجرور فعلا لانه في قوة قيل يسألونك عن الساعة ايان مرساها وفي تعليق السؤال بنفس الساعة اولا وبوقت
وقوعها ثانيا تنبيه على ان المقصد الاصلي من السؤال نفسها باعتبار حلولها في وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونه محلا لها
وعلى هذا المسلك جرى الجواب ايضا حيث اضيف العلم المطلوب بالسؤال الى ضميرها خاصة حيث قيل
قل انما علمها اي علم الساعة باعتبار المذكور عند ربي ولم يقل انما علم وقتها وارسائها ومن لم يتنبه لسر النكتة حمل
النظم الكريم على حذف المضاف والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للايذان بان توفيقه عليه السلام
الجواب على الوجه المذكور من باب التربية والارشاد ومعنى كون علمها عنده تعالى خاصة انه تعالى قد استأثر به بحيث لم يخبر به احدا
من ملك مقرب ونبي مرسل وقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو بيان لاستمرار تلك الحالة الى حين قيامها واقناط
كلي عن اظهار امرها بطريق الاخبار من جهته تعالى او من جهة غيره لاقتضاء الحكمة التشريعية اياه فانه ادعى الى الطاعة
وازجر عن المعصية كما ان اخفاء الاجل الخاص للانسان كذلك والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهر للناس امرها الذي تسألونك
عنه الا هو بالذات من غير ان يشعر به احد من المخلوقين فيتوسط في اظهاره لهم لكن لا بان يخبرهم بوقتها قبل مجيئه كما هو المسؤول
بل بان يقيمها فيشاهدوها عيانا كما يفصح عنه التجلية المنبئة عن الكشف التام المزيل للابهام بالكلية وقوله تعالى لوقتها اي في وقتها
قيد للتجلية بعد ورود الاستثناء عليها لا قبله كانه قيل لا يجليها الا هو في وقتها الا انه قدم على الاستثناء للتنبيه
من اول الامر على ان تجليتها ليست بطريق الاخبار بوقتها بل باظهار عينها في وقتها الذي يسألون عنه وقوله تعالى ثقلت
في السموات والارض استئناف كما قبله مقرر لمضمون ما قبله اي كبرت وشقت على اهلهما من الملائكة والثقلين كل منهم اهمه خفاؤها وخروجها
عن دائرة العقول وقيل عظمت عليهم حيث يشفقون منها ويخافون شدائدها واهوالها وقيل ثقلت فيها اذ لا يطيقها منهما
ومما فيهما شيء اصلا والاول هو الانسب بما قبله وبما بعده من قوله تعالى لا تأتيكم الا بغتة فانه ايضا استئناف
مقرر لمضمون ما قبله فلا بد من اعتبار الثقل من حيث الخفاء اي لا تأتيكم الا فجأة على غفلة كما قال صلى الله عليه وسلم
ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه
يسألونك كأنك حفي عنها استئناف مسوق لبيان خطئهم في توجيه السؤال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على زعمهم
انه عليه السلام عالم بالمسؤول عنه وان العلم بذلك من مواجب الرسالة اثر بيان خطئهم في اصل السؤال باعلام شأن
المسؤول عنه والجملة التشبيهية في محل النصب على انها حال من الكاف جيء بها بيانا لما يدعوهم الى السؤال على زعمهم واشعارا
بخطئهم في ذلك اي يسألونك مشبها حالك عندهم بحال من هو حفي عنها اي مبالغ في العلم بها فعيل من حفي وحقيقته
كانك مبالغ في السؤال عنها فان ذلك في حكم المبالغة في العلم بها لان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه
به ومبنى التركيب على المبالغة والاستقصاء ومنه احفاء الشارب واحفاء البقل اي استئصاله والاحفاء في المسألة اي الالحاح

عنها وقيل عن متعلقة بيسألونك وقوله تعالى كأنك حفي عنها معترض وصلة حفي محذوفة اي حفي بها وقد قرئ كذلك وقيل هو من الحفاوة بمعنى البر والشفقة فان قريشا قالوا له عليه السلام ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك كأنك حفي تتحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم فتعد تخطئة لهم من جهتين وقيل هو من حفي بالشيء بمعنى فرح به والمعنى كأنك فرح بالسؤال عنها تحبه مع انك كاره له لما انه تعرض للغيب الذي استأثر الله عز وجل بعلمه قل انما علمها عند الله امر عليه السلام باعادة الجواب الاول تأكيدا للحكم وتقريرا له واشعارا بعلته على الطريقة البرهانية بايراد الاسم الجليل المنبئ عن استتباعها لصفات الكمال التي من جملتها العلم وتمهيدا للتعريض بجهلهم بقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به تعالى فبعضهم ينكرونها رأسا فلا يعلمون شيئا مما ذكر قطعا وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة ويزعمون انك واقف على وقت وقوعها فيسألونك عنه جهلا وبعضهم يدعون ان العلم بذلك من مواجب الرسالة فيتخذون السؤال عنه ذريعة الى القدح في رسالتك والمستثنى من هؤلاء هم الواقفون على جلية الحال من المؤمنين واما ان يكون عنها من اليهود بطريق الامتحان فهم منتظمون في سلك الجاهلين حيث لم يعملوا بعلمهم وقوله تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا شروع في الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن علمها اثر بيان عجز الكل عنه وابطال زعمهم الذي بنوا عليه سؤالهم من كونه عليه السلام ممن يعلمها واعادة الامر لاظهار كمال العناية بالجواب والتنبيه على استقلاله ومغايرته للاول والتعرض لبيان عجزه عما ذكر من النفع والضر لاثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهاني واللام اما متعلقة باملك او بمحذوف وقع حالا من نفعا اي لا اقدر لاجل نفسي على جلب نفع ما ولا على دفع ضر ما الا ما شاء الله اي الا ما شاء الله ان املكه من ذلك بان يلهمنيه فيمكنني منه ويقدرني عليه او لكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء منقطع وهذا ابلغ في اظهار العجز ولو كنت اعلم الغيب اي جنس الغيب الذي من جملته ما بين الاشياء من المناسبات المصححة عادة للسببية والمسببية ومن المباينات المستتبعة للممانعة والمدافعة لاستكثرت من الخير اي لحصلت كثيرا من الخير الذي نيط تحصيله بالافعال الاختيارية للبشر بترتيب اسبابه ودفع موانعه وما مسني السوء اي السوء الذي يمكن التفصي عنه بالتوقي عن موجباته والمدافعة بموانعه لاستحالة ان لا يمسني منه ما لا مدفع له ان انا الا نذير وبشير اي ما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة شأني حيازة ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف على الغيوب التي لا علاقة بينها وبين الاحكام والشرائع وقد كشفت من امر الساعة ما يتعلق به الانذار من مجيئها لا محالة واقترابها واما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه الانذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من ان ابهامه ادعى الى الانزجار عن المعاصي وتقديم النذير على البشير لما ان المقام مقام الانذار وقوله لقوم يؤمنون اما متعلق بهما جميعا لانهم ينتفعون بالانذار كما ينتفعون بالبشارة واما بالبشير فقط وما يتعلق بالنذير محذوف اي نذير للكافرين اي الباقين على الكفر وبشير لقوم يؤمنون اي في اي وقت كان ففيه ترغيب للكفرة في احداث الايمان وتحذير عن الاصرار على الكفر والطغيان هو الذي خلقكم استئناف مسوق لبيان كمال عظم جناية الكفرة في جراءتهم على الاشراك بتذكير مبادي احوالهم المنافية له والموصول خبر المبتدأ اي هو ذلك العظيم الشان الذي خلقكم جميعا وحده من غير ان يكون لغيره مدخل في ذلك بوجه من الوجوه من نفس واحدة هو آدم عليه السلام وهذا نوع تفصيل لما اشير اليه في مطلع السورة الكريمة اشارة اجمالية من خلقهم وتصويرهم في ضمن خلق آدم وتصويره وبيان لكيفيته وجعل عطف على خلقكم داخل في حكم الصلة ولا ضير في تقدمه عليه وجودا لما ان الواو لا تستدعي الترتيب في الوجود منها اي من جنسها كما في قوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا او من جسدها لما يروى انه تعالى خلق حواء من ضلع من اضلاع آدم عليه السلام والاول هو الانسب اذ الجنسية هي المؤدية الى الغاية الآتية لا الجزئية

والجعل اما بمعنى التصيير فقوله تعالى زوجها مفعوله الاول والثاني هو الظرف المقدم واما بمعنى الانشاء والظرف متعلق بجعل قدم على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من المفعول والاول هو الاولى وقوله تعالى ليسكن اليها علة غائية للجعل باعتبار تعلقه بمفعوله الثاني اي ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنانا مصححا للازدواج كما يلوح به تذكير الضمير ويفصح عنه قوله تعالى فلما تغشاها اي جامعها حملت حملا خفيفا في مبادي الامر فانه عند كونه نطفة او علقة او مضغة اخف عليها بالنسبة الى ما بعد ذلك من المراتب والتعرض لذكر خفته للاشارة الى نعمته تعالى عليهم في انشائه تعالى اياهم متدرجين في اطوار الخلق من العدم الى الوجود ومن الضعف الى القوة فمرت به اي فاستمرت به كما كانت قبل حيث قامت وقعدت واخذت وتركت وعليه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وقرئ فمرت بالتخفيف فارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به واما ما قيل من ان المعنى حملت حملا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذية ولم تستثقله كما يستثقلنه فمرت به اي مضت به الى ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق فيرده قوله تعالى فلما اثقلت اي صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها ولا ريب في ان الثقل بهذا المعنى ليس مقابلا للخفة بالمعنى المذكور انما يقابلها الكرب الذي يعتري بعضهن من اول الحمل الى آخره دون بعض اصلا وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما اي آدم وحواء عليهما السلام لما دهمهما امر لم يعهداه ولم يعرفا مآله فاهتما به وتضرعا اليه عز وجل وقوله تعالى ربهما اي مالك امرهما الحقيق بان يخص به الدعاء اشارة الى انهما قد صدرا به دعاءهما كما في قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية ومتعلق الدعاء محذوف تعويلا على شهادة الجملة القسمية به اي دعواه تعالى ان يؤتيهما صالحا ووعدا بمقابلته الشكر على سبيل التوكيد القسمي وقالا او قائلين لئن آتيتنا صالحا اي ولدا من جنسنا سويا لنكونن نحن ومن يتناسل من ذريتنا من الشاكرين الراسخين في الشكر على نعمائك التي من جملتها هذه النعمة وترتيب هذا الجواب على الشرط المذكور لما انهما قد علما ان ما علقا به دعاءهما انموذج لسائر افراد الجنس ومعيار لهما ذاتا وصفة وجوده مستتبع لوجودها وصلاحه مستلزم لصلاحها فالدعاء في حقه متضمن للدعاء في حق الكل مستتبع له كانهما قالا لئن آتيتنا وذريتنا اولادا صالحة وقيل ان ضمير آتيتنا ايضا لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فالوجه ظاهر وانت خبير بان نظم الكل في سلك الدعاء اصالة بآباء مقام المبالغة في الاعتناء بشان ما بصدده ما جعل خبر لنكونن للكل فلا محذور فيه لان توسيع دائرة الشكر غير مخل بالاعتناء المذكور بل هو مؤكد له وايا ما كان فمعنى قوله تعالى فلما آتاهما صالحا لما آتاهما ما طلباه اصالة واستتباعا من الولد وولد الولد ما تناسلوا فقوله تعالى جعلا اي جعل اولادهما له تعالى شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثقة بوضوح الامر وتعويلا على ما يعقبه من البيان وكذا الحال في قوله تعالى فيما آتاهما اي فيما آتى اولادهما من الاولاد حيث سموهم بعبد مناف وعبد العزى ونحو ذلك وتخصيص اشراكهم هذا بالذكر في مقام التوبيخ مع ان اشراكهم بالعبادة اغلظ منه جناية واقدم وقوعا لما ان مساق النظم الكريم لبيان اخلالهم بالشكر في مقابلة نعمة الولد الصالح واول كفرهم في حقه انما هو تسميتهم اياه بما ذكر وقرئ شركا اي شركة او ذوي شرك اي شركاء ان قيل ما ذكر من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه انما يصار اليه فيما يكون للفعل ملابسة ما بالمضاف اليه ايضا بسراية اليه حقيقة او حكما ويتضمن نسبته اليه صورة مزية يقتضيها المقام كما في مثل قوله تعالى واذ انجيناكم من آل فرعون الآية فان الانجاء انما هو للاسلاف مع ان النعمة حقيقة ليست الا بانجاء اليهود وقد نسب الى اخلافهم بحكم سرايته اليهم

توفية لمقام الامتنان حقه وكذا في قوله تعالى قل فلم تقتلون انبياء الله الآية فان القتل حقيقة مع كونه من جنايات
ابائهم قد اسند اليهم بحكم رضاهم به اداء لحق مقام التوبيخ والتبكيت ولا ريب في انهما عليهما السلام بريئان
من سراية الجعل المذكور اليهما بوجه من الوجوه فما وجه اسناده اليهما صورة فقد وجه لايذان بتركهما الاولى حيث
اقدما على نظم اولادهما في سلك انفسهما والتزما شكرهم في ضمن شكرهما واقسما على ذلك قبل تعرف احوالهم
ببيان ان اخلالهم بالشكر الذي وعداه وعدا مؤكدا باليمين بمنزلة اخلالهما به بالذات في استيجاب الحنث والخلف
مع ما فيه من الاشعار بتضاعف جنايتهم ببيان انهم بجعلهم المذكور اوقعوهما في ورطة الحنث والخلف وجعلوهما كأنهما
باشراه بالذات فجمعوا بين الجناية على الله تعالى والجناية عليهما عليهما السلام فتعالى الله عما يشركون تنزيه
فيه معنى التعجب والفاء لترتيبه على ما فصل من احكام قدرته تعالى وآثار نعمته الزاجرة عن الشرك الداعية الى التوحيد
وصيغة الجمع لما اشير اليه من تعيين الفاعل وتنزيه آدم وحواء عليهما السلام عن ذلك وما في عما اما مصدرية اي
عن اشراكهم او موصولة او موصوفة اي عما يشركونه به سبحانه والمراد باشراكهم اما تسميتهم المذكورة او مطلق اشراكهم
المنتظم لها انتظاما اوليا وقرئ تشركون بتاء الخطاب بطريق الالتفات وقيل الخطاب لآل قصي من قريش والمراد
بالنفس الواحدة نفس قصي فانهم خلقوا منه وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله تعالى الولد فاعطاهما
اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار وضمير يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما.
واما ما قيل من انه لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب او خنزير
وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك فذكرته لآدم عليه السلام فهما منه ثم عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة فان
دعوته ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فقبلت فلما ولدت
سمته عبد الحارث فمما لا تعويل عليه كيف لا وانه عليه السلام كان علما في علم الاسماء والمسميات [illegible]
واتباعهما اياه في مثل هذا الشان اقرب من المحال والله اعلم بحقيقة الحال ايشركون استئناف مسوق لتوبيخ
كافة المشركين واستقباح اشراكهم على الاطلاق وابطاله بالكلية ببيان شان ما اشركوه به سبحانه وتفصيل احواله
القاضية ببطلان ما اعتقدوه في حقه اي ايشركون به تعالى ما لا يخلق شيئا اي لا يقدر على ان يخلق شيئا من الاشياء
اصلا ومن حق المعبود ان يكون خالقا لعابده لا محالة وقوله تعالى وهم يخلقون عطف على لا يخلق وايراد الضميرين
بجمع العقلاء مع رجوعهما الى ما المعبر بها عن الاصنام انما هو بحسب اعتقادهم فيها واجرائهم لها مجرى العقلاء وتسميتهم
لها آلهة وكذا حال سائر الضمائر الآتية ووصفها بالمخلوقية بعد وصفها بنفي الخالقية لابانة كمال منافاة حالها
لما اعتقدوه في حقها واظهار غاية جهلهم فان اشراك ما لا يقدر على خلق شيء ما بخالقه وخالق جميع الاشياء مما لا يكاد
ان يسوغه من له عقل في الجملة وعدم التعرض لخالقها للايذان بتعينه والاستغناء عن ذكره ولا يستطيعون لهم
اي لعبدتهم اذا اعتراهم امر مهم خطب ملم نصرا اي نصرا ما بجلب منفعة او دفع مضرة ولا انفسهم ينصرون
اذا اعترتهم حادثة من الحوادث اي لا يدفعونها عن انفسهم وايراد النصر للمشاكلة وهذا بيان لعجزهم عن ايصال منفعة ما
من المنافع الوجودية والعدمية الى عبدتهم وانفسهم بعد بيان عجزهم عن ايصال منفعة الوجود اليهم والى انفسهم خلا
انهم وصفوا هناك بالمخلوقية لكونهم امثالا لها وههنا لم يوصفوا بالمنصورية لانهم ليسوا اهلا لها وقوله تعالى
وان تدعوهم الى الهدى بيان لعجزهم عما هو ادنى من النصر المنفي عنهم وايسر وهو مجرد الدلالة على المطلوب والارشاد
الى طريق حصوله من غير ان يحصله للطالب والخطاب للمشركين بطريق الالتفات المنبئ عن مزيد الاعتناء بامر التوبيخ والتبكيت

اي

اي ان تدعوهم ايها المشركون الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به المطالب او تنجون به عن المكاره لا يتبعوكم الى مرادكم
وطلبتكم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون استئناف مقرر لمضمون ما قبله
ومبين لكيفية عدم الاتباع اي مستو عليكم في عدم الافادة دعاؤكم لهم وسكوتكم البحت فانه لا يتغير حالكم في الحالين
كما لا يتغير حالهم بحكم الجمادية وقوله تعالى ام انتم صامتون جملة اسمية في معنى الفعلية معطوفة على الفعلية لانها في قوة ام
صمتم عدل عنها للمبالغة في عدم افادة الدعاء ببيان مساواته للسكوت الدائم المستمر وما قيل من ان الخطاب للمؤمنين
والمعنى وان تدعوا المشركين الى الهدى اي الاسلام لا يتبعوكم الخ مما لا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه اصلا
على انه لو كان كذلك لقيل عليهم مكان عليكم كما في قوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون فان استواء
الدعاء وعدمه انما هو بالنسبة الى المشركين لا بالنسبة الى الداعين فانهم فائزون بفضل الدعوة ان الذين تدعون
من دون الله تقرير لما قبله من عدم اتباعهم لهم اي ان الذين تعبدونهم من دونه تعالى من الاصنام وتسمونهم
آلهة عباد امثالكم اي مماثلة لكم لكن لا من كل وجه بل من حيث انها مملوكة لله عز وجل مسخرة لامره عاجزة عن
النفع والضر وتشبيهها بهم في ذلك مع كون عجزها عنها اظهر واقوى من عجزهم انما هو لاعترافهم بعجز انفسهم وادعائهم
لقدرتها عليها اذ هو الذي يدعوهم الى عبادتها والاستعانة بها وقوله تعالى فادعوهم فليستجيبوا لكم تحقيق لمضمون
ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم اي فادعوهم في جلب نفع او كشف ضر ان كنتم صادقين في زعمكم انهم قادرون على ما انتم
عاجزون عنه وقوله تعالى ألهم ارجل يمشون بها تبكيت اثر تبكيت مؤكد لما يفيده الامر التعجيزي من عدم الاستجابة
ببيان فقدان آلاتها بالكلية فان الاستجابة من الهياكل الجسمانية انما تتصور اذا كان لها حياة وقوى محركة ومدركة
وما ليس له شيء من ذلك فهو بمعزل من الافاعيل بالمرة كأنه قيل ألهم هذه الآلات التي بها تتحقق الاجابة حتى يمكن استجابتهم لكم
وقد وجه الانكار الى كل واحدة من هذه الآلات الاربع على حدة تكريرا للتبكيت وتثنية للتقريع واشعارا
بان انتفاء كل واحدة منها بحيالها كاف في الدلالة على استحالة الاجابة ووصف الارجل بالمشي بها للايذان بان مدار
الانكار هو الوصف وانما وجه الى الارجل لا الى الوصف بان يقال ايمشون بارجلهم لتحقيق انها حيث لم يظهر منها ما يظهر
من سائر الارجل فهي ليست بارجل في الحقيقة وكذا الكلام فيما بعده من الجوارح الثلث الباقية وكلمة ام في قوله تعالى
ام لهم ايد يبطشون بها منقطعة وما فيها من الهمزة لما مر من التبكيت والالزام وبل للاضراب المفيد للانتقال من فن
من التبكيت بعد تمامه الى فن آخر منه لما ذكر من المزايا والبطش الاخذ بقوة وقرئ يبطشون بضم الطاء وهي لغة فيه والمعنى
بل الهم ايد يأخذون بها ما يريدون اخذه وتأخير هذا عما قبله لما ان المشي حالهم في انفسهم والبطش حالهم بالنسبة الى الغير
واما تقديمه على قوله تعالى ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها مع ان الكل سواء في انها من احوالهم
بالنسبة الى الغير فلمراعاة المقابلة بين الايدي والارجل ولان انتفاء المشي والبطش اظهر والتبكيت بذلك اقوى واما تقديم
الاعين فلما انها اشهر من الاذان واظهر عينا واثرا هذا وقد قرئ ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم
على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية اي ما الذين تدعون من دونه تعالى عبادا امثالكم بل ادنى منكم فيكون قوله تعالى ألهم
تقريرا لنفي المماثلة باثبات القصور والنقصان قل ادعوا شركاءكم بعدما بين ان شركاءهم لا يقدرون على شيء ما
اصلا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يناصبهم للمحاجة ويكرر عليهم التبكيت والقاء الحجر اي ادعوا شركاءكم و
استعينوا بهم ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم وبالغوا في ترتيب ما تقدرون عليه من مبادي الكيد والمكر
فلا تنظرون اي فلا تمهلوني ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد فاني لا ابالي بكم اصلا ان وليي الله الذي نزل الكتاب

تعليل لعدم المبالاة المفهوم من السوق انفهاما جليا ووصفه تعالى بتنزيل الكتاب للاشعار بدليل الولاية والاشارة
الى علة اخرى لعدم المبالاة كانه قيل لا ابالي بكم وبشركائكم لان وليي هو الذي نزل الكتاب الناطق بانه وليي وناصري وبان
شركاءكم لا يستطيعون نصر انفسهم فضلا عن نصركم وقوله تعالى وهو يتولى الصالحين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي
ومن عادته ان يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم والذين تدعون اي تعبدونهم من دونه
تعالى او تدعونهم للاستعانة بهم على حسبما امرتكم به لا يستطيعون نصركم اي في امر من الامور او في خصوص
الامر المذكور ولا انفسهم ينصرون اذا نابتهم نائبة وان تدعوهم الى الهدى اي الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به
مقاصدكم على الاطلاق او في خصوص الكيد المعهود لا يسمعوا اي دعاءكم فضلا عن المساعدة والامداد وهذا
ابلغ من نفي الاتباع وقوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون بيان لعجزهم عن الابصار بعد بيان
عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل فلا تكرار اصلا والرؤية بصرية وقوله تعالى ينظرون اليك حال من المفعول والجملة
الاسمية حال من فاعل ينظرون اي وترى الاصنام رأي العين يشبهون الناظرين اليك ويخيل اليك انهم يبصرون
لانهم صنعوا لها اعينا مركبة بالجواهر المضيئة المتلألئة وصوروها بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه والحال
انهم غير قادرين على الابصار وتوجيه الضمير في تراهم مع رجوعه الى المشركين لتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم لا الى الكل
من حيث هو كل كالخطابات السابقة تنبيها على ان رؤية الاصنام على الهيئة المذكورة لا يتسنى للكل معا بل لكل من
يواجهها وقيل ضمير الفاعل في تراهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول على حاله وقيل للمشركين على ان
التعليل قد تم عند قوله لا يسمعوا اي وترى المشركين ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك اي فان تدعوا ايها
المؤمنون المشركين الى الاسلام لا يلتفتوا اليكم ثم خوطب عليه السلام بطريق التجريد بانك تراهم ينظرون اليك والحال
انهم لا يبصرونك حق الابصار تنبيها على ان ما فيه عليه السلام من شواهد النبوة ودلائل الرسالة من الجلاء بحيث
لا يكاد يخفى على الناظرين خذ العفو بعدما عد من اباطيل المشركين وقبائحهم ما لا يطاق تحمله امر صلى الله عليه
وسلم بمجامع مكارم الاخلاق التي من جملتها الاغضاء عنهم اي خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تكلفهم
ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو من المذنبين او الفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب
الزكوة وأمر بالعرف بالجميل المستحسن من الافعال فانها قريبة من قبول الناس من غير نكير واعرض عن الجاهلين
من غير مماراة ولا مكافاة قيل لما نزلت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام فقال لا ادري حتى اسأل ثم
رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق رضي الله عنه
امر الله تعالى نبيه بمكارم الاخلاق وروي انه لما نزلت الآية الكريمة قال صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل
قوله تعالى وإما ينزغنك النزغ والنسغ والنخس الغرز شبهت وسوسته للناس واغراؤه لهم على المعاصي
بغرز السائق لما يسوقه واسناده الى النزغ من قبيل جد جده اي وإما يحملنك من جهته وسوسة ما على خلاف
ما امرت به من اعتراء غضب ونحوه فاستعذ بالله فالتجئ اليه تعالى من شره انه سميع يسمع استعاذتك
به قولا عليم يعلم تضرعك اليه قلبا في ضمن القول او بدونه فيعصمك من شره وقد جوز ان يراد بنزغ الشيطان
اعتراء الغضب على الاستعارة كما في قول الصديق رضي الله عنه ان لي شيطانا يعتريني فخيم زيادة تنفير عنه وفرط
تحذير عن العمل بموجبه وفي الامر بالاستعاذة بالله تعالى تهويل لامره وتنبيه على انه من الغوائل الصعبة التي لا يتخلص
من مضرتها الا بالتجاء الى حرم عصمته تعالى وقيل يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع بأقوال من آذاك

عليم بافعاله فيجازيه عليها إن الذين اتقوا استئناف مقرر لما قبله ببيان ان ما امر به عليه السلام من الاستعاذة
بالله تعالى سنة مسلوكة للمتقين والاخلال بها دين الغاوين اي ان الذين اتصفوا بوقاية انفسهم عما يضرها
إذا مسهم طائف من الشيطان وهو ادنى لمة تنوينه للتحقير وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها تطوف بهم وتدور
حولهم لتوقع بهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا اي الم وقرئ طيف على انه مصدر او تخفيف من طيف كهين ولين والمراد من الشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره في ما سيأتي تذكروا اي الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه
فإذا هم بسبب ذلك التذكر مبصرون مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه واخوانهم اي اخوان
الشياطين الذين ليسوا بمتقين يمدونهم في الغي اي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل
والاغراء ويعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون اي لا يمسكون عن الاغواء حتى يردوهم بالكلية ويجوز ان يكون الضمير للاخوان
الشياطين الضمير للاخوان اي لا يرعوون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع
الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له وإذا لم تأتهم بآية من القرآن عند تراخي الوحي او بآية مما اقترحوه قالوا لولا
اجتبيتها اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي هلا جمعتها من تلقاء نفسك تقولا او بدلك لسائر الآيات ايضا لانك
او هلا تلقيتها من ربك استدعاء قل ردا عليهم إنما اتبع ما يوحى إلي من ربي من غير ان يكون لي دخل ما في ذلك
اصلا على معنى تخصيص حاله عليه السلام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالنسبة
الى مقابله اياه عليه السلام لا على تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى اليه بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس الى مفعول
آخر كما هو الشائع في موارد الاستعمال وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي كأنه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى
الي منه تعالى وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية والتبليغ الى الكمال اللائق مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من
تشريفه عليه السلام والتنبيه على تأييده ما لا يخفى هذا اشارة الى القرآن الكريم المدلول عليه بما يوحى الي بصائر من
ربكم بمنزلة البصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وقيل حجج بينة وبراهين نيرة ومن متعلقة بمحذوف
هو صفة لبصائر مفيدة لفخامتها اي بصائر كائنة منه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتأكيد وجوب
الايمان بها وقوله تعالى وهدى ورحمة عطف على بصائر وتقديم الظرف عليهما وتعقيبهما بقوله تعالى لقوم يؤمنون
للايذان بان كون القرآن بمنزلة البصائر للقلوب متحقق بالنسبة الى الكل وبه تقوم الحجة على الجميع واما كونه هدى
ورحمة فمختص بالمؤمنين به اذ هم المقتبسون من انواره والمغتنمون بآثاره والجملة من تمام القول المأمور به وإذا
قرئ القرآن فاستمعوا له ارشاد الى طريق الفوز بما اشير اليه من المنافع الجليلة التي ينطوي عليها القرآن اي وإذا
قرئ القرآن الذي ذكرت شؤونه العظيمة فاستمعوا له استماع النظم الكريم يقتضي وجوب الاستماع والانصات قراءة القرآن
في الصلاة وغيرها وقيل معناه اذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له بالتحقيق والقبول وأنصتوا اي اسكتوا
في خلال القراءة وراعوها الى انقضائها تعظيما له وتكميلا للاستماع لعلكم ترحمون اي تفوزون بالرحمة التي هي اقصى ثمراته
وظاهر النظم الكريم يقتضي وجوب الاستماع والانصات عند قراءة القرآن في الصلاة وغيرها وقيل معناه اذا تلا
عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي الله تعالى عنهم على انه في استماع المؤتم وقد روي
انهم كانوا يتكلمون في الصلاة فأمروا باستماع قراءة الامام والانصات عنده وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله
عليه وسلم قرأ في المكتوبة وقرأ اصحابه رضي الله عنهم خلفه فنزلت واما خارج الصلاة فعامة العلماء على استحبابهما والآية
اما من تمام القول المأمور به او استئناف من جهته تعالى فقوله تعالى واذكر ربك في نفسك على الاول عطف على قل

٣٦٤

وعلى الثاني ففيه تجريد في الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عام في الاذكار كافة فان
الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب من الاجابة تضرعا وخيفة اى متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول اى و
متكلما دون الجهر فانه اقرب الى حسن التفكر بالغدو والاصال متعلق باذكر اى اذكره في وقت الغدوات
والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اى دخل في الاصيل موافق للغدو ولا تكن من الغافلين
عن ذكر الله تعالى ان الذين عند ربك يعني الملائكة عليهم السلام ومعنى كونهم عنده تعالى قربهم من رحمته وفضله
لتوفرهم على طاعته تعالى لا يستكبرون عن عبادته بل يؤدونها حسبما امروا به ويسبحونه اى ينزهونه عن
كل ما لا يليق بجناب كبريائه وله يسجدون اى يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به شيئا
وهو تعريض بسائر المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراءته عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم
آية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر بالسجود
فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت
فلي النار وعنه عليه الصلوة والسلام
من قرأ سورة الاعراف جعل الله
يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا
وكان آدم شفيعا له
يوم القيمة والله
اعلم